



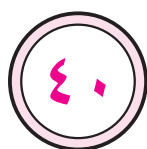




مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي



المجلد الثامن والثلاثون

السنة ١٣٨٦ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

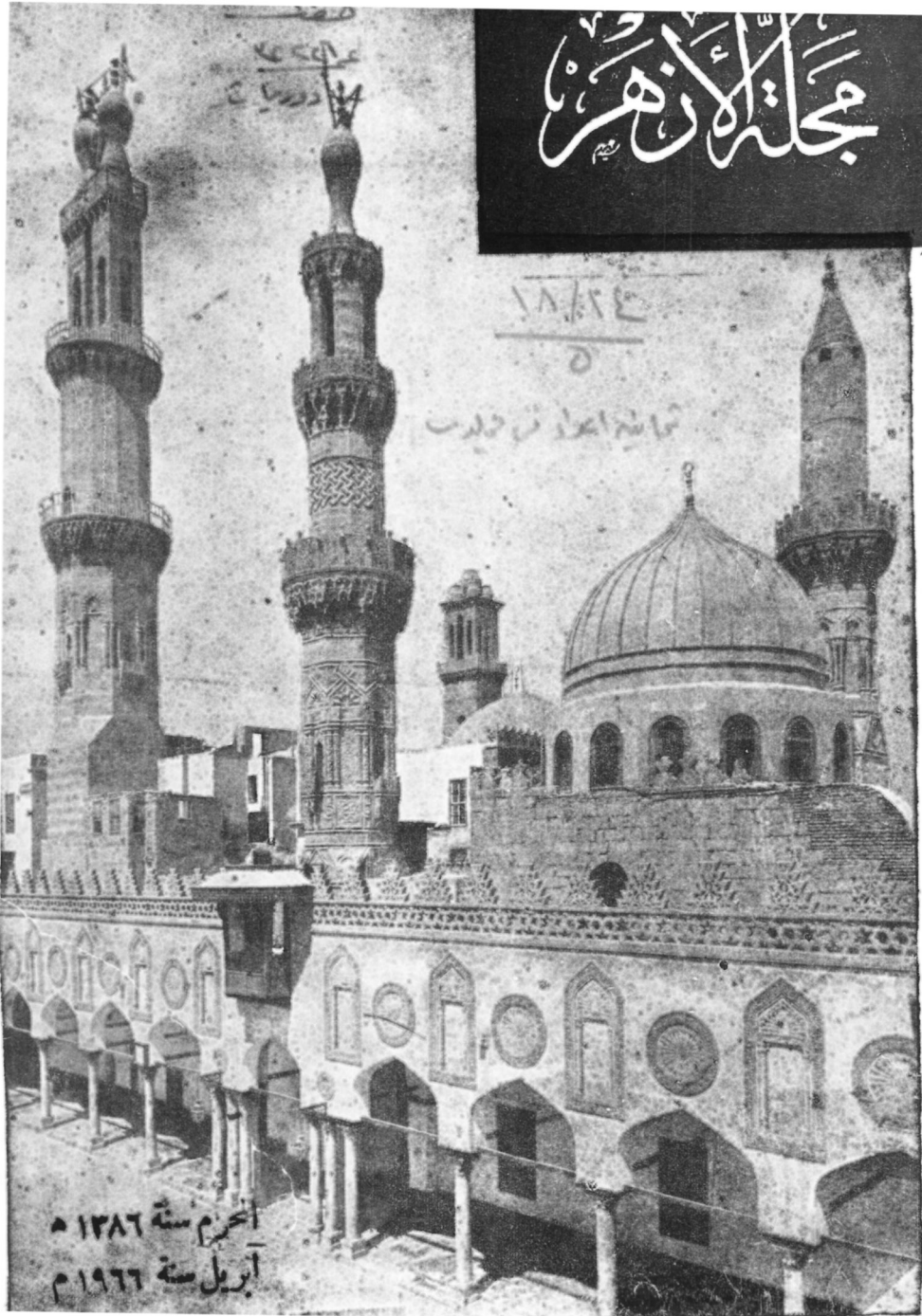
SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مجله انوار



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحمن فودة
«بدل لا شتوك»
ج ٥٠ في المرسى العربية المتحدة
مناجى الجمهورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الأول - السنة الثامنة والثلاثون - المحرم سنة ١٣٨٦ هـ - إبريل ١٩٦٦ م

سما الله الرحمن الرحيم



الربيع في الشعر المطر

بقلم أحمد حسن الزيات

الملك ، وابن الساعاتى ، وابن نباتة ، والشاب
الظريف ، وابن مطروح ، والجهاد زهير ،
من نوايح المتقدمين ، ثم قرأت ما قال شيوخ
الشعر وشبابه من صفوة المتأخرين ، فلم أجد
إلا كلاما عاما يقال في كل ربيع ، ووصفا بجملا
يصدق على كل روضة ، تعبيرات محفوظة من
لغة الشعر ، وتشبيهات منقولة من موروث
البيان ، صاغها كل شاعر على حسب طاقته
وآلته فجاءت وصفا لربيع مجهول لاحقيقة له
في الخارج ، ولا أثر له في الذهن .
أما الشعور النفسى الذى يدرك الشاعر
- الوصول - في جو معين ومنظر محدود
وزهرة خاصة ، فيصبل به بين النفس والطبيعة ،

إن الذين قضوا يوم شم النسيم البهيج المرح
على بساط الربيع ، يجتولون جمال الطبيعة
المتبرجة في الزهر والنهر ؛ ويستوهبون
أسرار الحياة المنبئة في السماء والأرض ،
يسرم أن يقرأوا تعبير الشعر عما شهدوه
من جمال النيل ، وأحسوه من فتنة واديه
ولم يستطيعوا الهتاف به ولا التعبير عنه .
وما كان أحب إلى نفسى أن أهيم لهم هذا
السرور لو وجدت السبيل إليه ؛ فإني قرأت
ما نظم الشعراء المصريون قديما وحمدا ومحدثا
في الربيع المصرى ، فلم أجد فيه على قلته
وتبعيته صدقا في الشعور ولا مطابقة للواقع .
قرأت ما قال ابن وكيع التنبسى ، وابن سناء

أردأ فصول العام : يطرد النسيم بالسموم ،
ويخفق العطر بالغبار ، ويذبل الزهر بالهب ،
ويرمى الطير بالبسم ، ويفسد المزاج
بالوخومة . ثم يسكون حلوله بعد رحيل
شتاء هادئ جميل ، في هوائه الدفء ،
وفي جوه الصحو ، وفي سمائه الإشراق ،
وفي أيامه النشاط ، وفي لياليه الأنس . فإذا
رأيت الريف في الشتاء ، رأيت الأرض على
مدى البصر قد غطاها بساط من السندس
الأخضر ، تخف خضرتها في حقول القمح
فتسكون كالزرد ، وتثقل في البرسيم فتسكون
كالفيروزج ، فلا يجد الشاعر المصري وقد
انتقل من رقة هذا الشتاء إلى قسوة ذلك الربيع
ما يجده الشاعر الأوربي من الحياة والمرح
والبهجة والنشوة والطلاقة حين ينتقل من شقائه
المسكن بالثلوج إلى ربيعته المسكوب بالورود .
للربيع في الشعر الأوربي أرخم الأوتار
وأعذب الألحان من موسيقى الشاعر لأن
الشتاء في أوروبا غناء طويل وهم ثقيل : ظلام
متكاثف يحجب السماء ، ومطار واكف يغمر
الأرض ، وبرد قارس يهز الأجساد ، وغمام
متراكم يسد الأفق ، فلا ترى شعاع شمس
ولا خفقة طائر ، وتلج متراكب بطمر الثرى
فلا تجد عشبة في مرج ولا زهرة في حديقة ،
والناس هناك في حزين دائم إلى الربيع ، لأنه
في دنياهم حياة بعد موت . وابتهاج بعد
كآبة ، وأشعراهم فيما يبشرهم بمقدمه رقائق
من الشعر الشاهر تقرؤها في البشريات الأولى

وبين الفكر والصورة ، وبين الفن والواقع ،
فذلك مالا أثر له فيه . ولعلك إذا استقنيت
من أشعار العرب في الربيع ، شعر ابن الرومي
في العراق ، وشعر البحتري في الشام ، وشعر
ابن خفاجة في الأندلس ، وجدت سائرها
من هذا النمط المصري الذي تجدد فيه الألفاظ
المبهمة ، ولا تجد فيه المعاني الملهمة .

فأشعارهم في الربيع أشبه بأشعارهم
في الغزل ، أقلها نفسى صادق يصدر عن
القلب وينقل عن وجدان ، وأكثرها حسي
كاذب يصدر عن الحافظة وينقل عن الكتاب :
والمصريون أولى من غيرهم بالعذر إذا خلا
شعرهم من وحى الربيع ؛ لأن الربيع الذي
يزور الأرض في إبريل ومايو ، لا يزور
مصر إلا في أكتوبر ونوفمبر . فالخریف
في مصر هو الربيع الحق في فضوته وزينته
وعطره . فأينما تدر بصرك في حقول الدرة
وقصب السكر والبرسيم لا تجد إلا رياضاً
شجراً من شراب وحب ، ومروجا فيحاء
من زهور وكلا . ثم ترى النيل في أحقاب
فيضانه كذوب التبر ينساب هادراً في الترع
والقنوات ، فيجمل من ضفاف الجداول ،
وحفا في الطرق ، وحواشي الغيطان ،
سلاسل زبرجدية من الريحان والعشب .
لذلك أفتن شعراء الريف في وصف الخريف
وأبدعوا . وأما ذلك الربيع الجفرا في الذي
يقبل على مصر مع الرياح الخمسينية
والعواصف الرملية والتقلبات الجوية فإنه

بقهيدتين من محكم الشعر وجيده ، إحداهما
طويلة مستقيمة ، أهداها إلى الكاتب القصصى
(هول كين) والاخرى قهيدة تابعة جعلها
صدراً لقصيدته التى نظمها فى المهرجان الذى
أقيم لتسكيره ، يقول فى الأولى :

آذار أقبل قم بنا يا صاح
حى الربيع حديقة الأرواح
واجمع ندائى الظرف تحت لوانه

وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح نخذ لنفسك قسطها

فالصفو ليس على المدى بمتاح

واجلس بضاحكة الرياض مصفقا
لتجاوب الأرتار والأقداح

إلى أن يقول :

ملك النبات فكل أرض داره
تلغى بالأعراس والأفراح

منشورة أعلامه من أحر

قار وأبيض فى الربى لماح

لبست لمقدمه الجنائل وشها

ومرحن فى كتف له وجناح

الورد فى سرر الفصوص مفتاح

متقابل يثنى على الافتتاح

ضاحى المواكب فى الرياض يميز

دون الزهور بشوكة وسلاح

مر النسيم بصفحتيه مقبلا

مر الشفاء على خدود ملاح

هتك الردى من حسنه وبهاه

بالليل ما نسجت يد الإصباح

كشجوع الدف. فى النسيم ، ودبيب الحياة

فى الشجر ، وهودة العصفور المهاجر إلى عشه ،

وخرير الجدول الجامد بعد صمته . فإذا أقبل

الربيع متعهم بما حرموه طويلا من جلوة

الطبيعة فى الأفق المشرق ، والروض المبرج ،

والجو المعطر ، والطير الصادحة ، والضواحي

الأنيفة والغابات الوردية والمستنزهات اللاعبة .

والربيع الأوربي على الجملة تغيير فى النفس

وتجديد فى الحياة والتغيير والتجديد يلهمان القرائح

الخلقة شعرا يمتزج فيه الوجدان بالوجود ،

ويتصل به الخيال بالحقيقة . أما شعراؤنا

المصريون فأى جديد يأتهم به الربيع فى آفاقهم

وفى أنفسهم ! إن الشمس والدفء والصحو

والطير والزهر والزرع والماء من خصائص

مصر الطبيعية ، لا تنفك عنها طيلة العام ، حتى

ألفتها المشاعر والنفوس ، فلا تشنقها لأنها

لا تغيب ، ولا تحتاجها لأنها لا تنقطع . ومن

هنا تشابهت الفصول الأربعة فى حس الشاعر

فلا يكاد يرى اختلافا بينها إلا فى حيوية

الشتاء وشاعرية الخريف ولذلك لم يجد

الشعراء ما يقولونه فى الربيع ، فإذا قالوا

مدفوعين بغريزة المحاكاة أو بشهوة المعارضة

قالوا كلاماً قد يكون منفعداً الألفاظ بحود

القشايه ملون الصدور ، ولكن الفرق بينه

وبين الشعر الصحيح ، يكون كالفسق بين

الجماد والحى ، أو بين الدمية والمرأة .

ولقد نظرت فى شعرنا القديم والجديد فلم

أر شاعراً قبل شوقى ولا بعده خص الربيع

كل ريحانة بلعن ، كعرس
ألفت للغناء شوقي قبانه
نعم من السماء والأرض شقي
من معاني الريح ، أو ألحانه
هذه وتلك أبيات من قصيدتي شوقي في
الريح ، وهما مثالان من الشعر العالى الطليقة
الرفيع النسق إذا وازناهما بالمأثور من الشعر
المصرى في هذا الباب ، وربما انقطع نظيرهما
أو نذر في الشعر العربى كله ! ولكننا إذا
وازناهما بما قرأنا في موضوعهما من الشعر
الأورنى شالت كفتهما في هذه الموازنة .
فإن شوقى رحمه الله جرى على مذهب من
سبقوه ، فلم يصف فيهما ريحاً بعينه في إقليم
يصح أن يخلط به نفسه ، ويضيف إليه
شعوره ، ويعرض ما يرى فيه من شجر وطير
وعطر وفتون ، على ما يجد في نفسه من حب
وذكرى ونشوة وصباية ، فيألف المنظر
والناظر ، ويتحد الشعر والشاعر ، إنما
وصف شوقى ريحاً عاماً كما تخيله لا كما رآه
وكما تمثله لا كما أحسه ، فجاء الوصف معجماً
مهما قد يطرب بألفاظه ، ولكنه لا يؤثر
ولا يعرب بعمانيه ، والقصيدتان على أى
اعتبار معاورة جميلة من الشعر المصرى
للشعر العالمى في تمجيد ذلك السر الذى يبتث
الله كل عام في الريح ، فيعيد الحياة ويرجع
الشباب ، ويحدد الأمل ، وينشر الجمال ،
وينشأ عنه في الدنيا هذا البعث العجيب .

أحمد محمد الزيات

يفتيك مصرعه ، وكل زائل ،
أن الحياة كغدرة ورواح
وبقائى النسرين في أغصانها
كالدور كعب في صدور رماح
والباسمين لطيفه وتقيفه
كسريرة المتنزّه المسباح
هتائق خللى الغصون كأنه
في بلجة الإصباح ضوء صباح
ثم يقول في الأخرى :
مرحباً بالريح في ريعانه
وبأنواره ، وطيب زمانه
زفت الأرض في مواكب دأزا
و، وشب الزمان في مهرجانه
زل المهمل ضاحك البشر يمشى
فيه مشى الأمير في بستانه
عاد حلياً براحتيه ووشياً
طول أنهاره ، وعرض جنانه
لف في طليسانه طرر الأار
ض فطاب الأديم من طليسانه
ساحر ، قتنه العيون ، مبين
فصل الماء في الربا بجهانه
عبرى الخيال ، زاد على الطيب
سف وأربى عليه في ألوانه
صبغة الله ؛ أين منها رقائمه
سل ، ومنقاشه وسحر بنانه ؟
رغم الروض جردولا ونسماً
وتلا طهر أيكه غصن بانه
وشدت في الربا الرياحين همسا
كتغنى الطروب في وجدانه

بَرَكَاتُ الْإِيْمَانِ

للأستاذ محمد محمد المذني

يقول الله عز وجل :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . »

وحين يقول القرآن الكريم لو حصل كذا لكان كذا ؛ فإنما يحدث من سنة من سنن الله الكونية التي لا تتبدل ولا تتحول ، كما لو قال قائل : إننا إذا ألقينا بحجر في الماء غاص في أحماقه ، أما إذا ألقينا فيه بقطعة من « الكاوتشوك » فإنها تعوم ولا تغوص .

إن الحياة كلها قوانين وسنن إلهية من هذا القبيل ، وتارة تكون القوانين والسنن مادية يعرفها المشتغلون بالعلوم الكونية ، وتارة تكون اجتماعية يدركها الداوسون لأحوال الأمم ، ومظاهر الاجتماع البشري ، فافقه سبحانه وتعالى يعرفنا في هذه الآية الكريمة بقانون من قوانين الاجتماع والمجتمعات ، فينبئنا أن المجتمع المؤمن التقي يفتح الله عليه ألواناً من بركات السماء والأرض ، وأن المجتمع المكذب المتمرد على الله يؤخذ بالنضيق والبأساء جزاء بما يكسب .

وهذه السنة الإلهية في القرآن الكريم بالنسبة لكل هداية جاء بها الكريم الإلهي على القاس .

فاقه تعالى يذكرها في قصة آدم أبي البشر حين أبطه إلى الأرض : « قلنا اهبطوا منها جميعاً ، فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . » قال اهبطا منها جميعاً بعضهم لبعض عدو ، فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أحمى قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نحزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه والعذاب الآخرة أشد وأبقى .

واقه تعالى يذكرها في شأن هداية التوراة والإنجيل فيقول : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لا كوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون . » بل إن الله تعالى أجرى الحديث عن هذه السنة الإلهية على لسان خلقه الخفي الذي تؤمن بوجودهم ولا نعرف كنهم ولا نشاهد عالمهم ، وهم الجن ، إذ يقول : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ،

ووصف بها رسوله عيسى بن مريم حيث يقول :

وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبراً بالذي ولم يجعلنى جباراً شقياً .

بل وصف بها نفسه جل جلاله إذ يقول :
« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، .

« تبارك الله أحسن الخالقين ، .

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ، .

« ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ، .
ويقين من هذا أن « البركات » ليست مجرد هبات إلهية تمنح أو يحاجب الله بها بعض خلقه دون بعض على غير أساس من الاستحقاق والحق ، وإنما هى عطايا وهبات لمن يستحقونها ، فهى تنبثق وتتولد من عمل العاملين ، وإخلاص المخلصين ، وتقوى المتقين .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما نقص مال من صدقة ، والقصد أن هذا المال الذى يعرف صاحبه حق الله فيه ، ويخرج منه صدقته ، لا ينقص بإخراج هذه الصدقة منه نقصاً معنوياً وإن نقص نقصاً حسيماً ، لأن الشأن فيمن يحرص على أداء زكاة ماله أن يكون تقياً باراً بمجتمعه ورفقاً رحماً بالفقراء والمساكين ، إذا كان ما يفعله ابتغاء مرضاة الله ، وذلك يحصله محبوباً ،

أى لنختبرهم به - « ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه هذا باصمداً ، - أى شديداً - .
فهذه الآيات الكريمة كلها متضافرة على تقرير هذا القانون الإلهى فى شأن الاجتماع البشرى : أن الإيمان الصحيح ودين الحق ، سبب لسعادة الدنيا ونعمتها بالحق والاستحقاق وأن التكذيب والبطر والإعراض أسباب للشقاء فى الدنيا ، تجر على أصحابها كثيراً من الاضطراب والفساد .

ولكن ما هى بركات الإيمان ؟ وما هو الإيمان الذى تترتب عليه هذه البركات ؟

إن تحديد المراد الشرعى من هذا وذاك يقيد الناس ، ويعصمهم من الغرور والنزدي فى مهاوى الخديعة والأوهام :

إن « البركة » هى الزكاة والنماء وثبوت الخير الإلهى فى الشئ ، وقد وصف الله بها كتابه الكريم حيث يقول :

« كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ، .

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولننذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ، .

ووصف به الليلة التى أنزل فيها هذا الكتاب حيث يقول :

« إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، .

لأنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ...

فبين بذلك أن المظهر لا يخفى عن المخبر ، وأن الله تعالى لا يروج عليه ما يروج على الناس من الخديعة ، لأنه هو العليم بذات الصدور ، وفي أمثال هؤلاء أيضا يقول الله عز وجل .

« إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، لأنهم سوء ما كانوا يعملون » .

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ألين شيء في هذا الدين وأصعبه ، فقال : « إن ألينه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن يحمد رسول الله ، وأصعبه الأمانة » .

فدل بذلك على أن الدين صبر واحتمال وأداء لحقوق الله وحقوق الناس ، وليس مجرد شهادة يتلفظ بها اللسان .

لهذا لا يمكن أن ترتبط البركات ، بالدعوى الهيئية ، وفي النفس ما فيها ، وفي التصرفات والسلوك ما ينما فيها .

* * *

فإذا سألتني سائل : ماذا ترى في المدينة الغربية وما فيها من الزينة والمتاع مع الانحصراف عن مقتضيات الدين والإيمان الصحيح ؟ فأني أقول له : إن هذا من قبيل

ويجعل الناس يحرسون على ما ينفعه ، وعلى أن يدفعوا عنه كل ما في إمكانهم أن يدفعوه من السوء ، فيكون قد استفاد بما قدمه في الدنيا ، وما عند الله خسر وأبقى .

والإيمان الذي ترتبط به البركات ليس هو الدعوى الانتسابية التي لا يقوم عليها دليل من العمل والسلوك .

إن كثيرا من الناس يقولون : نحن مؤمنون ، ولكن الأعمال هي التي تصدق هذا القول أو تكذبه .

إنه لا يتفق مع الإيمان أن تكون القلوب ممتلئة بالهقد ، منطوية على الغل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم لن تؤمنوا حتى تحابوا » .

ولا يتفق مع الإيمان أن تؤثر على الله ورسوله أحدا أو شيئا ، سلطانا ، أو جاحا أي أن تؤثر الباطل على الحق ، والفساد على الصلاح والاستقامة على الاعوجاج والالتواء فإن الله هو الحق ، وهو العدل .

وقد زعم قوم من الأعراب أنهم آمنوا بمجرد أنهم نطقوا بالشهادتين ، وقد علم الله ما في قلوبهم من الفساد ، فلم يقبل منهم هذه الدعوى ، وذلك حيث يقول :

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا إن الله غفور رحيم » .

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لِلأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

١ — يقول الله تعالى في كتابه العزيز :
 « لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم
 رسولا من أنفسهم : يتلو عليهم آياته ،
 ويزكّيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ،
 وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، »
 وآيات القرآن كثيرة في هذا المعنى تؤكد
 كلها : أن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ،
 كانت نعمة عظيمة من الله ، سبحانه ، على
 جميع المؤمنين ، وأن هذا الفضل من الله ،
 سبحانه وتعالى ، إنما هو منة كريمة من
 لدن رب كريم .
 ذلك أن هذا الرسول ، صلى الله عليه
 وسلم ، إنما هو لسان صدق في تبليغ آيات

الله ، فهو يتلوها على المؤمنين ، إنه يتلوها
 عليهم بعد أن تلاها على نفسه ، ووحاها ،
 وتشرّبها روحه ، فانطبع بها ، وعاشها ،
 ومن أجل ذلك كان هذا الرسول ، صلى الله
 عليه وسلم ، مصدر تزكية لهم . إنه وقد
 أصبح طابعه آيات الله أصبح - من أجل
 ذلك - مصدر تزكية بالمثال والقُدوة
 والتأسي للمؤمنين .
 لقد تركى بآيات الله ، ولقد زكّته آيات
 الله ، وإنه يتلوها ، ويحياها : فهو يبشر بها
 بقوله ، أو بتلاوتها ، ويبشر بها بمسلّكه ،
 فهو بقوله يتلوها ، وهو بمسلّكه يرسمها .
 ويعلمهم الكتاب : إنه لا يتلو لخصب ،

(البقية على الصفحة السابقة)

المتاع الذي يتلوه الخراب والعذاب الأليم ،
 وذلك أن الله تعالى يقول في شأن نبيه نوح
 ومن معه :
 « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات
 علينا وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم
 ثم يمسسهم منا عذاب أليم ، »
 فكل مدنية لا تقوم على الإيمان ورعاية
 مقتضياته ، لا بد أن تقضى إلى مصير مظلّم ،
 وعذاب للشعوب مؤلم ، وها هي مدنية
 الغرب المادية العمياء تتخبط بجماعاتها
 في مهاوى الرذيلة ، مما يؤذن بسوء المصير ،
 وصدق الله العظيم إذ يقول :
 « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
 قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي
 الله إن الله لا يخلف الميعاد . »

محمد محمد المهدي

وإنما يعلم أيضا ، إنه يشرح ويفسر ،
ويطبق ، ويقوم تطبيقي الآخرين إذا
انحرفوا ، إنه يعلم القرآن .
وهو يعلم القرآن بعد أن انطبع به ، وبعد
أن أصبح هو قرآنا ، لقد أصبح فكره
قرآنا ، وأصبحت عواطفه قرآنا ،
وأصبحت إرادته قرآنا ۱۱۱

ولقد هبرت عن ذلك السيدة عائشة
رضوان الله عليها خير تعبير وأخصره ،
حينما سئلت من خلق رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، فقالت ، رضوان الله عليها :
« كان خلقه القرآن » .

وما كان يتأتى أن يكون غير ذلك ، وكلمة
السيدة عائشة ، رضوان الله عليها إنما هي
كلمة بديهية عند كل متبصر : فالقرآن كان
يظل مبادئ يعتقد الناس أنها مجرد
مبادئ نظرية يستحيل تحقيقها في الخارج

لولا تطبيق فعلا ، ولولا تحقق واقعا ،
وكان لا بد من أن تتحقق بالفعل ، وكان
لا بد من صورة حية تتمثل فيها هذه المبادئ :
تتمثل فيها ذاتيا ، وتتمثل فيها من جهة
تطبيقها على الغير ، وقيادة الغير إلى الأخذ بها
في صورة تقترب منها بقدر الاستطاعة .

ولولا يمكن الأمر كذلك ، لظل الناس
يؤمنون بأنها مجرد مبادئ .

٢ — بيد أن هذه الصورة الخالدة
للأخلاق ، كما يحب الله ، سبحانه ، لبي

الإنسان : قد تحققت بالفعل : حقها
رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ وحقها
في ذاته ؛ وحقها في مجتمعه ، حقها سلوكا ،
وحقها واقعا ، حقها هو في نفسه على
أكمل ما يكون التحقيق ، وحقها تطبيقا
في مجتمعه على الصورة التي استطاعها
هذا المجتمع .

ونقول : على الصورة التي استطاعها هذا
المجتمع ، لأن لكل نظام من النظم حد أدنى
لا يتأتى أن يكون النظام بدونه ، وحد أسنى
يقسأى نحوه المخلصون .

ولقد تحققت الصورة الإسلامية في حدها
الأسنى في الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
وكان بذلك - بنص القرآن - أول المسلمين .
وترسم الآيات القرآنية الكريمة ، كيف ،
ولم ، كان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
أول المسلمين ؟ يقول الله تعالى :

« قل : إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ،
ومماتي ، لله رب العالمين ، لا شريك له ،
وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » .

لقد كانت أعماله ، وحياته كلها ، بل وسماته
لقد كان كيانه كله : حركة وسكونا ، حياة
وموتنا ، لله رب العالمين ، فكان بذلك
أول المسلمين .

ولقد تحققت الصورة على تفاوت لا ينزل
عن حدها الأدنى في آلاف من الصحابة
رضوان الله عليهم .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ،
وعليك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله
عليك عظيما ، .

وما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى :
فآيات الله يتلوها ، وكتاب الله يعلمه ،
والحكمة التي أنزلها على قلبه يعظ بها .

يقول الإمام الشافعي ، رضى الله عنه :
فذكر الله الكتاب ، وهو القرآن وذكر
الحكمة ، فسمعت من أَرْضِي من أهل العلم
بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله .
وهذا يشبه ما قال ، والله أعلم .

لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة ،
وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب
والحكمة ، فلم يجر - والله أعلم - أن يقال :
الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله .

وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله وأن الله
افترض طاعة رسوله ، وحتم على الناس اتباع
أمره - فلا يجوز أن يقال لقول : فرض
إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله .

لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله
مقرونا بالإيمان به .

وصلة رسول الله مبيحة عن الله معنى ما أراد
دليلا على خاصه وعامه ، ثم قرن الحكمة بها
بكتابه فأتبعها إياه ، ولم يجعل هذا لأحد
من خلقه غير رسوله .

لقد وجد المجتمع الإسلامى بالفعل :
ولقد اتنى بذلك فكرة هؤلاء الذين رأوا
فى الماضى ، أو يرون فى الحاضر أن الإسلام
مبادئ لا تطبق ، مبادئ نظرية ، مبادئ
خيالية يستحيل تطبيقها .

لقد تحقق الإسلام بالفعل ، فوجد مجتمعا
أسلم نفسه لله : وإن مجتمعا يسلم نفسه لله ،
لا يتأق أن تتمخض الإنسانية عن خير منه .
هذا المجتمع الذى وجد إنما كان ثمرة من
ثمار جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وكفاحه
فى أن يخرج بالفعل الصوة التى أوحاها الله
إليه : لقد كان أثرا لتلاوة الرسول صلى الله
عليه وسلم آيات الله ، وانزكية الرسول
صلى الله عليه وسلم لمن حوله ، بمثله القرآن ،
ولتعليمه صلوات الله عليه القرآن لمن حوله .
وتشريع روح رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرآن ، وامتلأت به ، وصفت بصفاته
وتركت به ، واستنارت بنوره ، ففاضت
بالحكمة : أثرا من آثار الهداية التامة ،
ونتيجة للنور يغمر القلب ، والسناء يتلأل
فى الفسود : فكان الرسول ، صلى الله عليه
وسلم ، يعلم الكتاب ، ويعلم الحكمة ،
وما الحكمة إلا أحاديث الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ينير بها قلوبا ، ويرشد بها
عقولا ، ويقود بها هباد الله إلى الله ، وكما
أن الكتاب من عند الله ، فإن الحكمة
أيضا من عند الله ، يقول الله تعالى :

عصره ، وسبق بها من سيأتي بعد : إنه أول المسلمين في الماضي البعيد ، والماضي الذي يبتدىء منذ بدء الإنسانية .

وما من شك في أن آدم عليه السلام ، كان مسلماً ، ولكنه لم يكن أول المسلمين ، ولقد كان نوح مسلماً ، ولكنه لم يكن أول المسلمين وهكذا كان الأنبياء جميعاً ، صلوات الله وسلامه عليهم ، من المسلمين ، ولكن لم يكن أحدهم أول المسلمين : وما كان يتأتى أن يكون أحدهم أول المسلمين ، لأن الدين الذي جاءوا به ، صلوات الله عليهم وسلامه ، وإن كان إسلاماً ، فإن الصورة الكاملة النامة للإسلام ، إنما هي القرآن :

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، المائدة ٤٨ .

ويقول سبحانه : « اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم » .

وهو أول المسلمين في الحاضر ، وهو أولهم في المستقبل إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وإلى ما بعد ذلك من آباد الله السرمدية ، صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله .

وفي مقال تال نتحدث عن طابع الرسول صلى الله عليه وسلم وشعاره ، وبالله التوفيق .

دكتور عبد الحليم محمود

٣ — هذه الصورة التي ترسمها الآية الكريمة - التي صدرنا بها هذا المقال - هي الصورة التي تمنّاها سيدنا إبراهيم ودعا الله ، سبحانه حينما كان يرفع القواعد من البيت وإسماعيل فقال عليه السلام :

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم » .

ولقد صادفت دهوة سيدنا إبراهيم ما قدره الله أزلاً ، لقد وافقت التقدير الإلهي الأزلي الذي أراد الله سبحانه به أن يكمل الدين ، ويتم النعمة على المؤمنين ، وأن يكون خاتم الأديان هو الدين الأزلي الخالد الذي لا دين سواه ، والذي يرضاه الله ولا يرضى غيره ، وهو الإسلام :

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً . « إن الدين عند الله الإسلام » .

ولا يتأتى في عرف المنطق ، وفي منطق الحق ، وفي بدهية العقول ، أن يكون الدين الخالد شيئاً آخر غير الإسلام الوجه .

وما دام الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أول المسلمين ، وما دام الدين عند الله هو الإسلام ، فالرسول إذن أول المتدينين على الإطلاق : إنه وصل إلى الدرجة التي سبق بها جميع من مضى ، وسبق بها جميع أبناء

وجوب دراسة الدين في مراحل التعليم الثلاث

لأستاذ الدكتور محمد رطلاب

أنصح الأدلة على أن هذا العمل هو الوسيلة المثلى للاحتفاظ بمجدية الشباب ورجولته ومقدرته على المقاومة والجلاد والكفاح . وبالتالي هو في مقدمة الأعمال الوطنية الرئيسية وهو فوق ذلك أساس للوحدة التي هي الهدف الأعظم للنظام الحاضر كله . وإليك البيان :

يجب أن يمتزج الدين بكل أفكار الإنسان وأعماله في هذه الحياة ، لأن موضوع الأخلاق هو دراسة صلاته بين الإنسان بعضهم ببعض ، ولا يمكن أن ينظم هذه العلاقات تنظيمًا يحكمها غير الباري . الأعلى في قانونه الخالد وهو الدين . ولأن واجب الإنسان نحو أسرته ومواطنيه ، ونحو أفراد الإنسانية جميعًا منبجس من منبع واحد وهو واجب الإنسان نحو ربه . من اتقى الله اتقى الناس :

والواقع المحسوس الذي نشاهده كل آن في الحياة العملية هو أن الإنسان ضعيف عاجز أمام أهوائه وشهواته وغرائزه الحيوانية ، وأنه في أشد الحاجة إلى معونة صوت الإيمان ليقوده في هذه الظلة الخفيفة التي تحوطه من كل جانب ، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه ،

نشرت جريدة الجمهورية في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٥ أنه قد عرض على مجلس الأمة في جلسته السابقة على هذا التاريخ ، اقتراح بقانون يجعل مادة الدين أساسية في جميع مراحل التعليم : الابتدائي والإعدادي والثانوي .

وقد أثارت هذه العبارة في نفسى ذكريات بعيدة المدى ، إذ أنى قد نشرت هذا الاقتراح ذاته منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وسجلت وجوب العمل به ، وطالبت الحكومة إذ ذاك بقنفيذه على الفور ، بل رسمت لها تفاصيل دراسة الدين ومنهجها في مراحل التعليم الثلاث ولكن هذه المطالبة - برغم أنها كانت في أسلوب جدي ، بل فيه شيء من العنف - قد ذهبت صرخة في واد ، أو نفخة في رماد كما قال القدماء غير أن هذا الاقتراح الجديد قد أباد لعناش هذا الأمل في نفسى ، ودفنى إلى المبادرة بتأييد مقترحيه من أعضاء مجلس الأمة والوقوف إلى جانبهم في مطالبة حكومتنا الرشيدة بإبرازه إلى حيز النور حرصا على أبناء الوطن من التفكك الخلقي ، والانحياض الاجتماعي ، وسنقيم لها في الإلماعة التالية

ونسهر على احترامها وحفظها من عبث العابثين ، بل إنها تصل من نفوسنا أحيانا إلى مرتبة الإجلال والتقديس ، فإذا دوت في المكان هذه الجملة : « باسم القانون أفعل كذا » .

عند ذلك تخفق القلوب وتلمع النفوس . وتنحن الرؤوس ، وتسود المجالس الربية ، ويخيم عليه السكون .

ولارب أننا لم نخلع على القانون هذه القداسة إلا لأنه يقر الأمن ويصون الحقوق ، ويفسر السلام والاطمئنان ، ويسكن من يدق النظر في أحوال الأمم وظواهرها الاجتماعية ، وخصائصها النفسية يتضح له تمام الانضاح أن الممتنعين من الجرائم منهم عشرة في المائة متأثرون بالأخلاق في ذاتها ، وعشرون يخشون القانون ، وسبعون يتجنبون الرذائل اتقاء الله وخوفا من عقابه الذي هم موقنون بأنه أشد وأقسى وأطول مدى من عقوبات القوانين الوضعية . فإذا كان الدين قد نال من النفوس البشرية هذا الحال الذي لم يفز القانون بنصفه ولا بثله ، فإنه يجب علينا كواطنين مخلصين لبلادنا ، راغبين في صلاح أحوالنا الاجتماعية أن نغمي في نفوس الجماهير هذه العقيدة النبيلة ما دام لها على أخلاقهم هذا الأثر الجليل .

ومن أهم وسائل تنمية الدين في النفوس دراسته في مدارس الدولة على اختلاف

إذ منذ الذي يستطيع أن يقود الوجدان البشري إلا تلك القوة العليا التي تحيط بكل شيء ثم أي جزاء هو أكثر رهبة في نظر الروح الخالدة من جزاء الله الأبدي الذي سيلاقى بها في حياة طويلة لا يدرك مداها ، ولا يعرف منتهىها ؟ وأي عزاء يسلى عن أحزان الحياة وآلامها أعلى من التفكير في هدالة الله التي ستوفي الصابرين أجرهم بغير حساب ؟ .

هذا كله بالنسبة إلى أثر الدين على الفرد ، وأما أثره على الجماعات فهو لا يقل أهمية عما تقدم ، إذ من ذا الذي يستطيع أن يفهمنا احترام الأنظمة المقررة ، ومعنى الفضيلة الأسرية ، والإذعان للسلطات الشرعية ، ويعودنا الصبر على المسكاره واحتمال الآلام وتخفيف وقع منظر الفروق الهائلة بين شقاءنا وسعادة غيرنا على نفوسنا أكثر من الدين ؟ .

وفي الحق أن الحكومة التي تشمر بأن عليها واجبا تؤديه لأفراد الشعب لا تستطيع أن تؤسس تعاليمها الأخلاقية منفصلة عن الدين بل يجب عليها أن تشركه على الأقل في تأسيس هذه الأخلاق إن لم تعتمد عليه اعتمادا كلياً ، وأن تفسح له مكانا عظيما في مدارسها ومعاهدها ومنشدياتها ، ليستطيع أن يؤدي مهمته في تهذيب النفوس كما ينبغي ، لأننا جميعا نعمل على صيانة القوانين الوضعية ،

أنواعها ، وفي جميع مراحل التعليم فيها ، ولكن هيئته تتلامح مع تطور عقول الطلاب ، وتتوافق مع نشوء أفكارهم ووعيهم ، فيدرس مثلاً في المدارس الابتدائية في ثوب بسيط سهل بعيد كل البعد عن التعقيد والتركيب ،

كان يعلم الطفل أن للكون إلهاً عظيماً جليلاً وهو الذي خلق كل هذه العوالم ، وهو لا يشاهد ولا يقع تحت الحس ، وهو عادل ومحب الأخلاق السامية كالصدق والأمانة . والحلم والحياء ، ومبغض لأضداد هذه الصفات من : كذب وخيانة ، وغدر ووقاحة ، وأن أول واجب علينا هو الاعتقاد بوجوده ثم العمل على إرضائه .

وفي المدارس الإعدادية يعلم التلميذ أن هذا الإله القادر أقبل في كثير من الأزمان المختلفة بقوم من البشر قد اختارهم من بين الناس لميزات قد خلقها فيهم ، فأوحى إليهم أن يقوموا على الأرض بتبليغ أوامره إلى الناس ، وأن هذه الأوامر هي اتباع الخير الذي يوصلهم إلى السعادة واجتناب الشر الذي يقودهم إلى الشقاء ، ثم يجب على المعلم في هذه المرحلة أن يخرس في قلوب الفتيان أن هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة ، وهي التي تفرق بين الإنسان والحيوان ، والتي يلقى فيها كل شخص جزاءه على عمله إن خيراً أو شراً ، وإن شراً فشر ، فإذا انتقل الناشئ إلى مرحلة التعليم الثانوى وجب على الأستاذ أن يتبسط

معه في نظريات الدين ، وأن يقوم أمامه بدور منقصة البراهين ، ومناقضة الأدلة ، وتحليل العمل والبواعث والأسباب .

فإذا درس الشاب الدين على هذا النحو المؤسس على العقل والتفكير ، ونشأ على احترامه وتقديسه كان له على أخلاقه العملية أثر لا يحجده إلا من أوتي من الجرأة على تشويه الحقائق حفظاً يمكنه من إنكار البديهييات .

غير أننا مع ذلك كله نشاهد أن بعض فلاسفة أوروبا المحدثين يرفعون الصوت عالياً بوجوب فصل الأخلاق عن الدين ، وينتحلون لذلك أهذاوا سنذكر هنا أهمها وأجدرها بالعناية ثم نرد عليها بما يدحضها في نظر المنطق الصحيح :

١ - أن كثيراً من الدول تعتنق كل واحدة منها ديانات مختلفة ، وأن نشر أخلاق دين من الأديان ، وإيمان أخلاق الأديان الأخرى يعد خنقاً لحرية معتنقي تلك الأديان المهمة .

ونحن من جانبنا نرى أن هذا الاعتراض واه من أساسه ، لأن الديانات على اختلاف ألوانها وطقوسها لا تتعارض مع الفضائل الجوهرية ألبتة .

فإذا نشرنا أخلاق الإسلام مثلاً في مصر ، فإننا لا نرتاب أقل ارتياب في أن المسيحيين المخلصين لديهم سيستريحون لهذه الأخلاق

وفي المدارس الإعدادية يعلم التلميذ أن هذا الإله القادر أقبل في كثير من الأزمان المختلفة بقوم من البشر قد اختارهم من بين الناس لميزات قد خلقها فيهم ، فأوحى إليهم أن يقوموا على الأرض بتبليغ أوامره إلى الناس ، وأن هذه الأوامر هي اتباع الخير الذي يوصلهم إلى السعادة واجتناب الشر الذي يقودهم إلى الشقاء ، ثم يجب على المعلم في هذه المرحلة أن يخرس في قلوب الفتيان أن هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة ، وهي التي تفرق بين الإنسان والحيوان ، والتي يلقى فيها كل شخص جزاءه على عمله إن خيراً أو شراً ، وإن شراً فشر ، فإذا انتقل الناشئ إلى مرحلة التعليم الثانوى وجب على الأستاذ أن يتبسط

للسكانات الحية . وإذن فهذه العالمية وذلك الشبكات الضرورية للقوانين الأخلاقية لا يتحققان إلا إذا كان المذبح ثابتاً وخالداً . ومن أكثر نباتات وخلوداً من مفتوح الديانات .

فشكل عاقل تهمه الحالة الاجتماعية العامة يرى وجوب نشر الأخلاق الدينية حتى في البلاد اللادينية ، فكيف ببلد كصر يستمد كثيراً من قوانينه المدنية وكل تشريعات الأحوال الشخصية من الدين .

وفوق ذلك فإن العلم يعترف في صراحة بأن كل الأسس الاجتماعية ، وأرقى الأنظمة العمرانية مدينة بحياتها للدين وحده ، لا تلك الأخطاء المرعبة ، والسقطات المروعة التي امتلأت بها نظريات العلماء كما يعلن أن العقل لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق . أما الدين فإنه يقرر دائماً حقائق مطلقة ، وهذا الفرق كاف لرفعته ولجدارته بأن يكون منبعاً للأخلاق .

والذي أدهى إلى الدهش والاستغراب هو أن (كانت) وله منزلته الفلسفية في العصور الحديثة - يعلن أن فصل الدين عن الأخلاق يعد ضرباً من الخطأ الخطار على الحيثيتين : الأخلاقية والاجتماعية معاً .

فإذا كان هذا هو رأى (كانت) - وهو يعد في تاريخ الحركة العقلية الأوروبية مدرسة

الإسلامية كل الاستراحة وسيجدون فيها أنواع السعادة الاجتماعية . على أن هؤلاء المعرضين يحزمون بأن الأخلاق الحرة لا تنال الاحترام إلا إذا كانت تنسج لإرضاء المؤمنين والملاحدين جميعاً ، وهي بالطبع لا يمكن أن ترضى المؤمنين جميعاً على اختلاف أديانهم إلا إذا كانت تتفق مع هذه الديانات كلها عند نقطة خاصة ، وهذا هو عين ما ندعيه من أن جميع الديانات متفقة في الفضائل الأساسية وإذن ، فلا معنى للخوف من أن نشر أخلاق دين بعينه يعدو على حرية الدين لا يعتقونه .

٢ - أن المشاهد أن بعض الحكومات لادينية كجمهورية فرنسا : وأنه يكون من المتناقض أن تربط هذه الدول (اللادينية) الأخلاق بالدين بعد أن فصلت عنه قوانينها وتشريعاتها وسياساتها .

ويمكن أن يجاب على هذا الاعتراض بأن القياس هنا مع الفارق ، لأن القوانين المدنية والدساتير السياسية يمكن أن تتبع العصور المختلفة والأمزجة المتباينة . أما القوانين الأخلاقية ، فيجب أن تكون ثابتة لا تتأثر بزمان ولا بمكان ، ولا ينبغي لها أن تتبع أهواء الزعماء والمرشعين اللادينيين ، وإلا كانت بشرية متناقضة تستحسن اليوم ما استهجنته بالأمس . ولا ريب أن هذه الصفة تفقدها عالميتها التي هي ألزم لها من الهواء

على الاستهزاء من شخص يبيع أخلاق دين وينسج على منوال فضائل الظاهرية ، وهو يجهل أصوله ومبادئه كل الجهل ، لأن هذا الدين يتهدم من رأسه ، ويحول الاعتقاد به من ذهنه عند أول عاصفة شك أو إلحاد تهب على هذا الذهن الذي لم يتحصن بمعرفة هذا الدين ، ولم يدعم إيمانه بالأدلة والبراهين ومتى زال من قلبه الإيمان ، انمحت من نفسه تلك القداسة العالمة التي كانت تقوده إلى الإذعان لما جاء في هذا الدين من فضائل وأخلاق ، وليس لهذا كله من سبب إلا الجهل بأسس الدين ومبادئه ، ذلك الجهل الذي يدعو إليه هذا المربي المعاصر وأمثاله .

ولذا كان هذا المؤلف يخشى أن يدرس الطلاب الدين فيجدوا فيه ما يتناقض مع العقل فيملوه ويتهاونوا به وبمجاهة فيه من أخلاق إذا كان يخشى هذا كما يلح في كتابه . فإننا نؤكد له أن دين الإسلام لن يرتفع من هذا التهديد ولن ينزوي وراء ستار الجهل خوفا من اصطدامه مع العلم الحديث أو مع العقل المثقف المستنير ، وإن لمستأنس لك هذا برأى أحد كبار المستشرقين الفرنسيين ، وهو الأستاذ ديزيري بلانفييه ، مؤلف كتاب (في الدراسات الدينية) إذ قال حين عرض للإسلام ما يلي :

بتامها - ورأى الأكثرية المحترمة من الفلاسفة الروحيين والعقليين . فسا بالتنا نرى بعض المعاصرين الذين يعالجون هذه الموضوعات في مصر يتنكبون السبل السوية ويقعون في مهامه التقليد والانتقاد وراء هذه الشريعة المادية من فلاسفة أوروبا الذين حطمتهم أدلة الروحيين ، وصيرت مذاهبهم خرائب وأطلالا ، وإليك شيئا من هذه الأفكار السطحية التي سار فيها بعض مؤلفينا على أنساق بعض فلاسفة الغرب اللادينيون دون تأمل ولا روية .

يرى أحد المربين أن الواجب في دراسة الدين في المدارس هو الاختصار على ذكر ما في الدين من أخلاق وفضائل دون تعرض إلى دراسة الدين نفسه ، ولا إلى تحليله نظرياته الجدلية التي لا يعود منها على الطالب إلا إنقال كاهله ، وكدر رأسه ، وإنهاك عقله فيما لا يفيد ، بل يثد قواه ، ويقتل ملكاته ثم يستمر في نقده فيقول : إذ ماذا يستفيد الطفل من معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلية إلى آخر ما قال .

ونحن نرى أن هذا الرأي بعيد عن التعمق والدقة كل البعد ، ولو حملنا به لآب شبابنا من الأخلاق الدينية على الوفاض صفر الأيدي ، ولتقدمنا جميعا نحو الفشل في اتباع تعاليم السماء بخطوات واسعة ، لأننا لا نرى أدعى إلى السخرية ولا أبعد

في العالم الآخر الذي سيلاقى فيه جزاء عمله
إن خيرا أو غير ، وإن شرافته .
ومن أوائل مميزات الأخلاق الدينية أنها
مؤسسة على حب الله وإطاعة كل أوامره ،
ثم على حب المؤمنين إلى حد تسويتهم بالنفس
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
ما يحب لنفسه » .

ولا ريب أنه إذا أحب الإنسان خالقه
وأطاع أوامره ، وأحب لأخيه ما يحب
لنفسه ، فقد وصل إلى أرقى درجات السكال .
هناك فضل آخر قد سكبته نور الأخلاق
الدينية على بني الإنسان ، وهو أنه ربط
وجعاداتهم وضمائرهم بالمسئولة الوثيقة التي
لا تفهم ولا تنحل ، وهي ضرورة الإيمان .
ولاشك أن لهذا الارتباط أثرا في الحياتين
الاجتماعية والسياسية لا يحصده أى عالم
ببواطن الأمور ، بل إن الأمم المفككة
بسبب انحلال عقائدها أو جهلها بدينها وانحياض
أخلاقها ، لا تصل إلى مثله مهما بذلت في ذلك
من جهود ، ولكن المسلمين يمسكون ذلك
معدنا ميسورا واضحا في كتابهم الكريم الذي
يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بجمعة
إخوانا » .

دكتور محمد غنوي

ومن جانب آخر ينبغي أن نذكر أن الدين
الإسلامي مخالف كل المخالفة لهذه الأبراج
المتشعبة التي تسقط من ضربة واحدة ،
لأن فيه قوة كامنة ، وصلابة ومقاومة تجعله
قادرا على المقاومة مقدرة تامة ... ولأنى اعتقد
أن الشرق إذا تغلب على جموده الرامن
وتخلص منه ، فإن الإسلام لن يضع أية عقبة
جديدة في سبيل التفكير الحديث ، . بقى
في هذه النقطة بعد الذي قد مناه أن نعلن -
تعميا لما نحن بصدده - أننا نعلم علم اليقين
أن أسس الأخلاق الدينية مرتكزة على
الوحي الإلهي إلى الأنبياء عليهم السلام ،
ونعلم كذلك أن الله أوحى إليهم أنه سبحانه
أصل الخيرات والمعارف ، وأنبأهم بالعنصر
الذي خلقهم منه ؛ وبطبيعتهم التي كانوا
يجهلون ، وبصيرهم العام وبواجبهم الذي
لا ينبغي أن يحدوا منه قيد أنملة لو أنهم
ساروا على النحو الذي يحبه لهم ، وأوحى
إليهم أيضا أن عقل الإنسان في حاجة دائما
إلى المرشد الأعلى ليهديه إلى سواء السبيل ،
وأن مصلحته الخاصة تقضى عليه بأن يطيع
وبه مقتنعا بأنه تعالى لا يأمر إلا بالخير ،
ولا يحض إلا على الفضيلة ، وأن هذه الحياة
الدنيا - على ما فيها من بهر ولالاء - ليست
إلا معبرا يمر عليه الإنسان إلى الحياة
الخالدة ، وأن حظه لا ينتهي ههنا الأجل
الديني القصير ، بل سينتهي إلى ما قدر له

فِضْحَاتُ الْقُرْآنِ

دَعْوَةُ الرَّحْمَنِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ

لِلأَسْمَاءِ عَبْدِ اللطيفِ السَّيِّدِ

(أ) « وَاذْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ » .
(ب) « وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » . آية - ٢٥ - يونس

على معرفته من طريق المشاهدة . والتعقل .
ونحنج إلى توحيدهِ دون شك منا في وحدانيته
وقد رتته .
فهدايتنا إلى الله من جانب الله . . وهذه
دعوة منه - سبحانه - بلسان الحال إلى
خ-ير مآل .

ثم جاءت الدعوة الناطقة على السخة رسله
تباعا ، بالتمنيهِ إلى ما خلق ، والتذكير بما
ننسى ، والموجيه إلى التماس النجاح عنده
بما نقول ، وبما نعمل في ضوء شرائعه .
٢ - وهذه الدعوة إلى دار السلام :
سواء كانت فيما نشهده من أمارات ألوهيته ،
أو فيما نسمع من طريق رسالاته ، دعوة
موصولة في كل زمان ، وعامة إلى سائر خلقه ،
وايست خاصة برجال ، ولا بنساء ، ولا
في جيل دون جيل . . وإن كانت متعاقبة
من رسول إلى رسول .

(١)

١ - دار السلام طينة من طبقات الجنة
الثمانية ، وهي لأفصام من آثرهم الله بنعيم
خاص ، في مقابلة أعمال طيبة بادرُوا إليها
في دنياهم .
ولكن المراد منها في هذه الآية هو عموم
الجنة ، لأن الجنة كلها دار سلام ، وأمان ،
ونعيم ، ورضوان ، ومهما تنوعت طبقاتها
بالنسبة لثغافات الدرجات بين المقبولين
عند الله ، فالسلام من غضب الله قد اشتمل
جميع الفائزين بالجنة ، والأمان فيها قد تحقق
للظافرين ، فهم في رضوان ربهم خالدين .
ودعوة الله إلى الجنة دعوة رحيمة . أشرقت
بها الدنيا قبل أن تعمر بأهلها ، وترددت في
هذا الكون قبل أن يتلبد جو الحياة بالمآثم .
وذلك لأن الله ، لا ديناه بآيات وجوده ،
ونصب لنا معالم هداية في ملكوته ، لننشأ

واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلمكم
تفلحون ، يعني لتفعلوا كما وعدتكم .
يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب
الذي أنزل من قبل ، يعني الكتاب .

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا ، وهكذا
من آيات خاصة .

ثم يعمم الله خطابه ووعد في نحو قوله
تعالى : ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا
 عظيما ، وفي نحو قوله - سبحانه - : للذين
 أحسنوا ، الحسن ، وزيادة ، فذلك وعد
 لكل مستجيب .

ومن هذه الأساليب المتنوعة في الدعوة
إلى دار السلام نذكر رحمة الله بعباده جميعا
في دنياهم .

ونؤمن بأنه فتح أبواب الإيمان للجميع ،
ثم دعاهم جميعا إلى المبادرة . . ثم ألقى عليهم
مسئولية الاختيار ، وقال : دفن شاء
فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، إنا اعتدنا
للفظالمين نارا ، أحاط بهم سرادقها . . .

(ب)

٤ - وهذا ما يكشف عنه شطر الآية :
ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ،
والمعنى : أن الله وحده يهدي إلى الخير ،
والإيمان من يشاء .

فن هو قاعل المشيئة التي تترتب عليها

وقد استقرت أخيرا في نداء القرآن إلى
الناس عامة ، وعلى لسان محمد خاتم الرسل
عامة : يا أيها الناس إني رسول الله
إليكم جميعا .

وهذه الدعوة إلى دار السلام ذات ألوان
في أسلوب القرآن ، وليست محصورة في وضع
واحد ، فالله - تعالى - يقول مثلا : يا أيها
الناس اتقوا ربكم ، ويقول : يا هادي
فانقون ، فانقون يا أولى الألباب ،
ويقول : فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي
ولا تكفرون ، إن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم . وهكذا من آيات كثيرة
يوجه الله فيها الخطاب إلى جميع خلقه ، منذ
هتف بها الإسلام في أوجاء الدنيا .

ويفتح بها باب الأمل في وجه كل هبد من
عباده ، ويضرب الأمثال في التنبيه ، والعبارة ،
ويصارحهم بوعد ، ووعيد ، ويعشقهم
في رضوانه ، ويخيفهم من غضبه ، وهذابه .
٣ - وكل هذه التوجيهات دعوة منه
تعالى إلى دار السلام ، وستظل دعوة الناس
يجهر بها القرآن إلى نهاية الدنيا .

كما نجد آيات أخرى ، فيها خطاب للؤمنين
- خاصة - ليشجعهم إلى المزيد من عمل الطاعات
وليشعرهم بأن لهم خطوة هذه ليست لغيرهم
وليشعر الكافرين بالحرمان إن لم يؤمنوا
كذلك . .

يا أيها الذين آمنوا ، اركعوا ، واسجدوا

كُتَابُ الْحَيَاةِ الْآخِرَى

للأستاذ الدكتور عفيفي عبد الفتاح

أغرت اكتشافات علماء الفضاء الحديثين للعوالم الأثرية بعض شبابنا المتعلمين فحدث بهم إلى الخوض في مشاكل الغيبيات والاندفاع في تيار المجهول ، كحقيقة الروح والنفس ومسائل الحياة الأخرى ، وخيل لهم طموحهم الجائر أن قد أتيج لهم تناول ذلك على ضوء تلك الاكتشافات ، وأن قد هيء لهم شرح الميثافيزيقا ، مادام في الامكان تناولها بضرب من التمثيل والتصوير وأسلوب

من النقارب أو المقابلة بين الصور الأثرية (الميثافيزيقية) والصور الفيزيقية . وبين يدي من السكتب المؤلفة حديثاً في الموضوع كتابان : أحدهما للسيد مصطفى الكيك بعنوان (بين عالمين عالم المادة وعالم الروح) في ١٥٠ صفحة من طبع دار المعارف ، مصر لسنة ١٩٦٥ والثاني للسيد عبدالرازق نوفل بعنوان (الحياة الأخرى) في ١٦٤ صفحة من طبع المكتبة الفنية الحديثة .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

هداية الله ؟ هل هو العبد الذي يوجه إرادته الاختيارية إلى ناحية الطاعة ، يعنى : يهدى العبد الذي يشاء لنفسه .

الهداية ، فشيئة الله مبنية على مشيئة العبد ، ولهذا تجد الغاية واحدة ، وهى أن هدئية الإنسان ، هى حجر الأساس فى الأعمال الاختيارية ، دون الأعمال الاضطرارية . . فلا يصح أن يقول قائل : إن الإنسان مجبور فى كل شئ ، ولا يختار فى كل شئ .

بل هو بين هذين الاعتبارين . . ولذلك دانا الله كثيرا إلى العمل لدار السلام ، ثم تفاوتت درجات الناس فى عملهم ، تبعاً لتفاوتهم فى اختيارهم ، وإن كلاً لما يوفينهم ربك أعمالهم ، إنه بما يعملون خبير ،

عبد اللطيف البكى

و بناء على هذا تتحقق له هداية الله ، هذا احتمال قوى فى الآية . فإن الله قال : فمن شاء فليؤمن ، وتلك مشيئة شخصية ، علم الله قديماً حصولها من عبده ، ورتب عليها قضاءه أزلاً

هداية هذا العبد ، الذى علم الله ما سيحصل منه . . فإيمانه باختياره المعلوم قديماً ، ومن قبل أن يوجد العبد ، أو يختار ، وربما كان فاهل المشيئة هو الله - تعالى - والمعنى : أن الله لما علم من عبده ما يختاره ، شاء له

(النفس) الذى يحمل معه العقل حيث يعمل الإنسان بعقله ويدير وظائفه فى أوساط مغامرة (الحياة الأخرى ص ٤٨) .

٣- ويشبه العالم الأثيرى فى كثير من الوجوه عالمنا هذا ، وحواسنا هناك تستجيب كما تستجيب هنا لما يشيرها ، وأهل ذلك العالم يجدون أنفسهم فى أوساط تسكاد تكون شبيهة بأوساطنا هنا ، فهناك ينمو الشجر وتنبع الزهور... والحياة النباتية كلها بدلا من الذبول تفقد تمسدها وتخفى عن النظر... وللقاطنين هناك نفس المشاعر التى لنا... فهم يحسون بالزهور ويلبسونها ويشمونها . (الحياة الأخرى نقلا عن ارثر فندلاى ص ١٠٧/١٠٨) وللنفس (وتختلط فى عباراتهم بالروح) شكل وصورة (بين عالمين ص ٢٣ ، ٢٤) إذ تلبس بعد الموت جسما آخر (أثيريا) يشبه جسمها فى الدنيا ويأخذها ، إذ لا يوجد روح بلا جسم ولا جسم بلا روح ، وبذلك يتعارف الناس فى حياة البرزخ (الحياة الأخرى ص ٣٠) .

٤- وقد تمكن العلم الحديث (كذا) من إخضاع الروح للدراسات المعملية : (فى المعهد الروحى بباريس أجرت مدام كورى الباحثة والعالمة المعروفة تجارب للتيقن معمليا من وجود الروح ، بأن جاءت بثلاث كشافات كهربية وشحنتها وطلبت من الوسيطة التى تمارس الوساطة الروحية أن تطرح روحها وتفرغ هذه الكشافات الثلاث

ونورد هنا أهم ما ورد فى الكتابين ، معرضين عن بعض الهنات والتوافه وما أكثرها :

١- الإنسان ثنائى الجسد ، يتكون من جزأين : من جسده الترابى المطبوع من مادة العالم الأرضى ، ومن جسده الروحى أو (النفس) المطبوع من مادة العالم الأثيرى (بين عالمين ص ٩٦ ، والحياة الأخرى ص ٢٣) . وكلا الجسدين يتألف من ذبذبات يحددها علم الميكانيكا الموجية مع اختلاف هذه الذبذبات عدداً ، فبينما يتألف الجسم الطبيعى من جماع إشعاعات تتراوح ذبذباتها بين ٤٠ ألف مليون و ٧٥٠ ألف مليون ذبذبة فى الثانية الواحدة يتألف الجسد الأثيرى من جماع إشعاعات أكثر ، وبناء على ذلك يقع الجسد المادى داخل حدود الموجات المرئية لئلا له من كثافة نفسية ، أما الأثيرى فلا يرى لشفافيته الحادة ، وحيث إن مستوى تكوين النفس الأثيرى داخل النطاق الأثيرى فهو داخل فى مستوى التكوين الأثيرى للعالم الآخر الذى تنتقل إليه بعد مفارقتها للجسد الأرضى ، وتبعاً لذلك تتكون النفس خارجة عن حدود العالم المنظور (بين عالمين ص ٢٨) .

٢- وهى مثال الجسد الأثيرى تتكون الحياة البرزخية (حياة ما بعد الموت) المستمرة إلى البعث وقيام الساعة ، فالموت ليس هداما ولكنه انهماك للجسد وقيامه للنفس (بين عالمين ص ٤٠) .

هو فقدان الجسد الترابى دون الأثيرى

إلى ما ذكره جلال الدين السيوطي في الاتقان (ج ١ ص ٤٤) في صدد حديثه عن كيفية نزول القرآن، إذ قال: وفي التنزيل طريقان أحدهما أن النبي انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل، والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه (بين عالمين ص ٢٩).

تعليق على ما تقدم:

(١) خلط السكاتبان هنا هلاً صالماً وآخر سيئاً، فالإنسان مكون من جزأين جسم وروح مع ميل المذاهب الإسلامية إلى وضع النفس في المحل الأول.

وللروح بقاء بعد الموت وشعور بالألم والراحة، كما وردت بذلك الآثار المستفيضة وقد اختلفت الفلاسفة في تحديد النفس واحتملت ألفاظ القرآن معاني مختلفة لها كما اختلفت الفلسفة العقلية والمادية في تحديد العقل، ولا يزال الأطباء يضطربون فيه حتى اليوم ويفصل الغزالي بينها بفروق اعتبارية ومثل ذلك ما شاع عند بعض الفلاسفة من أن النفس مبدأ الحس والحركة، والروح مبدأ الحياة، والعقل مبدأ الإدراك، وذلك رأى غير حاسم لأنه تعريف بالرسم. هل أنه مفيد من الوجهة المنهجية. والخلاف هنا غير ذى بال والحديث فيه غير خطير، إذ يختلف في نتائجه وغايته من حديث كتابنا المعاصرين.

(ب) ولما انتسأل: أى علم حديث هذا الذى تمكن من إخضاع الروح للدراحت المعملية؟

من بعد، وفعلًا قامت الوسيطة بتفريغ شحنات الكهرباء عدة مرات وهى فى مكانها بعيداً عنها، واستنتجت مدام كورى ومن معها أن شمة شديداً (كندا) خرج من جسد الوسيطة البعيدة عن الكشف ثم لمسها ففرغت شحنة خلاله إلى جسم الوسيطة ثم إلى الأرض، وقد صدر عن ذلك تقرير من المعهد السيكولوجى بباريس ونشر فى أكثر من صحيفة كمحاضر جمعية البحوث الروحية البريطانية...، ويستطرد السكاتب فيذكر نتيجة تجربة للدكتور (وانز) تدل على (أن الطاقة التى يفقدها الجسم بالموت جسم غير مادي انسل من الجسم المادي فى لحظة حدوث الموت وقد أمكن أن يرى باستخدام بخار الماء) (الحياة الأخرى ص ٣٢).

هـ - وإذا كان الأثير هو المادة المشتركة بين العالمين الذين هما جزء من كون واحد فتغيير الاهتزاز الموجود داخل الذرة هو السبيل إلى الانتقال من العالم المادي إلى العالم الروحي أو من المرنى إلى غير المرنى.

فالسماوات السبع كرات تختلف فيها الاهتزازات قلة وكثرة وليس من المستطاع التفاضل بينها إلا مكيفين بالطاقة الممهدة من القوى الأثيرية (الحياة الأخرى ص ٩٩) ويشهد حديث المعراج بأن جبريل لم يستطع مراصلة الرسول فى الصعود إلى السماوات العلى نظراً لعدم حصوله على الطاقة الذرية التى امتاز بها الرسول ويستند السكاتب هنا

(Les esprites) الروحيين وقد شاهدت بعض تجاربها وشهدت الكثير من اجتماعاتها في باريس ومن تلاميذها عندنا السيد/ فهمي أبو الخير ومدرسته .

إلى بحوث هؤلاء يرجع كتابنا عن الروح والعالم الأثيري كما نبهوا على ذلك في منهج بحوثهم (الحياة الأخرى ص ٩٦-٩٧) على أنهم لا يعدمون أن يتصيدوا أسانيدهم من خواطر غلاة الصوفية أو حدس بعض الفلاسفة ومن تلقائيات لا ضابط لها ولا حائط بما لا يمكن أن يعتمد به كركيزة لبحث علمي ، فضلا عن موضوعات شديدة المساس بذات الله وجوانب حماه من النفس والروح والملا الأعلى .

(ح) وواضح أن هذه الاشتات المضطربة من مصادر كتابنا اللذان لا يمكن أن ينم عن شيء في مجال الروح والنفس والحياة الأخرى . فقد حدد العلم نفسه موقفه من هذا المجال واستقل بعد عناء الشوط بدرس ظواهر الموجود عن طريق التجارب والملاحظات ولم تجد الفلسفة نفسها بدا - بعد كانف - من أن تعزف عن الميتافيزيقا بعد أن تكشف عقمتها وعدم جدواها . ولقد تحدث فلاسفة الإشراف - وسبقهم الغزالي - عن عالم الغيب والشهادة ووسائل العروج من الحجب بينهما إلى الجانب الإلهي ، ولكن كان مرجعهم في ذلك الذوق والوجدان لا تحليل الضوء وتجارب المعمل .

والحق أن النتائج الخطيرة للدراسات التي يشيها هؤلاء الكتاب على الجماهير هي قبل كل شيء امتداد لدواي بعض مستحضري الأرواح . ومستمدة في أغلبها من بحوث الجمعيات الروحية التي انتشرت منذ طليعة القرن الحديث في أمريكا وأوروبا بعيدة عن محيط الجامعات مسلحة بتنظيم حديث من أجهزة إذاعية ، مجلات وكتب ونشرات ، ومن دعاة (دكاتره) يحاضرون بصفة منتظمة لبث أفكارهم والإعلام بالمكشوفات التي يدعونها نتائج تجاربهم وبحوثهم ، ويختلف إلى تلك الجمعيات رواد من المصابين بالشدوذ وبالعقد والانعكسات النفسية .

ولا يخفى على من يتعرف عليهم أن التجارب التي يجرونها على الوسطاء (Les Sujets) يتخيرون لها أشخاصا ذوي قابلية واضحة للاستهواء والتجرد عن تنوائهم في أجسامهم مادة خاصة (fluide) قابلة للتأثر والتأثير ، وهذه المادة موجودة بقدر موفور في الدكتور القائم بالتجربة (أو عملية التنويم) حتى إذا تسلط على الوسيط بطريق النظر الحاد أو توجيهه كفيه إليه أو المساس به أو ببعض آثاره التي لا مست جسده نزع منه قواه وأخرجه عن وعيه وإرادته كما هي موفورة في العائن الذي يؤثر بنظره في الحيوان والجماد نفسه ، ومن مستلزمات حساسية شديدة تتجاوز حدود التصور . تسمى هذه الجمعيات

موضوع الروح أو الحياة الأخرى من الهوان بحيث لا يجد من يتصدى له إلا ذلك السيد/ فندلاى III ولعل كتابنا لم يعلموا أن شرح ظواهر الضوء في علم الفيزيكا - استناداً على وجود ما يسمى بالاثير - قد انتهى العلماء من العدول عنه منذ أوائل هذا القرن .

(هـ) على أنه إذا كانت رسالة العلم قائمة على شرح ظواهر المعطيات للتجربة . واستنباط القوانين على أساس من الفروض والتحليل والأقيسة والموازين وكان هؤلاء قد وصلوا بزعمهم إلى هذه الرسائل في دراسة الروح وعالم الميتافيزيكا فوقفوا على ملاحظها وخواصها وانتهوا إلى اليقين في خفاياها ومشاكلها (الحياة الأخرى ص ٣١/٤٧/٥٠/٩٥) فإذا بقي من العالم الغيبي بعد أن دخل المعمل مع عالم المشاهدة ؟ وماذا عسى أن نقول لهم بعد أن سمعوا لمستر جون وليسن (لأنه قد يحل في القريب العاجل اليوم الذى يستطيع فيه المرء أن يرفع سماعة تليفون خاص ليناطب الموتى في عالم الأرواح وبعد أن سمعوا بتلك الأجهزة التى تستخدم للاتصال المباشر بسكان القبور ؟ (الحياة الأخرى ص ٥١) .

(و) إن تسليمهم التلقائى بالسيد فندلاى وإيمانهم العفوى بدعوى أمثاله يوهن إلينا بأنهم على الأهبة لخطوة أخرى لن تكون غريبة ولا خطيرة ولا طفرة ، خطوة عن

واذكر هنا ما كتب الدكتور (اليكسس كاريل) في موضوع الجسم والروح والمنهج الصالح للبحث :

(ولقد وقف الفلاسفة العظماء حياتهم في جميع الأزمان والبلدان على بحث هذه المعضلات ولسكنهم لم يصلوا إلى حلها وستظل بدون إجابة حتى يمكن اكتشاف وسائل جديدة للتغلغل إلى عمق أبعد في الشعور وإذا أردنا تقدماً لفهمنا هذا الجانب الجوهري المحدود للكائن الحى وجب علينا أن نقوم بدراسة دقيقة للظواهر التى يمكننا الحصول عليها بوساطة طرقنا الراهنة للملاحظة وكذا العلاقات الموجودة بينها وبين وجوه النشاط الفسيولوجى

(الإنسان - ذلك المجهول ص ٩٩) .
وهو منهج الدراسة العنصرية وينصب بالطبع على دراسة الكائن المادى .

ولأنه ليدشنى ما يضيفه هؤلاء الكتاب على بحوثهم من صفات جامعية لا تتفق مع ما نعلم ويعلم غيرنا ما للجامعات من مواد ومنهج بارزة ومحددة .

(د) وإذا كان من الممكن أن نعلم - جدلاً - بمعطيات الميكانيكا الموجية في ضبط الطاقات الاثيرية بالآف ملايين الهزات أو الذبذبات فأنى لهم الادعاء بتعليق ذلك على الروح أو النفس وتعزيز ذلك بما يدهون من تجارب السيد / ارثر فندلاى حتى كان

أن يكون من السمعيات التي تؤمن بها ونعمك
عن تكميلها والخوض في شرحها .

وليعلم أولئك الذين يستعجلون بالقرآن
في تعزيز مذاهبهم أنه كتاب هداية ورحمة
وتوجيه للإنسانية ، وليس في ألفاظه
وهباته السخية العامة بالمعاني والإشارات
شبهه بالألفاظ الاصطلاحية المستخدمة في
التحديد المنطقي للمذاهب والنظريات ، حتى
ليضل هؤلاء الذين يميلون به للبرهنة على
مذاهب وأولئك الذين يميلون به للبرهنة
على عكسه ، ولقد شهد الكاتبان كم من المعاني
ذكرها القرآن للنفس .

وبعد :

فلقد شغل الناس بما كتب هؤلاء الناس ،
ولقد فتحوا ثغرة تلج منها الفتنة وتشيع فيها
الضلالة وينبغي بمداخلها هواة الجديد وغواية
التجديد ، حتى لا يمكن بعد ذلك أن يكبح لهم
جراح أو يقذف طلاح ، وكان حرياً بهم أن
يستوثقوا فيما يكتبون بالثقافات الأنثبات من
علماء الفيزياء ورجال العقيدة وألا يستهويهم
ما يكشف العلم عن بعض جوانب الوجود ،
فعارفنا لا تزال في بدايتها ، وعقولنا في
مستهل زيادتها ، وليس لنا أن نخف أو نستخف
كلنا ملح بارق أو هن جديد .

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة

فكيف إذا شط المطى بنا مشرا

عن أبي هريرة

البحث عن الله تعالى ونزهه ، أفيكون في قصة
الذبذبات وذروة الاهتزازات ؟

فالروح شبيهة بالإله الخالد كما يقول السيد
نوفل (ص ٤٠) الذي ينسى (ليس كمثل
شيء) ويرتكز سيادته على رأى أفلوطين
في اتحاد للنفس بالله . (عند أفلوطين اتحاد
النفس بالنفس السكينة) والاتحاد يقتضي
الوحدة بالتكوين أو التشابه ، (ص ١٧)
وسبحان من نزهه عن الشبيهه ، وأيا كان
فالقول بالاتحاد - أفلوطينيا أو صوفيا -
لا يتفق ومبدأ التنويه .

أفلا يترب البسطاء الأغرار المهجيين
بالسيد نوفل أن يروا في حوانيت الباعة
كتاباً عن الله ليصير به إلى أن الله هو عقله
الأعظم وعلمه الأحكم ؟

(ز) ولقد شاعت حرية البحث لهؤلاء
السادة أن يتناولوا الكتاب والسنة وينزلوها
في غير تورع أو تحوط على ما رأى (ارثر
فندلاي) في شرح الروح والنفس والإسراء
والمعراج ومعالم الحياة الأخرى .

ولقد غفلوا عن أن حقيقة الروح بما استأثر
الله بعلمه ولو كفوا أنفسهم قليلاً بالنظر إلى
قوله تعالى :

قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من
العلم إلا قليلاً ، لعلوا أن عجز الآية يؤيد
هذا الاستئثار بما لا بدع مجالاً للإنكار ،
أما حديث الإسراء والمعراج فلا يخرج على

الجنس والملعون

للاستاذ عبد الجليل شلبي

هناك بعض ما لنشاط المبشرين ، وقد ذكر الكاتب نفسه أن حال المرأة في مصر وبعض البلاد الشرقية الأخرى غير حالها في الأقاليم النائية : إفريقية وآسيوية ، فالمستول إذن عن هذه السوءات هم المبشرون والمستعمرون وليسوا هم الشرقيين والمسلمين .

وأهم التقاليد والعقائد التي ذكرها ترجع إلى هذه الأشياء .

١ — إن المرأة — في نظر الشرقيين — بحالة بالذنوب وهي بطبيعتها نجسة تعدى بنجاستها كعذارة الكلاب والخنزير ، وأن النبي محمد (ص) أوصى الرجال بعدم الإخلاص لها ، ولهذا أباح للرجل أن يتزوج من أربع نساء قانوناً وأن يقسرى ما شاء من الجوارى بينما لا يسمح للمرأة أن تظهر من جسمها إلا وجهها فقط للرجل الذي باعها والدها له أو أهداها إليه .

وتفنيذ هذه الدعاوى كلها والأصل الذي بنيت عليه قد بطول ويمتد ، ولكن الكاتب نفسه لم يذكر دليلاً واحداً على صحة هذه المفتريات ، وقد غائته فطنته فلم يتنبه لما في كلامه من تضارب واختلاف ، فلو كانت المرأة كما يقول في نظر المسلمين نجسة تعدى بنجاستها كالكلاب والخنزير ما قبلوا أن

هل المرأة جنس ملعون في نظر الإسلام ؟ هذا ما يقوله الكاتب اليهودي جورديان تروالر ورفيقته كلاود ديفارجه في مقال نشر بهذا العنوان في مجلة شيترن الألمانية (١) .

وقد صور هذا الكاتب بقدر ما سمح له ضميره اليهودي كثيراً من عادات الشرقيين . وعلى الأخص سكان وسط إفريقية . إزاء معاملة المرأة ، وهو يتبع بعناية وفضول كل عادة بمقوطة ولو منقرضة فيبالغ في تصويرها مبالغاً لا يسمح بها إلا ضميره وضمير أمثاله من اليهود وأعداء الشرق من الغربيين ، وفي كثير من المواقف يطبع هواه فيختلق ثم يعزو هذه السوءات لتعاليم الإسلام .

وقبل أن نستعرض الصور التي ذكرها من عادات الشرقيين في معاملة المرأة نذكر أن البلاد التي خصها الكاتب بالفقد والازدراء هي الأقاليم التي رزحت تحت هب الاستعمار ردحا طويلاً من الزمن وبعضها لا يزال يعاني أنقابه وبعضها حديث عهد بالاستقلال لم يفق بعد من خماره ، وليست هذه البلاد مسلمة بقدر ما هي مسيحية ولا لنشاط الدعوة الإسلامية

(١) تافت مجلة الأزهر ترجمة للقال وناريخ نشره واسم المجلة التي نشرته من إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف السكوبية .

ولدا غير شرعى، ولعل الكاتب - وهو ألماني - لا يحفل بما يحدث في بلاده من نتائج الخلالة وإفساد الشباب، ويشيع بينهم من بهمية الشهوة ما يجعل الإفريقيين البدائيين أحسن منهم حالا. وتعدد الزوجة ولا ريب هو الذى يمكن أن يطهر هذا الفساد. على أن الإسلام لم يدع إلى تعدد الزوجات وإنما أباحه بشرط المقدرة بكل أنواعها وبشرط العدل أيضاً بين الزوجات، ومن ليس له كل هذه الطاقة كان آثماً بالزواج من غير واحدة وفي القرآن فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة.

ولا توجد في الإسلام ولا في البلاد الإسلامية امرأة تباع ولا توهب كما يقول الكاتب وإنما هو مجرد اقراء.

وأما أن المرأة محملة بالخطيئة منذ بدء الخليقة وأنها بطبيعتها نزاعة إلى الحرام تنلك شريعة التوراة^(١) وليست شريعة القرآن، فقد نص سفر التكوين على أن حواء هى التى أكلت من الشجرة المحرمة وجرت آدم معها إلى ارتكاب الخطيئة، وأن الله عاقبها لذلك بالآلام الحمل والوضع وقضى أن تخضع لسيادة الرجل عقوبة لها. أما القرآن فلم يخصها بهذا الإثم ولا حملها وحدها وزره فرة يسوى بين آدم وحواء في هذا فيقول:

د فأكلا منها فبنت لهما سوء انهما، فوسوس

يستكثر وامنهما هذا الاستكثار الذى ذكره، إذ لا يقبل أحد أن يستزيد من هذه النجاسة، وهو مخطئ في الأمرين جميعاً فلا النبی أوصى بعدم الإخلاص للمرأة، ولا الإسلام طالب كل هذا الاستكثار من النساء.

والذين قرأوا تاريخ النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعلمون أنه أوصى بالمرأة وأنصفها ولم يوصضها ومن مآثور أقواله فيها: استوصوا بالنساء خيراً، اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة، حجب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة، من كان عنده ثلاث بنات فاحسن تربيتهن كن له حجاً باب من النار قيل: واثنتان، قال: واثنتان.

فهل كان يوصى هكذا بها لفضارتها وحفارتها؟ أما لإباحة الإسلام للرجل أن ينكح زوجتين أو يزيد إلى أربع فأمر تكفلفت كتب التشريع بشرحه وتناوله كثير من الباحثين في الإصلاح الاجتماعى فأروا أنه أمر تدهو وإليه الضرورات أحياناً وأن الوضع الاجتماعى يحتمه في بعض الظروف، وقد طالبت بعض فتيات في البرازيل وأمريكا الجنوبية بإباحة تعدد الزوجات لإزاء كثرة النساء التى قضت على الكشيرات باللعنيس والحمرمان من الزوج والولد، وإزاء قيود الزوجية الشديدة وتحريم أكثر من زوجة أباح العرف في بعض البلاد الأوروبية - ومنها هولنده والنمسا - أن ترضى الفتاة غريبتها من طريق غير شرعى وأن تنجب

(١) قصد بها العهد المتداول للمسمى بالعهد القديم، ويجمع المؤرخون على أنه لم يكتب زمان موسى ولا الذى يليه

يدنها فيه وبين الرجل أما التوراة فقد جعلت عقوبتها هي الرجم بالحجارة حتى تموت (تثنية ٢٠/٢٢) ونصت التوراة أيضا أن المرأة إذا دافعت عن زوجها وهو في شجار فامسكت بعورة خصمه فإن عقوبتها هي قطع يدها بغير شفقة بينما يؤدبها الإسلام بغير هذه العقوبة فهي أكرم على القرآن بما هي على التوراة ، والقرآن في تشريعه العام ودنيا وجناتيا ، لا يفرق بين الذكر والأنثى ، فهو يقول : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة » .

وأما احتزاز الفتاة ببكارتها علامة على شرفها فلم يمنعها من رياضة البدنية ، وفي مصر معاهد خاصة بالبنات لهذه التربية وقد نشر السكاتب صورة منها ، ولا أدري كيف يرى المحافظة عليها عيبا ، إنه على أقل تقدير أبعد عن الشبهة والمرأة الأوروبية عرضة للشك والالتهام إذ لا يدري أزالته بكارتها بسبب الرياضة العنيفة أم بسبب سقوطها أمام رجل أجنبي ، وقد ذكر السكاتب حالة رجل تركى تزوج من فتاة إنجليزية وأن الشك ينش قلبه لهذا السبب وإن فلواحتفظت فتاته بعلامة شرفها ما عرضت نفسها لهذا الاتهام ولا عرضته لهذا الشك .

ويظهر أنه يريد الناس جميعا أن يتصفوا بصفات اليهود من أهدار الشرف والاستهانة بالعفاف . ونحن لا ينبغي عنا أن الأنثى

لها الشيطان ليبدى لها ما وورى عنها من سوءاتها ، فدلأهما بضرور فلأا ذاقا العجرة بدت لها سوءاتها ، ومرة يذكر آدم وحده فيقول : وعصى آدم ربه فغوى .

فالمرأة ليست جنسا ملعونا في القرآن كتاب المسلمين وإنما الذى سجل عليها اللعنة هي التوراة كتاب اليهود .

٢ - يذكر السكاتب أن المسيحية لا تعترفها بهذه الخطيئة الموروثة وقابليته الإنسان بسببها أن يزل تسامحت مع المرأة لآذا زلت ولا تتشدد في حجابها ، بينما تحجز المرأة المسلمة عن الأهين وتألها الرهبة بقدر ما يتطلب شرف الرجال ، والنقطة الرئيسية لإرهاها هي بكارتها ، ولحرصها عليها حرمت من الألعاب الرياضية العنيفة ، فإذا حدث لها رغم هذه المحافظة ما يجرح الشرف رجب أن تحصل على شهادة طبية بأن بكارتها لم تزل بعمل رجل وتعلن ذلك حتى لا تسوء بها الظنون . وللحرص على إعلان شرف الفتاة وأنها ما زالت تحتفظ ببكارتها يفتضها الزوج ليلة الزفاف أمام الأقرباء ، وتنتشر بين الناس في الخارج قطعة من القماش عليها دم البكاورة . الخ .

ومن الحق إن الإسلام لم يفترض في المرأة هذه الخطيئة ، وقد اعترف السكاتب على نفسه . ولكن الإسلام مع هذا أرق في حقوبة العذراء وأرحم من التوراة ، فعقوبة العذراء - إذا زلت هي الجلد لا فرق

أمام شيوخ المدينة فيبسطان الثوب الذى عليه دعاؤها وإذن فلا يجوز له أن يرمينا بدائه ويصمنا بما فى شريعته .

ولا توجد هذه العادة الآن إلا فى بعض الشعوب المتأخرة وهى مع الأسف لم تشجع بتعاليم الإسلام ولا كل أهلها مسلمون وإنما هى التى تعانى تسلط المستعمر الأوروبى وخرافات المبشرين .

٣ - تعرض الكتاب لختان الآتى وما يسببه الزوجين من متاعب جنسية ، وأنه هو الذى يوجه الزوج إلى تعاطى الحشيش والإسراف فيه ليدفع عن نفسه وصمة الضعف الجنسي أمام برود زوجته وبطء استئثارها ، ولكن ذلك لا جدوى فيه لأن استدلال المرأة وهتك أنوثتها على مر الزمن هو الذى سبب برود روحها قبل جسمها .

وقد بينا أن الإسلام لا يستدل المرأة ولا يقبل مهانتها .

ولإزاء هذا البحث النفسى فى عملية الختان وشعور المرأة أنها أقل من الرجل لا نجد قاعدة يحكم بمقتضاها . فقد يكون شعورها بنفاسة الزوج وأنه شيء ثمين بالنسبة لها مدعاة إلى شدة الاستجابة الجنسية واستئثاره الروح والجسد جميعا .

والإسلام لا يحتم ختان الآتى ولا يعاقب على تركه ، وهو يسمى خفاضا لا ختاناً وهذه التسمية تشير بعدم المبالغة فيه .

الآدمية هى التى تمتاز بين الأنثى جميعاً بهذا الغفل الطبيعى ، ومن حق زوجها وحده أن يزيله ، والإنسان وحده هو الذى يمتاز بسلالته ويدرك معانى القرابة وطهارة الأسرة . فمن حق المرأة وهى وعاء الفسل أن تحتفظ بهذه المنحة الإلهية وأن تحافظ عليها حتى يزيلها من له الحق فى إلزائها . وليس من حق اليهودى أى يهودى - أن يتحدث عن معانى النخوة وتشرف وغيره الرجال على النساء فهذه معان يدركها غير اليهود .

وقد كان على الكتاب ليكون حديثه أدنى إلى الحق أن يذكر لنا أين رأى هذه العادات المقبوحة فى إزالة البكارة أمام الناس أو إعلان دمها للآخرين ؟ إنه يذكر أنه طاف بكل هذا العالم الشرقى من المغرب الأقصى إلى ما وراء العراق وجاب أواسط إفريقيا وكشعرا من ربيع آسية فهل رأى هذه العادات . إن كان رآها حقاً . فى بلد تشجع فيه تعاليم الإسلام أو هل هو يعرف فصلاً إسلامياً يدهو لهذا ؟ .

إن الإسلام يدعو إلى الاسترحق فى مجرد النوم المنفرد ، ويدفع الحد بالشفعة ويلتمس للناس الأهدار ، فكيف تنسب إليه هذه العادات ؟ نود أن نذكر الكتاب اليهودى . أن إعلان دم البكارة أمام الناس هو تشريع يهودى لا إسلامى . وقد وضع الإصحاح الثانى والعشرون من سفر التثنية . أن الفتاة المتهمة من زوجها بخروج والدها والدتها بعذرتها

هو الحاكم الوحيد بين حكام العرب الذي يطلب الصلح مع إسرائيل .

واعتراف الكاتب بهذا هو اعتراف بأن أسلوبه يحافى البحث العلمى وأن كتابته مجرد مغالطات ولو كان حقا يعنى بالحقائق لذكر البلاد التى رأى فيها هذه العادات ويعينها ويبين أصابع المثيرين وعمل المستعمرين ، والذي يذكر الحقيقة لا يتوقع التكذيب .

ه — تناثرت خلال المقال هفوات كثيرة أهرضا عنها لوضوح أكاذيبها ، ومنها أن الإسلام يحرم إسعاف غير المسلم بدم الحياة . والإسلام لا يعرف هذا التعصب الدنى وقد آوت حكومات الإسلام كثيرين من غير المسلمين وأسعفتهم بكل مطالب الحياة من طعام وطب وسكنى وغيرها ، وقد مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة يهودى فوقف لها وظن الناس أنه لا يعرف أن الميت يهودى فأخبروه به فقال أليست نفسا فهو محترم الإنسان لإنسانيته لا لدينه ، أما التفرة بين عنصر وآخر فهى شريعة التوراة وحسبنا أن بينا أن الكاتب لا يكتب للعلم ولا للحقيقة وأن مقاله يحمل أدله كذبه ، والصور الفوتوغرافية التى نشرها توضح الفرق بين سكان بلد مسلم مستقل وسكان بلد مستعمر بقوده المبشرون بشريعة التوراة ؟

همم الجليل سالى

وقد بحثت هذه المسألة من الناحية الفيزيولوجية البحتة ، وأصبح من الثابت فى عالم الطب أن ترك الحثان للفتاة أصلا - يسبب لها ورمى فى دور المراهقة متاعب جسمية بقدر ما يجب لها الحثان المبالغ فيه من متاعب بعد الزواج وإن أحسن الحالات الآنثى أن تحتن ختنا ما هيئا غير مبالغ فيه - وهو ما سماه الفقه الإسلامى خفاضا .

أما تعاظم الحشيش أو أى مخدر آخر فهو محرم فى الإسلام ، والحكومات الشرقية تحرمة وتعايب عليه أما الحكومات المستعمرة فإنها تشيعة كإدات مفسدة للشعوب تمكن المستعمر من إقامة أطول وسيادة أشد ، وقد اعتمدت فرنسا على هذا السلاح فى استعمارها فى شمال إفريقيا وفى كل مستعمراتها الأخرى فهو هيب المستعمر لا هيب الإسلام .

٤ — أحس الكاتب بهافت دعاواه ، ومبالغات كذبه فراح يستدرك أن هذه العادات لا تجرى فى جميع البلاد العربية وأن الحكومات الحديثة قضت عليها ، كما ذكر أن القرآن فى كثير من آياته ينصف المرأة ولكن حالها ليست على ما رسم القرآن .

وحقا أنه يكاد المريب أن يقول خذونى ، فقد توقع الكاتب أن مقاله سيلقى معارضة من العلماء الشرقيين وذكر أنه لا يهتم بهذا التكذيب ، وفقط يثنى على الحاكم التوفسى بورقية وله الحق فى هذا الشأن ، فبورقيته

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق حامى

السابع الهجرى . ولكن كان لابد أن تنقضى
ثلاثة قرون أخرى منذ هذا التاريخ ، حتى
يتسنى أن نعد سودان وادى النيل داخلا
فى نطاق الشعوب العربية أى ابتداء من
القرن العاشر الهجرى وهو التاريخ الذى
يحدده لنا الأثر الفسكوى الوحيد مما خلفه
السودان الإسلامى ، ممثلا فى تراجم العلماء
والأولياء والصالحين المعروف بكتاب
طبقات ود ضيف الله .

ولقد اعتمد عدد من الباحثين من عرب
ومستعربين^(١) على كتاب الطبقات هذا

١ - مقدمة : لم يكن سودان وادى النيل من البلاد التى اشتملت عليها الدولة العربية الاولى فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، ولذلك تأخر انتشار الثقافة العربية فى ربوعه مثلما حدث للبلاد التى أسلمت أو تعربت ^(١) بطريق التغافل السلبى . ولقد خضع هذا الانتشار لمختلف العوامل والملاسات التى كانت بعيدة عن أى تنظيم سياسى أو حربى صادر من مراكز القوة الإسلامية فى الدولة العربية الناشئة . واستغرق فعل هذه العوامل وقتاً طويلاً إلى أن اكتمل التوغل الثقافى العربى بصورة جلية بعيد سقوط ملكه ونقله فى القرن

(١) ممن اعتمد على كتاب طبقات و د ضيف الله
من الباحثين العرب المرحوم الدكتور عبد العزيز
عبد الحليم - د في كتابه تاريخ التربية في السودان -
القاهرة سنة ١٩٤٩م كما كان من مراجع الدكتور
عبد الحليم - د بائدين في كتابه تاريخ الثقافة العربية
في السودان - القاهرة سنة ١٩٥٣ و ممن عني به
من المستعربين هيلسون البريطانى في مقالات نشرها
في مجلة : السودان في رسائل ومعارف في المجلد
٧٦٦ سدى ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ حيث ترجم منه
إلى الانجليزية عدة مختارات . بيد أن كميكلى في كتابه
تاريخ العرب في السودان الذى نشره في مجلدتين
في لندن سنة ١٩٢٢ وكان قد ترجم جزءا من كتاب
الطبقات ممن مقدمة وتعليقات .

(١) استعمالاً لكلمة التعرب هنا لتأدية معنى اكتساب العروبة عن طريق مصاحرة العرب وإصمخال انتمهم ، ولم يرد هذا المعنى في معجمات اللغة العربية وللغصود بالتعرب في هذه اللهجات هو العودة إلى سكنى البادية بعد سكنى الحضر والتعرب بعد الهجرة من لاساوى* التي تسقط عدالة صاحبها عند الشهادة لدى القاضي وقد افترض الحجاج في خطبته في الكوفة بأنه مهاجر وليس بأعرابي ويسر الأعرابي إذا قيل له : يا عرابي والله عكس إذا قيل للعربي يا أعرابي وكان التعرب بعد الهجرة إلى قرية من القرى بمثابة الردة ، وارجع هذه للمادة في لسان العرب .

بنياً هذا الشرح وإتمامه أو سئل في استنساخه ليكون من ذخائر النفسية في مخطوطات خزانته .

ولم يتح لمؤرخ آخر أن يستدرك على ما فات ودضيف الله ، فيسجل لنا تراجم الأعلام الذين نبغوا في ظل سلطنة الغور ، كما أنه ليس من الإنصاف أن نعد كتاب الطبقات الذي صنفه ودضيف الله قبل وفاته في سنة ١٢١٦ (١) هـ والذي كان معاصراً للشيخ عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ العصر العثماني في مصر ، هو مبلغ ما أنتجه السودانيون في عالم الفكر والتأليف الإسلامي ، إذ من الجائز أن يكون السودانيون في تلك القرون الثلاثة السابقة على الفتح التركي قد صنفوا كتباً أخرى أتت عليها يد الحدثن أو لم تصل إلى علينا بعد .

٢ — تأخر انتشار الثقافة العربية في السودان :

برى من المستبعد كثيراً أن تكون الحياة

لكي يصوروا لنا الحياة الفكرية والدينية والاجتماعية لسودان وادي النيل خلال القرون الثلاثة السابقة على الفتح التركي لسودان في أوائل القرن الماضي ، مع أنه لا يسجل لنا في تلك الحقبة سوى تراجم علماء بملكة سنار المعروفة باسم بملكة النونج دون أن يذكر لنا شيئاً عن علماء دولة إسلامية أخرى في السودان كانت معاصرة آنذاك للنونج ألا وهي سلطنة دارفور التي كانت لا تقل - إن لم تزد - عن الدولة السودانية الأخرى قوة وازدهاراً . فالصورة المستمدة من كتاب الطبقات تعد لذلك صورة ناقصة مبتورة . فقد ترددت دون ريب في جنبات السودان الأخرى أصداء لحياة فكرية ودينية لم يستوعبها ودضيف الله في تراجمه المائتين والستين ، نستدل على ذلك من مقدمة محمد ابن حمد التونسي لكتابه عن دارفور المسحى (تشجيع الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان) في ترجمته لنفسه وآبائه ، كما نقف على ما يماثل هذا في خبر عابر لم يفتن إليه مؤرخو الثقافة العربية في السودان ، وذلك في ترجمة المرتضى الزبيدي المتوفى في سنة ١٢٠٥ هـ في ذيل شرحه للقاموس المحيط للفيروز أبادي المسحى بتاج العروس في شرح القاموس الذي استغرق في تصنيفه أربعة عشر عاماً وقد جاء في هذه الترجمة أن سلطان دارفور - ولعله محمد الفضل (١٢٠٢ - ١٢٥٥ هـ) لما سمع

(١) هذا هو التاريخ الهجري المقابل للتاريخ الميلادي وهو سنة ١٨٠٩ الذي أوردته حل في مجله لأعلام السودان للورد أكسورد منه ١٩٥١ في ٢٦٨ ولم يبين المؤلف قصده في استيفاء مادة الترجمة كما هي عادة في جميع تراجم أعلام السودان وقد ذكر عبد المجيد عابدين في ثبوت مراجع كتابه تاريخاً آخر لوفاة دضيف الله وهو في سنة ١٢٢٤ هـ راجع ص ٣٦٥ من كتابه تاريخ انتشار الثقافة العربية في السودان .

فيها الإشارات العابرة والبيانات القصيرة أو المطولة المتعلقة بالسودان عموماً ، والسودان الشرقي بصفة خاصة ، والتي وردت في المصادر العربية المختلفة مثل كتب الأدب والتاريخ والتراجم المعروفة باسم كتب الطبقات ووفاءات الجغرافيين والرحالة العرب وغيرها مما يشير إلى البلاد السودانية ويتناول أحوالها جملة أو تفصيلاً ، ثم تجمع هذه الجزرات تصنيفاً زمنياً وموضوعياً ، وتشر تحت عنوان « المكتبة السودانية العربية » ، لتكون مصدراً يجمع بين دقيقه النصوص العربية المتعلقة بالسودان جمعاً يقسم بالدقة والتقويم والإحاطة ، يرجع إليها الباحثون في تاريخ السودان الإسلامي والمتابعون لحركة انتشار الثقافة العربية في ربوعه .

وبما أن هجرة القبائل العربية إلى السودان ترتبط إلى حد كبير بما وقع من التطورات في تاريخ البلاد الإسلامية المجاورة ، ولا سيما ما يتعلق منها بالثقلات الناشئة عن قيام الأسرات الحاكمة وسقوطها والتجاء جماعات عربية إلى السودان فراراً من الأذى والاضطهاد ، ونظراً لما قام من اتصالات بين الإمارات الإسلامية في السودان وما يجاورها من الدول الأخرى وتأثيرها بما يقع في هذه الدول من أحداث ، فننرجع إلى أن نظهر بمادة وفيرة عن السودان

الإسلامية في السودان وادي النيل ، قد بدأت فجأة سوية كاملة التكوين في القرن العاشر الهجري وذلك دون أن تسبقها إرهابات أو فترة نشأة تمهد لها ، استغرقت فيما نرجح وقتاً طويلاً قبل هذا التاريخ . ولكن كيف السبيل إلى معرفة مراحل هذه التطورات السابقة التي مهدت لانتشار الثقافة العربية في السودان ؟ إن المصادر العربية الخاصة بالسودان الإسلامي قليلة أو معدومة الأثر ، ومنها ما يباد فيها باد من ذخائر الكتب العربية ، وقد حاول الرحالة السويصري « بوركهارت » (١٧٨٤ - ١٨١٧ م) في مطلع القرن الماضي أن يعثر على نسخة من كتاب تاريخ النوبة لعبد الله بن سليم الأسواني الذي أخذ عنه المقرئ في خطه ، ولكنه لم يظفر بطلال ، وكانت الكتب العربية آنذاك ، قبل إنشاء مطبعة بولاق ، لا تزال مخطوطة لم يكن قد طبع شيء منها بعد .

وكنا قد رسمنا برنامجاً أعلن عنه أكثر من مرة في الجمعية التاريخية السودانية وكذل في المهتمين بالدراسات السودانية في مصر ، وهذا البرنامج شبيه بما قام به المستشرق الإيطالي عمادى (١٨٠٦ - ١٨٨٩ م) في جمعه للنصوص العربية الخاصة بتاريخ وطنه جزيرة صقلية في عهد المسلمين والتي نشرها تحت عنوان « المكتبة العربية الصقلية » . وذلك بإعداد جزرات تدون

عناصر القوة والابتسكار ، وجدت مظاهرها في قوالب محدودة من الفكر والعاطفه ولذلك لا غرابة في أن يكون تفاعلها مع العقلية السودانية ضعيف الأثر قليل الثمرة .

٣ — العوامل المختلفة التي عاقت انتشار

الثقافة العربية في السودان : قديقال : إن تأخر السودان رادى النيل من ركب الثقافة العربية إبان عصورها الزاهرة في القرون الأولى للهجرة يرجع إلى أنه لم يكن من المراكز الرئيسية لحضارات الشرق القديم في العصور السابقة للإسلام ، إذ يلاحظ أن الثقافة العربية ازدهرت في مواطن أنتجت في الماضي ثقافات عربية مثل إيران والعراق والشام ومصر ، وأن السودان وادى النيل لم يسكن في عداد تلك المواطن الحضارية ، مع أنه أخذ بنصيب من ثقافة الفراعين والإغريق والرومان ، ولكن يرد على ذلك بأن الحركة الإسلامية قد نفشت الحياة والقوة في بلاد لم تكن لها حضارات أصيلة سابقة كما سبانيا وشرط كبير من البلاد لمغربية ، وعلى العموم فإن مسألة ازدهار الثقافات ، أو ضمورها ، ليست من المسائل التي يقوى التاريخ على تحليلها في حالات كثيرة .

ولكن يمكن أن نفرق بين ظاهرتين إحداهما تمهد للأخرى . الأولى هي تعريب السودان أى هجرة القبائل العربية إلى بيوحه والثانية هي انتشار الثقافة العربية عندما تصل

فيما دونه الكتاب الوطنيون في البلاد المجاورة فضلا عما يوجد منها في مصادر العصر المملوكي وفيما كتبه المؤرخون المسيحيون العرب . ولا نظن أن استخلاص هذه المادة التاريخية مما يقوى على التوضيح به فرد واحد ، إذ لابد أن يتضمن على إعدادها جمهرة من الباحثين المعنيين بالدواست السودانية .

ويتضح مما سبق أن الثقافة العربية في السودان قد تأخر ظهورها عن بقية البلاد الأخرى المجاورة لجزيرة العرب التي اصطفت بصيغة عربية قوية بعيد الفتوحات الإسلامية الكبرى في القرن الأول الهجري كإمراق والشام ومصر وبلاد المغرب والتي لا تزال محتفظة بعروبتها إلى اليوم . وذلك دون أن نذكر شيئا عن بلاد أخرى أسلمت دون تعريب ، إذ لم يستبق أهلها من ذكريات الحكم العربي سوى العقيدة الإسلامية وما يتعلق بها دون اللغة العربية وثقافتها ، مثل بلاد أواسط آسيا وإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى . ولقد كان لهذا التأخير في تعريب السودان أو في عروبه أثر هام على ثقافته العربية فيما بعد ، إذ أنه لم يتح له أن يشارك في عصور ازدهارها في دمشق وبغداد والقاهرة وفاس ، ولم يسهم أبناؤه في إنتاجها الفكرى الأصيل . فلما وصلته في حوالى القرن العاشر الهجرى كانت هذه الثقافة مكتهلة قد تطرق إليها الوهن والضعف وفقدت بعض ما كان لها من

يعد أقوى بكثير من الطابع العربي للجماعات العربية التي نزحت إلى الساحل الشرقى لإفريقية منذ عصر الأمويين فقد اقتصر تنظيمها السياسى على إنشاء ما يسمى بدولة المهدن ولم تغلح في ضم المناطق الخلفية إليها التي كان مبالغ أثر العروبة فيها هو قيام لغة ملفقة من لهجات زنجية وهندية وعربية هي المعروفة اليوم باسم اللغة السواحلية .

ولم يحدث شيء من هذا في السودان وادى النيل شمالى خط عرض ١٢ وهو الخط المصطلح عليه للتقسيم بين السودان الشمالى والسودان الجنوبى ، وإذا كانت هناك صيحات يرددوها المتعلمون من أبناء السودان الجنوبى المتخرجة في مدارس الإرساليات التبشيرية تزعم أن السودانيين إفريقيون وأن من الواجب الاعتزاز بالقبومية الإفريقية دون القومية العربية لأن العرب دخلاء على الوطن السودانى وإذ كان قد نابهم في هذه الدهوى بعض المفتونين بثقافة الغرب عن تأثر بالفرقة التي بشنها الإدارة المختلفة السابقة بين الدخلاء والأصلاء من أبناء السودان ، لمعانا في تمزيق وحدة الشعب السودانى فإن الاتجاه التاريخى للشعب السودانى الحديث ينزع نحو العروبة وهو اتجاه نعه من الناحية الشمافيه اتجاها أصيلا وأكيدا .

عبد العزيز عبد الحى ملحمى

موجات الهجرة إلى حديبى السبيل لغلبة الثقافة العربية وسيطرتها على ما عداها من الثقافات المحلية ، وإن الخلط بين هاتين الظاهرتين قد أدى إلى قدر من الاضطراب في دراسة تاريخ الثقافة العربية في السودان فالعوائق التي قد نراها مؤخرة لانتشار الثقافة العربية في السودان سواء أكانت جغرافية أو تاريخية أو اقتصادية ، لا تكون لها نفس القوة في الحيلولة دون التغلغل العربى عن طريق الهجرة فن الظروف التاريخية التي حالت دون انتشار الثقافة العربية بقاء دولة دنقلة المسيحية حتى أوائل القرن السابع الهجرى ، ومن العوائق الجغرافية وجود البحر الأحمر فاصلا بين الجزيرة العربية والسودان ، أو الجنادل الحائلة دون الملاحة في بحرى النيل النوبى ، أو استغراق المنطقة الاستوائية لجزء كبير من أراضى السودان بيد أن هذه العوائق لم تحمل منذ القدم دون هجرة القبائل العربية إلى السودان .

٤ — هجرة القبائل العربية هي العامل

الأول في تعريب السودان : يمكن أن نرى في هجرة القبائل العربية إلى السودان في موجات متواصلة منذ أواسط القرن الثانى للهجرة ، الدامة الأولى للثقافة العربية في السودان ، فهذه الهجرات هي مصدر التطورات التاريخية التي وقعت فيما بعد وهي التي قوت لسودان وادى النيل طابعا عربيا

الحرية الفردية في الإسلام

للأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم مهنا

في جميع الآيات السابقة أسند الله سبحانه

الإرادة إلى الإنسان في وضوح وجلالة ، فالإنسان إذًا في فطر الإسلام وكتابه الأول حر مختار مرید في دائرة تصرفاته كلها ، وهذه الحرية هي حجر الأساس في تقييم أعمال الفرد سواء كان ذلك من ناحية العقيدة أو من ناحية العمل .

وإذا كان الناس قد تواضعوا على أن المجموعة الإنسانية المثلث هي التي يحكمها قانون يتوفر للفرد في ظله أن يكون حرًا في اعتناقه دينه ، وحرًا في إبداء رأيه ، وحرًا في تصرفاته الاجتماعية ، فإن الدارس للقرآن الكريم ، وهو الدستور الأول لا تباع محمد النبي صلوات الله وسلامه عليه - يحمّد بلا مشقة أن الإسلام قد كفّل لكل فرد هذه الحريات كلها في أوسع دائرة يطمع فيها لإنسان . الحرية في العقيدة :

ففي العقيدة يقول الله تبارك وتعالى : لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، ^(١) ، ويكرر هذا المعنى في قوله

(١) البقرة آية ٢٥٦ .

يقول الله تعالى :

١ - من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا ^(١) .

٢ - ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا ^(٢) .

٣ - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين ^(٣) .

٤ - من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثه منها ، وما له في الآخرة من نصيب ^(٤) .

٥ - يريدون ليطفئوا نورا به بافواهم وانه من نوره ^(٥) .

٦ - بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ^(٦) .

(١) سورة الاسراء آية ١٨ .

(٢) سورة الاسراء آية ١٩ .

(٣) سورة القصص آية ٨٣ .

(٤) سورة الشورى آية ٢٠ .

(٥) سورة الصف آية ٨ .

(٦) سورة القيامة آية ٥ .

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ
بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، (١) .

ويؤكد الإسلام الحرية في اعتناق الإنسان
لدينه عند ما حدد وظيفة الرسل عامة في قوله
تعالى : « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
ومنذرين ، » (٢) ، وعند ما خاطب الرسول
محمد خاتم أنبيائه بقوله : « يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً
إلى الله بإذنه وصراجاً منيراً » (٣) ، « إنا أنزلنا
عليك الكتاب للناس بالحق ، فمن اهتدى
فإنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما
أنت عليهم بوكيل ، » (٤) ، « فإن أعرضوا فما
أرسلناك عليهم حفيظاً ، إن عليك إلا البلاغ ، » (٥)
« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ، » (٦)

ويؤكد القرآن مرة أخرى حرية الفرد
في اختيار دينه وتأسيس هقيده حين يعقد
المقارنة بين المؤمن والكافر في مثل قوله
تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا

تعالى : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء
فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، » (١) . وتتممها
مع هذه القاعدة رسم الإسلام لأهله الطريقة
المثل في الدهرة إلى دينهم ، وهي طريقة
الإقناع وإثابة الدليل وقرع الحجة بالحجة ؛
يقول تبارك وتعالى : « ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي
أحسن ، » (٢) ، ويقول جل شأنه : « ولا
تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن
إلا الذين ظلموا منهم ، وقلوا آمنا بالذى
أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد
ونحن له مسلمون ، » (٣) . ويعطى القرآن
نفسه نماذج للطريقة التى يقدمها حين يتحدث
إلى معارضيه في مثل قوله تعالى : « قل هاتوا
برهانكم إن كنتم صادقين ، » (٤) ، « قل هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا
الظن وإن أنتم إلا تخرصون ، » (٥) ، « قل
أرايتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا
خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ؟
لآيتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من
علم إن كنتم صادقين ، » (٦) ، « قل يا أهل

(١) آل عمران آية ٦٤ .

(٢) الأنعام ٤٨

(٣) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) الزمر آية ٤١

(٥) الشورى ٤٨ .

(٦) البقرة ٢١ ، ٢٢ .

(١) السكه آية ٢٩ .

(٢) النحل ١٢٥ .

(٣) المذكبات آية ٤٦ .

(٤) المثل آية ٦٤ .

(٥) الأنعام آية ١٤٨ .

(٦) الأحقاف آية ٤ .

ولم يكثف القرآن الكريم في تثبيت هذا المبدأ بالناحية النظرية التي ذكرنا، وإنما طبقها بنفسه تطبيقاً عملياً حين أهدر مظاهر الاعتقاد إذا لم تكن مصحوبة باطمئنان النفس المنيع من الحرية والاختيار والنزوى، نلس ذلك في حديثه عن المنافقين الذين أكرهوا على أن ينطقوا بالإسلام تقية في مثل قوله تعالى : إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ، ١ .

كما نلسه في حديثه عن أكره على أن ينطق بكلمة الكفر وقد حمر قلبه بالإيمان في قوله جل شأنه : من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ٢ .

ويذهب القرآن الكريم في هذا المعنى إلى مداه فيقدر إيمان الكافر إذا كان عند حضور الموت لما فيه من معنى الإكراه ، يقول الله سبحانه وتعالى : وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ، ٣ .

جرف هار فانهار به في نار جهنم ؟ ، ١ . وقوله جل شأنه : أفن كان مؤمناً كن كان فاسقاً ؟ لا يستوون ، ٢ ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ، ٣ ، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء بحياهم وبماتهم ساء ما يحكمون ، ٤ ، دأفنجعل المسلمين كالجحيم ، ما لكم كيف تحكمون ؟ ، ٥ .

إن هذه التفرقة الواضحة بين المؤمن وغير المؤمن لا يمكن أن تفهم ولا أن تستساغ ما لم يكن الإيمان وعدمه مبنيًا على حرية مطلقة للفرد ، واختيار نفسي ، وإرادة مشعرة .

ثم نجد القرآن أيضاً يؤكد هذه الحرية الدينية للفرد مرة ثالثة حين يعنى المشرك من الحساب إذا استطاع أن يقيم البرهان على صحة اتجاهه فيها يعتقد - ولن يستطيع - يقول تبارك وتعالى : ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ، ٦ ، وهذا منتهى ما يمكن أن يتصور من الإنصاف والعدل .

(١) التوبة آية ١٠٩ .

(٢) السجدة آية ١٨ .

(٣) سورة ص آية ٢٨ .

(٤) الجاثية آية ٢١ .

(٥) سورة الفلم آية ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) المؤمنون آية ١١٧ .

(١) - سورة المنافقون آية ١ ، ٢ .

(٢) - سورة النحل آية ١٠٦ .

(٣) - سورة النساء آية ١٨ .

في الصوامع فدهوم وما فرغوا أنفسهم له ،
وسيجد كذلك أن عمر بن الخطاب الخليفة
الثاني كتب لأهل بيت المقدس هداً هقب
فتح المسلمين له قال فيه : « هذا ما أعطى عمر
أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم
أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ؛
لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم . »
وينقل الأستاذ أحمد أمين عن كتاب نهضة
الإسلام للأستاذ د. متز ، أن « ما يميز المملكة
الإسلامية عن أور النصرانية في القرون
الوسطى ؛ أن الأولى يسكنها عدد كبير من
معتنقي الأديان الأخرى غير الإسلام ،
وليس كذلك الثانية ، وأن الكنائس
والبيع ظلت في المملكة الإسلامية كأنها
خارجة عن سلطان الحكومة ، وكأنها
لا تكون جزءاً من المملكة ، معتمدة في ذلك
على العهود وما أكتسبتهم من حقوق وقصص
الضرورة أن يعيش اليهود والنصارى بجانب
المسلمين ، فأطاع ذلك على خاق جو من القصاص
لا تعرفه أوربا في القرون الوسطى ، . »

أحمد إبراهيم مرزنا

هذه الحرية الفردية في الاعتقاد التي
تحدث القرآن عنها ، لم تكن في تاريخ المسلمين
نظرية فقط ، وإنما طبقوها تطبيقاً عملياً
في قسريعاتهم وفي معاملاتهم مع غير المسلمين
في عصورهم المختلفة ، ولعل أروع تطابق لها
هو ما نعرفه جميعاً من أن المسلم يحمل له أن
يتزوج بالكتابة مع بقائها على دينها ، ومن
أن الذميين الذين يعيشون في ظل الدولة
الإسلامية لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم
ما على المسلمين من واجبات ، فلمهم الحرية
الكاملة في عباداتهم وشعائهم وقضائهم .

وليس لإنسان أن يعرض بما يدفع هؤلاء
أبيت مال المسلمين من جزية ، فإنها ضريبة
الدفاع للدولة التي تحميهم ويعيشون في كنفها
فهي في نظرنا دليل على احترام الإسلام
لحرية الفرد في اختيار دينه .

والذي يقرأ كتب التاريخ الإسلامي سيجد
في وصية خليفة الرسول الأول أبي بكر الصديق
رضي الله عنه لأمامة بن زيد وجيشه قوله لهم :
« وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم

الحقيقة في مشكلة فلسطين

للكاتب الهولندي ق. ه. ليونارد

ترجمته عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

- ٣ -

من دولة اليهود ، وهكذا يقضى على العرب أن يحكموا في غير استقلال بينما تكون الدولة الوحيدة المستقلة في فلسطين هي دولة اليهود . وعارض العرب مشروع التقسيم وقبله اليهود . وواضح أن قبولهم التقسيم يحقق غرضين في آن واحد . أولهما : استقلال بدولة وثانيهما : اتخاذها قاعدة للتوسع . واستغلالها في أغراض ترفضها الأخلاق .

ولهذا فقد حرصوا أن يضمّنوا قبول المشروع في المنظمة العالمية . استهدافا إلى تحقيق السيادة التي هي جد ضرورية لمراحلهم التالية . قبل اليهود مشروع التقسيم ودافعوا عنه . استجابة لرأى أول يمثل لهم في الأمم المتحدة د. آبا إيبان ، الذي رأى أن يتطلعوا إلى قرار آخر أكبر تصدره المنظمة العالمية . وأن يعطوا الضمير المسيحي فرصة ليستريح .

هذا الضمير الذي أراح نفسه على حساب العرب الذين لم يكونوا في يوم ما محل لوم بالنسبة للمشكلة اليهودية .

وفي مجال المنظمة العالمية . لم تكن اللجنة الخاصة بفلسطين قادرة على أن تقدم أكثرية

وفي سنة ١٩٤٧ عرضت بريطانيا المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة ، فقررت الجمعية العامة إرسال لجنة إلى فلسطين لبحث المشكلة واقتراح حل مناسب لها ، سميت باللجنة الخاصة للأمم المتحدة في فلسطين فأقرحت أغلبية هذه اللجنة مشروعاً للتقسيم .

وأعطى مشروع تقسيم فلسطين لليهود الجزء الأكبر من الأرض المنتجة المساهولة بالسكان ، هذا الجزء يشمل الشريط الساحلي الخصب الذي استوطنه الفلسطينيون منذ القدم وتركز فيه زراعة الموالح . وهو الذي أقام اليهود في أغلب نواحيه ، بالرغم من أن نصفه على الأقل مملوكة عربية .

وخصص المشروع للعرب أقل جزء من الأرض المنتجة ، ويتكون معظم نصيبهم من الأرض الصحراوية الجرداء ، أرض يهودا ، أو أرض الآباء كما يسميها اليهود ، حيث لم يقيموا بالفعل .

ولكي يضمن المشروع استمرار الحياة للدولة العربية المقترحة جعلها تعتمد على اتحاد اقتصادي ، يستمد معوناته وقروضه

وجود الصهيونية وسبب مطالبتها بدولة وهو الذي أوصى بأن جميع اليهود يجب أن يجمعوا في الدولة المقترحة . ولم يفهم بأي حال أن ذلك سرف سيكون على حساب فلسطين .

وعلى الفور وفي وقت بحث المسألة في اللجنة الخاصة للأمم المتحدة ، وبعد إقرارها لإمكان التقسيم ، ذاع بين اليهود الفلستينيين أن الحدود ليست من الأشياء الخالدة ، وهذا يشير إلى آمال اليهود وتطلعاتهم الواسعة كما صرح بهادابن جوريون، عن المجلس الصهيوني العشرين سنة ١٩٤٧ بالنسبة للمشروع ، إن النقاش لم يكن حول قبول التقسيم لأرض فلسطين أو رفضه ، فإنه لا يوجد صهيوني واحد يمكن أن يستغنى عن أصغر جزء من أرض إسرائيل ، ولكن النقاش كان حول : أي الطريقين أسرع للوصول إلى الهدف العام...؟ ، وطبقا لدعوى الدينيين اليهود فإن أرض إسرائيل هي الرقعة الواقعة بين نهر الفرات ونهر دجلة ، النيل ، قشمل وادي العويز وشبه جزيرة سيناء .

وقد اتخذ الصهيونيون غير الدينيين نفس المنهج حين وجدوا دابن جوريون ، ويصر مطالبهم ويبلسطلها حسب الظروف فوضوها في حدود ثابتة واسعة تشمل شمال مصر وشبه جزيرة سيناء وتمتد إلى الفرات ثم ترتفع إلى جبال طوروس في شمال سوريا والبحر

كافية بالجمعية العامة للدوافقة على مشروعها . ولكن انتخابات الرئاسة الأمريكية لاحت في أفق هذا العام . وفي الأيام القليلة التي سبقت الاقتراع النهائي في الجمعية العامة على المشروع قام البارزون من الصهيونيين ومن يطعمون في أصوات اليهود بتدبير ضغط عالمي فظيع . وذلك بأوامر مباشرة من البيت الأبيض - واستخدم الأمريكان الممولون كل أشكال الضغط المباشر وغير المباشر على الدول الخارجة عن نطاق العالم الإسلامي . من الدول التي لم تحدد موقفها تجاه مشروع التقسيم أو التي تعارضه .

وكان الممثلون والوسطاء البيت الأبيض يعملون على أن يتأكدوا من الحصول على الأكثرية الضرورية عند التصويت . وفي هذه الأيام القليلة كان عدد من الدول التي تعتمد على أمريكا اعتماداً ما قد غيرت موقفها . وبهذا مشروع التقسيم في الجمعية العامة . وإذا رجعنا إلى معالجة المنظمة الدولية لهذا الموضوع وجدنا أن قصر النظر في تناوله هو الذي أدى إلى هذه الفضيحة العالمية . فقد أصدرت توصية قصدت بها تبرير القرار أمام الضمير العالمي وهي ، أن قيام الدولة اليهودية يجب أن ينتج تحديداً ووفقاً للهجرة إليها ، ويفهم من هذا أن التقسيم لا يمكن أن يكون حلاً حقيقياً للمشكلة اليهودية .

هذه المشكلة التي كان التطلع إلى حلها علة

حيثما كان موقفهم ، أن تاريخ الصهيونية السياسي يكشف أن الأهداف المعلنة صراحة من المتطرفين الصهيونيين هي ذاتها ما يقره المعتدلون منهم . ولكن الذي يختلف هو التوقيت والتاريخ .

ولقد أصبح معروفاً أنه في شهر سبتمبر ذاته . أي قبل شهرين من الموافقة على مشروع التقسيم في الأمم المتحدة وقبل ثمانية أشهر من تدخل الدول العربية . كانت الهاجاناة والجيش السري للوكالة اليهودية ، قد وضعت خططها لغزو المنطقة التي حددت لليهود في المشروع . وقبل ذلك بوقت طويل وفي يونيو

سنة ١٩٤٥ كان ابن جوريون قد أتم جميع الترتيبات سرّاً في نيويورك للحرب مع العرب حينما تغادر بريطانيا فلسطين ، وحصل على موافقة بمئات حرية ثقيلة .

وفي سنة ١٩٤٧ ، وتحت اسم مستعار قام ضابط أمريكي يهودي برتبة كولونيل بقتل وتدريب قوات الهاجاناة وزودها بالامدادات العسكرية السكافية .

ولقد كان من الوهم أن يقف وجود ماجنز ، مدير الجامعة اليهودية في القدس في أكتوبر سنة ١٩٤٧ في يتحدث باسم أعلى قيم اليهودية مؤمناً أنها انتهكت على يد الصهيونية ويرفع صوته بأشد تحذير لعمه لما يتسم به من روح العدوان والغزو .

وكان وهما أن يتذرع حرب فلسطين

الابيض المتوسط ، وكانت هناك خطة معدة وضعها هرتزل تربط بين التوسع وبين جمع اليهود ونحن نطالب بما نحتاج : بأ كبير قدر من المهاجرين وأكبر قدر من الأرض ، أما وايزمان فإنه يقول : « سيظل اليهود إلى الأبد في جوع إلى أرض أكثر . وليست فلسطين إلا مفتاحاً يمكن فتح المنطقة التي تمتد من الأردن إلى الفرات ومن الفرات إلى المحيط الهندي » .

وكانت خطته تتألف من خلق حقائق يعتمد عليها في بناء أوضاع تتخذ كسلم إلى هدف أبعد بحيث يستطيع أن يذكر هذه الأهداف عند الضرورة .

وإذا رجعنا إلى سنة ١٩٢١ وجدناه قد جعل التفوق السكاني لليهود في فلسطين وسيلة للتوسع عبر نهر الأردن .

هذا حال من يسمون بالصهيونيين المعتدلين أما المتطرفون منهم فقد كانوا يتابعون نفس الأغراض بمنهج أكثر صراحة وأقصر مدى ففي سبتمبر سنة ١٩٤٧ حينما أعلنت اللجنة الخاصة بفلسطين مشروع التقسيم . أعلنت « الارجون » المنظمة الإرهابية الصهيونية « إننا سوف لا نقبل توصيات اللجنة الخاصة للأمم المتحدة وسوف نقاتل حتى نحصل على جميع حقوقنا » .

وهذا عرف عرب فلسطين والدول العربية المجاورة كما عرف أعضاء المنظمة العالمية . ما ينبغي أن يكون راضياً لديهم جميعاً

كانت قرية عربية صغيرة منعزلة تقع في نطاق القدس التي قرر مشروع التقسيم لها أن تكون دولية ، وفي منطقة لم يخطط لها المشروع أن تكون لليهود ، ولم يكن هناك أى هجوم أو مناوشة أو إثارة من جانب هذه القرية موجها ضد الصهيونيين .

على أية حال فقد كان أهل هذه القرية زهاء ٤٠٠ نسمة أكثر من ٣٠٠ نسمة منهم من النساء والأطفال وكان الرجال في عملهم في البلد أو في الحقول فذهبوا وأريق دمائهم بالسكاكين والقنابل على يد مصابات الأرجون ، وبعد المذبحة فقد قادة الأرجون مؤتمرا صحفيا صرح فيه القائد بقوله : (إن لنا حق الفتح والغزو والاحتلال) .

وأخذ اليهود مجموعة صغيرة من الفلاحين حملت على سيارة مصفحة في رضح النهار وطيف بهم في الحى اليهودى بالقنابل ، وأهانهم اليهود وبصقوا عليهم ، وبعد ذلك أطلق سراحهم ، فنقلوا لمواطنيهم نجر بهم المريعة ورعبهم وفزعهم .

ثم عبرت بعد ذلك السلطات الرسمية للوكالة اليهودية عن استنكارها ، ومهما يكن فإن هذه الغارة قد نفذت وافترنت « بركة » مع قائد الهاجاناه الحلى الذى كان يرغب في إنشاء مطار في هذا المكان وتم الاتفاق على ذلك مع قائد الأرجون ؟

محمد محاسن الربيع

في الدفاع الذاتى عن وجودهم في وطنهم بأنه مقاومة لدولة اليهود .

وكذلك فعل الانتداب البريطانى ، فإنه - كما وضح سابقا - قد حرّمهم حق الدفاع عن النفس فضلا عن العدوان

كما قدم وثيقة جديدة للقانون العالمى الإيجابى (حل تقسيم فلسطين) والآن فقط قد سمح للفلسطينيين العرب بالدفاع عن النفس في بلدهم ليرد عليهم بالعدوان وأخيرا جاء رد منظمة الأرجون على نفس الوثيقة بهذا التصريح (إن تقسيم أرض الوطن غير شرعى وسوف لا نعترف به ، إن توقيع المنظمات والأفراد لاتفاق التقسيم سوف لا يجبر الشعب اليهودى ولا يرتبط به ، إن القدس عاصمة إسرائيل وسوف نحفظها بأكلها لشعب إسرائيل وإلى الأبد) .

وخلاصة الأمر أنه بعد أن قبل مشروع التقسيم في الأمم المتحدة رأينا الوكالة اليهودية التي كان من المفروض أنها قبلت هذا المشروع وجه دناها تدخل في مفارضات ومباحثات مع منظمات الأرجون التي عارضت المشروع في صراحة ، وأخذت المناقشات وقتا طويلا ، بينما الاضطرابات والمعارك تنتشر في البلاد .

وفي بداية أبريل سنة ١٩٤٨ ختمت المفاوضات باتفاق مفاجئ في التاسع منه ، وقبل خمسة أسابيع من إعلان قيام دولة إسرائيل ، ومن تدخل الدول المجاورة .

وحدثت غارة (دير ياسين) ودير ياسين

زمن الورد

للأستاذ علي الجندى

كان الناس قديماً يرقبون زمن الورد رقة
الأيام، ويحتفلون بحلوه، ويتحاضون على
الاستمتاع بأيامه، والحرص كل الحرص على
تملي السرور والبهجة فيه، وهيشه ساعة
ساعة، عيشه هريضة عميقة كأنها آخر زادهم
من الحياة !!

ومن أقوالهم في ذلك : الربيع شباب
الزمان، ومقدمة الورد والريحان . زمن
الورد مرموق مرموق، وكأناه من الجنة
مسروق . قد ورد كتاب الورد، بإقباله إلى
أهل الود . إذا ورد الورد . صدر البعد،
مرحباً بأشرف الزمر، في أظرف الدهر !!

وقد كانوا يضربون به المثل في الحسن
والطيب، وفي قصر عمره أيضاً .

يقول أبو تمام في مدح أبي المغيث الرافعي :
ومن زمن البستنة كأنه
- إذا ذكرت أيامه - زمن الورد

ويقول الصابي :
وزائرة لنا في كل حول
لهما حظان من حسن وطيب

تقال النفس - حين أشم منها -
منال العين من وجه الحبيب

كان زمانها نعتاض منه
- إذا طلعت - شباباً من مشيب

ويقول الرقاشي :

إذا أقبل الورد أهدى لنا
سروراً بأيامه مقتبل (١)

ويقول آخر :

سقى الله ورد أصار خمد ربيعنا
فقد كان قبل اليوم ليس له خمد

وزمن الورد هو شهر نيسان، إبريل،
وديار، مايو .

وفي نيسان يقول بعض المصريين :
وأهلاً بنيديان تهفو الغصون
طراباً إلى الحن أطيّاره

ويهدى لنا الورد أنفاسه
إذا حل معقود أزواره

وفي أيار يقول أبو العلاء المعري :

تشتاق أيار نفوس الوري
ولنما الشوق إلى ورده

وقد قدر أيامه على نالهم بخمسين يوماً فقال :
زائر يهدى إلينا
نفسه في كل عام

حسن الوجه ذكي الريح
إلف الله دمام

عمره خمسون يوماً،
ثم يمضي بسلام

وقد وصف الشعالي هذا الشعر بأنه
يما يدخل على الأذن بفهم لاذن !!

(١) مقتبل كرنيل : مأخوذ من قرلم : رجل
مقبل الشباب لم يظهر فيه أثر كبر .

ويقول آخر :
اطرب إلى الورد في أيام دولته
فالورد ضيف مليم في زيارته
خمسین يوما توافي والنفوس إلى
رؤياه شقيقة من طول غيبته
وبعضهم قدر زمانه بشهر واحد ، قال :
الورد ضيف فلا تهمل كرامته
فهانها طاقه كالنار تلتهب
سقيماً له زائراً تحيا النفوس به
يجود بالوصل شهراً ثم يحتجب
وكان المتوكل العباسي لا يلبس أيام الورد
إلا الثياب الموردة ١١
وكان يفرش في أيامه الفرش الموردة ، كما
كان يورد الآلات ١١
ورفع إلى الخليفة المأمون : أن حاتمكا
يعمل السنة كلها ، لا يتبطل في عيد ولا جمعة .
فإذا ظهر الورد طوى عمله ١١
فإذا انقضى زمن الورد عاد لإيمه ١١
فقال المأمون : لقد نظر إلى الورد بعين
جليله ؛ فينبغي أن نعينه ونساعده على مروه
أما زمن الورد عند النساك والعباد وأهل
التصوف ، فهو كما يقول الصوفي الأشهر :
« إبراهيم الخواص » : إذا جاءت أيام الورد ،
أمرضني على بكثرة من يعصى الله - تعالى - فيها
وليسك شرعته ومنهاجه ونظره إلى الأشياء
وسبحان من أودع في كل قلب ما شئله ١١
وليس يعاب زمن الورد إلا بقصر مدته ١١
يقول في ذلك علي بن الجهم :

ما أخطأ الورد منك لوناً
وطيب ربح ولا مللاً
أقام حتى إذا أنسنا
بقربه أسرع انتقالاً
أخذه أبو سعيد الخالدي فقال :
أنت مثل الورد لوناً
ونسباً
زارنا حتى إذا ما
سرنا بالقرب زالا
ويقول أبو الحسن علي بن أبي غالب الأندلسي :
وإذا ذكرت الورد فاعلم أنه
للنور أجمع في الرياض منار
طيب لأنفاس النفوس ومنظر
لعين إلا أنه د غدار ،
يريد بغداد : أنه قليل الإقامة .
ويقول بعض الشعراء :
الورد أحسن زائر لو لم تكن
تلك الزيارة - حين زار - لماسماً
ويقول الشعالبي : وعهدى بغير واحد من
الفضلاء يستظرف قول ابن أبي البتال الشاعر :
تمتع من الورد الليل بقوه
فإنك لم يفجأك إلا فناءؤه
وودعه بالتقبيل والتم والبيكا
وداع حبيب بعد حول لقاءؤه
ولأن الورد قليل البقاء فضل بعضهم عليه
الآس ؛ لدوام خضرته وطول لبثه .
والآس ضرب من الریحان يضرب به المثل
في دوام الخضرة ، قال أبو حنيفة الدينوري :
الآس بأرض العرب كثير ، ينبث في السهل

والجبل ، وخضرة دائمة ، وهو ينمو حتى
 يكون شجرا عظيما ، وله زهرة بيضاء طيبة
 الريح ، وثمره سوداء ، إذا أبيضت تحلو ، وفيها
 مع ذلك حلاوة ، وهو باليونانية « المرسين » .
 يقول الأخيطل الأهوازي في مدح الآس :
 للآس فضل بقاءه ووفائه
 ودوام نضرتة على الأوقات
 ويقول شاعر يفضلهُ على الورد :
 يقبل الورد حينه ثم يمضي
 وإلى الآس نلتجى كل حين
 إنما الآس للوداد أساس
 وهو يبقى على عمر السنين
 ويقول آخر :
 الآس صيد أنوار الرياحين
 في كل وقت وحين في البساتين
 يبقى على الدهر لا تبلى نضارته
 من المصيف ولا من برد كانون ،^(١)
 ويقول بعضهم :
 الآس يبقى - وإن طال الزمان به -
 والورد يفنى ولا يبقى على الزمن
 ومن قول العباس الأحنف :
 لا تجعلى وصلنا كالورد حين مضى
 ذا قلعة وأدعى الود كالآس^(٢)
 أخذه ابن زيدون فقال - مخاطب أبا حفص
 ابن برد الوزير الكاتب الأندلسي - :
 لا يكن همدك ورداً
 إن همدى لك آس
 (١) كانون : شهر من المهور السريالية وهو
 كانون الأول ، ويوافق من المهور الرومية
 ديسمبر ، وكانون الثاني ويوافق يناير .
 (٢) ذو قلعة - ضم فسكون - : كل ما لا يدوم .

وهو من تشبيه المعنوى بالحسى .
 وقد كرره في موضع آخر فقال :
 ولكننى شبت بالورد عهدما
 وليس يدوم الورد والآس دائم
 ومن المحاورات الطريفة ما كتب به
 أبو دلف العجلي إلى عبد الله بن طاهر ، وهو :
 أرى ودكم كالورد ليس بدائم
 ولا خير فيمن لا يدوم له ود
 وحبي لكم كالآس حسنا وفضرة
 له زهرة تبقى إذا فى الورد
 فأجابه ابن طاهر بقوله فكان كما قيل :
 « إن كنت ريحا فقد لايت إعصارا » :
 وشبت ودى الورد - وهو شبيهه -
 وهل زهرة إلا وسيدها الورد
 وودك كالآس أرى مضافه
 وليس له فى الطيب قبل ولا بعد
 وهو كلام دقيق المسلك لطيف المأخذ ،
 فقد استطاع صاحبه أن يبطل قضية مشهورة
 كانت مسلمة قبله ، ويحتج احتجاجا دقيقا
 لفضل الورد على الآس بصفات انتزعتها من
 كليهما فتم له ذلك ، وهو أول من صنع هذا .
 وما يتصل بما نحن فيه : أن امرأة رأت
 فى منامها : أن زوجها أعطاهم طاقة وردا
 فذهبت إلى بعض مؤولى الأحلام ، فقال
 لها : إنه سيطلقك !!
 فقالت : ولم ذلك ؟
 فقال : أما سمعت قول الشاعر :
 ولكننى شبت بالورد عهدما
 وليس يدوم الورد والآس دائم
 فكان الأمر كما قال !!
 على الجندى

ويقال :
 الآس صيد أنوار الرياحين
 فى كل وقت وحين فى البساتين
 يبقى على الدهر لا تبلى نضارته
 من المصيف ولا من برد كانون ،^(١)
 ويقول بعضهم :
 الآس يبقى - وإن طال الزمان به -
 والورد يفنى ولا يبقى على الزمن
 ومن قول العباس الأحنف :
 لا تجعلى وصلنا كالورد حين مضى
 ذا قلعة وأدعى الود كالآس^(٢)
 أخذه ابن زيدون فقال - مخاطب أبا حفص
 ابن برد الوزير الكاتب الأندلسي - :
 لا يكن همدك ورداً
 إن همدى لك آس

(١) كانون : شهر من المهور السريالية وهو
 كانون الأول ، ويوافق من المهور الرومية
 ديسمبر ، وكانون الثاني ويوافق يناير .
 (٢) ذو قلعة - ضم فسكون - : كل ما لا يدوم .

طائفة البهرة

دُرُستاد محيى الدين الزلوى

نشأتها وظهورها

كلمة بهرة أو البوهره، Bohra تطلق في اللغة الهندية د السكجراتية، على التجار، وهى لغة ولاية كهرات، الواقعة في غربى شبه قارة الهندية قرب مدينة بمباى. أما الآن فلا نكاد نطلق إلا على جماعة من الشيعة الإمامية التى تنسك بمعتقدات وتعاليم الفاطميين ويبلغ عدد أتباع الطائفة اليوم حوالى مليون ونصف مليون نسمة، وهم منتشرون في الهند وشرق إفريقيا واليمن والباكستان والشرق الأقصى وانجلترا، وتعتبر الهند مركزهم الرئيسى ومقر سلطانهم. ويرجع تاريخ نشأة طائفة البهرة في الهند إلى تاريخ وصول دعوة الفديعة الإسماعيلية إليها في القرن الثالث الهجرى، حيث أخذ أئمة الإسماعيلية في الاختفاء ونشر دعوتهم في طى الكتمان على أثر تضيق الخلفاء العباسيين على الشيعة، فاحتضوا مدينة دسليه، في الشام مركزاً لنشر دعوتهم وأرسلوا دعائهم إلى بلاد اليمن والبحرين والهند ومصر والمغرب.

ويقال إن إمام طائفة الإسماعيلية المستعيلة في اليمن قد بعث عالماً يدعى عبد الله الفارسى إلى الهند لينشر الدعوة الفاطمية فيها وبفضل

نشاط هذا الداعية، نالت الدعوة نجاحاً في أرجاء شبه القارة الهندية، ثم هاجر إليها بعض أتباع الفاطميين من بلاد العرب ومصر واستوطنوا دكبرات، واشتغلوا بالتجارة واشتهروا بها، ويقولون عن سر تفضيلهم التجارة: لأنها أبعد المهن من مواقع الرية ومواطن الظنة وأقربها إلى الكسب الحلال مع ما فيها من تيمن بالرسول عليه الصلاة والسلام، حيث كان يمارس مهنة التجارة قبل البعثة. ويمتد أتباع طائفة البهرة بإمامة إسماعيل ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن زين العابدين بن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وبعد وفاة جعفر الصادق، الإمام السادس من طائفة الشيعة الإمامية انقسمت إلى قسمين: الإمامية الإسماعيلية (المذكورة)، والإمامية الموسوية القائلة بإمامة موسى السكاظم الابن الأصغر لجعفر الصادق، وهو عندهم الإمام السابع ولما مات إسماعيل في حياة أبيه حول أنصاره الإمامة إلى ابنه، محمد المستور، وصار عندهم الإمام السابع، بحجة كون إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق، وعرفت هذه الطائفة بعد ذلك باسم د السبعية، لتمييزهم عن طائفة الاثناعشرية، الذين يسوقون الإمامة إلى محمد

الفاطميون في تأسيس دولة شاسعة الأرجاء وحضارة باهرة مشهورة بنظمها الإدارية وقوانينها وعلومها ، وفي مقدمة معالم تلك الحضارة العظيمة التي خلفوها للعالم الإسلامي د. الأزهر الشريف ، . وقد أصبح الأزهر منذ إنشائه مسجد الدولة الفاطمية الرسمي ومركز نشر الدعوة الإسلامية في شتى أنحاء العالم . وقد أسند الخلفاء الفاطميون رئاسة الدعوة إلى موظف كبير يحمل لقب د. داعي الدعوة ، وكان يلي قاضي القضاة في الرتبة ، وبما يسند المنصبان إلى شخص واحد ، ويساعد داعي الدعوة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً ، ويكون له نواب ينوبون عنه في مختلف البلاد الإشراف على الدعوة الفاطمية ، وأخذ العهد على المتبعين المذهب الإسلامي بالتسك بأصول عقائد الطائفة ، وتتلخص هذه العقائد في : التصديق بما جاء في القرآن ، والعمل به ظاهراً وباطناً ، والاعتراف بالأنبياء والرسل وعصمتهم ، وأن محمداً خاتم النبيين ، والقول بوصاية علي وولاية الأئمة من ذريته . (١)

ومن نكته منصب داعي الدعوة كبار علماء الفقه وأصوله للمذهب الشيعي ، وقد بلغت الدعوة الفاطمية ذروتها على يد الخليفة المعز لدين الله ، وقاضي قضائه أبي حنيفة النعمان المغربي ، وباب أبوابه جعفر بن منصور البني ،

(١) القول بوصاية علي . . الخ هو نقطة الخلاف بين السنة وهؤلاء الشيعة .

ابن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى السكاظم . ويعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن محمداً د. الإمام الثاني عشر، قد اختفى من الدنيا ولا يمكنه سيظهر ويملا الأرض عدلاً ، ومن ثم سموه د. الإمام المنتظر .

وكان عبيد الله المهدي (٢١٧ هـ ٩٠٨ م) مؤسس الدولة الفاطمية الأولى في المغرب أول إمام ظهر على الأرض وجاهر بدعوته بعد أن عمد أئمة الإسماعيلية إلى الاختفاء ونشر دعوته سرّاً من مدينة سلمية المذكورة وقد أسس عبيد الله المهدي الخلافة الفاطمية التي عرفت أيضاً باسم دولة العبيديين فسيبة إلى عبيد الله المهدي ، كما عرفت باسم دولة الفاطميين ، أو الفرواطم ، ثم صادفت الدعوة الفاطمية نجاحاً كبيراً في بلاد غرب وشمال إفريقيا ، وأقب المهدى د. أمير المؤمنين ، وفي عام ٣٤١ هـ . ولى المعز لدين الله ، الخلافة الفاطمية ، وأخذ يعد العدة لنشر دعوته في مصر واتخاذها مقراً لخلافتهم ، وقد عهد المعز لدين الله إلى قائده جوهر الصقلي ليعد العدة لفتح مصر واستولى جوهر على الإسكندرية أولاً ثم تابع سيره حتى وصل إلى القسطنطينية في عام ٣٥٨ هـ وبعد أن استولى جوهر على مصر وضع أساس مدينة القاهرة المعزية . ثم نجح الفاطميون في نشر الدعوة الإسماعيلية وبسط سلطانهم على اليمن وجزيرة العرب والشام وآسيا الصغرى ، كما نجح

وهكذا انتقلت قاعدة الدعوة الفاطمية ، والمكاتب الرئيسية للفاطميين ومقر الداعي المطلق ، إلى الهند في عام ١٩٤٦ هـ ، ومنذ ذلك الحين دخلت الدعوة في دور جديد من التنظيم والتطور ، وبدأ الدعاة الذين تنبئهم الطائفة يديرون الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية العامة المتصلة بأفراد الطائفة المنقرضين في مختلف البلاد من مفرم بأرض الهند ، وأصبح هذا الانتقال بمثابة تحول خطير في تاريخ الدعوة الفاطمية المديد وصار الداعي المطلق الذي انتخبته الطائفة في الهند - بعد انتقال مقر رئاسة الدعوة إليها - هو الداعي الرابع والعشرين في سلسلة الدعاة الفاطميين ، منذ عهد الإمام الواحد والعشرين المختفي بالين في عام ١٣٢٣ م .

وتعتقد طائفة البهرة أنها دخلت في مرحلة مليئة بالنهضة والتقدم في الميادين العلمية ، والتمهيدية والتنظيمية منذ أن تولى منصب الداعي المطلق (١) الواحد والخمسين الدكتور طاهر سيف الدين ، في عام ١٩١٥ م وقام بنشاط ملحوظ في سبيل النهوض بالدعوة الفاطمية في القرن العشرين ، وجمع ما توزع

وبعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر عقب وفاة الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فيها عام ٥٦٧ هـ انتقلت زعامة الدعوة الفاطمية من مصر إلى اليمن . ولما اقتضت الظروف هزلة الإمام الواحد والعشرين من سلسلة أئمتهم اختار بنفسه خليفة له باسم الداعي المطلق ، لينوب عن الإمام المختفي في الإشراف على أمور دينهم ودنياهم

وتعتقد طائفة البهرة بوجود إمام يعيش في الخفاء ، وهو يتولى مركزه بالتوارث المباشر ابتداء من الإمام الواحد والعشرين ، ولا يخلو زمان من هؤلاء الأئمة المستعنين ، بينما يقوم الداعي المطلق ، بالدعوة العلنية والإرشاد والإشراف الروحيين ، كما أنه مصدر سلطة يحتمل إليه أتباع الطائفة في شؤونهم ، وظل الداعي المطلق للطائفة يقيم بالين حتى عام ١٩٤٦ هـ (١٥٣٩ م) وبعد أن انتشرت الدعوة الفاطمية في الهند وازداد عدد أتباعها واتسع نطاق نفوذهم في شئون الطائفة تقرر أن يتحول مركز الداعي المطلق ومقر الدعوة لرئيس إلى الهند نظرا للعلاقات التاريخية القديمة والوطيدة بين الهند واليمن ولكون الهند ملتقى الأديان والطوائف العديدة التي تعيش جنباً إلى جنب منذ مئات السنين وأملأ في وصول الدعوة إلى أسماع الطوائف المختلفة ، ومساعدة على انتشارها في أرجاء شبه القارة وحواليها من بلدان الشرقيين : الأوسط والاقصى المتاخمة لقاعدة الدعوة في الهند .

(١) . لاحظ أن جماعة من البهرة خرجت على الدكتور طاهر سيف الدين ، ولا تعترف بزعامته الدينية ، وهم طائفة « البهرة السابائية » وعددهم قليل واتخذوا مركزهم في مدينة « برودا » بكجرات نفسها ، وأما أتباع سيدنا طاهر - سيف الدين فيرفون الآن باسم : طائفة « البهرة الهاوودية » ، ومركزهم بمدينة سورت في كجرات .

ومن كتبه في العقائد : كتاب « المهمة » ، وكتاب « القصيدة المختارة » ، وفي السير والتاريخ : كتاب « الدعوة الزاهرة » ، (١) ، و « شرح الأخبار » ، وأرجوزة « ذات المحن » ، وفي الوهظ : « كتاب المجالس والمسائرات » ، وهو في ثلاث مجلدات ويعد أحسن ما ألف في وصف حياة الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب ، ويتناول هذا الكتاب أحكام الأئمة من أهل البيت ، ويرد على خصوم المذهب الفاطمي ، ويعطي صورة حية للأدب الفاطمي والعقائد الفاطمية .

ومن أهم المصادر لتاريخ الفاطمي كتاب « عيون الأخبار » لسيدنا إدريس حماد الدين الإمام التاسع عشر ، المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ، ويوجد أقدم نسخ « عيون الأخبار » في مكتبة طنفة البهرة بالهند (٢) . ويلقى هذا الكتاب ضوءاً على تاريخ مصر الفكرى والثقافى ، وعلى الخدمات التى قدمتها مصر فى العصر الفاطمى للعلم والدين ، وقد قدم سلطان البهرة الراحل الدكتور طاهر سيف الدين صورة فوتوغرافية لتلك النسخة الأثرية من « عيون الأخبار » ، إلى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، أثناء زيارته للهند فى عام ١٩٦٠ ، وأودعت هذه النسخة القيمة بدار الكتبة المصرية ، وأثناء زيارة السلطان الراحل لمصر فى عام ١٩٣٧ قدمت إليه الحكومة المصرية

من مخطوطات الفاطميين ونوادير حكمهم وعلومهم وفنونهم وفشرها فى مؤلفات ، أو أعاد طبعها أو أدرجها فى الكتبة التى ألفها باللغة العربية نظماً ونثراً ، وله نحو خمسين كتاباً ومؤلفاً تتناول شتى مراحل تاريخ الدعوة الفاطمية وعلومها وفنونها ورجالها . وزار الدكتور طاهر سيف الدين القاهرة عام ١٩٣٧ م . وهو أول زعيم للفاطميين وفد إلى مصر بعد خروجهم منها قبل ثمانية قرون ، وقال مبيناً هدف تلك الزيارة : « إننى جئت إلى القاهرة لأجدد فيما بيننا وبينكم تلك الروابط الأصلية القديمة وأوطد صلات التوادد والتحاب » .

وتعتبر طائفة البهرة جميع الخلفاء الفاطميين الذين حكموا مصر من عهد المعز لدين الله أئمة لهم ، ولا يذكرون أحداً من هؤلاء الخلفاء إلا مقروناً بلقب « الإمام » ، ويتخذون مؤلفات الفقهاء الفاطميين مراجعهم الدينية الرئيسية والكتبة المعتمدة عندهم فى المسائل الفقهية ، ومن أهم الكتبة المعتمدة لدى البهرة فى الفقه ، كتاب : « دعائم الإسلام » ، لأبى حنيفة النعمان المغربى ، الذى يسميه الفاطميون « سيدنا القاضى النعمان » ، ليبرزوا بينه وبين أبى حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفى ، ويعرف هندم أيضاً « بأبى حنيفة الشيعية » ، ومن مؤلفاته القيمة فى الفقه : « كتاب الطهارة » ، و « كتاب منهاج الفرائض » ، و « كتاب كيفية الصلاة » ، و « كتاب مختصر الإيضاح » ، وغيرها .

(١) هو من الكتب الخطية بمكتبة جامعة القاهرة

(٢) مكتبة الدكتور طاهر سيف الدين بمدينة بومباي .

ينشر الدعوة الفاطمية في كل بقعة نزل فيها .
جعفر بن منصور البني

ومن أشهر فقهاء المذهب الفاطمي ،
 جعفر بن منصور البني ، الذي اعتنق الدعوة
 الفاطمية ، وترك اليمن موطنه الأصلي ،
 وقصد بلاد المغرب في سنة ٢٢٢ هـ . وكان
 جعفر بن منصور موضع تقدير لدى الخلفاء
 الفاطميين في المغرب ومصر حتى تولى منصب
 (باب الأبرار) - وهو أعلى من رتبة
 قاضي القضاة - أيام المعز لدين الله الفاطمي .
 ومن أهم مؤلفاته : كتاب (تأويل الزكاة)
 و (كتاب الشواهد والبيانات) و (كتاب
 المنطقاء) . ويمد هذا الكتاب من أهم المراجع
 التي تصدت لبحث تاريخ فرق الشيعة بعد
 جعفر الصادق ، كالوصوية الاثنا عشرية ،
 والباطنية المقتسبة إلى الأباطح بن جعفر
 الصادق ، والمحمدية المقتسبة إلى محمد بن جعفر .
أصول عقائد البهرة :

تقتبس طائفة البهرة أصول عقائدها (١)
 من النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ،
 صهر النبي عليه الصلاة والسلام وعن خلفائه
 من بعده ، الذين نشروا الدعوة في المدينة
 المنورة أولاً ثم ببلاد المغرب بإفريقية

(١) مقدمة كتاب دعوة الحق ، نشرته الجامعة
 السنية بمدينة سورت بالهند ، عام ١٩٦٢ باللغة
 الإنجليزية ، عن تاريخ حياة الهادي الواحد والحسين
 الدكتور طاهر سيف الدين .

قطعا ثمينة من المنسوجات الأثرية من عصر
 الفاطميين المحفوظة بدار الآثار المصرية ،
 وتتألف هذه الهدية الثمينة من ٣٩ قطعة أثرية
 وكل منها محفوظ في غلاف من الزجاج في مقر
 السلطان بمدينة بومباي ، وكذلك قدمت إليه
 الحكومة المصرية خلال تلك الزيارة بعض
 النقود الذهبية المتداولة في عهد الفاطميين بمصر .
المؤيد الشيرازي

يعتبر (المؤيد في الدين هبة الله
 الشيرازي) من أشهر فلاسفة الدعوة
 الفاطمية ، وقد أصبح داعي الدعاة في سنة
 ٤٥١ هـ ، وكان بارعا في العربية والفارسية ،
 وخلف كثيرا من الكتب التي تعد من أمهات
 كتب الدعوة الفاطمية ، وصادر عقائد المذهب
 الفاطمي (١) . ومن أشهر كتبه (المجالس
 المؤيدية) و (ديوان المؤيد) و (المجالس
 المستنصرية) و (شرح المعاد) و (قصيدة
 الإسكندرية) و (كتاب أساس التأويل)
 و (كتاب الإيضاح والتبصير في فضل يوم
 الغدير) و (المسألة والجواب) وقد انحدر
 المؤيد في الدين من أسرة اتخذت النشيع لها
 ديناً ، والفاطمية مذهبا . وتقلد رئاسة الدعوة
 الفاطمية في (شيراز) وفي عام ٤٣٩ هـ رحل
 إلى مصر وقلده الخليفة المستنصر الفاطمي
 (ديوان الإنشاء) ثم تقلد منصب (داعي
 الدعاة) ، واستطاع بقوة حجته وبلاغته أن
 (١) يوجد في مكتبة جامعة القاهرة مخطوط مصور
 لكتاب (السيرة للمؤيد) رقم ٢٦٠٥٦ .

كل فرد من طائفة البهرة عند بلوغه الخامسة عشر من عمره ، ذكرا أو أنثى ، ويعتبر هذا الميثاق بمثابة عهد ، يتعهد به كل معتنق لمبادئ البهرة ، بالتمسك بما جاء فيه من أصول عقائدهم ، وتعاليم مذهبهم . ويطلق عليه بعد ذلك (المؤمن البالغ) . وقد قال أحد الأئمة الفاطميين الذين تأخذ عنهم البهرة ، وهو الإمام المنتصر بالله الفاطمي : (وأعلم أن موضوع الحكم الدينية على الأوامر والنواهي الشرعية ككون موضوع النوى الروحانية على الأشكال الجسدية ، فن أحسست منه فتورا في الشريعة فاعلم أنه سبب شذيمة على الشيعة ، وأخ من ديوان أهل الاستجابة اسمه ، واقطع من مجالس الدعوة أثره) . وأن الدعاء الخائب عند البهرة ، والذي يوصى به دعايتهم دائما أتباعهم وغيرهم من المسلمين هو : « إهدنا الصراط المستقيم . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة . وقنا عذاب النار . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنتع الوهاب (١) .

معاهدم الدلية :

وأحرزت طائفة البهرة في حياة الداهي الراحل الواحد والخمسين سيدنا طاهر سيف الدين تقدما ملحوظا لم يسبق له مثيل

(١) خطبة السيد : محمد برهان الدين داهي البهرة الحالي (٥٢) بالأزهر في مارس ١٩٦٦ .

ومصر واليمن . ونلخص أصول عقائدهم من مراجعهم ومصادرهم الرئيسية :

(١) توحيد الله وتوحيده ونفى الإشراك فيه نفيا باتا .

(٢) الاعتقاد بالأنبياء والرسل وعصمتهم من كل خطأ وأن محمدا خاتم النبيين .

(٣) التصديق بما جاء في القرآن الكريم والعمل به ظاهرا وباطنا .

(٤) وجوب وجود إمام روحى في كل عصر لقيادة العالم وحمل معرفة الحقيقة إليه حتى لا يخلو من الهداة والمرشدين ، الذين يرشدون الناس إلى طريق الحق والصواب مباشرة ، أو في حالة نسترهم بواسطة الدعوة .

(٥) القول بولاية علي وولاية الأئمة من ذريته .

(٦) وجوب الأخذ عن الأئمة ، أو عن الدعاة الذين ينوبون عنهم في جميع أمور الدين والدنيا ، فيما لم يرد فيه النص من الكتاب والسنة .

(٧) وجوب الجهاد في سبيل نشر دين الله بكل ما يمكنه من مال ونفس ، حسب إرشاد داعي المطلق ، والعمل لبث رسالة الإسلام والبهضة العلمية ، والتقدم الاقتصادي .

(٨) وجوب التمسك بالشعائر الإسلامية بكل دقة - حسب المذهب الفاطمي وقفه - من الصلاة والزكاة ، والصوم ، والحج .

الميثاق :

إن أخذ (الميثاق) الخطوة هامة في حياة

لإنعاش الفن الفاطمي :

تقوم طائفة البهرة بإنعاش الفن الفاطمي العربي في العهد الحاضر ، حينما جدد الداعي الواحد والخمسون طائفة البهرة السلطان طاهر سيف الدين المسجد السيفي المنحى بالجامعة السيفية بمدينة سورت بالهند ، أمر بعمل محرابه على طراز محراب الجامع الأزهر الفاطمي ، فتم نقش ذلك المحراب من المرمر الأبيض على شكل المحراب الأزهرى المعزى القديم . وكتب الآيات القرآنية وأسماء الأئمة والدعاة الفاطميين على جدران المسجد بالحط السكونى الذى كان مستعملاً فى العصر الفاطمى . وجدير بالذكر أن الدكتور طاهر سيف الدين قد كتب بخط يده العبارة الآتية على قوس المحراب : « بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، هذا المحراب بمائل لمحراب الجامع الأزهر ، وتقد كنت زرت القاهرة المعزية فى أوائل سنة ١٣٥٦ ألف وثلثمائة وست وخمسين بعد الحج وزيارة سيد المرسلين وتشرفت بالصلاة بالجماعة فى محراب الجامع الأزهر وقد كان بنى هذا المسجد ولّى نعمتنا الداعي الأجل العلامة سيدنا أبو محمد عبد على سيف الدين ، ثم لى جددت بناء هذا المسجد وسعته وبنت فرقه مسجد النسران وفوق ذلك ثلاث منازل لدرس العلوم الحكيمية والمعارف القدسية والأدب الفاطمى وغير ذلك من أفانين

خلال ثمانية قرون من تاريخ الدعاة الفاطميين ، فى المرافق التعليمية والاقتصادية والتنظيمية ، ومنذ أن تولى منصب الداعي المطلق ، فى عام ١٩١٥ م قام برحلات فى مراكز الطائفة فى الهند وخارجها لتنظيم شئون الدعوة ، وتم تحت زعامته بناء أكثر من ٣٥٠ مسجداً ونحو ٣٠٠ مدرسة خاصة باتباعه . ومن المعاهد العلمية الكبيرة ، الجامعة السيفية ، والأكاديمية العربية ، بمدينة سورت ، بولاية كجرات . وتعتبر الجامعة السيفية مركز التعليم المذهب الفاطمى فى العالم اليوم . ويقد إليه الطلاب من أبناء الطائفة من البلاد العربية والإفريقية والأوربية وغيرها .

وأقامت الطائفة معهداً عالياً للتعليم الفنى بمدينة بومباى وذلك فى عام ١٩٦٢ بمناسبة العيد الذهبى لتولى سيدنا طاهر سيف الدين منصب الداعي المطلق ، وكذلك أنشأت مؤسسة كبرى على طراز مؤسسة فورد ، للخدمات التعليمية والثقافية والتعليمية وتشجيع البحوث . وطائفة البهرة جمعية خاصة تعرف باسم « جمعية الشباب المسلم » ورأسها نجل الداعي الراحل ، السيد خزيمه قطب الدين ، وهو شقيق السلطان محمد برهان الدين ، وللجمعية فروع فى أنحاء الهند ويختلف بلدان إفريقيا ، وتقوم بخدمات مشكورة فى سبيل نشر رسالتها واللغة العربية إلى جانب العناية بالرياضة البدنية والخدمات الاجتماعية .

الدعاة الفاطميين ، وقد قام السلطان محمد برهان الدين بزيارة للقاهرة في مارس عام ١٩٦٦ لمشاهدة المقصورة الفضية التي أهداها والده إلى مقام سيدنا الحسين رضى الله عنه بالقاهرة في أواخر عام ١٩٦٥ ، وأزاح عنها الستار رئيس الجمهورية العربية المتحدة السيد جمال عبد الناصر ، عقب صلاة عيد الفطر المبارك شوال ١٣٨٥ يناير ١٩٦٦ .

وفي ١٣ مارس ١٩٦٦ منحت جامعة الأزهر درجة العالمية (الدكتوراه) الفخرية للسلطان محمد برهان الدين تكريماً له ولوالده ولطائفة البهرة في شخصه ، وتقديراً لخدمات الطائفة في مختلف الميادين التعليمية والثقافية . وقد وجه السلطان محمد برهان الدين الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقورى ، مدير جامعة الأزهر ، للتفضل بالحضور إلى الهند للاشتراك في حفل التتويج الرسمي لعظمته (داعياً) للطائفة، وللوقوف على نشاطها في نشر العلوم الإسلامية والفقه العربية في الهند ، فتفضل سيادته بقبول هذه الدعوة ورغبة منه في الاطلاع على حياة الطائفة ونشاطها في تلك البقاع ، ومساهمة في مساعي التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وتوطيد ركن التعارف والتفاهم بين الجماعات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ؟

محمد الدين العلوانى

المدرس بجامعة الأزهر

العلوم ، ولقد اخترت بناء هذا المحراب على صورة محراب الجامع الأزهر متميماً بذلك المحراب الشريف حتى يديم اتصال بركات الجامع الأزهر بسوارى فيوض مؤسسه الإمام المعز لدين الله إلى هذه الجامعة السيفية أبداً ، وهذه الجامعة كان أسسها سيدنا هبة على سيف الدين ثم إلى شبيبتها بنشر فنون العلوم وتهذيب طلبة العلم بالأدب الفاطمى . حررت هذه العبارة وأنا مملوك آل محمد الفاطميين الطاهرين وداعيتهم أبو محمد طاهر سيف الدين سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هـ .

السلطان برهان الدين :

ولد الداعى المطلق الثانى والخمسون لطائفة البهرة السلطان محمد برهان الدين في ٦ مارس ١٩١٥ م أى بعد أربعين يوماً كاملة من تولي والده المرحوم الدكتور طاهر سيف الدين منصب الداعى الواحد والخمسين .

ولما بلغ محمد برهان الدين من الخامسة عشرة أخذ الميثاق ثم منح لقب «برهان الدين» وهو لقب يمنح لشخصيات بارزة في سبيل هذه الدعوة ، وفي عام ١٩٣٠ م رشحه والده خلفاً له لمنصب الداعى المطلق ، بعد وفاته .

وفي ١٢ نوفمبر ١٩٦٥ توفي السلطان طاهر سيف الدين بعد أن قاد الطائفة مدة خمسين عاماً كاملة وهى أكبر مدة قضاها داع فى تاريخ الدعوة الفاطمية . وتولى من بعده زعامة الطائفة نجله وولى هبه محمد برهان الدين ، فأصبح الداعى المطلق ، رقم ٥٢ ، وسلسلة

أثر الأزهر في الحركات الشعبية للدكتور إبراهيم على شعوط

- ٢ -

لم يجد صمود الأزهر لكل ألوان التمرد ، لم يجد نابليون بدا من مغادرة مصر راجعا إلى بلاده ، تاركا قائده «كليمير» يعمل على إخضاع المصريين لحكم فرنسا ، ولكن الأزهر الذي أوجع الثورة ، ولجأ براكين الغضب على المستعمرين الدخلاء ، لم يجد بدا من أن يحمل الحنجور بيده لينغمده في صدر خليفة نابليون ، ويضع حدا لهذا الاستعمار الذي يحرق بمقدرات المصريين ، وكان الذي يمثل الأزهر في دور الخلاص الأخير هو الطالب الأزهرى «سليمان الحلبي» الذي قدم نفسه مختارا ليكون فداء لدار الإسلام التي دنستها أقدام الطغاة من أهل الصليب وأغلق الأزهر ليشهد مصرع الفتى سليمان الحلبي ، الذي لقي الله وهو يتمم لرصاص الفرنسيين حين اخترق صدره بوحشية ليس لها نظير .

ورحل الفرنسيون عن مصر وهم يحسبون كل صيحة من الأزهر عليهم . وفتحت أبواب الأزهر لطلابه وعلماؤه ليصنعوا من جديد المستقبل الكريم لهذه الأمة ، وبكونوا من النشء الجديد فتية آمنوا بربهم واقتنفوا بوطنهم ، واستعذبوا الموت في سبيله .

وكان هذا المجهود وتلك القيادة الأزهرية ، اضطرت الحملة الإنجليزية أن تغادر البلاد بعد الفضل الذريع الذي لقيته في مصر من كافة الجماهير .

علماؤه الأزهر يفرضون رغبتهم في تعيين الوالى :

ولما استقرت قيادة الشعب في أيدي العلماؤه ، أصبح من حق الشعب عليهم أن

ومن خلال الأحداث في الثورة العراقية وضع دور الأزهر ورجاله فيما قاموا به من أعمال جليلة ، وتمخضت الأحداث عن ثورة دينية عارمة ، مشى على هديها الأزهر واستضاء بنورها . ثم انضجت في صدور الأزهريين مع في الجهاد الحق الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ،

وحمل شباب الأزهر مشعل النور في طريق القيادة الشعبية ، وأعلنوا حربهم ضد الحكم المستبدين ورؤسائهم الرجعيين ، فكانت الخطوة الأولى في طريق الجهاد والتحرر لإعلان ثورة ضد الهيمنة ضد العباسي شيخ الإسلام والمطالبة بخلافة لأنه لم يستطع إصدار فتوى بوجود الحكم الدستوري في البلاد خوفاً من بطش الخديوي توفيق ، وتم خلع الشيخ محمد العياشي من مشيخة الأزهر ، ونادى العلماء الأحرار بوجود انتخاب شيخ جريء للسادة المالكية ، وفهلاً انتخب الشيخ هليش وتولى رئاسة السادة المالكية بالانتخاب لا بأمر من الخديوي كما جرت العادة ، واعتبر انتخاب الشيخ هليش الذي هرف بالصرخة التامة والوطنية الصادقة مظهراً من مظاهر قوة علماء الأزهر ورسوخ قدمهم في الوطنية .

ولقد حقق الشيخ هليش أمل الأزهر

بمختاروا لهم الحكم الذين يتوسمون فيهم العدل . وكان محمد علي معروفًا لدى علماء الأزهر بشجاعته وحب للخير ، فقرروا أن يرلوه على مصر ، بعد أن أخذوا عليه العهد والمواثيق أن يسير في الناس سيرة حسنة ، ثم طلبوا من الخليفة العثماني أن يوافقهم على اختيارهم لمحمد علي ، فنزل الخليفة على رغبة العلماء .

وفي حفل بهيج اجتمع فيه العلماء بوصفهم ممثلين للأمة وألبسوا محمداً علياً خلعة الإمارة هلى مصر ، ولكن محمداً لم يحفظ هذه اليد للصريين ، ولم يضمم الخضر للعلماء الذين ولوه ، فكانت بينه وبين السيد عمر مكرم وإخوانه العلماء عداوة صارخة أتت إلى نفي السيد عمر مكرم بعيداً عن القاهرة كما شرد باقي العلماء بأسلوب الخديعة والغدر وبقيت هذه العداوة في صدور العلماء متأججة على أسرة محمد علي ، يتحينون الفرصة للتخلص من حكمهم وتقويض عرشهم فلما كانت الثورة العراقية سنة ١٨٨٢ م وهلى وأمسها الزعيم أحمد عرابي الذي تخرج في الأزهر ، وأنتم دراسته الحربية ، كان العلماء هم سنده الذي يسند ويؤيد أزره ، فظهرت شخصيات أزهرية أمثال السيد محمد باقر القديم خطيب الثورة العراقية وزعيم الصحافة الحرة ، والشيخ محمد عبده المصلح الاجتماعي الكبير .

أهم هذه الاجتماعات الاجتماع الذي عقد في الأزهر على هيئة مؤتمر وطني ، وتماقب الخطباء فيه ، وعلى رأسهم السيد عبد الله النديم ، ثم قرر المجتمة عون الاحتجاج على معاملة درويش باشا للعلماء وإبداء السخط على سياسة الحكومة ، وقد ترتب على هذه الحركة أن سحبت المقترحات الأوربية التي أثارته هذه الاضطرابات ، وعادت البعثة التي جاءت من أوروبا للحصول على موافقة الحكومة بعد أن واجهتها الأمة بهذا الموقف .

ولما فشلت الثورة العرابية التي كان علماء الأزهر يمدونها بالوقود كان من الطبيعي أن تصب عليهم اللعنات ، ويساموا كل أنواع العذاب .

وفي هذه الشدة ، وفي المواقف الحرجة . ظهرت بطولات أزهرية ، صورت مدى عمق الإيمان بالفسكرة ، ومداد الصبر على المسكاره ، والشجاعة المنقطعة النظير من علماء الأزهر مع عليهم بأن حبس المشقة تنتظر أمة أتهم .

من هؤلاء : الشيخ د حسن العدوي ، الذي وجهت إليه تهمة الاشتراك في الفتوى بعزل الخديوي توفيق ، وهذه التهمة كذبية بأن تؤدي إلى الإعدام ، فلما استمدعى من السجن إلى المحكمة ، وسئل : هل أقتيت بعزل الخديوي ؟ قال : لم أف ، ومع هذا :

وطوائف الشعب في كبار العلماء ، فأصدر فتوى بجعل قداسة الدين وعظمة الأزهرين ونصها د بما أن الخديوي قد حاول أن يبيع البلاد الأجانب وأطاع إشارات قناصل أوروبا فإنه لم يعد يصلح لأن يكون والياً على المسلمين المصريين ويجب لذلك خلع ،

وصدق على هذه الفتوى جميع علماء الأزهر وأرسلوا بها الشيخ محمد خضير أحد العلماء الذين هربوا بالجرأة ومعه عدد من الأعيان إلى درويش باشا ، الذي انتدبه الخديوي لمقابلة وفد العلماء والنظر في العريضة التي يحملونها معهم وما فيها من فتوى العلماء بخلع الخديوي .

وكانت هذه العريضة موقعة من عشرة آلاف من علماء الأزهر وطلابه وتتضمن العريضة مطالب قومية ، وأهدافاً وطنية تتلخص فيما يأتي :

أولاً : رفض طلبات الدول بالتدخل في شؤون مصر السياسية والمالية .

ثانياً : خلع الخديوي الذي عجز عن تحقيق رغبات الشعب ومالاً الأجانب .

وكان من الطبيعي أن يستعمل درويش باشا ، كل أنواع العدة مع العلماء ويلحق صنوف الأذى بالأزهريين ، وأحس الشعب بما يصنع علمائه ورجال الدين في بلده فثاروا الخواطر ، وعقدت اجتماعات ومؤتمرات وطنية في القاهرة والإسكندرية ، وكان من

فيه منبرا وخطيبا ، يبعث بكلماته الضاربة في نفوس أبناء هذا الشعب جذوة الوطنية ، ويرسم لهم طريق البذل والتضحية والفداء . وفي كل يوم تخرج الحشود الشائرة من الأزهر لتعلن اسقياءها من الاحتلال الإنجليزي وجيش الإنجليز يتعقب هذه الجيوش مدافع الرشاشة ، يحدد بها أبناء الأزهر الذين خلت أيديهم من السلاح ، وفي كل شدة وفي معصاة كل ثورة يقدم الأزهر أبطالاً آمنوا برهيم ، فاحتقروا الجيش الإنجليزي وسلاحه وراحوا يستقبلون رصاص المدافع بصدورهم ، ويذكر الشهود الذين شاهدوا هذه الثورة أن شباباً أزهرياً دفعته وطنيته إلى أن يحارل الهجوم على مدفع من مدافع الإنجليز ، فألقى بنفسه على حراس المدفع ، واغتصبه فعلا من الحراس ، ولكنه لم يكف بوجهه إلهم حتى أصابته رصاصة من بندقية أخرى فأردته قتيلاً بعد أن سجل بطولة الأزهر والأزهريين .

وهكذا مضت ثورة ١٩١٩ م في طريقها قوية جبارة ، يغذيها الأزهر ، ويفتح أمامها أبواب الأمل في نصر حاسم وفوز أكيد ، وفي الوقت الذي كان فيه معظم حصاد المدافع الإنجليزية من الأزهريين كانت طلائع الأزهر في كل مكان من الوطن المصري ، يقطعون السكك الحديدية وخراطم القلبيونات ، ويلقون القنابل على معسكرات العدو ،

إن جئتكم في الآن بفتوى بذلك فأني أوقعها لأنكم لا تستطيعون أن تذكروا أن الخديوي توفيق مستحق للعزل لأنه خرج من الدين والوطن ،

فأي شجاعة هذه وأي إيمان لرجل في موقف يتوقع فيه الحكم عليه بالإعدام ، ومع ذلك يؤثر الموت شهيداً على أن يكتم الشهادة وقد حكم عليه بتجريد من جميع رتبته وامتيازاته . وهكذا أثبت الأزهر أنه جدير بأن يحمل المشعل في يده ، والمدفع في اليد الأخرى ليذك صروح الظلم ويرد كيد البغاة المتجبرين . ولما كانت ثورة سنة ١٩١٩ م كان المنصر الأزهرى هو عمادها وجوهرها ، فقائدها سعد زغلول ابن الأزهر ، الذي سواه خطيباً وأقامه زهياً ، فما كاد خبر هذه الثورة يصل إلى حلقات العلم في الأزهر حتى تبناها وفتح صدره لإمدادها بالوقود واللب ، واعتبر الشعب المصري أن المهدي الطبيعي لهذه الثورة هو الأزهر ، لأنه يعلم أن جميع ثورات مصر وفوراتها كانت تصدر عن الأزهر ، وتشتمل فيه ، ويتولى شيوخه الأفاضل الإشراف عليها وتوجيهها إلى الغاية المرجوة . ونجاة رأى الشعب بعينه أن الأزهر بيت الله يشتعل حماسة ، وتأنجج فيه الوطنية المحبوبة ، وتلتقي فيه هشرات الألوف من القلوب الشائرة ، وأصبح رواد الأزهر يقصدونه في أوقات النهار والليل فيجدون

الخاصة لسلطان الإنجليز وقد أصبح الشيخ محمود أبو العيون حاكماً عاماً للعاصمة ، وكان مقر منصبه مسجد المؤيد ، ومنه تصدر بين الحين والحين القرارات والتعليمات التي استقر عليها رأى الحكومة بحاجس الثورة الأزهرى ، فينقلها الناس وينفذونها في رضا واطمئنان .

الفن الأزهرى في الثورة :

لقد ألقى الأزهر بكل ثقله في الثورة وسخر إمكانياته في سبيلها ، فلما وجد أن الثورة وجدان ناثر وهواطف ملتبة وأعصاب مشدودة أفسح للفن طريق وقدم الفنان سيد درويش أحد أبناء الأزهر أيضاً فاندفع سيد درويش في تيار الثورة الجارف بكل قوة فكانت أغانيه وأناشيده تزيد الثورة اشتعالاً ، وتفعل في الجماهير كما كانت تفعل كليات أحمد سعيد في معركة بور سعيد .

الأزهر في العدوان الثلاثى :

كان للأزهر جهاد جري به طاقات الشعب كلها وألهم به حماس النفوس حتى اشتعلت المعركة وارتفع لهيها ، فأخذ الشعب يلتهم أعداءه من غير وعى كالأسد المسعور ، والأزهر من وراء المجاهدين ، يعطى الشباب شحنة الحراس ، ويحييهم في الموت ويعرض عليهم منازل الشهداء عند ربهم ، حتى لم يبق وجل ولا امرأة ولا طفل إلا وقد بذل في هذه المعركة جهداً مشكوراً .

ويشتركون في اغتيال الإنجليز على غرة ، ويصيدونهم من الطرقات كما تصاد المصافير وظهر في الشعب مجموعة من الوطنيين كانت هوياتهم الوحيدة هي قتل الإنجليز أينما كانوا .

قيادات أزهريّة في ثورة ١٩١٩ م :

هذه القيادات رشحتها هواهب مختلفة فمنهم من رشحته موهبة الخطابة والتأثير في الجماهير أمثال الشيخ أحمد يوسف الذى لم تعرف المنابر إلا القليلين من أمثاله فصاحة وقوة في التعبير ، وفهماً حقيقياً للثورة ، وإدراكاً كاملاً لمقتضياتها ، ونزوعاً دائماً إلى إلهاب هواطف العامة وشعور الجماهير ، ومنهم من رشحه مكانه في الدرس والتوجيه أمثال المرحوم الشيخ مصطفى القاياتى الذى كان درسه في الأزهر عبارة عن تدريب الشباب على اعتناق روح الفداء والنضحية ، ولهذا كان اسمه بارزاً في كثير من المحاكمات الإنجليزية بتهمة التحريض على اغتيال الإنجليز في كل مكان .

الحكومة الأزهريّة :

ولعل من أهم ما يلفت النظر في ثورة سنة ١٩١٩ م أن علماء الأزهر الذين منهم الشيخ مصطفى القاياتى والشيخ محمود أبو العيون والشيخ على الزنكلونى ، والشيخ هبدره مفتاح ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، ألفوا حكومة مستقلة في قلب القاهرة يخضع لمبادئها الوطنيون ، ولا يترفون بالحكومة

تأثير ابن خلدون في أسلوبنا المعاصر

دكتور محمد رجب البيومي

إذا قرأت كتاباً أندلسياً وجدته يتحدث عن ابن خلدون علماً من أعلام الفكر الأندلسي؛ وإذا قرأت تاريخ الأدب المصري في عصر المماليك وجدت الحديث عن ابن خلدون قطبا من الاضطراب بوادي النيل، وإذا ألممت بالحركة الفكرية في المغرب شاهدت ابن خلدون قائداً من كبار قادتها في تونس؛

وذلك يؤكد منزلة هذا العملاق في الفكر العربي، وحرص كل قطر من الاقطار على نشر أبحاثه، ونحن هنا نتابع الأستاذ أحمد أمين في عده أندلسيا، لأنه كما قال في ظهر الإسلام ج ٣ ص ٢٢٥ من أصل أندلسي بأشبيلية وهو وإن ولد في تونس فقد درس على علماء أندلسيين، وأقام بالأندلس زمناً

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ولم يقتصر دور الأزهري في العدد، إن الثلاثي على التجهة الروحية والخصائص الالطيفية بل إنه اشترك في المعركة بكتابة ضخمة من طلاب الأزهري المدربين على القتال.

ولقد كان لشعور السيد رئيس الجمهورية بمكانة الأزهري في الثورات السياسية أمر كبير في لجوئه إلى الأزهري، وإرسال نداءه للعالم الإسلامي من منبر الأزهري، فاستجابت لهذا النداء أمة العرب والإسلام.

دور الأزهري في حرب اليمن :

في اليمن كان للأزهري دور خطير في دفع الشجاعت والنهم الموجهة ضد الجمهورية العربية المتحدة التي كان ينشرها بين الشعب اليمني خصومهم من الرجعيين وصنائع الاستعمار

وهي تهمة المروق من الدين والسير في طريق الشيوعية . فكان العالم الأزهري ببنائه وقوة إيمانه، وتمكنه من المعرفة بالإسلام يقنع السامع، ويحمل الشاهد على أن يبلغ الغائب أن رسالة الإسلام يحمل مسئوليتها الأزهري، وقيادة العالم الإسلامي تضطلع بها الجمهورية العربية المتحدة .

وهكذا حتى وقر في أذهان اليمنيين أن الأزهري حصن حصين للدين يقوم أركانه ويحمي حماه .

هذا هو الأزهري وهذا هو بلاؤه في القيادة الشعبية حين قشفت الأزمات، وينادي منادى الجهاد؟

دكتور إبراهيم علي شعوط

أستاذ التاريخ المساعد بجامعة الأزهر

مشاكل ، أو تعرف قدرهم أمهم ، فكانت حياتهم بين الأمة التي عاشوا فيها كلها شقاء ومحنة ، فقد أداه نفوذ خاطره وصدق نظره إلى الاهتمام إلى كثير من علل الحوادث التي تنتاب الاجتماع البشري وعرف ما بينها من الارتباط والقياس ، حتى وفرت في نفسه بصور قوانين عامة وأقيسة مطردة ، سال بها قلبه دون أن يفتن لها أهل قرنه ، ولم يشكك في سرها ، ويتضح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع إلا بعد انقضاء عدة قرون .

ولم يكن الانتفاع بمقدمته وأسلوب كتابته فيها في وقت أظهر منه في العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون المرسل المجرد عن تكلف البديع والمحسنات اللطيفة في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية هو القدوة الحسنة للمصلحين والمجددين للنهضة الأدبية والعربية والسياسية من كتاب العربية في مصر والشام وتونس وخاصة من ألف منهم في مثل موضوعاته أو كتب في الجرائد والمجلات المطبوع من الكتب ولأنه أرحب أسلوب أدبي على للنقلة والمتوجين عن اللغات الأجنبية المحافظين على أصل المعنى ، فهو الأستاذ الأكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الأخيرة .

هذا ما قاله أستاذنا السكندري ينقله عنه

من أحفل حياته ، فالاندلس به أولى وقد عاش بمصر غريبا في زيه وطباعه ولهجته ، حتى إذا وفد مع علمائها على (قيمور لك) قارن بينهم وبينه في المظهر واللهجة ، ولولا مخالفته لإيام في مرأى العين ما لفت نظر الطاغية التتري لأن الحديث كان جماعيا من طريق التزجاء ؛ وهو مما يؤكد أن الرجل لم يتمصر فيه - كسببه المشرق - على أننا نتحدث عنه الآن لنبرز أثره القوي في نهضة مصر الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - لك أن تعجب معي كيف عاش ابن خلدون في القاهرة ، وشرح العلم بالأزهر وتولى قضاء المسالكية عدة مرات وتنقل في شتى مدنها ليرعى شئون منصبه ، ويحصى حصاد أوقافه ثم لا يؤخر ذلك في حياته تأثيرا ذابا حتى إذا مضت القرون ، وأقبل هصر البحث كانت مقدمة ابن خلدون صاحبة التأثير الزمان فتضع للكتاب أسلوبا جديدا ، وللكتابة منهجا واضحا الأغراض .

لقد مكث الأستاذ الكبير المغفور له الشيخ أحمد الإسكندري أستاذا للأدب العربي ثلاثين عاما بدار العلوم ، وهو في كل عام من أعوامه الثلاثين يملئ على طلابه هذه الفقرات من مذكراته الشهيرة عن الأدب العباسي .

وكان ابن خلدون أحد نوابغ العالم الذين عاشوا أفذاذا في عصور مظلمة لم يعضدهم فيها

وأخذ يعمل كيت وكيت ، ، وهذه الشروط تتوفر في ، ديوقنا على كذا ، وهذا الأمر وإن كان كذا إلا أنه كيت وكيت ، ، وإن كانا يقبل منه الخلسا ويحتذى دون مناقشة فذو سيطرة بعيدة النفوذ ، وإذا كان من المعتول أن نجعل صوابه دليل سبقه فإن من الطريف هنا أن يكون خطأه كذلك يتضمن هذا الدليل ، .

ولإيضاح تأثير المقدمة في النهضة الأدبية المعاصرة . فذكر أنها طبعت لأول مرة بمصر سنة ١٨٥٧ م ، وكانت الأذهان إذ ذاك متطلعة إلى عهد جديد تلوح تباشيره فيما أحقب احتكاك مصر بالحضارة الأوروبية في عصر إسماعيل ، ثم جاء جمال الدين الأفغاني لينشر أفكاره عن الاستقلال والحرية والكرامة ومحاربة الاستعمار والتجبر وحكم الفرد بما يؤدي إلى فساد العمران كما يقول ابن خلدون : وقد وجه الثائر الأفغاني تلاميذه ، إلى السكناية السياسية في محاربة الاستبداد والتجبر ، والنهي على الطغاة من المحتلين وصنائعهم من الحاكمين . فاتجه الأدب العربي من ناحية المضمون ووجه جديدة بعد أن كان مقصوراً على المراسلات الإخوانية والأوصاف الإنشائية التي تقف عند الظواهر التافهة دون أن تعمق إلى الدقة والتحليل ، وبدأ الأدب الاجتماعي المصالح والتفكير السياسي الثائر يأخذ طريقه إلى الاسماع مقلداً أسلوب ابن خلدون في ترتيب

تلميذه الباحث المفضل الأستاذ محمود رزق سليم في المجلد السادس من موسوعته عن عصر المعاليك ثم يقول تعجباً عليه ص ٢٢٥ .

ولا ريب في أن أدباء النهضة تأثروا - إلى جانب ما تأثروا به - بأراء ابن خلدون ومنها آراؤه في نثر معاصريه فكان لذلك أثر مضاعف جعلهم يتجهون لأسلافهم وينظرون إليهم نظرة عابسة ، ويرمون أدبهم بالضعف والانهطاط ويثأبون على دراسته وإذا أخذوا في دراسته أخذوا وآراء ابن خلدون مسلطة على عقولهم فيدرسونها وأقلامهم لوثة من هذه الآراء ، وبدهى أن تأتي الفتيحة وفق مقدماتها ، والأحكام وهن مقوماتها ، وللدكتور على عبد الواحد وافي ملاحظة طريفة في هذا المجال فقد رأى أن أخطاء ابن خلدون الأسلوبية في المقدمة قد انتقلت أيضاً إلى أقلام كتابنا وكأنها صواب لا يقبل التصحيح مما يدل على الثقة المفرطة في قدرته والولوع الهائم باحتذائه والدكتور يبسط بعض هذه الأخطاء حين يقول ص ٢٤٨ من كتابه عن ابن خلدون .

وبلاحظ أن أسلوب ابن خلدون قد انتقل إلى كتابنا جميع ما فيه حتى بأخطائه نفسها ، فن ذلك مثلاً التراكيب المخطئة الآتية : ، لا بد وأن ، ، لا يترك شيئاً إلا وأحصاه ، ، لم يقتصر على هذا بل

تلاميذه الأفغانى ذكرأ وأصحهم فكرة ، وأقومهم طريقة ، فسقتخذ من أسلوبه دليلا على تأثير ابن خلدون فى الحركة الأدبية لعهدہ إذ أنقل هنا أثرين موجزين من آثاره : أحدهما قد خطه الإمام فى مطلع شبابه قبل أن يقع على أسلوب المقدمة ، وثانيهما بما كتبه الأستاذ بعد أن فصح فكره واستوى هلى-وقه . ونفحت عليه المقدمة الخلدونية من سدادهما الصائب ما أحكم نسجه وأوثق عراه . كان شيخ محمد عبده - لأول عهدہ بالكتابة - يفترمقالاته بجريدة الأهرام ، فيتم بالمقدمات الطويلة وينتاول الأغراض العسائوية ، ويحرص على الصيغ البديعى لا يشذ عن طريقة معاصريه متأثرا بمشاهيرهم فى التفتيق والتلفيق كأن يقول فى موضوع عن الكتابة والقلم سنة ١٨٧٦ (وما انتشر نوع الإنسان فى أقطار الأرض ، وبعد ما بينهم فى الطول والعرض ، مع ما بينهم من المعاملات ، وموائيق المعافدات ، أحاقوا إلى التخطاطب فى شئونهم مع تنائى أمكنتهم ، وتباعده أوطانهم فكان لسان المرسل إذ ذاك لسان البريد ، وما يدريك هل حفظ ما يبدى المرسل وما يعمد ، وإن حفظ هل بقدر على تأدية ما يريد ، بدون أن ينقص أو يزيد ، أو يبعد القريب أو يقرب البعيد ، فكمن رسول ، أعقبه سيف ملول ، أو هنق مغلول أو حرب تخمد الأنفاس ، وتعمر الأرماس

المقدمات واستخلاص النتائج ورصد الظواهر وتعليقها ؟ وإذا كان ابن خلدون قد تحدث فى مقدمته عن السياسة والملك وعاقبة الترف وأثر الظلم والاضطهاد وحكم الفرد وحرر الدولة وأسباب فنائها وتدميرها ، وبني السلطان ورياء الخاشية فإنه بذلك قد أمد تلاميذه جمال الدين بأكثر ما يبتغون ، وأضاح أفكارا صائبة فى الحرية تسيل بها الأفلام فى أنهار الصحف موقظة داعية ، فوجد دعاة الثورة سبيلا مقيدا للأقول فأفرغوا حماسهم فى انجابه ، أما من ناحية الشكل فقد انطلق أسلوب ابن خلدون مسترسلا سيمحا دون قيد بديعى أو حلية لفظية ، فقدم بذلك الأنموذج المختار لما يريد جمال الدين ، ومضى تلاميذه يحاكونه عذوبة واسترسالا ؟ فتحرروا من أوماق السجع والازدواج ، وكسروا قيود الجناس والطباق ، وساعدوا على هذا النهج المتحرر ما يذكو فى صدورهم من لبيب الحرية والعزة إذ أن الجذوة الملتببة التى أذكاه جمال الدين فى نفوس تلاميذه وهم صفوة الأدباء لعهد كانت أعظم من أن يحمدا شرارها تحت رماد التكلف للفظى والعبث البديعى ! وما بقى لدينا من آثار جمال الدين على عجمته قريب من منهج ابن خلدون على عربيته - فى السرد والاسترسال ! !

وإذا كان الأستاذ الامام محمد عبده أنه

والثورة ، وفتح لها أبوابا للتفنن في الصنائع والحذق في جميع لوازم الحياة ، وبعث في أفراد المحكومين روح الشرف والنخوة ، وحملهم على التحلي بالازايا الشريفة من الشهامة والشجاعة وإباء الضيم ورفعهم إلى مكانة عليا من العزة ، ووطأ لهم سبيل الراحة والرفاهية وتقدم بهم إلى كل وجه من وجوه الخير . وإن كان حاكمها جاهلا سىء الطبع سافلا الهمة ، جبانا ضعيفا رأى أحق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الأمة بتصرفه إلى مهاوى الخسران ، وضرب على نواظرها غشاوات الجهل ، وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر ، وجار في سلطته عن جادة العدل ، وفتح أبوابا للعدوان فيتغلب القوى على حقوق الضعيف ، ويختل النظام ، وتفسد الأخلاق ، وتخفض الكلمة ويغلب اليأس فتسند إليها أنظار الطامعين ، وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الأمة ، عند ذلك إن كان في الأمة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها ، وتعاونوا على اجتناب هذه الشجرة الخبيثة واستنصال جسدورها ، قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها الصامة القاتلة بيد جموع الأمة فتميتها وينقطع الأمل من العلاج ؟

محمد رجب البيومي

ومع ذلك كان خلاف المرام ، ورمية من غير رام ، فالتجسوا إلى استعمال وقم القلم ، ووكلا الأمر إليه فيما به يتسكلم .

فما ترى في أسلوب الشيخ غير أنه يعترك في غير ميدان فيتحدث عن فضيلة الكتابة بالقلم كأنها من الخفاء بحيث ينفه عنها في مقال سيار ، يتخذ له من الأسجاع حلى موشاة يظنها تحدث أقوى الرنين في الأسماع . وأعمق التأثير في النفوس ... لقد كان من حظ الأدب دون نزاع أن يعدل عن أسلوبه هذا غرضا وتعبيرا إلى أسلوب إصلاحى حتى - يتحدث عن ظلم الراحة وبغى الحاكمين - قريب من نهج ابن خلدون إذ يقول في العدد الرابع عشر من مجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها بباريس مع أستاذه جمال الدين : (إن الأمة ليس لها في شئونها حل ولا عقد ؛ وإنما هي خاضعة لحاكم واحد ، إرادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، قتلك أمة لا تثبت دلى حال واحد ، ولا ينضبط لها سير فتعورها السعادة والأشقاء ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الغنى والفقر وكل ما يعرض عليها من هذه الأحوال خيرا وشرها فهو تابع لحال الحاكم ، فإن كان حاكمها أصيل رأى على الهمة رفيع المقصد ، قويم الطبع ، ساس الأمة بسياسة العدل ورفع فيها شأن العلم . ومهد لها طريق اليسار

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّار

- ٩ -

بينما نقرأ ذلك ، نقرأ لآخرين - وهم كثير - من كبار المفكرين ، أنهم يعدون كل هذه الأمور من المغنطيسية الحيوانية ، وتحريك الموائد ، وتحضير الأرواح ومغاجاتها والتنويم المغنطيسي ، والتخاطب بالدقات والنفقات الروحانية ، والكشف ، وما إلى ذلك ، يعدونه من الحرافات القعصة ، والأوهام الخادعة وكلها ليست إلا نتيجة خطأ في الملاحظة يمتزج أحياناً بالتزوير المتعمد على عقل بسيط جائح للتصديق^(١) . ثم نرى فريقاً ثالثاً من الباحثين أيضاً لا يصدق ولا يكذب . ومن هؤلاء المرحوم الأستاذ عباس العقاد الذي يرى أن حق الفكر الإنساني في قبول هذه الظواهر أرجح جسداً من حقه في إنكارها ، فلا استحالة في ظاهرة من هذه الظواهر غير مستثني منها النادر المستغرب بالغاً ما بالغ من الندرة والغربة في جميع الأزمان

ويؤكد ذلك في موضع آخر من كتاب (الله) فيقول : وما من حقيقة علمية الا وهي تطوى في سجلها تاريخاً طويلاً من توارىخ

الروحية الحديثة والفرآة العلميم : اتسعت الابحاث الروحانية ، وكثر انصارها المؤمنون بها ، المدافعون عنها ، والناس في شأنها بين مصدق ، ومكذب . وبين مأخوذ بها ، وساخر منها .

فبينما نرى أحد المؤمنين - من رجائنا - يؤكد أن العلم الروحي قد أصبح علماً تجريدياً لا لبس فيه ، ولا غموض ، ونرى آخر - من علماء أوروبا - يقرر بكل ما في وسعه من قوة أن التواصل بين الأحياء والموتى لا شك فيه ، وأنه هو في حالات كثيرة تحدث ونافش الموتى ، واستمع إلى أحاديثهم ونقاشهم مع من كانوا يحضرون معه ، وأن هؤلاء الموتى بالذات هم الذين طلبوا للحديث^(٢) ، ونرى - أيضاً - أحد أعضاء الجمعية الملكية البريطانية يعلن : إنى أقول لكم بكل تأكيد : إنى أعرف أن بعض أصدقائي المتوفين مازالوا موجودين لأنى قد تكلمت معهم .

(١) على حافة العالم الأثيرى . تأليف هـ آرثر فندلاى ترجمة أحمد فهمى أبو الخير ص ٣٥ .

(٢) كتاب (الله) للأستاذ العقاد ص ٤٢ بتصرف

البحث لإتمام أعمالهم هنا ... إلى آخر هذه المقالات .

وليس بجشنا هذا في مدى صدق هذه الآراء ،
وبعد ما أقر بها من الحقيقة ، وإنما بحث
في شيء خاص ، ذلك هو محاولة بعض
المشتغلين بالأبحاث الروحية من المسلمين أن
يربطوا بين هذه الأبحاث وبين القرآن الكريم .

وإذا كانت استنباطاتهم تستقيم في بعض
الاحايين فإنها تنحرف في أحيائين أخرى ،
ونحن لا نحب لأحد أن يعتسف في تأويل
آيات القرآن بما يظن أنه المراد بهذا الرأي
أو ذاك . فالقرآن عربي مبين ، هكذا أنزله
الله تعالى على العرب بلغة يفهمونها ، وليعملوا
بما فيه ، وقد فهموه ، وعمل منهم من حمل ،
وما كلفهم الله إلا بما فهموه من معاني القرآن .
فمحاولة التحمل في تفسير آية من آياته لتدل
على شيء خاص بما أظهرته هذه الأبحاث
الروحية غير مأمونة العواقب ، وربما أدت
إلى أن يوصف الباحث بأنه يقول هلي الله
ما لم يقله سبحانه .

ولقد قرأت بعض ما أغرب به فريق من
هؤلاء الباحثين في تفسير بعض الآيات فما
سرتني ما صنعوا .

وقبل أن أسوق أمثلة من هذه الإغرابات
أحب أن أثبت هنا لمحة من لمحات المفسر
الكبير غفر الدين الرازي ، أراها مناسبة كل
المناسبة لما نحن بصدد الآن .

الاحتمال ولرجاء والأمل في الثبوت ، وإن
تكررت ذراعي الشك بل دواحي القنوط (١) .

ويقول : ولا يشعر العالم اليوم أنه يعطي
العلم حقه من الوفاق حين يبتدىء بالإنكار
في هذا المجال أو يرجع الإنكار بغير دليل
قاطع يقاوم أدلة التصديق فن لم يقبلها من
من العلماء لم يأنف من اعتبارها صالحة
للقبول ، مع توافر الأدلة ، وتمحيص التجربة
من الوهم ، وخطأ الملاحظة (٢) .

وهذا كلام جميل ، وهو أوسط كلام
وأهدله في مثل هذا الموضع ؛ فالمسألة ترجع
في كل شيء إلى قدوة الأدلة وضعفها .

غير أن الأساس الذي بنى عليه الروحانيون
أبحاثهم لم يقم عليه - إلى الآن - أي دليل
إلا الادعاء ، فهم يقولون : إن للإنسان
جسمين ، أحدهما مادي هو الذي نراه ،
والآخرى أثيرية لا يمكن لمسه ولا رؤيته ،
وإن كان مادياً ملبوساً بالنسبة للعوالم الروحية
التي يعيش فيها .

والموت - عندهم - هو انفصال الجسم
الائثري عن الجسم المادي ، ثم يوغلون
في الغرابة فيؤكدون أن الأجسام الاثيرية
تعيش في عالم كالمنا تماماً ، فيه كل ما في عالمنا
من مدارس وكلبيات ، وأن أصحاب الأعمال
العظيمة في هذه الحياة لا يزالون يواصلون

(١) للمصدر السابق ص ٤٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٢ .

وما لم يكن المراد واضحاً فإن التحمل خطأ
بين ، وانحراف لا ينبغي أن يقر لاتصاله
بكتاب الله تعالى .

جاء في بعض هذه الكتب (١) أن العلم الحديث
أثبت أن لكل إنسان هالة أى جواً أو طيفاً
يحيط بجسمه ، ويتحرك معه ولا يراه . هذه
الهالة تمتد حول الجسم بمقدار نصف المتر
أو المتر في الشخص العادي ، وتزيد عن ذلك
كثيراً في الشخص الموهوب .

ويقول الأرواح - كما يزعم الكتاب - إن
موضع العقل الروحي يرتفع حوالى عشرين
سنتيمتراً فوق الرأس .

هذا كلام لا نصدقه ولا نكذب به ، ولا
اهتراض لنا على من يقوله أو يعتقده ،
ولكن الخطأ بعد ذلك في ربط هذا الكلام
بآيات القرآن .

فؤال الكتاب يقول : إنه يعتقده اعتقاداً
جازماً أن هذه الهالة ماضية إلا جلد نوراني
للإنسان هي الجلد الذى يشهد على صاحبه في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والذي جاء
ذكره في الكتب السبائية : ، وقالوا للجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل
شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون . ،
وليس يشفع له في ذلك أن يؤكد وجود
هذه الهالة . وأنها يمكن تصويرها بأجهزة
خاصة . والجلود كلبة معروفة في لغة العرب ،

جاء في تفسير قوله تعالى : **وَن وَالْقَلَمِ**
وَمَا يَسْطُرُونَ) : القول الخامس ، إن نون
ههنا آخر حروف (الرحمن) فإنه يجتمع
من (الرحمن) (ن) اسم الرحمن - هكذا
فذكر الله هذا الحرف الأخير من هذا الاسم ،
والمقصود القسم بنام هذا الاسم ، وهذا
أيضاً ضعيف ؛ لأن تجويزه يفتح باب
ترهات الباطنية .

فالإمام الرازى يرد مثل هذا التفسير
المتعسف خشية أن يفتح للناس ضروباً من
الإغراب في تفسير القرآن الكريم ، كما كان
يفعل الباطنية ، فقد كانت لم تأويلات ليس
في باب الغرابة والتكذب أبعد منها ، فكانوا
يفسرون القرآن على ما يؤيد معتقداتهم
الفاسدة .

وقد كان الرازى دقيقاً . ومحقاً حين سعى
تفسيراتهم (ترهات) .

ولكن الحق أن هذه التفسيرات التى لجأ
إليها بعض من كتب من الباحثين الروحيين
لم تكن - فيما أعتقد - عن قصد سيئ ، وإن
كانت بعيدة عن الحق ، وأخطر ما فيها أنها
تدل على اتجاه غير محمود في فهم كتابنا العزيز .
فينبغي أن يعلم أن الزوج بالقرآن في كل معترك
يختصم فيه العلماء حول أبحاث لم تثبت بالدليل
القاطع صحتها ليس مما يؤمن معه العوالم التى
تجعل المؤول أو المفسر قائلاً على الله بغير
علم فهذه القوانين عرضة للتطور والتغيير ،

(١) كتاب (الروحانية والدين) ص ١٠ ، ١١

السماء أى العوالم الروحية لأهل الأرض ومساعدتهم . يقول تعالى : « والسماء ذات الرجوع » .

هذا فهمه ، وهذا تفسيره . فهو يريد أن يثبت النظريات الروحية بالاهتمام على قول الله تعالى ، ولهم أن يروا أن الأرواح يعاون أهل الأرض في ميادين مختلفة ، ولكن ليس لهم أن يوهموا أن هذا الذى رآه (عليهم الحديث) هو مراد الله تعالى . وللفسيرين في كلمة (الرجع) ثلاثة تفسيرات: ذات الرجوع أى ذات المطر ، ورجع السماء إعطاء الخير الذى يكون من جهة حالها بعد حال على مرور الأزمان ترجعه رجعا أى تعطيه مرة بعد مرة ، والرجع هو رجوعها شمسها وقرها بعد مضيها . وأكثر المفسرين على رأى الأول .

ولكل إنسان أن يفهم آيات القرآن - في حدود المعانى اللغوية - على ما يستطيع ذهنه أن يدركه ، ولكن الخطأ أن يتخذ القرآن وسيلة لإثبات نظريات علمية ليست في مدلولات ألفاظه ، ولم يثبت العلم صحتها بعد . وإذا كان يراد لهذه النظريات أن تروج بين المتدينين باتخاذ القرآن وسيلة من وسائل الترويج فهذا خطأ بين ، وانحراف عن الجادة لا يقره مسلم .

كما ترى نفس المؤلف يردد ما قاله زميله هن (الهالة) ويزيد عليه أنه ورد في القرآن

والله خاطب العرب بهذه اللغة المعروفة لهم ، فكيف ندعى أن للجلود معنى ليس في هذه اللغة التى خاطبوا ، وتحدوا بها . وأشد خطرا من ذلك أن الكاتب يقول : أنه يعتقد اعتقادا جازما أن هذا هو المراد ، أى أنه يحرم بمراد الله تعالى .

ثم يستطرد فيرى أنه رأى العقل الروحي أى مركز الهالة قريبا من الرأس ، وعلى هذا وجد تفسير الآيات القرآنية التى نزلت في هذا المقام - مثلا - قوله تعالى : « وكل إنسان ألومناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

ونظرة واحدة من ملاك - يقول - تكشف له هن طبيعة الشخص الذى يتولاه وعلى الأحراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام . . . ولا نكلف نفسا إلّا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظنون . . . فالسما والكتاب إنما هى الهالة التى قالت بها الأرواح .

وفي بعض هذه الكتب (١) نقرأ أن سكان العالم الروحي الذين أفاقوا وأدركوا الحياة الروحية الصحية في نشاط دائم ، وأنهم مسخرون - مع أهل السماء - لمعاونة أهل الأرض ، وأن الله سبحانه قرر عودة سكان

(١) الرسالة الروحية في القرآن الكريم .

وليس آيات القرآن هي وحدها التي استخدمت في تأييد النظريات الروحية ، بل لانهم لجأوا أيضاً إلى الأحاديث النبوية .

فالأرواح أخبرتهم بأن الطفل الذي يغادر الأرض صغيراً ينمو حتى يستكمل رجولته أو أنوثته ، فإذا ما بلغ هذا الطور ظل كما هو رجلاً كاملاً ، تام النور ، أو امرأة كاملة النور وأن له هناك مدارس وكميات وبيحثون هما يؤكد ذلك فيجدونه في قول النبي صلى الله عليه وسلم هند موت ولده إبراهيم ، وقد بلغ ثمانية عشر شهراً : (إن له لمرضعاً في الجنة) .

(وبعده) فنحن لا نريد أن ندخل في بحث تفصيل عن تفسير القرآن بالرأى أو استخدام القرآن في إثبات النظريات العلمية ، أو في الإشارة إليها ، وإنما نريد أن نقول : إنه لا ينبغي مطلقاً أن نحاول اعتساف التأويل كلما عن لنا أو لغيرنا رأى جديد ظانين أن ذلك يخدم قضايانا أو يخدم القرآن .

فما لم يكن المراد واضحاً ، يمكن فهمه على أسلوب من أساليب العرب في كلامهم فإن ضرره أكثر من نفعه .

واه الهادى لأقوم طريق ؟

على العمادى

السكرين ذكر لهذه الحالة ووصفها الله سبحانه وتعالى بأنها نور ينبعث من المنقنين : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشرأىكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » .

والأرواح تقول لهم : إن الحالة مقياس دقيق للصحة الروحية وإن فيها الألوان المختلفة من أسود إلى أحمر إلى قرمزي إلى أزرق ، وبالجملة فهي تدل رانها على جميع صفات صاحبها من أخلاق وصحة وتاريخ أى أنها (صحيحة الأعمال) .

ونحن لا نمنع أن تكون الأهمال نورا ، وأن يخلق الله نورا كهذا النور المعروف يسمى بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم ، ولكن لا يمكن أن نقول : إن هذا النور هو هذه (الحالة) التي أخبرت عنها الأرواح وخبر الأرواح عندنا وعند كثير لا يزال موضع شك .

ويعتسف هذا المؤلف فيمنع أن يكون المراد (رحمة الله) تخفيف الجزاء ، أو تكفير الخطايا . ولكننا عنده ما أرسله الله إلينا من رسالات سماوية توضح لنا الخير والشر ، وهى - كما يقول - ما حقق لنا من اتصال بعوالم الروح لنسترشد بها فيما نفعنا في مستقبل حياتنا الروحية .

وكيف نفسر مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة) ؟

الجبّال في القرآن الكريم

د. أساذ الكسور محمد أحمد النمراري

- ٣ -

الظروف لأمر من الأمور . أما الحق سبحانه الذي لا يعجزه شيء والذي بيده أمر السموات والأرض فلا يمكن أن تكون هناك مبالغة فيما يخاطب به عباده ، إلا أن ترد على لسان بعض من يحكى عنهم القرآن من الإنس أو الجن أو الملائكة . وإذن فالآيات الكريمة الثلاث ليست من المبالغة في شيء وإنما تقرر حقيقة ، من الحق أن نسبة الولد إلى الله سبحانه هي من الشناعة ومن الإجمام في جنب الله بحيث تغضبه الغضب الذي لولا حلم الله سبحانه ولولا حكمته لمجمل الله من أجله بالقيامة ليحاسنهم على ما يفترون إذ الأحداث الهائلة المذكورة في الآية الكريمة أن تقع إلا عند القيامة .

ونسبة تلك الأحداث إلى السما والأرض والجبّال في الآية الكريمة هي من الإعجاز البلاغي ومن أدلة أن القرآن من عند الله إذ ليس يخاطر ببال مخلوق أن يحكى عن السماء أنها تنفطر ، وعن الأرض أنها تنشق ، وعن الجبال أنها تهوى منهدة لقول بقوله فريق من عباده الله ينسبون به الولد إلى الله سبحانه

بقيت بعد آيات الجبال والقيامة وآيات الجبال في القصص القرآني آيات إحدى عشرة جاءت الجبال فيها بلفظها في عشر سور ست منها مكية هي : مريم والغاشية والنحل وإبراهيم والنبأ والنازعات ، وأربع منها مدنية هي الأحزاب والرحمة والنور والحج مرتبة هكذا حسب ترتيبها في نزول الوحي بها .

وآية سورة مريم هي ثالثة الآيات الكريمة (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) .

وهي آيات قد تؤخذ على أنها من باب المبالغة عند من لا يفقه كيف يكون قول من يقسب الولد إلى الله سبحانه سببا يذني السموات من الانفطار ، والأرض من الانشقاق ، والجبال من الانهداد لكن المبالغة لا تكون إلا في كلام محدودي القدرة . ما يعجزون عنه أو يعلمون أنه لا يمكن أن يتحقق بقولون عند المبالغة : إنه تحقق أو كاد ، في ظرف من

الأرض في سلك خصوصاً من حيث أثره في حياة الناس .

وأسرار الخلق، خالق الجبال، قد أمرنا في آية سورة العنكبوت أن نتعرفها وننظر فيها نظر تأمل واعتبار ، والآية هي ثالثة الآيات السكرية الآتية : ه أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت . . وهنا نلتقي بتلك العجيبة مرة أخرى عجيبة ذكر الجبال مع السماء والأرض على سواء ، وإن جاء ذكرها بعد ذكر السماء وقبل ذكر الأرض لما بين رفعة السماء وارتفاع الجبال من تناسب ، وما بين نصب الجبال وبسط الأرض من تقابل . والجبال جزء من الأرض ، فأى سر ذاك وأية حكمة في رفعها عن سطح الأرض؟ أو - إذا نظرنا إليها من الناحية المقابلة - أى سر ذاك وأية حكمة في خفض سطح الأرض من سطح الجبال ، وفي خفض سطوح الجبال بعضها عن بعض أو في رفع بعضها عن بعض كما نشاء أن نقول إن علوم الفلك وطبقات الأرض والجغرافيا الطبيعية وما لإيها من فروع العلم هي السكفية بالإجابة على ذلك وتبليانه لمن أراد التعمق ، وإلا في ما يعرفه الناس ، كل بقدر علمه وعقله ، ما يكفي للهداية إلى رب السماء والأرض والجبال .

ونستقرى بقية الآيات لئرى هل بينها

ولعل هذه الصيغة الإيجازية وخلوها من التصريح بأن الله هو فاعل ذلك كله لو كان ، لعل ذلك هو الذى ييسر حمل الآية على المبالغة عند بعض الناس لكن الآية لم تخل من إشارة إلى أن تلك الأجرام الهائلة من سماء وأرض وجبال ، لا تنفطر ولا تنشق ولا تنهد من نفسها ، والإشارة هي أولاً في المصدر المنصوب على التمييز في ختام الآية السكرية (وتخر الجبال هدا) ، والهد هو الهدم الشديد ، كما في القاموس ، والهدم لا بد له من فاعل ، ولا يقدر على هدم الجبال وهدها إلا الله سبحانه ، وإذا قد ظهر أن أحد الأحداث الثلاثة المذكورة في الآية السكرية هو من فعل الله ، فالحدثان الآخران هما من فعله أيضاً . يؤيد ذلك ويشير إليه الفعل المطاوع المسند إلى السماء وإلى الأرض لأن المطاوعة في الفعل تقتضى فعلاً متعدياً يناسبه ، وليس يقدر على شق الأرض وتقطير السماء إلا الله سبحانه فانظر إلى هذا الإيجاز في الإيجاز وفي المعنى .

وعجيبة عن الجبال في الآية السكرية ينبغي ألا تغيب عن تأليها المفكر فيها ، تلك هي أن الجبال قد ذكرت مع السموات والأرض على سواء ، فلا بد أن يكون في الجبال من أسرار الخلق ومن الخصائص ما يجعل إهدادها جديراً أن يسلك مع تفطر السماء وانشقاق

وفي هذه الآية ذكرت الشمس والقمر والنجوم بدلا من السماء ، وذكرت الجبال والشجر والدواب بدلا من الأرض ، مادام المقام ، قام تعديد كل ما يصجد لله في السكون أى كل ما يطيعه سبحانه تمام الطاعة وينقاد لحكمه أتم انقياد . لم يستثن من هذا الشمول إلا الناس ، فكثير منهم يسجد ويطيع ويلزم من هذا أن بانهم لا يفعل ، فهو داخل في الكثير الذى حق عليه العذاب . لكن هذا الكثير ليس مقصورا على الكافرين والمعاصين من الناس بل يشمل الشياطين وعصاة الجن أيضا ، وإلا لدخل هؤلاء في الساجدين المنقادين الذين دل عليهم الاسم الموصول للعاقلة في قوله تعالى : (ومن في الأرض) ، وهذا غير معقول ولا مقبول ولا يمكن أن يكون هؤلاء مذكورا عنهم مادام قوله تعالى : (وكثير - ق عليه العذاب) يمكن أن يشملهم ويشمل المعاصين والكافرين من الناس . لتكون الآية الكريمة شاملة حكم كل مخلوق خضعه الله .

وآية سورة الحج هذه تبين النتيجة العلمية لما أخبرت به آية آخر سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، الآية (٧٢) فإن الأمانة عند جمهور المفسرين فيما حكاه أبو حيان ، كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهى وشأن دين ودنيا . والشرع كله أمانة ، فهم فيما يبسـدو

ما تحققت فيه أيضا تلك العجيبة ، عجيبة ذكر الجبال مع الأرض والسماء على سواء فنجدها تحققت في أربع آيات من الفصح الباقية : مكيتين ومدنيتين - في سورة النبأ والنازعات المكيتين ، وسورتى الأحزاب والحج المدنيتين .

أما المكيّتان فالأولى هي والجبال أو تادأ ، من قوله تعالى في سورة النبأ : « ألم نجعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وخلقناكم زواجا ... وبنينا فوقكم سبعا شداداً ، .

والثانية هي والجبال أرساها ، من قوله تعالى في سورة النازعات :

« أنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغشط ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، .

وأما المدنيتان فهما آية آخر سورة الأحزاب : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، لأنه كان ظلوما جهولا ، .

ثم الآية (١٨) من سورة الحج : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس . وكثير حق عليه العذاب ، الآية .

وواضح أن موضوع هاتين الآيتين المدينتين غير موضوع الآيات المسكية الأربع : آيات مريم والغاشية والنبا والنازعات ، وإن انفصلت كلها في ذكر الجبال مع السموات والأرض أو السماء والأرض ، على سواء .

والاختلاف بينها في الموضوع كالاختلاف بينها في البيئة التي نزلت فيها ، فالبيئة المدنية غلب فيها الإسلام فلم تحتاج إلى ما احتاجت إليه البيئة المشتركة المسكية من إقامة الدليل على الله من آيات الله الواضحة الظاهرة في السكون ، ومن آياته في السماء والأرض والجبال على النحر المنجلي في آيات الغاشية والنبا والنازعات ، أما آية مريم فالتخاطب بها فيها يبدو من كان يغشى البيئة المسكية من النصارى ، والزجر الشديد الذي فيها وفي الآيات التي تليها ، يذهب بما يوسوس به المتمرعون من النصارى من أن محمداً أخذ عن نصارى مكة أو بعض رهبان الشام شيئاً مما جاء به من الدين ، لكن المهم فيما نحن بصدده أمران : أن ذكر الجبال على الخصوص وهي جزء من الأرض في آيات ست ذكرت فيها السموات والأرض أو السماء والأرض دليل ليس بعده دليل على الأهمية القصوى للجبال من ناحية ما أودع الله فيها من أسرار الخلق الدالة على عظمة الله وقوته وحكمته سبحانه ، ومن ناحية عظم أثرها في حياة الناس وحياة غيرهم مما على الأرض من

أمانة العقل والاختيار وما يقبها في الدين من التكليف ومن الجزاء فالسموات والأرض والجبال هابت أن توهب نعمة العقل والاختيار مقرونين بشرط التكليف والجزاء ، بالثبوت إن أطاعت والعقوبة إن عصت ، وآثرت السلامة والعافية في تمام الطاعة والالتقياد لمن الله فيها ، خوفاً وإشفافاً أن يضلها النظر والاختيار فتزيغ عن أمر الله فتعرض لعذابه . أما الإنسان فقد قبل أن يحمل ما أشفقت سموات والأرض والجبال من حمله ، راجياً أن يقوى على أداء ما يكلفه الله به ، عازماً أن يطيع ولا يعصى ، حتى إذا ابتلى بإبليس الذي لا يملك من قوته إلا أن يوسوس إليه ويقترح عليه الكفر والمعصية مجرد اقتراح ووسوسة لا يملك معها أن يجبره ، وهو مع ذلك قد حذر أنه له حدود مبنية - حتى إذا كان ذلك نسي العهد ، وأهمل وأساء الاختيار ، فكان ذلك منه سفهاً وجهلاً وظلماً لنفسه ولمن معه من الناس ، اللهم إلا من أعطى الأمانة حقها في الكثير الغالب ، واستغفر الله وتاب إليه كلها خدعه الشيطان من شئ من دينه فكان ممن قال الله فيهم : « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً ، ولم يكن من الكثير الذين حق عليهم العذاب .

مفتاح سر إنفاتها ولفتهم إلى عظم البعد بينها وبين الأرض ، وبين بعضها وبعض ، وإلى أن لها ليلا مظلمة غير ليل الأرض ، وإلى أن الله أخرج ضوءها أى ضوء ما فيها من شمس ونجم لا مجرد ضوء شمسها كما يقول الزمخشري وتبعه أبو حيان وغيره . والعلم قد أثبت أن نجومها شمس يتفجر الضوء منها بتفجر ذاتها كالذى يحدث في التفجر النووي في القنابل الأيدروجينية وما إليها ، بل أشد .

أما الأرض فقد لفتنا الله في الآيات الثلاث المتعلقة بها إلى أنه سبحانه بسطحها وأخرج منها الماء والمرعى بعد أن كان قد خلق السماء والأرض ، إذ خلق أحدهما يستلزم خلق الأخرى لما بينهما في اللغة من تقابل . فهما خلقتا معا لا قبل ولا بعد بينهما كما تدل عليه آيات سورة فصلت . ثم لفتنا سبحانه إلى إرساء الجبال في الأرض ، وهو أمر نرجو أن نتناوله بتبين هو ووتدية الجبال في مقال إن شاء الله . ويمكن الآن التنبيه إلى ما في الآيات الأربع المسكية حسب ترتيب نزول الوحي بها ، من مثل رائع للترقى بالناس في معارج النظر إلى آيات الله في السماء والأرض والجبال حتى أن يهتدوا إلى خالقها سبحانه ؟

محمد محمد الغمراوي

أحياء . وعلينا نحن معشر أهل القرآن أن نحيط بما عرفه العلم من ذلك ، ونكشف عما لم يعرفه وأشار إليه القرآن

هذا أمر . والأمر الثاني هو التنوع العجيب فيما ذكر عن السموات والأرض والجبال في تلك الآيات .

فأية مريم لم تزد على ذكر السموات والأرض والجبال شيئا من صفاتها أو خواصها ، لأن ما لها من الروعة في الغفوس يكفى في الزجر الذى سيقت الآية من أجله .

وآيات الغاشية لفتت الناس من السماء إلى رفعتها كيف كانت ، ومن الجبال إلى ارتفاعها عن الأرض وتماسكها ، ومن الأرض إلى كيف سطحتها الله حول الجبال .

وآيات النبأ لفت الله فيها الناس من الأرض إلى أنه سبحانه قد سطحتها على وجه يجعلها صالحة للعيش عليها والراحة فيها كما أنها مهاد للإنسان ، ولفتهم من الجبال إلى سر فيها لم يكشف الإنسان عن كنهه إلى الآن وأشار الله إلى مفتاح كشفه فشبهها بالآوناد ثم لفتهم من السموات إلى حدودها ، وإلى أنه سبحانه قد خلقها يشد بعضها بعضها شد البنيان بعضه بعضا ، بحيث لا تسقط علينا وهي فرقنا .

وآيات النازعات لفتت متكرري البعث من الناس إلى أن الله بناها - وفي الفعل بفتح

بِحَسْبِ نَقْدِي : إِنْ وَإِذَا ...

لِلأَسْتَازِ كَامِلِ السَّيِّدِ شَاهِينِ

١ - رَأَى الْقَدَمَاءَ

وما دام الشاعر يقصد إلى الهجاء ، فينبغي أن يكون الحث على الخير أمراً مفكوكاً فيه ؛ فيكون الموضع لإن ، وأن يكون الهم بالشر أمراً مجزوماً به ، فيكون الموضع لإذا : فهذا تأويل قوله (لو عكس لأصاب) . وهذا الأصل تسنده شواهد جمة .

فأما إن ، فتراها في قوله سبحانه إن تبدوا الصدقات فنعما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، فإن إيتاء الصدقة لا جزم بإبدائه ، ولا جزم بإخفائه ، فكان المقام لإن .

وفي قول الجاسي ، وقد قتل قومه أخاه ، فبات لا يدري أيشار فيشتقي ، أم يغفو فيستبد به الغيظ والأي : قومي هم قتلوا - أميم - أخي

فإذا رميت بصيني سهمي فلئن عفوت لأعفون جلالاً

وإن سطوت لأوهن عظمي فإن كلا من الغفو والسطو أمر مشكوك فيه .

وأما إذا ، فتراها في قوله سبحانه ، وإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم

قال الزخشرى : وللجهل بموقع إن وإذا يزيج كثير من الخاصة عن الصواب ، فيخطئون ، ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموضع في قوله يخاطب بعض الولاة ، وقد سأله حاجة فلم يقضها ، ثم شفع له فيها فقضاها : ذمت ولم تمهد ، وأدركت حاجتي

تولى سواكم أجرها واصطفاها أبي لك كسب الحمد رأى مقصر

ونفس أضاق الله بالخير باعها إذا هي حشته على الخير مرة عصاها ، وإن همت بشر أطاعها فلو عكس لأصاب (١) . انتهى .

ومراد أن حق البلاغة يقضي على الشاعر أن يقول : (إن هي حشته على الخير مرة عصاها ، وإذا همت بشر أطاعها) ، فذلك هو العكس الذي يرى الزخشرى أنه الصواب :

ولنما كان مو الصواب ، لأنه يرى كما يرى جمهرة البلاغيين أن (إن) للشك ، ومدخولها النور القليل ، وأن (إذا) للتحقيق ، ومدخولها الكثير الفاشي

(١) الإيضاح ص ٩ مطبعة السعادة .

فإذا قلت إذا أتيتني آتاك وجب أن يكون
الإتيان معلوما .

ألا ترى إلى قوله عز وجل : (إذا السماء
انفطرت . . إذا الشمس كورت . . إذا
السيا انشقت) أن هذا واقع لا محالة .
ولا يجوز أن يكون في موضع إذا (إن) ،
لأن الله عز وجل يعلم ، و (إن) إنما يخرجها
الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر .

وقد عرض ابن الشجري (١) في أماليه
للفرق بين إذا وإن ، بما لا يخرج في مضمونه
هما ذكره المبرد في مقتضبه .

على هذا الأصل درج نحاة البصرة ،
وذهبوا يتأولون ما خرج عليه ، وتلقاه
البلاغيون من بعدهم بالقبول ، وتوسعوا
في التأول ، حتى إن الزمخشري عندما هرض
للآية الكريمة : (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطايروا بموسى
ومن معه) ، ورأى أن مدخول إذا ، وهو
جاء الحسنة ، محقق ، بدليل (قالوا : لنا هذه)
وأن مدخول إن ، وهو إصابة سيئة ، محقق
كذلك ، بدليل (يطايروا بموسى ومن معه)
ذهب يتأول ، فقال :

فإن قلت : كيف قيل (فإذا جاءتهم الحسنة)
بإذا وتعريف الجنس (٢) ، (وإن تصبهم
سيئة) بيان وتشكير السيئة ؟ .

(١) ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) أنظر الإيضاح ، ص ٩٠ ، ٩١ ، مطبعة السعادة .

إلى المرافق ، ، فقيام الذين آمنوا إلى الصلاة
أمر محقق لا شك فيه ، فكان المقام لإذا .
وفي قول ابن علقمة الغزاري يصف رجلا
اسمه حميلة :

إذا قيلت العوراء أغضى كأنه
ذليل بلا ذل ، ولو شاء لانتصر
استعمل إذا ، لأن قول العوراء من أى
قائل أمر مجزوم به .

وقد سبق إلى ذلك سيدي به ، قال في
الكتاب (١)

وسأله - - يعني الخليل - - عن إذا ،
ما منعهم أن يجازوا بها (٢) ، فقال : الفعل
في إذا بمنزلة في إذ ، إذا قلت أتذكر إذ تقول
فإذا فيما يستقبل بمنزلة إذ فيما مضى .
وبين هذا أن إذا تجيء وقتا معلوما ، ألا ترى
أنك لو قلت آتيتك إذا أحر البسر كان حسنا ،
ولو قلت آتيتك إن أحر البسر كان قبيحا ،
ف (إن) أبدأ مبهمة . وكذلك حروف الجزاء .
وقد شرح المبرد في المنتضب معنى الإيهام
في حروف الجزاء (وهو يبنى بها جوازم
الفعلين) ، فقال : (٣)

ألا ترى أنك إذا قلت إن تأتني آتاك فأنت لا
تدرى أيقع منه إتيان أم لا ، وكذلك من أتاني
أتيت . فإن معناه إن يأتني واحد من الناس آتته .

(١) ج ١ ص ٤٣٣ .

(٢) مراده أن يجزوا بها ، وإلا فهي المجازاة
أيضا .

(٣) ج ١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

بما زلنا على عبدنا . لانهم كانوا مرتابين فلا شك هناك ، وحيث لا شك فإن إن لا تكون شرطية لأن إن الشرطية لا بد أن يكون مدخولها مشكوكا فيه ، وحيث إن المعنى على تحقق ما بعدها فيما مضى ، وهذا المعنى هو مفاد إذ ، فقد وجب أن نصير إلى أن (إن) ههنا بمعنى إذ .

ومثله قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، ، فدعائهم في صدر الآية بعنوان الإيمان ، يمنع أن يكون هناك شك في إيمانهم فإن ههنا بمعنى إذ ، لتحقيق إيمانهم في الماضي . وكذلك قوله عز وجل : د وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون المعنى - والله أعلم - إذ كنتم مؤمنين ، وإذ شاء الله) . وقول الشاعر :

وسمعت حلفتها التي حلفت

إن كان سمعك غير ذى وقر
قال صاحب الإنصاف ، والشواهد على هذا النحو أكثر من أن تحصى . قلت : والغنى طوع لهم هذا التخريج خلوا الكلام من الجواب ومن دليله ، فصلحت (إذ) في مكان (إن) دون إخلال بالمعنى .

ولكن كيف تقول الكوفية إذا جاءهم صريح الجواب ، كقوله سبحانه وإن تؤمنوا

قلت : لأن جنس المسنة وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه ، أما السيئة فلا تقع إلا في الضرورة ، ولا يقع إلا في منها ... انتهى كلامه . ولما وجد البلاغيون أن السيئة في الآية مقاربة لإن ، وأن الضر في قوله تعالى : (وإذا مضى الإنسان ضر) بمعنى السيئة في الآية السابقة وقد اقترن بإذا ذهبوا إلى أن استعمال إذا ههنا نظرا إلى لفظ المس ، المفيد في المقام التوبيخ أن مساس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقه أن يكون في حكم المقطوع به وليت شعري كيف يدافعون عن وجود (إن) مع لفظ المس في قوله سبحانه (وإن مضى الشر فيتموس قنوط) ؟

وقد اعتبروا من أسباب استعمال إن في المقطوع به ، التجاهل ، والتوبيخ ، وتغليب غير الجزوم بوقوعه على الجزوم بوقوعه وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب متأخرة البلاغيين (١) .

وإذا كان هذا مسلك البصريين في التخريج والتنطس ، فإن مذهب الكوفيين كان أقرب إلى التسليم بخروج إن على أصلها ، واعتبارها بمعنى إذ ، أى أنها لتحقيق في الماضي ... وقد أجروا على هذا الاعتبار آيا من الكتاب العزيز ، وطرفا من كلام العرب . وقد بين ذلك صاحب الإنصاف (٢) ، في قوله سبحانه : د وإن كنتم في ريب

(١) انظر الإيضاح ص ٩١٤ ، مطبعة العادة .

(٢) الأساطير ٨٨ ، ص ٣٦٧ .

هجرة وجلاء

للاستاذ علي الخطيب

ما كان خروج بني إسرائيل من مصر هجرة . إلى المدينة ... وتلك حقيقة لا نزاع فيها ،
فما كانت مصر أرضهم ؛ إنما هي أرض ولذلك كان خروجه - صلى الله عليه وسلم -
استضافتهم حينما حثى الله بخروجهم ، إلى المدينة هجرة .
فكان أصدق وصف لهذا الخروج أن وهذا هو الفرق بين الهجرة والجلاء .
يسمى : جلاء . في الأولى رحيل ، مالك ، وفي الأخير
لكن مكة وطن النبي محمد صلى الله عليه وعلى طارء .
وسلم ، وأحب الأرض إليه ، وهي أرض وعلى ضوء الهجرة والجلاء يمكن أن
المهاجرين الأولين إلى الحبشة ، وأرض فتبين صفات نفسية واضحة لعنصرين متباينين
المهاجرين - قبل هجرته عليه الصلاة والسلام - من بني الإنسان هما : العرب وبنو إسرائيل .

(البقية على الصفحة السابقة)

وتتقوا يؤنسكم أجوركم ، ... أو دليل والجواب كقول طرفه :
فإن كنت لا تستطيع دفع منبتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
حيث لا هبيل إلى تقدير إذ ، فما هي من حروف المجازاة :

وقد نفخ البصريون* أكثر ما جاء به الكوفيون من شواهد على اعتبار أن العرب تستعمل إن في غير المشكوك فيه ، جريا على عادتهم في إخراج كلامهم مخرج الشك وإن لم يكن هناك شك .
وإذا قد انهمينا من بيان كلام القدماء من نخاة وبلاغيين ، فإننا نتبع ذلك - إن شاء الله تعالى - بما يعترض قاعدتهم ، ونختتم بما نراه حقيقة مدلول الكلمتين والله المستعان ؟
طاهر السمر شاهين

ضخمة ... لا يتركون من أموالهم شيئاً ...
خرجوا بأبقارهم وأغنامهم حتى العجيين
أخذوه قبل أن يخنس ... وليس هذا فقط ..
فما أكثر ما نهبوا - كما يذكر العهد المتداول -
من المصريين من أواني الفضة والأمتعة وحلى
الذهب (١) واعترفهم بذلك سجله القرآن
الكريم : ... حملنا أوزاراً من زينة القوم ،
سلبوا ذلك كله ... ثم ضاقوا بموسى في
الطريق وهنتوا هنتاً لا يعترف بجلال الحق
ولا بقداسة النبوة ، ولا بأدب الطاعة ، وفي
هذا العهد جا . قولهم له :

« أخذتنا نموت في البرية .. ماذا صنعت
بنا حتى أخرجتنا من مصر ... ؟ ... أليس
هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين :
كف هنا فنخدم المصريين ، لأنه خير لنا أن
نخدم المصريين من أن نموت في البرية ... »
وقال موسى : « ماذا أفعل بهذا الشعب ؟

بعد قليل يرجعونني ... » ، خروج ١٤ - ١١ ،
١٧ - ١٣ ، ١٤ .

والقرآن الكريم يصدق ذلك كله فيخبرنا
عن قولهم لموسى : - « أؤذينا من قبل أن
تأتينا ومن بعد ما جئتنا » .

وحين صاح رسول الله محمد صلى الله عليه
وسلم ليعقوض « النفير » : أشيروا على
أيها الناس . قال سعد بن معاذ رضي الله عنه :
والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا

(١) خروج ١٢ - ٣٤ إلى ٣٧ .

لقد كانت الهجرة صحبة مباركة بين محمد
صلى الله عليه وسلم والصديق أبي بكر
رضي الله عنه .

وكان الرحيل رفقة نافرة بين موسى
صلوات الله وسلامه عليه وبين قومه
بنى إسرائيل .

كان مع محمد صلى الله عليه وسلم عربي صديق
يحفظ الرسول بنفسه وماله ... ويمسده له
هجرة ميسرة لا تكون عبئاً عليه ، ويحنده له
نفسه ، وآل بيته ، وطفلة تسمى في الظلماء
إلى غار « ثور » ، فلا تنجم في نفسها أوهام
الطفولة ، أو ترددها بخاوف الطريق .

وكان مع موسى صلوات الله وسلامه عليه
قومه بنو إسرائيل فأخذوه بقارص الكلام ،
وألیم التهم « فبرأ الله بما قالوا وكان عند
الله وجيهاً » .

* * *

وخرج المهاجرون من قريش .. فرادى ..
وجاعات ... يمرون بمحمد صلى الله عليه وسلم
مودعين لا يسألونه شيئاً أكثر من دهواته
الباقيات الصالحات ، لا يلقون عليه كلمة ...
وما أكثر وأغل وأعن ما تركوا لكنهم -
بجانب دين الله - لا شيء ... وخرجوا
يودعون مكة عن حب خالص ثم درجوا
إلى الصحراء متجدين من مؤنة تخفبها آلام
الطريق وليس معهم إلا وعد الله بالنصر .

وجلاء بنو إسرائيل من مصر جماعة

طاف بنفوسهم رهب القتال فطارت قلوبهم
شعاعا ونسوا موسى بل نسوا وعد الله
وصاحوا به : «لنا لمدركون» .

توى ماذا كان يحدث لو أن الله أراد
أن يدرهم فرعون وجنوده ... ؟ .

ما كان بعيداً أن يتقدموا من التكليم عليه
الصلاة والسلام فيوثقوه ويسلبوه لفرعون
ثم ليكن ما يكون . أليس أسوأ ما يكون
أن يعودوا لخدمة المصريين ... وقد كانوا بها
راضين .

وكان مرسى عليه الصلاة والسلام مقتنعاً
بنصر الله وحمايته له ولهم فقل : كلا ، إن
معى ربى سيهدين .

* * *

ولقد كانت عشر سنوات بعد الهجرة —
هجرة محمد وأصحابه — كافية — بهذه النفوس
العربية — لإتمام الفتح ونصر دين الله وإعلاء
كلمته على ما سواه ، وترك الرسول عليه
الصلاة والسلام قومه يستعدون لنشر
الإسلام على أوسع نطاق في الأرض من الشرق
إلى الغرب .

وكافح موسى في بداية قومه فما اهتموا
وما أن ترك البحر ورأوا قوما يكفون على
أصنام لهم حتى قالوا لموسى : «اجعل لنا إلها
كما لهم آلهة» ، قال : «إنكم قوم تجهلون» .

ولما طلب منهم القتال انقضوا من حوله
فلم يملك إلا أن يجار لربه قائلا : رب إنى

البحر فخطته لحضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد ... وما نسكركه أن تلقى بنا غدوا غدا
إنا نصبر في الحرب ... صدق في اللقاء .

لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسر
هلى بركة الله .

أما القوم بنو إسرائيل فقالوا لموسى :
«لذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» .

* * *

وكان الصديق رضى الله عنه مصاحبا لمحمد
صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم ، وقد علا القافة
(قصاص الأثر) الأرض فوقهما وأقسموا
لأهل مكة : والله ما جازمطوبكم هذا الغار .

هنا حزن رضى الله عنه ، وطاف بنفسكركه
مصير دين الله بعد محمد ... ماذا يحدث

لو أصيب عليه الصلاة والسلام بسوء ، واشتد
حزنه على دين الله وعلى رسوله وكان —
كما حدثت عائشة — رقيق القلب فندت هيئناه
وقال للرسول : والله ما على نفسى أبكى ولكنى
خيفة أن أرى فيك ما أكره .

وقد صدق رضى الله عنه ... فقد كان
شعاره : احرص على الموت توهب لك الحياة

واطمأن رضى الله عنه إذ قال له الرسول
صلى الله عليه وسلم : «لا تحزن إن الله معنا» .

وشتان بين الخوف ... والحزن ... هذا
يعكس جبنا ... وذاك يبين عن شهامة ...

وحب جارف لرسول الله وأمل في سلامته .
وحين لحق فرعون وجنوده بنو إسرائيل

تلك صفاته التي حفظها التاريخ فلا يملها
هوى ، ولا يدفع بها ملق .

أيها العرب في كل مكان :

هؤلاء بنو إسرائيل ولأنتم ، أشد رهبة
في صدورهم من الله ، وإنهم ليخافونكم في ملح
ويخشونكم في جزع ، والله يخبركم عنهم كيف
يقالون

ولا يقالونكم جميعا إلا في قرى محصنة
أو من وراء جد . بأسمهم بينهم شديد ، تحسبهم
جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ،
هكذا أخبركم الله عنهم . وهكذا وجدتموهم
داخل المستعمرات في أرض فلسطين .

رسم الله لكم في وضوح موقفهم من الحياة
وموقفهم من القتال وموقفهم منكم ...
ألا هجرة إليهم تقذف بهم في البحر أو تستأنف
بهم ، الرحيل ، ... الرحيل الأبدى الذي
كتب عليهم ... إن انصر ملك يمينكم ، وجند
الله في دروعكم ، والفداء الكريم في نفوسكم ،
ولن يخلفكم الله وعده ، والله لا بد من
لقاء ... لقاء فاصل أخبر عنه محمد صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح فقال :

لتقاتلن اليهود ... حتى يقول الحجر : هذا
يهودي ورأى فاقته .

وسوف تنوء ظهور الذين يساندونهم ،
وليس خلف هذا الظهور إلا البحر ، وليس
أمامها إلا أنتم والله معكم وإن بركم أهلككم .

علي القطيب

[٦]

لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين ، .

وقضى موسى بعد الجلاء أربعين سنة في
قومه - لا هشرا كبتلك التي قضها المصطفى
عليه الصلاة والسلام - فاطاعه بنو إسرائيل ،
وما انتفعوا بدين الله ، وتناسوا ما استحضروا
من كتابه ثم ما قوا فاسقين ، قال : فإنها محرمة
عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا ناس
على القوم الفاسقين ، .

• • •

وفي هذا بيان لنفسية العرب ...
ونفسية بني إسرائيل .

في بني إسرائيل جبن وذلة وحب للحياة
على أي وجه تكون ... وليس بعد الله على
ذلك شهيد قال تعالى : ولتعبدنهم أحرص
الناس على حياة ، وقال سبحانه : يود أحدهم
لو يعمر ألف سنة ، وسخر سبحانه من
ادعائهم أنهم أكرم الخلق على الله : قل إن
كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم
صادقين ، وإن يتنوه أبدا بما قدمت أيديهم
والله عليم بالظالمين ، .

وما كانت هذه الصفات في عربي :

فما أهون الحياة على نفسه ... وما أحقرها
مطلباً فيحرص عليه . هو الشجاع حتى تعصم
المروءة نكاله والعزيز النفس حتى تنفيه
الشهامة ، والمستميت دفاعاً حتى تتحقق الحربة .

إلى أي مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

- ١٠ -

وأنشدك الله ، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ، وثانيا : أن الإجماع على أن فرض صيام رمضان كان بعد الهجرة ، لأن الآية التي أوجب صيامه مدنية بالإجماع ، وقد ثبت عند الإمام أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث قيس بن سعد ابن عبادة قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة ، ثم نزلت فريضة الزكاة ، فلم يأمرنا ، ولم ينهنا ، ونحن نفعله . فهذا دليل على أن فرضها بعد الهجرة وقبل السنة التاسعة .

ولم يذكر لنا دليلا يدل على أنها فرضت قبل رمضان مع أن هذا الحديث ظاهره يدل على عكس ما نسبته ابن حجر إلى الأكثر .

وأما حجة من قال : إنها فرضت في السنة التاسعة - وهو ما جزم به ابن الأثير - فهو ما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب الذي نزل في حقه ، ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، إلى آخر الآيات ، وفي هذه القصة أن حاطبا قال : ما هذه إلا جزية ! ما هذه إلا أخت الجزية !

والجزية - كما يعرف المنتجع لتاريخ التشريع - شرعت في السنة التاسعة حينما أنزلت سورة براءة - وتليق في الحجة

تحدثنا - فيما مضى - عن الأطوار التي مرت بها فريضة الصلاة وفريضة الصوم حتى استقرتا على ما عليه المسلمون - الآن - . واليوم نتحدث عن فريضة الزكاة فنقول قال ابن حجر في فتح الباري ج ٢ ص ١٧١ طبعة المطبعة الخيرية ما حاصله : أن العلماء اختلفوا في أول فرض الزكاة ، فمنهم من قال : إنها فرضت قبل الهجرة ، ومنهم من يقول : إنها فرضت في السنة الثانية من الهجرة قبل فرض صوم رمضان ، ونسب هذا القول للأكثر من العلماء ، وهو ما اختاره النووي في الروضة ، ومنهم من قال : إنها فرضت في السنة التاسعة ، وبه جزم ابن الأثير .

وحجة من قال بفرضها قبل الهجرة حديث السيدة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة ، وفي هذا الحديث أن جعفر رضى الله عنه قال للنجاشي - في جملة ما أخبره به عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام » .

وقد دلل ابن حجر على أنها فرضت بعد الهجرة قبل السنة التاسعة - وهو الرأي الذي يدافع عنه بما حاصله .

أولا بحديث أنس بن مالك في وفاة ضمام ابن ثعلبة - وكان ذلك في السنة الخامسة - وفي الحديث أن ضماما قال للنبي صلى الله عليه وسلم :

وأزل الله - جل ثناؤه : د خذ من أموالهم صدقة ، (الآية) ونزات فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : مرا بشعبة ، وبغلان - رجل من سليم - فخذوا صدقاتهما ، فخرج حتى أتيا ثعلبة فسالاه الصدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولته المضمومة : ما هذه إلا جزية ! ما هذه إلا أخت الجزية ؟ ما أدري ما هذا ؟ ، إلى آخر القصة . والصلاة والزكاة والصوم التي عناها جعفر ابن أبي طالب رضى الله عنه في حديثه للجاشي ليست - هي - الصلوات الخمس ولا الزكاة المعلومة ذات النصب والمقادير المحددة والصوم ليس - هو - صوم رمضان بل هي صلوات وزكوات وصيام كان يتعبد بها المسلمون أولا ، فالصلوات الخمس - كما هو معلوم - فرضت ليلة الإسراء ، وهو بعد هجرة الحبشة ، والصوم - كما عرف - كان معروفا قبل الهجرة ، ولكن صوم رمضان هو الذى فرض بعد الهجرة ، وهذا ما حقهته في المغالين السابقين ، فليس هناك ما يمنع أن الزكاة كانت مفروضة قبل الهجرة - كما نطق بذلك الآيات المسكية ، ولكن كان لها نظام آخر ، لم يتعرض له المتنبعون للتشريع ؛ لأنه أصبح غير ذى موضوع ؛ وما لاشك فيه أنه كان نظام مواساة بين أغنياء المسلمين وفقرائهم . ثم إن حق الإمام في جباية أموال الزكاة حق ثابت ، لا نزاع فيه سواء كان ذلك في الأموال الظاهرة ، وهي السوائم والروع ،

التي كان أبو بكر رضى الله عنه أميرا فيها . هذا ومن العجب أن يقع هذا الخلاف في تاريخ تشريع الزكاة ، ومن المأطوع به أن الحديث عن الزكاة ورد في نصوص كثيرة مكية تذكر على المثال لا الحصر ، يقول الله تعالى في سورة (المؤمنون) - وهي بقينا مكية - وقد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون .

ويقول جل شأنه في سورة الروم وهي - أيضا مكية - وما آتيتم من ربا لهو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ، . وفي سورة الماعراج - وهي أيضا مكية : إن الإنسان خاق هولعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم ، .

والذى يظهر لى بعد تتبع الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب أن أصل مشروعية الزكاة كان قبل الهجرة ، بل وفي أوائل سنى الرسالة ، كما نطق بذلك حديث السيدة أم سلمة رضى الله عنها ، وإن كان تحديد النصب وتحديد القدر وبيان المصارف المعروفة كان بعد الهجرة وكان أمرها موكولا إلى الممولين .

وأمر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بجبايتها من أربابها وتوزيعها على مستحقها كان في السنة التاسعة في قصة ثعلبة بن حاطب التي احتج بها ابن الأنير على رأيه ما يأتي :

أحكام الشرع ، وهذا - يكون له موضع آخر سأحدث عنه ، إن شاء الله تعالى في بحث آخر .
وليس - أيضاً - من قبيل تطور الأحكام بالنص ما فعله عمر رضي الله عنه من منع المؤلفة قلوبهم من سهمهم في الزكاة ، بل - كما ذكرت - في مقدمه هذا البحث من قبيل تطبيق النص عند تحقق مناط الحكم ، والتوقف في تطبيقه عند عدم تحقق المنط .
وسنعود - بإذن الله تعالى - إلى تفصيل ذلك في موضع آخر .

والخلاصة مما تقدم أن الزكاة شرعت - أولاً - بمسكة ، ولم تكن لها هذه القيود المعروفة والشروط المعالومة ، ثم شرعت بالمدينة في أوائل الهجرة ، وقد بينت شروطها وأنصبتها ومقاديرها ثم جعل حق الجباية للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ولمن قام مقامه ، وعلى هذا استقر التشريع ، ولا يجوز لمسلم أن يبحث - في تشريع الزكاة - شروطاً لم يرد بها نص من كتاب الله أو سنة رسول الله ، أو يزيد أو ينقص في أنصبة الزكاة أو قدرها ، أو يحدث مصارف غير التي وردت في كتاب الله ؛ فهذه - كلها - أمور استقر عليها أمر التشريع إلى يوم القيامة ، كما لا يجوز جباية زكاة من أموال لم يوجب فيها إشرع جباية الزكاة .

والى مقال آخر نتحدث فيه عن الحج وما أصابه من تطور بحول الله ومشيئته ؟

ببر المقولى عبد البا ط

أو الأموال الباطنة ، وهى الذهب والفضة وعروض التجارة ؛ بدليل قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » .
والنص - وإن كان خطاً بالرسول الأكرم - بوصفه إماماً ، فقد قال الخليفة الأول أبو بكر - رضي الله عنه - : « والله لو منعوني عقال بعهم كانوا يعطونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » ، ففهم من النص هدم الخ . وصية ، والصحابة قد أقروه على ذلك ، وهم أعلم بقرائن التنزيل والتنزيل وأسرار التشريع .

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه لما رأى الحال يتعنتون مع أبواب الأموال ، ويركبون الشطط لمعرفة أسرارهم المالية اكتفى بجباية زكاة الأموال الظاهرة التي يسهل معرفتها ، وكل إلى أبواب الأموال أن يؤدوا زكاة الأموال الباطنة إلى مستحقها .

وليس صفيح أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه تعطيلاً للنص والاجتهاد ، ولكن من حى ولى الأمر أن ينبى عنه ، من يقوم ببعض ما يجب عليه ممن يرى أن المصلحة تقتضى ذلك ، والأغنياء - بقياهم بإعطاء الزكاة إلى مستحقها - وكلاء عن الإمام ، وإذا عرف أنهم لا يقومون بما وكلوا به كان من حقه ، بل من واجبه أن يجلبها منهم بالوسائل التي يراها محكمة لغرض إشارع من تشريع الزكاة .

ومع هذا فإن عمل عثمان ليس من قبيل تطور الأحكام بالنص ، وهو ما نتحدث عنه الآن - بل هو من قبيل رعاية المصلحة في تطبيق

استدراك على كتاب "كشف الظنون"

للأستاذ عبد الرحمن أحمد شادي

تقديرنا لهم المؤلفين القدامى التي تسامت إلى
بذل هذا المجهود الذي يستغرق العمر ويستنفذ
الشباب، والذي التفت إليه المستشرقون قبلنا،
وقدرة المفقونون منا بالحضارات الأجنبية
عنا تبعاً لتقدير المستشرقين لا يمنعنا كل ذلك
من الاستدراك على المؤلف فالكال لله وحده .
اطلعت على الكتاب في طبعة ١٣١١ هـ .
وهي في جزأين الأول من حرف الألف
إلى حرف الراء ص ٥٩١ والثاني من حرف
الزاي إلى الياء ص ٦٦٢ .

(١) ولد المؤلف عام ١٠١٧ ، وتوفي عام
١٠٦٧ أو في العام التالي على التقدير الأقصى
وقد ذكرت نصوص كثيرة في الكتاب تدل
على (وفاة المؤلفين) غالباً أو (سنة التأليف) بعد
السنة التي توفي فيها المؤلف وانتقل إلى رحمة
ربه ١٠٦٨ هـ ج ١ ص ٣٢٥ حاشية السيد
عثمان آلات بازاری المتوفى بقرس سنة
١١٠١ هـ ، لأحمدى ومائة وألف وفرغ من
تأليفها عام ١٠٨٤ هـ أربع وعشرين وألف .
ج ١ ص ٤٢٨ توفي عثمان زاده بمصر سنة
١١٣٦ ست وثلاثين ومائة وألف .

(١) راجع المبحث من الكتاب ولأؤلف في تراث
الإنسانية لهذا الثالث ص ٤٠٤ إبراهيم الأبياري .

ألف ملا كاتب جلبي المعروف بحاجي
خليفة كتابه المشهور (كشف الظنون) عن
أسماء الكتب والفنون ورتب فيه أسماء
الكتب ترتيباً محكماً ولعلماء اللغة الفضل الأول
في هذا الترتيب الدقيق الذي تخضع له
معاجهم... ويسهل الكشف على طلاب البحث
ومحبي العلم ، وينجي المؤلف من التكرار .
وكشف الظنون معجم ضخم للكتابة
العربية في مدى ألف عام وزيادة ، بذل فيه
مؤلفه مجهوداً عظيماً يستحق الحمد والثناء من
جيل المؤلف ومن الأجيال التالية ، أضاع
فيه زهرة شبابه وأفنى أهلب عمره ليحفظ
التراث العقلي والروحي لأمتنا خوفاً عليه من
الاحداث والنكبات والفارسي الحديث لكتب
التراث يعجب لهذه المهمة التي بذلها أسلافنا
في تأليف الكتاب الضخمة وأسفارهم الطويلة
في طلب العلم في وقت لم تكن الشهادات العالية
والدرجات العلمية فيه من الحوافز والدوافع .
وكثير من شبابنا لا تدنو همته إلى الصبر
على قراءة هذه الكتب ، وهناك بون شاسع
بين التأليف والقراءة ، فقد اكتسحت الثقافة
الخفيفة والأدب المطمح وقصص الإثارة
الجنسية العقول والقلوب والأذهان ، ومع

الغريب السابق في الدولة العثمانية المتوفى ١١٦٩
تسع وستين ومائة وألف .

ج ٢ ص ٣١ ترجم شيخ الإسلام محمد
أمين أفندي بن خليل الأسود المعروف بقره
خليل أفندي المتوفى ١١٦٨ ثمان وستين
ومائة وألف كتاب سلوان المطاع في هدران
الطبايح إلى التركية .

ج ٢ ص ٢٤ وشرحه (والكلام على سفن
ابن ماجه) الشيخ أبو الحسن السند بن
عبدالمهدي المدني المتوفى ١١٣٩ تسع وثلاثين
ومائة وألف .

ج ٢ ص ٣٨ سياسة جند الوزارة وحراسة
حصن الصدارة الشيخ حسن بن عبدالكريم بن
محمد البرزنجي ١١٢٦ ست وعشرين ومائة وألف .

ج ٢ ص ٦٤ وشرح الشفاء شهاب الدين
أحمد الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ تسع وستين
ومائة وألف وترجمه بالتركية شيخ الإسلام
المولى إسحق بن شيخ الإسلام إسماعيل أفندي
المتوفى ١١٤٧ سبع وأربعين ومائة بعد الألف .

ج ٢ ص ٦٦ تذييلات على كتاب الشقائق
العثمانية في هلسا الدولة العثمانية ذيله السيد
إبراهيم بن السيد عبدالباقى المدعو بابن العشاقي
المتوفى سنة ١١٣٦ بأمر شيخ الإسلام
فيض الله أفندي المتوفى ١١١٥ وبدأ المولى
المذكور من ترجمة صاحب الذيل عطائي
أفندي حتى وصل إلى سنة ١١١٢ وذيله الشيخ
الفاضل محمد بن الشيخ حسن الفيضى المعروف
بالشيخى المتوفى سنة ١١٤٥ .

ج ١ ص ٤٢٤ شرح الشيخ الإسكندراني
المسكى الضريح المالكى نزيل مكة المتوفى سنة
١١٤٤هـ أربع وأربعين ومائة وألف وشرح
الشيخ عثمان الهريانى الكليلى الراحل إلى
مكة في سنة ١١٦٨ ثمان وستين ومائة وألف
للجواردة بها .

ج ١ ص ٤٥٩ دخبيا الزوايا فيما في الرجال
من البقايا ، جلد لأديب العصر شهاب الدين
أحمد الخفاجي المصري المتوفى ١٠٦٩ ترجمة
لأديب عصره .

ج ١ ص ٤٧٣ دخلع الأنوار في الصلاة
على النبي المختار ، للشيخ العارف أبي اليسر
محمود بن محمد العناني العمري ألفه في سنة
١٠٩٥ خمس وتسعين وألف .

ج ١ ص ٤٧٩ درالكنوز لعبدالراجي
أن يفوز ، للشيخ حسن بن حماد بن علي
الشرنبلالي الحنفي المتوفى ١٠٦٩ تسع وستين
وألف في الفقه .

ج ١ ص ٤٨٣ درة التاج في سيرة
صاحب المعراج ، كله الشاعر المشهور بنابي
الزهاوي المتوفى ١١٢٤هـ . أربع وعشرين
ومائة وألف .

ج ١ ص ٥١٤ ديوان صائب الملقب
بمستعد خان التبريزي فارس من رجال هذا
العصر توفي ١٠٨٧ سبع وثمانين وألف

ج ٢ ص ١٩ سبع السيرة في أخبار ملوك
التتار مجموعة تركية للدولى الشريف محمد رضا

التي كتبها المؤلف وعنها أخذت النسخ الأخرى الخطية ثم المطبوعة ، وهذا ليس بالميسور ، والمطلوب على كل حال أن تراعى هذه الأخطاء ، وأن تكون كل طبعة جديدة خيراً من سالفها . ومن المأخذ الظاهرة في الكتاب ترك المؤلف لكثير من الوفيات حتى بلغ هذا الترك أحياناً في بعض الصفحات إلى صبع مرات في الصفحة الواحدة .

وربما ذكر وفاة المؤلف في مكان وتركها في مكان آخر من الكتاب .

(١) وقد اعتنى عربيه جي باشا إبراهيم ابن علي المتوفى سنة ١١٩٠ بالاستدراك على هذا ، النقص بالذات وأضاف إلى الكتاب بعض الزيادات وقد صدرت طبعة المستشرق فلوجل معتمدة على استدراك وتصويبات عربيه جي باشا .

وقد تركت هذا الموضوع الأخير لأنى سبقت إليه ، وكانت عناوين الكتب محللاً للعناية والرعاية فطفت عليها السجع حتى هند من تحرروا منه داخل كتبهم ، وظل هذا الطغيان أمداً طويلاً ، حتى ضاعت معالمه في النهضة الأدبية الحديثة .

وتحرر منه المؤلفون داخل الكتاب وفي العنوان .

وعلى الله قصد السبيل ؟

عبد الرحمن أحمد شادي

(١) نزل الإنسانية المجلد الثالث ص ٤١٢
إبراهيم الأيادي .

ج ٢ ص ٦٨ ترجم المولى أحمد بن خير الدين الانديني المشهور بمواجه إسحاق أفندي شهابيل النبي إلى التركية وتوفي المترجم ١١٢٠ هـ ونظمه بالتركية مصطفى بن الحسين الحاي الأصل المشهور بمظلوم زاده علي البحور الستة عشر وأتمه سنة ١١٥٨ .

ج ٢ ص ٨٠ صكوك المولى محمد بن مصطفى المشهور بحاجب زاده المتوفى سنة ١١٠٠ مائة وألف .

ج ٢ ص ٩٩ الطريقة المحمدية في الموعظة شرحها محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حسن باللغة التركية شرحاً حافلاً سنة ١٠٨٠ وشرحها المولى محمد الزهرى القيصري المتوفى سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف وشرحها أحمد بن أبي بكر بن محمد بن رضوان العماقوري المعروف بالكشفي المتوفى سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف وشرحها عبد الغنى النابلسي الدمشقي المتوفى ١١٤٤ أربع وأربعين ومائة وألف وترجمها بالتركية اعتقاد الطريقة الشيخ المعروف بالطريقة تجي أمير أفندي السيد مصطفى ابن السيد عبدالله المتوفى ١١٦٠ الخ .

فهذه أمثلة من الكتاب وقد تركت الكثير غيرها لإشاراً لعدم التطويل ، ولا يعقل أن يكتب حاجي خليفة ذلك وهو حي رجس بالغيب ، وربما كان مصدر هذه الأخطاء زيادات المذيلين على الكتاب ، وكان الأولى أن يفرق في الطبعة بين الكتاب وبين حواشيه وذيوله وزياداته وتصويباته الخ . والجزم بذلك يستلزم الاطلاع على النسخ الخطية الأم

أَمِيرُ الْكُوَيْتِ الرَّاحِل

لِلأَسْتَاذِ حَسَنِ جَاد

أقامت جامعة الأزهر حفل تأبين للمنفور له سمو الشيخ
عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت الراحل . وذلك في تمام
الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من
شوال ١٣٨٥ الموافق ١٥ من فبراير ١٩٦٦ بقاعة الشيخ محمد
عبد بهي بمقر الجامعة في حي الأزهر .

ومن الكلمات التي قيلت فيه قصيدة للشاعر : حسن جاد
الاستاذ المساعد بكلية اللغة العربية جاء فيها :

ساجع أرق الليالي فواحـه	خضبت دوحة (الكويت) جراحـه
جرر الساق بالخيـل المسجـى	وارتمى فوقه مهبـضاً جناحـه
موحش ينفـض الحـريف علـيه	هـصف أوراقـه ، وتـعوى رياحـه
راح هن روضـة الربيع المـرجـى	فشجاء غـيابـه ورواحـه
لمـه ياروض هل شـهدت طـريـحـا	خفقت هـذب شـدوه أنـراحـه
كم شـدا بالأنـراح فـوق روابـيـك	، وروت ظـلـامـا أفرـاحـه
هزنى خطبـه وهـاج شـجونـى	وأنا شاعر الأسى صداحـه
عربي أنا ، بـكاه بـكـانـى	وسلاحـى علـى الحـطوب سـلاحـه
وطـن العرب واحـد يتلاقـى	من ألقـامـه سقمـه وصـحاحـه
وإذا ربيع منـه ركن تداعـت	لأساء هـضابـه وبطـاحـه
إنما مـهر للكويت شـقيق	ضج فى سمـه الصـحـى صـيـاحـه
روى فـلكـه العواصـف حـتى	غاب فى لجـة الردى مـلاحـه
ولغـثـته وجـة جـلد الأفـق	دجاها فاسود منها وشاحـه
مات (عبد الله الصباح) وولى	فصحا ليـله ونـام صـباحـه

من يصد المنون أو يتقيه إن عدا ربه وند جماعه
هو ساق ، كل الأنام نداه ، سواء قباحه وملاحه
دائر الكأس ما تخطى نديما مذ أدبرت مريرة أقداحه
نحن أبناءه ، فيالك من ساق لأبنائه تشفع واحه
إنما هذه الحياة سراب ضل من غره بها للاحه
غربة يقتدى إليها البرايا ولكل بعد الغدو مراحه
وقيود للروح لابد أن يطلق يوما من يخنن سراحه
وغد غيبه المحجب عنا بيد الله وحده مفتاحه
زفرة بين أن نموت ونحيا عش كريما بها عززاً طلاحه

* * *

رحل العامل الذي صان ملكا شاد مغناه عزمه وكنفاحه
وبنى مجده ، ولم يأل حتى عمرت بالإخاء والعلم ساحه
ورعى الله في غناه فلم يبطر ولم يأتشب بظلم ضراحه
أويحي السخاء ما فارقه بسمه البذل أو عداه ارتياحه
كم حبا العلم بجموده ونداه وحي الدين بره وصلاحه
فإذا الأسود الدفوق نضار شمع في غمرة الدجى مصباحه
قوة الحاكمين مال وعدل إن أتيحا للشعب تم فلاحه

* * *

عرف الأزهر الوفى له الفضل ، وقد هز جانبيه سماحه
نفحات له توالى نداها عاطراً كاشذا توالى نفاحه
ومبات لنهضة الدين والعلم حبها للأزهريين راحه
وأقامت للأزهريات حصنا عصم الدين بيضه ورماحه
قدرة أكبرت رسالته الكبرى ، لمن ضاق بالعطاء شجاعه
واحسابه ، لا لرياء تترضى غروره أمداحه

إنما المال للغنى امتحان فيه خسراته وفيه رباحه

* * *

إيه آل الصباح ماضل شعب أقيم في سيمائه أصبح
كلها مال للغروب صباح لاح منكم صبح يشع ليحاه
نخذوا الراحل الكريم مثالا وافع النهج يحتملدى إصلاحه
واحفظوا نعمة الإله بشكر عاطر يفمر الحى فواحـه
واذكروا الأزهر الذى فوع النجم ذراه وأعرقه أدواحـه
لم يزل يقهر النوائب حتى أعجز الدهر سبقه ونجاحه
قبس ما خبا سناه اسار ومعين لم يفنه نزاحـه
وابذلوا للنهوض بالدين والعلم ، فى أرضكم يفيض متاحـه
حال بالنفط فبها لحاكم لا لعاد على الحى يمتاحـه
إن أوطانكم أحق وأولى من غريب يجي له مستباحـه
أشعلوه على يهود جميعا وانفشوه صواعقا تبتاحـه
لفلسطين فى العروبة ذنب كل أبنائها عليهم جناحـه
ولشعب الجنوب حق علينا تقتضيه دماؤه وجراحـه
جرحه جرحنا ، وما غاب عنا ما جناه بأرضه سفاحـه

* * *

يا بنى السالم الصباح سلمتم وصفا وردكم وطاب قراحـه
الصباح الجديد أشرق فيكم بجلا غيمه الأسمى وضاحـه
وعلى أرضكم أطل سناه فأدالت أحزانكم أفراحـه
حسبكم فى العزاء أن خلف الراحل منكم من لا يقل سلاحـه
حامل من بنى الصباح عريق تقتديه من شعبه أرواحـه

عبد الله

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

في المجتمع العربي

للأستاذ أحمد عبد الواحد إبراهيم

- ١ -

الجنس الموهن :

(نيوزويك ١٤ فبراير سنة ١٩٦٦)

د برز جنس موحد ، طبقة جديدة غريبة من المراهقين المتخشين ، وقد صاحب الجنس الموحد موجة من حالات الخطأ في معرفة شخصياتهم بين الآباء والمدرسين وكتبة المحلات التجارية والخدم ورجال البواليس ، حتى فيما بين أنفسهم أحيانا ، وقد قالت إحدى الفتيات : « إن الفتيان الذين أعرفهم يلبسون زيا أكثر تأثنا من الفتيات اللاتي أعرفهن » .

ومعظم المراهقين يرفضون بعنف فكرة أن اللوثة السائدة في الفروق الجنسية أعمق من المظاهر الخارجية ، وقد قال أحد الذكور من ذوي الشعور الطويلة : « أنا لا أرى شيئا أثويا في هذا ، إنني ألبس وأتصرف بالطريقة التي أحسها ، وأعرف أنني ذكر ، وحتى إذا كانت هناك فتاة صلعاء فإنني أعرف أنها بنت » .
جنون الشباب الصاحب (الخنافس) :

وفي محاولة علماء النفس والأطباء النفسيين لتفسير الجنس الموحد فإنهم يعودون - مع

بعض التردد - إلى جماعات (الموسيقى المفرقة) وفي دراسة للغموض الجنسي بين الكبار فشر أحد الأطباء النفسيين كتابا بعنوان (الاجناس المختفية) تناول فيها التأثير النفسي لجماعة (الشباب الصاحب) على المراهقين : (استطاعت الفتيات أن تكون لمن شخصياتهن وكذلك الفتيان ، والأغاني التي غنوها كانت بالضرورة غير جنسية ، وتلك علامة أبعده على أنهم مثلوا موضع التلاقى العام للفتيان والفتيات) وتقول النظرية : (إن طريقة الشباب الصاحب في الملبس والسلوك قد انقطعت هؤلاء كنوع من التعمية الوقائية الجنسية) ويقول أحد الأطباء النفسيين : (إن الواحد منهم يستطيع أن يقول : إنه أو إنها ليست مختلفة عني ، وهكذا تكون إقامة العلاقات أسهل لهم) .

ومن ناحية أخرى فإن خبراء المراهقة يهرون أن الأساليب الجديدة هي شكل جديد لتمرّد المراهقين على ما يحافظ عليه آباؤهم ، ويمزج بعضهم هذا الاتجاه إلى المعارضة ولكن للجمعية كله ، ويقول :

عن الحديث عنه بعد ما تبين لهم أن كل اختلاط من شأنه أن يهيج المشاعر الجنسية لا أن يخمدها ، وإذا كانت هذه المشاعر تحكمها ظروف الاجتماع التي لا تمكن من التنفيذ العملي فإن هذا على أي حال يحدث لونا من القلق النفسى والعصبى بعد الهدوء المؤقت الذى قد تحدثه الاجتماعات المختلطة ، وعندئذ يحدث أحد أمرين : فإما أن يابجا للشباب إلى تفرغ الشحنة المستثارة فى مكان آخر لا تقوم حوله الحواجز ، أو يظل فى قلقه المفسد للأهصاب .

ولهذا تطرقوا إلى إباحة اللقاء الجنى بين الفتى والفتيات ... ولكن هذه الوسيلة قد فشلت أيضا فى إيجاد السلامة النفسية والعصبية ولم تزد على أن تستبدل به الجوع الدائم واللهفة التى لا تشبع فضلا عن حالات القلق المتزايد .

ولعل هذا الاتجاه الذى أشارت إليه المجلة هو اندفاع المراهقين والمراهقات نحو التمازج الجنى ، بعد الوصول إلى غاية الشوط فى الاختلاط ، ، وقد أعان المجتمع هناك على هذا الاتجاه حين أضح الجبال لعوامل التخنيث ، من الموسيقى الصاخبة التى تثير فى كلا الجنسين مشاعر ملتاعة تتميع بها الخصائص الأصلية فى الجنس ، وحين هلل جماعة الشباب الصاخب ، المعروفين لدينا بلسم الخنافس ، فطير صورم وأخبار

(منذ خمس سنوات كان المراهقون يرفعون الأعلام ، واليوم يلبسونها ، ولهذا يلبسون أشد ما يضايق من الملابس التى يستطيعون الحصول عليها ، التى هى بالنسبة للفتاة زى ذكورى ، وبالنسبة للرجال زى نسوى) .

وليس مدهشا أن معظم علماء النفس يرجعون بالرم على الأم فيما يختص برخاوة المراهق الذكر ، فى حالة عدم وجود تأثير قوى من ذكر خلال اليوم فإن متوسط السن من الأولاد قد يرون أن الأم هى مركز القوة الحقيقى فى الأسرة ، وحينما يحدث هذا فإن الذكر قد يصل طبيعيا إلى أن يقبل توجيهه الآتى ، بل حتى يتلبسه فى ريفقات المراهقة .

وكيفما كان الأساس النفسى للجنى الموحد فإن معظم الكبار فى غاية الاهتمام بتبين ما إذا كان لثوة طابرة أو واقعا ثابتا دائما .

ولكن أحد الأطباء النفسانيين يشك فى أن الجنى الموحد سينتهى حالا لأنه تسرب إلى المستوى الأدنى فى المدارس العالية (١)

وظهور هذه الفئة من الشباب فى المجتمع الغربى ليس إلا إحدى المراحل التى وصل إليها فى معالجتهم لما أسماه بالكبت الجنى .

فقد بدأ - فى أول انحلاله - بأسطورة الاختلاط البرى ، وراح علماءه يهولون فى قائدها المطلقة وخيرها العميم ، ثم ذكروا

كل سنتين في سان فرانسيسكو قال أيندرات
« في هذا العصر الذي تلا المسيحية يبحث
رجال العلم عن عقيدة عقلية ويسألون أسئلة
محيرة عن الأديان المبنية على الملائكة
والقديسين والبعث الجسدي وتناسخ الأرواح
والميلاد العذري ، وأخشى أن يعكس فشلنا
في تقديم برنامج للهداية هدم ثقة بغير المؤمنين
باليهودية ، ومظهر أطفائياً غير محبوب
تجاه هقيدتنا .

واستجابة لهذا أيندرات تحرك
المندوبون بمحذر ، وألقوا لجنة اكتسب غير
المنتمين ، ووافقوا على سياسة الباب المفتوح
للدعوة غير المنتمين للكنيسة للدراسة
والعبادة معنا ، اه .

ولا يعكس هذا في نفوسنا - نحن المسلمين -
سوى شعور التقصير إزاء حمل الرسالة وتبليغ
دعوتها إلى الملايين المضيعة من المسلمين في
قارات العالم ، وإلى الملايين من غيرهم ممن لم
تبلغهم دهوة سماوية ، أو بلغتهم على تحريف
وتشويه فلم يبلغوا منها حاجتهم ، والمسلمون
هم أصحاب هذا الدور بحكم عموم رسالتهم :
« وما أرسلناك إلا كافة للناس ، وبحكم كونها
آخر الرسالات السبوعية » ولكن رسول الله
وخاتم النبيين ، وديانة الفطرة و فطرة الله
التي فطر الناس عليها ، ؟

أحمد عبد الواهر إبراهيم
بمجمع البحوث الإسلامية

« فتوهمهم ، إلى أركان الدنيا الأربعة وطوقهم
بأسمة دولتها ملكة الإنجليز .

وفي المجتمع الإسلامي الحق لا توجد تلك
المهمجات الغريبة التي تعمل على استثارة الشهوة
على الدوام بدرجة غير طبيعية ، إذ أنماح
الإسلام لغريزة الجنس الإشباع في الجانب
الشريعي ، أما فيما عداه فقد ضبطت من الإطلاق
المدر بتحرير الزنا وتحريم مقدماته ومنع
التبرج والتبذل والحرص على زى محشم للذماء
ومنع الإباحية في الاختلاط ، والمراعى فيه
- فتى أو فتاة - يشغله بما يستغنى طاقته ،
ويحول أفكاره بما يمتلى به من مثل وأهداف
ثم يفتح له باب الزواج وهو العلاج الحقيقي
للمشكلة والحل الذي لا يغنى عنه حل آخر .

- ٢ -

اليهودية والتبشير :

(نيوزويك ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٦٥)

« منذ ألى عام قبل ظهور المسيحية كانت
اليهودية عقيدة تبشيرية روحية ، تهدي
الكفار وتختن المقتنعين الجسد ، ولكن
أخبارها اليوم يمرنون على ألا يشجعوا من
كان يصح تحويلهم إلى العقيدة ، ويقبلونهم فقط
بعد مدة طويلة من الدراسة والتفكير .

ويود الخبر « موريس أيندرات ، رئيس
الاتحاد اليهودي للطوائف العبرية الأمريكية
أن تعود إلى أيام الدعوة (الهداية) القديمة .
وفي الأونة الثامن والأربعين الذي يعقد

عقوبة الجسد

للدكتور مختار القاضى

أو الجلد هي العقوبة الوحيدة التي تطبق على الحيوان .

هذه هي الحجّة الجدلية ، وهي حجة ينقصها المنطق وإن كان لا ينقصها البريق . ذلك بأن الحبس يشترك مع الجلد في تعقيد نفسية المجرم وإلحاقه بالحيوان أيضا ، فالأذى يفرق بين الإنسان والحيوان هو العقل والحرية أما العقل فالحيوان محروم منه بحكم طبيعته ، وأما الحرية فإن حرمان الحيوان منها حرمان صناعه من عمل الإنسان فالإنسان قد استعبد كثيراً من البهائم وحبسها لذمتها كالعصافير أو للحمها وصفوها ولبنها كالجمال والغنم والبقر ، أو أيركها كالبعال والخير وغيرها فإذا حكم بحبس إنسان ، وفي طبيعته التطلع للحرية ، فإنما يكون حبسه إهانة وإلحاقاً له بالعجائز ، فيشعر بالنقص ويمرّك النقص وبأنه وضع في موضع غير كريم لارتكابه جريمة غير كريمة وهكذا .

وإذا بينت أن الجدل في هذا الأمر يقوم على مقدمات خاطئة ، فعلى القارئ أن يسألنى ولماذا يخاضم بعض الناس هذه العقوبة — عقوبة الجلد ، ولا يخاضمون عقوبة الحبس وهما متساويتان من حيث الخط من قدر

وبدل هؤلاء الذين يقرأون هذا المقال أن يعرفوا منذ البداية أنى لا أكتب عن هذه العقوبة من زاوية الدين ، وأنى لم أكتب في مجلة الأزهر مقال هذا ، إلا لأنى أستاذ بجامعة الأزهر ، وأن كثيرين من قراء هذه المجلة هم أصدقاء أو زملاء أو تلاميذ في هذه الجامعة . وإذن سوف آخذ على نفسى أن أعرض الموضوع عرضاً علمياً اجتماعياً غالياً من التعصب لشرعية من الشرائع .

عقوبة الجلد عقوبة قديمة وردت في الشرائع السماوية كالتوراة ، والقرآن الكريم ، وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما طبقتها كثير من الشرائع الوضعية كالقانون الإنجليزى والقانون الفرنسى في حالات كثيرة ، وكانت تطبق في مصر إلى عهد قريب في جرائم الأحداث ، وفي المدارس وفي جرائم أخرى قليلة ، ثم ألغيت من مصر نهائياً .

ولقد ناز جدل بالنسبة لصلاحية هذه العقوبة بوجه عام ، وفي مصر بوجه خاص . ورأى المعارضين لتطبيق هذه العقوبة يتلخص في أمر واحد ، وهو أنها عقوبة وحشية تؤدى إلى تعقيد نفسية المجرم وشهوره بالإهانة واحتقار نفسه ، لأن عقوبة الضرب

وجرائم خلقية أخرى لا صيل إلى عدها أو الإفصاح عن كنهها وإن كانت معرفتها لا تحتج إلى عناء .

والسجون مصارف تصرف الدولة عليها في الطعام والشراب والكساء والنوم ودروس الإصلاح ، وهذا كله يكلف نفقات طائلة ، الدولة أحوج إليها لانفقتها في عمل منتج متى وجدت عقوبة أخرى تنوب عن عقوبة السجن وتوقى ثمارها أو خيراً من ثمارها .

وفي السجون تمعطل طاقات بشرية كانت تعمل خارج السجن فأودعت بين جدران أربعة لا تستطيع أن تعمل باطمئنان حتى إذا وجد العمل داخل السجن ، وهو لا يمكن أن يوجد إلا لبعض الناس دون البعض الآخر .

وفي خارج السجن توجد أسر المسجونين وقد حرمت من رعاية عائلها المودع في السجن فيتشرد الأطفال وتهمل على المرأة سبل الجريمة الأخلاقية ، وقد تطلب المرأة الطلاق من زوجها المسجين ثم تنزع غيره ، فيكون لها من هذا وذاك أطفال يجمع بعضهم ويشبع بعضهم ، فتتوطد بين الإخوة مشاحنات وإحن لا داعي لها ، ولا سبب لها إلا أن رب الأسرة الأول قد غاب في سجنه زمناً لم تستطع المرأة أن أقصر على البقاء فيه من هير زوج .

فإذا أخرج الإنسان من السجن شربه وحرم من وظيفته إن كان موظفاً ومن عمله إن كان عاملاً هكذا ورد في اللوائح والقوانين هل تدري أن (فيكتور هوجو) عند ما كتب

المتهم المحكوم عليه بأحدهما ؟ والجواب هندي لا يحتاج إلى عناء كبير ، فخصوم هذه العقوبة إما غربيون متعصبون ضد عقوبة وردت في الشريعة الإسلامية في القرآن والسنة فهم يهاجمون من طريق غير مباشر القرآن والسنة ، وإما شرقيون مستغربون ، عاشوا في أوروبا وثقفوا ثقافة الأوروبيين وتشيعوا لها فهم يرددون أصوات سادتهم كما تردد البيغاء ما تسمعه دون وهي صوى أن البيغاء لا تزيد على ما تسمعه . أما أولئك فيحاولون أن يضيفوا إلى ما سمعوا حجة جديدة ودليلاً مبتكراً .

إن السجون قد تصلح للحفاظ على مجرم تعبت الهيئة الاجتماعية في إصلاحه فأرادت له أن يحبس أذاه عن الناس بوضعه في سجن يأكل فيه ويشرب ، والناس خارج السجن آمنون من شره وأذاه . أما أن يراد أن يزيل السجن أن ينصلح حاله ، فهذا لا يحدث في معظم الحالات . بل إن حال نزيل السجن قد يسوء أكثر من ذي قبل .

فالسجون مدارس يتعلم فيها نزلاؤها الإجرام ، ويتداولون فيها دروساً في الخيل وطرق ارتكاب الجرائم والفرار من "عقوبات والإيقاع برجال الشرطة وتعصيتهم ، وتتوطد بين تلاميذ السجون صداقات وتتوثق عهود واتفاقيات على الاتتمام من الهيئة الاجتماعية بعد ترك السجن .

وفي السجون ذاتها وقبل مبارحتها ترتكب جرائم التهريب للبخدرات والرشوة للحراس

ثم إن الجلد أُرِدِعَ للمجرم من الحبس ، وخاصة في الجرائم الصغيرة ، فالجلد مؤلم للمجرم ، ترتد منه فرائضه وتتأذى منه أعضاؤه أما الحبس فأبلامه على النفس بطل . لأن المحبوس لا يحرم من طعام ولا شراب ، بل قد يكون حاله في السجن خيراً من حاله عند ما كان خارج السجن فلا يشعر بألم إطلاقاً أما عقوبة الجلد فهي (ديموقراطية) ، الألم يتساوى فيها الصغير والكبير ، والغنى والفقير بخلاف السجن ، يتأذى منه قوم ويرحب به آخرون !

إن المجتمعات الفقيرة التي يختل فيها ميزان المعيشة بين الحياة خارج السجن ودخله فينحط في الأولى عن الثانية لا ينتظر من السجن أن يصلح مذبذباً ، هو في سجنه خير مما كان عليه وهو حر طليق . والأموال التي تنفق على السجن أولى أن تنفق على المدارس والمستشفيات والمجتمعات المنطلقة إلى النمو والعلو والنهضة الصناعية يجب ألا تعطل طاقات الناس ولو كانوا مجرمين ، إنما عليها أن تعاقبهم بغير السجن وتركهم إلى أعمالهم ليضيفوا إلى الثروة القومية ثمار جهودهم ، وتركهم إلى زوجاتهم وبنينهم ومن يقولون ، ذلك بأن الحبس يؤثر على أسرة المحبوس فلا تصبح العقوبة شخصية خاصة بالمجرم ذاته ، وإنما تتعدى إلى أشخاص آخرين لا ذنب لهم ، وبذلك تخرج على المبدأ السائد في العقوبة ،

قصته البؤساء ، إنما كان نائراً على نظام السجن وآثار السجن بعد الخروج منه حين يحرم الإنسان من العمل بحجة أنه مجرم لا يجوز له أن يعمل بقية حياته في أي عمل كان .

هذا كله ينطبق على أولئك الذين يدخلون السجن رغم أنوفهم .

ولكن هناك طائفة أخرى يدخلون السجن طائعين لأنهم يجدون داخل السجن شياً مأوياً ، وحياة بد تكون أيسر من حياتهم خارج السجن ، فهم يصنعون الإجرام للإفالة في السجن بأكلون ويشربون ويسمعون القصص ويمشون لأنفسهم مجتمعاً داخل السجن ينعمون فيه بالأمن والدعة ، هؤلاء قد تعودوا البطالة والسكسل فوضعهم في السجن جريمة على المجتمع وعلى الثروة القومية .

فإذا انتقلنا به — هذا إلى عقوبة الجلد وجدنا هذه العقوبة خيراً من السجن في أكثر من موضع .

فهو قبل كل شيء عقوبة اقتصاد لا تكلف الدولة أكثر من عصا أو سوط ، ورجل يقوم بتوقيفها ، ثم ينصرف المجرم ، وقد لا يسمع به أحد ، لأن توقيع العقوبة لا يستغرق زمناً يكفي للفضيحة ، كما يحدث في عقوبة السجن . وبعد ذلك يعود المجرم لعمله ولأمسته فلا تطلق عليه زوجته ولا يشرد طفله ولا تخرج عن رعايته أبنته ، ولا يحتقره أحد منهم لأنهم قد لا يعلمون من أمره شيئاً .

عائدٌ من الفلبين

للأستاذ محمد زيتون

— ١ —

هناك لنشر اللغة العربية والدين الإسلامى .
ولذلك يسرنى أن أحدث إخوانى القراء
من بعض مشاهداتى وملاحظاتى فى هذه
البلاد البعيدة التى تقع فى جنوب شرق آسيا
بين خطى عرض ٥ — ١٨ شمال خط
الاستواء وبين خطى طول ١٢٧ — ١٢٠
شرقى خط جرينتش على شكل أرخبيل يمتد
جنوب شرقى القارة الآسيوية بجزره البالغة
٧١٠٠ جزيرة منها الكبير والصغير بمساحة
قدرها ١١٥٦٠٠ ميل مربعاً يقيم عليها ثلاثون
مليون نسمة منهم قرابة ثلاثة ملايين من
المسلمين . وهى ذات طقس ليس حاراً جداً

ثلاثة أهوام وثلاثة أشهر قضيتها فى البلاد
المشرقة التى لا ترى فيها إلا مياهها زرقاء
أو أرضاً خضراء مكسوة بالحشائش والأشجار
المثمرة وغير المثمرة ، حرارة معتدلة ومطر
غزير متصل وحياة بدائية بسيطة وإن بلغت
درجة عالية من الحضارة فى بعض الأماكن .
وكانت مهمتى تقتضى أن أعيش بين إخوانى
المسلمين هناك وأتقل بين ديارهم وأعرف
عنهم الكثير من الناحية الدينية والاجتماعية
والأخلاقية وعلاقتهم بالعرب والمسلمين ،
وأحاول علاج ما عالج الحقائق الواضحة للدين
الإسلامى الخفيف ، فقد كنت مبعوثاً للأزهر

(بقية المقال على الصفحة السابقة)

وهل عرفت أن عمراً لما قرأ هذين البيتين
أغرورت حينئذ بالدموع وأخرج الخطيئة
من سجنه لأنه رأى أن العقوبة قد تعدت
إلى غير المجرم من بنينه ؟ .

هذه بعض الخواطر ولعل كبيراً مسؤولاً
يعمل على تجربة هذه العقوبة فى بعض الجرائم
كجرائم التوطين ، إن فعل ذلك سوف يتضح له
وللناس أن الجرائم قد تناقص عددها تناقصاً
ملبوساً ، والله الموفق وهو أحكم الحاكمين .

مختار الفاضى

[٧]

وهو ، شخصيتها ، والذى لحصه القرآن الكريم
فى قوله : ولا تزر وازرة وزر أخرى ، .
هل عرفت قصة الخطيئة مع سيدنا عمر بن
الخطاب حين كتب الخطيئة إليه من سجنه
قصيدته المشهورة التى ورد فيها :

ماذا نقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لأماء ولا شجر
ألفيت كاسهم فى قمر مظلة
فاغفر عليك سلام الله بامر

الشباب زواجا لها بدأ أقرباء الفقى يقدمون إلى أسرة الفتاة بعض المتاع مثل البقر والجاموس ، وأجولة الأرز ، والطعام المعطبوخ وأحيانا تمثالاً للمركب صغير فإذا رضى أهل الفتاة بهذا الزواج بدأ أهل الفقى يعدون مجلس الأسرة لىكى يتفقوا على هذا الزواج ، واتفاقهم على الزواج ليس مشورة فقط . بل هى كل عضو من أعضاء الأسرة أن يتقدم بمبلغ من المال لىكى يشارك فى المهر وفى تكاليف الزواج وهذا يعتبره المسلمون نوعاً من التعاون بين أعضاء الأسرة ، وفى بعض الأحيان إذا كان الذى يتزوج من أسرة مشهورة أو حاكمة فإنهم يعملون استعراضاً فى المدينة لإعلاناً عن الزواج وبعد ذلك يتقدم كل واحد بظرف خطاب وفيه المبالغ المتبرع به وقد كتب على الظرف اسمه والمبالغ الذى بداخل المظروف وقد شاهدت مرة استعراضاً لأجل جمع المال بسبب زواج شاب غنى جداً وأبوه محافظ ورعاً ليس فى حاجة إلى المساعدة ولكنهم عملوا استعراضاً كبيراً جداً وبدأ الناس ينالون بالتهنئات على القائمين بشأن جمع التبرعات لأجل زواج هذا الشاب والناس هناك يحبون الفخر فربما يكون الشخص غير قادر على المساعدة ولكنه فى مثل هذه الظروف لا بد من أن يقدم مساعدة حتى ولو أدى إلى أن يقترض من غيره ، وهذه فى الحقيقة طريقة قد جاوزت طريق المساعدة لاسيما إذا كان الشاب غنياً وليس فى حاجة

ولا بارداً غنية بحيواناتها الكثيرة ونباتاتها المتنوعة وثروتها الزراعية ذات المحاصيل المختلفة وغاباتها السكيفة ثم أسماكها وبحارها الذى يفوق الوصف منظرأ ومذاقا .

وعن كيفية تكوين اللجنة الأولى - الأسرة - فى المجتمع الفلبينى سوف أتحدث فى هذا المقال .

من عادات الزواج فى الفلبين :

إن تفرق سكان الفلبين فى الجزر التى يسكنونها وتباعد بعضها عن بعض جعلهم يختلفون فى عاداتهم وتقاليدهم من جزيرة إلى أخرى بل ربما فى الجزيرة الواحدة وذلك لصعوبة المواصلات فى داخل كل جزيرة لىما لكثرة الغابات وعدم وجود طرق ممهدة أو لوجود المرتفعات التى جعلت الاتصال شاقاً بين مكان وآخر كما أن تفرقهم فى الأديان التى يدينون بها أدى إلى اختلاف عاداتهم فى الزواج .

وفى هذا المقال أريد أن أتحدث عن عادات الفلبين فى الزواج ، وسأبدأ بالحديث عن الزواج بين المسلمين لاسيما وقد حضرت كثيراً من حفلات الزواج كما قمت بعدد القران فى كثير منها .

وأول خطوات الزواج هناك أن يبدأ الشاب فيتودد إلى البنت التى يريد أن يتزوجها أو يتحجب إليها . وهم يعطون الشاب مطلق الحرية فى أن يمشى مع البنت إلى أن يحب أحدهما الآخر فإذا رضيت البنت أن يكون

بعض المال إلى الداتو ، الأمير ، الحاكم غير المدنى ، وإن لم يكن حاكما من قبل الحكومة ولكن الناس يعترفون بإمارته وبطاعة أمره .

وأحيانا إذا لم يرض الداتو عن الزواج لا يتم الزواج - وقد حدث مرة أن وصلت إلى وأنا في محافظة لانار داس ، دعوة من من أحد تلامذتى وكان يتزوج في محافظة كوتاباتو ، وكان لابد أن أركب الطائرة لكي أصل إلى مكان الزواج ولكن الطيران توقف لرداء الجو حينئذ فاكتمت بأن أرسل بريقة أهنته فيها بالزواج وأتمنى له حياة سعيدة ، ولكن بعد حوالى شهر وصلى خطاب من تلميذى يخبرنى فيه بأن الزواج لم يتم لأن الأمراء ، قد امتنع بعضهم عن حضور حفلة الزواج وكان ذلك دليلا على عدم رضاهم من هذا الزواج ، وقد ضاعت التكاليف التى أنفقتها بسبب تساطع هؤلاء الأمراء .

وقد حدث ذلك فى أوائل سنة ١٩٦٣ فى محافظة كوتاباتو ، .

وربما يعتبر من حفلات الزواج المشهورة خاصة بين المسلمين زواج بنت رئيس جمعية المسلمين فى الفلبين عضو مجلس الشيوخ السابق أحمد ألتو ، وقد حضر هذا الحفل كثير من عليمة القوم فى الفلبين وقد حضره سفير الجمهورية العربية المتحدة ومثلون من سفارة باكستان وأندونيسيا وثلاثة من الوزراء ، وبعض أعضاء مجلس الأمة وكثير من

إلى المساعدة ولكن الصفة الاجتماعية التى تمارس بها هذه العادة جعلت المساعدة فرضا اجتماعيا حتى من الفقير

وكذلك يبدأ أهل الفتاة يعقدون مجلسا مماثلا فإذا اتفق كل مجلس على هذا الزواج بدأ رؤساء الأسرتين يتفقون على المهر ، وقد أخبرنى أحد تلامذتى بأن أخاه عندما تزوج دفع إلى أهل العروس ١٢ حصانا ، ١٤ بقرة وثمانية كرابود جاموس ، وعندما سمعت ذلك كنت أظن أن هذا هو المهر ولكنه أخبرنى بأن أخاه دفع فوق ذلك ٤٠٠٠ بيزو أى ما يعادل ٤٠٠ جنيهه مصرى عندنا .

وبعد أن تتفق الأسرتان على المهر يحددون موعد ومكان الزواج ، وفى يوم الفرح يدهى الأصحاب والأحباب والأقارب ويذبح البقر ويقدم الأرز واللحم والسمك إلى الحاضرين وتغنى لهم بعض الفتيات أغانيهم التى يعشقونها كما ترقص بعض الفتيات رقصاتهم الشعبية وقد يستمر ذلك طول الليل .

ثم تتم مراسم الزواج وبعد ذلك يبدأ أهل الفتاة بتقسيم المهر على الحاضرين وكل يأخذ من المهر حسب منزلته الإجتماعية أو حسب قرابته من الفتاة ، ولا بد للزوج من أن يقدم إلى أهل الفتاة آلة ثمينة وقيمة من آلات الحرب والقتال فمثلا يقدم سيفا أو رمحا وربما يقدم خنجرًا ثمينا محلى بالذهب .

وفى بعض المقاطعات لابد أن يقدم الزوج

المدينة وفي وسط كل أمير خنجر وبجواره عادمه الذي يحمل المظلة المزركشة بحميه بها من الشمس وخلف المحفة ٢٠ من الأميرات والوصيفات في ثيابهن الفاخرة المزركشة . وعندما وصلت المحفة إلى مكان الاحتفال قام والد العروس واستقبل ابنه العروس واصطحبها من المحفة إلى المنصة الذي يجلس عليها كبار المدعوين والمدعوات . وجلست بجوار أبيها على الحشوية أيضا بعد أن خلعت حذاءها . وبدأت مراسيم الزواج بقراءة القرآن الكريم ثم ألقى خطبة الزواج وأتمت العقد وبعد ذلك جلست الزوجة إلى جوار زوجها وجلست والد الزوج إلى جوار والد الزوجة . وبعد ذلك بدءوا يقدمون بعض رقصاتهم الشعبية فرقصت بعض الفتيات رقصة السلطانة وبعضهم رقصة البامبو كما قدموا بعض الألحان الموسيقية الوطنية ثم قدم شابان رقصة الحرب التي دهش لها كل الحاضرين حتى كان يخيل إلينا أننا نعيش مع أقاصيص ألف ليلة وليلة فالراقص كان في ثياب الحرب لا يبدو منه إلا عيافه فتقط وعليه ملابس الحرب القديمة برمحه وسيفه وخوذته وبدأ يمرض بعض الحركات العجيبة الدالة على سروره بالحرب والتي يغازل بها سيفه ورمحه وخوذته قبل أن يلبسها وكأنه ذاهب إلى حفلة زفاف وليس إلى ميدان القتال ، وبعد أن انتهى برنامج الحفلة بدأوا يقدمون الطعام للحاضرين الذين حضروا

المحافظين ، وقد تمت حفلة الزواج في كلية كامل الإسلام التي كنت أقوم بالتدريس فيها وقد زينت المدرسة ومسرحها زينة تفوق الوصف وأقيمت الأعلام الخاصة بهم أثناء الحروب القديمة والتي يعترفون بها وفرش المسرح بالسجاد ووضعت على السجاد الحشايا لكي يجلس عليها كبار المدعوين بعد أن يجلسوا أحذيتهم الرجال في جانب والسيدات في الجانب الآخر ، وقد لبس كل مدعو على رأسه غطاء الرأس الذي يستعمله الوطنيون هناك ، ثم بدأت حفلة الزواج بأن حضر العريس من يده ماشيا وقد لبس بدلة السلطان الحربية التقليدية الحمراء المحلاة بالذهب وفي وسطه الخنجر وبجواره من يحمل المظلة المزركشة بنقوش عجيبة ، ثم بجواره الخراس يحملون سيفين طول كل واحد منهما مترين ونصف ثم خلف الزوج على حد تعبيرهم الأمراء وبجوار كل أمير خادم يحمل المظلة المزركشة التي تظله من الشمس . وبعد أن قاموا باستعراض في شوارع المدينة وصلوا إلى مكان الاحتفال فقام والد الزوج واستقبل ابنه على مدخل مكان الاحتفال وصحبه إلى المسرح حيث خلع حذاءه وجلست بجواره على خشبة المسرح مع كبار المدعوين . وبعد ذلك وصل موكب العروس وهي تجلس في محفها التي يحملها أقرباؤها الأمراء من يدها إلى مكان الاحتفال مارين ببعض شوارع

حفلة الزواج وقد بلغني أنه ذبح في هذا الحفل ثلاثين بقرة وقدر المهر بعشرة آلاف بيزو أى حوالى ألف جنيهه مهرى . والمغلاة في المهور عادة مشهورة بين المسلمين أدت إلى إعراض العقبان المسلمين عن الزواج بالفتيات المسلمات حيث لا يستطيعون أن يدفعوا لمن هذا المهر الكبير وجعلهم يتزوجون بالمسيحيات حيث لا يكلفهم مبلغا كبيرا من المال . وهذه لا شك عادة غير محدودة ، لأنها أدت إلى هدم زواج البنات المسلمات وقلة عدد الشبان الذين يتقدمون للزواج من الفتيات المسلمات . كما أن هناك شيئا ربما لا يستطيع أن يتصوره الناس عندنا وهو أن المهر يفرق بين أقرباء الزوجة ثم ينقل الزوج إلى بيت أسرة الزوجة لكي يكون فردا من أفراد أسرة الزوجة ويعيش معهم كواحد منهم . ولا يكون هناك شيء من الأثاث الذي تقوم أسرة الزوجة بإعدادة - كما يحدث عندنا هنا - وإنما الذي يحدث بين عامة الناس أن الأثاث عبارة عن حصير ووسادة وربما مرتبة وهذا هو أثاث الزواج . ولكن بين أسر الأغنياء يكون هناك سرير وصوان وبعض الكراسى للجلوس عليها .

وقد حضرت مرة زواجا في قرية تسمى قرية دوماين ، في محافظة لاناودلس وابتدى الحفل بحديث من أقرباء الزوج ومحدث من

أقرباء الزوجة ، وطال حديث كل منهما في مكبر الصوت حتى مللت السماع لأنهم يتكلمون باللغة المحلية فسألت بعض الحاضرين عما يقول هؤلاء الخطباء فأخبرني أن كل واحد يعدد ما أثر أسرته ومجدها والباطال الذين كانوا فيها وبعض المعارك التي خاضوها وأنهم أصحاب حسب ونسب وجاه وسלטان وأن كلا منهما كفء للطرف الآخر ، وبعد حوالى ثلاث ساعات من سماع هذا الحديث الطويل قلت فأتممت مراسيم الزواج على الطريقة الشرعية . هذه بعض عادات الزواج التي تحدث بين المسلمين في الفلبين وقد رأيت بعضها ورأى

العين . كما كانت مجالا لبيان خطأ بعض التقاليد التي يتبعونها ومعارضتها الإسلام مثل تفريق المهر بين الأقارب وزواج المسلمات بالمسيحيين وغيرها من العادات بذلتا جهدنا في توضيح رأى الإسلام فيها . ولأنه ليسرني أن أكتب شيئا من عادات الزواج بين القبائل غير المسلمة وذلك لأن قليلا من الفلبينيين من يمارس الزواج المدني وإن كان يقبل عليه كثير منهم الآن . فمن عادات الزواج بين قبيلة دالبولاكان ، Bulacan أن يذهب والدها الفتى إلى والدى الفتاة في ستر من ظلام الليل حتى لا يعلم أحد شيئا عن الزواج ، ثم يقشاورون بحضور رئيس القرية ، وبعد أن يتم الاتفاق بحوالى شهر يعلن الزواج .

كما أن هناك شيئا ربما لا يستطيع أن يتصوره الناس عندنا وهو أن المهر يفرق بين أقرباء الزوجة ثم ينقل الزوج إلى بيت أسرة الزوجة لكي يكون فردا من أفراد أسرة الزوجة ويعيش معهم كواحد منهم . ولا يكون هناك شيء من الأثاث الذي تقوم أسرة الزوجة بإعدادة - كما يحدث عندنا هنا - وإنما الذي يحدث بين عامة الناس أن الأثاث عبارة عن حصير ووسادة وربما مرتبة وهذا هو أثاث الزواج . ولكن بين أسر الأغنياء يكون هناك سرير وصوان وبعض الكراسى للجلوس عليها .

وقد حضرت مرة زواجا في قرية تسمى قرية دوماين ، في محافظة لاناودلس وابتدى الحفل بحديث من أقرباء الزوج ومحدث من

يرقص العريس مع العروس وتبدأ حفلة الزواج بتقديم الطعام والشراب. ثم يذهبون إلى المسجد حيث تم مراسم الزوج على يد البنديتا .

أما في جبل بروننس بين قبيلة كالنجس KALINGAS فليس الزوج هو الذى يدفع المهر وإنما والد الفتاة هو الذى يدفع المهر للزوج ويكون ممثلا في عدد من البقر وبعض اجولة الارز .

والطلاق مسموح به بين هذه القبيلة وإذا وقع ترجع الزوجة معها المهر الذى دفعته وفي هذا الطلاق قد تسيل الدماء أحيانا .

كما يتم الزواج بين قبيلة مانجيان MANGYAN في جنوب شرق جزيرة مندورو بأن يتزين الفتى يأخذ هوده معه ثم يذهب إلى كوخ الفتاة ويغنى لها فإذا رضيت الفتاة به زوجها ذهب معها إلى الغابة وفرش حصيرا وجلس يغنى لها ويضرب العود إلى أن تهيمه هي أيضا وتغنى له وذلك يكون دليلا على كمال الرضا بين الفتى والفتاة وفي الصباح يذهب الفتى والفتاة إلى والدى الفتاة حيث يباركان لها هذا الزواج .

هذه بعض عادات الزواج التي شاهدها والقي سمعت عنها بين سكان الجزر هناك في الفلبين . وسوف نتحدث عن مظاهر الاختلافات الدينية في مقالة قادمة .

محمد زيتون

وفي جزيرة بنائى يبدأ الهجان يتغازلون بالشعر مع الفتيات ، وقد يستمر هذا إلى سنة أو أكثر ، وبعد أن ترضى الفتاة بالشاب يتم الزواج .

ولكن الأغرب من هذا ما يحدث في قبيلة تريال Trial في محافظة الجبل ، وهو أن يجتمع النساء اللاتي يردن الزواج في بيت ثم يحضر الرجل ويختار التي يرضاها ، ثم يستمر معها يعاشرها معاشرة الأزواج إلى أن تلد ، فإذا ولدت تقام حفلة الزواج وتصير زوجة له فإن لم تلد بعد عام أخذ غيرها لأن ثمرة الاتصال بين الرجل والمرأة لم تأت بالثمرة المرجوة وهي البنوة ، ولذلك لا يكون هناك زواج .

أما بين قبائل باجوبس ، BAGABOS في جزيرة منداناو فيجلس الرجل والمرأة على حصير وحولهما أرز على أوراق الموز فإذا أكل الزوج والزوجة منه ، أعلن أن الزواج قد تم بينهما .

ولكن بين قبيلة دنجر يتج ، NEGRITAGE يحضر الشاب والفتاة أمام رئيس القبيلة ويضع رئيس القبيلة يد الشاب في يد الفتاة ثم يأخذ رئيس القبيلة برأس الفتى والفتاة ، ويجعل رأسهما تلامسان أو ينقر أحدهما بالآخرى وبذلك يتم الزواج .

وفي غرب جزيرة باسيلان في قبيلة ياكنس YAKANS تزين الزوجة وتلبس أحسن الثياب وتضع المساحيق البيضاء على وجهها ثم

رُؤْيُ المؤرِّخِ الفقيهِ أبي شامة

للدكتور عباس حلمي إسماعيل

وله ست عشرة سنة ، فدل بهذا كله على ذاكرة قوية وحافظة واهية . (١) ثم أخذ أبو شامة في طلب علوم اللغة والفقه والحديث والتاريخ وبعد أن أنهى شرح في التأليف فيها ، وأم مؤلفاته شرح المفصل للزحشرى ، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز ، والباعث على إنكار البدع والحوادث ، والحديث المقتنى في مبعث المصطفى ، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، والدليل على الروضتين ، وضوء السارى إلى معرفة البارى والمؤمل في الرد إلى الأمر الأول ، وكتاب السواك ، وكتاب القيامة ، ونية الصيام وما في يوم الشك من الكلام ، ومشكلات الآيات ومشكلات الأخبار ، وبلغ أبو شامة رتبة الاجتهاد ، حتى عجب منه أحد تلامذته أن يظل منقسباً إلى الشافعى (٢) .

والواقع أن أبا شامة لم يبلغ ذلك المقام السامى من العلم إلا بعد أن تردد كثيراً هل جامع دمشق ليقرا القرآن الكريم ، ويقلد الشيخ فخر الدين بن عساكر في القراءة والافتاء

(١) ابن الهادي الحنبلى : شذرات الذهب ج ٥

(٢) أبو شامة : الدليل ص ٣ و ٣٨ - ٤٩ .

أبو شامة هو شهاب الدين عبد الرحمن ابن اسماعيل ، وعرف بأبى شامة لأن فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة ، وهو ينتمى إلى أسرة هريقة في بيت المقدس انتقلت إلى دمشق وأقامت في درب الفواخير داخل الباب الشرقى حيث ولد في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٥٩٩ هـ (٩ يناير ١٢٠٣ م) وحكى أبو شامة عن أمه أنها رأت في منامها وهى حامل به : كأنها فى أهل مكان من المئذنة عند هلالها وأنها تؤذن ، فقضت أمه حلها على عابر فنال ه تلدين ذكرأ يقتشر ذكره فى الأرض بالعلم والخير ، وأورد أبو شامة أنه ولد ليلة الجمعة وهى ليلة مباركة عند المسلمين ، وأن النجوم ماجت سنة ولادته فى السماء شرقا وغربا وتطارت كالجراد المنتثر يميننا وشمالا (١) .

وأحب أبو شامة التردد على المكتب منذ طفولته المبكرة على غير عادة الأطفال ، فعجب أبوه منه ، غير أن أمه نهت أباه عن التعجب ، لأن هذا أوضح دليل على صدق حلها ومال أبو شامة إلى حفظ القرآن تخفمه حفظاً وهو دون العاشرة ، وأتقن القراءات السبع على الشيخ علم الدين السخاوى

(١) أبو شامة الدليل ص ٣٢ - ٣٨ .

مع السلطان الكامل عند قلعة الجبل ، وسمع جنازته حتى دفن بقرافة الخافى .

وبالفسطاط تقابل مع خطيبها الشيخ أبى الطاهر المحلى مراراً ، وبالإسكندرية زار عمرو بن الحاجب أستاذ علم النحو والشيخ محمد القبارى أحد الأولياء الصالحين على سبيل البركة (١) .

وصادف وجود أبى شامة فى مصر حدوث الغلاء لانخفاض النيل إلى ثلاثة عشر ذراعا ، وبعث القاضى بهاء الدين بن شداد من حلب لإحضار فاطمة خاتون ابنة السلطان الكامل وزوجة العزيز ملك حلب وأختها غازية خاتون زوجة المظفر ملك حماة ، وقدم الملك الأشرف ومعه الملك شجر شاه بن مودود بن زنكى صاحب جزيرة ابن عمر ، ووصول مجير الدين بن العادل إلى القاهرة بعد أن كان مأسورا عند خوارزم شاه جلال الدين ومشاركة السلطان الكامل الاجناد حفر النيل بين المقياس والفسطاط فى شهر شعبان ورمضان وشوال من هذه السنة (يونيو ويوليو وأغسطس) وقدم رسول الخليفة المستنصر بالتقليد للكمال (٢) ، غير أن أهم ما استقره اهتمام أبى شامة فى آخر هذه السنة فإنه حياة زاهد الإسكندرية الشيخ محمد القبارى ، ذلك أن هذا الشيخ اشتغل بنفسه

ويسمع الحديث من الشيخ نضر الدين بن هساكر فى القراءة والافتاء ، ويسمع الحديث من الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء والنحو من تاج الدين السكندى ، والفقه من تقي الدين بن الصلاح كما توطدت مكانته العلمية بعد أسفار كثيرة ذلك أنه

حج سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٣ م) مع والده ، ثم حج من غيبه سنة ٦٢٢ هـ واستطاع أبو شامة أن يحج مرتين متتاليتين لرخص الأسعار واستتباب الأمن فى الحجاز بفضل الجهاد الذى بذله الملك المسعود ابن الكامل الأيوبرى صاحب مكة واليمن وقتذاك ، ولأن الملك المعظم هيسى بن العادل الأيوبرى مهد الطريق من الشام إلى الحجاز وزود حجاج الشام بالمؤن ثم سافر أبو شامة إلى بيت المقدس سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦ م) صحبة الفقيه عز الدين بن عبد السلام لزيارة الخليل والمسجد الأقصى وغيره من المقدسات وفى آخر ربيع الآخر سنة ٦٢٨ هـ (٦ مارس سنة ١٢٣١ م) سافر أبو شامة إلى مصر فدخل دمياط فى جمادى الأولى ، والقاهرة والفسطاط فى جمادى الآخرة ، والإسكندرية فى ذى الحجة ، وفى القاهرة قابل الشيخ أبى الخطاب عمر بن دحية شيخ دار الحديث الحكامية وأخذ منه إجازة ، وصلى على جثمان العالم النحوى يحيى بن معطى الزواوى

(١) نفس المرجع ص ٣٧ ، ١٣٢ ، ١٦٤ .

(٢) للقرى : السلوة ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

عبد المحسن بن العميد المدعو بالحجة ،
والمقرئ عثمان بن أحمد بن بزال الإربلي ،
وبدمشق علم أبو شامة أن الملك الأشرف
انتهى من بناء دار الحديث الأشرفية سنة
٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) واختار تقي الدين بن
الصلاح شيخا لها ، فسر هذا الاختيار لأن
أستاذه ابن الصلاح جدير بهذا المنصب ،
واستأنف أبو شامة عمله مدرسا بمدرسة شبل
الدولة بقاصيون ، وظهر الشيب في لحيتيه
ورأسه وله من العمر خمس وعشرون سنة ،
فزاد فضلا ووقارا لدى تلاميذه ، ويظل
يعمل في هذه المدرسة ما يقرب من عشرين
سنة تزوج في خلالها وأنجب ابنه الأكبر سنة
٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) وسماه محمدا وجعل كنيته
أبا الحرم ، وكان لمحمد صغیر اسمه عبد الحليم
ولد قبله بستين فقط فلعب الابن مع عمه ،
وتتلمذ محمد على الشيخ تقي الدين بن الصلاح
كما تتلمذ عليه أبوه من قبل ، وسمع محمد من
ابن الصلاح بعض مؤلفاته في الفقه ومعظم
السنن الكبير للبيهقي ، كما سمع من كتب الحديث
والعلوم على نحو مائة وأربعين شيخا منهم
تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم البغدادي ،
والطريف أن محمدا استوعب كل هذا ولم
يتجاوز عمره عند وفاته ثمانين سنين ونصف
سنة (١).

ثم ترك أبو شامة مدرسة شبل الدولة وتولى

في زراعة بستانه ، وزاره أبو شامة وهو
يسقى بجرار الماء من خليج الإسكندرية
على حمار له رغم قلة الماء بالخليج لإهمال
تطهيره ، لم يدع القباري الإرواء ليمتدح
مع ضيفه أبي شامة ، بل أجلسه مع غيره
من الضيوف فقص أحدهم عن ورع القباري
قائلا : إنه حريص في تحصيل ثماره ، إلى حد
أنه إذا رأى ثمرة ساقطة تحت شجرة من أشجاره
ولا يشاهد سقوطها منها يتورع عن أكلها
خوفا من أن تكون من شجر غيره ، قد حملها
طائر فسقطت منه في بستانه ، ولما فرغ
القباري من عمله جاء إلى ضيفه وقدم لهم
بعضا من ثمار بستانه كما هي عادته مع كل من
يزوره من الملوك وغيرهم . والواقع أن بستان
القباري بقي مزارا لكل طماع في بركته حتى
وفاته وبلغ من اعتقاده في بركته أن تنافسوا
على شراء كل أثنائه حتى لإبريق الوضوء ،
وتزايدوا فيه حتى يبيع بنحو عشرين ألف
درهم مع أن قيمته لا تزيد عن خمسين
درهما (١).

ولم يلبث أبو شامة أن رجع إلى دمشق
في ٧ ربيع الآخر سنة ٦٣٩ هـ (أول فبراير
١٢٣٢ م) وكأنه أراد ألا يمكث أكثر
من سنة بمصر حتى لا يفسد عياله دمشق ،
ولذا استغنى عن السفر إلى دقوقا وإربل ،
لأنه قابل أعظم شيوخهما سنة حجته الأولى

بأسراره وتحدث معه في أمور المسلمين وهو يمشى إلى جانبه ملاصقا منكبته حتى كان الناس يسألونه عنه وعمامته أن يفعل وهو يخبرهم ، وكانه واسطة بينه وبين الناس . كذلك رأى أبو شامة في منام آخر والفقير من الدين بن عبد السلام داخل باب الرحمة ببيت المقدس ، وقد أراد أن يفتح من وقفوا خلفه يدفعونه لينفلق ، فزالا يعالجان الأمر حتى فتح مصراعيه فتجا ناما بحيث أسند كل مصرع إلى الحائط الذي خلفه . ويروى أبو شامة أنه رأى هذه الرؤى في سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦ م) وهي السنة التي زار فيها بيت المقدس مع من الدين بن عبد السلام ، ولذا دارت هذه الرؤى حول بيت المقدس والصليبيين ، لا سيما أن المسلمين أرجفوا عن إعتراف السلطان الكامل تسليم بيت المقدس لفرديك ملك الألمان وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة (١) . غير أن أعجب منامات أبي شامة هو منامه في جمادى الآخرة من هذه السنة أي سنة ٦٢٤ هـ (مايو سنة ٢٠٧ م) حين رأى كأن المسلمين في صلاة الجمعة في حر شديد وهو حائف عليهم من العطش . ثم منامه كأنه في صدر الإيوان بالمدرسة العادلية بدمشق ، وأن قائلا يقول للناس تنجوا فالنبي صلى الله عليه وسلم يمر . ورأى بعض الصالحين له أنه متوجه إلى الحج وقد تزود تزودا تاما .

مشيخة دار الحديث الأشرفية خلفا للشيخ تقي الدين بن الصلاح الذي توفي سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) وكان أباشامة أراد أن يقول إن منصبه الجديد قد جر عليه الانكاد لحسد الحساد ، فتوفي ابنه أبو الحرم محمد كما توفيت ابنته زينب بعده بأربعة أيام ، ثم جاء الغلاء لعبت الخوازمية في البلاد ، وتولى أبو شامة كذلك مشيخة الإقراء بالنزبة الأشرفية ، والإفتاء في صدر الإيوان بالمدرسة العادلية التي وقف كتبه على خزانها (٢) ، ولهذا كله زاد حساده الذين استكثروا عليه منزلته العلمية وأخذوا يكذبونه ويسفغون آراءه ، والواقع أنه أوجد لهم مدخلا إليه باعتقاده الراسخ في الأحلام ، وأدعائه اختراق حجب الغيب ، والإنباء بما كان وسيكون ، فقال متحدثا عن نفسه : « رويت له منامات حسنة كانت مبشرات له بما وصل إليه ، من العلم وما يروجه من الخير ، كما قال : « سطرت هذه المنامات وغيرها تحدثا بنعم الله تعالى . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له ، (٣) ، ومن هذه المنامات التي أشاها إليها أنه رأى كأن عمر بن الخطاب قد أقبل إلى الشام منجدا لأهله على الفرنج ، وبلغ من مكانته لدى عمر في هذا المنام أن عمر أفضى إليه

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ٦٢ .

(٢) أبو شامة : القليل ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٨ .

جرحه (١) . ثم قص قصاب نصراني على أبى شامة أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة وهو مضجع من أثر مرض ، فقال له الرسول : قم واخرج من الضلالة إلى الهدى واذهب إلى أبى شامة وأسلم على يده . وأخبر الرسول أن ضاحب مصر سوى يهدم عكا ويملكها وأن القصاب سيعمل بمسجدها ، ثم حكى أن الرسول ارتفع بعد هذا إلى السماء في صورة أكل من القمر وأنهم من الشمس ، وحين سأله القصاب عن اتجاه سيره طلب منه أن يسأل ربه في الناس نصرهم على الكفرة ، وهذئذ تنبه القصاب وبقي في حيرة من أمره ، فلما كان ليلة السبت رأى مثل ذلك المنام ثم ليلة الأحد كذلك ثلاث ليال متوالية ، فصم على أن يسلم وسأل عمن يقال له أباشامة فبدله المنايا عليه وأمره أبو شامة بالإسلام فأسلم (٢) وهذا الحلم إن دل على شيء فإنما يدل على أن الناس تمزوا لإقتراب اليوم الذي يخرج فيه الصليبيون من هكا آخر بلد لهم بالشام بعد أن استولى بعبس على أنطاكية وقلاون على طرابلس ، ولم يتحقق لهم هذا الحلم إلا بعد أن مضى ما يقرب من سبعين عاما على حلم القصاب ، وحققه لهم السلطان المملوكي الأشرف خليل (٣) .

هذا عدا المنامات الأخرى التي رآها له أخوه الشيخ برهان الدين إبراهيم وهو أكبر منه بنحو تسع سنين : رأى أن أباهما يحثهما على العلم ، وعندئذ انكشف لهما بيت المقدس والمسجد الأقصى (١) . ولا شك أن هذه المنامات تدل على أن أباشامة استغرق فيها ومما يؤيد هذا الاستنتاج منام آخر إبراهيم الدين حين رأى كأنه جالس إلى جانب أخيه الذي يكتب شيئا ويقرؤه ، فكان ما كتبه قوله تعالى : وسنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطانا ، (٢) .

ثم ذاع صيت أبى شامة بين الدماشقة على أنه كثير الرؤى ، فوجدوا عليه ليعبر لهم أحلامهم ، ولا سيما بعد أن ادعى أبو شامة أنه يعرف علم الفلك : ويرقب النجوم ويفسر ظاهري الكسوف والخسوف (٣) . وعن جاءوا إليه الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني الذي أخبره أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يا رسول الله ، باقه ما أنا رجل جيد ؟ فقال : بلى أنت رجل جيد ، وهنا صمت أبو شامة لأنه أدرك أن مرديده استولى عليه الخوف بدعوى أنه ناهز المسألة ، وصبق أن قص له أنه حضر ختان ابن فور الدين زكي ، ولعب الأمراء بالميدان احتفالا بختانه ، ولعب الصديان مع الأمير في فراشه حتى برى .

(١) نفس المرجع ص ١٩٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٢١ .

(٣) تم ذلك سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) .

(١) نفس المرجع ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٣٧ .

(٣) نفس المرجع ص ١٨٩ .

ومن ثم عكف أبو شامة في داره على إنجاز مؤلفاته ، غير أنه لم يتفرغ للتأليف كلية ، بل احترف الزراعة مثل الشيخ محمد القباري زاهد الإسكندرية ، لياً كل بما تزرعه يداه حللاً طيباً بدلاً من أن يعيش على الأوقاف التي اعتبر أموالها حراماً ، وحدث أن عاتبه أحد أصدقائه لاشتغاله بالزراعة فرد عليه مدافعاً :

لا تلبى على الفلاحة وأعلم
أنها من أحل كسب وأثرى

وبها صنت ماء وجهي عن الناس
س جميعاً وعشت في القوم حراً

لذ بها صار منزلي ذا غلال
مع عيال من بعد ما كان قفراً

فعليك المعاش يا طالب العلم
لم ولا ترك المعيشة كبراً

عجبا من مدرسين قضاة
يقاربون في اللباس بطراً

وم في نفوسهم في عظم
يركبون البغال عزاً وزهواً

حسدتني جماعة قال منهم
قائل : ذا ومن أين أثرى ، (١) .

وتمكن أبو شامة من الاكتفاء بدواه بعد فراغه من الزراعة ، لأنه رزق زوجة

صالحة هيأت له حياة منزلية ودنيا . لما مدح وجل زوجه مثلاً مدح أبو شامة

فوصفها بأنها : ولودودود ، نظيفة لطيفة صبورة شكورة ، مطاوعة موافقة ، مطرزة

(١) أبو شامة : الذيل ١٩٥ - ٢٦٦ .

ومهما يكن من أمر هذه المناهات ، فإن العلماء استكثروا على أبي شامة أن يخلف أستاذه تقي الدين بن الصلاح في وظائفه ، وهو مشغول عنها بأحلامه ، فضايقه واعتبروه منجماً . وزادت مضايقتهم له عندما أخذ أبو شامة يحاضر في التاريخ بدلاً من الفقه ، حتى أنه فرغ من إسماع كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النسوية والصلاحية سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) (١) على حين أنه لم ينه شيئاً من كتب الفقه . فلم يسه قبالة هذه المضايقة إلا الاستقالة من كل وظائفه ، ولم يشر في كتبه إلى تاريخ استقالته ، ويبدو أنها حدثت سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) حين توجه ابن خلسكان إلى دمشق ليمتولى بعض وظائف أبي شامة (٢) الذي قال عنده : « دمشق في عصرنا مع فضلها بليت ، من القضاة بجمال وأوقاع ، (٣) . وبرر استقالته بأنه « محب للعزلة والانفراد ، غير مؤثر للتردد على أبواب أهل الدنيا ، متجنب المزاحمة على المناصب ، لا يؤثر على العافية والكفاية شيئاً . واستطرد قائلاً : « أردت واحة سرى بما يضيق صدري ، لما ألقى من جفاء وغدر وحسد واعتياب ، فياضياً لعمرى . فاخترت أن أتمحى واستقل بأمرى ، (٤) .

(١) نفس للرجع ص ١٨٧ .

(٢) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٥٥ .

(٣) أبو شامة : الذيل ص ٢١٤ .

(٤) نفس للرجع ص ٤٣ ، السبكي : طلبات

الشافعية ج ٥ ص ٦١ .

فقال في مقدمته : « حملني على تأليفه كثرة موت المعارف ، فأردت إثباتهم لعل بمطالعهم أجد قلبا على الآخرة يساوف ، (١) . ولذا جاء كتابه هذا أقرب إلى كتب التراجم منه إلى كتب التاريخ ، وترجم لنفسه ، فضرب المثل لبعض من جاء بعده من الكتاب مثل ابن خلدون .

غير أن أباشامة لم يفس أن يشتغل بالإفتاء إلى جانب التأليف ، فتوافد الناس على داره ليفتيهم في شئون دينهم ودنياهم ، برغم هزله من وظيفة الإفتاء ، ذلك أنهم وجدوه حريصا على الاجتهاد في الأحكام المختلف فيها ، فيفتي بما يراه أقرب إلى الحق وإن كان المستفتي على خلاف مذهبه . على أن نبوغ أبي شامة في الإفتاء تبعا للأدلة جر عليه حسد الحساد وكيد الكائدين ، فدخل عليه اثنان وهو في بيته في صورة المستفتين ، وضرباه ضربا مبرحا في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ هـ (٥ مارس ١٢٦٧ م) أحدث به عاهات مستديرة ، وأحجم عن تبليغ أولى الأمر قائلا : « بقيض الله تعالى لنا من يأخذ الحق ويشني الغليل ، إذا توكلنا عليه كنى غسبنا الله ونعم الحوكيل ، (٢) . وظل أبو شامة هليلا من أثر هذا الضرب حتى توفي في ١٩ رمضان سنة ٦٦٥ هـ (١٣ يونيو ١٢٦٧ م) ٩

عباس ملحمي ، ساهل

خياطة ، مربية حنافة ، تحفظ مال الزوج ، وتفعل حتى الكنس والطبخ والغسل ، قاتنة صوامع ، وتقر البيت في عينها أحلى من الهزل ، (١) . وبعاون زوجته أمكنه أن يخصص بعض وقته لكتابة التاريخ ، وكأنه أراد أن يعتبر دراسة التاريخ نوعا من العبادة فقال : « إن في مطالعة كتب التاريخ معتبرا ، وفي ذكرها عن الغرور مزدجرا ، لا سيما إذا ذكر بعض من مات في كل عام من المعارف والإخوان والأقارب والجيران وذوى الثروة والبطان ، فإن ذلك ما يزدوي البصائر في الدنيا ويرغبهم في العمل للحياة العلمية والاستعداد لمسام ملاقون ، والإفلاح مما هم عن قليل مفارقوه ، (٢) . وحاز كتاب الروضتين إعجاب سامعيه فبعث سعد الدين ابن العلامة يحيى الدين بن العربي يستعيره منه قائلا :

هذه ثمار الروضتين زكاتها
وجبت عليك غداة ثم نصابها
فامن على بها لعل اجتلي
نمرات علم راحتك سحابها
وأنا الكفيل بحفظها وبحفظها
ويكون أسرع من نذاك إياها
فلم يسع أبو شامة إزاء إعجابه بقوله :
إلا أن يعمره الكتاب ؛ برغم حرصه الشديد عليه (٣) . أما كتابه الذيل على الروضتين

(١) نفس المرجع ص ١٩٦ - ١٩٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٥ .

(٣) نفس المرجع ص ٧٠٠ .

(١) نفس المرجع ص ٥٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٤٠ .

التأمين

للأستاذ علي الخفيف

— ٨ —

وإذا قيل : إن هذا ضمان لما سيثبت في الذمة فيكون صاحبها مديناً به وضمن المؤمن ليس كذلك لأنه التزام بأداء ما يرتفع به الضرر من تعويض سراء أثبت ذلك التعويض في ذمة أحد من الناس بسبب اعتدائه أم لم يثبت بأن وقع الضرر قضاء وقدرأ وعلى ذلك فلا وجه للمناظرة والقياس - قلنا في الإجابة عن ذلك : إنما لا نريد هنا قياساً على الكفالة بالدين المعلوم المنتظر وجوده أو الموعود بوجوده لنستدل به على جواز الضمان في التأمين وإنما نريد به الاستدلال على أن ضمان شيء أو تحمل تبعته مالا يستلزم أن يكون ذلك شيئاً فعلاً بل يصح أن يكون شيئاً غير موجود موجود وهو على خطر الوجود قد يوجد وقد لا يوجد - وإلا فإن محل الضمان في التأمين مغاير لمحل الضمان في الكفالة إذ محل الضمان في الكفالة هو الدين في ذمة المدين ، أما في التأمين فهو التعويض مما أحدثه الخطر الحادث من ضرر وجوازه لا يقوم على هذا القياس وإنما يقوم كما سيأتى على أنه مباح جرى عليه التعامل لحاجة الناس إليه ولم يرد فيه دليل يدل على حظره وعلى ذلك فلا وجه للقياس .

أما جهالة مقدار ما يرتفع به الضرر من التعويض عند إنشاء التأمين فلا تحول دون صحة الضمان ووجوده ذلك لأن الجهالة الممنوعة هي الجهالة التي تؤدي إلى استحالة تنفيذ الالتزام . أما ما لا يؤدي منها إلى ذلك كما كان مألهاً إلى الزوال فلا تمنع من صحة الضمان ألا يرى أن الكفالة بما سيقرضه فلان جائزة مع جهالة مقداره ، وأن الكفالة بما لك في ذمة فلان جائزة مع جهالة الكفيل بمقداره وأن الكفالة بما سيثبت لك في ذمة فلان جائزة مع الجهالة بمقداره وخلاصة المذهب في ذلك : أن الكفالة بمجهول المقدار جائزة عند الجميع خلافاً للشافعي والمووي والليث ابن سنان وابن أبي إيلي والشيعة - وأهل الظاهر غير أن الحنابلة يشترطون في صحة كفالته أن يكون مآله إلى العلم بمقداره ، وفي الواقع أنه شرط ليس محل خلاف إذ تقتضى الكفالة المطالبة ولا مطالبة بمجهول فلا بد أن يكون المآل العلم به عند المطالبة به وعلى ذلك فضمن التعويض في التأمين أو تحمل التبعة لا يحوّل دون صحته جهالة مقداره كما لا تحول دون صحة الكفالة بالدين جهالة مقداره .

٤ - الأساس الشرعى الذى يقوم عليه حكم التأمين :

يرى رجال القانون الذين كتبوا فى عقد التأمين أنه عقد معاوضة - وهذا رأى منهم على ما يبدو من تصريحهم بأنه يقوم على التعاون بين المستأمين وأن الشركة المؤمنة ليست إلا وسيطاً بينهم مسaire منهم لما يكون فى نفوس المستأمين عند إقدامهم على عقد التأمين مع شركة من شركات التأمين فليس يقوم فى نفوس أكثرهم عندئذ إلا الموازنة بين ما يلتزمون بدفعه إلى الشركة وما سينالهم منها بناء على هذا التعاقد من تعويض نتيجة التزامها بموجبه تحمل تبعه ما ينزل بهم من ضرر - ثم هو رأى إلى هذا يتفق مع الصورة الظاهرة للعقد وهى تلك الصورة التى فرضها التكييف القانونى الفنى كوسيلة لإعطاء هذا التعاقد من القوة والأحكام والآثار ما للعقد لتكون الأساس فى الفصل إذا ما حدث بهأنة نزاع بين المتعاقدين - وقد ساعد على هذا التكييف ما ينشأ به العقد من عبارات وما يحويه من شروط مما يضئ عليه صورة المعاوضة . وإذا فرضنا أن هذا هو أساس التأمين وحقيقته وواقعته فليس ذلك بجائز دون جوازه شرعاً لما بيننا من أنه على هذا الوضع يكون نوعاً جديداً من التعاقد وضرباً مستحدثاً من ضروب المعاوضة التى لا تقف عند حد ولا تنتهى صورها عند صور معينة محصورة

وذلك بسبب تطور المعاملات المالية والتعاملية والانفاقات الاقتصادية وتغيرها والمبادلات بمضى الزمن وما يأتى به المستقبل من اكتشافات ومخترعات تدعو إلى هذا التنوع من التعاقد والمبادلة ألا ترى أن اكتشاف الكهرباء وإرادة الانتفاع بها دعا إلى التعاقد على الحصول عليه فكان عقداً جديداً ليس هو بعقد البيع ولا بعقد الإجارة ولا يتناول له عقد من العقود المعروفة وإذا استطعنا فى مستقبل الزمن أن نصل إلى إحراز حرارة الشمس وتوزيعها للانتفاع بها رأينا أنفسنا فى حاجة إلى عقد جديد بشأن ذلك مع الهيئة التى تقوم على تنظيم ذلك يومئذ وهكذا لا تقف صور عقود المعاوضة عند حدود معينة .

وعلى ذلك فليس يمنع من جواز التأمين مع الشركات أن يعد عقد معاوضة أحد البدلين فيه التزام المستامن بدفع أقساط مالية فى أوقات معينة والبدل الآخر التزام شركة التأمين بتحمل تبعه ما يصيب المستامن من ضرر نتيجة النزول كارثة معينة به - ويكون قيام الشركة بدفع التعويض نتيجة لازمة لتحميل التبعة أو لهذا الضمان الذى أفاد العقد . كما لا يمنع من جواز هذا العقد أيضاً أن يكون عقد ضمان لما قد يحدث وأن يكون مقدار التعويض الذى يرتفع به الضرر مجهولاً عند إنشاء العقد وذلك لما بيننا فى النقطة الثانية والثالثة .

وهذا النظر من رجال القانون على ماله من

للقيام عنهم بهذا العمل لجبرته وأمانته وتفرغه فتقوم هذه الهيئة بكل ما يقتضيه تحقيق هدفهم هذا من أعمال كجميع الاشتراكات وتشير المال ومباشرة التعاقد مع من يريد الانضمام إليهم ودفع التعويض لمن يصيبه الخطر منهم إلى غير ذلك ، وذلك نظراً أجر يعطى لها .

أما التأمين الاشتراكي بواسطة الشركات فإنه يبدأ بوجوده وحياته بظهور جماعة يرغبون في هذا العمل — عمل التأمين — لما يرون من قدرتهم عليه ويسره عليهم ولما يأملون فيه من جزاء مالى مرضى أو مطمع فينصبون أنفسهم له ويتفرغون لأعماله ويقومون بالدعاية اللازمة ويدعون الناس إلى التعاقد معهم بوصف أنهم حملاء ووسطاء يعرضون أنفسهم وخدماتهم على من يرغب في التأمين من خطر معين أو أخطار معينة فيجتمع عليهم العدد العديد يتعاقدون معهم على ذلك ليقوموا بجميع الأعمال التى يتطلبها التأمين بناء على التزامهم بذلك نتيجة للتعاقد معهم — وعلى ذلك تثبت لهم صفة النيابة عن المستأمنين أو الواسطة بحكم هذا التعاقد ووضعه وما سن له من قوانين وبذلك يصبح مركزهم من المستأمنين مركز — النائب والوسيط كما هو الحال فى الهيئة التى تقوم بذلك فى التأمين التعاونى فلا يرى فارق بين الحالين إلا فى النشأة والوجود — وعلى ذلك يرى أن من له القيام بأعمال التأمين فى الحالين : حال التأمين التعاونى وحال التأمين الاشتراكي

سند واقعى ليس بالنظر المحيط العميق الذى يصيب وحدة الأساس فى جميع أنواعه واحد سواء فيه التأمين الاجتماعى والتأمين الاشتراكي اللذين تقوم بهما الحكومات والتأمين التعاونى والجماعى والتأمين بالتعاقد مع الشركات وهذا الأساس قيامه فى جميع أنواعه على التعاون بين المستأمنين — فالتعاون الاجتماعى الذى تقوم به الحكومات يقوم على ما تجمعته الحكومة التى تقوم بذلك من المستأمنين من مال تستقطع من مرتباتهم لديها أو من مرتباتهم لدى من يستخدمونهم من أرباب الأعمال مضافاً إلى ذلك ما يدفعه أرباب الأعمال وما تدفعه الحكومة معونة لهم ومن الحصيلة يدفع التعويض لمن يستحقه وهذا من غير شك يحقق التعاون بين المستأمنين من العمال وبين أرباب الأعمال والحكومة فى تخفيف الضرر أو رفعه .

وكذلك يبدو واضحاً كما بينا فيما سبق قيام التأمين التعاونى على التعاون وليس يختلف عنه فى ذلك التأمين الاشتراكي مع الشركات فهما فى الحقيقة نوع واحد له أساس واحد هو التعاون بين المستأمنين ولا اختلاف بينهما إلا من حيث النشأة ذلك أن التأمين التعاونى يبدأ وجوده وحياته باجتماع المستأمنين وانفاقهم فيما بينهم على القيام بالتعاون بينهم فى دفع ما ينزل بأحدهم من ضرر بسبب حادث هم معرضون له جميعاً ثم يتلو ذلك قيامهم بتأليف هيئة منهم أو من يرونه أهلاً

ذلك - وإذا كان هذا هو أساس التأمين فإن التعاقد الذي يقوم على هذا الأساس تعاقد لا يخرج عن أصول الدين ولا يتعارض معها ويجب لذلك أن يكون الحكم واحداً في جميع أنواعه وعلى ذلك تكون التفرقة في الحكم بين التأمين التعاوني وبين التأمين الاشتراكي مع الشركات التي ذهب إليها بعض الباحثين إذ أجازوا النوع الأول دون الثاني لا أساس لها إذ أنهما في الوضع والتكييف والاساس سواء فكلهما يقرم على التعاقد والالتزام والاساس فيهما واحد كما بينا والتعويض فيهما إنما يدفع من أموال المستأمنين التي جمعت منهم لهذا الغرض وكلا العقدين في الحالين عقد جديد مستحدث دعت إليه الحاجة والمصلحة - والدافع للتعويض فيهما هي الهيئة التي تمثل المستأمنين في الحالين . أما أنه عقد جديد مستحدث فلما هو ثابت من أنه لم تكن له بداية وجود إلا في القرون الوسطى . وقد بينا فيما سبق أنه قد خلا من كل سبب يدهو إلى حظره وأن ما أثير حوله من الشبهات ليس له واقع ولا أساس وأنه إذا لم تكن المصلحة داعية إليه فهو على الإباحة الأصلية يجوز للناس أن يقدموا عليه وأن يتجنبوه دون لثم ولا لوم ولكننا قد بينا فيما سبق ما للتأمين من فوائد ومزايا وما يترتب عليه من مصالح أدت إلى ذروته وتنوعه وانتشاره وتغلغله في نطاق الصناعات على اختلاف أنواعها وفي مجال التجارة على اتساعه وفي

مع الشركات في مراكز الوصى أو النائب فليس له ملك ما يجمع من الأموال ويقضيه من الأقساط ملكاً مطلقاً يتصرف فيه تصرف المالك كما يشاء ولكن له بعد ملكاً للمستأمنين كما كان قبل أخذه منهم غير أن ملكيتهم له أصبحت بهذا التعاقد ملكية مقيدة بمقتضى القوانين التي سنت في هذا الشأن وكما يأخذ القائمون بالعمل أجورهم من حصيلة المال الذي تحت أيديهم في التأمين التعاوني كذلك يكون الفرق الناتج من موازنة ما يجمع من الأقساط وما يستحق من التعويضات بعد احتجاز ما يجب احتجازه للاحتياط أجراً وربحاً للقائمين بالعمل ومن إليهم من أعضاء الشركة نظير العمل في رأس مالهم الذي أسهموا فيه ابتداء عند تكوين الشركة ليسكون دعامة لا يتجاوزها قيامها وعملها وهذا الربح أيضاً مقيد بمجدول بمقتضى القوانين حتى يكون لخصيلة الاحتياط ما يقويها ويدعمها .

من ذلك يتبين أن الوضع في الحالين واحد وأن كلا منهما قائم على التعاون بين المستأمنين والتضامن بينهم جميعاً في دفع ما يصيب أحدهم من ضرر إصابة لخطر معين نزل به وذلك بواسطة ما يجمع منهم من مال يقوم على جمعه واستغلاله وحفظه على هيئة تنوب عنهم في الحالين . وليس يختلف في الحالين وضعهم ولا حقوقهم ولا ولايتهم - ومن هذا يظهر أن أساس التأمين واحد في جميع أنواعه لا يختلف نوع منه عن نوع آخر في

فهو منتشر فيها كله ذائع في جميع مجالاتها الاقتصادية وإذا لم يكن هذا الانتشار محققا للعرف العام فبم يتحقق إذن هذا العرف ؟ وليس يقدح في ذلك أن عدد المستأمنين بالنسبة إلى غيرهم قليل وأن من الناس من ينكره إذ لا يشترط في أن يصح الشيء عرفا عاما أن يباشره كل فرد من أفراد الأمة ولا أن يعمل به أكثرها من ناحية العدد ولا ألا يكون عليه إنكار فالعرف هو الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية (١) ويصير عاما إذا ما تعارف عليه الناس في جميع الأمصار لجسروا عليه في معاملاتهم أو في حياتهم وتصرفاتهم كعقد الاستصناع وذلك متحقق في التأمين بل إن اشتهار عقد التأمين وشيوعه أشد وأعظم من انتشار عقد الاستصناع وشيوعه ولم يقدح في أن يكون عقد الاستصناع عرفا عاما أن الشافعية ومن ذهب مذهبهم ينكرونه وليس يباشر الاستصناع كل فرد ولم يعمل لإحصاء لمن باشر الاستصناع ومن لم يباشره .

ومع ذلك فليس الإنكار على التأمين إلا قائما على شبهات لا واقع لها ولو لم المنكرون أساسه ما أنكروا عليه ، وم عدد قليل ممن عثوا بالبحث فأخطأوا النظر فكان من ذلك إنكار .

ولما تقدم بيانه ولما هو واضح من أنه يؤدي إلى مصالح اجتماعية وفردية لها قيمتها

معظم وجوه النشاط الاقتصادي وإلى حماية الحكومات بأمره تشريعا ومراقبة وتنظيما وإلى قيامها به مراعاة لمصلحة عمالها وموظفيها ثم إلى فرضه في نواح عديدة بما شرعته الحكومة من القوانين وهذا على امتداد انتشاره إلى ما يصيب الإنسان من مرض أو عجز أو شيخوخة ثم إلى ما بعد حياته بالنسبة إلى ما قد تعرض له ورثته بسبب وفاته من حاجة أو فاقة .

إن كل هذا مما يقطع بأنه مفيد وما يترتب عليه من مصالح أحلته في المجتمع الإنساني بحاله خطره وأنزلته مكانة لها إشعاها وممها بسبب ما قام بأمواله من منشآت ومصانع ومؤسسات كان لها أعظم الأثر في الثروة القومية والمجال الاقتصادي . وهي مع ذلك مصالح تحقق حكمة الشارع في كثير مما شرعه من الأحكام فهي تحقق التعاون في البر وقد أمر به في قوله : « وتعاونوا على البر والتقوى » ، والحذر وقد أمر به في كشم من المواطن منها قوله تعالى في بعضها : « وخذوا حذركم » ، والوقاية من المكروه والضرر وقد نفي ذلك الشارع إذ قال : (لا ضرر ولا ضرار) إلى غير ذلك مما يدل على أن الشارع الحكيم لم يهدف في تشريعه إلى العقود والاستسلام وعدم النظر إلى العواقب وترك الحيلة والحذر . إن وصول التأمين إلى هذا المستوى من الانتشار والأهمية يدل على أنه قد صار عرفا عاما معروفا في جميع البلاد الإسلامية شرقية وغربية

(١) شرح التحرير ج ١ صفحة ٢٨٢ .

على التأمين بناء على ما يصاحبه من شروط أو رغبة في الادخار لم ينكره على التأمين نفسه وإنما أنكر شيئاً آخر .

الرأى فى التأمين من الناحية الشرعية .

إن ما قدمناه من الأسباب يستوجب أن يكون حكم التأمين شرعاً هو الجواز وهى أسباب نعملها فيما يأتى :

أولاً : أنه عقد جديد مستحدث لم يتناوله نص خاص ولم يشمله نص حاصر والأصل فى ذلك الجواز والإباحة .

ثانياً : أنه عقد يؤدي إلى مصالح بينها وبينها وزنها ولم يكن من ورائه ضرر وإذا ثبتت المصلحة فثم حكم الله

ثالثاً : أنه أصبح عرفاً عاماً دعت إليه مصلحة عامة ومصالح شخصية والعرف من الأدلة الشرعية .

رابعاً : أن الحاجة تدعو إليه وهى حاجة تقارب الضرورة ومعها لا يكون للاشتباه موضع إذا فرض وكان فيه شبهة .

خامساً : أن فيه التزاماً أقوى من التزام الوعد وقد ذهب المالكية إلى وجوب الوفاء به قضاء .

هذا ما أدى به النظر فإن أصبت فن الله وإن أخطأت فنى وما توفيقى إلا بالله . . .

على التقدير

لفت نظر : طلب أحد كبار العلماء إلى المجلة أن تذكر القراء بأن هذا البحث لم يصدر بجمع

البحوث قراراً فيه وقد سبق أن بينت المجلة السبب فى نشره .

ووزنها فإنى أرى أن جوازه شرعاً لا يفتى أن يكون محلاً لخلاف - وفيما ذهب إليه بعض المالكية من وجوب الوفاء بالوعد قضاء مسوغ قوى صالح لأن يكون الرأى فى التأمين هو الجواز والإلزام سواء نظرنا إلى رأى من ذهب إلى وجوبه مطلقاً أم إلى رأى من ذهب إلى وجوبه إذا كان على سبب فالتأمين لا يقل منزلة عن وعد أقيم على سبب إذ أنه يتضمن الإلزام بدفع التعويض عند زول الضرر بالمستأمن وإذا كان الوعد واجب الوفاء قضاء فأولى أن يجب الوفاء بالاستزام بالتعويض فى التأمين .

هـ - من النقطة الخامسة بما يصاحب

عملية التأمين :

أما ما يصاحب عملية التأمين من شروط أو رغبة فى الادخار فليس يحسم ذلك الحكم فى عملية التأمين ذاتها لأن ذلك أمر خارج عنها ومن اليسير على المستأمن أن يجعل عقده خالياً من كل ذلك فلا يطلب ادخاراً ولا يقبل شرطاً يحل حراماً أو يحرم حلالاً إذا ما هذا ذلك من الشروط جائز أما ما قيل من أن شركات التأمين تستثمر أموالها فى أعمال ربوية فإن المستأمن يستطيع كما قدمنا أن يبرأ لدينه بأن يشترط عليها ألا تستثمر ماله فى عمل ربوى وبذلك يرى أن من أقام إنكاره

ما يقال عن الإسلام

الأخلاق الإسلامية

د. أسد زكزاكي، دكتور في الدراسات الإسلامية

الذي يجب عليهم أن يسيروا فيه ليصلوا إلى صلاح معاشهم ، أو بلغة القرآن ليهديهم إلى الصراط المستقيم . ولذلك سمي القرآن الهدى ، ومن سلك سبيل القرآن اهتدى .

غير أن القرآن ليس كتاباً مؤلفاً على أبواب وفصول كما هي الحال في الكتب التي يؤلفها البشر ، أو في كتب الأخلاق المتداولة . إنه كتاب سماوي ، نزل على محمد عليه السلام منجماً في عشرين عاماً بحسب المناسبات ، فيه الترهيب والترغيب ، والأمر والنهي ، والإقرار بالوحدانية ، ومجادلة الكفار ، وحرب الأمثال بالأمم التي بادت حين كفر أهلها بأنعم الله ، وفيه بيان للعبادات الأساسية كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وما لهذه العبادات من أثر في القرب من الله ، والاتصال به ، ومعرفة ، وخشيته ، وفيه إلى جانب ذلك تشريعات خاصة بالميراث والتملك وعقاب السرقة والقتل وغير ذلك ، ثم فيه أيضاً قواعد السلوك التي تسعى بالأخلاق . إن الذي يقتضيه الآيات الواردة في القرآن من الأخلاق يرى أنها نحت على الإيثارة ،

الأخلاق الإسلامية موضوع من أهم الموضوعات وأعظمها خطراً ، لأن الأخلاق في الأمم هي الأساس المتين الذي تقوم عليه ورحم الله الشاعر حين قال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

وقد ظهر الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، ولا تزال الدول الإسلامية باقية حتى اليوم ، وذلك بفضل ما يسودها من أخلاق إسلامية مشينة .

وعلى الرغم من أهمية الأخلاق ، ومن أن مفكرى الإسلام كتبوا في كل ما يخطر على البال من موضوعات ، إلا أن كتب الأخلاق قليلة جداً ، وما نجد في بطون الكتب المطولة من فصول تتصل بالأخلاق قليل أيضاً . وعلة ذلك أن كتاب المسلمين الذي يرجعون إليه في أمور دينهم ، وهو القرآن الكريم ، هو كتاب دين كما أنه كتاب دنيا كفاك ، إنه كتاب أخلاق ، إنه هدى للمتعقلين .

والأخلاق هي السلوك الصالح الذي يجب على المرء أن يفعله ليصلح من أمره في نفسه ، كما يصلح أمر المجتمع الذي يعيش فيه . وقد نزل القرآن ليبين للناس الطريق الصحيح

(دونالدسون) صاحب كتاب «دراسات في الأخلاق الإسلامية» طبع في طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ ، وأعيد طبعه سنة ١٩٦٣ ، والاسماد (دونالدسون) معروف لقراء العربية من كتابه عن «عقيدة الشيعة» الذي نقل إلى اللغة العربية وقد يكون كتابه عن الشيعة ، وبخاصة الاسماعيلية ، جيداً في بابه ، لأن هذه الفرقة صاحبة عقيدة سريّة ، ولها كتب خاصة بها ، وكل ما كان باطنياً سرياً فلا يقبل المناقشة الصريحة المعقولة .

أما الأخلاق الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة بوجه خاص ، فهي أمر واضح مكشوف لا سريّة ، وهي أخلاق تعم كافة المسلمين في الشرق والغرب على السواء ما داموا متبعين لكتاب الله وسنة رسوله . جرى المؤلف على سنة غيره من المستشرقين الذين أرجعوا الفضائل الإسلامية إلى ما كان موجوداً عند العرب في الجاهلية من الكرم وحفظ الجار والحلم ، وغير ذلك ، والواقع أن الطبيعة البشرية مزيج من الفضائل ومن الرذائل ، وهذه الحاصل موجودة في كل زمان ومكان لأنها مستمدة من طبيعة الإنسان نفسه وما فعله القرآن هو أنه امتدح الفضائل التي بها تزكو النفس وتقرب من الخير وتصلح المجتمع ، وذم الرذائل المفضية إلى هدم الأمة وضياعها وذلك في ضوء المبدأين المذكورين من قبل وهما : الإيثار والتقوى .

لا على الأثرة ، إنما في جعلها أخلاق اجتماعية ، لا أخلاق فردية . وليس معنى ذلك أن القرآن ينظر إلى المجتمع ويلغى الفرد ، ولكنه ينظر إلى الفرد في ضوء مصلحة المجتمع ، وإذا تعارضت المصلحتان فلا عجب أن يؤثر الفرد مصلحة المجتمع ، وأن يضحي بنفسه في سبيله . والمبدأ الثاني الذي يستخلص من القرآن أن الأخلاق الإسلامية هي أخلاق «تقوى» ، بكل ما تحمل التقوى من معان سلبية وإيجابية أي تجنب الحرام ، والإقبال على الحلال ، والحرام والحلال - في الأخلاق - ليس الحرام والحلال المنصوص عليهما في التشريع والفقه ، وما رتب عليهما من جزاء كالسرقة التي يعاقب مرتكبها بقطع يده أو دفع الزكاة التي يثاب عليها صاحبها وإنما الذي يدخل في قبيل الأخلاق هي تلك الأفعال التي يقوم بعملها المسلم بمحض «ضميره» ، وبدافع من «التقوى» ، ولذلك قال الشافعي :

تقوى الإله مدار كل فضيلة

الإيثار والتقوى هاملجة الأخلاق الإسلامية وسداها .

وهذا شيء لم يفتن إليه المستشرقون الذين ألفوا في الأخلاق الإسلامية ووازنوا بينها وبين الأخلاق اليونانية أو الأخلاق المسيحية . وكلاهما يختلفان اختلافاً أساسياً عن الأخلاق الإسلامية ولهذا لم يوفق معظم هؤلاء الكتاب ، ومنهم الأستاذ

أما أن نحمد الله عليه الصلاة والسلام قد أخذ هذه التعاليم من المسيحية، وسميها كما يقال من (قس ابن ساعدة) وغيره، فالرد على ذلك يخرجنا عن موضوعنا، أما الذي نأخذه على المؤلف فهو أن الأمور الثلاثة التي ذكرها أدخل في باب أصول الدين منها في باب الأخلاق، وهذا الخلط بين أصول الدين والفقه والعبادات والأخلاق يسود الفصل الذي عقده المؤلف عن أخلاق القرآن.

ومن قبيل الاستطراد والإطناب الفصل الثالث الذي عقده من أخلاق السنة والذي اضطر فيه أن يشرح: ما الحديث؟ وما السنة؟ وما السيرة؟ وأن يذكر أبواب كتب الحديث حتى يصل إلى ما يتصل بالأخلاق وهو باب الآداب، وكان الأجود أن يحددنا المؤلف من أخلاق النبي، باعتبار أن سلوكه قدوة يحتذى المسلمون، وباعتبار أن القواعد النظرية التي وردت في القرآن، حققها النبي في هيئة أفعال، وبهذا الفصل يبلغ الكتاب الثلث ويبقى ثلثان للأخلاق الفلسفية وغيرها. ولست أدري هل تعد الأخلاق الفلسفية، أي المستمدة من الفلسفة اليونانية من جملة الأخلاق الإسلامية أم لا، وقد ظهر في تاريخ الحضارة الإسلامية كتب تبحث في الأخلاق على الطريقة اليونانية ولكنها لم تؤثر في حياة المسلمين، إذ حججها كتاب الله، ولم تستطع أن تبلغ إلى مقامه، ونحن نفنى بوجه خاص

وقد خلط المؤلف بين أصول الدين والفقه وبين أصول الأخلاق حين تحدث في الفصل الثاني عن الأخلاق في القرآن، مثال ذلك أنه يذكر الآيات الخاصة بمسألة معاملة اليتيم والرضاغة، أي إرضاع الأم وليدها خمسة عشر شهرا وإجراءات الطلاق، والميراث وغير ذلك مما يعد من جملة التنظيم الفقهي لا الأخلاقي.

والعجب أن المؤلف قسم الأخلاق الإسلامية المستمدة من القرآن إلى أخلاق أخذ الرسول يعلمها في مكة، وأخرى في المدينة وهذه قسمة لا محل لها؛ لأن القرآن كتاب واحد، وتعاليمه واحدة، ولا يفيد هذا التتبع التاريخي في شيء، مادام الباحث يرغب في معرفة الأخلاق الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان. ثم خرج المؤلف عما قصد إليه ليحدثنا في صفحة ٢١: «أن الأستاذ (تور أندريه) وغيره قد اعتبروا أن محمدا لا بد قد سمع التعاليم المسيحية، إذ يلاحظ غالبا في الوحي الذي هبط على محمد أسلوبا بلاغيا يقرر على وجه التقريب الأمور الآتية: (١) وصفا لأنهم الله المتجلى في عنايته وبخاصة خلق الإنسان، وإزالة المطر الذي ينبت الزرع الذي يأكله الإنسان. (٢) واجب الإنسان بناء على ذلك أن يعبد الله وحده بالإيمان والعمل الصالح. (٣) الجزاء الذي يصيب كل من يتخلى عن أداء واجبه،

للأخلاق الإسلامية ، ذلك أن الإسلام لم يته من الدنيا ، ولم يطالب الناس بالابتعاد عنها والوحد فيها ، ولم يحرم زينة الله . ولذلك كان ينبغي أن يضيف المؤلف الغزالي الذي بحثه في الفصل السادس إلى أخلاق الزهاد في الفصل الثامن .

والفصل السابع مخصص للمؤلفين الإيرانيين ، وبوجه خاص (ناصر خسرو) و (نثر الدين الرازي) و (نصير الدين الطوسي) وقد كتب الطوسي بالفارسية « أخلاق نصيري » ، واهتم المؤلف به خاصة لأنه شيعي متعصب ، احتضنه الإسماعيلي (نصير الدين) الذي تحصن في قلعة (سر تخت) وكان نصير الدين من طائفة الحشاشين الإسماعيلية ، وباسمه كتب الطوسي « أخلاق نصيري » ، على الطريقة اليونانية . وهو يبدأ الكتاب بالتفرقة بين الإنسان والحيوان ، وبوجوب القسوى عن سلوك البهائم ، واللذات البدنية من طعام وشراب وملبس ونساء .

صفوة القول : يعد الكتاب نافعا إلى حد ما بما يكشف من آراء دخيلة على الإسلام ، يحملها معظم أهل السنة ، ولكنه لم يأت بجديد فيما يختص بالأخلاق الإسلامية الخاصة المستمدة من القرآن والسنة ، والتي يعرفها المصلون في المشرق من كتاب الله وسنة نبيه مباشرة ، وعن ممارستهم للعبادات فعلا ؟

أحمد فؤاد الأهواني

كتاب (ابن مسكويه) المسمى « تهذيب الأخلاق » فإنه يناقش الأخلاق الموروثة عن اليونانيين عن أفلاطون وعن أرسطو بمخاطبة ، وعن مدرسة الإسكندرية ، ولما كان الأساس الذي تعتمد عليه الأخلاق الأفلاطونية أو (النيفوماجية) مختلفا عن أساس الأخلاق الإسلامية ، فلا جرم لا يحس المسلم وهو يقرأ كتاب (ابن مسكويه) بأثر في نفسه ، وظل الكتاب بعيدا عن الشعبية ، ولم تعرفه إلا طائفة قليلة من المثقفين الذين كانوا يقرءونه للذة العقلية فقط . ومن الطبيعي أن يحفل بهذا الكتاب جماعة المستشرقين ، ولذلك فقد له المؤلف فصلا على حدة ، كما نقل بعض أجزائه إلى اللغة الإنجليزية ، وهو الفصل الذي يتحدث فيه عن السعادة . وقد قلنا من قبل إن الأخلاق الإسلامية ليست أخلاق سعادة ، وهي بغية اليونانيين ، ولكنها أخلاق تقوى ، لأنها أخلاق دينية . ولم يرغب عن بال المؤلف أن يفصل فصلًا للغزالي ، ولكن الغزالي كتب نوعين من الأخلاق ، أحدهما على الطريقة اليونانية في (ميزان العمل) ، والآخر على الطريقة الإسلامية في (الإحياء) ولم يفتن المؤلف إلى هذه التفرقة ، كما لم يفتن إلى أن أخلاق الإحياء تنحو نحو الزهد والتصوف ، وهو الطريق الذي اختاره الغزالي في آخر حياته ، وهذا النوع من الأخلاق لا يمثل الاتجاه العام

الكتاب

للأستاذ : تحسين عبدالحق

تأملات في المجتمع العربي

تأليف مالك بن نبي

عندما قامت الحضارة العربية الإسلامية على مدى فترة زمنية طويلة أربعة عشر قرناً من الزمان، تصنع الحياة على هدى القيم التي غرسها الإسلام في نفس الإنسان المسلم - كانت تضع هذا الإنسان في مكانه الملائم الصحيح من حركة مجتمعه الذي يدافع ويجهاد ويحيا ويموت من أجله... كان الإنسان المسلم هو محور الحركة المستمرة لحضارته الخالدة. ولقد أعطى الإسلام للإنسان مبررات وجوده في عالمه الرحيب، فأعطى الإنسان للإسلام مادة حضارته، من عمله وجهده وطموحه ونموه في شتى الميادين العلمية والعمرانية. وعندما تفتتت الدولة الإسلامية ومصرى الوطن في جسد حضارتها كان السبب في ذلك هو فقدان هذه الحضارة لمؤثراتها وفعاليتها في ضمير الإنسان المسلم.

وعندما وقف الإنسان المسلم وحيداً محطاً من داخله فاقداً لمبررات وجوده، أصبح لديه قابلية لا حدود لها ليستعبد ويستعمر ويستذل، ومن ثم أسلم قيادة نفسه

أفنديه وتخلي عن حضارته يوم تخلى هو عن ضميره الواعي وشخصيته الفعالة - تخلى لإنسان جديد هو المستعمر والحضارة الجديدة هي الحضارة الاستعمارية بوسائلها الرهيبة. ولم يقف عند هذا الحد بل ترك لهذا الاستعماري والحضارته الدخيلة أن تصوغ له أسلوب حياته وطريقة تفكيره... بل ولتدخل في شئون دينه، من حيث استعماها لقيم هذا الدين الذي زيفته في كثير من الأحيان لفرض مزيد من القيود على حريته وحركته في حياته من طريق استخدامها لأدعياء الدين والجاهلين به كمعلاء مأجورين لها. كان ولا يزال الإنسان المسلم هو ضحية هذا التواطؤ العدواني بين هؤلاء وهؤلاء.

ولقد اهتم الفيلسوف الجزائري المسلم مالك ابن نبي بمشكلة هذا الإنسان ومشكلة حضارته الإسلامية... فكانت سلسلة كتبه رائدة التي أصدرها تحت عنوان (مشكلات الحضارة) والتي بلغت تسعة كتب تشكل في مجموعها دراسة فريدة ورائدة في هذا المجال الحيوي. الذي اتخذ فيه المؤلف من الإنسان المسلم مادة دراساته العميقة الواهية.

فبعد أن قدم لنا كتابه الأول - شروط النهضة - جاء كتابه الثاني د فكرة الإفريقية الآسيوية ، الذى حالج فيه مشكلة الإنسان الإفريقى وموقفه من عالم اليوم من حيث مواجهته لقوى الإنسان الاوروبى وحضارته الاستعمارية إذ يقول فى صفحة ٢٣ من هذا الكتاب : د لقد سيطرت على الحياة الدولية بكل أسف د إرادة القوة ، التى لا تفارق حضارة القرن العشرين ، فهى قانون النفسية الغربية ، قانون يسجل التأخير الخلق لإنسان الغرب ، حتى كأنه يعيش فى القرن التاسع عشر ، وأحياناً يبدو وكأنه يجر خطاه فى القرون الوسطى عندما يستمد غذاءه الروحى من تاريخ محاكم التفتيش ومن سيرة فرسان الاستعمار .

وبعد دراسة موضوعية القيم المختلفة التى تحكم عالمه اليوم يقول لنا مالك بن نبي فى نفس الكتاب صفحة ٢٦٧ : د وما لاجدال فيه أن الإسلام قد احتفظ بمضائه الذى صيغت به الحضارة الإسلامية كدرة فريدة فى التاريخ ، ولكن المسلم هو الذى فقد استخدامه الاجتماعى ، ومع هذا فقد احتفظ بالجوهر ، أى بهذا المضاء الروحى الضرورى لحل هذه العقد فى العالم الراهن حيث لا يمكن أن تحمل الازمة بوسائل القوة ، فالعالم يجب أن ينقذ من أخطار القوة ، ولكى يتم إنقاذه منها فن الواجب أن يحتفظ بديله بحيث لا يغوص فى أحوال السيطرة مرة أخرى .

وهنا نجد أن المنقذ هو الإسلام ! وهكذا يستمر مالك بن نبي فى كتابه الثانى فى شرح وتحليل القيم الإسلامية على المستوى الآسيوى الإفريقى شارحاً خلاها موقف الإنسان المسلم فى عالم اليوم ، ثم يأتى بعد ذلك كتابه الثالث عن د الظاهرة القرآنية ، ليشرح لنا فيه جزءاً هاماً من موضوع مشكلات الحضارة على أساس مبادئ القرآن الكريم ، وفى كتابه الرابع د وجهة العالم الإسلامى ، يستمر فى نفس القضية وأسلوب معالجتها .. وقد ركز فى كتابه الرابع على توضيح وجهة نظره فيما يقصده بالإسلام والعالم الإسلامى ، والمسلمين مهاجماً فيه أولئك الذين يرتزقون باسم الإسلام بهائمهم للقوى الاستعمارية فيقول :

فى صفحة ١٢١ كان لدينا فى الجزائر بعض المناظر المضحكة المبكية ، فكنت ترى بعض دعاة التصوف المسمين (بالمرابطين) يدعون الناس إلى الرجوع إلى الإسلام وهم يقلدون بكأس خمر معققة ، ويركبون السيارات الفاخرة التى منحتها لهم إدارة الشؤون الإسلامية ، وفى صفحة ١٢٣ يقول : د وبمثل هذا تختار الإدارة الاستعمارية شخراً مطعونين فى خلعهم لكي يمثلوا الشعب المسلم .

ثم يتحدث فى نفس الكتاب عن الأوضاع المادية والروحية للعالم الإسلامى فيقول فى صفحة ١٨٩ : د وما كان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الحكم والكييف

كتب « مشكلات الحضارة » ، وفي تأملات مالك بن نبي في المجتمع العربي نراه ينظر إليه من وجهة نظر فلسفته الحضارية الإسلامية ذات الخصائص المتميزة ، فقضيته هنا أيضا هي الإنسان ومهاكله ووضعه الاجتماعي وهو يفرق دائما بين عالم الأشخاص وعالم الأشياء ، ويرفض أن يتحول الإنسان من عالم الأشخاص إلى عالم الأشياء فالإنسان هو الإنسان والآلة هي الآلة ولا يمكن أن يكونا شيئا واحداً .

ويعقد المؤلف فصلا كاملا عن الحقوق والواجبات . فيقول في صفحة ٣١ : « إن الباب الثاني الذي ينبغي أن نعود منه للحضارة بعد التخلص من نفسية السهل والمستحيل ، هو باب الواجب ، وأن نركز منطلقنا الاجتماعي والسياسي والثقافي على القيام بالواجب أكثر من تركيزنا على الرغبة في نيل الحقوق لأن كل فرد بطبيعته تواق إلى نيل الحقوق ولديه نفور من القيام بالواجب . والمجتمع الذي يرتفع وينمو هو ذلك المجتمع الذي لديه رصيد من الواجب يفيض دائما على الحقوق ، . والإنتاج الاجتماعي يرتفع بقدر ما يكون النشاط الفردي موجهاً لسد حاجات غير فردية ، أي عندما يكون موجهاً من أجل مصلحة عامة . ويحتاج النشاط الفردي باستمرار إلى نوع من الفعالية النفسية في إطار الواقع الاجتماعي ، فكل

بين الروح والمادة ، بين الغاية والسبب ، فهما اختل هذا التعادل في جانب أو في آخر كانت السقطة رهيبية . »

« والحضارة الإسلامية قد فقدت تعادلها يوم فاتها أن ترعى سلامة هذه العلاقة بين العلم والضمير ، بين العناصر المادية والوجود الروحي ، فغرقت في هاوية الصوفية الخالصة وفي الفوضى التي سببت سقوطها ، وما نحن اليوم نشهد تجربة أخرى تنتهي إلى احتلال آخر للحضارة الغربية التي فقدت معنى الروح تجد نفسها بدورها على حافة الهاوية ، ثم يقول في صفحة ١٩٠ . « فهنئة العالم الإسلامي إذن ليست في الفصل بين القيم ، وإنما هي في أن يجمع بين العلم والضمير ، بين الخلق والفن ، بين الطبيعة وما وراء الطبيعة حتى يتسنى له أن يشيد عالمه طبقاً لقانون أسبابه ووسائله أي طبقاً لمقتضيات غاياته ، وهكذا يستمر فسر مالك بن نبي المستنير في معالجة مشكلة الحضارة الإسلامية ومشكلة الإنسان المسلم فيصدر بعد ذلك كتابه الخامس ، « مشكلة الثقافة » ، ثم كتابه السادس الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ثم كتابه السابع فكرة كومنولث إسلامي ، ثم كتابه الثامن « حديث في البناء الجديد » ، إلى أن يأتي كتابه التاسع « تأملات في المجتمع العربي » ، الذي نحن بصدد اليوم وهو امتداد لنفس الأفكار السابقة وفي نطاق سلسلة واحدة هي سلسلة

تأتى لمحمد صلى الله عليه وسلم وتطالب بإقامة حد الزنا عليها رغم الحفاء الذى أحاط بعملها فأبى توترها إلا أن يلع فى المطالبة بالحد بإصرار عجيب فصدما النبي لأنها كانت حاملا وقال لها حتى تضعى حملك ، ولما وضعته عادت إليه مطالبة بإقامة الحد لاتصال البقطة فى الضمير والتوتر فى القلب بعمق أصيل ، حتى أقيم عليها الحد . وكان هذا التوتر مظهراً من مظاهر الحياة الناشئة مع الإسلام تشاهد أثره فى سلوك الحاكم حين طالب الشعب بأن يقوم اهوجاجه ويعدل انحرافه ، وفى ذلك اعتراف ضمني بإمكان صدور الاعوجاج عنه كما نشاهد فى شؤون الرعية فى شخص ذلك الأهرابى البسيط الذى يرد على سيدنا عمر بقوله: لو شاهدنا فيك اعوجاجا لقومناه بصيوفنا . والحفساء التى ظلت فى الجاهلية تسكب عبراتها على أخيهما (صخر) سنين طويلة أصبحت فى صورة جديدة فريدة تحمد الله على أن شرفها باسقتهاد أبنائها الأربعة فى سبيل الدعوة ، وهذا يعنى انتقال مجتمع بأكمله من حالة (فتور إلى حالة توتر) وحركة وهذه الحركة حركة رقى فى جميع الاتجاهات ، فظاهرة البطولات كانت فى الجاهلية تهدف إلى الغزو والفخر ، أى تدور حول محور ال (أنا) فبدت فى صورة جديدة هى الاصقهاد فى سبيل مثل عليا لأن الإسلام رفع المصلحة أو مبررات النشاط إلى أعلى مستوى ، فجعلها

طاقة اجتماعية تصدر حتما من دوافع القلب ومن مبررات وتوجيهات العقل ومن حركات الأعضاء ، وكل نشاط اجتماعى مركب من

هذه العناصر . والفاصلية تكون أقوى فى الوسط الذى ينتج أقوى الدوافع وأقوم التوجيهات وأنشط الحركات .

وعندما ننظر إلى أن اليد والقلب والعقل هى أساس الفعالية يجب أن نحدد معنى هذا بالفسيحة إلى مجتمعات متخلفة . وهنا يمكن لنا أن نقف على عنصر جديد وعلى مصطلح نتفق عليه ، وهو أن نرد المبررات والدوافع والأصباغ القريبة والبعيدة التى تدفع إلى خلق نشاط فعال إلى حالة خاصة هى التوتر .

فالمجتمع العربى قبل العهد القرآنى يختلف اختلافا كبيرا عنه بعد العهد القرآنى ، فإذا بحثنا عن إنتاجه قبل ذلك مثلاً فى الفترة التى تقدر بأربعة آلاف عام من عهد إسماعيل إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم نجد أنه يفتقر فى هشر معلقات وهذا معناه أن الطاقات الاجتماعية ، طاقات القلب والعقل واليد فى حالة غير حالة التوتر الاجتماعى الذى يدفع إلى الإنتاج بقوة وحرارة ، ولكن الإسلام استطاع أن يخلق حضارة خلال نصف قرن ، ومعنى ذلك أن الإسلام أتى بالمبررات الدافعة لليد والعقل والقلب لكي تحقق مساندة حضارة ذات إشعاع . ومن مظاهر التوتر فى هذا المجتمع الجديد تلك المرأة ذات الضمير الملىء توتراً حينما

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 للعلامة المحقق المغفور له أحمد تيمور دباش،
 قدم له العلامة المهندس أحمد عبده الشرباصي
 (الطبعة الثانية)

الكتاب كما يقول السيد / المهندس أحمد
 عبده الشرباصي في تقديمه ، كتاب عن سيرة
 النبي - صلى الله عليه وسلم - نموذج لتسليف
 (أحمد تيمور) ويمتاز بأمرين :

أولهما : وجازته التي تتيح للقارئ أن
 يستخلص فكرة عامة عن حياة الرسول
 في وقت قصير مع الإحاطة بأهم أحداث السيرة .
 والآخر : خلوه من المجازيات والمرويات
 الضعيفة التي كثيراً ما يتعلق بها بعض المكاتبين
 في السيرة النبوية .

ويحتوي الكتاب على فصول في أنساب
 العرب وطبقاتهم ، وممالك العرب قبل
 الإسلام ، وأخلاق العرب وعاداتهم ، ونسب
 النبي صلى الله عليه وسلم وأدوار حياته ، من
 ولادته إلى النبوة ، ومن النبوة إلى الهجرة ،
 ومن الهجرة إلى الوفاة ، هذا بالإضافة إلى
 فصول أخرى عن الغزوات وهدنها وبجملها ،
 وفتح مكة المكرمة ، وحجة الوداع ووصف
 النبي لأصحابه وغيرهما من الدراسات الشيقة ،
 ويقع الكتاب في ١٩٨ صفحة من القطع
 الكبير ونشرته لجنة نشر المؤلفات التيمورية ؟

محمد بن عبد الله

في عالم الآخرين ، فالبطولة في الجاهلية تهدف
 إلى إهلاك شأن (أنا) ولكن الإسلام
 يحول محور البطولة لكي تجهد مبرراتها في عالم
 الآخرين ، أي أصبحت تعبر عن اهتمام أسى
 يرتبط بغريزة ال (نحن) أكثر منه بال (أنا)
 ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ،
 ويعتبر ذلك تغييراً كاملاً لمبررات البطولة .

وهكذا يستمر الكتاب في دراسة آثار
 التغيرات الاجتماعية كنتيجة حتمية لاقتناع
 الإنسان بالمبررات الحيوية التي تعطيه معنى
 وجوده - تلك المبررات التي تجعله أكثر
 فاعلية وأكثر تقدماً وارتباطاً بمشاكل
 عصره ومشاكل وجوده ... ولعل أروع
 ما استطاع مالك بن نبي أن يقدمه لنا في هذه
 السلسلة الفريدة من الدراسات هو إرجاعه
 أسباب تخلفنا إلى فقداننا لمبررات وجودنا عند
 ما انفصلنا عن المبادئ الأساسية التي شرعها
 لنا ديننا الإسلامي الخفيف ... والإسلام
 الذي نقصده هنا هو الإسلام كما يراه مالك
 ابن نبي وكما نراه معه قوة دافعة إلى حياة
 فاضلة عادلة يحس فيها الإنسان بأهميته وبنفسه
 وسط مجتمعه الذي يراه ، وليس الإسلام
 الذي حرقه أولئك الذين لا ينظرون إليه
 إلا من زاوية مصالحهم الخاصة ومصالح
 أسيادهم المستعمرين .

أولئك الذين قال عنهم مالك بن نبي - يدعون
 النفس إلى العودة إلى الإسلام وهم يتلذذون
 بكأس خمر معتقة ويركبون السيارات الفاخرة .

أبناء وآراء

الفصحى والعامية في رأى مستشرق فرنسى

الشاعر هزير أباطة الذى حضر الندوة .

أشرف على الندوة الأستاذ الدكتور محمد نايل رئيس قسم الادب والنقد بالكلية وقدم المستشرق ... وقد حرصت مجلة الازهر على أن تحظى بكمثته في هذا الموضوع قال :

« قبل الشروع فى كلمتى ينبغى أن أكرر لكم شكرى معبرا عن جزيل السرور الذى يملأ نفسى لحضوركم واليوم أقترح أن أتحدث إليكم فى قضية مرتبطة بالتطور الذى نشاهده كلها نظرا فى اقتك المصيلة .

إن التطور الذى أدرك لغتكم الشريفة لم يحس أسسها فبقيت على صفحتها الأولى التى كانت لها فى عهد نزول القرآن الكريم ، وما قد نشاهده من تغيير فى هذه الأيام ، فهو تغيير سطحي لا ينال أصلا ولا ذوقا يفسد على هذه اللغة طبيعتها - فالفصحى الحديثة - كما صبق أن قلت ، متينة الصلة بأصولها القديمة .

إن من بين الدوايح التى حملت على الدفاع عن لغتكم أنى لاحظت بعض المتخصصين فى أوربا يزعمون أن الفصحى الحديثة للغتكم لا تستحق أن نطيل فيها النظر ، وأما على العكس - أزعم أنه لابد من التأمل فى جوهرها فهذه اللغة الحديثة أداة قوية للفهم بين الغرب والشرق ، وذلك ما أكرره دائما ، فاللغة عندى وعند المتخصصين توثق الارتباط

بدعوة من جامعة الازهر ألقى المستشرق

الفرنسى ريجيس بلاشير Regis Blachere محاضرة بقاعة دهباس محمود العقاد ، بكلية اللغة العربية فى ١٩٦٦/٣/٥ تناول فيها بلغة عربية فصلى - تاريخ دراسة العربية فى فرنسا ابتداء من مطالع هذا القرن ، وأشاد - فى كلمته - بالحاجم العربية وطريقها المنطقية ، - على حد قوله - فى ربط المعانى بعضها ببعض ، وأشار - فى تلك الكلمة - إلى ميزة اللغة العربية فى احتفاظها بطبيعتها مدى هذه القرون ، وتلك ميزة - كما قال - لا تتوفر لكثير من اللغات ، فقد تغيرت طبيعة اللغة الفرنسية تغيراً أبعداها فى العصور الوسطى عن اللغة القديمة كما أبعد الفرنسية المعاصرة عن الوسطى والقديمة معا ، وطالب بضرورة الاهتمام « بشكل الحروف ، وبخاصة فى الشعر حتى يقيس الارتفاع بالعربية بين أبناء الشعوب الذين يتعلمونها .

وفى السبت ١٢/٣/١٩٦٦ . وفى نفس القاعة عقد الأستاذ ندوة تحدث فيها عن مشكلة الساعة ... « العربية بين الفصحى والعامية ، وحضر الندوة المثلث من رجال الادب والصحافة فى مصر وبخاصة أولئك الذين يحملون لواء المعركة فى شطريها ... وهى المعركة التى أثار الزيادة فيها عن الفصحى الأستاذ

الثقافي ، ويسر التفاهم بين البشر عامة ، وبين الشرق والغرب خاصة ، وكلما قرأت دراسة ممتعة مما يصدر هنا أتحمق أن لغتكم الشريفة لا تنقصها قوة التعبير في كل الميادين ، ولست أسوق كلامي هذا عن عاطفة ، في ضميري دواع لغوية وعلمية تدفعني إلى هذا القول بما يملككم على أن تستعملوا الفصحى أداة للتفاهم .

وإذا كان في الفصحى صعوبات فلم يست ناجحة منها ، وإنما سببها القصور في استعمالها لأنني لا زلت على رغم دراستي في العربية أشعر بنقصان يرجع إلى ما استغرقت من وقت في هفتوان شباني منذ نصف قرن في دراسة اللغة العامية ، ولست أفي تبين ، من خبرة ، كيف أن اللغة العامية كانت حائلا بيني وبين الاطلاع على الكسور الثمينة التي خلفها العرب فأصبحت أشجع باستمرار طلبتي في باريس على أن يقبلوا على الفصحى قبل كل شيء لا عطيم آلة تفيدهم وتشجعهم وتمكهم من النمو إلى مستوى العلم والمعرفة الذي يفوقني ولهذا أنبه على خطر للغة العامية فأنا لا أشك أبدا أن الاهتمام بها يبتعد بالدارس عن توسيع ثقافته .

بقيت نقطة أصيلة أحدثكم بها من لغتكم التي حببت إلى منذ نصف قرن ، ولن أنسى ما وجدت من سرور بملك الذاكرة التي وصلت إليها على قدر استطاعتي .

إن الإنسان يحب اللغة التي يتعلمها في صغره وقد أكبت سنين على لغتكم كانت مفيدة لثقافتني . . لأنني أود أن يتم التفاهم بين البشر وأصرف هنا بقية إليه ، والمعرفة باللغات

الأجنبية وبخاصة اللغة العربية هندی مكنق من توسيع حبي للبشر عامة وللعرب خاصة . .

وهندما فرغ الدكتور بلاشير من كلمته أبدى استعداد له لاي استفسار او مناقشة . .

وكان من المتوقع — وقد حضر الندوة قواد المعركة في ميدانها — أن ينزع إلى المناقشة أولئك السادة الذين يؤثرون طرح الفصحى غير أنه يبدو أن كلمة المستشرق لم تدع لهؤلاء حجة يمكن أن تكون ردا للعامية ، فتقدم الأستاذ عبد الرحيم فودة مدير مجلة الأزهر وشكر باسم الأزهر سيادة المستشرق الذي يعد من طبقة الاستشراق الحرة التي لا تتخذ من الهجوم على الإسلام والعربية ميادنا للنشاط . .

ثم توالى كلمات الترحيب ، وكانت تنطوي كلها على الانتصار للفصحى . كما أبانت عن زيف النداءات المغرضة لدعوى العامية فقد قال الدكتور كمال بشير الأستاذ بدار العلوم في تعقيبه :

الحق أن المستشرقين — باستثناء عدد محدود جداً خدموا — ولا يزالون يخدمون — لغتنا وأذكر أن واحداً منهم نبهني إلى شيء مهم يتعلق بالأبجدية العربية ، وبموضوع كتابة العربية بالحروف اللاتينية فأكد لي أن الأبجدية العربية ليست وسيلة كتابية خسب . إنما — فوق ذلك — تتضمن خواص مهمة من خواص العربية نفسها ، خواص صوتية وحرفية ونحوية ، فمن إن طرحناها جانبا واستعملنا أبجديات أخرى فقدت العربية كثيراً من خواصها الأساسية التي لا تستطيع الإصحاح هنا إلا الأبجدية العربية ذاتها .

في تحييط العالم الإسلامي

وحسن أولئك رفيقاً . وإنا لله وإنا إليه
شيع الأزهري . راجعون .
حسن مأمون

أسرة المرحوم الشهيد الرئيس عبد السلام
محمد عارف - بغداد :

في غمرة الأسى والحزن على مصاب العرب
والمسلمين بفقد الزعيم الراحل نرفع أكف
الضراعة إلى الله سبحانه في أن يسبغ عليه
فيض رحمته ، وأن يكرمه في مشواه جزاء
كمفاحه وجهاده في سبيل العروبة والإسلام .
وإني إذ أبعث إليك بعزاء الأزهري وعزائي
أسأل الله سبحانه أن يلهمكم الصبر ، وأن
يعوض العرب والمسلمين خيراً - وإنا لله وإنا
إليه راجعون .
شيع الأزهري
حسن مأمون

● أرسل فضيلة الإمام الأكبر شيخ
الأزهري للجامعة العربية المذكورة التي تلقاها
من علماء المسلمين في د عدن ، احتجاجاً على
اتهامك السلطات البريطانية لحرمة المساجد .
وقد أرسلت الجامعة العربية صورة من
المذكورة إلى الأمانة العامة لميثاق الأمم المتحدة .

● أقامت جامعة الأزهري في يوم الأحد
٢١ من ذي القعدة ١٣٨٥ الموافق ١٣/٣/٦٦

كانت كارثة الطائرة التي أودت بحياة الرئيس
الراحل المخفور له المشير الركن عبد السلام
محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية - كارثة
في قلب كل مسلم وعربي ؛ فقد كان - رحمه
الله - إحدى الشخصيات التي توفر فيها داعي
الوطنية وصدق العروبة والعمل لمجد الإسلام
وما كان على مصابه من صبر إلا فيما يبشه
الإيمان من رضا بقضاء الله ويقين ببقائه وحده ،
ولا عليه من عزاء إلا فيما يستقبله من
دعيم ، عند الله ، وضراعة إليه - سبحانه -
أن يحمي العراق الحبيب شر الفتن ويجمع
أمره على الرشاد .

وقد شارك الأستاذ الأكبر الشيخ حسن
مأمون شيخ الجامع الأزهري الأمة العراقية
وأُسرة الفقيد مصابهما في بريقته :

السيد الدكتور عبد الرحمن البراز رئيس
الجمهورية العراقية بالنيابة - بغداد :
د جع الأزهري بفقد نصير العروبة
والإسلام المشير الركن الشهيد عبد السلام
محمد عارف . والأزهري إذ يعزى شعب العراق
وحكومته والأمة العربية والإسلامية ليتهل
إلى المولى القدير أن يلهمنا جميعاً في فقدته جميل
الصبر ، وأن ينزل الفقيد منازل الأبرار مع
الطيبين والصديقين والشهداء والصالحين ،

عبده وافتتح فضيلة الإمام الأكبر المهرجان مساء يوم الأحد ٢١/٤/٦٦ وشرف الحفل السيد الأستاذ الدكتور وكيل الأزهر والسيد صاحب الفضيلة المدير العام للمعاهد الأزهرية والسيد الأستاذ الأمين العام للجلس الأعلى للأزهر والسيد صاحب الفضيلة الأستاذ وكيل المدير العام للمعاهد الأزهرية.

وقد وزع فضيلة الإمام الأكبر المكثوس والميداليات والجوائز على المعاهد وعلى الطلاب الفائزين في هذه المسابقات جميعاً .

● أعلنت في ٢٨/١٢/١٣٨٥ شروط قبول حملة الشهادة الإعدادية الأزهرية المعادلة في المرحلة الثانوية بمعاهد الأزهر ومدارس وزارة التربية والتعليم ، وسوف تقوم مكاتب التنسيق بالمحافظات بقبول أوراق الطالب ويحترط أن يكون بين أوراق الطالب شهادة من إدارة المعاهد الأزهرية تثبت أنه لم يسبق له الالتحاق بالمعاهد الأزهرية الثانوية أو فصله منها . ويكون قبولهم بعد ترتيب درجاتهم تنازلياً في قائمة واحدة مع درجات حملة الإعدادية العامة بدور المعلمين العامة والريفية ثم التعليم الفني الثانوى ، ثم مدارس التعليم الثانوى العام ويسمح بزيادة عامين في سن الطالب الأزهرى ، ولا يجوز تحويل من المعاهد الأزهرية بمراحلها الثلاث إلى مدارس التعليم العام ؟

حفلاً جامعياً في قاعة الشيخ محمد عبده لمنح العالمية الفخرية للسلطان محمد برهان الدين صاحب سلطنة طائفة البهرة الإسلامية في الهند ، وألقي كلمة الاحتفال الأستاذ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر . وقد حضر الحفل كبار الشخصيات الجامعية بالقاهرة .

● حمل الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر - عند سفره إلى الهند لحضور حفل تدهيب سلطانة البهرة - شهادة العالمية الفخرية التى أهدتها جامعة الأزهر إليه . وهذه الشهادة مكتوبة بالعربية والإنجليزية .

● أقامت الإدارة العامة لرعاية الشباب بالأزهر المعرض الفنى الثامن لطلاب المعاهد الأزهرية بصالة العرض بوكالة الغورى في المدة من : ١٨ إلى ٢٨/٤/٦٦ لعرض إنتاج الطلاب في الرسم والخط العربى والهوايات العملية والتصوير الضوئى ، وقد تفضل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بافتتاحه مساء يوم الخميس ١٨/٤/٦٦ . وقد شرف الحفل السيد الأستاذ عبد الفتاح حسن وزير الدولة لشئون الأزهر والسيد الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة .

● أقامت الإدارة العامة لرعاية الشباب بالأزهر مهرجان القرآن الكريم والأدب والفنون والنشيد المسرحى بقاعة الشيخ محمد

THE STATISTICS OF AL AZHAR UNIVERSITY

FEBRUARY 1966

STUDENTS	LICENCE (B. A.)	HIGHER SECTION (M.A. & Ph. D.)	TOTAL
1 — Faculty of Law	2004	515	2519
2 — » » Theology	1968	233	2201
3 — » » Arabic Language	2371	1372	3743
4 — » » Medicine	797	4	801
5 — » » Engineerin	692	—	692
6 — » » Agriculture	499	10	515
7 — » » Commerce and Administration	1143	—	1143
8 — Girls College	533	—	533
9 — Higher Institute for training	—	—	395
10 — Higher section for Islamic and arabic studies	—	—	2210
11 — Institute for preparation and guidance	—	—	906
B. A. (Licence) 13123	} Total 15658		
Higher Section 2535 (M.A. and Ph. D.)			
Foreign students.	2808	398	3206
Percentage of foreign students :	22 %	18 %	

(Continued from page 6)

city as conqueror. The Prophet proclaimed a general amnesty and the whole population of Mecca hastened to swear allegiance. The prophet caused all the idols which were in the sanctuary to be destroyed, saying:

«وقل جاء الحق وزهق الباطل ...»
(And say : Truth hath come ;
falsehood hath vanished away)*

* Extracted from an Introduction of
Islam by Muhammad M. Pickthall.

assumed his office in 1964. He has come to embody in himself all that is best in the long history of Al Azhar scholars, as he is a great scholars of Islamic studies and Arabic literature, writer, poet, administrator, organiser, educationist and pious man of religion. Since then he has been working for the progress of the university and to put the house in order with characteristic energy and zeal. The special plans of reforms have come to fruition in his time; immediately after his assumption of office the new Faculties of Medicine, Engineering and Agriculture are inaugurated. This was a great event in the history of New Al Azhar, which brought it more in line with other great modern universities. He took serious care to complete the new buildings of Al Azhar university in its new premises in Nasr City of Abbasiya, five miles away from the ancient mosque of Al Azhar. In 1965 the new Faculties of Medicine, Engineering, Agriculture

and Commerce are already shifted to the new city. With the completion of other Faculties, the university hospital and a new Al Azhar Mosque on the pattern of its glorious Father mosque of Al Azhar, the new city will be one of the unique and picturesque centre of learning in the world.

His Excellency A. H. Al Baquri has in mind great plans to enable Al Azhar university to spread its message to the whole world at large and meet the increasing demand of the various institutions abroad, for lecturers and scholars of Islamic studies and Arabic Literature. He is playing an important role to renew and develop the influence of Al Azhar University in the world, to remove the barriers between it and other universities and educational institutions to achieve the ultimate aim of the great Al Azhar, that is to produce qualified scholars who may serve the humanity in the spiritual and academic spheres.

(Please turn over)

2— A minister of Al Azhar affairs shall be duly appointed by a decree of the President of the Republic.

3— The University Rector, who would be appointed by a decree of the president of the United Arab Republic, shall manage the universitys academic, administrative and financial affairs, and will represent the University before other bodies.

4— Having been the University of all Muslims, Al Azhar provided for equal opportunity of enrolment in its Faculties and sections attached to them, for muslim students from any country in the world.

5— Al Azhar is, as the supreme muslim educational institution, attaching great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other foreign universities and educational institutions in the World.

By this law, new Faculties were established, i. e. Faculties of Medicine, Engineering, Agriculture and Commerce. As one of the main aims of the university is to provide educational Facilities for women the new Al-Azhar university has established a girls college with its different branches of studies i. e. Islamic Studies, Medicine, Arts, Science, Philosophy, Psychology, etc. This college will be the nucleus of a Muslim University for

girls. It is recalled that women were getting their share in Al Azhar circles until recently. The history says that special study circles were held in many times for women in Al Azhar. After shutting its doors in the face of women for many years, Al Azhar has, now come forward to give women the same chance which men are already getting in the fields of knowledge and sciences.

From the time of its foundation, Al Azhar has opened wide its doors to students and research scholars from all over the world. Special facilities offered to foreign students by providing them free education and lodging. In 1959 a University Hostel was established for Al Azhar in the name of Nasser City Of Islamic Missions. This city consists of 41, three storied - buildings. Now the number of foreign students in this new hostel are more than five thousand instead of about 2500 students in 1950. They are getting there, living quarters in modern, comfortable and healthy circumstances. Besides free meals and recreational facilities an allowance of not less than five egyptian pounds per month is paid to every student.

The present Rector of Al Azhar University, His Excellency Sheikh Ahmed Hassan Al Baquri, has

important turning point in the history of Al Azhar. In that year, by a new law, the study courses divided into stages and modern subjects were introduced to each stage. A grant ULAMA Committee was created and new modifications were made in rules of the appointment of teaching staff, admission of students and examination systems. In the year 1936 Al Azhar entered the first stage of a full scale modern university. According to the law No. 26 of 1936, the education in Al Azhar had been classified into stages i. e. The primary stage of four years, the secondary stage of five years, the Higher section of four years and the section of specialisation (تخصص) or license (أجازة) of two years.

Thus immediately after the promulgation of that law, three faculties were inaugurated. They are: The Faculty of Law and the Faculty of Arabic literature. Students completing the four year course of study with success in any of these faculties are granted the Higher certificates equal to B. A. Candidates admitted to the specialisation section were required to be holders of the higher certificate from Al Azhar or its equivalent, from a recognised higher institution and after completing the two year course of

study they were granted the certificate of ALIMIYA with licence (M. A.) in the subject in which they were specialised. There was another section of specialisation in the subject matter extending over a period of five or seven years after obtaining the higher certificate. Candidates completing this course of specialisation were granted the ALIMIYA degree with the title of USTAD, that is equivalent to Doctorate or PH. D.

When the revolution occurred in Egypt in 1952 and it started a complete and perfect reform in the country it paid due attention to Al Azhar in a manner compatible with the statutes and aims of this great international centre of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points:

1— Having regard to the special character of Al Azhar, as a university of all Muslims throughout the world, Al Azhar University should be independent of other universities in the United Arab Republic, by being attached to the Presidency of the Republic; Care has however taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will be consistent with the special character of Al Azhar and the purpose of its studies.

As we mentioned, the Al Azhar was established as a centre for the service of Islam. Islam has two sides, the spiritual side and material side. The first one will serve the spiritual side of man, and the second will serve the material side of him. Islam gives to mankind a complete and perfect system dealing with all walks of life and the Holy Quran declared that the true religion is to follow man's original nature.

« فاقم وجهك للدين حنيفا . فطرة الله التي فطر الناس عاينها لا تبدل خلق الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون . »

(So set thy purpose for religion as a man by nature upright - the nature (framed) by God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not) 30 : 30.

We can sum up the basic aims of Al - Azhar in the following three points : Firstly : communicating the message of Islam, in all its simplicity, moderation and clarity. Secondly : Paving the way to coordinate the relations among people in the light of religious principles. Thirdly : calling people to rise above colour and race fanaticism and distinction of people must be based upon the course of moral conduct and good deeds.

As the Holy Qur'an says :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . »

(O mankind ! Lo ! we have created you male and female and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct) XLIX : 13. These bases are clearly represented in the teachings of Islam and in its social, economical and political systems. By carrying out this great human mission Al Azhar has carried out great service for all people and by its great efforts it has taken many people from darkness to light.

In its long history, various necessary reforms have been made, from time to time, both in the methods of study in the Al-Azhar and the rules of administration. Al Azhar entered in a new era from the time of Iman Muhammad Abdu (1848 - 1905 A. D.) who had made great efforts to introduce modern reforms into Al Azhar and many scholars followed him in that field.

As the result of those efforts several laws and regulations were adopted to reorganise and to develop Al Azhar. The year 1911 A. D. (1329 A. H.) was most

AL-AZHAR UNIVERSITY

An Introduction

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

AL-AZHAR is the oldest and the most famous University in the World. It was first housed in the glorious mosque of Al-Azhar more than one thousand years ago. The building of the mosque was started in the year 971 A.D. (359 A.H.) on the 14th of Ramadan, by GAWHAR the sicilian, commander of the Fatimid caliph, AL MUIZZU LI DINILLAH. He founded the mosque immediately after the building of the new capital city of Al Kahira (Cairo) for Fatimids. The building of the mosque of Al Azhar was completed on the 7th Ramadan 361 A. H. Since then it was a place of worship, and a centre of learning. The title of Al Azhar signifies the meaning of flourishing or shining. It is said that the name of Al Azhar came from Al Zahra, a title of eldest daughter of prophet MUHAMMAD, FATIMA, from whom the Fatimid caliphs descended.

It was remained so far many centuries as a proof positive that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict bet-

ween religion and learning in the widest sense of the word. Al Azhar rose to the position of a most important educational institution for muslims and it has attracted students and research scholars from different parts of the world, and Egypt, since then, has become the unique destination to which students of Islamic studies and Arabic literature repair from all countries.

The system of education adopted Al Azhar since its inception was a simple and natural one. No conditions of admission were imposed on the seekers of knowledge. The student had full freedom to choose his own subject as well as his own professor. Al Azhar was the teaching centre of all branches of Islamic studies i. e. Tafsir (interpretation of the Quran) Hadith (Traditions of the prophet), Fiqh (jurisprudence) Tasawwuf (Mysticism) etc and all branches of arabic literature as well as it was the teaching centre of other sciences i.e. Geography, astronomy, engineering medicine - mathematics etc.

tradition: "My brothers from amongst the emigrants were engaged in earning their living, whilst Abu Hurayra used always to be with the Prophet, earning no more than his belly-full, thus, being present on those occasions when they were not present and memorizing that which did not memorize "

When the Muslims emigrated to Medina, Sa'd ibn al-Rabi al-Ansari invited 'Abd al-Rahman ibn 'Awf to live with him, and offered to give him half of his possessions. But 'Abd al-Rahman declined, thanked his host and chose to work as a trader in the markets of Medina, instead of being supported by him.

When 'Asim ibn 'Umar ibn al-Khattab got married, his father supported him from him the treasury for one month, then he ceased to support him and ordered him to work. He allotted him the produce of some of his possessions, and asked him to sell it, and to join in with other traders to earn his living and support himself and his family. 'Asim did as his father ordered him, and so we find the son of the Caliph engaging in work on the same basis as any ordinary Muslim.

Again, 'Ali ibn Abi Talib, the Prophet's cousin and son-in-law, did not find it degrading to work as a hireling. Ibn Maja quotes a hadith that Ibn 'Abbas said: "Once the

Prophet was in need. The news of this reached 'Ali and he went in search of work to obtain some money to help the Prophet. He came to a garden belonging to a Jew. 'Ali drew for him seventeen buckets of water at the rate of a date for each bucket, the Jew allowed him to choose seventeen excellent dates which he brought to the Prophet".

The direct exhortation to work is a recurring theme in both the Qur'an and the hadith. In the Qur'an, for example, it is stated that God has "appointed the night as a cloak" in which people may rest in order to regain the vigour necessary for work, and "appointed the day for earning a living, in order that they may seek His bounty by its light. Another quotation on the same theme is found in "surat al Mulk"; "He has made the earth subservient to you, so walk in its paths, and make use of His provision." Again in surat "al-Nahl": He has constrained the sea to be of service that you may eat meat, from it and bring forth from it ornaments which you wear, and you see the ships ploughing it that you (mankind) may seek His bounty and that you may give thanks. These quotations from the Qur'an have two basic morals: In the first place they express explicitly the exhortation to work. Secondly, that God's bounty has been made available in such a way as to encourage man and enable him to work.

said « I know that you are willing to relieve me, but I hate being distinguished over you, because God hates seeing a servant of His being distinguished over his companions. Then the Prophet got up and cut wood.

It is note worthy that wood-cutting was one of the most lowly occupations in the eyes of the Arabs, as appears from the Prophet's tradition : « It is better for one of you to cut a bundle of wood and carry it on his back then to ask (beg) anyone who may give him or not ». The Prophet did not hesitate to cut wood, in order to set a practical example for respecting labour, however lowly, it be. This principle of identifying prophecy with labour can be further illustrated by the fact that David, for instance, worked as a blacksmith, zakaria as a carpenter, and Moses as a hireling.

Besides all the Prophets worked as shepherd, as we have already mentioned, and all of them attended markets as the following Qur'anic verse pointed out : « And we have not sent before you any messengers but they most surely ate food and went about in the markets ».

The Prophet's companions were also labourers. Abu Bakr did not hesitate, the morning after he had

been chosen as a Caliph; to carry on his head the cloth he was engaged in selling. He hurried to the market, and wanted to resume his work as a trader, but 'Umar and Abu'Ubayda dissuaded him, saying : « How can you do this when you have been made responsible for the affairs of the Muslims ? » Abu Bakr answered « How, then, can I feed my dependents ? They said : « We will establish a salary for you ». And Abu Bakr was given half a sheep every day ».

The other companions of the Prophet were labourers also al-Bukhari quotes the following tradition ascribed to Aisha in the section of the Sahih entitled, "Earning one's living and working with one's own hands" : " The Companions of the Prophet performed their own menial work, and they smelt (i. e. because of work); so it was said to them " If only you would wash yourselves ! "

Also in al-Bukhari, we find the following hadith : " One day ' Umar ibn al-Khattab found himself unaware of some traditions of the Prophet and excused this by his being engaged in trading, saying : " Have I been unaware of some affairs of the Messenger of God ? I have been preoccupied with trading in the markets ! " The same point can be further exemplified by Abu Hurayra's

his family by a share of the booty. His position as head of the Islamic community did not, however, prevent him from lending a hand in more mundane responsibilities. He helped his servants in their daily work by patching up his clothes; soleing his goat; fastening up his camel; preparing fodder for his working she camel, sweeping his house; buying in markets; carrying his goods to the house; serving his guests; and even serving his servants, to the extent that Anas said: "I served him (the Prophet) for about ten years. By God I never accompanied him on a journey nor settled with him in a place but he served me more than I served him.

On certain occasions he took his part in more general activities of the community; such as building the mosque of Quba', and digging the ditch as a defence against Quraysh and their affiliated tribes. On the occasion of the building of the mosque of Quba', the Prophet carried the bricks on his shoulders like any other Muslim repeating whilst doing so:--

"Oh God, the reward is the reward of the thereafter.

Have mercy on the Helpers and the Emigrants.'

So encouraged, the Muslims worked enthusiastically, reciting the following verse:--

"Were we to sit whilst the Prophet works,

That would be an erroneous act on our part.

On the occasion of digging of the trench, the prophet himself carried earth until it covered the whiteness of his belly, saying:

"Oh God, were it not for you, we would not find the right way;

Nor give alms, nor pray,

So send down reassurance upon us.

And make firm our feet when we meet the enemy.

On another occasion, the Prophet came to the well of zamzam, while its workers were giving water to the thirsting people. The Prophet said to them: "Work You are carrying out a righteous labour! Were it not that you might be displaced (from your special work) I would descend until I put the rope (of the bucket) here! (pointing at his shoulder-blade).

In one of his trips, he suggested that a goat be cooked. One of his companions said, oh, Messenger of Allah, I undertake to slaughter it. Another said: I undertake to skin it. A third said: I undertake to cook it. The Prophet then said: « and I undertake to cut wood (for fuel) ». The Companions said: « Oh Messenger of Allah, we can cut wood instead of you ». The Prophet

THE MERITS OF LABOUR IN ISLAM - 3

By : M. Gamaluddin Ayyad, M. A.

Nothing can lend more dignity to labour and to labourers than the fact that the Prophet himself was a labourer. He worked as a hired hand looking after sheep belonging to some citizens in Mecca. Al-Bukhari quotes a hadith to this effect :- On one occasion, the Prophet said to his companions : "There is no prophet sent by God who has not worked as a shepherd." His companions then asked him : "You also ? He said : "Yes, I have looked after flocks for citizens of Mecca in return for small payment." It is of little significance to the theme we are dealing with that the Prophet should have worked as a shepherd, since he was at that time poor and needy. What is important is that he recalled that he had worked as a shepherd after his call to the prophethood. Had his previous occupation been a source of shame, it is unlikely that he would have mentioned it in the presence of his companions, or stated that all the prophets of God had worked as shepherds.

The Prophet also worked as a factor travelling to Syria to sell and

buy on behalf of Khadija, whom he later married.

Ibn Ishaq also narrates that the chiefs of Quraysh met with the Prophet to argue with him. They tried to tempt him by offering to give him money and make him their king, but he refused and called them to Islam. They asked him to ask his God to send an angel to confirm his claims; and to give him gardens and castles and treasures of gold and silver to enrich him and so make it unnecessary for him to do that which he had been doing, such as standing in the markets as they did, and earning a living as they did. Thus, they said, they might recognize the bounty and status he received from God. This reference in Ibn Ishaq suggests that the Prophet used to earn his living by trading even after his call to prophethood. It seems probable that he continued to do so during the whole Mecca period.

In the Medina period, when the proceeds of the expeditions undertaken by the Muslims began to flow into the coffers of the Islamic community, he was permitted by Qur'anic injunction, to support himself and

words "Bismika Allahumma" (In thy name, O ! Allah). When they saw that marvel the ban was removed and the Prophet was again free to go about the city. The Prophet went on warning, pleading and teaching his message at length, while the Qureysh did all they could to ridicule his teaching and deject his followers.

At the season of the yearly pilgrimage the Prophet came upon a little group of men who heard him gladly. They came from Al-Madina (Yathrib) a city more than two hundred miles away from Mecca. The Jewish 'rabbis' had often spoken to the pagans of a Prophet soon to come among the Arabs, with whom, when he came, Jews would destroy the pagans. When the men from Yathrib saw Muhammad they recognised him as the prophet whom the Jewish rabbis had described to them. On their return to yathrib they told what they had seen and heard and the next season of pilgrimage a deputation came from yathrib purposely to meet the Prophet. They then returned home with a Muslim teacher and soon there was not a house in Yathrib wherein there was not mention of the messenger of Allah. In the following year seventy-three muslims from yathrib came to Mecca to vow allegiance to the prophet and invite him to their city. They swore to defend him as they would defend their own wives and children.

With the result of that pact (the second pact of Al-Aqabah) the Hijrah, the flight to yathrib (Medina) was decided. Qureysh hated Muhammad in their midst but dreaded what he might become if he escaped from them and they decided to destroy him now. They had chosen a slayer out of every clan. All these were to attack the prophet simultaneously and strike together as one man, thus his blood would be on all Qureysh. The Prophet was waiting Gods command and it came at the night appointed for his murder. The slayers were before his house. He gave his cloak to Ali, bidding him lie down on the bed. The slayers were to strike him as he came out of the house whether in the night or early morning. Then the Prophet of Allah left the house and a blindness fell upon the would be murderers so that he put dust on their heads as he passed by, without their knowing it. He went to Abu Bakr's house and called to him and they two went together to a cavern in the desert hills and hide there till the hue and cry was past, then they set out on the long ride to Madina. The thirteen years of humiliation, of persecution and of seeming failure were over. The ten years of success, the fullest that has ever crowned one man's endeavour, had begun. In the eighth year of the Hijrah the Prophet marched to Mecca and entered his native

(Continued on page 16)

THE “HIJRAH”

—M. ALWAYE

The Hijrah, the flight of the Prophet Muhammad (June 20th 622 A.D.) from Mecca to Medina, which counts as the beginning of the Muslim era was a turning point in the history of Islam. The Hijrah makes a clear division in the story of the Prophets' mission. For the thirteen years of his mission he had been a preacher only. After the Hijra he was a lawgiver, reformer, ruler of a state and perfect example for a growing social and political community.

At the end of the third year of his mission, the Prophet received the command to “arise and warn”. For the first three years of his mission he preached only to his family and his intimate friends. When he began to preach in public pointing out the folly of idolatry in face of the tremendous laws of day and night, of life and death, of growth and decay, which manifests the power of Allah and attest His sovereignty, the ‘Qureysh’ became actively hostile to him. They tried to bring the Prophet to compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah. They came forward and offered to make him their king if he would give up attacking their gods

and idolatry. It was then, when their efforts at negotiation failed, that Qureysh went to his uncle Abû Tâlib offering to give him the best of their young men in place of Muhammad and to give him all that he desired, if only he would let them Kill Muhammad. When Abû Tâleb refused their demand they grew more and more embittered and decided to boycott the Prophets' whole clan. They drawn up a document to the effect that none of them would hold any intercourse with that clan or sell to them or buy from them. Then for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold in Mecca.

Only at the time of pilgrimage could he go out and preach, or did any of his Kinsfolk dare to go into the city. At the season of the pilgrimage they posted men on all the roads to warn the tribes against the Prophet who was preaching in their midst. At last some elders of Qureysh felt worry of the boycott of their old friends and neighbours. They managed to have the document (Sahifah or deed of ostracism) which had been placed in the Kabah brought out for reconsideration. Then it was found that all the writing had been destroyed by white ants, except the

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا

عليك ومنهم من لم نقصص عليك »

« Verily we sent messengers before thee, among them those of whom we have told thee, and some of whom we have not told thee; » (XL : 78).

The law of nature is throughout the same, in every corner of existence, and so is divine guidance the same for mankind throughout the ages and in every corner of the earth. That universal path is submission (Islam) to the One Lord of the Universe and living a life of right action. Every religious leader, always invited men to follow the one common religion and to avoid differences and factions.

God created all men alike us human beings but they divided themselves into groups and factions on the basis of race, colour, language nationality, etc. Mankind was thus divided and sub-divided by innumerable artificial differences. There remained but one single relationship, one sacred bond which still held mankind together and which could unite them again in spite of all differences; this, as every Prophet or Messenger of God pointed out, was the common worship of the one God. No matter how we may differ from each other, our God cannot be different; no matter what our race, colour, country or nationality, when we bow in submission before the Same God ;

all our earthly differences disappear and we feel as if the whole world is our home and the entire mankind our family; we are all children of the same Divine Father. Hence it was that the teachings of all Messengers of God were basically the Same confirming each other, and the Qur'an professed to do no more than confirm and reiterate the teachings of all the Prophets gone by.

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه . . . »

“And unto thee have We revealed the Scripture with the truth, confirming whatever Scripture was before it, and a watcher over it...” V: 48.

It may be asked why, if the founders of the various religions all taught the same basic principles, differences grew up between religions. The Quran explains that these differences are of two kinds, those which the followers of various religions have themselves created, through having turned or strayed away from the real teachings of those religions, and those genuine differences which are to be found in the canons and practices of those religions as, for instance, in the form of worship. These latter differences pertain not to the real teaching or spirit of a religion but only to forms and externals. They are but a secondary part of religion and such differences are both inevitable and necessary.

instinct, senses and intellect, is alike for all, without distinction of race or creed, time or place, and any guidance which is confined to a particular group or which seeks to divide mankind into different groups is false. There is but one true path, the universal path for all mankind and the Quran calls it Islam, i.e. unqualified and complete submission to God. This is the cardinal principle on which the entire teaching of the Quran is based.

(Mankind were one community; then they differed . . .) X : 20.

Originally man led a natural life and there was no difference or clash with his fellowmen. Gradually, however, mankind, multiplied and its needs grew, giving rise to differences, clashes of interest and then open struggle, exploitation and oppression. The common life of harmony and content gave way under the growing stresses and strains; men came to hate each other and the strong oppressed the weak. When this happened, it became necessary to provide right guidance for mankind and to ensure that justice and truth should prevail. So it was that there was a succession of Divine Messengers who brought and affirmed the message of God.

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . . »

(Mankind were one community, and Allah sent (unto them) prophets as bearers of good tidings and as warners, and revealed there-with the Scripture with the truth that it might judge between mankind concerning that wherein they differed; . . .) 11 : 213.

This guidance was not confined to any particular race, community, time or place.

« إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا . وإن من أمة إلا خلا فيها نذير . »

(Lo ! we have sent thee with the truth, a bearer of glad tidings and a warner; and there is not a nation but a warner hath passed among them) XXXV : 24.

It is sad to reflect that men at different times and in different places have appropriated to themselves the exclusive privilege of divine guidance and have believed that their own religion was the only right religion and their religious leader the one and only true Prophet or bearer of God's Message. The Qu'ran has over and over again stressed the universality of divine guidance and grace and proclaimed that there have been countless Messengers of God in various places and at different times and that it is not right to discriminate between them. « For every people (there has) been a guide » (XIII : 7). « For every people (was sent) a messenger » (X : 47).

highest place in creation. All these three stages of natural guidance have their well defined limits and cannot go beyond them. Instinct makes us aware of the needs of life and gives us the faculty of striving for the fulfilment of those needs, but it cannot enable us to acquire knowledge of the world outside our own being. That function is left to the senses, but senses too can only take us thus far and no further. The eye, for instance, sees but only under certain conditions; if there is no light or the distance is too great, we cannot see any object even though it is there to see. Our knowledge, therefore, remains imperfect, and there is need for deducing knowledge through reasoning from cause and effect and framing rules and principles of universal application. That is the function of intellect, but intellect too can guide us only up to a point, and beyond that there is need for further guidance. Just as the world of senses is strictly limited, so also are there definite restrictions which intellect cannot break through. Intellect is confined to the limits imposed by the senses for it can function only within the limits of such knowledge as we can reach through the five senses. What is there beyond the world of senses? Intellect is itself lost in wonder and can guide us no further.

Moreover, intellect is hardly an adequate or effective guide in practical life. Man is so pressed by desires and emotions that when there is conflict between reason and emotion the victory is very often with the latter. How often are we warned by reason to refrain from an act that is harmful or even fatal and yet are unable to resist the emotions which persuade us to that act! The most powerful arguments of reason cannot keep us from losing control of ourselves when in anger or from eating something harmful when compelled by hunger. If, therefore, He Who sustains and tends us has equipped us with senses, so that we may guard against instinct leading us astray, and endowed us with intellect, to correct the errors of the senses, does it not follow that He must have provided us with something else also to afford us guidance when intellect is exhausted and helpless? The Quran answers in the affirmative and says that this fourth stage of guidance is that of revelation or divine inspiration.

« إن علينا الهدى »

(Lo ! Ours it is (to give) the guidance) XCII : 12.

“The path of divine guidance is Al Huda (The Guidance)”, the path of true and universal guidance. This guidance, like the guidance of

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Muharram
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

April
1966

THE QURAN'S CONCEPTION OF GOD - IX.

By : Moulana Abul Kalam Azad

« إهدنا الصراط المستقيم »

[Guide us on the Straight path]

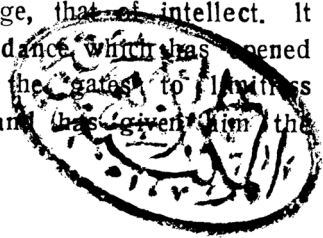
It has already been indicated that the divine attribute of the Preserver carries with it also the essential quality of Guidance, for without the guidance of nature no being can sustain itself. This guidance is the last gift of nature to enable every creature to get on its feet.

« سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ،
والذي قدر فهدى »

(The Lord Most High, Who has created and then bestowed order and proportion, Who has fixed a measure for every thing and then granted it guidance) LXXXVII : 2-3.

There are three stages of guid-

ance. The first is that instinct, which is present even in a new-born babe; no sooner is he born than he begins to cry for food and then without any external instruction, sucks at his mother's breast to find it. The second stage is that of the Senses, which give us the faculties of sight, hearing, taste, touch and smell, and it is through them that we acquire knowledge of the external world. These two stages of guidance are for animals also, but for man there is yet a higher stage, that of intellect. It is this guidance which has opened for man the gates to limitless progress and has given him the



مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
ج. في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ ضاحية الجمهورية
وللمدرسين الطلاب تخفيض خاص

بَيِّنَاتٌ عَنْ مَشِيخَةِ الْأَنْهَارِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ رَجَبٍ

الجزء الثاني - السنة الثامنة والثلاثون - صفر سنة ١٣٨٦ هـ - مايو ١٩٦٦ م

لِسَمَاءِ الْمَرْيَمِ

دين الله دين القوة



بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لمأساة فلسطين

بقلم أحمد حسن الزيات

رفعوا حروشهم على نواصي الشرق
والغرب . فمن لم يكن قوى البأس ،
قوى النفس ، قوى الإرادة ، قوى العدة ،
كان مسلما من غير إسلام ، وعربيا من
غير عروبة .

الإسلام قوة في الرأس ، وقوة في اللسان
وقوة في اليد ، وقوة في الروح .

هو قوة في الرأس لأنه يفرض على العقل
توحيد الله بالحجة ، وتصحيح الشرع
بالدليل ، وتوسيع النص بالرأى ، وتعميق
الإيمان بالتفكير .

الإسلام دين القوة ؛ وهل في ذلك شك ؟
شاووه هو الجبار ذو القوة المتين ؛
ومباهه هو محمد الصبار ذو العزيمة الآمين ،
وكتابه هو القرآن الذي يهدى كل إنسان
وأعجز ؛ ولسانه هو العربي الذي أخرس
كل لسان وأبان ، وقواده الخالدون (١)
هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى
وقيصر ؛ وخلفاؤه العمريون (٢) هم الذين

(١) نسبة إلى خالد بن الوليد .

(٢) نسبة إلى عمر بن الخطاب .

بالحركة . والوكة تقوية للضعيف بالتصدق . وتنمية للنال بالتطهير ، وتمكين المجتمع بالتعاون . والحج قوة اجتاهية بالتمعارف والتآلف ، وقوة سياسية بالقشاور والتحالف وقوة اقتصادية بالبياعات والتسوق .

وإن أشد ما تجتمع به القوة وتندق عليه الحال هو الوحدة والجماعة ، وهما لسبب الدعوة الإسلامية . فالوحدة هي الأساس الذي حمل ، والجماعة هي الصرح الذي قام ، كانت الوحدة هي الأساس لأنها توحيد لله بعد إشتراك ، وتوحيد للأرب بعد شتات ، وتوحيد للرأى بعد تفرق ، وتوحيد للغة بعد تبلبل ، وتوحيد للقبلة بعد تدابر . وكانت الجماعة هي الصرح لأنها جمعة القلوب التي ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التي رفع شأنها محمد . ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذي يكفر بوحدة العقيدة والامة يقتل ، والطائفة التي تبغى على جماعة المسلمين تقاتل ، والصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أديت في جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات كل يوم ، ثم تكبر في صلاة الجمعة كل أسبوع ، ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم في أداء الحج مرة - على الأقل - في كل عمر .

وهو قوة في اللسان لأن البلاغة هي معجزته وأداته - والبلاغة قوة في الفسكرة ، وقوة في العاطفة ، وقوة في العبارة .

وهو قوة في اليد لأن موحيه - وهو الحكيم الخبير - قد علم أن العقل بسلطانه واللسان ببليانه لا يغنيان عن الحق شيئاً إذا ما أظلم الحس وتحكمت النفس وعميت البصيرة ، فجعل من قوة العضل ذاتاً عن كلمته وداعياً إلى حقه ، ومنفذاً لحكمه ومؤيداً لشعره . كتب على المسلمين القتال في سبيل دينهم ودينه ، وفرض عليهم إعداد القوة والحيل لإرهاق أعدوهم وعدوه ، وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثله . ولكن القوة التي يأمر بها الإسلام هي قوة الحكمة والرحمة والعدل ، لا قوة السفه والقسوة والجور ، فهي قوة مزدوجة ، أو قوة فيها قوتان : قوة تهاجم البغى والعدوان في الناس ، وقوة تدافع الأثرة والطغيان في النفس .

والإسلام بعد ذلك قوة في الروح لأنه يمحس جرمها بالصيام والقيام والاعتكاف والارتياض والتأمل .

وأنت إذا عرضت على الفكر الحكيم الحكيم مراعى العقيدة الإسلامية ، وجدتها كلها تتجه إلى القوة ، أو إلى ما تحصل به القوة . فالصلاة نظافة جسمية بالوضوء ، وطهارة روحية بالذكر ، ورياضة بدنية

فيتواكلون تواكل الأخوة دب فيهم الحسد . وتجمعهم الخطوب فيفترقهم الطمع والهوى كأن الإسلام الذي كان عامل قوة واتلاف ، قد انقلب اليوم هلة ضعف واختلاف ! وكأن الذين كننا نقول لهم بلسان الجهاد : أسلوا تسلبوا ، يقولون لنا بلسان الاضطهاد: تنصروا تنهروا ! ولكن الإسلام دين الله لا يغيره الزمن ، ولا تحافيه الطبيعة ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ، وإنما المسلمون اليوم هم أعقاب أمم وعكارة أجناس وبقايا نظم ورواسب حضارات ووبائب جهالات وطرائد ذل ، ففسدت مبادئ الإسلام في نفوسهم ا شوبة كما يفسد الشراب الخالص في الإنباء القدر .

إن جامعة الدول العربية كانت تعبيراً جليلاً لحلم ساور النفوس الطيبة حقبة من الزمن . ولكن الحلم قد بقع ولا يقع ، والتعبير قد يصدق ، ولا يصدق . ولو كان ميثاق هذه الجامعة قبساً من نور الله وهدياً من سنة الرسول لما رأيناها في نكبة فلسطين تعد ولا تنجز ، وتقول ولا تفعل ، ولو ظل أمرها قائماً على الخطب الحاسية والوعود المغرية والتعريضات البليغة والاجتماعات المتعاقبة ، لظلت في نفوس العرب والمسلمين مناط الثقة ومعقد الرجاء ومثابة الأمن ، ولكن طالها السوء ابتلاها وهي لا تزال

على ذلك كان إسلام محمد وأبي بكر وعمر . وعلى ذلك كانت عروبة خالد وسعد ومهرو . كان العرب والمسلمون حينئذ يحملون المصحف للحق والسيف للباطل وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة ، حتى بلغوا من القوة أن فعل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش^(١) ، وبلغوا من المروءة أن سير المعتصم جيشاً لإنقاذ امرأة^(٢) . فلما شتت الوحدة ، وتفرقت الجبهة ، وصارت سيوف المسلمين خشباً يحملها خطباؤهم على المنابر ، ومصاحفهم تماثيل يعلقها مرضاهم على الصدور ، أصبحت دولهم تبعاً لكل غالب ، وتراثهم نبياً لكل غاصب ، وبلغوا من التخاذل والفشل أن الاندلسيين يحملهم النصاري عن أقطارهم بالأمس فلم يجدوا الرشيد ، وأن الفلسطينيين يشردهم اليهود عن ديارهم اليوم فلا يجدون المعتصم !

إن مسلمي هذا الزمن الأخير صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم في الدنيا على أخلاق العبيد ؛ يطاطسوا لإشرافهم فلا يندى لهم جبين ، وتنقص أطرافهم فلا يحمي لهم أنف ، وتنزل بهم الشدة فيتخاذلون تحاذل القطيع عات فيه الذئب ، ويغير عليهم العدو

(١) إشارة إلى كتاب الرشيد إلى نيففور إمبراطور الروم .

(٢) إشارة إلى فتوح المعتصم لعمورية .

في صدق وصبر جيوش اليهود وأسلحة
الأمريكان ومكر الإنجليز ؛ ثم لا تتلقى
من أخواتها الشقيقات إلا هتافا كهتاف
الجسام وحنانا كحنان الأوز : بروق باسمه
من غير غيث ، وصكوك ضخمة من غير
رصيد ! .

لقد تكشفت مأساة فلسطين - واسرائيل -
عن قلوب شتى ووجوه متعارضة . والإسلام
- كما رأيت - وحدة وجماعة . فمن
فهم العروة بعد توثيقها ، ونقض
اليمين بعد توكيدها ، وفرق الكلمة بعد
توجيهها ، فهو مسلم من الإيمان ،
وهربي من غير شرف ، وإنسان من
غير ضمير .

أصغر صبي الزينات

في زهو النشأة وصفو المآدب بهرب
الصهيونية المهيمنة ، فتحسست الدول السبع
وصيرت كتائبها المظفرة إلى مصابات اليهود
في فورة من الاناشيد والخطب . فلما صار
الامر جداً والكلام فعلاً وقفوا على
أطراف الميادين وقفة الحائر القلق هذا يتجه
إلى بريطانيا وفي يده التاج الناقص ؛ وذلك
يلتفت إلى أمريكا وفي كفها العقد المبرم ؛
والآخرون يتهيبون الامر وينتظرون في
ظلال الهدنة المفروضة ما تلبه الأحداث
ويقره مجلس الأمن !

وليس من هؤلاء الآخرين المنتظرين
والخدقة مصر ؛ فقد قضت عليها حمايتها
للإسلام ورحايتها للعروبة وأمانتها للجامعة
أن تقف وحدها في الميدان القادر تكافح

يارسول الله

كأصحاب كهف في عميق سبات
فما بالهم في حالك الظلمات .. ؟
فما ضرهم لو يعملون لآتي ١٩٠٠
« شوقي »

شعوبك في شرق البلاد وغربها
بأيمانهم نوران : ذكر وسنة
وذلك ماضى مجدهم ونفاههم

الرسالة الروحية للشباب الجامعي

للأستاذ محمد محمد المدني

إن أية نهضة إصلاحية لا بد أن تكون قائمة على أسس معنوية ، وأن يكون لها نبع روحي يمدّها ، ويبعث فيها القوة والاستمرار والقدرة على المكافأة والمجاهدة .

والتاريخ يثبت أن العرب أمة صافية الجوهر ، أصيلة المعدن في صفات المروءة والشهامة والفجدة ، ولكنه يثبت في الوقت نفسه أن عنصرهم الأصيل ، وجوهرهم الكريم ؛ إنما لمع وبرز في العالم ذا بريق أخاذ ، ونوره هاج ، حينما حملوا راية الإسلام واعتدوا بهدى القرآن ، والقرآن روح من أمراء الله ، ونور يهدي به الله ، وصراط مستقيم رسمه الله ، وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .؟ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم .

وإذن فالعروبة لم تبرز إلى العالم حين برزت أول مرة ، كعنصرية كل ما لها هو الانقسام إلى عدنان أو قحطان ، ولكن كجوهر صاف صالح لأن يعمل دعوة لإصلاحية عظمى للعالم كله . ولذلك يتجه الرأي العلي السليم إلى تفسير قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، بأن هذه الخيرية ليست

شبابنا الجامعي هم الطليعة الأولى في جيش الحياة الزاحف إلى المستقبل .

هم المقدمة من فصول الكتاب الذي ستنتشر صفحاته غداً يوم تعود القومية العربية بإذن الله كما كانت في أزهي عصورها . مصدر إصلاح عالمي واسع النطاق يقوم على أساس من العلم والهدى والإيمان والرغبة الصادقة في إنقاذ البشر من جميع صور الاستغلال والإذلال والظلم . هم صغراؤنا إلى الأجيال القادمة الذين لن يطول بنا الزمان حتى نراهم بأعيننا ، ولكن ستر فرف عليهم أرواحنا ، وستنقل إليهم أفكارنا ، وتأثيرهم أبنائنا ، ويحكون لنا أو علينا .

هؤلاء هم شبابنا الجامعي في مختلف جامعاتنا العربية قديمها وحديثها ، من الأزهر الرابض تحت سفح المقطم منذ ألف عام أو تزيد ، إلى هذه الصروح الشاخنة من أطوار العلم ، في جيزة القسوط ، أو في مشارق عين شمس ، أو في مدينة (الإسكندر) أم الفلسفات والمكتبات في عصور التاريخ ، أو في حاصمة الصعيد أسيوط ذات التاريخ العلي الذهبي .

ومن حق هؤلاء الشباب عايننا أن نعدّهم لهذه الرسالة إعداداً قوياً صالحاً ، وأن نوجه إليهم كراثم جهودنا ، ونهديهم زبد تجاربنا ، وننتج بهم صراطاً مستقيماً يكونون به هادين مهتدين ، صالحين مصلحين .

تعالى يقول : « والله الأسماء الحسنی فادعوه بها وذرّوا الذی یلحدون فی أسمائهم ، ودهوة الله بهذه الأسماء هی التعلّق بها ، والتعشّق لمعانها وما توحى به وتفرضه علی المؤمن : إن الله هو الرحیم ، فرحمته مبدأ الرحمة ، والمثل الأعلى الذی یوحى به هذا الاسم إلی المؤمن هو أن یكون رحیمًا .

إن الله تعالى هو « البر » ، فالمؤمن یجب أن یكون « برا » .

إن الله هو « العزیز » ، فیجب أن یستوحی المؤمن من هذا الاسم کل معانی العزّة « والله العزّة والرسول والمؤمنین » .

إن الله هو الغفور ، هو الودود ، هو الحکیم ، هو العليم ... إلی غیر ذلك من صفات الجلال .

فدهوة الله بأسمائه الحسنی لیست هی مجرد ترديدھا علی سبیل الذکر اللسانی ، والعد الإحصائی ، ولكن هی إدراك معانها إدراکًا یخالط النفوس ، ویؤثر فیها ، حتی یطبعها بطابعها ، ویملأها بعظمتها ، ویديرها فی مدارها .

وإذا كان لله تعالى صفات أخرى بجانب صفات الجلال ، وهی صفات العظمة والجلال ؛ فإن لها أيضًا إجماعًا للمؤمنین .

إن الله هو « الجبار » ، ولكن جبروته فی موضعه - أى مع المتجبرین - عدل ورحمة : عدل ؛ لأنه جزاء لمن ظلم ، ورحمة لأنه إنصاف لمن ظلم ... وهكذا .

ولذلك لا ینبغی أن ینظر إلی صفة من صفات الله وحدها ، ولكن ینظر إلی جمیع الصفات

خیرية هنصر من الناس علی عناصر أخرى ، ولكنها خیرية مبدأ وفكرة ودعوة ، فإن من غر العروبة أنها تجاوبت مع دهوة الإسلام ، ودانت لها ، وآمنت بها ، وحملتھا إلی الناس . فالعالم لم یعرف العرب إلا وفی أيديهم مشکاة الهداية ، وراية الإصلاح ، ومقایيس الفضيلة والمثل الرفیعة .

وإذا أردنا أن نقیم نهضتنا علی أساس متین لا یمكن أن یتزلزل ، فإن هذا الأساس هو « الإیمان » :

- ١ - الإیمان بالله . ٢ - الإیمان بأنفسنا .
 - ٣ - الإیمان بالقیم . ٤ - الإیمان بالعلم .
- لأنها أسس أربعة یجب أن یقوم علیها صرح البناء الذی أخذنا علی أنفسنا أن نبنيه .

● فالإیمان بالله هو الأساس الأول ، وهو عقيدة باهتة هادية منشطة ، وليست كما یزعم الملاحدة وأشباههم عقيدة منبطة أو معوقة أو مكبلة للعقول .

إن القلب لو إذا فرغت من الإیمان بالله ضعفت أمام الأحداث وتزلزلت وانهارت مقاومتها ، ولكن المؤمن الصادق الإیمان قوی القلب ، یقشع عنه إیمانه غیاب الظلمات ، ویهديه فی أوقات الحيرة .

والإیمان بالله هو ارتباط علی بین الإنسان والمثل العليا ، لأن الله تعالى هو منبع هذه المثل ومصدرها ، وهذا المعنى هو المعبر عنه فی القرآن السکریم « بالأسماء الحسنی » ، فانه

ولذلك يقسم الله عباده إلى فريقين : فريق المصدقين بالحسنى ، وفريق المسكذبين بالحسنى ، فالحسنى هى القيم ، والتصديق بها هو الإيمان بقيامها ووجودها ووجوب رعايتها ، والنسكذيب بها هو إنكارها والتحمل منها ، والخروج على مقتضياتها وأحكامها ، ومن صدق بالحسنى يصره الله للعمرى ، وهى حياة اليسر والسعادة ، ومن كذب بالحسنى فآله ييسره للعمرى ، وهى حياة الشقاء وملابسة الصعاب .

أما العلم فحسبنا أن نعلم أن الله تعالى كرمه ورفع أهله إلى مقام عظيم ، حيث ذكرهم معه ومع ملائكته فقال : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، وأنه جعل معرفة الحق ورؤيته رأى العيان من شأن أهل العلم حيث يقول : ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد .

وأرلو العلم هنا ، ليسوا أصحاب العلم الدينى فقط ، وإنما هم أهل كل علم : علم الحياة ، علم الآفاق ، علم السنن الكونية فى مظاهرها المختلفة : فى النبات ، فى الحيوان ، فى الإنسان ، فى الجبال ، فى الأنهار ، فى عالم الأفلاك ، فى كل ما يدرسه شبابنا الجامعى من علوم الهدى والدنيا ، وفى كل ما تقوم عليه رسالة الإنسان باعتباره خليفة فى الأرض ؟

محمد محمد المرنى

ككل ، لنعرف الله بجميع صفاته ، ومن هنا وأبنا القرآن الكريم يتبع الصفات واحدة بعد واحدة دون عطف كأنهم جميعا وصف واحد ، فيقول مثله : هو الله الذى لا إله إلا هو الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر .

فن أهم ثمرات الإيمان العملية أن المؤمن يرتبط قلبه بربه ، أى بالمثل والصفات العليا ، فيستوحىها ويهفو دائما إليها ، ويدبر حياته وتصاريه أفعاله على هدى منها ، وفى نطاقها وفلسكها .

والإيمان بالنفس ثمرة من ثمرات الإيمان بالله ، لأن المؤمن يعلم أن الله وحده هو الذى يملك ناصيته ، وهو الذى له الملك وله الحكم ، وله الأمر ، وبهذا لا يذل ، ولا يتنازل عن نفسه ، ويعرف أنه هو وسائر الناس مقسورين أمام ربوبية الله ، وأمام تقدير الله وحكم الله .

وهذا منبعس القوة والكرامة وكسب النفس ، ولذلك نحمد القرآن الكريم يقرن بين خسارة النفس وهدم الإيمان ، فيقول : الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون .

والإيمان بالقيم هو الذى يجعل الحياة كريمة لها طعم ومذاق ، وهو الذى يعلو بالإنسان إلى صعيد فوق مستوى الحيوان الأعجم .

والذين يتفكرون للقيم وللفضائل هم الذين يضطربون عادة ، وإن ظنوا أنهم بمنجاة من الاضطراب إلى حين .

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

للدكتور عبد الحليم محمود

- ٢ -

يقول الله تعالى عن طابع الرسالة الإسلامية، وعن طابع الرسول، صلى الله عليه وسلم: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». لقد كان إرسال الرسول، صلى الله عليه وسلم، رحمة، إذا نظرنا إلى الرسالة الإسلامية وكان إرساله رحمة، إذا نظرنا إلى شخصيته، يقول، صلوات الله وسلامه عليه: «إنما أنا رحمة مهداة». لقد كان رحمة مهداة من حيث الرسالة، وكان رحمة مهداة من حيث الذات. لقد كان ينتسب صلوات الله وسلامه عليه إلى الرحمن رسالة، وينتسب إلى الرحمن صفات، وكان ينتسب إلى الرحيم رسالة، وينتسب إلى الرحيم صفات إنه - رسالة وصفات - يسير في حياته، باسم الله الرحمن الرحيم مبشراً باسم الله الرحمن الرحيم، إنه نبي الرحمة وإنها رسالة الرحمة، والله سبحانه وتعالى، قد ربى رسوله على عينه، واصطنعه لنفسه، فنشأه على الرحمة، فهو، صلوات الله عليه وسلامه رحمة منذ ميلاده. وإنتنا، إذا أردنا تعبيراً بجملاً جامعاً لمعاني الرحمة التي اتصف بها نبي الرحمة، فإننا نجد في وصف السيدة خديجة، رضوان الله عليها للرسول، صلى الله عليه وسلم، حينما فاجأه الوحى وحديثاً به وقال لها: «لقد خشيت على نفسي». فقلت، رضى الله عنها، فوراً:

كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدم، وتقري الضيق، وتعين على نوائب الحق. إن هذا الوصف الصادق للرسول، صلى الله عليه وسلم، إنما يعبر في كل جملة من جملة من الرحمة، وهو وصف اتسم به الرسول صلى الله عليه وسلم، طيلة حياته، والآية القرآنية: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»، لا تخصيص فيها، لا من ناحية نوع الرحمة، ولا من ناحية موضوع الرحمة، ويشرح هذه الآية في شمولها وعمومها: يشرحها في دقة وفي عمق، موقف كريم من مواقف التوجيه النبوي: لقد كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يتحدث عن الرحمة، ويدعو إليها، ويعرف بمنزاتها من الدين. فقال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: «لما نرحم أزواجنا وأولادنا وأهلينا». فلم يرض هذا القول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لأنه فهم قاصر محدود لما ينبغى أن يكون عاماً شاملاً، إنه تقييد للطلاق، ولذلك رد عليه الرسول، صلى الله عليه وسلم بقوله: «ما هذا أريد، إنما أريد الرحمة العامة». وما من شك في أن من الرحمة: رحمة الأزواج، والأولاد، والأهل، وقد حدث على ذلك رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه. بيد أن ما أراده الرسول، صلى الله عليه وسلم،

أما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان معروفاً ، يعرفه كل من عرف رسول الله وعرف طابعه ، وعرف صلة هذا الطابع بطابع الرسالة الإسلامية ، إنه أخذ الفدية ، ولقد كان أبو بكر ، رضى الله عنه ، أمثل الناس في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان اتجاهاً من اتجاه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وهذا الاتجاه لرفيقي الغار أيده الله سبحانه بل زاد عليه حينما خير رسوله ، فيما بعد ، بأنه إذا وضعت الحرب أوزارها : له أن يمن وله أن يأخذ الفداء : فإما منا بعد وإما فداء . وقبل بدر ، أخذ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الفداء ، فقد قادى في سرية هبذ الله ابن جحش ، قبل بدر بنحو عام . فلما كانت بدر ، سار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على سننه ، وتصرف مستلهماً طابع الرسالة التي أرسله الله بها ، ولكن بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم ، نظر إلى موضوع الفداء نظرة مادية ، وأخذ في تقدير الفدية : وزناً وكيلاً ، وقيمة ومقداراً وكماً وكيفاً ، وأخذ في تكييف الفدية بحسب الغنى والفقر ... إن بعض الصحابة نظر إلى المسألة نظرة مادية ، فنزل قول الله ، سبحانه وتعالى ، مصححاً الوضع لهؤلاء الذين لم يضعوا الأمور في وضعها الصحيح ، ولم ينوها بميزان التوجيه الإلهي .

يقول الخطيب القسطلاني في كتابه «المواهب اللدنية ، في ذلك : «فيه بيان ما خص به

إنما هو أن تتغلغل الرحمة في الكيان الإنسانية كله ، حتى تصبح ، وكأنها من فطرته وطبيعته وجبلته ، فيكون الإنسان وكأنه قدس من الرحمة الإلهية : ينثرها إذا سار ، وينثرها إذا جلس ، وينثرها أينما كان وينثرها حينما حل . وإذا كان كذلك فإنه يكون قد حقق الطابع العام للرسالة الإسلامية : رحمة للعالمين . ولقد حقق الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، هذا الطابع : بقوله ، وحقيقته بفعله ، ولقد كانت الرحمة - وهي طابع الرسالة الإسلامية - هي طابع تصرفاته ، وانظر إلى الحادثة التالية الحادثة التي نزل فيها قوله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، وهي لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر سبعون ، استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعلياً فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العلم ، والعشيرة والإخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وهسي أن يديهم الله فيكونوا لنا عضداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلب : واقع ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تمكثني من فلان (قريب لعمر) فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من هقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه ، يعني العباس ، فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة ، أى ميل للمشركين ، .

ثم إن الله ، سبحانه : لم يأمر المسلمين برد الفدية ، وما كان أيسر ذلك ، ولم ينقض الله سبحانه . ما أبرمه رسوله ، المبرأ من أن يسير إلا على بصيرة ، والمنزه عن أن يهتدى إلا إلى الصراط المستقيم ، صراط الله .

هذه الفطرة الرحيمة حملت الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على أن يكافح طيلة حياته في غير فتور ، ولا هوادة ، لبداءة الإنسانية وإسعادها ، لقد كان ، صلى الله عليه وسلم ، يشق على نفسه في سبيل ذلك ويحملها من الأمور ما لا تطيق . حتى لقد قال الله له : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » .

وقال سبحانه : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

ولقد رسم الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، موقفه من الناس ، ومثله بموقف رجل يحاول ما استطاع أن يمنع الناس عن التردى في نار يتهاقنون على الاحتراق فيها ، ولعل الحادثة التالية تصور بعض جوانب التربية الرحيمة التي كان يستعملها الرسول : صلى الله عليه وسلم في سلوكه مع الناس . وهي ، وإن كانت خاصة برجل معين ، فإنها ليست بمقصودة عليه بل لهاصفة العموم جاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له مستغفراً متودداً : أحسنت إليك ؟ فقال الأعرابي لا : ولا أجملت ، فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم الرسول ، صلى الله عليه وسلم

وفضل من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فكأنه قال : « ما كان هذا لنبي غيرك ، اه » ، ويقول الفاضل بكر بن العلاء : « أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتب له من إحلال الغنائم والفداء اه » .

والتوجيه الإلهي في خاتمة رسالات السماء ، أنها رسالة رحمة ، ولرسالة الرحمة ميزات ، وخصوصيات تفيض عن الرحمة نفسها ، وما كان لنبي من قبل ، ما كان لنبي من قبل نبي الرحمة أن يكون له أسرى حتى يمتحن في الأرض فلما كانت رسالة الرحمة ، ولما كان نبي الرحمة : أباح الله له التصرف بحسب الرحمة ، وهو الفداء ، ثم زاده تكريماً على تكريم حيث زاده رحمة على رحمة ، فجعل له الخيار بين المني والفداء .

وإن كل نظرة تفيض عن هذه النظرة وتصدر عنها لا ترى ولا تحس ولا تشعر بالجانب المادي ولكنكم يا هؤلاء الذين نظرتهم النظرة المادية : تريدون عرض الدنيا وتتخذونه مقياساً ، إنه ليس بمقياس ، إن المادة ليست في موازين الله مقياساً ، فإن الله يريد الآخرة ، ويريد للذين آمنوا به وبرسوله أن تكون مقايدهم مستمدة من كتاب الله ومن توجيهات رسوله ؛ صلى الله عليه وسلم : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة ، وإنه لمن أفضل الله على رسوله أنه سبحانه لم يقل : « أسوة » وحسب وإنما قال : « أسوة حسنة » ، وقال سبحانه .

« أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

وكان إذا سئل أن يدهو على أحد عدل عن الدواء عليه إلى الدعاء به بالهداية والصلاح وكان يريد باستمرار أن يشعر المسلوبون؛ بل الناس على وجه العموم، بالتعاطف فيما بينهم. سئل مرة: أى الناس أحب إليك؟ فقال: أنفع الناس للناس، وسئل أى الأعمال أفضل؟ فقال: إدخال المرور على المؤمن. وقال: أكل المؤمن إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله.

وكانت رحمته، صلوات الله وسلامه عليه عامة شاملة حتى لقد تناوالت الحيوان الأعجم لقد قال — بحث على الشفقة بالحيوان: — «بيننا رجل يمشى، فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج منها، فإذا هو بكلب يلهث الثرى (يأكل الثرى من شدة العطش) فقال: لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذى بلغ بي، فلاخفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى؛ فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله: وإن لنا فى البهائم أجراً؟ قال (نعم) لكم فى كل ذات كبد رطبة أجر. وقال، صلى الله عليه وسلم: «دخلت النار امرأة فى هرة حبستها، فلا هى أطعمتها وسقيتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض».

لقد كان صلى الله عليه وسلم رحمة وكان رحمة للعالمين.

الركن نور هبى الحليم محمود

أن كفروا، ثم قام، ودخل منزله، وأرسل إلى الأعرابي، وزاده، ثم قال: «أحسن إليك؟ فقال الأعرابي: نعم جزاك الله من أهل وهشيرة خيراً، فقال له النبي، صلى الله عليه وسلم: إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابي شيء من ذلك. فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك.

ونحدث الأعرابي إليهم، وطابت أنفس أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقول الأعرابي فقال، صلوات الله وسلامه عليه، هذا التعقيب الرائع:

«إن مثلى ومثلهذا الأعرابي: كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه، فاتبها الناس: فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة أن خلوا بينى وبين ناقى، فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه إليها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قام الأرض، فردها هونا هونا، حتى جاءت واستناخت، وشدها عليها رحلها، واستوى عليها.

وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار».

لقد كانت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، رحيمة حتى مع الأعداء.

لقد قيل له يوم أحد، وهو فى أشد المواقف حرجاً: لو لعنتهم، يا رسول الله فقال، صلوات الله وسلامه عليه: «إنما بعثت رحمة، ولم أبعث لعناً».

فجائب القرآن

من تصوير القرآن لمشاهد الآخرة

للأستاذ عبد اللطيف التبكي

«يوم يحشرهم كان لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ، يتعارفون
بينهم قد خسر الدين كذبوا بقاء الله ، وما كانوا مهتدين » .
آية - ٤٥ - يونس

ولكن شامت حكمة الله في تدبيره أن يتفضل
فيسوق إلينا بعض الغيب عنا قبل أوانه ،
ليكون ذلك تثقيفاً لنا ، ونبصراً ، وعونا
لأنها منا على إدراك ما يناط بنا من تكليف ،
وليكون استنهاضاً لنا إلى عمل الخير طمعاً في
جزائه ، وإلى تحاشي العصيان خوفاً من عواقبه .
٢ - ومن هذا الغيب الذي يصوره لنا
القرآن أن الكفار حينما يبعثون من
قبورهم في اليوم الآخر يتخيلون أن الأزمه
الطولية التي مرت على الأجيال في دنياها .
ثم في قبورها لم تكن أكثر من ساعة واحدة
من ساعات النهار التي كانوا يعهدونها في الحياة
الأولى ، وكانت تمر بهم في سمر لاه ، وعمل
باطل ، ويوم تقوم الساعة يقسم الجرمون .
ما لبثوا غير ساعة ، ... ولماذا يتخيلون
ذلك ؟ هل كانت أرواحهم في هناة حتى
انطوى عليهم الزمن سريعاً كما تنقضى متع
الحياة ؟؟ لا ... ولكن لأنهم كانوا في دنياهم
يستبعدون البعث ، ولا يؤمنون بالغيب بعد ما هم

١ - هذا نبأ من أنباء الغيب من الحياة
الآخرة بالنسبة للكافرين .

ومثل هذا النبأ ليس من العلم الذي تتعلق
به حواسنا ، ولا مما تتكهن فيه بعقولنا .
ولكننا نؤمن به كغيب عرفناه من طريق
السمع والنقل عن كتاب الله ، أو تبليغ
الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ومن لم يؤمن بالغيب : فهو المكذب
ببقاء الله ، وهو الذي تشهد عليه الآية هنا
بأنه لم يكن من المهتدين .

ومع ما نعرفه من أن مواهب الإنسان ،
وجهوده الباحثة في مجال المعرفة قد انطلقت
في مجالها ، وأبعدت في دنيا العلم وأحاطت بالكثير
من طرائفه ، ولا تزال تبرز لنا عجائب مطوية هفا
في هذا الوجود : فإن تلك المواهب ، والجهود
لا تتجاوز عالم الشهادة ، ولا يتاح لها أن تتصل
أشياء بما استأثر الله به : ديناً ودنيا كالأجال ،
والأرزاق ، والحظوظ ، وكشئون الآخرة
وما هناك من أقدار ، قل إنما الغيب لله .

وذلك كله من الغيب الذي يبادرنا الله بعلقه قبل أن يحين مواعده لتكون العبرة شاخصة أمام بصائرنا جميعاً ، ولا يكون للكافرين معذرة عند ربهم .
٤ - وهناك مواقف أخرى تنقطع فيها

المخامرة ، ويسرون فيها الندامة المكبوتة ، ويشغلهم الهم المحدث بهم عن محاولة التوصل ، والاعتذار ، ولا يسأل حميم حميماً ، من معونة أودعوه كما كانوا يتعانون في الدنيا على الإثم والمدون .

د يود المحرم لو يقتدى من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبه ، وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيهم ، هذا الفداء لو استطاعه .

ورب قائل : وكيف نسمى هذا علم الغيب والمعروف كما سلف أن الغيب لله وحده .
والجواب : أن الله - تعالى - يحيط علمه بكل شيء مما كان ، أو يكون إجمالاً ، وتفصيلاً .
ولكنه رحمة بعباده يكشف لهم عن بعض جوانب الغيب تبصيراً لهم بما هنالك ليتبينوا الرشده من الغي .

وليس معنى ذلك أننا شاركناه في علمه المطلق ... ولا أنه يطلعنا على جميع غيبه .. بل هي نسب محدودة من فيض علمه ، وبقدر ما نحتاج ... والذي نعلمه من ذلك لا يظل على غيبته ، بل صار معلوماً لنا ولو إجمالاً .
د ولا يحيطون بشيء من علمه : إلا بما شاء ..

ه - ونحن نعلم أن الدنيا وما فيها كانت غيباً عن عالم الشهادة ... ثم تطلعت إرادة الله

فيه من حياة فاتنة ، أو كانوا يزعمون لأنفسهم كرامة عند الله ليست لسواهم ، فلان يعذبهم الله كما يعذب الآخرين لأن هؤلاء أبناء الله ، وأحبائه كما يزعم اليهود .

فهؤلاء جميعاً يخرجون من الأجساد ، وحينما يفجأهم الموقف الرهيب بأحوال القيامة يتلاشى زعمهم الجاهل ، ويبدو لهم من كرب الآخرة ما لم يكونوا يحسبون ، ويتأكدون أن موعد القيامة كان حقاً ، وكان قريب الحصول ، حتى كأن حياتهم ، وقبورهم لم تستغرق أكثر من ساعة واحدة .

فهم حينئذ بين ماض تبسّد منهم في غفلة ولن يعود ... وبين حاضر تكشف لهم عن هوان غير محدود .

٣ - وهم حينئذ يتعارف بعضهم على بعض بالتحمر ، وبالدهشة من ذلك المول الذي طاشت له عقولهم ، وهم يتلاومون على هلى ما فرط منهم ، ويحاول كل امرئ أن يلقي وزره على غيره .

فيقول الضعفاء في الدنيا للذين كانت لهم السيطرة عليهم : إنا كننا لكم قبعاً ... لولا أقم لكننا مؤمنين ،

ويقول الذين استكبروا : د أنحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟؟ بل كنتم مجرمين .
يعنى لم نمنعكم من الإيمان ، وإنما كنتم كفاراً باختياركم .

وهكذا من الحوار الأسيف الذي يتردد بينهم .. ويحكيه لنا القرآن منذ نزل القرآن .

وبالنسبة للنفخ في الصور : إيداناً بيوم القيامة ، وميكائيل بالنسبة الأرزاق ، على ما هو مذكور في مواضعه من كتب السلف والرسول كذلك .. هو النبي الذي يختاره الله للنبوة ، أو يبعثه بالرسالة... فإن الله يوحى إليه بما يشاء من عليه ليقوم بقبليغه إلى قومه.. وسواء أكان الرسول ملكاً أو إنساناً فإن الله يقضى إليه بشئ من الغيب عنده...

وهكذا ما نحن فيه من حديث الآخرة ، فهو غيب ، أخبرنا به الله ، تفضلاً علينا... كما أضاف على رسله علماً عن الأولين ، ونص علينا سمرهم ، وما كنا ندرها ، لأنها غيب سابق... والله ذو فضل على الناس .

وتلك كلها تصرفات هادية ، اقتضتها حكمة الله في خلقه ، فلا نستعين بها ، ولا ننصرف عن تعقلها ، ولا ننسى أن القرآن حافل بالتوجيهات إلى الإيمان بالغيب عامة ... حتى لا نتعثر في جهالنا المطلقة لما يغيب عنا ، ولا نفر بقشور علما كما يغتر الماديون ، فينسكرون ما يغيب عن حواسهم .

والله ينبهنا إلى ذلك في قوله تعالى : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » .

ومهما يكن العلم فتنة لبعضنا فهو علم ضئيل لا ينبغي أن نستطيل به : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » ؟

عبد المطلب السبكي

بإرازها شيئاً فشيئاً على صفحة هذا الوجود طبقاً لما جرى به عليه ، وقضاؤه .

ونحن في كل وقت نستقبل من عالم الغيب أنصية ، وأحداثاً لم تكن مكتشفة لنا ، ولم نكن نعلمها حينما كانت عجيبة عنا ، ثم أصبحت مشهودة لنا في غير إنكار ، ولا ريب . فلا غرابة عندنا أن يخبرنا الله ببعض الغيب في الآخرة عن أهوال القيامة ، وعن الجنة ونعيمها ، وعن النار وشقائها ، وعن المؤمنين والكافرين في آخرهم بعد أن يقضى الله فيهم قضاءه العادل .

٦ - وانقرر في تراثنا العلوي أن الله تعالى - حينما يأذن بتنفيذ أمر غيبي حان مواعده يعهد به إلى ملائكته الموكلين بتنفيذ ما يريد ، فلا يعتبر هذا الأمر غيباً عند الله كما كان ، بل أصبح معلوماً للملائكة ، وإنما يظل غيباً هنا نحن إلى أمد .

فإذا وقع الأمر في مواعده صار مشهوداً لنا ، ولم يبق غيباً .

والله يقول في ذلك : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ... إلا من ارتضى من رسول » .

ومعنى ذلك : أن الغيب سر عند الله . محبوب عن عباده ، ولا يظهر الله غيبه إلا لمن اختاره من رسله ... والرسول هو الملك الذي يقضى إليه المولى بشئ من علمه الغيبي : كجبريل بالنسبة للوحى ، وكعزرائيل بالنسبة للبوت . وكإسرافيل بالنسبة للرياح

اللغة العربية بين الفصحى والعامية للأستاذ عارف النكدي

وتفرقهم ، فصارت لهجات ولغيات ثم لغات مستقلة منفصلة بعضها عن بعض . هذا مذهب علماء اللغات .

وقد تكون نشأت منذ نشأت لغات عديدة تبعاً لتعدد الأتامي الأولين ، وتعدد مواطنهم وهذا مذهب علماء الأحياء .

وبأى الرأيين أخذنا ، فقد انتهى الناس إلى أن يكون لكل أمة منهم لغة مستقلة منفصلة عن غيرها . ولو كان بعضها واحداً ، إلى زمن غير بعيد .

وصرنا إلى يوم تعد فيه وحدة اللغة ، دليلاً على وحدة القوم ، بل وحدة الأمة . فليس الناس بأبناء الدم الواحد ، وإنما هم أبناء اللغة الواحدة . والقول بأن الأمة تواف وحدة دموية بفعل التكاثر بالتوالد ، لا يخرج عن أن يكون خرافة يكذبها التاريخ بما وقع فيه من فتوحات أدت إلى اختلاط العناصر وازدواجها وتداخلها بعضها في بعض ، تداخلاً لا سبيل إلى فصله ولا إلى تمييزه . وإذا صدقت هذه القرابة الدموية على شعب من الشعوب ، فأنما تصدق على القبائل البدائية المنعزلة ، التي لم تؤثر في الحضارة العالمية ، ولا أثرت هذه الحضارة فيها .

فالأمم والشعوب المعروفة تاريخها ذوات

(الإنسان مدني) هذا ما قاله الفقهاء والفلاسفة من قبلهم . وسواء أكانت مدينته هذه بطبعه ، ورغبة منه في الاجتماع ، أم كانت الحاجة له إلى التعاون طلباً للعاش ، فهو في الحالتين لا بد له من مجتمع بشري يعيش فيه ، والاجتماع يقتضي التعارف والتكامل ، ولا سبيل إليهما إلا باللغة .

واللغة بدأت أول ما بدأت صرخات وصيحات نفسية كان يعبر بها الإنسان عن خلجات نفسه وعن حاجاته . ثم ارتقى فارتقت فصارت أصواتاً وحركات وإشارات ثم تحولت ألفاظاً اتفق عليها الجهم ، وللإفصاح عن أغراضهم ومقاصدهم . وبدأت اللغة ضيقة ، على ما يبدأ الطفل لغته ، يعبر بها عن الأشياء الضرورية له ، المحيطة به ثم جعلت تفسح مع الأيام ، وتزداد بازدياد حاجات الإنسان ، وتنوع أغراضه . ثم أخذت ترتقى ، ولا تزال ، بارتقاء أبنائها في التفكير وفي العلوم والآداب ، وباتساع الدولة وامتداد سلطانها وما يتبع ذلك من مدنية وحضارة وصائر مقومات العمران .

وقد تكون اللغة نشأت واحدة ، على فرض الإنسان الأول كان واحداً ، ثم تشعبت هذه اللغة وتفرعت ، بتشعب الشعوب

على لغتهم ، وبالغوا في صيانتها - وتهذيبها - حتى كان الغريب عنهم ، إذا هو انتسب إليهم ، ودخل فيهم فاستعرب ، جرى على سنتهم فصار لئاليه يتلس العريضة في مظانها مستفرغا جهده ، مستنفذا كده حتى يخرج وكأنه واحد من آحادهم ، لغة وأدبا ، وبلاغة وفصاحة في شعره ونثره وفي أماليه وتأليفه . بل هم جعلوا من أسواقهم التجارية ، أسواقا أدبية ، كانت من أسباب نقاء اللغة وصفائها ، وتقريب مصطلحاتها وتهذيب ألفاظها . إلى أن نزل كتاب الله فألقى إليه العرب بمقادير والعربية بمقاليدها . فكان دستورهم الأعظم . يؤخذ عنه ويرجع إليه .

فما أن انتشر العرب بالفتح ، وامتد سلطانهم إلى الشرق والغرب ، في آسية - وإفريقية وأوروبا ، وطال بهم الزمن ، ووقع لهم الاختلاط بمجاورهم وكثر بينهما الأزواج والأصهار وتعددت المعاملات من تجارية وزراعية وصناعية بينهم وبين جيرانهم . كان من نتيجة ذلك وطبيعته أن تفسد اللغة ، وأن يكون للعامة لغة سوقية لم تقف عندهم ، فتعدتهم مع الزمن إلى الخاصة .

يقول أبو عبيدة في الرقاشيين :

(وكان أبوهم خطيباً . وكذلك جددهم . وكانوا خطباء الأكاسرة . فلما سبوا وولد لهم الأولاد في بلاد الإسلام ، وفي جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق ، فقاموا في أهل هذه اللغة

الحضارات والوحدات السياسية والقومية ، ما تمت وحدتها بالقرابة الدموية ، بل بالقرابة الصناعية من وحدة الإقليم ، والمعادن ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة . وأهم من هذا كله والعامل فيه وحدة اللغة .

هذا كان في الأمس الغابر البعيد ، وهو كائن إلى اليوم فليس في الأمم أمة يجمعها الدم الواحد ، وإنما هي جماعات جمعتها اللغة الواحدة .

فالأميركان ، إن هم إلا مجموعة من شعوب الأرض . والفرنسيون خليط من الغول

والجرمان وغيرهما . والإنجليز أنفسهم على اعتدادهم بنسبهم ، لا يخرجون عن أن يكونوا

مزيجاً من شعوب كثيرة ، وأن تكون لغتهم تجمع بين السكسونية واللاتينية . ولو لوكمهم

ديمهم سكسوني وجرماني إلى اليوم ، وسيكون سكسونيا وجرمانيا ويونانيا غداً ، ونحن

العرب على نهجهم يتنا الجاهلية ، وإبائنا السابق أن نصهر إلى غير عربي ، وامتاع العرب

أن يدينوا لهجين ... ولو أنه سليمان ابن عبد الملك - نحن فينا أيضا العرب المستعربة

وهم قوم تعلموا العربية واتخذوها لغة ، فصيرتهم عرباً . وقد بما قال أنصح من نطق

بالضاد : (ليست العربية لأحدكم باب ولا أم ، وإنما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي) .

ولذا كان في الأمم أمة خرجت من هذا ، فلا سبب لأقليمية أو تاريخية ليس هنا موضع تفصيلها .

عرف العرب قيمة اللغة ومكانتها ، فحرصوا

مقاهم في أهل تلك اللغة . فيهم شعر وخطب وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرباء لآلهم . ففسد ذلك العرق ودخله الخور) . وزاد الأمر بلاء ، واللغة فسادا ، ضعف الدولة العربية . ثم صيرورة الحكم إلى غير العرب . فكان من الملوك والأمراء من لا يعرفون من العربية كثيرا ولا قليلا . فرغب الناس عن العربية وعلومها السكساد سوقها ، وعاد اللغوى والأديب لا يجد في العلم رزقه ، بعد أن كان الأدب واللغة سديبا من أسباب المكاسب والجاه والمناصب .

وكان الخطأ واللحن في الصدر الأول وما بعده ، نقيصة وضللا . قال صلى الله عليه وسلم لنفر لحن صاحبهم : (أرشدوا أخاكم فقد ضل) . وقال المازني : سهرت عند المأمون فأجرى ذكر النساء قل : (إذا تزوج الرجل امرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من هوز) فقال المازني : فقلت : نعم يا أمير المؤمنين عن رسول الله : (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز) .

قال : وكان المأمون متكثرا فامتوى جالسا وقال : كيف قات (سداد) قلت نعم لأن السداد هنا لحن قال أو تلحنني ؟ قات : إنما لحن هشيم - وكان لحانا - فتبع أمير المؤمنين لفظه . وكتب رجل صاحب بن عباد يطلب إليه عملا . وختم كتابه بقوله : فإذا رأى أشغاله (يريد نفسه) فيه بعض أشغاله (يريد أشغال

الصاحب) فعل إن شاء الله . وكأنه أراد من هذا التجانس بين أشغاله وأشغاله اظهار بيانه تقربا من الصاحب وهو هو بأدبه وفضله . غير أن الأمر وقع خلاف ما أراد ، إذ وقع له الصاحب : من يقول أشغاله لا يصلح لأشغالي . ويروى عن سيف الدولة ابن حمدان : أنه ما قال لقائم : اجلس : إلى كثير من أمثال ذلك مما يروى عن الخلفاء والأمراء والوزراء . من المبالغة في سلامة اللغة ، والرغبة في تخيير الراجح السليم من الألفاظ ، ونبتذ المرجوح السقيم . والابتعاد عن معة الخطأ واللحن . وتراخى الأمر حتى ما كان نقيصة وضللا صار فضيلة وجمالا . ولزم الخطأ المأمور والأمير والصغير والكبير . فقد أمر أحد الوزراء ببناء يوضع عليه اسم الأمير . فكتب الوكيل (أمر ببناء هذا المكان أبو فلان) وكان الوزير كان يرى أن (أبي) أجل قدراً وأرفع شأناً للتعبير . فلام الوكيل أن استعمل (أبو) بدلا من (أبي) فاعتذر له الوكيل بأن الإعراب اقتضى الرفع ف (أبو) هنا فاهل . فنضب الوزير وقال : ومتى رأيت الأمير فاهلا يحمل العاين والهجارة) . يقول ابن حزم : (إن اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها ، ودخول غهرهم عليهم في أما كنهم أو ينقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم . فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها

أو كلهم ينزهون إلى اللغة العامية . وقد يكون
المكتور د فولارس ، ألمانيا من السابقين أو
كان السابق الذى تناول هذا البحث . فآلف
كتاباً بالألمانية جمع فيه — على زعمه —
قواعد اللغة العامية المصرية . كان ذلك لسنتين
سنة وتزيد ، ثم تابعت طائفة من إخوانهم
المستشرقين : منهم — فى رأيهم — هن رغبة
فى توحيد اللغة العربية وتسهيلها ومنهم —
عن سوء نية — خدمة للاستعمار بتمزيق
وحدة الأمة العربية اللغوية ، تمكيناً لتزريق
وحدها السياسية والقومية .

ولم ينحصر هذا البحث فى المستشرقين .
فعالجت جماعه من العرب كانوا لساناً واحداً
فى جانب اللغة الفصحى وتأيدوه . الا نفرأ
قليلاً جداً ذهبت به شعوبيته وعداؤه للعرب
والعربية إلى الانتصار للعامية .

والذين انتصروا للعامية ولا سيما من
المستشرقين كتبوا عنها وألفوا لها ، بلغاتهم
لا بها . عجزا منهم ومنها أن يؤدوا أضرارهم
بها ، لاستحالة القراءة والكتابة بالعامية
إلا بالجهد والمشقة .

إلا أن واحداً من أبناء العرب ، كتب
كتاباً بالعامية ، جاء أضحوكة الاضحيك
لا يقرأ وإذا هو قرأى بعد كد الذهن وأعمال
الروية فلا يفهم إلا بالنفسير والتأويل
والترجمة . ثم هو بعد يحتاج إلى الاستعانة
بأبناء القرية التى أنجبت عالمنا الفخري .

قوة دوراتها ونشاط أهلها . وأما من تلفت
دولته ، وغلب عليهم هدم واستقلوا بالخوف
والحاجة والذل ، وخدمة أعدائهم ، فضعفون
منهم موت الحاطر . ولربما كان ذلك لشتات
لغتهم ، ونسيان أنسابهم وبيود علومهم) .
(هذا موجود بالمشاهدة ، معلوم بالعقل
ضرورة) .

قتل الدولة العربية ، واختلاط العرب
بغيرهم ، وغلب العجم عليهم ، أفسد العربية
ولولا كتاب الله لذهب بها جملة .

هذا الفساد جعل من اللغة العربية الواحدة
لغتين اثنتين : لغة فصحى ، ولغة عامية وهى
مشكلة لغوية وقومية ليس عند غيرنا من
الأمم مثلاً . نعم : قد يكون عند بعض
الأقوام ألفاظ وتعايير تستعملها العامة ،
وأحياناً بعض الخاصة ، فى أحاديثها الخاصة
وفى بعض شئونها البيتية اليومية تختلف عن
لغة الكتابة وقد لا تدخل فيها . ولكنها
ألفاظ وتعايير محدودة لا تبلغ أن تكون
لغة مستقلة ، كما يكاد يكون الحال عندنا .
وليس من شك أنها مشكلة من أعقد المشاكل
أن يكون للأمة الواحدة لغتان أصليتان .
هذه المشكلة فتحت علينا باباً للبحث فى اختيار
إحدى هاتين اللغتين ، واعتمادها اعتماداً عاماً
شاملاً للكتابة والخطابة .

ولعل المستشرقين كانوا أول من فتح هذا
الباب ، وطال هذا الموضوع . وكان أكثرهم

أنجعل هذه العامية عامة لجميع الأقطار العربية أم نجعل لكل قطر لغته .

فإذا كانت الأولى ، وأردنا أن نوحده هذه

اللغات العامية فنجعلها لغة واحدة ، أفقد هؤلاء الهاذلون مبلغ الصعوبة التي تواجه هذا

العمل العسير بل المستحيل ؟

أليس رفع العامية إلى مستوى الفصحى

أيسر وأهون سبيلا ، فأى قطر ينزل عن

عاميته لعامية قطر آخر لم يألفها ولم يفهمها .

إن مثل اللغة العامية في قطر بالقسبة إلى

اللغات العامية في الأقطار الأخرى ، مثل

الطفل في لغته ، يسمع الكلمة من أبويه

فيعيدها محرفة ، فإذا هو كبر كان بين أن يمتص

على لغته المحرفة أو يعدل إلى لغة بيئته ،

ولما كان يصعب عليه أن يفهم الآخرين لغته ،

وأن يتفاهم وإياهم بها ، كان مستحيلا عليه ،

أن يفرض عليهم لغته ، كان لابد له من أن

يستعمل لغة قومه ويبيئته .

هذا مثلنا مع اللغة العامية . لا نملك أن

نفرس عامية قطر على عامية قطر آخر ولا

سدبل إلى التفاهم بها فملينا أن نستعمل اللغة

الفصحى : اللغة التي يرضى عنها جميع العرب ،

ويفهمونها في جميع أقطارهم إلا من شذ

وقليل ما هم .

وإذا كانت الثانية ، وأريد لكل قطر لغته

العامية ، لغة خاصة به مستقلة عن أخواتها

فقد مزقنا هذه الوحدة اللغوية الجامعة لمتخلف

وسكت المؤلف بعد ذلك سكوت أهل

الكهف . انقطع صوته . ومات كتابه .

ومامت فكرته معه .

والمقارنة بين اللغتين : الفصحى والعامية

مقارنة مع الفارق . لا تحتاج إلى دليل

إلا إذا احتاج المار إلى دليل . فصلاح اللغة

الفصحى شامل لكل غرض من أغراض

الحياة والتعبير عن كل جليل ودقيق من

المعاني الجليلة الشريفة الرفيعة ، إلى الحاجات

العادية السرقية النوضيمة . هذا على حين أن

اللغة العامية عاجزة عن تأدية معنى يخرج عن

المعاني الساذجة العادية المتعارفة . لذلك كان

صوت القائلين باللغة العامية ينقطع بين حين

وحين ويخرج ضميها خافتا ثم تذهب به الريح ،

وتبقى هذه اللغة الفصحى سرفوعة الرأس ثابتة

البقيان والفصحى التي لم تؤثر فيها صروف

الزمان ولا تحكم الأجاجم لا تنوى عليها

محاولات استعمارية هزيلة وحجج واهية .

ولا سيما بعد أن زادت قديم رسوخا وانتشار

العلم والصحافة والإذاعة ، وقيام دول عربية

لها مجالسها النيابية وقوانينها وبلاغاتها

ومنشوراتها وكلها لا تصلاح لها إلا اللغة العربية

الصحيحة الفصيحة . نعم ! إن الفارق لعظيم بين

اللغتين من حيث الصلاح والفاعلية ، بما يجعل

المفاضلة بينهما مضيفة للوقت . غير أنه بحث

أريد فلا بد لنا من نظم به على عجل متسائلين :

إذا شئنا أن نعدل عن الفصحى إلى العامية

لها ولا ضابط . ومعنى هذا أننا في قلق دائم
وتطور مستمر . ولغة تتجدد في كل عصر .

ثم ما عسى أن نفعل لهذا التراث التليد
الجليل الضخم الجبار الذي نعيش فيه منذ ألقى
سنة وتزيد ، أنطرحه كله غير مأسوف عليه
وهو مفخرتنا الخالدة ، وما أثرنا المدحجة ،
وتاريخنا الصادق الناطق بملوء الصفحات بالعلم
الشاقب الرفيع والأدب الرائع البديع . من
شعروثر . أفترك هذا كله من أجل لغة عامية
سقيمة ، وركيكة لا تاريخ لها ولا آداب فيها .

وثى . نعيده ، وهو أن هذه اللغة العامية
لا تصلح للكتابة وإذا هي كتبت صعبت
قراءتها وعز على المجموع فهمها . وعلى العكس
ما يكتب باللغة الصحيحة تفهمه حتى العامة
التي لم تؤت نصيباً من العلم ، ولا حظاً من
الدراسة . تفهمه كما تفهم ما تنشره الجرائد ،
وتذيعه الإذاعات ، وما يليق من خطب ، وما
يصدر من منشورات . وهي لغة عامة لسهل
قطر يفهمها أهلوه فربما صحيحاً مستقيماً .

وهذا كتاب الله ، على قدمه ، وعلى علو
أسلوبه ، وبحكم سبكه . قل ما يخفى من ألفاظه
ومعانيه حتى على الطبقة العامية . فكيف
يعدل عن الصحيح الراجح الذي يفهم ، إلى
السقيم المرجوح الذي لا يفهم . فنبذل ما هو
خير بما هو أدنى .

(يتبع)

حارف النكري

الأقطار العربية وفيها عشرات الملايين من
البشر إخواننا في الحضارة والتاريخ وأبناء
اللغة الواحدة . نفعل هذا في زمن يقوم فيه
بعض العلماء على وضع لغة عالمية واحدة
يتفاهم بها الناس أجمعون .

ثم لمصلحة من نمزق هذه الوحدة ، ونفنى
على هذه اللغة فتصير اللغة الواحدة لغات ،
وتعود الأمة الواحدة أمماً وشعوباً شتات .
شتات .

وهبنا تغلبنا على هذه المستحيلات كلها ،
أفلا نريد لهذه العامية أن تصبح لغة حية ،
وهل في اللغات الحية لغة لا قواعد لها ولا
ضوابط . والقواعد والضوابط تستخرج في
وضعها الأول من اللغة نفسها : من صحيح
ألفاظها ، ومن ثابت استعمالها ومن وحدة
أساليبها ، وما فيها من قياس ومن إجماع أو
اتفاق . فأين نجد هذا أو بعضه في اللغة
العامية .

والامر أدهى وأمر ، إذا نحن تركناها
مطلقة لا ضابط لها ولا قاعدة ، خلافاً لكل
لغة باب مشرح على مصراعيه ، وحبل ملقى
على الغارب .

ومع هذا الباب المفتوح ، والحبل
المطروح . يأتي يوم يكون لهذه اللغة العامية
لغة عامية أخرى في جانبها . ما دام الاختلاط
واقعاً ، والمصالح متشابكة . واللغة لا وازع

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العمّار

١١ — عشرات الطريق

القاريّ المثقف ليحار حيرة شديدة حين يحسن الظن بهذه الأقوال ، وأصحابها الذين صدرت عنهم حين يكلف نفسه التماس التأويلات لها . وماذا ينقصنا في ديننا إن نحن حملنا حديث هؤلاء عن أنفسهم ، أو حديث أنبأهم عنهم ؟ هذه الأحاديث التي تحمل الإنسان المنصف المتمسك بدينه على أن يتفكر لها ، ويظن بها الظنون .

إن مقامات بعض هؤلاء قد تكون أسمى ، وأرفع حين تحوطها هالة من التواضع ، ومن إنكار الذات ، وحين يقتصد المحبون لها في إطرائها ، والغلو في وصفها وتمجيدها . وقديما قيل : ما آمن بالله من أحب أن يعرف مكانه .

كل هذه الحواطر جالت في نفسي حين أخذت في قراءة كتاب ألفه أحد العلماء في الثناء على شيخه ، وعلى أصحاب شيخه . فرأيت فيه من الأقوال ما لا ينبغي أن يصدر عن عالم مثله . وقد كان من اليسير أن أترك هذا الكتاب دون الوقوف معه ، وللتنويه بشأنه ، لو كان مؤلفه أحد الخاملين من العلماء ، أو أحد الجاهلين من أتباع الطريق .

لا ننكر أن الله يمتن على بعض خلقه من العباد الصالحين ، فيكشف عن بصيرته الحجاب فيرى بنور الله ما لا يراه غيره من الناس . والأدلة كثيرة وواضحة على ثبوت (كرامات الأولياء) ولا ينكر ذلك إلا مجادل أو جاهل . ولا شك أن رجال (الطريق) الذين أقبلوا على عبادة الله بنفوس صافية ، وقلوب خالصة ، وندبوا أنفسهم لإرشاد الضالين ، وهداية المائتين ودافعوا عن الشريعة ، وناضلوا في سبيل إعلاء كلمة الله . لا شك أن في هؤلاء من سمى نفوسهم ، وخلصت نياتهم ، وقربوا من الله ، فكانوا من عباده المقربين . كل ذلك حق لا ننكره .

ولكن المغالاة في رفع هؤلاء عن درجاتهم والغلو في وصفهم بما لا يقبله مسلم صحيح العقيدة ليس من التفكير الديني السليم والأقوال التي تحكى عنهم يجب النظر فيها قبل تسجيلها في الكتب ، وإذاعتها على الناس ولا ينبغي أن تكلف القاريّ أن يتلبس لها التأويلات ، فليس كل قاري بقادر على أن يعرف مرامي الأقوال البعيدة ، بل إن

الذي حاز ما عهد الأولياء من السكالات الإلهية والاسرار الربانية ، واحتوى على جميعها .

ثم يقول المؤلف : (وقد قال لي سيدنا رضى الله عنه ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء عن بواطنها وأسرارها وخباياها وعلومها إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حمد الله وشكرا ، وأما غيرنا فيعلم ظواهرها فقط) .

وهو الذي قال : إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها أذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ما فاض وبرز من ذاتهم تتلقاه ذاتي ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النسخ في الصور ، ولما علوم خصصت بها بيني وبينه بلا واسطة لم يكن لأحد بها علم ولا شعور إلا الله عز وجل) .

وأيضا ما يقال في هذا الكلام أن صاحبه يفضل نفسه على جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان (الشيخ) يشطح في بعض أحواله بما لا يليق أن يصدر عن (يقظان) أفنا كان الواجب على (تلميذه) وهو عالم جليل أن يستر هذا القول على شيخه ؟ .

وأبعد من هذا في (الشطح) ما نقله المؤلف عن شيخه من ادعائه (أن أصحابه لا يدخلون المحشر مع الناس فيها لها من عظمة !

بل إنه - أحق شيخه - يتجرأ فيقول : (إن صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها) .

ويزدجرأة فيقول : (ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي ، ولو بلغوا ما بلغوا

ولكن المؤلف - كما يقول عنه ناشر الكتاب - (حامل السر المحمدي ، ووارث النور الأحمدى ، ومرجع التحقيق ، وقد كان عضو المحكمة العليا بإحدى المدارس المغربية) ، وقد أخذ عنه - كما يقول الناشر أيضا - كثرة في مشارق الأرض ومغاربها ، من كبار العلماء والأدباء ، وذوى الرأي ، وله تأليف في جميع الفنون معقولا ومنقولا . ويكنى أنه نظم كتاب (الشفا) للقاضي عياض في نحو ثمانية آلاف بيت ، مما يدل على سعة اطلاعه وفهمه .

بعد هذه المقدمة تعرض بعض ما ورد في كتاب من كتبه مما نعهده مقالة في أمور كان ينبغي أن يخرج منها عالم مثله .

وقبل أن نذكر هذه الأمور نشير إلى الناشر - أيضا - أنزم جانب المغالاة ، فهو يقول في أوائل الكتاب عن بعض الشيوخ : (وهو الذي كان الغاسل يغسله وهو يقرأ معه صلاة الفاتح) ويقول من آخر : (وكان مشهورا بالفتح ، وهو ممن يجتمع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم في اليقظة) .

ومعنى العبارة الأولى أن ذلك الشيخ بعد أن فارق الحياة كان لسانه يردد صلاة الفاتح مع غاسله ، ومعنى العبارة الثانية أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يجتمع ببعض الشيوخ في يقظتهم وكلا الأمرين مما لا يقبله إلا المغالون .

نقل مؤلف الكتاب عن (شيخه) فقال : (وأما سيدنا رضى الله عنه فقال : أخبرني

سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنني أنا القطب المكتوم منه إلى مشافهة لا مناما .

والقطب المكتوم في رأى هذا الشيخ (هو

من الذنوب ، وعملوا ما عملوا من المعاصي) .
 ويتطوع ناشر الكتاب فيطلعنا على السر في ذلك فيقول معلقا على هذه العبارة الأخيرة :
 (فقد سأل الله عز وجل أن لا يموتوا إلا على التوبة والولاية) . فناشر الكتاب يؤكد مقال شيخه ، ويجزم بأن دعوته أجيبت ، وأن جميع الاتباع يموتون على الولاية ، فهم يدخلون الجنة بغير حساب مهما بلغوا من الذنوب ؛ وعملوا من المعاصي ١١ .

ولا يكتفى الشيخ بأن يشفع في أتباعه ، بل هو يزعم أن الله أعطاه الشفاعة في مصره ، يشفع في أهله إلا من أبغضهم فإنه لا يموت إلا كافرا ، ولو حج وجاهد .

ويدعى (الشيخ) أن كل ذلك من سيد الوجود بوعد صادق ١١

ويستطرد الشيخ فيقول : (قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : كل من نظر في وجهك يوم الجمعة ويوم الاثنين دخل الجنة بغير حساب)
 وعبارة الشيخ - كما نرى - مطلقة ، فيدخل فيمن رآه في هذين اليومين المسلم ، والكافر والوثني ، والنصراني ، واليهودي ، فكل هؤلاء لا يحتاجون في دخول الجنة إلا إلى النظر في وجه الشيخ يوم الجمعة ويوم الاثنين !
 ويعود الشيخ إلى تفضيل نفسه على الصحابة ، وعلى جميع العلماء والأولياء والعباد فيقول :
 (أعطاني الله في السبع المثاني ما لم يعطه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .

ونترك (سيد المؤلف) فلفل القارىء قد أدرك مدى الانحراف في ادعاء هذه المزاعم ، وفي حكايتها ، ونشرها ، بما يضل العامة ، وأشياء العامة ، وبما لا يتفق مع الأصول الصافية القوية للدين الإسلامى الواضح المستقيم .
 نترك سيد المؤلف لنشير إشارة عابرة إلى ما يسيطر على ذهن المؤلف الفاضل من الإغراق في الحكم ، تحدث عن صلاة (الفاتح) وهي صيغة معروفة للصلوات على النبي عند رجال الطريق ، فيقول : (إن المرة الواحدة منها بأربعمائة غزوة ، كل غزوة بأربعمائة حجة ... وإن المرة الواحدة منها تعدل ستمائة ألف صلاة من مطلق الصلوات ، من صلاة كل ملك ، وصلاة كل إنس ، وصلاة كل جان) .

هذه بعض فقرات من كتاب وصل عدد صفحاته إلى خمسمائة وخمسين صفحة ، وقد طبع هنا في القاهرة بلد (الأزهر الشريف) ، وفي هذه الأيام التي تعمل كل أجهزة الدولة فيها على تصفية الإسلام من كل الشوائب ... ومع ذلك فلا يستحي أحد من نشر مثل هذا الكتاب :

أما الكتاب فهو : (كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب) .
 وأما مؤلفه فهو (العلامة الأديب الوزهري الأريب القاضي الحاج أحمد سكيم ج) .
 والله يهدينا جميعا إلى سواء السبيل

على العمري

طلّاع الثقافة العربيّة في السّودان

لأستاذ عبد العزيز عبد الحق حامي

الأمين المساعد لجمع البحوث الإسلامية

- ٢ -

خلافة المتوكل أعوام بضع وأربعين ومائتين، ولها تغلب التّرك على الدولة العباسية - ابتداء من خلافة المعتصم - كثرت الفتن بينهم وبين العرب فانتقلت بعض القبائل العربية إلى السودان .

وبلاحظ أن القبائل العربية الراغبة في مواصلة حياة الرعي لم تطب لها الإقامة في بلاد كهر خصصت أرضها للزراعة ، فكانت تنزح إلى ربوع السودان انتجاعاً للكلأ وسعيّاً وراء الرزق . وبما يسترعى النظر أن الاضطرابات السياسية في دولة الخلافة لم تؤد إلى هجرة جماعات من أصحاب الفرق والمذاهب الكلامية إلى السودان ، كما حدث في المواطن العربية على ساحل إفريقيا الشرق وبعض بلاد المغرب حيث نزحت إليها جماعات من فرق الحوارج والشيعة .

٦ - تاريخ وقوع الهجرات العربية :

لقد بدأ التّغلغل العربي في السودان منذ القرن الثّاني للهجرة . ويذهب بعض الباحثين في علم الاجناس البشرية إلى أن الدماء العربية سبق لها أن تسربت إلى شرقي القارة الإفريقية في العصور السابقة للإسلام ولعله كان من أثرها أن اللغة الاحمرية في الحبشة تعد من

٥ - أسباب الهجرات العربية إلى السودان ذكر المقرئ في خططه (جراس ٣٠٩) أنه من مجموعة جزائر دمالك في البحر الاحمر عبر من نجا من بني أمية عند هربهم إلى الوبّة ، ولا بد أن ذلك حدث بعد سنة ١٣٢ هـ أي في أواسط القرن الثّاني للهجرة . ومع أن من نجا من بني أمية لم يكن جما غفيراً ، فإن هذا الخبر يدلنا على أن التّقلبات السياسية كانت من أسباب الهجرات العربية إلى السودان ، كما أن إغارات (البجة) على حدود مصر الجنوبية وإذائهم للمسلمين في بلادهم حمل المأمون العباسي على إرسال عبد الله بن الجهم على رأس حملة لقتالهم أعادت الأمن إلى نصابه وأذهن فيها (كنون) رئيس (البجة) لشروط المسلمين في معاهدة أورد نصها المقرئ ، ومع أن هذه المعاهدة نقضت في أيام المتوكل فإنما أتاحت للإسلام أن ينتشر في منطقة (البجة) . وجاء في رسالة المقرئ عن عنوانها (الاهراب) : أن أولاد (الكنز) من ربيعة وبني هلال وجمينة سكنوا أعلى الصعيد واحك السكزيون بالبجة ثم صاهروهم وصارت لهم مرافق ببلادهم . وكانوا قد قدموا مصر في

ومديرتي كردفان ودارفور، ويتجلى هذا في مجوعتي القبائل الجعلبية التي تمثل عرب عدنان أو عرب الشمال في جزيرة العرب، والقبائل الجهنمية التي تمثل عرب قحطان أو عرب الجنوب، فمفادها هو الأثر السلالي الناجم عن هجرة العرب إلى السودان، وهناك أثر لغوي، يمكن أن نسميه هروبة اللغة وقد نشأ عن مخالطة القبائل العربية للجماعات الإفريقية السودانية، وهي جماعات لم تتلاش نهائياً في المجتمع العربي الجديد، واحتفظت بلغاتها الأصلية بالإضافة إلى ما أمسكتها أن تتعلم من اللغة العربية كالنوبيين والبجة والغوريين والنوباويين. ونظراً لأن ثقافة القادمين كانت أقوى من ثقافة السكان الأصليين، ونقصد بالثقافة هنا بمدلولها الواسع في علوم البشريات، فقد أدت هذه الهجرات العربية إلى انحلال كثير من التقاليد الإفريقية وغلبة التقاليد العربية. ونرى في غلبة الأخيرة بعد هروبة السلالة وهروبة اللغة الخطوة الثانية المهمة لانتشار الثقافة العربية في السودان.

٨ — انتشار القصص الشعبي: وقد جلب

العرب معهم مادة ثقافية أولية بمثابة تقاليدهم التي نشروها في بيئتهم الجديدة بما أشرنا إليه آنفاً. ومن هذه المادة ما تناولوه من قصص شعبي أقبلوا عليه أيما إقبال، وهو يمثل مغامرات الحياة العربية وما أثرها ويردد ما تسمعت بها من شيم الخماصة والحلم والسخاء

اللغات السامية. ويؤيد هذه الصلات بين الجزيرة العربية وإفريقية أن الحبشة كانت أول بلد فكر المسلمون الأوائل في الهجرة إليه حين اشتد كفار مسكة في إيدائهم واضطهادهم وعلى العموم فإن الهجرات العربية تلاحقت منذ منتصف القرن الثاني ولسكن زاد عددها ابتداء من القرن الثالث الهجري عندما اضطربت أحوال الخلافة العباسية وانصلخت عنها ديل كثيرة في أطرافها. وما يدل على مدى الفعل العربي في قلب القارة الإفريقية أنه قبل أن يوفق الغربيون إلى كشف منابع النيل في أوائل النصف الثاني من القرن الماضي كان النيل وروافده في السودان يحمل أسماء عربية مثل بحر الجبل وبحر الغزال وبحر الزراف وبحر العرب فضلاً عن مسميات المدين في ساحل إفريقية الشرقية مثل كلوة ودار السلام. (وقد أوضح الكاتب الفرنسي د شاول دى لاوونسيير، فضل العرب في ارتياد مجاهل إفريقية في كتابه: كشف إفريقية في العصور الوسطى الذي نشره بالفرنسية في القاهرة من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٢٧ م.)

٧ — نتائج الهجرات العربية: وقد

كان للهجرات العربية المتلاحقة إلى السودان آثار هامة، نضع في طليعتها هروبة الدم أو السلالة في المناطق التي استقرت فيها القبائل العربية كالمديرية الشمالية وأرض الجزيرة وسهل البطانة وبعض جهات البحر الأحمر

والتعليم في تلك الأزمنة البعيدة ، كما زود القبائل العربية بما يؤنس وحشتهم في وطنهم الجديد ، ويخفف عنهم ما كانوا يبذلونه من جهد في إعداد البيئة السودانية لتكون مستقراً لهم . وقد اشتمل هذا القصص على كثير من الأمثال والعبارات المأثورة تبلورت في تعبيراتها تجاوب أجيالهم المتعاقبة تحمل إلى الخلف ينابيع الحكمة الصافية وموازن الخلق والهداية وترشد إلى ما يحسن بهم لإتباعه ، إذا ما حوز بهم أمور وما أرق مماثلة لما حدث لسلفهم .

٩- الدعامة الإسلامية للثقافة العربية في السودان
نظراً لأن تاريخ الهجرات الأولى للقبائل العربية إلى السودان كان سابقاً على قيام الطرق الصوفية فقد انتشر الإسلام في البداية في ربوع البلاد السودانية طبقاً للصورة التي كان عليها حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، ولعل عرب السودان آثروا الاقتداء بمذهب (مالك) في ذلك الحين وهو المذهب الذي انتشر في خارج الجزيرة العربية في بيئات مماثلة تلك التي نشأ فيها في بلاد الحجاز . أما الطرق الصوفية فقد أخذت على حاتها فيما بعد حين استوى عودها واتضحت مناهجها في نشر الدعوة الإسلامية بين كثير من الجماعات السودانية إلى أن غدت أكبر ظاهرة تدمجها الثقافة العربية في السودان .

ومما يجدر ذكره أن الإسلام الذي انتشر

وضعه قصصيون مجهولون في مصر ، في عهود الدول الإسلامية المنقطعة ، واتخذ المؤلفون أبطالهم من وجالات التاريخ والأدب ، وبنوا هيكل قصصهم على وقائع تاريخية أو على ما دخل في وعيهم بأنه من صلب التاريخ ثم أطلقوا لحياهم العنان بتنميقها بمحاش وإضافات ، إثارة للتمتع الفنية وإشباعاً للميول والعواطف وقد أنزله النقاد الفرنجة المحدثون منزلة رفيعة في تقديرهم وعدوه من أبداع ما أنتجه الأدب العربي من الفرائد والروائع . ولسكننا نرى في عامية عبارته وإسفافها في مواضع غير قليلة وإغفالها أحياناً للمغزى الخلقى ما يشين إبداعهم ويذهب بروعتها بيد أنه في جملة حافظ على الإطار الخاسي للحياة العربية ، وأطنب في ذكر فضائلها ومآثرها ، وفي ذلك سر شعبيته وشدة الإقبال على ترديده ومن هذا القصص تغريبة بني هلال وسيرة سيف بن ذي يزن وقصة هنترة العجبي وغيرها وقد حملت القبائل العربية في السودان على التنويه بنفسبتها إلى عدد من أولئك الأبطال كما احتفظت بوثائق عبارة عن جداول أنساب تؤكد اعتزامها إلى أصول عربية .

ولمنا نعلق على انتشار القصص الشعبي في السودان أهمية كبرى باعتباره سجلاً للثقافة العليا والمآثر التي يمتدوها المجتمع الإسلامي وقد كان على ما فيه من مأخذ قوة تهذيبية نافذة الأثر في بيئة لم تدمر فيها وسائل التربية

الأسواني : « إن أول من بث الإسلام في النوبة
الهادي العثماني الذي أدهى أنه من ولد عثمان
ابن عفان ، وصارت الدهوة من بعده لليزنيين
من بني سيف بن ذي يزن ، وهم هلي مذهب
مالك ، والعدل قائم بينهم ، وهم يابسون
في الدين ، لا يلبثون ، وبغوا بمصر مدرسة
للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق ، في سنة
أربعين وستائة وصارت وفودهم تنزل بها ،
بيد أن المقرئ لم يحدد لنا تاريخ انتشار
المذهب المالكي في بلاد النوبة : وذهب
المستشرق (ماصينيون) في كتاب وجهة الإسلام
المطبوع بلندن سنة ١٩٣٢ ص ٨٤ إلى أن
البلاد الواقعة شرق بحيرة تشاد كان أهلها
حتى القرن الثامن الهجري يفلدون مذهب
الشافعي ، وذلك نقلا عن المقرئ ولم يذكر لنا
من أي مؤلفات المقرئ استقى هذا الخبر
كما أننا لم نوفق في العثور عليه فيما بين أيدينا
من مؤلفات هذا الأورخ العظيم . ونخل
في كتب طبقات المالكية ما يحدد لنا تاريخ
انتشار المذهب المالكي في السودان .

وبينا كان المحور التقليدي لتيارات الفكر
العربي في شمال إفريقيا يتجه من الشرق إلى
الغرب فقد كان هذا المحور بالنسبة للسودان
يتجه من الشمال إلى الجنوب ولكن شاركته
تيارات عربية أخرى من الشرق إلى الغرب
عبر البحر الأحمر ومن الجنوب الشرقي
إلى السودان ومن الشمال والشمال الغربي

في ربوع السودان كان غالبا من منازعات
الفرق ما بقي منها أو اندثر ، ولقد امتدت
هذه الخلافات إلى بعض نواح في العالم الإسلامي
كالجنوب الشرقي للجزيرة العربية والمناحل
الغربي للمحيط الهندي وبعض جهات المغرب
بما يضم جماعات من الخوارج أو الشيعة .
ولكن لم يصل شيء منها إلى السودان إما
لأنه لم يهاجر إلى البلاد السودانية أتباع هذه
الفرق ، أو لأن الطابع الإسلامي للسودان
اكتمل في فترة متأخرة نسبيا كانت فيها وحدة
الخلافات بين الفرق الإسلامية قد هدأت
بعد أن استقرت جبهة المسلمين في العالم
الإسلامي على عقيدة أهل السنة أو لسبب
آخر لا يزال غافيا علينا إلى الآن . ويضاف
إلى هذه الظاهرة أن مصر مع أنها ظلت
دولة شيعية طيلة قرنين من الزمان في عهد
الفاطميين منذ أواسط القرن الرابع إلى
أواسط القرن السادس الهجريين ، فإنه لم يبق
بها أثر للتشيع بعد سقوط هذه الدولة
كما لم يقرب هذا التشيع إلى السودان .

وعلى ذلك فإن الإسلام انتشر في الديار
السودانية غالبا من نزعات الفرق ومقالات
المتكلمين ، إذ كان أوائل من هاجر إليه
من العرب يقتدون بفقهاء الإمام (مالك بن أنس)
ذكر المقرئ في خطه (١ - ص ٣١٣)
نقلنا من كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة
والبعة والنيل لعبد الله بن أحمد بن سليم

الذهبي من الطبقة الثالثة من التابعين ، ذاكم هو يزيد بن أبي حبيب البصرى الذى اطنبت كتب الطبقات فى ذكر مناقبه ، ولد سنة ثلاث وخمسين ونشأ بمصر وتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة . ذكر الذهبى فى كتابه تذكرة الحفاظ (ح ١ ص ١٢١ و ١٢٢) أنه كان أسود نوبياً من أهل دنقلة وأنه كان مفتى أهل مصر وأول من أظهر العلم والمسائل والحلال والحرام وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الغريب والملاحم والفتن ، وذكر المقرئى فى خطه أن الخليفة الأموى عمر ابن عبد العزيز جعل إليه الفتيا فى مصر مع رجل آخر مثله من الموالى هو عبد الله بن أبى جعفر ، وثالث من العرب هو جعفر بن ربيعة وقد أنكر العرب على عمر بن عبد العزيز إسناد الفتيا إلى هذين الموليين فقال : ما ذنبى إن كانت الموالى تسمو بأنفسها صعداً وأنتم لا تسمون ؟ .

وهناك علم آخر نوبى الأصل مصرى الإقامة أشار إليه الفلقشنبدى فى كتابه صبح الأعشى (ح ٥ ص ٢٧٦) إذ قال : ومن هذه البلاد أى الغوبة - نجم ذو النون المصرى الزاهد المتهور وإسماعيل المصرى لأنه سكن مصر فنسب إليها ، كان عبداً أعنته قريش وأدخلته فى ولائها وتوفى سنة ٢٤٥ هـ . ذكر ابن خلدون أنه كان وحيد مصره هلياً وعبادة وحالا ومعرفة بالأدب ،

من ليبيا وبلاد المغرب ، بل ومن الغرب من السودان الأوسط والسودان الغربى ولعل أقواها ما كان قادمًا من الشمال والشرق . ونرجح أن حظ سودان وادى النيل من الثقافة العربية فى هذه العصور كان أوفر من حظ بلاد : كانم والبرنو ومالى والتكرور ، فظراً لأن موقعه الجغرافى هو أقرب نسبياً للمواطن الثقافية الكبرى فى العالم الإسلامى كالحجاز والعراق والشام ومصر . ومع ذلك فقد ترك لنا علماء السودان الأوسط والغربى من المؤلفات ما يربو على إلتساج نظرائهم فى السودان الشرقى فنخص بالذكر منها كتاباً فى طبقات المالكية من أبناء منطقة النيجر لأحمد بابا النيبكى جمعه ذيل على ديباج ابن فرحون وأسماء : نيل الابتاج بتطريز الديباج ، وكتاب تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدى ، وهذان من أعلام القرن الحادى عشر الهجرى . كما لا يفوتنا أن نذكر كتاب تاريخ الفتاش لمحمود كمت ، وإتفاق الميسور فى تاريخ التكرور لمحمد بلو ، وتزيين الورقات لعثمان دان فوديو ، وغير هذا من المؤلفات مما لا يتسع المقام لذكره .

غير أن السابحين من أبناء السودان الشرقى كان لهم نصيب فى الاشتغال بالعلوم الإسلامية فى القرون الأولى للهجرة وأحرزوا فيها من التفوق ما يثبت كفاياتهم العقلية ، نذكر منهم فقيها جليلاً وراوية من رواة الحديث ، عده

الإسلامية بما يشتمل عليه من معان إنسانية واجتماعية وتوجيه تهندي يسدد من سلوك الفرد وما يقترن به من توسيع آفاق المعرفة والتأمل يعتبر متفقاً إلى حد كبير مع ما يشترطه الباحثون في الوقت الحاضر عند تعريفهم لمذلول الثقافة. غير أن البعض ينسك على العارق الصوفية في السودان نسبتها إلى التصوف ويميل إلى تسميتها بالعارق الدينية لحاوها في زعمهم من الخصائص التي عرفت بها حركة التصوف في العالم الإسلامي واشتمالها في الأغلب على ما يعد إحياءاً لمقاييد سابقة غير أننا لا نرى فيها شيئاً مغايراً لنظائرها في سائر البلاد الإسلامية، فالطرق الصوفية السودانية هي في غالبيتها فروع تمتد من مواطنها الأصلية خارج حدود السودان، جعلت من البيئة السودانية مسرحاً لنشاطها الروحي، ليس في أساليبها وتعاليمها من خصائص تنفرد بها عن نظائرها في سائر البلاد الإسلامية. وقد أرجع بعض الباحثين الفرعجة ازدهار الطرق الصوفية في السودان إلى سطحية العقيدة الإسلامية لدى جمهرة الشعب السوداني، غير أن هذا التعليل لا يثبت للنقد، فقد أوردت دواوين الأدب العربي القديم كثيراً من النواذر عن سطحية العقيدة في نفوس أهراق البادية في جزيرة العرب ذاتها.

والمؤرخون المحدثون للثقافة العربية يعدون ورعه نقطة التحول في تاريخ التصوف الإسلامي لأنه نقل حركة الزهد القديمة التي كانت تتجه نحو اطراح متع الحياة الدنيا وزخارفها إلى حركة يغلب عليها الاستغراق في التأمل والتفكير فنقلها بذلك من الزهد إلى التصوف. فهو أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، روى عنه القديري في رسالته (ص ١٣٥) أنه قال: التوحيد هو أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه الأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات العلأ ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله وكل ما قصور في وهمك فالله بخلاف ذلك، وسئل ذو النون عن التوبة فقال: توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من الغفلة، وقسم المعرفة ثلاثة أقسام: الأول حظ مشترك بين عامة المسلمين، والثاني معرفة خاصة بالفلاسفة والعلماء، والثالث وهو العلم بصفات التوحيد خاص بالأولياء الذين يرون الله بقلوبهم. ولأحد لما أثر عنه من الأقوال الدالة على أثره في الفكرة الصوفية.

١٠ — الطرق الصوفية في السودان: تعد

الطرق الصوفية ركناً من أركان الثقافة العربية في السودان، فالتصوف في نطاق السنة

الحضارة العتيم

للأستاذ رشاد محمد خليل

جيداً . ذلك أن قيمة الشعر لا تتركز في مشاعرنا ولكن فيها نصنع من مشاعرنا من صور . وقد استطاع في قصيدته ، أغنية حب لـ ألفرد بروفروك ، ، على سبيل المثال - أن يبلور - الفكر ، في شعور ، والشعور في صورة حسية استطاع أن يبرز الحياة الداخلية في إطار من المشاهد الطبيعية ، والطقس والأصوات والصور ... الخ ، بالإضافة إلى أنه نمي المنهج الجديد في استخدامه التحليل الفلسفي في الإطار الشعري ، وخرج من المزج بينهما بشعر تأمل هو حسي بمقدار ما هو عقل ، (١) .

وفي قصيدة الأرض الخراب يتجلى منهج إليوت الأسطوري والرمزي بصورة قوشك أن تجعل من القصيدة (كرنفالاً) من الأحاسيس والألغاز ، فإليوت لا يقول لنا مباشرة ما هي الأرض الخراب ، ولكنه يجبرنا أن نلث وراء بطله الخرافي « تريزياس » ، باحثين متعقبين وراء الرمز ، لنفص عن كلمات الحكمة سرها المعلق .

« تريزياس » ، هذا بطل أسطوري ،

كيف بدأت مأساة الحضارة الحديثة ، وكيف تتابعت فصولها الفاجعة ، وكيف تفكك في ظلها الرجال الجوف الذين عرفنا أمرهم في المقال السابق (١) .

ذلك هو موضوع القصيدة الدرامية العظيمة والصعبة المعقدة في نفس الوقت : « الأرض الخراب The wast, Land » .

وربما كان « إليوت » كما يقول الدكتور هن الدين إسماعيل هو أوضح شاعر في العصر الحديث ، التفت إلى قيمة المنهج الأسطوري في الشعر نظرياً وعملياً . ولا شك في أن شعراء آخرين سبقوه قد أنجزوا بعض أعمالهم الشعرية وفقاً للمنهج الأسطوري مع تفاوت ، لكن إليوت هو الشاعر الحديث الذي أكد في أعماله الشعرية ضرورة هذا المنهج وأهميته بالنسبة للشعر . وقد كان منذ البداية يؤمن بأن العاطفة الشخصية أو التجربة الشخصية إنما تمتد وتم في شيء غير شخصي . وليس المقصود بهذا الشيء غير الشخصي أنه منفصل عن التجربة أو العاطفة الشخصية ، فالشعر الذي ينتج من هذا لا يكون شعراً

(١) مجلة الشعر - العدد الأول - السنة الأولى
مقال للمنهج الأسطوري في الشعر المعاصر .

(١) مجلة الأزهر ٥٠ ، ٦ - السنة السابعة
والثلاثون مقال الرجال الجوف في الأرض الخراب

التفسير، واعترف بأن ما كتبه مسز ونستون يعتبر أفضل توضيح لفكرة هذه القصيدة .
والشيء المقطوع به على أى حال هو أن
معانى الخصب والجذب ، والحياة والموت ،
والخضرة والجفاف والأمطار والصخور .
هى المعانى الرئيسية التى تدور حولها الرموز ،
وتحوم حولها الاساطير .

يبدأ مقطع دفن الموتى بمحدث عن فصول
السنة على لسان « تريزياس » الذى يبدو عليه
كراهيته للربيع فصل الخصب والحياة
المتفتحة . وملاحظ هنا أن تريزياس - هو
رمز الإنسان الحديث - ابن الحضارة العقيم -
مفضلا عليه الشتاء الذى يكنم أنفاس الحياة
ويشيع فيها روح الجذب :

إبريل أفسى الشهور - ينبت
الزئبق من الأرض الموات ، ويخلط
الذكرى بالرغبة ، يحرك
الجذور الكئيبة بأ مطار الربيع
والشتاء يحفظنا فى الدفء ، ويغلى
الأرض بثلوج النسيان ، مغذيا
الحياة الضئيلة بالدرنات الجافة
ولكننا سرعان ما نعرف لماذا يكره
الربيع إلى هذا الحد ، ولماذا يحب الشتاء ؛
لقد كان له أيضا ربيع فى مطلع شبابه ، ربيع
عرض نفسه عليه فى صورة الفتاة (مارى) ،
وعرض عليه الحياة والخصب ، ولكنه
رفض الخصب ، واختار الحرية ، وحده

تروى أساطير اليونان ، أنه كان ضحية تعذيب
الآلهة التى انتقمته منه بأن جعلته شخصية
تجمع بين الذكورة والأنوثة .

ولكن إليوت يترك الموضوع الاصل
الأسطورة اليونانية ؛ ليفسح من عنده حول
« تريزياس » أسطوره جديدة ، حافلة
بالاساطير والرموز .

وتقع القصيدة فى حوالى خمسمائة بيت
مقسمة على خمسة مقاطع هى على الترتيب :

- ١ - دفن الموتى ٢٠ - لعبة الشطرنج .
- ٣ - موعظة النار . ٤ - الموت غرقا .
- ٥ - ما قاله الرعد .

ويشكل كل مقطع فى النهاية بناء (هارمونياً)
وهضوباً متكاملات توجد فيه مأساة الحضارة
العقيمة ، فى الرجل العقيم .

وتشير الرموز التى تمتلئ بها القصيدة إلى
مجموعة من الحضارات : إغريقية ورومانية
ولإسرائيلية وغربية حديثة .

وتقول مسز ونستون فى كتابها « من
الطقوس إلى الروفسية » from ritual to
romance ، إن فكرة القصيدة تدور حول
أسطورة الأرض الخراب التى عانت من
ضعف ملكها الجنس والإدارى ، وأنه لابد
لاسترجاع ذلك الخصب من أن ينض فارس
للبحث عن الكأس الخصب « Grail » ، وهى
رمز قديم للمرأة ، وأن خصب هذه الأرض
أو جديدها متوقف على العثور على هذه
الكأس ؛ وقد ارتضى إليوت نفسه هذا

تمثل إلا فسادها وطفانها ، وأن المسيح عليه السلام كان قد هرب منها منذ أن تحول (باباواتها) إلى أباطرة مستبدين ، يقتلون ويسجنون ويسلبون ، ويكبدسون الثروات ويمتازون أملاك الفقراء .

لم يكن في مقدوره أن يتصور أنه لا مجال لخييار ألبتة بين الإيمان ، والحرية أو العقل وأن هذا وذاك هما جناحاه في رحلة الغربة في أفق هذا العالم ، وأن وظيفة الإيمان هي أن يحقق للإنسان حريته على أكثر الأساس صلابة واستقراراً ، وعلى أكثرها تعمقا وأبعدها جذورا .

ولكن ما الحيلة ؟ وهو قد اختار وقضى الأمر ، وسار في طريقه :

حيث الأشجار بلا ظل والجندب يثير الأهصاب وعلى الحجر الجاف لا تسمع خور الماء لا شيء هناك سوى ظل تحت هذه الصخرة الجراء ثم تتوالى رموز الجذب الواحد تلو الآخر فهو يصادف على الطريق ، قارئة الغيب الشهيدة « سيزو ستريس » التي تقرأ له طالعها هذا هو (الكارت) الذي يخصك : البحار الفينيقى الغربى .

* * *

هذا هو الرجل ذو المعنى الثلاث ، وهذه هي العجلة وهذا هو التاجر الأهور .

ثم يتجسد الجذب والجفاف في مدينة لندن وأهلها المسكدودون السائرون بلا هدف .
يا مدينة الوم :

هقله المثقف أن الحصب والحرية لا يجتمعان :
وهند ما كنا أطفالا نقيم في قصر الأرشيدوق وأخرجنى ابن عمى على مرافقة الجليلد
وكنت خائفاً ؛ فقال : مارى ...

مارى امسكى بشدة ثم انحدرونا إلى أسفل
وفي الجبال تحس بالحرية .

فأنا أقرأ كثيراً بالليل ،
وأرحل شتاء إلى الجنوب

لقد عرضت عليه مارى الجنس رمز
الحصب ، ولكنه عجز ، والعجز هنا رمز
الجذب في شخصيته ، وفي الحضارة الغربية كلها :
ولكن حين هدنا متأخرين من حديقة الياسنت
ذراعاك مليتتان وشعرك مبتل
عجزت عن الكلام ، وكنت عيناى

ولعل القارىء يستعيد في ذاكرته ذلك
الخييار المشثوم الذى وقع في مطالع الحضارة
الحديثة بين الإيمان (الحصب) وبين العقل
(الحرية) وكيف وجد الإنسان الغربى
نفسه مضطراً لأن يدير ظهره للإيمان الذى
تجسد مع الأسف فى كل ما كانت تمثله
الكنيسة الكاثوليكية وقتئذ من جهل
وتمت وتغصب وتسلط وفساد ، وظن أنه
اختار الصفة الراجعة حين حل (حريته)
أو (هقله) ومعنى فى الطريق ، لم يكن يحظر
فى ذهنه قط أنه حل فى نفس الوقت عقمه
وجذبه ، ولم يفهم حينذاك أن الخييار الذى
تم كان خياراً مغلوطيناً ومضللاً ، وأن
الكنيسة فى نهاية القرون الوسطى لم تكن

« وأنت يا قارئى المنافق يا شبيهى وشقيقى،

* * *

وبهذا النداء ينهى لايوت المقطع الأول
ليبدأ مقطعه الثانى « لعبة الشطرنج » .

وهذا يتجسد لنا الجذب عن طريق رمزين
أحدهما يعبر إلى حياة الطبقة الأرستقراطية
التي تملك كل شيء ، وتعيش على الرغم من
ذلك تمتهن الضجر والسامة . والآخر يشير
إلى حياة الطبقة الفقيرة التي لا تملك
إلا غوغائيتها وضجيجها وضحالتها .

وتريزياس يعمق عن طريق استعراض
هاتين الصورتين إحساسه المر بالعقم ويعمق
بالتالى إحساسه بيبأسه وضعيته .

والصورتان مرسومتان ببراعة فنية فائقة
ولكن الأولى على الأخص تذكرنا
(بالأرابيكوا) العربى ، وروائع القسيفساء
فكل لفظه أشبه بصدف صغيرة فى هذا البناء
الزخرفى الذى يتجمع ببطء ومهارة ليكشف
الشكل الدقيق المركز الذى تعبر عنه اللوحة
أو الصورة .

وقد استغرق رسم صورة القاعة التي
تجلس فيها السيدة المترفة قرابة تسعة وثلاثين
بينا ، اشتركت فى رسمها المفاهيم والتأويل
وصور الحائط والقلائد والعطور والملابس
وتحس ، وأنهت هذه الأبيات ، أن إحساسك
بالقننة والانهار بهذا الجو الصحرى ينمو
ببطء مع تتابع الأبيات ، ولولا خشية الإطالة
لنقلت لك هذه الصورة الرائعة التي لا يمكن

تحت الضباب الأسمر ، ضباب فجر شتاء
على جسر لندن تدفق جمح غفير
لكثرتة نسيت أن الموت حصد جمعا غفيرا
وصعدت آهات قصيدة ، كل حين طويل
وثبت كل بصره أمام خطاه

ثم تتجسد صور الجذب هذه كلها فى صورة
« ستيتسون » ، « ستيتسون » ، هنا هو كل الناس
الذين اختاروا طريق « تريزياس » ودفنوا
خسبهم ، والذين يعايشون هذا الخصب
المدنون فى أعماقهم يخشونه ويهربونه
ويحسبون حساب بقظته على حياتهم المجدبة .
هنا رأيت رجلا أعرفه فاستوقفته صامحا
« ستيتسون » .

يا رفيقى على السفينة فى (ميلوى)
الجسد الذى زرعته فى حديقتك فى العام
الماضى هل اخضر يا ترى ؟ وهل سيزهر
هذا العام أم فاجأه الصقيع فأفسد مرقده ؟
لا تجعل الكلب صديق البشر يقرب منه
ولا تلبس عنه بأظفاره وأخرجه

والكلب هنا يشير إلى « الكلب الجبار »
وهو نجم قدماء المصريين الذى كان يبشر
بموسم الزراعة والخصب و « تريزياس » ، ينصح
هنا « ستيتسون » ، أو « الآخرين » ، بأن يكون
حرصا على دفن خصبه وعدم تعريضه
لعوامل الإثارة والحياة

وكان « تريزياس » يخشى أن يفلت من
مصيره المجدب أحد فقراء يتجه بهضيحة
السكرية إلى القارى .

إن « تريزياس » تنتقل بنا ذاكرته إلى حانة فقيرة يسمعون فيها (رغي) نسوة ، يقضين وقتهن ، وكل وقتهن ، وكل ليلة في ثروة فارغة ، تمتد ساعات وساعات ، بلا معنى .. بلا هدف ، تنصح أحدها من زميلاتها بشراء طقم أسنان لتعجب زوجها ، وأنه سيكون في حاجة إلى وقت طيب بعد هودته من الجيش وحديث بل عن الإجهاض والحبوب .. والأطفال .. وفي نهاية الليل يودهن صاحب الحان كالمعتاد قائلا :

طابت ليلتكن ، ياسيداتى ، طابت ليلتكن ياسيداتى الجيلات ، طابت ليلتكن ، طابت ليلتكن .

وبهذا ينسدل الستار على شريط الذكريات ذكريات العقم والجذب في الطبيعة وفي « تريزياس » نفسه وفي الآخرين على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم ، العقم الذى يجعل الحياة فارغة من المعنى خالية من الهدف .

وقد طانى هذه الحالة كل الأبطال الوجوديين واللامعقوليين فى العصر الحديث ، وقد تبلور هذا الإحساس المرير ، منذ اللحظة التى أطلق فيها فيلسوف الوجودية الأول « كيركيغارد » صيحته ضد حقارة العصر ، وضعة المجتمع ، وتخاذل النفس البشرية أمام المادة ، وغلبة روح المساومة عليها .

بل وصل الأمر إلى الحد الذى جعل (حارتر) يعلن على لسان بطله الحر « أورست » وهو

التعبير عنها بنقل أبيات منها لأن ذلك يفسد تركيبها الفلسفى سائى الدقيق ، وإذا توشك أن تهتف حسدا فى نهاية هذه الأبيات لهذه المخلوقة التى تعيش فى هذا النعيم حتى تطالع بصورة مناقضة تماما لهذا الجو الساحر ، صورة امرأة قلقة متضجرة ، لا تحس إطلاقا بهذا الجو الذى تعيش فيه ، ولا تكاد تتحمل حياتها ، ولا عالمها ، ولا زوجها ، وتستمتع إليها وهى تتحدث بعصية :

أعصابى الليلة متوترة ، نعم متوترة ، ابقى معى حدثنى ... لماذا لا نتحدث أبدا ؟ تكلم فيم تفكر ؟ فيم تفكر ؟ فيم .. ؟ أنا لا أملك قط فيما تفكر .. فكر ؟ إنى أتصور أننا فى عمر الجردان حيث يفقد الموتى عظامهم ما هذه الضجة .. ؟

الريح تحت الباب ..

ما هذه الضجة الآن ؟ ماذا تفعل الريح ؟ لا شئ .. ثانية لا شئ ..

هل أنت لا تعرف شيئا ؟ هل أنت لا ترى شيئا ؟ هل أنت لا تذكر شيئا ؟ لا شئ .. ١١ ،

حياة جديبا .. جديبا تلك هى حياة هؤلاء الناس ، على الرغم من كل ما يملكون . والآخرون .. المملقون .. الذين يعيشون فى قعر المجتمع ، أى نوع من الحياة يا ترى يحارسون .. ؟

تأثير ابن خلدون في أسلوبنا المعاصر

لدؤسان محمد رجب البيوتى

- ٢ -

هذا الأسلوب وما جرى مجراه في الدفاع عن الحرية من أقلام مجاهدة تحمل روح ابن خلدون وطابعه ، ولا أعنى بذلك أنه يهيج نهجه في التحليل والاستدلال ولكنه يعيش في جموه ويستلهمه ، وينطق بأثره الواضح أحياناً ، والخفى حيناً ، وأنا إذ أقرر ذلك أوجه النظر إلى ناحية هامة من نواحي التأثير

الخلدونى إذ أن بعض الباحثين يقف بتأثير المقدمة عند الصياغة والتركيب فقط ويرى أثرها لا يتعدى التحرر من القالب البيديعى وهذا غير الواقع لأن الأقلام التى انجذبت وجهة الإصلاح السياسى والاجتماعى ، قد وجدت معينها الدافق فى أفكار ابن خلدون ، وإذا كان قد اشتهر عنه تفوقه فى إدراك حقائق

(بقية الصفحة السابقة)

ومن الإنسان الغربى المعاصر : أن حرية الإنسان تبدأ فى اللحظة التى يدرك فيها تفاهة وجوده ، وأن البديل الوحيد لهذا الوجود القاف هو اليأس منه .

أورست : فليصنعوا به ما شاءوا ، إن الحياة الإنسانية لا تبدأ إلا فى الشط الآخر من اليأس (١) .

لقد حارل الوجوديون على اختلافهم مؤمنين وملحدين البحث عن بديل لهذه الحال أو على الأقل من أسلوب لمواجهة وكذلك حاول صاحبنا تريز يأس ، فى الشق الثانى من الأرض الخراب أن يواجه هذه الحال بأسلوب مناسب ، فإذا تراء فعل ٢١ .

ذلك حديث آخر . (يتبع)

رشاد محمد خليل

جوبيتر : وماذا تنوى أن تعمل ؟

أورست : أناس (أرجوس) هم أنا ، فىجب أن أفتح أعينهم .

جوبيتر : مساكين هؤلاء الناس ! ستهدى لايهم العار والوحدة ، وستنزح عنهم ذلك اللباس الذى أسدلت عليهم ، وتكشف لهم - هل غير انتظار منهم - عن وجودهم ، ذلك الوجود القاف البذى الذى أهدق عليهم بالجمان .

أورست : ولماذا أضن عليهم باليأس الذى

فى نفسى ما دام اليأس نصيبهم فى هذه الدنيا ؟

جوبيتر : ماذا يصنعون به ؟

(١) التدم أو الذباب : Les Mouches ، جان بول سارتر ، ترجمة الدكتور محمد القصاص .

وليس لي أن أملا الصفحات بمثل هذه
 الاهترافات المنصفة التي سجلها مفكرو الغرب
 من أمثال استفانو كولوزيو الإيطالي ،
 وفانانيل شميث الأمريكي وتوينبي الإنجليزي
 لعبقرية ابن خلدون ، ولا أن أشير إلى المقارنات
 التي عقدها كبارهم بين ميكافيللي وأرسطو
 ومونتسكيو وبين صاحب المقدمة فقد شامت
 وذاعت حتى أصبح تردادها المتكرر لا يأتي
 بجديد ، وإنما أريد أن أقول : إن صاحب
 هذه العقلية الفذة قد أنقذ الأسلوب الأدبي
 إنقاذاً ناجحاً حين جعل الفكرة عنصراً هاماً
 من عناصره ، وحين جعل صاحب القلم مفكراً
 ذا رسالة ، وليس صاحب أسجاع ومترافات
 وقد ظل أثره الأسلوب في قومه ضئيلاً لا يكاد
 يحس حتى استيقظت العربية من إغفائها
 الطويلة في نهضتها المعاصرة وقد ر لها أن
 تحتذي مقدمة ابن خلدون فتنتقل من دور
 إلى دور ، وطبيعي أن جميع الرواد في النصف
 الأخير من القرن التاسع عشر لم يكونوا من
 محثي أسلوب المقدمة ، بل أن فيهم من لم
 تظهر على أسلوبه سمة واحدة من سماتها كعبد
 الله فكري وإبراهيم المويلحي وحزرة فتح الله
 والقديم ، ولكن صفوة الكتاب إذ ذاك
 كجمال الدين ومحمد عبده وأديب إسحاق
 وهب الدين الكواكبي قد نشروا أسلوب
 المقدمة كل جهد طاقته ١١ وكان من حسن الحظ
 أن يقتل على جمال الدين ومحمد عبده بصفة

الاجتماع بما يسمف السكاتبين في إصلاح المجتمع
 المصري فإن آراءه السياسية لا تقل خطورة
 عن آرائه الاجتماعية ، وبعبارة أخرى فإن
 الإصلاح السياسي في منطق ابن خلدون نتيجة
 من نتائج الإصلاح الاجتماعي ، فكل
 الإصلاحين قضية واحدة ذات مقدمة ونتيجة
 ومن الذائع المشتهر أن آراء المفكر العربي
 في حق السياسة والاجتماع قد وجدت من
 يتحمس لها تحمسا يصل بصاحبها إلى ذروة
 العبقرية والإبداع حتى اهترف به واضعاً أول
 لعلم الاجتماع وأقيمت الموازنات الطويلة بينه
 وبين فلاسفة هذا العلم في أوروبا ، إذ قرنه
 الباحثون بأرسطو وأفلاطون وقال عنه
 (غوميلوفس) أحد زعماء علم الاجتماع
 بألمانيا : إن ابن خلدون يعتبر مفكراً عصبياً
 بكل معنى الكلمة . إنه درس الحوادث
 الاجتماعية بعقل هادئ وزي ، وأبدى آراء
 عميقة جداً لا أقول قبل (كانت) لحسب بل
 قبل (فيكون) أيضاً ، والحقيقة أن ما كتبه ابن
 خلدون هو ما نسميه اليوم بعلم الاجتماع .
 وقال (فارد) كبير علماء الاجتماع الأسري كان
 دكانوا يظنون أن أول من قال بمبدأ الحتمية
 في الحياة الاجتماعية هو (مونتسكيو) أو
 (فيكون) في حين أن ابن خلدون قال بذلك ، وأظهر
 تبعية المجتمعات لقوانين ثابتة قبل هؤلاء
 بقرون ، حينما كان الغرب مقلداً للفلسفة
 الدرسانية والكلانية استسلاماً تاماً .

واسترسال الطبع ، وأما نظمه فقد نهض لهذا العهد قدما في ميدان الشعر ، ونقده باعتباره أساليبه ، فائتال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فأنى منه بكل غريبة ، . ولعل السبب في فقد تأثيره إذ ذاك أنه دعا إلى منهج جديد في التحرر ، وصاحب الجديد مقصى السبيل فأنى الإجابة ، إذ أن معاصريه قد درجوا على حب الصنعة والزخرف ، وأصبح الاعتكاف في البديع لديهم إيمانا لا يزلزل ، فهم من غيره منصرفون ، ولو نادى به عملاق خطير كابن خلدون ، لا نقول ذلك في الأسلوب الأدبي وحده بل في كل منهج جديد في مختلف العلوم والفنون والآداب يفتح العيون على آفاق لم تسكشف بعد . وللتدليل على ذلك نذكر في تاريخ النحو الأندلسي رجلين كبيرين ، أحدهما مجد خطير وهو (ابن مضام) القرطبي ، الذي نادى بإبطال نظرية العامل وذهب إلى أن الذى يسبب الظواهر النحوية من رفع ونصب وجر وجزم إنما هو المتكلم نفسه لا ما يزعمه النحاة من الأفعال وأشباهاها ، وبين ما جرت إياه نظرية العامل من التعسف في التساويل والشطط في العال والافيسة ، وأكثرها مرفوض إن استقام من جهة تطرق إليه الحلل من جهة ثانية !! وقد أنف في مذهبه ثلاثة كتب ، منها كتابان كبيران مفصلان طواهما الزمن ، وكتيب صغير ظل يجفو المنزلة حتى هجر على جزء منه في المكتبة

خاصة أكثر كتاب الجليل اللاحق فيردوا موردما ، وينهجوا منجهما ، وإذ ذاك يقفز الأدب قفزه الطافرة ، ويتمرر الأسلوب نهائيا من أوهاقه ، وتصديق كلية أستاذنا السكندري حين قال « لم يكن الانتفاع بمقدمته وأسلوب كتابته في وقت أظهر منه في العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون هو القدوة الحسنة للصلحين والمجددين فهو الأستاذ الأكبر لكتابات الصحف والمجلات في نهضتنا الأخيرة ، .

ويعن لنا أن نسأل في هذا المجال ؟ لماذا لم يؤثر أسلوب ابن خلدون في معاصريه ، كما أثر في أسلوب الأدب المعاصر ، والرجل لم يكن حامل المهانة بمحول المنزلة بين قرانه حتى يفقد تأثيره النفاذ بل كان كما قال عنه منافسه الخطير الوزير الأديب لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في تاريخ غرناطة « باهر الخصال رفيع القدر أصيل الجهد ، وقور المجلس ، على الهمة ، هزوقا الضيم صعب المقادة ، قوى الجأش طامحا لفن الرياضة خاطبا للحظ ، متقدما في فنون عقلية ونقلية ، شديد البحث كثير الحفظ ، صحيح التصور ، مغرر بالتجلة . فأماثرة شائع بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن إبداع يفرغ منها يراعه الجريء ، شبهة البدايات بالخواتيم ، في نداوة الحروف ، وقرب العهد بجرية المداد ، ونفوذ أمر القريحة

الكبير كان يميل إلى السجع في بعض الفقرات على قلة ، واختار لتاريخه أطول عنوان مسجوع لكتاب عرفه القراء ونذكر هنا مؤذجا من كتابته المسجوعة في رسالة بعثها إلى لسان الدين ابن الخطيب بدأها بقوله :

« سيدى مجدأ وهلوا ، وواحدى ذخراً ومرجوا ، وحل والدى برأ وحنوا ما زال الشوق منذ نأت في وبك الدار ، واستحکم بنا البعاد ، يرهى أنباءك ويخيل لي من أيدى الرياح تناول رسائلك ، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع وعهد غير مضاع ، وود ذى أجناس وأنواع ، ... الخ .

ونحن في ميزان النقد المخلص لا نؤاخذ الكتاب على التزامه قيود البديع في مراحل الأولى قبل أن يكون صاحب مذهب يؤثره لأن أبعد المتطرفين في الدعوة إلى الجديد ، كان يتلقى دراسته الأولى على النهج الذى نادى بالتخلص منه ، بعد أن فتقت الأيام ذهنه بالتأمل والتحصيل ، فشكل ما صدور عنه قبل أن يهتدى إلى منهجه الخاص لا يزحزح من دعوته التجديدية في عيون الناقدين ونحن حين نطالع آراء ابن خلدون بالمقدمة في الأسلوب الأدبي المختار نلبس من ثباته وأصالته وتمكنه ما نعتبره به قائد دعوة وحامل راية يحاول أن ينقل السكاكين من مجال إلى مجال فهو يقول .

« واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون

التيمورية ، ونشره الدكتور شوقي ضيف منذ سنوات ١١ هذا البجاعة المجدد لم يجد من يستمع إلى دعوته الإصلاحية أو من يفسخ كتابه فقط للأجيال اللاحقة ، فصاعت صفحاتها بدداً في خضم الزمان لأنه صاحب مذهب طريف ! أما الرجل الثاني فهو ابن مالك الأندلسى صاحب الألفية الشهيرة ! فقد كان جهاعاً لآراء النحاة حسن الترتيب لما يتناول من القواعد المقررة ، لم يأت بمجديد في تحريره مذهب أو تأصيل بحث ، ولكنه قرأ فوعى ثم جمع فأوعى ، فسارت مؤلفاته النحوية مسير الشمس ، وظلت تجتأب القرون منذ القرن السابع الهجرى إلى الآن ، وقد كان الأزهر ولا يزال يدرس آثاره في الأقسام الابتدائية والثانوية والعالية محاطة بالشروع والتقريرات حتى هذه الساعة ١١ فإذا فقد ابن مضاء تأثيره في معاصريه ، فقد التقى مع ابن خلدون في العمل والنقيجة ، ومثلهما الكثرة السكائرة من المجددين الذين دفنتهم أيامهم الجائرة في حفائر الإهمال ، حتى هبت الريح العاصفة فكشفت التراب عن الذخائر المطموسة وأقبل عليها الراغبون مقدرين ! ويخيل إلى أن تردد ابن خلدون قبل تأليف المقدمة بين الرسل والسجع قد ضامل من تأثيره في معشره إذ رويت عنه مراسلات بديعية نحا فيها منحى معاصريه ، وقد حفظت عنه وتعرفت بين الناس بل في تاريخه

ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الإهراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس ، والكاتب الذي يحمل هذه الخلة على البديع ! يفوق فرقا واضحا بين البديع المبتكف المستكره ، والبديع الفعاري المطبوع فيرى في الأول ركاكة وإسفافا وفي الثاني جمالا وإبداعا وإنه ليفصح عن ذلك حين يقول — بعبعض التصرف :

« ويقع تراكيب الكلام في هذه السجية ضروب من التزين والتجسين فيحصل للكلام لذة ، وجمال زائد على الإفادة وهذه الصفة موجودة في الكلام المعجز ، وفي كلام الجاهلين بعد كمال الإفادة لكن عفوا وبغير عمد ، وفي كلام الإسلاميين عفواً وقصداً ، والمنثور في الجاهلية والإسلام كان مرسلًا معتبر الموازنة بين جملة وتراكيبه حتى نبغ إبراهيم بن هلال الصابي تقاطعي الصنعة والتفنية ، ثم انتشرت الصناعة بعده والكلام المصنوع بالمعانة والتكلف قاصر عن المطبوع لقله الاكتراث بأصل البلاغة والحكم في ذلك الذوق . »

أقد كان ابن خلدون نابعة عصره دون نزاع ثم قدر له أن يقود النهضة الأدبية في عصرنا الحديث ليصبح في رحاب التاريخ الأدبي نابعة العصور ! طيب الله ثراه .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالنيوم

يعنى فنون الشعر والنثر أساليب تختص به هند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه ، وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الإجماع ، والتزام التقفية ، وتقديم النصيب بين مدى الأغراض والمحمود في الخطابات السلطانية الترسل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيع إلا في الأقل النادر وحيث ترسله الملكة لإرسالاً من غير تكلف ثم إعطاء الكلام حقه في مطابقتها لمقتضى الحال ، فإن المقامات مختلفة ، ولكل مقام أسلوب يخصه من إطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة وأما إجراء الخطابات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فلهوم ، وما حمل عليه أهل العصر إلا استيلاء المعجمة على ألسنتهم ، وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقه في مطابقتها لمقتضى الحال ، فمجزوا عن الكلام المرسل لبعده أمد في البلاغة ، وانفساح خطوه فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزين بالإجماع والألقاب البديعية ، ويفعلون عما سوى ذلك ! وأكثر من أخذ بهذا الفن وبالبخ فيه في سائر أنحاء الكلام كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد ، حتى أنهم ليخلون بالإهراب في الكلمات والتصرف إذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا مجتمعان معها ، فيرجحون

في مقارنة الأديان :

المعجزات

للأستاذ عبد الجليل شلبي

وفي هذا العصر المادى ذهب كثير من المستشرقين يفسرون المعجزات في ضوء العلم الحديث ، ويظهر أن إسرائاف التوراة في ذكر المعجزات المادية للأنبياء وغير الأنبياء بما حدا بهم إلى الدوس المادى أيضا ، وقد اتخذوا من دراسة الآثار ومستكشافات الحفائر أدلة يعتمدون عليها ، والحق أن هذه الدراسة أهمتنا معلومات تاريخية قيمة ، ولكنها هجرت عن تفسير كل ما ذكرت كتب الأديان من معجزات الأنبياء ، ومن ناحية أخرى كان ما وفقت لتفسيره فأبيدا جديدا لحدوث هذه المعجزات .

وهناك شئ آخر ، وهو أن التوراة حكمت من ذكر أنبياء جاء ذكرهم في القرآن الكريم لأن التوراة - وهي في حقيقة تاريخ للشعب الإسرائيلى - لم تعن بذكر الأنبياء العرب حتى من يمتون للعبرانيين بصلة جاء تاريخهم عرضا ، فيونس عليه السلام جاء ذكره في القرآن غير مرة وجاءت قصته مفصلة ، وهو يحكم بعثه في أرض الكلدانيين ذو صلة ببني إسرائيل . ومع ذلك لم يأت ذكره في التوراة إلا عرضا ، واسمه بها (يونان) ،

من طبيعة الإسلام أنه لا يعتمد كثيرا على المعجزات والخوارق ، ومعجزته الكبرى هي القرآن الكريم ، وهي معجزة باقية يستمر التحدى بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم معجزات أخر كثيرة ، بعضها ثابت ثبوت اليقين ولا يمتل أدنى نزاع ، وبعضها لم يتو سنده ، ولكن غصص به كتب السهر ، وشاع على ألسن الرواة من زمن بعيد .

وقد أقر القرآن الكريم للأنبياء السابقين بمعجزاتهم المادية ، وذكر قصصهم في كثير من سورته وفي كثير من آيه ، فالقرآن ليس حربا للديانات السماوية ، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعا من الرسل ، كل ما هناك أن المعجزات المادية تفقد فاعليتها بمضى زمنها ، ويبدأ تأثيرها يبهت في نفوس الناس ، فمن شأن هذه الحوادث أن تكون موقوتة التأثير وقفه كانت رسالات هؤلاء الأنبياء موقوتة أيضا ، أما الإسلام فمعجزته خالدة لأنه دين خالد ، ولهذا لم يعتمد على المعجزات الأخر وإن كانت في الواقع حقيقة ثابتة ، وحسبها أنها أدت أغراضها حين حدوثها .

ركون العقلية المادية إليها أو اطمئنانها لها ، فعملوا من قبلهم على تهوينها أحيانا أو جعلها مصادفة من أحداث الطبيعة أحيانا أخرى ، وربما أعرضوا عنها نهائيا ، وجرت في هذا الطلق كتب في التفسير ، وقصص الانبياء والسيرة النبوية .

وبما كان الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا أول سابق لهذا العمل في وقتنا الحاضر ، ولستأ بصدد أن نعرض للكثير أو القليل من آرائهما ، ويكفي أن نشير إلى مواضع يرجع إليها من شاء .

من ذلك ما مال إليه الشيخ محمد عبده في تفسيره سورة الفيل من أن الطير الأبايل والحجارة من السجيل يمكن أن تكون من الحشرات حاملات العدوى والميكروبات وهي عادة تكون جماعات لا يحصيها إلا بارئها ومنها ما ذكره الشيخ رشيد عن تابوت موسى في سورة البقرة تفسيراً للآية : « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته بما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة » ، وما ذكره من مائدة هدى في تفسير هذه الآية من سورة المائدة : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء » ، وفي كليهما يتحاشى المعجزة .

وقد غالى الشيخ أبو زيد حين كتب تفسير القرآن بالقرآن ، فجعل معجزات الانبياء جميعا من المصادقات التي وافقت أحداث الطبيعة

وشعيب عليه السلام ذكرت قصته وآفة قومه وجزائهم ، وصلته بموسى عليه السلام وتسميه التوراة ينزون ، وجاء ذكره عرضا أيضا كتوفية لتاريخ موسى ولم تحفل التوراة بهاد وهود مثلا ، بل لم تذكر أى تفصيل أو توضيح لحياة إبراهيم في الجزيرة العربية ، كأن الفترة التي قضاها بين العرب ليست من حياته ، وقد ذكر القرآن ما نال المعاندين لهؤلاء الانبياء من هزبات وفنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخفته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا . وكانت مواطن هؤلاء الانبياء مجالا لمعاول الحفريات الحديثة ، وآثارها مواضع درس فثبت أنها كانت في هذا الزمن بوجه التقريب هزنة لأحداث الزلازل وثوران البراكين وفهم أن هذه الهزات الأرضية كانت معجزة هؤلاء الانبياء ، وأنها تصدق بالرجفات والصيحات ، كما أنها كانت أيضا تتعرض لتقلبات النوء وعواصف الرياح ومن شأنها أن تكون حاصبة ومدمرة .

ويكفي أنهم وجدوا بوجه ما مصداقا لما جاء في القرآن ، ولستأ نحن المسلمين وليس قرآنا أيضا بحاجة لهذا التصديق ولكنه خليق أن يكف من غلوهم في تحدى المعجزات .

وتهمب بعض الباحثين من المسلمين في العصر الحديث حدة النقد الغربي للمعجزات وعدم

واست أيضا أنهم الآخرين ولكنى لا أرى داعيا للتهيب من ذكر المعجزات أو الإشفاق من فقد المستشرقين، فهو لاء الذين لا ترضيهم معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هم اليهود والمسيحيون أتباع الكتاب المقدس، والعهد القديم والعهد الجديد جميعا تنص أسفارهما بمعجزات لا يتقبلها العقل ولا تخضع لمصادقات الطبيعة - فهذا يشوع ينفض له الكهنة في الأبراق فتداهى لنفضهم أسواره أريحا، وتسقط المدينة في يده (١) ثم تقف له الشمس والقمر (٢) ويظهر له رئيس جنده الرب وسيفنه المسلول في يده (٣) ويعبر وجنوده نهرا الأردن من غير أن تبتل قدم واحد منهم، لأن الماء انحصر وجف المجرى الذى هبوا منه ومن العجيب أن يقال عن مجاوزة الله ببنى إسرائيل البحر أنه كان يوم جذر قلت فيه المياه أو صادف حدوث التواء في القشرة الأرضية عاد بعده إلى الانخفاض ولا يقال شيء عن حادث يشوع في عبور الأردن .

وأتباع الكتاب المقدس يؤمنون بها في سفر التثنية من أن الرب تولى دفن موسى بنفسه (٤) ويؤمنون بأن ثلاثة من أصدقاء

أو ما بالغ فيه المؤرخون ، والحق أنى لم أقرأ تعليقات الشيخ أبى زيد وإنما قرأت تقرير اللجنة التى صادرت كتابه ، وقريب من هذا ما فعله الشيخ عبد الوهاب النهار فى (قصص الأنبياء) فعلى ما فى كتابته من الفضج والميل إلى الشرح المستفيض لم يعط المعجزات ما كانت تستحق من عناية ، بل مال إلى تهوينها .

وعلى هذا المنهج جرى الدكتور هيكل فى كتابه (حياة محمد) إذ كان يجرّد حياة النبي صلى الله عليه وسلم من كل معجزة عدا القرآن ولعل هذا هو الذى اضطره إلى الإغضاء عن عمل الملائكة يوم بدر والوهد ٣٢ يوم أحد ، وتأيد جنود الله للنبي والمؤمنين يوم الأحزاب ويوم حنين ، وعن كون الإسراء والمعراج بالروح والجسد معا ، فقد اكتفى بعرض ما فى المسألة من خلاف وعنى بشرح الأدلة التى تؤيد أنها بالروح ، كما فسر حادث سراقه بأنها كانت كبوات جواد أجهده السير حتى تطير سراقه ورجع .

وعمل الدكتور هيكل أهون هذه الأهمال وأدناها للقبول ، فهو فى عرضه هذه السيرة لم يشأ أن يجعلها قائمة على المعجزات والخوارق وإنما جعلها جارية مع المنطق تصرف فيها النبي بذكاء وحيلة غالبا وبوحى قليلا ، ولا بأس عليه فى كل هذا ، وهو يثبت الوحى والقرآن .

(١) يهوع ٦ / ٢١

(٢) ١٠ / ١٢ .

(٣) ١٣ / ٥ .

(٤) تثنية ٣٤ - ٥ .

وهناك شيء أهم من ذلك كله وهو أن معجزات الإسلام عدا القرآن لا يترتب عليها تغيير في شريعة الإسلام أو عقائده ، فسواء حاربت الملائكة يوم بدر وقتلت بعض المشركين أو كان وجودها لجرد القشريع لا يغير ذلك شيئاً في جوهر الإسلام وكذلك شأن المعجزات الكثيرة الأخرى ولكن نزول عيسى من السماء بعد حادث القبض عليه ومحاكمته وملاقاته بولس بعد نحو عامين من هذا الحادث ترتب عليه تشريعات لم تكن بالمسيحية من قبل ، فبولس هو مؤسس المسيحية والذي أدخل عليها معظم مراسمها الدينية ، وبولس لم يكن نبياً وإنما كان من أعداء المسيح الالءاء ومن أكبر موقدى الحرب ضد أتباعه بعد وفعة ، ومع هذا يدين له أتباع المسيح بكل هذه المعجزات ، ويقدمون ما جاء به من تعاليم .

أما التوراة فتجربى المعجزات على أيدي مرتكبي الكبائر والآثمين :

ولإذن فلا ضير على الإسلام من هؤلاء الطاعنين فإنما أنكروا المعجزات المادية جميعاً فتذهب كل معجزاتهم وتبقى معجزة القرآن ، ولما صدقوا بالمعجزات فلا ينبغي إنكارها على محمد صلى الله عليه وسلم لم دون أنبيائهم ؟

عبد الجليل سلبى

دانيال القام (نبوخذ نصر) فى النار فكانت عليهم بردا وسلاما (١) كما ألقى دانيال نفسه فى جب الأسود فلم تمسه بسوء (٢) وهكذا وهكذا... فيض من المعجزات .

فاذا انتقلنا إلى عهد المسيح فلندع معجزاته هو ولننظر معجزات التلاميذ .

هذا بطرس يخبر وهو فى (اللدة) أن فساء مائة فى يافا فيحضر إليها فلا يزيد على أن يناديها فتفتح عينها وتستوى جالسة (٣) وقد حلت روح القدس على هؤلاء التلاميذ فكانوا يتكلمون فى لحظة واحدة بلغات مختلفة لم يتعلموها من قبل (٤) . وأخرج ملاك الرب بطرس من السجن وكان مربوطاً بالسلاسل والحراس من حول سجنه (٥) حتى بولس هدو المسيحية فى حياة المسيح والذي لم يقابل المسيح قط عندما دخل المسيحية أصبح يشفى المقعد (٦) ولا يؤذيه الرجم وهكذا وهكذا... أيضا معجزات لا تقل عن السابقة .

أيسكون محمد أقل من واحد من هؤلاء أو يسكون بيت الله الحرام أقل عند الله قيمة من أربحاء ؟

(١) دانيال ٣ - ٢٠ .

(٢) نفسه ٦ - ١٢ .

(٣) أعمال ٩ - ٣٧ .

(٤) ١٠ - ٤٤ .

(٥) ١٢ - ٦ .

(٦) ١٤ - ٨ .

من الفلسفات الشرقية:

الفلسفة الصينية

لداستازمحي الدين الألواني

فلسفية قيمة ناضجة . وكانت دعاوى هؤلاء
السطحية ، مبنية على حجج واهية ، مثل أن
هذه الفلسفات الشرقية القديمة لم تعرف
المناهج العلمية الحديثة ، وأنها لم تنجح في أن
تودع أفكارها ومبادئها في كتاب منظم
شامل ، كما استهانوا بها بحجة كونها خالية
من الفلسفات النظرية .

وإن الدراسات الفلسفية الأخيرة قد
كشفت عن أن الأمم الشرقية فلسفات همة
مبتدعة جديدة بالدراسة والتقدير . وأما
الفلسفة الصينية فيرجع تاريخها إلى عشرين
قرناً قبل المسيح ، وقد استطاعت أن تحفظ
الكيان الخلقي الكامل للبلاد الصينية وأمتها
مدى أربعة آلاف سنة ، ولكنها ظلت
مدرسة دراسة ناقصة إلى ما قبل هذه السنين
الأخيرة ، لأسباب عديدة مثل : صعوبة اللغة
الصينية ، وتعسر استكناه أسرار هذه
الفلسفة من منابعها الأصلية ، وفقدان الثقة
القائمة ببعض الترجمات للنصوص الصينية ،
وفوق هذا وذلك محاولة الغرب لإخماد التراث
الفلسفي للشرق ، وإبراز فلسفته في أرجاء
العالم بجميع الوسائل . ولنا - حينما ننظر إلى
فلسفة أو أخرى - فإنما ننظر إليها كثروة

تناولنا في هذا الباب من الفلسفات الشرقية :
البوذية ، والهندوكية ، والجينية . وإذا كانت
الفلسفات الهندية تعنى بالنفس والزهد
كثيراً ، فإن الفلسفة الصينية تعنى بالأخلاق
كثيراً . ويقول الأستاذ دزنكر "Zenker"
في معرض الكلام عن الفلسفة الصينية
وعلاقتها بالأخلاق : إن المشركين المسيحيين
حينما اتصلوا بالصينيين في القرن التاسع عشر
ورأوا ما عندهم من أخلاق وحكم سامية ،
أخذهم الخجل من جهلهم حقيقة هذه الأمة
وفلسفتها العميقة التي تسمو فيها الحكمة
والأخلاق إلى هذا الحد . ولا شك أن
الفلسفة الصينية قد عرفت في العالم المتحضر
قبل مئات السنين إذ ترجمت أعمال الفيلسوف
الشرقي الكبير كونفوشيوس ، والفيلسوف
دانيوس ، إلى الألمانية واللاتينية في القرنين
السابع عشر والثامن عشر . وفي هذه الفترة
قد ظهرت أيضاً بحوث قيمة في العالم الغربي عن
الفلسفات الهندية ، ونشرت كتب شاملة لجميع
نواحي هذه الفلسفات القيمة ، ولكن الغرور
الأوروبي المتعطر كان يحاول الحط من
قيمة الحياة العقلية الشرقية ، بل ويصرح بأن
هذه العقلية غير قادرة على أن تنتج آراء

فيه ، في العقلية الصينية وهذه العقلية تربط القوى الثلاث ، أى السماء والأرض والإنسان برباط وثيق ، وإن كان لكل واحدة من هذه القوى طريق خاص وهدف معين ، إلا أن الغاية النهائية لكل منها واحدة ، فهى غاية السكون ، أو ناموس الفطرة ، وقبل أن ندخل في تفاصيل الفلسفة الصينية نلقى ضوءاً على النظرية الفلسفية الصينية عن السكون ، وقانون الطبيعة ، ومكانة الإنسان من بين الكائنات .

الإنسان في الفلسفة الصينية

والإنسان في الفلسفة الصينية : هو جزء الطبيعة وأنه خير بفطرته ، وليس مجبراً على اتباع طبيعته الخيرية دائماً مثل الفيات والحيوان . وأنه كائن مفكر له كسب واختيار ، وأن الشر لا يقع منه إلا إذا حاد عن طبيعته ، وأن هذه الحيمة لآثانيه إلا من حرية الاختيار والفكر . وأما الخير الموجود في نفسه فليس مكتسباً واقعياً ، وإنما هو موجود على صورة استعداد تام ، وعليه أن يحققه باختياره وسعيه حتى يصبح ذلك الخير خلقاً له .

ويقول كتاب «شوكنج» : إن القدر نوحان ، الأول هو الحظ الذى تقوم السماء بتوزيعه على الإنسان ، وهذا يمكن تنظيمه أو تحويل شره إلى خير ، والثانى هو القدر الناشئ عن أفعال الإنسان ، وهذا النوع لا يمكن التغيير فيه أو تعديله ، وأن الفضيلة

إنسانية عامة ولنتاج عقلى مشعر يستفيد منها الإنسان — شرقاً وغرباً — في حياته ؛ ففي الفلسفة الصينية نرى كثيراً من الحكم والأمثال والمواظظ التي من شأنها السمو بالناحية الأخلاقية في الإنسان ، كما أن دراسة فلسفة شعب أو عقيدته تربط الماضي بالحاضر ، وتوسع نطاق المعارف للأفراد والجماعات ، وتساهد على تضييق شقة الاختلاف بين الأمم والشعوب . يمتاز الشعب الصينى عن غيره بالإغراق في تقديس الأرض لها تفيضه عليهم من نعمة الخصوبة ووفرة الإنتاج ، وكانوا يطلقون عليها اسم : « القوة المحسنة » ، ويقولون عنها : « إنها تتلقى منا البذور لغدها إلينا ثماراً يانعة » . ومصدر هذه العقلية أن الشعب الصينى كان منذ عصور بالغة في القدم شعباً زراعياً يضع الاستنبات من الحقول والاستغلال من الأراضي في المنزل الأولى من حياته ، وفي الوقت نفسه كانوا يعبدون السماء لهاها من فضل على الأرض وما فيها . وظهر فرق بين عقيدة العامة والخاصة من الصينيين على أساس هاتين العنوين العظيمتين : « السماء ، والأرض » ، فبينما يرى الخاصة في السماء السلطان الأسمى ، والنظام الدقيق ، يرى العامة في الأرض الخصوبة والنعم الأخرى . وبقدر ما كان الخاصة يقدسون السماء ، كان العامة يقدسون الأرض . ومن هنا نرى مقدار أثر السكون والقوى المتصرفة

طريقه المستقيم . وتوضيحاً لهذه النظرية الفلسفية يقول دأونج فان ، أقدم المستفندات للفلسفة الصينية : « إن احترام من يستحق الاحترام يجلب الغيث في الوقت المراد ، واحترام من يستحق الاحترام يجلب الجذب ، والحق يجلب المعاصفة ، والتهوس يجلب البرد من غير انقطاع ، والتبصر يجلب الحرارة في الوقت المطلوب ، والتأمل يجلب البرودة في الوقت المناسب ، كما أن حكمة الملك تجلب الهواء عند الحاجة ، وفظاظته تجلب المطر من غير انقطاع . »

ورأينا من ربط الفلسفة الصينية المظاهر الطبيعية بالأخلاق الإنسانية أن الفضيلة وحدها هي التي تؤثر في حوادث الكون وتقلبات الطبيعة ، ويجب على كل فرد من المجموعة الإنسانية أن يحاول بقدر استطاع أن يكون فاضلاً حتى لا يكون مجلبة للجذب ، أو الكارثة الامة جمعا . والفضيلة في نظر الفلاسفة الصينيين هي كمال الخلق ، وتحقيق الاستقامة النامة للنفس ، واتباع الصراط السوي في كل شيء واحترام النفس الإنسانية وربطها بالسماء .

الهدف الرئيسي لهذه الفلسفة :

إن الفطرة العميقة في الفلسفة الصينية وأصولها ومبادئها من خلال مستنداتها القديمة تنتج النتيجة التالية : أن هذه الفلسفة العربية مبنية على أساسين جوهريين : المثالية العليا وسعادة المجتمع ، وأن النجاح الذي تقصده الفلسفة الصينية هو نجاح المجتمع في تحسين أحوال البيئة والظروف التي يعيش

وحدها هي التي تؤثر في السماء . وأن المتكبر منخفض ، والمتواضع مرتفع . وأن السماء والأرض هما أبوا الكائنات جميعا ، وأما الإنسان ، من بين الكائنات ، فهو وحده الموهوب بروحا والفضائل التي تجعل الإنسان غاية في الكمال هي الصلابة في الاستقامة مع الوداعة ، وسهولة الانقياد مع القوة ، والحزم في السلطان مع الحكمة ، والرضا مع الجد ، والتلطف مع الثبات ، والشجاعة مع العدالة ، والشدة مع الإخلاص ، والحشمة مع البساطة . والذي يتجلى بهذه المحامديسير على الطريق السوي .

الفلسفة الصينية تربط المظاهر الطبيعية بالأخلاق والفضائل ، لأنها تقول : إن السماء كائن متحرك تبعاً لقانون منظم ، وهذا القانون يربط القوى الثلاث ، أي الإنسان والسماء والأرض رباطاً وثيقاً بوضع محكم ، ولكل من هذه القوى طريقه الخاص ، وغايته المقصودة ، بحيث يحدث اضطراب بسيط في إحداها صدها في جميع جزئيات القوتين الآخرين . وإذا حاد الإنسان عن الطريق السوي ، فاقترف جريمة أو ارتكب خطيئة تنافي فطرته السليمة ، فيحدث نتيجة لذلك اضطراب محسوس في السماء والأرض ، وليس الاضطراب الطبيعي الذي يحدث حيناً فآخر في أرجاء السماء أو الأرض من كسوف وخسوف ، وظهور الكواكب المذنبة والزلازل والجذب والأوبئة ، والقحط والجفاف ، إلا نتيجة جرائم الإنسان ، وانحرافه عن

ونظراً لصدارة كونفوشيوس في الفلسفة النظرية وأصالته منهجه الفلسفي وتأثيره لا ينبغي لباحث عن الفلسفة الصينية ، أو فيها ، أن يتغاضى عن تعاليم كونفوشيوس القيمة ، وآرائه الجليلية في مختلف المجالات الإنسانية . وينبغي لنا الآن أن نشير إلى بعض آرائه عن الإنسان وأخلاقه وكأله لترسم لنا تلك الآراء لوحة واضحة عن مدرسته الأخلاقية والاجتماعية :
 « إن الإنسان ، في نظر كونفوشيوس ، مشتمل على القوة الإيجابية المؤثرة والقوة السلبية ، وأن مدى الفروق الموجودة بين الأفراد البشرية ، يتغلب إحدى هاتين القوتين على الأخرى » .
 ثم يتعرض الفيلسوف لإلقاء مزيد من الضوء على هذه النظرية الفلسفية ، فيقول : « إذا كانت الغلبة في الإنسان للقوة الإيجابية المؤثرة كان هو حكيماً كاملاً ، وإذا كانت الغلبة فيه للقوة السلبية كان حكيماً عادياً ويظل هكذا حتى يكون عرضة لتيار الأهواء والشهوات ، فإذا نجماها كان على الفطرة ، وإذا غلبه الهوى وانتقاد للشهوات حاد عن الصراط السوي » . وهذه :
 « أن الكمال الحقيقي الذي يناله الإنسان نوهان :
 الأول : الكمال الذي يتحقق لرجل ، تقوم السماء في إلهامه الحقيقة دون مجهود شخصي من جانبه فهو يحصل في المبدأ على ما يحصل عليه الآخرون في النهاية ، ويسمى هذا الرجل : الحكيم الموحى إليه .
 والثاني : الكمال الذي يحصل عليه الإنسان ببحوته المتواصلة وجهوه المستمرة وأعماله الشخصية .

فيها ، وليس هو نجاح الفرد . ويقول أحد العلماء المعلقين على الفلسفة الصينية : إن الأثره - هندم - من أقيح الرذائل ، والإيثار من أسى الفضائل ، وأن الفضيلة تنحصر بوجه عام في حضن روح الفرد طواعية فهو يجتمعه لتحقيق مطالبه الجماعية ، ومصالحه المشتركة .
 وفي هذا المعنى يقول كتاب « إى كنج » المشهور : « إن الهواء الذي يصفى في السماء ما هو إلا تصوير لقوة الرجل الذي يبدد صفيرا ، والذي يمشى فوق ذيل النردون أن يعضه هو الذي سينجح ، وأن الحكيم المتواضع يستطيع أن يجتاز البحر الأعظم ، وأن المتواضع يخلق النجاح ، وأن الفضيلة طريق السعادة » .
 كونفوشيوس - وفلسفته :

إن كونفوشيوس يعد في طليعة الرجال الباوزين الذي خلقوا المدنية العالمية عامة ، والمدنية الصينية خاصة ، إذ هو الذي وضع قواعد الفلسفة الصينية على أسس علمية قيمة ، وقسم الفلسفة العلمية إلى ثلاثة فروع : الأخلاق الشخصية ، والأنظمة الاجتماعية ، وأنظمة الدولة ، بل هو الذي رفع علم التاريخ في الصين إلى مصاف العلوم الأخرى عند الأمم الراقية .
 وقد أعلن حكمته الخالدة على الملأ : « إن الجوهر الأساسي للعملي للشعوب يجب أن يكون هو الأخلاق ، وأن نظام الدولة لا ينجح نجاحاً حقيقياً إلا إذا كان مبنياً على أسس أخلاقية » . ويرجع الفضل الأكبر في بلوغ الحكمة الصينية أوجها إلى هذا الحكيم .

كل فرد مغروس في يئشته غرس النبات ،
ومناثر بالظروف المحيطة بمجمعه وطبقته ،
ولكن يستطيع ابن الطبقة الوضيعة (١) أن
يسمو بعلمه وأخلاقه إلى مصاف النبلاء
والشرفاء . وعند كوفيشيوس إن أول
ما يجب على الإنسان هو ضبط نفسه ومراقبة
قلبه ، وتمكين شخصيته علميا وأخلاقيا . وأن
المثل الأعلى عنده هو حب الإنسانية وتخليصها
من آلامها ، وجعل الفضيلة الشرط الاساسي
لجميع وظائف الدولة لأنها مسئولة عن أفراد
الشعب جميعا ، فيجب أن تكون السلطة العليا
مثلا أعلى للشعب في الفضيلة والأخلاق .
وهذا الرأي للحكيم الصينيين أقرب إلى القول
المأثور : « الناس هي دين ملوكهم » .

إن الآراء الفلسفية السكونفشيوسية في
الأخلاق والعمران والمدنية قد أنتجت خيرا
كثيرا للمجتمع الإنساني ، كما أنتجت خيرا
الحضارات المصرية والهندية خيرا كثيرا
أيضا ، وأن كل ما حفظه لنا التاريخ من
تراث هذه الفلسفات القديمة يدل على مدى
ارتباط حظوظ بني الإنسان ومصائرهم
بالفضيلة والأخلاق ، وأهمية دور العلم
والفلسفة والحكمة في تكوين مجتمع حي سليم ؟

محبى الربى الاولواى

(١) يشير كوفيشيوس إلى التقسيم القديم السائد
في زمنه بين النبلاء والطبقات الدنيا ، ويصرح بأن
النبيل في رأي ليس من ينسب إلى أسرة معينة بل
هو النبيل بعلمه وأخلاقه .

وأما الإنسان الملمم ، أو الموحى إليه
فهو ابن السماء الذى يعنى الصراط المستقيم
ومحرمه في جميع مرافق الحياة البشرية . وأما
الذى يلقى السكال المدكسب بمجهوداته فهو
ابن الأرض ويحتاج إلى مجهوده لشخصه لأن
يكون في منأى عن شرور الهوى والشهوات .
وأردف كوفيشيوس يقول : « إن مهمة
الحكيم الملمم هي نشر قانون السماء والسر
على تنفيذ في الأرض ، والسعى لإنقاذ بني
الإنسان من الخروج عن الصراط السوى ،
بينما الحكيم السوى يكتب الحكمة بمجهوداته
الخاصة يعتمد في احتفاظه بفطرته الأصلية
وفي مقاومة ضعيفة أمام هواصف الهوى
والشهوات المختلفة على نفسه فقط ، فإذا حاد
عن صراط الفطرة نزل من درجة الحكمة
العادية إلى درجة أولئك الذين يحدثون الشر ،
ويعملون نار الفتن في البشر . وهكذا قرر
كوفيشيوس أن الخضوع للقانون الطبيعي
ينتج الخير والرخاء والتقدم نحو السكال ، وأن
الانحراف عن نهج القانون الطبيعي يؤدي
إلى الاضطراب ، وتفشى الشر والسوء .
وأسس كوفيشيوس مذهبه الأخلاقي على
أساس تنفيذ أوامر الطبيعة ، وتطبيق
قوانينها القديمة .

ومن آرائه الاجتماعية : « إن النبيل هو
من اجتهد في تمكين نفسه وحافظ على نبل
قلبه وراعى آداب اللياقة وأذعن لقواعد
الأخلاق ، ولو كان من الطبقة السفلى . وإن

الحرية الفردية في الإسلام

للأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم مهنا

— ٢ —

المحررة المبرنية :

فإذا جئنا إلى تصرفات الفرد أو ما يسمى بالحرية المدنية ، نجد أن موقف الإسلام منها لا يختلف عن موقفه من حرية العقيدة ، فأيات القرآن الكريم صريحة في تحميل الإنسان تبعة كل ما يصدر عنه من أعمال يقول الله تبارك وتعالى : « من اعتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، الإسراء ١٥ » ومن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما وربك بظلام للعبيد ، فصلت ٤٦ ، وكل نفس بما كسبت رهينة ، المدثر ٣٨ .

ولن يستقيم لهذه الآيات معنى إلا إذا كان الإنسان حراً مختاراً ، إذ المسؤولية فرع الإرادة الحرة المنبثقة عن التفكير السليم والنظر العائب ، ولذلك أسقط الإسلام التكليف عن من ليسوا أهلاً له كالصغير والمجنون والنائم .

وتمشياً مع هذا المنطق لم يكلف الله عباده إلا بما يكون في استطاعتهم أن يفعلوه يقول سبحانه : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، البقرة ٢٨٦ » ويقول جل شأنه : « فاتقوا الله ما استطعتم ، التغابن ١٦ » . ويقول الرسول صلوات الله

وسلامه عليه : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

وكما أهدر الإسلام مظاهر العقيدة إذا أكره الإنسان عليها ، فكذلك أبطل أثر العمل إذا أكره الفرد على ارتكابه ؛ فلا عقاب على مضطر أكل محرماً كالهيئة ولحم الخنزير ؛ يقول الله في كتابه الكريم : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم ، البقرة ١٧٣ » ولا احترام - في نظر الإسلام - لعقد أكره أحد طرفيه على إبرامه ؛ فقد روى أن فتاة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو إليه أن أباهم زوجها من ابن أخيه لترفع خسيسته ، فرد الرسول نكاحها وقال : « الأيم أحق بنفسها من وليها » ، وكما أن الإسلام لا يعترف بالزواج إلا برضى الطرفين كذلك لا يفرق بين زوجين إذا أكره الرجل على تطليق زوجته ؛ فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لا طلاق في إغلاق » .

ونجد في القرآن تطبيقاً عملياً لتقييم الأفعال بناء على قوة الإرادة وحرية الاختيار ، وذلك حين يفرق بين السابقين الأولين من المؤمنين وبين غيرهم ممن ساروا في الحرب

الحجة البالغة ، فلو شاء لهذاكم أجمعين ،
الأنعام ١٤٨ ، ١٤٩ .

فليس هناك إذا إكراه على كفر ، كما أنه
ليس هناك إكراه على إيمان ، نعم إن الله
سبحانه قادر على أن يكره الإنسان على طاعته
لو أراد ، ولو شاء وبك لآمن من في الأرض
كلهم جميعا ، يوسف ٩٩ . ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ، السجدة ١٣ ، ولكنه
سبحانه لم يشأ ذلك ، وإنما ترك الإنسان حرا
يختار لنفسه بعد أن منحه القدرة ووهبه العقل ،
وذلك ليصح تكليفه ويتحقق عدل الله فيه ،
وصدق الله إذ يقول : « ونفس وما سواها .
فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاهها .
وقد غاب من دساها » الشمس ٧ - ١٠ .

ومن هنا كانت التفرقة بين إيمان ونفاق ،
وبهذا كانت أوامر الله ونواهيه إلى خلقه
مفهومة ولم تكن ضربا من العبث ، ولم يكن
إرسال الرسل ضربا من التثوية والمغالطة كما
يريد سالبو الإيمان حريته أن يكون ، ولا بد
من أن نوضح هنا أننا نؤمن بالقضاء والقدر
على معنى أن كل شيء يصيب الإنسان - وليس
داخلا تحت إرادته التي يحاسبه الله عليها هذلا -
إنما يسير تبعا لما قدر الله وأراد ، والحكمة
يعلمها هو ، والمرء ليس مؤاخذا به ، وعليه
أن يؤمن بالقدر خيره وشره ، فلا يفسخ
على ما يصاب به من بلاء أو قحط ، وهذا هو
المسراد - فيما نعتقد - من قول الله تبارك
وتعالى : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من

مبع أفراج الناس بعد أن جاء نصر الله والفتح ؛
يقول الله تبارك وتعالى : « لا يستوى منكم
من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك
أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا
وكلا وعد الله الحسنى » ، وليس هناك من
سبب - فيما نرى - للتفرقة بين هؤلاء وأولئك
إلا الإرادة الحرة الغالبة في إيمان السابقين
والإرادة المشوبة بنىء من إكراه الظروف
المحيطة بالنسبة للآخرين .

هل الله - لم يقوم على القضاء والقدر ؟
وهنا نحب أن نقف قليلا مع هؤلاء الذين
ينكرون حرية الفرد في تدبيرة وفي تصرفاته
على سواء . إنهم يقولون إن الإنسان مجبور
في إيمانه وكفره ، مجبور على إتيان الفعل
أو تركه ، إنه لا إرادة له ولا حرية ولا اختيار
وإنما هي مشيئة الله التي تتحكم وتوجهه ،
ويستبدون إلى مثل قوله تعالى « وما تشاءون
إلا أن يشاء الله » الإنسان ٢١ .

ولن نتعب أنفسنا في النقاش مع هؤلاء ،
فقد حدثنا القرآن عنهم وعن محاولتهم تبرير
كفرهم ومعاصيهم ، ورد عليهم قولهم في بيان
واضح لا زيادة بعده لمستزيد ؛ قال تعالى :
« سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » ، كذلك كذب
الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل
هتدكم من لهم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون
إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون . قل فله

بِحَقِّ نَفْسِي : إِنْ وَإِذَا ...

للأستاذ كامل السيد شاهين

- ٢ -

المحامي الذي يؤمن بصدق قضيته ، فهو ينافح بكل حجة ناهضة أو ساقطة .

ومن ثم اشتملت كتبهم على خير كثير ، وعلى غثاء كثير ، واضطربت المعايير حتى صارت كل قضية تقبل الخطأ ، وتقبل الصواب ، وانقلب الأمر من نشدان الحق ، والبحث عن المعرفة والوقوف عند الدليل الغير ، إلى المهارة في التأويل والتخريج ، والنطاسة في التنبش عن وجوه الاحتمال والتشكيك .

اضطراب القاهرة :

القدماء من أطف الناس ذوقاً ، وأرقهم فهماً ، وأنفذهم إلى حقيقة ، وأدعاهم للثقة ، واملق كلامهم بالجلالة والاعتبار ارتكبت طرق بعضها بمهود ، وبعضها عسوف . ولو وقف العلماء المتأخرون موقف القاضى اللعين بأخذ ما صفاً ، ويرد ما لا يسوغ ، لكانت الطريق أقصد ، والثمرة أدنى . ولكنهم - رحمهم الله - اتخذوا موقف

(بقية الصفحة السابقة)

وآخر فقد ماله بسبب سقمه وسوء تدبيره . فالأول غير مسئول عما حدث له ، أما الثاني فهو مؤاخذ بما فعل ويحجر عليه ويمنع من التصرفات المالية تطبيقاً لقوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ، وأرزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً ، النساء ٥ . »

وكانت التفرقة كذلك بين إنسان قدم نفسه للجهاد في سبيل الله فقتل وآخر ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه فاتعرج ، فالأول شهيد مثاب ، والثاني مؤاخذ بما فعل وبما ارتكب .
أحمد إبراهيم مرزوق

عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فالحولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ، النساء ٧٨ .

أما ما يدخل تحت تصرف الإنسان وإرادته مما فيه من خير يشاب عليه فهو من فضل الله ونعمته وتوفيقه ، وما فيه من شر يعاقب عليه فهو من سوء اختياره وفساد إرادته ، وهذا هو ما يشير إليه قوله تبارك وتعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك . » ، النساء ٧٩

ومن هنا كانت التفرقة - في حكم الشرع - بين إنسان فقد ماله بسبب جائحة لا يذله فيها ،

إذا قلت : ما بي يا بئينة قاتلي
من الحب . قالت : ثابت ويزيد
وإن قلت : ردى بعض عقل أعش به
مع الناس ، قالت : ذاك منك بعيد
القاعدة تسوقنا إلى أن قول جميل لبئينة :

(ما بي يا بئينة قاتلي) أمر محقق لا يحتمل
الشك ، أما قوله لها : (ردى بعض عقل .)
فأمر مشكوك فيه . . وبين أن قوله الأول
كقوله الثانى يريد أن يدفعنا الشاعر إلى أن
كلا منهما محقق لا يداخله شك ...

ولو سمح النظم لجميل أن يأتى بإذا مع القول
الثانى لفعل ، ولو فعل ما نقص وزن الكلام
ولا تقديره ، ولا تغير فهمنا له .

ونراه فى قول أبى الطيب يعتب على
سيف الدولة :

إن كان سركم ما قال حاصدنا
فما لجرح إذا أرضاكم ألم
فالمقننى قد سطى عليه الحسدة هند سيف
الدولة ، وسيف الدولة قد تلقى ذلك السطو
بالسرور والرضا .

والمقننى أصحب (ابن) لفظ السرور
فى الشعر الأول ، وأصحب (إذا) لفظ الرضا
فى الشعر الثانى . إذن فالذى سر سيف الدولة
هو الذى أرضاه . . فما بال إن تدخل مرة ،
وإذا تدخل مرة ؟

وهل يجوز فى العقل أن يكون الشيء
الواحد مشكوكا فيه محققاً فى الوقت ذاته ؟

وحين يصبح العلم مهارة وتنطسا وشقاشق
كلام ، فقد انسلخ من نداسته وحرته وأصبح
لاحقاً بالشعوذات التى تسحر أعين الناس
وتسترهم ، ولسكنها لا تقنعهم ولا تردهم
إلى برد اليقين .

ومن القضايا التى داخلتها الحيل حتى غلبت
على الأصل المقرر ، قضية إن وإذا ، فقد رأى
القوم أن (إن) لا تدخل إلا على الأمر يشك
فيه ، وأن (إذا) لا تدخل إلا على الأمر مجزم به .
ولقد تعب العلماء فى أن يجبروا صدوع
هذه القاعدة ، فتأولوا وأكثروا ، ولم كفا
نحب أن يطرد هذا التأول على ما فيه ، ولكن
هناك مواقع عزت على التأويل فأبت أن تنقاد .
فمن ذلك :

١ — مواضع يمكن فيها المبادلة بين
(إن وإذا) دون أن تكون إحداها أحق
بوضعها من الأخرى .

نرى ذلك فى قوله سبحانه : يصف المنافقين
بكال الأجسام ، وفصاحة الأسن :

وإذا رأيتم تعجبك أجسامهم ، وإن
يقولوا تسمع لقولهم .

فهل يمكن المجادلة بأن الرؤية محل يقين ،
وأن القول محل شك ؟ أم أن اليقين والتحقيق
واحد وبدرجة سواء فى الرؤية والقول جميعا ؟
ولو قيل فى غير النظم القرآن العظيم :
وإذا قالوا سمعت لقولهم . . لجاز ولم يكن

الكلام خارجا عن معنى التحقق فى القولين ؟
ونراه فى قول جميل بن معمر :

يجزوم بعدم وقوعه . . فالنبي - صلوات الله عليه لا يشرك ، ولا يقبض أهواء المشركين ، وجل الله من أن يكون له ولد .

ولقد تقول : إنما ذلك على سبيل الفرض والتقدير .

فيقال لك : إن الفرض والتقدير أوجه مطلق التعليق ، كما تقول : إن جاءك كتابي هذا فاقدم إلي ، فحي - الكتاب على سبيل الفرض والتقدير . أما حديث الشك والتحقق فحديث آخر بعد مرحلة الفرض .

٣ - ومنها استعمال (إن) في الأمر المحقق . وأنت واجد ذلك في قول طارفة :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيعي
فدهني أبادرها بما ملكت يدي
فصاحب طرفة لا يماوي في أنه لا يستطيع
أن يدفع منيعته عنه ، ومن ذا الذي يزعم
أن له قبلاً بدفع المنايا ؟ ، ولا يفنيك مثل
أبي ذؤيب (وإذا المنية أقبلت لا تدفع . .)
فهذا أمر محقق .

وسبيل ذلك سبيل الآية ، وإن يقولوا
تسمع لقولهم ، والآية ، وإن أقصمهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه ، فإن إعجاب النبي
صلوات الله عليه بفصاحة المنافقين ، وزعم
الكفار أن البلاء بشؤم موسى ومن معه ،
أمر واقع فلا مجال لادعاء الشك فيه .

وعليه قول الكلحية اليربوعي في حزيمة
ابن طارق :

وزراء في قول الجارم يمتدح الرسول
صلوات الله وسلامه عليه :

إذا صال فالدنيا بحر رماحه

وإن قال فالأيام عين ومسمع
فمن ذا الذي يستطيع أن يدعى أن صيال
الرسول الكريم أمر محقق كثير ، وأن قوله
أمر هشكوك فيه أو نزر .

ومن ذا الذي يستطيع أن يدهى أن الشاعر
لوقون الصيال بيان ، والقول بإذا يكون قد
أخل ببلاغة الكلام ؟

٢ - ومن ذلك مواضع تبيها فيها إذا
للاستحالة والامتناع ، وتبيها فيها إن
للاستحالة والامتناع أيضا .

ونحن نجد ذلك عندما نقرأ قول الشاعر ،
يونس امرأته من عودته :

فرجى الخير وانتظري إياي

إذا ما القارظ العزى آبا
والقارظ العزى لن يثوب... (فإذا) داخله
على الممتنع المجزوم بعدم حصوله .

ونقول : إذا شاب الغراب ... إذا انهى
مهلاًن ... إذا نظمت لى النجوم عقوداً ...

كل ذلك لا يكون ، ومع هذا يصحب إذا
التي توافق ما يجب أن يكون ...

وعليه في جانب إن قوله سبحانه : ولئن
أشركت ليحبطن عملك ، وقوله جل ثناؤه
ولئن اتبعت أهواءهم ، وقوله تعالى : قل
إن كان للرحمن ولد ، وغير ذلك مما هو

كان الركوب لهم محققا ، إن الجلوس في الأندية لمحقق كذلك .

ولنما ألحنا في الاستنباه لأن اللغة رواية ، وليست حذقة في التخريج ، وبراعة في التأويل ، وقدرة على الاحتمال .

وإذا ثبت أنه يمكن المبادلة بين إن وإذا وإحلال إن محل إذا في بعض المواطن .

وثبت أيضاً أن إذا التي تستعمل - فيما قالوا - عند الجزم بوقوع شرطها ، قد تقع مع الحال المجزوم بأنه لن يكون ، وأن (إن) التي تستعمل - كما زعموا - في الأمر يشك فيه قد تستعمل مع ما لا يكون .

وثبت كذلك أن (إن) تستعمل في الأمر المحقق .

إذا تقرر هذا كله وجب أن تكون القاعدة التي بنوا عليها حكمهم منقوضة ، وأن يعاد النظر فيها ، وفيما بنى عليها .

وتحتمل البحث أن ننظر فيما أوردوه من قاعدة ، وندين مدى استجابتها ، ومدى إخلالها .

وأن ننظر في استعمال العرب لهاتين الأداتين وما يردوهما ، وطريقة فهمهما .

ثم نقارن ذلك بما ورد عن سيويه لئلا نرى مدى ما يمكن أن يتسع له ذلك النص القديم من أحكامهما .

وموعداً بذلك - إن شاء الله - المقال المقبل .

أسأل السيد شافعي

فإن تنج منها يا حزيم بن طارق فقد جعلت ما خلف ظهرك بلقعا

ضمير (منها) لفردة فرس السكاجبة . . ولقد نجا - والله - حزيمة بن طارق من القرادة وقارمها ، فلا محل للشك بعد .

وكذلك قول بشامة بن الندير يصف ناقته : إذا أقبلت قلت مذهورة

من الرب تلحق هيفا ذمولا وإن أدبرت قلت مشحونة

أطاع لها الريح قلما جفولا يصفها بالسرعة في إقبالها وإدبارها ، فهي مقبلة كأنها نعامة وبداء مذهورة ، تلحق ظلياً شديد السرعة ، وجعلها مذهورة ليكون ذلك أمد لمرعتها .

وهي مدبرة كأنها سفينة واتت الريح قلاها . واستعمال إذا ههنا جار على أصله .

واستعمال إن ههنا مع أمر محقق ، ولا معنى لادعاء الشك فيه إلا لافرق بين إقبالها وإدبارها .

ومنه قول العبلي يرثي جماعة من الأمويين قتلمهم عبد الله بن علي عند نهر أبي فطرس :

إذا ركبوا زينوا المركبين

وإن جلسوا زينة المجلس

يصفهم العبلي بالشجاعة والعقل ، تزدان بهم المراكب إذا حاربوا ، وتزدان بهم المجالس إذا تصدروا للحكم والقضاء .

ولعمرك ليس الامتداح بالعقل والفصل

دون الامتداح بالشجاعة والجرأة ، ولن

إلى أى مدى تنغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟ للاستاذ بدر عبد الجاسط

وذهب قوم إلى أنه فرض سنة ثمان من الهجرة بعد فتح مكة ، بدليل استخلاف الرسول صلوات الله وصلاحه عليه لعناب ابن أسيد رضى الله عنه ليجب بالناس عامنذ ، وقد رد هذا بأن الثابت أن استخلافه له كان على مكة بعد الفتح وقد حج الناس على حلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كعادة العرب ، وقد حج معه المسلمون والمشركون .

وقيل فرض سنة تسع ؛ فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضى الله عنه للحج عامنذ ، بعد أن نزل قوله تعالى : **وَقِهِ عَلَى النَّاسِ حِجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .**

هذا وتحديد وقت التشريع للحج له أهمية قصوى لمعرفة مدى تطور أحكامه ، فإن صح أنه فرض قبل الفتح - وهو فى سنة ثمان - فإن هذا من إعلام النبوة ، إذ يبعد أن يفرض الله على المسلمين الحج وجميع مفاسكه بمكة وما حولها - وتسكون تحت سلطان أعدائهم ، وأيضا فإن المسلم الذى مكنته ظروفه من الحج - وقتنذ - كان - من البدهي -

تحدثت - فى المقالات السابقة - عن تدرج التشريع فى كل من الصلاة والزكاة والصوم ، واليوم أود أن أتحدث عن تدرج التشريع فى الحج ، وما يتصل به من أحكام الحرم والأشهر الحرم فأقول - وبالله التوفيق :

مضى فرض الحج : اختلف العلماء اختلافا كبيرا فى تحديد السنة التى فرض فيها الحج فقيل فى السنة السادسة ، وحجة القائلين بذلك أن أول آية نزلت فى شأن الحج قوله تعالى : **وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لَهُ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فى السنة السادسة ، وهذه الآية ليست نصا فى فرضية الحج ؛ فانه يمكن أن يكون معناها أتموا الحج والعمرة لله إن شرعتم فيها ، وهذا لا يدل على أنهما قد فرضا فعلا** وذهب قوم إلى أن الحج شرع فى السنة الخامسة ؛ وقد استدلوا على ذلك بوفادة ضمام ابن ثعلبة رضى الله عنه - وكانت سنة خمس من الهجرة ، وفيها أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ، فعد منه حج البيت .

فخرجوا في ذى الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين ، وكذلك في الشهور كلها ، حتى وافقت حجة أبي بكر التي حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع ، فوافقت ذا الحجة ؛ فذلك قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، أراد بذلك أن أشهر الحج رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذى الحجة . وبطل النسيء .

وهذا يدل على أن حجة أبي بكر هذه قد وقعت في ذى القعدة ، وقد أقرها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى هذا فتكون حجة عتاب بن أسيد كانت - كذلك - في ذى القعدة .

وانكر قوم أن تكون حجة أبي بكر كانت في القعدة ، واحتدلوا على هذا بقوله تعالى : وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ... ، وأن الإجماع منعقد على أن هذا الأذان (الأعلام) كان في حجة أبي بكر ، وقد سمي الله تعالى يوم لإبلاغه إلى الناس بيوم الحج الأكبر فكيف يسميه الله بالحج الأكبر ، ولا يوافق أيام الحج التي حددها الله ؟

يؤدى المناسك على ما توارثه القوم من ملة إبراهيم عليه السلام ، وقد دخلها كثير من التغيير والتبديل لتقدم الأزمان ، والدليل على هذا أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لم يبين مناسك الحج إلا في حجة الوداع وقال : خذوا هنيئاً مناسككم ، وبما لاشك فيه أن مفهوم الحج - في الجملة - كان مفهوم ما - عند القوم - حينما نزل قوله تعالى : وأتوا الحج والعمرة لله ، وعندما نزل قوله جل شأنه : والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، وعندما علم (ضمناً) شرائع الدين وعد منها الحج .

بعض الأحكام التي كانت مشروعة ثم نسخت :

١ - كان من المباح إلى السنة التاسعة أن يطوف بالبيت المشرك والعريان إلى أن نزلت أوائل سورة براءة ، وأرسل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - علياً خلف أبي بكر وصلى الله عنهما ليعلم الناس - يوم الحج الأكبر - وهو يوم اجتماع الحجيج في منى يوم الفجر بأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

٢ - ترك الناس - أول الأمر - على ما اعتادوه من تقديم أو تأخير أيام الحج ، فقد ذكر القرطبي في تفسيره لآيه : إنما النسيء زيادة في الكفر ... الخ ... نقلاً عن مجاهد ، قال : كان المشركون يحججون في كل شهر عامين

العادات فسيكون هناك أضعافهم من يتقبلون هذا التشريع بنفوس طيبة .

والآن وبعد أن نزل قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات » ، وبعد قوله تعالى : « وإنما المشركون نجس » ، وبعد أن نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن أن يطوف بالبيت عريان فليس لأحد أن يهيز شيئاً مما كان مشروطاً من قبل .

هذا ومنسك الحج لا يجوز لمسلم أن يتصرف فيها بحذف أو زيادة أو تقديم أو تأخير فإن الله تعبدنا بهذه الفريضة ليقين العبد الطائع من العبد المتمرد ، نعم يجوز أن ننظم كيفية الأداء ، والانتفاع بهذا الاجتماع ، كما يجوز أن ننظم طرق الانتفاع بالهدى والأضاحى بما يكفل الخير لأهل الحرمين ، وليس هناك - مانع شرعى أن ننظم كيفية الطواف والسعى ، فإن هذا ليس تغيير لما شرع الله ، وإنما هو تيسير لما شرع .

ومن مبادئ الإسلام التى نادى بها الرسول صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا » .

بدر الفتوى عبد البا - ط

ولكن يجاب عن ذلك بأن المراد بالحج الأكبر فى الآية يوم اجتماع الجميع إما فى هرفة أو منى ، ولما كان تشريع النسيء لم يبطل - بعد فصح أن نسمى هذا اليوم بيوم الحج الأكبر فإن الأصل بقاء ما كان على ما كان ، ولا تشريع بغير نص أو ما يقوم مقام النص .

ولما كانت رواية مجاهد مثبته ، وكان رأى النافين مجرد اجتهاد منهم فى فهم الآية كان الإثبات مقدماً على النفي ولا سيما أنه نفي لم يعتمد على نص صريح .

معنى هذا التدرج فى التشريع : فستطيع أن نفهم من هذا التدرج أن العرف له مكانته وأن القضاء عليه يتطلب الحكمة والتروى ، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح مكة ، فيبدأ بالقضاء على الوثنية من غير هوادة ، ولا تأجيل ، وأما ما وراء ذلك من العادات والتقاليد التى توارثوها فقد ترك للزمن ولاختلاط المشركين بالمسلمين أن تهذب من هذه العادات ، وأن تعد النفوس لتقبل حكم الله المحكم فى هذا الأمر الخطير وإذا كان لا يزال - هناك - من يصصر على تحكيم هذه



الحرب الوقائية في عصر الرسول

للأستاذ حسن فتح الباب

على إسرائيل . وفي عملنا أن نلاحظ أن إسرائيل تحصل سراً على الأسلحة ، ويجب أن نقابل هذا العمل بمثله بحيث لا نمكّن إسرائيل من التفوق علينا . أما إذا سارت إسرائيل في إنتاج القنبلة الذرية ، فأنا أعتقد أن الرد الوحيد على هذا هو الحرب الوقائية ، يجب أن تقوم الدول العربية في الحال بالقضاء على كل ما يمكن إسرائيل من أن تنتج قنبلة ذرية .

ولم تمض أيام قليلة على هذا التصريح حتى عاد السيد الرئيس إلى زريد مضمونه دلالة على خطورته بالنسبة الأمة العربية بأمرها فقال :

« ونحن إذا شعرنا بأن إسرائيل تتجه نحو إنتاج سلاح ذري ، فليس أمام الجيهاير العربية التي تخلصت من الاستعمار من سبيل إلا الحرب الوقائية .

لأننا بهذا نحمل الجيهاير العربية من مؤامرات الصهيونية وعدوان الصهيونية .

وهذا القرار الذي أصدره رائد العربوة بضرووة قيام الدول العربية بشن حرب وقائية ضد العصابات الصهيونية المغتصبة قبل أن تتمكن من إنتاج القنبلة الذرية

تناول الرئيس جمال عبد الناصر في الحديث الذي أدلى به في المؤتمر الصحفي الذي عقده مع الصحفيين العراقيين بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٦٦ وشهده المغفور له الرئيس عبد السلام عارف ونيس جمهورية العراق ، أهم مشكلات العالم العربي ، وفي مقدمتها قضية الوحدة الوطنية والوحدة العربية وأحسن تحقيق هذه الوحدة ، وقد أوضح قائد الأمة العربية ما يتعرض له العالم العربي في المرحلة الراهنة من مخاطر تهدد حريته وتقدمه ووحدته ، وبين الحلول الكفيلة بتحدى هذه المخاطر والمغلب عليها ، وأهاب بالشعب العربي أن يضم صفوفه وينسق خطوات كفاحه لمواجهة تحركات الاستعمار والرجعية وعملائهما .

وحين سئل السيد الرئيس عن موقف الجمهورية العربية المتحدة من تزويد إسرائيل في الآونة الأخيرة بالأسلحة من أمريكا ومن ألمانيا الغربية ومحاولتها الحصول على القنبلة الذرية ، أجاب سيادته :

« نحن أيضاً نحصل على أسلحة ، ولأننا حينما نفكر في إسرائيل يجب أن نفكر في إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل من الذين أقاموا إسرائيل ومن الذين حافظوا

في مجموعها وزن الدولة بالفسبة للدولة المنافسة لها . وأهم عوامل توازن القوى في الدولة موقعها الجغرافي وأثره في تقدمها ووقايتها من الأخطار ، ومواردها الطبيعية والصناعية ، والكفاية العملية لشعبها ، وعدد سكانها ، والروح القومية ويعني بها القوة المعنوية التي تلم شمل الشعب في وطن واحد يكافح ويضحي في سبيله .

متى تبدأ الحرب الوقائية :

وتأسيساً على ذلك ، فإن الدولة التي تأخذ بنظرية الحرب الوقائية تعتمد إلى تطبيقها في الوقت الذي تتأكد فيه أن العدو قد فقد النية وأتبع ذلك بالاهمال الإيجابية التي من شأنها أن تمكنه من إحراز تفوق عسكري يتيح له فرض المعركة واتخاذ زمامها ومكانها المناسبين له والمدران على الدولة الأخرى والقضاء على مقوماتها . وهكذا ترى تلك الدولة أن عامل الزمن في غير صالحها إذا اتخذت موقفاً سلبياً ، فتلجأ مكرهة إلى البدء بالهجوم وقاية لكيانها ودفاعاً عن نفسها .

مزاعم إسرائيل الباطلة :

وترى السكينة الغالبة من العلماء والباحثين والقواد العسكريين أن الحرب الوقائية حرب مشروعة وعادلة ، ولكن الخلاف يظهر في التطبيق ، إذ قد تشن دولة معروفة بميولها العنصرية التعصبية واتجاهاتها العدوانية حرباً على دولة أخرى مسالمة ، وتدعى الدولة

واستخدامها في العدوان على الشعوب العربية يتفق مع السياسة العسكرية للإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ويحمل بنا قبل تحليل هذه السياسة أن نعهد لذلك بتعريف الحرب الوقائية كما وردت في القانون الدولي العام وفي علوم (الاستراتيجية) العسكرية .

معنى الحرب الوقائية :

يطلق هذا الاصطلاح على الحرب التي تشنها دولة على دولة أخرى معادية لها ، بأن تبادر بالهجوم عليها قبل أن تستكمل الدولة الأخيرة استعدادها للحرب وتتحشد قواتها وتبدأ عمليات الغزو العسكري . فالقصد من الحرب الوقائية - كما يستبين من وصفها - هو وقاية الدولة من الهزيمة العسكرية التي تتعرض لها إذا لم تأخذ هي زمام المبادرة بين يديها وتبدأ بتدمير الآداة الحربية للعدو قبل أن يدمر هو أدراتها . وينطبق على هذه السياسة العسكرية ذلك الشعار القائل : إن الهجوم خير وسيلة للدفاع

والإعيار الذي تأخذ به الدولة في تحديد الزمن الذي تبدأ فيه بشن حرب وقائية يستند إلى نظرية التوازن الدولي ، ومقتضاها أن تعمل الدولة على تدعيم طاقاتها الدفاعية بحيث لا تتفوق عليها الدولة المعادية ، أو - بصارة أخرى - بحيث لا تحتل كفتها في ميزان القوة العسكرية . وقياس كل دولة بالنسبة الأخرى يخضع للعوامل المادية والمعنوية وهي تكون

المعتدية بالباطل أنها تقوم بحرب وقائية وهذا ما تردده إسرائيل في تبرير هجائتها الغادرة التي تقوم بها حيناً بعد آخر على القرى العربية الآمنة الواقعة على خط الهدنة ، كذلك فإن إسرائيل تتذرع بنظرية التوازن الدولي لتخفي خلف ستارها نواياها التوسعية ورغبتها في السيطرة على الدول العربية تحقيقاً لشعارها المدون على جدران السكنيست (البرلمان الإسرائيلي) من الغرات شرقاً إلى النيل غرباً وتحصل بذلك على مزيد من العناد الحربي والاستراتيجي من الدول الغربية .

ولا شك أن مبادرة العدو الذي أجمع أمره على العدوان بهجمة خاطفة مباغنة يحقق للقائد أفضل الظروف المواتية للنصر ، من اختيار المرقع الملائم والفرصة المناسبة والزمن الأمثل ، وبذلك يمكن القضاء على إرادة العدو بالقضاء على قوته العسكرية وعدم إضاعة الوقت سدى في انتظار ما يختاره هذا العدو وترك زمام الحركة بين يديه ، ومن الواضح أن القائد لا يلجأ إلى الحرب الوقائية إلا بعد أن يحسب حسابه وبقية من نجاح خطته ويرى أن الإقدام على الهجوم لن يترتب عليه خسائر حربية جسيمة .

وكانت الحروب الوقائية التي قام بها الرسول تؤخذ صوراً مختلفة ، أهمها مداومة العدو في معقله أو مكان تجمعهم أو محاصرته حيث يقيم باعتبار أن هذا الهجوم أو الحصار هو الوسيلة التي لا مفر منها لمجابهة العدو ومفاجأته قبل تأهبه لشن الحرب أو لإلحاق الأذى

المعتدية بالباطل أنها تقوم بحرب وقائية وهذا ما تردده إسرائيل في تبرير هجائتها الغادرة التي تقوم بها حيناً بعد آخر على القرى العربية الآمنة الواقعة على خط الهدنة ، كذلك فإن إسرائيل تتذرع بنظرية التوازن الدولي لتخفي خلف ستارها نواياها التوسعية ورغبتها في السيطرة على الدول العربية تحقيقاً لشعارها المدون على جدران السكنيست (البرلمان الإسرائيلي) من الغرات شرقاً إلى النيل غرباً وتحصل بذلك على مزيد من العناد الحربي والاستراتيجي من الدول الغربية .

خطة الحرب الوقائية وصورها في الغزوات:
طبق المسلمون نظرية الحرب الوقائية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا رغبة في الحرب وإنما دفاعاً عن العقيدة والوطن فالإسلام دين سلام يشجب الظلم ويدن العدوان ، وقد شرعت الغزوات لدفع الفتنة والذود عن العقيدة لا للإكراه على اعتناقها وجميع هذه الغزوات حروب دفاعية سواء أكان المسلمون في موقف المهاجمين أم كانوا مهاجمين ، إذ كانت تفرض عليهم الحرب الوقائية أحياناً بوصفها خطة عسكرية لا مفاض من انتهازها لإحباط نية العدوان التي يبيتها الخصوم ودل عليها انتهاكهم للعهدود ونقضهم للبواثيق .

ومن المعروف لدى القادة العسكريين أن الحرب فنون كثيرة بمعنى أن ثمة أساليب

للمسلمين من طريق الشكك باليهود وتدمير
الفتن والمؤامرات والفتنة أشد من القتل .
هل كانت مقدمات غزوة بدر حرباً وقائية ؟
يذهب إلى ذلك أكثر المؤرخين .
ويصدق وصف الحرب الوقائية هل غزوة
بدر في مقدماتها كما يصدق على بعض الغزوات
الأخرى ، فلقد كانت هذه الحرب هي الخطأ
السليمة التي لا بد من لها في الخطط الحربية ،
ولم يكن من ثم مفر من انتهاجها بوصفها
ضرورة حتمية للدفاع عن العقيدة الإسلامية
وكيان الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة
بقيادة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويتبين
ذلك جلياً من استعراض الظروف والملازمات
التي أحاطت بالمسلمين في هجرتهم من مكة إلى
المدينة ، واتخاذهم لدار الانصار مقاماً لهم
يتأخرون فيه ، وحرصهم على صيانة دينهم ،
ونشرهم في الجزيرة العربية والقضاء على الحوائل
الفاشمة التي تصد عن سبيل الله متمثلة في العصبة
الباغية من قريش ، ومن تبعها من الموالى
والقبائل الأخرى المشايعة لها .

للمسلمين من طريق الشكك باليهود وتدمير
الفتن والمؤامرات والفتنة أشد من القتل .
هل كانت مقدمات غزوة بدر حرباً وقائية ؟
يذهب إلى ذلك أكثر المؤرخين .

ويصدق وصف الحرب الوقائية هل غزوة
بدر في مقدماتها كما يصدق على بعض الغزوات
الأخرى ، فلقد كانت هذه الحرب هي الخطأ
السليمة التي لا بد من لها في الخطط الحربية ،
ولم يكن من ثم مفر من انتهاجها بوصفها
ضرورة حتمية للدفاع عن العقيدة الإسلامية
وكيان الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة
بقيادة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويتبين
ذلك جلياً من استعراض الظروف والملازمات
التي أحاطت بالمسلمين في هجرتهم من مكة إلى
المدينة ، واتخاذهم لدار الانصار مقاماً لهم
يتأخرون فيه ، وحرصهم على صيانة دينهم ،
ونشرهم في الجزيرة العربية والقضاء على الحوائل
الفاشمة التي تصد عن سبيل الله متمثلة في العصبة
الباغية من قريش ، ومن تبعها من الموالى
والقبائل الأخرى المشايعة لها .

لقد أجلى المسلمون غصبا عن موطنهم مكة
حيث ديارهم وأبنائهم وأموالهم بغير جريرة
اقتروها إلا أن يقولوا ربنا الله ونحن قبلوا
السكوت على ما أصابهم في دينهم وأموالهم ،
فكيف يجوز لهم أن يسكتوا على وقوف
قريش موقف الصمد عن دينهم وتآليب
القبائل عليهم ، وهي لا شك فاعلة كيداً

العقيدة وسلامة الوطن :
اتجهت سياسة الرسول في رأى كثير من
المؤرخين إلى البدء بالقتال وهو ما يطلق عليه
الحرب الوقائية طالما أن قريشاً تركب رأسها
وتضمر الشر للإسلام ، وأن جميع الدوافع
إلى الجهاد متوافرة في نفوس المسلمين تحركهم ،
وتشيرهم . وبدأت الحرب الوقائية بعد ثمانية
أشهر من مقام الرسول والمهاجرين بالمدينة ،
إذ بعث محمد عمه حمزة بن عبدالمطلب في ثلاثين
راكباً من المهاجرين دون الانصار إلى شاطئ
البحر حيث لقي أباجهل بن هشام في ثلاثمائة
راكب من أهل مكة ، وكان حمزة على أهبه
مقاتلة قريش لولا أن حجز بينهم بحمدى
ابن عمرو الجهنى ، وكان موادعا الفريقين جميعاً ،
فانصرف بعض القوم عن بعض دون قتال .
كما بعث الرسول سرية أخرى لمناوشة قوافل
المشركين وتخويفهم حتى تنقطع قريش عن
التفكير في مهاجمة المسلمين ، وتبأس من قدرتها
على الصمد لهم عن دينهم وتآلفت هذه السرية

أولها : الوقوع على قوافل قریش في ذهابها إلى الشام أو هودتها منها حين رحلة الصيف واحتمال ما يمكن احتماله من الأموال التي تذهب هذه القوافل وتعود بالتجارة فيها . والمقصد الثاني : أخذ الطرق على قریش في رحلتها إلى الشام بعقد المصادقات والأحلاف مع القبائل المتصلة ما بين المدينة وشاطئ البحر الأحمر بما يسهل على المهاجرين مهاجمة هذه القوافل دون أن تلقى في جوار هذه القبائل ما يحميها من محمد وأصحابه ، حماية تمنع أخذ المسلمين رجالها ومالها أخذ هزين مقدر .

سرية عبد الله بن جحش :

وفي رأينا أن هذه السرايا سواء أطنقنا عليها غزوات أو مناوشات هي لإجراء عسكري يدخل في باب التدابير الحربية الوقائية ، طالما أن هذه الوحدات الحربية كانت مسلحة وكانت تمثل المبادرة والمبادأة في صراع العدو . والإسلام يفرض القتال دفاعاً عن النفس ودفاعاً عن العقيدة ، دفعاً لمن يريد قتل أصحابها عنها ، وهذه السرايا هي حرب عادلة ، وأقوى سند على ذلك هو حكم الله في سرية عبد الله بن جحش الأسدي .

في قوله تعالى : د يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسيح الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من

من ستين راكبا من المهاجرين بقيادة عبدة ابن الحارث ، فساروا إلى ماء بالحجاز ، فلقبهم به جمح من قریش يزيد على مائتين على رأسهم أبو سفيان ، فانسحبوا من غير قتال إلا ما روى من أن سعد بن أبي وقاص روى يومئذ بهم ، فكان أول سهم رمى به في الإسلام . بل إن النبي خرج بنفسه بعد اثني عشر شهرا من مقدمه إلى المدينة ، واستعمل عليها سعد بن هبادة وسار إلى غزوة (الأبواء) حتى بلغ (ودان) يريد قریشا وبنى خنبرة فلم يلق قریشا وحالفه بنو خنبرة . وخرج بعد شهر من ذلك على رأس مائتين من المهاجرين والأنصار إلى (بواط) ، يريد قافلة يقودها أمية بن خلف عدتها ألفان وخمسمائة بعير يحميها مائة محارب فلم يدركها ، فقد اتخذت طريقا غير طريق القوافل المعبد . ثم خرج في أكثر من مائتين من المسلمين بعد شهرين أو ثلاثة من عودته من بواط ، حتى نزل (العشيرة) من بطن (ينبع) فأقام بها شهرا وبعض شهر من السنة الثانية للهجرة ينتظر مرور قافلة من قریش على رأسها أبو سفيان ففاته ، وكسب من رحلته هذه أن وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني خنبرة

مقاصد التصدي لقوافل قریش :

وفي رأى المؤرخين أن المسلمين قد بادوا قریشا بالحرب في صورة تلك الغزوات المبذولة المسماة سرايا وغزوات تحقيقا لمقصدين ،

الحرب الوقائية في بدر :

من استعراض وقائع غزوة بدر يتبين أنها كانت حرباً وقائية هدف النبي وأصحابه من خوضها إلى الدفاع عن العقيدة وما تمثله من القيم والمثل الخالدة ، ولم تذهب قلة هددتهم وهدتهم عن عزمهم ، إذ لم يكن مفر من مجاهدة المشركين الذين صدوا عن المسجد الحرام وعن سبيل الله ، ولئن سكنت المسلمين على تهديد قريش لهم ، تمادت العصبة الباغية وفي عدوانها ، واستمرت في حصارها المسلمين ومنعهم عن نشر دين الله . ولم يكن ثمة سبيل لاتقاء المخاطر غير الحرب التي تفضي على عدة المشركين الحربية ، ومن ثم كان النبي يحرض أصحابه ويدفعهم لمقاتلة العدو والصيغة بهم أن الجنة لمن أحسن البلاء منهم ومن غنم يده في العدو حامراً ، وكان يرجو اسقنصال هدوء الله وهدوءه ، حتى تعلق كلمة الحق ويسقط البغي والعدوان .

وقد ورد على الحاطر هذا السؤال : أكانت غزوة بدر حرباً وقائية ولم يتجاوز فيها حدود المحاربين المسلمين ثلاثمائة ، والرد على ذلك بالإيجاب ، فلقد كانت تلك الموقعة حرباً وقائية شاملة بمفهومها المتعارف عليه ، إذ لم يكن في طوق المسلمين أن يحشدوا لها أكثر من هذا العدد ، يتبين ذلك إذا لاحظنا أنه لم يتخلف بغير عذر مسلم قادر على القتال من المهاجرين والأنصار على السواء ، وكان من

القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا .

مشروعية الحرب الوقائية في الإسلام :

فإنه تعالى يشرح القتال دفاعاً للمظلوم من صد عن سبيل الله ، وكفراً به ، وصد عن المسجد الحرام ، وإخراج أهله منه ، وفتنة الرجل عن دينه بالوعد والوعيد والإغراء والتعذيب ، فهذه جميعاً أكبر من القتل في الشهر الحرام وفي غير الشهر الحرام وقريش والمشركون الذين ينعون على المسلمين ما قتلوا في الشهر الحرام أن يزالوا يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا . فلا جناح على من تقع عليه أوزار المشركين وكبائرهم هذه إن هو قاتلهم في الشهر الحرام . وإنما الكبيرة أن يقاتل في الشهر الحرام من لا يهتج من هذه الأوزار وزراً .

ومن يتأمل في هذا المبدأ الإلهي ، يتبين له أن مثل هذا القتال الذي يشنه المؤمنون في هذه الظروف يسمى في المصطلح الحديث حرباً وقائية لأنها الحرب التي لا مفر منها لوقاية العقيدة والدفاع عن النفس بالمبادرة إلى الهجوم ، ومداومة قبائل قريش نوع من الحرب الوقائية إذ يقصد بها القضاء على مصادر قوة العدو منعاً من استخدامها في العدوان ، وكان المصدر الأساسي لأداة الحرب عند قريش هي تجارتهم إلى الشام ، وكانت تجارة واسعة النطاق .

وبدأ الرسول يمكن للدولة الإسلامية وينصرف لتنظيم شئون الرعية ولكن عينه كانت على بلاد العرب جميعاً من أقصاها إلى إلى أقصاها حتى لا يؤخذ على غرة من قد تسول لهم أنفسهم الانقضاض على الإسلام . وصدق حدس الرسول عليه السلام إذ نبى إليه أن الروم يجهزون جيوشاً لغزو حدود العرب الشمالية المتاخمة للدولة الرومانية . فعقد النبي العزم على الحرب الوقائية صيانة لعقيدة التوحيد وذوداً عن دولة الإسلام . ولم يتردد في التصدي لهذه القوى العاشمة ومداهمتها قبل أن تداهمه .

ولم تكن مثل هذه الحرب يسيرة على المسلمين إذ كان الوقت صيفاً والقيظ شديداً ، والمسافة بين مكة وبين الشام حيث سلطان الروم طويلة شاقة تهمّاج إلى الصبر وقوة التحمل وإلى حفظ خطوط التموين والإمداد بالماء والزاد والعدة الحربية ، فضلاً عن ذلك كله فإن الروم معروفون بكثرة العدد ووفرة العدة . بيد أنه لا مفر من الحرب الوقائية ، ولا بد من إعداد المسلمين لها نفسياً ومادياً حتى يأخذوا أهبتهم لحوض القتال ... ومن ثم حرص الرسول المؤمنين على التهيؤ لغزو بلاد الروم ، فتدافعوا يلبنون النداء مقدمين بين يدي الرسول أموالهم بل أرواحهم رخيصة في سبيل الله . ولكن المنافقين الذين دخلوا في الإسلام رغماً ورهباً

الطبيعى أن يقيم في مكة بعض الرجال لا تخلفاً من الحرب وإنما للاضطلاع بشئون المدينة ، فالحرب كانت تشمل العسكريين والمدنيين جميعاً ، فلعل دورهم الذي نهض به . وآية ذلك أن محمداً عليه السلام جعل قسمة الغنائم - غنائم الغزو - بين المسلمين على السواء ، فكان لمن تخلف بالمدينة فلم يشهد بدرأ حصّة يستوى في ذلك من كان قائماً في يثرب يعمل للمسلمين ، ومن تخلف عن الخروج إلى بدر لعذر قبله الرسول . وهكذا قسم الرسول الغنائم بالقسط ، فليس المقاتل وحده هو الذي اشترك في الحرب والنصر ، بل اشترك في الحرب والنصر كل من كان لعمله في الفوز أياً كان هذا العمل ، وفي ميدان القتال كان أو بعيداً عنه .

غزوة تبوك حرب وقائية :

ويصدق وصف الحرب الوقائية على بعض الغزوات الأخرى التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسوف نختم هذه الدراسة بغزوة تبوك باعتبارها نموذجاً لمثل هذه الغزوات . فلقد تم فتح مكة ونصر الله المسلمين نصراً عزيزاً ، واستقر لهم المقام في أم القرى بعد أن كانوا قد أخرجوا منها ونزحوا عن مواطنهم بها ، وطهر النبي مكة من آثار الوثنية ، ورفع فيها منار التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجا واستتب الأمن في ربوع مكة .

وأموالهم ولوقف انتشار دهرتهم ، فبدأ الجيش الإسلامي العظيم مسيرته الكبرى باسم الله ، متغلغلا في أعماق الصحراء ، مستهيناً بالحر والظما ومشقة الطريق مستجيباً لدعوة القائد الأعظم ، رائع المهابة ، بادی القوة مرتفع الروح المعنوية كأنما يحمل بين جنبيه قلب رجل واحد .

ولقد تقدم كل قادر على نفقة نفسه بعدته ونفقته وأقبل كثيرون من الفقراء — وبالروحة البذل والفداء — يريدون أن يحملهم النبي معه ، فحمل منهم من استطاع ، واعتذر الى الباقين وقال : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ، ولبكتهم هذا أطلق عليهم اسم (البكائين) .

ويحق القول في هذا المقام : إن التاريخ لم يسجل في صفحاته التي تروى وقائع التضحيات والبطولات واقعة شرف فيها البكاء وارتفع فيها قدر الباكين مثلما سجل في جيش العسرة ، ولقد أطلق هذا الاسم على جيش رسول الله في غزوة تبوك لشدة ما لاقى منذ بدء تجهيزه ، تلك الشدة التي لم تكن من هزم القائد الأعظم وجنوده على مقاتلة الروم في عقر دارهم ، ذلك أن الحرب الوقائية تفرض على المحاربين فرساً مهما جشمتهم من عناء وكبتهم من نفقة ، لأنه لا سبيل غلظتها لكيف أذى العدو ولتأمين العقيدة والوطن .

يتخلف بغير هذر مسلم قادر على القتال من المهاجرين والانصار على السواء ، وكان قد قال قوم منهم بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، ، فزل قوله تعالى :

« وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً ولا يبكون كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ، » وعمد بعض أولئك المتنافقين إلى تضليل الناس وتحريضهم على التخلف عن الحرب فأخذهم الرسول بالشدّة وأمر بتأديبهم جزاء عصيانهم وتمردهم وتثبيطهم همم الناس عن الجهاد ، فامتلأوا وأذعنوا وكفوا مقهورين عن غيهم وتسابق المسلمون القادرون في الإنفاق على تجهيز الجيش وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقد بلغت عدته ثلاثين ألفاً من المسلمين منهم عشرة آلاف فارس ، ونقبين من كثرة هذا العدد إحدى خصائص الحرب الوقائية بمعناها الحديث ، فهي حرب لتقرير المصير أو هي بعبارة أخرى حرب بقاء أو فناء ، فلا مفر من أن يحشد القائد فيها كل ما يستطيع من قوة كي يتمكن من القضاء على جيوش العدو وصدق الله العظيم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، » .

وصدر أمر الرسول للقائد بالتحرك إلى الشام لمباغمة الرومان قبل أن يجهزوا أنفسهم ويعبدوا قواهم للاعتداء على ديار المسلمين

يُشرب . وانقض خالده على رأس خمسمائة فارس
فما وجد مقاومة تذكر وأسر أكيدر وهدده
بالقتل إن لم تفتح المدينة أبوابها . ففتحت
الأبواب فداء لأميرها وعاد خالده إلى المدينة
ومعه كثير من الغنائم . وأسلم أكيدر
وأصبح حليفاً للرسول .

وكذلك أقام الرسول - بهذه الغزوة - بلاد
الشام الواقعة على الحدود بين الروم والمسلمين
معاًقلاً بينه وبين الروم .

ومثلما كانت غزوة بدر التي نصر الله فيها
رسوله وكانت أول الغزوات حرباً وقائية
كانت خاتمة الغزوات وهي غزوة الجندل
حرباً وقائية ، ولسكتنا الغزوتين أهمية كبيرة
في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد استقر
بغزوة بدر الأمر للمسلمين في بلاد العرب
جميعاً ، وكانت مقدمة وحدة شبه الجزيرة
في ظلال الإسلام ، ومقدمة الامبراطورية
الإسلامية المترامية الأطراف والتي أقرت
حضارة غيرت مجرى التاريخ في العالم ووجهته
في طريق الخير والرحمة والحرية والفضيلة ،
كذلك ، فقد تمت كلمة الحق في شبه الجزيرة
العربية كلها بغزوة تبوك ، وحققت الأمن
للإسلام والمسلمين ، فسارت الدعوة في سبيلها
وأقبل سائر العرب على المدينة يقدمون الطاعة
بين يدي الرسول ويعلنون لله الإسلام ؟

حسن فتح الباب

ماجستير في العلوم السياسية

وسار جيش رسول الله في زحفه العظيم
حتى بلغ تبوك ، وكان الرومان قد نعى إليهم
أمر الجيش الإسلامي وقوته ، فأثروا
الانسحاب من الحدود والاحتفاء داخل بلاد
الشام في حصونها انتقاء لبأس المسلمين ، ولم
ير الرسول أن يتابعهم ، فأقام عند الجندل
يكفلها حتى لا يتخطى إليها أحد ، ووجه إلى
يوحنا بن روبة صاحب (أيلة) - وكان أحد
الأمراء المقيمين على الحدود - رسالة أن
يذعن أو يغزوه ، وفي هذا أبلغ الدليل على
أن غزوة تبوك كانت حرباً وقائية ، بمعنى
أنها مبادرة بالهجوم على العدو في بلاده
وليس انتظاراً داخل حدود الموطن للدفاع
عنه ورضخ الأمير وصالح النبي وأعطاء
الجزية وحذا بعض حيرانه على الحدود
حذوه ، فكاتب لهم رسول الله كتباً أمن
تضمنت شروط المعاهدة وأمرها دفع الجزية
والسكف عن مقاومة المسلمين وذلك في نظير
تأمين هذه البلاد .

* * *

وبأنسحاب البيزنطيين ، ومعاهدة أهل
الحدود ، حققت غزوة مؤتة أهدافها ، لولا
خشية انتفاض (أكيدر بن عبد الملك الحكيدي)
النصراني أمير (دومة) وتقديمه العون لجيوش
الروم إذا زحفت من ناحيته ، ومن ثم
أصدر النبي أمره إلى خالد بن الوليد أن
يهاجم دومة الجندل ثم عاد النبي بجيشه إلى

شخصية العقوبة في القانون المقارن

للأستاذ الدكتور مختار القاضي

ولكن هناك أمراً أكثر مما ذكرت دقة في الفهم والتأصيل ، وهو الأمر الذي اختلفت فيه الشرائع المتحضرة اختلافاً بيناً . ويمكن أن نوضحه بمثال : شاب اقترف جريمة سرقة فهو مسئول عنها . ولكن هل يكون من العدل أن نعاقب هذا الشاب إذا كان قد نشأ منذ طفولته في بيئة يعمل أهلها قطاعاً للطرق وممنصبين يستحلون أموال الناس بالباطل . ما ذنب هذا الشاب الذي تلقى من قومه هذه النقيصة ، ولماذا نعاقب هذا المجرم على فعله المباشر بينما يشترك معه آخرون في ارتكاب هذا الفعل وخلق أسبابه ؟ ألا يحل هذا بمبدأ شخصية العقوبة إذا نظرنا إلى هذا المبدأ نظرة واسعة ؟

لقد قامت في العصر الحديث في إيطاليا مدرسة ، سميت نفسها : المدرسة الإيطالية الوضعية ، قامت بوضع هذه المشكلة أمام العلماء المتخصصين في علم الاجتماع القانوني ، وتزعم الدفاع عن هذا الوضع المعقد أصاغة أعلام أمثال : لومبروزو ، وفيري ، وجاروفالو ، وجراماتيكا . وانتهوا إلى تقسيم المجرمين أنواعاً ثلاثة : مجرم بالصدفة ، وهو الرجل الذي ائتمت لديه صفات الإجرام ، ولكن شيئاً أثاره فلم يستطع أن يمسك أهصابه أو يسيطر على عواطفه وارتكب

شخصية العقوبة ، أي هدم تعديتها إلى غير المجرم ، مبدأ من المبادئ العتيقة في التشريعات المتحضرة . وهو مبدأ عرفته الشريعة الإسلامية في قوله تعالى : ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ، ولكن هذا المبدأ لم يطبق في المجتمعات البدائية . حيث كان الأبناء يؤخذون بذنب آبائهم والزوجات بذنب أزواجهن ، وحيث كانت القبيلة كلها تعاقب إذا اقترف أحد أفرادها ذنباً في حق قبيلة أخرى ، حتى ولو كانت قبيلة الجاني غير راضية عن فعله : بيد أن القوانين المتحضرة عندما أخذت بمبدأ شخصية العقوبة ، اختلفت في تطبيق هذا المبدأ . ففصّل نطاقه أو اتسع وفقاً لدقة هذه الشرائع ولسمعة نظرتها الاجتماعية لأسباب الجريمة .

والأمر الذي لا شك فيه أن الشرائع المتحضرة جميعها مجمعة على أن فعل الجاني لا يسأل عنه غيره ، إلا إذا كان هذا الغير مسؤولاً شخصياً عن حركات المجرم أو أفعاله ، كمسؤولية الأب عن أفعال ابنه ، فإن الأب يسأل عن هذه الأفعال بسبب إهمال وقاية الابن ، ومادام الإهمال منسوباً إلى الأب ، فمقاب الأب لا يكون بسبب فعل منسوب إلى الابن ، بل بسبب فعل منسوب إلى الأب نفسه وهو الإهمال . أما فعل الابن ذاته فقد يعاقب عليه الابن نفسه .

يرتكبه المجرم ، فإن كان من فعله عوقب عليه فهي إذن مدرسة شكلية تأخذ بالظاهر ولا تتعمق الأسباب الدفينة ولا تحلل الفعل تحليلًا نفسياً دقيقاً . ومع ذلك فقد تأثر القانون الفرنسي تأثراً ملحوظاً بالمدرسة الإيطالية حيث بدأ الانجاء في التشريعات الجنائية الفرنسية يقبلون حول إعطاء القاضي سلطة أوسع في تقدير العقوبة والتوسع في حالات رد الاعتبار وتخفيف القاضي بين أكثر من نوع من العقوبة .

والمتمم في مبادئ الشريعة الإسلامية يستطيع أن يؤكد أن هذه الشريعة وقفت من هاتين المدرستين (قبل أن تنشأ) موقفًا وسطاً : فيها لا شك فيه أن الإنسان الحر العاقل الرشيد لا بد أن يسأل عن فعله وهذا أمر تقتضيه ضرورة اجتماعية ملحة . ونحن إن لم نفعل ذلك اختل النظام العام وأصبح الناس عرضة للتهب والسلب والقتل . ومع ذلك فقد رأت هذه الشريعة أن ينال المجرم نوعاً من العدالة كبيراً وجديراً بأن يمحو زلاته الناشئة عن طبيعة موروثة أو بيئة محيطة أو ظرف طارئ .

والشريعة الإسلامية لا تنهج منهاجاً فلسفياً كما نهج الوضعيون الإيطاليون ولسكنها تأتي بالأحكام وعلى الناس ، إن أرادوا ، أن يكشفوا عللها وأصنافها .

لقد شرعت هذه الشريعة الوسط نوعاً جميلاً من العلاج حين أباحت العفو عن المجرم

جريمة وقد أسف وندم بعد ذلك . ويجرم بطبيعته ، وهو الرجل الذي نشأت في دمه الجريمة ، وعادة ما يكون الإجرام موروثاً عنده من أب أو أم أو جد أو جدة . مثل هذا الشخص يرتكب الجريمة والإيذاء حباً في الإيذاء . ورجل ثالث نشأ في بيئة دنسة وإن كان أصله طيباً وعصره مسالماً إلا أن البيئة لقنته دروساً في الإجرام ، فهو لا يسأل عن جرمته وحده بل يشارك فيها أولئك الذين عاصروه في بيئته وعلوه الإجرام .

إن الوضعيين الإيطاليين نظروا إلى المجرم من هذه الزاوية واعتبروه في كثير من صور الإجرام السابقة ، مجنناً عليه لا جانياً واقترحوا في سبيل ذلك أنواعاً من العلاج مختلفة ، وتعبيرات أطلقوها على المجرمين لتخفف من أذاها النفس عليهم فهم يعبرون عنهم أحياناً باسم المرضى وأحياناً أخرى باسم المجنن عليهم . وعاملوا هؤلاء الناس معاملة رحيمة وأعطوا للقاضي سلطة واسعة في تخفيف العقاب عنهم ، أو الأمر بعلاجهم علاجاً نفسياً ، ولم يروا أن يعدم إلا أولئك الذين لا يمكن علاجهم وهم المجرمون بطبيعتهم الذين تحاد البيئة الاجتماعية في أسرهم ولا تنقذ أذاهم إلا بإعدامهم أو إبعادهم عن المجتمع مدى الحياة .

هذه هي المدرسة الإيطالية ، وهي تخالف المدرسة الفرنسية التي لا تتعمق أسباب الجريمة بل تنظر إلى العمل المادي المباشر الذي

الموسوعة العربية الميسرة

بإشراف المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال

للمؤلف محمد الدروبي

١ — الموسوعة العربية الميسرة دائرة معارف عربية عامة ، أخرجتها مؤسسة فرانكلين حديثاً ، وقام بإعداد موادها عدد غير قليل من أساتذة الجامعات والمختصين في الوطن العربي ، وأشرف عليها المؤرخ المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال ، وقد ظهرت في مجلد واحد أربعت صفحاته على الألفين . وقد جاء في مقدمة هذه الموسوعة أنها جهد جماعة من المديين كل في اختصاصه ، وقد روعي

في كل مادة تخصص اختيار الذي يكتبها وقدرته على جمع المعلومات العديدة ، ثم تمييز الأهم فيها من المهم ، وهي عملية عسيرة ، ثم إخراجها في أوضح أسلوب وأشد اختصاراً ، كما جاء في المقدمة أيضاً أن المادة الواحدة يكتبها عدة مختصين كل في دائرته ، ثم تجمع هذه السكتات لتخرج مادة واحدة متناسقة تدل على تعاون العلماء من جهة ، وتدل على احترام التخصص إلى أبعد مدى من جهة أخرى ، هي

(بقية للصفحة السابقة)

عند التوبة مقدرة أن المحرم التائب إنمّا يندم على فعله إذا كان . قد انساق إليه بمحض المصادفة دون أن يريده حقاً وأنه حين يندم في بعض الأحيان الأخرى إنمّا يكون الندم لأنه عاش في بيئة فاسدة فهو يريد أن يتعد عنها . فالتوبة تغدو بأن المحرم قد قاس جرمه وعرف أسبابه وأخذ يتجنب تكراره في المستقبل . والمشرع يقدر في نفس الوقت أن الجريمة قد تكون أثراً من آثار الظروف المحيطة ، فلا يسأل عنها المحرم وحده ، فلا أقل من أن نعطيّه فرصة ليفكر في تجنب الأفعال المماثلة في المستقبل . ولو طاقبناه رغم التوبة

لاحتمل أن يكون هذا العقاب من فعله المباشر وفعل غير مباشر لغيره . ومن أجل ذلك أباح الشريعة الإسلامية التصالح في معظم الجرائم تقريباً ، على خلاف بسيط في المذاهب . ومبدأ التصالح مكمل لمبدأ التوبة .

ولكن المشرع الفرنسي لم ير الأخذ بالفلسفة الوضعية الإيطالية ، ولا الأخذ بالمبادئ المقررة في الشرائع السماوية ، واختط لنفسه نهجاً رومانياً جافاً وهذا ما تعانى به البيئة الفرنسية والبيئات التي أخذت عن التشريعات الفرنسية قوانينها الجنائية ؟

تتار القاضي

والسياسية ، فضلاً إذا تحدثت عن علم من أهلام العرب ، أو عرضت لأحداث التاريخ العربى ، فإنها تكتفى بذكر التاريخ الميلادى فقط ، لو كانت هذه الموسوعة تخاطب أمة غير عربية ، أو غير إسلامية ، ما كان هناك اعتراض على ما فعلت ، ولكن الموسوعة عربية وتخاطب المثقف العربى بما يهمه — كما ذهبت المقدمة — ولذا كان إهمال التاريخ المجرى قطعاً للروابط التى تربط المثقف العربى بتاريخه وحضارته ، لأن تاريخنا الفكرى والسياسى مرتبط فى أذهان المثقفين العرب وحتى بعض الأجانب من المستعمرين بالتاريخ المجرى ، ومن يتصفح كتب التاريخ والتراجم العربية يجد أنها واكبت التاريخ المجرى وصاحبه حتى الآن ، مثل تاريخ الطبرى وابن كثير ، وطبقات الشافعية للسبكي ، والدرر الكامنة لابن حجر ، والضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى . إلخ فإذا عرفنا أن المصادر التى رجع إليها لتحرير المواد العربية فى هذه الموسوعة ، تقتصر على التاريخ المجرى فقط ، أدركنا مدى الجهد الضخم الذى بذل من أجل إهمال هذا التاريخ ، وطالعتنا حقيقة خائرة وهى أن إهمال التاريخ المجرى جاء قصداً ولغاية خاصة ، ولو أن الموسوعة أهملت التاريخ الميلادى بحجة أن المصادر العربية القديمة لا تذكره ، فقد يلتمس لها بعض العذر فى

جهود كبيرة متعاونة ، ولقد عملت هذه الجماعة وفق أحدث الأساليب فى عمل الموسوعات . ٢ — وقد تطرقت المقدمة إلى الحديث عن سبب تسمية الموسوعة فقالت : إنها موسوعة ، لأنها تهدف إلى جمع المعلومات الأساسية العلية والتاريخية حول مسمى بعينه ، وأما أنها ميسرة ، فلأنها فى مجلد واحد مختصرة ، سهلة التناول ، والمعلومات فيها تخاطب المثقف العربى بما يهمه ، سواء أكانت عربية ، أم عالمية ، ولهذا كانت أول موسوعة عربية بمعنى الكلمة ، فهل تعد هذه الموسوعة أول موسوعة عربية بمعنى الكلمة ؟ وهل المعلومات التى اشتملت عليها تخاطب المثقف العربى بما يهمه كما ذهبت المقدمة ؟ وهل التزمت الموسوعة بمنهجها الذى أشرت إليه آنفاً ؟

لقد قرأت هذه الموسوعة من ألفها إلى يائها قراءة واعية متأنية ، فبدت لى بعد هذه القراءة مأخذ كثيرة ، واستجابة لما جاء فى مقدمة الموسوعة من أنها قطع فى أن تتلقى عشرات بل مئات من الملاحظات فى النقد الأمين المختص ، لتكون طبعها المقبلة أقرب إلى السكال — فإنى أذكر أهم هذه المآخذ .

٣ — أول ما يؤخذ على هذه الموسوعة أنها أهملت ذكر التاريخ المجرى ، وكأنها بذلك لا تعترف بهذا التاريخ ، ولا تراه جزءاً لا يتجزأ من حياة العرب الفكرية

فضلا عن أن المعرفة لا وطن لها ، غير أن الذى أود أن أقوله : هو أن الناحية القومية كان يجب أن تكون أبرز ما فى هذه الموسوعة إلا أنها جاءت - مع الأسف - ضئيلة ومبتورة ومشوهة .

وإذا أضيف إلى ما سبق أن المواد الأجنبية فى معظمها لا تهتم المثقف العربى من قريب أو من بعيد ، مثل الحديث عن بعض المدن والأعلام (كرنيه لاليك) المصمم الفرنسى للزجاج والمجوهرات ، و(سوليغان) الذى كان وزيراً للبحرية الأمريكية فى وزارة الدفاع سنة ١٩٤٧ ، تبين لنا أن الذين قاموا بأمر هذه الموسوعة قد لجأوا إلى دوائر المعارف الأجنبية ، وترجموا ما شاء لهم أن يترجموا - دون تحديد دقيق لما يجب أن يترجم - وهم قد أشاروا فى مقدمة الموسوعة إلى اعتمادهم على موسوعة (كولمبيا فايكينج دسك) الأمريكية ! هل أن هناك أعلاما ترجمت لهم الموسوعة دون أن تشير إلى دورهم البارز فى الإساءة إلى العرب مثل لورنس وتشرشل وغيرهما ، وكان الأخلق بموسوعة عربية تخاطب المثقف العربى بما يهمه - كما تذهب المقدمة - أن تكون عوناً له على معرفة من مزقوا وطنه ، ومكنوا لليهود فى بلاده ، والغريب أن مقدمة الموسوعة تقول : وهو أطفنا العربية ظهرت ولا شك فيما كتبنا ، والواقع أن العواطف الأجنبية - وبخاصة الأمريكية -

هذا ولسكن أى هذر فى إغفال التاريخ الهجرى يمكن أن يدرأ عنها تبعه النقص والقصور ، ويحول دون انتمائها بقطع الأوصال التى تربط المسلمين بتاريخهم وحضارتهم ؟ وما الذى كان يضير لو نصت الموسوعة على التاريخين الهجرى والميلادى معاً ؟ ...

٤ - كذلك يؤخذ على هذه الموسوعة أنها لم تكن لديها خطة منهجية فى التحديث من الموضوعات التى يجب أن تشتمل عليها ، ففى تنقل القول عن كثير من الأعلام ، أو البلدان العربية ، فلا تتحدث عن محمد توفيق رفعت الذى كان أول رئيس للجمع اللغوى ، ولا عن أحمد إبراهيم الفقيه اللغوى الذى امتاز فى أبحاثه بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع الوضعية ، وكذلك الشيخ أحمد السكندرى العالم اللغوى الضاليع إلى غير هؤلاء . بما لا مجال هنا لحصره وذكره وقد لاحظت أن الموسوعة فيما يتعلق بالأعلام أو البلدان الأجنبية ، وبخاصة الأمريكية تحاول الاستقصاء ، ومن يطالع هذه الموسوعة تقابله صفحات تربو على الثلاثين لا ترد فيها كلمة عن موضوع عربى ، وكان من نتيجة هذا طغيان المادة الأجنبية على المادة العربية ، بحيث أصبحت هذه وكأنها هى الأجنبية ، ولست أعنى أن الموسوعة كان يجب أن تكون خالصة للموضوعات القومية ، فطبيعة الموسوعات ترفض هذا ،

الاتجاهات الفردية والمذاهب الشخصية هي التي صبغت الموسوعة بهذه الصبغة ، وأن الموسوعة قد افترقت المهندس الذي يشذب ويضيف وينسق ، بحيث تبدو في النهاية نمطا واحدا ، وكأنها من عمل فرد واحد .

٦ — وكان من جراء تحكم الاتجاهات والأمرجة الفردية ، ظهور التفاوت العجيب بين مواد الموسوعة من نواح مختلفة ، فمثلا يكتب عن أبي هريرة الصحابي الجليل نحو خمسة أسطر ، على حين يكتب عن أبي الهول أكثر من عشرين سطرا ، يكتب عن المثني ابن حارثة الصحابي البطل ، والقائد المظفر الذي كان له الفضل الأول في فتح العراق ، عبارة مقتضبة ناقصة في سطر ونصف كذلك يكتب عن الشيخ السجيني أحد شيوخ الأزهر عبارة مضطربة في نحو ثلاثة أسطر ، ومثل هذا كثير وشائع في الموسوعة ، غير أنني لاحظت أن كل ما يتصل بغيرنا يحظى باهتمام وعناية لا يحظى بهما ما يتصل بنا ، فأطول مادة في الموسوعة كتبت عن الولايات المتحدة الأمريكية جاءت في خمس صفحات أما ما كتب عن الإسلام وتاريخه وعقائده وعدد المسلمين في العالم الآن فقد جا. في نحو ثلاث صفحات .

وإذا كانت المقدمة تقول بأن المسادة الواحدة يكتبها عدة متخصصين كل في مجاله ، ننطق

كانت أكثر جلاء ووضوحا وأن العواطف العربية كانت غريبة في هذه الموسوعة .

٥ — والموسوعة قد ترجمت لبعض الأعلام الأحياء ، غير أنها لم تتبع خطة منهجية في هذا أيضاً ، فهي قد تحدثت عن حميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، والاستاذ محمود تيمور ، والاستاذ توفيق الحكيم . الخ ، غير أنها لم تتحدث عن الاستاذ أحمد حسن الزيات الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء مجلة الرسالة التي ظلت أكثر من عشرين عاما تحمل راية الأدب الرفيع وتجمع بين الماضي والحاضر على مدى وبصيرة ، وكان لها دورها الكبير في إحياء النهضة الأدبية الحديثة لا في مصر وحدها بل في العالم العربي كله ، ومثل هذا كثير والتجعب والإحصاء له مجال آخر .

ومما يتصل بالناحية المنهجية أن ترتيب المواد لم يخضع لخطة سليمة تسهل مهمة الرجوع إلى الموسوعة فمثلا بالذنب للأعلام - وبخاصة العربية - ترتب أحيانا تبعا للألف ، وأحيانا تبعا للكيفية ، أو الاسم دون التزام منهج واضح في كل ذلك ، وهذا يوقع القارئ في حيرة حين يود معرفة شيء من علم ما فإنه مضطر إلى البحث في كل المظان التي يمكن أن يرد فيها هذا العلم ، وهذا عيب كان يجب أن تسلم منه الموسوعة ، ولكن يبدو أن

الشاطبي قدمس هذه الناحية مساهماتاً خفيفاً في مقدمات الكتاب إلا أنه أساساً في أصول الفقه ، والاقتصار في التعريف بالكتاب على ما ذكر نقص قد يوم القارئ غير المتخصص أن الكتاب في أصول الأحكام التعليمية بمفهومها الحديث ، وهذا غير صحيح فكتاب الموافقات من أمهات الكتب في أصول الفقه ، فبرز قيمته في حملته على التقليد والتعصب المذهبي ، ودعوته إلى الاجتهاد والنظر العقلي . ولست أدري لماذا لم يتحدث الموسوعة عند ترجمتها للإمام ابن حزم عن كتابه (المحلى) مع أنه أهم كتبه ، ويمثل الفقه الظاهري أصدق تمثيل ، وهو أولى في الذكر من كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) وكما سبق أن ذكرت لست في مجال الإحصاء بل ضرب الأمثلة بحسب .

٧ - أما الأخطاء العلمية في هذه الموسوعة فهي كثيرة ومبعثرة في تصانيف موادها ولا مجال هنا لحصرها وتصنيفها - على أن الدكتور عبد العزيز مطر قد ذكر بعضها في صحيفة الأهرام - غير أنني أود أن أشير هنا إلى بعض الأخطاء التي جاءت - فيما أظن - نتيجة للتأثر بالآفكار الاستشراقية ؛ نظراً لخطورتها ، فمثلاً ترجمت الموسوعة لجولدستهر المستشرق المجري المعروف فقالت عنه : إنه يعد من أوسع المستشرقين علماً وأهراً فهم بالإسلام ، وأفهمهم لعقائده الدينية واتجاهاته

وتحرر أخيراً في صورة متكاملة دقيقة ، فإن هذا لم يتحقق في كثير من المواد مما يؤكد سيطرة الاتجاهات الفردية والخاصة ، فمثلاً عند الكلام على تحريم الخمر ، أو التوحيد العنصري انصب القول كله على ما فعلته الولايات المتحدة لتتبع الخمر والفضاء على التمييز العنصري دون أن يشار إلى الإسلام وموقفه بكلمة واحدة ... ومثل هذا كثير ٧ - وقد تعرضت الموسوعة للحديث عن بعض المسائل الفقهية في الشريعة الإسلامية وعن بعض أعلام الفقهاء ، وأشهر مؤلفاتهم ولكن هذا الجانب الجليل من تراثنا وثقافتنا جاء الحديث عنه مضطرباً وقاصراً في كثير من المواضع ، فالكلمة التي كتبت عن مادة « فقه » غير دقيقة كما أنها غير وافية والنص فيها على أن معرفة وجوب الصلاة من الفقه لا معنى له ، لأن معرفة وجوب الصلاة مثل معرفة وجوب الحج والزكاة والصيام من الأمور التي يجب أن يعرفها كل مسلم فقيهاً كان أو غير فقيه ، وعند الحديث عن أنواع الصلاة أهملت صلاة الاستسقاء ، وجاءت ترجمة الإمام الشافعي خالية من الإشارة إلى مذهبيه القديم والجديد ، وجاء الكلام عن كتاب « الموافقات في أصول الأحكام » للإمام الشاطبي بأن المؤلف قد تعرض في هذا الكتاب إلى التربية والتعليم فجاء ببحث طريف في التوجيه المهني ... الخ ومع أن الإمام

٨ - وبعد فقد كنت أطمح حين تناولت هذه الموسوعة لأقرأها أن أجد عملاً تفخر به المكتبة العربية في العصر الحديث، وأن تكون بداية طيبة لانطلاقة جبارة نحو عمل الموسوعات التي نخدم ثقافتنا القومية ، وتربطنا في الوقت نفسه بمجهر الثقافات العالمية ، غير أنني لم أجد في هذه الموسوعة ما تمنيت ، وتألمت ؛ لأننا نخدم ثقافة غيرنا وتدعو إليها أكثر مما نخدم ثقافتنا ، ومن ثم فليست أول موسوعة عربية بمعنى الكلمة ولا تخاطب المثقف العربي بالمعلومات التي تهتم - على خلاف ما ذهب المقدمة - وإذا كان القارئ على أمر هذه الموسوعة يعدونها مجرد البداية المتواضعة في صلب الموسوعة العربية الكبرى وإذا كانوا أيضاً يرغبون في معرفة رأى القراء لتكوين الطبعة المقبلة أقرب إلى السكال ، فإنني أدهو كل مثقف غيور على تراثه أن يدلى برأيه ، فقد يبدو لغيرى ما لم يدلى من مأخذ لتظهر الطبعة الجديدة في صورة غير هذه الصورة ، في صورة عربية أصيلة مادة وروحا ، وإلا فلتحمل الموسوعة في طبعها الثانية عنواناً غير عنوانها ، وليكن (الموسوعة الأريسية العربية) فهو أدق عنوان - فيما أرى - يمكن أن يصدق عليها في صورتها الراهنة ؟

محمد المصطفى

المحرر بمجمع اللغة العربية

الذكورية ، هذا المستشرق الذي يقول بأن التوحيد مذهب عسير الفهم ، أما التثليث فذهب واضح في فهم الألوهية ^(١) ، والذي قال بأن الإسلام قد أخذ عن اليهودية كثيراً من تعاليمه ^(٢) والذي طعن في السنة ورجالها وتدوينها ، هذا المستشرق الذي صدرت منه مثل هذه الآراء أو الأباطيل ، يعد من أعرف المستشرقين وأعلمهم بالإسلام ، وأنهمهم لعقائده ومذاهبه ١٩

والحروب الصليبية تقول هنا الموسوعة إنها كانت لاستعادة الأماكن المقدسة بفلسطين من أيدي المسلمين ، فهل كانت هذه الحروب حقيقة لهذا الغرض ؟ إن شواهد التاريخ تؤكد أنها كانت حروباً استعمارية هدفها استغلال الشرق وتقويض حضارته وصرف الانظار عنه ، أما حجة حماية الأماكن المقدسة أو استعادتها من أيدي المسلمين فستار استغله دعاة هذه الحروب لإخفاء مطامعهم ونيل أغراضهم . لقد كان يجب في موسوعة عربية حديثة أن تكون بمنجاة من هذه الأباطيل التي جنسها المستشرقون بوجه عام أنفسهم لإذاعتها وترويجها بين العرب - لتؤدى رسالتها العلمية كما يجب أن تكون .

(١) راجع كتاب العقيدة والشريعة ، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وآخرين .

(٢) انظر كتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ترجمة الدكتور علي حسن عبد القادر .

من تاريخنا الوطني : لحمة شاعر تورق الإنجليز للمستاذ على الجندي

أتدري ما هي هذه الجريمة ؟ أرجو ألا
تضحك !! وإن كان شمر البلية ما يضحك !!
لأن الأمر جدد لا هزل !! إن الشاعر :
د أبو الوفاء محمود رمزي نظم ، قد استهان
بالقانون ، وتجراً على د السلطة ، وغالف
عن أمر الاحتلال ، فأرسل لحيمته ١١٩
ولكنه تركها كما شاءت نفسه الأماراة بالسوء !
حتى عرخت ، وطالت ، وانقشرت ،
وانتفشت ، وتلففت على عارضيه كالنبات
الشيطاني !! وأصبحت شيئاً مزيجاً للجيش
البريطاني المظفر !!

وكيف لا يزعج الإنجليز ذوى د المزاج
الرقيق ، و د الدم الخفيف ، والطبيعية
د الحارة جداً ، من هذه اللحية التي قال
في أمثالها د العسكري ، :

إن أبا عمرو له لحية

بعيدة البعض من البعض

مضى إلى السوق ، وعشمنونه

أقام في البيت فلم يعض

يهدوسها الناس بأقدامهم

كأنها أرض على الأرض

من مضحكات د السلطة العسكرية
الإنجليزية ، أيام الاحتلال المقيت ، زمن
الحرب العالمية الأولى ، أنها سيرت قوة من
الجنود بقيادة د المهدي ولي ، مفقش
الداخلية ، إلى قرية دميت خلف د أعمال
شبين السكوم فهاجمتها تحت جناح الظلام !!
والناس هاجعون في مرأقدم غارون آمنون !
وقد المتنبي حيث يقول :

وإذا ما خلا الجبان بأرض

طلب الطعن وحده والنزلا

أتدري لم سافت السلطة العسكرية إلى هذه
القرية الآمنة المطمئنة ، هؤلاء الجنود
الاشاوس ، والأبطال المفاوير ، بقيادة
هذا الفارس النجيد الصنديد ، على حين غرة
من أهلها ، والليل ضارب برواقه الأسود
على البلاد والعباد ١١٩

لأنه بلغها من العيون التي أذكتها على
الأحرار ، ومن الجواسيس الذين يحصون
حركاتهم وسكناتهم ويمدون أنفاسهم أن
هناك شاعراً من الشراء يسكن هذه القرية ،
قد أتى شيئاً إذا !! قد أتى أمراً نكراً !!
قد اقترف جريمة شنعاء !!

في هونه - فأدى له - وإن شئت فقل للحيثية

المبجلة - التحية العسكرية !!

ولا نذرى إن كان أبو الوفا حيا بمثلها ،

أو بأحسن منها ، أو أمسك هن ذلك ؟ !!

ثم أمره - في رفق ولطف ودعة - أن

يجلس مطمئناً !! جلس بين حلقة مفرغة من

الجنود في شكوتهم العسكرية الزاهية !!

وعيونهم مفتوحة عليه ، وبفادتهم حافة به ،

وحراهم مشهورة إليه !! يتوسطهم د ولسلى ،

نفسه ؛ تفخيماً للأمر ، واحتفاء به ، وتهويلاً

على المشاهدة !!

وضرع الحلاق الحاذق في القيام بهذه

العملية العسكرية الضخمة !! أو بهذا الهجوم

الحافظ على هذه اللحية الشائكة د أو

الغابة السوداء ، حتى فرغ منها !! فعاد

إلى مكانه ، والزهر - يرنح عطفيه !!

والخيلة تهز رانفتيه (١) ، لاتنصاره في هذه

المعركة الطاحنة التي هوضت قومه هن هزائم

د الدردنيل ، !!

وقد كانت قصة هذه اللحية التاريخية ،

حديث المقيم ، ولهو السارى ، وفاكمة الأدباء

والكتاب والشعراء ، كما كانت مبعثاً للتهزؤ

والسخر اللاذع من الإنجليز الذين ربما كانوا

يظنونها أجرة يحتجب فيها المصريون !! أو

لعلهم خالوا شعراتها سيوفا مشهورة ، أو

(١) الراقه : أسفل الألية إذا كان الإنسان قائماً .

وهو إذا مامر في سكة

يملؤها بالطول والعرض

وكان أن جرى - بالشاعر بين كوكبة هن

الفرسان ، إلى حيث ينتظره القائد

الباسل !!

وما أن رأى هذه اللحية السكيفة ،

حتى ورم أنفسه ، واتفخت أوداجه ،

واحر وجهه فوق احمراره ، وجحظت

عيناه الزرقاوان ، أو الخضر اوان ، أو

الرواديتان - لا أدري - وصرخ بصوت

صحنه الغيظ والحلق ، حتى استحال مواء

قطاط أو هرير كلاب ! : لماذا أطلقت

لحيته يا هذا ؟

أبو الوفاء : لأن هذا أمر يتطلبه الدين !!

ولسلى : ولماذا لا تطلقها من قبل ؟

أبو الوفاء : لأن الله هداني إلى الصراط

المستقيم !!

ولسلى : أظن الصراط المستقيم ، يمكن

تأجيله إلى ما بعد الحرب !!

وما كان أسرع أن نطق بأمر عسكري إلى

حلاق الفرقة بالجيش أن يحلقها !!

وهنا يجب أن نشكر للجندى الحلاق وقته

وأدبه ، وحرصه على تطبيق القوانين العسكرية

قطيعتاً دقيقاً ، إنصافاً للحق وللتاريخ !!

فقد تقدم بخطوات عسكرية راتبة ، رزينة

مستندة ، نحو الشاعر الملتحي - كان الله

وما حاء شرهة ، أوسها ما مشددة ١١ وما أصدق
قول المتنبي في تصويره الخوف ١١
وضاقت الأرض حتى كان هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً
وأكبر الرأي : أنهم كانوا يعتقدون أن
خلق هذا الشعر ، سيقطع من هذا الشاعر
وحى الشعر ١١ وللاستعمار - أو على الأصح
الاستخواب - في الجنون فنون ١١
وموضع العبرة التي تعيننا من هذه اللحية
وما لا بسها : أن هذا الشاعر الأعزل إلا من
سلاح الحق وإلا من هذه اللحية الممتدة
على صدره ، قد استطاع أن يجهن الحلاطة
العسكرية البريطانية ، وأن يذهب بوقار
الإنجليز المأثور ، وينزع عنهم دبرودهم ،
الموروث ، فيفعلوا ما لا يفعله إلا نزلاء
(المارستانات) ١١

وقد بعث بعض إخوان الشاعر إليه
بتعزية رقيقة ورائاء شاج لهذه اللحية
الباسقة ١١ ورد عليه أبو الوفاء بقصيدة ضافية
حنوانها د لحية شاعر تروق الاحتلال ، ١١
ولست مبالغاً إذا قلت : إن هذه القصيدة
بغرابة موضوعها وإحكام فسجها ، وطرافة
أخيلتها ، وبما حوته من حكم وأمثال ،
ومعان غترعة ، وبما تضمنته من جد
وهزل ، واستطراد إلى أغراض شائقة
تعد من القلائد والفرائد في الشعر العربي
الفسكاهي ١١

على الجندي

جھاد الواعظ سبط بن الجوزی

للدكتور عباس حلمي اسماعيل

فصاحوا علينا من الشبا بيك والابواب ،
ووقعت حمامة السكندى ، (١) ، وثاب على
يدى سبط في يوم واحد خمسمائة شاب قطعوا
شعورهم لمعانا في الندم على ما ارتكبوه من
المعاصي ، وما لبث أن رجع إلى حلب آخر
السنة حيث تقابل مع النقاش الشاعر الحلبي .

ثم حج سبط بن الجوزي سنة ٦٠٤ هـ
(١٢٠٧ م) ولما عاد إلى دمشق حازت مواعظه
كل إعجاب ، ولذا تباهى قائلا : « كانت
بجالسي لله ، والله الحمد ، واقه مثل غدوات
الجنة » . ولم يلبث أن ذهب سنة ٦٠٧ هـ
(١٢١٠ م) إلى نابلس ليرتل بعض آيات
القرآن الكريم بصوته الجميل ، في حضرة
الملك المعظم عيسى بن السلطان العادل الأيوبي
بجامع نابلس ، حيث تجمع لدى سبط شعور
كثيرة من شعور النادمين ، لما رآها المعظم
أخذ يبكي بكاء مرأ عندما على ذنوبه ، عسى أن
يقبل الله توبته ، ويوفقه في مقاتلة الصليبيين
الذين من أجلهم خرج من نابلس . وتجمع
لدى سبط شعور كثيرة ، حمل منها شكلا
لخيل المجاهدين ، ثم ذهب مع المعظم صوب
معاقل الصليبيين ، فهدم المسلمون كثيرا منها ،

ولد سبط بن الجوزي في بغداد سنة ٥٨٢ هـ
(١١٨٦ م) وظل مقبلا بها حتى بلغ عمره
ثمانى عشرة سنة ، وعندئذ تملكه حب
الترحال ، فعاد ببغداد سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٢ م)
إلى بلدة قريبة تسمى دقوقا حيث سمع الحديث
من خطيبها عبيد المحسن بن العميد الأبهري
الذى ادهى بالحجة تدليلا على تضلعه في علوم
الحديث . ثم ذهب سبط إلى (إربل) حيث
وعظ كثيرا من شباب المسلمين ، ولم يلبث
أن غادرها إلى الموصل ، حيث تراحم الناس
عليه فقال : « حصل لي القبول التام ، بحيث
إن الناس كانوا ينامون ليلة المجلس في الجامع
من كثرة الزحام » (١) ، وعبارته هذه تدل
على أنه عرف قدر نفسه ، فعمل على أن
يسمو بوعظه وإرشاده . ثم استأنف سبط
رحلته إلى حران وحلب ودمشق ، وفي جامع
دمشق تقابل مع أستاذه تاج الدين السكندى
والمؤرخ عماد الدين إبراهيم الحنبلي ، وأقام
في قاسيون إلى سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) فأنثال
الدماشقة عليه ، وبلغ من وثوقه بنفسه أن
قال : « ودعت الناس ، فلم يتخلف بدمشق
إلا اليسير ، وامنلا جامع الجبل بالناس ،

(١) نفس للراجع ص ٣٤٥ .

(١) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٢٦

لأن الملك المعظم حضره كما حضره القضاة والأشراف أو الأعيان والعلماء أمثال : جمال الدين الحصري شيخ الحنفية بدمشق ، وتاج الدين الكندي الذي حرص على الحضرة رغم سقوط عمامته في أحد المجالس السابقة . وأسرف سبط في مباحاته ، فقال إن مجلسه هذا الذي حضره المعظم : « احتوى على عشرة آلاف وزيادة » (١) . وبلغ من صراحته مع الملك المعظم أن أنكر عليه لباس القاضي زكي الدين القباء والمكثونة (٢) . غير أن سبطاً ستم الإقامة الطويلة بدمشق ، فارتحل سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) إلى (خلاط) قبة أرمينية الوسطى ، ليحظى بمقابلة صاحبها الملك الأشرف موسى بن العادل ، ويسمعه آيات القرآن الكريم ، ذلك أن سبطاً سمع بوجوه مقرىء صيت في خلاط اسمه (الضياء بن الزراد) يقرأ القرآن الملك الأشرف بمختلف القراءات ، فأراد سبط أن يظهر نفوقه عليه بصوته الجميل ، لكن الضياء فاز عليه لأنه جمع بين النغمة الرقيقة والقراءة الصحيحة ، فقال الأشرف له : « والله لو خيرت أن أحفظ القرآن كما تحفظ وأعد ملامكى لاخترت حفظ القرآن » (٣) .

وأسروا بعض الصليبيين ، فلم تجمر بقيتهم على الخروج من عكا حينما من الوقت ، فذهب المسلمون إلى الناصرة حاملين كثيراً من الغنائم . ولم يكمد سبط يأخذ قسطاً من الراحة بعد الجهاد حتى ذهب إلى حلب ليصلح بين السلطان العادل وابن أخيه الظاهر غازي ملك حلب الذي أغضب العادل باتخاذ لقب سلطان ونقشه على منشأته (١) .

وما لبث أن رجع سبط إلى دمشق سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) ليستأنف وعظه في جامعها تلبية لرغبة الدماشقة رجالاً ونساء ، غم أنه أراد هذه المرة أن يجعل مجالسه أكثر نظاماً ، فاقتار السبط من كل أسبوع وقتاً لمجالسه ، وحرص على إقامة حاجز بين النساء والرجال كيلا يحدث اختلاط في أثناء الوحام . ودأب الدماشقة على الحضور مبكرين من يوم الجمعة والمبيت ليلة كل سبت حلقاً يقرءون القرآن بالشموع فرحاً بالمجلس ومسابقة إلى الأماكن وأنى كثير منهم ليسمعوا صوته العذب ، ويتسلوا بحركاته ونأقته وبالأسملة والأجوبة المتبادلة بينه وبينهم ، ويتذاكروا بعد المجلس ما قيل من النوادر وما أنشد من الأشعار ومن أسلم في المجلس أرتاب . وتباهى سبط بأحد مجالسه في هذه السنة .

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٤٩ .

(٢) سوط بن الجوزي : سرآن الزمان ج ٨ ص ٢٩٧ - ٢٩٨

(٣) أبو شامة : الذيل ص ١٣٥ .

(١) Wiet : Une Inscription de Malik Zahir gazi à Latakiah, B. I. F. A. O. 1931, P. 281.

وفضلاً هذا على مناوشة الصليبيين في طرابلس
بما يضعف جيوشهما ويضيع وقتهما .

ولم يفقد سبط مكانته بدمشق لما توفي
المعظم سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) بل زاد حظوة
لهدى ابنه الملك الناصر داود ، لا سيما بعد
أن تولى سبط التمشير بالسلطان الكامل
الأيوبي منذ أن سلم بيت المقدس لفرديك
الثاني أمبراطور الألمان والدولة الرومانية
المقدسة ^(١) . وظل بيت سبط على ثوراء
مفتوحاً للخاصة والعامة سواء ، وواظب على
القراءة والتأليف بالإضافة إلى التدريس
بالمدرسة الشبلية القريبة من منزله ، إذ حرص
شبل الدولة الحسامي أحد ممالك سبط الشام
بنت أيوب على بناء هذه المدرسة للأحناف
ولذا اختار سبطا الواعظ الحنفي مدرسا لها ^(٢) .

ثم زار سبط بن الجوزي القاهرة سنة
٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) وتوجه منها إلى الإسكندرية
حيث قال : « فوجدتها معمورة بالعلماء
مغمورة بالأولياء كالشيخ محمد القباوى
والشاطبي ، ولم يلبث سبط أن رجع إلى دمشق
وهناك أحس بالشيخوخة وكان عمره وقمئذ
ستين سنة ، فغادر سكنه على ثوراء واتخذ
بيتاً آخر على جبل قاسيون حيث شيد قبرا
قبالة بيته ، وترك المدرسة الصبلية وأخذ

(١) ابن ابراهيم الحنفي : ضياء القلوب في مناقب
بنى أيوب ص ٨٠ .

(٢) أبو شامة : القيل ص ١٤٨ و ١٩٥ .

ثم حج سبط بن الجوزي حجة أخرى
في نفس السنة ، وفي هذه المرة أعطاه المعظم
ناقة ، كما أعطاه الأشرف سيفلا طمعا
في الثواب . وفي المحرم سنة ٦١٤ هـ د لبريل
١٢١٧ م) زار سبط قبر الخليل بالقدس ،
ليجمع بين زيارته وزيارة الرسول - ول عيما
السلام .

وعرف المعظم أن سبطاً واعظ محبوب ،
فاختاره سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) ليحرض
الدماشقة على الجهاد ضد الصليبيين في دمياط
مساعدة للبصريين . ونجح سبط في إقناعهم
أول الأمر ، ثم تقاعدوا خشية أن تضيع
أملأهم إذا تركوها ، رغم تهديد المعظم لهم
بأخذ الثمن والخمس من أموالهم كل حسب
ثروته . ثم أمر المعظم سبطاً بمقابلة وهو
على حصار قيسارية ، فذهب سبط وشهد
استيلاء المعظم عليها عنوة من الصليبيين .

غير أن سبطا نجح في إقناع الملك الأشرف
بضرورة الذهاب إلى دمياط لمشاركة المعظم
في مقاتلة الصليبيين ، عند ما وعظه بقوله :
(إن المسلمين في ضائقته ، وإذا أخذ الفرنج
الديار المصرية ملكوا إلى حضرموت وهفوا
آثار مكة والمدينة والشام ، وأنت بلغت ،
قم الساعة وارحل) ^(١) . فعلا تقابل ثلاثتهم
في حمص ، وقرر الأخوان الذهاب إلى دمياط

(١) سبط بن الجوزي : نفس المرجع ص ٤٠٦

٤٠٩ أبو شامة : القيل ص ١٢٨ — ١٢٩ .

الأمس

للسيدة نعمت عامر

يا نفس لا تبسكى هلى شىء مضى
يا نفس أحرى أن تلوذى بالرضا
وتبهرى . . كى لا تكونى غرة
فعلاجك السلى ، ومافات انقضى

* * *

السكون حولك والطبيعة كلها
والورد يبدى والجنائى قد بدت
والطائر يشدو بالغناء مصفقا
والموج يجرى فى البحار معانقا
والبدر فى كبد السماء ضياؤه
والشمس من فوق السحاب تمهدنا

منقوشة بىدى إله قادر
فواحة بشذى عبير ساحر
بجوانح ولهى وحب سافر
لنصائم مرت مرور العابر
يمهى السيل مسامرا للساهر
مخيط مسجدها ودفء باهر
نعمت عامر

(بقية الصفحة السابقة)

يعلم فى مدرسة حنفية أخرى عند سفح الجبل
واقصد فى هندامه تزهدا واشترى حمرا
دأب هلى ركوبه طالعا إلى منزله بالجبل
ونازلا عليه إلى المدرسة (١) ،
وكتاب سبط بن الجوزى درآة الزمان
فى تاريخ الأعيان هو تاريخ الدول الإسلامية
حتى سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٧ م) التى توفى فيها
والجزء الثامن من هذا الكتاب يشتمل على

أخبار السنوات الواقعة بين ٤٩٥ - ٦٥٤ هـ
(١١٠١ - ١٢٥٧ م) وهى السنوات التى
شاهد سبط كثيرا من حوادثها بنفسه ، واهتم
فى كتابه هذا بتراجم أئمة الدين والمدرسين
والوفاظ أكثر من اهتمامه بتاريخ الملوك
والحكام فجاء كتابه خاليا من العمل
ومصانعة المعاصرين (٢)

هــبـاسـى ملى

(٢) سبط ابن الجوزى درآة الزمان ج ٨ مقدمة
Jewett, P.VIII

[٦]

(١) أبو المحاسن : النجوى الزاهرة فى ملوك مصر
والقاهرة ج ٦ ص ٣٤٧ .

عبقريات العقاد الإسلامية للكاتبة نعام أحمد فؤاد

إلى أغوارها بدت خلقاً جديداً بالمعنى المستعطن
والعبرة المستفاد والذلة السكينة . وبمثل
هذه الإضافات تغدو للتاريخ قيمة حضارية
لأنها قيمة إنسانية .

والعقاد في كتابه العبقريات يجمع بين
فلسفتين ممتازتين في تدوين التاريخ :

هل البطل يصنع التاريخ أم التاريخ هو
الذي يصنع البطل ؟؟

ومنهج البحث عن الفتات الإنسانية اتجه
(أندريه موروا) و (ستيفانز فايج)
(لودفيج) . كما أن منهج تفسير الأحداث
التاريخية تفسيراً عقلياً وكشف القوانين
المتحركة في سير الحوادث ومحاولة إيجاد ترابط
بينها أخذ به المفكر الألماني (اشبلنجر) ،
ومن المعاصرين الأستاذان (أونولد توبفي)
و (بيترين سوركين)^(١) غير أن العقاد
اختلف عنهم في هدم التزام الخط التاريخي
حين زاد عليهم التفسير النفسي والخلق

عبقريات العقاد الإسلامية أسلوب في الترجمة
ومنهج في الدراسة ، ومستوى في التصوير ،
وتفرد في تناول قلباً تخطئه حين منصفه .

والعقاد في عبقرياته يبحث فيما يشدها الدارس
والقارئ بعامة والمسلم بخاصة ، ولا سيما إذا
كان طريق الوصول إليها صعباً والريادة فيه
عسيرة ، وهنا تنصدى للأمر قوة المنطق في
العقاد ، وحركة الذهن منه وهى قوية قادرة
تستمد من الذهن الثاقب قدرة المناقشة التي تخدم
المقابلة ، والمضاهاة ، والعلم ؛ بل تخدم الزمن
نفسه بما تعين عليه أحداثه قبل ظهور
الصورة وبمدها .

وتمثل قوة المنطق فيه وقوة التفلسف
التاريخي في تناوله موضوع تقديم أبى بكر
في الاستخلاف .

ومن خصائص العقاد تقديم الأفعال اليومية
للوصول إلى دلالات كبيرة على الشخصية ،
وهذا هو الجديد الذي فعله العقاد ؛ فالحوادث
واللتصريفات وقعت من أصحابها وعرفت عنهم
مروية أو مدونة ولكنها في كلتا الحالتين
صماء إلا عن المعنى الظاهر من مظاهر الألفاظ
والحروف حتى إذا استشفها العقاد ونفسد

(١) اقرأ بحث (توبني وفلسفة التاريخ) للأستاذ
على آدم - مجلة الكتاب العربي - العدد الحادى
والعشرون الصادر في ١٠ فبراير سنة ١٩٦٦ .

بعيدة عن طبيعة الجندي هذه وهي منها جد قريب .

فأهم الخصائص التي تتجمع لطبيعة الجندي في صفتها المثلى إنما تجمعت لها بعد ألوف المسنين من تجارب الأمم في تعبئة الجيوش ، ولكنها انفقت لعصر بالفطرة القوية الموهوبة حتى لا تحتاج - من أصالتها فيه - إلى اكتسابها بطول الموانة وادمان التعود كالجنود وهذا وجه التفوق الذي يرتفع بصاحبه وحده إلى أوج العبقرية ولو اشترك معه آخرون في صفة أو صفات .

وهنا نلح ظاهرة الاستقصاء عند العقاد ظاهرة (التفصيل) ، حين يقول: إن عمر مهيب لا يقف عند الهيبة فحسب ولكنه يمشى مع المعنى إلى أقصاه (فهى هيبة من قوة النفس قبل أن تكون من قوة الجسد إلا أنه مع هذا كان في منظر الجسد رائعا يهول من يراه ، ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة به - دله وتقواه) ص ١٨ عبقرية عمر .

وهو إذا وصل إلى حكم للشخص أو عليه بعض يفصله أو يفصله كأنه قاض يفرع الحيثيات ثم يزيد هو فيجمع إلى الظاهر ... الباطن حتى يبدو الأمر استقصاء أفقيا رأسيا معا . فطبيعة الجندي في عمر يلتقط لها الفتات الإنسانية في أقواله وأعماله بما يؤديها بل يفتح بها الآخرين إقناعا . غرضه على النظام في صفوف الصلاة وحلقات المسجد

(والوصول إلى نتائج علم الأخلاق هو الصواب الجديد الذي لا يزال اليوم وبعد اليوم صعبا وجديدا إلى أمد بعيد) . ص ١٣٦

والتفسير النفسي يتمثل في تناوله الشخصية من جميع جوانبها النفسية وهرض هذا على ما تراضنا عليه من صفات التفوق الإنساني . فيقابل العقاد شخصيته المختارة بالنموذج الإنساني الذي رسمه الإنسان لنفسه . ووجه القوة عند العقاد في قوة الصفة عند (البطل) ذلك الوجه الذي يعطيها خصيصة أقوى من الامتياز التقليدي المقترن بها أى السمة التي تميز موصوفها بين من يتصف بها من الناس الممتازين (بالإنصاف) فحصر مثلا كان قويا لا كواحد من أقوياء ، ولكنه كان قويا من طراز متميز القوة إذ كان قويا (لينتفع الناس بقوته ، ولم يكن قويا ليطنخي بقوته على الضعفاء ص) ٦٥

وقل مثل هذا في عديد الصفات التي اتصف بها عمر حتى تعد دراسته أو بالذات دراسة العقاد له (غنيمة لكل علم يتصل بالحياة الإنسانية كعلم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم السياسة ... ولم تقتصر مزايا هذه الدراسة على علم النفس وكفى) ص ٥٦ (عبقرية عمر) وما بالقليل هذا ولا بالسهل المتال حتى حين ينتهي إلى مفتاح شخصية عمر (بطبيعة الجندي) لا يقف ولا يتوقف بل يعطى هذه الصفة سمة خاصة (صرية) تبدو معها بالتفوق ،

الشديد في دينه ، والذي يشهد فيأمنه العدو والصديق (ص ٩٥ .

هذه قيمة دينية وقيمة إنسانية معاً . فليس الدين بالطقوس والعبادات ولو صحت وصدق فيها صاحبها ، ولكنه ارتفاع على الضعف الإنساني لآسيا الغرزي منه ، بفعل الدين . وليس بحق يستأهل التنويه من العقاد إن لم يشمل الأولياء والاعداء على سواء (فإن الحق الذي يقبفه الرجل مع أهل دينه وحدهم لحق محدود يدخل في باب السياسة القومية أكثر من دخوله في باب الفضيلة الإنسانية . وإنما يصبح جديراً باسم الحق حين يقبفه الرجل مع أهل دينه ومع الخارجين عليه .) ص ٩٠ .

وهر كان بلا ريب أشد المسلمين في إسلامه وعمر كان أشد المسلمين رعاية لمهد أهل الكتاب وهي قيمة إسلامية إبرازها أجدى على التاريخ الإسلامي من القصص الشائق والرواية المسجبة .

كان العقاد دقيقاً دقة عمر حين أوصى قاضيه أن يؤامى بين الناس في مجلسه ووجهه ولحظه وطرفه وكفى في اللحظ من معان تدرك ولا تحس فتسبق الأحكام قبل صدورهما بما أرادها عليه القضاء .

والعقاد معنى بالمعاني فهمي وحدها المقياس والتوقيت الصحيح وإن سبقت التاريخ الزمني لها أو سبقتها فعمراً ثاني الخلفاء ولكنه في ميزان

وتجمعات السوق وبجالس الحكم حرصاً يأخذه نفسه قبل الآخرين فينزل درجة من صلال المنبر بعد أبي بكر لأن الخليفة الأول أحق منه بالتقديم (ذلك هو السميت العسكري بالأسوة والتعليم .) ص ٦١

ثم يرتقى في عملية التشريح من جزئيات الشخصية إلى التقسيم الأهم الأكل كما يسميه فيجمع التصرفات والأقوال في خطوط كبيرة تحدد معالم الشخصية ، وتؤكد خصائصها ، وقد تحدد هذه الخطوط من قوتها وعمقها بفعل الحفر على الورق الذي يمارسه العقاد في اقتدار ، معالم عصر وخصائص حكم بعينه أو دولة بذاتها فلفقات عمر في بيئته القريية المحيطة انبسطت فغدت فعالها على مستوى الدولة إذ (دون الدراوين وأحصى كل نفس في الدولة الإسلامية كأدق إحصاء وعاء الموكلون بالتجنيد في العالم الحديث .) ص ٦٢

وهكذا تطرد نظرات العقاد الخاصة في السيرة معمقة كأنها أحكام حروفها محفورة فالعدل في عمر حاسة كحواس البدن عملها أن تسمو به على نفسه ، وكانت نفسه أسمى من عامة الأبطال .

ومن عباراته الجامعة التي تغنيك عن أسفار ولو حوت مئات الصفحات قوله في إسلام عمر تعليقاً على واقعة أبي مريم السلولى قاتل أخيه : (حسبك من إسلام يحمى الرجل من خليفة يبعضه وهو قادر عليه ، فذلك المسلم

في تاريخ عمر تقوم وحدها دليلاً على المعنى المراد فهي في السيرة تعزز النظائر ثم لا تزيد . إن البطولة في مفهوم العقاد : إنسانية ممتازة والبطل لإنسان ممتاز وهبقرى موهوب حتى صفاء الرؤية أو النظر الجعبد (تلك المزية الإنسانية النادرة) لا يقفها العقاد على القدين والعمق فيه بل صرح بعقلية رجل العلم بأن من الناس من مارسوا (التلبائي) وسجلوا مشاهداته (وهم ملحدون لا يؤمنون بدين) . كل شيء عند العقاد مقنن وبحساب فهو لا يخلع على البطل الصفات الحسنى غيرا بلاضابط ، ولكنه يتقصى الأسباب والعوامل ويكشف عن مكنونها ، ففوة العدل في عمر شيء طبيعي لأنها قوة اجتمعت له أسبابها حين تعددت هذه الأسباب من ورائه حيث مارس أسرته القضاء في الجاهلية واستشعرت رضا العدل ، وذاقت الظلم من أقربائها في الوقت نفسه حيث تكثروا عليها بالعدد ، ومن هقيدة دان بها تأمر بالعدل وتتشدد فيه ، ومن تكوين ، ومن عبر الحوادث ، وهكذا تعددت الأسباب وكان تعددها (هو العاصم الذي حمى هذه الصفة أن تتناقض في آثارها ص ٦١ هبقرية عمر) وأن تهتز فيه حتى ليسوى عمر في عطاء بيت المال بين المولود اللقيط وبين المولود من زوجين وهي رحمة وهدل قد يحجبها النفور من الزنا وثمراته

العقاد مؤسس الدولة الإسلامية (إذ الشأن الأول فيها للعقيدة التي تقوم عليها وليس للتوسع في الغزوات والفتوح . وعمر كان على نحو من الانحاء مؤسساً لدولة الإسلام قبل ولايته الخلافة بسنتين ، بل كان مؤسساً لها منذ أسلم ، فظهر بدعوة الإسلام وأذانه ، وأعزها بهيئته وعنفوانه .

وكان مؤسساً لها يوم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه بالخلافة وحسم الفتنة التي أوشكت أن تعصف بأركانها ... وكان مؤسساً لها يوم أشار على أبي بكر بمجمع القرآن الكريم ، وهو في الدولة الإسلامية دستور الدساتير ودعامة الدعام . (ص ٩٦ هبقرية عمر .

في البداوة البادية وضع عمر حجر الأساس لتاريخ وحضارة استعظالات آماداً بعيدة عن البداوة الصغيرة التي استهلا بها ، وإن كانت أصيلة بقدر ما رزقه عمر من سليقة التأسيس . تلك السليقة التي هدته أن ينشئ حكومة ، وأن يجعل الأمر فيها شورى والقضاء تقاليد وأصولاً .

و حين تكون الحادثة أو التصرف غريباً بعيد التصديق أو مظنة للنفي لا يصر عليه بدفاع أو تسويغ ؛ لأنه ليس همه انمحال الشخصية خوارق الأعمال ثقة بها وبغناها الخداني من إضافات لا تزيدا حين يكفيها المسلم لها به والثابت الصحيح بما صدر عنها بلا استعمال نسبة أو تفسير ، فقصة سارية والجبل يكتفى منها العقاد بدلالة لها أشياء

الصلاة والسلام برأى يراه ، ولو كان ذلك
الرأى من أخص الخصاص التي يقف عندها

(الاستقلال) ص ١٤٠ .

الإنسان في البطل :

وينتصر العقاد لروعة البطولة الإنسانية
في البطل بقدر ما فيه هو من انتخاب الامتياز
فعمر العبقري إنسان فيه فن وحب للجمال .

في السكتاب عمر المنوء بهوم الدولة ، عمر
الرياضي المشغول بالرياضة البدنية ، فكان
يصارع في المواسم ويسابق على الخيل ويكتب
إلى الأمصار أن : (علوا أولادكم السباحة
والفروسية ورووم ما سار من المثل وحسن

من الشعر) ص ١٩٥ .

في كتاب العقاد عمر لإنسان عطوف حتى
لينزع الثقة من وال لا يحنو على صفاره ،
ويتمدح أمام عمر بأن له عشرة أولاد ما قبل
أحدا منهم ولا أدناه) فيجيبه عمر ، ولما يزل
معه الصبي الصغير الذي كان يحملته في حجره
يلطفه ويقبله : (وما ذنبى إن كان الله
عز وجل نزع الرحمة من قلبك إنما يرحم الله
من عباده الرحماء) ثم أمر بكتاب الولاية
أن يمزق وهو يقول : أنه إذا لم يرحم أولاده
فكيف يرحم الرعية ؟

عمر في كتاب العقاد بطل يروع ويعرف
روعة البطولة في غيره (فعمر كان يحب محمدا
حب إعجاب ، ويؤمن به إيمان إعجاب ،
ويستعمر نفسه إذا نظر إلى عظمة محمد ،

في نفوس أناس ينفرون ، فلا يرحمون
ولا يعدلون .

وحين يجمع إلى عدل عمر ورحمته الغيرة
على الحق والحرمات والذكاء والمعية الذهن
لا يقول : إن عمروضى الله عنه خلق (بذهن
عالم بحسنة منقطع للكشف والتنقيب ، ولا
أنه خلق بذهن فيلسوف مطبوع على التجريد
والذهاب بالفكر في مناحي الظنون والفروض
ولا أنه خلق بذهن منطيق يدرر بين الأقيسة
والاحتمالات مسدات القويح والتخمين ،
فالواقع أنه لم يكن كذلك ولا يعيبه ألا يكونه)
ص ٤٠ عبقرية عمر .

ومن اقتدار العقاد ابتدأه بالصفة وانتهاه
بعكسها بما قد يبدو تناقضا وهو تكامل ،
فمصرفات وأفعال التواضع العمرى ليس
تصاغرا يكشف الصغر (إنما هو تصاغر
يكشف القوة والاعتداد بها ويكبحها بعنان
متين هو نفسه دليل القوة والاعتداد) .
ص ١٤٠ عبقرية عمر .

ويمضى العقاد في مقابلاته المعقدة الشيقة
فيصف ما كان عليه الحال بين النبي صلى الله
عليه وسلم وعمر فلم يكن أحد يعجب بمحمد
أكبر من عمر .

ولم يكن أحد مستقلا برأيه في مشورة
محمد أكبر من استئلال عمر ، فهو آية الآيات
على أن فضيلة الإعجاب لا تقض من صراحة
الرأى عند ذى الرأى الصريح .

فما أحجم عمر قط عن مصارحة النبي عليه

في الأخبار والإسقاط ما يدل على خصائصها في مجال العقبرية الخاصة بها وسيتبين : (ذلك التركيب العجيب الذي هو موضع الإعجاز وموضع الدهشة وموضع التساؤل في مصادر الأخبار) ص ٥٥ .

وعقوبات العقاد الإسلامية فيها قيم يمثلها تقيم الكتابات والكتابات ، فالعقاد في العقبريات الإسلامية يثبت الإيمان الحائر لا بتحليله الوقائع التاريخية أو التزويق الأدبي ولكن بمناقشة المسائل الفائكة التي يجهر بها العدو ويخافت الصديق .

ففي عقبرية محمد ناقش دعوى انقشاد الإسلام بالسيف وإذ سلط على الأتنام عقله ومنطقه تهافت الباطل إذ الإسلام كما يقول العقاد حين حارب بمجيوش إنما كان أصحابه يحاربون بوصفهم دولة لا بوصفهم مسلمين وبوصفه نظاما لا بوصفه ديناً : هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة إن لم تفرضها الدعوة إلى دينها ، عقبرية محمد ص ٥٨ .

ويعزز هذا ولا ينفيه فرض الجزية التي جعلها الإسلام ضريبة حرية العقيدة بتحتل بها من الالتزام من لا يريد اهتفاته ، وحتى هذه الجزية رفعها عمر عن أهل الكتاب للسن والحاجة .

و (الإسلام لم يوجب القتال إلا حيث أوجبه جميع الشرائع وسوغته جميع الحقوق ، وإن الذين خاطبهم بالسيف قد

وما هو فيها خلا ذلك بصغير في نظر نفسه ولا في نظر الناس) ص ١٣٧ .

ومن قوة الشخصية فيه ، قوة الكلمة الجامعة ومن هذا قوله لقاض يوصيه إذا جلس للحكم أن يذهب الله قائلاً : (إنني أسألك أن أفتي بعلم وأن أفضى بحلم وأسألك العدل في الغضب والرضا) . ص ٧١ .

ومفتاح منهجه في رسم الشخصية (كل صفة تتمتع بجميع الصفات كما يقول : وكأنا اتفقت لتصبح كل صفة أو (كل خليفة منها على أتم قدرتها في بلوغه كما لها وتحقيق غايتها) فلا العدل ينقصه جمال الطبيعة البشرية وضعفها الفطري ولا الرحمة يغلبها الهوى فلا تدن بالمساواة إنما هي ميزات تهديها الفطنة ويعصمها الإيمان برقابة ساهرة فلا تضل ولا تغوى .

ولعل هذا يفسر وصفه لعمر أو لصفاته بـ (المركبة) ولم يقل : التركيب لأنها تركب كما تركب أجزاء الدواء الذي ينفع لغرض واحد مفهوم ، والذي ينقص جزء منه فينقص نفعه كله ويدخله التناقض والاختلاط .

وهو في رسم العقبرية لا يتكسر بالأخبار والروايات ولو أجمعت على صفة تعزز رأيه أو تؤيد اتجاهه بل هو يفترض الشك في بعضها ويبيح إسقاط الكثير منها ثقة منه بإنسانية الشخصية التي اختارها وامتياز هذه الإنسانية فيها حتى ليحقي منها بعد الشك

خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك ،
إلا أن يحال بينها وبين انتصائه أو تبطل
هندما الحاجة إلى دعوة الغرباء إلى أديانها)
ص ٦٠ .

كما ناقش بمثل هذه الفجولة مسألة زيجات
النبي وخاصة زواجه من زينب بنت جحش .
أما في عبقرية عمر فقد ناقش ثلاث مسائل
شائكة في سيرة عمر :

- ١ - نهيه عن استخدام بعض الذميين .
- ٢ - منهم أن يشبهوا في الأزياء
والمظاهر بالمسلمين .

٣ - إخلاء بعضهم عن الجزيرة العربية
في إبان الفتح .

فاحتكم إلى منطق العقل وإلى مقاييس
السياسة والحكم في الدولة القديمة أى بمعاها
للقديم ، والدولة الحديثة .

ومن الحقائق التي جلاها كتاب عمر حقيقة :
موقف الإسلام من الفتح هل في الأمر

شهوة السيطرة والتمج بالحكم ؟ أم هو تأمين
الجزيرة مهد الإسلام من الدول العظمى التي
تهددها وتحيقها وهي تناخها ؟ وهي نقطة
يفنى فيها حديث العلم والواقع التاريخي عن
دفاع طويل عن افتتان الإسلام في رأى
البعض بالسيف ويزيد في قيمة هذا العمل أنه
لم يشر إلى موضوع الانتصار بالسيف من
قريب أو بعيد في هذا الموضوع من الكتاب .
كما ناقش العقاد في (عبقرية عمر)
حريق مكتبة الإسكندرية وما إلى هذا من
أهم المسائل .

كما ناقش من متعلقات السيرة :
عزل خالد .

وحادثة الواد في الجاهلية . التي (ما تحسبها
إلا إحدى جنائيات الإغراب على من خلقوا
وفي سيرتهم مثال الإغراب والإهجاب) .
ص ٢١٤ عبقرية عمر . (يتبع)
دكتورة نغمات أحمد فؤاد

العالم

- أفضل الصدقة أن يعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه
- العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس
- ما جمع شيء أفضل من علم إلى حلم .

تحريف وتخريف

للاستاذ علي الخطيب

النبوة والكتاب، ٢٧ المنكبات، فيدهى أن الضمير في ذريته، بالذات لإسحاق، وقبل ذلك نحو ثمانية ضمائر مفردة كلها في إبراهيم... منها على سبيل المثال: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرقوه فأناجى الله من النار، ومنها فآمن له لوط ومنها ما في الآية، والغرض من فعل القمص واضح، فهو يريد: حصر النبوة والكتاب في ذرية إسحاق، وليس منها قطعاً محمد عليه الصلاة والسلام، وبذلك يسقط النبوة والكتاب عنه لأنه من نسل إسماعيل عليه السلام هذا هو أسلوب القمص بشأن القرآن الذي اعتمده مصدرا لتقرير العقيدة الأرثوذكسية، فما هذا الخاطب بين التأييد بالقرآن تارة ثم التكذيب له أخرى؟ وواضح هنا أن الضمير لو كان لإسحاق لاقتضى قرينة قطعاً تصرف القارىء والسامع إليه حتى لا يختلط المعنى في ذهنه، لا سيما وأن استيعابه للمعاني مرتبط بإبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا من جهة البيان العربى، هل أن في القرآن غنى. ففيه يقول تعالى: د أم يحسدون

في السنوات الأخيرة، وابتداء من عام ١٩٦٣ م، توالى ظهور كتب مسيحية نقنول العقيدة الأرثوذكسية بالشرح والتحليل. نذكر منها: التثليث والتوحيد، ود المسيح ابن الله، للقمص زكريا بطرس وصدرًا بمدينة طنطا، ود الحق، للقمص باسيلوس إسحاق وصدرًا بالإسكندرية.

والذى يستدعى الانتباه في هذه الكتب هو اتخاذها القرآن الكريم، مرجعاً لتقرير العقيدة الأرثوذكسية، والمؤلم — هنا — أن كلا الكاتبين يعلمان يقيناً، وقد قرأ القرآن الكريم، أنه لا يشهد لأى طائفة مسيحية، وآياته في معتقداتها واضحة بلا لبس أو غموض لذلك لم يكن عجيباً أن يبيت المؤلفان على احتمال بالقرآن، ثم يسفران عن كيد، ثم ينتهيان بتكذيب لهذا الكتاب الأمين.

فالقمص باسيلوس يعتمد تفسيراً خاطئاً لآية كريمة وردت في شأن إبراهيم عليه السلام ضمن عدة آيات آخر وهى قوله تعالى: ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته

نلتزم د الموضوعية العلمية ، في كتابتنا لنبيين
- في جلاء - أن القرآن الكريم يجب ألا يفتح
في ميدان تقرير العقائد المسيحية انضع تحت
نظر القارى " قانون الإيمان الذى أقره المجمع
النيقاوى عام ٣٢٥ م ... حتى يرى ... هل
يمكن أن يكون القرآن صاحب تقرير في هذا
المجال ؟

قانون الإيمان :

١ - أومن بإله واحد . آب ضابط
الكل . خالق السماء والأرض ، كل ما يرى
وما لا يرى .

٢ - وبرب واحد يسوع المسيح
ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل
كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله
حق ، مولود غير مخلوق ، مساو الأب في
الجوهر ، الذى به كان كل شيء .

٣ - الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن
أجل خلاصنا نزل من السموات ، وتجسد
من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس
٤ - وصلب عنا على عهد ييلاطس
البنطى ، وتالم وقبر .

٥ - وقام في اليوم الثالث على ما في
الكتاب .

٦ - وصعد إلى السموات وجلس
من يمين الأب .

الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا
آل إبراهيم الكتاب والحكمة : ٥٤ النساء
وقال تعالى : ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ، ٢٦
الحديد ، وإسماعيل عليه الصلاة والسلام
من ذرية إبراهيم .

والحقيقة المؤكدة أنه لم يفعل ما فعل
هو أو زميله لهذا رعيتهما ؛ فلا شك أن لهما
في ذلك وسائل يربانها معينة وهادفة ، كذلك
لم يحدث أن طرحت قضايا الإيمان
الارثوذكسية على إسقاط البحث في أى من
البلدين حتى يكون الأمر سجال دفاع ، وسجال
زياد ، وثمة أمر ثالث مهم هو أنه ليس
مطلوبا منهما (كفسيا) تقرير الارثوذكسية
بالقرآن ، كما أنهما - وقد قرأ القرآن
الكريم - يعلمان يقينا مدى وصايا المسلمين
من التزام الحسنى مع أهل الكتاب : دافع
إلى سبيل وبك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي أحسن ، ١٢٥ النحل
ولا تسبوا الذين يدهون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم ، ١٠٨ الانعام .
فما بقى بعد ذلك إلا سبب واحد أسفرت
هنا تلك الكتب هو : التأكيد للإسلام ،
والنيل من نبيه كما سقبتين بعد ، وإلى هنا ،
وعلا بقروله تعالى : ولا تعادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ،
٤٦ العنكبوت نبيين مدى ظلم القميصين ، وحتى

البروتستانت عند الكاثوليك ليس بأفضل منه عند الأرثوذكس .

فأى شيء إذن يمكن أن يقرره القرآن بين هؤلاء ؟ وأين هي المسيحية بينهم ! ؟ وأى شيء يشهد له في القانون ابتداء من النص الثاني حتى نهاية العاشر ؟ وهل يمكن أن يعتبر « الأتاني » صفات ؟ كيف . . ؟ وقد أسند لها أفعال مثل : وجلس عن يمين الله الآب .

ومن هنا . كان الضبط في المحاولة كما نقيبها مما يأتي :

(١) القشويه في النص بحذف ما يتم
المراد من الآية :

فعل ذلك كلا القمصين فبطرس في كتابه التثليث والتوحيد وضع قول الله تبارك وتعالى : « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، الآية » بعد أن حذف (من) لتظهر الآية في ثوب المبتدأ في (أهل الكتاب) والخبر فيما بعده ، ودخل في روحه أنه تمكن بذلك من مقصوده ، ولو قد علم أن تعبير « أهل الكتاب » في القرآن شامل لليهود والنصارى لآثر يقينا عدم الاستشهاد بالآية ، فهو لا يرضى لليهود أن يكونوا مؤمنين ، ولا هم بدورهم يفهمون فيه إيماننا ،

٧ — وأيضاً يأتي بمجد ليدن الأحياء والأموات . الذي لا فناء للملكة .

٨ — وبالروح القدس الرب المحي ، المنبثق من الآب ، المسجود له والممجى مع الآب والابن ، الناطق في الانبياء .

٩ — وبكفيسة واحدة مقدسة ، جامعة رسولية .

١٠ — وأهترف بعمودية واحدة للمغفرة الخطايا .

١١ — وأترجى قيامة الموتى .

١٢ — والحياة في الدهر الآتي آمين (١) .
هذا هو نص القانون الأرثوذكسي مخالفه النص الكاثوليكي في المادة الرابعة منه فيها « وتالم ومات وقبر ، وفي المادة السادسة : وجلس عن يمين الله الآب ، وفي الثامنة : المنبثق من الآب والابن (٢) ، ولذلك يعتبر الأرثوذكس الكاثوليك خارجين على المسيحية وقد عقد أحد بطاركة القسطنطينية بجمها في القرن السادس عشر « قرر فيه أن البابا وسائر الكاثوليك وثنيون (٣) » ، ورد الكاثوليك بنفس الصاع فقرروا أنه « لا وحدة إيمان عند الأرثوذكس (٤) » ، ونصيب

(١) ص ١٢ التعليم المسيحي الأرثوذكسي : أغناطيوس فرزلي مطبعة أباتولي . الإسكندرية (٢) انظر ص ١٠١٩ من « شرح التعليم المسيحي لافس الكاثوليك يوسف لويس مطبعة البرتيري . (٣) (٤) انظر ص ٩٨ ، ٩٩ من كتاب : « سلاحك أبها للمسيحي » لنعمة الله المتداوي . جونيه . لبنان .

هذه العقيدة ^(١) ... فأما عن الكلمة في الآية فهي قوله تعالى للشيء : كن فيكون ، وأما الروح ، فهي القوة التي يرسلها الله في أي مخلوق لتدب فيه الحياة ، وهي في ديسى عليه السلام كما هي في غيره سواء بسواء .

ويلاحظ بهذا القشوي التغيير المتعمد في التفسير المراد من الآي ليستخرج بذلك ما يريد ، فنظرية الفساد في مذهبه تقول : يا إنسان واحد - هو آدم عليه الصلاة والسلام - دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس حتى يأتي الفادي ، أو الخالص - وهو هنا عيسى عليه الصلاة والسلام في مقصود المذهب - فيستقبل هو الآلام ويرفع الخطيئة ، هذه خلاصة النظرية واقتضى الأمر - الذي بات القمص عليه - أن يفسر قول الله تعالى : و فن تبع هداي ، الآية بجعل معنى (هداي) الهادي أو الفادي يريد القمص (عيسى) عليه الصلاة والسلام . ويريد سبحانه (كتبه ورسله) . وموقف القرآن في ذلك محدد في أمرين : ١ - أن الله سبحانه تاب على آدم ... والنص واضح : فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم .

٢ - كل نفس بما كسبت رهينة ...

(١) انظر . للمستشرقون وللبشرون في المسالم العربي والإسلامي لبراهيم خليل أحمد . مكتبة الوحي الكبرى .

وإذا كان هو يناقض بذلك نفسه ، فالقرآن الكريم لا تناقض فيه ، والقمص يعلم يقينا تقرير القرآن في التوراة والإنجيل ، ففيها حذف وتغيير وتبديل ، فكيف بعد ذلك يطلق القرآن لفظ آيات ، على ما أنكره واعتبره محرفا ، والأمر ليس مصى الفهم . فالمراد في الآية : من آمن من أهل الكتاب وهكذا على تلاوة القرآن .

وكذلك فعل باسيليوس فقرأ قوله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكتبته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ١٧١ النساء فأخذ من الآية - ليقرر التثليث كما توهم - هذا الجزء : إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكتبته ألقاها إلى مريم وروح منه ، ولما كان ما يلي ذلك مباشرة ضد ما قرره أمر الاستغناء عنه ، على أن الله سبحانه قد كشف للمسلمين عن هذا الخاطئ التبشيري فكاتب راعي كنيسة باقور : لبراهيم خليل فيلبس بعد إسلامه طريقة هذا التبشير واهتماده على هذه الآية بالذات للتغيير - بعد السكوت عن باقيها - ببسطاء المسلمين لتقرير

فن اجترم جرما فعليه وحده عقوبته ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ويعنى ذلك فى وضوح أن البشر لم يرثوا خطيئة ، ولا تداولتها أعقابهم . وضلال البشر بعد آدم حدث لأسباب لا تمت بصلة لآدم - تماما كما يحدث من ضلال للبشر فى أيامنا - وبهذه المناسبة نسال الله : إذا كان عيسى صاب ، وفدى البشر ، واحتمل الألم ، ورفع الخطيئة فلماذا الغفران ؟ وأى شئ تغفرون ؟ وإذا كانت هناك خطيئة . يرفعها الصليب أليس يجب أن تكون قدوة حسنة فتصلب نفسك وترفع خطيئة جيل وتفسح للناس الطريق إلى الجنة ... ٩١ . ٩١ ...

وبعد التفويه فى المعنى المقصود يأتى بتشويه آخر فيصطنع دأية ، من آيتين ويخرجهما هكذا فى كتابه الذى أسماه «الحق» : فانكبحوا ما طاب لىكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، ، والجزء الأول إلى واحدة من الآية رقم ٣ من سورة النساء ، والاخير من الآية رقم ١٢٩ النساء ثم يدعى أن المسلمين أخفوا عن المسيحية نظام الزوجة الواحدة ص ٢١ ، ٢٢ من الكتاب . وهذا موضوع لم يخطط له فى كتابه ، ولا هو من حصيد هذا الكتاب ، وفضلا عما فى عمله من (خيانة) للنص فيه إنكار لوصحى القرآن ، ومع ذلك نساله فى بساطة : أن يتفضل فيرشدنا - نحن المسلمين - إلى موضع

« الأخذ ، من أى الأناجيل المتداولة ؟ ويعود بأحكام الولى والصدى والشمود والبكر والثيب ... الخ . إلى مواطنها من الأناجيل ، وله من الزمن حتى قيام الساعة ، فإننا على رأى تولى (ليس فى الإنجيل تعاليم بشأن الزواج بل فيه ما ينافية (١) ، (لم يوجد زواج مسيحى ولا يمكن أن يوجد (٢)) .

(ب) الدعاوى الكاذبة :

حفلت هذه الكتب بمفتريات مقصودة ضد الإسلام منها على سبيل المثال ما جاء فى كتاب باسيلوس باختصار :

البسمة دالة على الأب والابن والروح القدس القسم كان ثلاثا ليسدل على الأب والابن والروح القدس .

الطلاق كان ثلاثا ليسدل على الأب والابن والروح القدس .

ولما كانت مراجعنا بريئة من هذا الزيف وكانت أناجيله أيضا بريئة من هذا الخاط لم يقدم لنا شيئا عن هجرية هذا الاكتشاف فأما من معنى الرحمن والرحيم فى « البسمة » فرجة إلى أى قاموس عربى مختصر كفيمة بتوضيح المراد ، وأما القسم فإنه ينعقد بالمرّة كما ينعقد بالثلاث ، وأما الطلاق فكان ثلاثا مرة بعد مرة بعد مرة حتى يتيح فرصة قرار قاطع لكلا الزوجين .

(١) (٢) ص ٣٤١ ، ٣٤٥ الآيات الاجتامية

وعلاجه كونت ايون تولستوى طبعه أولى .

على الإنسان مهما كان دينه فينطبع قسراً عنه في تصرفاته . . فإذا كان الأمر كذلك نقول : ما كان فطرة كان العلم به ضرورة عقلية بديهية ؛ فالواحد نصف الاثنين وهي ضعفه أمر فطرى لا يختلف فيه اثنان ، فلم ترى المذاهب المسيحية المختلفة أن تعلم التثليث فوق إدراك العقل ، ككتب ذلك باسيليوس ، كما كتبت ذلك العندادى^(١) ، والآخر كاثوليكي ، ثم هل يعلم سيادته أن لفظ (السلام عليكم) هو الواجب للخروج من الصلاة .

وينبغى أن أشهد هنا إلى ترهات باسيليوس حتى عن المسيحية نفسها فهو خلو تماماً عن معرفة تاريخها وبخاصة في القرون الثلاثة الأولى فهو لا يعلم شيئاً عن المسيحيين الموحدين لكن حسابه في ذلك ليس علينا . أما عن جهله بالإسلام فقد كان سافراً إلى أكثر من موضع وحسبنا في ذلك يقينه ، بأن الحجر الأسود هو الكعبة نفسها ونؤكد له أنه : ليست الكعبة أو الحجر الأسود دأيقونة ، ومن سجد للكعبة مقدساً ذاتها أو قبل الحجر أبداً له فليس من الإسلام في شيء : د فن كان يروج لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .

(د) النيل من الإسلام ورسوله وكتابه :

لقد أشرت في مقدمة هذا المقال إلى طريقة

(١) ص ٧٧ من كقاب : صلاحك . . . الخ .

ثم نحن - المسلمين - لسنا في حاجة إلى ثلاثيات تؤكد لنا عقيدة الأب والابن والروح القدس لغنا ما عنها بتوحيد الله ذاتاً وصفاتاً وعدم إشراكنا معه أحداً من خلقه ، وبقيتنا بانحراف أهل الحلول وأولى بالثلاثيات الأرثوذكسية ، وما دام ذلك د بياناً ، يراه (باهراً) فلم خلت الاناجيل منه ؟ وهو يراه أمراً الحق بحياة الأرثوذكسى دينياً واجتماعياً .

ويشبه هذا الخط ما فعله زميله بطرس في كتابه (المسيح ابن الله) فقد أبى إلا أن ينقل عن (الملل والنحل) أو (الله) الأستاذ العقاد - وهي كتب تدعى ببسط العقائد المختلفة من وجهة نظر أهلها - نصوصاً تصور على أنها آراء شخصية للكاتبين انظر ص ١٠ ، ١٢ و ١٤ ، ١٨ . الخ من الكتاب ، فعل ذلك خديعة بالمسلمين ، ليصور لهم أن أئمتهم في الفكر والدين يؤمنون بالتثليث . وجدير بالذكر أن هذه الكتب بالذات تحوى ودوداً ضد التثليث ، وبدهى أن يحذفها بطرس .

(ج) الترهات :

وأولها بالملاحظة رأى باسيليوس في سلام المسلم في نهاية صلاته ، رأى ذلك رسماً للصليب ، ولعله يريد بهذه الدهوى أن يلقي في روح الصنح أن الأرثوذكسية أو اختيها دين فطرى ، وأنها لذلك ذات رمز يسيطر

فقال لهم : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وأخذ من اليهود والمسيحيين الكثير من الطقوس في عباداتهم ... الخ

وإلى هنا نجد الكتاب نسخة مكررة من دعاوى الطاعنين في الإسلام مشرقاً ومغرباً وتبين هدف الكتاب في وضوح يستقر وراء ذلك كله دهوة واحدة هي : أن الإسلام « صناعة محمد ، ومثل هذه الدعوى تدخل في « المنطق ، باب الحكاية ، واستصعاب الجدل برأيه ، دون التماس وجه الحق . : ١ . إن الإسلام دين وحدانية لا شرك فيه وقد أمر أتباعه بتجنب الكهانة والبعد عن الوثنية ، ولم يجعل العبادة مرتزقا خبيثاً لأحد فإنما هي كلمة : « استغفر الله وأتوب إليه ، يقولها العبد لربه ، ليس بين يديها مال ولا تجر إلى دعاة فساد خلا وجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

وما ينقم القحطان منا إلا أن آمننا بالله وحده إيماناً لا يلقى عقولنا ، أو يهزأ بها وبالعقل - وحده - كنا مكلفين بواجبات ديننا مسئولين عنها . لذلك كان في الدنيا مسلمون وكان فيها إسلام ولا أحسب أحد القمامة يجهل ما في العهد القديم : من مات مصلوباً مات كافراً ومعاذ الله أن يكون المسيح كذلك ؟

على الخطيب

الاستشهاد بالقرآن لتقرير التثليث ثم الرجوع إلى التكذيب له ، وقد كان هذا كافياً في تصوير الموقف بجملة . فلتر إلى أى مدى صار باسيليوس متناسياً كل ما يجب مراعاته من احترام الأديان وتقدير إحساس معتققيها وفسادته - في ذلك - حتى حق الوطن . فما ورد صريحاً من تكذيبه للقرآن دعواه أن :

« القرآن يثبت صلب المسيح ، وهو يعلم قوله تعالى : وما قتلوه وما صلبوه ٥٧ النساء وقوله « القرآن يؤيد التثليث وينفي التحريف ، وسورة المائدة كفيها بالرد ، بل لقد كتب باسيليوس نفسه ص ٢٢ من كتابه يقول باختصار : « إن النسخ الأصلية للقرورة والإنجيل قد فقدت ، ثم يلتمس لذلك حكمة حيث يقول : « والذي يحار له الإنسان هو لماذا لا يحفظها القدير من التلاشي ؟ ولكن فقدما كان الحكمة عالية لأنه لو بقيت النسخ الأصلية لعبدما البشر ، ولعل هذا كاف القول « من باسيليوس إلى باسيليوس ، فعليه أن يبتعد عن القرآن .

وما كتبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في اختصار أنه كان قبل الإسلام وثقياً وأنه أراد أن يرضى كل الطوائف . فأرضى الوثنيين بتقبيل الحجر الأسود - الأمر الذي أغضب أبابكر (هكذا) وأرضى المسيحيين فاعترف بالإنجيل ، واليهود إذ قال عنهم : يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وإني فضلتكم على العالمين ، وأرضى العرب

سـر...!

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

عشت أمتي النفس أن استريح
فها أنا أحياء بماض جريح
وليس لي من أمل في غدى
حتى الذي أبصرته في يدي
عشت وبني شوق إلى ما أريد
كأنني أوجو امتلاك الوجود
وسرت في الدنيا بقيد وحيد
لو صاغ هذا القيد بأس الحديد
لكنه من نبض قلبي الرقيق
حملته في مهجتي ، لا أفق
حملته مخفية روحى التي
وتسكب الدمع من الحرقه
وليس قيلاً ما تراه العيون
يفرى الحفايا ، ويشير الشجون
وكم دعوت الله في خلوتي
فها أنا ما زلت في عنقي
علام ياربى تضييع الحياة
ما في حياتي من عذاب سواء
لولا ياربى عرفه المنى
رانساب في همري رقيق السناء

يوما من السر الذي في دى
وحاضر باكي الرؤى مظلم
فكل آمالي ضاعت سدى
رايته يذهب لما بدا
فلم أنل إلا عذاب الرحيل
أو أنفى أصبو إلى المستحيل
لكنه قيد عني وهيب
لكن خطبي دون كل الخطوب
ووقدة الحس ، وخفق الشعور
من ناره إلا لكي أستجير
عاشت تبث الكون أحزانها
لعله يطفى نيرانها
لكنه ما عاش طي الخفاء
فقتل الدمع يد الكبرياء
أن يكشف البلى عن البائسين
ولم أزل أحياء كطهر بيبين
من أجل سر لا يريد الرواح ؟
ولا بقلبي غيره من جراح
خضراء مثل الجنة الزاهرة
فجراً ينادى روحى الحائرة

لولا ما عشت بقلب سجين
ولم تذق روحى عذاب الحنين
لولا قبلت جراح الهوى
وقدست نفسى لمهب الجوى
لولا غنيت فكان الغناء
ويجعل الدنيا تربق الصفاء
يا سر، يا من لا تراه العيون
قد كنت فى ماضى حياتى تهون
وكنه فى بحر الصبا لا أزال
والنفس نشوى بعبير الحيال
فكنت إن طافت بقلبي المأموم
قلت لقلبي سوف تمضى الغيوم
والآن والعمر وشيك الغناء
هل ينفع الصبر، ويجدى الرجاء
يا رب إن ثرت على قسمتى
فأنت تدوى السر فى ثورتى
يا رب قد مارست بعض الذنوب
وأنت أدري بخفايا القلوب
قد اكتوت روحى بنار المأموم
فإن ترى روحى عذاب الجحيم
هذا عزائى : وهو نعم العزاء
ولى رجاء يا لاله السماء

وما انطوت نفسى على يأسها
تفرغه الأقدار فى كأسها
وباركت روحى دموع الوداع
وأبصرت فيه رقبى الشعاع
يشيع فى القلب ابتسام الربيع
فى أرض أيامى كنهر وديع
وناره فى القلب لا تخمد
إذ كانت الآمال لا تنفذ
والعمر يمتد امتداد الرجاء
والكون رفاف بسحر الضياء
وكاد يطوفنى ظلام المساء
ويقبل الفجر ، وتصفو السماء
والسر ما زال رهيب العذاب
إذا خبا العمر ، وضاع الشباب ؟
ثورة نفس تتحدى القدر
والسر خاف عن قلوب البشر
ليعرف النسيان قلبى الحزين
يا من خلقت النار للذنبين
وعذب النفس شقاء الحياء
يا بى عذاب الروح عدل الإله
عن محنتى ... عن محنتى العاتية
ألا أراها مرة ثانية

إبراهيم محمد نوجا

إلى البطل الشهيد عبد الموم عارف :

في رحاب الخلود^{حفظ} للاستاذ محمد الهادي السيّد

أى رزه أصاب قلب السلام ؟ أى خسران قد أصاب بلادى ؟
أى خسران قد أصاب بلادى ؟ فجع النيل والفرات ، وأدى
فجع النيل والفرات ، وأدى صفحة من صحائف الخلد تطوى
صفحة من صحائف الخلد تطوى أمل شاخ ، وتاريخ شعب
أمل شاخ ، وتاريخ شعب طاش يقضى على العواصف هوجا
طاش يقضى على العواصف هوجا يا أبا الثورات الثلاث . . وداعا
يا أبا الثورات الثلاث . . وداعا كم أذاك الحمام وجها لوجه
كم أذاك الحمام وجها لوجه قد أجرت العراق من قبضة الملع
قد أجرت العراق من قبضة الملع ومن الخلف جاء الخل غدواً
ومن الخلف جاء الخل غدواً ودنا منك جبل مشنقة الغد
ودنا منك جبل مشنقة الغد وعظيما دخلت وزانة السج
وعظيما دخلت وزانة السج إنها منك بسمه الثقة الملع
إنها منك بسمه الثقة الملع ثم أعدمت من أتى بك للسج
ثم أعدمت من أتى بك للسج وتقدمت في الطريق ، تنادى :

أى رزه فى العرب والإسلام ؟ أى خطب من الخطوب الجسام ؟
أى خطب من الخطوب الجسام ؟ قلب من فى الجنوب أو فى الشام
قلب من فى الجنوب أو فى الشام حلم قد هوى من الأعلام
حلم قد هوى من الأعلام وجدوه الغداة بين الحطام
وجدوه الغداة بين الحطام وأنى حاصف بموت زوام
وأنى حاصف بموت زوام فى رحاب الخلود (عبد السلام)
فى رحاب الخلود (عبد السلام) فتحدث وجه هذا الحمام
فتحدث وجه هذا الحمام لك ظلوما ، ومن يد الإجرام
لك ظلوما ، ومن يد الإجرام ثم يقضى عليك بالإعدام
ثم يقضى عليك بالإعدام ر ، فلم يبصروا سوى الإقدام
ر ، فلم يبصروا سوى الإقدام سن ، تلاقى قضاهم بابتسام
سن ، تلاقى قضاهم بابتسام سبرى ترى الله حاكم الحكام
سبرى ترى الله حاكم الحكام سن ، وحطمت قلعة الآثام
سن ، وحطمت قلعة الآثام وحدة العرب ، تلك كل مرأى
وحدة العرب ، تلك كل مرأى

محمد الهادي السيّد

بور سعيد الثانوية بنين

الحقيقة في مشكلة فلسطين

للكاتب الهولندي ق. هـ. ليونارد

ترجمته عن الإنجليزية : محمد حسام الدين

- ٤ -

وفي تقرير للسكونيت برنادوت وسيط الأمم المتحدة الذي عين في مايو ١٩٤٨ هاجم فيه المبادئ الصهيونية فقتل بسببه على يد الإرهابيين الإسرائيليين ، كتب عن اللاجئين العرب يقول : لأنه من الظلم ومن المجاعة لمبادئ العدالة الإنسانية أن تنسك على ضحايا الصراع الأبرياء حقهم في العودة إلى وطنهم بينما المهاجرون من اليهود يتدفقون على فلسطين ، هذه الهجرة في حقيقتها ، على أقل تقدير ، تشكل تهديداً أو تعتبر خطراً على إعادة التوطين الدائم للاجئين العرب الذين استقروا واعتدت جذورهم في هذه الأرض منذ قرون ، .

وفي ١١ ديسمبر ١٩٤٨ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً لحل مشكلة اللاجئين العرب ، هذا القرار يعطي حق الاختيار للاجئين بين العودة إلى وطنهم أو التعويض وقد اختارت الأغلبية الساحقة لأول وهلة العودة إلى الوطن ، ولكن إسرائيل رفضت الإعادة أو التعويض وحبذت أن يندمجوا في البلاد العربية المجاورة

وقد أعطى (دير ياسين) قوة دافعة للجماهير الهاربة من عرب فلسطين حينما انتشرت أخبار المذبحة بينهم ، وكانت وسيلة - كما جاء في تقرير رئيس البعثة الدولية للصليب الأحمر في فلسطين - لنشر الرعب على نطاق واسع كما رتبته اليهود ، وكما نفذوه ببراعة . هذا الأسلوب قد دبر في صورة خفية ونفذ بوسائل الحرب النفسية كتهديد للجماهير بمصير دير ياسين .

وكانت الخطة الصهيونية للإرهاب ضد الفلسطينيين العرب قد أوضحت وأبعدت أي شعور بالتردد في البلاد العربية المجاورة بالنظر إلى استعمال القوة وأدت إلى حرب فلسطين مباشرة عقب إعلان دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ .

وفي خلال هذه الحرب ساق الجيش الإسرائيلي الأهالي المدنيين خارج المدن والقرى واحتلها ، وبهذه الطريقة وكما حدث قبلها نتيجة للإرهاب الذي ارتكب في دير ياسين ظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين العرب إلى الوجود .

يظهر اللاجئين كما لو كانوا يطلبون العودة إلى وطن قد بيع ودفع ثمنه آخرون دفعوه إلى التقدم والرقى، ولكن ينفي هذا، أنه في الرابع من يولييه ١٩٤٧ صرح بن جوريون أمام اللجنة الخاصة بفلسطين بقوله «إن العرب يملكون ٩٤ ٪ من الأرض ويملك اليهود ٦ ٪ فقط».

وحينما قامت دولة إسرائيل كانت ممتلكات اليهود تشكل ٧ ٪ من فلسطين ومجموع ٩ ٪ من إسرائيل وكان أكثر من ٨٠ ٪ من المساحة السكانية لأرض إسرائيل هو تركة اللاجئين العرب، هؤلاء اللاجئين خلفوا مدناً بأكلها مثل يافا وهكا والد والرملة ويث وبيت شان والمجدل وأكثر من ٣٨٨ مدينة وقرية وكذلك معظم أجزاء ٩٤ بلداً أخرى تشتمل تقريباً على ربع العمارات والمباني في إسرائيل ١٩٥٣ وقد ضرب الصهيوينيون واليهود جزءاً من هذه المباني عمداً لينهوا عودة اللاجئين، وزيادة على هذا، المحلات التجارية والصناعية والمنشآت الزراعية، وهربات النقل والجرارات، و٥٢ محجراً وما يقرب من ٩٥ ٪ من أشجار الزيتون في إسرائيل كانت موجودة قبل قيامها وكذلك السكروم والبساتين.

وفي ١٩٥٤ كان أكثر من ثلث السكان اليهود الإسرائيليين يعيشون على أرض

وهذه الدول بالتالي رفضت أن يندمجوا فيها ولكن رفض هذه الدول - مهما تكن الاعتبار التي أملت هذا القرار بالنسبة لمصالحها القومية والتي يمكن أن تكون ضرورية - يؤيد اختيار اللاجئين أنفسهم كما يؤيد قرار الأمم المتحدة، وفي الواقع أن رفض السماح لهم بالعودة انتهاك للحق الطبيعي للإنسان، الذي يتمتع به ضحايا الحرب، والذي اعترفت به الأمم المتحدة وهو سلب لحق الاختيار الذي منح وخول للاجئين أنفسهم بصفة خاصة وليس لإسرائيل؛ لأن عرب فلسطين في الحقيقة ليسوا ضحايا لأعمال الحرب فحسب وإنما هم ضحايا الطرد المتعمد، الذي بدأ قبل خمسين عاماً بوسائل تدريجية، ثم عجلت به أعمال العنف وفيما يتعلق بانتهاز الفرص فإنهم يترقبونها تحت إرشاد وتوجيه زعماء بعيدى النظر يخططون لعشرات السنين.

يقول (ولسن) : «حينما تم إجملاء الشعب العربي عن هذا الجزء من فلسطين الذي أصبح إسرائيل فيما بعد تبين أنه شرط ومقدمة لهجرة على نطاق واسع ولولا هذا الإجملاء لما كانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تهدد شيئاً حتى ذلك الحال الحيوى النادر المهدود الذي أمكن الوصول إليه».

لقد قيل: إن العرب قد باعوا وطنهم بأكله لليهود بعد أن أهملوه عدة قرون، وهذا

لا وطن لهم لأنه ليس لنا حق أن نبني استقراوا
لتحقيق فكرة الصهيونية بثروة شعب آخر
إذا فعلنا هذا فنحن لصوص ، .

أما تصوير الموقف وتحديد هدى اليهود
بعامة فيأتي في عبارة (صامويل) أقرب
مساعدى (وايزمان) اليه : نحن لا نستطيع
أن نفيد العرب ، وسنحارب حربا شاملة لنمنع
ذلك ، هؤلاء العرب الفلسطينيون قد تحولوا
إلى شعب من المنفيين بوساطة إسرائيل ،
والصياح وزاثرو إسرائيل لا يرون إلا دولة
الرفاهية الحديثة وإنجازاتها القوية وواقعها
الرائع بينما يخفى اليهود عن أعينهم الأسس
التي قامت عليها الدولة : التمزق ، والتصدد ،
والخلل ، هذه الأسس كلها كشفت الغش
والخداع والنهب والقتل بالجملة وبؤس
اللاجئين .

إن حق اللاجئين في العودة معترفا به بغض
النظر عن السبب في جلائهم وعندما يكشف
عن سبب الجلاء سيجد الحق أنصارا
كثيرين في كل مكان ، إنه لم يكن عبثا
أن يخطط هرتزل سياسة العمل للسكان
الوطنيين المساكين عبر الحدود وأن يكون
تنفيذها سرا .

وهل هذا فإن وجود اللاجئين الفلسطينيين
العرب يمثل فكرة محددة وخطة موضوعة
ولكنه يكشف عن الفشل الصهيوني العمل

اللاجئين الفلسطينيين أى وهاء ربع مليون
إسرائيلي يعيشون على هذه الثروة الصليبية .

وفي ١٩٤٩ كان ناتج الزيتون العربى ثالث
صادرات إسرائيل وفي عام ١٩٥١ ، ١٩٥٢
كانت الفواكه والمواالح العربية تشكل نصف
المواالح الإسرائيلية المصدرة تقريبا ، وكانت
تساوى ٢٩ في المائة من الدخل عن الصادرات
الإسرائيلية بعامة .

إن الثروة العربية في فلسطين لم تكن مدداً
ومعونة اقتصادية وفرصة للعمل للهاجرين
اليهود بل كان لها أكبر الأثر في تحديد وإبراز
النموذج الحى للحياة الاجتماعية العامة في
إسرائيل وعن (يهود) - وهى مجموعة صغيرة
من معاونى (ماجنز) احتفظ بهم - كانت تظهر
معارضة يقوم بها فرد معتزل لم يستطع أن
يصلح نفسه مع دولة يهودية تتأسس على
هذه الحال فيقول ، وفي النهاية يجب أن نخرج
إلى العالم بالحقيقة وهى أنه ليس لنا حق
أخلاقي ، مهما يكن من أمر ، في معارضة عودة
اللاجئين إلى ديارهم ، ذلك إلى اللحظة التي
يجب أن نبدأ فيها التفكير من ذنبنا ،
لأنه ليس لنا حق في أن نستمر في جمع
المنفيين ، وليس لنا حق في أن نطالب
اليهود الأمريكان أن يغادروا بلدهم الذي
تعلوا به ليستوطنوا بلداً آخر قد سرق
من أهله بينما أصحابه الاصليون بؤساء

أولها لإميل خورى سكرتير اللجنة العربية العليا ، أما الثانى فهو البطريك جورج حكيم بطريك الجليل .

وقد وجد بالبحث أنه بمحذف المقدمة والسياق اللذين قدمت بهما هذه الشهادة الأولى ، صار لها معنى آخر يختلف عن النتيجة التى سيقت من أجلها .

أما الثانية : فقد أصححت على خطاب من البطريك نفسه تعمدت السلطات الإسرائيلية سوء استعمال كلماته وتحويلها على غير أساس وفى الحقيقة أن البطريك يلقى مسئولية جلاء العرب كاملة على عاتق إسرائيل بسبب الإرهاب والطرد الجماعى .

لقد بقى فى إسرائيل قسلة قليلة من عرب فلسطين وانتزعت منهم معظم أراضيهم بواسطة القوانين الخاصة ببيع بالجملة ونهب ولكن مع سر وجه الحقيقة ، .

وأكثر من هذا وهما : أن ينهض معارضون من جماعة اليهود ضد المعاملة غير العادلة التى يلقاها الشعب العربى الفلسطينى فى إسرائيل وضد التفتيت والتزيق للعرب فى أحياء يهودية متفرقة - كما رسم لهم منذ تأسيس الدولة اليهودية - والقوانين الخاصة العسكرية والاستقال بوحدة السلطات التنفيذية دون إذن ومحاكمة ، ومجالس المحاكمات العسكرية دون حق ، والطرد الاختيارى ، والغرامات

فى توطينهم هناك ، ولهذا فإن كثيرا من الصهيونيين يبذلون هم وإسرائيل جهودا جبارة ليمنعوا وجود السلاجتين وليخفوا سبب جلائهم خاصة ، وبالتالى النقد المتعلق به وبما أصبح معروفا أن اليهود يعارضون كل شئ يتعلق باللاجئين حتى ما كان متصلا بأغراض إنسانية بحمة ، ومن أجل أن يبرئوا أنفسهم من اللوم تجاه إجلاء العرب فإن الصهيونيين يمثل اليهود فى إسرائيل طلبوا من العرب أن يبقوا فى حيفا ، وبوصفهم الممارسين للموقف اليهودى العام فقد ألغوا اللوم على عاتق قادة العرب باتهامهم أنهم الذين حضروا على الجلاء وقد أثبت البحث الدقيق أن طلب اليهود من العرب البقاء فى حيفا كان قد اتفق أن يبدأ به استثناء ، فضلا عن أنه كان مجرد دعاية بعد أن نجحت عصابات الإرهاب فى إتمام حملها : الطرد بالإكراه وبعد أن بدأ الجلاء بالفعل .

إن السياسة العربية الإيجابية تجاه إجلاء الفلسطينيين العرب لم تتوثق ولم تؤيد بقوة قادرة على الدفاع بينما كانت التحذيرات العربية ضد الجلاء حقيقة واقعة .

إننا لا نجد إلا شاهدين فقط كدليل على مسئولية العرب تجاه الجلاء ، وكشخصين مسئولين ، وقد استغل شهادتهما (آبا إيبان) فى خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة

أخير ، هذه الدولة وصفها بن جويون أخيراً بأنها ليست هدفاً في ذاتها ولكنها وسيلة إلى الغاية الكبرى غاية الصهيونية .

د إن الهجرة المحدودة وتمزيق الشعب اليهودي سوف لا يغير القدر وسوف لا ينفذ العهد التاريخي لنا ، إن الهجرة في أعداد ضخمة غزيرة ، هذا فقط ما تسمح به السيادة ولا بد أن تكون بدقة وفي حدود الإمكان للوجود الإسرائيلي ، هذا وحده هو الذي تسوخ به الهجرة ، إنها إذا لم تكن بدقة وبراعة لا يمكن الاستفادة بدعوة أكبر عدد من المهاجرين الذين يجب أن يكونوا مئات الآلاف .

إن واجب الدولة أن تضع نهاية للنزق والاضطهاد الذي يعانيه اليهود . . . ، وبالرغم من الاتجاه إلى تقوية النزعة الصهيونية والصفة الإسرائيلية في العالم اليهودي بواسطة إسرائيل والمنظمات الصهيونية فقد كانت هناك مقاومة لهذه المرحلة من جانب غير الصهيونيين اليهود قائمة على أساس ومستندة إلى آمال واهية ونظرات فقهية ، وكان فيهم ذوو الولاء العالمي وذوو القدرة الواسعة في التعبير والتوضيح ، ولكن رجح أصحاب رأى التوسع في الهجرة بقصد التعادل والتوازن في الدولة الجديدة ، وبخاصة بالنسبة إلى ما اتفق أن يكون دولة للعرب طبقاً لشرع التقسيم .

التي تفرض على القرى العربية بسبب جرائم يرتكبها أفراد .

وباختصار : نظام الطبقة الثانية من المواطنين الذي يصور هبوط أصحاب البلد ملاك الأرض الأصليين إلى مجموعة من الأذلاء المنحطين ليميز عليهم شعب آخر ويصور اضطهاد جنس من الناس ويجمعهم في فرع دائم من غزاتهم المنتصرين عليهم . هنصر السادة الإسرائيليين .

وقد برر بن جويون هذه السياسة تجاه الأقلية العربية ودافع عن هذا الموقف بأن نسب هذا الوضع إلى ما سماه « الخوض التلقائي العاطفي » .

وفسره « بأن عرب فلسطين مع الشعوب المجاورة لم ذوو طابع عاطفي ينطوى على الخوض للأغلبية التي بصمتها إليها ، ثم قال « إن كل يهودي سواء كان ماركسيا أو غير ماركسي يعتبر نفسه فرداً من العنصر المختار ويعتبر العرب شعباً أدنى منه » .

وحينما أقيمت إسرائيل فعلاً واستقرت ، ظلت المعارضة قائمة مع جيرانها ، وكانت المرحلة الثانية للصهيونية وهي « الاكتفاء الذاتي قد بدأت » .

والدولة التي كانوا قد أنكروا أن تكون هدفاً في أول الأمر ثم طادوا فجعلوها كهدف

إلى جميع الأجانب ويحوى هذا الإنذار قولهم
«إننا ، وبخاصة حكومتنا ، يجب أن نوقف
هذه التعبيرات : التحرير والاسترداد . . .

مع سراحة كل تلك الأجزاء لأرض إسرائيل
التي هي خارج حدود دولة إسرائيل . لقد
رأى العرب في حملة سيناء شاهدا جديدا على
أخلاق وطبيعة إسرائيل وبالرغم من أن
إسرائيل استعرضت قواتها العسكرية فقد
برهنت في عام ١٩٥٦ كما برهنت في عام ١٩٤٨
على أنه بموجب القوة سوف تكون قادرة
على علاج قبول العرب للأمر الواقع .

ولسوء الظروف أو لنقص المعدات
العسكرية لدى العرب بالنسبة لما لدى
الصهيونية فإن نظام المقاطعة الذي أشار به
(هرتزل) ونفذه خلفاؤه إلى الشرق الأدنى
في بداية القرن الحالى كوسيلة لإجلاء العرب
الفلسطينيين عند انعدام وسائل القوة الخاصة
التي يمكن أن تستغل ، هذه المقاطعة تستعمل
الآن على يد الدول العربية بالعكس كسلاح
ضد إسرائيل ، وفي بناء الصهيونية لدولتهم
نجحوا في خلق حقيقة واقعة من القوة ولكنها
لم تقبل كحقيقة كاملة .

ولقد تأكد لدى العرب أن أية موافقة
من جانبهم سوف تكون أداة في يد الصهيونية
لتهديد بها الطريق إلى حقيقة نالية من حقائق
القوة .

أصحاب هذا الرأى كان لهم تعبير رسمى
في نفس اللحظة التي أعلن فيها قيام إسرائيل
كدولة مستقلة .

وفي وقتنا الحاضر فإن الترجمة الحاطة
إلى اللغة العربية لما يحمله التعبير في النص
العبرى الاصل يخفى الحقيقة عن أعين العالم
الخارجى .

وبعد وقف القتال مع الدول العربية
المجاورة في ١٩٤٩ ، صدرت تصريحات
توسعية جديدة تكشف لهذه الدول ما يمكن
أن تتوقعه بالرغم من وقف القتال ، هذه
التصريحات لم تكن قاصرة على حزب
حيروت - الحزب البرلمانى السياسى الذى
تحولت إليه مظمه الأرجون ذاتها .

وطبقا لتصريحات بن جوريون رئيس
الوزراء في كتاب حكومة إسرائيل السنوى
١٩٥١ - ١٩٥٢ « إن اليهود يملكون الآن
جزءا من أرضهم » .

وفي الكتاب السنوى سنة ١٩٥٥ « إنه
ليس هناك من سبيل للتخلص من التفكير
البعيد في أرض إسرائيل التاريخية » .

وحينما احتلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء
ورصدت إلى قنال السويس صرح بن جوريون
« إن حدود أرض مصر لم تنتهك على يد
الجيش الإسرائيلى » .

وبعد هذه الغارة وجه اليهود إنذارا

أخرى بإرادتها في مجالها أو على حدودها .
إن الصهيونية التي حولت المجتمع اليهودي
عن بيئته إلى تعبئة كل قواه من أجل حقائق
جديدة من القسطنطينية والعدوان ستؤدي إلى
كوارث متتابة في الشرق الأدنى .

إن الصهيونية التي تنادي بالسلام هي
في طبيعتها تهدد السلام بالخطر .

إن هرتزل هذا الذي صور الصهيونية
كجاهدة في سبيل السلام ومن أجل هدف
ممكن لأنه من الأفضل أن يعملوا بعيداً
في أرض قديمة من أن يستقروا في حدود
جديدة بين الناس ، قال : (إن الآخرة
العالمية ليست شيئاً ، وليست حلماً جميلاً ،
إن العداوة هي الجديرة حقاً بأعلى الجهود
الإنسانية) .

وبعد : فإن تنبؤات هرتزل وأحلامه قد
تحقق ، وإسرائيل ليس لديها نقص
في العداوات ولأجل الفهم الصحيح لتطور
مشكلة فلسطين في المستقبل ، ومن أجل ربطها
بحل يستهدف السلام الحقيقي ؛ فإنه من
الضروري أن نتذكر : كيف صنعت إسرائيل
هذه العداوات ؟ !

تمت

ترجمة : محمد حسام الدين
بجمع البحوث الإسلامية

لقد كتب هرتزل في (نظريته) بالنسبة
للدول التي أمل أن يكسب موافقتها
لاستقرار اليهودية في كنفها : (إن واحداً
من أهم الامتيازات التي لا بد أن يمنحونا
إياه هو السماح بأن يكون لنا قوة حماية .

وفي البداية سوف نحتاج لإذنهم وسماحتهم
وبالتدريج سنصبح أكثر قوة وسنمنح
كل شيء نحتاجه وسنكون قادرين أن نتحدى
كل كائن) .

هذا دليل واضح على أن عبارة (ما نحتاجه)
في مرحلة التحقيق والإيجاد الذاتي للصهيونية
والتي ابتدأت الآن لا تعني كل شيء بعد .

إن الحقيقة حول مشكلة فلسطين تركز
في تتابع حقائق تاريخية في سلسلة من الأفعال
ورود الأفعال خلقت واستمرت في خلق
هذه الحقائق ثم في قيادة ودفع القوة بعدها ،
هذه الحقيقة برهنت على أن العرب حين قادوا
القوات لم يكن ذلك صادراً عن روح عدوانية
أو طبيعة كراهية وعداء تجاه اليهود ولكن
من دافع أساسي هو (المحافظة على الذات)
لأنهم كانوا يدعون دائماً كقوات مجموعة
في رأي الصهيونية التي لم تكن تبحث عن
الحل في تعاون حقيقي معهم .

ولكن بأن تبقى في قلب العالم العربي وضعاً
يعتمد على القوة في غاياته القوسعية ويقف
فاصلاً بين الأمة العربية - وضعاً لا تقبله أمة

الأسرة بين الشريعة الإسلامية والميثاق

للاستاذ محمد إبراهيم عبد الرحمن

وكي نناقش هذه العبارة نسال هذه الاسئلة :
ما المراد بالمساواة ؟ وما المجالات التي يمكن
أن تطبق فيها هذه المساواة ؟ وما مدى التوفيق
بين الشريعة والميثاق ؟

المرأة - في نظر الإسلام - كالرجل من
حيث مسؤوليتها مسئولية كاملة عما تلى من
أمر ؛ فهي مسئولة عما تبأشر من شئون
الأسرة ، وهو مسئول مما يديره من عمل :
الرجل في بيته راع وهو مسئول عن وعيته
والمرأة في بيتها راعية وهي مسئولة عن
رعيتها ، وقال تعالى : : « وقل اعملوا فسيرى
الله عملكم ورسوله والمؤمنون ... » (١) .

وقد عرف عنها منذ فجر الإسلام تحملها
لمسؤوليتها كاملة ، ووقوفها إلى جانب الرجل
مشجعة ومثيرة ؛ فكانت خديجة بنت خويلد
- رضى الله عنها - تشجع النبي عليه السلام
برأيها ، وجهدها لينهض بهب الرسالة ،
ويحدثنا التاريخ وكتب السير بأنه عليه
السلام كان يقرع بين زوجاته للخروج بإحداهن
في الغزوات ، وكن - هلمن الرضوان -
حريصات على شهودها إلى جوار النبي الكريم .
وتقول الربيع بنت معوذ : كنا نغزو مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففسق الجيش ،
ونظمو الطعام ، ونأمر الجراح .

(١) سورة التوبة .

يعتبر اهتمام الميثاق بالطفولة صافعة المستقبل
هو نفس اهتمام الإسلام بها وفي حديث الرسول
عليه السلام ، وكلام الصحابة ما يفيد وجوب
العناية بالطفل وتوجيهه إلى ما ينفعه : هلموا
أولادكم السباحة والرمية ، والثوب على الخيل
ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
موصياً بالأولاد : « أقرئهم القرآن ، وروهم
الشعر » .

فمثل هذه النصوص ، وغيرها كثير ، تدعو
إلى تعليم الطفل الفروسية ، وأساليب الحرب ،
وتسديد الهدف ، إلى جانب تنشئتهم تنشئة
أدبية ، بمرانهم على القول الجيد ، وإهدادهم
إعداداً طيباً لمجاهدة الحياة التي سيحيونها .

ولعمري إن هذا هو روح الميثاق الذي
يدعو إلى توفير كل ما يلزم للعناية بالطفل ،
 وإهداده للمسؤولية الخطيرة التي ستواجهه
في المستقبل القريب ، حتى ينهض بها على خير
الوجوه ، ويقود البلاد بنجاح تام .
المساواة بين الرجل والمرأة :

وقد نادى الميثاق بالمساواة بين الرجل
والمرأة حين قال : إن المرأة لا بد أن تسامى
بالرجل ، ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التي
تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك
بعق وإيجابية في صنع الحياة .

التي تعترض طريق تقدمها ، وتفتتها والقيام بوظائفها الطبيعية .

حقيقة إن هنالك أعمالاً شاقة ، وبعض مجالات العمل لا يمكن إقحامها ، ومن صالحها وصالح المجتمع أن تظل بمنأى عنها . نشاط المرأة في الإسلام :

والدين الإسلامي يدعو المرأة إلى العمل ، ويفرض عليها التثقيف ، ولا يمنحها من المشاركة الجادة في توجيه سياسة الأمة ، مادامت أهلاً لذلك ، مسلحة بالوعي والفكر والخلق الفاضل ، والدربة الكاملة وفي السنة الشريفة والكتاب الكريم ، ما يشير إلى ذلك صراحة ، وتليها ، وفي سمر فضليات المسلمات غناء أي غناء .

فالقرآن يدعو إلى العمل في قوله : « وقل احمِلُوا نِسَاءَكُمْ حِمْلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » وفي قوله : « كل نفس بما كسبت رهينة » . والرسول يدعو إلى تثقيفها وتعليمها : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (اتقوا الله في الضعيفين : المرأة واليتيم) ، وليس أدل على تقوى الله سبحانه من معاملة المرأة معاملة كريمة ، تبذل في توجيهها إلى ما ينفعها كالمعلم ، والحرية .

أساس القرابة في الأسرة :

على أي أساس تقوم القرابة بين أفراد الأسرة ؟ وإلى أي الوالدين ينصب المولود ؟ من المبعث أن نلتزم الإجابة عن هذين

وكانت عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما تشترك في الفتنيا ، وتدل برأيها في كثير من مسائل الدين .

وليس أدل على مساواة المرأة بالرجل في مجال الرأي ومجال العمل من هذه النصوص وتلك الأخبار .

حقيقة إن المرأة تختلف عن الرجل في كثير من الصفات الجسمية ، والنفسية ، ولا يعقل أن ينادى الميثاق بهذه المساواة غير الطبيعية بين كلا النوعين ، كما لا يمكن أن يساوي الدين بينهما فيما من شأنه أن يختلفا فيه ، لأنه اختلاف من صنع الله .

إن معظم الأعمال التي تولتها المرأة ، وتفوقت فيها كانت تناسب مع وظائفها الطبيعية ، واستعدادها الفطري ، والنفسية ، فعلى مدار التاريخ لم نرها قائدة عسكرية ناجحة ، أو قاضية بين خصمين ، وإنما مكانها الطبيعي مؤازرة الرجل ، والوقوف إلى جانبه ، أو مر ورائه . ولعل هذا راجع إلى ما في طبيعة الأنثى - عادة - من ضعف وقلة استعداد لمواجهة المواقف الحرجة ، وصيطرة العاطفة عليها في كثير من الشئون .

حين ينادى الميثاق بتحطيم الأغلال التي تعوقها عن الحركة الحرة لا يقصد إعطائها ما ليست له أهلاً ، ولا تقليد ما من الوظائف ما ينافي طبيعتها الرقيقة ، إنما يقصد تيسير السبل ، وتذليل الصعاب ، والإطاحة بالتقاليد

وحدثت عائشة رضى الله عنها أنه أهدى للرسول صلى الله عليه وسلم هدية فيها قلادة من جرز فقال: لا هديتها إلى أحب أهل إلى . فقالت النساء : ذهبت بها ابنة أبي قحافة . ولشد ما دهش الجميع حين دعا عليه الصلاة والسلام (أمامة) بنت زينب (ابنته) فأهلق القلادة في عنقها .

وهذا الأفرح بن حابس - سيد قومه - يقول للرسول صلى الله عليه وسلم حين رآه يقبل حفيديه الحسن والحسين - يا رسول الله إلهى عشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم . فقال عليه الصلاة والسلام : وماذا أفعل إذا كان الله قد نزع الرحمة من قلبك ؟ !

هذه الرابطة غريزية هند بنى الإنسان - ولو كره علماء الاجتماع - لأنها غريزة حب البقاء وخلود النوع ، وامتداد الإنسان بعده فنائه في الأولاد والأحفاد .

صحيح أن هناك خلافا بين نسبة الولد إلى أبيه ، وأمه ، أو لإيهما معا ، ويرجع ذلك إلى وجهة نظر كل فريق في تكوين الأسرة . رأى الشريعة الإسلامية في نسبة الولد إلى أى الأبوين :

وقد ارتضت الشريعة الإسلامية قرابة الأبوين مع ترجيح قرابة الأب ، ويظهر أثر هذا الترجيح في كثير من الحقوق ، والواجبات المتعلقة بالميراث ، والنفقة ، والديات . وعلى هذا النظام تسير الآن جميع

السؤالين في الميثاق ، لأن الميثاق لم يتعرض لنشأة الأسرة ، ولا للعلاقة بين الرجل والمرأة في ظل الحياة الزوجية ، ولا يضيره أن يهمل ذلك ، إذ هو ليس كتاب اجتماع أو فقه ، إنما هو خطة عمل ، ومنهج لإصلاح لفترة من الزمان في تاريخ شعبنا العظيم .

ولكن يمكن الإجابة على هذين السؤالين ونحوهما من الأسئلة الدائرة حول محور القرابة في الأسرة من خلال كتب السنة والفقه والقرآن الكريم ، كما أنه لا بد من التعرض لنشأة الأسرة في بداية تكونها بغض النظر عن رأى علماء الاجتماع في تعريف معنى الأسرة قديما وحديثا ، وتطور هذا المعنى على مر الأجيال في مختلف الأمم والشعوب . فالأسرة تقوم في أساسها الأول على الترابط بين الرجل والمرأة ، وهذا الترابط تهذب على مر العصور حتى أصبح بطريقة مشروعة حددتها الديانات السماوية ، لاسيما الديانة الإسلامية التي ورثت ديانات السماء ، فكافت عامة لجميع الناس ، صالحة لكل زمان ومكان . وإذا فتحور القرابة في الأسرة هو وحده

الدم الذى يجرى في العروق من الأبوين إلى أولادهما ، حتى لقد قال الرسول عليه السلام مبينا هذه الصلة الخالدة في بعض مواقفه المشهورة : فاطمة منى ، وأنا من فاطمة ، ما يؤذيها يؤذيني ، وما يرضيها يرضيني وقوله د حسين منى ، وأنا من حسين .

الإنسان بغير هذه السبل المشروعة ، فهو ينكر تلك العلاقات التي تقوم بين النوعين في معظم بلاد الغرب ، الأمر الذي يندى له الجبين الشريف ، وترتاع له الفضيلة .

ذلك أن الإسلام لا يعرف نظام الحلية أو العشيقه ، ولا الأركان المظلمة التي تنتشر بكثرة في غير بلاد الإسلام .

ولو أتيح للبراء الغربية أن تطلع على نظام الزواج في الإسلام ، وعوامل استمراره ، والميزات التي تمتع بها المسلمة المزوجة لو أتيح لها ذلك لرئت لحالها . ولعدت نفسها ذليلة لا حرة ، ومهددة لا مستقرة .

الغرض من الزواج :

وليس الغرض منه إشباع حاجة الجنس خصب ، بل هناك مقاصد نبيلة هدف إليها الدين حين دعا إليه ، ومن تلك المقاصد استمرار الذرية التي يحرص عليها كل رجل وكل امرأة ، وتأكيد الصلات بين الأسر ، وزيادة الترابط بين الجماعات ، وجوب المؤازرة والمناصرة بين العائلات كما هو الحال في معظم زيجات الرسول عليه السلام ، ومن أغراضه كذلك إراحة القلب ، وتقويته على العبادة كما يقول الإمام الغزالي في كتابه (الإحياء) .

حكم الزواج :

والزواج قد يكون واجبا ، وقد يكون سنة ، وقد يكون أدخل في باب التحريم في بعض الحالات ، وهذا الاختلاف في الحكم مرجعه حال الزوج الصحية ، ومقدرته

أهم الإسلام ، وهو الأوفق عقلا ، والأنسب طبيعة ، لأن قرابة الأب هي قرابة العصب قرابة التضامن الأخوي ، قرابة الميراث وتحمل المسؤوليات حيال سائر أفراد الأسرة .

صحيح أن العربي كان ينسب إلى أمه أو قبيلتها في بعض الأحيان كما ينسب إلى أبيه أو قبيلته دون شعور بمحطة أو ضعة ، سواء في ذلك موقف التواضع أو موقف المفارقة والمناجزة والتعالى على الخصوم ، فهذا النبي عليه السلام يقول لبعض الأعراب : « أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة ، لكي يهون على الأعرابي ما شعر به من ضالة نفس في حضرة النبي ، وهذا معاوية بن أبي سفيان يفخر بنسبته إلى أمه هند ، وكان الثعراء يمدحونه بذلك في الرد على الإمام على كرم الله وجهه والمتشيعين له ولا يتبرج بهفه النعجة حين يقول شاعره :

وقالوا : على إمام لنا
فقلنا : رضيينا ابن هند رضيينا
الزواج :

هو العقد الذي يجمع بين الرجل والمرأة في بيت واحد بطريقة مشروعة ليستمتع كل منهما بالآخر ، دون توجس من أهين الرقباء أو ثورة من المجتمع ، أو هو الرباط المقدس الذي حرصت الشريعة الإسلامية على استمراره وسنت له من النظم والضمانات ما يكفل تحقيق الغرض من شرعيته ولم يقر الإسلام أية علاقة بين الذكر والأنثى من

إن الدين هو أهم العوامل في استمرار الحياة الزوجية ، وهو أحد المرغبات في النكاح ، ويعتبر الإسلام خير الأديان .

وقد أباح الإسلام للسلم الزوج من المسئلة أو السكتانية المتدنية ، بل دعا إلى ذلك في حديثه : « تنكح المرأة لأربع لمالها ، ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربص يداك » ، والحديث دعوة صريحة إلى وجوب الحرص على الزواج من ذات الدين الصاوى المعترف به ، لأنها أحرص على استمرار هذا الرباط المقدس ، وأرعى لحقوق الزوج ، وأشفق على تربية الأبناء بوازع من دينها كما أن الحديث لم يفرق بين المسئلة والسكتانية مادامت ذات دين في إشارتها بالزواج دون ذات المال ، أو الحسب ، أو الجمال ، وإن كانت المسئلة أولى بالإيثار من المسيحية أو اليهودية .

وبهذا يكمل الأسرة أسباب الاستقرار النفسى ، وتصبح بحق خلية حية من خلايا الأمة ، ولبنة متينة في بنائها .

(ب) قوامه الرجل على المرأة :

ومن عوامل استمرار الحياة الزوجية في إطار من المحبة ، والواقع احترام المرأة بقوامه الرجل عليها ، وقد اختص الدين الإسلامى الرجل بهذه القوامه تمهيدا مع الواقع ؛ فالزوجة في بيت الزوج ، وهو سيد البيت ، والعائل لمن فيه ، وبخاصة الزوجة ولأن القوامه فيها معنى الحماية ، والقيادة ،

المسالية ، وسلوكه في المجتمع ؛ فإذا كان صحيح الجسم قادرا على الإنفاق ، وعلى مطالب الحياة الزوجية ، وكان يخشى على نفسه من التردى في حمة الرذيلة فالزواج واجب عليه ، ولعل هذا هو ما يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم البائة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ، فإن المراد (بالبائة) المقدرة المسالية ، والطاقة النوعية ، وهما أمران يتوقف عليهما سعادة الزوجين .

أما إذا كان الانسان قادرا على نفقات الزواج وتحقيق مقاصده ، ولا يخشى على نفسه الزلل ، والوقوع في المعاصى فزواجه سنة لأن له من دينه ، وخلقه ، ما يمنعه من التردى في مهادى الرذيلة ، وإن كان الأحسن الزوج لما فيه من الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : « فمن غلب عن سننى فليس منى ، فضلا على الانجاب الذى هو المقصد الأهم من الزواج ، ولأن الإسلام لا يحب الرهبة التى يدهو لهاها المسيحيون ، ويعتبرونها قلة العبادة إلى الله .

عوامل استمرار الزواج :

ولقداسة رابطة الزواج ، وضمان استمرارها أحاطها الدين الإسلامى بعوامل عدة ، حتى يكفل لهذه الرابطة أن تستمر وتثمر الخير ، والفضيلة ، وتماصك الأسرة وتهدم تأثرها بالآزمات والأعاصير . ومن هذه العوامل ما يأتى .

(١) الدين

وفكرة هذه المكاتب، على العموم فكرة تقديمية تقتضيها طبيعة العصر، واستخدام الأساليب العلمية في مناحي حياتنا، والأخذ بأسباب الوقاية قبل محاولة العلاج.

(د) أداء كل من الزوجين واجباتهما :

ومن نافلة القول الإشارة إلى هذا العامل المهم في سير حفيضة الحياة الزوجية بعيدة عن العواصف الهوج التي تعرضها للاخطار، أو الدمار، وذلك باداء كل من الزوجين واجباته نظير ما ينتفع به من حقوق، ولعل قوله عليه الصلاة والسلام «اتقوا الله في الضعيفين: المرأة والعبد، ما يورث بالمعاملة الطيبة» ويلزم الرجل بمراقبة الله سبحانه في معاملة زوجته. وبهذا تطمئن الزوجة إلى زوجها، وتخلص له، وتمنحه الراحة التي تزيد الكرب، وتروح عن القلب.

أما الزوجة فعليها أن تكون بحيث يرضاها زوجها، طاعة، واحتراما، وتقانيا في أداء واجباتها نحوه، كالعناية به، وتهيئة الجو المريح له، والمحافظة على مظهرها والرعاية له، والصيانة لشرفها وعرضها.

وبهذه العوامل التي أضفنا الإشارة إليها، ربماعاة تحفظها يحاط الزواج بسياسات متينة، ويرجى له الاستمرار والدوام، وتحقيق الأغراض التي من أجلها شرعه الله بين الذكر والأنثى من بني الإنسان؟

محمد إبراهيم عبد الرحمن

وهاتان الصفتان يلزمهما قوة الجسم والاستعداد للبذل، والتحصن بالعقل، وتقدير سليما بعيدا عن حدة العاطفة، وهذه أمور تفتقر إليها المرأة في جملتها، فاختصاصه بالقوامة دون المرأة راجع إلى استعداده الطبيعي، وإلى امتيازها في مقومات القيادة والحماية. والقرآن الكريم يوضح هذا الحق مملالا له خير تعليل، وذلك حين يقول في سورة النساء: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم»، فالصالحات قانتات، حافظات للغيب بما حفظ الله.

ولعل في هذا الجزء الأخير ما يشير إلى سلوك المرأة الصالحة حيال قوامة الرجل عليها، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

ولا تجدد رجلا على خلق كريم يستغل هذا الحق استغلالا سيئا، أو يستخذه في خير موضعه، لأن القوامة في يده سلاح للوقاية، أو صمام أمن للحياة الزوجية.

(ج) مكاتب الكشف على راغبي الزواج

وقد أحسنت حكومة الثورة الرشيدة صنعا حين فتحت مكاتب في بعض الم المدن الكبرى للكشف على الراغبين في الزواج. على أن المجتمع قد يكون من مقاصده بفتح هذه المكاتب بالجمان هو حماية نفسه من إيجاب غير صالح للبقاء، أو للإنتاج، لتشويهه، أو ضعفه، أو نقصه.

ما يقال عن الإسلام

الإسلام والعلاقات الدولية

للدكتور أحمد فؤاد الإهوانى

اللغة العربية ، وهو يشغل الآن منصب رئيس الدراسات الشرقية بـ (هارفارد) . وقد افتتح الحلقة ببحث عن الدين والسياسة في المسيحية والإسلام ، جاء فيه فيما يختص بمصر واتجاهها نحو القومية العربية ، ومدى الصلة بين القومية العربية والإسلام ، ما نصه : « إن موقف الإسلام التقليدى من الحكم لا يزال ذا أثر كبير حتى داخل القومية العربية ، وهذا أحد العوامل التى يقوم عليها نجاح الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو ما أظنه يدرك إدراكاً تاماً ، ويعمل حساب به . وإذا نظر المرء إلى جمال على أنه مجرد رجل قوى حربى هو معبود الشعب ، فإنما يرى فيه المظهر الخارجى دون أن يلمح قوته الباطنة وفى أقاويله الأخيرة من الاشتراكية العربية ، أعلن أنه لا يبنى سياسته على أساس من فلسفة الرفاهية المستمدة من الغرب فقط ، بل يصل هذه الفلسفة كذلك بالأفكار الإسلامية عن العدالة الاجتماعية (ص ١٩) .

ويبدو أن العلاقة بين القومية العربية

العلاقات الدولية مع الدول الإسلامية في الوقت الحاضر لها أهمية كبرى ، ذلك أن الدول الإسلامية تمتد من أقصى المحيط الأطلسى غرباً إلى أقصى المحيط الهادى شرقاً ، من المغرب إلى أندونيسيا ، وإلى جانب ذلك هناك دول ليست إسلامية ولكن فيها نسبة كبيرة من المسلمين . من أجل هذا حفلت الدول الغربية والشرقية على السواء بفهم حقيقة هذه الدول الإسلامية ، ومعرفة الأصول الدينية التى تقوم عليها ، حتى يتيسر التعامل معها وإقامة العلاقات الدولية وإياها . ومنذ أعوام ثلاثة عقدت جامعة (ديوك) بالولايات المتحدة الأمريكية حلقة بحث من الأساتذة المشتغلين بالإسلاميات ، لمناقشة مدى تأثير السياسة المعاصرة بالإسلام ، ثم نشرت البحوث فى كتاب بعنوان : « العلاقات الدولية والإسلام » ، صدر فى سنة ١٩٦٥ . ومعظم أصحاب هذه الأبحاث معروفون فى العالم العربى . فالاستاذ (جب) رئيس الندوة مستشرق مشهور ، وهو إلى ذلك عضو بمجمع

واتخذ هذا الحياد مع تطور الأحداث أشكالاً مختلفة مريضة .

وزع الأستاذ فايز الدول الإسلامية إلى دول إسلامية عربية ، هي أعضاء في جامعة الدول العربية ، ثم إسلامية أسيوية غير عربية ، وإفريقية غير عربية ، ودول أخرى ولنا على تقسيمه الدول العربية بضعة ملاحظات : أولها اعتباره لبنان دولة غير إسلامية ، وهذا ما يقول به المسيحيون دون رجوع إلى إحصاء ، والأمم على كل حال موضع أخذ ورد . والملاحظة الثانية اعتباره الأردن وليبيا والسعودية دولاً غير حيادية أى ، منحازة إلى الغرب . أما ليبيا فالذى نعرفه أنها جاهدت حتى تخلصت من القواعد البريطانية ، وبذلك تم لها الحياد ، والأردن لم يعلن أنه محايد أو غير محايد ، ولكنه مضطر إلى الحياد بحكم موازنة أمريكا وانجلترا لإسرائيل ، وموقفها من إسرائيل لا يمكن أن تتجاهله ، وهو مضطر إلى التمسك مع دول الجامعة العربية في سياستها الحيادية . والدليل عندنا على حياده أنه لم يرتبط بالأحلاف الغربية حتى أيام حلف بغداد .

النتيجة التي انتهى إليها الكاتب هي أن الإسلام لا صلة له بالحياد ، لأن السياسة الخارجية لبعض الدول الإسلامية حيادية ، وبعضها الآخر غير حيادية ، وأن الإسلام

والإسلام هي المشكلة التي اجتهد أصحاب الحق في حلها على أساس موضوعي . وقد اختلفت حولها الآراء ، كالحال تماماً عند المفكرين العرب . ذلك أن الدول العربية من المحيط إلى الخليج ، وهي التي تتميز بأن لغتها هي العربية ، تدين كذلك بالإسلام ، بحيث يمكن القول : إن العروبة والإسلام صنوان لا يفترقان .

وفي مقال عن الشيوعية والإسلام ، يذهب صاحبه إلى أن هناك مدرستين إحداهما تقول : إن الإسلام بالطبع لا يتفق مع الشيوعية التي لا تؤمن بالآديان . والمدرسة الثانية تقرر وجود نوع من التقارب بينهما . وقد عالج الكاتب الموضوع على أساس تاريخي منذ ظهور الثورة الشيوعية ، وعلاقتها بالدولتين الإسلاميتين تركيا وإيران ، وصلتها خاصة بكال أتاتورك . وقد أشار الكاتب كذلك إلى شراء مصر الأسلحة من روسيا سنة ١٩٥٥ ومساعدتها في بناء السد العالي بعد ذلك ، دون أن يعلق على هذه الحوادث التي ينظر إليها تاريخياً لا مذهبياً . ويبدو أن الكاتب لم يطلع على مناقشة الرئيس جمال لهذا الموضوع في أكثر من مناسبة ، حين وضع الفرق بين الشيوعية وبين الاشتراكية العربية .

ونود أن ننوه بالمقال العميق الذي كتبه الأستاذ فايز صايغ عن (الإسلام والحياد) تلك السياسة التي تبناها وتزعمها جمال عبدالناصر

وفي الأولى هدم الإسلام بالمادية ، وفي الثانية القضاء عليه بالثقافة الغربية .

وقد اضطرت الدول العربية ، منذ القرن التاسع عشر إلى المسارعة باتخاذ خطوات الإصلاح الاجتماعي على يد الأفغانى ومحمد عبده وإقبال وفي الوقت الحاضر بالاشتراكية العربية التى توفق بين القومية والدين .

ولنا على مقال الأستاذ دودج ملاحظة خاصة بما سماه التجديد أو المودرنزم ، فى الفقه والدين والتعليم وغير ذلك . وبما لا شك فيه أن مظاهر الحياة الإسلامية تطورت وتغيرت وتجددت بسرعة سريعة ، ولكن ذلك فى المظهر فقط ، أما أصول الدين والعبادات فلا يمكن أن يفتارها التغيير ، وإلا انحرف الدين نفسه ، ولذلك فإن ما فروه (فى صفحة ١٠٨) من أن ، المتعلمين من أبناء الجيل الحديث لا ينظرون إلى العبادات على أنها مهمة ، وأنهم يكرهون هذه الحركات البدنية التى تؤدى فى الصلاة ، لا يصور الواقع ، حقاً هناك بعض المستهترين بل الملاحدة ، ولكنهم قلة وشذاذ ، وليس وجودهم دليلاً على تغير الإسلام ، وهؤلاء كانوا موجودين دائماً منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، ثم إن الصلاة فى الإسلام لها أركان لا تصح إلا بها ، من وضوء ونية وركوع وسجود وقراءة ما تيسر من القرآن إلى غير ذلك ، وكذلك فى المسيحية طقوس وأسرار لا يكون المسيحي مسيحياً

- ديناً - لا يوجه السياسة الخارجية للدول الإسلامية فى لوقت الحاضر .

والأستاذ (باياردودج) معروف جيداً فى الجمهورية العربية المتحدة ، إذ كان فى وقت من الأوقات مدير الجامعة الأمريكية بها ، وهو يعرف اللغة العربية واختص بدراسة الأزهر وتاريخه ، وعاش طويلاً فى الشرق إن فى مصر أو لبنان ، والموضوع الذى عالجوه هو : الدين والقومية العربية ، عرضة تاريخياً منذ ظهور الإسلام حتى صلاح الدين الأيوبي ، الذى ولو أنه كان مسلماً إلا أنه من أصل كردى لا عربى ، وعندما غزا لويس التاسع مصر ، أثر العرب فى مصر حكم المماليك على حكم ملك مسيحي ، ففازلوا جيشه ، وهزم الملك وأسر ، وكذلك الحال عندما جاء نابليون إلى مصر ، وزعم أنه حامى الإسلام ، ومع ذلك لم يستطع أن يبقى سوى ثلاث سنوات ، وهكذا كانت الصلة بين الإسلام والعروبة قوية أيام نابليون كما كانت أيام لويس .

كان ذلك فى الماضى ، أما فى الوقت الحاضر وفى المستقبل ، فإن كثيراً من المؤرخين المحدثين يرون أن الصلة بين الإسلام والقومية العربية لن تستمر طويلاً ، ويرجع هذا الانفصال إلى أمرين : الأول : الانفصال الواضح بين الدين السلطى وبين الانجاء المدنى لحكام الدول ، والأمر الثانى : الاختيار بين شيوعية الشرق ومسيحية الغرب واستثماره

وقد أشار السكاكب إلى بعض المفكرين المصريين، ومنهم الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الأزهر (١٤٢)، الذى يقول عنه: إنه أكثر الأزهريين تطرفاً فى القول بأن ثورة ناصر ستكون مرادفة بتخلص المجتمع العربى الإسلامى، وإعادة مجد الإسلام وقوته.

إن يتسع المجال لعرض المقالين الأخيرين عن أثر الإسلام فى الدول الإفريقية، وعن الجامعة الإسلامية فى العالم الحديث. ونود القول: إنه على الرغم من اختلافنا مع الباحثين فى بعض آرائهم، إلا أن المجهود المبذول، والبحث العميق، والتحرى الدقيق، كل ذلك يستحق التنويه، ومنه يتضح أن سياسة الغرب تجاه الدول العربية والإسلامية لا تجري مع المولى جزافاً، بل نتيجة البحث الموضوعى، وتحليل الأمم الإسلامية إلى عناصرها المكونة لها. وبهذا التحليل الواضح يفسر الغرب وضع السياسة التى تحقق أغراضه، وتجعله ينجح فى تحقيقها.

وجدير بنا أن نذكر هذه المباحث، ونفطن إلى المقصود منها، وأن نعمل على حفظ تراثنا الإسلامى، وإعادة مجده، ونفرض ماعلق به من تقاليد بالية جامدة، وأن ندير بهذا الدين القويم الذى هو روح الأمة العربية بما يتفق مع حاجات مجتمع القرن العشرين.

أحمد فؤاد الأهواني

إلا باتباعها، اللهم إلا إذا خرج عن دينه وأصبح لا دينياً أو حراً الفكر أو ملحداً. اختتم الأستاذ دروج مقاله بأن الإسلام والقومية العربية ارتباطاً مفند ظهور محمد حتى اليوم ارتباطاً وثيقاً، وسيظل الدين يلعب دوراً هاماً فى القومية مستقبلاً، ونحن نوافق على ذلك كل الموافقة.

ومن هذا المقال تنتقل إلى بحث آخر عن الإسلام وسياسة مصر الخارجية، يستلمه صاحبه بقوله: «مع أن الرئيس جمال عبد الناصر يبدو أنه يحاول استبدال الاشتراكية الثورية بالأساس الإسلامى لشخصية مصر العربية، إلا أن مركز مصر التاريخى فى العالم الإسلامى لا يزال حاملاً من الناحيتين الثقافية والسياسية، عندما ننظر إلى الدور الذى يلعبه الإسلام فى السياسة الخارجية والداخلية». وقد رجع صاحب المقال إلى خطب الرئيس قبل الميثاق، وإلى الميثاق نفسه، كما ناقش آراء المفكرين المصريين حول علاقة الإسلام بالقومية العربية، وهل هما منفصلان أم متصلان. يقول السكاكب (ص ١٣٣): إن وحدة العرب فى نظر عبد الناصر ترجع إلى أمور أربعة^(١) تحرر الدل العربية حديثاً من الاستعمار الأجنبى^(٢) رغبته فى التجديد اقتصادياً واجتماعياً^(٣) تطلعها نحو القرة والوحدة^(٤) الإيمان بالإسلام، وقد نسى السكاكب أن يضيف إلى هذا كله وحدة اللغة ووحدة التاريخ والأمل.

الكتب

للأستاذ: تحسين عبدالحق

الكتاب والمسلمون

في غرب إفريقيا

تأليف: الدكتور عبد الرحمن زكي

خضعت إفريقيا منذ قرنين إلى أبشع أنواع الاستغلال الاقتصادي والعنصري الذي اتسمت به الحركة الاستعمارية العالمية.. فنذ أن وطئت قدم الرجل الأوربي أرض إفريقيا، وحياة شعوبها أشبه بمأساة دامية لا يبين أولها من آخرها. فلقد استولى الاستعماريون على كل شيء ولم يتركوا لأصحاب البلاد الأصليين حتى الفسوف الضروري، مما جعل الإفريقيين تحت ضغط الحاجة الملحة، وحق الحياة، يعملون أجراً لدى المالكين القرباء، وبأجور بخسة وبطريقة أقرب إلى السخرة. ويخرج الإفريقي إلى سوق العمل وإلى المناجم والحقول، حيث يساق مع أبناء جلدته كالسائمة داخل معسكرات العمل وحظائر

تخصص لهم، ويحضر الرجل الأبيض صاحب الصناعة أو الفلاح الأوربي أو سيدة المنزل، إلى هذه الحظائر والمعسكرات ليختاروا منهم من يشاءون لاستخدامهم في المصانع أو المنازل أو الحقول، أما في المدن فعلى الرغم من الحاجة إلى أيديهم فإنه لا يسمح لهم بالبقاء فيها، وإذا قدر لأى إنسان أن يزور اتحاد جنوب إفريقيا أو روديسيا راعه ما يشاهده في الحدائق العامة ومدخل المدن ومحطات السكك الحديدية والقطارات والسيارات العامة.. الخ، حيث يرى في هذه الأماكن لافتات كتب عليها «غير مسموح الإفريقيين ولا للكلاب»، ولن تضى إفريقيا قطائع الاستعماريين البلجيكيم في السكونغو ويكنى أن نذكر على سبيل المثال أنه في خلال حكم (ليوبولد) قتل ما يقرب من ثمانية ملايين إفريقي، قتلهم الإداريون الأوربيون الذين كانوا يبحثون عن العاج والمطاط، ولقد كان الإفريقي

ولهؤلاء المسلمين وأجدادهم العظام دورهم الذي لن تنساه إفريقيا في محاربة الاستعماريين المعتدين إذ وقف السلطان سعيد في (زنجبار) والويبري باشا في حوض النيل الأهلى ، والسلطان راج في حوض (تشاد) وهو الذى هزم الفرنسيين ثلاث مرات متوالية ، وما زال الناس في أواسط إفريقيا يتغنون ببطولاته الخارقة كأسطورة قومية ضد الاستعمار ، وكذلك الإمام المهدي وخليفته في السودان ، وماء العينين في (موريتانيا) وكذلك وحيد بن محمد بن جمعة المرحبي ، أو (تيلوتيب) في حوض الكونغو . كل هؤلاء الرواد حاربوا الاستعمار وثاروا عليه . وعن هؤلاء المسلمين في إفريقيا يتحدث كتابنا لهذا العدد الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ، مبينا دور الأمة العربية في إمدادها لشعوب القارة - طوال العصور الماضية - بالهداية الإسلامية ، مضافا عليها تدر استطاعتها الكثير من معالم الحضارة الإسلامية .

يقول الكتاب :

لقد انتشر الإسلام في مناطق الساحل الغربى بين موريتانيا في الشمال ، والسنگال وغينيا وغانا في مرحلته الانطلاقية الاولى ، ثم كان لقبائل القولة الفضل في نشره في منطقة السنغال في القرنين ١٦/١٧ . وقد تمسك المسلمون لدينهم لدرجة واضحة فيما بين ١٧٧٦ ، ١٨٨٠ . وفي القرن التاسع عشر

الذى يعجز عن جلب الكمية المطلوبة منه من المطاط أو العاج للرجل الأوروبي ، يتعرض للقشوبه ، تقطع يده أو رجليه . وهكذا عاشت إفريقيا طوال تاريخها مع الاستعماريين الأجانب ، الذين دخلوا إلى إفريقيا وراء المبشرين بالدين . ولا يسعنا هنا إلا أن ننقل كلام أحد المواطنين الإفريقيين الذى نشر في كتاب القومية الإفريقية ترجمة عبد الواحد الإمبابي ، عندما قال : « لقد أتى المبشر إلى أرضنا ، وطلب منا أن نعبده الله معه ، وأمرنا أن نغمض أعيننا زيادة في الخشوع ففعلنا . . . وعندما قلنا في نهاية الصلاة آمين ، وفتحنا أعيننا وجدنا الإنجيل في أيدينا ، ولكننا لم نجد أرضنا التي ضاعت منا . »

وبهذه الوسيله وغيرها من الوسائل الفتاكة ضاعت إفريقيا . ولكن إفريقيا التي أذلها الاستعماريون ، طوال هذه الفترة تعفى بالفسبة لنا أكثر من كونها مجموعة من المستعمرات أو من دول لا تحمل من الاستقلال سوى علم مزيف ومقعد في الأمم المتحدة . لانتا في الواقع جزء منها ، وتضم إفريقيا أكثر من ٧٢٪ من مساحة وطننا العربى الكبير ، وبالإضافة إلى ذلك فإن أكثر من خمسة وتسعين مليوناً من المسلمين الإفريقيين ما زالوا يعيشون تحت استبداد السلطات الاستعمارية وعمالها واحتكاراتها .

كما نسط مسلمو مدينة (بورتونوفو) وعملوا
بهمة في سبيل الدعوة وأقاموا المدارس
الدينية كما شيدوا المساجد .

وقد انتشر الإسلام في شمال نيجيريا
بفضل الإمبراطوريات الإسلامية التي ضمت
هذه البلاد إليها ، وهي مالى وصنغاي وبرنو ،
ومنذ ذلك الحين سادت في فترات كثيرة
روح إسلامية قوية ، ومن أهمها تلك
الحركات المباركة التي نهض بها الشيخ عثمان
ابن فوديو والشيخ محمد الأمين الكانمى .

ويعرض الكتاب بعد ذلك لدور
الإمبراطوريات الإسلامية — التي شيدها
المسلمون في إفريقيا قبل الاحتلال الاستعماري
بمئات السنين ، ومن هذه الإمبراطوريات
إمبراطورية مالى الفتية . التي اهتم بها طائفة
لا بأس بها من مؤرخي العرب ورحلاتها
ومنهم البكري ، والإدريسي والعمرى وابن
خلدون وابن بطوطة ، والقلقشندي في القرن
الخامس عشر صاحب «صبح الأعشى» ، وقد
أجمع كل المؤرخين على أن فترة الازدهار
الحقيقية لإمبراطورية مالى كانت في عهد طاهها
العظيم منساموسى (١٣٠٧ — ١٣٢٢) حيث
انتعشت في عهده التجارة والعلوم في تمبكتوه
وسرعان ما أصبحت أهم أسواق السودان
الغربي ، ولا سيما بعد انتقال سوق الذهب
إليها ، كما اجتذبت التجار من دوة وسوس
وساجاسة وفزان ومن مصر أيضاً .

أسلم كثير من أفراد قبائل (الولوف
والليبوس) ، وفي القرن السابع عشر انتشر
اتباع الطريقة القادرية في غينيا ، ولا سيما
بين قبائل (الفولة) . وانتشر الإسلام في مالى
في أخريات القرن ١٣ أو ما قبل ذلك ، كما
تسربت الطريقة القادرية التي تفرعت عنها
القادرية البكاية وكان ذلك بهمة الشيخ عمر
البكاى ، ومن ثم كثرت المراكز الإسلامية
والمعاهد .

ودخل الإسلام المنطقة التي تحتلها اليوم
جمهورية ساحل العاج ، ولا سيما في الشمال .
بفضل الجماعة الإسلامية الأولى التي اعتنقته
في القرن الثالث عشر في أثناء سطوة دولة
مالى ، وكانت أم مراكز المسلمين في (توبة
وكونج واندوكو وجوبلة) ، ولكننا نلاحظ
أن المسد الإسلامى قد تراجع هناك بعد
اضمحلال نفوذ مالى حوالى القرن الخامس
عشر ، ثم احتدد مكانته في النصف الأول
من القرن التاسع عشر حينما نهض الزعيم
الروحي عمر تال بدعوته في السودان الغربي .
وانبثق نور الإسلام في (داهومى) ، ولا سيما
في مناطقها الساحلية ، فيما بين عامى ١٧٠٠ ،
١٧٢٠ بواسطة التجار القاديين من (كانو -
شمال نيجيريا) الذي عرفوا باسم المعلمين ،
وقد وفدت هجرة إسلامية قوية بزعامة مشايخ
القادرية من الشمال الشرقى منذ القرن السابع
عشر ، ثم انتشرت التيجانية بعد عام ١٨٧٠ ،

« بولاق التكرور » - « بولاق التكرور » الحالية ، نسبة إلى أحد الصالحين التكرارة ، وهو الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى ، وكان يعاصر الخليفة العزيز الفاطمى وخصص في الأزهر رواق من أرواقه للتكرارة هرف باسمهم .

ويتحدث الكتاب بعد ذلك عن دولة سنغاي الكبرى ثم عن دولة كاتم ويجرى ووادى ، ثم عن إمبراطورية الفولة وحركة الإصلاح الدينى - التى قام بها عثمان دان فوديو ، ويقتل بعد ذلك إلى الإسلام بهن قبائل غرب إفريقيا ، ثم بين الطرق الصوفية فى غرب إفريقيا مثل القادرية والفضلية ، والمريدية ، والشريفية ، والشيخانية .

ثم ينتقل إلى الحديث عن الإسلام فى جمهورية موريتانيا - فى الوقت الحاضر . التى يبلغ عدد سكانها حوالى المليون من المسلمين ، وفى جمهورية مالى حيث يشكل المسلمون ٧٥ ٪ من عدد السكان ، وكذلك جمهورية السنغال حيث يصل المسلمون إلى ما يزيد على ثلاثة أرباع المجموع السكى لعدد السكان ٧٥ ٪ وهم حوالى ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة ويقدر عدد المسيحيين بمائة ألف والباقي من الوثنيين .

وفى جمهورية جامبيا المستقلة يصل المسلمون فيها إلى أربعة أخماس عدد سكانها ، ويزيد

وعندما مات منسا موسى عام ١٣٣٣ ترك وراءه إمبراطورية مهيبة الجانب متقدمة على دول إفريقيا الزنجية ، فى اتساع رقعتها ، وفى أحوالها الاقتصادية ، والثقافية ، بل وفى نظامها الاجتماعى .

ويمكن أن نقول بحق : إن منسا موسى كان رائداً لفكرة إنشاء اتحاد إفريقية الغربية ، حيث كان الرجل المالى فى أيامه لا يشعر بالغربة ، سواء أقام فيما يعرف اليوم بغامبيا أو سيراليون أو غانة ، حيث كان لا يعرف إلا موطناً واحداً يعيش فيه هو « مالى » .

وقد أمدنا ابن بطوطة بمعلومات قيمة عن مجتمع مالى ، فقال : « إن من أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح أحداً فى شىء منه ، ومنها شمول الأمن فى بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم سارقاً ولا غاصباً ، ومنها عنايتهم بحفظ القرآن الكريم ، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه ، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه » .

وكان لمالى صلة قوية بمصر فى أيام المماليك الشراكسة . وكان للتكرارة (نسبة إلى تكرور أى مالى) جالية كبيرة فى مصر منذ العهد الفاطمى ، وهرفت مدينة بولاق

من عدد السكان ، وداهوف حيث يزيد
هددهم على ٢٥٠.٠٠٠ مسلم أى بنسبة حوالى
٢٠٪ من عدد السكان ، وينتشر الإسلام
في داهوف بسرعة مذهلة أيضاً ولاسيما في
الشمال حيث يكثُر هلساء الدين والدعاة
والوعاظ . ثم ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى
دتوجو، التي تضم ٤٥.٠٠٠ مسلم ، وجابون،
وساحل العاج .

أما في نيجيريا التي يصل عدد سكانها إلى
٥٤ مليون نسمة ففيها أكثر من ٣٩ مليون
مسلم ، وحوالى ٩ ملايين من المسيحيين ،
بالإضافة إلى ثلاثة عشر مليوناً من الوثنيين ،
وما زال الإسلام يكسب أرضاً جديدة كل
يوم بانضمام جموع غفيرة من الوثنيين إلى
الدين الإسلامى الحنيف . وقد انتشر الإسلام
في نيجيريا انتشاراً سريعاً أذهل رجال
الإرساليات التبشيرية وذلك على الرغم من
إمكاناتهم الأدبية والمادية ، حيث فشلت
كل محاولاتهم في الشمال النيجيرى .

أما في النيجر فإن ٨٣٪ من السكان
مسلمون ، وتقدر نسبة المسلمين في تشاد
بأكثر من ٦٥٪ من عدد السكان ، ويزيد
مسلمو الكومرون على ٣٠٪ من عدد
السكان .

فلاشك أننا بعد هذا الاستعراض السريع
لمسلى غرب إفريقيا نستطيع القول بأنه

المسلمون على نصف عدد السكان في جمهورية
غينيا . وما زال الإسلام ينتشر بصورة مذهلة
في غينيا وخاصة بين القبائل السوسو . أما في
سيرياليون فيؤلف المسلمون حوالى ٥٠٪
من عدد السكان البالغ عددهم ثلاثة ملايين
تقريباً . ويلاحظ أن العروبة وانتشار
الإسلام نهضاً بسرعة أذهلت المؤسسات
المسيحية في أثناء نصف القرن الأخير ، ففي
عام ١٨٩١ كان عدد مسلمي سيراليون وهى
(مستعمرة) ١٠٪ من السكان ، وارتفعت
هذه النسبة إلى ١٤٪ في عام ١٩١١ ، ثم
أصبحت في عام ١٩٣١ حوالى ٢٧٪ ، وفي
عام ١٩٥٢ تجاوزت النسبة ٥٠٪ - وفي
حاضيتها دافريون ، تتنافس القبائل المسلمة
في بناء المساجد ، فإذا بقت قبيلة مسجداً
سارعت الأخرى إلى بناء مسجد آخر ، وقد
أصبح فيها وحدها أكثر من عشرة مساجد
بالرغم من صغرها ، منها الجامع العتيق
والجامع الجليل ، وجامع القدس ، وجامع
السلام ، وجامع الاجتهاد ، بالإضافة إلى
المساجد الأخرى التي يطلق عليها أسماء القبائل
الإسلامية ، كالتمنى ، والمنقدي ، وهما أكبر
القبائل هناك . وقد تخلوا عن معظم تقاليدهم
الوثنية .

ويستعرض الكتاب بعد ذلك عدد المسلمين
في غانا حيث يكون المسلمون أكثر من ٢٥٪

والتقدم . ولن يتأتى لنا ذلك إلا إذا حاولنا أن نقوم بمزيد من الدراسات الجادة حول النظم الاجتماعية والتركيبات الطبقية للمجتمعات الإفريقية .. حتى نستطيع أن نقدم مساعداتنا وخبراتنا كحلول جذرية للمشاكل الملحة التي تواجه المجتمعات الإفريقية .

* * *

الدكتور البشارى

محدثا وفقهيا

تأليف : الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم
الدار القومية للطباعة والنشر

صدر هذا الكتاب فى هذا الوقت يعتبر تلبية سريعة للحاجة الملحة إليه . فقد شاعت الظروف ، والمفارقات حكمها ، أن تثار فى هذا الوقت ضجة كبيرة حول صحيح البخارى وأن يتعرض جاعه الصحيح للطعن وتنوشه السهام من يعرفون ومن لا يعرفون ، وكان المؤلف كان ينظر بلحظ الغيب حين تعرض لجوانب الاعتراضات والمغازم وأجاب عنها بما يدفعها ويدفع أصحابها إما بالجهل أو التعامل . وهو يشعر أن الهجوم على إمام المحدثين وعلى كتابه إنما هو هجوم على الإسلام قبل كل شئ . إذ هو دم لركن حصين اعتمد عليه المجتهدون من عهد البخارى إلى اليوم . وهناك سؤال يشعر الإنسان بالحاجة عليه ويعجب له عند ما يشرع فى قراءة هذا

يتحتم علينا أن يكون لنا دورة أكثر فاعلية فى نطاق العمل الإفريقى التجري . وبخاصة بعد أن كشف الاستعماريون القناع عن وجوههم البشعة أخيراً . حيث قدروا العودة إلى إفريقيا من الأبواب الخلفية من طريق عملاتهم الانقلابيين ، لقد قتل الاستعماريون أحمدو بللو ، وأبو بكر نافارا باليو ومثلوا بمهثما ، وشردوا وقتلوا ، وهم على استعداد لأن يفعلوا أى شئ . محافظة على نفوذهم واحتكارهم ، ومن ثم يجب على كل من يهمه أمر حرية إفريقيا أن يعي تماماً أن لكل هذه الانقلابات الأخيرة ، غزاهما الحقيقى المؤثر فى مجرى الأحداث العالمية . . إن الاهتمام بقضايا إفريقيا ومشاكلها يجب أن يخرج من نطاق العمل العاطفى إلى نطاق الوعى الكامل بالأحداث التى تدور من حولنا . ولعل كتاب (الإسلام والمسلمون) فى غرب إفريقيا قد فتح المجال واسعاً أمام احتمالات الدراسة الجادة لكثير من القضايا ، وعلى الرغم من أن الكتاب يلتزم بالمنهج العلمى الدراسى . . فإننا يجب أن نعترف بأن قضايا إفريقية الحيوية تزيد كثيراً على مجرد السرد التاريخى لأحداث مضت من خلال السلاطين الحاكين . إذ أننا يجب أن نتم إلى جانب ذلك بحركة الشعوب ذاتها وتطلعاتها المشروعة إلى الحرية والعدالة الاجتماعية

والكتاب كيف ظل البخارى وهو إمام الحديث طوائف هذه المدة من غير أن يكتب عنه كتاب مستقل يوضح جوانب حياته العلمية ويشرح نشأته والظروف التي أحاطت به والحوامل التي كونت عقليته ووجهته هذا التوجيه ؟ أما وجدت دوافع طوال هذه هذه السنين تدفع بمؤلف إلى إخراج كتاب جامع منه ؟ وهل يليق بإمام كهذا أن تظل المعلومات عنه مبثورة هنا وهناك من غير أن تجمع ويقاومها الدرس والبحث طوال هذه السنين ؟

سؤال له مكانته في النفس ولاريب ، ومن المعروف أن مدرسة فقهية قام اجتهداها على الحديث أكثر من غيره بدأت من عهد ابن تيمية وظلت أفكارها تعمل في عقول الناس إلى يومنا هذا فكيف سكنت هذه المدرسة من مثل هذا الإمام ولم تفصل حياته ؟ يبدو أن أكثر المعنيين بتاريخ التشريع كانوا يتجهون إلى صحيح البخارى بالدرس لأنه هو الذى يعنهم ويتعلق به عملهم أما تفصيل حياة الإمام والحديث عن جوانبه العقلية فلم يكن من صميم مجتهدهم ولا مما تتأكد صلته بعملهم .

وبهذا بقى هذا البحث حتى كان الدكتور الحسيني أول رواه .

وقد وفى المؤلف هذا البحث فى بابين ضافين أولهما عن : نشأته وحياته العلمية

وثانها عن : حياته العامة . وإذا جاز أن اختلف معه على الشكليات العامة فإنى كنت أؤثر أن تكون المقدمة التي كتبها عن مكانة السنة فى الدين الإسلامى ، وعن حركة تدوين الحديث قبل البخارى نالية لهذين الفصلين لا سابقة لهما وذلك لتكون متصلة بالحديث عن الجامع الصحيح والدراسات التي خص بها .

وإذا نحن استثنينا الباب الرابع الذى تحدث فيه عن فقه البخارى نجد بقية الكتاب دراسة للجامع الصحيح . فى الباب الثالث تحدث عن هذا الكتاب ومنهج البخارى فيه وشرح مكانته فى السنة وعرض لآراء الكثيرين من القدامى والمحدثين فيه ، وبرز فى هذا المنهج نريعتان للمؤلف تشيعان فى الكتاب كله فهو من ناحية حريص على الدفاع عن البخارى وعن كتابه حريص على البعد عن مسه بأى نقد ، وقد يرجع هذا إلى مكانة البخارى فى نفسه كما يرجع إلى نزعة الدينية ومن ناحية أخرى يحرص على تقبص آراء الغربيين فى مختلف الجاهات الأوروبية ومختلف المؤلفات ليناقشها ويرد عليها إن كان فيها ما يدهو لذلك . وهو لعروبة البجته يكتب أسماء هؤلاء الكتاب الغربيين بحروف عربية وحدها فلا يمكن النفاق بها لغة اسلميا .

وقد وقف بنا متأنياً أمام نقاد البخارى ليعرض وجهة نظرهم أولاً ثم يرد عليها فيدحضها ثانياً . واستغقت دراسته النقدية

والكتاب كيف ظل البخارى وهو إمام الحديث طوائف هذه المدة من غير أن يكتب عنه كتاب مستقل يوضح جوانب حياته العلمية ويشرح نشأته والظروف التي أحاطت به والحوامل التي كونت عقليته ووجهته هذا التوجيه ؟ أما وجدت دوافع طوال هذه هذه السنين تدفع بمؤلف إلى إخراج كتاب جامع منه ؟ وهل يليق بإمام كهذا أن تظل المعلومات عنه مبثورة هنا وهناك من غير أن تجمع ويقاومها الدرس والبحث طوال هذه السنين ؟

سؤال له مكانته في النفس ولاريب ، ومن المعروف أن مدرسة فقهية قام اجتهداها على الحديث أكثر من غيره بدأت من عهد ابن تيمية وظلت أفكارها تعمل في عقول الناس إلى يومنا هذا فكيف سكنت هذه المدرسة من مثل هذا الإمام ولم تفصل حياته ؟

يبدو أن أكثر المعنيين بتاريخ التشريع كانوا يتجهون إلى صحيح البخارى بالدرس لأنه هو الذى يعنهم ويتعلق به عملهم أما تفصيل حياة الإمام والحديث عن جوانبه العقلية فلم يكن من صميم مجتهدهم ولا مما تتأكد صلته بعملهم .

وبهذا بقى هذا البحث حتى كان الدكتور الحسيني أول رواه .

وقد وفى المؤلف هذا البحث فى بابين ضافين أولهما عن : نشأته وحياته العلمية

كامل ذكره هو ووضح المعنى المقصود من أن الرسول أخبر أصحابه أن لا يعمر واحد منهم أكثر من مائة سنة ، وقد مات آخرهم وهو أبو الطفيل عامر بن وائلة قبيل نهاية المائة من ذكر الحديث وكذلك شأن الأحاديث الأخرى إذ دافع عنها دفاعاً دليلاً مشكوراً .

وأما الجانب الثاني وهو قلة العناية بالمتن فقد رده المؤلف بأن هناك محدثين أو دارسين للحديث فعلوا ذلك مثل ابن قيم الجوزية ، وابن دقيق العيد وهو رد كما ترى لا يكفي لأن هؤلاء من المتأخرين الذين جاءوا بعد جمع الحديث والفراخ من تأليفه ، فلا حجة بهم على صاحب ضحى الإسلام ، ونلاحظ أنه لم ينف هذه العناية أصلاً وإنما ذكر أنها ضئيلة جداً بجانب العناية بالسند . والاستاذ أحمد أمين لا يسوق هذا مساق الاعتراض وإنما هو يؤرخ مرحلة عقلية من حياة المسلمين ، ولم يكن في هذا الوقت فارق طويل من الزمن يؤثر في الأساليب هذا الأثر الذى لاحظته وأيضاً لم تكن اتجاهات النقد كما لاحظ .

وبوجه عام هذا الكتاب سلسلة من المعارك العنيفة ولكن مؤلفه عاد منها بمغانم ثمينة لدارسى الحديث كله لا لدارسى البخارى وحده .

والعلل أورد لهذا الكتاب بحديث أطول وتفصيل أكثر ؟

ثلاثة فصول هى أقوم ما فى الكتاب ، وهى تحمل بين طياتها أقوى ما يرد به على الثورة الأخيرة التى قامت حول البخارى ومنهجه ورمى كتابه بأنه يحوى الصحيح وغير الصحيح ، وقد ذكر المؤلف هدداً من الأحاديث التى عيبت على البخارى فبين خطأ المستشرقين فى الفهم أحياناً ومتابعيهم ببعض المستشرقين أحياناً أخرى .

وخص المرحوم أحمد أمين من نقاش المؤلف جانب أوسع على ما كتبه عن البخارى وصحيحه فى لجر الإسلام وضواء ، وهو يسوقه مع المستشرقين مساقاً واحداً وما كنا نحب ذلك منه ، والدكتور أحمد أمين بمد أن ذكر هدداً من أحاديث البخارى التى لم تستوف شرائطها والتى يرى أنها ضعيفة أو غير صحيحة لاحظ أن رجال الحديث وجهوا كل هذائهم إلى السند أعنى سلسلة رواية الحديث ولم يهتموا بنقد المتن نفسه كما لم ينظروا للظروف المحيطة به وهل هذا التعبير يلائم عصر النبى أو لا يلائمه ... الخ وقد رد المؤلف كلا من الجانبين على حدة .

أما الأحاديث التى كانت موضع نقاش ونقد فبعضها لم يكن مفهوماً على وجه الصحيح مثل حديث : لا يبق على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة . الخ فقد فهمه المعترضون على أن العالم ينفى بعد مائة سنة ، وبين المؤلف أنه جزء من حديث

انباء وآراء

تقرير عن مصادرة مصحف باكستاني
المطبوع بمطبعة شركة تاج لطباعة القرآن بـلاهور
إشراف الشيخ عنايت الله

وارد من السيد / عبد الفتاح محمد عطية
شرافي — أهدى إليه بالمدينة المنورة عام
١٣٨٥ هـ قامت لجنة فحص المصاحف بمجمع
البحوث الإسلامية بالأزهر بمراجعة المصحف
مقاس (الثمن) المكتوب بالخط المصري
برواية حفص والمطبوع بمطبعة د شركة تاج
لطباعة القرآن بـلاهور تحت إشراف الشيخ
عنايت الله مقرر الشركة في لاهور ،،
فوجدت به الأخطاء والملاحظات الآتية :
أولاً : طبعت بعض صحائفه بصفة تغير
نظم القرآن الكريم وترتيب سور وآياته
مثال ذلك :

رقم وجه الصفحة والسورة	رقم ظهر الصفحة نفسها والسورة	رقم وجه الصفحة والسورة	رقم ظهر الصفحة نفسها والسورة
٢٦١ الصفات	٣٩٨ آخر الدخان وأول الجاثية	٢٥٣ يس	٣٩٠ الشورى
٣٩١ الأحزاب	٣٥٦ آخر يس والصفات	٣٦٩ الزمر	٤٠٦ محمد
٤٠٧ محمد	٢٧٢ الزمر	٣٩٩ الجاثية	٣٦٤ ص
٣٦٥ ص	٢٩٤ الزخرف	٣٥٧ الصفات	٣٨٦ الشورى
٣٨٧ الشورى	٣٦٠ الصفات	٤٠٣ الاحقاف	٢٧٦ غافر
٣٧٧ غافر	٤١٤ سورة ق	٢٩٥ الزخرف	٢٦٨ الزمر

ثانياً : به صحائف ساقطة بأكملها وهي
الصحائف الآتية :

٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣،
٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥،
٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٣ .
ثالثاً : وجد به سقوط لبعض الحروف
وأخطاء في الحركات تغير المعنى وقد أشر
عليها بهامش المصحف المذكور .
رابعاً : ضبط مخالف لما قرره علماء الضبط .
وقد رأت اللجنة إزاء هذه الأخطاء الكثيرة

على طلبة المعاهد الدينية - ... نحن نعمل على إعادة النظر في المواد التي تدوس في المعاهد الأزهرية ، وفي مدة الدراسة أيضاً وسنحاول التنسيق بين سياسة المعاهد الأزهرية وسياسة التعليم العام في الدولة ، وسنحقق ما فيه مصلحة الطلاب ، ومصلحة الوطن والأزهر .

● قررت إدارة المعاهد لأزهرية افتتاح فروع للتعليم الابتدائي الأزهرى بمعسكرات اللاجئين بغزة ، وقد تم إنشاء مدينة أزهرية تضم مساكن الطلبة والعلماء ، ومبنى المعهد الذى يضم المرحلتين : الإعدادية والثانوية ، وكذلك تم بناء أول فرع للتعليم الابتدائي ، وتدرس الجهات المختصة لإنشاء أول كلية في المدينة تتبع جامعة الأزهر في القاهرة .

● دكتوراه بتقدير ممتاز في البلاغة والأدب .

حصل الدكتور عبد اللطيف عبد النبي خليف مدير مكتب الأمن العام لمجمع البحوث الإسلامية على شهادة العالمية من درجة أستاذ (دكتوراه) بتقدير ممتاز في البلاغة والأدب بعد مناقشة رسالته : مسلم بن الوليد : حياته وشعره .

جرت المناقشة مساء الخميس ٢١ من المحرم ١٣٨٦ الموافق ١٢ من مايو ١٩٦٦ في مدرج كلية اللغة العربية ، وقد استمرت أكثر من ثلاث ساعات .

وكانت لجنة المناقشة برئاسة الدكتور محمد نايل رئيس قسم الأدب والنقد في الكلية ،

وجوب مصادرة هذا المصحف وعدم الإذن بتداوله ونشره صوناً لكتاب الله تعالى من العبث والتحريف .

مدير البحوث والنشر بالأزهر دكتور (عفيفي عبد الفتاح)

● صرح السيد عبد الفتاح حسن وزير الدولة لشئون الأزهر في حديث صحفي بعدة أمور تناولت جوانب هامة يدور الاستفسار كثيراً عنها فقد سئل سيادته : لماذا لم تصدر اللائحة التنفيذية لقانون تطوير الأزهر حتى الآن وقد مضى على إصدار القانون أكثر من خمس سنوات ؟

فأجاب : لقد تم فعلاً إعداد اللائحة ، وسبب التأخير في إصدارها محاولة التنسيق بين جامعة الأزهر والجامعات الأخرى ، وهناك لائحتان : الأولى الأزهر وإداراته وهيئاته ، والثانية لجامعة الأزهر وفي خلال أسابيع قليلة ستصدر اللائحتان

وعندما سئل سيادته عن موعد انعقاد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث أجاب : سيمتدع - إن شاء الله - في أواخر سبتمبر القادم .

ونفى سيادته ما أشيع عن احتمال وجود سياسة جديدة بالنسبة للتعليم في الأزهر ثم قال : المهم أن تدعم السياسة القائمة حالياً ، وهدفنا هو التعليم الدينى والنهوض به ، والاحتفاظ بكميانه حتى يحقق رسالته :

وقال سيادته - بشأن كثرة المواد المقررة

شعار هذه المحافظة ، وتعطى للمعهد أو المدرسة التي تقوم بتصريح أكبر عدد من الحفاظ باعتبارها الأولى في محافظتها .

● قررت مشيخة المقارىء العربية إصدار مكتبة قرآنية كاملة تبدأها بثلاثة كتب : « مع القرآن الكريم » ، و « أحسن الأثر في تاريخ القراءات الأربع عشرة » ، و « السبيل الميسر في قراءة الإمام أبي جعفر » ، و « المكتب الثلاثة » من تأليف الشيخ محمود خليل الحصري المستشار الفنى لوزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة .

● أعدت وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة مشروعاً هاماً خاصاً بأداء الخدمات الدينية في مناطق الأراضى المستصلحة لتيسير إقامة الصائمين الإسلامية على المواطنين الذين استقروا في هذه المناطق ... وضع تخطيط المشروع على أساس إنشاء مسجد في كل مساحة قدرها ١٣٥ فدان ، وقدرت تكاليف المسجد بنحو خمسة آلاف جنيه ، ثم إنشاء مساكن للوظفين بمبلغ ٢٤٠٠ جنيه ، وإنشاء مساكن للعمال بمبلغ ستائة جنيه ، وبذلك يعتمد للمنطقة الواحدة مبلغ ثمانية آلاف جنيه ، وقد اتفقت وزارة الأوقاف على تنفيذ هذا المشروع مع المؤسسة العامة لتعمير الصحارى .

● عثر على مخطوطين من تأليف المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق بمكتبته : الأول باسم « التضامن الاجتماعى

وعضوية الأستاذ الشيخ أحمد الشمرأوى وكيل كلية البنات الإسلامية ، والأستاذ الشيخ عبد الحسيب طه وكيل كلية اللغة العربية وقد أعلنت اللجنة منحه الدرجة العلمية بتقدير ممتاز .

● وافقت لجنة الخدمات الثقافية والإعلام بمجلس الأمة على اقتراح من العضو محمد حافظ سليمان - مفتش الوعظ بالأزهر سابقاً - بتطوير محطة إذاعة القرآن الكريم بأن تقدم برامج دينية ، وأن تقوى المحطة حتى يمكن أن تصل برامجها إلى الدول الإفريقية والآسيوية لنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة على أوسع نطاق .

وقد عقد مجلس التخطيط الأعلى بوزارة الإرشاد القوى - عقب ذلك - اجتماعاً هاماً برئاسة السيد أمين هويدى وزير الإرشاد تقرر فيه تنفيذ هذا الاقتراح بحيث يتناول : تدعيم برامج محطة إذاعة القرآن الكريم بإضافة مواد في تفسيره ، وفي خدمة تلاوته .

● قررت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم تخصيص جائزة تحمل اسم الرئيس : جمال عبد الناصر لتجميع حفظ القرآن الكريم ، وستكون الجائزة من درجتين : (أ) كأس فضية تأخذها المحافظة التي تقدم أكبر عدد من حفظ القرآن الكريم ، سواء كانوا من طلاب المعاهد الدينية أو مدارس الجمعية أو غيرهم .

(ب) كأس لسلك محافظة على حدة تحمل

العربية عن « محمد توفيق البكري : حياته . وأدبه ، الأستاذان : محمد رجب البيومي المدرس الأول بعمليات الفيوم ، وماهر حسن فهمي المدرس بجامعة عين شمس والمنتدب بالعراف . كان عدد البحوث المقدمة خمسة .

● صدر عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي المصنف الفقهي المسالك بالعربية والفرنسية من تدوين الأمين العام للمكتب الأستاذ هبة العزيز بن هبة الله ، وقد استوفى فيه جميع المصطلحات المدونة في كتب الفقه المسالك قديماً وحديثاً .

● أصدر المستشرق المجري « هبة الكريم جرمانوس ، عضو مجمع البحوث الإسلامية كتاباً بعنوانه : « الأدب في المغرب » .

● أصدر الكاتب الأردني زيد الكيلاني كتاباً بعنوان « إسرائيل باسم سنوات الاغتصاب » .

● انتهت لجنة تقييم المخطوطات النادرة بجامعة القاهرة من مهمتها بعد أن استمرت في أعمالها ثلاثة شهور أنقذت اللجنة خلالها نحو أربعة آلاف مخطوط كانت مهملة بالمكتبة العامة ، وسوف تقوم الجامعة بإعادة طبعها وتضم هذه المخطوطات علوماً شرعية وعربية وفلسفية ، وأدبية ، وفنوناً متنوعة .

● انتهت لجنة توحيد المصطلحات الإدارية العامة من عملها في توحيد المصطلحات المستعملة في الدوائر والمصالح الحكومية بالدول الأعضاء بالجامعة العربية . وتواصل

في الإسلام ، ، والثاني باسم « السلام والإسلام » ، وقد تقرر نشرهما .

● أهدت الجمهورية العربية المتحدة خمس مكتبات إسلامية إلى كل من : الجمعية الإسلامية ببنزانيا ، والمركز الثقافي الإسلامي في هونج كونج ، والجمعية الإسلامية بسنجام في الهند ، والجمعية العربية للدراسة المسئلة بسيلان ، والبرهان الديني بإذاعة ألمانيا . وتضم المكتبات الخمس خمسة عشر ألف مجلد وكتاب إسلامي تتحدث عن أركان الإسلام باللغات : العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والأردية ، والألمانية .

● أصدر السيد أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف قراراً بإيفاد بعثات من قراء القرآن الكريم للعمل على تحفيظه لأبناء المسلمين في مختلف المعاهد والمدارس بالبلاد الإسلامية .

● افتتح الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس لوزراء الثقافة والإرشاد القومي المركز الجديد للمعهد الإسلامي في « مدريد » عاصمة أسبانيا .

● وافق السيد / السيد يوسف وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة على إنشاء معهد عربي لتعليم اللغة العربية في (كوناكري) عاصمة غينيا .

● فاز في المسابقة الأدبية لجمع اللغة

الليل ، وهذا القرار يقضى بإغلاق الملاهي في نفس الموعد .

● قررت حكومة الكويت تقديم معونات لاتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وأوربا ، وهيئة العلماء في لسنهو بالهند ، ولجنة تأسيس المدرسة الإسلامية في البرازيل ، والمركز الإسلامي في مونتريال ، ومؤسسة الدعوة الإسلامية في سودا بيا باندونفيسيا .

● صرح وزير خارجية تركيا بأن الحكومة التركية قد أغلقت عدداً من المكاتب السياحية الإسرائيلية في تركيا ، وقال : إن تركيا تعمل على أن تكون علاقاتها بإسرائيل لا تؤثر على مصالح الدول العربية .

● وصلت إلى المغرب المكتبة الإسلامية التي أهدتها وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة للمغرب ، وتضم ثلاثة آلاف مجلد وعدداً من اسطوانات تعليم الصلاة باللغتين العربية والفرنسية .

● أصبحت اللغة العربية لغة دولية ، في منظمة العمل الدولية .

● أيدت الجزائر في العمل على تعريب النظام القضائي في البلاد حيث يتم خلال هذا العام تعريب جميع القوانين حتى يمكن أن تتم بهارافعات الادعاء والدفاع داخل قاعات المحاكم باللغة العربية بدلاً من الفرنسية .

الجنة اجتماعاتها لبحث توحيد المصطلحات القانونية والمالية في البلاد العربية .

● وفي بغداد انتهى مؤتمر التدريب العسكري للجيش العربي من توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربي .

● طالب شباب المغرب من اتحاد طلاب الجمهورية العربية المتحدة عدداً من الكتيب العربية التي تساعدهم في معركة التعريب بالمغرب ، كما طالبوا بزيادة المنح القومية للشباب المغربي بالدول العربية .

● وافقت وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة على إهداء الأمانة العامة للجامعة العربية مجموعات من كتب المرحلة الابتدائية لتعائم اللغة العربية لتزويد بعض الجهات الأجنبية بها لمساعدتها في تعليم مواطنيها اللغة العربية .

● أصدر فريق من الطلبة المسلمين الذين اهتموا بالإسلام مجلة سموها دصوت الإسلام ، تتولى هذه المجلة الرد على المفتريات الموجهة ضد الإسلام من اليهود وغيرهم في الصحافة والإذاعة الألمانية .

● أصدر وزير داخلية السنغال قراراً بمنع تشغيل الفتيات بحال الملاهي والخنور ، ومنع هذا القرار أيضاً النساء والفقيات - حتى الصغيرات منهن - من ارتداء الملابس القصيرة التي تظهر الركبة ، وفي قرار لاحق لهذا القرار منع الوزير السهر بعد منتصف

News from Muslim World

* The Grand Sheikh of Al-Azhar, H.E. Sheikh Hassan Mamoun, received during this month a number of Islamic and cultural delegations and discussed with them the matters relating to the cultural and religious developments of the muslim community in their countries.

He received, among others, a chinese cultural friendship delegation headed by Mr. loi changh, Deputy Minister for Foreign cultural Relations, the president of the Muslim Ladies Arabic College in Ceylon, Al-Haj Muhammad Ali Muhammad Abul Hassan, and President of the Indo - Arab friendship Society, Mr. Sharif I. Hussain Ahmed. He also received H.E. Lakdasa Re Mel, Bishop of the Church of India, Pakistan, Burma and Ceylon.

* H.E. Ahmed Abdu Sharabasi, Deputy prime Minister of U. A. R. and H. E. Sheikh Ahmed Hassan Al-Baquiri, Rector of Al-Azhar university, visited India last month to acquaint themselves with the system

of Islamic education and Arabic studies in India. They also met with the president, the vice-president, the prime Minister and muslim leaders and educationists.

* The supreme Council for Islamic Affairs gave a contribution of 3000 copies of Islamic books, 200 prayer records and a set of Quran recitation records to the muslim Ladies Arabic college in Ceylon.

* It appears that the three year old differences between the two great muslim Countries, Indonesia and Malaysia, will be solved soon by mutual negotiations and peaceful means.

* The U. A. R. Deputy premier for Culture and Information, Dr. Abdul kader Hatem, paid a state visit to Spain this month. During which he visited several Islamic monuments and historical places there. He also met with Genral Franco in his El-Pardo palace in Madrid.

M. ALWAYS

that the Islamic world in Asia has revolted against the shackles of political subordination and economic binding to Europe for many reasons. Some of these reasons may be attributed to the Islamic parties, some to the consequences of the first and second world wars, others to the appearance of generations of conscious citizens and good rulers. This consciousness must have been transported to Africa where muslims were the pioneers of the African liberation revolutionary movements which were originated in North Africa. This origination is only a matter of historical precedence. Egypt was the starting point for the procession of independence, then it proceeded to Soudan, Libya, Morocco, Tunis, Ghana, Guinea, Somalia and to other countries of West and central Africa. In all these areas Islam was the driving force which pressed the people forward. This may be

quite evident if we know that the number of muslims, according to the latest statistics, is 80 millions while the christians were only 20 millions and the rest pagans and other religions. However, the proportion of muslims in the continent north of the Equator equals 90% of the total number of Africans.

On the other hand, Islam, for the Africans, is their own religion, not an importation, nor a religion of imperialists and invaders. It is one of the strong and active props which formed the character of the Africans and their society. It was, too, a more important factor in creating and propagating African languages, such as Arabic, Hausa and Sawahili. Islam is and will remain the huge progressive driving force which pushes the African peoples toward their desired future under its everlasting principles of freedom, justice and peace.

★ ★ ★ ★

President Jamal Abdul Nasser's May Day speech of this year was hailed by the leaders of the free world. The leader of the Najjada' party of Lebanon Mr. Adnan el-Hakim said that the speech of President Nasser was 'a slap in the face of Arab reactionary powers and the plotters who raise Islamic slogans'. Mr. Hakim added that President Nasser will remain, not only a leader of Arabism 'but a leader of Muslims' who acts according to the true spirit of Islam, away from fake slogans'.

looked after the roads of trade. It is a well-established historical fact that the Islamic roads of trade linked Africa with Asia and Europe and made the centre of the area an integral part called the Islamic world.

Africa has witnessed, too, the ebb-tide of Islam, and suffered from its consequences when the continent was victimised by the foes who sucked its blood, divided it into units and regions and imposed on it their systems, religions and customs.

In this connection we can assert that the prime motive behind the geographical discoveries and the Portuguese explorations of the seas, was to destroy the muslims' economic and commercial power and to weaken them so as to make easy the seizure of their countries. Our source of reference as far as this point is concerned is the book "Asia and the Western Domination" by Sardar Panikar, a top authority on this historical epoch. He asserts, depending on Portuguese and Spanish documents, that the first objective of discovering a trading road to India and the Far East other than the road of Egypt and the Red Sea, was to reach the sources of wealth, to usurp it and to contain the muslims in the centre between Europe in the north and European troops

in the far east. On the other hand, the portuguese worked to destroy the Islamic towns and principalities in East Africa where Zanzibar, Malindy, Soufala... etc. are located, and spent several years destroying the regimes of these countries. After the Portuguese came the Dutch, then the French and the British who engaged themselves in fighting the Islamic Emirates and tribes in West Africa and the Arab West.

If we refer to the European sources which treated the subject of invading and dividing the African continent, we get surprised by the role of European churches and christian missionary societies in this invasion. Livingstone, Stanley, Brazza... etc. represented societies of European churches, driven by the desire of fighting Islam. In Ugand, for instance, the Catholic and Protestant parties fought against one another, but when they found that their conflict leads to the strengthening of Islam, they joined together in league against the Islamic party. The alliance resulted in the victory of the Protestant party by force assisted by England.

Secondly : the other factor which influenced greatly and directly our present time in Africa is

is of the opinion that the continuation of this state is the rope of survival to the white culture whose seeds were sown in Africa by the Boer people.

Hence, we have to cast a free glance into these situations and search for their reasons including the heritage of both Islam and Christianity. Within the general framework of the relation between Islam and the political development of Africa, we should in the outset recognize the Islamic heritage at present in Africa, because this heritage is one of the factors which is now pressing the African continent forward in the way of development.

We can recognize the main outlines of this Islamic heritage in the following points :

First : Since the advent of Islam, the history of the continent has become that of Islam. It is true to say that Africa has had ancient history before the appearance of Islam, but it assumed a new position unknown of Africa before Islam entered the continent. The source of this report is Dr. De Graft Johnson, a Ghanaian author who, in his book "Glory of Africa" wrote the history of the continent from the point of view of the African nationalists.

Africa which had known the flood tide of Islam through which it lived, was reshaped and witnessed the Islamic influences getting deeper in its society. Even the names of African countries and towns were formulated by the Islamic thought from its earliest times till the time of modern European colonialism.

The flood tide of Islam prevailed over the countries of North Africa from Sinai peninsula to the Atlantic Coast. Then it took the direction southwards to include the African Sahara, and eastwards to the Red Sea and Indian Ocean. Islam took another direction when it crossed the strait of Bab el Mandab and the Arabian Sea to the eastern coast of Africa beginning from Eritrea in the north to Mozambique in the south. Then the eastern tide met with the northern in Central Africa.

This Islamic tide was not a wave of war or invasion but of civilization, culture and belief. It was even a glorious event in the life of people as it conveyed them from the stages of bondage and primitiveness to the stage of the well-arranged society whose laws, customs and authorities are well defined. This cultural tide and the spread of its influences was strengthened because the muslims cared for and

The Effects of Islam in the Development of Africa

By : Abdul Khaliq Amer

Africa is now passing through an important phase of its history, and the number of Africans is getting an increase in the various fields of international relations. It, consequently, became a fertile field for numerous studies all over the world.

One of these studies is the study of religions and the scope of their relation to the development of Africa in general, and to the African political movements in particular. The core of this relation is that the African political movements are working against the links of subordination to Christian Europe. These political movements also look with doubt to the intents of the European religious men and churches. Take for example, the study made by Goerge Carpenter, secretary of the National Council of Churches in the United States, and commented on by Dr. Glora, member of the World Council of Churches. The study which dealt with the role of Islam and Christianity in shaping contemporary Africa was issued by an American

publishing house under the title of "Africa Today".

When we speak of the relation of Islam to the political development we mean to make a pure scientific study, driven by a realistic situation evident in the north and south ends of the African continent.

In the north, lies the United Arab Republic which, drawing its African policy on the principles of Islam, supports peoples' selfdetermination, opposes racial segregation, consolidates independence and calls for non-alignment.

Whereas in the South, the situation christallizes in the policy of the South African government favoured by the teachings of the Duch Church which is the formal church of the state. Hence, it follows a policy of the fiercest forms of violence, terror and Apartheid, opposing any idea of equality between the whites and the coloured, consolidating the white domination and denying the role and rights of the coloured. The government of South Africa

the Banu Shaiba have retained this title until the present day.

In the year 64/683, the Kaba was destroyed by the Umayyads during their seige of Mecca and the Black Stone was split into three pieces. After the Battle, Abdullah led the people of Mecca in the rebuilding and the Black Stone was replaced, bound together with a silver band. At this time certain alterations were made which were shortly afterwards removed by order of Caliph Abdul-Malik, when the Umayyad army conquered Mecca in 74/693. From then on, apart from some renevation in 1011/1630 when the building threatened to collapse, the Kaba has kept its present form. Only once has the Black Stone been removed from the Kaba and that was in 317/930, when the Karmatians invaded Mecca and carried off the stone, only returning it after twenty years.

There is a very interesting view in Islamic cosmology which states that before the world was created, the Kaba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular point. Thus it becomes the navel of the earth. Also, in Islamic cosmography, the Kaba corresponds with the Pole Star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point on the earth. For some, the Kaba and the Black

Stone represent the throne of the Khalifa of Allah, Adam. For all, the whole area of Mecca is regarded as sacred and the Kaba as a sanctuary. Mecca is the capital of Islam and at every prayer all Muslims, in every part of the world, face towards this holy city; however one may remember the words of al-Arabi when he said that the true Kaba is our own being. Muhammad al-Fadl said: "I wonder at those who seek His temple in this world and do not seek contemplation of Him in their hearts. The temple is sometimes attained and sometimes not, but contemplation may always be known. If they are bound to visit a stone, which is looked at only once in a year, then surely they are more bound to visit the temple in their heart — for there He may be seen every night and day of the year.

The Kaba is important to all Muslims and it is an inescapable part of the Islamic religion, all Muslims are under an obligation to make the pilgrimage to the Kaba. It is something wonderful and unforgettable to gaze upon this sanctum of Allah, for here is concentrated the adoration of millions. Islam rejects all forms of idolatrous worship and the Kaba is but a holy place where man has worshipped Allah since the time of Adam, no more, no less.

THE KA'BA

The Ka'ba is a simple stone structure about fifty feet square, which stands on a marble base in the middle of the great mosque of Mecca. To this centre of Islam come thousands of Muslims every year to pay homage to the One God, Allah. The outside of the Ka'ba is covered with a black brocade cloth, into which are woven the 'shahada' and verses from the Qur'ân. This 'kiswa' is renewed every year, at the end of the Hajj ceremonies the old kiswa is taken down and the new one hung in its place. The inside of the Ka'ba has no furnishing apart from numerous lamps of silver and gold which hang from the ceiling, this ceiling is supported by three wooden pillars rising from a marble covered floor. In the eastern corner of the room is the Black Stone, 'al-hajar al-aswad,' this is surrounded by a ring of stone which is encircled by a silver band. The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass, the front of the building faces north-east and contains the entrance, this door is a few feet from the ground and a detachable wooden staircase is used to enter the building.

There are many traditions and legends surrounding the Ka'ba and

Black Stone, but it is accepted by all Muslims that the Ka'ba is the first sanctuary to be erected on earth and was built by Ibrahim and his son, Ismail. The Black Stone being the only original stone left after many years and many reconstructions. Historical reference to the Kaba is very limited before Islam and only begins at the time of Muhammad, when the Kaba was destroyed by fire and was rebuilt of stone and wood. It is said that when the time came to replace the Black Stone, the people of Mecca quarrelled for the honour and so Muhammad, placing the stone on his cloak, ordered the chiefs to take each end and carry it to its position. Thanks to his wisdom, everyone was pleased and no one was offended. It is known that before Islam, the Kaba became a place of heathen worship and that when Muhammad conquered Mecca there was found nearly four hundred idols around the Kaba. All these were destroyed and the building then purified to become once more a place of true worship, all idolators were forbidden to enter Mecca and in the year 10 A. H. Muhammad led the first pilgrimage in which no idolator was present. At this time the guardianship of the Kaba was entrusted to Uthman, and

Mohammad and asked him to allow his son to return with him to his home and family, Mohammad answered, "He is free to do as he please, if he chooses to go with you then he has my blessing but, if he chooses to stay with me, then I will love him and treat him as if he were my own son". The father then asked his son what he wanted to do. "O my father, though I love you dearly and owe you much, to this man Mohammad I owe even more and love even more and if you will allow me, I will stay with him". His father, understanding, replied "So be it, remain then with this man who is the chosen of Allah."

This story helps to show us the kind of man Mohammad was, it shows that he had not only the many essential qualities which the other prophets possessed and who were taught, as he, in the ways of prophethood by Allah, but also other qualities which caused him to be loved by many. The fact of his wisdom, purity, compassion, integrity, faith and love, made Mohammed, even then, a guide to his people and many came to him seeking knowledge at his feet... for already the Light of Allah was shining

from his face. Though some at first denied this Light, for when the Light of Truth shines forth man's guilt causes him to be ashamed and seek refuge in mockery.

However, it was this Light which, after Mohammad became the last Prophet of Allah, insistently blazed forth to enlighten the minds and hearts of men with the true religion of Allah, Islam. All of this tells us just a little of what Allah meant when He said to Mohammed :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

(... I have sent you to be a mercy to all mankind...). Indeed he was, and still is, for the Light of Islam which first shone forth so many years ago in Mecca, is now spreading all over the world and will continue to spread until the whole world is lit by the Faith of Islam. Only then will this world's mad rushing whirl into nuclear oblivion be halted, shedding its false facade of superficiality to gain a sanity and strength it has never known... and then, then this world will be a beacon of faith to the entire universe; with the Light of Allah, like some precious jewel, blazing forth brighter than any star.

A Story of the Prophet

By : Raschid Ansari (wellesley)

I would like to tell a story of another time... a time when many men walked in darkness, the majority worshipping idols and full of a superstition that made cacophony of life's harmony.

This story took place many, many years ago during the time before Mohammad (may peace be with him) became a prophet, in those days there lived a man who had a son whom he loved dearly. One day, however, the boy disappeared and, as the time passed, his father became frantic with worry thinking of his son perhaps wandering lost in the desert or lying somewhere, hurt and alone. For it seemed no one knew what had become of the boy.

At last he decided he must look for his son further afield, no matter where it took him or how long, and mounting his camel he set out determined not to return until he found his lost son. He rode and rode, searching north, south, east and west, in the heat and in the cold, always asking the same question of all he met... "Have you seen my son?",

and always the answer was the same... "No". Until one day, after many weary months had passed, one answered his question with... "Yes, I have seen your son. He is in the house of Mohammad in Mecca".

The man was overjoyed and rushing to Mecca he went to Mohammad's house and knocked on the door asking news of his son, on being told to enter he went in and found to his delight his dear son sitting with Mohammad. He embraced his son tenderly, kissing and caressing him while their mutual tears mingled on each others cheek as they expressed their joy at finding each other. Then Mohammad bade the father sit and take refreshment, after which the father asked his son what had happened to him all this long while. "O my father," his son replied, "much has happened since last I saw your face, I was captured and later sold as a slave to Khadija, the wife of Mohammad, who then gave me to him and he, from his boundless compassion, in turn gave me my liberty."

His father then turned to

unqualified allegiance to the one God. He says: "It is only Thou before Whom I bow in worship, and it is Thee alone to Whom I look for support and sustenance". Having thus offered Him his whole allegiance and entrusted himself to His exclusive care and protection, he can no longer bow before anyone else, he no longer fears any person on earth and he neither can nor need stretch his hand before anyone else for a favour.

He then goes on to make but one prayer to his Lord, and that is to be able to follow the straight path, the path not of any particular race, nation or group but the path that is common to all religious leaders and all upright men of all times and all countries. He prays

for guidance so that he may not go astray with those, irrespective of their race, creed or nationality, who are misguided. He prays for grace so that he may be able to attain good that is universal and to avoid evil that is universal.

Such a conception of religion cannot but so mould the heart and intellect of its devotee that his worship will be for the One God, Whose mercy and beneficence are universal, he will be at once self-respecting, humble and charitable and he will be free of all faction and narrow-minded group mentality; he will belong not to this or that race, community or group but to mankind; he will be a man, and his allegiance will be to humanity. This is the call of the QURAN, the real spirit evil of its message.

ويا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

(O mankind ! Lo ! We have created you male and female and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct) XLIX : 13.

دناقم وجهك للدين حنيفاً . فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(So set thy purpose for religion as a man by nature upright - the nature (framed) by God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not) 30 : 30.

groups in different places and at different times.

e) It further explained the externals of religion and the customs of religious groups had no bearing on man's spiritual advancement and salvation. These groups are man made, while God given religion remains the same and consists only of right faith and right action.

f) Finally, it proclaimed in unequivocal terms that its message was no more than that all religions were true but that their followers had turned away from their true teachings. The common true core of all religions. referred to by the Quran as "Deen" (the religion) or "Islam" (submission to God).

6— Man has shattered all bonds that could unite mankind into a single community or brotherhood. There was but one race, but it has been split into thousands of races; there was but one nation, but it has been divided into innumerable nations; all men were of one status, but there are now countless classes of rich and poor, high and low. There is but one single bond which can again gather together the scattered and divided family of man, and that is common worship of the One God. The realisation that we are all creatures of the same Lord, that our Cherisher and Sustainer is

the Same, can reawaken that sentiment of relationship and unity which will conquer and transcend all man-made differences.

Let us now, by way of Summing up, consider this opening chapter of the Quran, Al Fatehah, as a whole and see what spiritual Lesson or guidance it contains for mankind. It is a prayer which is offered several times daily. What effect is it likely to produce on the emotional, intellectual and spiritual development of a man who repeats it so often, day and night, not only with his lips but from his heart?

Such a man loses himself in adoration of God, who is not the God of this or that race, nation or religious group, but the Lord of the entire Universe, the Cherisher and Sustainer of all mankind, Whose mercy, therefore, extends to all beings alike. This not only makes him humble before God but, at the same time, also gives him a sense of dignity and self-respect, for he too is the object of Divine care, and a feeling of oneness on terms of equality and brotherhood with the rest of his fellow creatures. He calls to God by His attributes which he most readily recalls are those of mercy and justice.

He immediately bows his head in reverence and gratitude and offers

revelations of Allah (will find that) lo ! Allah is swift at reckoning. And if they argue with thee, (O Muhammad), say : I have surrendered my purpose to Allah and (so have) those who follow me. And say unto those who have received the scripture and those who read not: Have ye (too) surrendered? If they surrender, then truly they are rightly guided and if they turn away, then it is thy duty only to convey the message (unto them). Allah is Seer of (His) bondmen) III : 19—20.

It may be well at this point, for a clearer exposition to recapitulate the argument of this chapter briefly.

1—When the Quran was revealed, the position was that religion was regarded no more than as a basis of group organisation in the same way as social groups were formed on the basis of race, clan or family. Every religious group considered truth to be its exclusive preserve ; everyone within the group was assured of salvation and everyone outside was doomed to perdition.

2 — In every religious group, religion had come to be identified with outward practices and rituals, such as form of worship, sacrificial customs, eating or abstaining from certain articles of food, etc. Salvation depended upon the observance of these practices and customs.

3 — Since these practices and customs varied from religion to religion, every group considered the religion of another group as devoid of truth.

4 — Since every religious group not only believed its own religion to be true but also considered other religions to be false, it necessarily led to bigotry, hatred and bloodshed.

5 — The Qur'an, therefore, placed before mankind once again the Universality of true religion.

a) It declared that all religions were true and that religion was a common gift of God to mankind, not confined to any one group.

b) It proclaimed that, like all laws of nature, the law of man's spiritual fulfillment was also the same for all and that the greatest error of followers of religion was to divide themselves into mutually hostile groups.

c) It explained that God's religion was intended to unite mankind, not to divide them.

d) It went on to explain the difference between religion and religious regulations and customs. While religion is the same for all, regulations and customs vary according to the requirements of social

inspiration, as we inspired Noah and all the Prophets who came after him, as We inspired Abraham, Ismael, Isaac, Jacob and the Tribes and Jesus, Job, Jonah, Aaron and Solomon, and as we gave to David the Psalms, and (as we inspired) the Prophets about whom we have told thee and those about whom we have not told thee" (IV: 163). "They are those who recieved God's guidance. So thou too (O Muhammad) follow their guidance." (VI: 91).

It is, therefore, assential that we must accept all the Prophets. It is not possible to accept one or some of them and to reject the others, for they all brought the same Message. To differentiate between the various Prophets is to lose the right path.

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ... الآية »

(Lo ! those who disbelieve in Allah and his messengers, and seek to make distinction between Allah and His messengers, and say : We believe in some and disbelieve in others, and seek to choose a way in between ; such are disbelievers in truth) I V : 150—151.

The Quran did not, therefore, ask men to accept a new religion but instead called upon them to act honestly in accordance with the teaching of their own religion. "O ! people of the Book ! You shall have

naught (of religion) until you observe truly the teachings of the Torah, the Gospel and all that has been revealed to you from your Lord". (V : 68)

The basic teachings of all the religions were the same and the Quran merely reiterates them; it enjoins those actions which are universally acknowledged as right and forbids those actions which are universally considered wrong. It is this universally recognised path of rectitude which the Quran calls upon man to follow, and all other paths and diversions which lead to differences and divisions he is told to avoid. This true path this common religion of all Prophets, is referred to in the Quran as "Islam" because it holds that the essence of religion is submission (Islam) to God and the law He has made for man's conduct in the same way as there are laws of nature for every other being in existence.

« إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ... الآية »

(Lo ! religion with Allah (is) The Surrender (to His will and guidance). Those who (formerly) received the scripture differed only after knowledge came unto them, through transgression among themselves. Whoso disbelieveth the

which followers of the various religions had fallen. One of the greatest errors was forming separate groups and developing a spirit of narrow-minded clannishness and faction. This evil grew to such proportions that every religious group forgot the object of religion, ignored the fundamental teachings of religion, disregarded faith and conduct and considered only whether a person affirmed allegiance to that group or to some other. Irrespective of his faith and deeds, a person was supposed to be doomed if he belonged to another group and was assured salvation if he joined that group. This naturally led to begotry and mutual hatred, and the path of religion was turned into an avenue for prejudice, enmity, malice, oppression, slaughter and beastliness. Even places of worship, dedicated to God, were destroyed because they were identified with a group other than one's own,

The Quran, therefore, recalled men to true religion and reminded them that :

a) Man's salvation depends not on his belonging to a particular group but on his own right belief and right action;

b) God's religion is the same for all mankind, and to forget this unity and universality of religion and to form mutually antagonistic groups

is to stray from the right path altogether ; and

c) The Essence of all religions is to worship directly the One God, the Lord of the Universe. This is what was taught by every founder of a religion.

« إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
وَالصَّابِّينَ مِنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. الْآيَةُ » .

(Lo ! those who believe (in that which is revealed unto thee, Muhammad), and those who Jews, and Christians and Sabeans-Whoever believeth in Allah and the Last Day and doeth right-surely their reward is with their Lord, and there shall no fear come upon them neither shall they grieve) 11 : 62.

So it was that the Quran explicitly and repeatedly warned men that it did not invite them to form a new group but instead called upon them to sweep away all artificial differences and factions and reunite into a single brotherhood as God intended them to be. The Quran says that it has brought no new religion but is merely a reiteration of the divine message that has come to mankind so often through various Prophets in different lands from time to time. "He has ordained for you (O Muhammad) the same religion which He enjoined on Noah, Abraham, Moses and Jesus" (XL 11 : 13). "(O Muhammad), We have sent thee

When the Quran was revealed to the world, religion had been identified with forms, practices and rituals, and every group looked upon followers of other ways as not only inferior beings but also beyond salvation; they alone were the true followers of God and His chosen and beloved. It was this misguided arrogance and blasphemy which the Quran set out to correct by distinguishing between the principles and forms of religion and directing attention to the essence of religion.

.. لسكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولاكن ليلوكم فيما آتاكم .. الآية.

(For each we have appointed a divine law and a traced-out way. Had Allah willed He could have made you one community. But that He may try you by that which He hath given you (He hath made you as ye are). So vie one with another in good works. Unto Allah ye will all return, and He will then inform you of that wherein ye differ) V. 48.

It follows, therefore, that one's attitude towards followers of other religions must be one of broad-minded and understanding tolerance. It is a frailty of human nature that every group regards its own ways as the best and cannot look at them through the eyes of its critics. The only right course for man, therefore, is one of patience and tolerance.

• ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً
أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين •

(And if thy Lord willed, all who are in the earth would have believed together. Wouldst thou (O! Muhammad) compel men until they are believers?) X: 99.

• ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم .. الآية •

(Reville not those unto whom they pray beside Allah lest they wrongfully revile Allah through ignorance. Then unto every nation have we made their deed seem fair. Then unto their Lord is their return, and He will tell them what they used to do) VI: 108.

It was this division of mankind into so many exclusive and mutually antagonistic groups which made the message of the Quran necessary. There should otherwise have been no need for the revelation of the Quran, since the object of all religions was the same and they were all founded on truth. While, however, all religions were true, their followers had strayed from truth and it was, therefore, necessary for a fresh divine call, which was the Quran, to bring all mankind together again to the eternal but long lost truth.

The Quran enumerates, repeatedly and at some length, the errors into

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

S a f a r 1 3 8 6	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	M a y 1 9 6 6
----------------------	--	------------------

THE QURAN'S CONCEPTION OF GOD - X.

By : Moulana Abul Kalam Azad

The Straight Path



The object of religion is reform and welfare of mankind. This object can be fulfilled only in the context of the prevailing conditions and circumstances, which differ from time to time and from place to place. It is necessary, therefore, that the code of conduct must be such as to suit the circumstances of the time and place and the social fabric and intellectual capacity of the people for whom the code is evolved. This is, however, no more important than the physical and social differences which distinguish one people from another and has no bearing on the essence of religion. It is a sign of a people straying away from true religion when they begin to attach primary importance to such differences of form and practice. The Quran has repeatedly warned against this and set forth before man clearly what constitutes true religion.

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

والكتاب والنبين ... الآية . . .

(It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West ; but righteous is he who believeth in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the prophets ; and giveth his wealth, for love of Him, to kinsfolk and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask, and to set slaves free ; and observeth proper worship and payeth the poor-due. And those who keep their treaty when they make one, and the patient in tribulation and adversity and time of stress. Such are they who are sincere. Such are the God-fearing) II : 177. This is the definition of true religion and the picture of a true believer, be he called a Muslim or by another name, which the Quran placed permanently on record nearly 1400 years ago.

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد بن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٥٠ ضائع الجمهورية
وللمدربين الطلاب تخفيض خاص

بَيِّنَةُ رَأْيِ مَشِيخَةِ الْأَنْزَهَرِيَّةِ (وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَرَبِيٌّ)

الجزء الثالث - السنة الثامنة والثلاثون - جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ - أغسطس ١٩٦٦ م

لِسَمَاءِ الْمَرْيَمِ الْمَرْيَمِ



تحرير معنى الحرية

للأستاذ عبد الرحيم فوده

غير أن معنى الحرية قد اتسع لمعان تفض
من قيمة الحرية ، وتبعده عن المعاني
السكريمة العظيمة التي كانت تفهم من هذه
الكلمة في الاستعمالات العربية .
فالدعوة إلى التبذل والتحلل تجدها عند
أصحابها سنداً من الحرية .
والترويج للذاهب المنحرفة كالوجودية
مثلاً يجد له سنداً من الحرية .
والنقد المفروض الهدام لبعض الأوضاع
والقوانين الصالحة يجد له سنداً من الحرية ،
والانطلاق المطلق وراء النزوات والشهوات
يجده له سنداً من الحرية .

لم ترد كلمة الحرية في نص قرآني فيما أعتقد
ولا في حديث نبوي فيما قرأت وفيما يغلب على
ظني ، وإنما وجدت كلمة «تحرير» بمعنى
تخليص الإنسان من غل الرق وذل العبودية
وذلك المعنى يطلق عليه اسم الحرية وهو من
أهم وأعظم المقاصد الإسلامية ، فإن أول ما
يدعو إليه الإسلام هو الإيمان بأنه لا إله
إلا الله ، ومعنى ذلك أن يتحرر الإنسان من
الخصوع لغيره ، لأنه دون سواه ، الحقيق بأن
يعبد ، ويحمد ثم لأنه لا يستقيم مع كرامة
الإنسان أن يخضع لمن هو دونه أو مثله
في الخلق والعبودية .

من الشرف والخير والكرامة ، فإذا انحرف استعمالها إلى معار لا تتفق مع الشرف والخير والكرامة فقدت قيمتها الاجتماعية والأخلاقية والشرعية ، وأصبحت في نظر العرب والعربي والإسلامي اسماً لا يدل على مسماه ، وإنما يدل على مسميات أخرى ينكرها العرب والشرف والطبيع السليم والدين القويم .

ولاشك أن كل إنسان نزاع بفطرته إلى الحرية ، لأنها السبيل إلى تلبية حاجات قلبه وعقله وإرضاء ميوله وغرائزه ، ولكنه كائن اجتماعي لا يستطيع أن يستقل بشئون نفسه أو يعيش منعزلاً عن غيره ، بل إنه لا يكاد يستقل بصنع أبسط شيء يقنأه ، سواء في ذلك مسكنه وملبسه ومأكله ، ومن ثم كانت حاجته الدائمة إلى المجتمع الذي يعيش فيه تتقاضاه أن يعرف له حقه عليه ، وأن يشعر بواجبه نحوه ، وأن ينهض بأداء هذا الواجب على الوجه الذي يتحقق به التعادل بين ماله وما عليه ، ولهذا لا يتصور وجود الحرية بمعناها المطلق الواسع في مجتمع يصون لكل فرد فيه حريته ، ويلقى عليه تبعات بمقدار ما يعطيه من حقوق وخدمات بل إنه لا يتصور معنى الواجب والعرف والقانون إلا على أساس الحد من الحرية وتقييدها بالحدود التي تحول بينها وبين العدوان على حريات الآخرين ، ومن ثم كان الخروج

وقد يجد الكذب والخفاق والدجل والتفريب سنداً يؤدي فساداً وإفساداً من الحرية ما دامت الحرية تحرراً من كل قيد ، وتحللاً من كل سلطان .

ومن ثم كان علينا أن نحرر معنى الحرية حتى يخلص للمعاني الكريمة العظيمة التي كانت تراد منها ، وحتى تكون الحرية بحق وصدق القاعدة الأساسية للكرامة الإنسانية ، ولنا حاجة ، في تحرير معنى الحرية ، أن نضع معها قيد الالتزام كما قيل أو يقال ، فإن هذا القيد يلغى مفهومها الواسع الطويل العريض عند من يفهمونها فهماً واسعاً طويلاً هريضاً ، وإنما علينا لتحرير معناها أن نرجع إلى مفهومها العربي والإسلامي ، فإنه بكفينا ويهدينا إلى أنبل وأكمل وأجمل معاني الحرية .

فالحر - كما هو معروف - ضد العبد ، والحرية على هذا الأساس هي التحرر من القيود التي تحد من إرادة الإنسان وتخضع من قيمته وكرامته .

وحرية العرب ، إشرافهم ، فالشرف - داخل في مفهوم الحرية .

والسحابة الحرة الكثيرة المطر فالخير كذلك داخل في مفهوم الحرية .

وحر كل أرض وسطها وأطبيها ، والأحرار هم الأخيار الأفاضل .

هذه المعاني التي تفهم من هذه الكلمة في الاستعمال العربي تضع الحرية في إطار

على العرف الذى تواضع الناس على احترامه
نشاذا فى النظام العام ، وكان التمرد على القانون
الذى يؤخذ الناس بالتزامه جريمة تواجه
بالعقاب الرادع والعلاج الناجح ، ومعنى هذا
أن الحرية بمعناها الذى يتسع للفوضى والفساد
لا توجد فى ظل عرف يحترم أو قانون مطاع
ولا يتصور وجودها فى مجتمع يسوده الأمن
والنظام ، ومعنى ذلك كذلك أن الحرية ، كما كان
يتصورها العرب والمسلمون ، خير وكرامة
وشرف ، وقد حرص الإسلام على ضمانها لكل
إنسان ، لأن قدر الإنسان فى تقديره كما يفهم
من قول الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم
وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »
فكرامة الإنسان تقوم أول ما تقوم على
الصعور بالحرية ، إذا لا قيمة ولا كرامة

لإنسان يعيش مسلوب الإرادة ضائع
الشخصية ، وذلك بعض ما يفهم من قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أحدكم إمعنه
يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسن
ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن
تحدثوا وإن أساءوا أن تتفكروا إساءتهم ،
ولكن حرية الإرادة والفكر شيء وحرية
الهوى والشهوة شيء آخر ، فهذه مظهر
الضعف والعجز والهوان ، وتلك مظهر القوة
والكرامة والإنسانية ، ولهذا يقول النبي
صلى الله عليه وسلم : السكينة من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه
هواها وتمنى على الله الأمانى ، ويقول الله
جل شأنه : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطاً » ؟

عبد الرحمن فوده

نفس الحر

إذا قيل : هذا منهل ، قلت : قد أرى
أنهمها عن بعض ما لا يشينها
ولم أقض حق العلم إن كان كلها
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة

ولكن نفس الحر تحتمل العظام
مخافة أقوال العدا فيم أولها ؟
بدا فرض مسيرته لى سلباً
إذن فأتباع الجمل قد كان أحزما
(الفاضل الجرجاني)

المصالح المرسلة كما يراها الإمام مالك للأستاذ محمد محمد المدني

اشتهر عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه يقول : (بالمصالح المرسلة) ويعتبرها أصلاً من أصول التشريع ، ومع أنها لو تأملنا في جميع المذاهب الإسلامية لوجدناها كلها تعتبر (المصالح) وتبني عليها ؛ فإن لمذهب مالك مزيد اختصاص بذلك جعل منه في باب العادات والمعاملات مذهباً مرناً متمشياً مع مقتضى التطور يمكن به حل كثير من المشكلات التي تجد للناس ، ولا يجدون فيها بخصوصها نصاً شرعياً ، وقد كان لتوسع مالك في هذه القاعدة رد فعل عند بعض المتحرجين الذين دفعهم حرصهم على صيانة الشريعة وحياستها من المدهين للمصالح في كل زمان ، وهم إنما يبطنون تطويع الشريعة للأهواء ، ولذلك نرى مثل الفقيه الجويني يحمل على مالك ، ويقول في كتابه البرهان ، كما نقله عنه الشوكاني في إرشاد الفحول : « وأفرط مالك في القول بها - أي بالمصالح المرسلة - حتى جره ذلك إلى استحلال القتل ، وأخذ المال لمصالح يقتضيها في غالب الظن ، وإن لم يجهدها مستنداً ، - ص ٢٢٥ من إرشاد الفحول - وقد رد

على ذلك الإمام المالكي أبو إسحق الشافعي في كتابه الاعتصام حيث قال ، بعد أن بين أن مالكاً إنما يقول بالمصالح المرسلة في شئون العادات والمعاملات فقط دون العبادات : « ودورانه في ذلك كله على الوقوف مع ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب لأن تصور - لقة ذلك في التعبدات وندوره بخلاف قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر للعقول ، فإنه استرسل فيه استرسال المدلل العريق في فهم المعاني المصلحية ، نعم مع مراعاة مقصود الشارع ألا يخرج عنه ولا يناقض أصلاً من أصوله ، حتى لقد استشنع العلماء كثيراً من وجوه استرساله ، زاعمين أنه خلع الرتبة ، وفتح باب التشريع ، وهيئات ما أبعد من ذلك رحمه الله ! - انظر ص ٣١١ ج ٢ من الاعتصام .

ولكي يتضح للقارئ : ما هي المصالح المرسلة ، وكيف يعتبرها مالك .
نذكر ما يأتي :

• من المعروف أن قصد الشارع في كل ما صدر عنه هو (تحقيق المصالح) و (درء

الاستدلال فيه بأنه (مرسل) والمصالح بأنها (مرسلة) كذلك ، على معنى الإرسال الذي هو ضد التقييد ، يقال : هذا شيء مقيد ، وهذا شيء مرسل من القيد ، أى مطلق ، فلما كانت المصلحة مطلقة غير مقيدة ، بأنها معتبرة من الشارع أو ملغاة ؛ سميت بالمصلحة المرسلة ، أى الخالية من شهادة الشارع لها من طريق نص معين بالاعتبار أو الإلغاء ، وإن كان الشارع يعتبر ما هو من جنسها على الجملة .

* إن ما لكما رحمه الله تعالى يفرق بين ما هو من (العبادات) وما هو من (العادات) ويقصد بالعادات ما يشمل أحكام التعامل ، فهى : أن (العبادات) لها دائرة ونطاق خاص ، فهى لم تكن غالباً على المعاني المعقولة التى يمكن للناس أن يدركوها إدراكاً كاملاً ، وإنما هى رسوم رسمها الله ، الذى من حقه أن يعبد ، المؤمنون الذين عليهم ، إذا أرادوا إرضاءه ، أن يلتزموا ما رسمه لهم ، فليس من حقهم فى هذا النطاق أن يتكبروا ، ولا أن يجوروا ، فلو أننا أبهنا العمل بالمصالح المرسلة فى باب الصلاة مثلاً فربما قل قائل : إن الركوع فى الصلاة هو خضوع لله ، وقد جعلته الشريعة ركوعاً واحداً فلماذا لا نجعله ركوعين ، كما أن السجود مرتان ليتم التنسيق بأن يكون فى

المفاسد) ، بل يمكن الافتصار على العبارة الأولى ، فإن المفاسد إذا درئت لزم إثبات المصالح ، لأنها تقيضان لا واسطة بينهما ، فالشريعة كلها مبنية على هذا الأصل ، ولذلك ينظر المجتهد فى المعنى المناسب الذى يرتبط به الحكم فيقول مثلاً : إنما شرع القصاص لحفظ النفوس ، وإنما حرمت الخمر لحفظ العقول ، فيكون حفظ العقول والنفوس مصلحة مقصودة للشارع ، ويكون التحريم للخمر ، والإيجاب للقصاص تحقيقاً للمصلحة المقصودة .

وهذا المعنى المناسب الذى يرتبط به الحكم تارة يكون من الواضح أن الشارع قد اعتبره كما مثلنا ، وتارة يكون من الواضح أن الشارع قد ألغاه ولم يرتب عليه ، كالمنافع التى تتصل بالخمر والميسر فإن الله تعالى قد ألغاهما ورددهما حيث يقول : يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما .

وتارة يكون هناك معنى مناسب ، ولكن لم يرد فيه بخصوصه عن الشارع شهادة واضحة فى جانب الاعتبار أو الإلغاء ، مع أنه يلائم تصرفات الشارع ، ونراه يعتبر جنسه فى الجملة دون دليل معين .

فهذا الثالث هو الاستدلال المرسل ، الذى يسمى بالمصالح المرسلة ، وقد وصف

الاول من هذه الامثلة ، ونعقب عليه بما يحليه وبما يبين آراء الفاضلين المختلفين في شأن هذه المصالح :

ذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع المصحف وليس هناك نص على جمعه وكتابته ، فقال بعضهم : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فروى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أرسل إلى أبو بكر رضى الله عنه مقتل أهل اليمامة - أى في زمن الحرب مع أهل اليمامة - وإذا عنده عمر رضى الله عنه ، قال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر بقراءة القرآن يوم اليمامة - أى اشتد وكثر ، والقراء حفظة القرآن - وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن - قال : فقلت له : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لي هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدرى له ، ورأيت فيه الذى رأى عمر - قال زيد : فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تنهك قد كتبت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه ، قال زيد : فواقه لو كفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على من ذلك فقلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله

الركعة الواحدة من الصلاة ركوعاً وسجوداً ، أو يقول إن المصلحة العامة في البلاد الحارة أن يصوم الناس شهراً من شهور فصل الشتاء أو فصل الربيع دون التقيد برمضان . ونحو ذلك من كل ما هو خروج عما حده الله ورسمه لعباده .

أما دائرة العادات ، ود المعاملات ، فهى مبنية في الشريعة على المعاني المعقولة التى يمكن الوصول إليها ، والاهتداء إلى قصد الشارع فيها ، فما وجدنا فيه نصاً بالاعتبار المصلحة اعتمدنا عليه ، وما وجدنا فيه نصاً بالإلغاء وعدم اعتبار مصلحة بخصوصها ألغيناه ولم نعتبره نزولاً على حكم الشرع ، أما النوع الثالث : وهو موضوع المصالح المرسله ، فإن للجهتد أن يقدر هذه المصلحة التى لم يرد في شأنها نص شرعى خاص ، فإذا وجد الشارع يعتبر جنسها على الجملة في مواضع أخرى حتى يطمئن إلى عدم خروجها عن نطاق الروح الإصلاحي ، فإن له أن يعتبرها بل يجب عليه ذلك شرعاً ، وإلا كان مظهرًا للشريعة بما هي براء منه من التزمته والتخرج والانكماش عن مجاراة ما هو خير وصالح باعتبارها هي .

ولقاعدة المصالح المرسله أمثلة كثيرة ، ذكر الشاطبي في كتابه د الاهتمام ، عشرة منها ، وفي هذا المقال يكفيننا أن نذكر المثال

وقف موقف عمر رضي الله عنه ، حيث اعتبر ذلك مصلحة وخيرا وإن لم يرد به نص معين ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وقف أبو بكر أولا موقف المتحرج من هذا ، ووقف كذلك زيد ، ولم يكن تخرجهما إلا احتياطا على الشريعة ، وصيانة لها من أن يتجرأ أحد على فعل شيء لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالذين يأخذون على مالك قوله بالمصالح المرسلة إنما يفهمهم إلى ذلك خوفهم من اتساع بابها ، ودخول من ليس أهلا للدخول من هذا الباب ، فيقتحم الناس على الشريعة ، ويدخلوا عليها ما تأباه بحجة المصالح ، وفي الناس أذعياء على الاجتهاد والفتوة ، أصحاب أهواء ، وإن تظاهروا بالإخلاص والتجرد عن الهوى .

أما مالك رحمه الله تعالى ؛ فكان فوق مثل هذه الظنون وقد قال بها فيما يرجع إلى حفظ ضروري ، أو رفع حرج ، فهي في حفظ الضروري من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وفي رفع الحرج من باب الميل إلى التخفيف والتيسير ، لا إلى التشديد والتعسير ؟

محمد محمد المرنى

صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر حتى شرح الله صدرى للنبي شرح له صدورهما ، فتمتعت القرآن أجمعه من الرقاق والعسب والخاف - العسب جمع عسيب وهو جريد النخل واللخاف حجارة بيض رقاق والرقاق جمع رقعة ، وكل ذلك كان يكتب فيه القرآن - ومن صدور الرجال .

فهذا هل لم ينقل فيه خلاف عن أحد من الصحابة ، إلا هذا الذي كان بين عمر وأبي بكر ، ثم بين أبي بكر وزيد بن ثابت وانتهى إلى الوفاق بينهم ؛ بأن شرح الله صدر أبي بكر لما وآه عمر ، وشرح صدر زيد لما رآه أبو بكر .

ولمالك في ذلك أسوة حسنة ، فإنه لم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما صنعوا ولم يجهدوا أيضا نصا يمنع ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعا ، فإن ذلك راجع إلى حفظ الشريعة ، والأمر بحفظها معلوم ، وإلى درء المفسدة التي يخشى أن تقع لو اختلف الناس في القرآن أو ضاع منه شيء ، وقد علم النهي عن الاختلاف في ذلك بأدلة كثيرة ، وإن لم يأت دليل خاص بهذه الحادثة بعينها ، فإليك رحمه الله تعالى

أولئك المسلمات

للاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

سئلت السيدة عائشة ، رضوان الله عليها ، عن خلق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
سئلت السيدة عائشة ، رضوان الله عليها ، وثلة من الآخرين ، هل حد التعبير - عن أصحاب اليمين ، وعن المقربين - في سورة الواقعة .

وكان خلقه : القرآن ، . ولنضرب لذلك مثالا :

ومع أن هذا الوصف ، من أم المؤمنين واضح وضوحا لا لبس فيه ، فإننا مع ذلك نحاول له تحديدا نراه ضروريا ، وبيننا نراه

حتيا :

ذلك أن الأخلاق القرآنية : تحدد الخلق الكريم ، في حده الأدنى ، وترسم الفضيلة في درجتها الأولى ، ثم لا يقتصر القرآن على ذلك ، وإنما يرسم القيم من مكارم الأخلاق ، ويوجه إلى السنام منها ، ويقود إلى المشافف العليا من درجات المقربين :

لأنه يتحدث عن : « المقتصد » .

وهن : « السابق بالخيرات » :

لأنه يتحدث عن : « أصحاب اليمين » ، ويتحدث عن المقربين ، ويبين أن المقربين أقل عدداً من أصحاب اليمين ، فهم ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين .

أما أصحاب اليمين : فإنهم ثلة من الأولين ،

إن مقابلة السيئة بالسيئة : عدل . يقول الله تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

ولكن القرآن - مع بيان عدالة هذا - يذكر درجة أعلى من الخلق الكريم ، تلك هي : درجة « كظم الغيظ » .

وهذا الذي - مع مقدومه على مقابلة السيئة بالسيئة - يكظم غيظه ، أسمى في ميزان الأخلاق الكريمة ، من الذي يقابل السيئة بالسيئة .

ولا يقف القرآن عند هذا الحد ، ذلك : أنه يرسم درجة ثالثة ، من الخلق الكريم ، فتجاوز « مقابلة السيئة بالسيئة » ، « وكظم الغيظ » ، إلى « العفو » .

والعفو مع المقدرة : أسمى من « مقابلة السيئة بالسيئة » ، وأسمى من « كظم الغيظ » .

ثم يتجاوز القرآن كل ذلك ، إلى الدرجة

العليا : درجة المقربين : وهى الإحسان .

يقول تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فن عفا وأصلح ، فأجره على الله ، » .

ويقول تعالى :

« والكاظمين الغيظ ، والصابرين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، » .

لأنها درجات من الخلق الكريم ، كلها كريمة ، بيد أنها تتفاوت ، فيما بينها ، من كريم إلى أكرم ، بتفاوت الناس في الشرف : من شريف إلى أشرف .

ويحق لنا الآن ، أن نقسام :

هل تريد السيدة عائشة رضى الله عنها ، حينما تصفه صلى الله عليه وسلم ، بأن خلقه القرآن : هل تريد الخلق القرآنى الكريم ، فى حده الأدنى أم تريده فى حده الأوسط ؟ أم تريد فى حده الأعلى ؟

ويحل لنا القرآن ، هذه المسألة ، فيحدد - بصورة عامة وبطريقة مجملة - الدرجة التى وصل إليها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من الخلق القرآنى :

فيقول سبحانه لرسوله ، صلى الله عليه وسلم : « وإنك لعلى خلق عظيم ، » . يقول صاحب الشفاء :

« أننى عليه بما منحه من هباته ، وهدهد إليه ، وأكد ذلك ، تنمياً للتمجيد ، بحر فى التأكيد ، فقال تعالى :

« وإنك لعلى خلق عظيم ، » .

قيل القرآن :

وقيل الإسلام :

وقيل الطبع الكريم .

وقيل ليس لك همة إلا الله ، اه

قال الواسطى :

أننى عليه بحسن قبوله ، لما أسداه إليه من نعمة ، وفضله بذلك على غيره : لأنه جعله على ذلك الخلق .

وقد تحدث الصحابة والتابعون عن هذه الآية الكريمة قال ابن عباس ، رضى الله عنهما : معناه : « على دين عظيم ، لا دين أحب إلى الله ، ولا أرضى عنه منه ، وهو دين الإسلام ، » .

وقال قتادة :

هو ما كان يأتى به من أوامره ، وينتهى عنه ، من نهى الله تعالى .

والمعنى : أنك على الخلق ، الذى أمرك الله به فى القرآن .

ومع ذلك ، ومع كل ما قيل : فى هذه الآية الكريمة ، من أنها تكريم ، وتمجيد ، ومدح وثناء ، ومع إيماننا ، بأنها تتضمن كل المعانى الكريمة التى قيلت ، والمعانى الشريفة التى ستقال :

فإننا نرى ، أن الأمر ما زال بحاجة إلى بيان الدرجة ، بياناً تاماً .

« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

هذه الآية القرآنية الكريمة ، تهدد درجة الأخلاق القرآنية ، التي وصل إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنها ذروتها وسنامها . ولقد بعث صلى الله عليه وسلم ، ليتم - على حد تعبيره - مكارم الأخلاق :

لأنه صلى الله عليه وسلم ، بعث ليتم المكارم الأخلاقية .

ليتمها بذاته : بسلوكه ، وليتمها بقوله : برسالته .

لأنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب ، وإنما بعث ليتم مكارمها . ومكارم الأخلاق لم تكن - قبل الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه - قد تمت ، إن أول المسلمين ، لم يكن قد وجد بعد ، وكانت بذلك مكارم الأخلاق ناقصة ، كان ينقصها أكل صفة لمكارم الأخلاق ، وهي إسلام الوجه لله ، إسلاماً تاماً .

إن الكائنات لم تكن قد وصلت - لاني نبي مرسل ، ولا في ملك مقرب - إلى الذروة من إسلام الوجه لله ، والذروة من إسلام الوجه لله ، أو أول المسلمين - والتعبيران سواء - إنما هو الذروة من مكارم الأخلاق . إن الكائن الرباني : إن أول المسلمين ،

فقد يتسائل بعض الناس ، من هذا الخلق العظيم ، أكان يشرك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيه نبي مكرم .

أكان يشركه فيه رسول مجتبي ؟

أكان يشركه فيه ملك مقرب ؟

ألم يكن سيدنا إبراهيم على خلق عظيم ، وهو الحليم الأواه المنيب ؟

ألم يكن سيدنا إسماعيل ، على خلق عظيم ، وكان هند وبه مرضياً ؟

ألم يكن سيدنا عيسى ، على خلق عظيم ، وقد جعله الله مباركاً أينما كان ؟

والملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومنهم : جبريل ، وميكائيل ، وحمة العرش ، أليسوا على خلق عظيم ؟

أيشرك أحد من هؤلاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في درجته ؟

أيماثلون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الخلق العظيم ؟

ويسعفنا القرآن بهذا التحديد ، إسعافاً يرضى التطلع إلى المعرفة ، ويشرح صدور المحبين لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إن القرآن يحسم الأمر حسماً ، لا يدع فيه مجالاً للبس ، ويسفر عنه إسفاراً لا يدع مجالاً للرب ، يقول الله تعالى ، (رسوله الكريم :

ﷻ ، إنما هو القرآن ، وإذا ما وصل الإنسان إلى إسلام الوجه ﷻ ، كان بذلك في ذروة الإنسانية ، وفي الذروة من مكارم الأخلاق ، ويتفاوت الناس في إسلام وجوههم ﷻ ، ولا بد من أن يكون أحدهم أول ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولهم بإطلاق مطلق

د قل : إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي : لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أسرت ، وأنا أول المسلمين . .

ولم يصف القرآن بأول المسلمين ، شخصاً آخر ، غير الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولولم يوجد أول المسلمين ، المتمسك لمكارم الأخلاق ، ذلك الذي كانت صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين . . . لو لم يوجد هذا السكائن الرباني لظل العالم مستشرقاً إليه ليكمل به و لظل العالم ناقصاً مادة وروحاً ...

فلما وجد صلى الله عليه وسلم انتهت حكمة الله بوجوده ، وبرسالته إلى ما بينه الله تعالى بقوله :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

ولنا - إن شاء الله - مع هذه الآية الكريمة مقال آخر ؟

عبد الحليم محمود

أولهم بإطلاق ، أولهم بالنسبة لللائكة ، وأولهم بالنسبة لبنى آدم ، أولهم قديماً ، وأولهم إلى الأبد ... إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد .

وكانت الإنسانية بذلك ناقصة ، وكانت السكائن كلها بذلك ناقصة .

كان الكون ناقصاً مادة ومعنى ، كان ينقصه أن تتعطر أرضه بأزكى الأجساد ، وأن يتعطر جوهه بأزكى الأرواح ، وكان لابد من وجود كائن ، بهذه المناسبة يكمل الله به الدين ، ويتم به النعمة ، ويرضى رسالته ديناً عاماً خالداً للإنسانية أجمع : هو إسلام الوجه ﷻ ، وينزل القرآن محمداً إسلام الوجه ﷻ وسائل ، ومحمداً إسلام الوجه ﷻ غايات ، ومحمداً إسلام الوجه ﷻ طرقاً وأصاليب ، ومحمداً له بواهي وأهداف .

ومن هنا كان من يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

وكيف يقبل منه ما يقفاني مع إسلام الوجه ؟

إن إسلام الوجه ﷻ هو الذروة ، من مكارم الأخلاق ، وهو جوهر الدين ، إنه دين النعمة ، إنه الدين الخالد .

والنص الوحيد ، النص الإلهي الفريد في عالم كله الذي يبين كيفية إسلام الوجه

حقوق الإنسان في الإسلام

لدكتور الدكتور علي عبد الوهيد داني

تبين الرشد من الغي ، ، ويقول مخاطباً الرسول عليه السلام : « فإن أَرْضُوا فَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ، . وجاء هذا المعنى نفسه في عبارات صريحة في آيات أخرى كثيرة من القرآن .

وهي هذا المبدأ صار المسلمون مع أهل الأديان الأخرى . فكانوا يديحون لأهل البلاد الخاضعة لهم أن يبقوا على دينهم ، وكانوا يأخذون على أنفسهم احترام عقائدهم وشعائهم ومعاييدهم . وفي هذا يقول عمر ابن الخطاب في معاهدته لأهل بيت المقدس : « أعطى عمر بن الخطاب أهل إيلياء أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم . لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، . ويقول عمرو بن العاص في معاهدته مع المصريين : « أعطى عمرو بن العاص أهل مصر أماناً على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ورومهم وبجرمهم ، .

هذا إلى أن الإسلام لا يعتد إلا بالإيمان المنبثق عن اقتناع . ومن ثم أنكر القرآن على بعض الأعراب ادعاءهم أنهم مؤمنون ، لأن الاقتناع النفس لم يكن قد دخل بعد

ترجع أم حقوق الإنسان ، حسب ما تقرره شرائع الأمم المنحضرة ويقتضيه عرفها الخلق العام ، إلى خمسة حقوق تتصل بخمسة أنواع من الحريات وهي : حرية التدين وحرية التفكير والتعبير ، وحرية العمل ، وحرية التعلم والثقافة ، والحرية المدنية .

وسنعرض فيما يلي موقف الإسلام حيال كل حق من هذه الحقوق الخمسة على حدة :
١ - الحرية الدينية ، أو حق الإنسان في اعتناق ما يرتضيه من دين :

قرر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق ، وحرص على دعمه في جميع ما سنه من مبادئ ، وخاصة في المبدأ الذي ينص عليه القرآن بصريح العبارة في أكثر من موضع ، وهو أنه لا يجوز أن يرغم أحد على ترك دينه واعتناق الإسلام ، وأن مهمة الرسول عليه السلام ومهمة كل داع للإسلام تقتصر على بيان تعاليم الدين ، وتوضيحها للناس ، والدعوة إليه بالحسنة والموعظة الحسنة ، ولكل فرد بعد ذلك مطلق الحرية في الدخول في الإسلام أو عدم الدخول فيه . وفي هذا يقول الله تعالى : « لا إكراه في الدين ، قد

بالتوجيهات الواردة فيها إلا مجرد حث العقول على النظر في محتويات السكون ، وحفز الناس على التأمل في هذه الشؤون واستنباط القوانين الدقيقة التي تسيطر عليها ظواهر الأرض والسماء ، والاستدلال بها على قدرة الخالق وعظمته وإتقان صنعه ، ثم ترك بعد ذلك لكل فرد كامل الحرية في تقرير ما يراه والانتصار له واعتناق ما يقتنع بصحته من نظريات .

وعلى هذا المبدأ سار الرسول عليه الصلاة والسلام وسار الخلفاء الراشدون من بعده فقد كانت حرية الرأي في عهدهم جميعاً مكفولة ومحوطة بسياسات من القدسية . وباستقراء تاريخ هذه المرحلة التي تمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل لا نعلم على أية محاولة من جانب أولى الأمر للحجر على حرية الآراء .

ولا أدل على ذلك من أن الرسول عليه السلام حينما أشار على بعض الناس بعدم تلقيح النخل ، ثم تبين أن ذلك يؤدي إلى عدم إثمارها ، ذكر أنه إنما تحدث في ذلك برأيه الخاص ، وأن رأيه الخاص عرضة للخطأ والصواب ، وأن هذا الحكم يصرى على كل ما يتحدث عنه من أمور الدنيا ، وأن للناس الحق في البحث في أمر دنياهم وعلاجها على الوجه الذي يهدهم إلى تجارتهم وأفكارهم ، وأنهم قد يسكنوا أعلم ببعضها من الرسول نفسه ، وأن الأمور التي كلف

في قلوبهم . وفي هذا يقول الله تعالى : **دَعَا** الْأَعْرَابَ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ، وَلِمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ . . . وغنى عن البيان أنه لا يمكن الإكراه ولا يعقل في أمر لا يتحقق إلا بالاعتناع النفسى .

٢ - حرية التفكير والتعبير :

وهو حق الإنسان في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من شئون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر ، وأن يأخذ بما يهدى إليه فهمه ، وأن يعبر عنه بمختلف وسائل التعبير .

ولا يختلف موقف الإسلام حيال هذا الحق عن موقفه حيال الحق السابق ، فالإسلام لم يحاول مطلقاً أن يفرض أية نظرية بصدد أية ظاهرة من الظواهر ، ولم يعرض القرآن ولا السنة الشريفة لتفاصيل هذه الأمور ، وكل ما فعله القرآن في هذه الناحية أنه استحث العقول على النظر في ظواهر السكون ، وحفز الناس على التأمل في هذه الشؤون واستنباط قوانينها العامة . وفي هذا يقول الله تعالى : **دَعَا** لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ؟ . . . وجاء الحث على النظر في هذه الأمور في آيات أخرى كثيرة من القرآن ، بل إنه لا شكاد مخلو سورة من سوروه من توجيه النظر إلى ذلك - ويظهر في صورة واضحة من جميع النصوص القرآنية الواردة في هذا الصدد أن القرآن لا يقصد

الصلاة والسلام : « ما أكل أحدكم طعاماً قط خيراً من عمل يده » .

وعلى أساس هذه النظرة المقدسة للعمل ، يقدس الإسلام حق العامل في ثمرات عمله وملكيته أجره ، فهو يدعو إلى الوفاء بأجر العامل وينذر من يجهل عليه من أصحاب العمل بحرب من الله ورسوله . قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي :

« قال الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، وعد منها « رجلاً استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » ، وهو يدعو كذلك إلى التعميل بأداء الأجر ، وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

* * *

هذا ، وقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق العمل ، فأباح للمرأة أن توظف بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أداها ولا تتنافر مع طبيعتها ، ولم يقيد الإسلام هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها ، ويصونها عن التبذل وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم . وقد كانت النساء المسلمات في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يقمن بكثير من الأعمال في داخل منازلهن وخارجها ، بل لقد اضطلعت المرأة المسلمة ببعض شئون الحرب نفسها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فلم تخل

تبليغها إلى الناس من قبل الله والتي لا يمكن أن يتطرق إليها الشك مقصورة على شئون الدين من عقيدة وشريعة . ونص عبارته في هذا الحادث : « إنما أنا بشر : إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر ، وأنتم أعلم بأمور دنياكم » .

٣ - حرية العمل :

وهي أن يكون لكل فرد الحق في أن يزاول أى عمل مشروع وأن يتمتع بثمرات أعماله . ولا يختلف موقف الإسلام حيال هذا الحق عن موقفه حيال الحقلين السابقين . فالإسلام لا يقر نظام الطبقات في الوظائف والمهن régime des castes وإنما يعطى كل فرد الحق في أن يزاول أى عمل مشروع يروق له وتكون لديه الكفاية للقيام به في الحدود التي تسنها النظم الاجتماعية لتحديد الكفاية والصلاحية لمختلف الأعمال . وجميع الأعمال المشروعة أعمال شريفة في نظر الإسلام ، سواء في ذلك الجسمي منها والعقلي والإداري .

وقد حث الإسلام على العمل أياً كان نوعه ، ما دام داخل في نطاق الأعمال المشروعة ، وأمر به ، وأعلى من شأنه . يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ، ويقول عليه

مع ذلك يبحث على تحصيل العلوم والآداب والفنون بمختلف فروعها . وبفضل ذلك نبغ في مختلف هذه الفروع عدد كبير من علماء المسلمين ، ولم يغادروا أى فرع منها إلا ألفوا فيه كتباً قيمة لا يزال كثير منها يعد من أمهات المراجع .

هذا ، وقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في حق التعلم والثقافة فأعطى المرأة الحق نفسه الذى أعطاه الرجل في هذه الشؤون ، وأباح لها أن تحصل على ما تشاء الحصول عليه من علم وأدب وثقافة وتهذيب ، بل أنه ليجب عليها ذلك في الحدود اللازمة لوقوفها على أمور دينها وحسن قيامها بوظائفها في الحياة . وقد حدث الرسول عليه الصلاة والسلام النساء على طلب العلم ، وجعله فريضة عليهن في هذه الحدود في الحديث الذى سبق ذكره وهو قوله عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وضرب عليه السلام أروع مثل في الحرص على تعليم المرأة وتنقيتها بما فعله مع زوجته حفصة أم المؤمنين . فقد روى البلاذرى في كتابه « فتوح البلدان » ، أن الشفاء العدوية ، وهى سيدة من بنى عدى وهط عمر بن الخطاب ، كانت كاتبة في الجاهلية ، وكانت تعلم الفتيان ، وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالرسول عليه السلام ، ولما تزوجها طلب إلى الشفاء العدوية أن تتابع تنقيتها

غزوة من غزواته من نساء يقمن بمساعدة الرجال وشئون الإسعاف للجرحى .

وأما نظم الحريم وحبس النساء في البيوت ، فهى نظم استحدثت في بعض البلاد الإسلامية تحت تأثير ظروف اجتماعية وتقاليد محلية خاصة ، وليس من مبادئ الإسلام في شيء .

٤ - حرية الثقافة والتعليم :

أعطى الإسلام كل فرد الحق في أن ينال من العلم والثقافة ما يشاء وما تتيحه له إمكانياته وظروفه وبقبحه له استعداده ، بل جعل ذلك فرضاً عليه في الحدود اللازمة لأمور دينه وشئون دنياه ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « تعلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . ويشيد الله تعالى في كتابه الكريم بالعلم والعلماء فيقول : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » . وقد جاءت الآيات الأولى نفسها التي نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام من الكتاب الكريم منطوية على تعظيم العلم ووضعه في المكانة الأولى من نعم الله على الإنسان ومن دلائل عظمته وقدرته : « اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، (آيات ٣ - ٥ من سورة ٩٦ ، سورة العلق ، والآيات الخمس الأولى من هذه السورة هى أول ما نزل من القرآن) .

ومع أن الإسلام يوجه قسطاً كبيراً من عنايته إلى علوم الدين وما يتصل بها ، فإنه

وكان قضي الإسلام على التفرقة بين الرجل والمرأة في حق الحرية المدنية ، قضي كذلك على جميع الأساليب التي كانت تفرق بين الأفراد في هذا الحق تبعاً لاختلاف شعوبهم أو أجناسهم أو طبقاتهم أو ألوانهم، أو تبعاً لتفاوتهم في الأحساب والأنساب ، وفي هذا يقول الله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ويقول الرسول عليه السلام في خطبة الوداع التي جعلها دستوراً للمسلمين من بعده ولخص فيها طائفة من أهم أحكام الإسلام : يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لمجسمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، . وتناقش مرة أبو ذر الغفاري مع بلال الحبشي الأصل في حضرة الرسول عليه السلام ، فاحتد أبو ذر على بلال ، وقال له يا ابن السوداء فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك غضباً شديداً ، وقال دلف الأصاح طف الأصاح ، أي قد تجاوز الأمر حده ، ثم توجه إلى أبي ذر وقال له . دأئك امرؤ فيك جاهلية . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى . .

وأن تعلبها تحسب الخط وتزيينه كما علمتها أصول الكتابة . وتدل شواهد كثيرة أن أبواب التعلم والثقافة بمختلف صنوفها كانت مفتحة على مصاريحها للبنت العربية منذ عصر بني أمية ، وأنه قد نبع بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات ، وبرزن في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وشتى أنواع المعارف والفنون ، بل لقد كانت منهن مملكات فضليات تخرج على أيديهن كثير من أعلام الإسلام .

هـ - الحرية المدنية :

هي الحالة التي تجعل الشخص أهلاً لإجراء العقود وتحمل الالتزامات المدنية والتصرف فيما يملك .

وقد منح الإسلام هذا الحق لجميع الأفراد العقلاء الراشدين .

وقد سوى الإسلام في حق الحرية المدنية بين الرجل والمرأة ولا فرق في ذلك بين أن تكون متزوجة أو غير متزوجة ، فالزواج في الإسلام لا يفقد المرأة اسمها ولا شخصيتها المدنية ولا حقها في التعاقد ولا أهليتها في التملك ، بل تظل المرأة المسلمة بعد زواجها محفظة باسمها واسم أسرتها ، وبكامل حقوقها المدنية ، وبأهليتها في تحمل الالتزامات وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء وهبة ورهن وما إلى ذلك ، ومحفظة بحقوقها في التملك وتملكها مستقلاً عن زوجها وبالتصرف فيما تملكه .

المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به تنفيذ ما قرره ، فإنه بذلك يمرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدي تشريعه إلى أضرار بالغة لا تقل في سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا في العصر الحاضر إذا أُنْضِي بشكل لجأى نظام البنوك أو الشركات أو حرم استخدام العمال وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو يبطل استخدام السكك الحديدية أو استخدام البخار : فالريق كان بخار الآلة الاقتصادية في تلك العصور . فإذا كان الإسلام قد أقر الرق فإنه قد أقره تحت تأثير هذه الضرورات الاقتصادية والاجتماعية القاهرة .

(والنقطة الثانية) إن الإسلام لم يقر الرق في صورة مطلقة ولا دائمة ، وإنما أقره في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدرج ، بدون أن يحدث ذلك أى أثر سيء في نظام المجتمع الإنسانى ، بل بدون أن يشعر أحد بتغير في مجرى الحياة . والوسيلة التي ارتضاها للوصول إلى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثراً وأصدقها نتيجة . وهي تتلخص في مسلكين : يتمثل أحدهما في : تضيق الروافد التي كانت تمدد الرق وتغذيه وتكفل بقاءه ، بل في العمل على تخفيفها تخفيفاً كاملاً ، ويتمثل الآخر في توسيع المنافذ التي تؤدي إلى الحق

وسوى الإسلام كذلك في حق الحرية المدنية بين المسلمين وغير المسلمين فقرر أن غير المسلمين في بلد إسلامى أو في بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق مدنية وعليهم ما عليهم من واجبات وتطبق عليهم القوانين نفسها التي تطبق على المسلمين إلا ما تعلق منها بالشئون الدينية فتحترم فيه عقائدهم وشرائعهم ، وتدل على ذلك كله آيات كثيرة من القرآن الكريم ، كما تدل عليه هذه احاديث نبوية .

هذا ، وقد أخذ بعض الباحثين على الإسلام أنه أباح الرق ، وأن في هذا هدماً لأهم ركن من أركان الحرية المدنية ، لأن الرقيق بحسب تعريفه : إنسان مجرد من الحقوق المدنية ، فلا يحق له إجراء أى عقد ، ولا تحمل أى التزام مدنى ، ولا يحق له التملك ، بل يعتبر هو نفسه من ممتلكات سيده .

وردنا على هؤلاء يتلخص في ثلاث نقط :

(أحدها) أن الإسلام قد ظهر في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الإنتاج في قسم كبير من أمم العالم . فلم يكن من الإصلاح الاجتماعى في شيء أن يحاول مشرع إلغاء مرة واحدة لأن محاولة كهذه كان شأنها أن تعرض أوامر المشرع للخالفه والاهتان . وإذا أتيح لهذا

استثنى منه أولاد الجوارى من أسيادهن .
 فقرر أن من تآق به الجارية من سيدها يولد
 حراً ، وإذا لاحظنا أنه كان الغالب في أولاد
 الجوارى أن يكونوا من مواليهم أنفسهم ،
 لأن الأغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى في معظم
 الأحوال إلا لمتعتهم الخاصة ، تبين لنا أن
 هذا القيد الذي قيد به الإسلام رق الوراثة
 وانفرد من بين جميع الشرائع التي كانت
 تقر الرق ، كفيل بالعمل على جفاف هذا
 الرافد نفسه ونضرب معينة بعد أمد غير
 طويل .

ومن أهم القيود التي قيد بها المورد الثاني
 وهو الحرب الخارجية المشروعة أنه اشترط
 في الحرب حتى تكون مشروعة شروطاً
 لا تكاد تتوافر إلا في الحروب التي اضطر
 إليها الإسلام في مبدأ أمره للدفاع المشروع
 أو للفضاء على ما كان يدبر له من فتن
 ومؤامرات ، أو لتأمين دعوته ، كما تدل على
 ذلك آيات كثيرة من القرآن . وحتى مع
 توافر هذه الشروط في الحرب فإن الإسلام
 لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر ، بل يبيح
 للإمام أن يمن على الأسرى بدون مقابل ،
 أو يطلق سراحهم في نظير فدية تتمثل في نقد
 أو في عمل يؤدونه أو في نظير أسرى من
 المسلمين عند العدو ، بل إن القرآن قد تحاشى
 أن يذكر الرق بين الأمور التي يباح للإمام

والتحريم . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء
 بمجدول كثرت مصباته وانقطعت عنه موارده
 التي يستمد منها الماء ، وخليق بمجدول هذا
 شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف . وبذلك
 كفّل الإسلام القضاء على الرق في صورة
 صليبة هادئة ، وأتاح للعالم فترة الانتقال
 يتخلص فيها شيئاً فشيئاً من هذا النظام .

وسنعرض فيما يلي بشيء من التفصيل لمكل
 ممالك من هذين المسلكين :

(الممالك الأولى) تضيق روافد الرق :
 قضى الإسلام على ستة روافد هامة من روافد
 الرق قبل الإسلام ، فحرم الرق الناشئ عن
 الأسر في حرب أهلية أو في حرب بين المسلمين
 بعضهم مع بعض ، والناسئ عن القرصنة
 والخطف ، وعن ارتكاب بعض الجرائم ،
 وعن عجز المدين عن دفع دينه ، وجرد
 الوالد من سلطة بيع أولاده ، وجرد الحر
 من سلطة بيعه لنفسه . ولم يبق الإسلام من
 روافد الرق إلا رافدين اثنين ، وهما رق
 الوراثة وهو الذي يفرض على من قلده
 الأمة ، ورق الحرب الخارجية المشروعة
 الذي يفرض على الأسرى في حرب خارجية
 يهيئها الإسلام ، وعمد إلى هذين الرافدين
 نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل فنضوب
 معينهما بعد أمد غير طويل .

فن أهم القيود التي قيد بها رق الوراثة إنه

للدولة لأن العتق كان يعد تضديماً لحق من حقوقها .

جاء الإسلام وهذه حال العتق في ضيق منافذه وقسوة شروطه ، لحظ كل هذه القيود ، وفتح لطائفه الرقيق أبواب الحرية على مماريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافاً من الفرص وتلبيس للعق من الأسباب ما يكفي بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل .

وفيما يلي طائفة من أهم هذه الأسباب :

١ - أن يجرى على لسان السيد في أية صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، سواء أكان قاصداً معنى اللفظ أم لم يكن قاصداً له بأن جرى خطأ على لسانه ، وسواء أكان جاداً في إصداره أم كان هازلاً ، وسواء أكان مختاراً أم كان مكرهاً لإكراها على التلفظ به ، وسواء أكان في حالة عادية أم كان قانداً لرشد ، بفعل الخرماء وإيحاء من المحرمات ، ومن هذا يظهر أن الإسلام يتلبيس أوهى الأسباب لتحرير العبد .

٢ - أن يجرى على لسان السيد في أية صورة لفظ يفيد ، التدبير ، أى يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده ، فبمجرد أن تصدر من السيد عبارة تفيد هذا المعنى تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده .

٣ - أن يأتي السيد من جاريته بولد ،

أن يعامل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المن والفداء ، قال تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقات حتى إذا اتختموهم فشهوا الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء » . ومسلك الرسول في جميع غزواته يدل كذلك على إيثاره دائماً المن والفداء . فالإسلام لم يجعل الرق نتيجة لازمة للأمر ، بل جملة مسلك من المسالك التي يصح أن يتخذها الإمام ، ولم يرغب فيه ، بل رغب في غيره وفضله عليه ، هذا إلى أنه لم يجز الالتجاء إليه إلا بشروط لا تكاد تتوافر إلا في الحروب بين أمه والأمم الأخرى فإنه يندر أن تتوافر هذه الشروط ، وذلك يعني أن الإسلام لم يبق على هذا الرافد إلا لأجل قصير . فسلوك حياله المسالك نفسه الذي سلكه حيال الرافد الأول : فقيد بقيود تكفل جفافه بعد أمد غير طويل .

(المصلك الثاني) توسيع منافذ العتق : كانت منافذ العتق قبل الإسلام ضيقة كل الضيق ، فلم تكن له إلا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى في تحرير عبده ، هذا إلى أن معظم الشرائع السابقة للإسلام كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده إلا في حالات خاصة وبشروط قاسية وبعد إجراءات قضائية ودينية معقدة كل التعقيد ، وبعض هذه الشرائع كان يفرض على السيد الذي يرغب في عتق عبده غرامة مالية كبيرة يدفعها

الجرائم والخطايا التي يسكثر حدوثها وجعل كفارتها تحرير الرق ، فبينما كانت الجرائم في الشرائع السابقة للإسلام تؤدي إلى استرقاق الأحرار إذا بها تصبح في شريعة الإسلام مؤدية إلى تحرير العبيد .

٧ - حبب الإسلام إلى الناس تحرير الرقيق في غير الحالات السابق ذكرها ، وجعل ذلك أكبر قربة يقرب بها المؤمن إلى الله تعالى ، كما يدل على ذلك آيات كثيرة من القرآن وآثار كثيرة من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام .

٨ - خصص الإسلام منها من مال الزكاة ، أي جزءاً من ميزانية الدولة الإنفاق على تحرير العبيد ومساعدة من يحتاج منهم إلى مساعدة في سبيل تحريره كالمكتاتين ومنهم إلهم ، قال تعالى : **لِنُعَاِ الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ، أَى فِي فِك الْقِيُودِ عَنِ رِقَابِ الْعَبِيد ، وَالْمَقْصُودُ بِالصَّدَقَاتِ فِي الْآيَةِ الْوَكَاةُ الَّتِي كَانَ يُتَأَلَّفُ مِنْهَا أَمُّ مَوْرِدٍ مِنْ مَوَارِدِ الدَّوْلَةِ ، فَبَيْنَمَا كَانَ بَعْضُ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ لِلْإِسْلَامِ يَفْرِضُ عَلَى مَنْ يُعْتَقُ عَبْدُهُ غَرَامَةً يُؤَدِّيهَا لِلدَّوْلَةِ وَتُضَافُ إِلَى مِيزَانِيقَتِهَا ، إِذَا بُشْرِيعَةُ الْإِسْلَامِ تُخْرِجُ جِزْءاً مِنْ مِيزَانِيقَةِ الدَّوْلَةِ وَتُخَصِّصُهُ لِعَتَقِ الْعَبِيد .**

ففي هذه الحالة يعتبر الولد حراً من يوم ولادته كما تقدم بيان ذلك ، وتصبح الأم نفسها مستحقة للحرية بعد وفاة سيدها .

٤ - أن يكتب السيد عبده ، أى يتفق معه على أن يعتقه إذا دفع له مبلغاً من المال ، وقد ذلل الإسلام لهذا النوع من العبيد جميع وسائل الحصول على المال في صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية ، فأباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، فيبيعوا ويشترى ويتاجروا ويعقدوا العقود ، حتى يستطيعوا أن يجمعوا المبالغ التي كوتبوا عليها فتحرر رقابهم ، وحث جميع المسلمين وحث الدولة نفسها على مساعدتهم والتصدق عليهم ، فقال تعالى : **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُومُ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ، وَأَتُومُ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ،**

٥ - وقد جعل بعض أئمة المسلمين من أسباب العتق أن يؤذى السيد عبده لإيذاء بليغاً ، فيصبح العبد في هذه الحالة حراً بدون حاجة إلى حكم حاكم ، بل لقد ذهب بعض أئمة المسلمين إلى أن مجرد لعلم السيد لعبده أو ضربه له يؤدي إلى عتقه عملاً بما رواه ابن عمر عن النبي عليه السلام أنه قال : **وَمَنْ لَعَلَّ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ هَتَقُهُ ،**

٦ - عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من

وحت الموالي على أن ييسروا للعبيد والإماء سبل الزواج كما ندل على ذلك نصوص القرآن نفسه ، وأباح للرقيق الزواج من أمة مثله ومن حرة وللأمة الزواج من رقيق مثلها ومن حر ، بنفس الأوضاع والشروط والعقود التي يتزوج بها الأحرار ، ومن ذلك أنه منح الرقيق الحق في أن يطلق زوجته ، والحق أن يخاصم سيده أمام القضاء ، وفي أن يجرى مع سيده أى تعاقد يؤدي إلى تحريره وإذا تم هذا التعاقد فإن الإسلام يمنح الرقيق الحق في جميع التصرفات المدنية حتى يستطيع أن يجمع المبلغ الذي كوتب عليه فتتحرر رقيقته ، ومن ذلك أنه منح الرقيق حق التعليم والثقافة ، وحث الموالي على تعليم عبيدهم وإمائهم ، وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام . « أيما رجل كانت عنده وليدة (أى جارية) فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » .

وينبئنا التاريخ الإسلامى أن فرص التعليم والثقافة كانت متاحة للعبيد والجواري في أوسع نطاق في مختلف العصور الإسلامية ، وأن هذه الفرص قد آتت ثمرتها الطيبة ، فأنشأت منهم آلافا من المبرزين والمبرزات في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب وشق أنواع المعارف والفنون ؟

دكتور على عبد الوارث

ومن هذا يظهر صدق ما قلناه من أن الإسلام لم يقر الرق إلا لضرورات اجتماعية واقتصادية قاهرة ، وقد أقره في صورة تؤدي هى نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج وذلك بأن حقيق روافده ، بل لم يسمح ببقائها إلا لأجل معلوم ، ووسع منافذ العتق إلى أبعد الحدود ، وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شئ بجدول كثرت مصباته وانقطع عنه منابعه التى يستمد منها الماء . وخلق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف .

وقد جف بالفعل هذا الجدول من وجهة النظر الإسلامية منذ أمد طويل ، وأما ما موجود في الوقت الحاضر في بعض البلاد الإسلامية وغيرها من رواسب الرق فهى اعتداءات صريحة على حقوق الإنسان . لا يجيزها الإسلام ، وتتنافر كل التنافر مع قواعده وأحكامه وروحه .

(والنقطة الثالثة) أن الإسلام لم يجرّد الرقيق من جميع الحقوق المدنية كما فعلت الشرائع السابقة له ، بل اعترف بإنسانيته ، واحتفظ له بكثير من الحقوق المدنية المقررة للأحرار ، فمن ذلك مثلا أنه أقر أن يكون للرقيق أسرة بالمعنى القانونى لهذه الكلمة ،

نِجَاحَاتُ الْقُرْآنِ

القرآن مَادِبَةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ

لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ اللطيفِ التَّبَكِّي

(أ) يَا أَيُّهَا النَّاسُ : قَدْ جَاءَ تَكْمِ مَوْعِظَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى ، وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .
(ب) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ، وَبِرَحْمَتِهِ ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ . ٥٧ - ٥٨ يُونُسَ

- ١ - في الآية الأولى : بيان كريم لبعض مناقب القرآن .
- قد تكرر في الكتاب العزيز سبع عشرة مرة منها تسع مرات في مكة . . وثمان مرات في المدينة .
- وفي الثانية : دعوة من الله لاغتنام هذه المناقب ، وانتهازها أكثر من سواها .
- واحد تعالى : يفتح باب عباده ، ويرجيه خطابهم جميعاً بقوله : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، وفي هذا النداء إعلام جهير ، يطرق الأسماع في كل زمن ، وفي كل بيئة ، ويرافق الدنيا على مداها الطويل ، إلى أن يبدل الله الأرض غير الأرض ، والسموات غير السموات ، ويبرز الناس من الأجداث لله الواحد القهار .
- وتوجيه الدعوة إلى الناس بهذا النداء العام
- و مرة تكون هذه الدعوة العامة إلى عبادة الله : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ، و مرة إلى تقواه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، و مرة ثالثة تكون إلى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من قرآن ، و ستة : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ، ، و هكذا من أهداف متنوعة ، وكلها متلاقية عند غاية واحدة : هي الإيمان وصالح الأعمال للدين ، والدنيا ، والنهي عن البغي ، والإفساد في الأرض الخ .

ونسياهه ، لثلاث تصدأ القلوب ، ويفشاها الضلال ، فتعرض عن ذكر الله .

وقد أفاد بعض الأئمة أن شفاء القرآن يكون للأجسام ، أيضاً من بعض الأضرار ، كما أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتحصن من السحر ، ومن الحسد بقراءة المعوذتين ، وكما كان النبي ينصح بالرقية لمن يشكو بعض مواجعه فيأمرهم بقراءة قل هو الله أحد ، والمعوذتين ، الخ ، ولا شك أن هذا ليس بكثير على كتاب الله ، وإنما يحتاج إلى صدق الإيمان ، وتمامه .

٥ - المقصد الثالث والرابع : الهدى ورحمة المؤمنين .

أما الهدى فهو البيان لما يحتاجه المرء من إرشاد ، أو هو نفس الاهتمام الحاصل به للعبد ، والاهتمام أثر القرآن ، وأطلق عليه كأنه هو نفس الاهتمام المسبب عنه ، وأى سبب يكون مجدياً في الهداية كالقرآن .

٦ - وأما الرحمة : فهي النفع بالخير المحبوب ، وهي الإحسان ، والتفضل من جانب الله بكل ما ينفع العبد : مادياً ، وأديباً وبجمل ذلك : أن السكتاب الكريم جامع لما سلف من المناقب ، فهو الموعظة ، والشفاء ، والهدى ، والرحمة ، وفي ذكر هذه المناقب توعية لنا ، وتوجيه إلى الأخذ به فيما ننشده من أسباب الهدى ، عاجلاً ، وآجلاً .

٢ - وأنت ترى في الآية التي معنا أربعة مناقب ، يؤكدتها الله - تعالى - بهذه النداء العام - بلفظ قد جاء تكم .

وتلك المناقب للقرآن هي المقاصد التي تتعلق بها دعوة الله للناس ليأخذوا بها .

٣ - المقصد الأول : موعظة من ربكم ، والموعظة : هي ذكر ما يلين به القلب من جوده ، ويمتد به خشية من الله : ورغبة فيما عنده من المثوبة .

وربما صفا القلب من كدرته ، وتسامى في طهره ، حتى يكون تعلقه بالله فوق الخوف منه ، والطمع فيما عنده ، بل يكون محبة محضة وتفويضاً لله فيما يريد له عبده من الجزاء عنده دون اعتداد بما قدمه العبد من طاعة ، وتلك هي تقوى الأبرار ، الذين أيقنوا بأن الطاعة حق عليهم ، ولم يفرضوا لأنفسهم حقاً على الله إلا أن يكون تفضلاً منه على عباده ، كما تفضل فوعدهم بذلك .

٤ - المقصد الثاني : وشفاء لما في الصدور .

والشفاء . هو البرء من السقم ، والمراد أن القرآن هو الدواء المعفوى ، الذي يشفي صدورنا من النفاق ، والاحقاد ، ويسكون النظر فيه ، وتفقه معانيه كتناول الدواء الحسى في علاج الأسقام الجسدية ، ولذلك أمرنا بتلاوته ، وترتيله ، ونهينا عن هجره ،

(ب)

٧ - ثم تجيء الآية الثانية مصرحة لنا بما تضمنته الأولى ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون .

قل يا محمد للناس : إن كانت الدنيا متاعا لكم ونعمها فرحة لأنفسكم ، فليكن فرحكم أجدر بما تفضل الله به من هداية ، ودهوة ، وهدى كريم ، فإن فرحة الدنيا تغريك باللهو ، وتغفلكم عن الباقيات الصالحات ، أما فرحتكم بالقرآن ، وما جاء به فإنها فرحة بالأمل الحق وبالمناجاة الخالدة ، ولا نسبة بين ما هو زائل مهما كثر ، وبين ما هو باق ، وإن لم يكن هو الكمال المطلوب منهم في الأخلاق ، والأعمال .

وهذه التوعية ليست تحريما للدنيا ولا صدا عنها ، بل هي تنبيه من الغفلة ، وتحذير من الخطأ .

ثم هل تنحصر مناقب القرآن فيما ذكرنا من الأربعة مقاصد ؟

والجواب : أن القرآن فسيح الجنبات ، ولكنه لا يستوعب مقاصده في كل مقام ، بل يكتفى بالاحتمال عن التفصيل حينما بعد حين ، وإجماله يشير دائما إلى تفصيله بمثل قوله : إن في ذلك لآيات ، ، وذلك هو منهج الإسلام في تربيته للناس .

٨ - ثم إذا كانت دهوة الله للناس عامة ، فلماذا اختتمت الآية الأولى بقوله تعالى : « ورحمة للؤمنين » ؟ فرجها أوهم ذلك : أن من لم يكن مؤمنا بالفعل لا يجدي القرآن شيئا ١٤ وهذا مناقض لما تقرر أن دعوة الله عامة .

والجواب : أن ذكر المؤمنين ليس حصرا للدهوة فيهم ، ولا صدا لغيرهم عن الإقبال عليها مثلهم ، بل القصد : تشريف المؤمنين بذكرهم ، والتفويه بحرصهم على الاستجابة لدعوتهم ، والقصد كذلك : استقراض غيهم إلى القدوة بهم ، والمسارعة إلى ربهم وحسن الاختيار منهم ، وفي هذا إشعار للناس أن دهوة الخير إنما تفيد في النفوس الخيرة ، وتنفذ من الاستماع الواهية إلى القلوب المتنبهة للإصلاح ، كالأرض الطيبة ، يخصبها الماء العذب ، وتنبث من كل زوج بيتج .

أما من هلبت عليهم شقوتهم ، وطغت عليهم أهوائهم ، وجمججوا عن نداء الله لهم ، فقد استحوذ الشيطان عليهم ، وتركهم الله لأنفسهم فلا أمل فيهم ، ولا أمل لهم ، والله تعالى يقول : « إنما يذكر أولو الأبواب » ، « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ، ونعوذ بالله من الغفلة ؟

عبر اللطيف البكي

عقريات العقاد الإسلامية

للدكتورة نعمات احمد فؤاد

- ٢ -

الدين كان قدرة بانية منشئة من لدن المقادير التي تسيطر على هذا الوجود : كان قدرة تلابس الضميف فيقوى ، وتلابس القوى فتغنى قوته وتجري به في وجهته ، وكان يدا خالقة حاذقة تأخذ الحجارة المبعثرة في التيه فإذا هي صرح له أساس وأركان ، وفيه مأوى للضائر والأذهان . (ص ٨٢)

وحسب المكتابة وكاتبها أن تصور حياة فرد فتورخ لدين بأسره من خلاله . . دين هو أحوج ما يكون إلى تصوير فذ يحض عنه النهم ويرحض عنه الأذى ويجلو عن مراميه الشكوك

ويقارن العقاد في كتابه ، عبقرية الصديق ، بين شخصيتي أبي بكر وعمر أو بين النموذجين الكبارين في التاريخ الإسلامي فيجمع الموقف كله في تقديم وصف على موصوف يكفي في الإبانة هما بين عمر والفاروق ، من فروق . فأبو بكر كما يقول العقاد كان يعجب به محمد النبي وعمر كان يعجب بالنبي محمد أي أن (حب أبي بكر لشخص محمد هو الذي هداه إلى الإيمان بنبوته وتصديق وحيه) .

وأن اقتناع عمر بنبوة محمد هو الذي

في عقريات العقاد الإسلامية إضافات كبيرة :

فعمر من عطاءات الإسلام بما طور من حياته وشكل سيرته .

(كان جاهليا فأسلم . . . فأصبح إسلامه طورا من أطوار التاريخ ، ولو لم يكن الإسلام قدرة بانية منشئة في التاريخ الإنساني لما كان إسلام رجل طورا من أطواره السكار .) (ص ٩٥ عبقرية عمر)

عمر إذن من عطاءات الإسلام كما أن مواضع البأس في الإسلام على عصره من معطيات عمر . يعزز هذا سؤال النبي ربه أن يعز الإسلام بعمر الذي وضع أنه أحب الرجلين إلى الله .

وأسلم عمر وحسن إسلامه فكان النبي (يدخر للإسلام سروره كما يدخر له تسليمه وطأته) (ص ١٤٦)

وأسلم عمر فكان إسلامه كما قال عبد الله ابن مسعود (فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وكانت إمارته رحمة .) (ص ١٦٩)

وكتاب عبقرية عمر كتاب (يقرأ . . فيه القارئ قبل كل شيء ماذا يصنع الإسلام بالنفوس ، ويعلم منها قبل كل علم أن هذا

فإذا لإسلامه الموقف الذي يتخذه كل إنسان في مثل مواضعه وظروفه التي خلت من الموانع حين حفلت بالموجبات وعلى رأسها انطباهه ، سليم الفطرة ، على الإعجاب بالبطولة .

(إن أبو بكر إذن بالإسلام سريعا إلى دعوته لتلك الأسباب التي تليق به وتليق بالدهوة المحمدية وليس تلقائية ساذجة فكان جديرا أن يكتب له من اللحظة الأولى أن يكون (ثاني اثنين حين يكون النبي هو أول الاثنين . فكان ثاني اثنين في الإسلام ، وثاني اثنين في غار الهجرة ، وثاني اثنين في الغزاة التي آوى إليها النبي يوم بدر الذي لا يوم مثله ، وثاني اثنين في كل وقعة من الوقعات بين المسلمين والمشركين وأقرب صاحب إلى النبي في شدة الإسلام ورعائه ، وفي سره وجهه ، وفي شئون نفسه وشئون المسلمين) ص ١١٣

هكذا العقاد لا يسرد ولا يقص ولا يتسلى ولكنه يقف وراء التجارب والأعمال والأقوال والظواهر والأحوال كعلامات طريق

ففي عبقرية الإمام صور عصر على لا بالإنشاء والتجوير واسكن بتصرفات أصحابه على مسرحه وأقوالهم وسلوكهم وما وراء هذا من دلالات وهجر .

كانت الخلافة منذ تولاهما عثمان مسرحية

هداه إلى حبه والولاء له والحرص على سنته ، وعلى رضاه .

ولهذا كان أبو بكر يطيع محمدا فيفهم القرآن ، وكان عمر يأخذ بالقرآن أو بما يفهم من مشيئة الله فيناقش محمدا حتى يشوب إلى الفهم الصحيح .

هما قريبان جد قريبين .

ولكنهما ليسا بشئ واحد على كل ما بينهما من اقتراب .) ص ٨٤ - ٨٥

ويعضى العقاد في المقابلة حتى ما يتعلق منها بتكوين البنية وتركيب المزاج فتكون في جماعها مقابلة بين القوة من نوع والقوة من نوع آخره وكلتاها فعالة ، وكلتاها ذات أثر في الإسلام ، وفي العالم جليل .

(وإن العقيدة التي تقسح لهُذين الرجلين ، ولهُذين الخلفين ولهُذين العقليين ، ثم يكون كلاهما إماما فيها عظيما في اتباعها ، لمى عقيدة تسمع الكثير) ص ١٢٨ عبقرية الصديق لكأن العقاد موكل بتعريبك السطح الراكد أو تحقيق المفاهيم الثابتة ونقض الالتفافية عنها

فإسلام أبي بكر مشلا لا يقف به العقاد عند دلالة الساحة والطيبة التي قد تفرى الغرض بتحميلها معنى الضعف أو الاستسلام ولكنه بتعمقه كالعادة مستبطننا الأسباب البعيدة والقريبة أنظر ص ٩٨ - ١٢٤ .

من العرض إلا وفي كل ناحية من نواحي النفوس الإنسانية ملتحق بسيرة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ... ملتحق بالعاطفة المشبوبة أو بإحساس الرحمة والإكبار ملتحق بالخيال حيث تخلق الفاعلية الإنسانية في أجواء الذين الحقوه بأبطال الأساطير ... أو ملتحق بالعقل يفصل بنفسه لنفسه بين اختلاف المختلفين وتضييع المتشيعين .

ملتحق للذوق الأدب حيث يقع من نواحي الكلام عند علي على مهوى للذوق الحسن الجميل من التعبير .

إن هذه السيرة تخاطب الإنسان حيثما اتجه إليه الخطاب البليغ من سير الأبطال والعظماء ، وتمس قلبه حين يجرى تاريخه وتاريخ أبنائه في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والمهزبة ويتراءون من بعيد واحد بعد واحد شيوعاً جللهم وقار الشيب ثم جللهم السيف الذي لا يرحم ، أو فتياناً هوجلوا وهم في نضرة العمر يحال بينهم أحياناً وبين الزاد والماء وهم على حياض المنيّة ججاج ظماء .

علي بن أبي طالب في كتاب العقاد ، الإمام العبقري ، والشهيد أبو الشهداء .

ومنهج العقاد مطرد في كل عبقرياته كأنه علامة مميزة . هذا المنهج تستطيع أن تطبقه في (عبقريّة خالد) فقد رسم خلفه مادية وإنسانية للبطال تفسر موقفه وتصرفاته وآراءه ومنازع السلوك عنده .

كبيرة شغلته أذهان النظارة والنقاد مما وبلغت (الدراما) ذروتها بمقتل عثمان .

واحتل على خشبة (المسرح الأصغر) وهو الذي استفاضت شهرته وأعماله على مسرح الحياة الكبير في حربها وسلمها ... في علمها وقضائها ... فخرته الحياة ولم تسكبه الخلافة .

لم يكن صاحب عصره . عاش في مرحلة تحويلية يسرع فيه الحكم الإسلامي إلى الملك في ستمه وأسلوبه وغاياته ووسائله وكلها تتعارض مع فروسية الشجاعة وزهد الروحانية وتقوى العالم بالدين ... تتعارض مع الإمام .

(فأى مصير لهذا الرجل غير الشهادة في زمن لم يعرف بطاريء من الطاريء كما عرف بالإقبال على الدنيا . ٩٠) عبقريّة الإمام ص ٢٠٤

ومرة أخرى يقول الأستاذ العقاد : (خرج على الدنيا والشهادة مكتوبة على جبينه ، وخرج منها والشهادة مكتوبة على ذلك الجبين بضربة حسام) .

ولكن موته لم تكن هلكاً ، وخلافته لم تكن مقطوعة ، فقد عاش على موته الملوك ، وقامت باسمه الدول . وهو الذي لم تقم له دولة في حياته .

وبين البداية والنهاية أو المقدمة والنتيجة عرض العقاد حياة الإمام بألوان عبقريتها في الشجاعة والرأى والعلم والروح فافرج

يقول العقاد : (كثير من رؤساء الأمم يعرفون موضع الإكليل من رؤوس القادة وهم منتصرون ظافرون ، ولكنهم موضع مخفي جدد الخفاء على أنظار هؤلاء السكتهرين إذا لم يدهم عليه ضياء النصر والظفر ويبقى للعين الملهمة وحدها أن تراه في ظلام المحنة والبلاء) ص ٨٤ عبقرية خالد .

ويعنى العقاد بهذا القول الملهم عين النبي الملهمة فقد سمي خالدًا سيف الله (قبل أن يهزم المرتدين وقبل أن يهزم الفرس والروم وقبل أن يصون الإسلام جزيرة العرب ويضم إليها العراق والشام ... وهي الأعمال الجسام التي من أجلها يدهى اليوم سيف الإسلام) ص ٨٤ عبقرية خالد .

ولا يتردد العقاد في تقرير الخطأ إذا قامت عليه الأحداث والروايات ووقائع الحال ما تقوم به الأدلة عليه . ومن هنا أثبت على خالد الخطأ في وقعة البطاح (لأنها لم تضاف إلى غزاه العسكري كثيرا ولا قليلا وأهدفته لمسلم أحمد ما يحمد منه أن له عذرا فيه ، يقبله أناس ولا يقبله آخرون) ص ٩٦ عبقرية خالد .

وقد أثبتته عليه عملا بمبدأ تقرير الخطأ كالتفويه بالاصواب (لأن الرجل الذي يخشى على قدره من تقرير أخطائه رجل لا يستحق أن يسكتب له تاريخ) ص ٩٦ .

وهذه الخلفية لا تستثنى خالصة من مشاعر أو ظاهرة من الظواهرات في بيئة البطل العامة أو الخاصة ولو كانت بعيدة في رأى العين أو النظرة الأولى عن الموضوع . فجمال الحزوميات يحسب في خلفية صورة القائد خالد بن الوليد (ففديما كانت الفروسية والفزل والمرأة بيئة واحدة تتعاون فيها البطولة والشاهرية والجمال .) ص ٢٧ عبقرية خالد .

يعالج العقاد اسلام خالد فلا يصترح إلا أن يسكون لإسلامه (تسليم القلب نفض منه السكفر ، وليس تسليم اليد رمت منها السلاح) ص ٤٢ .

ولا يهدأ العقاد عند الأقوال المقررة فيقيم عليها بناءه الأدبي أو التاريخي ولكنهم يعرفها على الدرس والتعميق فإذا هو يبدأ من حيث انتهت . والبدايات عند العقاد جذرية إلى أبعد امتدادات الجذور في تربة البطل أو منبته المادى والمعنوى على السواء . فالقول بأن خالدًا (سيف من سيوف الله) لا يتعلق به العقاد ليعنى نفسه من متناقضات السيرة فيتجاوز بالفارسي أو بالحقيقة العلمية (ميدان حنين) أو صنيع خالد في سرية بني جذيمة .

لا . بل لعل العقاد يرى في مثل هذه المراتل مجاله الذى يصل فيه بطاقة الجدل عنده وقدرة الإقناع فيه .

لا يستطيع إدراك فعل هذه الكلمة من العقاد إلا من يقرأ كتابه عقربية خالد الذي يقيد فيه العقاد أنفاس القارىء ليسمعه بمنطق ويجادل ويفلسف الأشياء الصغيرة حتى تندو لها قيمة ، ويصاوم الحجة بالحجة ويستقصى حتى يقفل الدائرة تماما حتى إذا لثت القارىء من التصعيد إليه وحسب أن مهمته صعبة مع الكتاب العالم الخلق المحقق ، وظن أنه بعيد بعيد إذا به يراه منه قريب قريب ... إنسان مثله يخنوع على ضعف الإنسان أمام القوة الكبيرة فيتوسل إليها بالتبرك . والتمان . ونافذة من صلاة .

إن عقربيات العقاد الإسلامية أجدى على الإسلام من حيث هو دين ونظام ، وعلى الأدب العربى من حيث هو تصوير وتعبير وعلى الأدب الإنسانى من ناحية إعلائها للشبائل الإنسانية من خير وحرية واستقلال رأى وشعور بالعبودية وإشعار للعدل . أجدى على الدين والدنيا فى إعلائها العقيدة واحترامها العقل الإنسانى من كتب كثيرة ليس فيها من الجهد والعلم والقيم - وإن أغنت فى ناحية أو أخرى - معطيات العقاد التى أصداها مخلصا له ، وللإنسان من إيمان .

ناقش العقاد عزل خاله (ص ١٤٥ - ١٥٣ عقربية خاله) فلم يقدم امتناع خالد عند ما أفاء إلى الهدوء بهذا العمل جنوحا إلى الأسهل بل أجمله إلى آخر المناقشة فانهى به حيث بدأت النفس القارئة فى الاقتناع . وهنا لم يترك لها فرصة أطول للتفكير أو الترجيع بل انتهى بها إلى قرار معروف إذ توفى خالد (وهو يحصل وصيته وتركته وإنفاذ عهده إلى عمر بن الخطاب) ص ١٥٤ .

العقاد نفسه إنسان رقيق الإحساس فى الكتابة عن العبارة والمظالم .

فخبرة خالد بن الوائيد أعنى موقعة (اليرموك) قصة نصره الحربى فى تاريخه كله لا تلهى العقاد الإنسان الرقيق من موضع الدلالة فى قصة قلنسوة خالد القائد الظافر ، الذى يصر على البحث عن القلنسوة فى موقف الهول وماهى بالنفاسة التى توجب الحرص عليها أو تؤلم هند افتقادها . ولكن إصرار خالد على العثور عليها إنما كان لتيمنه بها لما حلف من شعر ناصية الرسول .

ويؤمن العقاد أقرب ما يكون إلى القلب الإنسانى :

(ما فى ذلك من عجب فليس أحوج إلى صلته بعالم الغيب من رجل يلقي الموت صباح مساء) ص ١٦٢ .

نعمات أصغر فؤاد

هل أتمم الفخر الرازي كتابه في التفسير...؟

للأستاذ علي العمري

- ١ -

انتهيت إليه صحيحاً كل الصحة ، فإنني لأرجو أن يكون أقرب إلى الصواب .

* * *

فما كتب المتقدمون من العلماء ما يدل على أن الفخر الرازي لم يتم كتابه هذا ، وها هو ذا بعض ما وقفت عليه من ذلك

(١) لعل أول من أشار إلى ذلك هو (ابن أبي أصيبعة) المتوفى سنة ٥٦٨ هـ^(١) . فقد جاء في كتابه (هيون الأنباء في طبقات الأطباء) في ترجمة الإمام أحمد بن الحنبل الخوي هذه العبارة : (ولشمس الدين من الكتب تنمة تفسير القرآن لابن خطيب الرى)^(٢) .

(٢) قال ابن خلدون المتوفى سنة ٦٨١ هـ في كتابه : (وفيات الأعيان) في ترجمته لفخر الدين الرازي : (له التصانيف المفيدة في فنون عديدة . منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة ، وهو كبير جدا ولكنه لم يكمله) .

(١) توفى الفخر الرازي سنة ٦٠٦ هـ .

(٢) ج ٢ ص ١٧١ .

(٣) ج ٤ ص ٣٨١ .

بدالي أن أكتب ترجمة الإمام غفر الدين الرازي ، فلما وصلت إلى الحديث عن تفسيره الكبير المسمى : (مفاتيح الغيب) لجأني وأرى غريب جملي أعين النظر في كل ما كتب عن هذا التفسير .

ذلك أن نسبة هذا الكتاب للفخر الرازي بلغت حد النواتر ، ولكن طبعة أخيرة صدرت منه على نفقة صاحب المطبعة البهية المصرية ، وقد قام على تحقيق الكتاب ، والتعليق عليه جماعة من أفاضل العلماء - كما جاء على الصفحة الأولى منه .

وفي تفسير سورة (الواقعة) جاءت عبارة تفيد أن كاتبها ليس هو الفخر الرازي ، ولكن هذه الجماعة من (أفاضل العلماء) خلقت عليها بهذه الكلمة الغريبة : (هذه العبارة تشعر وتؤكد أن الكتاب لمؤلف آخر غير غفر الدين الرازي ، وإنما هو واحد تلامذته ، وربما كان من العلماء المتأخرين)^(١) .

وقد بذلت جهدي ما وسعت القدرة في تحقيق هذه القضية ، مالا يكن الرأي الذي

(١) ج ٢٩ ص ١٥٥ من الطبعة المذكورة .

ويتلخص من كل هذه الكلمات :
أولا : أن الفخر الرازي لم يتم كتابه
في التفسير .

ثانيا : أنه وصل فيه إلى سورة الأنبياء
ثالثا : أن عالما كتب تسكعة له كل واحد
على حدة ، أولهما شمس الدين الخوي المتوفى
سنة ٦٣٧ هـ . وثانيهما نجم الدين القمولى
المتوفى في سنة ٧٢٧ هـ .

وكان ينبغي أن تكون عبارة كشف
الظنون التي نقلتها آنفا تحت رقم (٦) على
هذا الوضع لأهل الوضع الذي جاءت عليه .
رابعا : وهو رأى الغريب الذى كتبه
المعلقون على الطبعة الحديثة أن الكتاب كله
ليس للفخر الرازي ، وإنما هو لعالم آخر
قد يكون من العلماء المتأخرين .

* * *

أما العبارات التي جاءت في تفسير سورة
الواقعة ، والتي علق عليها العلماء الأفاضل ،
فهي ما جاء عند تفسير قوله تعالى : (كما مثال
اللؤلؤ المسكون) فقد عرض المفسر لقوله
تعالى : (ليس كمثله شيء) ثم قال : (وشيء
من هذا رأيت في كلام الإمام غفر الدين
الرازي - رحمه الله - بعد ما فرغت من كتابة
هذا بما وافق خاطري خاطره ، هل أنى
معترف بأنى أصبت منه فوائد لا أحصيها)

وعبارة أخرى قريبة من هذه جاءت في
تفسير قوله تعالى : (جزاء بما كانوا يعملون)

(٣) وفي شذرات الذهب نقلا عن
ابن قاضي شعبة أن الفخر الرازي (لم يتم)
تفسيره (١) .

(٤) وقال تاج الدين السبكي في كتابه
(طبقات الشافعية) في ترجمة (نجم الدين القمولى)
(وله تسكعة في تفسير الإمام غفر الدين) (٢) .
توفى ابن السبكي في سنة ٧٧١ هـ .

(٥) وذكر ابن حجر المصقلاني المتوفى
سنة ٨٥٢ هـ في (الدرر السكينة) في أعيان
المائة الثامنة (أن الذى اكمل تفسير غفر الدين
الرازي هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم نجم الدين
الخزوى القمولى المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، وهو
مصرى (٣) .

(٦) وقد ردد ذلك صاحب كشف
الظنون ، فقال : (وصنف الشيخ نجم الدين
أحمد بن محمد القمولى تسكعة له ، وتوفى سنة
٧٢٧ هـ . وقاضى القضاء شهاب الدين بن
خليل الخوي الدمشقي كل ما نقص منه أيضا
وتوفى سنة ٦٣٩ هـ تسع وثلاثين وستائة (٤))
(٧) وقد جاء في هامش كشف الظنون
هذه العبارة : (الذى رأيت بخط السيد
مرتضى نقلا عن شرح الشفاء للشهاب أنه
وصل فيه إلى سورة الأنبياء) .

(١) - ٥ ص ٢ .

(٢) - ٥ ص ١٢٩ .

(٣) - ١ ص ٣٤ .

(٤) - ٢ ص ٢٩٩ .

من نفس السورة . قال المفسر : المسألة الأولى أصولية ذكرها الإمام غفر الدين - رحمه الله - في مواضع كثيرة ، ونحن نذكر بعضها ، فالأولى : قالت المعتزلة : هذا يدل على أنه يقال : الثواب على الله واجب ، لأن الجزاء لا يجوز المطالبة به ، وقد أجاب عنه الإمام غفر الدين - رحمه الله - بأجوبة كثيرة ، وأظن أنه لم يذكر ما أقول فيه ، وهو ما ذكره ... الخ) .

ثم نأخذ في مناقشة ما درناه من آراء . وأول ذلك أني عجبت أشد العجب لهؤلاء الفضلاء الذين علقوا على الطبقة الأخيرة كيف ذهب عنهم أن ينظروا - قبل أن يصدروا حكمهم القاسي الغريب - في هذا التفسير نظرة إيمان وتأمل ، ولو فعلوا لتوقفوا طويلاً قبل أن يكتبوا ما كتبوه . فكل المكتوب التي ترجعت للفخر الرازي ذكرت في ثبوت كتبه هذا التفسير ، والفخر نفسه قد سجل في أواخر كثير من السور التي فسرهما - وقد مروا بهذا طبعاً - تاريخ فراغه من تفسيرها ، وهذه هي التواريخ كما جاءت في تفسيره :

- ١ - سورة آل عمران : في يوم الخميس أول ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وخمسة من الهجرة .
- ٢ - سورة الفساء : في يوم الثلاثاء
- ٣ - سورة الأنفال : في يوم الأحد .
- ٤ - سورة التوبة : في يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان سنة إحدى وستة .
- ٥ - سورة يونس : في يوم السبت من رجب سنة إحدى وستة .
- ٦ - سورة هود : قبل طلوع الصبح ليلة الاثنين من شهر رجب سنة إحدى وستة .
- ٧ - سورة يوسف : في يوم الأربعاء السابع من شعبان سنة إحدى وستة .
- ٨ - سورة الرعد : في يوم الأحد الثامن عشر من شعبان سنة إحدى وستة .
- ٩ - سورة إبراهيم : في يوم الجمعة أواخر شعبان سنة إحدى وستة في صحراء (بغداد) .
- هكذا وردت في النسخة التي نقلت عنها ، وأظنها (بغداد) المتقدمة فإن العلماء لم يذكروا في تاريخ الفخر أنه رحل إلى بغداد اللهم إلا إذا كان مرادها في طريقه إلى الحج ، ويوم الجمعة المذكور يوافق آخر شعبان على ما أرجح .
- ١٠ - سورة الإسراء : الثلاثاء بين الظهر والعصر في العشرين من المحرم سنة إحدى وستة في بلدة (غزني) .

ونلاحظ أنه فسر سورة الإسراء قبل

تفسيره لسلك هذه السور التي فسرهما في سنة إحدى وستمائة .

١٩ - الدخان : في ليلة الثلاثاء نصف الليل الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة .

١١ - سورة الكهف : في يوم الثلاثاء العاشر من صفر سنة اثنتين وستمائة في بلدة (غزنين) .

٢٠ - سورة الجاثية : يوم الجمعة ، بعد الصلاة ، الخامس عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة .

١٢ - سورة الصافات : في يوم الجمعة السابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة .

٢١ - سورة الأحقاف : يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة .

١٣ - سورة ص : في آخر الثلاثاء الثاني من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة .

٢٢ - سورة الفتح : يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة .

١٤ - سورة الزمر : في ليلة الثلاثاء آخر ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة .

ونلاحظ أن أول ذي الحجة في سنة ثلاث وستمائة يوافق يوم (جمعة) إذ كان الثامن

ونلاحظ أن أول ذي القعدة في تلك السنة كان يوم (الأربعاء) .

الذي فسر فيه سورة (الشورى) والخامس عشر الذي فسر فيه سورة (الجاثية) . كما أن

وعلى ذلك فالثلثاء الثاني يوم الرابع عشر منه ، فيكون الإمام الفخر - على هذا - قد

(السبت) الذي فسر فيه سورة (المؤمن) كان (الثاني) من الشهر ، وكان (الثلاثاء)

فسر سورة (ص) قبل سورة (الصافات) كما يكون قد فسر (الصافات) في ثلاثة أيام .

من هذا الشهر يوافق (الثاني عشر) الذي فسر فيه سورة (الدخان) ، وكان (الأربعاء)

١٥ - سورة المؤمنین : في يوم السبت الثاني من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة من

يوافق (العشرين) الذي فسر فيه سورة (الأحقاف) .

الهجرة في بلدة (هراة) .

وعلى ذلك فلعله من خطأ النسخ جعل (الأحد) الذي فسر فيه سورة (الزخرف)

١٦ - سورة السجدة : وقت الظهر الرابع من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة من الهجرة .

يوافق (الحادي عشر) فهو إنما يوافق (العاشر) ، وكذلك من الخطأ جعل (الخميس)

١٧ - سورة القدر : آخر يوم الجمعة الثامن من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة .

الذي فسر فيه سورة (الفتح) يوافق (السابع عشر) فهو إنما يوافق (الرابع عشر) .

١٨ - الزخرف : في يوم الأحد الحادي عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة .

والتصحيح في الموضعين قريب .

تصنيف واحد من العالمين الذين ذكر أصحاب التراجم أنهما أتما تفسير الفخر .

أما القمولى فأمره واضح إذ توفي عام ٧٢٧ هـ ، وأما شمس الدين الحنوي فقد كان في ذلك التاريخ في سن أقل من العشر ، فيلاده - على ما ذكروا - كان في سنة ٥٨٣ هـ .

كما أنه كان في سنة ٥٩٥ هـ ، وهي السنة التي فسر فيها الفخر (آل عمران والنساء) وكان قبل ذلك قد فسر سورة (البقرة) كما يفهم من إحاطته في تفسير سورة (آل عمران) على تفسير سورة (البقرة) ، أقول كان الحنوي في ذلك التاريخ في سن لا تسمح له بأن يفسر القرآن ، ولا سيما في هذا النحو من العمق والاتصاع .

وأيضاً . ليس من الطبيعي أن يفسر تلميذ القرآن ، ثم ينسبه الأستاذ إلى نفسه ، ويكتبه بخطه .

ويرفع كل وهم بتطرق إلى هذه الأدلة ما جاء في تفسير سورة (يوسف) : (قال مصنفه نخر الدين الرازي) عند تفسير قوله تعالى : « وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك » ، وما جاء في آخر تفسير هذه السورة عند قوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك » ، فقد جاءت هذه العبارة : (قال الإمام نخر الدين الرازي - رحمه الله عليه - وهو مصنف هذا الكتاب ، أنار الله برهانه) .

(للحديث بقايا) على العماد

كما نلاحظ أن المؤلف فسر في شهر (واحد) ثماني سور ، بل كان يفسر السورة الواحدة في (يومين) كما هو الشأن في سورة (المدخان) فقد انتهى من تفسير سورة (الزخرف) في العاشر ، وانتهى من تفسير سورة (المدخان) في اليوم (الثاني عشر) بل ربما فسر السورة في يوم واحد ، وذلك إذا كان (السابع عشر) الذي فسر فيه سورة (الفتح) محرفاً عن (الواحد والعشرين) كما هو مساق التاريخ ، فيكون - حينئذ - قد فسر سورة (الأحقاف) في اليوم (العشرين) وهو يوم (الأربعاء) .

كما نلاحظ - أيضاً - أن تفسير هذه السور من أول سورة (الصافات) جاء متتابعاً .

هذه هي القوادح التي جاءت في تفسيره ، وقد كانت تسبق عادة بعبارة (قال المصنف) أو (فرغ المصنف رحمه الله) أو (قال مولانا المؤلف عليه سحاب الرحمة والرضوان) أو (قال مولانا رضى الله عنه) .

ومن الواضح أن أكثر هذه العبارات من (الناسخ) وبما يدل على ذلك قوله في آخر تفسير سورة (هود) : (وقد وجد بخط المصنف - رضى الله عنه - في النسخة المنقولة منها : ثم تفسير ... الخ) .

وطبعي أن تفسير هذه السور ليس من

الجمال في القرآن الكريم

د. أسناز الدكتور محمد أحمد النمراري

- ٤ -

٥. والجمال أوتادا :

علماء البيان من أجل ذلك بالتشبيه البليغ لأنه يجعل المشبه عين المشبه به تأكيداً للشبه الشديد بينهما - ينبغي أن يكون في ذلك هادياً إلى أطراف المعنى من ناحيته : ناحية الدلالة على القدرة وجلالها ، وناحية الهداية إلى الحكمة وجلالها ، وأطراف المعنى إنما تتبين من تعدد أوجه الشبه بين الجبال والأوتاد تبدأ على مجاوزته المألوف في كلام الناس إذا بالغوا في التشبيه . إن التشبيه البليغ هنا هو من قبل الحق سبحانه ، ثم هو تشبيه للأعلى بالأدنى ، وللأفخم الرائع بالضعيف الممتن عند الناس ، فليس هو في شيء من تهويل الناس ومبالغاتهم في تشبيهاتهم البليغة ، ولكنه دليل إلى أمور في الجبال هي من آيات الله في الخلق تباينها أمور يعرفها الناس في الأوتاد ، على عظم الفرق بين الجانبين في النسبة والمقدار فكأن ذلك التشبيه العجيب : مفتاح أو مصباح يستكشف به المجهول من أمر الجبال عن طريق المعروف من نظائرها في الأوتاد .

نبدأ بهذه الآية الكريمة مستمعين بالله في محاولة للناس حكمته سبحانه في أن ذكر الجبال مع السموات والأرض على سواء في مواطن عدة من القرآن الكريم ، أحدها في سورة النبأ في آيات هذه أحدها .

والجبال في هذه الآية الكريمة منصوبة بالفعل (نحمل) في الآية التي قبلها : دألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ، وهي واردة في معرض من الله على عباده بآيات له في الخلق هي من مظاهر قدرته وبحال حكمته ، ففي منافعها للناس بعض تجليات حكمته ، وفي أسرار خلقها وتصويرها إلى صورتها التي يشهدها الناس بعض دلائل قدرته التي ليس يعجزها شيء .

وينبغي أن يتحقق الأمران جميعاً في معنى الكلمتين الكريمتين ٥. والجبال أوتاداً . . . ينبغي أن يكون في تشبيه الجبال بالأوتاد هذا التشبيه المحذوف منه أداة التشبيه والذي يسميه

إن أهم أنواع الجبال وأعظمها من غهرشك سلاسلها ، وسلاسل الجبال عند علماء طبقات الأرض قد نشأت نتيجة لقوى عظيمة عملت جانبيا في القشرة الأرضية لما هبطت بشقلها حين خلاما تحتها بانقباض باطن الأرض وانكماشه لما برد بالتسريع في الاحقاب الطويلة ، وشبهوا ذلك بتفرض جلد التفاح لما ينقبض وينكش باطنها تدريجيا بالجفاف البطيء ، تلك القوى الهائلة لما نفاثر ، على قدر ، عند دق الاوتاد ، فالهق من أعلى لأسفل ينظر فعل التناقل عند هبوط قشرة الأرض والصفوط الجانبية على التربة من حوالى الودند عند دقه تناظر تلك القوى الجانبية العاملة في القشرة الأرضية على خطوط الضعف فيها حتى تتموج إلى نجاد هي الجبال والمضاب ورهاد منها الوديان ، أليس هذا القشابة والتناظر بين القوى بعجيب ؟

وفي علم طبقات الأرض أن ما يسمى بعوامل التمرية - من نحو الرياح والأمطار ، والتدد بحرارة الشمس والتقبض بالبرودات المختلفة حتى تنفتحت بتعاقبها المستمر طبقات الصخر طبقة بعد طبقة وتأتى الرياح السافية والأمطار الجارفة فزبل ما فتفت ، ويتجدد ذلك هكذا دواليك حتى قد يتضائل به نسبيا في النهاية الجبل الأشم ، فيدل تضائله على أنه في العمر أسن وأقدم من مثله المحتفظ بشموخه - هذه

والجبال فيما يتبادر إلى الذهن تشبه الاوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض ، وناحية الرسخ فيها ، لكن التشابه والتناظر بينهما أشمل وأدق من هذا ، فالأوتاد تختلف من ناحية البروز في مداه وفي درجات الميل ، والجبال تختلف في الارتفاعات وفي درجات الميل كذلك . والأوتاد يختلف رسوخها باختلاف صلابتها وشكلها ومدى ذهابها في الأرض وطبيعة تلك الأرض ، وكذلك تختلف الجبال من ناحية الرسخ في ذلك كله وإذا كان تفسير هذا في الأوتاد هينا فتفسره في الجبال يحتاج إلى علم واختصاص ، فالأوتاد إلى هنا لم تزد على أن تشير إلى نواح ينبغي أن يتجه إليها الباحث ليقف على مظاهر من آيات الله في الجبال .

لكن هناك عوامل في اتخاذ الأوتاد تدل بذلك التشبيه البليغ على نظائر لها في نشأة الجبال لم تكن تخاطر ببال إنسان عند نزول القرآن ، فالأوتاد لا بد في إنشائها من تشكيلها ثم من تثبيتها في الأرض بقوة ما . وإذن فجعل الجبال أوتادا فيما أنبأنا الله في كتابه ، من شأنه أن يقتضى أن تكون الجبال قد أنشئت بفعل قوة أو قوى ، وهذا وحده حقيقة علمية حديثة دل عليها القرآن عن طريق ذلك التشبيه البليغ ، فبالك إذا كان بين القوى في الحالتين تناظر ونهايه من أكثر من وجه ؟

أن الله سبحانه ثبت الأرض بالجبال كي لا تميد كما تثبت بيوت الأهراب والخيام بالآوتاد ، ولكنهم في قياسهم هذا لم يكونوا منطقيين دقيقين ، لأن الآوتاد حين تدق في الأرض لا يقصد بها تثبيت الأرض ولكن تثبيت شيء فوق الأرض هو الخيمة أو بيت الجلد الذي من الله علينا به سبحانه إذ يقول في الآية (٨٠) من سورة النحل : والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، فالهبة في قياس الجبال على الآوتاد في المنفعة والوظيفة تقتضي شيئاً فوق الأرض يعلو سطحها في جملتها ، ويمس في أطرافه كما تفعل الخيمة ، وتكون الجبال معينة على الاحتفاظ به على الأرض ، لأن الآوتاد وحدها لا تكفي للاحتفاظ بالخيام ، إذ لابد لكل خيمة مع الآوتاد من حماد ، فها هو الشيء الذي فوق سطح الأرض يصلوها بالخيمة ، وتساعد الجبال على حفظه على الأرض ؟ ثم ما هو العامل الآخر الذي يتم عمل الجبال في الاحتفاظ بذلك الشيء كما يتم العماد عمل الآوتاد ؟

أظن الجواب صار قريباً أو ينبغي أن يكون فالشيء الذي فوق الأرض يعلو الناس ويعمل عمله في وقايتهم ، كما تعلو الخيمة أهلها وتقيهم أشعة الشمس ، هو الغلاف الهوائي

العوامل تعمل في انتقاص الجبال في الوقت الذي تنشأ فيه بفعل تلك القوى ، وما نراه اليوم من الجبال هو حاصل تنافس قوى هذين النوعين ، حتى تنافس الجبال بفعل قوى التآكل هذه له نظير في تآكل الآوتاد بنفس العوامل وغيرها في الزمن المتطاوّل ، إذ المقارنة والمشاكلة ينبغي أن تكون بين الجبال وبين ما يترك من الآوتاد قائماً غير مزروع .

فالتماثل والتشابه ، كما ترى ، تام أو يكاد يكون تاماً بين الجبال والآوتاد في النشأة وفي طواري الحدثنان عليها ، حتى ليكاد تاريخ حياة الثابت من الآوتاد يدل بذلك التشبيه البليغ القرآني على تاريخ حياة الجبال ، ولا يزال في أوجه الشبه بقية ، فسبحان الذي جمع لعباده كل هذا في كلمتين اثنتين من كتابه العزيز هما الآية السابعة من سورة النبأ : والجبال أوتادا .

هل أننا لم نقناول من الآية الكريمة إلا ناحية ما أودع الله فيها من دلالة على قدرته ، وبقيت الناحية الأخرى ناحية الدلالة على حكمته سبحانه ممثلة في وظيفة الجبال المناظرة لوظيفة الآوتاد عند الناس .

والمفسرون جميعاً قالوا في تفسير آية النبأ

التي يعرفونها ، وهذا معناه أو هذا مقتضاه حقيقة أخرى غير معروفة : أن جاذبية الأرض وحدها غير كافية لاحتفاظ الأرض بهوائها ، فهاتان حقيقتان قرأ نيتان لم يكشفهما علماء الفلك والطبيعة إلى اليوم ، وعلى مسلميهم المؤمنين بالقرآن البحث عنهما عليا حتى ينكشفوا ويثبتا ، فينكشف بهما ويثبت للعالم الإسلامي وغير الإسلامي معجزتان كونييتان جديدتان للقرآن .

وسيكون البحث عنهما صعبا وربما كان عويصا ، وسيحتاج فيه إلى الرياضة العالية وربما إلى إجراء تجارب لتقدير كتل الجبال كتلك التجربة البندولية التي أجراها (مسكلين) على جبل (شيها لين) لتقدير كتلته ليتوصل بها إلى تقدير كتلة الأرض عن طريق قانون الجاذبية العام لنيوتن ، وأهل هذا البحث أخبر بما يلزم له وبالمسلك الذي يسلك فيه لكنني أرجو ألا يصددهم عنه ما يتوقعونه من صعاب فيه ، لأن الحق سبحانه لا يثير في كتابه إلى آية من آياته في الخلق إلا وييسر فقها لمن يصدقه الجهاد في سبيل كشفها .

والبحث في هذا الأمر الخطير - إذا كان لمثل أن يشير فيه برأي - يمكن أن يؤخذ على خطوات أو يتخذ عدة اتجاهات :

فن الممكن مثلا التساؤل عن جاذبية الأرض أكانت تكون كافية لاحتفاظ بالطبقة

التي يحيط بالأرض من جميع الجهات ويرتفع فوق سطح الأرض مئات الكيلومترات ويكفي الناس على الأقل شمس الشهب وشمس القدر المؤذى من أشعة الشمس البنفسجية وفوق البنفسجية . وهذا كاف في تحقيق الشبه الكبير في الوضع والمنفعة بينه وبين خيام لا أعداد لها تغطي وجه الأرض . فانه سبحانه يلفتنا بآية النبأ إلى أن الجبال تعمل في الاحتفاظ بتلك الحزمة الجبرية الهائلة عمل الأوتاد ، أما الذي يعمل عمل العماد متعا عمل الجبال ، أو الجبال متممة عمله ، فهو قوة الجاذبية بين الأرض ومجمل الهواء .

والعماد لم يرد لها ذكر في الآية ولكن الآية تفيدها عن طريق اللزوم ، إذ لا تقوم الخيام بالأوتاد إلا مع العماد ، وهذا مثل عجيب للاكتفاء البلاغي في القرآن ، ثم هو مثل أعجب للإشارة إلى حقيقة كونية كبرى حقيقة التجاذب بين الأرض والقبة الهوائية ذات الكتلة الهائلة ، ذلك التجاذب العمودي الاتجاه على سطح الأرض بالضبط كأنحاء العماد .

وقوة الجاذبية الأرضية هذه ينسب العلماء لها سر احتفاظ الأرض بهوائها الجوي ولا يزيدون ، لكن خالق الأرض والهواء يعير إلى القوة التي عرفها العلماء تلك الإشارة الرومية العجيبة في آية النبأ ، ويزيد عباده علما بعامل ثان مجهول يتم عمل الجاذبية

الموائية لو أن كتلتها نقصت بقدر كتلة جبالها؟ وهذا طبعاً يحتاج إلى تقدير كتلة مجموعة الجبال ولو بالتقريب ، فإذا ظهر أن الجبال هي من الكبر بحيث لو نقصت عن كتلة الأرض لعجزت الأرض عن الاحتفاظ بجوها ، كان هذا حقيقة جديدة أدت الآية الكريمة إلى كشفها .

لكن الجبال كما اختصت بثقلها اختصت أيضاً بارتفاعها ، فهل لارتفاعات الجبال دخل في احتفاظ الأرض بجوها واستمرار الحياة فيها بالتبع ؟ أى لو أن الجبال اندكت في الأرض فلم تبرد ، وكان سطح الأرض لا تتواء فيه مع احتفاظ الأرض بكتلتها غير منقوصة أكانت جاذبيتها عندئذ تكفي للاحتفاظ بهوائها ؟ أم كان يتسرب منها إلى الفضاء الكوني بالتدريج حتى إذا مضت حقبة كافية فقدت الأرض جوها كما فقد القمر جوه ؟ هذا سؤال يبدو أصعب حلاً ، ولكنه أيسر بجوهر معنى الآية الكريمة لأنه يتعلق بالجبلية نفسها متصلة في ارتفاعات الجبال .

إن وتدية الجبال - التي من لله بها على عباده وافتهم بآية النبأ إلى سر جديدها من أسرار خلقه هو الذي هرضه هذا المقال - جدرة بتضافر الجامعات الإسلامية على بحثها مع الثقة مقدما بالنتيجة ، فقد أنبا الله بها عن طريق تلك المشابهة العجيبة بين الجبال والأوتاد وهذا ينبغي أن يثبت أهل هذا البحث من المؤمنين بالقرآن ويعينهم على تذليل صعوباته حتى يفوزوا بالإثبات العلمي لتلك الحقيقة الكبرى المنطوية في تلك الآية الكريمة من كتاب الله العزيز .

ثم يبقى بحث أثر الجبال من حيث توزيعها على سطح الأرض ، فهي فيما يبدو تكون سوراً هائلاً فيه ثغراته ، لكنه على العموم يكون في كل من جانبيه شبه حوض قاعو

إن الرجاء كبير في أن تكون جامعة الأزهر هي البادئة بالنظر في أمر هذا البحث الخطير وسواء أطل أم مد هذا الأمر أم قصر فإننا نرجو أن يكون قد تبين للآية الكريمة بعض مظاهر أخرى لإعجازها العلمي عن طريق الفحوى وبالزوم والقياس التثليلي الدقيق ؟

محمد أحمد القمراوي

أين المبشرون بالإسلام؟

للاستاذ محمد رجب البيومي

أن نبث الدعوة الإسلامية حسبما تملك من إمكانيات ومن جهد ووقت ومال واقتنعنا بأن العمل في هذا الميدان سهل ويسور، وأن ما يبذله المبشرون المسيحيون من مجهود لوبذل المسلمون عشر معشاره لا ثمرت جهودهم أضعاف ما تثمره جهود المبشرين، ثم أسهب الداعية الكبير فيما يعرض من وجهة نظره، فكان لحدیته المقام الأول بين أحاديث أعضاء المؤتمر، وحسبه أن أيقظ لنا نحن.

ومع أهمية ما ذكره الأستاذ الداعية فإننا في مدى ما يقرب من عام كامل لم نر من الكتاب من تناولوا قضية التبشير الإسلامي بالتحليل والدراسة، وهي القضية الأولى للمسلمين إذا آمنوا هن يقين أن الإسلام دين البشرية بعامة وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى الناس كافة! هل حين نرى كتب التبشير المسيحي تنثال من يمين وشمال، لا يقتصر تأليفها على رجال الدين وحدهم بل على رجال السياسة والأدب والاجتماع والتاريخ ومن أطراف ما قرأت في هذا المجال كتاب الديانات في إفريقيا السوداء، للكتاب الفرنسي الأستاذ هوبر ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية وأستاذ الدراسات السياسية بجامعة باريس وقد نقل

هذا موضوع يجب أن نكثر الحديث عنه وألا نمل الكلام فيه، فلما بمسلمين حقا إذا لم نفكر في هداية الشعوب الوثنية وتوجيهها من الظلمات إلى النور وسأقول هنا ما أعتقد أنه سيفيد.

حين انفق المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية كان من أبرز مبادئه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ علي عبد الرحمن الوزير السوداني السابق والداعية الإسلامي الموفق، فأفاض في ضرورة نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين من سكان إفريقيا وآسيا وأستراليا وتحدث عن تجربة شخصية قام بها في هذا المضمار حيث قال: وقد قضيت نحوا من ست سنوات وأنا أقفل في أرجاء المديريات الجغرافية الثلاث (أعلى النيل والاستوائية وبحر الغزال) وأتصل بالمواطنين البدائيين الضاربين بين منابت الأعراس والغابات، ومواطن الحشائش والمستنقعات وزوت مراكز المبشرين من كاثوليك وبروتستانت محاولا في أوقات فراغي أن أعمل على نشر العقيدة الإسلامية بين أولئك متعاوننا مع بعض النيويرين من التجار والموظفين، مع دراسة لأحوال المبشرين المسيحيين وتبعية لأساليبهم وأنشأنا جمعية (المؤلفة قلوبهم) فاستطعنا

بعثة في السودان وبلاد السنغال وغينيا وساحل العاج وتوجو ونيجيريا وساحل الذهب ومدغشقر وزنجبار وأثيوبيا ١١ دعاة عزل فهموا بساطة الإسلام ومهولته واعتقدوا صلاحيته وهدايته ، فبسطوه كما فهموه فلم يحتاج إلى جيوش استعمارية تتقدم الأوربيين بالحديد والمار لتأخذ الوثنيين إلى المسيحية عن يد وهم صاغرون ! بل إن التتار والمغول وكانوا في مبدأ جبروتهم كارثة الإسلام ومحنته لم يلبثوا وهم الغالبون أن اعتنقوا دين المغلوبين ! وتلك عجيبة لا نرى لها نظيراً في التاريخ البشري كافة حتى قال السهرتوماس أرنولد ما ترجمته : لا يعرف الإسلام بين ما نزل به من المخطوب والويلات خطباً أشد هولا من غزوات المغول فقد انسابت جيوش جنكيزخان انسياب الثلوج من قنن الجبال واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية وأنت على ما كان لها من مدنية وثقافة على أن الإسلام لم يلبث أن نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطال مجده الثالث ، واستطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ، ويحملهم على اعتناقه ، ويرجع الفضل في ذلك إلى حماسة الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلافون من الصعوبات أشدها لمناهضة منافسين هائمين هما المسيحية والبوذية ، اهـ .
نقلنا عن تاريخ الإسلام السيامي .
وسنقوم هنا بدراسة مقارنة لاساليب

الكتاب إلى العربية في سلسلة الألف كتاب نقلاً دقيقاً قام به الأستاذ أحمد صادق حمدي !
ودراسة هذا الكتاب الموجز تفتح مغاليق كثيرة أمام الفاحص البصير ، لقد اعترف الأستاذ هو بر ديشان - وهو داعية مسيحي متحمس - أن انتشار الدعوة الإسلامية في غالب الظروف لم يقم على القهر والفساط بل قام على الإقناع لأن الذين قاموا به كانوا مشايخ متفرقين لا تحوطهم قوة أو تهميم دولة ، وإنما كان الإخلاص دافعهم إلى إظهار عاصم الإسلام وسماحته وقد يسر انتشار الإسلام في رأي المؤلف أنه دين فطرة سهل التناول خال من التعقيد وأنه لا يفرض على المسلم طقوساً مهمة بل لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين لذلك كان التجار المسلمون من (الديولا) أو (الهوزا) يحملون بذور الدعوة الإسلامية في عدوه ويمسرون .
وما قاله الأستاذ هو بر عن الدعاة من التجار في إفريقيا هو عين ما يقوله كتاب التاريخ عن انتشار الإسلام في أكثر بقاع العالم بعد انحسار موجة الفتح الإسلامي ، فقد وصل الإسلام إلى الصين بجهود التجار الرحل الذين يجوبون البلاد بجرأ عن طريق الهند وبراً عن طريق ما وراء النهر ، وإذا قرأت تاريخ انتشار الإسلام في جزائر سومطرة وجاوة وسريديب والفلبين وسيام وأستراليا والبرازيل تجد من قاموا بانتشاره هم زملاء الذين قاموا من التجار والرحل

قد خففت بعض فتاويه وحين صدر تحرير بيع الرقيق واختطافه كانت عصابات الاستعمار الأوربي هي التي تراول هذه التجارة الفاسقة ، وقد تركت أسوأ الأثر في نفوس الإفريقيين الذين واعدتهم أن تكون قبائلهم نهياً ضائعاً يتخطفه أعداء الإنسانية في شراهة تلحق العار بكل متحضر ، وبدلاً من أن يسدل مبشرو المسيحية الستار على أحداث هذه الفجائع المروعة ، فقد جعلوا منها سلاحاً يحاربون به الإسلام فأذاعوا أن تجار الرقيق من مسلمي العرب لأن دينهم الإسلام يبيح الرق ويدهو إليه ، فكانت هذه الدعاية المسمومة ، يتجه بها قس يظهرون الرحمة ، ويبالغون في التودد تفعل فعلها الآليم في بذل الكراهية لكل ما يتصل بالإسلام والمسلمين حتى تنصرت قبائل ساذجة كانت قد اعتنقت الإسلام. لأنه في منطقهم

الغافل جعل أتباعه يتخطفون الرقيق ! ... أما السلاح البارد الحار الذي صوب إلى معتنقي الإسلام فهو إنشاء مدارس في المناطق الإسلامية تنظاهر بأنها لا تتعرض للمسائل الدينية ولكنها تنشر الثقافة والتعليم لا أكثر ولا أقل ، وقد خدع بها المسلمون فقصدوا بآبائهم إليها ، ثم مضى بهم الزمن فكانوا قادة الأمر في البلاد ، وقد اعتقدوا من خلال الدراسات المفترضة أن المسيحية دين الحضارة والمدنية ، وأن الإسلام صحراوى بدوى أدى دوره في الزمن السحيق ثم تمسك به أتباعه في عصر الحضارة فجمدوا

انتشار الإسلام والمسيحية معا في إفريقيا كما دونها كتاب المسيحية أنفسهم لفرى مصداق ما ذكره الأستاذ علي عبد الرحمن من أن ما يبذله المبشرون المسيحيون من جهود لو بذل المسلمون عشر معشاره لاثمرت جهودهم أضعاف ما تشهده جهود المسيحيين ! وأظننا نستطيع في ضوء ذلك أن نغير خططنا الفردية في نشر الإسلام بما نشاهد من أساليب أوربا في تنمية المسيحية وازدهارها ، لا على حساب الوثنية وحدها بل على حساب الإسلام ، دون اعتبار لمبادئه الزائفة وصراطه القسويم لم تكن المسيحية شيئاً متوقع الازدهار قبل مبدأ القرن التاسع عشر ، حتى نهضت حركة الكشف الإفريقي مواكبة بعثات التبشير المسيحي ، فتدفقت البعثات الأوربية من إنجليزية وهولندية وفرنسية وأمريكية وبرتغالية . وقد استوطن الرجل الأبيض مناطق كثيرة فانتزعت فرصة الانحلال القبلي وضعف المقاومة أمام أسلحة الدمار من حديد ونار وقذائف وجعل يفرض المسيحية على الإفريقيين فرضاً ، والغريب أن هذا الدين الذي جاء به عيسى لينشر المحبة والقسامع كان مبعث شقاق بين أتباعه ، حيث عمل البيض من الهولنديين على تخصيص كنائس مهمة للونين ، ومعا بدشاعة للبيض وطبيعي أن يحدث هذا الامتياز العنصري أثره في النفوس إلا أن وسائل الإغراء الأخرى

د. ولذلك فرض على أعضاء البعثات التبشيرية قبل أن يقصدوا تلك الجهات اتباع خطة مرسومة تقضى بدراسة تلك البيئات دراسة شاملة وتفهم نظمها الاجتماعية وعاداتها واقتصادها كما يجب على المبشر أن يحتفظ بالسكان للزيارة وأداء الخدمات، والإخلاص في التعاون معهم في كل فرصة تتطلب ذلك فالمدرسة والمستشفى والمستوصف والمثابرة على الدعوة المسيحية وترجمة الكتاب المقدس والتعليمات الدينية إلى لهجة السكان ومعرفة الأعياد المقدسة وفرس شعور الإخوة المسيحية بين الجميع ، . على أن أنجح خطه، هدت لانتشار المسيحية هي اتجاه الكنيسة إلى تعيين قساوسة من الزوج الإفريقيين ليفاجأ الوثنيون بإخوانهم في لباس كهنوتي فيحدثون تأثيرا ينعدم معهما وقر في بعض الأذهان من حقيقة أليمة من هداء صارخ للرجل الأبيض المستغل ولذلك انتشرت المدارس الكهنوتية التي تخرج القساوسة الملونين .

نقرن هذه الإمكانيات الضخمة لدى أمم أوربية حاذقة متسلطة بما قام به مبشرو الإسلام تجاه الزحف المسيحي ، وإذا كان المعروف أن دول الإسلام في القرن التاسع عشر إلى منتصف هذا القرن تقريبا كانت من الهوان والجذب والاحتلال بحيث لم تستطع أن تدرك نفسها ، والمستعمر في كل دولة يغزو الإسلام بشبهاته بين أتباعه ومعتقيه ويستطيع في هوادة أن يمنع بطلقة

على الجهل، وران عليهم التأخر، وكان الإسلام حمة العلة في احتلال العالم الإسلامي وتخبطه في الظلمات ، وإذا كان هذا اعتقاد أبناء المسلمين أنفسهم ممن تعلوا في مدارس التبشير ، فماذا يكون اعتقاد أبناء الوثنيين من لجأوا إلى المدارس المسيحية الخالصة فعملوا بها أنه أوربا لم تبلغ منزلتها الحضارية بغير تعاليم السيد المسيح . هذا وقد أنشئت بمختلف المصاوصم الأوروبية معاهد عالية لدراسة أصول الأديان وهدفها الأعظم دراسة المناخ الجغرافي والاجتماعي والنفسي لسكان القبائل من الزوج لرسم الخطط التي تتفق وميولهم النفسية فتسهل مهمة اجتذابهم إلى المسيحية وقد كان أوائل المبشرين في مفتح القرن التاسع عشر يعتقدون أن الحضارة الأوروبية والديانة المسيحية جزء لا يتجزأ ، وأن البيانات الوثنية خرافات محترقة فاتجه مهمهم الأكيد إلى استئصالها من النفوس ليرسوا على أنقاضها تعاليم المسيحية ومبادئها ولكن تباطق التقدم المسيحي على نحو لا يرضى المتمجلين قد دفع أساتذة التبشير إلى تغيير هذا الاتجاه العدائي ، وأتوا بنظرة معارضة تدعمها دراسة الأجتناس بعامة ، وتتلخص في إظهار التقدير للعقائد الوثنية ، على أن تستغل بذورها للتطوير السريع نحو المسيحية وقد أفاض الأستاذ هوبير ديوان في شرح أساليب التطعيم العلبي لهذه النظرية الجديدة وكان مما قاله نقلا عن الترجمة العربية ص ١٧٢

الداء ! وكل ذلك يستغل لدى قساوسة التبشير استغلالاً متمصباً فيكون أداة للتغيير من دين يقوم رؤساؤه بهذه الأوهام وهي بذلك في رأيهم من صميم الإسلام إن لم تكن لبه اللباب . هذا وقد انجلى مناقشات المؤتمر الأول لمجمع البحوث عن حقائق أليمة ، إذ تحدث بعض الأعضاء عن خلافات القاديانية والأحادية والبهائية وأتباع أغاخان وإلباس أكثر ما يدور من جدل ثوب الإسلام فيستدعي الرد من أصحاب العقيدة الخالصة وتدور رحي طاغية لا تقل عنفاً عن صراع التبشير المسيحي الموجه مباشرة إلى معتنقي الإسلام ! .. من الواجب — أتم الواجب وأكده — أن نبداً العمل الجاد في نشر الدين الإسلامي بعد أن تقوم دول الإسلام في هذا العصر بأمر حاسم هو دراسة أساليب التبشير المسيحي في تخرج الدعاة ، وإنشاء المنظمات ، ورصد الأموال الضخمة ، وتنشيط وسائل الإعلام والدعاية والنشر ، ودراسة المناخ النفسي والاجتماعي والاقتصادي للوثنيين ! وإن يعود بمالك الإسلام أن تنفق على ذلك في إخلاص بوي من الغرض لتتم كلمة الله ! على أننا بعد لا نتمصب على المسيحية في شيء فنحن نهدي الوثنيين من الزوج فإذا سمي هذا العمل تعصباً إسلامياً فبماذا نسمي عملهم في تنصير المسلمين . ؟

مخرج البيروني

مدفع واحدة كل فصل للتبشير الإسلامي يقوم به أفراد هزل متحمسون ! وفي هذه الحالة الياثمة الموثنة فقد استطاع التبشير الإسلامي الفردي الأهزل أن يسير تجاه التبشير المسيحي الجاهي المسلح ؟ أي قوة للإسلام تلك التي أمدته بعناصر قوية قاومت الحضارة المزدهرة والنسل المتكبر والجبروت النافذ والافتراء الكاذب المموه إن لم تكن قوة الحق في دين أرسله الله لإفناذ الناس ! ...

ليت هؤلاء العزل المتحمسين من مبشرى المسلمين يكونون تحت قيادة جماعية مثقفة تهديم الطريق ، كما كان الأمر في مبدأ انتشار الدعوة من زوايا المتصوفين من السنوسيين والعلويين وأتباع الحاج (عمر بن قدوه) ورواد الجلابة من السودان وأعضاء جمعية التبشير السودانية فيظل الدعاة منهمجهم المستنير ، ولكن السكارة كل السكارة أن ينتمى للتبشير الإسلامي جملة أقرب إلى المشعوذين لم يفهموا شيئاً من تعاليم القرآن ، وأطلقوا الحام ليشبهوا السحرة فقط فيقوموا بأدراهم الشائمة في استحضار الجن وإطلاق البخور والتبرك ببعض الحيات والحشرات والتسكهن عن طريق ضرب الرمل وتلاوة آيات من القرآن تفهم لديهم على غير وجهها الصحيح ومداواة المرضى بالأحجية والتمائم وتديك المريض ليصح ، ووضع الربق على مكنن

اللغة العربية بين الفصحى والعامية للأستاذ عارف النكدي

- ٢ -

خدوها إلى السوق وإلى المعمل وإلى المزرعة فتكون لغة أصحاب التجارة والصناعة والوراثة والإلا كانت الحجة علينا بأن اللغة الفصحى لغة غريبة عنا تتعلمها ككل لغة أجنبية ، وهي حجة المستعمرين وصنائعهم من المستشرقين وأتباعهم من العرب المعاصرين . إن تعميم اللغة الفصحى ليس بالأمر الصعب ولا هو بالأمر الذي يعوزه الإمكان على قدر ما تعوزه الإرادة ، ولا بد لنا قبل البحث بالوسائل الممكنة لتعميم العربية الصحيحة من أن نهدد الكلامنا بهذه الكلمة . ليست مسافة الخلف بين اللغة الفصحى واللغة العامية بالمسافة التي بعدت شقتها ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما ورجع وحدتهما ، فقد ندر أن تستعمل العامية كلمة عامية - إذا استثنينا الالفاظ الأجنبية الدخيلة - إلا وهذه الكلمة أصل في اللغة الفصحى ، أبعدها عن أصلها هذا ، خطأ في لفظها ، أو تصحيف أو تحريف في بنيتها بتقديم حرف على حرف أو بتأخيرها عنه ، أو بنقل حرف إلى حرف آخر يخرجها أو لفظه قريب منه ، أو بزيادة حرف للزيادة في المعنى الأصلي ، أو بنحو كلمة من كلمات .

إن العدول من الفصحى إلى العامية فكرة عقيمة ، ومحاولة فاشلة ، فالعربية العامية غير صالحة للحياة ، إنها وليدة الجهل ، وقد بدأ الجهل ظلامه ينحسر والعلم نوره ينتشر ، وما خلفه الجهل لا بد أن يجمته العلم .

غير أنه مهما كان من صواب هذا الرأي ، ومن اعتقادي بأن اللغة العامية لكي تكون لغة علم وأدب ، فإن ثمة حقيقة لا بد من الاعتراف بها ، وهو أن وجود لغتين ألفتين لأمة واحدة ، مشكلة صعبة ومعقدة وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه في مستوى أضعف من سائر اللغات الحية ،

فلغتنا الفصحى تعيش في نطاق محدود لها مواقف خاصة ، ومواطن خاصة ، وليست هذه حال اللغات الحية ، فاللغة الحية تكون واسعة الآفاق ، عامة الاستعمال في الكتاب والكلام ، دائرة على لسان كل طبقة من طبقات أبنائها ، معبراً بها عن كل غرض من أغراضهم في كل ناحية في مراقبهم ، لا تختلف إلا بالأساليب من حيث الفصاحة والبلاغة ، لا من حيث اللغة نفسها .

نعم يجب أن تخرج العربية الصحيحة من

يلقون دروسهم بلغة سوقية محضة ، أوقروية
بحجة كأنهم ما أدركوا شدا من اللغة ، ولا
ذرا من الفحو ، وليس بين أساتذة اليوم
من يرضى لنفسه بأن يلقي درساً بهذه اللغة
التي كان يرضاه أولئك الأعلام .

هذه الخطوات السديدة نحو اللغة الفصحى
موصلة حتماً إلى توحيد اللغتين بموت العامية
واستقلال الفصحى بالأمة وحدها ، نعبها
هن كل غرض من أغراضها في كل شأن من
شئونها الخاصة والعامة .

ولكن هذا السير سير بطيء متروك للزمن
أن يحققه على مهل ، وليس هذا من الصواب
ولا هو من فعل الأمم الحية ، فالأمة الحية
الواعية تستبق الزمن وتختصره ، تلقي بين
هينها مهابها وتنسكب عن ذكر العواقب
والعوائق إلى أن تصل إلى هدفها .

والسبيل إلى هذا يكون على أركان منها :
١ - القرية البيئية : يعمل الوالدون
على تلقين أبنائهم الصحيح المأثور من الألفاظ
ويجنبونهم الملعون والمغلوط والمخرف ،
يبدأون أول فأول فيما يحتاج إليه من كلمات
تعب عن أغراضهم وما يحيط بهم ، وهذا
حق اللغة والوطنية على المتعلمين من الآداب
بأخذون في التقصير عليه ، إذ ليس لائقاً أن
تكون لغة المتعلمين المثقفين وأبنائهم ، كلغة
الأميين الجاهلين وأبنائهم ، وأن يعنى كل قوم
بتقويم ألسنتهم وألسنة أبنائهم .

أما التحريف بالتقديم والتأخير ، أو
بالتبديل والتغيير ، فالخطب فيه سهل ، ترد
الكلمة إلى أصلها والزيادة بالخطأ لغير معنى
تخذف ، وتقر الزيادة بمعنى جديد يتصل
بالمعنى الأصلي ، وهي الطريقة التي جرى عليها
العرب الأولون .

وتقر الألفاظ العربية الفصيحة التي تستعملها
العامية مجازاً أو استعارة أو اشتقاقاً فيما لا بد
منه من معنى جديد .

وكذلك اللفظ فيها لمتان : بناء أو ضبط
اختارات العامية منهما اللفظة المرجوة لحفظها
في السمع والاستعمال .

أما الألفاظ الأجنبية فالجميع العلمية اللغوية
كافية بأن توجد لها مترادفات العربية وهو
ميسور في جلته ، حتى فيما يظن أنه من أحدث
المسميات التي اقتضتها المدنية الحاضرة .

لعل هذا يجمل الخلاف بين الفصحى والعامية
من حيث اللفظ المفرد ، أما من حيث الخطأ
في تركيب الجمل فانتشار العلم يصلحه .

ومن ينكر على اللغة العامية أنها خطية
في هذه الثلاثين السنة الأخيرة نحو اللغة
الفصحى خطوات واسعة فلقد أدركنا من
العلماء من لا يشق لهم غبار في معرفة اللغة ،
والتضلع من النحو استفزفوا أيامهم في طلب
هذين العليين ومعاناتهما وتخريج الطللاب
والآداب فيهما ، وقد لا يكون في يومنا هذا
نظراء لهم في موضوعهما كان هؤلاء الأعلام

أدهى إلى اللوم وأدل على الجهل من أن يعرف العربي اللغة الأجنبية أوشياً منها وأن يجهل لغته .

ولعل أغرب ما يستشهد به في هذا الباب ما وقع أخيراً في محاكم مصر يوم كان القاضي المدارس المثقف ، يمنع الهامى المثقف مثله أن يرافع بالفصحى ، ويأبى إلا أن تكون مرافعته باللغة العامية .

٤ - المجالس النيابية - لسنا ننكر على السواد الأعظم من النواب أنهم أخذوا في استعمال اللغة الفصيحة ، ولكنه استعمال على مدى لا يزال محدوداً وضعيفاً ، ومكانة اللغة تقضى على النائب أن يجيد لغته لإجادة تامة ، فسلاحه عليه وحجته وعمادها وعظمرها في حسن التعبير وسلامته .

٥ - الجنندية - وفي الجيوش العربية أمراء ملوكوا ناصية العربية فأحسنوا التعبير بها وأجادوا في اختيار الألفاظ النقية ، تدل على ذلك مكشوباتهم ومنشوراتهم وفوق هذا معاجمهم العسكرية التي وضعوها ، ولغة الجنندية لغة الحزم والعزم والجزالة ، وهي مطالب لا يستقيم أمرها بالعامية ولا يصلح لها إلا اللغة الفصحى ، فلو اشتد الضباط في أراهم ومعاملاتهم في استعمال اللغة الفصحى لا تنقل هذا من الأمر إلى المأمور ومن الجندى إلى السوق بحكم التعامل والتباين .

٦ - لغة الدواوين - وقد صلحت

٢ - التربية المدرسية - ثم تنقل هذه المهمة إلى المدرسة في نطاق أوسع . تكون اللغة الفصحى العمدة في إلقاء الدروس وفي مراجعتها وفي هذا كره فيها . ويكون لها النصيب الأوفر في المحادثات والمعاملات ، فإذا مضى المتعلمون على هذا ، ألفته أسفتهم واسقاهم أسماهم فأصبح ملكة يجرون عليها في المستقبل ، واختلاط المثقفين بالعامية كفييل بأن ينقل إليها كثيراً من لغتهم ومصطلحاتهم وتعايرهم فنقلهم فيها ، فيكون ذلك من قبيل رد الفعل ، فكما أفسد على العرب لغتهم اختلاطهم بغيرهم يعود هذا الاختلاط المثقف فيصلح ما يمكن إصلاحه من هذه العامية .

ويكون حسناً إذا وضعه وزارات المعارف والمدارس جوائز للتفوقين في حسن التعبير وصحة اللغة ، ومن المفيد أن يسكثر المتعلمون من الاستشهاد بآيات الذكر الحكيم وبالشعر وبالأمثال والحكم تلقى بلفظها العربي الفصيح .

٣ - القضاء - يجب أن تكون لغته صحيحة سليمة ، لغة القاضي ولغة الهامى كما هو واقع في كل لغة عند كل أمة ولقد كانت عندنا في الأمس المحاكم المختلطة ، وكان للقضاة والمحامون العرب يأخذون أنفسهم بالتعبير الأجني الصحيح ويفتخرون به إذا هم رافقوا أمامهم ، فإذا هم عادوا إلى المحاكم الوطنية عادوا يفخرون بجهلهم لغتهم ، وهل من شيء

في الأمم الأخرى من أمثال هذه الطبقة تتذكر لغتها ثم تفتخر بمجهلها لها .

نحن نفخر مرتين ، ونحجل مرتين نفخر أننا نجعل لغتنا ، وأما نعرف لغة أجنبية أو شيئاً منها ونحجل أن نجعل لغة أجنبية أو ألقاظاً منها وأن نستعمل في لغتنا الدارجة الألفاظ العربية الصحيحة المأثورة .

وتجاوزنا هذا الحد في الاستهانة بلغتنا فأردنا لها أن نخضع في كثير من نواحيها إلى اللغات الأجنبية .

وزاد الأمر متابعة أن قام فيها من يطلب أن يستبدل بحروفنا العربية حروفاً لاتينية ، وللعربية اشتقاقاتها وتصريفاتها وضمائرها وإعرابها وأكثرها يختلف عما هو في اللغات الأجنبية ، واللغة الأصلية لا يستقيم أمرها إلا على أصولها وقواعدها التي جرت عليها . ومن المستغرب أيضاً الدعوة إلى إصلاح الإملاء العربي ، هذا الإملاء السهل المبني على أصول صحيحة مدروسة ليس أيسر منه في لغة من اللغات الأجنبية التي نعرفها أو نعرف عنها .

فلكل حرف في العربية نطق خاص به ، لا يختلف باختلاف موقعه في الكلمة أو وضعه من الحروف فالسين لا تكون إلا سيناً ، والثاء ثاء ، والذال ذالاً ، والزاي زايًا ، والضاد ضاداً ، والظاء ظاءاً .

وليس من حرف يقرأ ولا يكتب ،

كثيراً عما كانت عليه من قبل وهو شئ محمد الحكومة عليه على أننا نطلب منها المزيد صيانة للغة وحفاظاً عليها .

٧ - الصحافة والإذاعة - والخطابة في المنتديات العامة كان لها كثير من الفضل في إصلاح كثير من الكلم واللفظ ومن العامية إلى الفصحى ولكنه إصلاح جاء أكثر عفواً عن غير عمد ولا تعمد ، والذي نريده ، أن تلقى محاضرات للخاصة والعامية فيها التنبيه إلى الأغلاط والحث على تصحيحها وبيان فوائد هذا الأمر من الناحيتين العلمية والوطنية .

ومهمة الصحافة أن تشدد على الذين يهملوا شأن لغتهم ويكون لها ما يشبه المراقبة تحققه بالنقد الصحيح على المدارس والمعلمين ، وعلى النواب والخطباء والقضاة والمحامين وعلى سائر الممارسات الرسمية حتى يمتنع بعد ذلك أن يعان رجل بمجهل لغته .

على أن العامل الأول في هذا الأمر مرده إلى هزة النفس وعلو الهمة والغيرة والوطنية والإباء القومي .

فنحن إلى اليوم تأخذنا العزة بالجهل فيقول لك أحدهنا إذا أنت استدركت عليه خطأ لست سيئويه ولا أعرف العربية .

وقد يكون هذا القائل من أبناء العلم قاضياً أو محامياً أو مدرساً أو طبيباً مفروضاً فيه وفي من هم من طبقة معرفته لغته ، وليس

يكون أكبر المجامع العلمية الرأس الجامع لهذه المجامع يسكن المرجع والضابط غير ملون بلون إقليمي ولا مصطبغ بصبغة موضوعية ويكون الرئيس ونائب الرئيس في الجامع العلمية الأخرى عضوين طبيعيين في المجمع الآخر. بنص قانوني غير محتاج إلى ترشيح وانتخاب ، هذا عدا من يجوز أن ينتخب انتخاباً إلى المجمع الأعلى من مجامع الأقطار العربية الأخرى .

تتبادل المجامع اللغوية الآراء في اختيار الالفاظ وفي إقرارها وذلك بأن يبعث كل مجمع برأيه ومقترحاته إلى المجمع الآخر ، وهذا يميده إليه مقرونة بدراسته وملاحظته فإذا اجتمع هذا كله عقد له المجلس الأعلى جلسة عامة للمذاكرة الأخيرة ، فما وقع عليه الإجماع أو الاتفاق عد في الكلمات والمصطلحات المعجمية ، ويكون الأخذ بها صواباً والخروج عنها خطأ ولا يقولن قائل : إنها طريقة طويلة فأطول منها أن تبقى الأمور على حالتها الحاضرة وفي المجامع اللغوية الغربية من الالفاظ ما يبقى عشرات السنين قبل أن يبت فيه برفض أو قبول . هذه آراء نرحبها على أنظار أقطاب اللغة وعلى مجامعنا اللغوية قابلة للتعديل والتصحيح إذا هي استحققت النظر والدراسة .

والشيء الذي نريده أن يكون اتصالنا ببلغتنا اتصالاً أكيداً وثيقاً فتكون منا ونكون منها فتصبح لغة العرب الحاضرين كما كانت لغة آبائنا الأولين ؟ عارف النكوى

أو يكتب ولا يقرأ إلا هذه الألف التي دعوها ألف الإطلاق تفرقاً بين المفرد والجمع ، وإلا واو عمرو وتميزاً له عن عمر . هذا ومثل - إن كان له مثل - قاعدة لها ضابط معروف وفيه من الحرص على اللغة والدقة في الرسم واللفظ ما يقضى بالحمد لا بالنقد .

فإن هذا من اللغات الأجنبية ومن شذوذها في إملاءها ورسما ومن غرابتها في أحرفها أو في وضعها فقد تنقلب السين عندهم زاياً ، وتصير الهم غيناً ، والهاء شيناً أو سيناً ، والياء ألفاً . وتأتي بحرفين لتؤدي لفظ حرف واحد قد يكون له مثيل عندهم ، وتترك حرفاً أو أحرفاً لا تلفظها وتلفظ حروفاً لا وجود لها ، وعلى الجلة فإن إملاءهم خطأ في خطأ تحفظه - إذا استطاعت حفظها من غير قاعدة تهرى عليها .

وعلى الشذوذ عندهم والاطراد عندنا ، لا نسمع لهم أصواتاً أو مقترحات أو اعتراضات من يوفق بعلمهم تستذكر هذا الشذوذ .

وكلمة أخيرة هي أن اللغة تحتاج إلى مرجع يرجع إليه في ضبطها وتوحيد مصطلحاتها . وقد كان هذا المرجع عندنا من قبل أهل البادية وأبناء قريش - قبل أن خالطوا وخولطوا ففسدت لغتهم ، ثم كان القرآن ولا يزال .

والسلطة اللغوية عند الأمم في يدى مجامعهم اللغوية ، فلا بد لنا من أن نجري على ما جروا عليه ، غير أن المجامع عندنا تعددت وليس بينها ارتباط وثيق يساعد على وحدة العمل فوحدة اللغة ، ودواء هذا وعلاجه في أن

حول تدريس الدين الإسلامي في المدارس

للسيد شحاته
المفتي العام بوزارة التربية والتعليم

والرياضة . والتربية (والحمد لله رب العالمين) .
وتحمن نحمد الله رب العالمين إذ خلقنا على
صورة خاصة ، ثم نمانا . وزاد إدراكنا
على صورة خاصة ، فهو الخالق الرب سببنا .

والقصد والخير أن نأخذ تلاميذنا ؛ (بتربية
دينية) على غرار ما شرعه الخالق جل شأنه
في تربيتنا . والرسول الذين جاءوا إلى البشر لم
يجلسوا إليهم ليعلمهم درساً في الصلاة ،
أو في الصوم ، أو في الحج ، بل جاءوا قائمين
على تربيتهم وتمييزهم ولو كان الدين للدراسة
والبحث لنزل القرآن جملة واحدة ، ولاجتمع
بأبعاده وأصغاره أمام الناس ليستخرجوا
منه أمورهم ، ولكن الله سبحانه أراد أن يأخذ
الناس على أناة ، وخبرة بعد خبرة : وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ،
كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلاً ،
وكذلك حديث الرسول الكريم عليه السلام
(صلوا كما رأيتموني أصلي) يعنى التمرين ،
والتدريب ، والأخذ بالقعدة الحسنة ، والطريقة .

ثم نعود إلى مداوسنا فنسأل : هل دراستنا
الدينية فيها تقوم على التربية والتنمية والتدريب ؟
الواقع نلخصه فيما يأتي :

حظ التلاميذ في حصص الدين أن يحفظ
المجدون منهم آيات من القرآن غير سليمة النطق ،

تقوم مدارسنا الابتدائية ، والإعدادية ،
والثانوية بدراسة (الدين) ضمن برامجها ،
وترصد لهذه المادة الموضوعات ، والحصص ،
والمدرسين في كل مراحلها الثلاث .

والشائع الأغلب على السنة المدرسين
والتلاميذ أن دراستهم دراسة دينية ، وفي تقدير
القائمين على المدارس أن هذه الدراسة تخلق
في التلاميذ روحاً دينياً ، وتطبعهم على التخلق
بأخلاق الدين ، ورعاية أحكامه ، والتأديب بأدابه .
وقد دلت التجربة على أن الدراسة القائمة
في مدارسنا لا تخلق تلميذاً متخلفاً بأخلاق
الدين عاملاً بأحكامه ، متأديباً بأدابه ولأن التربية
إن لم تعتمد على التمرين ، والتدريب ، والرياضة ،
والأخذ بالطريقة ، فهي تربية لا تصل إلى
غايها المفودة ، ولا تثمر ثمارها المرجوة .

ودراسة الدين في مداوسنا تسير على طريقة
هير صحيحة ولا مجدية ، فهي لا تغرس
عقيدة ، ولا تنمي رأياً ، ولا تقوم على رعاية
الضوابط رعاية صالحة .

الدين عقيدة وخضوع ، ولا يمكن أن
تؤدي دراسة أحكامه ، واستقراء مسائله ،
وحفظ قواعده إلى تربية صالحة .

والأصح أن تقوم في مدارسنا (تربية دينية) ؛
لأن التربية تقوم على التدريب والتنمية

الحق أن التربية الدينية الحقبة يحتاج إليها فى كل أمور الحياة أكثر مما يحتاج إلى أى معرفة من معارف العالمين، ولو اتزمتها الناس فى صحتهم، وفى معاشهم، لعاشوا إخوة متعاونين متعاونين، ولما وجدنا تلك النزوات الشيطانية التى تدهو إلى التسلح الذى يستهلك جهود الإنسانية .

ونحن الآن فى تعليمنا تدهو إلى العلوم التى تبعث فى الأمة القوة والرخاء، وتوفر لها الأمن والسعادة، وترقى بها إلى مداوج الحضارة، وصدقونى أنه لا يمكن لأى أمن ولا حضارة أن تقوم إلا فى ظل الخلق الكريم، والنفس الراضية، والمثل الرفيعة التى لا يمكن أن يستمد منها إنسان إلا منافع الدين الصحيح. ضفت البرامج واضية على التربية الدينية بوقت أكثر من ساعة ونصف ساعة كل أسبوع ينفقها مدرس الدين كما يحول له، وكما يريد .

ثم بأتى بعد البرامج - الامتحان - وهو نظام متعثر فاشل، فهو يخبر التلاميذ إما فى محفوظ أو مسرود، أو حقائق تشبه إلى حد كبير معلومات فى التاريخ، والأدهى أنه قد ترك عن قصد - امتحان - التلاميذ فى الفرقة النهائية . فاستهان تلاميذها بالبقية الباقية من التعاويذ التى يجبرهم عليها مدرسوهم، وجلس المدرس المسكين فى هذه الفرق يندب حظه، لأنه أخذ فى هذه الفرق حصتين أو أربعا، ويشكو من الشكوى من استهانة التلاميذ بدرسهم وسوء انصرافهم عنه .

ولا مفهومه القصد إلى حد كبير، أو يحفظوا حديثاً نبوياً على غرار ما حفظوا من القرآن الكريم، أو يقف المدرس أمامهم يسرد حقائق فى الصلاة أو الصوم أو الحج، أو الزكاة . وسرده فيها يشبه إلى حد كبير ما يقوم به مدرس التأريخ أو الجغرافية، أو العلوم، فكلها حقائق مسلم بها فعلاً، جاءت بعد تجارب ودراسات، وعلى التلميذ أن يعيها ويصبر على حفظها، فإذا حضر زائر كالمفتش مثلاً انفلت من بين التلاميذ فذ يرفع صوته باقرآن، أو بالحديث، وقد يسأل الزائر بعض الأسئلة فى المسائل الدينية المقروءة فيجيب بعض التلاميذ، ويخفق الآخرون والمدرس مزهو مسرور بمن صاح وقرأ أو بمن لقن حفظ .

فهل هذه المحفوظات القرآنية، أو المفردات الدينية أخذت بين التلاميذ حظاً من تربية دينية؟ وهل غرست فيهم من الملمات أو الاتجاهات ما تفعله (التربية الفنية) فى مدارسنا مثلاً؟ وهل حققت من وظيفتها كما تحقق (التربية الرياضية) التى يمارسها التلاميذ، ويؤخذون بها أخذاً، ويكسبون على حبا، والاندفاع إليها، والولع بها؟

ثم ما البراجنا قد أعطت اللغة تسع حصص أو سبع فى الأغلب، وجعلت للتربية الدينية حصتين اثنتين؟ ما السر؟ الآن اللغة، والرياضة، وغيرهما يحتاج إليها فى الحياة أكثر مما يحتاج إلى التربية الدينية؟؟

في تدريس الأدب ، أو القواعد ، أو التعبير
ولكننا لا نكاد نجد إلا قلة يسيرة من
يحيدون درس التربية الدينية ، ومن أصابه
حظه العاثر فرقى إلى (مدرس أول في التربية
الدينية) نكس رأسه ، واستخذى أمام
(المدرس الأول للغة العربية) .

وبعد كل ذلك يحى دور السيد المفتش :
إنه يدخل المدرسة مفتشاً للبائتين ، ولكنه
يخرج منها ، وقد عرف كثيراً عن الجهود
التي تبذل في اللغة العربية ، وتغاضى - ساعه
أفقه - عن الإهمال الذي يصيب التربية
الدينية - فكان تقديره مقسوماً في الناحيتين
(تقريباً) حتى لا يعوق من قاربه الترقية 11
وننتقل بعد ذلك إلى حجر الزاوية ، أو إلى
اللجنة الأولى التي بعدها يكبر البناء حتى يتشأخ
ألا وهي (القدوة الحسنة) فنتساءل : ما حفظنا
نحن العاملين في المدارس من القدوة الحسنة ؟
أغلب ظنى أننا في المجتمع المدرسى لا نهم
بما يهتم به المسلم العامل إلا أن نرضى الرسميات
فالمفروض أن صلاة الظهر مثلاً تؤدي في
المدرسة ، فهل يغشى المسجد جميع المسلمين ؟
وصندوق الدبر الذي يدور على التلاميذ
ولموظفين في فترات متعددة إنه ، وبإلأسف
ينفق من ماله على أشياء كثيرة لا تتصل بإعانة
الفقراء والمساكين ، ألا قاتل الله الرباء
والملقى ! وكل موصى يفت في عضد السلم .
ثم حدثوني كيف يحترم التلميذ مسجد المدرسة
إذا رآه في أول العام مخزناً للأدوات والكتب

ويجبرنا الحديث عن التدريس إلى حديث
آخر عن النشاط الدينى ، ونسأل الآن :
ما حظ مدارسنا من النشاط الدينى ؟ لأنحدث
هنا في خبرة وصعوبة .

في وكن مهمل - على الأغلب - فرشع
حصرتان أكلتما الشمس والتراب ، وسوء
الاستعمال وقيل هذه مصلى المدرسة ،
وأما المدارس الكبيرة فقد أهدت
حجرة وفرشتها فرشاً متواضعاً ، وعلقت
على جدرانها بعض اللافتات البالية ، وتركها
- على الأغلب - للفراشين ينامون فيها ،
ولا يشاهد من المصلين أكثر من عشرة
في اليوم من الحدم وبعض المدرسين ، هذه
صوة لمسجد المدرسة .

ونشاط آخر نراه في سبورة على الدائم ، أو في
حديث لمناسبة دينية يلقى به بعض المدرسين أو
التلاميذ ، ويسمعه الباقون ، وهم في غفلة لا هون ،
حتى لتسكاد تعبته إلى حد كبير تلك الطقوس التي
يقوم بها مشايخ الطرق في الأعياد والمواسم .
وفي رمضان تنشط بعض المدارس إلى إطعام
الفقراء أو كسوتهم ، وفي ذلك ما فيه من
جافاة للدين لما يجره من الرياء والتكلف ،
والخروج على آداب الصدقات .

والمدرس لا يكاد يهتم بإعداد دوس التربية
الدينية ، فهو ضنين بمجهوده وتفكيره
في الإعداد والدرس إذا قيس بما يبذل
في دوس آخر من دروس اللغة العربية .
وكثير من مدرسينا برزوا وتفوقوا

مرتبطاً بالوقائع والأحداث ، فلا نحفظ من كتاب الله كلاماً لا نفهمه ، وإنما نترك ما لا نفهمه إلى حين النضج العقلى واقتدار القوى على فهمه والاستفادة منه ومن هنا نستطيع أن نفقه كلام الله ، وأن نلتفع به ، فلا نحفظ سورة بعينها ، ولا آية إلا وربطناها بحياتنا حتى يسكون تأثيرها أوقع ، وفائدتها أحق وتبع مثل ذلك فى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فالقومىة العربية ومعاملة الكتائبين ومحاربة الاستعمار والاستغلال ، والانتفاع بمنايع الثروة ، كل ذلك وغيره له منابع فى كتاب الله وفى حديث رسوله الكريم وأن نلتفع فى تلاوة القرآن وترويد آياته بالإذاعة القرآنية الموفقة فتطبع السنة تلاميذنا على ترتيب القرآن فى محبة وتدبر وتدقيق لجماله ، وأن نحث تلاميذنا على تكوين جماعات للقرآن فهذه جماعة لحفظه ، وأخرى لترتيبه ، وثالثة لرسم مدلولاته . . . وهكذا

(ب) مسجد المدرسة : لا بد أن يكون بجملاداهيا إلى الجلوس فيه ، والراحة إليه بل لا بد أن يكون أجمل مكان بالمدرسة وأن يزود بمكتبة حافلة بالمصاحف والقصاص والمجلات الدينية وكتب السيرة والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وأن يغشاه المسلمون جميعا من المدرسة ومن أبناء الأحياء المجاورة فى أوقات الصلاة ، وأن يقوم واعظ من المدرسين فى كل الفترات المسكنة ، ليفرس فى نفوس التلاميذ آداب دينهم بالموهظة الحسنة ، وأن

وإذا رأى حجرة السيد الناظر بحملة متأنقة ، وحجرة الله كاسفة غاشمة متواضعة .

والسيد المدرس (الإمام) إذا صلى بالتلاميذ يوما تركهم أيا ما ، والسادة المدرسون الآخرون يعتبرون الإمامة وظيفة لا يقر بها منهم إلا المكلف بها .

وللقدوة الحسنة نواح ممتازة يستطيع المجتمع المدرسى سجامدا أن يحققها أو يقاربها إن أراد ، وليس هنا مجال الحديث عنها حديثا شاملا . وبعض المدارس تخرج مجلات دينية فإذا قرأناها لم نجد فيها صورة صحيحة لما تحصى به البديهة من مشكلات ، بل كل ما يستطيع المجلة أن تسهم به فى خدمة الدين أن تخصص هدى لكل ركن من أركان الدين ، فعلى الجدران تعلق مجلة للصلاة ، وأخرى للصوم ، وثالثة للزكاة ، ورابعة للحج .

وكل ما يستطيع النشاط المدرسى أن يقدمه أيضا بعض لائحات وخطوط لآيات من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ، فهل نودى بذلك خدمة جارية للتربية الدينية ؟

كل ما قدمت كان عرضا صريحا لما نسير عليه دراسة التربية الدينية فى مداوسنا ، ولكن هل يكفى أن نثن من الألم ؟ أو هل نعود من الغنيمه بالبكاء والعيول ؟

إننا نفتح الباب أمام المصلحين بالمهترحات الآتية :

النشاط الدينى :

(أ) القرآن : نعلم القرآن كما أنزله الله

وعلى يد هؤلاء ترقى الناحيتين: الدينية والمدنية وإن لا عرف رجلاً ممتازاً من الأجانب تخرج في كلية الهندسة ، ونال أکبر إجازاتها في بلاده ، ثم دخل كلية (اللاهوت) فتخرج قساً نابهاً ثم عمل في ميدان القرية ، وانتقل من بعد ذلك إلى السلك السياسي ، فكان من ألمع العاملين في هذا المحيط .

والدين الإسلامى دين وسبيل الآفاق ، سمح الجوانب لا يجعل لفئة معينة ، ولا طائفة محدودة حق فهمه أو تعاليمه ، بل المسلمون كلهم سواء أمام كتاب الله وسنة رسوله متى اكتسحت لهم سبيل دراسة هذين المنبعين الكبريين ورجل الدين يستطيع - متى أفسحنا له المجال - أن يصول في كل ميدان ، وأن يكون الطبيب النطاسى ، أو المحارب الحاذق ، أو المهندس القدير ، أو القاضى العادل أو المربي الكبير ، أو السياسى الماهر .

ومن هنا أرى ألا تقتصر وظيفة تدریس القرية الدينية على طائفة معينة بل تنفسح للتربية الدينية مجالا فسيحا في مداوسنا ليسكون من قادتها كل من امتاز بالقوة الحسنة ، والفهم الثاقب والدراية الواسعة من أبناء المسلمين .

هذه بعض مقترحات العلاج ، وفي النفس مقترحات كثيرة ، ولكنى أقف عند هذا الحد ، لأثير بحث الموضوع ، على يد طائفة كبيرة من أبناء وطنى المسلمين .
واقه الموقف والمعين ؟

السیر سحانة

يفتح صدره لأساتذهم ومناقشتهم ، ويحسن ألا تكلف مدرسا خاصا بالمسجد ، لأن الصلاة والموعظة شائعة بين جميع المسلمين ومن الخير أن يكون الإمام أو الواعظ مرة من مدرسى الجغرافية ، وأخرى من مدرسى العلوم ، ومرة ثالثة من مدرسى الرياضة البدنية ، ولا بأس إذا اشترك ناظر المدرسة في الإمامة أو في الوعظ بعد الصلاة .

(ح) الرحلات الدينية : على منظمى النشاط الدينى أن يخططوا لرحلاتهم الدينية ، فهذه رحلة إلى الأسواق لدراسة العيوب ، وتلك لدراسة الأضرحة ، وثالثة لدراسة عادات القرية في المواسم والأعياد ، والأفراح ، والأفراح ، ورحلة كذلك لبيوت الله الكبرى ودراسة تاريخها ومقوماتها .

ومن الخير أن تنظم رحلة كبرى لكبار التلاميذ بالمدراس الإهدادية والثانوية يحجون فيها بيت الله الحرام لمن استطاع ، ولا تدرس الدروس التى فسميا (التهذيب) إلا بناء على تحقيق خارجى ودراسة للبيئة قبل إقامتها .

(د) ربط الدراسة الدينية بالدراسة المدنية : وتلك خطوة موفقة ناجحة ، عمدت إليها جامعة الأزهر في العهد الجديد فكانت كليات الهندسة والطب ، والزراعة وغيرها ، وتلك خير وسيلة لجعل الدين سلم الحياة ، وعماداً لعلاج مشكلاتها ، ونورا يهدي في مضاميتها المختلفة .

ومن الخير أن يكون من بين علمائنا الدينيين طائفة من المهندسين ، وأخرى من الأطباء .

كسوف الشمس

للأستاذ علي الجندى

- ١ -

جاءت الأحاديث الصحيحة بمجواز استعمال
الصيغتين في الشمس والقمر .

وباب كسف وخسف : جلس ، وفعلهما
لازم ومتعد ، تقول : كسفت الشمس
وخسف القمر وكسفهما الله وخسفهما .
وقد جمع ابن زيدون بين الشمس والقمر
في الكسوف فقال :

لا يبنى الشامات المراتح خاطره
أنى معنى الأمانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الأرض حاصفة
أم الكسوف لقير الشمس والقمر ١٥

في العلم :

ويحدث كسوف الشمس عندما يكون
القمر في الحاق ، ولا يشاهد الكسوف على
كل الجزء المنير من الأرض ، لأن قطر القمر
أصغر من قطر الأرض ، فخروط الظل
لا يغطي كل الكرة ، ويبقى الكسوف
عادة من طرف الشمس الغربي ، وينتهي
بالشرقي ، ويكون كليا وجزئيا وحلقيا على

في اللغة :

كسفت الشمس وكسف القمر كسوفاً
وانكسفا : احتجبا ، وكسفهما الله - تعالى
حجبهما وخسفت الشمس وخسف القمر كذلك
أو كسف الشمس ، وخسف للقمر .
والخسوف : إذا ذهب بعضهما ، والكسوف
إذا ذهب كليهما .

وقال أبو حنيفة الديشوري : خسف القمر
خسوفاً ، وخسف - بالبناء للجهول -
وخسفه الله .

ومثل ذلك في كسفت الشمس ، وقد يستعمل
الخسوف في الشمس والكسوف في القمر .

وفي القاموس : الأحسن في الشمس كسفت
وفي القمر خسف ، واختاره ثعلب . وقال
الجوهري : إنه أحسن ، وقيل : إنه يتعين .

وفي نيل الأوطار للشوكاني : الكسوف :
التغير إلى سواد ، والخسوف : النقصان والظل
والمشهور في استعمال الفقهاء ، والعرف العام
أن الكسوف للشمس ، والخسوف للقمر وقد

وظهر عطارده والزهرة ونجمان آخران ١١
وتغير لون السماء من أزرق إلى رمادي ولون
الأشجار من أخضر إلى قرمزي ١١ ويقول
العلامة دجيز ، في كسوف ١٩١٩ م ظهر
نوء بدا للعالم على صورة آكل ضخم من أكلة
النمل ، يبلغ البعد بين خرطوميه وذيله
٣٥٠ ألفا من الأميال ١ وهو حجم لوتيسر
الحيوان لا يتلع الأرض كلها كما يتلع الحبة
ثم رفع خرطوميه وذيله على سطح الشمس ،
وزاد في هدو أرجله وأخذ يقفز إلى أهل
فوصل إلى علو ٤٧٥٠٠٠ ألفا من الأميال ١
وعقدت حال غروب الشمس دون الاستمرار
في مراقبة ما كان بعد ذلك من غريب أحواله ١

اعتمادات أوروبية !!

ويعتقد الهنود أن ثعباناً كبيراً ابتلع
الشمس وقت الكسوف ، فيطرقون الأدوات
النجاسية وغيرها لإزعاجه عن فريسته ١١

أما الصينيون فكانوا يتشاءمون به تشاؤماً
كبيراً ، ويعتقدونه لإنذاراً بسوء الحكم
في البلاد ، وبسوء حال الناس في الأرض ١١
وأصرح بأنني أفزع من مظاهر الكسوف
والخسوف ويغمرني شعور بالأسى والكثابة
على اختلاف هذين العنبرين ، الجليلين ،
صديق القراء وأكر مصادر وحيم ١١
وصدق أبو تمام في قوله :

قدر جرم الشمس المختفي عن الناظر ، ويحدث
وقت الكسوف السكلى ظلام كظلام الليل ؛
فتبدو النجوم والكواكب ، ويفتدى
الهواء وتبتل الأعشاب والأشجار ، وتنكش
الأزهار ، وتليس المدرجات لون النحاس ،
وتخرج الأسماك إلى الشواطئ والكسوف
السكلى والحلق أقل من الكسوف الجزئي .

وعندما وقع كسوف جزئي بمصر في بعض
السنين الخالية ، دعر أهل بلدنا وخيل لهم
أن القيامة قد قامت ؛ ومن الغريب أن
الحيوانات قطعت سرايطها وأخذت تجري
على غير هدى ؛ وجعلت الكلاب تهر هريرا
من عجا .

ويعد الفلكيون ظاهرة الكسوف من
الظواهر المثيرة البديعة ، التي تجمع بين البهجة
والخوف في وقت معا ؛ وبخاصة الكسوف
السكلى ١١ .

يقول أحد العلماء في كسوف ١٩٠٠ م
الذي رصد من الجزائر : إن الإكليل المحيط
بقصر الشمس ، كان كبيراً جداً ومشرقاً ،
وقد بلغ عرض هالته قدر قطر الشمس
واندلع منه لسانان كبيران أحدهما إلى أعلى
والآخر إلى أسفل ١١ ولما تم الكسوف
برد الهواء وأظلمت الأرض ، وأحس الناس
كان روبة دنت منهم ، وقد بق الإكليل
منظوراً مقدار دقيقة ونصف بعد الكسوف

وكل كسوف في الدراري شنة

ولكنه في الشمس والبدر أشنع

في الأدب :

وفي التمثيل بالكسوف يقول المثنبي

في وحشة جرت بين كافور الأخشيدي

وأنجور بن الأخشيدي ثم زالت :

هذه دولة المسكارم والرا

فة والمجد والندى والأيادي

كسفت ساعة كما تكسف الشمس

وعادت ونورها في ازدياد

ويقول : ابن هاني الأندلسي

هي الحوادث لا تبقى ولا تذر

ماللبرية من محتومها وزر

لو كان ينجي هلو من بوائقها

لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر

وقد عرف الشعراء المثقفون من القديم

أن القمر سبب كسوف الشمس ؛ يقول

القيفاشي :

ويفتدى البدر لها كسفاً

وجرمها من جرمه أكبر

ويقول هبة الله بن التليفي في ولده العاق :

أشكو إلى الله صاحباً شرساً

تسعه الشمس وهو يعصفها

كأننا الشمس واللال معاً

تسكب النور وهو يكسفها

ويقول أبو الفتح البستي :

لئن كسفونا بلا علة

وفازت قداهم بالظفر

فقد يكسف المرء من دونه

كما يكسف الشمس جرم القمر

ويقول ابن هباد الأندلسي في جارية من

جواريه وقفت تحجب عنه ضوء الشمس !!

قامت لتحجب ضوء الشمس قامتها

عن ناظري . حجبت عن أهين الغير

هلبا - لعمرك منها - أنها قر

هل تحجب الشمس إلا صفحة القمر

ويقول ابن صمدح - وقد سقط عن

جواده - :

لا يشمتن حسود إن سقطت فقد

يكبو الجواد ، ويذبو الصارم الذكر

لاني سقطت ولا جبن ولا خور

وليس يدفع ما قد شاء القدر

هذا الكسوف يرى تأثيره أبداً

ولا يعاب به شمس ولا قر

ويقول صردر :

يغشى الكسوف الشمس إذ عظمت

ويعاف ضوء الأنهم الزهر

ويقول البستي يعزى بعض المحبوسين :

حبست ومن بعد الكسوف تبايع

تضوء به الآفاق للبدر والشمس

فلا تعتقد الجنس غما ووحشة
فأول كون المرء في أضيق الحبس

في المربع :

الكسوف ظاهرة طبيعية - كما يقرر العلم الحديث - ولكن الدجاجة من رجال الأديان في أزمان الجهالة الغابرة ، كانوا يستغلونها في ترويع الناس ، لبسط سلطانهم عليهم ، وابتزاز أموالهم !!

وفي زمن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كشفت الشمس^(١) ، ووافق ذلك موت ابنه إبراهيم - عليه السلام - فقال الناس على جرى اعتقادهم : إنها كشفت لأجله !! فردم الصادق المصدوق إلى الحق والصواب في ذلك !! فقد جاء في صحيح البخاري ... عن المنهارة بن شعبة ، قال : كشفت الشمس على عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - يوم مات إبراهيم ، فقال الناس : كشفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا أيتموا فادعوا الله وصلوا حتى تنجلي » .

(١) حقق الفلكيون : أن الكسوف وقع بالمدينة المنورة في نحو الساعة الثامنة والحقبة الثلاثين بعد منتصف الليل يوم ٢٩ من هوال سنة عشرة هجرية الموافق يوم ٢٧ من يناير سنة ٦٢٤ ميلادية .

وفي كتب السنة روايات كثيرة بهذا المعنى وهذا الحديث من أصطع دلائل النبوة ، وأبهر آيات الرسالة ، ولو كان الرسول غير رسول . وحاشاه من ذلك لاستغل هذا الحادث كما استغل أمثاله وأقل منه كذبة المتنبئين ، ومخرفو المسموذين ولا سيما أن العالم إذ ذاك كان يسبح في غمرات الأوهام ، ويهيم في مناهات الضلالات .

وقد يقال : وما معنى الصلاة والدعاء إذن في حادث من الحوادث الطبيعية ؟ .

والجواب : ليستحضر الخلق العاجز عظمة الخالق وجلاله ، ويمتلئ إيماناً بقوته وجبروته ، وسلطانه على الكائنات علويها وسفليها ، فيمنه من غرب كبرياته وغروره واعتداده بنفسه ؛ وليذ كربجانب ذلك مبلغ ما أنعم به ربه الكريم عليه من النعم ظاهرة وباطنة ؛ ففي قدرة من سخر له هذين النيرين العظيمين ليستمتع بالضوء والنور والحرارة والهدف ، ويعيش من تحتها هيئة واضية ، وحياة رافهة ، أن يحق آتيهما ، فيخيم على السكون الظلام الدامس ، ويهزونا البرد القارس ، ويموت النبات والحيوان !!

فهل يشكر الإنسان هذه الآلاء ؟ قتل الإنسان ما أكفره !!

علي الجندى

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

لدأستاذ محبى الدين الألوائي

- ١ -

العربية والعلوم الإسلامية والفنون الأخرى، وصاحموا مساهمة فعالة في نشر التراث الإسلامى والعربى فى تلك البقاع ، وفى تكوين مراكز خالدة للثقافة الإسلامية واللغة العربية فيها . ونرى علماء الهند فى بعض فترات التاريخ فى مقدمة المؤلفين فى العلوم الدينية وانتهى إليهم رئاسة التدريس والتأليف فى فنون الحديث وشروحه ، وفى السيرة النبوية والشريعة الإسلامية كذلك ، ومنهم من عرفوا بمقدرة باهرة على التأليف باللغة العربية وسيلان القلم فيها ، وأضافوا شيئاً كثيراً إلى المكتبة العربية الواجهة ، ونبدأ بكتاب عالمى فى علم اللغة العربية الإمام حسن بن محمد الصفحاني اللاهوتى من رجال القرن السابع الهجرى ، وهو كتاب « العباب الزاخر » فى اللغة والتراكيب ، ويحتوى على عشرين جزءاً ، ويعد من مراجع اللغة العربية وغرر كتبها ، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديماً وحديثاً ، ومن الذين اهتموا اصحابه بالفضل والإمامة فى علم اللغة ، الإمام السيوطى ، حيث قال : « لأنه كان حامل لواء اللغة ، وقال الإمام الفهمى : إن إليه المنتهى فى اللغة ، كما وصفه الشيخ الدمياطى بقوله : إنه كان إماماً فى اللغة وآلفه والحديث .

إن للتاريخ الإسلامى فى الهند صفحات مجيدة خالدة فى خدمة العلوم الإسلامية واللغة العربية ونشر التراث الإسلامى وتخليده ، فلا يتم تاريخ الثقافة الإسلامية والآداب العربية فى العالم - قديماً وحديثاً - إلا بالتسجيل الدقيق والبحث الشامل عن التراث العلمى لعلماء الهند المسلمين وعنايتهم بالعلوم الدينية والعربية ومؤلفاتهم العديدة فى مختلف العلوم والفنون . وكان شعار المسلمين فى الهند منذ العهد الأول العناية باللغة العربية والتمسك بها لكونها لغة القرآن الكريم وعلوم الدين الحنيف ، فضلاً عن أنها تساعد على توثيق عرى التفاهم والتعاون بين المجتمعين العظميين (الهندى والعربى) الذين تربطهما روابط الأخوة الروحية والعلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية منذ عصور بالغة فى القدم ، وقد صارت هذه الروابط موطدة الأركان ومدعمة الأساس بعد وصول صوت الإسلام إلى الهند بأيدى العرب وانتشار الدعوة الإسلامية فى ربوعها بفضل طليعة الدعاة المسلمين - من العرب والهنود - الذين تشبعوا بهذه الدعوة العالمية ، فقد برز عدد كبير من العلماء والمؤلفين من أبناء الهند ، فى اللغة

الدين المتقي البرهانجورى من رجال القرن
العاشر ، وهو ترتيب د جمع الجوامع ،
للسيوطى ، وانتفع به علماء الحديث كثيراً
واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم وأغنام عن
مراجعات كثيرة ، وكفى له نغراً في هذا
المضمار ما قاله عنه الشيخ أبو الحسن البكرى
الشافعى من أئمة العلم في الحجاز في القرن
العاشر : إن للسيوطى منة على العالمين ، وللمتقى
منة عليه ، ومنها كتاب د بجمع بحار الأنوار
في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، للشيخ
محمد طاهر الفتى السجراتى الذى كان إماماً بارعاً
في علم الحديث . وجمع في كتابه الذى يشتمل
على أربعة أجزاء كل غريب الحديث وما ألف
فيه لجاء كالشرح للمصاحح الستة وأوضح فيه
معانى القرآن الكريم والآثار المروية عن
النبي صلى الله عليه وسلم مع بيان لغاتها
وشرحها ، ويقول العالم الهندى الكبير صديق
حسن خان في وصف هذا الكتاب : وهو كتاب
متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر
في الوجود ، وله منة عظيمة بذلك العمل على
أهل العلم ، وقد ولد الشيخ محمد طاهر بن على
الفتى في مدينة (بكن) من مقاطعة كجرات
في غربى الهند سنة ٩١٣ هـ ، وبعد أن أكمل
دراسته في العلوم الدينية والآداب العربية
اشتغل بالتأليف باللغة العربية في مختلف
الفنون سيما فن الحديث ، ومن كتبه
الشهيرة أيضاً كتابه في حل غرائب مشكاة

وقد ولد الشيخ الصغانى في مدينة لاهور
الشهيرة (الواقعة في مقاطعة البنجاب الغربية)
سنة ٥٧٧ هـ واسمه الكامل : د رضى الدين
أبو الفضائل حسن بن محمد حيدر بن على
العدوى العمري الصغانى ، . ونشأ وتعلم
في د غزنة ، (بأفغانستان) في أيام الملك
د خسرو ، ثم سافر من غزنة إلى بغداد وأقام
فيها شهوراً ثم عاد إلى الهند ، ولما سافر إلى
الحج تنقل في البلدان العربية واتصل بعلمائها ،
وتوفى في بغداد سنة ٦٥٠ هـ .

ويقول صاحب كشف الظنون : إن الصغانى
مات قبل أن يكمل كتابه ، العباب الزاخر
في اللغة والتراكيب وبلغ فيه إلى دالميم ، ووقف
في مادة د بكم ، كما يبدو من يمين من شعره :
إن الصغانى الذى

حاز العلوم والحكم

كان قصارى أمره

أن انتهى إلى د بكم ،

وأن حسن بن محمد الصغانى أول من يدين
له علم اللغة العربية في الهند بالفضل ، ومن
مؤلفاته الأخرى في اللغة د بجمع البحرين ،
و د النوادر ، و د أسماء الأسد ، و د أسماء
الذهب ، و د أسماء الفار ، . وكذلك كتابه
الشهير د مشارق الأنوار ، في علم الحديث ،
وقد ظل يدرس مدة طويلة في كثير من
البلدان الإسلامية .

ومن الكتب العالمية التى ألفها العلماء الهنود
باللغة العربية د كنز العمال للشيخ على بن حسام

الفتوى ، ونقلوا كل عبارة معزوة إلى كتابها ولم يغيروا إلا لدعوى ضرورة وتوجد نسخ من كتاب « الفتاوى الهندية » في دار الإفتاء بالقاهرة ، ودار المكتب المصرية ، ومكتبة الجامع الأزهر .

ومن المؤلفات العربية الهندية في أصول الفقه كتاب « مسلم الثبوت » للعلامة محب الله ابن عبد الشكور الحنفى البهارى من رجال القرن الحادى عشر ، وقد لقي هذا الكتاب قبولا عظيما في الأوساط العلمية والمدرسية في الهند وبعض البلدان الإسلامية ، وتناوله عدد من كبار العلماء بالتدريس والشرح ، وكانت « لمسلم الثبوت » المذكور وهشة شروح لكبار علماء الهند في أصول الفقه وفنونه .

ومن مؤلفات رجال القرن الثانى عشر ، كتاب « كشف اصطلاحات الفنون » للشيخ « محمد على التهانوى » وهو بمثابة معجم عظيم لل اصطلاحات الهندية ، وقد وزق القبول الحسن لدى المشتغلين بعلم اللغة في بلاد العرب وأنثوا عليه كمعجم على يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب ، ولا يزال يعد المرجع الهام للؤلفين والباحثين في هذا الشأن ، وقد ألف الشيخ « عبد النبي بن عبد الرسول الاحمد نكرى » من رجال القرن الثانى عشر أيضا ، كتابا آخر في هذا الموضوع باسم « جامع العلوم في اصطلاحات الفنون » وقد اشتهر هذا الكتاب باسم « دستور العلماء » وهو في أربعة مجلدات ، ومجلده الرابع يعتبر

المصاييح ، وتوفى رحمه الله في عام ١١٨٦ هـ ، بعد أن ترك ثروة علمية كبيرة .

ومن المراجع الفقهية الكبرى التى عليها العمدة في كثير من الأنظار الإسلامية في المسائل الفقهية كتاب « الفتاوى العالمكيرية » الذى اشتهر في البلدان العربية « بالفتاوى الهندية » وهو في ست مجلدات كبار ، وتب على ترتيب كتاب « الهداية » في الفقه الحنفى ، ويقال : إن سلطان « أورنگ زيب » المشهور « بهالمكبر » قد وكل الشيخ العالم نظام الدين البرهانپورى في تدوين هذه الفتاوى باستخدام الفقهاء الاحفاد الكبار ، وبذل على تدوينها أكثر من مائة ألف جنيه في هذا العصر

وقد ذكر المؤلف أربعة وعشرين عالما ساهموا في تدوين هذه الفتاوى ، وقد تولى أربعة من كبار علماء الهند في ذلك العصر الإشراف على ترتيبها وتبويبها على أن يقوم كل واحد منهم بالإشراف على ربيع الكتاب وم القاضى محمد حسين الجونپورى المحتسب والشيخ على أكبر الحسينى أسعد الله خاني ، والشيخ حامد بن أبى الحامد الجونپورى ، والمفتى محمد أكرم الحنفى اللاهورى .

وقصارى القول هن « الفتاوى الهندية » أنها أجل الفتاوى والجاميع في كثرة المسائل وحل العقدة ، واقتصرنا فيها على ظاهر الرواية ، ولم يلتفتوا إلى النواذر إلا إذا لم يجدوا جواب المسألة في ظاهر الرواية أو وجدوا جواب النواذر موسوما بعلامة

يسر الله إتمامه على الصفا بحسب المسكرمة
المشرفة تجاه السكينة المعظمة، وكان يقول من
عاداته اليومية : « ما كنت أنام حتى أحفظ
ما في سطر ، وهذا يدل على قوته في الحفظ
وحرصه على إتقان العلوم المختلفة وتوفي
الشيخ الفاضل اللغوي الشهير السيد المرتضى
البلكراي الزبيدي في سنة ١٢٠٥ هـ حيث
كان قاضيا في (زييد) وجدير بالذكر أنه
عندما اشترى أمر هذا الكتاب في حياة
صاحبه استكتب منه الخليفة العثاني نسخة
والسلطان لدارفور نسخة ، وملك المغرب
نسخة ، وكذلك طلب منه أمير اللواء محمد
بك أبو الذهب نسخة ، وجعلها في مكتبة
مسجده الذي أنشأه بالقرب من الأزهر . وقد
بذل العلماء وولاة الحكومة في تلك العصور
الجهود الباقية لشراء (تاج العروس) بأثمان
باهظة كمنه (القاموس المحيط) .

وننتقل الآن إلى أعظم كتاب وضع
في أواخر القرن الثاني عشر وهو كتاب « حجة
الله البالغة » للإمام شاه ولي الله الدهلوي المتوفى
سنة ١١٧٦ هـ ، في أسرار أحكام الشريعة
وفلسفة التشريع الإسلامي ريعد كتابا مبسكرا
في موضوعه وأسلوبه العلمي ، وقد أعيد طبعه
وتخريج في مصر مرارا وأجله علماء هذا
الموضوع . ويقسم كتاب « حجة الله البالغة »
بنصاعة العربية وقوة العبارة وبعمقها عن
السجع البادر وتقليد أسلوب الحريري .
ويمتاز القرن الرابع عشر الهجري بسرعة

كلحق للمجلدات الثلاث الأولى ، وقد ولد
الشيخ عبد النبي في مدينة « أحمد نكر » بالهند ،
ونشأ فيها وتعلم ثم تولى منصب القاضي في نفس
المدينة ، وله مؤلفات عربية أخرى عديدة .
ومن مؤلفات القرن الثاني عشر أيضا
كتاب « تاج العروس في شرح القاموس »
للسيد المرتضى بن محمد البلكراي المشهور
« بالزبيدي » وهذا الكتاب مكتبة لغوية
علمية عظيمة في عشرة أجزاء كبار ، طبع
في مصر باسمه الكامل (تاج العروس في شرح
جواهر القاموس المحيط) للإمام محمد الدين
الفيروز آبادي وقد طبع المثنى على حاشيته
كما كتب المؤلف مقدمة مفصلة ألقى فيها ضوءا
على حقيقة اللغة ومدارج علمائها وتراجم من
سبقه منهم بالتأليف في علم اللغة وقد زار
السيد المرتضى (الزبيدي) كثيرا من البلاد
العربية ، وفي سنة ١١٢٧ هـ سافر إلى مصر
واشتغل بالعلم واجتمع بالعلماء وذاع صيته
بينهم وتم تأليف (تاج العروس) في سنة
١١٨١ هـ . واشتملت الصفحات الأولى من
الكتاب على مصطلحات القاموس جمعها
الشيخ (الهروي) .

وقد طبع كتاب (تاج العروس) مع
مقدمة باللغة الإنجليزية للأستاذ الأديب
(لحدن) في كلكتا قبل أن يطبع في مصر
وكان في أربعة مجلدات ضخمة . وقد ألقى
في مقدمته أيضا اسماء المؤلف والكتاب
واختتم المؤلف كتابه بهذه الكلمات : « قد

د شاهجان بيجوم ، التي كان يحكمها حينذاك .
وله مؤلفاته القيمة في الأردية والفارسية .

واللهيخ د هبـد الحى بن عبد الحليم
السكرهوى ، (١٣٠٤ هـ) ستة وثمانون
كتاباً في اللغة العربية ، ومن أشهرها كتاب
السماية في شرح الوقاية ، ود مصباح
الدجى ، ود ظفر الأمانى ، ود التعليق
الممجد ، ، وقد ألف د محمود حسن خان
التونكى ، المتوفى سنة (١٣٦٦ هـ) كتاباً
ضخماً باللغة العربية سماه د معجم المصنفين ،
ويعد كدائرة معارف في هذا الموضوع ،
ويشتمل على ستين جزءاً في عشرين ألف
صفحة مطبوعة ، ويحتوى على تراجم أربعين
ألفاً من المصنفين ؛ وناهيك من قيمة
الكتاب وسعته واستقصائه ، أن فيه تراجم
ألفين من المؤلفين كلهم يسون أحمد ، وقد
لخص في كتابه نحو ألف وخمسمائة كتاب قيم ،
هذا ، وقد ذكر فيه كل من ترك بالعربية
كتاباً منذ بدء العهد التأليفي إلى سنة ١٣٥٠ هـ
وظهرت منه أربعة أجزاء طبعت في بيروت
على نفقة حكومة حيدر آباد ، والأجزاء
الباقية محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدر
آباد ، ونرجو أن ترى هذه الأجزاء أيضاً
النور السكى يستفيد بها عشاق هذا الموضوع
في الأقطار العربية والإسلامية ؟

(يتبع)

عبد الربيع اللؤلؤى

التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة الإنتاج
في اللغة العربية في الهند ، وقد قام بعض المؤلفين
بوضع مؤلفات قيمة وبجامع هدية في مستهل
هذا القرن . فأما الأمير د صديق حسن خان
القانوجى ، أمير د بهوبال ، بالهند ، المتوفى
سنة ١٣٠٧ هـ فكان عالماً جليلاً مولعاً
بالتأليف والنشاط العلمى ويبلغ عدد مؤلفاته
حوالى ٢٢٢ مؤلفات واثنين وعشرين كتاباً ،
منها ستة وخمسون كتاباً في اللغة العربية ،
وفيها كتب ذات قيمة علمية كبرى مثل د فتح
البيان في تفسير القرآن ، في عشرة مجلدات
كبار ، ود أجمد العلوم ، ود التاج المسكل ،
في أصول اللغة ، ود العلم الخفيا في علم
الاشتقاق ، . ومن أغرب كتبه في علم اللغة
د لف القاط على تصحيح ما استعمله العامة من
المعرب والدخيل والمولد والأغلط ، وقد
أشار فيه المؤلف إلى أخطاء الناس في المحاورات
العربية ، وطبع هذا الكتاب في د بهوبال ،
سنة ١٢٩١ هـ ويليه في الأهمية كتابه
المعروف د البلغة في أصول اللغة ، حيث سرد
فيه المؤلف تاريخ علم اللغة وتعريفه وتطورات
وطبع أيضاً في بهوبال سنة ١٢٩٤ هـ .

وقد ولد د صديق حسن ، في مدينة د بريلي ،
في شمال الهند سنة ١٢٤٨ ثم ذهب إلى مدينة
د قنوج ، التي يعرف منسوباً إليها ، ودرس علم
الحديث على القاضي زين العابدين محمد الانصارى
البنائى ، ثم سافر إلى الحجاز وبعد عودته منها
إلى الهند انتقل إلى بهوبال وتزوج بأمرتها

مَكَانُ الْفَقِيرِ الْإِسْلَامِيِّ

لِلأُسْتَاذِ زَكَرِيَّا الْبَرْي

- ١ -

ترك فقهاء المسلمين - رضوان الله عليهم - ثروة فقهية مثرية ، توجه المسلمين إلى الحق والخير ، وتهديهم سواء السبيل ، وتصنع لهم أساس الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة . وقد اشتملت تلهم الثروة المباركة ، على قواعد كلية ، ونظريات عامة ، وأحكام فوهية بلغت منتهى الروعة ، وغاية التطبيق الحق لمعنى العدل الذى قامت به السموات والأرض ، فى صياغة متقنة ، وتعليل وتحليل ، ودقة بالغة ، أدهشت العلماء فى شرق الدنيا وغربها ، فارتفعت أصواتهم - وإن لم يؤمنوا بها كدين وشريعة إلهية - بالإعجاب والإكبار ، وجحدوا بها واستيقظتها أنفسهم ظلماً وعلواً ... (١)

يقول مستشرق مجرى : «إن الفقه الإسلامى واسع جداً إلى درجة أننى أعجب كلما فكرت فى أن المسلمين لم يستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادهم وزمانهم » (٢) .

وفى المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى

انعقد فى مدينة لاهاى سنة ١٩٢٧ قرر المؤتمر بإجماع الآراء :
أولاً : اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .
ثانياً : اعتبار الشريعة الإسلامية شريعة حية صالحة للتطور .
ثالثاً : اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها ، وليست مأخوذة من غيرها .

وفى يوليو تموز سنة ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولى للحقوق المقارنة ، مؤتمراً فى كلية الحقوق بجامعة باريس ، للبحث فى الفقه الإسلامى ، تحت عنوان « أسبوع الفقه الإسلامى » برئاسة المسيو ميو الأستاذ بكلية الحقوق فى جامعة باريس ، دعت إليه عدداً كبيراً من أستاذة كليات الأزهر والحقوق فى العالم العربى والبلاد الأوروبية وكبار المحامين والمستشرقين واستمع فيه المؤتمر لبحوث فقهية إسلامية من علماء المسلمين المعاصرين ، فى موضوعات خمسة هى :

(١) لإثبات الملكية . (٢) الامتلاك للصلحة العامة . (٣) المسئولية الجنائية .

(١) الآية ١٤ من سورة التل .
(٢) مجلة الحاماة العربية سنة ١٩٢٩ - العدد الأول ص ٥ .

فى بلاد أوربا ، قد اتخذوا من محمد بن الحسن الشيبانى ، الفقيه الحنفى ، أبا ورائد لهم ، وألقوا باسمه جمعية خاصة ، تبحث فيما كتبه وخلفه ذلك الفقيه من تراث فقهى مجيد ، لأنه - كما قالوا بحق - د خليف بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولى العالميين ، وإننا لانرى ذلك - وغيره كثير وكثير - لنستخذ منه حجة لمكانة الفقه الإسلامى ، أو شرقا إضافيا نضمه إلى شرفه الذاتى ، فإن الأمر لا يحتاج إلى ذلك مطلقاً ، وإنما نذكره لنفتح أبصارنا وبصائرنا على ما بين أيدينا من خير وبركة ، وثروة نرجو لها النماء والازدهار .

نقصه ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، ويزول التردد والحيرة من نفوس الذين لم تسعدهم ظروفهم الثقافية بالتعرف على المبادئ والأحكام الإسلامية تعرفاً صحيحاً كاملاً ، حيث يقرءون كلمات الثناء والإعجاب من غير المسلمين ، وهم موضعهم الدين خصوصاً لما ه والفضل ما شهدت به الأعداء .

وقد أدرك مكانة الفقه الإسلامى ، على بينة وبصيرة ، كثير من فقهاء المعاصرين ، يقول أستاذنا الدكتور السنهورى : الفقه الإسلامى إذا أحيت دراسته ، وانفتح فيه باب الاجتهاد ، قين بأن يثبت قانوناً حديثاً ، لا يقل فى الجودة وفى مساهمة العصر من القوانين اللاتينية والجرمانية ، هذه هى عقيدتى

(٤) تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها فى بعض (٥) نظر الربا فى الإسلام (١) .

فلم يتالك أحد نقباء المحامين السابقين فى فرنسا نفسه وهب قائلاً :

كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامى ، وهضم صلاحيته أساساً تشريعياً ، يعنى بحاجات المجتمع المصرى المتطور ، وبين ما نسمعه الآن مما يثبت خلاف ذلك تماماً براهين النصوص والمبادئ . ثم انتهى المؤتمر إلى اتخاذ القرارات الآتية بالإجماع :

أولاً : مبادئ الفقه الإسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها .

ثانياً : اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، هى مناط الإعجاب ، وبها يتمكن الفقه الإسلامى من أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها .

ثالثاً : التوصية بإخراج موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات القانونية والإسلامية وفقاً للأساليب الحديثة (٢) .

كما أن فقهاء القانون الدولى المعاصرين

(١) ألقى هذا البحث للمرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دواز ، ونشرته مجلة الأزهر ومجلة رسالة الإسلام ونشرته مستقلاً باللغتين العربية والفرنسية .

(٢) الفقه الإسلامى لثوبه الجديد الأستاذ مصطفى الزرقا ١ المدخل الفقهى العام من ص ٦ - ١٠ . وبه النص الفرنسى الأصل للقرارات ص ٨ .

ومن هذه المبادئ أيضاً - نظرية التعسف في استعمال الحق^(١) ، لم يأخذها التقنين الجديد من القوانين الغربية فحسب ، بل استمدها كذلك من أحكام الفقه الإسلامى ، ولم يقتصر فيها على المعيار الشخصى الذى اقتضت عليه أكثر القوانين ، بل ضم إليها معياراً موضوعياً فى الفقه الإسلامى يقيد استعمال الحق بالمصالح المشروعة ، ويتوقى الضرر الجسمى الذى قد يصيب الغير من استعماله .

وكذلك الأمر فى حوالة الدين أغفلتها القوانين اللاتينية ، ونظمها القوانين الجرمانية متفقة فى ذلك مع الفقه الإسلامى ، فأخذ بها التقنين الجديد ، ومبدأ الحوادث الطارئة أخذ به بعض التقنينات الحديثة ، فرجح التقنين الجديد الأخذ به استناداً إلى نظرية الضرورة ونظرية العذر فى الفقه الإسلامى^(٢) .

ومن الأحكام التى استحدثها التقنين الجديد مسائل تفصيلية ، اقتبسها من الفقه الإسلامى ، ومن هذه المسائل الأحكام الخاصة بمجلس العقد ، وإيجار الوقف ، والحكر ، وإيجار الأراضى الزراعية ، وهلاك الزرع فى العين

فى الفقه الإسلامى ، تكونت لا من العاطفة والشعور فحسب ، بل تضافر فى تكوينها الشعور والعقل ، ويمكن لها شئ من الدرس ، وأكثرها كان درسى للفقه الإسلامى عند وضع القانون المدنى العراقى ، فإن هذا القانون مزاج صالح من الفقه الإسلامى والقانون المصرى الجديد ، فأتاح لى اطلاعاً على نصوص الفقه الإسلامى ، سواء أكانت مقننة فى مجلة الأحكام العدلية ، ومرشد المهران ، أو كانت معروضة عرضاً فقهاً فى أمهات الكتب ، وفى مختلف المذاهب - أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابتداع ، وما يمكن فيه من حيوية وقابلية للتطور^(٣) .

وقد استقى قانوننا المدنى الجديد ، من الفقه الإسلامى ، بعض المبادئ والأحكام ، التى سادت ما أحس به رجال التشريع من نقص فى القانون المدنى القديم ، وقد استحدث التقنين الجديد أحكاماً استمدها من الفقه الإسلامى ، وبعض هذه الأحكام الجديدة مبادئ عامة ، وبعضها مسائل تفصيلية ، فمن المبادئ العامة التى أخذ بها النزعة الموضوعية التى تغفل كثيراً عن نصوصه : وهذه هى نزعة الفقه الإسلامى ... أثرها التقنين الجديد على النزعة الذاتية التى هى طابع القوانين اللاتينية ، وجعل الفقه الإسلامى محمداً فى الترجيح .

(١) أنظر البحوث المأثورة عن هذه النظرية فى الفريعة الإسلامية فى أسبوع الفقه الإسلامى المنعقد بدمشق سنة ١٩٦١ ، فى كتابه طبعه المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

(٢) أنظر فى ذلك رسالة الأستاذ محمد عبد الجواد .

(٣) مجلة القضاء المراقبة ١٩٦٥ - العددان الأول والثانى (القانون المدنى العربى) .

أن تعباً الجهد فى كل مكان ، لهذه الغاية الجيدة ، وقد نادى تقرير الميثاق الوطنى بوجوب العناية و بكشف حقيقة الدين ، وتجليه جوهر رسالته ، لئلى تكون قيمته الروحية الخالدة أساساً لقيم المجتمع الجديد ، ولئلى تكون الشريعة الفراء مصدرأ أساسياً للتقنين ، الذى يجب أن يكون فى منطقته وأسلوبه فقها إسلامياً خالصاً ، لا مجرد محاكاة للقوانين الغربية ...

وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا الباب قد توحدت ، فبأنى القانون ايدعم من وحدتها ، وقد تكون فى طريقها إلى التوحيد ، فيكون القانون عاملاً من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل حال رمزاً لهذه الوحدة (١) .

وسنعرض فيما يلى المنهج القرآنى الخالد الذى يضمن لهذا الفقه حيويته ومرونته والذى وضع الله أساسه وباركه ، ليحقق للناس والانسانية جمعاء ، الخير والعدل واليسر والرحمة فى الدنيا ، بحيث يمدون سعة من كل ضيق ، وفرجا من كل شدة و صنع الله الذى أتقن كل شىء ، إنه خير بما تفعلون ، ؟ (يفتح)

تركيب البرى

الاستاذ بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

(١) للمصدر السابق .

المؤجرة ، وانقضاء الإيجار بموت المستأجر وفسخه للعدر ، ووقوع الإبراء من الدين بإرادة المدين وحده ، (٢) .

ثم جاوز القانون المدنى هذا وذاك ، وجعل الفقه الإسلامى مصدراً من مصادره الرسمية ، حين نصت مادته الأولى على أنه إذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه حكم القاضى بمقتضى العرف ، فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية

وقد ذكر الدكتور السنهورى أن السبب الذى جعل المشرع المصرى - فى الماضى - لم يخط الخطوة الحاسمة فى جعل القانون المدنى مشتملاً فى مجملته وتفصيله من الفقه الإسلامى هو أن المجتمع المصرى قد حكم منذ قرابة قرن بقوانين مدنية غربية باعادت ما بينه وبين الفقه الإسلامى ، فأصبح الرجوع لجأه إلى الفقه الإسلامى عسيراً ، لما يحدث من قلقلة فى التعامل ، ومن بلبلة فى التفكير القانونى ، وأنه لذلك يتربص حتى يكتمل تطور الفقه ، (٣) .

وقد آن الأوان ، بعد طول التربص والانتظار ، وكثرة الترقيع فى ثوب القانون ،

(١) الوسيط فى شرح القانون المدنى لأستاذنا الدكتور السنهورى - ١ ص ٤٧ .

(٢) مجلة القضاء العراقية - العددان الأول والثانى لسنة ١٩٦٢ (القانون المدنى العربى لأستاذنا الدكتور السنهورى) .

الرجز في اللغة والأدب

لأستاذ يوسف حسن نوفل

الجاهلي ، سهولة وزنه ، وعدم احتياجه إلى حركات الإعراب نظراً لسكون آخره ، وهنا نجد الحيط الذي يفصل الظاهرة القديمة إلى الظاهرة الحديثة ، إذ تقرر الظواهر اللغوية سهولة المقاطع الساكنة في العربية وشموعها في كلامنا المعادي .

فالعربي الذي يحدو ناقته تهووب مع إيقاع خطوها بهذا الوزن ، ولهذا فإن البكري يشبه الرجز بالنقاة الرجزاء التي تتحرك وتسكن ، ثم تتحرك وتسكن^(١) ، وكذلك جورج زيدان يشبه توقيع الرجز بمشى الجبل الهويني^(٢) .

وإن خالفنا في ذلك أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس إذ يوافق على تقدم وزن السكامل لسائر البحور ، إلا أن سهولة هذا البحر ، وما يصلنا عن مرهارة أرجال شعرائه فيه ، يجعلنا نؤكد ما نذهب إليه ، من ذلك : ما رأه رؤية حين كبت عجز فارتجف قائلاً :
تنح للعجز عن طريقها

إذ أقبلت رائحة من سوقها^(٣)
وإذا كانت الدواوين الحديثة لا تسكاد
تخلو من هذا البحر ، فإن هذا يدل على ذكاء

لو تصفحنا مجموعات الشعر العربي على كثرتها كالمفصليات (٧٨٠ م) ، والمعلقات ، وجمهرة أشعار العرب (أواخر القرن التاسع) ومنتمى الطلب (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) وحاسة البحري ، وحاسة أبي تمام ، والمنتهى من أدب العرب ... الخ . لرأينا الكثير من أبيات بحر الرجز . وسوف نلاحظ في هذا البحر ظاهرتين ، إحداهما : قديمة وتتصل باللغة ، والثانية : حديثة وتتصل بالشعر .

أما القديمة فهي شموع الأراجيز في مجال الاستشهاد النحوي واللغوي ، وأما الحديثة فهي ميل الشعر الحديث إلى تفعيلة الرجز واستخدامه لها وهي ما أستعمل به البحث .

الرجز في الشعر الحديث :

مال الشعر الحديث إلى استخدام الرجز ، وأكثر من ذلك ، فإننا نرى الشعر الأوربي يحفل بهذا الوزن أيضاً ، وبخاصة التفعيلة المخبونة (متفعّلن = ٥// ٥//) ، وهذا البحر وهو (الإيamb) جرى على ألسنة فحول الشعراء الغربيين .

ولنرجع إلى تايخ البحر نفسه ، وسوف نجد بهجراً شعبياً - إن صح هذا التعبير - مما يرجح أنه أول ما جرى على لسان الشاعر

(١) أراجيز العرب ص ٣ .

(٢) آداب اللغة العربية ص ٦١ .

(٣) الأغاني ج ٢١ ص ٦١ .

نتاجا محليا ، يخدم الموقف أكثر من أن يكون
مثلا لمعاطفة إنسانية أو قضية عامة ، وضم
لغات : طيء وهذيل وبنو العنبر وبنو المهجم
وبنو الحارث .

والتصاق الأرجوزة ببينتها يتراسل مع
تناول للشعر الحديث لقضايا العصر المعقدة ،
وفي كلتا الحالتين يتجاوز الشعر العالم الذاتي
الداخلي إلى أرض الواقع الجماعي .

ويجتمع التاريخ القديم والحديث في ظاهرة
واحدة وهي قصر قصائد الرجز ، فلم تطل
الأراجيز الجاهلية ، بينما طالت على أفواه
الخنضرمين والإسلاميين ، حيث استحدث
المولدون ألوانا جديدة (اعتمادا على كثرة
توسع العرب فيه)^(١) .

وما أظن الحديث إلا مكرورا حين أشهر
إلى أن التفعيلة مستخدمة في الشعر الحديث
منذ أولى محاولاته (١٩٤٧) ، وكان الرجز
أحد المحوريات التفعيلات الموحدة والمكررة
بنصها ، فكانت ممارسة الشعر الحديث له ،
ممارسة للتفعيلة لا للسكبية ، تماما كما حدث
في (البند العراقي)^(٢) .

وتفعيلة الرجز (مستعلن) قد تأخذ
الصور التالية :

مستعمل ، متفعلن ، مستعلن ، متعلن ،
(نادرا) ، فعولن (وهي غير مقبولة) .

(١) موسيق الشعر . د . إبراهيم أنيس .

(٢) قضايا العصر الأمير : (نازك الملائكة) ،
(الشعر الحر والجمهور) .

شاعر اليوم ، كما يدل على أقصى مدى ما بلغه
الرجز ، فقد أهمل قديما ، ثم استعاد مكانته
مع التجديد الذي خلق الموشحات والأزجال
ومع الازدهار العباسي ، ثم في العصر الحديث
على أن شعبية هذا البحر تحققت له حين
اختارته الأشعار العامة نمطا مفضلا لإيقاعها
واجتمع إلى ذلك تعلق شعبي قديم ، وقد جرى
على لسانه صلى الله عليه وسلم دون قصد إليه
كما قرر ابن بري مثل قوله حين جرحته يده :
ما أنت إلا لأصبع دميت

وفي سبيل الله ما لقيت
وقوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
واقترح لحول الشعراء في القرن الثاني
والثالث والرابع بل والخامس بحفظ الآلاف
منه ، وكان من الوصايا الشهيرة قولهم : رروا
أبناءكم الرجز فإنه يهت أصدقاؤهم .

وفي ظاهرة الاختلاف في نسبة الأراجيز
لقائلها ما يؤكد هذه الشعبية ، حيث عده
الرواة من الأدب الشعبي الجاهلي كما قرر
الباقلائي وهذوه (مطية الشعر وحمارة الشعراء)
وجعلوه مع ذلك (ديوان العرب) ، ورغم
هذا فما بين أيدينا منه نسبة ضئيلة إلى جانب
أنه لم يطل برأسه في عصر التدوين .

وقد مثلت الأراجيز لهجات العرب من
كشكشة ، وعننة ، وعجمجة وضمت خصائص
لغوية عديدة مثلت بذلك أدب القبيلة فكانت

وموقف من يلمقط هذه الإفرازات اللغوية
ليضيفها إلى سلسلة بحوثه في سبيل تكوين
نظرية ، أو بناء قاعدة ... وهذا هو النحوى .
ولعله هنا يلتزم تلك النصيحة التى أسداها

الجاحظ بقوله : « ومتى سمعت - حفظك الله -
بنادرة من كلام العرب فيأيك أن تحكيها
إلا مع إعرابها وخارج ألفاظها » (١) .

وتبعاً لذلك رأينا فى كتب اللغة الاستشهاد
بالأراجيز ، ووجدناها بمثابة للهجاء قبائل
معينة - كما أشرت - كما أنها تدور بين :
الشدوذ ، ومخالفة القياس ، والضرورة ،
والندوة ، والنزام لغة معينة كلغة بنى الحارث
ابن كعب ، أو بنى الهجيم أو طىء أو هذيل (٢)
وليس . منى هذا أن الاستشهاد بالأراجيز

كان أكثر من البحور الأخرى ، فإذا
سلكنا طريق الإحصاء رأينا فى أوضح
المسالك مثلاً نسبة الاستشهاد بالرجز أقل
من ١٥ ٪ ، وشيوع الرجز فى مرجع
كالأغانى فى حدود ٤ ٪ فى الأجزاء الاثنى
عشر الأول ، وفى الدراوين نجد النسبة فى
ديوانى جرير ، والمتنبى لا تزيد عن ٢ ٪ ،
وفى ديوان الفوزدق وعدده تسعمائة وسبعة
آلاف بيت نجد الرجز منها ستة وثلاثين
بيتاً فقط .

ويأتى تاماً ، ومسطوراً ، ومجزواً ، ومنهوكاً
ومنه المزدوج ، وهو ما تختلف فيه قافية
البيت عن سابقه وتاليه ، مع اتفاق عروضه
مع ضربه .

الرجز فى مجال اللغة :

تصر نتائج الدراسات الصوتية على أن
اللغة بنت بيئتها وتلتق بأراء يتفق حولها
تقريباً كل من : فيرث ، وماليونفسكى من
أن اللغة ظاهرة اجتماعية كالعادات والتقاليد ،
وأنها من خلق الإنسان ، ونتاج جسمه ،
وهقله لا عقله فقط ، والإنسان جزء من
بيئته التى يعيش فيها ، ويمثل لها ، ولهذا فإن
اللغة كسائر الأعمال ، ولهذا فلا بد من تحديد
بيئة الكلام المدروس (٣) .

ولقد تابع النحاة الأراجيز على أنها بمثابة
للغة بيئتها ، وإذا وافقنا (ابن خلدون)
فى قوله : (إن العلم بقوانين الإعراب إنما
هو علم بكيفية العمل وليس هو نفسه
العمل) (٤) ، أمكننا أن نميز موقفين
متقابلين : موقف من يملك مسلكاً لغوياً
مستخدماً ألفاظاً معينة بمثابة حلقة من حلقات
نشاطه الإنسانى الضخم ، وبمثلة أيضاً لضرب
من العمل يدور فى بيئته ... وهذا هو الرارجز .

(١) دور الكلمة فى اللغة : س أولمان Olman
ترجمة د كمال بقر

(٢) المقدمه ص ٦٥٥ ، اللغة والمجتمع
د السمران ص ٧

(١) البين والبين ج ١ ص ١١١
(٢) أمثلتها كثيرة ارجع للأشونى ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥

إصرار رؤية على أكل الفأر وقسمه أنه :
 « أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي
 يأكلن القدر... إلخ » .

وإصراره على تسمية دار الصيافة بالبصرة
 دار الظالمين (١) ... فن الناحية النفسية نجد
 الحدة ، وقوة الشخصية ، والجرأة أبرز
 مظاهر هذا الشاعر ، فإذا ربطنا ذلك بتفسير
 معنى السليقة كانت الصورة أكثر اتضاحا .
 يقول الشاعر العربي :

ولست بنحوى يلوك لسانه

ولكن سليقي أقول فأعرب
 فهل معناها : الطبيعة ، والقدرة على
 الإعراب خصب ؟ ... لا ، لأنها تمنح صاحبها
 قوة التصرف في فنون القول اشتقاقا وتعريبا
 وقياسا على ما وضعته العرب ، فهنا ما يشهد
 إلى إمكانية الابتكار والجهود الشخصية .

غير أن هناك تفسير آخر يعد السليقة لغة
 يتكلم بها البدوي ، وتكون حسنة في الذوق
 متعثرة في النحو (٢) ، أي أنها بمثابة ليونة
 صاحبها ، وقد كان بدويا خالصا ، بعيدا عن
 الدخيل الذي تسرب إلى العربية منذ عهود
 الجاهلية نتيجة اتصالات العرب بغيرهم لكنه
 ضل طريقه للبدوي .

وهنا نجدنا أمام التصرفين : تمثيل البيئة ،

ولكن الملاحظ أن الاستشهاد في الرجز
 غالبا - يؤكد خلاف الأصل ، ولتعليل ذلك
 لابد من استعراض كلا الموقفين : موقف
 الراجز ، وموقف الغوى . أما الراجز
 فهو أمام تصرفين : تصرف تمليه البيئة ،
 يجعله يضمن أشعاره صورا لفظية تعيش حقا
 ببيئته . وتصرف آخر ، يجعله يخترع اللفظة
 اختراعا ويرتجلها ارتجالا .

وقبل أن نرجح تصرفا على آخر نلم بشيء
 صريح عن الراجز لعله يضيء لنا الطريق
 ولنتكثف برؤية والمعاج ، وما يقال منهما
 يدعو إلى التقدير والدهشة مما يرفعهما
 درجات فوق أبي النجم وذو الرمة وغيرهما
 من الراجز .

فمن رؤبه يقول صاحب الأغاني : (وقد
 أخذ منه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون
 به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماما) ، ولما
 عاد الخليل بن أحمد من جنازته قال :

(دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم) .

وهو والمعاج أشعر الناس في نظريونس
 وأرجوزة المعاج التي مطلعها :

« قد جهر الدين الإله فجهر » .

التي كانت موقوفة القوافي ولو أطلقت
 كلها لكانت منصوبة ، على مدى ما نرى بيت
 تستثير إعجاب يونس .

هذا هو جانب التقدير ، أما جانب الدهشة
 وله تعليل نفسي خطير ، فما يروى عن

(١) الأغاني ص ٨٥ - ٦٠ - ٢١ مطبعة التقدم

(٢) مجلد المجمع الغوى . مؤخر الأوردة الثلاثين

د محمد كامل حسين .

وهكذا نرى الرجز بكل دورة تاريخه الطويل ليحتل مكانا بارزا في الشعر الحديث بتفصيلاته المسكورة .

كما رأينا أن الرجز كان ممثلا لبيئته وللهجة القبائل ، وأنه جمع إلى الشذوذ ، الموافقة للأصل فبينما يقول الرجز :

أقلت : لبيبة . لمن يدعوني .

بإضافة لبيبة إلى ضمير الغائب ، بشذوذ . نراه يلتزم القاعدة في قوله .

فصيروا مثل كعصف ما كول .

حيث نصبت صيروا مفعولين بلا شذوذ (الأشعري ج ٢) .

والرجز إلى ذلك مبتكر أيضا .

أما اللغويون فقد وضعوا في الرجز وعدلوا فيه بما يوافق هواهم ، ولعل هذا هو سر ما أثير حول الرجز بما روى أن الخليل لم يدمه شعرا^(١) ، وبما حدا بأحد الباحثين المحدثين للتحمس لفكرة هدم نسبة الشواهد إلى أقوال العرب المسأورة وأشعارهم (٢) .

يوسف محمد نوفل

المدرس ببورسعيد

والابتكار فإلى أيها انعطف الرجز ؟ إذا أخذنا بنتائج علم النفس الموسيقى الذي يقرر أن هناك ميلا غريزيا فنيا لتجميع المقاطع المسموعة ، وجعلها كتلا صوتية تتألف كل كتلة من هذه مقاطع تشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة (موسيقى الشعر ص ٥) لسكان علينا أن نسلم بالابتكار للرجز ، ولكن ليس هناك ما يمنع من أنه يمثل لبيئته ، ومبتكر أيضا .

أما اللغوي فهو أمام عدة احتمالات ، إما أن الرواية وصلته بحرفة بعدد من الراوي أو بنهر حمد ، وهو هنا يأخذ عنه الأعرابي بثقة ويقين .

وإما أن اللغوي يصنع ما يقوى رأيه ، وربما كان ذلك أقرب إلى الصدق والبرهنة ، ففي ظاهره اختلاف الرأي حول قائل الأرجوزة ، مما يثبت الجهل بقائلها وما يطالبها بطابع الشعبية - برهان أول .

وبرهان ثان فيما نراه من رواية الشاهد برواية في كتب الشعر تخالف الرواية التي وردت بكتب الأدب ، فالشاهد :

وقائم الإهراق حاوي المخترقن :

نجدد هكذا بالأشعري (ح ١ ص ٣٢) قاله وؤبة ، بينما نجدد في الأغاني : حاوي المخترق بلانون (٢١٥ ص ٥٨) ، وفي أراجيز العرب أيضا (ص ٢٢) وتظل القافية هكذا على مدى خمسة وثمانين بيتا .

(١) لعان العرب ج ٧ ص ٢١٦ الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ .

(٢) دراسات نقدية في النحو العربي د عبد الرحمن أيوب .

كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا

لدأستاذ محمد السباعي محمد عامر

من الأئمة الذين عرفوا بالقراءات المختلفة واشتهروا بها وقصدوا فيها وأفنوا أعمارهم في إتقانها وضبطها والإقراء بها في أمانة لم تنفق لأى كتاب سيمارى آخر والسر في إنزال القرآن الكريم بوجوه يخالف بعضها بعضاً أن قبائل العرب المنتشرة على رمال الصحراء لم تجمعهم لغة واحدة فمنهم من ينطق - بالإمالة لا يحسن غير ذلك، ومنهم من ينطق بالتقليل لا يحسن غير ذلك ومنهم من يهمل ، ومنهم من لا يهمل ؛ فلو نزل القرآن بوجه واحد لهم جميعاً لعجزوا عن قراءته والاستفادة منه والتدبر فيه . كيف وقد أمروا بقراءته في الصلاة وفي غيرها لهذا اقتضت حكمة الله تعالى الرفق بهم والتخفيف عليهم ودفع الحرج عنهم قال تعالى . . . ولقد يسرنا القرآن للذكر ، ، ولما زالت هذه الضرورة بعد فترة من الزمن وانطلقت به ألسنتهم وسهل عليهم جميعاً أن يقرؤوه بوجوه كلها في زمن عثمان ورضي الله تعالى عنهم جميعاً اقتصر عثمان ذو النورين على بعض هذه الوجوه وأبقاه في المصحف كأساس جامع للقراءات المتواترة كلها التي ثبتت في العرصة

القرآن هو الكتاب المعجز المنزل من عند الله تعالى بألفاظه ، ووجوه قراءاته، وترتيبه وأدائه على رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ للهداية والتشريع ، فهو الأساس والمصدر الجامع لأصول الدين وفروعه، والنص الكامل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد تكفل الله تعالى بحفظه وبقائه دون تغيير بزيادة أو نقص أو إخلال بتلاوته وقراءته التي نزل بها قال تعالى : . . . ولما نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، . . . ولهذا هيأ له من الجهود والعزائم الصادقة ما يجعله سارياً في الأمة كلها على اختلاف أعمارها وأصنافها سريان العافية في الأبدان والنور في الظلام . فكان للنبي عليه الصلاة والسلام بضع وعشرون كاتباً يكتبون ما ينزل منه . في حينه وبعضهم كان يلازمه ملازمة تامة لا شئ سوى كتابة القرآن كزيد بن ثابت وكان يقرئ من يحضر مجلسه من أصحابه ما نزل في حينه كذلك، ويخص كل واحد منهم بقراءة متميزة عن قراءة غيره أي عملها غيره من الصحابة أو التابعين ، هؤلاء يعملون غيرهم

رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا أم ورقة
بفت عبد الله بن الحارث وكان النبي عليه
الصلاة والسلام يسميها الشهيدة وقد أذن لها
أن تقوم قومها ، وكان لها مؤذن خاص ، كذلك
أورده السيوطي في الإتقان ومعلوم أن رسول
الله عليه الصلاة والسلام كان يرتل القرآن كما
أنزل إليه في صلاته وخطبه وسائر شئونه
فتعلموا منه القرآن والترتيل جميعاً ...

وكان جبريل يعارضه به في رمضان من كل
سنة فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه
بالقرآن مرتين ليعلمه أصول التجويد والتلاوة
الصحيحة التي يجب أن يؤدي بها القرآن ،
ولامور لا نطيل بذكر بعضها .
الجميع الثاني :

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام
بأشهر جمع القرآن مرة ثانية في السنة الحادية
عشر من الهجرة في خلافة أبي بكر الصديق
حين كثر موت القراء بموقعة اليمامة وهو
زمن يسير لا يخفى معه من ذهاب شيء من
القرآن لا في أصله ولا في أدائه ، ولا يزال
صدى صوت الرسول ونفاته الشريفة المباركة
في أسماعهم وقلوبهم ، وهذا أعظم نعمة وفضل
من الله تعالى على الأمة إذ وفقها وهداها إلى
الجميع الثاني في عهد الصديق علي بن زيد
ابن ثابت الذي رضي به الرسول عليه الصلاة
والسلام واختاره لهذه المهمة من قبل لاماته

الأخيرة وأحرق ما سواها من المصاحف
المشتبهة على الوجوه الأخرى .
والذي لا ريب فيه .
أن القرآن جمع ثلاث مرات :

أولاهما : في عصر النبوة فقد كتب كله بين
يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام وبأمر
منه في أوراق متتابعة كما كتب كله بأيدي
الصحابة رضي الله عنهم في عصره عليه الصلاة
والسلام كتابة متفرقة غير مرتب الآيات
والسور ، على العظام والجريد وقطع الجلد
والحجارة : والغرض من هذا الجمع عدم
ذهاب شيء منه ، ثم عززوا هذا الجمع الخطي
بجمع الصدور فكانوا يحفظونه كله ، والعرب
أمة متميزة من غيرها بقوة الحافظة وصفاء
الذهن وروخ ما يسمعون في قلوبهم
على معنى أن هذا يحفظ بعضا وذاك يحفظ
بعضا آخر وهكذا ، فجميعه عند جميعهم
من يمه جمع القرآن ، وقد اتفق لعدد قليل
منهم حفظ جميعه في صدره . قال صاحب
عمود النسب :

فاخترت الخزرج أوساً بنفر

مع النبي حفظوا كل السور
زيد بن ثابت معاذ بن جبل

كذا أبي وأبو زيد البطل
وأبو زيد هذا أحد أعمام أنس بن مالك
ولم يثبت أن امرأة حفظت القرآن في عهد

و قد نسخ من هذا المصحف الإمام مصحفاً
بعث به إلى مكة وآخر إلى البصرة وآخر
إلى الكوفة وآخر إلى الشام ، وأبقى مصحفاً
لأهل المدينة واستبقى مصحفاً لنفسه ، وقد
استغرقت كتابة المصحف الإمام خمس سنين
من سنة خمس وعشرين هجرية إلى سنة ثلاثين
وقد أرسل الخليفة مع كل مصحف موجه
إلى بلد معلماً يعلم الناس القرآن ويفقههم
في الدين ، ومن هذه المصاحف العثمانية كتب
أهل الأمصار مصاحفهم الخاصة ، واعتمد
عليها القراء ، وعنها أخذ الأئمة وغيرهم من
العرب الفسّاحين مهما اختلفت لهجاتهم ؛
بل وغير العرب من أهل الأقطار المفتوحة
في فجاج الأرض حتى كان عدد المصاحف
الموجودة في البلاد الإسلامية في عهد الصحابة
أكثر من مائة ألف مصحف ، ويوجد في كل
طبقة مئات القراء في جميع الأمصار يرجع
إليهم ويمتدّ بمنارهم لعديّتهم وضبطهم
وإتقانهم كما توجد مئات الكتّاب في القراءات
وما يتصل بها من أحكام التجويد وتاريخ
الرواية والرسم والضبط وغير ذلك تجدد كل
هذا في كل طبقة من طبقات الأمة . غير خاف
على الباحث المصنف ، فثلا المصحف الذي
أرسله سيدنا عثمان إلى الكوفة حفظ بطرطوس
قرب طرابلس الشام ، ثم نقل إلى قلعة حصص
ثم نقل إلى عاصمة الخلافة العثمانية في الحرب
العالمية الأولى . وبقي مصحف المدينة بالروضة

ودينه وجودة خطه : وامتاز هذا الجمع
بترتيب الآيات في سورها وترتيب السور
كذلك كما امتاز بالاعتصار على ما لم تنسخ
تلاوته وثبت في العرصة الأخيرة .

الجمع الثالث :

ثم جمع القرآن مرة ثالثة في عهد عثمان
بمحضور وإجماع اثني عشر ألفاً من أصحاب
رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ورضى عنهم
على يد : زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص
وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام ؛ وذلك حين اتسعت الفتوحات
واختلط الصحابة بغيرهم من أهل تلك الأقطار
وخطأ بعضهم بعضاً في القراءة ؛ فتدارك عثمان
الأمر ومحا الفتنة وقضى عليها وجمع الناس
على حرف واحد من الأحرف السبعة التي
نزل بها القرآن تيسيراً وتسميلاً على الناس
يوم أنزل ولما ألف الناس القراءة وتدرّبوا
عليها لم يعد هناك داع إلى بقاء كل هذه
اللهجات فاكتفى الخليفة بحرف واحد منها
وفي هذا الحرف جميع القراءات المتواترة
التي يقرأ بها القراء اليوم على كثرتها فعثمان
في الحقيقة لم يجمع القرآن وإنما جمع الناس
على حرف واحد منه جمعهم ليحول بينهم
وبين الفرقة والاختلاف في الكتاب
العزیز كما اختلف اليهود والنصارى في
كتبهم فجاء الله تعالى وجزى أصحابه عن
الأمة خيراً .

هر بن الخطاب جائزة مالية كبرى لسكل من يحفظ القرآن حق إذا خشى انصراف الناس عن الفقه اكتفى بمن حفظ منهم القرآن فقد تحقق غرضه بهذا التشجيع الموفق وما ذكرناه نقطة من بحر زاخر من عناية الصحابة والتابعين ومن بعدهم بالقرآن رضى الله تعالى عنهم جميعا ، فهل كانت الامة بعد هذا كله مقصرة فى شأن القرآن والقراءات أم تلقت هذا الأمر بعزيمة وإخلاص فوق ما يتصوره المتصورون ، وإنى أتساءل: أين المسند العلمى الصحيح والبرهان القاطع الذى لا يكتفى إلا به فى القرآن وما يتعلق بالقرآن ؟ أين الدليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له أن يضع كلمة من عنده فى القرآن مكان كلمة قرآنية أصلية ؟ أو أن يقدم بعض الكلمات على بعض فى جهة قرآنية ؟ أين الدليل على ذلك والله تعالى يقول : وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبده من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى فى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، أى إن حالى مقصور على اتباع ما يوحى لى لا يتعداه إلى غيره مما تسألوننى عنه وتطلبونه منى وقال تعالى : ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . فامضكم من أحد عنه حاجزين ، وقال تعالى : وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وقال

الشريفة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أثناء الحرب العالمية نقله أصحاب الشأن إلى العاصمة التركية والظاهر أنه أهدى إلى الروضة الشريفة بعد ، وأما مصحف الشام فقد كان محفوظا بطبرية ثم نقل منها إلى مسجد القبة بدمشق على عهد ابن الجزرى ثم نقل إلى المسجد الأموى ثم نقل إلى عاصمة الخلافة العثمانية مع ما نقل من الذخائر والنقائس ، وفى كتاب الحقيقة والنجاز فى رحلة الشام ومصر والحجاز للعلامة المرحوم الشيخ عبد الغنى النابلسى وصف ما رآه بمصر وحصل من المصاحف الأثرية والناظر فى مثل كتاب منادمة الأطلال له وكتاب الخطط للقرىزى وكتاب الدرر الحسان لفضيلة المرحوم الشيخ محمد مجتهد المطيعى يعلم مدى اهتمام الامة سلفا وخلفا بالمصاحف الشريفة وقد اشتهر بتعليم القرآن عدد من الصحابة كابن مسعود بالسكوفة وقد بلغ من خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث من تلاميذه وتلاميذ من أقرأهم القرآن وفقهم فى الدين نحو أربعة آلاف شخص فضلا عن غيرهم من لم يخرجوا معه ، وكان أبو موسى الأشعرى يعلم الناس القرآن بمسجد البصرة من بعد صلاة الفجر إلى الظهر ، ويقسمهم إلى حلقات على كل حلقة فقيب منهم يشرف عليهم ثم يشرف هو على الجميع ، ومثله فى ذلك : أبو الهرداء فى مسجد دمشق سواء بسواء ، وقد خصص

مع ما تشتمل عليه من التخنث ولحون أهل
العشق فقد جعله هزلاً واتخذ هزواً وصار به
سير الأغاني الفاسدة وأكثر من هذا أن
الموسيقى التي يقرأ القرآن بها اليوم تدخل فيه
أحرفاً ليست منه وتنقص أحرفاً هي منه وتذهب
بصفات كثير من الحروف كالجهر والشدّة
والقلقلة كما تزيد أو تنقص في المدود والغنات
وتنقص على الإدغام والإظهار وغيرهما بما لا بد
من مراعاته، وقد قال الله تعالى: «الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون
به، هي أنه لا يبق مع الموسيقى أثر للخشبة
والتدبر والاتعاظ بالقرآن وقد قال تعالى
«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا أو لولا الأبواب، وقال تعالى:
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً
متصدعاً من خشية الله»، هي أنا نقول: القرآن
غنى كل الغنى بالموسيقى التي نزل بها غير محتاج
إلى شيء من موسيقى الناس: فاختيار كلماته
وأحرفه وترتيبها وهيئتها على الوجه الذي
أنزل جمال ما بعده جمال. وصنيع
يهز القلوب هزاً ويستولى على القلوب
ويجلى لها المعنى المراد - تأمل في مثل قوله
تعالى: «وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم
إلى بعض، حيث أوضح المراد في منتهى السقر
والتحفظ وقوله تعالى: «ولولا أن ثبتناك
لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، لم يقل تركن
بلى أتى بفعل المقاربة ولم يقل لأنه ركون تام

تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من
أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان،
لا يقال: لكل كاتب أو متحدث أن يقول
ما يشاء فإن حرية الرأي مكفولة لكل أحد
والإسلام لا يحجر على الناس ولا يمنهم من
إبداء آرائهم، لا يقال ذلك على إطلاقه
ولإسادة الفوضى وانسد طريق الإصلاح
وليس كل ما يخطر بالذهن يقال على علاه من
غير دليل وإذا كان هذا لا يستقيم في دنيا
الناس ونظمها وسياستها فبالأولى لا يستقيم
في أمر الدين والعقائد الراسخة رسوخ الجبال
نعم لكل إنسان أن يبدي رأيه ولكن
في حدود محدودة وبقيد تحول بينه وبين
الهدم وتفكيك في المسلمات الثابتة، ثانياً:
ولا يقال: إن تلاوة القرآن الكريم وتهويده
قد تأثراً باللهجات العربية أو بعامل فني ونغمت
موسيقية، لانا أسلفنا: أن الأداء القرآني
من عند الله تعالى، وقد روي فيه التيسير على
العرب أصحاب اللهجات المختلفة وليس لأحد
أن يدخل في ترتيب القرآن وتلاوته شيئاً من
الفن أو النغمت الموسيقية المفسدة لجلاله
وسموه وقد سمعته، قال تعالى: «لأنه في أم الكتاب
لدينا لعل حكيم، وقال تعالى: «لا تبدل
لكلمات الله، وقال تعالى: «فإذا قرأناه فاتبع
قرآنه، وقال تعالى: «ورتل القرآن ترتيلاً،
وقال تعالى: «إنه لقول فصل وما هو بالهزل،
فمن جلب إليه النغمت الموسيقية وأدخلها فيه

المقصود وهو الإشارة إلى البعث من القبور فإن الزائر لإقامته منتهية قصيرة واستقصاء هذا في القرآن بعيد المنال لتجدد المعاني المستفادة من الذكر الحكيم . فليحجب بعض القراء عنا هذه الظلمات التي يدخلونها في قراءتهم .

ثالث : لا يقال إن ورشاً اخترع من هذه نفسه أصولاً وقواعد في قراءة القرآن راعى فيها الموسيقى لحاسة فنية عنده لانا نقول : ورش هو الراوى الثقة العدل الضابط المتقن وهو من تابع التابعين عاش في خير القرون ولد سنة مائة وعشر هجرية وتوفى سنة مائة وسبع وتسعين هجرية فهو معاصر لاثمثة المذاهب الأربعة . رحل إلى المدينة وأخذ القراءة عن نافع وكان إمام القراء بالمدينة . قال مالك قراءة نافع (سنة) أقرأ الناس بها أكثر من سبعين سنة وقد أخذوا القراءة عن سبعين من التابعين وهو حليف حمزة بن عبدالمطلب رضى الله تعالى عنهما منهم : عبد الرحمن ابن هرمز عن أبي هريرة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان إمام دار الهجرة قرأ عليه أربعة وثلاثون راوياً منهم : قالون وورش . ورجع ورش إلى مصر وقد أجمع الناس على فضله ودينه وافتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر . روى عنه محمد بن عبد الرحيم الأصمغانى طريق أبي الحسن محمد بن أحمد المروزى وطريق أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد

بل قال شيئاً ولم يدع وصف هذا الشيء بل قال شيئاً قليلاً وهذا أدق تصوير لكمال نفسه عليه الصلاة والسلام وصفاء سريره وفطرته أى لولا تثبيتنا لك لقربت من الركون إليهم ركونا قليلاً وقوله تعالى : « لا قليلاً سلاماً سلاماً ، فما أحسن هذه الموسيقى في تكرار الكلمة واختيارها ومن هذا القبيل الألفات الأخيرة في مثل قوله تعالى : « وتظنون بالله الظنونا ، » وأطعنا الرسول ، » فأضلونا السبيلاً ، ثم انظر إلى تقديم الجار والمجرور في المواضع الثلاثة في قوله تعالى : « ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ، أليست هذه أفضل موسيقى ، ومن هذا : موافقة النظائر في رؤوس الآيات مثل قوله تعالى : « رب موسى وهرون ، حيث تبني الآيات على حرف ميم قبل الآخر وقوله تعالى : « رب هرون وموسى ، حيث تبني الآيات على الألف ومثله قوله تعالى : « كأنهم أعجاز نخل منقعر ، » حيث تبني الآيات على الراء وقوله تعالى : « كأنهم أعجاز نخل خاوية ، » حيث تبني الآيات على الناء المربوطة ومثله « وطور سينين ، » والأصل سيناء ومثله « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ، » لم يقل فتاتم ومن اختيار الكلمات والأحرف قوله تعالى « قدمدم عليهم ربهم ، » لم يقل فأهلكهم لأن الأولى أشد هولاً وأزعجاً للطبع ومنه « حتى زرتهم المقابر ، » فإن إحلال كلمة محل زرتهم لا يودى ما تؤديه من المعنى

السكامل للهدى ، وروضة المعدل ، والمهيج
لمسبط الحياط ، والروض النضير ، والتذكرة
والتيبصرة . وتاريخ دمشق . وهو اسم
لكتابين كل منهما لمؤلف خاص والمفهم .
والمحكم . والمفردات . ثلاثها للإمام أبي عمرو
الداني . ومورد الظمان للإمام الخزاز .
في الرسم والضبط والنشر للإمام ابن الجوزي
وكتب الأئمة : كالذهبي ، والسخاوي والشاطبي
والجمعي . والجمعيدي والسفاقي والنويري
يطول بيانها واستقصاؤها .

وإن الدنيا كلها لتقوم وتقع من أجل
زيادة أو نقص في غنة أو في مد كذلك
أو إدغام في غير موضعه أو إظهار في غير
محله أو تزيق ما يجب تفخيجه أو تفخيم
ما يجب ترفيقه ونحو ذلك مما استقر في قراءة
جبريل عليه السلام ونزل من عند الله تعالى
على أن تجويد القرآن ومراعاة مدوده
وأحكامه تمسكان المعنى في ذهن القارئ
والمستمع مثل : أنتمك تشهدون أن مع الله
آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله
واحد وإنني بريء مما تشركون ، وعلى كل
مسلم يلتزم الحق والصواب . أن يقول
آمننا به ، كل من عند ربنا وما يذكر
إلا أولوا الألباب ، ؟

محمد السباعي محمد هارم

المدرس بمهد القراءات بالأزهر الشريف

ابن الهيثم وأبو عبد الله محمد بن إسحق البخاري
طريق أبي الأسد أحمد بن إبراهيم الفقيه وطريق
أبي بكر محمد بن مرشد التميمي وقراءة ورش
من جملة القراءات السبعة المتواترة وليست
إحداهما أولى بالترتيب من غيرها لا فرق
بين حفص وغيره فكما أننا نؤمن بجميع
الرسائل لا نفرق بين أحد منهم وكما أننا نؤمن
بما أنزل الله من كتاب ولا نفرق بين كتاب
وآخر فكذلك نؤمن بالقراءات العشر
المتواترة لا نفرق بين قراءة وقراءة أخرى .
كلها من عند الله ، ولا شك أن ورشا
لم يختص بإشباع المد بمقدار ست حركات
بل مثله في ذلك حمزة والنقاش بل روى
عن جميع الأئمة العشرة مد المتصل بمقدار
ست حركات كذلك وهو وجه عنهم من
جملة الأوجه ، ولم يقتصر ورش على المد
المشبع البالغ ست حركات الذي هو من طريق
الأررق ؛ بل روى عنه قصر المنفصل من
طريق الأصماني فالأداء القرآني والترتيل
ومراعاة أصول التجويد ومسائله ليست
كالريشة المعلقة في الهواء ، ولكن لها سند
صحيح وأساس وأصل يرجع إليه وقد تولاه
من كل خلف مدوله ولم تفرط الأمة
في أقل قليل منه .

وبين يدي المنصف ما لا يحصى من الكتب
في مختلف الأعصار والأعصار وهي ميراث
ضخم لم يسعد به كتاب سماوي آخر . فيها

فرائد العجائب الأني على كتاب

الحركة الرومانتيكية في إنجلترا
للكتور محمد سمير عبد الحميد

نقتصر في هذا البحث على ما يختص من هذه المظاهر بـ (الابسة) والتعاقد مع الشيطان أى بالقصص الذى يدور حول عالم الأرواح^(١) Supernatural ، ويظهر فيه الشيطان ، أو أهوانه السحرة ، كمشخصيات تلعب دوراً هاماً لإغراء البشر وتضليلهم - ذلك لأن هذا الجانب من التراث الشرقى اجتذب اهتمام الكتاب الإنجليز في عهد الحركة الرومانتيكية بشكل واضح . وكان اهتمامهم به أكثر من اهتمامهم بقصص الحب والمغامرات التى اشتهرت من العصور الوسطى بين المؤلفين الرومانتيكيين .

وأهم الكتاب الإنجليز الذين تأثروا بهذا التراث هم : بكفورد ، صاذى ، بامرون ، مور Beckford - Southey - Byron - and Moore - ولقد اخترنا هذا الجانب بالذات لأنه موضوع لم بطرق كثيراً من قبل لغرابته وغموضه ولندرة المراجع فيه -

لعل من الخير أن نبدأ بتحديد المعنى المقصود بهذا العنوان ، فلكمة د تراث العرب ، يقصد بها هنا كل نوع من المأثورات والحكايات المكتوبة ، أو المتداولة شفهايا التى تصور حياة العرب وثقافتهم لشعوب أوروبا منذ أوائل القرن الثامن عشر ، أما قبل ذلك فلم يكن هذا التراث متميزاً إلا فى النادر ؛ لأن كل ما هو عربى أو هندى . أو فارسى أو تركى كان يعرف إجمالاً باسم (شرقى) (Oriental) . ومن أهم مصادر هذا التراث مجموعة القصص التى يحويها ذلك الككنز العظيم المعروف بكتاب د ألف ليلة وليلة ، الذى كان

له شأن كبير منذ أول ظهوره مترجماً إلى الإنجليزية عام ١٧٠٨ - ويضاف ، إلى هذه القصص ، مجموعة الحكايات الشرقية المأثلة مثل : الحكايات الفارسية ، والحكايات التركية وحكايات المغول .

ولقد جاء التأثير بهذا التراث بطريقة غير مباشرة فى أغلب الأحيان ، ومن ثم ؛ فإننا نجد مظاهره عديدة ومتشعبة ، وسوف

(١) هذا التعبير قريب للفظ Supernatural بدلا من « ما وراء الطبيعة » وهو اللفظ الشائع خطأ .

منذ فجر التاريخ ارتبط مصير الإنسان بالدور الهام الذي يلعبه الشيطان عدو الله والبشر على مسرح هذه الحياة وقد كتبت في هذا الصدد مؤلفات لا حصر لها فظهرت مئات المقالات والكتب والقصائد بأقلام الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع والمختصين في اللاهوت والطب والأدب وكلها تعالج مشكلة الصراع بين الخير والشر وقدرة إبليس العجيبة في التأثير على عقول ضحاياه .

وبالنسبة للسيحيين فإن الشيطان لم يكن مجرد عقيدة دينية بل أنه ما يزال يمثل في نظر حائهم أهم حقيقة واقعة في هذا الكون — هذا الاعتقاد الراسخ في وجود الشر بحسبنا فيما يسمونه - The Evil One وهو اسم آخر من أسماء الشيطان ، يشهد إلى الإيمان بوجود شخصية الشيطان ، أى أن الشيطان شخص ، وليس معنى مجرد فقط كما تدل على الاعتقاد الراسخ فيما للشيطان وأهوانه من العفاريص والأرواح الشريرة من سلطان على البشر . وقد تبلورت هذه العقائد في القرن السادس الميلادي ، وأخذت تنمو في العصور الوسطى عصور السحر ومحاكم التفتيش حتى وصلت أوجها في نهاية القرن السادس عشر ، الذي يعتبر بحق العصر الذهبي لسيطرة الشيطان على عقول الناس وإراداتهم ، ثم ظهرت حركة الإصلاح الديني Reformation في أوروبا ولم تغير كثيراً من الاعتقاد الأساسي في قدرة

والباحث يجد لزماً عليه إذا ما قصدى لموضوع أن يوفيه حقه ولا يتم ذلك إلا بذكر ما كتبه المؤلفون الإنجليز من قصص فيها بعض الحقيقة ولكن الجزء الأكبر منها خيال Fiction . وسوف نحاول في هذا البحث أن نبين كيف استخدم كل مجموعة من هؤلاء الكتاب هذا التراث العربي وكيف أن بعضهم قد عدله بشكل يتفق وأغراضهم الخاصة حتى يتلاءم مع ظروف البيئة والجو الثقافي هناك وسوف نغير كذلك إلى الاختلاف في طرق معالجة موضوع دأغراء الشيطان ، وكيف اختلف الأدباء الإنجليز في تصوير شخصية إبليس .

ولا يفوتني أن أشير أيضاً إلى العلاقة المثلثة الأطراف ، التي تربط بين الأبلسة والاستشراق والنزعة الرومانتيكية في مؤلفات بكفورد W. Beckford ومن تبعه من كتب القصص الشرقية الإنجليزية - Anglo-Oriental Tales في القرن الثامن عشر ، وسيتبين في النهاية ما أسهمت به القصص الشرقية الخيالية التي تبرز بين عالم الانس وعالم الجن في الحركة الرومانتيكية ، مع إشارة خاصة إلى تأثير كتاب ألف ليلة وليلة ، - Arabian Nights وكتاب الوائق - Vathek على عدد من الشعراء الرومانتيكيين وفي مقدمتهم لاندور ، صاذي ، مور ، واللورد بايرون . S. Lander - R. Southey T. Moore - Lord Byron

Edward Langton, Dorothy Scarborough, David Conway, Jacob Grimm, Maurice Rudwin يؤيدون النظرية القائلة : بأن فكرة الشيطان كشخص يلعب دوراً هاماً في هذه الحياة ، ويثبت وجوده دائماً كعدو لدود للخالق سبحانه وتعالى وللشعر أيضاً — قد عرفت زمناً طويلاً قبل مولد السيد المسيح عليه السلام ، لأن لها نظائر في جميع الديانات القديمة التي ظهرت قبل اليهودية والنصرانية بألوف السنين. وأهم هذه الأديان التي تثبت عداوة الشيطان للشعر هي الديانة الإيرانية ، وإليها يرجع الفضل الأول في إدخال مثل تلك العقائد في الديانة المسيحية عن طريق سابقها وهي الديانة الإسرائيلية ، وفي هذا الصدد يقول مستر ودون Rudwin في كتابه :

The Devil in Legend and Literature
« لقد عرف اليهود الشيطان أول ما عرفوه خلال فترة السبي التي قضوها في بابل ، رعايا الملوك زرادشتيين حيث ألفوا شيطانا خاصاً ، اختلط بشيطانهم ، الذي لم تكن له أى من الخصائص . الشيطانية المسالوفة في العصور الوسطى .

ونجد أن شيطان اليهود قبل تأثرهم بمعتقدات إيران — وأهمها التطاحن بين قوى الخير ممثلة في Armuzd وقوى الشر ممثلة في Ahriman لم يكن له أى شيء من خصائص وصفات الشيطان عند المسيحيين في القرون الوسطى وما بعدها إذ أن إله

الشيطان ، بل على العكس قد أضافت هذه الحركة شيئاً عندما أنكرت فكرة إمكان توسط المذراء والقديسين للحيلولة بهن لإبليس وضحاياه . بذلك انتشرت القصص عن تعاقد المخطئين مع الشيطان ليحقق لهم بعض الشهوات والآبار المادية في هذه الحياة الدنيا .

وأشهر هذه القصص التي تعالج قدرة إبليس العجيبة في التأثير على العقول قصة الساحر المشهور الدكتور « فارست » ، الذي باع نفسه للشيطان ، وخلد شخصيته في الأدب الإنجليزى والألماني الكاتب المسرحي الفذ « كرستوفر مارلو » ، والشاعر الألماني المعروف « جيته » ، والغريب أن مثل هذه الأساطير عن قوى الشيطان الخارقة استمرت كعادة هامة للأدب الرفيع والأدب الشعبي حتى نهاية القرن الثامن عشر وفي أوائل القرن التاسع عشر . نتيجة لحركة التنوير التي شملت القرن السابق . أخذت هذه الأساطير والحرفات تتلاشى بالتدرج . ولكنها لم تختف إلا بعد أن تركت آثاراً واضحة في أعمال كثيرين من أم الكتاب والشعراء الإنجليز كما سيتضح لنا بعد قليل . ومن أطرف الأشياء التي لاحظناها عند دراسة موضوع الشيطان — أن كثيراً من الكتاب والمؤرخين الإنجليز أمثال : ادوارد لنجتون ، دوروثي سكاربره ، ديفيد كسوى ، جيكونب جريم ، موديس ودون

ولقد كان للدكتور لويس ميوزميلز Dr. L. H. Mills فضل كبير في إمالة اللثام عما استمدته الديانة المسيحية فيما يختص بالابلسة والصراع بين الخير والشر من الديانة الإيرانية القديمة - ففي كتابه (أصول) ديانتنا (المسيحية) في فارس القديمة Our Own Religion in Ancient Persia استطاع هذا الكاتب العظيم أن يبرهن بالدليل العلمي على الأثر الكبير الذي تركته تعاليم زرادشت في الإنجيل ففي الفصل الخامس تحت عنوان زرادشت والكتاب المقدس ، « Zarathustra and the Bible » ، لم ينجح في إثبات هذا التشابه لحسب بل أبرز الاتفاق التام في كثير من الأحيان بين النصوص التي جاءت في كتاب دانيال والكتابات الزرادشية فيما يختص بالعقائد الدينية الأساسية . كل هذا يوضح لنا أثر التراث الشرقي منذ القدم في العقائد الدينية عند المسيحيين في أوروبا فقد لعبت هذه العقائد الدينية دوراً هاماً في جميع مراحل الأدب الأوروبي إذ أنها كانت تنعكس دائماً بدرجات مختلفة وبشكل مباشر أو غير مباشر على آثار الكتاب والشعراء في شتى العصور .

والآن فلنلق نظرة على مظاهر تأثير هذه العقائد بشكل غير مباشر على الحركة الرومانيسكية في إنجلترا نتيجة للاستشراق

اليهود يهوا كان مصدر كل من الخير والشر معاً ودائماً وفي كل الأحوال - ولكن منذ عام ٦٠٠ قبل الميلاد أيام الأسر في بابل وتحت تأثير تعاليم زرواستر - اقتبس اليهود بعد العودة لبلاد إسرائيل كل الأفكار المتعلقة بالشیطان ، وقصة الصراع بين قوى النور وقوى الظلام وعلى ذلك أعادوا النظر في مدلول كلمة الشيطان ، وأضافوا على شخصيته جميع صفات أهرمان الإيراني فأصبح ذلك الشيطان الذي لم يكن يعني قديماً أكثر من خصم عادي Adversary بلعب دوراً خطيراً هو دور العدو القوى المفاوى . لسلطان الله تعالى . وأكثر من ذلك ازدحم العالم الخفي بالملائكة الكرام أهرمان الرحمن ، وأخذوا يشغون حرباً شعواء على قوى الشر والظلام وهي قوى إبليس وأهوانه من الجن الأشرار الذين يعملون على غواية البشر وضلالته وهذا الصراع العنيف مستمر بين تلك المملكتين الروحانيتين بيجالا ولكن في النهاية سوف تفترق قوى الخير عندما ترسل العناية الإلهية منقذاً يهزم جيوش الشيطان ويحطم مملكة الشر - وفي يوم القيامة والحشر تجنى كل نفس ما قدمت ويلقى إبليس وأهوانه من الجن والبشر هداباً أليماً في نار جهنم وبئس القرار ، ومن هنا نشأت هذه اليهود ثم المسيحيين فكرة المسيح وحربه مع الشيطان وجيوش الظلام .

ترجمة إنجليزية من النسخة الفرنسية ، وكانت
ركيكة مشوهة ومختصرة إلى حد كبير ، الأمر
الذى يأسف له الأستاذ بيرنباوم إذ يقول :
إن ذلك وبما كان سبباً في بطء تقدم الحركة
الرومانتيكية في إنجلترا .

ويجدر بنا أن نقف على عبارته بنصها :

If the English translation had been worthy of the Arabic original, the Pre-Romantic Movement might have been accelerated by contact with a world so different from the neo-classic, so unrationalistic, so colourful in its imaginative freedom, sensuousness and fatalism.

وأرجو هنا أن ألفت النظر إلى التسميات
التي وصف بها الكتاب هذه المجموعة من
القصص الشرقية وأهم خصائصها هي كما يقول :

Unrationalistic, colourful in its imaginative freedom, sensuousness, fatalism.

أو باختصار كانت السمات الغالبة على
هذه المجموعة من القصص الشرقية هي ما نقول
عنها : - strange, exotic and fantastic -
هذه الخصائص بالضبط هي ما كانت الحركة
الرومانتيكية تبحث عنه بمجد للتخلص من
الصفات الثلاثة المضادة لها وهي :

Order, Reason, Good sense

تلك الصفات التي اعتبرت قيوداً حقة
للدراسة الكلاسيكية وعلى ذلك نجد أن أول
رواد الحركة الرومانتيكية في أواخر القرن

أو الاهتمام بالاتجاه نحو الشرق في كتب
الأدب الإنجليزي وسنبداً بمحاولة إظهار
العلاقة بين الاستشراق والرومانتيكية في نهاية
القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر -
ويمكن أن نبدأ الكلام هنا عن العلاقة بين
الثورة الرومانتيكية في الأدب الإنجليزي
وكتاب دألف ليله وليلة .

١ - كتاب دألف ليله وليلة ، وعلاقته بالحركة
الرومانتيكية :

يكفي للاستدلال على أهمية مجموعة القصص
الشرقية الخيالية التي يحويها هذا الكتاب
بالنسبة لظهور الحركة الرومانتيكية في إنجلترا
أن نسقشده برأى الأستاذ دادرارد بيرنباوم ،
Professor Edward Bernbaum - الذي
أورده في كتابه دليل المسترشد إلى مسالك
الحركة الرومانتيكية .

Guide Through The Romantic Movement

الذي طبع للمرة الثانية في ١٩٤٩ فقد قرأ
الأستاذ بيرنباوم أننا :
« ينبغي أن نعتبر كتاب دألف ليله وليلة ،
واحد من المصادر الرئيسية التي قدر لها أن
تؤثر على تيار الأدب الإنجليزي قبيل الحركة
الرومانتيكية . »

وكان أول ظهور هذه المجموعة من القصص
في شكل مؤلف أدبي في فرنسا سنة ١٧٠٤
وبعد أربع سنوات أي عام ١٧٠٨ ظهرت

imaginitive appeal وهذا العنصر يعتمد
على حب المغامرة ومظاهر البطولة
Adventurous and chivalrous

ونعود فنقول : لأنه على الرغم من ضعف
تلك الترجمة ، فإن النص الإنجليزي ما لبث أن
استرعى انتباه جمهور القراء الذين استساغوا
هذا النوع الجديد من الأدب الخيالي . ولم تمض
فترة طويلة حتى أصبح كتاب ألف ليلة وليلة
من أوسع الكتب انتشاراً في النصف الأول
من القرن الثامن عشر - ولا غرو في ذلك
فإن القصص ذاتها تعد أنموذجاً رائعاً من
حيث الابتكار والإمتاع والتسلية وتحمل
تلك القصص مكانة عالية بين القصص القصيرة
في العالم .

واقف ظهرت في إنجلترا وحدها عشرات
الطبعات ومعظمها كان يستند على النص
الفرنسي الذي قام بعمله ماسيو دجالاند ، لأول
مرة في فرنسا عام ١٩٠٤ ، هذا بالإضافة
إلى العدد الكبير من الكتب والمقالات
والمختصرات ومجموعات القصص التي كانت
تهوى الكثير من المقطعات والمقتبسات
من هذا الكنز الذي لا يفنى .

وتم دين غير مباشر تدن به الحركة
الرومانيسكية في مبدئها أي بين عام ١٧١٥ -
١٧٧٥ إلى الأدب الشرقي ويظهر بوضوح
في العدد الكبير من القصص الإنجليزية التي
ترجمت عن الفرنسية أو التي كتبت تقليداً

الثامن عشر وأوائل التاسع عشر أمثال :
وردزورث ، سكوت ، كولودج ، بايرون ،
شيلي ، مور .

Wordsworth, Scott, Goleridge
Byron, Shelley and Moore,
يعتبرونها الغذاء الروحي لعالم الخيال ،
ومصدر الوحي والإلهام ، ومنفذ الفكر
المتحرر الجريء . ونتيجة للحركة
الرومانيسكية هذه حدث تطور دجوهري ،
في نظرة الكتاب ، وعامة الناس إلى الحياة
على الوجه الآتي :

The old narrow intellectual
attitude gave place to a wider
outlook which recognized the
claims of passion and emotion and
the sense of mystery in life, and
in which the critical was replaced
by the creative spirit, and wit by
humour and pathos.

(Oxford Comp. to Eng. Lit. p. 677)
هذه العناصر الثلاثة passion, emotion,

and the sense of mystery هي التي
اجتذبت قلوب الشعراء والكتاب إلى
الحكايات والقصص الشرقية أمثال: ألف ليلة
وليلة ، لأنها تزخر بعناصر الحب والمغامرة
الناجمة من الخيال الفياض الذي بعد كثيراً
عن مشاهد الحياة وحوادثها اليومية العادية.

وكما يقول قاموس أكسفورد - Oxford
الشيء الذي نصفه بكلمة Romantic لا بد
أن يتميز بعنصر Romance أو

بعضاً من أشد المتمسكين بالتقاليد الكلاسيكية في الأدب أمثال: أديسون ودكتور جونسون Addison, and Dr. Johnson قد أباحوا لأنفسهم النسيج على منوال تلك القصص بعد تقيتها كما يزعمون بما يخالف الذوق الكلاسيكي السليم واستعملوا مادة الكثير منها لأغراض تهذيبية ففشأ ما يعرف بالأدب التهذيبي أو التعليمي Didactic Literature ومعروف في كتب تاريخ الأدب الإنجليزي Pseudo-Oriental Fiction وهذا الأدب على أنواع منه: الخيالي والفلسفي والتهذيبي والحرفي وأدب السخرية اللاذع.

وبهذه الطريقة احتفادت المدرسة الكلاسيكية من هذا النوع الجديد من الأدب ولكن أصحاب المدرسة الرومانتيكية لم يأبهوا طبعاً لعناصر الفلسفة أو الحكمة التي تحويها القصص الشرقية وعلى النقيض من ذلك وجهوا كل اهتمامهم لا للواقع وعالم البشر بل إلى عالم الخيال والأرواح لأنه غريب وغامض وفيه سحر عجيب لمشاعر أصحاب المزاج الرومانتيكي. وقصص ألف ليلة، ومثيلاتها مليئة بكل ما يعرفه الناس عن الجن والشياطين والسحر والسحرة والغيب لان والمردة ومصاصي الدماء، وغير ذلك من الأرواح الشريرة التي تعمل تحت إمرأة إبليس وكل هذه الشخصيات تكثر في هذه قصص تروى أو استغلّت أجزاءها أو اقتبس منها

لتلك القصص وكانت في ذاتها متأثرة إلى حد كبير بخيال القصص الشرقية وروحها ويسودها جو من الغرابة والغموض والسحر.

ولما كان عنصر البعد عن مجرى الحوادث اليومية العادية والمناظر المسالوفة من أهم مقومات الحركة الرومانتيكية، وجد الرواد الأوائل لتلك الحركة ضالتهم في كل ماله صلة بحياة الناس في الشرق وبحياة الأوربيين في زمن العصور الوسطى، وكان هذا العنصر - عنصر البعد - ذا شقين ونعني بهما ناحية البعد من حيث الزمن والبعد من حيث المكان؛ فالأول: مادته متوفرة في خضم القرون الوسطى، والثاني: مادته متوفرة في ربوع الشرق البعيد، ومن هنا تدبّن أهمية الحكايات الآتية من هذا الشرق البعيد وكما تقول الدكتور د. كونانت Dr. Conant، في كتابها القيم «القصّة الشرقية في إنجلترا في القرن الثامن عشر»:

The Oriental Tale in England in the Eighteenth Century "These fantastically 'wild' and 'marvellous' stories of love and adventure, restless in plot, brilliant in setting and of exuberant colours, afforded the reader a congenial way of escape from the strict artistic rules of 'reason', order, and 'good sense'." وليس أدل على عمق الأثر الذي تركته حكايات ألف ليلة وليلة، في عقول قارئها من أن

عن أسطورة الملك آرثر ورد، في كتاب :
Cambridge History of English Literature.

المجلد الأول ص : ٢١٤ .

"Pilgrimage and the Holy Wars (Crusades) introduced into Europe the specious miracles of Arabian magic. Fairies and giants, flying dragons and enchanted palaces, were blended with the more simple fictions of the west."

والشهادة الأخرى ذكرتها الأستاذة

E. M. Butler في كتابها : The Myth of the Magus of the Magus في ص : ٢٨١ توضح أثر كتاب ألف ليلة وإيلة على من كانوا يكتبون عن السحرا في نجلترا خلال القرن الثامن عشر ، فهي تقول : " Indeed some of the description are clearly influenced by the Arabian Nights."

ولو قصفنا العدد الكبير من مجموعة هذه القصص - ويبلغ الستمائة تقريباً - لوجدنا جميع السمات الأدبية Literary motifs المتصلة بموضوعات عالم الأرواح متوفرة وأهم هذه السمات التي استعارها واستغلها الكتاب الأوروبيون هي الشيطان ، وتحويل الأحياء إلى كائنات أخرى والرحلات الليلية والغول ومصاص الدماء Vampire والسحر بجميع أنواعه magic, sorcery and witchcraft.

دكتور محمد سمير عبد الحميد

أوقدت في الأدب الإنجليزي في الفترة المذكورة في عنوان هذا البحث أى بين عام ١٧٧٥ - ١٨٢٥ وهذه هي الفترة التي تمت فيها الحركة الرومانتيكية في الأدب الإنجليزي الحديث .

وما هي أسماء بعض تلك القصص التي استغلها الكتاب الإنجليزي بطرق شتى :

قصة قر الزمان وبدور

قصة الحصان المسحور

قصة عزيز وهريزة

قصة ملكة الحيات (الثعابين)

قصة أنس الوجود وبنت الوزير

قصة حسن البصري وبنت ملك الجان

قصة سيف الملك وبديع الجبال

قصة معروف الإسكافي

قصة حاتم طي

قصة إبراهيم الموصلى والشيطان

قصة العفريت وبنت الملك ، وهي جزء

من قصة الجبال وسيدات بغداد الثلاث .

وأخيراً قصة إسحق الموصلى وخليفته

والهيطان .

أما بخصوص أثر سحر الشرق كما تصوره قصص ألف ليلة وغيرها على ما كتبه الكتاب الإنجليزي فيقتبين لنا بوضوح إذا ما أشرنا إلى شهادة المؤرخ الإنجليزي المعروف Gibbon إذ يقول أثناء حديثه

بحث نقدي : إن وإذا ...

للأستاذ كامل السيد شاheen

٣ - رأينا في استعمالها

يقوم هذا الرأي على ملاحظة أن (إن) وإذا) تستعملان على ضربين :
فهما تارة يراد بهما التقرير من غير قصد إلى مقابلة أو إرادة تفصيل ؛ كقول محمد بن بدير يهجو بجيلا :
إذا جمته في حاجة سد باب
فلم تلقه إلا وأنت كهن
لا يريد الشاعر التريث بين جيئك لهذا البخیل وهدم جيئك . . وإنما يريد أن يقرر حكما يترتب على جيئك إياه وكذلك قوله سبحانه :
وإن جنحوا للسلم فاجنح لها . . لا يراد به سوى تعليق حكم هو الأمر بالميل إلى السلم على شرط هو جنوحهم إليها .
وهما تارة يجيئان في موطن التفصيل والمقابلة ؛ كما نرى في قول الشاعر :
فإذا حاربوا أذلوا عزيزا
وإذا سالموا أعزوا ذليلا
فهو يفصل فيسوق حكمين يترتبان على أمرين متقابلين هما الحرب والسلم ، وكما نرى في قول الآخر يصف قوما بالذعر :
فإن حلوا فليس لهم مقر
وإن رحلوا فليس لهم مقر
فهو يفصل أمرهم في حلولهم ، وفي ارتحالهم .
ومثلها قول العباس بن الأحنف :
إذا ماعصرنا الماء في فيه مجه
وإن نحن فادينا فغير مجيب
وإن كان في التقابل ههنا نوع خفاء ، فهو في حال لا تسمح بتقبل الماء ، ولا تسمح بإجابة النداء .
وأوضح منه قول البارودي :
إذا اشتد أوري زدة الحرب لفظه
وإن رق أزدي بالعقود فريده
ولسلك من الحالين ، حال القصد إلى التقرير ، وحال القصد إلى التفصيل والمقابلة حكم يخصه .

حسكهما في التقرير :

فإذا أريد بهما التقرير من غير تفصيل ، فإن إذا تستعمل في الأمر المحقق ، كقوله سبحانه : إذا جاء نصر الله والفتح ... فسبح بحمد ربك .. وإذا قيل لم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، وإذا سمعوا اللغو أهرضوا عنه ، وإذا السباء انشقت ، وإذا زلزلت الأرض زلزالها ،

وكقول عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفطام لنا صبي
تخسر له الجبابر ساجدين
فجى نصر الله أمر حقق موعود به ونهى
اليهود عن الفساد أمر قد وقع ، وإراض
المؤمنين من لغو اللادين من المشركين ،
وانشقاق السماء ، وزلزال الأرض ، أمر
لا رتبة فيه .

فأما قول عمرو بن كلثوم ، ففرى فيه بلوغ
الفطام واقعا بعد إذا ، وهو كذلك أمر حقق
فإن للصبية لا يستديمون على حال الرضاع .
وهذا النوع هو المقصود بما قرره سيبويه
في الكتاب ، وما قرره المبرد في المقتضب ،
وقد نقلنا قوليهما في مقالنا الأول .

وفي أمالي ابن الجعفي :

ولأنما لم يجرموا بإذا في حالة السعة كما
جزموا بمى ، لأنه خالف إن ؛ من حيث
شرطوا أنه فيما لا بد من كونه ؛ كقولك :

إذا جاء الصيف سافرت ، وإذا انصرم الشتاء
قفلت . ولا تقول : إن جاء الصيف ، ولا إن
انصرم الشتاء ... لأن الصيف لا بد من مجيئه
والشتاء لا بد من انصرامه .

وكذا لا تقول : إن جاء شعبان ، كما تقول
إذا جاء شعبان .

وتقول : إن جاء زيد لقيته ، فلا تقطع بمجيئه .
فإن قلت : إذا جاء ، قطعت بمجيئه .

فلا خالف (إذا) إن فيما تقتضيه من
الإيهام ، لم يجرموا بها في السعة . انتهى .

ومن هذا ترى أن سيبويه ومن تبعه وقفوا
عند التزام إذا في الأمر المحقق ، ولم يزيدوا ،
فالقضية عندهم أنه إذا كان الشرط أمراً محققاً
فالواقع لإذا ولا سبيل إلى استعمال إن .

وسيبويه ومن تبعه لم يمنعوا استعمال إذا
في الأمر الذي لا يقصد به تحقق ولا شك ،
ولم يمنعوا استعمالها في المحالات .

ولذلك لم يتخرج الشعراء من استعمالها
حيث يراد مطلق التعليق بلا قصد إلى تحقيق
كما في قول بشار :

إذا الملك الجبار صعر خده

مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى

ظمئت وأى الناس تصفو مضاربه

إذا كنت في كل الأمور معاتبا

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

(إذا جاءتهم الحسنة . . . وإن تصبهم سيئة) .

(إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم . . . وإن يقولوا تسمع لقولهم) .

وقول جميل :

إذا قلت : ما بي بابئينة قاتلى

من الحب ، قالت : ثابت ويزيد

وإن قلت : ردى بعض عقلى أعش به

مع الناس ، قاله : ذاك منك بعيد

على أن المقابلة فى هذا خفية ، وهى

على الجملة محاولة للإسرضاء والتعطف ،

تقابل محاولة أخرى للإسرضاء والتعطف .

ومثله قول العباس السابق :

إذا ما عصرنا الماء فى فيه به

وإن نحن نادينا فغير مجيب

فقد قابل بين محاولة الإسماع ، ومحاولة الإطعام .

وأظهر منه فى المقابلة قول الجارم :

إذا صال قالدينا بحر رماحه

وإن قال فالأيام عين ومسمع

لا معنى لكلمة (عين) هنا . وقد قابل

بين الصيال الذى يكون فى الحرب ، والقول

الذى يكون فى الأندية والمجالس العامة ،

فهو امتداح بالاجاعة والفصاحة ونفاذ

الكلمة وعلى معناه :

إذا ركبوا زينة الموكبين

وإن جلسوا زينة المجلس

فشكل بصير يسقين له أن بشاراً إنما قصد

إلى مجرد التعليق ، ولم يخطر بباله تحقق ما بعد

إذا من الشروط ، وإنما همه إلى مجرد تعليق

الجواب بالشروط .

ولم يتخرجوا من استعمال إن حيث يراد

مطلق التعليق من غير قصد إلى تحقيق ، كما

فى قول أبى الطيب :

فإن تك فى قـبر فإنك فى الحبس

وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل

شرط (إن) أمر لا شك فيه ، ولكن

الشاعر لا تعنيه هنا قضية الشك والتحقيق ،

وإنما همه مطلق الربط بين جواب وشروط .

وجملة الأمر :

أن الأمر المحقق الواقع لا محالة تلزم

معه إذا .

وأن الأمر الذى لا يقصد معه إلى تحقيق

أو شك تستعمل معه إذا ، وقد تستعمل

معه إن .

حكمها فى التفصيل :

وإذا قد عرفت حكم إن وإذا مع الأمر

الذى لا يراد به تفصيل ومقابلة ، فإننا نذكر

على حكمهما مع الأمر الذى يراد تفصيله ،

ومقابلة حال منه بحال أخرى . لقد جرى

استعمال العرب لهاتين الاداتين على أوجه

ثلاثة :

الوجه الأول ، وهو أشيعها وأفضاها

أن تبدأ إذا ، وتقابل بإن ، كقوله تعالى :

إذا تقرر هذا .. وهو أن العرب جرت ،
في أكثر مقالها ، على أنها تبدأ بإذا ، وتقابل
بيان ، وأن ليس الأمر أمر شك ولا تحقيق ،
ولا تنزيل لواحد منهما منزلة الآخر ، فإن
قوله سبحانه (وإذا جاءتهم الحسنة . . .
وإن تعذبهم سيئة) من هذا الوادي ،
ولا حاجة للجهد المرهق الذي ركبه العلامة
الزخشري ، ثم لم يصل بعده إلى غاية . ولا حاجة
بنا إلى زعم الخطأ في قول عبد الرحمن
ابن حسان :

إذا هي حثته على الخير مرة
عصاها ، وإن همت بشر أطاعها
فهو ليس في شيء من أمر الشك والتحقيق ،
وإنما يريد مجرد التعليق هنا وههنا ، فلما بدأ
بإذا ، قابل بيان ، على الطريقة الفاشية
هذه العرب .

على أنه ليس من المقبول أن نحكم قاعدة
يصطنعها العلماء في آثار الأدباء ، فإن أذواق
الأدباء هي المحك في القبول والرفض ، وفي
الصحة والصواب ، وليست قواعد العلماء .
والزخشري عالم جريء ، وتلك من عجائب
جراته .

الوجه الثاني : أن تبدأ بإذا ، وتقابل
بإذا كذلك ، وهذه الطريقة دون السابقة
فشوا ، وعليها جاء قوله سبحانه : (وإذا أنعمنا
على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه
الشرا فذود دعاءه رىض)

فلم يقصد إلى تحقق أو شك بل الفرض
وقوع الجواب عند وقوع الشرط ، ودليلنا
على ذلك أنه استعمل إن مع الشر في الآية
الأخرى (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض
ونأى بجانبه وإن مسه الشر فيئوس قنوط)
فلو كان القصد إلى الشك والتحقق ما جازت
المبادلة بين إن وإذا في الآيتين .

ومن المقابلة بإذا قول عنترة :

وإذا شربت فإنني مستهلك

طال ، وعرضي وافر لم يسكلم
وإذا صحت فإنا أقصر عن ندي
وكما علمت شمائلي وتكرمي
وقول النابغة في المتجردة :

وإذا طعنت طعنت في مستهدف

راني الحجة بالعبير مكرم
وإذا نزع نزع من مستحرف
نزع الخزور بالرشاء المحصد
وقول المرقش :

فإذا شربت فإنني

رب الخورتق والسدير
وإذا صحت فإنني

رب الشوية والبعير
وقول الآخر :

وإذا تكون كريمة أدهى لها

وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
ومن الشعر الحديث قول شوقي :

وإنما أراد نفسه ، كانه قال : أعلق صليبا
في أبرز مكان (بين العيينين) ولا أبالي أحدا ،
ولا استسر بقنصرى .

فأما أن تبدأ بإن وتقابل بإذا فهذا
ما لم أعر عليه فيما قرأت من الشعر القديم ،
وإن كنت قد رأيت هذه المقابلة لشاعرين
محدثين مهجريين ، فأبو ماضي يقول :

إن ناح فالأرواح في عبراته
وإذا شهدا فالحب في نعماته
وصيدح يقول :

هو إن ذكرت الشعر من أمرائه
وإذا ذكرت المجد فهو عصامي
والمهجريون لا يستنكفون من الانحراف
عن النجى اللغوى ، وربما اتخذوا الخطأ
قاعدة ، ومذهبهم هو الإبانة عن العمور
ليس غير ، ثم يزعمون بالكلام لا ببالون
كيف وقع .

هلى أن هذا الوجه من ناحية القياس
مشروع ، فهو تعليق يقابل تعليقا ولا فرق
في العقل بين أن تبدأ بإذا وتقابل بإن ،
وبين أن تبدأ بإن وتقابل بإذا .
أما من ناحية الرواية فلا ، حتى يأتي من
يرشدنا إلى شيء جاء عن العرب على هذا النجى .
واقه ولى التوفيق ؟

طامل السير شاهي

فإذا تنكر فالغناء سديه
وإذا عفا مغطاؤه الأعمار
وقول أبي الفضل الوليد من شعراء المهجر :

أهوى الحديث عن الحرائر مثلما
أهوى عبه الزهر من وادينا
فإذا تلاقينا أذوب تمغفا
وإذا تناءينا أذوب حنينا
وظاهر أن الشاهد في البيت الثانى .

الوجه الثالث : أن تبدأ بإن وتقابل بإن ،
وهذا قليل . وعليه قول الحماسى :

فلئن هفوت لأعفون جمللا
ولئن سطوت لأوهن عظمى

وقول كثير بن عبد الرحمن :
وددت ، وما تغنى الودادة ، أننى
بما فى ضمير الحاجبية عالم
فإن كان خيرا سرقى ما هلمته
وإن كان شرالم تلفى اللوائم
وقول خليل مولى العباس بن محمد :

أطعت الأمريك بصرم حبلى
مريهم فى أحببتهم بذاك
فإن هم طاعوك فطاعوهم
وإن طاعوك فاعصى من عصاك
وما ينسب لخالد بن يزيد وهو يذكر حبه
لوجه رملة بنت الزبير :

فإن تصلى أسلم ، وإن تنصرى
يعلق رجال بين أهينهم صلبا

الحرية الفردية في الإسلام

للأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم مهنا

- ٣ -

حرية الرأي

أما حرية الفرد في إبداء رأيه والاعتراض على ما لا تستريح إليه نفسه ، فإن مكانتها في الإسلام لا تقل عن مكانة الحرية في العقيدة ولا الحرية في التصرف والعمل ، ويمكن الإسلام نقرأ أن جعل من أظهر صفات المؤمن أن يجهر برأيه ولا تأخذه في الحق لومة لائم ، وتاريخ الإسلام في هذا الباب مليء بالأحداث التي تستظل حية خالدة تنادي بتقديسه لحرية الرأي في مداها .

ففي القرآن الكريم نقرأ قول الله تبارك وتعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير ، (١) وهو تسجيل لا روع ما عرف في تثبيت حرية الرأي وتقديسها ؛ لأنها امرأة وجدت نفسها في حيرة مظلمة ، واضطراب شامل ، بسبب كلفة قائلها زوجها وتعارف العرب قبل الإسلام على أنها تحرم المرأة على زوجها إلى الأبد ، فذهبت إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تلتمس عنده حلاً لمعضلتها ، ولكن الرسول - وهو الأمين على وحى ربه - رد عليها بما لم

يشف غلتها ، وبالرغم من منزلته عليه الصلاة والسلام فإنها لم تستسلم ، وإنما أخذت تجادله وتحاوره ، وتحاول أن تبرهن على صحة رأيها ، وتضرع إلى الله عليه برحما ويوجد لها مخرجاً من ضيقها ، فيسمع الله لها ، ويقبل منها شكاتها ، وينزل في قرآنه ما يحل مشكلتها ويفرج كربتها ، ويسجل قصتها في كتابه الخالد لتظل دليلاً حياً على احترام دينه الحنيف لحرية الرأي .

ونقرأ في أسباب نزول القرآن أن آيات اللعان كانت ثمرة أخرى من ثمرات الحرية الشاملة في إبداء الرأي ؛ فقد روى بعض المسلمين زوجته بالزنا ، ولم يكن له شاهد إلا نفسه ، فطالبه رسول الله بإقامة البينة أو يقيم عليه حد القذف تنفيذاً لقول الله تبارك وتعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون (٢) فراجع الرجل رسول الله وقال : أبرى الواحد منا زوجته تزني ثم يتركها وينطلق يلتمس البينة ؟

وما زال الجدل بينه وبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حتى نزل قوله تعالى : « والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم

عظمة الحاكم المسلم وشجاعة المرأة صاحبة
الرأى الحر .

وبما يذكر للإسلام بالفخر أنه لم يكفل
حرية الرأى في الشئون المدنية فقط ، وإنما
كفلهما كذلك وطالب بها في الأمور الدينية ،
وكلنا نعرف إباحة الاجتهاد لكل من
تسكملت عنده شروطه . وليس هناك أبلغ
في تقديس حرية الرأى من أن يؤجر المجتهد
حق ولو أخطأ ، بقول الرسول صلوات الله
وسلامه عليه : للمجتهد أجر إن أخطأ ، فإن
أصاب فله أجران ،

حدود الحرية الشخصية في الإسلام :

بقي أن نقول : إن الحرية الشخصية التي
يتقدسها الإسلام ويدعو إليها في العقيدة
والفكر والتصرف ليست الحرية المطلقة
المحطمة التي لا حدود لها ولا ضابط ، وإنما هي
الحرية المقيدة المنظمة التي يمكن لكل فرد
أن يستمتع بها دون انتقاص من حقوق
الآخرين ، إذ الإسلام ، وإن قيم الفرد على أنه
حقيقة مستقلة ، إلا أنه لم يغفل وجود حقائق
أخرى تتصل به وتتمثل في أفراد الجماعة
الذين يشاركونه في مجال الحياة المشترك .

فإذا كان الإسلام قد أقر الحرية في
العقيدة ، ومنح كل فرد حق اختيار دينه
وحق الدعوة إليه ، فإنه في الوقت نفسه حرم
استعمال القوة لإكراه الغير على اعتناق الدين
بل أوجب قتال من يريد أن يفتن الناس عن
دينهم بهذه الوسيلة ، يقول الله تبارك وتعالى :

شهداء إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع
شهادات باقة لأنه لمن الصادقين . والخامسة
أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .
ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات
بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب
الله عليها إن كان من الصادقين ، (١) .

ويخطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه
أول مرة بعد أن بايعه المسلمون خليفة
لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيطالب
مستمعيه بأن يكونوا أحراراً في إبداء آرائهم
فيه ويقول : دأيها الناس قد وليت عليكم ،
ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق
فأعينوني ، وأن رأيتموني على باطل فسدوني ،
الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، .

ويحذو عمرو بن الخطاب حذو سلفه رضوان
الله عليهما فيخطب الناس ويقول : د ألا إن
رأيتم في أعوجاجا فقوموه ، .

وتحدثنا كتب التاريخ الإسلامي أن عمر
ابن الخطاب رأى تغالى الناس في مهوور النساء
فخطب فيهم وأراد أن يضع حداً لها لا يباح
تجاوزها ، ولكن امرأة ردت على أمير
المؤمنين ، وهو لا يزال في موقفه ، وقالت : كيف
تحمده المهور والله سبحانه يقول : د وآتيتم
أحداً من قنطاراً ، (٢) فمرجع عمر من رأيه
ويقول في أطمئنان وغفر : د أصابت امرأة ،
وأخطأ عمر ، ويقف التاريخ حينئذ ليسجل

(١) الآية ٦ - ٩

(٢) النساء ٢

توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما . . . (١)

وبالرغم من أن الإسلام قد دعا إلى البر ، وأثاب على الصدقة ، فقد حدد حرية المتصدق بخرمها فيما يزيد على ثلث ماله لما في ذلك من إضرار بالوارث .

وإذا كان الطلاق قد أبيح للرجل عند ما يستمضي العسلج ويصير الجمع بين الزوجين مصدر قلق واضطراب ، فقد أوجب الإسلام على الزوج أن يوقت الطلاق بحيث لا يصيب الزوجة منه ضرر بطول عدتها ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم . . . » (٢) . فإذا وقع الطلاق وكان رجعيًا ، فليس للزوج أن يستخدم حقه في إرجاع زوجته للإضرار بها ، فإن فعل فهو ظالم لنفسه ، وذلك مصداق قوله عز وجل : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ، أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارًا لاعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (٣) .

وهكذا نجد الإسلام يبيح للفرد أن يتصرف في دائرة ملكه بشرط أن يحقق قول رسول الله الجامع « لا ضرر ولا ضرار » ؟

أحمد إبراهيم

دوقا تلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، (١) وكذلك حرم الإسلام التطاول على آلهة الغير وإن كانت كاذبة لأنه سيؤدي إلى التطاول على الله سبحانه ، والشرب بالشر ، والبيادى أظلم ؛ يقول الله سبحانه : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » (٢) .

ونجد في تشريعات الإسلام كلها تحديدًا لحرية الفرد في تصرفاته بحيث لا يكون أداة للأضرار بنفسه أو بغيره ؛ فللاإنسان أن يسمى في أرض الله ويبتغي الربح ، ولكن بالوسائل المشروعة التي لا تؤذي المجتمع ، ومن هنا كان تحريم الربا والقمار واحتسار أوقات الناس ، بل ذهب الإسلام أبعد من هذا في محاولة منع الضرر ؛ فإن البيع الذي أحله الله وقال فيه : « وأحل الله البيع » (٣) ، أوجب معه في الوقت نفسه ألا يستخدم في الإضرار بالغير وإلا كان باطلا ووجب فسخه كما في حال الشفعة أو حال الفرر .

وأعطى الإسلام للفرد حرية التصرف فيما رزقه الله من مال وثروة ، ولكن بشرط ألا يتعدى الحدود الفاصلة بين الإنسان العاقل والإنسان السفيف ، ، فإن فعل وجب تعطيل نعمة الله عليه وسحب الحرية التي منحها فلم يحسن استخدامها ، يقول الله تعالى : « ولا

(١) البقرة ١٩٣ .

(٢) الأنعام ١٠٨ . (٣) البقرة ٣٧٥ .

(١) النساء ٥٠ . (٢) الطلاق ١ .

(٣) البقرة ٢٣١ .

البطل المسلم للأستاذ حسن جاد

و أقامت جامعة الأزهر يوم الثلاثاء ٣١ مايو ١٩٦٦ حفلا كبيرا
لتكريم البطل العالمى المسلم (محمد على كلاى) ، ألقى فيه هذه القصيدة
التي كان يهز لموسيقاها المصرية ، حتى طلب أن تترجم له معانيها ؛
وقال فى خطبته : لقد تأثرت بهذه القصيدة تأثرا بالغا ، وشعرت
بأننى مسئول عن البطولة التي أشرف بحملها أمام هذه العواطف .

بنف الكبنانى العتيق تسمى	وتفرسى وجهه للكمى المعلم
يا كعبة الإسلام شباك مسلم	بطل على طول المدى لم يهزم
أهرفته ؟ هذا (كلاى) فعانق	فيه اعتزاز المسلمين ، وسلى
أهلا (محمد) بين شعب هاتف	لك بالقلوب محبة قبل الفم
قدر البطولة فى الرياضة بعدما	عرف البطولة فى الرئيس الملمم
يلتف حولك فى الزال معاهرا	تطوى الأثير على القلوب الحوم
راحت بطولتك الشعوب وتوجت	بالفخر هامة كل شعب مسلم
فى الشرق والغرب استطار دويها	وطوى الجواء فمز سمع الانجم
قل لى بربك : أى بأس تحتوى ؟	ولأى جنس فى الضراغم تنتمى ؟
وبأى ظفر فى الفريسة ناشب	تسمى فلا يرتد إلا بالدم ؟
ماسر قوتك التي تعي القوى	فى الساعد المفقود أم فى المعصم ؟
قدت من الفولاذ قبضتك التي	ترى بها الحصم العنيد فيرتدى
تنقض صاعقة ، وأنا عاصفا	يلوى ، وتلبد تارة كالضخم

خيمت آمال المملوك وظنهم
وصرعت أبطال الصدام فغودروا
لأدوا بمخلوق ، ولذت بفخاق
من غره جاه المملوك وزينه
يا قاهر الأبطال حسبك عصمة
من كان يجمع بين قوة ووجه
أطلقت بالإسلام صيحة مؤمن
وحملت مشعل فشح ضياؤه
دين المساواة الذي لم يصترف
السود مثل البيض : كل إخوة
متكافئون فلا تباين بينهم
دين السلام الحق غير ملثم
قتلوه أطماعا وأجسر قاتل
أصدع بدينك يا محمد يذنبهم
أقنع بمنطقه القويم ، فسن أبى
من ليس تقنعه الحقيقة منطلقا

• • •

مرحى قى الإسلام حقق باسمه
حيثك جامعة نماها منجب
دم ظافر اللسكات جبار الخطا
نصرا حليفك دائما ، وتقدم
هرم الزمان وعززه لم يهرم
واسحق بها شوك المكاييد ، واسلم

صع جاد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

(١) هذه الأبيات إشارة إلى تشجيع ملوك الغرب لحصوم كلاً الدين صرهم مفترا باقية وحده

عائد من الفلبين

للأستاذ محمد زيتون

الاحتفالات الدينية عند المسلمين

- ٢ -

رغم أن المسلمين أقلية في الفلبين ، وأنهم في المحيط الهادى بعيدون عن موطن الإسلام الأصل في الجزيرة العربية إلا أنهم يعتزون بدينهم الإسلامى ويفخرون به ويحاولون المحافظة على مظاهره بقدر استطاعتهم وفهمهم ويظهر ذلك جلياً في مظاهر احتفالهم الدينية وتتبعهم للتاريخ الهجرى والتقويم العربى الذى تقبّله هذه الاحتفالات ، وإن كان في احتفالهم بعض المظاهر الخارجية عن الإسلام أو الفهم الخاطىء لبعض تعاليمه السمحة وقد بذلنا جهداً لإزالتها ، من ذلك :

١ - مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

إن المدارس العربية الأهلية بين المسلمين في الفلبين تتبع التقويم العربى فتبتدى الدراسة فيها بعد عيد الاضحى ولذلك تكون إجازة نصف السنة عندهم بعد الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون يبذلون أقصى جهدهم في الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ويكون الاحتفال على مستوى المحافظة ، ويشترك في الاحتفال جميع المدارس العربية حتى من القرى والجبال وكل الجمعيات

في الميدان الكبير الذى يتصدره مسرح كبير ووقفوا في الميدان حيث تلقى بعد ذلك الخطب والمواعظ الدينية التى تكون عادة مضاءة على الهواء من الإذاعات المحلية المنتشرة في محافظات الفلبين . كما يتحدث الحكام المسلمون والعلماء إلى الناس ذاكرين مآثر النبي صلى الله عليه وسلم وسهرته العطرة والغرض من الاحتفال به ، وبيّنون ما قام به في سبيل

٢ - ذكرى الإسراء والمعراج :

إن من الأشياء العجيبة التي تبهر الإنسان وتسمولى على لبه من بين الاحتفالات الدينية في الفلبين الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج حيث يبدأ الاستعداد لهذه الذكرى العطرة قبل ميعادها بمحوالى شهرين فيختار ما يقرب من ثمانين تلميذا وتلميذة ثم تقسم قصة الإسراء والمعراج في كتابها البالغ أربعين صفحة من الحجم المتوسط على نصف العدد المختار حيث يحفظ كل تلميذ ، من ظهر قلب ، الجزء الخاص به ، باللغة العربية ، وعلى النصف الآخر من التلاميذ أن يحفظ الترجمة باللغة المحلية ويتمرن التلاميذ على ذلك حتى يستطيع كل تلميذ أن يلقي الجزء الخاص به بدون خطأ فإذا حل ميعاد الإسراء والمعراج زينت المدينة بالأعلام والورود وأغصان الشجر وبمخاضة في الميدان الكبير حيث يقام الاحتفال كما يتدفق الناس من القرى والجبال والغابات ويحضر تلاميذ المدارس من شتى القرى لكي يشتركوا جميعا في الاستعراض الذى يقام في المدينة لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج وكثيرا ما تقدم كل مدرسة نموذجاً رمزياً عن ذكرى الإسراء والمعراج ثم يمر الاستعراض حول المدينة وفيه حلقة الناس من الرجال والنساء ورجال الدين وتلاميذ وتلميذات المدارس ، وهم في زيهم الرسمى وآمامهم وخلفهم الموسيقى تصدح ابتهاجا بهذه الذكرى

الإسلام والمسلمين كما أنهم ينشدون الأناشيد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويقرءون القرآن في هذه الاحتفالات . وفي بعض المدن شاهدت استعراضاً ليلياً بالشمل المضيئة تطوف كل المدينة قام بهذا الاستعراض تلاميذ المدارس ابتهاجا بهذه الليلة المباركة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يستمر الاحتفال أحياناً ثلاث ليال وغالباً ما يكون هناك مسابقة في قراءة القرآن وترتيله لمعرفة أحسن القارئ للقرآن الكريم وهم يهتمون بهذه المسابقة ويمتلى الميدان الفسيح بالقادمين لأجل مشاهدة المسابقة وسامح المتسابقين ويظهر مدى اهتمامهم بتسجيلهم لأصوات القارئ على أجهزة التسجيل كما أنهم يقدمون الطعام والشراب الذى يصنعونه خاصة في أيام المولد النبوى لإظهار البهجة والسرور كما يكثرون من الصدقة ، ويشارك أهل القرى أهل المدينة في الاحتفال . وبعد احتفال أهل المدينة يبدأ أهل القرى في الاحتفال بالمولد في قراهم وهم بدورهم يدهون أهل المسكن والقرى الأخرى لمشاركتهم في الاحتفال بالمولد النبوى ويتكرر الاحتفال في قرية بعد أخرى وهكذا حتى إنه قد يستمر الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم طوال شهر ربيع الأول في أماكن مختلفة من بلاد المسلمين وقراهم وهم فرحون بذلك لأنهم بهذه الاحتفالات يظهرن حجم الرسول صلى الله عليه وسلم .

اللاقي لا يذهب إلى المساجد ويفضل الصلاة في البيوت ، وبعد صلاة التراويح تقدم في البيوت القهوة والشاي والسمك ، وفي بعض المساجد يقدم للناس الطعام عند غروب الشمس للصائمين كما تلقى النصائح الدينية في المساجد بين المغرب والعشاء أو يقرأ القرآن ، وهم يهتمون كثيرا بليلة السابع والعشرين من شهر رمضان لأنهم يرجعون أنها ليلة القدر ولذلك يكثرثون فيها من الصدقة وإطعام الطعام وتقديمه للجيران .

٤ — عيد الفطر وعيد الأضحي :

وفي أيام العيدين يتفنن الناس في التمتع بهما وفي إظهار السرور والابتهاج بهما ، ولذلك يزين كثير من الناس بيوتهم بالثريات الكهربائية وبالاعلام كما يقدم الناس من أماكن بعيدة لكي يشاركوا أهل المدينة في صلاة العيد حتى إن الشوارع تمتلئ بالمصلين خارج المسجد وبعد الصلاة يقبل الناس لكي يهنئوا الإمام بالعيد ، ومن العادات القديمة في احتفالهم بالعيد انتشار القمار بشكل واسع في أيام الأعياد بين الكبار والصغار حتى تكاد لا ترى مكانا خاليا من شبان يلعبون القمار ، فإذا جن الليل انتقلت الإذاعة إلى الميدان الكبير حيث يجتمع الناس لسماع النصائح الدينية من العلماء والرؤساء . وحيث يقضون ليالي بهيجة مملوءة بالأنشيد والأغاني

السكرية ، وبعد الاستمرار يجتمع المحتفلون في الميدان الكبير حيث تلقى النصائح الدينية والخطب الحماسية وبعد صلاة العشاء يبدأ التلاميذ في إلقاء قصة الاسراء والمعراج يلقي تلميذ جزءا باللغة العربية ثم يأتي بعده آخر ويلقي المعنى باللغة محلية والناس في غاية الفرح والسرور وهم دائما يذيعون هذا الاحتفال الذي يستمر إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل والتلاميذ وذوهم وحتى الناس في بيوتهم ينصتون إلى المذيع مشاركون في الاحتفال بهذه الذكرى الدينية السكرية ، ويتكرر الاحتفال ليالي عدة في أماكن مختلفة من الجزيرة الواحدة

٣ — رمضان وليلة القدر :

مما يهتم به الناس كثيرا في الفلبين شهر رمضان المبارك ففي آخر يوم من شهر شعبان يذهب الرجال والنساء والصغار والكبار إلى البحيرة أو البحر أو النهر لكي يغتسلوا فيه استعدادا لاستقبال هذا الشهر الكريم ، كما أنهم يحافظون على الصلاة في شهر رمضان وتغص المساجد بالمصلين رجالا ونساء من حلية الشعب وعاصمتهم فيكون بينهم أعضاء مجلس النواب والمحافظ والعمدة وبخاصة في صلاة العشاء والتراويح حيث تزدان المساجد بالثريات الكهربائية كما تقام صلاة الجماعة للسيدات في كثير من البيوت ، وغالبا ما يحضر هذه الجماعات تلميذات المدارس

٦ - الأرباء الأخير من شهر صفر

ودفع البلاء :

عندما يأتي الأرباء الأخير من شهر صفر يستعد الناس فيه الذهاب إلى البحر الصغار والكبار والرجال والنساء تذهب كل أسرة ومعها الطعام الكثير الذي أعدوه لذلك اليوم ويفتنوا فيه حتى أن بعضهم يذبح الغنم أو يأخذ هدايا وفيرا من الدجاج والسمك ، ويصير البحر غاصا بالناس في أما كن كثرة حيث يأتي الناس من المدن والقرى والجبال للاغتسال في البحر .

ولماذا ؟ يقولون : لدفع البلاء في يوم الأرباء الأخير من صفر لأنه - هندم - يوم نحس . فيحضرون إلى البحر ويحضر معهم أئمتهم الذين يؤمنهم الصلاة في مساجدهم المنتشرة في كل قرية وهم يسمونهم (العلماء) وإن كان كل محولهم من العلم أنهم يستطيعون قراءة بعض آيات من القرآن أو يأخذون الإمامة بالوراثة .

فإذا انقضى اليوم رجع الجميع إلى ديارهم وهم فرحون مسرورون لأن البلاء دفع عنهم إلى العام القادم ، وقد بينا لهم خطأ هذا الاعتقاد وبعده عن الإسلام وتعاليمه الواضحة البعيدة عن أمثال هذه الخرافات .

محمد زيتون

بجمع البحوث الإسلامية

الوطنية والدينية كما يقوم البعض بتقديم رقصاتهم الوطنية المرحية ، التي تطربهم وتستولى على ألبابهم فينتصف الليل وهم مازالون ينصتون إلى أغانيهم وأهازيجهم ويستمعون بالنظر إلى رقصاتهم الوطنية ، وبمناسبة الاحتفال بعيد الأضحي لا نستطيع أن ننسى الاحتفال باستقبالهم للقادم من الحجاز بمه أداء فريضة الحج حيث يستقبل في الميناء الجوي أو البحري استقبالا باهرا .

٥ - يوم عاشوراء :

وحسب التقويم العربي نجد الاحتفال بيوم عاشوراء في العاشر من المحرم حيث يصنعون فيه الطعام الشهى الكثير الذي يدعى إليه الناس كما يصوم بعضهم في هذا اليوم . إلا أنهم يزعمون أن أرواح الأموات تنزل في هذا اليوم إلى الأرض وتزور أهلها في الدنيا .

كما أنهم يطعمون كل من يزورهم في هذا اليوم ويفضون إذا لم يأكل الزائر من طعامهم ، وقد سمعت أن كل أسرة تعطي الماء لمن يجاورها ؛ لأنهم يتذكرون مقتل الحسين ابن علي رضي الله عنه ومنع أعدائه الماء عنه حين قتل ، ولذلك هم يهدون الماء للجيران تذكيرا بهذا اليوم الذي قتل فيه الحسين .

التعليم الإسلامى فى إفريقيا دور النشأة والازدهار

لأستاذ محمد جلال عباس

- ٣ -

العهد الاستعمارى :

تكوين ممالك وحدت فى نطاقها مساحات شاسعة من غرب إفريقيا ، وقد استطاعت هذه الممالك تحت قيادة زعمائها وحلفائها من الوقوف زمناً فى وجه الغزو الاستعمارى فقد نجح الحاج عمر فى أعالي النيجر والصحراء وغينيا فى مقاومة الاستعمار الفرنسى زمناً حتى استطاع الفرنسيون بسط نفوذهم على تلك المناطق باستخدام كل وسائل القوة والحيلانات ، كما وقف بعض خلفاء مئان دن فديو فى شمال نيجيريا فى وجه غزو النفوذ البريطانى إلى الشمال حتى أواخر القرن التاسع عشر ، واستطاع كذلك ملوك ادموا فى الكرون من مقاومة الاستعمار الألمانى الطامع فى بلادهم .

وبينما كان هذا يحدث فى الغرب كان محمد بن عبد الله حسن الذى أطلق عليه الإنجليز اسم الملا الجنون يقاوم الاستعمار البريطانى والإيطالى فى الصومال ، وكان سلاطين زنجبار يحاولون بالطرق السلمية الاحتفاظ بكيانهم السياسى فى ساحل شرق إفريقيا .

ولقد أدرك المستعمرون منذ اللحظة الأولى لاحتكاكهم مع المسلمين فى إفريقيا أن الإسلام

تناولنا فى المقال السابق أوضاع التعليم فى الفترة التى أعقبت التدهور الذى أصاب الممالك الإسلامية فى إفريقيا ، وعرفنا كيف أن الطرق الصوفية كانت بمثابة صحوة إسلامية اوتبط بها اهتمام بالتعليم ساعد على المحافظة على كيان الإسلام ، وأعاد إليه دفقته التى ضعفت بانهايار الممالك الإسلامية الكبرى وبخاصة فى غرب إفريقيا ، وقد أهق عصر سيادة الطرق الصوفية فى الحياة الإفريقية عصر الاستعمار الذى استمر من أواخر القرن الثامن عشر حتى بداية العقد السادس من هذا القرن حينما حصلت الدول الإفريقية على استقلالها تبعاً ، ولقد مر التعليم الإسلامى فى هذا العهد بتطورات جديدة ، هى موضوع دراستنا فى هذا المقال .

الصدام مع الاستعمار :

بينما كان الاستعمار يتقدم إلى قلب القاهرة بعد أن نجح فى توسيع قواعده الساحلية ، كانت الجماعات الإسلامية فى الداخل تجمع قواها وتمكن بعض زعماء (الفولانى) من

معتقداتهم الأصلية - على المسيحية بالسهولة واليسر الذى كانوا يقبلون به على الإسلام ، وجهوا جهود المبشرين إلى التعليم والخدمات الصحية والاجتماعية ليتجمع حولهم أكبر عدد منهم ، غير أن هذه الوسيلة لم تنجح فى أول الأمر مما ألجأهم إلى استخدام وسيلة القوة العسكرية لبسط نفوذهم .

ومنذ أن بسط المستعمرون نفوذهم على القارة وتقسّموا أرضها نهائياً بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ بدأ الصراع الثقافى يدخل مرحلة جديدة يهدف فيها الاستعماريون إلى وقف تيار الثقافة العربية والإسلامية لإخلاء السبيل لثقافتهم واتباعوا لذلك مختلف الوسائل .

وجهات السياسة الاستعمارية :

ولقد اختلفت السياسة التى اتبناها الفرنسيون إزاء التعليم الإسلامى والثقافة العربية عن سياسة الإنجليز فبينما اتبع الفرنسيون سياسة المحاربة المباشرة اتبع الإنجليز سياسة تدريجية .

وهناك عاملان هامين وجهتا السياسة الفرنسية إزاء التعليم الإسلامى وإفريقية هما :
(١) المقاومة العنيفة التى لاقاها الفرنسيون من الجماعات الإسلامية فى أنحاء غرب إفريقيا ، أدت إلى إصابتهم بنوع من الخوف الشديد دفع بهم إلى تشديد التنكير على المسلمين فى مستعمراتهم .

(٢) الغرور الثقافى الذى يميز العقلية

هو أكبر خطر على كيانهم الاستعماري فى القارة ، ومن ثم اتبعوا مختلف الوسائل لمحاربته . ولما كان الإسلام نظاماً يقوم على أساس ثقافة رفيعة مصدرها القرآن ولغتها العربية فقد رأى المستعمرون أن خير وسيلة لإضعاف كيان الإسلام هى حرب الثقافة والتعليم . وقد اتفق المستعمرون على هذا المفهوم وإن كانوا قد اختلفوا فى سياستهم إزاء الثقافة العربية والإسلامية وطبيقتهم لهذه السياسة .
التبشير والتعليم التبشيري :

وكانت أول وسيلة اتبناها المستعمرون هى محاربة الإسلام بالمسيحية ، فأرسلوا البعثات التبشيرية مزودة بتعاليم الاستعمار والقساط الأجنبية متجردة من طبيعة التسامح التى تميز المسيحية . واستطاع المبشرون شراء عقائد بعض الذين استأجروهم من الإفريقيين وتعلّموا منهم لغتهم واتخذوا من هذه اللغات وسيلة لجذب الإفريقيين حولهم ، وكان الإفريقيون الذين لم يدخلوا الإسلام يعيشون فى فراغ روحى يتطلعون إلى عقيدة واضحة تنظم لهم حياتهم الروحية فأقبل البعض من خدعهم المبشرون بالمال والتعليم ومظاهر الحضارة على المسيحية فتكونت لدى المستعمرين الأدوات الثقافية الأولى بمثلها فبدأوا فى إغتراب المبشرين من أبناء القبائل . ولما لم يجدوا فى مجرد الدين وسيلة ناجحة لكسب الولاء ، حينئذ أدركوا أن الإفريقيين لا يقبلون - بطبيعتهم وبحكم

٣ - استغلال الخلاقات المذهبية في الإسلام لخلق نوع من الفارقة بين المسلمين حتى في ميدان التعليم وظهر هذا العنصر بوجه خاص في شرق إفريقيا حيث استغلوا هنود قرية وصلات الهند بهذه المنطقة من إفريقيا عبر المحيط الهندي لتشجيع انتقال الأحادية القاديانية والاسماعيلية إلى هذه البقعة، وتشجيع هاتين الطائفتين على إقامة نشاط تعليمي وثقافي يؤدي إلى التصدد المذهبي واشتداد المنافسة لكي يتمكنوا في وسط هذا الصراع من نشر ثقافتهم وبسط نفوذهم، ثم شجعوا أيضاً على نقل الأحادية إلى غرب إفريقيا ليمارس نشاطها التبشيري والتعليمي هناك.

استمرار التعليم الإسلامي :

وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلها المستعمرون والوسائل المختلفة التي اتبعوها فإن التعليم الإسلامي قد استمر دون أن يقضى عليه قضاء تاماً ، استمر دون توقف نتيجة لعوامل متعددة أهمها :

- ١ - ارتباطه بالعقيدة الإسلامية المتغلغلة في نفوس الشعوب الإفريقية المعتقدة للإسلام.
- ٢ - شعور الشعوب الإفريقية بأن التعليم الاستعماري والتبشيري دخيل على القارة وغير نابع من حياة شعوبها .
- ٣ - استمرار الصلة بين مراكز الثقافة في الشمال الإفريقي في مصر والمغرب وبين مسلمي إفريقيا فيما يلي الصحراء بشتى الصور وبمهم الصلات التجارية أيضاً .

الفرنسية والذي تفبثق منه سياستهم التي ترمى إلى بسط ثقافتهم على جميع الشعوب بشتى الوسائل لتحقيق (فرنستها) أو امتصاصها في الثقافة الفرنسية .

وقد اختلف البريطانيون عن الفرنسيين في سياستهم فبينما اتبع الفرنسيون تلك السياسة المباشرة للقضاء على التعليم الإسلامي ومحاربة الثقافة الإسلامية اتبع البريطانيون سياسة خاصة تعتمد على عدة عناصر رئيسية هي :

١ - التسلل التدريجي للقضاء على الثقافة الإسلامية واللغة العربية وإحلال الثقافة واللغة الإنجليزية محلها وعمل الثقافة العربية فبدأ البريطانيون بتشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين واللغويين بقصد إحيائها إذ أن في ذلك إحياء للثقافات المحلية وإثارة للنعرات القومية التي اعتقدوا أنها قد تضعف من كيان الثقافة الإسلامية .

٢ - الموقف السلبي من التعليم الإسلامي إذ أنهم تركوا للتعليم الإسلامي الحرية الكاملة لمتابعة نشاطه ووقفوا منه موقفاً ليس فيه محاربة هلنية ولا تشجيع أو معونة ، بينما شجعوا الإرساليات التبشيرية ، وقدموا لها كل العون المادي والأدبي ، رهباناً للتخرجين في مدارسها وفي المدارس الحكومية كل سبل الحياة وشغل الوظائف وارتقاء المناصب التي حرم منها جميعاً كل خريجي المدارس العربية الإسلامية وذلك بقصد إبعاد الإفريقيين عن هذا التعليم الإسلامي .

انتشرت فى غرب إفريقيا انتشاراً واسعاً وحل بعضها محل الكتب القديمة التى كانت تدرس فى مجالس العلم والمدارس الإسلامية المنتشرة فى جميع أنحاء القارة وذلك رغم اليهود الكثرية التى بذلتها الفرنسيون والإنجليز لقطع الصلة بين الأزهر ومسلمى غرب إفريقيا .

ولم يقتصر أثر حركة الإصلاح الإسلامى على الإدراكات الجديدة التى انتشرت بين الإفريقيين فقط بل تعدى الأمر ذلك إلى نشأة تنظيمات إسرائيلية جديدة ذلك أن المسلمين فى القارة الإفريقية أخذوا يقيمون فى الجمعيات الإسلامية التى تهدف إلى تنظيم الجهود أساساً فى المجال التعليمى بقصد رفع مستواه وتقريبه وتحسينه وتطويره بما يتلاءم مع التطورات الحديثة وكان لبعض هذه الجمعيات هدف سياسى إلى جانب الهدف التعليمى هو المشاركة فى الحركات التحريرية .

نشأت هذه الجمعيات الإسلامية فى نيجيريا بمثابة جمعية أنصار الدين وجمعية أنصار الإسلام ، ومركز التعليم العربى فى أجيجى ومئات من الجمعيات الأخرى فى كل أنحاء نيجيريا كل منها يبنى المدارس ويقوم مراكز التعليم ويوفر إلى جانب ذلك تسهيلات الحج ، ويبعث بالطلاب إلى مصر للدواصة بالأزهر كما نشأت فى غانا منظمة سياسية ثقافية هى

٤ - استمرار الصلة مع المشرق العربى وبخاصة الحجاز نتيجة لاستمرار الرحلات السنوية لأداء فريضة الحج فى الأراضى المقدسة .

٥ - بقاء نشاط رجال الطرق الصوفية ، ولجوء الاستعمار إلى مهاونتها بقصد الاستفادة من وجودها فى خلق خلافات بين الشعوب . غير أن هناك حقيقة هامة لا يمكن إنكارها

وهى أن التعليم الإسلامى قد أصابه بعض الضعف بل لقد توقف تطوره وبقى على ما كان عليه فى عهد ما قبل الاستعمار ولم تكن من ورائه القوة الدافعة التى تساعده على التطور إلى ما يتلاءم مع التقدم الحديث

ويعتبر الأزهر الشريف واستمراره كقبة العلم للعالم الإسلامى كله بعامة وشعوب إفريقيا المسلمة بصفة خاصة من أهم عوامل الحفاظ على استمرار التعليم الإسلامى فى أنحاء القارة الإفريقية على الرغم من محاولات الاستعمار لقطع الصلة بين مسلمى إفريقيا وبينه .

حركة الإصلاح الإسلامى والتعليم :

واحتمك الطلاب الإفريقيون الوافدون من كل أنحاء القارة للدراسة بالأزهر الشريف بحركة الإصلاح الإسلامية التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وطا صرها حدد من أبناء القارة الإفريقية كما نأثر بها الجيل التالى لهم ، وكان من أهم نتائج هذا الاحتكاك أن مؤلفات الشيخ محمد عبده وتلاميذه قد

ما أمكن من العون المادى والأدبى لتقوية نشاطها التعليمى والثقافى لتقف في وجه الحركات الإصلاحية السنية على وجه الخصوص لما لهذه الحركات من صلة بالعالم العربى فى الشمال الإفريقى ومصر والحجاز ، فأطلقوا يد الاحدية والإسماعيلية فى شرق إفريقيا ، كما حاولوا نقلها إلى غرب إفريقيا ونجحوا فى تشجيع بعض الاحدية للإقامة فى كل من نيجيريا وغانا وسيراليون وإن كان تأثيرهم فى غرب إفريقيا ضعيفاً إلا أنه حقق بعض الغرض الذى كان ينشده الاستعمار وهو إيجاد طائفة قلبية من الاحدية تنافس المسلمين السنيين فى نشاطهم التعليمى والثقافى .

الفرنسيون والوهابية :

ولم يغير الفرنسيون طبيعة سياستهم التى تهدف إلى تشديد القبضة على المستعمرات وبخاصة فى المجال الثقافى بقصد قهرها ، فحينما قامت الحركات الإصلاحية المبكرة التى قام بها أفراد يدعون الناس إلى ترك البدع الصوفية أمثال براهيم سونوجو فى مدينة سيكاسو بمالى وسبى بالادجى فى باماكو والشيخ دوكرى فى ماسينا والشيخ سعد عمر تورى فى سيجو والشيخ محمد عبد العزيز فى كاي والحاج محمود عمر السفغالى فى داكار حينما ظهرت الدعوات الإصلاحية الفردية التى قادها هؤلاء وغيرهم من أنشأوا

حزب المؤتمر الإسلامى ، وتكونت فى سيراليون عدة جمعيات أهمها جمعية الأخوة الإسلامية ونشأت فى شرق إفريقيا جمعيات أخرى مماثلة . وقد لقيت هذه الجمعيات تأييد الوعلاء والأمراء والسلاطين المسلمين وأصبحت تتلقى العون المادى والأدبى من هؤلاء الزعماء ومن التجار وأغنياء المسلمين فى تلك البلاد .

موقف الإنجليز من حركات الإصلاح :

نتيجة لهذا التيار الذى سارت فيه الشعوب الإفريقية المسلمة اضطرت الاستعمار إلى تعديل سياسته ولكن هذا التعديل فى السياسة لم يرتبط به تغيير فى الهدف الذى كانت ترمى إليه دول الاستعمار منذ بداية استعمارها وهو محاربة التعليم الإسلامى والقضاء عليه لإفساح المجال فى الحياة الإفريقية للثقافة الاستعمارية وكما كانت السياسة الأصلية للاستعمار مختلفة بعضها عن بعض ، فقد اختلفت أيضاً سياستها بعد التعديل الذى أدخلته نتيجة لحركات الإصلاح الإسلامية .

وقد تابع البريطانيون سياستهم فى بث الفكرة بين المسلمين عن طريق تشجيع الطوائف الإسلامية المتطرفة المنحرفة الموالية لهم مثل الإسماعيلية والاحدية ، وهبأولها كل سبل العمل ويسروا لها فتح المدارس ونشر الكتب الخاصة ، وقدموا لها كل

الفتنة ذروتها سنة ١٩٥٧ حينما أعلن الحاكم العام الفرنسى دعوة الحاج كاراموكوكانى رئيس الاتحاد الثقافى الإسلامى ورجال التعليم الأربعة الذين تخرجوا فى الأزهر وساعدوا على إنشاء تلك الجمعية وهم محمد صنوسى وكاينيه كبا ومحمد الأمين من مالى ومحمد فوده من غينيا - إلى مناظرة الشيخ كانى شيخ المسجد ومعه رجال الطرق الصوفية مناظرة علنية فى ميدان الجامع الكبير فى باماكو عاصمة مالى (السودان الفرنسى فى ذلك الوقت) وكان من جراء هذه المناظرة أن خرج بعض مؤيدى الطرق الصوفية من العامة إلى شوارع المدينة يحرقون مساكن ومتاجر رجال الاتحاد الثقافى الإسلامى بإيعاز غير مباشر من السلطات الفرنسية الحاكمة .

وكانت هذه الحوادث هى الأمل الذى تحقق للفرنسيين فقد نجحوا فى إثارة فتنة شديدة تذرهموا بتهديدها للأمن ، فأهلقوا مدارس الاتحاد الثقافى الإسلامى فى باماكو ومدن مالى وداكار وكاتكان وكوناكرى وغيرها ، واستراحوا زمنا من التعليم الإسلامى الصحيح الذى اقض مضجعهم وهدد ثقافتهم ، إلى أن بدا الاتحاد الثقافى الإسلامى وغيره من الجمعيات الإسلامية يستعيد نشاطه بصد أن أعلن الاستقلال الذاتى فى داخل نطاق الجامعة الفرنسية

المدارس ليعلموا فيها الإسلام والثقافة العربية بطرق حديثة غير مشوبة ببذع الصوفية ، كون الفرنسيون فى إفريقيا الغربية الفرنسية د التى كانت تشتمل على السنغال وغينيا والسودان الفرنسى (مالى حاليا) وأعلى الفلبا وساحل العاج وداهومى وتوجو) كونوا بها مكتبا أطلقوا عليه اسم المكتب السياسى للفتون الإسلامية ، وهينوا مديرا له ضابطا يدعى (كاردير) وكانت مهمته العمل على وضع التعليم الإسلامى الجديد فى قبضة الحكومة الاستعمارية بقصد تنظيم نشاطه ظاهريا ، ومحاربته فعليا .

وقد استطاع كاردير أن يثير فى البلاد فتنة كبيرة استخدم لها بعض العملاء من المسلمين المتعلمين ، وقد استطاع أن يقنع هؤلاء بأن جميع رجال الإصلاح الدينى وبخاصة رجال جمعية الثقافة الإسلامية والمدارس الأفلاحية والاتحاد الثقافى الإسلامى إنما ينتمون إلى الوهابية التى اتجهت إلى هدم قبر النبى مستغلا الروح الدينية المتغلغلة والإيمان القوى بالرسول لإثارة العامة على هؤلاء المصلحين .

وترتب على هذه الدائعات التى أثارها المكتب السياسى للفتون الإسلامية واستخدم بعض العملاء لنشرها أن ثارت الفتنة بين أهل الصوفية والمصلحين الذين أطلق عليهم خطأ اسم الوهابية ، وبلغت

الترتيب الذي استقرت عليه سور القرآن

للأستاذ محمد محمد الشرفاوي

أما ترتيب الآيات في سور القرآن الكريم هل النحو الذي استقر عليه الأمر في مصحف عثمان الإمام ، ووضع البسمة ، في أول كل سورة هذا براءة . فقد كان أيضا تنظيما منقولا عن أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم . لا باجتهاد منه عليه الصلاة والسلام ، ولكن بإرشاد وتوجيه من جبريل عليه الصلاة والسلام .

قال مكي في تبصرت : (إن ترتيب آيات السور في مصحف عثمان وتصديرها بالبسمة من عمل الرسول ، ولما لم يؤمر بالبسمة في أول سورة براءة تركت بلا بسمة) وقد وافقه القرطبي على ما ذهب إليه وأيدهما ابن فارس حين قال : (جمع الآيات في السور توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبره جبريل

(البقية على الصفحة السابقة)

سنة ١٩٥٨ فبهات الأحزاب التي تولت الحكم وعلى رأسها التجمع الديمقراطي الإفريقي تعترف بنشاط هذه الجمعيات وفضلها في مشاركة الحركة الوطنية التحررية وتسمح لها بفتح المدارس من جديد .

وهكذا دخلت إفريقيا في عهد الاستقلال وقد ورثت حكوماتها تقاليد عاربة التعليم

الإسلامي بشتى الوسائل ، ودخلت بذلك في دورها الحاضر الذي أخذ التعليم الإسلامي يواجه فيه المشكلات ويتبع شتى الوسائل للتغلب عليها ، متطلعا إلى المستقبل الزاهر للثقافة الإسلامية ، وسيكون حاضر التعليم الإسلامي ومستقبله في إفريقيا هو موضوع مقالنا الأخير في هذه السلسلة .

محمد جبريل عباسي

وتنسيق الآيات داخل السور فهي منقولة
سماعا ، ومأخوذة اتباعا للرسول صلى الله
عليه وسلم . وفي الإنفكان للسيوطي :
(لأنه قد يكون للسورة من القرآن اسم واحد
وهو كثير ، وقد يكون لها اسمان أو أكثر .
من ذلك الفاتحة . فإن لها نيضا وعشرين اسما
واسما المشهور : فاتحة الكتاب ، وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أم القرآن
وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني .
وكذلك البقرة . فقد كان خالد بن معدان
يسمياها (فسطاط القرآن) لما جمع فيها من
الأحكام التي لم تذكر في غيرها ، وقال ابن عطاء
إن آل عمران تسمى (طيبة) وفي صحيح مسلم
سميت البقرة وآل عمران الزهراوين والمائدة
تسمى (العقود) والمتقنة (قال السيوطي :
(وقد ثبت جميع أسماء سور القرآن بالتوقيف
من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة
لبينت ذلك ، وما يدل لذلك . ما أخرجه
ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : (كان المشركون
يقولون ، سورة البقرة ، وسورة الضكبات
يسميتون بهما . ففرق قوله تعالى :
« إنا كفيناك المستهزئين » .

وهكذا رأينا من عضون الأدلة التي سقناها
أن سور القرآن الكريم بترتيبها وتعاقب
آياتها وتخطيط أوائل الآيات وخواتيمها .
إنما هو أمر شرعي توقيفي نقل سماعا
واتباعا ، لا اجتهدا واصطناها .

هن أمر به ، ويشهد لذلك ما حدث به
أبو السائب عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال : (آخر ما نزل من القرآن : واتقوا يوما
ترجعون فيه إلى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت
وم لا يظلمون) فقال جبريل للنبي عليهما الصلاة
والسلام (يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين
من البقرة) وروى عن عثمان بن العاص قال :
(كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال :
« أثنائي جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية .
هذا الموضع . من هذه السورة : « إن الله
يأمر بالعدل والإحسان . الآية » .

وذكر الزخشي أن ترتيب الآيات في السور
علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ، ولذا هدوا
(ألم) آية حيث وقعت ، و (المص) كذلك
ولم يعدوا (المر) و (الر) ، وهدوا (حم)
آية في سورها وطه ويس) ، ولم يعدوا
(طس) ، وعلى ذلك أهد ابن عباس آيات
القرآن فقال : إنها ستة آلاف وستمائة وست
عشر آية .

أما أسماء سور القرآن فهي في الكثير
الغالب مفردة بدل الاسم الواحد هل سورته
من غير أن يكون له رديف . وأحيانا تعدد
الأسماء لسورة واحدة .

وسواء أكانت الأسماء مفردة أو متعددة
فلا مدخل فيها هي الأخرى للرأي والاجتهاد
وإنما شأنها شأن سابقاتها من ترتيب السور

في الحج ، ولكل جعلنا منسكا ، في الآلف
والسبع الخامس في الأحزاب ، وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة ، في الماء ، والسبع السادس
في الفتح (الظانين با فظن السوء) في الوار
والسبع السابع ما بقي من القرآن .

وقد استغرق هذا الإحصاء وقتا ليس
بالقصير وفيه يقول سلام أبو محمد : عملنا ذلك
في أربعة أشهر ، وقال : كان الحجاج يقرأ
في كل ليلة ربعا . فأول ربه خاتمة الأنعام
والربع الثاني في السكف ، في الفاء من
(وليتلفظ) والربع الثالث خاتمة الزمر ،
والربع الرابع ما بقي من القرآن .

ولقد ضاق بعض العلماء ذرعا بهذا اللون
الجديد من مباحث القرآن الكريم وعدوا
هذا التعداد من لغو العمل . . ومن هؤلاء
السيوطي والسخاوي . فقد قال الأول
(والاشتغال باستيعاب ذلك بما لا طائل تحته)

ثم قال : (وكنا بنا - يقصد الإتيان - موضوع
للشبهات لا لمثل هذه البطالات) وقال السخاوي
(لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة
لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه
الزيادة والنقص ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك . .
ولكننا نجد بعض العلماء قد هنى العناية
كلها بهذا اللون من البحث القرآني ، وبذل
فيه جهودا جبارة ومن هؤلاء ابن الجوزي
في كتابه (فنون الألفان) فإنه عد الانصاف
والأثلاث والأرباع وغيرها إلى الأعشار
وأوضح القول في ذلك إلى حد الإفاضة .

والشيء الذي تدخلت فيه صناعة القارىء
والحافظ إنما هو إحصاء الحروف القرآنية
وتعدادها في دقة وإحكام ، وتحديد نصف
القرآن بالحرف الواحد ، ونصف نصفه ،
وتجزئته على هذا الأساس إلى أرباع وأسباع
وأعشار ونحو ذلك ... ولا أعلم أحدا سبق
الحجاج بن يوسف الثقفي في هذا التقدير
الحرفي للقرآن الكريم ... فهو الذي ابتدع
هذه البدعة الحسنة التي لم تصادف معارضة
أو إنكارا من صلف أو خلف إلا نادرا ،
فقد روى أن الحجاج جمع القراء والحفاظ
والسكتاب في هذه وقال : أخبروني عن
القرآن كله ؟ . . كم من حرف هو ؟ . .
فأجمعوا على أن القرآن ثلاثمائة
وأربعون ألفا وسبعائة وأربعون حرفا . .
فقال : فأخبروني . . إلى أى حرف ينتهى
نصف القرآن . . ؟

فقالوا له عند الفاء في . وليتلفظ ، من
سورة المكف فقال . فأخبروني بأثلاثة فإذا
الثلاث الأولى على رأس مائة من براءة ، والثلاث
الثاني : على رأس مائة وإحدى من طسم
الصفراء ، والثلاث الثالث ما بقي من القرآن
فقال فأخبروني بأسباعه على الحروف فإذا
أول سبع في النساء ، فمنهم من آمن به
ومنهم من صد ، في الدال ، والسبع الثاني
في الأعراف ، أولئك حبطت في التاء ،
والسبع الثالث في الرعد ، أكلها دائم ،
في الآلف من آخر أكلها ، والسبع الرابع

العناية بأقدس نص ديني في حياة المسلمين .
ولقد حدث هذا التقسيم فعلا في المصاحف
المتداولة . . وعلى هامش كل مصحف علامات
إرشاد تدل على الجزء والرابع والخزب ، ولم
يصادف هذا الصنيع فكها من أحد .

وبعد :

فن هذا البحث تبين لنا .
أن ترتيب سور القرآن الكريم وتنسيق
آياتها ووضع أسمائها ، وتحديد إطار آياتها
بدا ونهاية أعمال توقيفية منقولة عن الرسول
صلى الله عليه وسلم الذي نقلها بدوره عن
جبريل عن رب العزة جل وعلا .

وأن عد حروف القرآن وتجزئته بحساب
هذا العدد . . عمل مستحدث لا بأس به . .
بل هو حسن وما رآه المسلمون حسنا فهو
عند الله حسن .

وأن القرآن لم يجمع في حياة الرسول ،
وبعد وفاته جمع جمعات كثيرة أشهرها جمع
زيد بن ثابت وهو الذي استقر أخيرا في بيت
حفصة رضي الله عنها وحسنه نسخ المصحف
العثماني الإمام بأمر من عثمان رضي الله عنه
بالإضافة إلى ما صح ثبوته ، وأن أول من نبه
إلى ضرورة توحيد لغة المصحف هو
حذيفة بن اليمان ، وأن كل المصاحف فيما عدا
مصحف عثمان قد أهدمت حرقا قطعاً للمادة
الخلاف والاختلاف في أساس الإسلام
الأول وتحقق بذلك وعد الله تعالى : « إننا نحن
نزلنا الذكر وإناله لحافظون » .

محمد محمد الشرفاوي

ولعل روح الدليل إذا نافضنا هذه
المسألة في ضوء البرهان تتمشى مع
ابن الجوزي . . ذلك أن هذه المهمة قد
اضطلع بها جمع غفير من ذوى الدراية والفن
في قراءة القرآن أيام الحجاج وفي غير أيامه
وإذا كان خصوم الحجاج وهم كثير قد عدوا
الكثير من مساوئهم كما هم . . لكنهم تحاشوا
هد هذه المسألة التي كان هو أول بادئ فيها
فيما نعلم .

هلى أننا نجد في الحديث الشريف إشارة
إلى الالتفات إلى حرف القرآن كحرف ، من
حيث إن له قيمة في حساب معاير الحسنات
لكل من استذكر القرآن الكريم ، ففي
الحديث : « من قرأ حرفا من القرآن كان له
هشر حسنة » . لا أقول ألم حرف ولكن
ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، وفي
هذا المنطوق الشريف دلالة على أهمية الحرف
في نظر المهتمين بالقرآن ، ومن هذه الأهمية
عدها وإحصاؤها وتقسيم القرآن على أساسها
تقسما عادلا . . حتى تتساوى مقادير الثواب
أمام الراغبين في تحصيلها ، هلى صورة
رتبية منظمة .

وإذا كنا نرى في عصرنا هذا أن العناية
الصحفيين ومراسلي وسائل الإعلام الحديثة
قد بلغت من الدقة إلى حد أنهم يحصون
خطب الرؤساء والزعماء والقادة بالحرف ،
وأنهم لا ينقلونها بنصوصها لحسب . . بل
وبتعداد الكلمات التي صيغت منها هذه
النصوص - فلا أقل من أن نشجع أمثال هذه

مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ الْعَرَبِ

للدكتور أحمد فؤاد الإهواني

يحتل العرب في الوقت الحاضر منزلة كبيرة على الصعيد الدولي ، بعد أن رفع الرئيس جمال عبد الناصر رأسهم ، ووحد كلمتهم ، وقاد رايتهم ، ورد عنهم عدوان المستعمرين الذين وقف لهم بالمرصاد يكشف خططهم ، ويحبط أعمالهم .

والعرب الذين يتكلمون اللغة العربية ويدين معظمهم بالإسلام هم الدول العربية الثلاث عشرة التي تمتد من المغرب إلى الكويت أي من المحيط إلى الخليج . وهؤلاء تضمهم منظمة واحدة هي جامعة الدول العربية . ويضاف إليهم بحميات الجنوب العربي التي تكافح الآن في سبيل الحصول على حريتها وهي البحرين ومسقط وعمان وقطر وأبوظبي واتحاد الجنوب العربي وعدن .

وصدوراً عن هذه الأهمية السياسية والاقتصادية والدولية للعرب ، أشرفت مطبعة جامعة أكسفورد بإنجلترا في سلسلتها عن العالم الحديث ، على إخراج كتاب خاص عن العرب ، بقلم مؤلف يسمى (هودكين)

لم نسمع عنه من قبل . يقع الكتاب في ١٢٦ صفحة ، وبه خريطتان للعالم العربي ، أحدهما توضح الدول الأعضاء في جامعة

الدول العربية ، والأخرى عن توزيع البترول والكتاب إلى ذلك بحلى بالصور ، أسلوبه جميل سهل واضح .

والكتاب موجه أساساً لقراء اللغة الإنجليزية ، للإنجليز أولاً ، ثم لمن يعيش في ركب الحضارة الغربية التي تتخذ من الإنجليزية لساناً . وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب حاول صياغته بشكل موضوعي ، إلا أنه لم يستطع في مواطن كثيرة إخفاء ميوله وهو أطفه الإنجليزية . ومع أن عنايته الأولى بالعرب حديثاً ، إلا أنه كان لا بد له من الرجوع إلى الماضي .

يحدثنا أولاً عن الأرض وشعوبها التي تسكنها ، وثانياً عن تاريخها الماضي ويشغل هذان الفصلان نصف الكتاب ، على حين يشغل فصلان آخران هما الأصول والحدود ، ثم من السويس إلى مؤتمرات القمة في النصف الثاني والآخر . ولا غرابة أن يقناول المؤلف مؤتمرات القمة بالحديث ، فهو يتابع الحوادث في العالم العربي حتى صدور الكتاب سنة ١٩٦٦ .

يتضح من ذلك أن الكتاب يؤرخ للعرب قبل الجماهيرية ، وعند ظهور الإسلام ، ثم قيام

فلا جرم أن يعتبر المؤلف الإسلام جزءاً لا يتجزأ من العرب ، على الرغم من أنه ليس كل مسلم عربياً ، وليس كل عربي مسلماً (ص ١٥) ، ، ولكن من المستحيل أن تتكلم عن أحدهما بعيداً عن الآخر ، فالإسلام هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة .

ولكن الموضوعية التي نجدها شائعة في صفحات الكتاب من بدايته إلى نهايته ، عصفت بها يد الهوى والتعصب لبلاد الإنجليز التي كانت صاحبة النفوذ والسلطان طوال القرن التاسع عشر في معظم هذه المنطقة من الأرض العربية ، إلى أن أخذ هذا النفوذ يتقلص شيئاً فشيئاً مع حروب التحرير والاستقلال ، والنهضة القومية ، والنهضة العربية ، هذه الحروب التي بلغت الأوج في حرب السويس .

ولما كانت قوة العرب الحقيقية في وحدتهم وضم صفوفهم ، وتوحيد هدفهم وكان المؤلف يعرف هذه الحقيقة ويشير إليها وبين أهميتها ، غير أنه مع ذلك يريد أن يبين أن العرب ، من خلال تاريخهم البعيد والقريب ، ما أن يتحدوا حتى يتفرقوا وأن طبيعة الفرقة فيما بينهم أكثر من التوحد . وهو في ذلك إنما يعبر عن رغباته وآماله ، لا عن الحقيقة الواقعة ، لا تفكر أن في نضال العرب الحاضر افتراقاً في الصف ورجوعاً إلى المطامع الشخصية ، ولكن رؤية

الدول الإسلامية الكبرى في صدر الإسلام مع استعراض الحوادث حتى القرن العشرين وفي الكتاب إلى ذلك ثقافة وحضارة ، ودين وفلسفة ، واقتصاد وسياسة ، ولذلك كان شاملاً أموراً كثيرة تحتاج من مؤلفها اطلاعاً واسعاً عميقاً . ولكن يبدو أن المؤلف يفتقر إلى هذه الثقافة العربية وبخاصة اللغة ، ولهذا وقع في بعض أخطاء كان يمكن تجنبها لو كان بصيراً باللغة وآدابها . ومن أمثال هذه الأخطاء قوله (ص ٢٢) د إن عمر ابن الخطاب طعنه عبد مسيحي ، والمعروف أن الذي طعنه أبو أولؤة الجومى . وقوله : (ص ٢٨) د إن جبل طارق سمى كذلك نسبة إلى الطارق ، وطارق بن زياد معروف بغير ألف ولام .

قلنا : إن صاحب الكتاب أراد أن يكون موضوعياً ، آية ذلك أنه أشاد بالعرب وبخاصة ما ضيهم المجيد ، وحضارتهم الزاهرة ومناصرتهم للعلوم والفنون واقتخارهم بلغتهم العربية . وهو يذكر في (ص ٦) أن الغرض من هذا الكتاب بيان ما بلغه العرب في الأصل وما فقدوه بعد ذلك ، وإلى أي حد استطاعوا أن ينهضوا في الوقت الحاضر ، فالكتاب استعراض سريع لماضى العرب المجيد ، ثم مصورهم المظلمة ، ثم نهضتهم الحديثة ولما كان ماضى العرب الحقيقي ومساهماتهم في الحضارة العالمية إنما يبدأ مع ظهور الإسلام ،

ملايين ، وانظر إلى نكبة فلسطين التي لا تزال تعيشها ، وإلى كارثة اللاجئين . فهي مشكلة مائة ألام أضرار العرب والمسلمين .

إن تماسك الشعوب العربية على الرغم من وحشية الهجوم الاستعماري إنما يرجع إلى أمرين هما : اللغة العربية والدين الإسلامي ، وهما صنوان لا يفترقان ، ويعترف المؤلف بذلك حين يقول (ص ١٥) : « يجد العرب اللغة العربية لأنها لغة كتبهم المقدس ، القرآن . ومن أجل ذلك كانت لغة ربانية ، ما دام القرآن هو كلام الله الذي أنزله على محمد أعظم الرسل وخاتم النبيين . »

يعرف المستعمرون إذن هذه الحقيقة ، وهم لذلك يحاولون العمل على إضعاف الشعوب العربية وتفككها بهدم دينها وهدم لغتها ، لأن هدم اللغة يفضي مع الزمن إلى الابتعاد عن الدين الصحيح ، وكان هذا دأبهم طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومطلع العشرين ولكنهم الآن مع تطور الأحداث وتحرر الدول العربية ، والمناخات القومية العربية ، أخذوا يعملون بأسلوب آخر ، هو ضرب العرب بعضهم ببعضهم الآخر ، والنفخ في بوق الفرق الدينية الإسلامية والأقليات غير الإسلامية ، بعبارة أخرى يتبع المؤلف سياسة الإنجليز التقليدية وهي : فرق تسد . لا نزاع أن العرب وهم متفوقون ضعفاء ، ولكنهم حين يجتمع شملهم في دولة عربية

الخطر الدائم على بلادهم سرعان ما يجمع شملهم مرة أخرى ، وبخاصة تحت ضغط الشعوب ، ولا ينبغي أن ننسى في هذا الصدد أن العرب كتب عليهم أن يظلوا تحت حكم الأتراك العثمانيين حتى الحرب العالمية الأولى وأن تجربة الحرية العربية تجربة حديثة جداً لا نفكر أن الإنجليز هم الذين دفعوا العرب إلى التمرد على حكم العثمانيين حتى يتسنى للاستعمار البريطاني أن يحل محلهم بطريقة أخرى ، ولكن العرب ما كانوا يريدوا أن يخلعوا نير الاستعمار التركي ليستبدلوا به استعماراً آخر ، وأى استعمار هو ؟ إنه استعمار مسيحي واليوم صهيوني فالمعركة مستمرة الآن بين العرب وبين الغرب المسيحي والصهيونية العالمية ، بوجهها الاقتصادي والديني .

إن القضاء على العرب قضاء على الإسلام ، وقضاء كذلك على الإنسان العربي في هذه المنطقة . انظر إلى محاولته فرنسا من تحويل الشعب الجزائري إلى فرنسي لغة وديناً ووطناً وإلى كفاح شعب الجزائر صين عهدها حتى ظفرت باستعادة الوطن واللغة والإسلام ، وهل كانت تستطيع ذلك لولا مؤازرة مصر لها سبع سنوات متتالية ، وانظر إلى محاولته إيطاليا في ليبيا من طرد أهلها المسلمين إلى الصحراء ، وإحلال الإيطاليين محلهم . حتى فنى من هذا الشعب ما يقرب من ثلاثة

دائما مؤثرا مصلحة العرب، مضحيا بمصلحته الشخصية، ولكن المؤلف يصور اجتماع القمة من زاوية أخرى، زاوية الخصومة المتأصلة بين رؤساء الدول والتي لا يمكن العمل على استئصال شأفتها، وفي ذلك يقول المؤلف: وجاءوا جميعا إلى القاهرة وفيهم الملك سعود الذي كان قد دفع مليونين لاغتتيال جمال عبد الناصر، والرئيس بورقيبة من تونس الذي اتهم عبد الناصر به محاولة اغتياله. والحسن وابن بيللا وكانت جيوشهما تتحارب على الحدود...، لا شك أن مؤتمر القمة الأول أرق الاستعمار وإسرائيل، فعمل الاستعمار على اجتذاب بعض الدول العربية إلى جانبه، وأهمل بورقيبة خروجا على وحدة كلمة العرب، أنه من الممكن التعايش مع إسرائيل والصالح معها، لا عجب إذن أن نجد إشادة بالحبيب بورقيبة في صلب الكتاب، وبمذهبه الملتوي الذي ينتهي إلى التسليم بالامر الواقع، هذا المذهب الذي يسمى «البورقيمية»، أو سياسة المراحل، وفي مقابل هذا المديح الذي يسكال لبورقيبة، نجد غمزا واضحا في الرئيس جمال عبد الناصر ولا غرابة في ذلك فالمؤلف بريطاني موقر بما فعله عبد الناصر حين أطاح بالنفوذ البريطاني بعد حرب السويس. ومثال هذا الغموض ما يقوله (ص ٧٥): إن ثورة يوليو ١٩٥٢ إن هي إلا انقلاب قام به جماعة من

موحدة، أو في وحدة كبرى، أو جامعة واحدة يصبح لعدد سكانهم وزن كبير، ولثقتهم الطبيعية وزن آخر، ولتقدمهم العلمي والصناعي والحضاري وزن ثالث، لذلك اجتهد المؤلف في إحصائياته عن عدد السكان أن يقلل من عدد العرب، مع أنه إحصاء يرجع إلى سنة ١٩٦٥، وإليك الدول التي حاول تقليل عدد سكانها.

(١) الجزائر ١٠ مليون وحقيقتها ١٢ مليوناً
(٢) مصر ٢٨ مليوناً وحقيقتها ٣٠ مليوناً
(٣) العراق ٦٨٠٠٠٠٠٠ وحقيقتها : ٨٥٢٦٠٠٠٠ مليون

(٤) الكويت ٤٠٠٠٠ ألف وحقيقتها ٥٦٠٠٠ ألفاً

(٥) لبنان ١٢٧٥٠٠٠ مليون وحقيقتها ٢ مليون

(٦) ليبيا ١٢٠٠٠٠٠ مليون وحقيقتها ١٢٥٠٠٠٠ مليوناً

(٧) البحرين ١٥٠٠٠ ألف وحقيقتها ١٨٠٠٠ ألفاً

نرجع إلى المبدأ الأول في الأسلوب الحديث وهو ضرب العرب بعضهم ببعضهم الآخر فنجد في صفحة ١١٢ حديثاً عن مؤتمر القمة الذي انعقد بالقاهرة سنة ١٩٦٣ انضم كلمة العرب والوقوف صفا واحداً أمام إسرائيل والاستعمار، ويرجع الفضل بلا نزاع إلى الرئيس جمال عبد الناصر الذي يعمل

نار الاكراد اتباعا للخطط الذي يسرون عليه وهو تشجيع الاقليات لتزيق الدول العربية من الداخل ، والإنجليز هم الذين عملوا على خلق الاقلية المسيحية في جنوب السودان ويشير المؤلف كذلك إلى اختلاف الشيعة والسنة في العراق ، والشيعة والسنة والدروز والعرب في لبنان والشام .

الحق لقد كانت البلاد العربية تنعم دائما خلال تاريخها الطويل بحرية دينية سواء بين الفرق الإسلامية أم بين المسلمين والمسيحيين ولم يذكر التاريخ أى مذابح دينية تشبه تلك التي كانت تجري فيها الدماء في أوروبا المسيحية حتى جاء المستعمرون يحملون معهم هذا الوهاب الموروث فيهم ، يشجعون الفرق الإسلامية وبخاصة الشاذة منها كالبهاية على الخروج على الإسلام ، أو الادعاء أنهم أصحاب الدين الصحيح ، وكل ذلك لكي يضرب المسلمون بعضهم بعضا ، بما يشغلهم عن المستعمر .

ولولا هذه الانحرافات السياسية لكان الكتاب من وجهة نظر الإسلام مقبولا . فقد كانت النعمة السائدة قديما في أوروبا ومنذ العصر الوسيط هي الطعن في الإسلام ورسوله وكتابه المنزل عليه ، وامكن الاتجاه الحاضر عند الغربيين هو الابتعاد عن هذا التعصب الأعمى ، واعتبار (ص ٢٧) د أن محمداً كان نبياً حقاً وأنه أسرب الدعوة إلى الإسلام .

أحمد فؤاد الأهواني

الضباط المتآمرين ، . ومن التجنى على التاريخ أن يسمى المؤلف ثورة يوليو مؤامرة وكذلك قوله: إن كتاب (فلسفة الثورة) ليس فيه فلسفة ولا يدل على عمق في التفكير في أى موضوع مع أنه لو قرأ فلسفة الثورة بعنى رأى أن كل التغييرات التي حدثت حتى الآن في إفريقية وآسيا إنما جاءت من تلك الفلسفة .

المبداً الثاني : هو تشجيع الفرق الإسلامية المستحدثة ، ظهر ذلك صراحة عند الكلام عن القومية العربية ، وهوامل توحيدها وتفرقها ، فن عوامل توحيدها اللغة والدين والمقصود هو الإسلام - والتراث المشترك بما يشتمل عليه من تاريخ وأدب وبطولات وقصص شعبي .

ومن هوامل التفرقة الاقليات ، دينية كانت أم جنسية ، وقد حدد المؤلف الاقليات الدينية غير الإسلامية وغير العربية في سوريا ولبنان ومصر والأردن والعراق ، وإنصافا للمؤلف نقول : إنه لم يقرر أن هذه الاقليات مضطهدة (ص ١٨) ، وهو لا يستطيع أن يقرر خلاف ذلك ، وإلا كان ستجنيا على الواقع والتاريخ ، إذ المعروف عن الإسلام التسامح والعدل ، وبذلك شاد في الماضي ، وقد أطنب المؤلف في الحديث عن أكراد العراق وذكر أن عددهم يبلغ مليوناً ومائتي ألف والواقع أنهم لا يبلغون المليون ، ومن المعروف أن الإنجليز هم الذين ينفخون في

الكتاب

للاستاذ مصطفى عبد الواحد

شوقي

شعره الإسلامى

الدكتور ماهر حسن فهمى - المدرس

بكلية الآداب بجامعة عين شمس - نشر
دار المعارف - ٢٣٧ صفحة مقاس ١٠٠ × ٧٠

يتناول هذا الكتاب بالبحث أهم ناحية من
نواحي شعر شوقي، وهى الناحية الإسلامية
بجوانبها المتعددة .

وقد كان شوقي بحق شاعر العصر الحديث
الذى لم يخلفه فى مكانته الوجدانية والقومية
شاعر آخر حتى الآن .

ومن هنا كانت أهمية هذا البحث الذى
استهدف جلاء اللون الإسلامى عند شوقي
وبيان مصادره فى نفس الشاعر ودوافعه
فى بيئته وحياته وألوانه المتنوعة من سياسية
 واجتماعية ودينية .

ويبدأ الكتاب بتمهيد عن الشعر الدينى
فى الحضارات المتعاقبة ، فبين صلة الشعر
بالدين منذ القدم ، ويستعرض المؤلف نماذج
من الأشعار الدينية لدى قدماء المصريين

واليونان والعصور الوسطى والعصر الحديث
حتى يصل إلى الشعر الدينى عند العرب ،
فيقرر أنه لم يضلوا عن العرب شعر دينى
بالمعنى المفهوم ، ويذكر لذلك أسبابا غير
مقنعة ، ولا يجد أمامه إلا الشعر الإسلامى
فى صدر الإسلام ، فيورد نماذج لحسان بن ثابت
شاعر الدعوة الإسلامية ، ثم ينتقل إلى
الكيميت الشاعر الأموى الذى كان يتنازع عن
آل البيت ، وبعده إلى أبى العتاهية شاعر
الزهد، ولا يفوته أن ينوه بشعراء فى العصور
الإسلامية المتعاقبة ظهرت فى أشعارهم الخاصة
بالإسلام أو هبوا عن مواطنهم من خلاله
كالمثنى وابن هانى. وابن الفارض والبوصيرى
وإقبال شاعر البقطة الإسلامية .

ومن الواضح أن المؤلف فى هذا العرض
الموجز لا يتناول قضية الأدب الإسلامى
ولا يحاول توضيح علاقة الإسلام بالأدب
فى عصوره المختلفة ، فذلك قضية تحتاج إلى
نظر أفسح وتأمل أعمق .

وبعد هذا التمهيد الموجز تتوالى فصول
الكتاب الأربعة :

تقليدى لطبقة الحكام منذ أصبحت الخلافة ملكا ، إلا فى القليل النادر .

١ - الإسلام فى عصر شوقى .

٢ - شوقى بين اللذة والدين .

٣ - جوانب شعر شوقى الإسلامى .

٤ - تطور الشعر الإسلامى عند شوقى .

كنا نود من المؤلف فى بيانه للإسلام فى بيته شوقى أن يذكر لنا شيئا عن نشأته ومصادر ثقافته وسلوك أسرته واتجاهها الدينى والاجتماعى ثم عن أصدقائه وجلسائه لأن يقصر الحديث عن الخليفة العتاق والحديوى ، ولكن المؤلف استغرق أن تؤدى به النتيجة التى استخلصها من الفصل الأول ، وهى تردد شوقى بين التدين واللهو ، إلى الفصل الثانى من كتابه وهو : شوقى بين اللذة والدين .

وفى الفصل الأول يعرض للأمر الإسلامى وحالتها السياسية والاجتماعية فى أواخر القرن التاسع عشر ، وكيف كانت تعاني من الضعف وتسالك الأعداء ، ومن الجهل والظلم الذى ينخر فى بواطنها حتى ظهرت حركة الجامعة الإسلامية بزعامه جمال الدين الأفندى الذى كان هدفه جمع الدول الإسلامية فى وحدة قوية بقيادة دولة إسلامية تستطيع أن تسير الأمم الغربية فقطع على المستعمر كل أمل له فى الشرق .

وببدأ هذا الفصل بمحب المؤلف من شاعرنا شوقى الذى يصوره لنا شعره اللاهى فى صورة من لا تخطر له الآخرة ببال ، ثم نقرأ شعره فى التدين فيخيل إلينا أن العاطفة الدينية تسيطر على نفسه . .

أما الإسلام فى بيئة شوقى فإن المؤلف يصوره من خلال سلوك السلطان عبد الحميد الذى كان شوقى على صلة به ، ومن خلال سلوك الحديوى عباس ، وكلاهما - كما يذكر المؤلف - كان يظهر أمام الناس فى مظهر دينى ورع ، ولكنه يحيا فى خاصته حياة اللذة والحلاعة وليس لذلك من أثر فى نفس شوقى إلا تروده هو أيضا بين التدين واللهو .

ولا نرى فى ذلك عجبا ، فن قبله عاش كثير من الشعراء الإسلاميين حياتهم بهطريها ، الزاهدة واللاهية وهبوا عن كلا الجانبين فى تجارب صادقة ، بل كانوا يرون أن ذلك من كمال الشاهريه والقدرة على التصرف فى فنون القول .

وفى الحق أن هذا التصوير للإسلام فى بيئة شوقى ، تصوير غامض وقاصر ، فهل المقصود بالبيئة هنا الخليفة والحديوى فقط ؟ رأى جديد فى موقفهما من الزهد واللذة؟ إنه موقف

وبعد أن يورد المؤلف شواهد لكلا الجانبين فى شعر شوقى يحاول تحليل هذا الازدواج ، ومع اعترافه بأن الازدواج

وقد خص شوقي رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه بمن يدمن عنايته والتفاته، والمؤلف يرى أن البوصيري كان أول شاعر يدفعه صدق حبه للرسول إلى مدائحه النبوية^(١)، وهذا حكم خطير ليس له من دليل، ولا يمكن إصدار مثل هذا الحكم إلا بعد الإحاطة بالتراث الشعري من عصر النبوة إلى عصر البوصيري، وهو أمر لا يدعيه أحد الآن.

أما شوقي فله في المدائح النبوية معارضة لردة البوصيري المعروفة بفتح البردة، ثم الحمزية: ولد الحمدي - التي تأثر فيها بحمزية البوصيري، وله بعد ذلك قطعة من قصيدته وسميت القللك، التي قالها سنة ١٨٩٤ والسيرة النبوية من أرجوزته ودول العرب وعظماء الإسلام، التي قالها بالأندلس.

ويرى المؤلف أن البوصيري وشوقي من أبرز الشعراء الذين مدحوا الرسول من عاطفة مشبوبة صادقة وإذا كان البوصيري في مدائحه للنبوة يعبر عن حبه نحو الرسول فقد كان لشوقي هدف أبعد مدى من ذلك فهو يصور لنا صفات الرسول تلك التي كانت أكبر عون على تحقيق دعوته، حتى تكون مثلاً لأهل يقتدى به المسلمون في حاضرهم.

وقد تميز شوقي من زعماء الإسلام طائفة يعترفها التاريخ الإسلامي منذ عهد الخلفاء

والتناقض موجود في النفوس إلا أنه يرى أن مهمة الباحث رد هذا التناقض إلى أصوله الدقيقة ولا يرى لذلك علة هند شوقي إلا أنه عاش في نفلة اجتماعية وعرضت عليه اللذات عرضاً مغرياً وهو الشاعر الرقيق، فكان مالا يبد أن يكون وهو أن يفقد الزمام أمام لذته.

ونحن نرى أن ذلك الموقف المتردد بين الزهد واللذة ليس موقف شوقي وحده فهو موقف قديم وحديث أيضاً، وأى فرق في ذلك بين أبي نواس وشوقي؟ ورغم أن المؤلف أوضح أن أبا نواس أشد ما يكون شهما بشوقي في ذلك الموقف إلا أنه رجح فأفرد شوقي بالحكم، وجعله متأثراً بالنفلة الاجتماعية.

إن شوقي قد هجر عن أطوار حياته في شعره وهو تعبير طبيعي لا يحتاج إلى إغراب في التعليل.

وفي الفصل الثالث يتناول المؤلف جوانب أربعة شعر شوقي الإسلامي، فيقسمه إلى ألوان: زعماء الإسلام - الناحية الدينية للإسلام - الناحية الاجتماعية - الناحية السياسية.

ويجعل المؤلف حديث شوقي عن زعماء الإسلام مصاحباً لفكرة الجامعة الإسلامية ليقندى بهم المسلمون في العصر الحديث،

الإسلامية ، ويذهب إلى التسامح الذي يؤمن
الجهة الداخلية في الأوطان الإسلامية ،
ويذكر الموت ، فيحث المسلمين على نبذ
التكالب على حطام الدنيا ، ويدعوهم أن
يعملوا ليوثوا كراما .

أما الناحية الاجتماعية للإسلام فقد تعرض
شوقي فيها إلى عدة مسائل كانت تشغل الأذهان
ونثير الجدل في عصره ، مثل الحجاب والسفور
وقد كان لشوقي رأي عجيب في هذه القضية إذ كان
يرضى عن السفور المرأة العثمانية التي لا يرى فيها
الإنسان إلا جلالا يبعث على التهييب والاحترام
ولا يرتضيه للمرأة المصرية التي يخشى عليها
من (الوحوش الضواري) و (النصور الجمل)
إن الحجاب سماحة ويسارة

لولا وحوش في الرجال ضواري
ويقول :

إن طرت من كنفى

وقم على النصور الجمل
وإلى جانب ذلك تناول شوقي المشكلة
الأخلاقية في المجتمع المصري من زوايا
متعددة ، تناول قضية العدالة الاجتماعية
تناولا وسطا ، فدعا إلى المساواة في حق الحياة
وإلى تطبيق فرائض الإسلام في الزكاة
والتكافل الاجتماعي .

وفي الناحية السياسية كان لشوقي شعر قوي
صادق ، يصور المأساة التي فتح عليها الشاعر

الراشدين من العصر الحديث ، فقد ذكر
الخلفاء الراشدين في إجمال في قصيدته :
« نهج البردة » ثم تحدث في إسهاب عن كل
منهم في أرجوزته : (دول العرب وعظماء
الإسلام) كما يجد في تلك الأرجوزة خالد بن
الوليد ، وأشاد بعقريه عمرو بن العاص
ومته وتقواه ، ودهاء معاوية وسياسته ،
وطموح صقر قریش وكفاحه ، كما ذكر فيها
المعز لدين الله الفاطمي ، وصلاح الدين
الأيوبي .

وقد رثى شوقي رجال الإسلام ودعائه منوها
بفضائلهم مشيدا بكفاحهم في سبيل الإسلام
لم يفرق بين جنس وجنس ، ولذلك يرثى
الزعيم الهندي « مولانا محمد علي » كما يرثى
الشيخ عبد العزيز جاويز الذي رأى فيه
شوقي مجاهداً حمل على كاهله قضية الأمة
الإسلامية .

وبذلك تنوعت شخصيات زعماء الإسلام
الذين تناولهم شوقي في شعره ، ليمثلوا آماله
في نهضة أمته ، وتطلعه إلى تحقيق العزة
والجده لها .

وفي الناحية العقيدية للإسلام يتناول شوقي
في شعره حقائق وقضايا تمس الحياة في المجتمع
الإسلامي ، فهو يلتفت إلى مشكلة القضاء
والقدر وبلغت المسألة إلى حقيقة ، ويؤيد
بقاء الخلافة ويوضح أثرها في حياة الأمة

وشعره بعد عودته ، وليس ذلك التقسيم مرتبطاً بالمنفى لذاته. ولكنها أطوار اجتماعية وسياسية جرت في هذه الفترات :

ولكل طور من هذه الأطوار خصائصه في شعر شوقي ، وإن كان المؤلف قد كرر استعراض بعض القصائد التي ذكرها في مواضع آخر من قبل ، بصدد استعراضه لخصائص الطور الذي تمثله من شعر شوقي ، ولم يكتف بذلك ، بل وازن بينها وبين غيرها في موضع لا يستحق الموازنة ، مثل موازنته بين برودة البوصيري ومعارضة شوقي لها (١) ولم يكن لإليها من حاجة .

وفي غائمة المطاف يتجه شوقي بشعره إلى الأمة الإسلامية يحثها على مواصلة السكفاح ويتغنى بما تحرز من نصر ، وتحتفي منه نعمة الضراعة والتقى ، التي كانت طابع شعره في الطورين الأولين .

وبعد : فهذا عرض الأفكار البارزة في الكتاب لا يحتاج القارئ بعده إلا لقراءة الشواهد المتعددة وتقبُّع الأفكار في صورها لدى الشاعر العظيم ، وللبؤلف بعد ذلك فضل الدراسة المنهجية لجانب هام من شعر شوقي الذي لا نقفأ نزوده ونجد فيه تعبيراً عن المشاعر والآمال .

مصطفى عبد الواحد

وجدانه، من أمة يتربص بها الأعداء وينتقص من أطرافها في كل يوم ، وكان يؤمن بفكرة الجامعة الإسلامية ويحسن الظن بدولة الخلافة ، على شرط أن تلتزم بالشورى ؛ ويقول :

شر الحكومة أن يساس بواحد

في الملك أقوام عداد دماله
وكان شوقي عميق الحزن شديد التفجع حين يصاب بلد إسلامي ، كأنما هو يرثى بضعة من نفسه ، ويربط في ذلك الماضي بالحاضر فإذا سمع بغلبة البلغار على مدينة أدونة سنة ١٩١٢ ذكره ذلك بالاندلس الضائعة :

يا أخت أندلس هليك سلام

موت الخلافة منك والإسلام

جرحان تمضى الأمان هليهما

هذا يسيل وذاك لا يلتام

وكذلك تدمير الفرنسيين لدمشق سنة ١٩٢٦

ألست دمشق للإسلام ظنرا

ومرضعة الأبوة لا تعق

صلاح الدين تاجك لم يحمل

ولم يوسم بأذين منك فرق

وكان يدهو المسلمين إلى القوة والاستعداد ويهضم على النهوض والرقى ويتوجع لما هم فيه من نوم عميق .

وكان الفصل الأخير من الكتاب

استعراضاً للأطوار التي سار فيها شعر شوقي

الإسلامي، شعره قبل المنفى ، وشعره في المنفى

انبثاء وآراء

وقيمته العلمية والدينية وروح الإسلام أقوى دهامة لإصلاح المجتمع ، كما يبحث وثيقتان في (الأدب العربي في سياسة الرعاية) . كما يناقش المؤتمر تقارير عن التأمين ، والمعاملات المصرفية ، والاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر ، والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام والتنوع والتكامل بين البيئات في المجتمع الإسلامي .

● تم تأسيس « المركز الثقافي الاجتماعي الإسلامي » ، بعدن ، وولفت إدارة المجلة كتيباً يحوى النظام الاساسى للمركز ويوضح الباب الثانى منه أهداف المركز وهى تعنى بغرس العقيدة الإسلامية ، وتقوية روابط الإخاء والمحبة والدعوة إلى تعاليم الإسلام الحنيف ، والتمسك بمنهاجه عملياً ، وتقديم خدمات إنسانية : اجتماعية وصحية وتربوية للمواطنين ورفع مستوى اللغة العربية بينهم .

● أتمت لجنة إعداد القاموس العلمى العربى من وضع الخطوط الأساسية للشروع يضم القاموس ألف مصطلح علمى ويستغرق وضعه ثلاث سنوات ، تقرر تكوين لجنة لتوحيد المصطلحات العلمية العربية برئاسة الدكتور أحمد رياض تركى رئيس المجلس الأعلى للبحث العلمى .

● عاد الدكتور محمود حب الله ، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية من لندن في ١٩٦٦/٩/٦ . وكان قد سافر إليها في ١٩٦٦/٧/١٦ ليقوم بوضع التخطيط اللازم لتدعيم المركز الثقافى الإسلامى الذى يضم مسجداً جامعاً وقاعة للاجتماعات والمحاضرات ويقوم فضيلة الأستاذ عبد الجليل شلبى بإمامة الجمالية الإسلامية هناك .

● يعقد المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، وتستغرق اجتماعاته أربعة أسابيع ابتداء من ٣٠ سبتمبر ، ويرأس المؤتمر الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ، ويقوم بأمانة المؤتمر الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وقد أعدت قاعة مجلس محافظة القاهرة بميدان الجمهورية لتكون مقراً لاجتماعات المؤتمر .

● يناقش علماء المسلمين في مؤتمرم الذى يعقد يوم ١٩٦٦/٩/٣٠ في القاهرة برئاسة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر عدة بحوث علمية منها : القرآن في القرية الإسلامية ، وتهديد أوائل الشهور القمرية والعفو في القرآن ، ومكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية ، والحديث

الذين اكتشفوه ، إن له صلة بشرب البيرة ، وقال سوليفان : إنه بالكشف على نحو أربعين حالة أصيبت بهذا المرض حدثت بينها عشر وفيات .

● اقترح الدكتور «خليفة جوينادي» ، أستاذ اللغة العربية بجامعة الجزائر ما أسماه : «دخال» لإصلاحات جذرية على الخط العربي لتسهيل التعليم في الجزائر . فطالب بأن تكتب العربية بحروف منفصلة ، وأن تكتب الحروف المتحركة باللاتينية .

« هذا ما نشرته أخبار اليوم في عددها الصادر في ٤ / ٦ / ١٩٦٦ م وقد لا يكون اقتراح الدكتور جوينادي آخر اقتراح في هذا الموضوع فقد سبق أن نودي بإحلال الحروف اللاتينية محل العربية والاستغناء عن هذه الحروف جملة وتفصيلا .

« وقد نظر مجمع اللغة العربية في مئات الاقتراحات من هذا النوع وخصص جائزة مقدارها ألف جنيه لمن يقترح طريقة لتيسير الكتابة العربية ولكنه بعد البحث الطويل لم يجد فيما اقترح طريقة تحفظه للخط العربي جماله فألقى جميع المقترحات وترك الباب مفتوحاً ،

● منعت وزارة الثقافة والإرشاد العراقية جميع المطبوعات والمنشورات التي تصدرها المنظمة الصهيونية (بنائ برتومن) أو فروعها من دخول العراق ، كما منعت الوزارة دخول ثلاث عشرة مجلة لبنانية إلى العراق لنشرها صوراً أو موضوعات تتنافى مع الآداب العامة .

● قام قسم رعاية الطفولة والأمومة بالمعهد العالي للصحة العامة بالإسكندرية تحت إشراف الدكتور فؤاد الشربيني رئيس القسم بعمل أول بحث عن المخدرات وانتشارها في المدينة والريف وآثارها على الصحة النفسية والعقلية ، وقد أثبت البحث أن الإدمان على المخدرات هو السبب الوحيد في الأمراض العقلية في الريف .

● أعلن الدكتور «جيمس سوليفان» كبير الأطباء في مستشفى المحاربين القدماء بنبراسكا أنه وزملاءه قد اكتشفوا مرضاً جديداً غامضاً في القلب يشترك ضحاياه جميعاً في أنهم مفرطون في شرب البيرة ، ومصابون بضعف في عضلات القلب ، ويقول الأطباء

● جائئنا من بعض الهيئات والوزارات «شيكات» بمبالغ مختلفة تسديداً لاشتراكات المجلة عن ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ولم يذكر في إخطاراتهم عدد النسخ المطلوبة ، وسترسل إدارة المجلة من كل عدد يصدر ما يغطي قيمة الاشتراك المرسل إلى المجلة على اعتبار أن قيمة الاشتراك في النسخة الواحدة عن سنة أربعون قرشاً هي ثمن عشرة أعداد تصدر كل عام . وستوالى إدارة المجلة إرسال الأعداد إلى المشتركين بعد أن انتهت فترة إجازتها .

made so many travels into Greece, Asia Minor and Egypt with the purpose of studying materia medica and drugs. His book on materia medica is considered to be the most comprehensive one on the subject, as it contains a description of some thousand and four hundred drugs, three hundred of which were utterly new in his time. The book was translated into Latin and German.

Not only did the arabs take in medicine as a science but they also took interest in it as a practice. They built hospitals since early times. El Waleed ibn Abdul Malek established a hospital in 88 (Hejria) where Arab physicians practised medicine for pay. In the reign of Harun el-Racheed and his successors so many hospitals were established that any Islamic town hardly had been empty of them. The first hospital in Egypt was established by Ahmad ibn Touloun, and soon

many hospitals were opened later on.

In conclusion, it may be said that all European books before the Renaissance were based on the arab medical sciences. European authors did not guarantee neither the wide distribution to their books nor the confidence of their readers unless they referred to the arab sources. When the translators found themselves unable to get Latin equivalents to the arabic terms they quoted them as they were. The dominance of the arab sciences was so great that European universities enjoined teaching the Canon of Ibn Sina within their medical curricula till the close of the sixteenth century. The books of Ibn Rushd continued to be studied in the universities of paris and Poland until the year 1546 A. D. Also, the arab book, on surgery, translated into Latin, continued to be studied in these till the year 1590.

Abdul Khaleq Amer

for centuries a standard authority on what would now be called materia medica was printed in twenty six editions in the fifteenth century and later, and was used in the formation of the first London pharmacopoeia, by the College of Physicians in the reign of James I. Abu Quassim of al-Zahra near Cordova, in Spain, has attained the position of a classic. His great work *Altaarit*, a medical encyclopaedia, is chiefly valued for its surgical portion which was translated into Latin in the sixteenth century, and was for some centuries a standard if not the standard authority on surgery in Europe.

'Ibn Sina' has always been regarded as the chief representative of Arab medicine. He acquired the highest reputation through the whole of Muslim East. In Europe his works even eclipsed and superseded those of Hippocrates and Galen. His celebrated "*Canon*", an encyclopaedia of medical and surgical knowledge, is singularly complete and systematic.

But the real advance made by the Arabs was in pharmacy and the therapeutical use of drugs. By their relation with the farther East, the Arabs became acquainted with valuable new remedies which have held their ground till modern

times, and their skill in chemistry enabled them to prepare new chemical remedies and form many combinations of those already in use. They produced the first pharmacopoeia and established the first apothecaries. Many of the names and many forms of medicine now used, in fact the general outline of modern pharmacy, except so far as modified by modern chemistry, started with the Arabs.

They have known so many chemical processes as distillation, calcification and filtering, and introduced a great number of Arab Chemical preparations such as alcohol, camphor, pink, quicksilver (mercury), ambergris, musk, senna,...etc. Thanks to Jabir ibn Hayyan, who is considered to be the father of modern chemistry, he discovered nitric acid (aqua fortis) and the royal water (aqua regia, nitrohydrochloric acid).

The Arab Muslims discovered also the possibility of anaesthetization through breathing and used it in their surgery. In the thirteenth century A. D. the arab way of anaesthetization was conveyed to Europe.

One of the most prominent Arab medical scientists in the twelfth century A. D. is Ibn el-Bitar who

They also tried to analyse the properties of air, water, fire and earth and the deficiencies or excesses of these elements in other chemical substances. They developed a formidable body of real chemical knowledge and practical techniques which came to the west by way of Byzantine, Italy and Spain.

A very important contribution to astronomy by Arab scholars was the development of its essential ancillary science, plane spherical trigonometry. Arab mathematicians had taken over the sine as a measure of an arc from the Indians and substituted it for the Greek chord. Through the efforts of various Arab mathematicians and astronomers, especially al-Battani, Abu al-Wafa, and Nasir al-din-al-Tusi, Trigonometry became an independent science which reached such a high level of development that it could later on simply be taken over in the west. Nasir al-din-al Tusi was the head of an astronomical observatory founded at Maragha by the Mongolian ruler Hulagu il khan (Il khan of Persia).

The rise of the Muslim Empire made its mark also on the history of medicine. After the Muslim conquests became consolidated learning began to flourish and schools of medicine, often connected with hospitals, arose in all the chief seats

of Muslim power. At Damascus, Greek medicine was zealously cultivated, In Baghdad, under the rule of Harun al-Racheed and his successors, a still more flourishing school arose, where numerous translations of Greek medical works were made. The names of Yehia ibn Massawaih, celebrated for his knowledge of drugs, and Hunain ibn Ishaq al-Ibadi, the translator and common tutor of Hippocrates and Galen, belong to this period.

The classical period of Arab medicine begins with al-Razi who practised medicine with distinction at Baghdad. He was the first of the Arabs to treat medicine in a comprehensive and encyclopaedic manner. He is deservedly remembered as having first described small-pox and measles in an accurate manner.

Another arab scholar, Ali ibn al-Abdas wrote a medical textbook, known as the "Royal Book" which was the standard authority among the Arabs up to the time of 'ibn Sina' and was more than once translated into Latin and printed. The eleventh century is given as the probable date of a writer who had a great influence on European medicine, Mesua the younger of Damascus. The work "De simplicibus", which bears his name, was

It may safely be said that, when the ninth century was drawing to its close, an appreciable portion of the principal remains of Greek philosophical and technical literature was accessible in Arabic.

If Muslims have done no more than assimilating and preserving Greek and Indian lore, their historical significance for the development of natural science would be greater than that of Rome and Byzantine together. They surpass them even more because many Islamic scholars also enriched science by independent discoveries. Suffice it to mention the names of only two scholars out of a large group who contributed to the growth of science.

The astronomer al-Battani is the author of an important textbook on astronomy which had great authority up to the sixteenth century. By accurate observations he improved various astronomical constants (e.g. the constant of precession) and discovered the progressive motion of the line of apsides of the sun's orbit. He also brought goniometry to a higher degree of development.

The other scholar is the mathematician, physicist and astronomer ibn-al-Haitham, whose significance is mainly based on his great work on optics, *Kitab al-Manazir*. This book under the title of *Opticae Thesaurus* occupied an important

place in European physics down to the seventeenth century. Ibn-al-Haitham gave a letter description of the structure and operation of the eye. His name remained attached to the problem of how to determine a point on a convex spheric mirror on which a light ray from a source of light will be reflected in such a way that the ray will reach the eye of a given observer. He also discussed the phenomenon of twilight which he wanted to use to determine the height of the atmosphere.

In the field of Arab alchemy too we find practical alchemists like Jabir Ibn Hayyan (ninth century) who held that the specific properties of chemicals are measurable as they are built up according to mensurable relations, thus sowing the seeds of quantitative chemistry.

Arab alchemists also introduced Chinese and Indian concepts into Greek alchemy. They modified the Transmutation theory as they believed that the metals and minerals in the earth had been formed by 'moist' and 'dry' vapours. The transmutation of a metal could be effected by a powder so sprinkled on it or by a medicine to be added to it. This they expressed in the Arabic term *al-iksir* (elixir), the preparation of which started with cinnabar, the red compound of sulphur and mercury.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Jumâdal-ûla

1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

August

1966

THE ROLE OF ISLAM IN THE DEVELOPMENT OF SCIENCE



Considering the paths along which Greek thought on nature penetrated into Western Europe we can distinguish three areas of culture which contributed to the preservation of Greek science and helped to spread it. They are Muslims, Rome and Byzantine.

Neither of the two latter means of transmission can compare in importance with the first, that of Islamic culture. The tremendous energy which propelled the political expansion of the Arabs from the seventh century onward was attended with a remarkable capacity to assimilate what the older civilizations of the subjected countries had to offer.

Contact with Greek science was chiefly established in the Near East, where extending Christianity had

brought Hellenistic culture. There had been schools where theology and philosophy were studied. Greek texts of a philosophical nature on various branches of science had been into Syrian. Finally the University of Jundi-Shapur had become a nursery of Greek culture, and, mainly in the eighth and ninth centuries became a centre of assimilation of this culture by Islam. This assimilation was greatly furthered because al-Mansur, Harun-al-Raschid and al-Ma'mum, the great caliphs of the House of the Abbassides, vigorously stimulated the translation of Greek works into Arabic. Interest was at first mainly focused on medical and astrological works, but soon it was also directed to astronomical, mathematical and philosophical writings.



مجلة الأزهري

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٥٠ حراج الجمهورية
وللمدرسين الطلاب تخفيض خاص

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر ربيع

الجزء الرابع - السنة الثامنة والثلاثون - جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ - أكتوبر ١٩٦٦ م

سما الله العليم

يَا لَهِ لَدَيْنَهُ الْمَظْلُوم ...!



بقلم
أحمد حسن الزيات

أرأيت إلى قطر المزن ينزل من السماء على
الأرض الطيبة صافيا كالإيمان ، نقيًا كالخلق ،
هذبًا كالصدق ، فيخرج الحي من الميت ،
وينبت الحب من الصخر ، ويملا الأرض
حضارة ونضارة وبركة . فإذا وقع في خبيثها
انقلب أسنًا لا حياة فيه ، وعطفا لا نفع منه
وجوأ وبئسًا بطن فوقه البعوض ، وتسبح
تحمته الجرائم ؛ فيهلك الحي ، ويدسر العامر ،
ويجذب الخصيب .
ذلك مثل دين الله أنزله على رسوله بالهدى
والنور ، والحق والخير ، والعدل والرحمة .
فتقبلته البصائر الجلوة بالقبول الحسن فأحيانا
ومداهما ورقاها ، وجعل منها هذه الأمة
الوسط التي أمرت بالمعروف ، ونهت عن
المعكر ، وأصلحت ما فسد من أمور الناس ،
وقومت ما اعرج من نظام الدنيا . وبلغت
بفتوح الجيش ، وفتوح الدين ، وفتوح العلم
وفتوح الخلق من السلطان والممران ما لم تبلغه
أمة من قبل ، فنزل على حكمها الدهر ودخل
في ملكها العالم .

أما النفوس المظلمة والبصائر الكدرة فقد حل فيها الدين حلول الشراب الخافض في الإناث القدر، فتكدروا، وتغير طعمه، وأراحت ربحه، فانقلب الإسلام جهلاً، والسلام حرباً، والوئام فرقة وذلك مصداق قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً كان منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تأكل ماء ولا تنبت كلأً، وهذه الطائفة الأخرى هي التي حملت اسم الإسلام وغيرت مسماه، وحفظت نص القرآن وزيفت معناه، وجعلت من سطور المصحف حبايل للصيد، ووسائل للحكم؛ فكفرت المسلمين، وروعت الآمنين، وقتلت الأبرياء، واستحييت النساء وفجحت الأبناء باسم (الخوارج). وطمست في قلوب المؤمنين اليمينين مبادئ الدين فسكنوا اثني عشر قرناً سكوت الجناد لا يشعرون بالفلك وهو دائر، ولا بالعالم وهو سائر؛ لأن الجهل والفقر والمرض والترهات والضمومة تعاونت على عزلهم عن الوجود باسم (الائمة). وغيرت مفاهيم القرآن وتعاليم السنة فسمنت الإسلام جاهلية،

والتوحيد وثنية، والبنى عدلاً، والنفى رشداً، والمشورة فوضى، والعداوة أخوة، وتوسلت بالتدمير والتفجير والاعتقال والحيانة إلى قتل الأمة وهدم الوطن، وهم مع ذلك يقرأون القرآن، ويتلون الأوراد ويسيرون الشعائر، ويتسمون باسم (الإخوان).

ومن هذه الطائفة التي استنقصت في قلوبها رواسب المادية، وشوائب البهيمية ملوك وزعماء نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ فهم لا يشعرون بأنهم عرب لأنهم بهجتهم فقدوا أخلاق العروبة، ولا أنهم مسلمون لأنهم بهجتهم أنكروا خلال الإسلام؛ إنهم عبيد المال وأسرى الشهوة وأكلة الحرام وفعلة المنكر ومستعبدو الشعب وعابدو المستعمر، وموظفو الفتنة، وباعثو الفرقة وناشرو الرجعية، وناصرو الجريمة، ودعاة الهزيمة، يهاقون الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى، ويتبعون غير سبيل المؤمنين في جهاد الصهيونية، ودفاع الأمريكية، ويدعون الدول المحمدية باسم الله إلى حلف يؤيد هذه المبادئ، ويعتقد هذه النخازي؛ ليحول بين العرب والوحدة، وبين الظلم والثورة، ويؤجل اليوم الذي يعنى فيه حرب الجزيرة أن بواديهم لم تعد رملاً ولا صخراً؛ ولا آباراً

تبض بالماء ولا مراعى تضن بالعشب ،
 وإنما أصبحت بفضل الأبحر السود التى تعج
 من تحتها بالنفط مناجم تقذف بالعبر وقصورا
 تضج بالجواري ، وجنانا تفيض بالنعيم ،
 فيعلمون أن أولئك كله قد استأثرت به فئة
 باغية تبدله فى البغى ، وتنفضه فى الدهر ، وتترك
 أصحابه للعري والجوع والعبودية والمشقة ،
 ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، وأقد حق
 الوعى الذى أيقظته ثورة تاريخ ، وأنضجته
 عبقرية جنس ، وأكملته عقيدة دين ، فبرى
 فى الوطن الإسلامى روح من قلق الروح
 لا يصبر على الفون ، ولا يرضى بالدون ،
 ولا يعنو وجهه لغير ربه . ولقد ملك هذا

الفتاق الروحى الجزيرة كلها رأسها وقلبها
 وأطرافها فتلاقت النحطانية فى الجنوب
 والعنانية فى الشمال على موعد من مواعيد
 الحق ليضموا الأغلال التى عليهم فى أعناق
 من استعبدهم باسم الدين ، واستذلهم بقوة
 الجهل ، ولينطلقوا خفافا إلى حياة أفضل
 ومقام أكرم .

* * *

ليس هذا الذى فعله الخوارج بالأمس
 ويفعله الإخوان والآفة والملوك اليوم من
 الإسلام فى شيء ؛ إنما هو التعصب الجامد
 والدنيا الغرور ، والهوى المضل ، والحق

الأسود ، والطغيان العاتى ، والكفران
 المقنع ، والموالاة للعدو ، والمداجاة للصديق ،
 والمهاوأة للبال ، لبست كلها لباس الدين ،
 واتسمت بسمة الخلافة ، وطارت من جو
 إلى جو ، وانطلقت من بلد إلى بلد ، تبشر بدين
 الدولار ، وتمتف بمحياة الاستعمار ، وتقول
 لهؤلاء الذين تتحلب أشداقهم للفرقة ،
 وترجف قلوبهم من الثورة : إن ديننا
 فى بلبلة ، لأن عروشنا فى زلزلة ، وما زلزل
 الأرض من تحتنا إلا هذه الأمم الاشتراكية
 الثائرة التى تريد أن تسوى بين العقال المذهب
 والعقال الصوف ، وتجعل الحباء المطنب
 بإزاء القصر المشيد .

ففعالوا نرفع المصاحف على الرماح ،
 ونقل لهم : لا حكم إلا لله ، ولا حلف إلا
 للإسلام ، ولا نعدم بفضل قناطينا المقنطرة
 من الذهب والفضة من يقول : إن المساواة
 فى المجتمع ضد الطبيعة ، وإن الاشتراكية فى
 الرزق ضد الدين ، وإن الذين يقولون بها
 ويسعون لها إنما جزاؤهم النصف بالقتابل ،
 واللعن بالخناجر ، وإن المجتمع الذى شادوه
 بالكفاية والعدل ، وقادوه بالإخلاص
 والحب ، إنما هو مجتمع كافر يجب أن يدمر
 من أساسه ، فلا يبقى عمران ولا سكان .
 وإنما يبقى البدو ، وتقوم الخيمة ، ويهدر

فلو أن المسلمين اعتقدوا ربهم اعتقاد المؤمنين،
وفقهوا دينهم فقه الموقن، واتبعوا رسولهم
اتباع المصدق، لميزوا المصلح من المفسد،
وعرفوا الهادي من المضل، واجتنبوا الطريق

الذي يُسَنِّبه الشيطان إلى الطريق الذي
يسنه الله، والأزهر فينا وجميع البحوث
الإسلامية فيه، هما الكفيلان بتقوية الوعي
الإسلامي، وتسوية الصف العربي، بتوحيد
الكلمة، وتوكيد الميثاق، وتأيد حرب الله
الذي جعل له القرآن نورا والسنة دستوراً
والجماعة قوة، وتفنيد حزب الشيطان الذي
جعل له البغي شريعة والغدر طبيعة
والاستعمار غايه، وذلك إنما يكون عن
طريق التعليم بالمدارس والوعظ بالمساجد،
والنشر في الصحف، والحديث في الإذاعة،

والبحث في المؤتمر، والنظر قبل ذلك كله فيما
يقرأ المسلمون من كتب وفيما يقمض الموهون
من يدع؛ فإن تنقية الدين بما علق به ودس
فيه تكشف للناس عن جوهره، وتصلهم
بروحه .

إن الغمام يحجب الشمس، وإن القذى
يفسد الشراب، وإن الماء إذا راق ساغ،
وإذا ساغ روى .

الجل، وبحكم العقال، وتعود الأمة التي
أوجدها الله، ووحدها محمد ومدنها
الرشيد أمة من الرعاة تكدح بلا أجر،
وتعيش بلا أمل، وتموت بلا دين .

* * *

باسم الإسلام دين السلام كأذ يكون هذا،
وباسم الإسلام دين الوثام يدأب الضالون أن
يكون هذا. والضالون في وطن العرب كله
لا يزيدون على ثلاثة نفر ضعفاء في الدين
والسلطان والقومية، ولكنهم أقوياء بالمال
والاستعمار والصهيونية، فإذا جردوا من
الألقاب المزيفة، وأزيلوا عن العروش
المستعارة، عادوا ناساً أقل من الناس، وشيئاً
أحق من لا شيء .

والسبيل إلى ذلك أن يعرف العرب في كل
مكان أنهم مسلمون والمسلم لا يدين إلا الله،
وأنهم عرب والعربي لا يستكين للذل، وأنهم
أصحاب الأرض وما فوقها من زرع وضرع،
وما تحتهما من بترول وركاز، فليس من كرامة
المسلمين ولا من شهامة العرب أن يدهوا
هؤلاء الطفيليين يستأثرون بخيرها دونهم،
وما قوتهم إلا منهم، ولا سطوتهم إلا بهم .

أحمد مكي الزيات

المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية

شئ خلقه، ومن صبغة الله (ومن أحسن من الله صبغة) ولأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأخذهم بها، وهدام إليها، لا تبديل لحق الله ذلك الدين القيم ومن هنا كان الإسلام بشريته جديدة لا يبل، ومن حوله الحياة تتجدد وتقبد، والوجود يتغير ويتحول، والإسلام اليوم وغدا هو الإسلام الذي بعث به محمد بن عبد الله والدين الذي ارتضاه الله.

والناحية الأخرى من الدراسة والبحث، والتقارير والتوصية هي نمو الإحساس الروحي في المسلمين، وتوثيق الروابط بحبل العقيدة، وتقرير المصالح بدافع الإيمان بالجماعة، والتكافل بين المسلمين.

هذا النمو الوجداني وذلك الرباط العقدي هو المصفاة التي تنقى جو التعاون الإسلامي بين شعوب المسلمين من أدران المصالح الدنيوية، وزهو السلطان.

ولا يكدر صفو الأمل في هذه الوحدة الإسلامية بطء النمو، أو قلة الحكم ما دامت البذرة منتقاة والأرض صالحة والجو مناسباً وما دامت الرعاية دائمة والصيانة قائمة، والمحاولة متجددة.

وهي محمد الله متجددة وموصولة، لأن هذه المؤتمرات قمت عيون المسلمين على

كان الخامس عشر من جمادى الآخرة ١٣٨٦ موهدا للقاء بين علماء المسلمين ومفكرهم على أرض الكسنانة وفي رحبة الأزهر الشريف حرم العلم وكعبة العلماء منذ أكثر من عشرة قرون. وهو لقاء مسجوق بلقاءات، واجتماع تقدمته اجتماعات فلا يكاد ينقضى مؤتمر لمجمع البحوث حتى تستأنف الأمانة العامة عملها في الإعداد لمؤتمر آخر، ولا يقر العلماء وأبا جديداً أو يضعون حلاً لمشكلة حتى يجد المجمع حصيلة جديدة من المباحث وحدداً جديداً من المشكلات، شأن الحياة في تجددتها وتعمدها وكثرة متطلباتها.

ولقد عقد مجمع البحوث مؤتمرين من قبل، أحدهما عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م والثاني عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، وفي كل مؤتمر تعرض بحوث ومشكلات، وتدور دراسات ومناقشات، وتقر قرارات وتقر توصيات وكل الذي يبحث ويدرس، ويوصى به أو يتقرر يأخذ أحد وضعين:

الوضع الأول: أن يضاف إلى رصيد الأمة الإسلامية الفكري وتناكبه صلاحية الشريعة لمطالبات الحياة، باعتبار القواعد الكلية والقضايا العامة لهذه الشريعة فتستوعب كل جديد في غير تفريط، وتخدم الحياة من غير إفراط لأنها من صنع الله الذي أتقن كل

خدمة أعمال هذا المؤتمر ، وكانت تجربة
خاض الشيوخ غمارها ، وامتحانا اجتازته
أجهزة الأزهر بنجاح .

فشهد مطار القاهرة الدولي شيوخ الأزهر
يتنابون العمل فيه . يستقبلون القادم ،
ويستضيفون المدهور ، ويخدمون الأعضاء .
وطائفة أخرى لم يشهدا المطاوع لازمت
الفنادق تهيء المبيت وتشرف على الطعام ،
وتوفر المركب .

ومن خلف هؤلاء وأولئك جماعات
وجماعات تنهض بشئون الإدارة ، وتجهز
لأعمال المؤتمر .

مشاعر وأحاسيس :

ولقد أحس وفود المؤتمر أن الأزهر
وحده لم يكن في خدمتها وإنما كان من خلفه
كل مسلم في كل جهاز من أجهزة الدولة ، وفي
كل مرفق من مرافقها ، كأنما الوفود ضيوف
عليه ، ومن خلف هؤلاء وهؤلاء أجهزة
الإعلام جميعا من صحافة وإذاعة وتليفزيون
يتابعون أعمالهم ويكتبون عنهم ويذيعون لهم ،
ويقدمونهم لشعب الجمهورية العربية في حرص
كريم على أن ينتفعوا بكل لحظة بقضونها ، وأن
يتعرف عليهم الناس في كل مكان ينزلون فيه .

من قارات مصر :

ومن القارات الثلاث آسيا وإفريقيا
وأوروبا وفدت الوفود يمثلون تسعا وعشرين
دولة :

هيئة ترعاه ، وترعى الأمة كلها هذه الهيئة ،
وأشرق في قلوبهم نور العمل ، لأن دوافع
الرعاية قلبية دينية ، ولأن ميثاق العمل
إلهي رباني .

لذلك فإن رسالة مجمع البحوث الإسلامية
وأهداف مؤتمره تقبلور يوما بعد يوم ،
وتتعلق قلوب المسلمين بها عاما بعد عام حتى
لكأن مجمع البحوث في مؤتمر دائم بهذه
المراسلات التي يلقاها والطلبات التي ترد
إليه ، والمشكلات التي يطلب رأيه فيها ...
من أجل ذلك فإن المؤتمر المعقود في القاهرة
اليوم ليس للعشرات الذين دعوا للمشاركة
في أعماله فحسب ، وإنما هو مؤتمر ستائة مليون
مسلم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وأن الإسلام هو الدين المرصى ،
وأن المسلمين أمة واحدة تسكنا دماؤهم
ويسمى بدمتهم أديانهم وهم يد على من سواهم ،
لا يزيغ عن ذلك العهد إلا ضال ، ولا ينتقضه
إلا مضل .

المسلمون في ضيافة الأزهر :

فإذا شاء قائل أن يقول : إن ستائة مليون
كانوا ضيوفا على الأزهر فهو صادق ، وأن
ستائة مليون اتتمروا في مجمع البحوث فهو
صديق لأن هذه هي حقيقة الدافع من عقد
ذلك المؤتمر .

ولقد جند الأزهر شيوخه وشبابه وجند
مجمع البحوث أجهزته وإداراته ليسهر على

فرن آسيا :

الأردن ، أندونيسيا ، العراق ، عمان ؛
اليمن ، الكويت ، لبنان ، سوريا ، غزة ،
باكستان ، الفلبين ، ماليزيا ، الهند ، اليابان

ومن إفريقيا

السودان ، تنزانيا ، ليبيا ، المغرب ،
موريتانيا ، كينيا ، النيجر ، سيراليون ،
الجمهورية العربية المتحدة .

ومن أوروبا وغيرها :

يوغوسلافيا ؛ وروسيا

كما ضمت هذه الوفود ثلاثة وسبعين
عضواً هم السادة : / عبد الكريم سابتو من
اليابان ، جمال الدين أميني ووان عبد الهادي
إسماعيل من ماليزيا ، والشيخ عبد الله
خوشه والشيخ عبد الحميد الساج من الأردن
والشيخ محمد ناجي أبو شعبان والشيخ محمد
عواد من غزة ، وسعيد أحمد أكبر آبادي
وعبد الوهاب بخساري وعبد المعيد خان
ومحمد إقبال أنصاري ومحمد إسلام الدين
ومصطفى فقيه من الهند ، والشيخ علي
عبد الرحمن ، والشيخ إبراهيم سرور الذهب ،
من السودان ، والشيخ نديم الجسر من لبنان
والسناطور أحمد اللنتو ومونتال تافور من
الفلبين ، وضياء الدين بابا خانوف وأحمد
شبين من روسيا ، وحسن سليمان جوزو من
يوغوسلافيا ، ورشد عبد الله الفرخان وعلي

عبد القادر الجسار من الكويت ، ومحمد
عبد الرحمن عبد الله من تنزانيا ، والشيخ
عبد الرحمن القلمود من ليبيا ، والأستاذ عبد الله
كنون من المغرب ، وسليمان بن محمد من عمان
والحاج محمد سالم عبد الودود من موريتانيا ،
والشيخ محمد يوسف البزوري ، ومولانا مفتي
محمود من باكستان ، والأستاذ أحمد شيخو
ومحمد طه يحيى عمر والدكتور محمود يونس
من أندونيسيا ، وجمعه أحمد عبد الله ،
وشريف عبد الله من كينيا ، والشيخ
نجم الدين الواظ وعبد الله الشخلى وكاظم
الكفاني ، وكال الدين الطائي ومحمد نعمة
من العراق ، والحاج عمر أحمد من النيجر ،
وعبد الستار الصعيد وغر الدين الحسني
من سوريا ، وقاسم غالب أحمد من اليمن ،
وسوري إبراهيم كانوا من سيراليون .

صورة المجمة

في الجامع الأزهر

ولقد كانت صلاة الجمعة في الجامع الأزهر
أول لقاء بين أعضاء الوفود في الخامس عشر
من جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ الموافق ٣٠ سبتمبر
١٩٦٦ كما كان في استقبالهم فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر ، والدكتور محمود حب الله
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وجمع
كبير من شيوخ الأزهر وعلمائه ، وطوائف
الذهب المصري الذين ضاق بهم الجامع الأزهر
على سمته . فاستمعوا إلى خطبة الجمعة من

حفل الافتتاح

وقد بدأ حفل الافتتاح بتلاوة آيات من كتاب الله تلاها فضيلة الشيخ محمود خليل الحصري ثم أتى فضيلة الإمام الأكبر كلفة الافتتاح وأعقبه فضيلة الشيخ إبراهيم سوار الذهب نيابة عن وفود المؤتمر، ثم الدكتور محمود حب الله الأمين العام للجمع، ثم ختمت الكلمات بكلمة السيد حسين الشافعي نائباً عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر مؤكداً نهاية الدولة بالأزهر، واهتمامها برسالة بجمع البحوث الإسلامية ودوره الكبير في تهيئة الفرص أمام علماء المسلمين للاجتماع من أجل العلم المتحرر من أى مفهوم سياسى يباعد بين الأزهر وبين خاصيته العلمية الجديرة به مقدراً للجمع جهوده رافعاً إليه تحيته وتقديره . ثم ختم الشيخ محمود خليل الحصري الحفل بمثل ما افتتحه به بتلاوة آيات من كتاب الله الكريم .

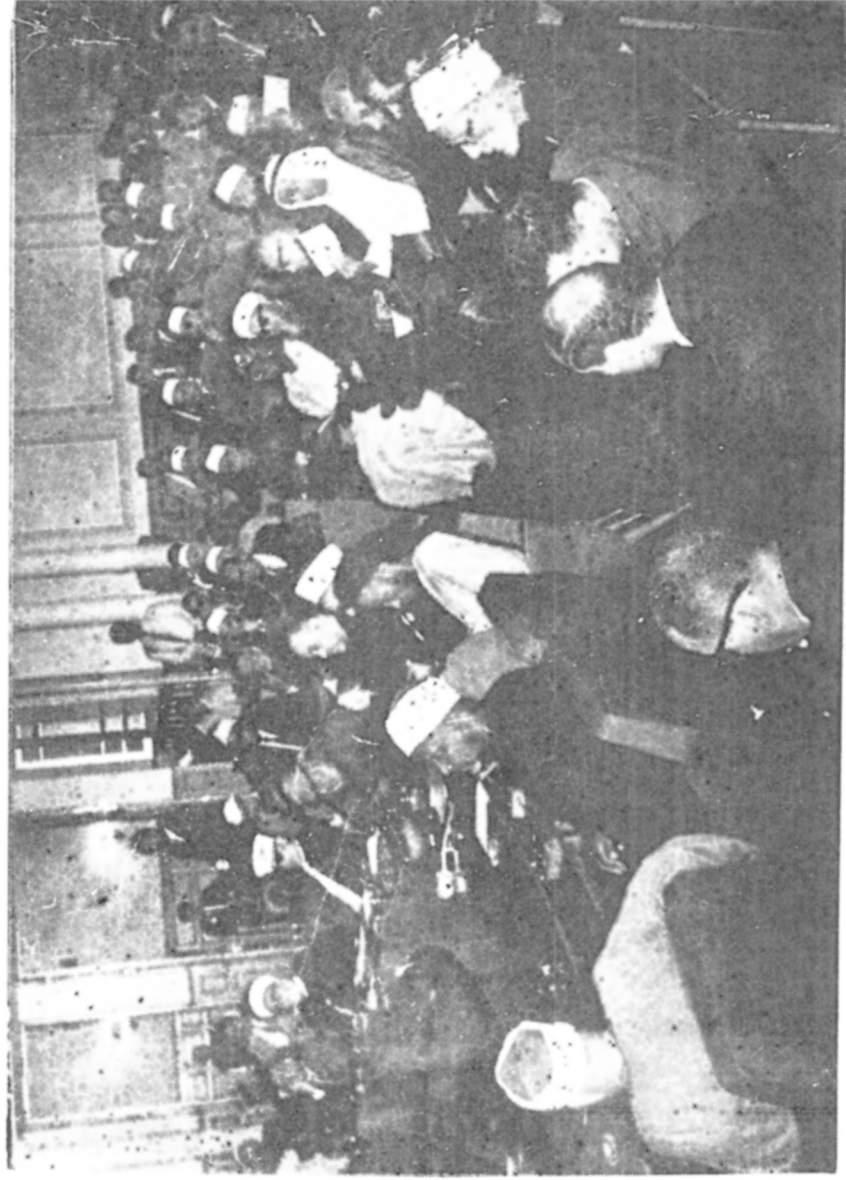
إزاحة الستار

ولقد ختمت إذاعة الجمهورية العربية المتحدة موجات برامجها وأذاعت الاحتفال على كل موجاتها بخمس وستين لغة ، كما سجل (التليفزيون) الحفل تسجيلاً (سينمائياً) ليظل ذكرى باقية للدعوة إلى جمع كلفة المسلمين ، والعمل على توحيد جهودهم ولم شملهم . وفيما يلي الكلمات التي أقيمت في حفل الافتتاح :

الشيخ إبراهيم الدسوقي مدير المساجد ، وأدوا فريضة الجمعة ، ثم خرجوا بدين تحية الجماهير وعواطفهم الأخوية وترحيبهم الحار .

السيد حسين الشافعي

ينوب عن السيد الرئيس في افتتاح المؤتمر وفي الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ١٦ من جمادى الآخرة الموافق ١ أكتوبر سنة ١٩٦٦ في قاعة محافظة القاهرة بميدان الجمهورية حضر السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ليفتح الحفل نيابة عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر وكان في استقباله فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر والدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر والدكتور محمود حب الله الأمين العام للجمع للبحوث الإسلامية وحضر الحفل من الوزراء السادة أمين هويدى وزير الدولة لشئون الأزهر والدكتور أحمد خليفة وزير الأوقاف والشئون الاجتماعية ، ومحمد فائق وزير الإرشاد ، وسعد الدين زايد محافظ القاهرة وجمع كبير من سفراء السلك السياسى العربى والإسلامى ، ومدبرى وعمداء وأساتذة جامعة الأزهر والجامعات المصرية والعلماء وكبار رجال الأزهر . ويمثل الصحافة والإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء العربية والأجنبية .



جانب من القاعة في حفلة افتتاح المؤتمر الإسلامي الثالث لمجمع البحوث الإسلامية

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

في افتتاح المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية

في يوم السبت ١٦ من جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ الموافق ١ من أكتوبر ١٩٦٦ م



فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

ونتيجة لهذا الإيمان العميق بيسف الإسلام وتفوق مبادئه وتميز تشريعاته واستيعاب قضاياء لكل جوانب الحياة - ندعو الجمهورية العربية المتحدة عن طريق الأزهر كل عام لهذا المؤتمر ، لتسمع الدنيا كلها ما انتهى إليه علماء المسلمين من بحوث تعلى الدين في جوهره الأصيل صلبا بلا جمود ، متطورا درن تحلل ، مستوعبا من غير تمحل .

بسم الله الرحمن الرحيم :

أفتتح الدورة الثالثة لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، وفي رحاب الأزهر أحبيكم ، يا حضرات المدعوين ، بتمحية الإسلام التي أولها سلام وآخرها رحمة وبركات من الله سبحانه وتعالى (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) . وأحبيكم مرة ثانية من المسلمين جميعا تحية الأمل فيكم والرجاء منكم ، متوجهة بمحمد الله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظلمه على الدين كله . وبعد : فإن الجمهورية العربية المتحدة التي شرفت بالإسلام ديننا ، وبالعربية لساننا ، وبالأزهر معهدنا - يسعدنا أن تستقبل علماء المسلمين من جميع قاع الأرض . استقبالا يليق بكريم مادعهم إليه ، من جليل الأعمال ونبل الآمال ، ويشرفها أن تهيب الفرصة للإسلام ، ليسمع الدنيا الحائرة كلمة الحق بالسنة صدق . وإن الجمهورية العربية المتحدة إيمانا منها بأن الدين عند الله الإسلام . قد هرفت صلاحيته لكل زمان ومكان ، وأدركت ملائمة مبادئه لكل ما يوجد من أفضية الحياة وحتمية الظروف ، لأنه من صنع الله الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

بتضليلاتهم ، ولا مستجيبين لقرهاتهم .
وهذا يصفو الجو الإسلامي من الكيد
لوحدة المسلمين بالدس الذي يفرق جمعهم
والفتنة التي تمزق شملهم ، وإذ ذاك يعرف
المسلمون أعداءهم الحقيقيين سافرين أو مقنعين .
وإذا كانت خدمة الإسلام هي الهدف
الاصيل لهذا المؤتمر - فإن واجب المسلمين
الأول أن يمسحوا الأرض الإسلامية مسحاً
دقيقاً نزيهاً يطهرها من كل دخيل غاصب
أو عميل مسلط ، وعلى علماء المسلمين توعية
إخوانهم في الدين حتى يكون الجميع على بصيرة
من رأى الإسلام في تكتل ظاهره إسلام
وباطنه استسلام .

وإن قديم التاريخ وحديثه - ليدلنا على أن
أعداء الإسلام في ماضيه هم بعينهم أعداء
الإسلام في حاضره ، وصهيونية اليوم
هي امتداد لصليبية الأمس .

وإذا عرف المسلمون هذه الحقيقة ، فإنهم
يعرفون من الذين هنام الله تعالى بقوله :
« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على
إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك
هم الظالمون » .

وفاء بهذا الواجب نظر مجلس الجمع في
اجتماعه الحادى والعشرين في غرة ذى الحجة
سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ٢٣ من مارس سنة ١٩٦٥
في موقف الجمع من مشروع الحلف الإسلامى

ولقد كان هذا المؤتمر عند حسن ظن الداعين
إليه ، وجميل رأى المسلمين فيه ، فقدم في دورتيه
السابقتين حصيلة علمية ضخمة دسمة اعتمدت
على صفاء الملكات في عمق البحث واستقصاء
المدرس ، وتنوع الموضوعات ، وملائمة
البحوث لروح العصر ، ومقتضيات الحياة .
وقد استوعب بجمع البحوث بتوصيات
مؤتمره ، ومقررات مجلسه ما يشغل بال المسلمين
في أوطانهم من تحرير البلاد من الاستعمار ،
وتطهيرها من زيف العقائد وتبصيرها بزيغ
الثقافات البعيدة عن المنطق والحق .

وإننا لنؤمل في هذه الدورة مزيداً من فضل
الله علينا في الفهم منه والاستعداد منه فهما
لقرآنه الكريم ، واستهداء بسنة وسوله العظيم
سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه ، وبروح
اجتهاد علماء المسلمين الذين فهموا الإسلام
فهماً بعيداً عن التعصب متصفين بسماحة
الحجة ، وأدب الجدل حتى تؤكد للعالم المعاصر
غنى الإسلام بكل مقومات الحياة الفاضلة ،
والاجتماع السعيد المتعاون على البر والخير .
وحين نوفق إن شاء الله في تحقيق هذا
الهدف تكون قد قطعنا على أعداء الإسلام
تشكيك المسلمين في صلاحية دينهم للارتقاء
بالحياة في جميع فروعها رقياً مادياً ، وفي إعطاء
الإنسانية حضارة مستقيمة كاملة مادياً وروحياً .
وإذا قطعنا على أعداء الإسلام هذه السبل ،
فلن نجد بعون الله سماعين لهم ولا مخدوعين

يراجعوا النظر في الدعوة إليه ، ويقارنوا بين ما يقصدونه من آمال وبين ما يترتب عليه من سوء استقلال ، فنحن جميعا مسلمون يجب أن ندع ما يريب إلى ما لا يريب وأن نترك ما شبه وأن نستبرىء لديننا وعلينا أن نجعل هدفنا وحدة المسلمين وجمع كلمتهم على الحق ، وهو ما يهدف إليه مؤتمرنا ويدعو إليه الإسلام .
أيها السادة :

إننا معاشر العلماء بما حملنا الله من أمانة العلم ، مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى عن تجملة عقائد الإسلام والدعوة له بالحكمة والموعظة الحسنة مهتدين في دھوتنا بقول الله تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، وبقوله تعالى : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله . .
وإننا لنعلن للعالم كله أن الإسلام يدعو الناس جميعا إلى كلمة سواء وهي ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئا ، لأنه الخالق لكل شيء العليم بكل شيء والمتصف بكل صفات الكمال — ليس كشيء شيء وهو السميع البصير .

ولقد علم الله سبحانه حاجته الناس إلى الإسلام ، فأُنزل على رسوله محمد صلى الله

وتناولت الدراسة فكرة مشروع هذا الحلف وتطور الدعوة إليه ، واستعرض مجلس المجمع موقف بعض الداعين الذين يروجون لمشروع الحلف في منطقتي المشرق والمغرب العربيين وقضايا الحرية في المنطقة ، ومن تعاليم الإسلام نفسه ، وكذلك موقف الدول الإسلامية المساندة له من القضايا الإسلامية والعربية ، ثم تهليل الصهيونية في العالم لمشروع هذا الحلف ، وتجنيد كل أجهزة الإعلام في إسرائيل للدعوة له ، كما ناقش المجلس البيان الذي كنت قد أصدرته قبل اجتماع المجلس بشأن استنكار الدعوة لمشروع هذا الحلف وإصدار المجلس القرار الآتي :

أولا : يستنكر بجمع البحوث الإسلامية ما تنطوي عليه الدعوة لهذا الحلف من فكرة سياسية واستعمارية ويدعو الدول الإسلامية إلى أن تأخذ حذرهما من خداع أساليب السياسة الاستعمارية .

ثانيا : يؤيد المجلس البيان الذي أصدره شيخ الأهر بشأن هذا الحلف ويعتبره معبرا عن موقف المجمع من الدعوة له .

وقد أودع هذا البيان بأمانة المجمع ليطلع عليه من يشاء من حضراتكم .

وإذا كنا نختلف مع الداعين لهذا الحلف لما نلبسه من الضرر الذي يمس مصالح الإسلام والمسلمين ويفيد منه الاستعمار والصهيونية — فإننا نهيب بالداعين إلى هذا الحلف أن

لهم من شرع الله بدلا عن قوانين البشر التي قد تخالف شريعته حتى يطبقوا أحكام الله على الناس عامة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وحين يوفق حكام المسلمين إلى ذلك ييأس أعداء الإسلام من التسلل إلى نفوسنا بالكيد والإغراء والخداع لأننا جميعا سفود أمورنا إلى كلمة سواء من شرع الله وقانون السماء .

أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في كل ما نأتي وفي كل ما ندع ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشدا ، ونسأله جميعا أن يجمع كلمة المسلمين على الحق ، وأن يجعلهم دائما أشداء على الكفار رحما بينهم - وأدعوه جل شأنه أن يوفق ولاية أمور المسلمين وأن يعز بهم دينه حتى تكون كلمة الله هي العليا .

وأحي عن المؤتمر وعن المسلمين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على ما وفقه الله إليه من إنشاء مجمع البحوث الإسلامية ومن التمكن لمجلسه والرعاية لمؤتمره - وأحييه مرة أخرى شاكرًا له تفضله بإقامة السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية هذه لحضور حفل الافتتاح ، وجزى الله بالخير كل من أسهم في إنجاح هذا المؤتمر وتمكينه من أداء رسالته خير الجزاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عليه وسلم القرآن الكريم ، كلام رب العالمين ووعد بحفظه من كل تغير أو تبديل قال تعالى :
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ومن يعتنق الإسلام من أهل الأديان السماوية الأخرى عن طوعية واختيار لا يطلب منه أن يذكر رسالة رسوله ويكففيه أن يصحح عقيدته وألوهية الله وحده وترك الشرك به ، والإخلاص في عبادته وحده والإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة جميع الرسل السابقين عليه بما فيهم الرسول الذي ينتمى إليه .

ودعوة الإسلام قائمة على أن الناس جميعا مخلوقون لله تعالى وعلى أنهم سواء أمامه لا يتأزرون بجنس أولون ، وإنما يتأزرون بأعمالهم ، وقد أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرنا . قال الله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليم خبير ، .

وهيئنا أيها السادة العلماء على أداء مهمتنا أن يرى المسلمون فينا الأسوة الحسنة ، نفعل بما نعلم وتتخلق بما نعلم ، حتى لا نكون من الذين قال الله فيهم ولم يقولوا ما لا يفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، .

وهيئنا أيها السادة بعد حسن الأسوة فينا أن نعين ولاية أمور المسلمين بأن نوجد

كلمة الوفود

ألقاها فضيلة الشيخ إبراهيم سوار الذهب
رئيس المحكمة العليا الشرعية بالسودان سابقاً



فضيلة الشيخ إبراهيم - سوار الذهب

الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
سيادة نائب رئيس الجمهورية
العربية المتحدة
السيد صاحب الفضيلة الإمام
الأكبر شيخ الجامع الأزهر
ورئيس المؤتمر
السادة أعضاء مؤتمر مجمع
البحوث الإسلامية
السادة الوفود الأجلاء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد : فقد أسعدني الحظ
ولاحظتني العناية لكي أنال شرف
إلقاء كلمة وفود الأقطار الإسلامية
في هذا المؤتمر العتيد فإباه هنا .

زمان ومكان، وتخدم مصالح المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها .
ولا شك أن من أهم دعائم الإسلام التلاقي
في عزة على الخير والبر والتواصي على الحق
وصدق الله في قوله : « والعصر إن الإنسان
لئني خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فأتقدم إليكم جميعاً أيها السادة بشكر
يقصر عن نفعه لسانی، ويمجزع عن تحريره بنائي
لما قتم به وتقومون من بحوث إسلامية قيمة
وفي استنباط نصوصها من أدلتها التفصيلية
من كتب فقه الشريعة الإسلامية لكي يتفهمها
المسلمون على حقيقتها والعمل بها اشتملت
عليه من أحكام صارت دستوراً صالحاً لكل

فضل الله عليكم ورحمته لا تتبعتم الشيطان إلا قليلا،
وإن يجمع البحوث الإسلامية الممثل
في كبار علماء المسلمين من جميع بقاع الدنيا
هو الأمل الوحيد المرجو وحبل الله المتين .
وعليها جميعا تبعات أمام الله وأمام كتاب
الله ورسوله وأمام المسلمين أجمعين .

وقد أخذ الله علينا الميثاق في كلمته :
وجوب البيان - وجوب هدم الكتمان
« ولأخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
لتميئنه للناس ولا تكتمونه » .

كما بين لنا الله سبحانه وتعالى بل وأخذ
علينا ميثاق الكتاب نفسه في كلمة هي الحق
فلا يصح أن نقول هل الله غير الحق .

« ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ألا يقولوا على الله إلا الحق ،

لهذا اجتمعنا ، وعلى هذا سنسير ، وبهذا
سليتنى مؤتمرا في هذه الدورة وغيرها
بتوفيق الله .

أما الجمهورية العربية المتحدة فلمنا من الفضل
والتكريم ما نعجز عن تليانه فهمى بلد الأزهر
الشريف معقل الإسلام ومشعل النور وحصن
العروبة ، وهى بلد التأخى ، ولها فى نفوسنا
أعظم الأثر ولرجالها الكرام والعلماء الأجلاء
الممثلين فى شخص الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر
منا جزيل الشكر ، ومن الله المثوبة والأجر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إبراهيم سوار الغدب

وايس البر فى الإسلام تولية الوجوه نحو
المشرق والمغرب .

وليس البر تظاهرات ولا مظاهرات
ولا شعارات ، ولا دهوات .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى
المال على حبه ذرى القربى واليتامى والمساكين » .
والإسلام لا يعرف التحزب ولا التشيع
ولا الأحلاف فإن المسلمين جميعا أخوة ،
وهم حزب واحد هو حزب الله .

« ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

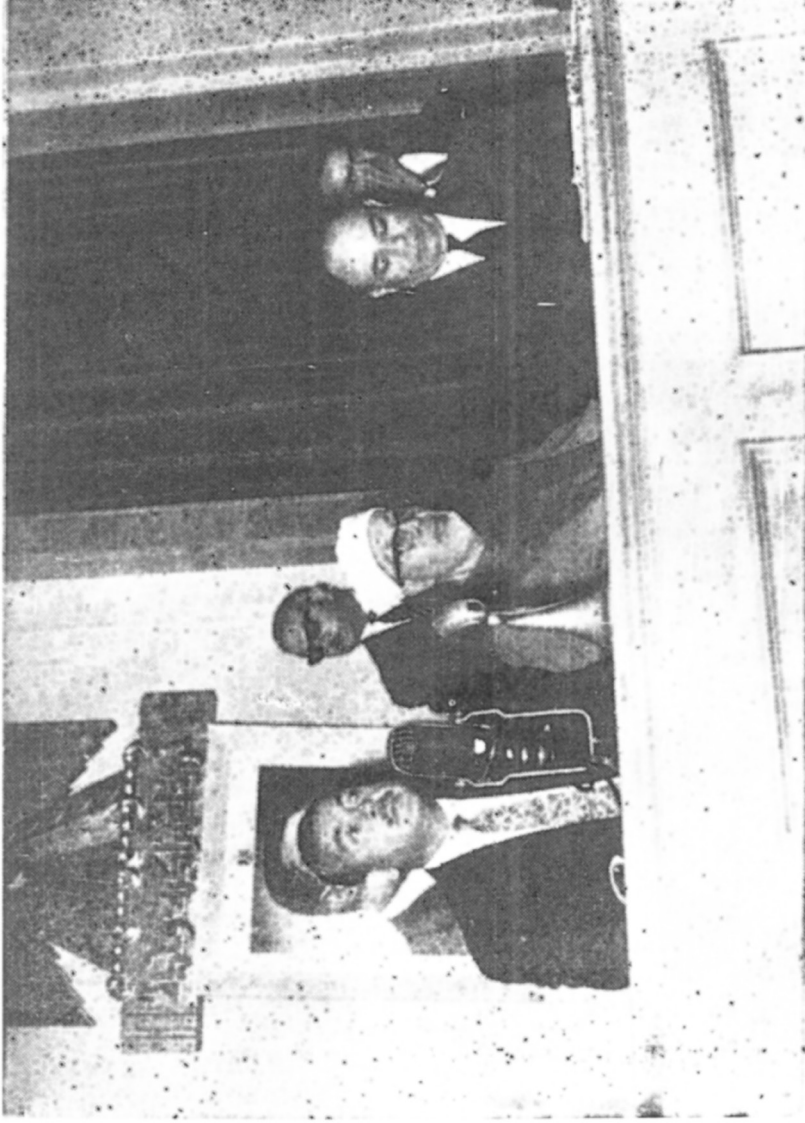
وقد نبه الله المؤمنين إلى أن كل من يتولى
المكافرين فهو منهم :

« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ،
بل لقد حذر الله المؤمنين من التفريق حتى
لا يكونوا من المشركين :

« ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » .

والإسلام يأمر دائما بالرجوع فى كل أمر
إلى الله ورسوله وإلى العلماء المتخصصين الذين
يستطيعون الاستنباط فى كل أمر - أما أولئك
الذين يذيعون بكل أمر يهد عليهم وينددون ،
أو يمدون أيديهم لغير المؤمنين فهو لا يليق
من المسلمين فى شيء .

« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف
أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى
الأمر منهم لعليه الذين يسقنطونه منهم ولو لا



المنصة الرئيسية في حفلة الإفتتاح يتصدرها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وعن يمينه السيد
حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية، وعن يساره السيد الدكتور محمود حب الله
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

كلمة الدكتور محمود حب الله الأمين العام للجمع



الدكتور محمود حب الله

السلوك وينهض بالانظم ، من غير انحراف
بالعقيدة أو تبديل ، وأن يجمعوا على الحق كلمة
تتنازهها عوامل الزمن وتهددها خطاطر
الفرقة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .
وللشعوب الإسلامية خاصية ، استودعها
الله الفرد وخلق بها الجماعة . فربى الإسلام
الفرد على أن يعيش لدينه ونفسه بقدر
ما يسعد ، وأن يعيش لدينه وللناس من حوله
بقدر ما تنهض الأمة وترقى ، على أنه فرد في
مجتمع لا تحده حدود ، ولا تدوره أبعاد ،
ويربى الجماعة على أن تتمكث وتعاون

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله ، نحمده سبحانه ونستعينه
ونستغفره ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونأصلي
ونسلم على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ، والداعين إلى دينه ، والمهتدين بهديه .
أيها السادة الأفاضل :
نلتقي اليوم في أرض السكينة ، وفي رحاب
الأزهر الشريف - أزهركم المعمور - بيت
الله ، وكعبة العلم ، معقل الدعوة إلى الله ،
ومقصد علماء الإسلام من قديم .

نلتقي اليوم في المؤتمر الثالث لجمع البحوث
الإسلامية ، استجابة لأمر الله ، وتوسعا في
المعرفة بدين الله وشرعية الله ، وتأكيذا
للعاون الذي دعا الإسلام إليه ، وجعله صمام
الامن ، ومرتقى نهوض الأمم والجماعات .

ولقد كانت لنا لقاءات سابقة في مؤتمرات
انعقدت من قبل ، شارك فيها البعض ببحوثه
ودراسات ، كما شارك البعض بآرائه
وأفكاره ، وعرض فيها البعض مشاكل
مجتمعه وآمال أمته . فأمهم كل بنصيب
مشكور وجهد مذكور ، يحدوهم جميعا أمل
كبير وهدف عظيم : هو أن يأخذ المسلمون
من دينهم لدينام ما تستقيم به شئون الدنيا
دون تحريف أو تزيف ، وأن يطوعوا سلوكهم
ونظم حياتهم لعقيدة الإسلام بقدر ما يقوم

والبعد عن واقع الحياة ، ولكن يجمع البحوث منذ نشأ ، وعلى حدائق منشئه ، جعل ميدان عمله هو المجتمع الإسلامي ، ووسيلة عمله هي العلم والفقه والدراسة ، وثمرة عمله أن تصبح نتائج بحوثه دراساته سلوك الفرد والجماعة .

فغاية البحث العلمي في هذا السبيل هي الملازمة بين ما يواجهه المسلمين في حياتهم من مشكلات وبين ما يعتقدون ، بحيث لا يصبح الدين شيئاً والحياة شيئاً آخر ، فيتمتع المسلمون فيها وقع فيه غيرهم بأن يجرّفهم التيار في طرّاق وعرة معتمه من المادية الحاصلة يضيئها لون باء خافت من قيم زائفة ومثل مصطفعة ، لا تشرق بها نفس ، ولا تتميز بها معالم الحياة ولا تثبت أمام الاختبار ، أو ترتفع بهم المغالاة إلى وهابية مبتدعة لا تحقق حياة العزة والكرامة ، ولا تنهض بتبعات العمران الذي يدعو إليه الإسلام .

والغاية من دراسة مشاكل المجتمعات الإسلامية هي المعاونة على إيجاد الحلول العملية لهذه المشاكل لتوثق الروابط بين هذه المجتمعات ، وتزكو في النفوس دوافع المشاركة الوجدانية باعتبارها الطريق إلى المشاركة في العمل .

ولنما تصبح هذه الغايات واقعا حين تستشعر المجتمعات الإسلامية هذه الحقيقة من ذوات نفوسها أثرا للإيمان بأن الأمة الإسلامية رصيدها من تراثها الإسلامي تستطيع أن تواجه به مشاكل الحياة ، وتتغلب على هذه المشاكل ، وبأنها أمة واحدة تجمعها

ليسعد ذلك الفرد على صعيدها ، ويتنفس مل . رتقيه في حمايتها ورعايتها . وصدق الله العظيم ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، ومن هنا كان زمام السلوك السوي للفرد والجماعة جميعا هو العقيدة السليمة والعمل الرشيد ، ولذلك ، أيها السادة ، فإن شعوب المسلمين لن يصلح أمرها وآخرها إلا بما صلح به أولها ، فلن تجمعها مصالح الدنيا ما لم يجمعها عقيدة الدين وتحيا في نفوسها دوافع الميثاق الذي واثقها الله به . وإن تجمعها عقيدة الدين ما لم تكن لتلك العقيدة أصول ثابتة في قلوب صافية ، ونفوس زكية ، فقتكنا دواعيهم ويسمى بذيهم أدناهم ، ويصبحوا يدا على من سواهم .

ولقد أنشئ يجمع أبحاث الإسلامية استجابة لهذه الغايات العليا ، ليكون ملتقى لعلماء المسلمين جميعا مهما تختلف مذاهبهم ، أو تتعدد مشاربهم ، أو تنشعب اتجاهاتهم في الحياة . على المحجة البيضاء بملتقون في رحابه : يستمدون الكتاب المبين ، ويسترشدون السنة المطهرة ، وينشدون الحق فينصرون به وينتصرون له ، ثم يخرجون على المسلمين برأى الإسلام فيما عرضوا له أو عرض لهم من مشكلات ، في ائتلاف لا يشوبه اختلاف وانفاق لا يعيبه افتراق .

ولو أن يجمع البحوث الإسلامية قصر جهده على مسائل العلم والفقه ، ودراسة المشكلات وتقرير الحلول فحسب ، لحكم على نفسه بالقصور

وعقدي ، ولم يفكر بعد في وسائل التغلب على هذه التحديات .

ولمجمع البحوث الإسلامية - ولجميع العلماء - في هذا المجال دور كبير وللشعوب والمجتمعات الإسلامية فيه دور كبير كذلك .

فدور المجمع هو إبراز القيم الإسلامية التي تحقق التوازن بين قوى الفرد والمجتمع ونجالية الحقائق الإسلامية الكبرى في إطار فكري علمي مقنع ، يرى المسلم في ضوئها هقيده صافية الجوهر أصلية المأخذ ، يميزها القيم البراقة والمثل الحادعة ، التي لا تكفل مستقبلا مأمونا ، أو ترضى عقلا رشيدا .

فدور المجمع هو التحليل والتبيين ورسم وسائل التنفيذ .

ودور الشعوب الإسلامية هو غرس هذه القيم الأصيلة في النفوس ، تنشئ الأجيال عليها ، وتعمق الإيمان بها ، وتقرعها منهاجا للسلوك الفردي والجماعي .

ولنما يلتقي التخطيط بالعمل يوم بقوى أثر المجمع في النفوس على المستوى العالمي ، وتلف حول رسالته الهيئات التي تعنى بالإسلام وتدعو له ، وتتجاوب معه كل القوى التي ترضى شئون المسلمين وتحرم عليهم ، ودون هذا التخطيط وهذا التجاوب تكون الحركة سهرا على غير هدى ، وجهدا مبددا يمكن المحصوم الإسلام منه ، ويطعمهم فيه ، ويفريهم به .

ومن هنا كان الحرص على أن يتجدد اللقاء في ذلك المنطلق الإسلامي نحو ما يحفظ

هقيده واحدة ، جوهرها الشهادة ، ووسيلتها العبادة ، وأثرها المحبة ، وثمرتها الحياة العلمية والعزة المنشودة ، والسلوك القويم ، وذلك أوقى جوانب الرسالة التي تحملون أنتم أيها السادة العلماء - أمانتها ، وتؤسسون على قواعدها مباحث الإصلاح .

أيها السادة :

ليس عسيرا على المجتمع وعلمائه أن يجمعوا كل جديد دخل حياة المسلمين ، وأن يطوعوا ذلك الجديد للقواعد السكينة والقضايا العامة التي جاء بها الإسلام شريعة تنظم حياة المسلمين ، فشرعية الإسلام بأصولها وكثرة التفريعات بها وكال الحسكة فيها كل أولئك يكفل لهم التيسير ، غير أن الأمر اليوم أكبر من الإلتزام والتخريج والتطويع ، فإننا نعيش عصرا يهوج بالصراع من أجل النفوذ والسيطرة وبسط السلطان ، صراع لم تشهد الإنسانية له نظيرا من قبل ، ولا يقف أثره عند الحياة العملية للإنسان ، ولكنه يتخذ هذه الحياة وسيلته وصتاره ، أما هدفه الأول فهو الهقيده في السلب والإيجاب ، وإلى هذا الهدف الخفي ينبغي أن تتوجه الأنظار وأن تتضافر الجهود .

وإنه لمن الواضح أن العالم الإسلامي لا يزال بعيدا عن التصدي لهذا الصراع الذي يهدد هقيده ، فلم يتجه بعد اتجاها كائما إلى تحليل هذه التحديات ، وتعرف مدى مخاطرها على المسلمين ، وما تحمل في طياتها من غزو فكري

ووصل فيها إلى قرارات وتوصيات تعتبر ، بحق ، أحكاماً جديدة تواجه مقتضيات العصر . وسارت الدورة الثانية في الطريق نفسه بقوة وحكمة وشهدت نخبة من البحوث العلمية الهامة ، فكان منها العقيدة كما رسمها القرآن في وضوح معالمها والحفاظ عليها ، والبعدها عن ضلال التفكير وزيف الإلحاد .

وكانت شئون المال والاقتصاد والاستثمار ، لبيان حكم الله فيما جدد من المعاملات المصرفية ونظام التأمين والاستثمار .

وكانت بحوث في شئون الأسرة والشباب تناولت تنظيم الأسرة والنسل ومكانة المرأة في الإسلام ، تصحيحاً لكثير من الأفكار الخاطئة التي يروج لها المغرضون وأرباب الفكر السقيم .

وكانت بحوث أخرى في موضوعات اجتماعية وحضارية صححت كثيراً من المفاهيم المنحرفة والأفكار الخييلة على الثقافة الإسلامية كل هذه البحوث كانت مدار دراسة مستفيضة وتمحيص أمين ، انتهى المؤتمر في كثير منها إلى توصيات وقرارات تخدم المجتمع الإسلامي في دينه ودنياء وتؤكد التعاون بين شعوبه وتنتصر لقضايا المسلمين العادلة . وتصحيح فهم بعض الأحكام وبقى منها موضوعات لا تزال قيد البحث إمعاناً في الدقة ، واستيفاء لكل جوانب البحث ، لتسكون المقدمات وافية وكافية لإصدار الأحكام .

ولمنا نستقبل بهذا الافتتاح اليوم دورة

هل المسلمين عقيدتهم ودينهم ، ويضمن لهم هزمهم ومجددهم عندما يتحقق هذا السلوك من العمل المشترك فيتحقق به إن شاء الله من التوازن بين الدين والدنيا والعقيدة والسلوك ما يظهر أثره في العالم الخارجي قوة روحية وإلهية تتصدى لكل تحد ، وتنحطم على صغرتها كل فكرة منحرفة ودعوة ضالة ، وقوة اجتماعية متماسكة يتحقق بها الخير للمسلمين ، وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ولذلك ينبغي - أيها السادة - التفكير الجدي في شئون هشرات الملايين من المسلمين الذين يمثلون أقلية في كثير من البلاد - التفكير الجدي في شئونهم الدينية والثقافية حتى يتمكنوا من فهم دينهم الحق في صفاء جوهره وأصاله معدنه ، ومدى صلة هذا الدين بالحياة . . . وحتى يتمكنوا من أن يعيشوا على مستوى العقيدة التي بها يؤمنون . من أجل ذلك كله وجب أن يكونوا معنا بمشاكلهم ، حتى نضع علاج هذه المشكلات على ضوء الواقع الذي يعيشونه .

ومن أجل ذلك أيضاً لزم - أيها السادة - أن يتسع نطاق المجمع ونفوذه وأن تزيد فعاليته حتى يصبح قوة تستطيع مواجهة كل هذه الأعباء . أيها السادة :

سبقت هذه الدورة للتوتمر بدورتين كانت أولاهما باكورة أعمال هذا المجمع ، وفاخرة التفكير المشترك بين المسلمين في العصر الحديث ، شهد فيها كثيراً من البحوث والمشكلات ،

المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي ، الذي أقعده المرض عن أن يشهد اجتماعنا هذه في دورات المؤتمر ... فعمده الله برحمته وأنزله منازل الأبرار .
أيها السادة :

يسير العمل في هذه الدورة على غرار ما كان في الدوريتين السابقتين ... يسير على فترتين ، تبدأ الأولى منهما اليوم ، وتنتهي بنهاية الحادي عشر من شهر أكتوبر ، ويشترك فيها السادة المدعوون مع السادة الأعضاء ، وتستمر لفترة الثانية بعد ذلك حتى نهاية الأسبوع الرابع من يوم الافتتاح ، وبنفرد بالعمل فيما السادة أعضاء الجمع . وموضوعات البحث في الفترتين مدونة في كتيب بين أيديكم .
أيها السادة :

إنها بحوث ومفكرات — ليس يكفي — كما قلنا ونقول دائماً — أن يقال رأى الدين فيها ، وإنما الذي يعنى في المقام الأول كذلك هو تحديد الوسائل إلى الأخذ بها والتزام حدودها ، لتتكون مقررات المؤتمر وتوصياته منهج العمل في المجتمع الإسلامي ، وموضع النظر الجاد بين المسلمين .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين . .

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

جديدة من دورات مجمع البحوث الإسلامية وستعرض عليكم فيها البحوث التي تقدم بها السادة الأعضاء تواصلون فيها الدراسة والبحث لبيان طرائق السلوك القويم للفرد والمجتمع ، التي يرسمها الإسلام للمجتمع الفاضل الذي ينبغي هيش العزة والأمن والكرامة .

سيعرض عليكم بحث من مكانة السنة في التشريع الإسلامي ، وقيمتها العلمية والدينية . توضيحاً لمصدر هام من مصادر التشريع وبياناً واضحاً للناس ، تصحيحاً لما تردد حولها في هذه الآونة هنا وهناك .

كما تعرض عليكم للدراسة لأول مرة موضوعات تشغل أذهان المسلمين في العصر الحاضر ، تتعلق بالشهور القمرية ، وإمكان تحديد أوانئها قبل حلولها ، بحسب آراء تحديد المواسم والأعياد للمسلمين .

كذلك ستبحثون في وسائل الانتفاع بالذبايح في موسم الحج ليفيد منها المسلمون . والنظر والدراسة اشئون الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر ، حماية لصلامة المعاملات المالية بين المسلمين من شوائب الجور وإثم المعضية والانحراف

بحوث تنتظر التحقيق والتحرير ، ومشاكل تتطلب الحل والرأى .

أيها السادة :

يعز علي أن أقوم الآن بواجب مرير ، هو أن أنهي إليكم علماً من أعلام الإسلام وعضواً من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية

كلمة السيد حسين الشافعي

نائب رئيس الجمهورية



السيد حسين الشافعي

المسافات الشاقة الطويلة ، في طريقكم إلينا ،
من مختلف الدول ، القريبة منا و البعيدة ،
في هذه الرحلة من أجل كلمة الدين ، وتوسيع
نطاق الدعوة إلى تعاليمه ، وتعميق الحقائق
السموية التي يزخر بها ، والتي يعتمد عليها
صلاح أسر المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ... والحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .
السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ،
وضيوف الجمهورية العربية المتحدة .

أرحب بكم باسم الرئيس جمال عبد الناصر
وأحمل إليكم تحياته وأطيب تمنياته لكم
بالتوفيق والسداد في عملكم الذي يتطلع إليه
كل مسلم ، ويسرني أن أؤكد لكم أن السيد
الرئيس جمال عبد الناصر ، يتابع باهتمام بالغ
كل ما يدور في هذا المؤتمر ، يقينا منه بأن
اجتماع العلماء ، هو المجال الحيوي للوصول
إلى الآراء الموضوعية على أساس من البحث
والعلم والمعرفة ، وإلى توصيات تستهدف
وجه الله عز وجل ، ومصالح المسلمين على
المستوى المحلي ، وعلى نطاق العالم الإسلامي
أجمع ، وهو يمتد عبر القارات الخمس .

وإطيب لي أيضا ، أن أقول لكم تقدير
شعب الجمهورية العربية المتحدة لجهادكم
في سبيل الله ، ذلك أننا في بلدنا هذا ،
شعبا وحكومة ، نقدر ما تلقونه في تحمل

ولا الهوان .. وكانت روح الإسلام تؤمن بالاجتماع الأفضل حقيقة تسعى إلى إقامته ، وتؤمن بالناس جميعا وبخاصة أولئك الذين لم تتح لهم فرص الحياة .. وذلك لكيلا تكون هناك بين المسلمين طبقة ولا فوارق ولكي يشعر كل فرد بحقه في نصيب عادل في ثروة وطنه ، فيعتز بإنسانيته وأدميته .

السادة العلماء :

لقد رأيت لوأما هلى ، قبل أن ألقاكم اليوم أن أستمع عرض قراوات المؤتمرين السابقين .. فوجدتها تتناول لأول مرة في صراحة ووضوح موضوعات طامادارحوها الجدل وموضوعات أخرى شغل رجال الدين عنها فاحتواها النسيان أو اختلفت من حولها الآراء اختلفا استوجب الإعراض عنها وعدم وضوح الرؤيا بشأنها .

ولقد أثبت كل من المؤتمرين السابقين أنه جدير بالتحية والتقدير والشكر ، حيث كان كل واحد منهما على مستوى مسؤولياته وخبرات المساهمين فيه ، عند ما واجه مشكلات تهم المسلمين ... وهى مشكلات ظلت تبحث عن الرأى والفتوى والحلول السليمة لها ، في حين شغل عنها الباحثون والعلماء .

ففي مؤتمر الأول ، ناقشتم موضوع الملكية ، وأصدرتم قراؤكم في أنه من حق

وبعد ، أيها السادة .. فإننا نحمد الله جل وعلا ، أن هيا لنا فرصة اللقاء معا ، في هذا المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية منذ تطوير الأزهر إلى وضع أتاح له أن يؤدي رسالة الإسلام فكرياً وبحثاً وعلماً وعملاً في مختلف نواحي الحياة .

ولقد أصبح مؤتمركم السنوى ، فرصة يجتمع فيها العلماء معا من أجل العلم الخالص المتحرر من أى مفهوم سياسى يباهد بيفه وبين صفته العلمية الجديرة بالأزهر ، الذى ظل أميناً على التراث الإسلامى ورسالة العلم طوال ألف عام .

وأصبح مؤتمركم السنوى بالمثل ، موعداً ينتظره المسلمون بوهى وبإحساس مرهف ، يتابعون القضايا المعروضة فيه ، ويتطلعون إلى قرارات تصدر عنكم بشأنها تبنى غلة المسلمين في مقابلة التحديات ومقاومتها بالمواجهة والرأى العلمى الدينى السلمى ، وذلك في تلك القضايا التى تعنى بجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وذلك لكي يصبح للفكر الإسلامى المتحرر ، الكلمة العليا التى كانت له في يوم من الايام عند بدء الرسالة .

فلقد كانت روح الإسلام هى التى توحى بالتضحية وبالإيثار ، بالحركة وبالإنجائية ، بالدعوة الجادة التى لا تعرف الكلل ولا التعب

السابقين . أن منطق الدراسات المعروضة في المؤتمر الثالث هذا تؤكد ضرورة المتابعة في بحث الموضوعات ذات الأثر البالغ على حياة الشعوب الإسلامية

وعند ما يدرس المؤتمر الثالث دور القرآن في التربية الحديثة ، والاقتصاد الإسلامي ، والاقتصاد المعاصر ، والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، وروح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع الحديث . . . فإنما يؤكد المؤتمر يقظة المسلمين في دراسات تؤكد حضارتهم ومسايرتهم لتطور علوم والفنون متمسكين بأداب وأموار دينهم .

وعند ما يدرس المؤتمر الثالث موضوع التكامل بين البيئات في المجتمع الإسلامي وتحديد أوائل الشعوب القمرية فإنما يؤكد أيضا المعنى الكبير ، وهو أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحكمهم في أمور دينهم نظام وروابط وأنه لا تعارض بينهم ، يستغله المستغلون .

السادة العلماء :

ما من شك ، وأنتم تعالجون بالدراسة والبحث وإصدار القراءات ، وقائع الحياة الاقتصادية والاجتماعية إعلاميا . إنما تضعون جوانبا من المعرفة التي ينتظر المسلمون بشأنها رأيا حاسما . . بل إن أصحاب الفكر الاقتصادي والاجتماعي في أنحاء العالم

أولياء الأمر في كل بلد أن يجدوا من حرية التملك بالقدر الذي يكفل درء المفسد البيئة وتحقيق المصالح الراجحة ، وأن أموال المظالم وصائر الأموال الخبيثة والأموال التي تمكنت فيها الشبهة على من هم في أيديهم أن يردوها إلى أهلها أو يدفعوها إلى الدولة ؛ فإن لم يفعلوا صادرها أولياء الأمر ليجعلوها في مواضعها . . . وإرتأيت أيضا أن الاستعمار وأهوانه هو الخطر الأول الذي يجب على المسلمين أفرادا وجماعات ودولا أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المستمرة حتى يتم تحرير المسلم قلبا وضمير أو وطنًا ومعرفة . كما قررت أن الصهيونية شمار جديد للداء الاستعماري الخبيث ، وأن مجاهدة الاستعمار والصهيونية فرض على كل مسلم ، وكل تخلف من ذلك عصيان لله تعالى وإثم كبير .

وفي المؤتمر الثاني ، تناولتم تنظيم الأمرة وقضية فلسطين ، وموقف الإسلام من الرق واسفسكرتم باسم الإسلام كل محاولات الضغط والعدوان على الحقوق الطبيعية للأفراد والجماعات ، ودهوتم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، إلى مقاومة كل ضغط أو عدوان على حقوق الأفراد والشعوب ، وقررت أن هذه المقاومة جهاد مقدس ، يفرضه الدين الحنيف ، وتحتمة الدهوة الإسلامية .

ومما يؤكد أصالة البحوث في المؤتمرين

وتؤكد الدولة بذلك أن الاحمال هي التي توضح حسن القصد وتؤكد لها لمنفعة المواطنين .

وأخيرا فإن خير ما يتمسك به المسلمون لصالح أروديهم ودنيام .. هو العمل لا القول وحده .. وأن يجاهدوا في الله حق جهاده ، وأن يوقنوا بأنه لا حرية سياسية ما لم تتوفر للمواطنين الحرية الاجتماعية الكاملة .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه القدوة والمثل الناجح فلم يكن الرسول يعمل لجاه وسلطان شخصي ، وإنما كان يعطي المثل والقدوة ، ويعطي النموذج الذي يؤكد أن الدعوة الصادقة إلى الإسلام هي دعوة من أجل الإسلام وحده ... صادرة من قلب يؤمن بالله ، وعن عقيدة لا تهادن أعداء الدين ولا تناصرهم .

دعوة يحملها صاحبها متحررا من أطماع الدنيا وثرواتها فلم تستقيم الدعوة إلى الإسلام من قيادة مترفة غارقة في الجاه والمال إلى جانب فقر شعب يتطلع إلى ضروريات الحياة .

أدعو الله سبحانه أن يوفقنا وإياكم إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

يتطلعون إلى شعاع الرأي الإسلامي في القضايا الحيوية الجوهرية التي تمس مصالح الناس .

وبهذا الأسلوب يحسم المسلمون أروديهم غير تابعين لآراء مستوردة أدخلت عليهم .

السادة العلماء :

لقد استهدفت الجمهورية العربية المتحدة في أعمالها أن تلبى الاحتياجات الأولى الإنسانية التي تضمن لكل فرد أن يعيش حرا كريما آمنا وهي المقومات الأساسية في الدين .

ولقد عيّنت الدولة بإقامة نظام يتمتع فيه أي نوع من أنواع الاستغلال . وصقلت المعاملات الزراعية والتجارية والإنتاج الصناعي في قالب صفيق منه عوامل التحكم والفساد والظرد والفصل التعسفي والغش . وحل محلها الإنتاج الوفير وشرف التعامل ، وحرية العلم وحق العمل ، وحرية النقد ، وحماية الكلمة المكتوبة .

وعيّنت الدولة بأمور الدين موضوعا وخلقها عاما ... وأعانت على البحث فيه ، والنشر في مختلف فنونه ، وشجعت بعونه ...

وتؤكد معنى الدين في الوقوف إلى جانب الشعوب في شدتها ومحنها .

من كلمات الوفود

كلمة سماحة الشيخ

نديم الجسر

مذروب لبنان وعضوا المجمع

يقين من أن هذه الفتنة أخطر من أن تعالج
بالردود السطحية ، فأبنا من واجب الإخلاص
فه ورسوله أن نقول كلمة في هذا الموضوع .
نحن والشباب المثقف :

أمام هذا الجيل المساعد من الشباب المسلم ،
المزدهو بصلاح العلم والعقل ، المفتون بأقوال
المستشرقين ، لا يجوز لنا أن نحصر الرد
في الأحاديث التي كانت موضع الإنكار ،
ولا أن نكتفي بتأكيد إجماع المسلمين على
إجلال الصحيحين ، ولا أن نشهر في المعركة
أسلحة التفسير والتكفير لنخفق أصوات
الهاب . لأن خفق الأصوات يرد الشك إلى
صدور الشباب ويجعلهم أكثر حيرة ، وزيفاً
وتصديقاً لهم المشككين من أعداء الإعلام
ولأن هؤلاء المثقفين من الشباب لا يكتفون
بالردود السطحية ، ولا يبالون بالتهديد
والوعيد ولا يقلعون عن التساؤل والاستفهام
إلا إذا يئسوا من قدرة العلماء على الرد القاطع
المقنع ، ودخلوا ، بيأسهم هذا ، إلى منطقة
الريب والكفر لا سمح الله . ولست أدري
والله ، سبباً يجعلنا نسير على الهباب
مطالبتة لنا بالإقناع العقلي الحر ، ونحن أهل

إلى فتنة التشكيك في الأحاديث النبوية
قديمة ، ذرقتها منذ أخذت أقوال المستشرقين
تقرب إلينا . ولكنها ظلت ضعيفة التأثير
على المسلمين ، لما هو ثابت عندهم من جهل
المستشرقين بأسرار علم الحديث ، أو سوء
نواياهم في السكيد لدين الإسلام ، أما هذه
الفتنة الأخيرة التي ظهرت من المسلمين أنفسهم
على أثر ما كتب في إحدى المجلات العربية
من إنكار لبعض الأحاديث المروية في صحيح
البخاري ، فإنها على براءتها من نية السكيد ،
كانت خطيرة الأثر .

ولو وقف الأمر عند حد القبضة الميمرة
من الأحاديث التي توجه إليها النقد والإنكار
لما وجدنا حاجة ماسة للكتابة في هذا
الموضوع بعد أن كفانا العلماء الذين تولوا الرد
أمر الكلام ، وإن كانت ردود بعضهم أضعف
بما تقتضي الحكمة ، وردود البعض الآخر أبسط
وأضعف من أن تقتلع الفتنة من جذورها .
ولكننا ، في محيطنا الهادر بأسئلة الشباب
المثقفين وشكوكهم ، قد حانينا من ضروب
الجدل والراء الذي أحيانا ، والبليد أحيانا ،
والخرج في بعض الأحيان ، ما جعلنا على

دين يجعل العقل السلطان الأعلى في فهم
نصوص القرآن فضلا عن الحديث .
توطئة للكلام مع الشباب :

وقبل أن أقدم للشباب المثقف ما عندي
من وسائل الإقناع العقلي ، وقبل أن أنصب
لهم الميزان الذي توزن به محبة الأحاديث ،
يهيئ أن أكرر لهم الشيء الذي طالما كررته
في كل ما أكتب ، في الدين ، في خير الشباب
وهو : التنبيه إلى عدم الخلط بين المستحيل
عقلا ، والمستحيل عادة ، والمستحسن
والمستحسن رأيا أو ذوقا . فالشباب المثقف ،
الذي يحسن التفريق والتمييز بين هذه المعاني
عند التفكير في قضية رياضية أو فلسفية ،
لا يتورع عن الخلط بينها عند التفكير في
قضايا الإيمان والدين ، ومن هنا يأتيهم
الإنكار لكثير من الأحاديث الواردة في
الصحيحين ، بل الزيف أمام المقشبات من
آيات القرآن ، بل ضعف الإيمان بوجود الله .
وإذا كان بعضهم يعتمد هذا الخلط لمجرد
المراء والتفاخر بتقليد الملحد ، فإن أكثر
الناضجين منهم يقررون في هذا الخلط عن عدم
انقباه ، بل عن حسن نية وغيره على الدين ، حين
يخيل إليهم أن بعض الأحاديث يتناقض مع العقل
والعلم ، أو يتنافى مع الحق والخير والمصلحة .
فلنؤلا أقول ، من باب التنبيه لامن باب
التعليم شيء قد عرفوه في دراساتهم الرياضية
الفلسفية : إن المستحيل العقلي هو الذي يحدث
نصوره تناقضا عقليا في الذهن . كقولنا : إن

الجبل يدخل في السكأس أو إن الجبل يدخل
في سم الخياط ، كما مثل القرآن ، أو إنكارنا
أن الواحد نصف الاثنين ، أو إنكارنا أن
السكأس أكبر من جزئة . أما المستحيل العادي
فإنه لا يحدث تناقضا عقليا في الذهن ولكن
جرت (العادة) أن نستبعد وقوعه ، مثل
استبعادنا ، قبل اليوم ، طيران الإنسان
إلى السماء ، وسماع صوت المتكلم من أقصى
الأرض ، والوصول إلى القمر ، وغير ذلك
من الأمور التي كنا نحسبها ، في العادة
مستحيلة ، ثم تبين أنها (ممكنة) ولذلك
سموها المستحيلات العادية .
أما الاستحسان والاستهجان فإنهما
لا يصلحان حجة للقطع بحسن الشيء وقبحه
إلا إذا كان هناك إجماع من كل العقول
السليمة ، كاستحسان الصدق واستهجان
الكذب ، أو كان هناك نص ديني قاطع
يقضي بهما ، ولو خفيت علينا الحكمة أول
الامر ، كالاستهجان لكل لحم الخنزير
أما الاستحسان والاستهجان الصادران عن
رأي الفرد لا عن إجماع ، وكذلك الاستبعاد
الصادر عن رأي على لم يبلغ درجة اليقين فإنها
كلها لا تصلح أن تكون أساسا للقطع والجزم
بعدم صحة الأحاديث الصحيحة . لأنه
قد يكون وراء الرأي الفردي ، أو وراء
الرأي العلي ، حقيقة من النفع أو الضرر
أو حقيقة من العلم سوف تظهر لنا كما ظهرت
طبعا حكمة الحديث الأمر بفصل الإناة الذي

الاحاديث عن غسل إناء وتحرير الخمر والتداى بالابوال ، قد قيلت منذ أربعة عشر قرناً ، في وقت لم يكن فيه الناس يدركون بعقولهم وجود جرائم الكلب ، أو ضرر قليل من الخمر ، أو نفع شرب البول في بعض الأمراض ؛ بل كنا نحار في تفسير هذا الحديث للسائلين من الشباب .

وبعد فهذه توطئة نرجو ألا تغييب حقائقها الواضحة عن تفكير الشباب المثقف عند كل بحث وتساؤل عن بعض الاحاديث النبوية الواردة في البخارى أو صحيح مسلم . ولعنا نريد بها أن نحمل الشبان المثقفين على أن يقيموا البحث ويهذبوا شكواهم في صدورهم لتتقلب إلى زين مسير ، بل نريد بها أن نضع لهم الميزان الذى يوزن به كل حديث يقع في تفكير الشباب وظمهم أن ظاهره يخالف العقل أو الحق أو الخير أو العلم .

ما هو الميزان :

الميزان هو العقل والقرآن ، والإيضاح لا بد من ذكر ست حقائق .

الحقيقة الاولى: أن القرآن قد جعل للعقل السليم السلطان الأهلى في إدراك الحق والخير من أتفه شيء كإمالة الأذى عن الطريق إلى أعظم شيء وهو الإيمان بوجود الله وهو أولى مزايا الإسلام ، فنحن بالعقل نؤمن بوجود الله ، وبالعقل نؤمن بوحدايته وكل صفات كماله وبالعقل نؤمن بالقرآن الذى أمرنا بتحكيم العقل في كل أمر من أمور الإيمان .

قلوت بلعاب الكلب سبع مرات لإحداهن بالتراب لإزالة جرائم داء الكلب .

وكا ظهر ضرر القليل من الخمرة وأثره في الآجنة بالتجربة التى أجراها العلماء في أمريكا على عشرة أزواج من الارانب سقيت تسعة أزواج منها جرعات متفاوتة القدر من الخمر ، فظهر تأثيرها وضررها في أجنحتها جميعاً ، حتى عند الزوجين اللذين لم يسقيا إلا جرعة واحدة فقط ، أما الزوجان اللذان لم يسقيا شيئاً من الخمر فلم يظهر في أجنحتها أى أثر لآذى ضرر ، وعلى غرار هذين المشلين نذكر ما اكتشفه العلم مؤخراً من وجود مادة هورمونية في البول تسمى (يورجاسترون) Urogastrone وأخرى تسمى (أنثلون Anthelone) تنفعان في مرض (قرحة المعدة) كما ذكر الدكتور (ميثال صليب) أستاذ طب الأمراض الباطنية بطب هين شمس في مبحث (قرح المعدة من كتابه) (أمراض الجهاز الهضمي) المؤلف بالإنكليزية المطبوع سنة ١٩٦٣ في صفحته السادسة والأربعين وقد تقدمت شركة (بارى ديفز) الإنكليزية المشهورة في صنع هلاج يسمى (كورتون Kurtone) يحتوى على هذه الهرمونات البولية ، وهذا ما يحل الإشكال الذى كنا نعالجه في تفسير حديث البخارى عن شرب أبوال الأبل الذى أمر النبي صلى الله عليه وسلم به بعض الأهـراب المرضى . فكل هذه

ففي قضية غروب الشمس في العين نجد أننا بين قضيتين قطعتين الأولى قول القرآن :
 ووجدوها تغرب في عين حمئة ، ، والثانية
 القضية البديعية القائلة بامتناع دخول الجسم
 الكبير وهو الشمس في الجسم الصغير وهو
 العين ، فاحتجنا إلى التأويل الذي يرفع
 التناقض ، ولكفنا في آية أخرى مشابهة في
 نفس سورة الكهف نجد أن التناقض غير
 متحقق وإن كانوا في الماضي يظنون خطأ أنه
 موجود ، ذلك في قوله تعالى عني ذي القرنين
 ووجدوها تغرب في عين حمئة ، فإن ظاهر
 على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، ، فها هنا
 حقيقة قاطعة وهي قوله تعالى : لم نجعل لهم
 من دونها سترا ، ، وفي مقابل هذه الحقيقة
 (أمر ظني) ناشئ من العلم الجغرافي القديم
 الناقص ، الذي كان معتمدا قبل اكتشاف
 مناطق القطبين ، وقلة معرفة دورة الأرض
 حول الشمس وهي مائلة ميلا يحدث عنه طول
 النهار في أحد القطبين حتى لا تغيب عنه
 الشمس عدة أشهر ، وطول الليل في القطب
 الثاني حتى لا تطلع عليه الشمس عدة أشهر ،
 فقد كان الناس لا يجدون في بقاع الأرض .
 التي عرفوها بقعة تطلع عليها الشمس بلا ليل
 فكان يبدو ، في الظاهر وجود تناقض بين
 القرآن والعلم ، والحال أنه لا يوجد ذلك
 التناقض الحقيقي الذي شرطه قيام قضيتين
 قاطعتين ، تتناقضان ، لأن في الناس وجود

الحقيقة الثانية : كل نص يوجب ظاهره
 تناقضا عقليا قاطعا في الذهن يجب تأويله
 حتى يرتفع التناقض ، وهذا متفق عليه عند
 العلماء لأن تعطيل العقل يرجع بالتعطيل على
 جميع الآيات الكثيرة التي أسرنا الله فيها
 بتحكيم العقل في أمور الإيمان ، ويرجع
 بالتعطيل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم
 الذي عرفنا صدق رسالته بالبراهين العقلية .

مثال ذلك : قول القرآن في سورة الكهف
 هن ذي القرنين ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس
 ووجدوها تغرب في عين حمئة ، فإن ظاهر
 هذه الآية يتناقض مع الحكم العقلي البديهي
 القاطع الذي يقضي بامتناع دخول الجسم
 الكبير في الوعاء الصغير ، لأن الأرض أصغر
 من الشمس بكثير ، فوجب هنا تأويل ظاهر
 الآية ، كما فعل العلماء الأعلام حين قالوا :

إن المراد بها أن ذا القرنين رأى الشمس
 في غروبها كأنها تغرب في العين الحمئة كما يقول
 أحدنا رأيت الشمس تغرب في النيل أو في
 البحر وهو يعلم قطعا أنها لا تغرب في النيل
 ولا في البحر بل تغرب وراء الأرض .

الحقيقة الثالثة : وهي نابعة من الحقيقة
 الثانية ، وقائمة لها ، ولكسنا أفردناهما هنا
 وأبرزناهما مستقلة لأهميتها وخطورها وهي أن
 التناقض لا يكون إلا بين قضيتين قاطعتين
 تتناقضان ، أما إذا كانت إحدى القضيتين قاطعة
 والثانية غير قاطعة ، وإنما هي ظنية ، فلا يكون
 هنا ذلك التناقض الذي يوجب تأويل النص

العادى من نوع الممكن وأحكام العلم الظنية لا تصلح أساسا للقول بوجود التناقض .

الحقيقة الخامسة : أن القرآن فيه آيات (محكمات) وأخر (متشابهات) كما قال الله تعالى في سورة آل عمران (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراشخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب) .

فالمحكمات : التى وصفها الله بأنها (أم الكتاب) هى التى لا يحدث تصور معانيها تناقضا عقليا فى الذهن ، بل القول باستحالتها هو الذى يحدث التناقض العقلى لأنها إما أن تكون من نوع (الواجب العقلى) وإما أن تكون من نوع (الممكن العقلى) والقول باستحالتها للواجب أو الممكن هو الذى يحدث التناقض العقلى (كما لا يخفى) أما المستحيل العقلى فلا تتعلق به إرادة الله كما سبق القول .

أما المتشابهات . فهى ما يشبه ويلتبس على الناظر أمرها فيظن أنها تتناقض مع العقل أو مع المحكمات وهى ليست كذلك . وقد أمرنا الله عند حصول هذا الالتباس أن نرد المتشابهات إلى المحكمات ، قبل أن تنورط فى إنكارها مادامت بذاتها لا تشكل فى الحقيقة تناقضا قطعيا مع العقل أو مع المحكمات

بقعة أرض لا تغيب عنها الشمس ، كان نفيا ظنيا عاطفا بحسب ما عندهم من العلم الناقص هن جميع بقاع الأرض ، فلما تم اكتشاف القطبين وظهرت البقاع التى تبقى الشمس فيها طالعة مدة أشهر تحقق صدق الآية .

فخرجوا ألا تغرب هذه الحقيقة الثالثة هن أذهان الشبان المثقفين ، لأنهم سيقعون فى الأحاديث النبوية الصحيحة ، على كلام يتوهمون فيه التناقض لاعتقادهم بأن الأمور التى يعرفونها قطعية ، وهى لا تكون قطعية حقا ، فى باب العلم ، كما ظهر من المثال الآتف الذكر .

الحقيقة الرابعة : ليس فى القرآن أبدا أى معنى أو خبر يحدث تناقضا مع أحكام العقل أو مع أحكام العلم اليقينية ، لأن إرادة الله لا تتعلق بالمستحيلات العقلية ، حتى المعجزات هى من الممكنات العقلية ، وخلق عيسى من غير أب من الممكنات وخلق البحر لموسى من الممكنات وإفلاق عصا موسى إلى حية تسعى من الممكنات ، ونسكلم عيسى فى المهد من الممكنات وإحياء الموتى من الممكنات والإسراء بالنبي من مكة إلى بيت المقدس فى ليلة واحدة من الممكنات ، وقس عليه ما ورد فى الأحاديث الصحيحة . ولكن لا يخرج فى قياسك هذا عن القاعدة وهى التمييز الصحيح بين المستحيل عقلا والمستحيل عادة ، وبين أحكام العلم اليقينية والظنية ، فالمستحيل

أن نقف عنده ، ونبحث فيه عن صحة الحديث وقوته .

وخلاصة القول : أن الميزان الذي نزن به الحديث هو القرآن نفسه ، فإن كان الحديث يتفق مع أصول القرآن ، ولا يتناقض معها ولم يبق مجال عند المؤمن العاقل لنقد الحديث أو إنكاره اعتمادا على ما في تفسيره من الاستحسان أو الاستهجان أو الاستبعاد الظني فهو الصحيح ، وكل ما نرجوه من العباد الملتزمين المخلصين ألا يستعجلوا في نشر النقد للحديث الصحيح الذي لا يسيغه تفكيرهم ، وأن يعرضوه بأفئسهم ، أو بمجموعة أهل العلم على الميزان الذي ذكرناه من القرآن والعقل فإن وجدوا له أصلا في القرآن فقد انحل الإشكال . وإن لم يجدوا له أصلا في القرآن لجأوا إلى ميزان العقل الذي قررناه وأوصناه فإن رأوا في الحديث ما يوجب تناقضا عقليا قطعيا ، لا ظاهريا ، مع أصل أو أكثر أصول القرآن جاز لهم عندئذ البحث في مبلغ الحديث من الصحة .

هذا ما ألهنا الله أن نكتبه في هذا الموضوع ليكون جوابا لكل شبهة . ولعل بجمع البحوث الإسلامية الموقر يصح ما فيه من خطأ ويقوى ما قد يكون فيه من صواب ويعدده بيانا وتوضيلا ، وكلية الجمع هي التي يجب أن تكون فصل الخطاب في أمر هذه الفتنة ، والله المستعان ؟

أو مع العلم اليقيني القاطع - كما في الأمثلة التي ذكرناها عن المعجزات التي يشتهر بها غير الراشدين في العلم ، أمرها ويمدها من المستحيلات ، وهي من الممكنات .

وكما في المثال الذي أوردناه عن طول ظهور الشمس في منطقة القطبين ، فقد اشتبه على الناس أمر تلك الآيات ، فظنوا أنها تناقض العلم ، ثم تبين لنا أن القضية العلمية ليست يقينية بل ظنية كذبها العلم ، فظهر به - إذا حكمة أمر الله لنا بأن نرد المتشابهات إلى المحكمات ، قبل أن تتورط في الجدل والمراء بشأنها ، وبأن نقول عنها قول الراشدين في العلم ، الذين يعرفون هذه الفروق بين التناقض الحقيقي المؤكد وشبهة التناقض فيتمددون على صدق القرآن ، ويجمعون في تصديق التشابهات - ولو لم يعلموا تأويلها إلى المحكمات ، ويقولون عن القرآن كله : (آتينا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبالب) .

الحقيقة السادسة : أن كل ما في السنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن ، ومردود إليه ، ومقيد به فلا يناقضه أبدا ، فالقرآن هو (الميزان) الذي نزن به الأحاديث فما كان منها متفقا مع أصول القرآن فلا مجال للبحث فيه ، وما كان منها متناقضا مع القرآن ، وكان التناقض قطعيا لا سبيل فيه إلى التوفيق ، فهذا هو الذي يصح

كلمة فضيلة الشيخ نجم الدين الواعظ مندوب العراق

حد التوازي يسمى خبر الآحاد وله شروط أربعة : إسلام الراوي وعقله وضبطه ومنه المشهور ، وهو ما تخلل في إسناده ثلاثة ، ومنه العزيز ، وهو ما تخلل في إسناده اثنان ومنه الغريب وهو ما تخلل في إسناده واحد .

فإن كان مسنداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو المرفوع أو إلى الصحابي فهو الموقوف أو إلى التابعي فهو المرسل .

فهذا ما يتعلق بأصول السنة وأما الكتاب وهو مصدر التشريع الإسلامي فحدث عنه ولا حرج قال تعالى : يا أيها الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضللاً بعيداً ، الإيمان بالكتاب

الحمد لله وحده نصره عبده ، وأعز جنده وأنجز وعده وهزم المشركين يوم الأحزاب وحده ، أما بعد فقد قال هرون قائل : فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير .

لقد أجمع العلماء على أن الأدلة الشرعية أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس وعند بعض طوائف المسلمين هو العقل لا القياس أجل : إن المجتهد إذا لم يجد مستنداً من هذه الأدلة الأربعة يكون مصدره ومستنده هو العقل أو الاستحسان ، أو الاستصحاب أو العرف أو العادة أو المصالح المرسلة . وقوة الحديث وصحته إنما هي بقوة سنده وفي السند رواة الحديث فما كان سنده قوياً كان الحديث الشريف أقوى منه ، وإن كان السند فيه ضعيفاً كان كذلك ، وكان غير مقبول في استنباط الأحكام ، وأقوى درجات الحديث هو الحديث المتواتر ، وهو ما يرويه جمع من جمع بحيث يحيل العقل تواطؤهم على الكذب وتعيين العدد ليس بشرط بل الضابط مبلغ يفيد اليقين نعم يجب الانتهاء إلى الحسن ومساواة الطرف الوسط وما لم تبلغ رواه

بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهرا ، فكان القرآن أعظم معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرى خالدة إلى الأبد .

ذلك الفرقان الشامل وقد جاء بالأحكام العامة للاعتقادات والعبادات والمعاملات الجامعة للأحكام التأديبية من القصاص والحدود والسياسات وجميع ما يتعلق بأمور الدنيا والدين فقالت به الأمة الإسلامية في مدى سنين قليلة من بسطة العلم والملك ما لم يتنبأ لغيرها من الأمم في مثل ذلك الزمن القصير الأمد فقد بشر القرآن وأنذر ورغب وقرع ووعد وأوعد وبني وهدم وقوى وأوهن ووصل وقطع وأخذ بذويه إلى المكانة العليا ونهج في تربية الإنسان منها قويا مخاطب العقل وناجى العواطف وأدب الحواس وهذب الملكات وحاسب السرائر وآخذ الضائر وقرر العقائد وقاد السكتائب ودوخ الممالك ومصر الأمصار وشيد المدنية الفاضلة وسن الشرائع الكاملة وقاد الأمم إلى خيرها وسماحتها ونجاحها ونجاتها ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « القرآن شافع مشفع وما حل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه قاده إلى النار » قال تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

المنزلة من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان واجب وهي لسعادة البشر وتأمين واحتم وحفظ نظامهم وصيانة دمايتهم وأهراضهم وأموالهم وصلامة صحتهم فهي تهذيب للأرواح وشفاء لها في الصدور وهدي وموهظة للمتقين وآخرها نزول هو القرآن العظيم وهو المقروء بالسنتنا المحفوظ في صدورنا المكتوب في مصاحفنا وهو المراد بقولهم : « انظم المنزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم المنقول من تواتر المشتل على الأحكام السماوية بأسرها من الأمر والنهى والوعد والوعيد ، فما أمر به القرآن كان حسنا فذاته وما نهى عنه كان قبيحا ومضرا نزل به الروح الأمين على قلب الرسول الأعظم منجما أى مفرقا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على لغة قريش وأنه النظام الإلهي السماوي والقانون الاساسي المنصن لسعادة البشر وتأمين حقوقهم وواحتهم دنيا ودينا وآخرة مشتملا على الإعجاز ومتمهى الفصاحة والبلاغة وقد شهد بذلك عدو الإسلام الوليد بن المغيرة بقوله : إن فيه لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه .

والله ما هو بقول البشر ولقد نادى في نوادي قريش قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات فلم يمارضه أحد مع جد المخالفين له ثم صرخ ثانيا وثالثا فلم يجد أحد إلى أن قال : « لا يأتون

كلمة الشيخ راشد الفرعان

مذوّبالكويت

السيد الرئيس :

أيها السادة :

أيها السادة :

وفد الكويت يرى أن اجتماع علماء المسلمين وتكرار هذا الاجتماع أمر لازم وضروري خصوصا في الوقت الذي تكالبت فيه على العالم الإسلامي قوى المعسكرات المادية من الرأسمالية، والشيوعية والاستعمار والصهيونية، ووجهت إليه غزوا فكريا، وضغطا اقتصاديا وسياسيا وحاصرت حوله الدساتير والمؤامرات، فكثرت المشاكل وتعددت الأمور من غير حلول ولا يمكن مجابهة مثل هذه الأحداث الجارية المتزايدة يوما بعد يوم، وقد توقفت مصالح الأمة عليها بالصمت وال سكوت أو إعطاء الحلول السلبية، فالإسلام الذي جاء دينا هاما للبشرية جمعاء، قد تركت قواعده وكتلياته لحل مشاكل بني الإنسان في كل زمان ومكان، وإن أعظم قاعدة فيه هي (أن الدين يسر فيسروا ولا تعسروا) .

إيماننا بأن قضية المسلمين وحدة لا تتجزأ فإننا نناشد مؤتمر البحوث الإسلامية وعلماء المسلمين بأن يوجهوا دعوة صريحة لحكام المسلمين لتطبيق الإسلام في بلاد الإسلام . وأن يخرجوا من اجتهادهم بعد المناقشة الصريحة الواضحة بإجماع مفيد وعلم نافع .

وأن يتخذوا من التوصيات والقرارات البناءة القوية التي ترفع رأس المسلمين وتعمل على ضم شملهم ؟

باسمى واسم علماء الدين بالكويت أقدم لكم تحية الإسلام مقرونة بمخالص الود والتقدير، وأشكر الجمهورية العربية المتحدة رئيسا وحكومة وشعبا، وأخص بالذكر رجال الأزهر الأكارم على كرم الضيافة وحسن الوفادة والاستقبال . في القاهرة ملتقى العرب والمسلمين وقبلة الدعاة الثوريين . وإثنا لشرف عظيم أن يلتقي علماء المسلمين تحت لواء الأزهر الشريف ليتدارسوا شئون المسلمين وقضاياهم .

أيها السادة :

يسعدني أن أحمل إليكم تحية شعب الكويت المسلم الذي أبى إلا أن ينص في دستوره (أن الكويت جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، وأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام) والذي كافح وناضل في سبيل قضايا الأمة وفي مقدمتها قضية فلسطين ، والذي ما فتىء رافعا صوته مدافعا عن القضايا الإسلامية والإنسانية وناصرا للشعوب المناضلة في سبيل تحريرها من رقة الاستعمار والاستعباد وهو لا يزال على العهد، مستعدا للتضحية بالغالي والغفيس في سبيل وفة الشعوب الإسلامية ووحدة صفها لأنه يؤمن بقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

كلمة السيد الأستاذ عبد الكريم سائو مندوب اليابان

مثل الأوروبيين والصينيين. ومن ثم فقد كانت
الفكرة العامة عن هذا الدين الخفيف قائمة على
أسس بعيدة ، إلى حد ما عن معناها الحقيقي .
والديانات السائدة الآن في اليابان هي كما يلي :
الشنتوية ، Shintoism (وهي الديانة
الوطنية والطبيعية ، وهي دين العبادة
للأجداد) والبوذية Buddhism وتشمل إل
Sokagak-kai وهي فرع من الديانة البوذية) .
ثم تيجي . الديانة المسيحية ، التي تشكل نسبة
لا تتجاوز واحدا في كل مائة ، وعلى وجه
العموم فإن الغالبية العظمى للمواطنين لا دين لها
بالمعنى الصحيح للكلمة . واليابانيون بصفة عامة
يتميزون بالنشاط ، والجد والمثابرة على أداء
العمل ، ولهم ثقافتهم الخاصة بهم ، ولكن
ليس لديهم العقيدة القوية بوجود الله سبحانه
وتعالى وهم يميلون إلى الاعتقاد بتأليه الطبيعة
وهم الآن يعتبرون العلم الحقيقة والمعيار
الوحيد في هذا الكون ويتناقص موقفهم
تجاه المسلمين في النقاط التالية :

- ١ - لم ترتبط اليابان ، فيما مضى ،
بالبلدان الإسلامية بأية روابط استعمارية .
- ٢ - إلا أن الشعب الياباني يكن مشاهراً

سيدى الرئيس :
السادة الضيوف العظام الممثلين لمختلف
بقاع العالم :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أود أولاً : أن أعبر عن امتناني وشكري
الجزيل لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع
الأزهر ، وللدكتور ماضى ، والدكتور
محمود حب الله ، وجميع المسؤولين بالأزهر
لتفضلهم بتوجيه الدعوة لى لحضور
مؤتمر - مجمع البحوث الإسلامية المنعقد
في القاهرة ، - ويعدنى أن أحمل إليكم جميعاً
أطيب تمنيات إخواننا المسلمين باليابان .
إننى لجد مسرور لإتاحة هذه الفرصة
للتحدث في هذا المكان عن الخطوط
العريضة لأوجه النشاط في المجال الإسلامى
ببلدنا .

تعملون جميعاً أن اليابان تضم قسلة ضئيلة
من المسلمين بعيدة عن مراكز الإسلام
في البلدان الإسلامية ولهم الحظ فلقد ظلت
اليابان في منأى عن جوهر الإسلام الحقيقي
منذ أمد بعيد . ولقد كان مقدم الإسلام
إلى اليابان على يد أفراد لا يدينون بالإسلام

وما لبثوا . . الخ . للدراسة وتحصيل العلوم الإسلامية ، كما قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية ، الحاج عمر ميتا ، كما قامت المنظمة بتوجيه الدعوة إلى المدرسين والوعاظ من البلدان الإسلامية للدعوة لهذا الدين الحنيف داخل اليابان كذلك قامت بتخصيص مناطق من الأرض لبناء مقابر المسلمين بها . وايس ثمة عراقيل تضعها أمامنا الحكومة أو الشعب في سبيل إقامة شعائرتنا وممارسة النشاط الديني ، لأن الجميع يؤمن بحرية العقيدة .

ولا تواجهنا أية مصاعب في سبيل إقناع الجمهور باعتماد الدين الإسلامي ، ولكن المشكلة تقع في كيفية رعاية هذه العقيدة ، وتقديم كافة التسهيلات لنشر المعرفة الإسلامية .

ويبلغ عدد المسلمين في اليابان نحو الألفين ولكنهم يشبهون الطفل اليتيم في هذه البقعة من العالم الواقعة في الشرق الأقصى .

ولأننا لنفتز فرصة هذه المؤتمرات التي تعقدونها هنا لكي نتوجه بالرجاء إلى المسئولين أن يمدوا يد المساعدة إلينا في هذا المجال .

وطالما تقدمنا بمقترحات عديدة لإنشاء مركز إسلامي في طوكيو ، ولكننا أخفقنا لأسباب مالية ، وتوجد الآن في اليابان أربع جمعيات إسلامية وهي .

المودة للمسلمين في جميع العالم الإسلامي في الوقت الذي يشعرون فيه بمشاعر الكراهية والاحتفاء إزاء الاستعمار الأوربي ويمطفون على تلك الشعوب التي ظلت ترواح تحت نيره .

٣ — وهم لا يعرفون الإسلام في جوهره الاصيل ولكنهم يصغون إلى كل من يحاول تجليله وإلقاء الضوء على تعاليمه الحقة .

٤ — واليابانيون يحرصون على تنمية الصلاقات الطيبة مع المسلمين ، ولا سيما العلاقات التجارية .

ولكن الموقف بدأ الآن يتخذ شكلا مغايرا فلقد بدأوا يكتشفون أن لدين الإسلام على شيء يختلف في جوهره عما كان سائدا بينهم من قبل ، وبدأ الإسلام يتسلل إلى الأرض اليابانية إبان الحرب العالمية الثانية ، عندما اتصل الجنود ورجال الأعمال اليابانيين بالمسلمين في البلدان الإسلامية المختلفة ، واعتنق بعضهم الإسلام ثم عاد إلى اليابان ، ومن يومها بدأت فكرة الإسلام تأخذ طريقها إلى القلوب في اليابان .

وتسكونت منظمة المسلمين باليابان في عام ١٩٥٢ ونشطت في التعريف بالإسلام عن طريق المطبوعات والاجتماعات والمحظب ، وأوفدت الطلاب إلى عواصم إسلامية كالقاهرة والمدينة المنورة ، وبعض البلدان الإسلامية مثل : باكستان ، والهند ، وأندونيسيا

وَمِنْ كَلِمَةِ الدُّكْتُور مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ مِنْ دُوبِ الْهِنْدِ

إن الشريعة الإسلامية - سواء كانت قوانين الشهادة أو قانون الجنائية والقانون المدني أو قانون التجارة والصناعة تحتاج إلى تدوين قوانينها مرة أخرى في ضوء الضرورات الحاضرة فأحسن الطرق لتدوين الشريعة في قالب معاصر أنه يجب أن يفشى هذا المؤتمر معهدا يشتمل على علماء جميع الدول الإسلامية على طريقة المعهد العلمي العربي ، ويجب أن ينقسم المعهد إلى عدة لجان وتعد جلساته وقتا فوقتا لينظر في المسائل المقدمة ويدون الأحكام المستنبطة كما كان السلف الصالح يجتهدون ويؤلفون الفتاوى في عصر بعد عصر .

فهذه الآراء الإصلاحية في علوم التفسير والحديث والفقه توافقت الانجازات الجديدة وميول الأمة كما يظهر من الخطابات التي أقيمت

(البقية على الصفحة السابقة)

- ١ - جمعية مسلمي اليابان التي تتكون أساسا من مسلمي اليابان وتلك التي أشرف برئاستها .
 - ٢ - لجان الطلبة المسلمين الأندونيسيين وبلغ تعداد أعضائها أكثر من السبعائة .
 - ٣ - جمعية الطلبة المسلمين وتشمل الطلبة الوافدين من بلدان إسلامية للدراسة باليابان .
 - ٤ - الجمعية التركستانية . وتضم المسلمين القادمين من تركستان بعد الثورة الروسية وتعمل كل هذه المنظمات في إطار من المحبة والتعاون الصادق ضاربة المثل في تضامن المسلمين واتحادهم ، ومثل هذه الوحدة وهذا التضامن يعتبر تفسيره أهمية المثالية الإسلام أمام غير المسلمين .
- والآن أتص من سيادتكم التكرم بأن تولوا هذه الفئة القليلة - من المسلمين المعولة في الشرق الأقصى - المزيد من الاهتمام والرعاية وهذا هو ما ينتظره إخوانكم في الإسلام مثل ما ينتظرونه من البلدان الإسلامية الكبيرة ، ولحسن الحظ لا يوجد لدينا أية عوائق سياسية تحول دون تحقيق هذه الأمنية العزيزة علينا نحن المسلمين .
- وشكرا جزيلا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

المسلمين وكل فرقة من فرقهم يرجع إلى القرآن إذا احتاج إلى أن يعرف مسألة من حياته الشخصية والاجتماعية سواء كانت المسألة دينية أو شرعية مدنية كانت أو أخلاقية . وذلك لأن سائر مسائل الشريعة مستنبطة من القرآن والحديث الذي ليس إلا شرحا للقرآن وإيضاحه ، وبيننا هذه الشروح والتفاسير التي دونت في العصور المختلفة ومن أصحاب الطوائع والميول المضادة والمتناقضة يختلف بعضها عن بعض في شرح الآيات ومعانيها وليس لدى الرجل وقت مقسع في عصر الذرة هذا أن يرجع إلى أصل المسألة إذا أراد أن يعرف الآية التي استنبطت فيها كل فرقة مسائلها وكيف تطورت الفكرة الموضوعية في تلك الآية من عصر إلى عصر حتى يعرف حقيقة الأمر وإذا اتفقنا بعد هذا البحث الطويل أنه من لوازم إصلاح أحكام المجتمع الإسلامي ومن واجبات روح العصر أن تؤلف قاموس القرآن يجب علينا أن نقدم تخطيطا لهذا المشروع :

نجد هنالك فكرتين وطريقتين ذهب بعضها إلى أن نحذو حذو دوائر المعارف الموجودة بين أيدينا وأسلوبها كما هو معلوم لدى العلماء الكرام فنرتب جميع موضوعات القرآن على حروف المعجم ونوزعها بين العلماء المتخصصين لكي يكتبوا المقالات في موضوع تخصصهم وتجمع هذه المقالات أخيرا في جزء

في إفتتاح هذا المؤتمر ، فإن أول خطوة في إصلاح الأحكام المستنبطة من القرآن والحديث أن نعود إلى مرجع أصلي وما أخذ أساسا أخذ منه جميع الفرق الإسلامية والمذاهب الفقهية - أعني به القرآن الكريم - لأن آيات القرآن هي التي رجع إليها الفقهاء وأئمة المذاهب واستدلوا بها في تأويلاتهم ولذلك فكرنا في تأليف قاموس (تفاسير القرآن) فلو سمحتم لي أن أشرح هذا المشروع فإنني أقول : لكل عصر روح مخصوصة به ويتسم العصر الحديث بطابع إنجاز المتطلبات بالسرعة ولذلك دعت روح العصر إلى تأليف الموسوعات للعلوم والآداب والفنون والثقافات الخاصة والحضارات العامة لكي يرجع الطالب في كل ما يحتاجه إلى موسوعة خاصة ويجد ضالته المنفودة في أسرع فرصة ممكنة بدون تضيق الوقت الطويل في البحث والمراجعات الكثيرة فنجد - مثلا - دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف للأخلاق والأديان ودائرة المعارف الإسلامية في القرن العشرين وقاموس الإنجيل ودائرة المعارف اليهودية وغيرها من الموسوعات المتخصصة لأمة من الأمم غير أنه من الأمور المعجبة أن دولة من الدول العربية والإسلامية لم تفكر في تأليف قاموس تفاسير القرآن مع أن القرآن الكريم مرجع أساسي لجميع نواحي الحياة الإسلامية فكل واحد من

بها فلا فصفة المسلمين وما أخذوا من الآيات من المسائل الفلسفية .

القسم الرابع : يحتوى على التفاسير التي أت بها أهل التصوف وما استخرجوا من الآيات من مسائل التصوف .

القسم الخامس : يحتوى على تاريخ القرآن وتاريخ نزول الآيات وحياة الرجال البارزين الذين جاء ذكرهم في آيات القرآن .

القسم السادس : يرتب فيه فهارس الآيات وموضوعاتها وأسماء الأشخاص والأماكن وغير ذلك .

فبناء على هذا الأساس نستطيع أن ترتب كل سنة ألف آية في قاموس تفاسير القرآن وعلى هذا الحساب نستطيع أن نكمل في ستة أعوام قاموس تفاسير القرآن الذي يشتمل على ستة آلاف وستمائة وست وستين آية . لإجراء هذا العمل قد قامت أوقاف النظام (بميدرا باد) بدفع مالية ضرورية في ابتداء العمل وأخذت دائرة المعارف العثمانية بميدرا باد مسئولية طبعا على عاتقها ولكن أهم الموانع في سبيل تحقيق هذا الهدف جمع العلماء الأفاضل وتعاونهم العلمي فلو ساعدنا علماء الدول العربية والإسلامية بتعاونهم العلمي في تحقيق هذه الغاية ولو كان ذلك بإبشار لخدمنا خدمة إسلامية عظيمة ونستطيع بذلك أن نترك لأجيالنا تراثا يفخر به .

من أجزاء دائرة المعارف لكي تطبع على طريقة حروف المعجم .

والطريقة الأخرى فمرضها فيما يلي ونعتقد أنها أحسن ، نمدد بجمع مواد القرآن الموجودة في جميع التفاسير ثم نوزعها على الموضوعات المختلفة .

ثم تجمع مواد التفاسير في بطاقات مختلفة تحت إشراف قسم من أقسام الموضوعات المتعددة فكل قسم منها يجمع مواد موضوعه الخاص من التفاسير المدونة في عصور مختلفة فيلخصها في بطاقة ويرسلها إلى رئيس قسمه لكي ينظر في المواد ويراجعها ويكتب بطاقة مبنية على أساس هذه المواد بإيجاز حتى لا تزيد المقالة على ثلاث صفحات كبيرة ثم يرسل رئيس القسم مقالته مع البطاقات إلى رئيس الإدارة لكي ينقح المراجع ويحقق المواد ويعلق عليها ويصححها ويرفع عبارة المقالة إلى مستوى اللغة الأدبية ويجهزها أخيرا للطبع فيقسم شعب الموضوعات إلى أقسام مختلفة كما يلي :

القسم الأول : يحتوى على تفاسير أتى بها المحدثون من القرن الحاضر .

القسم الثاني : يحتوى على التفاسير التي أتى بها الفقهاء من المسائل الشرعية والثقافية والسياسية حسب مذاهب الفقهاء .

القسم الثالث : يحتوى على التفاسير التي أتى

من البحوث الإسلامية

القرآن في التربية الإسلامية

للدكتور إبراهيم عبد المجيد اللبان.
"عضو المجمع".



الدكتور إبراهيم عبد المجيد اللبان

ولأنها اتجهت إلى فكر المتعلم وحاولت أن
تحمّد فيه المعلومات الخاصة بالعقيدة وبأحكام
العبادات وتعريفات الأخلاق ، وتركت
الجانب العملي والعاطفي من السلوك الإنساني
فلم تحاول أن تدربه على العبادات ولم تحاول
تكوين الأخلاق ، بل لم يكن يعنىها أن ينعقد

تقدير :

التربية الإسلامية في حالتها الحاضرة :

إذا تتبعنا ما هو جار في المآهد والمدارس
وجدنا العمل فيها يأخذ صورة واحدة على
وجه التقريب ، فالطريقة المتبعة هي طريقة
الشرح : شرح العقائد والعبادات والأحكام
والأخلاق ثم يقف الأمر في العادة عند
هذا الحد .

وأول ما يواجهنا عند تقدير هذا النوع
من التربية هو نتائجها ، فهل تكون هذه
التربية المسلم الصحيح ؟ قد تعطيه فكرة
عن العقائد ، ولكن هل تنشئ خلق العادة ؟
هل تضع أساس عادة الصلاة والصدقة والصوم
والزكاة ؟ هل تنشئ في نفس من يتلقاها
عواطف خلقية تملك النفس وتسيطر على
السلوك كحب الصدق وفعل الخير ونحو ذلك ؟
والجواب واضح ، وإن يكون إلا سلبيا ،
والسبب بين ، فإن هذه التربية لم تتجه
إلى تكوين عادات أو عواطف خلقية ،

أو عمل ، إنما هي تربية على إيمان و يقين وقد تم
المطلوب .

أما التربية على العبادات فالأمر فيها يختلف
فهو لا يحال تحتاج إلى معرفة تفصيل العبادات
المفروضة ، وما تشتمل عليه من حركات
وسكنات وقيام وقعود وأقوال وتلاوة ،
ولكن المعرفة هنا لا تكفي كما هو الحال
بالنسبة للعقيدة فالمطلوب هنا هو العمل لا مجرد
المعرفة فالمطلوب القيام بالعبادة بصورة دقيقة
منظمة طبقاً لأحكام الشريعة ، المطلوب في
الواقع تكوين عادة عملية ، فإذا اقتصر
الأمر على الإلمام بالناحية العلمية للعبادة
من شروط وأركان وواجبات وسنن دون
أداء للعبادة نفسها ، فإن التربية في هذه الدائرة
تكون قد تغافلت عن هدفها الصحيح
وقصرت في تحقيقها وإجمال القول أن وظيفة
المعرفة هنا هي قيادة العمل وتوجيهه ،
ولإعطاؤه طابعه الصحيح ، ولكنها هنا
ليست هدفاً أو غاية ، فإذا انتقلنا إلى التربية
الحقيقية ألفينا أنفسنا في موقف مماثل ،
فمعرفة حقيقة الخلق المطلوب أمر لا غنى عنه
في التربية الحقيقية ولكن التربية الحقيقية لا تتم
بمجرد معرفة طبيعة الخلق ، فمن الممكن هنا
كما هو ممكن في دائرة العبادات أن تتحقق
المعرفة ويحمل جانب العمل ، من الممكن مثلاً
أن نعرف طبيعة الصدق معرفة تامة ثم

القلب على حب الصدق والخير بصورة قوية
عامة ، تدفع النفس إلى حمل الخير والتزام
الصدق في جميع مواقف الحياة .

وأساس ذلك كله أن هذه التربية تقوم
بصورة ضمنية على أساس أن التربية الدينية
تربية عقلية مماثلة للتربية العلمية ، وهو خطأ
فاحش ، وقد أدى هذا الخطأ إلى إهمال
التربية العملية والحلقية في تربية الناشئين
تربية دينية .

وبما لا شك فيه أن الناحية العقلية ناحية
المعرفة ضرورية في التربية الدينية ولا غنى
عنها فيها ، ولكن التربية الدينية تتكون من
أنواع مختلفة من الأعمال يختلف كل منها
عن الآخر في طبيعته ووسائله ، فهناك أولاً
غرس العقيدة ، ثم تربية الناشئ على العبادة
والأخلاق .

وواضح أن تربية العقيدة ضرب من التربية
الفكرية ، وأن العنصر الأساسي فيها هو
المعرفة فالمطلوب في ميدان العقيدة هو الاهتمام
بأن يصل الناشئ إلى قضايا خاصة ، قضايا
تقرر وجود الله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر ، وأن يكون موقفه إزاءها موقف
من يتصورها بوضوح ، ويؤمن بها إيماناً
مستقراً مستنداً إلى الحجة والبرهان لا إلى
محض التقليد ، فإذا تم له هذا فقد بلغت هذه
التربية تمامها ؛ فإنها ليست تربية على عاطفة

يديها نظرة تاريخية تمهد لها وتعين على فهمها وتحديد الحل الصحيح لها ، ويحصى بنا قبل الإقدام على هذه الدراسة التاريخية التمهيدية أن نحدد تحديدا دقيقا الدائرة التي سنعمل فيها والمقاصد التي سنتجراها .

وأول ما ينبغى أن نسلطه هنا هو أننا لن ندرس تاريخ التربية الإسلامية ، ولكننا سنقتصر اهتمامنا على تاريخ الكتاب والسنة وحدهما في منهج التربية الإسلامية في عصور التاريخ الإسلامي المتعاقبة ، وسنختص من هذا الموضوع بالعناية معالم خاصة لا نعدها إلى ماسواها ، فسيكون موضوع البحث في هذه المجالة - الأدوار المختلفة التي مر بها ظهور الكتاب والسنة في منهج التربية الإسلامية ، والأدوار التي اختلف فيها أو كاد يختلفيان منه ، ويمكن أن نحدد هنا أدوارا ثلاثة :

أما الدور الأول : فهو الدور الذي كان منهج التربية الإسلامية مقصورا أو كالمقصود على الكتاب والسنة ، ولا يعنينا هنا التحديد الزمني لهذه الظاهرة التربوية الهامة بقدر ما يعنينا أن تبين أنها حقيقة واقعة ، وأن لها مغزى إسلاميا جليلا وأثرا تربويا هاما ولعله من الواضح أن تربية المسلم صغيرا أو كبيرا في عهد الرسول والخلفاء الراشدين وصدر من دولة بنى أمية كانت تعتمد على الكتاب والسنة وحدهما ، ومعنى هذا أن

لا نلتزم في حياتنا اليومية ، فالتربية الخلقية الحقيقية هي التي لا تكتمل بالمعرفة بل نتجه إلى ناحية العاطفة ، وتعلم حق العلم أن مهمتها الحقيقية هي تكوين طائفة عاملة ، وإيجاد إحساس قوى مقاسل في نفس الناشئ بحس الصدق ، وعادة قوية تصدر عن هذا الحب فتحمل الناشئ على احترامه ، وجعله دستورا له في حياته اليومية والنتيجة الأخيرة هي أن من أخش الأخطا أن يظن ظان أن التربية الدينية مسألة دراسة فقط ، فالدراسة لا تعطى في دائرتي العبادات والأخلاق أكثر من عنصر واحد وهو عنصر المعلومات وهي ضرورية للقيام بالعبادة ، والعواطف الخلقية ولكنها وحدها لا تعد تربية تامة على العبادة أو الأخلاق .

أما في دائرة العقائد فدراسة وجود الله وصفاته وأفعاله ، ثم دراسة ما يتصل بالملائكة والرسول والكتب المنزل والبعث ، مع الاتجاه في هذه الدراسة إلى وضع دعائم الإيمان الوطيد الأركان بكل هذه المبادئ دراسة مستوعبة للطلوب في هذه الدائرة وإن كانت دراسة عقلية .

القرآن في التربية العربية

نظرة تاريخية :

لن نستطيع أن ندرس المسألة التي تصديننا لدراستها دراسة مستنيرة إلا إذا قدمنا بين

قدرة الكتاب والسنة على تكوين المسلم الحق المسلم الذي وصل الإيمان إلى قرارة نفسه ، وأخذت أخلاقه وأعماله الطابع الإسلامي القوي الذي لا يحسه ضعف أو فتور بل هو راسخ كالجبال يقوم بجلائل الأعمال .

أما الدور الثاني : فهو دور يختلف عن هذا الدور اختلافاً يبين ، ويجب أن يتقرر في الأذهان بوضوح تام الفرق الأساسي بين الدورين ، ولن نحاول أن نقتبص للتطور الذي حدث من بدايته إلى نهايته فبحثنا التربوي لا يحتاج إلى أكثر من تقرير بعض الحقائق الكبرى ، وفي مقدمتها نهضة العلوم الإسلامية ، وما ترتب على ذلك من أثر في منهج التربية ومادتها ، ويكفيينا من هذا أن نشير إلى ظهور علم الكلام وعلم الفقه وتكاملهما واتجاه الأنظار إليهما ، وما كان لذلك من أثر في الاعتماد على الكتاب والسنة في التربية الإسلامية .

اتجه علم الكلام إلى تحديد العقائد الإسلامية وبيان أدلتها ، واتجهت الشريعة إلى دراسة الأحكام الشرعية ، فقررت أحكام العبادات والمعاملات ، فوجد الناس أمامهم كتباً تحتوي على أصول الإسلام وفروعه ، مستنبطة من الكتاب والسنة وغيرهما ، وموضوعة في صورة تختلف عن صورتها في مصادر الإسلام العليا ، وهنا حدث عالم يكنى في الحسبان ، فقصده اتجه الناس تدريجاً

المسلم كان إذ ذاك يتلقى دينه من كتاب ربه وصحة رسوله مباشرة ، وهذا أمر طبيعي ، فإن العلوم الإسلامية لم تكن إذ ذاك قد نشأت فقد وضع علم الكلام ونضج علم الفقه بعد ذلك العهد .

والمهم بالفلسفة لبحثنا أن نقدر عمق الأثر التربوي الذي ترتب على الاعتماد على الكتاب والسنة في التربية الدينية ، وبكفي أن نعيد إلى الذاكرة أسماء كبار الصحابة والتابعين الذين حفظ التاريخ أسماءهم ، انزى في حياتهم الخاصة والعامة أثر كتاب الله وسنة رسوله في تكوين عقائدهم وأخلاقهم ، وفي روح التقوى وفضيلة العبادة التي غلبت على نفوسهم وجعلتهم مثلاً هلياً في تاريخ البشرية كلها ، ويتقدم هذه الأسماء جميعاً أسماء : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومن سواهم من تغافل الدين في أحراق نفوسهم فظهروا على مسرح التاريخ شيوخاً ساطعة ومصابيح منيرة ، ونماذج تحتذى ومنابع فياضة بالإيمان والتقوى والخير العميم ، ولا أريد أن أتوسع في بيان قوة الطابع الديني الذي الذي أحدثه الكتاب والسنة في نفوس هؤلاء الأبرار وسلوكهم ، ولكنني أكتفي بتسجيل هذه الحقيقة التربوية الكبرى وهي أن هذه الأجيال تمثل المظهر الرائع الذي تجلت فيه

عقول التلاميذ في المدارس الابتدائية ، ومن جهة أخرى يجب أن نتذكر أن هذه السور قد زلت في ظرف خاص للغاية معينة ، فكثرتها الغالبة مكينة ، وهي فترة كانت تمتاز بالمعارضة العنيفة للدعوة الإسلامية ، ومن ثم كان موضوع الكثير منها بحاجة للكفارة ومجادلتهم لشرح العقائد والأخلاق ومبادئ الشريعة ، وحسبك أن تتذكر سورة المسد وسورة المزة .

أساس الاختيار :

لا بد أن يكون أساس اختيار الآيات لمنهج التربية الإسلامية أساسا واضحا مفهوما ، وإذا كان الغرض من التربية الإسلامية تمكين العقيدة في النفوس وتثبيتها في العقول ، ثم تأسيس العادات الدينية وتكوين الأخلاق الإسلامية ، وتعليم الأحكام الشرعية ، فقد أصبح من الضروري للقيام بالتربية الدينية الصحيحة أن يتضمن منهجها من آيات الذكر الحكيم ما يدخل في نطاق هذه الموضوعات الرئيسية العامة ، وبمعبر أدق ، يجب أن يكون أساس الاختيار أهمية الآيات للحياة الدينية في صورتها العامة التي تتضمن العقائد والعادات والأخلاق ، فإلى أهم الآيات التي تحتاج إليها التربية الإسلامية احتياجا مباشرا لتكون المسلم وتضعه على الصراط الإسلامي المستقيم ؟ وإن يطول بنا البحث في هذا الميدان فقد

إلى علم الكلام وعلم الفقه بعد تهيئتهما من فصوص الكتاب والسنة ، من أجل الانتفاع بهما في الحياة ، وبخاصة في القضاء والإفتاء ، ثم اعتمدوا عليهما في التربية الإسلامية .

أما الدور الثالث : فيمتاز بظهور الفزعة إلى ضم القرآن إلى منهج التربية الدينية ، وقد كان الميل الغالب هو ضم السور القصار ، فضم الجزء الأخير من القرآن إلى منهج الابتدائي في المدارس الابتدائية وأقبل التلاميذ على استظهاره ومحاولة فهمه وواضح أن مبدأ ضم القرآن إلى منهج التربية الدينية قد تضمن المدلول عن الاكتفاء بالمجردات في التربية الدينية كما تضمن أيضا شعورا جديدا بأنه لا غنى لنا في التربية الدينية عن الرجوع إلى مصادر الدين الأساسية ، وتمكين الناشئة من ورود مناهل القرآن ، والاعتراف من فيضة العذب ، وهو في الوقت نفسه إحياء لسنة الرهيل الأول من الأمة الإسلامية

ولكن لا ينبغي أن تفوتنا أمور جديدة بالملاحظة ، وبخاصة من الناحية التربوية فقد لا يكون من أفضل وسائل التربية الدينية النعويل على سور الجزء الأخير من القرآن وحدها ويتضح ما نرى إليه إذا تذكرنا أن هذه السور وإن كانت سهلة الاستظهار لنقصها فقد لا تكون لغتها في مستوى

جواهر القرآن ، ففي مقصد القرآن الكريم يقول الغزالي :

« سر القرآن ولبابه الأسمى ومقصده الأقصى دعوة العباد إلى الجبار الأعلى ، رب الآخرة والأولى ، خالق السموات والأرضين السفلى وما بينهما وما تحمت الثرى .

ثم ينظر إلى الآيات من هذه الزاوية نظرة موضوعية فيلجح اختلاف موضوعاتها ، وتنضح له الأقسام العامة لتلك الموضوعات ، كما يرى رؤية واضحة أن هذه الأقسام يسبق بعضها بعضها من ناحية صلتها بالمقصد القرآني الأعلى ، ومن ثم يعقب على الفقرة السابقة بقوله : « فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع : (ثلاثة) منها هي السوابق والأصول المهمة (وثلاثة) الروادف والتوابع المغنية والمتمة ، أما الثلاثة المهمة : فهي تعريف المدعو إليه ، تعريف الصراط المستقيم الذي يجب ملازمته في السلوك إليه ، وتعريف الحال عند الوصول إليه . وأما (الثلاثة المغنية المتمة) ؟ فأحدها - تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم ، وسره ومقصوده التشويق والترغيب ، وتعريف أحوال الناكبين والفاكلين عن الإجابة وكيفية قع الله لهم وتنكيله بهم ، وسره ومقصوده الاعتبار والقرعيب .

كان من حسن الحظ أن قام بالمحاولة الأولى أمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام الفكر الإسلامي المستفهم ، وهو أبو حامد الغزالي ، ومن الخير أن نبدأ ببيان الخطوط العريضة لهذه المحاولة الدقيقة ، لنسير على هداها فيما نقوم به من عمل في هذا المقصد .

اختيار الغزالي :

قام الغزالي رضي الله عنه بهذه المحاولة في كتابه الذي سماه (جواهر القرآن) ويمكن أن تقدم صورتها العامة فيما يلي :

بدأ الغزالي فحدد الغاية العليا للقرآن الكريم ، وفي ضوء هذه الغاية استطاع أن يتسم أي الذكر الحكيم إلى ستة أنواع ، وأساس التقسيم هو النظرة الموضوعية إلى الآيات القرآنية ، تلك النظرة التي أسفرت عن تباين موضوعات الآيات وتعددتها .

ويتلو ذلك في أهميته لبحثنا هذا مبدأ التقدير ، فإن الغزالي لم يجعل الآيات من ناحية صلتها بالمقصد الأعلى للقرآن متساوية أو متعادلة . وختم دراسته هذه بنتيجة عملية فقد جمع الآيات الضرورية لتحقيق الغاية الدينية في فصلين ، أوصى بالعناية التامة بدراسة ما يضمناه من آيات ، ويحتوى أحدهما على الآيات الخاصة بالعقائد ، أما الثاني فيشتمل على آيات العبادة والأخلاق . ولنشرع في عرض منهجه ، هذا كما عرضه هو نفسه في كتاب

الوجود إلا الله وأفعاله وكل ما سواه فعله ،
 لكن القرآن يشتمل على الجلى منها الواقع في
 عالم الشهادة ، كذكر السموات والأرض
 والجبال والشجر والحيوان والنبات والنبات
 وإنزال الماء الغرات ، وسائر أسباب النبات
 والحياة وهى التى ظهرت للحس .

وأشرف أفعاله وأعجبها وأدناها على جلالة
 صانعها ما لم يظهر للحس بل هو من عالم
 الملائكة وهى الملائكة والروحانيات
 والروح . . . فهذا جملة القسم الأول . . .
 وستتلو عليك الآيات الواردة فيها على
 الخصوص جملة واحدة ، فإنها زبدة القرآن
 وقلبه ولبابه وسره . ثم يتجه الغزالي إلى
 بيان المقصود من القسم الثانى فيقول :

القسم الثانى : فى تعريف طريق السلوك
 إلى الله تعالى ، وذلك بالتبطل إليه ، كما قال
 تعالى : وتبطل إليه تبتيلا ، أى انقطع إليه ،
 والانتقطاع يكون بالإقبال عليه والانتقطاع
 عن غيره . . . والإقبال عليه يكون بمخالفة
 الهوى ، والتعنى عن كدورات الدنيا
 وتركها القلب عنها ، والفلاح نقيضها كما قال
 الله تعالى : قد أفلح من تركى وذكر اسم
 ربه فصلى . .

فصدة الطريق أمران : الملازمة والمخالفة :
 الملازمة لذكر الله تعالى ، والمخالفة لما يشغل
 عن الله ، وهذا هو السفر إلى الله . . .

وثانيها - حكاية أحوال الجاحدين وكشف
 فضائلهم وجهلهم بالمجادلة والمحااجة على الحق ،
 وسره ومقصوده فى جنب الباطل الايضاح
 والتنفير ، وفى جنب الحق الايضاح
 والتثبيت والتقرير .

وثالثها - تعريف عمارة منازل الطريق ،
 وكيفية أخذ الزاد والآهة والاستعداد .
 وكما نأحس الغزالي بأن العرض السابق
 ينقصه بعض الايضاح والتفصيل ، فعطف
 عليه بما يحتاج إليه من بيان وتحديد . فهو
 يحدد القسم الأول بأن المقصود منه تعريف
 المدهو إليه ، وهو شرح معرفة الله . . .
 وتشتمل هذه المعرفة على معرفة ذات
 الحق ومعرفة الصفات ومعرفة الأفعال
 ثم يشير إلى مقدار ما يحتوى عليه القرآن
 من ذلك فيقول :

د معرفة الذات أضيقتها بجالا وأعصرها
 منالا وأعصاها على الفكر وأبعدها
 عن قبول الذكر ، ولذلك لا يشتمل القرآن
 منها إلا على تلويحات وإشارات . . .

وأما (الصفات) فالجمال فيها أفسح ونطاق
 للنطق فيها أوسع ، ولذلك كثرت الآيات
 المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة
 والكلام والحكمة والسمع والبصر وغيرها .
 وأما (الأفعال) فبحر مقسع أكنفاته ،
 ولا تتال بالاستقصاء أطرافه ، بل ليس فى

نمرود وفروhon وحاد وقوم لوط ... وقائمة هذا القسم الترهيب والتنبية والاعتبار، والآيات الواردة فيه كثيرة وبعد الرابع يعرض الغزالي للخامس فيقول :

القسم الخامس : حاجة السكفار ومجادلتهم ، وإيضاح مخازيهم بالبرهان الواضح وكشف أباطيلهم وتخلييلهم وأباطيلهم ثلاثة أنواع : أحدها : ذكر الله تعالى بما لا يليق به ، من أن الملائكة بناته ، وأن له ولدا وشريكا وأنه ثالث ثلاثة .

الثاني : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر وكاهن وكذاب ، وإنكار نبوته ، وأنه بشر كسائر الخلق فلا يستحق أن يتبع .

ثالثها : إنكار اليوم الآخر وجمع البعث والنشور والجنة والنار ، وإنكار عاقبة الطاعة والمعصية ... وآيات كثيرة ظاهرة . ويختتم ذلك كله كلامه بذكر القسم السادس فيقول : القسم السادس : (تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية التأهب للزاد ، والاستعداد بإعداد السلاح الذي يدفع سراق المنازل وقطاعها . ويبيانه أن الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله تعالى والبدن مركب ، فن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره وما لم ينظم أمر المعاش في الدنيا لا يتم أمر الآخرة ، والانقطاع إلى الله تعالى الذي هو السلوك ،

ومعرفة السلوك والوصول أيضاً بحر عميق من بحار القرآن ، وسنجمع لك الآيات المرشدة إلى طريق السلوك لتتفكر فيها جملة وبأني بعد هذا كلامه عن القسم الثالث فيقول :

القسم الثالث : تعريف الحال عند ميعاد الوصال ، وهو يشتمل على ذكر الروح والنفس الذي يلقاه الواصلون ، والعبارة الجامعة لأنواع روحها هي الجنة ، وأهلها لذة النظر إلى الله تعالى .

ويشتمل على ذكر الخزي والعذاب الذي يلقاه المحجوبون عنه بإهمال السلوك والعبادة الجامعة لأصناف آلامها الجحيم ، وأشدّها ألماً ألم الحجاب والإبعاد . ويشمل أيضاً على ذكر مقدمات أحوال الفريقين ومنها يعبر بالحشر والنشر والحساب والميزان والصراف .

وثلاث آيات القرآن وسوره يرجع إلى تفصيل ذلك .

تبقى بعد ذلك الأقسام المتبعة وقد عرض لها الغزالي أيضاً بشيء من الإيضاح ، فجاء بها مرتبة فيما بعد قسم وبدأ بالرباع فقال :

القسم الرابع : في أحوال السالكين واثناكبين : (أما أحوال السالكين فهي قصص الأنبياء والأولياء ، كقصّة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهرون ...) وأما أحوال الجاهدين والناكبين : فهي كقصص

الخاصة بالثاني في فصل آخر ، ثم وقف عند هذا الحد .

وهذا التصرف يسقند بطبيعة الحال إلى اعتبارات تربوية سنبينها فيما بعد ، فأساس الأمر كله هو أن المهم هو معرفة الله تعالى والوصول إليه ، وقد اتخذ من هذا المبدأ أساسا للاختيار ، فن البين أن بعض الأقسام الستة أشد ارتباطا وأقوى أثرا في تحقيق هذه الغاية الروحية من غيرها ، ومن ثم كان من الطبيعي أن يتقدم سواه ، وأساس الاختيار بالإجمال هو النظرة التربوية .

أعنى تقدير الأثر التربوي لكل قسم من الأقسام الستة السابقة الذكر في تحقيق الغاية الروحية العليا .

وقد حملت هذه النظرة التربوية على اختيار الآيات التي يعدها ضرورية وأساسية لتكوين المسلم الصحيح ، فاختار الآيات التي تتعلق بالعقائد ، ووضعها في فصول ، وسماها جواهر القرآن ، ثم جمع الآيات الخاصة بالسلوك ، وهي آيات العبادات والأخلاق الإسلامية في فصل خاص وسماها دور القرآن .

وبين السبب الذي حمل على هذا الاختيار في خاتمة الكتاب فقال : (اعلم أننا اقتصرنا من ذكر الآيات على نمط الجواهر والدور لمعنيين) : أحدهما : أن الأصناف الباقية أكثر من أن تحصى .

ولا يتم ذلك حتى يبقى بدنه سالما ونسله دائما ، ويتم كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما ، وأسباب الدفع لمفسداتهما ومهلكاتهما) ثم يبين الغزالي أن الحياة الدنيوية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الاختصاص في دائرة الأموال والنساء ، ولو ترك الأمر مهملا ولم تبين أسس الاختصاص لشغل الناس عن الحياة الدينية ؛ لنزاع والقتال من أجل هذه القيم الدنيوية ، بل وبما جر الأمر إلى الهلاك ولكن الأمر لم يترك مهملا .

يقول الغزالي :

(فشرح القرآن قانون الاختصاص بالأموال في آيات المبيعات والربويات والمدنيات .. وأما الاختصاص بالإثبات فقد بينتها آيات النكاح والطلاق والرجمة والعدة ...

وأما أسباب الدفع لمفسداتهما : فهي العقوبات الزاجرة عنها ، كقتال الكفار وأهل البغى والحث عليه ، والفرامات والتعزيرات والكفارات والهدايا والقصاص ولا يخفى عليك الآيات الواردة في هذا الجفص) .

ويجب أن نذنبه إلى أن الغزالي قد ذكر بوضوح تام أنه سيجمع الآيات الخاصة بمعرفة الطريق إليه ، آيات العبادات والأخلاق ، أما الآيات الخاصة ببقية الأقسام فلم يعدنا بمجمعها ، والواقع أنه جمع الآيات الخاصة بالقسم الأول في فصل ، والآيات

الخاصة بالأعمال والأخلاق ويتضمن الآيات المتصلة بالعبادات والواجبات الخلقية الفردية والاجتماعية .

وقد كانت نتيجة هذه النظرة أن وضع كتاب جواهر القرآن وضمنه آيات القسمين المذكورين فقط وصرح بأنه إنما فعل ذلك ليعين المسلم على التفكير فيها والاستعداد منها والسير على هداها .

ولكن الغزالي كرجل اتخذ من التربية الروحية الإسلامية مهمة له رأى أن يضم إلى هذه الخطوة خطوة أخرى ضرورية فليس من السهل لكل فرد أن يرى الطريق في صورته العامة المفضلة دون معونة أخرى تضم إلى المعونة السابقة الذكر ويتعبد أوضح رأى أن يضع كتاباً في التربية الروحية الإسلامية وكانت الخطوة التي ارتضاها أن يضع منهاجاً شاملاً للمبادئ الإسلامية الروحية الاعتقادية والخلقية وهي المبادئ الخاصة بمعرفة الله ذاتاً وصفات وأعمالاً وبمعرفة الطريق إليه أو الأخلاق الضرورية الوصول إلى رضوانه، وهي كما سبق بيانه، المبادئ التي يشتمل عليها القسم الأول والثاني من أقسام الآيات القرآنية ولكنه حرص في الوقت نفسه على أن يتضمن شرحه لهذه المبادئ ما يتصل بها من آيات القرآن التي جمعها في كتاب الحواهر وقد قام بهذه المهمة في كتاب

والثاني : أن هذا هو المهم الذي لا مندوحة عنه أصلاً ، فإن الأصل هو معرفة الله ثم سلوك الطريق إليه .

الاقتداء بالغزالي :

ويحسن بنا أن نتخذ الغزالي إماماً لنا في هذه المهمة الدقيقة وذلك لأنه في دراسته المشار إليها آنفاً كان يرى إلى غرض عملي لا نظري كان في الواقع يقوم بعمل تربوي حقيقى بمائل للعمل الذي نحاوله وهو وضع كتاب للتربية الروحية الإسلامية يعتمد فيه على القرآن الكريم .

ويمكننا أن نبين منهاج الغزالي ونتائجها فيما يلي :-

كان هدفه أن يوجه المسلم إلى ربه وقد جعل القرآن عوناً في ذلك ومادته ولما نظر في القرآن من هذه الناحية رأى أن مهمته هي دعوة الإنسان إلى ربه وأنه من هذه الناحية ينقسم إلى الأقسام السابقة الذكر .

وكانت النتيجة الثانية التي انتهى إليها أن هذه الأقسام الستة تتفاوت من ناحية صلتها بالمهمة الأساسية للقرآن والدعوة الإسلامية بصورة عامة فالقسمان الأول والثاني يتصلان بهذه المهمة اتصالاً مباشراً ، ذلك لأن القسم الأول هو الآيات الخاصة بمعرفة الله معرفة الذات والصفات والأفعال والقسم الثاني يختص بمعرفة الطريق إليه فهو يتضمن الآيات

تكون في متناول فهم التلاميذ ومستوهم
اللفوى والعقلى .

رابعا - يجب تجسيد طريقة العرض
وطريقة العرض المثللى هى :

(أ) أن يبدأ بذكر سبب النزول وتحدد
المشكلة التى نزلت الآية أو الآيات
لمعالجتها ثم يشار إلى طبيعة الحل الحاسم
الذى جاءت به الآية أو الآيات المذكورة .
(ب) تعرض الآية أو الآيات التى تتضمن
الحل ويسقبط منها الصورة الصامة
للحل الإسلامى وتبين حكمته .

(ج) أما المباحث اللغوية والبلاغية فتأتى
بعد ذلك .

خاصا - يفغى أن تتذكر دائما أنه
يجب أن يضم إلى آيات القرآن الأحاديث
النبوية التى تلتقى وإياها فى موضوعها وتكون
مفسرة لها أو متممة لأحكامها أو متصلة
بها على نحو ما ، فالكتاب والسنة ضروريان
لمعرفة الدين عقيدة وعبادة وأخلاقا ويجب
أن تقوم السنة إلى جانب القرآن فى تعليم
الدين وتربية المسلمين .

سادسا - ويجب أن تتخذ الوسائل
الكفيلة بسد النقص فى الناحية العملية من
التربية الدينية وهذه مشكلة تربوية كبرى
تحتاج لدراسة خاصة .

د . إبراهيم البلياس

الأربعين فى أصول الدين وقد كانت خطة
الغزالى بالإجمال فى هذا الكتاب القروى أن
يتخذ من المنهج الإسلامى أساسا لاختيار الآيات
القرآنية وأن يتكون الكتاب من المبادئ
الإسلامية الروحية والآيات المتصلة بها .

وهذا هو الأساس الذى نرضيه فى مهمتنا
الحاضرة فيحسن أن نختار للتربية الدينية فى
الوقت الحاضر من آيات الذكر الحكيم
ما يتصل بموضوع المنهج اتصالا وثيقا
وقدوتنا فى هذا هو الإمام الغزالى نفسه .

ويمكن أن يدخل فى نطاق اختيارنا سور
قصيرة ولكننا نختار أيضا من السور الطويلة
ما يرتبط بموضوعات المنهج ارتباطا وثيقا .
النتيجة :

والذى ندهو إليه هو :

أولا - أن يتسع ضج الدين فيشمل
العقائد والعبادات والأخلاق وما كان من
الشريعة متصلا بالحياة اليومية كاحكام
المعاملات المالية وأحكام الأسرة ونحو ذلك .

ثانيا - يجب أن تتخذ من هذا المنهج
أساسا لاختيار الآيات والسور فنختار منها
ما يتصل بالعقائد والعبادات والأخلاق وهو
جوهر القرآن ودوره التى اختارها الغزالى
ويضم إلى ذلك ما يتصل بالأحكام الشرعية
التي يقع عليها الاختيار .

ثالثا - يختار لسكل مرحلة من مراحل
التعليم الآيات المناسبة لها وهى الآيات التى

المجتمع الإنساني في ظل الإسلام

للاستاذ محمد أبي زهرة
عضو المجتمع



فضيلة الأستاذ محمد أبي زهرة

خط مستقيم من غير انحراف ولا تقاطع ، بل يكون كل خط مواز لخط أخيه ، وكل هذه الخطوط تقف على خدمة الجماعة الإنسانية ، وبعد أن أفاض في بيان ذلك وانتهى إلى ضرورة التعاون والتعارف بين بني الإنسان تحدث عن الشريعة الإسلامية وعمومها والمساواة بين الناس أمامها وذكر أنها تقوم على أسس ثلاثة : العدل ، والفضيلة الإنسانية ، والمصلحة . وأفاض في ذلك ، وقد تناول البحث كذلك الأسرة والأصل العام

كان موضوع البحث الذي قدمه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة في هذه الدورة هو المجتمع الإنساني في ظل الإسلام . وقد مهد له بمقدمة بين فيها صلاحية الإسلام التطبيقي في كل زمان ومكان ثم ذكر ما يؤيد ذلك في الموضوعات التي دار حولها بحثه ، فبين العقيدة الإسلامية وتأثيرها في تطهير العقول والنفوس من الأوهام الفاسدة ، وأفاض في الحديث عن دعائهما الثلاث . الإيمان ، بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، والإيمان بالغيب ، والإيمان بالرسول أجمعين ، وبين أن هذه الدعائم كلها يسلم بها العقل ، ويقوم الدليل المستمد من البديهة على صحتها وليس فيها مجال لوم أو خرافة ، ثم قال : إن الإسلام يطوى في عقيدته الخالصة كل عقيدة صحيحة في الأديان كلها ، وانتهى من ذلك إلى الحديث عن الوحدة الإنسانية ، فذكر أن الناس جميعا سواء بالنسبة للأحكام الإسلامية ، وأن اتحادهم في أصل التكوين من حيث اتحاد الفرائز والاتجاهات الإنسانية كان سبب الاختلاف ، إذ نشأ عن ذلك أن استجاب كل لفرائزه فاصطدمت إرادته مع إرادة الآخر . فكان التنافر ، وكان لابد من فاصل يرسم الحدود ويقيد الغايات لتتلاقى في

الزيادة في الواجب ، وهذه العدالة النفسية هي التي توجد الاتصال المستمر ، وهي التي تقوى بناء الجماعة ، وهي تنفذ ديننا من غير قسر ولا حكم مسيطر ، بل يكون الحكم من ذات الضمير ، وهذه قد نصت عليها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال : (أحب لأخيك ما تحب لنفسك) وقال عليه الصلاة والسلام : (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به) فهذا الأدب الديني الذي يجب في العدالة هو أقوى مؤثر في تقوية الروابط الإنسانية ، وقد كان بعض فلاسفة الألمان يجعل الفارق بين العمل الذي يكون خيرا ، والآخر الذي يكون شرا ، هو أن يعتبر الفعل قد صدر من الجميع ، فإن انتهى إلى صلاح الجماعة كان خيرا ، وإلا فهو الشر . ومحمد صلى الله عليه وسلم قرب ولم يباعد ، فجعل المقياس من قلب الفاعل ، أيحب أن يفعل به ، ما يفعله مع غيره ؟ فإن أوتضى ذلك كان خيرا ، وإلا كان شرا .

والشعبة الثانية من العدالة هي التي تنظمها الدولة ، وإن مقام هذه العدالة في التنظيم الظاهر ، ولكنه لا ينفذ كاملا إلا إذا كان قائما على أساس من العدالة النفسية عند الحاكم والمحكوم على سواء ، فعلى الحاكم ألا يفرض من النظم إلا ما يطبقه أولا على نفسه وأسرته ، ولقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان إذا سن نظاما ودعا للناس دعا آل الخطاب وقال لهم : لقد عرمت

الحكم في الإسلام ، والحريات ، وسيرى القراء كل ذلك مبسوطا في الكتاب السنوي الذي يصدره المجمع عن المؤتمر وإليهم ما جاء من ذلك عن العدالة .

العدالة

إن سمة الإسلام : العدالة ، وهي ميزان الاجتماع في الإسلام . وهي التي يقوم بها بناء الجماعة ، وكل تنسيق اجتماعي لا يقوم على العدالة منهاز مهما تكن قوة التنظيم فيه ، لأن العدالة هي الدعامه ، وهي النظم ، وهي التنسيق السليم لكل بناء ، ولذلك كانت آية لمعان القرآن الكريم هي قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (١) ، والله تعالى ، يعتبر العدالة بين الناس أقرب القربات إلى الله تعالى ، وأن المؤمن مطالب بأن يقيمها لله تعالى فهي طريق الولئى إليه ، ولذلك قال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون) (٢) .

والعدالة ذات شعبتين ابتداء ، الشعبة الأولى العدالة النفسية بأن يقدر كل إنسان لنفسه من الحقوق بمقدار ما يقدره لغيره ، على ألا يزيد على الناس في حق ، وقد يفرض على نفسه

(١) سورة النحل الآية (٩٠)

(٢) سورة المائدة الآية (٨)

ويروى في ذلك أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، وهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقطع يدها لتكرار السرقة منها ولأن حد الله تعالى يجب أن يقام، فوسطوا أسامة بن زيد حب رسول الله تعالى ليشفع في ذلك فغضب رسول الله تعالى عليه الصلاة والسلام، وقال له لانما: (أتشفع في حد من حدود الله؟) ثم وقف خطيبا وقال: (يا مال أقوام يتشفعون في حد من حدود الله، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). ولقد كان الصحابة من بعده ينفذون العدالة بين الناس على سواء، وكما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (الناس سواسية كأسنان المشط) ولقد قال في ذلك أبو بكر خليفة رسول الله تعالى رضى الله عنه: «القوى منكم ضعيف، حتى أخذ الحق منه، والضعيف قوى حتى أخذ الحق له».

ومر بن الخطاب العبقرى الذي لم يفر أحد في الإسلام فريه كان شديدا على نفسه وعلى أهله وعلى ولاته، في تنفيذ الأحكام الشرعية، حتى إنه ليضرب أحد الناس بدرته لأنه طاف مع النساء، وقد اعتزم عمر هزيمة جعل فيها النساء زنا لا يطوف فيه الرجال، فيقول الرجل، والله ما علمت لك فيه هزيمة فإن كنت قد أسأت فإنك لم تحسن تأديبي، وإن كنت لم أسئ ظلمتني، فأعطاء القدرة

على الناس أمرا، وانه لا أرى له مخالفا من آل الخطاب، إلا ضاعفت له العقاب، والشعبة الثانية أقسام ثلاثة: عدالة قانونية، وعدالة اجتماعية، وعدالة دولية.

١ — العدالة القانونية:

يقصد بالعدالة القانونية أن يكون القانون واحدا لا يكون قانون للأشراف وآخر للغيرهم، أو يكون قانون للبيض، وآخر للبلونين، بل يكون الجميع خاضعين لقانون واحد وأن يكون تطبيقه ملاحظا فيه المساواة في الحكم لا فرق في التطبيق بين غني وفقير، ولا أبيض وأسود، ولا جنس وجنس، ولا دين ودين، ولا جاهل ومعلم بل الجميع أمام القانون سواء، فلا تفاضل بين الناس في التطبيق للقانون، لأن التفاضل لا يكون في مخافة القانون، إنما التفاضل بالفضائل، ولعل أصدق تصوير للبدا الإسلامية في التطبيق القانوني قول سعد زغلول، وهو عالم أزهري، قبل أن يكون سياسيا: (إننا نتفاضل فيما بيننا، ولكننا أمام القانون سواء) فإن هذا تلخيص جيد للبدا الإسلامية في تطبيق العدالة. وقد كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على أن ينفذ حكم الإسلام فيه قبل أن ينفذه في غيره، وقد كان مرة يقسم الغنائم، فجاءه رجل وألب عليه فضربه بعود في يده فأظهر الرجل الألم فطلب إليه الرسول أن يقتص منه فعفا الرجل، وكان عليه السلام حريصا على أن ينفذه على الناس كافة.

بالقسوة بين الخصوم في المجلس والنظر والإشارة والإقبال ، ولقد قال في كتابه لأبي موسى الأشعري سو بين الخصمين في مجلسك وإشارتك وإقبالك ، حتى لا يئس ضعيف من ذلك ، ولا يطمع قوى في ضيعتك .

وإن الإسلام لم يسو فقط في العقوبة بين الشريف والضعيف ، بل نظر نظرة أخرى لم يسبق إليها النظام ولم يلحق به إلى الآن فيها غيره وذلك أنه بالنسبة للعقوبة قرر أن الجريمة تكبر بكمبر الجرم . وتصغر بصغره ، والعقوبة تتبع الجريمة صفرا وكبرا وتكبر هي الأخرى بكمبر الجرم ، وتصغر بصغره . ولا نأخذ ذلك من أقوال فقهاء تأثروا

ببعض الأغراض في مصورهم ، ولكننا نأخذه من مبدأ عام قرره القرآن الكريم ، وطبقه الفقهاء في موضع النص ، ولكن لم يصلوا فيه إلى أقصى مدى يرى إليه النص .

وذلك المبدأ هو ما قرره القرآن الكريم في عقوبة العبد بالنسبة لعقوبة الأحرار فإنه جعل عقوبة العبد على النصف من عقوبة الحر ، فإذا زنى العبد جلد خمسين جلدة ، وإذا زنى الحر جلد مائة جلدة ، وإذا شرب العبد خمرًا جلد أربعين ، ويجلد الحر ثمانين ، وإذا رمى العبد امرأة بالزنى ، ولم يأت بأربعة شهود يشتمون دعواه ، فإنه يجلد أربعين جلدة ، بينما يجلد الحر في هذه الحال ثمانين جلدة .

وهذا النص معقول المعنى ، وليس نفا لا يبحث عن هلته أو حكته ، ولكن له هـ

ليضربه ، ولكنه امتنع فقال : دافع عنى فقال الأعرابي ولا أعفو . حتى يأتى عمر ليلته مستكراً ، فلما رآه الأعرابي في اليوم التالي وجد أثر الآلام على وجهه ، فقال لعلى هذا مما كان بالأمس ، فقال الإمام العادل : نعم ، فقال الرجل الآن عفوت عنك .

وروى التاريخ عنه خبراً هو مثل عال من العدالة الإسلامية الذى يمد مصباحاً للعدالة الإنسانية في ذاتها . وذلك أن أميراً من أمراء الفسافة الذين كانوا قبل الإسلام كان يطوف بالبيت . فوطئ أزاره شاب من فزارة فطمعه الفسافى لطمه جدهت أنفه فذهب الشاب إلى الإمام عمر وشكا إليه فقال عمر للفسافى : له القصاص أو يفوق عقلك .

فقال : كيف وأنا أمير ، وهو سوقة ؟ فقال عمر لقد سوى بينكما الإسلام ، فلا تفضل إلا بالتقوى ، فأخذ الأمير يسترضى الشاب الأعرابي ، فلم يرض إلا بأن يطمه كما لطمه وعلم أن عمر لا حاجة سيممكن الأعرابي من القصاص ، ففر إلى الروم مرتداً عن الإسلام وما أم ذلك عمر فإنه خير للإسلام أن يخرج منه من لم يعمر الإيمان بالعدل قلوبهم من أن يقر ظلماً أو يأخذ بالهوادة ظالماً ، فالظلم ينفر القلوب ويبعد أهل الحق والعدل ، ويقرب ذوى القلوب الطاهرة التي تتجه إلى الحق بتبتيه وهو لا مهما يكن هدم أوفر خيرا ، وأعظم أثراً .

ولقد كان عمر رضى الله عنه يأمر قضاته

عرف في الإسلام بدليل أن أكثر الفقهاء لم يسيروا في المبدأ الذي قرره القرآن إلى أقصى مداه ، ونقول في ذلك : إنه في عهد الراشدين الذين كانوا يطبقون المبدأ القرآني تطبيقاً سليماً ، كان المبدأ يسير إلى أقصى المدى فلم ينظر عمر ، ولا من قبله أو بعده من الراشدين إلى تكبير جريمة الصغير ، وتصغير جريمة الكبير ، ولم يقبلوا أن يعفوا ذوى المروءات والهيات من العقاب ، أو يصغروا العقاب عليهم ، ولكن وجد ذلك عندهم تغلغل في العقلية الإسلامية أفكار رومانية وفارسية والامر في القضية أمر دين فكلما قوى الدين في النفوس علت مبادئه .

وإذا قيل : إنه قد ورد في بعض الآثار مفسوباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أقيلا ذوى المروءات من عثراتهم) نقول : إن ذلك فيما لا يكون فيه اعتداء على الناس ، وفيما لا يكون جريمة في ذاته فإنه لا مروءة لمرتكب الجريمة ، ولا مروءة لمن يعتدى على الناس ، ولأن حقوق الناس لا تقبل التسامح .

وعرب الخطاب ، وهو الذي نفذ المبادئ الإسلامية تنفيذاً كاملاً حتى على الأمراء إذا اعتدوا على الرعية وأخباره في ذلك كثيرة ومعمودة لا يساغ لأحد إنكارها .

ويروى في ذلك أن أبا موسى الأشعري ضرب بعض وعيته أسواطاً ، وشكى ذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فأرسل عمر إلى أبي موسى

تلتصم ، ويقاس عليها غيرها ، وتلك العلة حال الضعف عند الرقيق ، وحال الامتنان خلال ضعفه وامتهانه تسهل ارتكاب الجريمة عليه ، والجريمة مهانة ، وحيث كانت المهانة كانت معها سهولة الجريمة ، وهي تسهل على المهيمن وتضعب على الكريم ، فكانت الجريمة تسير مع الصغير والكبير سيرا طرديا ، ولا تسير سيرا عكسيا ، وكان حقا أن يسير ذلك المبدأ المأثور المعنى في كل الضعفاء بالنسبة للأقوياء ، ومن يشغلون مراكز اجتماعية في الجماعات ، ولكن الفقهاء لم يسيروا في الخط إلى أقصى مداه ، أو بالتحقيق لم يسر أكثرهم فيه إلى أقصى المدى ، ومهما يكن من أقوال بعض الفقهاء والمفسرين للشريعة فإن منطق القرآن ومناط الحكم يوجب الرأفة بالضعيف والتشديد على الكبير لأنه فوق ما سبق ، في ارتكابه ما يمرض من دينه من الناس على ارتكابه ما يرتكب فإذا علم أن الكبير يرتكب الفحشاء سهلت على من دونه ، واقتدوا به ، وشابهت الفاحشة في الذين آمنوا ؛ أما الضعيف فإنه لا يقلده ، أحد ، وينال ازدياد الناس بما يرتكب . وإن ذلك المبدأ سمو في التنظيم القانوني لم يسر إليه إلى الآن قانون في الأرض ، وأن أكثر القوانين وإن كان يسير على أساس المساواة القانونية عند التطبيق نراه يتجه إلى تصغير جرائم الكبراء ، وتكبير جرائم الضعفاء . وقد يقول قائل : إن ذلك التطبيق المخالف

رئيس الدولة يرتكب جريمة ، ولذلك لا تنص على عقوبة خاصة بجرائمه ، وهذه القوانين كانت إلى عهد قريب تذكر من الملوك أن ذاتهم مصونة لا تمس ، ومن المطبقين للقانون من كان يعبر عنهم بعبارات تفيد التقديس صراحة ، فكان بعضهم إذا تحدث عن الملك يقول الذات الالهية المقدسة .

أن ذلك كله يناقض المبادئ الإسلامية ، بل أن تلك العبارات التي كانت تهمى على السنة المناهقين والمدمحين تمس العقيدة الإسلامية ، وتدل على ومن الاحتقار ، ونقص الإيمان .

ولأنه من الأمور الثابتة أن القوانين التي خلعت من هذه العبارات ، خصوصاً في البلاد التي زالت منها الملكية الفاشية التي كانت تفرض لنفسها نوعاً من التقديس الآثم المنحرف ، لا تزال التطبيقات متأثرة بها بالنسبة لرؤساء الدول الذين ارتفعوا إلى الرئاسة من الشعب فإن ذات رئيس الدولة ما زالت محوطة بذلك الجو ، إن لم يكن من نص القانون ، فمن الواقع ذاته ، فقد يكون منشأ ذلك ضعف المطبقين ، ورئيس الدولة يريد أحياناً ، وربما يرغب في أن يحسوا بالمساواة المطلقة بين الحاكم والمحكوم .

وإن الفقهاء أجمعوا على أن الجرائم التي توجب القصاص لا فرق فيها بين الراعي والرعية ، ولا بين الحاكم والمحكوم ، وإن ذلك ينطبق على الإمام الأعظم الذي هو

الأشعري ، ومكاته من محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاته ، يقول له : عزمت عليك إن كنت ضربته في ملا من الناس ، فليضربك بينهم ، فلما حضر الرجل إليه سلم نفسه ، فعفا الرجل .

ويروى أيضاً أن عمرو بن العاص قال لبعض العرب : يا هناقي ، وكان ذلك في المسجد ، فذهب الرجل إلى عمر رضي الله عنه ، وقال له : قد نفاقتي الأمير ، وما نأقت منه أسلمت ، فأرسل إلى عمرو وقال له : إن كنت نفقت في ملا ، فليضربك كذا سوطاً ، فذهب الرجل إلى المسجد ، وقال من منكم سمع الأمير ينفقتي ، قالوا : كلنا سمع ، فقرأ عليهم الكتاب ، فقال المدمنون المنافقون : ه أو تضرب الأمير ؟ وصاحوا فيه مستنكرين الحق ، فقال الرجل ليس لأمر المؤمنين هنا طاعة ، فقدم عمرو نفسه ليضربه الرجل ، فقال العربي الأبى ، الآن عفوت .

والنبي وأبو بكر وعمر كانوا يقدمون أنفسهم للقصاص ، فكيف تكون هناك مروءات تمنع القصاص أو تخفيفه .

وقد بينا بالإشارة الموجزة أن الإسلام أتى في تطبيق العدالة القانونية بمبدأ لم يسبق به ، وهو أن تطبق العقوبات على رئيس الدولة كما تطبق على آحاد الرعية ، ومن الحق علينا أن نوضح ما أشرنا إليه من قبل موجزاً أيضاً من غير تفصيل .

فنقول : إن أكثر القوانين لا تفرض أن

وجواب السؤال الثاني . أن القانون الذي يطبقه القضاء في الإسلام لا يستمد سلطانه من ولى الأمر ، إنما يستمد ذلك من كتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فما وافقهما بما يصدره ولى الأمر ، فهو واجب الطاعة ، لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، (١) . وإن خان أحكامهما فلا طاعة له ، لقوله عليه الصلاة والسلام (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ولأن طاعته في حدود الكتاب والسنة ، فمن يخرج عنهما معاندا لهما فقد أخل بأصل الطاعة ، فلا يطاع إلا لدفعها للفتن والفساد ، ولا يطاع في المعصية قط .

وإن العدالة القانونية ثابتة على كل من يستظل بالراية الإسلامية ، سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، فالقانون سواء بالنسبة لكل من ينال الرهوية الإسلامية من غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، بلا فرق بين مسلم وغير مسلم ، مع ملاحظة أنه تترك الحرية الدينية كاملة لغير المسلمين لكي يزاولوا فيها شعائر دينهم ، غير مقهورين ولا مستضعفين .

العدالة الاجتماعية :

العدالة الاجتماعية معناها تمكين كل ذى قوة من أن يعمل بمقدار طاقته ،

ورئيس الدولة الأعلى كما ينطبق على الولاة الذين يعينون من قبله لا فرق بينهم وبين أحد من الناس بالنسبة لتطبيق القانوني ، فإذا قتلوا إفساداً بغير حق . حق عليهم القصاص وعلى القاضي أن يحكم به ، وإذا أخذوا مالا بالباطل حق على القاضي أن يأمر برده . وإن قيام الحاكم بشئون الدنيا لا يعفيه بما قرره الله تعالى من أحكام ثابتة . وإذا ارتكب الخليفة الأعظم ما يوجب حداً كأن يزنى أو يشرب الخمر ، وجب عليه الحد ، عند الجمهور الأعظم من الفقهاء ، ولكن قال أبو حنيفة : لا يقام عليه الحد في الدنيا ، لكيلا يضطرب النظام ، ولعدم وجود من يقيمه عليه .

وأما غير الخليفة الأعظم من الولاة ، فإن الحدود تقام عليه ، والخليفة الأعظم الذى ولام هو الذى يقيمه عليهم .

وقد يقول قائل : كيف يحكم القاضي على ولى الأمر الأعظم ، وهو الذى ولاه ، وله أن يفرع من يده الحكم عليه ، ثم ما القوة التى ينفذ بها الحكم ، وتنفيذ الأحكام فى ذاته يحتاج إلى قوة منفذة .

والجواب بالنسبة للسؤال الأول : أن القاضي إذا تولى لا يكون وكيلاً عن ولى الأمر بدليل أنه إذا مات أو عزل لا يعزل هو فالولاية ليست توكيلاً ، ولكنه تمكين ذى الأهلية للقضاء من أن يحكم ، ومن جهة أخرى هو يعمل للمسلمين ولا يعمل له هو ، ينفذ شرع الله تعالى ولا ينفذ إرادته .

كان يمكن أن تعمل ، وتدور على الجماعة بعملها خيرا وتدفع عن نفسها وعن الجماعة ضرا . وإن الفقر في ذاته لا يمكن أن يمحى ويكون كل الناس أغنياء ، أو لا يكون تفاوت بين الناس ، ولا يزال الناس مختلفين غنى وفقراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن الأسباب في زوال التفاوت غير ممكنة ، إذ لا يزول التفاوت بين الناس إلا إذا اتحدت القوى ، واتحدت أسباب الرزق ، واتحدت الأجواء المادية والفكرية التي تظل المنتجين .

وإن الناس متفاوتون في قواهم تفاوتاً كبيراً ، ولقد روى منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الناس كيا بل مائة لا تهد فيها راحلة . فالممتازون امتيازاً مطلقاً في تفكيرهم وقواهم نادرون ، وهم أعلى القمة ، ومن دونهم أوسع قليلاً ، ثم يقسح المقدار كلما قاربنا سفح البناء الهرمي ، لأن القوى الإنسانية تأخذ شكل بناء هرمي متدرج في الارتفاع والاتساع أهله أضيقة مساحة وأدناه أوسع .

وأنه لو فرض غير الأمر الطبيعي واتحدت كل القوى الإنتاجية عند كل إنسان في الجماعة فإنه لا يمكن أن تتحد أسباب الثروة فقد يوجد عند شخص من الأسباب ما لا يوجد عند غيره ، ولا يمكن توحيد الأسباب .

وعلى فرض اتحاد القوى واتحاد الأسباب فإن اتحاد الإنتاج ليس مؤكداً ، كمنهجية

بهيئت تهيأ الفرص المناسبة لكي تظهر كل القوى ، وتوضع كل قوة في مرتبتها ، وأن توجد الكفافة للعاجزين عن العمل لكي يعيشوا ، وينالوا حظهم من الحياة ؛ ليسكونوا قوة في الجماعة إن كانوا صغاراً ؛ وليأمنوا من الجوع والحرى إن كانوا كباراً لا يرجى أن يزول سبب عجزهم ، وذلك بأن يهيأ لكل من لا يجد أسباب العيش - المسكن المناسب ، والكساء المناسب والغذاء الذي يدفع المخصصة والجوع .

فوجب العدالة الاجتماعية ليس التسوية المطلقة بين الناس في تهيئة الفرص ، فيتوافر التعليم المشعر لكل الناس حتى تظهر القوى ، ويوسد كل إنسان لما يصلح من عمل ، ووضع كل امرئ في العمل المناسب هو التنظيم الجماعي السليم الذي يتوافر فيه لإنتاج كل القوى من غير أن تهمل قوة ، أو تعمل فيها دون طاقتها ، أو نيا فوق طاقتها فيفسد الأمر .

وليس العدالة الاجتماعية مقتضية لإلغاء الفقر في هذا الوجود ، بل توجد بعض ما يمكن أن تتلافى به أسباب القصور في الإنتاج ، وإلا تعطلت القوى وهي توجب تخفيف الولايات النفسية والمادية ، فلا يحقد الفقير على الغنى فيكون الخراب ، ولا يحرم الفقير من حاجات الحياة الأصلية من القوة والكساء والمأوى ، ولا تضيق قوى عامة

ويروى في ذلك أن بعض الصحابة هير آخر بأمه، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: (أهيرته بأمه؟ إنك أمرؤ فيك جاهلية) وقال عليه الصلاة والسلام (ليس منا من دعا إلى عصبية) وكل ذلك لتكوين جماعة عادلة فيما بينها، وعادلة مع غيرها، ومنذجة في بنى الإنسان .

ولقد كان الحكم العادلون يؤثرون الضعفاء الفضلاء السابقين إلى المسكرات بتقريبهم، ولذلك روى أنه أستاذن على عمر رضى الله تعالى عنه بلال الحبشى الذى كان عبداً أصلاً وأبو سفيان الذى كان رأس مكة مع فقر من كبار قريش، فدخل الواقع على باب عمر يقول له: بالباب أبو سفيان وبلال فنضب الإمام العادل المصلح التقي، لأنه قدم أبا سفيان في الذكر على بلال وقال له قل: بالباب بلال وأبو سفيان، وأذن لبلال ولم يأذن لغيره . .

وفي سبيل منع الطبقات في الإسلام منع عمر كبار قريش من أن يذهبوا إلى الأقاليم لكيلا يكونوا فيها طبقة أشراف يتحكمون في الناس باسم السلطان .

والعبادات الإسلامية فيها محاربة للطبقات، إن أدبت على وجهها، وقد بينا ذلك، في موضعه من هذا البحث .

محمد أبو زهره
عضو المجمع

لذلك، فقد يحدث أن توجد كارثة لهذا فلا ينجو ماله ويسلم له إنتاجه، ومثل رجال الأعمال في نتائج أعمالهم كمثل الزراع يتحدون في الزرع والسماد واتقاء الآفات، ولكن يحدث ما ليس في الحسابان بالنسبة لأحدهم، فيحدث لمن هو قريب من النهر الجارى فيضان على أرضه يتلف زرعته وينجو منه زرع البعيد، أو يتمكن من النجاة بزراعته قبل أن يطفئ عليه الماء، فيكون من نجا زرعته له زيادة من المال، ومن غرق بصيبه القل .

الفقر والغنى لهذا حقيقتان ثابتان وهما من طبيعة هذا الوجود الإنسانى وقد قرر الإسلام ذلك على أنه حقيقة قد قسم الله تعالى الأرزاق بين الناس، فقال تعالى: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» .

ولكن الإسلام مع ذلك لم يجعل الناس طبقات بسبب الغنى والفقر، كما رأينا من تطبيق الأحكام الإسلامية في العدالة القانونية فقد قرر أن الفضل عند الله بالتقوى، وأن الرفعة بالعمل الصالح، ولذلك جعل العرب والأعجمى على سواء في كل شيء لا يتفاضلون إلا بالتقوى .

وقد سما الإسلام في أحكامه التطبيقية بالأنساب وبالأجناس وبالألوان، ولذلك نهى عن التفاخر بالعصبية، والتعير بالعصبية

مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية

لفضيلة الشيخ على الحنيف

”عضوالمجتمع“



فضيلة الشيخ على الحنيف

يختص به دون سائر الناس بل يشاركه فيه جميع الناس لأنه من مقومات الحياة وضروريات الوجود ولا اختيار فيه للبشر كالأكل والشرب والنوم واللبس ونحو ذلك ، أما ما يتعلق بتلك الأحوال ويتصل بها من كيميائيات وأوضاع ووسائل ونحو ذلك فإنه يعد من سفته - صلى الله عليه وسلم - ويقنأله اسم السفة بالمعنى الذي نريد لأن له فيه اختياراً .

تناول الباحث هذا الموضوع بمقدمة عن معنى السنة في اللغة ثم في اصطلاح علماء الشريعة وعلماء الحديث وفي اصطلاح الأصوليين .

ثم قال : « نريد بالسنة في موضوعنا ما عناه علماء الأصول ؛ لأنها بهذا المعنى من وسائل بيان الأحكام ، ثم أجرى بحثاً في استعمال كلمات الحديث والأثر والخبر حيث يستعمل اسم السنة ، وهو استعمال يقتضى بيان معانيها وما قد يكون بينها من اختلاف .

ثم قال : « دلسنا نريد بالسنة في موضوعنا هذا ، حين نتكلم عن مكانتها في بيان الأحكام وحين نرد ما أثير حولها وحول أسانيدنا من شكوك وشبهات ، إلا ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في عبط التشريع من قول أو فعل ثم قال : « وهي على هذا المعنى إنما تكون فيما تناولته سيرته وطريقته في حياته - صلى الله عليه وسلم - ، بما كان له فيه اختيار بين أمرين أو أكثر فاختر ما رآه أنه الأفضل ولا تكون ، فيما كان يأتيه - صلى الله عليه وسلم - بطبيعته وإنسانيته بما لا اختيار له فيه ولا

كان لها آثارها في الحكم على الحديث قوة وضعفا ، وقبولا وردا ، كما كان لها الأثر البالغ في التعرف على كثير من الأحاديث الموضوعية وتمييزها من الأحاديث الصحيحة .

وقد كانت هذه القواعد والأسس نتيجة بحث دائم في بيان حال الرواة وصيرتهم وعن أخذوا عنه وعن أخذ عنهم ومن عاصروهم ومن لم يعاصروهم وفي بيان من عرف منهم بالضبط والحفظ والإتقان والصدق ومن كان منهم على خلاف ذلك من الكذب والوضع أو السهو أو سوء الحفظ أو التبدليس أو عدم الضبط ، وفي بيان طرائق سماعهم وتحملهم وذلك بحسب ما وصل إليه جهدهم وافتى إليه تهريمهم وبختمهم . ولم تصل أمة من الأمم إلى ما وصلت إليه الأمة الإسلامية في ذلك من الدقة والتحقيق ، وفي وضع الأسس والقواعد التي ينبغي عليها الحكم على الأخبار وروايتها ، ولهذا كان ما وجه من النقد إلى رواية السنة من بعض المستشرقين أو الناقدين المغرضين أو غير المغرضين ومن لف لف لفهم وخدع بأفكارهم موجهها أكثره إلى ناحية المتن ، فقد زعموا أن رجال الحديث لم يعنوا بالمتن هنايتهم بالسند وأن ما وضعوه في سبيل الحكم على المتن من القواعد لم يكن كافيا لتمييز الصحيح من غيره مما كان سببا في عدم التعرف على كثير من

ثم بعد أن أفاض في بيان هذا الأمر انتقل إلى مكانة السنة في بيان الأحكام الشرعية وأنها جاءت مفسرة للقرآن تبين بحمله ، وتقيد مطلقة ، وتخصص عموما ، وتفصل أحكامه وتوضح مشكله ، مفصلا القول ، جامعاً بين الروايات مرجعاً بعضها على بعض .

ثم انتقل إلى وجوب العمل بالسنة مبيهاً أنها أصل من أصول الدين ، وأنها المصدر الثاني للأحكام الشرعية ، وأنه العمل بها واجب لأنه طاعة لله ورسوله ، وأن تركها ومخالفتها ترك لكتاب الله ، ورفض لما أمر به .

ثم انتقل إلى ما رجه إلى روايتها فقال : ذكرنا أن وجوب العمل بالحديث منوط بصحة نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيناً أو ظناً فاصححت نسبه إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل القطع بالحديث المتواتر أو ظناً بالحديث الصحيح من الأحاد وجب العمل بمقتضاه وحرمت مخالفته ، وما لم يتحقق فيه ذلك لم يجب العمل به .

وقد كانت عناية رجال الحديث بالسند ورجاله في سبيل توثيقهم والحكم على الحديث بصحة نسبه أو بعدم صحتها عناية فائقة لم يجد معها المغرضون ولا الناقدون أية ثغرة ينفذون منها إلى توجيه أي نقد ينال من الأسس والقواعد التي وضعت لوزن الأسانيد ورجالها وما بنى على ذلك من أحكام

الحكم على الجهود التي بذلها علماء السنة للحكم على الحديث من ناحية مقنه، وإذا كانت جهودهم في هذا المجال من حيث التفصيل والمادة دون جهودهم في سبيل الحكم على السند ورجاله فإن ذلك التفاوت لا يرجع إلى نقص أو نقصير بالنسبة لما يتطلبه النظر في المتن وحاله والحكم على الحديث بناء على ذلك وإنما يرجع إلى أن أحوال المتن ليس لها ما لأحوال السند من تنوع وتعدد واختلاف بما أدى إلى كثرة البحوث والعلوم المتعلقة بالسند ولم يغفل علماء الحديث النظر في المتن وما يجب أن يتوافر فيه من الصفات الدالة على صحته وما يجب أن يبرأ منه المتن من العلامات والشواهد التي إذا وجدت فيه دلل على وضعه مما هي كفيّة بالتعرف على أي حديث موضوع وتمييزه عند مراجعتها — وهذا بيان أهمها في إجمال .

١ — ركاكة معناه وضعفه . قال الحافظ ابن حجر ما خلاصته : ركاكة معنى الحديث يدل على وضعه وإن لم ينضم إلى ذلك ركاكة في لفظه ؛ لأن الدين كله محاسن والرداءة والضعف مما ينأى عنه الدين .

٢ — فساد معناه وذلك بأن يخالف ما تقضى به العقول السليمة دون إمكان تأويله كأن يخالف البدهيات أو ما هو معروف مسلم به من القواعد العامة في الحكم والأخلاق

الاحاديث الموضوعية واختلاطها بالاحاديث الصحيحة بناء على ما وصل إليهم تحريمهم وبحتمهم من سلامة أسانيدها وتوافر الثقة في رجالها وهي ثقة كما تعلم قامت على التحرى والسماع والتقدير .

وذلك أمر يتعرض للخطأ وتختلف فيه الأنظار باختلاف الناس وتفاوتهم في أفكارهم وأنظارتهم وبحوثهم ويؤيد أصحاب هذا الرأي رأيهم هذا بذكر بعض أحاديث وردت في الصحاح يرونها من ناحية ما دللت عليه غير مقبولة في عقولهم أو معارضة لما هو معروف مسلم لديهم من الواقع والقضايا وذلك مثل ما أخرجه البخاري عن عمار بن سعد عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من اصطبج كل يوم ثمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل . وفي رواية سبع ثمرات عجوة ومثله لمسلم عن سعيد بن أبي المعاص وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : متى تقوم الساعة ؟ قال : فصكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنية ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شخوة فقال : إن هر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة ، قال أنس : ذاك الغلام من أقراني يومئذ — وقد مات أفس سنة ٩٣ هـ وهو ترب الغلام ، والواقع أن هذا النقد لا يخلو من حيف وجور في

خيبر ورفع عنهم السكينة والسخرية بشهادة سعد بن معاذ وكتابة معاوية بن أبي سفيان مع أن الثابت أن الجزية لم تكن مشروعة عام فتح خيبر وإنما نزلت آية الجزية بسعد نبوك وأن سعدا توفي قبل ذلك في غزوة الخندق وأن معاوية إنما أسلم عام الفتح .

٥ - صدور الحديث من راو تأييدا لمذهبه وهو متعصب مغال فيه وذلك كالأحاديث التي صدرت من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية تأييدا لمذاهبهم أو مذهب إمامهم مثل: من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له ، ومثل المضمة والاحتشاق للبيت ثلاثا في ربيعة ، ومثل من قال : القرآن مخلوق فقد كفر .

٦ - اشتغال الحديث على إفراط في الثواب العظيم جزاء عمل صغير أو اشتغاله على مبالغة في الوعيد الشديد على الأمر الحقير وذلك كالأحاديث التي وضعها القصاص في ثواب بعض الأعمال وفي جزاء بعض الجرائم والمخالفات .

٧ - أن يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعي إلى نقله لأنه وقع بمشهد عظيم ثم لا يشتر ولا يرويه إلا واحد وبهذا حكم أهل السنة على الحديث المتضمن النص على خلافة علي ووصيائه (١) .

أو داعيا إلى الاستجابة إلى الشهوة والمفسدة أو مخالفا للحس والمشاهدة أو لقطعيات التاريخ وللسنن الكونية أو لبدهييات الطب أو المعقول في أصول العقيدة من صفات الله ووسله . أو مشتغلا على مخافات لا تصدر عن حافل ، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: إذا رأيت الحديث يبين المعقول أو يخالف المعقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع .

وقال في الحصول : كل خبر أومم باطلا ولم يقبل التأويل فسكذب أو قد نقص منه وما يزيل الوم .

٣ - مخالفته للمكتتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي - قال ابن قيم الجوزية : ومن الأمور التي يعرف بها أن الحديث موضوع مخالفته صريح المكتتاب كحديث مقدار مدة الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة لمخالفته قوله تعالى : دقل إنما عليها عند ربى ، ، وقوله : د إن الله عنده علم الساعة ، ومن ذلك أيضا مخالفته صريح السنة المسلم بها لشهرتها أو لتواترها .

٤ - مخالفته الوقائع التاريخية المقطوع بصحتها وذلك مثل ما رواه مسلم بسنده عن أبي وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بصفيين فقال أبو نعيم : أترأه بمك بعد الموت ؟ إذ قد توفي قبل ذلك ومثل ما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع الجزية عن أهل

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١١٨ .

٢ — خلو الحديث من التفسير الفلسفي الذي يخالف المؤلف من بيانه صلى الله عليه وسلم وخلوه من الأمايلب الفقهية التي تتعرض للأكر الشروط والأركان وما إلى ذلك بما لم يكن معروفا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ — انطباق الحديث على الواقع وعدم وجود باعث سياسي أو نفسي دما إلى وضعه .

ذلك ما ضمنه الناقد نقده ولو تمياً له أن يكون واسع الاطلاع دقيق النظر لقبين له أن كل ما ذكره من ذلك تتضمنه تلك القواعد السابقة ولم يفت رجال الحديث مراعاته في نقد المتن ، فقد ردوا حديث دخول النبي صلى الله عليه وسلم الحمام بناء على أن النبي صلوات الله عليه لم يدخل حماماً قط ، وأن الحمامات لم تكن معروفة في الحجاز على عهد صلى الله عليه وسلم . وكذلك ردوا حديث وضع الجزية عن أهل خيبر بناء على أنه مخالف لما علم تاريخياً من أن شريعة الجزية لم تشرع إلا بعد فتح خيبر وردوا بعض الأحاديث لنخافتها للواقع . وذلك كحديث : (لا يولد بعد المائة مولود لله فيه حاجة) وحديث (الباذنجان شفاء من كل داء) وردوا ما رواه غلاة الشيعة من أحاديث في فضل علي . وما رواه غلاة البكرية من أحاديث في فضل أبي بكر ، لوجود الباعث السياسي على وضعها ، وردوا كذلك حديث (ومدت فشكوت إلى

ولا شك أن هذه أسس سليمة وصينة محكمة كفيّة بتمييز الأحاديث الموضوعية من الأحاديث الصحيحة لا يسع المصنف أن ينازع في قوتها وكفائتها ومع هذا لم يكثف رجال الحديث بها في سبيل نقد المتن بل نقده مع ذلك من ناحية اضطرابه أو شذوذه أو إعلاله كما بحثوا فيما وقع فيه من قلب أو غلط أو إدراج إلى غير ذلك من العلل التي عنى العلماء ببيانها وشرحها فيما وضع في ذلك من الكتب .

وقد رأيت فيما سبق أن ما وضع من موازين وضوابط للتعرف على ما في الأحاديث من قوة وضعف لم يكن المهدف منه الوصول إلى القطع بصحة نسبة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان الغرض منه الوصول إلى غلبة الظن بصحة تلك النسبة ، ولذا قالوا : إن ما حكم بصحته من أحاديث الآحاد قد يكون في واقع الأمر غير صحيح ، ولكن هذا احتمال ضعيف لا يحول دون وجوب العمل كما قدضنا ، ولقد ذكر أصحاب هذا النقد أنه كان من الواجب أن يؤسس نقد المتن أيضاً على أسس أخرى لم تنل من علماء الحديث عناية وهي :

١ — اتفاق ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول مع الظروف التي قيل فيها وعدم معارضته للحوادث التاريخية الثابتة .

فخص في حديث لا يراها الآخر فيه ، أو مخالفته لما يقضى به العقل ؛ فإن عقول الناس تختلف اختلافاً بينا يستسيغ بعضها ما لا يستسيغه بعضها الآخر ، ويجوز بعضها ما لا يجوز بعضها الآخر ، ويستبعد بعضها ما لا يستبعد بعضها الآخر . فبأى عقل يوزن به الحديث ؟ وأنى لعقل أن تكون له قوة وحكم هند محبة السند ، والظن بصحة نسبته ، وكذلك صدور الحديث من راو تأييداً لرأيه المتعصب له المغالى فيه مما تختلف فيه الأنظار ، وهذا ما يكشف عما في تطبيق هذه القواعد والضوابط من عيب ونقص ، يؤدى إلى كثير من الأحوال إلى خلاف واضطراب .

ثانياً : أن استعمال هذه المقاييس والضوابط مشروط بالآتي : أن يكون في تأويل الحديث تأويل يحتمله ، أو في حمله على المجاز يخرج من تطبيقها وبناء على ذلك إذا احتمل الحديث تأويلاً يخرج من محيط ما تتناوله هذه القواعد لم يحز أن تطبق عليه ، وكذلك إذا كان حمله على الاستعمال المجازي يستبعد به من هذه الضوابط لم يحز أن تتناوله . وتأويل الحديث وقبوله للتأويل وجواز إرادة معنى مجازي منه مما يختلف فيه الناس فيكون مقبولا سائفاً عند آخر ، وعلى ذلك يختلف الحكم على الحديث باختلاف الناس واختلاف أنظارهم .

جبريل ، فقال : آدم النظر في المصحف) لأنه لا يتفق مع البيئة التي قبل فيها ، إذ لم يكن على عهد صلى الله عليه وسلم مصاحف . وكذلك ودوا أحاديث لوجود الباعث النفسى على وضعها كحديث : (المريسة تشد الظهر) ذلك لأن راويه كان ممن يصنع المريسة .

وردوا كذلك كثيراً من الأحاديث لما فيها من عبارات واصطلاحات فقهية لم تكن معروفة على عهد صلى الله عليه وسلم والأمثلة من ذلك كثيرة أشير إليها في نصب الراية وهكذا يرى أن كل مازعم الناقدون استدراكه على علماء الحديث لم يغفلوه بل راعوه وذهبوا إلى أبعد منه غير أنه قد يلاحظ في هذه الضوابط وفي تطبيقها أمور :

أولها : أن كثيراً يقوم على تقدير الباحث وفهمه ونظره ، وأنظار الناس متفاوتة ومواهمهم مختلفة وأحكامهم متباينة وما لا يعقله فلان يعقله فلان آخر ، ولهذا كانت أحكامهم على الأمور مختلفة ، وعلى ذلك تكون تطبيق هذه الضوابط على الأحاديث مختلف النتائج باختلاف أنظار من يقوم بتطبيقها ، فراككة المعنى في كثير من أحوالها مما يختلف فيه أنظار الباحثين ، يراها هذا في معنى من المعاني بينا لا يراها الآخر فيه . وكذلك الحال في مخالفة الحديث لما تقضى به قواعد العلم أو تجارب الطب بينا يراها

الاعصر ، وما قد ينكشف سره بعد ذلك ، وعلى ذلك فلا ينبغي أن يكون لهم مع قصور عقولهم سلطة الحكم على أقواله من ناحية سلامتها وصحتها ، مما قد تعجز عقولهم عن فهمه ، ولا يصح أن يكون عدم فهمهم أقصر عقولهم أو لضعف معارفهم دليلا على وضع الحديث - وبناء على ذلك إذا جاء الحديث متضمنا خواص بعض النبات بما لم يكشفه

العلم أو خيرا عن غيب سيقع في مستقبل الزمن وما إلى ذلك بما لم يصل إليه علم الناس فلا يجوز أن يتخذ ذلك دليلا على وضع الحديث .

لهذه الأسباب كان تطبيق علماء الحديث لهذه القواعد في نطاق ضيق حيث تكون الضرورة قاضية بتطبيقها وذلك عند تعذر التأويل الذي يمكن اتخاذه مخرجا وعدم الوصول فيه إلى مخرج آخر يستساغ معه عدم للتطبيق - وقد كان صنيعهم في هذا خاضعا كذلك لتقديرهم وأحكامهم، ومراعى فيه كذلك الاعتماد على صحة السند وسلامته ، وما لذلك من أثر في اطمئنانهم إلى نسبة الحديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . ومع هذا الاطمئنان يجب التسليم وانتفاء كل شك لشعورهم حينئذ بقصور عقولهم وقلة معرفتهم وعلومهم - لهذا كله كان تطبيقهم لهذه القواعد في حدود ضيقة ، كما قلنا ، وكان مع

ثالثا : أن تطبيق هذه القواعد يقوم على فهم الحديث فهما معينا بجملة من متناولها وهذا مما يختلف فيه الناس أيضا وتتفاوت فيه أنظارهم فقد يفهمه شخص فهما سلبا غير مناقض للعقول ولا للأصول المسلم بها ويفهمه آخر على غير هذا الوضع فيراه غافلا للعقول أو لما تقضى به الأصول .

رابعا : أن الحديث إذا كان سليم السند يرويه الثقة عن الثقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون أسرا راجعا - ورسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كسائر الناس في علمه وحكمته وصلته بربه ومعرفته ، وذلك مما يستوجب ألا تكون مقاييس النقد فيما يصدر عنه بمائة لمقاييس النقد في أحاديث غيره من الناس فرسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى الوحي عن ربه وقد أطلعه الله سبحانه وتعالى على كثير من أسرار الغيب بما لم يطلع عليه سواه وأحاط بما لم يحيط به إنسان من المعارف والأسرار ، وذلك ما يفرض بأن يكون تفكيره فوق تفكير غيره من الناس ، وبأن يعلو حكمه أحكام غيره من الناس فيصدر عنه من الأقوال والأحكام ما قد يعلو على أفهام الناس وما لا تصل إلى معرفة كنهه وحقيقته عقولهم في عصر من

ما وجه إلى حجيتها من شبهات :

أشرنا فيما سبق إلى ما جاء في الكتاب العزيز من الآيات الدالة على أن طاعة الرسول واجبة في كل ما أمر به وفي كل ما نهى عنه وإلى أن دلالة هذه الآيات باجتماعها وأصاليها دلالة قاطعة لا تقوم معها أية شبهة في وجوب هذه الطاعة ، ولا حجية هذه السنة فيما جاءت به من أحكام ، وأن إنكار ذلك إنكار وتكذيب لما جاء به القرآن الكريم وأكده ووثقه ، ولكن بعض الناس ممن خدعهم زيف المستشرقين والمبشرين قامت في أنفسهم بسبب ما تلقوه من هؤلاء من شبهات صدتهم عن الحق وأعتمتهم عن النور ، فمنهم من ذهب إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يتعبه الناس إلا بما شرعه القرآن فهو وحده واجب الطاعة وليست السنة إلا بياناً له ، وتطبيقاً مؤقتاً روي فيه ما كان لزم من صدورهما من عادات وأعراف ومعاملات ، وما كان لأهله من علم ومعرفة وإمكانات وتقاليد ، ولذلك لم يكن للطاعة الواجبة صفة الدوام والاستمرار ، وإنما كانت مؤقتة بمصرها حتى إذا تغير العصر بعاداته وأعرافه تغير التطبيق لما جاء في الكتاب خاصة بالمعاملات ولم يكن ما ورد من السنة في ذلك واجب الطاعة ، وعلى هذا الأساس وجدت جماعة في الهند تسمت بجماعة القرآن أو بأهل القرآن لا تعمل

ذلك على خلاف بينهم تبعاً لاختلاف أنظارهم فاختلعت أحكامهم على بعض الأحاديث فكان ما يراه بعض العلماء صحيحاً يراه آخرون غير صحيح ، وإن من نتيجة ذلك وجود بعض أحاديث كان وجودها في الصحاح مبعث النقد الذي أشرنا إليه .

وبما يجب ملاحظته أن هذا النقد لا يمدو أن يكون طعننا في أحاديث معينة معدودة أثبت الاستقراء أنها ليست في أصول الدين ولا في قواعده وأحكامه الأساسية ، ولا يعد عدم الاعتماد عليها بما يتنافى مع وجوب العمل بالسنة الأحادية لأن وجوب العمل بها كما بينا إنما يكون عند غلبة الظن بصحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عند الشك في نسبتها وما وضعه علماء الحديث من قواعد وصواب لنقد السند والمتمن كغفل عند تطبيقه تطبيقاً سليماً بتعيين صحيح السنة من غيره وتمحيص السنة من جميع الأحاديث الموضوعة بالقدر الممكن ، وعند ذلك يتميز ما ترجح الظن بصحة نسبته بما شك في صحة نسبته ، وإذا ما تبين ذلك وجب العمل للقطع بوجوب العمل عند الظن وعلى ذلك فلا يعد هذا النقد طعننا في السنة ولا في وجوب العمل بها ، عند سلامة السند والمتمن إذ عند ذلك يكون الظن بصحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ظناً راجحاً يوجب العمل بها .

صلى الله عليه وسلم ، ومع اجتماع هذه الشكوك والريب تنتفي الظن بسلامتها كما ينتفي الظن بصحة نسبتها وبذلك تزول حجيتها .

هذه مقالاتهم وهم تستند كما يرى على أو هام وشكوك منها ما يتعلق بروايتها ، ومنها ما يتعلق بحجيتها ، وهي كما نرى دعاوى تنقسم بالإجمال والعموم ، وعدم التفصيل ، والتركيب ، يلقى القول فيها على عواهنه ، دون استناد إلى واقع معين مفصل أو مثل محدودة معينة ، فادعاء التناقض والخلاف والاضطراب والزيادة ، والنقص بهذا الإجمال وعلى هذا الوضع من العموم ادعاء باطل ، فليس يوجد شيء من ذلك إلا في القليل النادر الضئيل العدد ثم هو لا يوجد إلا في الأحاديث الضعيفة المنكرة التي فقدت حجيتها . وإذا وجد في الصحيح منها لم يكن وجوده فيها إلا بالنسبة إلى النظرة الأولى الحاطفة ، أما عند استيعاب النظر وعمق الفهم فلا يرى لذلك من أثر ، وقد ألف في ذلك كتب عديدة مستقلة تكفلت ببيان ذلك فارتفع ببيانها الخلاف والإشكال على أن وجود ذلك في فئة قليلة العدد من الأحاديث قل أن يكون منها حديث صحيح لا يطمئن في السنة جملة ، ولا يضمف من قوتها وحجيتها التي قامت عليها الأدلة القاطعة ؟

على التخصيص

إلا به على النحو الذي يهديها فهمها إياه ، وكذلك وجد في الناس من طعن في حجية السنة ، ومثلهم وجد قديما فانت مزاعمهم بافقضاء زمنهم ، ولكن من يوجد الآن يتمسك في عدم الاحتجاج بالسنة بمزاعم ليس لها أساس ولا حقيقة ولا قيام لها على واقع إلا ما زوروه من خيال فطعنوا في روايتها وطريقة نقلها ، وقالوا : كيف تكون السنة حجة على الناس تلزمهم أن يعملوا بها مع ما نراه فيها من خلاف واضطراب وتناقض في مروياتها ، وما تشاهده فيها من زيادات في بعضها ، ونقص في بعضها الآخر وما هو معلوم بما أضيف إليها وأدخل عليها من موضوعات كثيرة تفوقها حدداً اختلطت بها ولم يتيسر تخليصها من كثير منها ، وهذا مع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهي عن كتابتها ، وبحر ما كتب منها في عهد ، ثم عدم الميل إلى كتابتها بعد وفاته ، وتأخير كتابتها وتدوينها إلى نهاية القرن الأول الهجري ، وميل الكثرة من جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدم روايتها ونسرها ، وذلك كله مع ما كان الرواة معرضين له من السهو والفسيان وسوء الحفظ ، وقلة الضبط ، وسوء الفهم بما يعرض عادة للناس على اختلاف بينهم في ذلك وكل ذلك مما لا تطمئن معه نفس إلى صحة نقلها ووصولها إلينا كما صدرت منه

الحديث: قيمته العلمية والدينية

للأستاذ عبد الله كنون
"عضو المجمع"



الأستاذ عبد الله كنون

من الحساب إذا ذكروا العوامل التي أدت إلى نهضة العالم الإسلامي، تلك النهضة التي آتت أكلها الشهي منذ الجيل الأول الذي تلا ظهور الإسلام، وما زالت تنمو وتعم حتى بلغت في القرن الخامس الهجري إلى ما لم يتلافه في أمة أخرى قبل ذلك، ولكنهم يخطئون في هذا النظر: ولو شاءوا أن يعرفوا الحقيقة من غير أن يسكلفوا أنفسهم عناء البحث في هذا الموضوع، لاقصروا على

لعمل علم الحديث رواية ودراية هو بما تتمثل فيه العبقرية الإسلامية أكثر من غيره من العلوم حتى الفلسفة وعلم الطبيعة والرياضيات. وقد يبدو هذا الرأي غريباً في بادئ النظر، ولكن لا غرابة وهذه العلوم قد قيل إن المسلمين لم يبتكروا فيها شيئاً، وإنما نقلوها فقط مجرداً عن الأمم السالفة بخلاف علم الحديث، فإنه من وضع المسلمين وابتكارهم، ولا يستطع أحد أن يقول غير ذلك ولا أن يشكك فيه.

وليس هذا فقط؛ فإن المدارس لهذا العلم المتعمق فيه قد يطلع منه على آفاق رحبية من الأبحاث المنهجية والدراسات الموضوعية في علم الأخلاق والاجتماع والقانون والسياسة والاقتصاد، فلا يكون عنده أدنى وبب في أن الحضارة الإسلامية مبناه على هذا العلم، وأنها، إن استقادت من معارف يونان وقارس والهند شيئاً، فإنها في عناصرها النفسية إنما ترجع إلى كتاب الله والسنة الهيئة له.

وقد جرى الناس على أن ينظروا لعلم الحديث نظرة دينية بحتة، فهم لذلك يستطون

الطبيعية والطبيعية بما لم ينتهضه العلم حتى الآن ويصحح لم أغلاط الأخباريين من أهل الكتاب ، وأغلاط عرفانهم في تفسير الظواهر الجوية ونحوها حتى لقد دعا ذلك اليهود أن يسألوه عن حقيقة الروح ، ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

أن مجرد استعراض سريع على هذا النمط ، لسيرته عليه السلام كاف ليعرف من لم يكن يعرف أن علم الحديث هو جامع المعارف الإسلامية سواء الدينية منها والدنيوية ، وإذا كان هذا في هده صلى الله عليه وسلم فإظنك بهذا العلم ١٩ وقد تناولته القرائح الخصبية والأفكار الفاضحة ، وكتب العلماء فيه من الأبحاث القيمة والدراسات الرائعة ما لا يعرف قدره الا من وقف عليه .

وإذا كان الحديث عن ذلك يطول ، فلنكتف بالكلام على أصل هذا العلم والطريقة التي دون بها والجهود التي بذلها العلماء لتمييز صحيحة من سقيمة ، وهذا ما يراد بعلم الحديث رواية ودراسة ، وهو وحده دليل ناهض على عبقرية الفكر الإسلامي الذي يغفل الباحثون عن تتبع آثاره في هذه الميادين .

أما أصل علم الحديث فهو أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكنونه وقيامه وجوده واجتهاده

التفكير في أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، لبث في قومه بعد الرسالة ثلاثا وعشرين سنة يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقومه هم العرب الذين يعرف الناس أنهم ليسوا بشعب غبي ولا بدائي ، وهم في الوقت نفسه ، كانوا مكشوفين بشعوب حية وبقوم من يهود وانصارى لا يفتأون يعارضون دعوته ويوردون عليها مختلف الإيرادات ، فهو لم يقصر دعوته على على مسائل الدين فقط ، ولم يكن يعلم المسلمين أمور العبادات فحسب ، بل كان يعلمهم آداب السلوك ، وأحكام المعاملة : من البيع والشراء والصرف والحوالة والسلف والرهن وما إلى ذلك ، وبلغتهم أساليب الحرب وطرق الحكم ، وبرشدهم إلى السياسات المختلفة في علاقاتهم مع الدول الموالية والمعادية . ويتولى قسم الأموال بينهم ، وتوزيع الأراضي المغلة عليهم ويعقد المجالس الاستشارية كلما حز به أمرا ليقبح لم الاستبداد ، ويقفهم على أسباب حياة الأمم وهلاكها ليعرفوا كيف يحافظون على كياناتهم إذا صار الأمر إليهم من بعده ، وهكذا لم يدع شاذة ولا فاذة مما به قوام الحياة ونظام الدنيا إلا علمهم إياه . ألم يقل السكفار لسلطان رضى الله عنه : (لقد علمكم فنيكم كل شيء) ؛ بل إنه في تنزيلاته معهم كان يحاطبهم بدقائق المعارف ويجيب على أسئلتهم

ولعله الكتاب الوحيد الذي وصلنا بالرواية الصحيحة من تأليف هذا العصر ولذلك تتخذة نموذجاً للطريقة التي دون بها علم الحديث في أول الأمر .

والموطأ ، وإن لم يكن في الواقع كتاب حديث مجرد لأنه يحتوي على كثير من الفقه والاستنباط وأقوال السلف ومذاهب الصحابة ، إلا أنه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذي بذله الإمام مالك في تحرى الأحاديث الصحيحة ، وعدم الرواية إلا عن الأعلام الأثبات الثقات فقد قيل : إنه لما ألفه أولاً كان يشتمل على نحو عشرة آلاف حديث ، ولم يزل ينتقى منه ويختار حتى لم يبق منه إلا نحو ألف حديث وهذه النسبة ، وهي واحد من عشرة أو قل عشرة من مائة ، هي التي عمل عليها تقريباً جل المؤلفين في الحديث بعد ذلك لا سيما أنه الصحيح ؛ بل لأنها لتنزل عند بعضهم إلى أقل من ذلك بكثير مع العلم بأنها نسبة إلى ما ثبت عندهم من الأحاديث ووقع لهم فيه اشقياء ما لا أنها نسبة إلى محفوظهم ؛ فإن هذا كثير يكاد لا يعلم به أهل هذا العصر الذين ضعفت أو انعدمت فيهم بالمرّة ملسكة الحفظ ، فاهيك بما قيل عن الإمام أحمد بن حنبل من أنه كان يحفظ مليون حديث .

ورب الإمام مالك كتابه الموطأ على الأبواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث

وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجدده وخطبه وأكله وشربه ومشيه وسكوته وملاحظته أهله وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين وعهوده وموائيقه وأحاطه وأنفاسه وصفاته ، بما رواه عنه من الصحابة أوبعة آلاف رجس وامرأة ، كما يقول الحاكم النيسابوري في كتابه المدخل إلى علم الحديث ، محبوبه نيفاً وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة وما سألوه من العبادات ، والحلال والحرام وتحاكوا إليه فيه ، وقد تأدى ذلك من الصحابة إلى التابعين فمن بعدهم إلى عصر التدوين .

وكان عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين الحديث خوف ضياعه ، وأكد هذا الأمر أبو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري ، وكان سابق الحلبة ، إلا أن عمله إنما كان تدويناً مجرداً من غير تبويب ولا ترتيب ، وأما الجمع مرتباً على الأبواب فوقع في نصف القرن الثاني ، وكان ممن قام بذلك ابن جريج بمكة ، ومالك ، وابن إسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ، ومعمّر باليمن ، وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح ، وسعيد بن أبي عروبة ، وحاد بن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثوري بالكوفة ، والأوزاعي بالشام ، وجري بن عبد الحميد بالري .

وكان الذي ألف موطأ هو كتابه الموطأ

وهو جمع أحاديث كل راو على حدة ، وإن اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالسند وهو النهج الذي اتبعه الإمام أحمد بن حنبل في كتابه العظيم المسمى بمسند أحمد ، ومنها ما ألف على الأبواب والمسائل ، وهي طريقة مألوفة في الموطأ ، ومنه ما يكون عاما شاملا لأحاديث العبادات والعبادات والأحكام والحكم والتواريخ والرقائق وغير ذلك وهو المسمى بالجامع ، ومنه الجامع الصحيح للإمام البخاري وغيره . ومنه ما يقتصر على السنن والأحكام كسنن أبي داود ، ومنه ما يخص موضوعا بعينه أو مسألة واحدة فقط كشرح الإيمان للبيهقي والقراءة في الصلاة للبخاري إلى غير ذلك .

واستمر هذا النشاط وخلص إلى القرون التالية فاتخذ أشكالا وأنواعا من العناية بالحديث سواء من حيث الرواية والجمع أو من حيث الشرح والفهم والتفريع والاستنباط وفي هذا الأمر يقال : حدث عن البحر ولا حرج .

وعلى كل حال فقد صحب عملية الجمع والتدوين عملية الانتقاء والاختيار ، والجهود التي بذلها العلماء في هذا الصدد لا يوجد لها نظير عند غير المسلمين ، ومن ثم قيل : إن الإسناد من خصائص هذه الأمة ، أي تتبع رواة الحديث واحدا فواحدا والبحث عن حاله من الحفظ والضبط والعدالة إلى النبي

شاهد في أول الباب أو في أثناءه ، ثم يخلل الباب بالآثار والأقوال الثابتة عن الصحابة وأئمة السلف في الموضوع ، ويأتي بباب اسمه (الجامع) يروى فيه متفرقات من الباب لا تصلح أن تفرد بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع سماه الجامع وضمنه أحاديث في السنن والأخلاق وآداب السلوك ونحو ذلك ، قيل : وهو أول من ابتكر هذا الصنيع في التأليف أي جمع المسائل المتفرقة في باب اسمه الجامع ، وعلى ما ترى فإن طريقة الإمام مالك في تأليفه للموطأ برغم قدم الزمن هي من أحسن الطرق التي ألفت عليها كتب السنة فيما بعد ، واتبعها معظم المحدثين إلى المائة الثالثة .

وفي المائة الثالثة نشطت حركة جمع الحديث نشاطا كبيرا وتنازلت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتحليله من الزيف والعلل فألف البخاري جامع الذي هو أول كتاب ألف في الصحيح ، وكذا مسلم صاحب ثان الصحيحين ، وألف بقية أصحاب المكتتب الستة كتبهم ، وهي التي تلقاها المسلمون بالقبول ويقول السيبوطي : إن الحديث إذا أخرجه أحد هؤلاء المؤلفين الستة فليروه الإنسان مطمئنا إليه .

وكان التأليف في هذا العصر على أوضاع مختلفة منها ما بقي محافظا على وضعه الأول الذي كان أكثر العمل عليه عند بدء التأليف

فقد جاء في مقدمة الصحيح لمسلم بن الحجاج :
 « وقال محمد (يعني ابن عبد الله بن قهزاد)
 سمعت أبا إسحق بن إبراهيم بن عيسى الطالقاني
 قال : قلت لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن
 الحديث الذي جاء : إن من البر بعد البر أن
 تصلي لأبوك مع صلاتك وتصوم لهما مع
 صومك » فقال عبد الله يا أبا إسحق عن هذا ؟
 قال : قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش
 فقال : ثقة ، عن ؟ قال : قلت : عن الحجاج
 ابن دينار قال : ثقة ، عن ؟ قلت : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : قال : يا أبا إسحق
 إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله
 عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أحناف المطى ،
 ولكن ليس في الصدقة اختلاف ، .

ويحسن بنا أن نورد نبذة في هذا الشأن
 من مقدمة الإمام مسلم صاحب ثاني كتاب
 في الصحيح ، وهي على اقتضاها تقفنا على هدف
 مسلك القوم في هذه السبل الوعرة ، قال
 رحمه الله :

ثم إننا مجتدون في تخريج ما سألت
 وتأليفه على شريطة سوف أذكرها لك ،
 وهو أنا نعمل إلى جملة ما أسند في الأخبار

صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حزم : نقل الثقة
 حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع
 الاتصال شيء خصص به المسلمون دون
 جميع الملل ، إما مع الإرسال أو الإهصال «
 فيوجد في اليهود لكن لا يقربون به من
 موسى عليه السلام قربنا من نينا بل يقفون
 حيث يكون بينهم وبينه أكثر من ثلاثين
 نفسا ، وأما النصارى فليس هتدم من صفة
 هذا النقل إلا تحريم الطلاق .

ولا تغفل عما في هذه الخصيصة من ميزة
 للدين الإسلامي لا يشاركه فيها غيره من
 الأديان ، وهي ثبوته بالنص القاطع والرواية
 الصحيحة ، فلا جرم أن يقول عبد الله بن المبارك :
 « الإستاذ من الدين ، ولولا الإسناد لقال
 من شاء ما شاء ، وقوله هذا دليل على أن
 القوم كانوا في تمييز الحديث الصحيح من
 السقيم يستبرئون لدينهم كما كانوا يتحرون
 المنهج العلمي الصحيح

ويروى عن عبد الله بن المبارك أيضا أنه كان
 يقول : « بيننا وبين القوم القوائم أي الإسناد ،
 وهذا يبين طريقهم العملية في نقد الرجال ،
 فإنهم جعلوا قوائم بأسماء الرواة ورتبوا
 بحسب القوة والضعف ترتيبا يكون هو الحكم
 في قبول الحديث أو رده . فإذا لم يعرف
 حال الراوي ترك الحديث ، وكذا إن سقط
 من سنده أحد الرواة وإن كان في السند ثقات

(١) أي عدم الاتصال وسقوط عدد من الرواة
 في السند ، والمرسل في الاصطلاح : الحديث الذي
 يرويه التابعين مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 من غير فكر الصحابي ، والمعضل : الذي سقط من
 سنده اثنين فصاعدا من الرواة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقسمها على ثلاثة أقسام ، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار . . .

فأما القسم الأول : فلما نتوخى أن نقدم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها وأنقى من أن يكون ناقلاً أهل استقامة في الحديث وإتقان لما نقلوا ، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ولا تحليط فاحش ، كما قد عثر فيه على كثير من المحدثين وبأن ذلك في حديثهم ، فإذا نحن تفصيلنا أخبار هذا الصنف من الناس اتبعناها أخباراً يقع في أسانيدنا بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المتقدم قبلهم ، على أنهم ، وإن كانوا فيما وصفنا دونهم ، فإن اسم الستر والصدق وقعا على العلم شملهم كعطاء بن السائب ، ويزيد بن أبي زياد ، وليث بن أبي سليم وأضرابهم من حال الآثار ونقل الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين ، فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الإتقان والاستقامة في الرواية يفضلونهم في الحال والمرتبة لأن هذا عند أهل العلم درجة رفيعة وخصه سنية .

ألا ترى أنك إذا وازقت هؤلاء الثلاثة الذين سميهم عطاء ويزيد وليثاً بمنصور بن المعتمر وسليمان الأحمش وإسماعيل بن أبي خالد في إتقان الحديث والاستقامة فيه ،

وجدتهم مباينين لهم لا يداونهم - لا شك - عند أهل العلم بالحديث في ذلك للذي استفاض هندهم من صحة حفظ منصور والأعمش وإسماعيل وإتقانهم لحديثهم وأنهم لم يعرفوا مثل ذلك من عطاء ويزيد وليث . وفي مثل مجرى هؤلاء إذا وازنت بين الأقران كابن عون وأيوب السختياني مع عوف بن أبي جميلة وأشعث الحمراني وهما صاحباً الحسن وابن سهرين كما أن ابن عون وأيوب صاحباهما إلا أن البون بينهما وبين هذين بعيد في كمال الفضل وصحة النقل ، وإن كان عوف وأشعث غير مدعويين عن صدق وأمانة عند أهل العلم ولكن الحال ما وصفنا من المنزلة عند أهل العلم ، وإنما مثلنا هؤلاء في التقسية ليكون تمثيلهم سنة يصدر عن فهمها من غيب عليه طريق أهل العلم في ترتيب أهل فيه فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته ولا يرفع متضع القدر في العلم فوق مرتبته ، وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل الناس منازلهم ، مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالى : « وفوق كل ذي علم عليم » .

فعلى ما ذكرنا من الوجوه نواف ما سألت من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما ما كان منها عن قوم ، هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا

الحديث بما لا يعرفه أحد من أصحابهما وليس
من قد شاركهم في التصحيح مما عندهم ،
فغير جائز قبول هذا الضرب من الناس
واقفه أعلم .

فهذا منبرج على مضبوط لا يقل في دقته
وتحقيقه من مناهج علماء النقد المحدثين إن لم
يفقها ، وليس هو مما استوحى من مصدر
أجنبي ، ولا مما استورد من بلاد الخارج
وإنما هو حصيلة الفكر العربي السليم
ونتيجة الاجتهاد الإسلامي الخالص . ولم
يملك المسقشوق جوينبول GUYNBALL
كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف
الإسلامية نفسه من أن يظهر الإعجاب بالجهد
الذي بذله المسلوبون في النجوى لصحة أحاديث
نبيهم ، على ما له من أغلاط كثيرة في هذه
المادة ، إذ يقول : لا يعد الحديث صحيحاً
في نظر المسلمين إلا إذا تتابعت سلسلة الإسناد
من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد
يوثق بروايتهم . وتحقيق الإسناد جعل علماء
المسلمين يقتلون الأمر بحثاً ، ولم يكتفوا
بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم لمعرفة الوقت
الذي عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان
وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية
بالأخر ، بل خصوا أيضاً عن قيمة المحدث
صدقا وكذباً وهن مقدار تحريه للدقة والأمانة
في نقل المتن ليحكموا أي الرواة كان ثقة

تفاسل بتخريج حديثهم كمبداه بن منصور
وأبي جعفر المدائني وعمر بن خالد وهب
القندوس الشامي ومحمد بن سعيد المصلوب
وغياث بن إبراهيم وسليمان بن عمرو وأبي
داود النخعي وأشباههم ممن اتهم بوضع
الأحاديث وتوليد الأخبار ، وكذلك من
الغالب على حديث المنكر أراغلط أممكتا
أيضا عن حديثهم .

وعلمة المنكر في حديث المحدث إذا
ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره
من أهل الحفظ والرضا ، خالفت روايته
وروايتهم ولم تسكد توافقها ، فإذا كان الأغلب
من حديثه كذلك ، كان مجهول الحديث غير
مقبوله ولا مستعملة .

والذي نعرف من مذهبهم في قبول ما ينفرده
به المحدث من الحديث أن يكون قد شارك
الثقات من أهل العلم والحفظ في بعض ما رواه
وأعني في ذلك على الموافقة لهم ، فإذا وجد
كذلك ثم زاد بعد ذلك شيئاً ليس عند أصحابه
قبلت زيادته .

فأما من تراه يعمد لمثل الزهري في جلالته
وكثرة أصحابه الحفاظ المتهنئين لحديثه وحديث
غيره . أو لمثل هشام بن عروة وحديثهما
هذه أهل العلم مبسوط مشترك قد نقل أصحابهما
هنهما حديثهما على الاتفاق منهم في أكثره .
فيروى هنما أو عن أحدهما العدد من

لمعرفة المنكر من الحديث هي بعينها المقاييس التي طبقها ابن خلدون لتمييز الزائف من الصحيح من أخبار المؤرخين ، وهكذا نرى أن علم الحديث يبسط جناحه على الثقافة الإسلامية ، لا بمقتنه وروايته فقط بل وباصطلاحه ، وما يسمى عند علماء علم الحديث دواية أيضا .

ومن المعلوم أن هذا لم يكن هو القصد الأول من الحديث وتدوينه ونقده ؛ فإنه إنما جاء عرضا وكان فتحا من فتوحات هذا العلم المبارك الذي استوعب ضروب النشاط الفكري عند المسلمين ، وحفزهم من أول يوم إلى اقتحام سبل المعرفة وطلب العلم ولو بالصين . فوجدت تلك النهضة العلمية الكبرى التي عمت البلاد الإسلامية من مشرقها إلى مغربها والتي لم تنفصل في أساسها قط عن مدارك القرآن الكريم والحديث الشريف وهو ما يفسر لنا حرص أعلام الفكر الإسلامي على الأخذ بمحظهم من هذا العلم وتمسكهم بهر التاريخ بالمشاركة فيه حتى ولو كانوا من الفلاسفة والأطباء والفلكيين أمثال ابن سينا وابن رشد ونصير الدين الطوسي وعبد الطيف البغدادي وغيرهم ، بل لقد قيل بتلازم علم الحديث وعلم النبات لأنهما معا بما يدرك بالرحمة ، ولا يبلغ أحده فيهما شأوا إلا بالتثقل في البلاد .

في روايته ، ، ونوه الأستاذ آدم مزي في كتابه : (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) بالدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : « وقد اعتنى نقاد الحديث منذ أول الأمر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء ، ثم نظروا في الأساس الذي يبنى عليه هذا الحكم أعنى الصفات التي يجب توفرها في المحدث الثقة وهو ما يعرف بالجرح والتعديل ... وقد أدت بهم حاجتهم إلى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث في حياة الرواة والحكم عليهم إلى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجري مثل تاريخ البخاري وطبقات ابن سعد ... الخ .

وقد أثر هذا المهج بدقته وضبطه على العقلية العربية فظهر مفعوله في علوم أخرى كاللغة والأدب والتاريخ ، وابن قتيبة الذي يعد من أوائل نقاد الأدب والشعر خاصة بما كتبه في مقدمة كتابه الشعر والشعراء لم يكن إلا متأثرا بما عرفه الحديثية والإخبارية ومنهج النقد عند المحدثين الذين هو منهم وإليهم ، بل إنى لا أشك في استفادة ابن خلدون من منهج أهل الحديث ، واستمداده من طرق تقدم فيها وضعه من قواعد لعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، إن الأمثلة التي أعطاها مسلم بن الحجاج

يزدهر ذلك إلا توسعا وتفرعا لأصوله وتأسيسا لقواعده ، فإنهم لم يقولوا في يوم من الأيام بالفصل بين العلم والدين ولا رجحوا كفة المادة على الروح لأن الدين هو الإسلام ، والإسلام والعلم لا يختلفان ، ولأن المادة كانت دائما وسيلة لهم إلى السمو بالروح ، والوسائل عنده تعطي حكم المقاصد ، فلذلك كانوا في المزاوجة بين المعارف الإلهية والعلوم الكونية كالطائر بين جناحين لا يميل مع أحدهما إلا كان مهدداً بالوقوع .

وهكذا كان همهم في تدوين الحديث مبادرة علمية بالمعنى العام الذي يشمل علوم الحياة بأجمعها بما وصل إليه اجتهادهم ووعته وقولهم ولا يختص ديننا ولا علما كآقلنا ، حتى بدأ عهد الترجمة ونشأت تلك النهضة العلمية الكبرى التي كان علم الحديث من روادها الداعين إليها والمضحين عليها فتميزت العلوم حينئذ ، وسار كل في طريقه من غير تقاطع ولا تدابر ، ولا تبجح جهة بأن مامعها هو العلم دون سواه ، بل إن الاعتراف المتبادل وروح التعاون بين الفكر الفلسفي والديني ، كانا هما التقليد المتبع الذي أدى إلى وجود فلسفة إسلامية متميزة عن الفلسفة العامة ، هي الرشدية التي أثبتت لأول مرة في تاريخ الفكر الإنساني عدم تعارض العلم والدين على ما نجده عند صاحبها أبي الوليد بن رشد

نعم لم يكن هذا هو القصد الأول من حركة تدوين الحديث ، وإنما كان هذا القصد هو جمع الحديث خوف ضياعه ، فقد جاء فيما كتب به عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم في الموضوع أنه قال له : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبه فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ،

والواقع أنها كانت حركة إنقاذ العلم الإسلامي الذي لم يكن عند القوم غيره ، وكانوا إنما يعتمدون فيه على الحفظ والاستظهار ، فلما أسرع الموت إلى رجاله ونقلته ، خاف الخليفة العادل من جسراء ذلك على هذا العلم ما خافه الخليفة الأول على القرآن من الضياع لما استعمر القتل في الصحابة وأمر بجمع المصحف ، فكذلك أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة الحديث ، وهو - بعد القرآن - منتهى علم المسلمين إذ ذاك ، لجدوا في الأمر واجتهدوا وقاموا بما لم تقم به أمة في العمل على حفظ كلام نبيها وأخباره وأحواله ، ودونوا ذلك واقتبسوا منه الحكم والأحكام والمعارف والأمراء ، ولم ينظروا إليه قط تلك النظرة الضيقة التي تحصره في حيز الفكر الديني ؛ بل اعتبروه تراثا علميا طائلا درسه وتعمقوا فيه مدة قرن من الزمن ؛ حتى إذا اتسعت أمامهم آفاق المعرفة ونقلت إليهم علوم الأوائل من فلسفة وطبيعة ورياضيات لم

ألمعنا إلى ذلك فيما سبق ، ككتاب القراءة في الصلاة للبخارى ، وكتاب شعب الإيمان للبيهقي ، وكتاب السنن لابن داود وإن كان هذا جامعا بين أحكام العبادات والمعاملات .

ولم يكن ليسع المسلمين غير ذلك ، وهم يقرؤون في الكتاب العزيز ، وأوتينا إليك الذكرتين للناس ما نزل إليهم ، ويسمعونه صلى الله عليه وسلم يقول : « لا أتى أوتيت القرآن ومثله معه ، فالقرآن وإن كان كتاب عقيدة وشرعية معا ، وذلك بما امتاز به على الكتب السبوية الأخرى ، إلا أن كثيرا من الأحكام لم تفصل فيه تفصيلا ، حيث إن مهمته الأولى كانت ولا تزال هي أن يحجب الإيمان إلى الناس ويزينه في قلوبهم ، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وما زاد على ذلك فإنما هو مما يثبت به الدين آمنوا ويشق لهم الطريق إلى المعرفة بالله وعبادته على نحو ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل كما ترشد إليه الآية الكريمة : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، لهذا شر الصحابة منذ فجر الإسلام ومن أتى بعدهم من المؤمنين بالحاجة إلى العنة التي تبين لهم ما أجمل في القرآن ، وما لم يذكر فيه تفصيلا من أحكام العبادات والمعاملات ، أنظر إلى الإيمان جاء في القرآن ، الأمر به والإوامر كل واحد أن يعلما منه قلبه ثم

في كتابه . فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال وغيره من كتبه للفلسفية والرشدية هي التي تولدت عنها الميمونية نسبة إلى موسى بن ميمون الحكيم الإسرائيلي الذي اهتم بها الاحتجاج لليهودية ثم تأدت من بعد إلى توماس الأكوينى ، وهو من أكبر فلاسفة القرون الوسطى ورجال الدين في الغرب فوجد فيها أعظم سند لهم الإيمان المسيحي من طريق العلم ، ولا يفهم من هذا أن الحياة الدينية المحضة وما يتعلق بها من الحديث لم تحظ بعناية خاصة من سلف الأمة في حركة التدوين ، ولم تكن حافزا لهم على ما قاموا به في هذا الشأن من عمل جبار ، كلا فإننا إنما عنيينا بإبراز الناحية العلمية وما كان لها من السيطرة على المسلمين في تلك الحركة ، لأنها كثيرا ما تخفى على الباحثين أولا يعيرونها الاهتمام اللازم ، وإلا فإن الحديث المتعلق بالواجبات والسنن والشعائر الدينية على العموم كان من أول ما اعتنى المسلمون بحفظه وروايته سواء في ذلك الصحابة والتابعون فمن بعدهم ، بل إن من الصحابة من تعاطى كتابته كعبد الله بن عمرو بن العاص ، وذلك بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم فسبق عهد التدوين بزهاء قرن كامل . وفي هذا العهد أيضا كان الباعث الديني من أعظم ما حمل أئمة الحديث وحفاظه على جمعه وكتابته ، ألا ترى أن منهم من خص بعض كتبه بالمسائل والقضايا الدينية ، وقد

أبو هريرة ووائل بن حجر ومالك بن الحويرث وأبو حميد الساعدي وغيرهم كيفية صلاته عليه الصلاة والسلام وعلينا منها ما هو واجب وما ليس بواجب .

وهكذا الزكاة أشار القرآن إلى وجوبها بقوله : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، ولكن من أين علم القدر الواجب ؟ علم من السنة .

قال عليه الصلاة والسلام فيما سقت الميرون أو كان عشريا العشر ، وما حق بالنضح نصف العشر وقال : « وفي الركاز الخمس » ، وبينت السنة قدر الانصاب قال عليه الصلاة والسلام : « ليس فيما دون خمسة أسوق من النمر صدقة » ، وليس فيما دون خمس أراق من الورد صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود في الإبل صدقة .

وهكذا الصوم أوجب الله علينا في القرآن صوم شهر رمضان ، وبينت السنة أن المسراد الشهر القمري الذي يكون ثلاثين ويسكون تسعا وعشرين ، وأمرنا أن نصوم لرؤية الهلال ونفطر لرؤيته ، وأن من أفطر عامدا لغير عذر تجب عليه الكفارة إلى غير ذلك .

وهكذا الحج أوجب الله في القرآن على من استطاع ، وبين أركانه فأشار إلى الإحرام بقوله تعالى : « ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى حله » ، إلى آخر الآية ، وإلى وقوف عرفة ، فإذا أفضم من عرفات ، وبين

بيئته السنة بقوله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخره وبالقدر خيره وشره » ، كذلك الإسلام والإحسان وانظر إلى الصلاة عماد الدين ، أوجها القرآن من غير بيان ، وبينت السنة حدد الصلوات والركعات وكيفيةها وشروطها وإصلاح ما يقع فيه الخلل منها ، ووضحت أوقاتها وكيف العمل في فوائدها ، وما ذكر في القرآن إلا ما هو إجمال من ذلك كقوله تعالى :

« إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » الآية . ففي القرآن بيان شرط وهو الطهارة المسائية ثم الترايبية .

وأشار على شرط ستر العورة بقوله : « خذوا زينةكم عند كل مسجد » ، وإلى شرط استقبال القبلة بقوله « ولوجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، ولكن هناك تفاصيل يفتتها السنة . ثم أشار القرآن إلى أوقاتها بقوله « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون » ، ولكن السنة بينت الأوقات بالبيان الشافي بهدث بريدة وحديث ابن عمر وفي الصحيح وغيرهما .

وأشار القرآن إلى كيفيةها بقوله : « اركعوا وسجدوا » وقوله « وقوموا لله قانتين » ، ولكن السنة هي التي استوفت فقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، وروى لنا

للقند العلى التحليلى كان صار الإعجاب حق من الأجانب عن الإسلام ، واتخذ علماء آخرون من غير المحدثين كالمؤرخين والأدباء ميزانا لنقد الأخبار وحياة المجتمع فما بعد هذه الدقة فى وزن الحديث وتمييزه غاية تدرك والذى لا يرضية ذلك فى هذا الأمر لا يرضيه شئ .

وأما حجية الحديث فلسنا بقائلين فيها شيئا مما كان يقوله بعض المنتظمين من أنها ظنية اثبتت وخبر آحاد ، فإن المنكرين اليوم ليسوا من ذلك بسبيل وإنما هم من تحكم فيهم الأهواء وقالوا بالتقليد من غير علم ولا مدى ، ففسألهم عما ذكرنا من الأحكام التى لم تستفد إلا من السنة وهى مما لا نزاع فيه بين المسلمين كعدد ركعات الصلاة والصلوات الواجبة والمندوبة والمنصاب فى الزكاة والقدر المخرج منه وما إلى ذلك أهى من الدين أم لا ؟ فإذا قالوا : هى من الدين قطعاً فقد أثبتوا حجية الحديث فيها لأنها لم تشرع إلا من طريقه ويلزمهم أن يقولوا بحجته فى غيرها ، وأن قالوا : إنما ليست من الدين فلا شك أنهم يتكلمون عن دين آخر غير دين الإسلام ، وليس الحديث حجة إلا عند المسلمين الذين يصلون ويصومون هلى ما ثبت عندهم من قول الرسول وفعله ذلك ، وهو السبيل المروى بطريق التواتر أو خبر الآحاد صحيحاً أو حسناً .

السعى والطواف بقوله : وإن الصفا والمروة من شعائر الله ، وبقوله : وطهر بيتى للطائفين والقائمين ، وبينت السنة كيفية الإحرام وبمناوعاته وحدود هرقة ووقت الوقوف فيه وكيفية السعى والطواف وعدد الأشواط إلى غير ذلك ، وقد أجمله عليه الصلاة والسلام بقوله : وخذرا عنى مناصحكم وبينت الأحاديث

النبوية التى رواها الصحابة الذين عاينوا حجه تفاصيل ذلك كابن عباس وابن عمر وغيرهما . فهذه بعض الأحكام بما يتعلق بالقواعد الخمس فقط ، إنما استفدت من السنة وإن ذكرت أصولها فى القرآن ، ولكن ذلك يغنى عن التفاصيل التى أشرنا إليها ومثلها ما يتعلق بأبواب المعاملات وهو كثير جدا . فلا جرم أن السنة قولية كانت أو فعلية عليها مناط التشريع بعد القرآن ، وهى إما مبينة له كما رأينا وذلك هو الغالب ، وإما مستقلة بالتشريع كما فى زكاة الفطر وصلاة الوتر من أحكام العبادات وكما فى الحكم بالعقود واليمين وميراث الجد من أحكام المعاملات وقد قال الله عز وجل فيها هو من هذا القبيل : وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا . وبهذا نعرف قيمة الحديث بالنسبة إلى الدين كما عرفناها بالنسبة إلى العلم فالعجب من يشير الشبهات حول حجيته أو وجاله وسنده وقد رأينا فيما يرجع إلى السند كيف أن عمل المحدثين فى التحرى له والتثبت منه وإخضاعه

لم نزل لدرجة الوضع وإنما دخل سندها أو متنها علة قد لا تصحح في صحتها ، ولكن معرفة ذلك مما يخفى الاعلى جهابذة العقاد . وقد ألف العلماء في هذه العلة أيضاً تأليف مفيدة جداً ، وبما هو مطبوع منها : كتاب علل الحديث لابن أبي حاتم أورد فيه زهاء ثلاثة آلاف حديث معلول مبيهاً وجهه هاتمه بما لا مزيد عليه في الإيقان .

وهناك نوع من الحديث الذي يبدو لأول وهلة كأنه متناقض مع ما هو معروف من النصوص القرآنية أو الحديثية الأخرى ، فيسارع المرء إلى إنكاره وهو المسمى بمختلف الحديث وهذا النوع قد يقع منه في منزلة شائعة ولذلك لا ينبغي الاستعجال بالحكم عليه إلا بعد الدراسة المستأنية والإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه . ومن أحسن الكتب الموضوعية فيه وأجمعها كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة وهو مطبوع يحسن الرجوع إليه للتفقه في الحديث وحصول الطمأنينة له .

وبعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وأفضل الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

• وما شرب الإيمان إلا فؤاد من
بأخبار خير الخلق قدماً للأذن ،

عبد الله كنوه

واعلمنا وقد بينا قيمة الحديث العلمية والدينية ورفعنا من شأن رجاله بما هو معقول ومقبول وليس من قبيل المناقب ولا السكرامات يصح لنا أن ننبه على الأحاديث الموضوعية والضعيفة جداً ونحذر منها ، فإن أكثرها مما يخفى على سمعة الإسلام ويضيف حقيقته ، وهي في الواقع التي تجعل بعض من لا علم له من ضعفاء الإيمان يتشككون في الأحاديث كلها ويردونها ولا يقبلون الاحتجاج بها ، وهو خطأ واضح لأن وجود الزيف في بعض النقود كلها ، لا يبطل النقود كلها وقد وقع الانتحال في النصوص الأدبية من شعر ونثر ولم يجعل ذلك أحداً يرفض الأدب كله ويقول : إنه منتحل لا يصح نسبه إلى أهله .

وقد ألف العلماء في الحديث الموضوع كتباً قيمة تبيته بأعيانه فضلاً عما وضعوه من القواعد لمعرفة الوضع في الحديث ، ومن تلك الكتب موضوعات ابن الجوزي والآلاء المصنوعة للسيوطي والدرر المنتثرة له وتميز الطيب من الخبيث لابن الربيع وموضوعات على القاري المعروف بابن سلطان والنهاية على اللباز للسيد السهمودي وما ذكره المجد الفيروز بادى في آخر كتابه سفر السعادة ونظمه الشمس المقدسي في أرجوزة طويلة مفيدة ، والفوائد المجموعة للشوكاني ، وأسنى المطالب لمحمد الحوت وهذه الكتب كلها مطبوعة بمتناول الجميع . هل أنتم أحاديث

رُوحُ الإسلام أقوى دُعاةً لإصلاح المجتمع الحديث

للأستاذ عبد الحميد حسن
"عضو المجتمع"



الأستاذ عبد الحميد حسن

منها، وأصبح بعضها بمنزل عن الحياة العزيزة الحافلة بالخير والنماء، على أن أملها في طلوع الفجر الصادق لم ينقطع، وذلك بما لا يزال تفيض به قلوبها وتمتلئ صدورهم من نور الإيمان بالله والثقة به ومن التمسك بشعائر الإسلام.

• • •

نرى كل هذا في محيطنا ومن حولنا، ونشعر بالحاجة الملحة إلى الحلول الحاسمة التي تتقذ الإنسانية وتجنبها سوء المصير. فلنتجه إلى الله نرجو منه العون، وإلى دينه الخفيف نستمد منه الهداية والتوفيق إلى أقوم سبيل.

يتطلع الإنسان الواعي المثقف إلى حياة أفضل، وتطمح الشعوب النامية إلى التمتع بحياة مزدهرة ترد لها اعتبارها ويعوضها عما قاست من تخلف تحت وطأة الاستعمار وفي غمرات الضعف والقصور، وتجه الدول الناهضة إلى استكمال نهوضها حتى تسير في ركب الحضارة، والدول التي يعتبرها الوضع الحديث دولاً راقية قد أخذت بقسط من المدنية، لا تزال حائرة فيما تسير فيه من نهج وما تستقل عليه من نظام يكفل لها حياة هادئة راضية، فهي تقلب وجوه التفكير طامعة أو واهمة أن تهتدي إلى خير نظام وأقوم سبيل.

ويستخدم الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية بأنواعها، والشعوب جميعاً ترقب أن يزول الظلام وينشق فجر السلام، والعالم من خلال كل ذلك يلتمس الهداية لحل هذه المشكلات التي تنفص على الناس حياتهم وتمدد كياناتهم. والشعوب العربية تنظر إلى ما كانت فيه من عز ومجد ومنعة وإلى ما صارت إليه من حال لا تحسد عليها، والشعوب الإسلامية التي كانت لها دولة وصولة ولسان عربي مبين يربط بينها برباط وثيق ومشاعر جياشة تترنم بها هواطفا. قد لوى الاستعمار أسننها أو أسنة السكثير

رسائله التي حملها الله إياها على خير الوجوه .
فلنوضح هذين العنصرين لنرى أثرهما
في وفي الفرد وإصلاح المجتمع ثم تتبع ذلك
بالإشارة إلى رسالة الإنسان في الحياة وكيف
يؤديها في صدق وإخلاص وإيمان بالله وبهذه .
أولا — العنصر الروحي .

وهو أم العنصرين ، فهو الطريق إلى الله
بأنه ، وهو الذي يوجه الإنسان إلى طاعة
ربه وامتنال أوامره ، وهو الذي يرشد إلى
الخير وإلى سنى الأعمال وأشرقها ، ويهبر
الإنسان بما يقبى الشر والاضلال ، فإذا رعاه
المربون بالعناية وتعهده الإنسان بالتركية
والتطهير كان خير مرشد إلى الصراط السوى
صراط الله العزيز الحميد .

وهذا العنصر الروحي أو النفسى له مظاهر
ثلاثة يهدف كل منها إلى غاية نبيلة في الحياة وهى :
الفكر : وغايته معرفة الحق .
والإرادة : وغايتها الوصول إلى الخير .
والوجدان : وغايته للعواطف النبيلة
وجمال النفس .

والحق والخير والعواطف النبيلة من
الأهداف المثالية ، وإذا حققتها الإنسان
سعد في حياته وسعد المجتمع وساد الأمم
السلام والوئام .

ولهذه الأهداف الثلاثة في الإسلام شأن
كبير ، وله بها غاية وإهتمام يقول سبحانه :
« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ،
ويقول : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم

لنتجه إلى الإسلام مسترشدين بما فيه من
أساس وطيد ، ونصح سديد وتوجيه رشيد .
وإن الأساس الذى يرتكز عليه الإسلام
هو الفطرة السليمة ، فهو دين الفطرة التى فطر
الله الناس عليها ، تلك الفطرة التى تتجه إلى
الخير ، وتعتمد على الفكر السليم ، وعلى
المبادئ السمحة الواضحة ، وهذا هو سر
قوة الإسلام وسر خلوده وسر قوة المستمسكين
بعروته الوثقى . فإن الفطرة إذا صفت فقد
صفت النفس وصلحت أعمالها واتجهت إلى
أسمى المقاصد وبذلك يعم الوئام وتسهل
الجماعات والشعوب إلى خير الغايات .

فلننظر إلى ما أوضحه الإسلام في تكوين
الإنسان وفي رسالته في الحياة .

يوضح القرآن الكريم تكوين الإنسان
في قوله تعالى : « وبدأ خلق الإنسان من
طين » ، وقوله سبحانه : « خلق الإنسان
من صلصال كالفخار » ، ثم يوضح سبحانه
تتمة تكوين الإنسان فيقول جل شأنه :
« فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين » .

فالإنسان فيه عنصران : أحدهما روحى
والآخر مادى . وقد اهتم الإسلام بترقية
هذين العنصرين وحمايتهما مما يفسدهما
أو يبتعد بهما إلى طريق الشر والغواية ،
فإن اكتمالهما وتجانسهما وانسجامهما ينهض
بالإنسان إلى قمة الفضيلة ، فيستطيع أن يؤدي

في آيات الله في الكون وفي النفس ، يقول سبحانه : « وفي الأرض آيات للوقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، ويقول جل شأنه : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم ، ، فلينظر الإنسان مم خلق ، ، فلينظر الإنسان إلى طعامه ، إلى غير ذلك .

والنظر إنما يتم بالمعرفة الحرة وأعمال الفكر والاقتناع .

وفي كل هذا - إلى جانب تربية الفكر - جوانب أخرى لها قيمتها وشأنها في تشجيع البحث العلمي ووضع الخطة لمناهجه ، وذلك بما تعنى به النهضة الحديثة في الأمم ، ومن ذلك أيضا فتح الميدان الفسيح للعقل والعمل في حرية وانطلاق للوصول إلى أقوم الغايات في الحياة ، وفوق كل هذا فإن توجيه نظر الإنسان إلى مظاهر الكون وآثار رحمة الله ونعمته هو أقوى باعث على إيقاظ الإيمان بالله والاعتراف بقدرته وعظمته ، وله إلى جانب ذلك أثر آخر هو تنبيه الإنسان إلى ما في الكون من مواد وخيرات يستطيع أن يستخدمها في منفعة ومنفعة غيره فيعمل على الاستثمار والإنتاج مما يجب أن ينال اهتمام جميع الأمم والشعوب والجماعات .

٢ - وأما الإرادة فقد وجهها الإسلام إلى الخير في جميع صورته وأوضاعه كالإحسان والبر والتعاون والصدقة ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تضمنت أصول الفضائل ونبيل الخلال التي تسكنف للأفراد حياة كريمة .

بين الناس بما أراك الله ، ويقول جل شأنه : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا » ، ويقول سبحانه : « وما تنفقوا من خير يوف إليكم ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، . إلى غير ذلك من الآيات .

والحق ينطوى على إشاعة العدل والمساواة والإنصاف .

والخير يستهدف المحبة والوئام والعلاقات الطيبة بين الناس .

وللعواطف دور هام في نشر الأخوة والتعاون والتراحم والمودة .

كل ذلك من الأسس التي يرتكز عليها المجتمع المثالي الرشيد ، ولو أن الأفراد والجماعات والشعوب حققت هذه المبادئ في صدق وإخلاص وعزم قوى لصفحت الحياة وحييت بين الناس أسباب الحقد والظلم والاعتماد ، واقتلعت من القلوب نوازع الشر والدمار ولفظفنا بالنظام المثالي الذي تشهده جميع الشعوب المحبة للسلام ، أو بالمدينة الفاضلة التي سعى المفكرون قديما للوصول إليها والتي تحاول الأمم المتمدينة الآن الوصول إليها فلم تنجح إلى الآن .

والإسلام يعنى عناية كبيرة بأن يسمو بهذه الأهداف الثلاثة ، فيتم بتربية الفكر وتنمية الإرادة وغرس نبيل العواطف .

١ - أما الفكر فأوضح صليل لتنميته هو ما حث عليه القرآن الكريم من النظر

وربه ، وخير وقاية من شرور المطامع المادية ومطالب النفس الأمارة بالسوء .

وعلى قدر رقى هذه الناحية الروحية يكون رقى الإنسان وتكون سياطته على نفسه وعلى ما سخره الله له من موارد السكون . لهذا كان من الواجب تغذية هذا العنصر ببواعث الخير والرحمة والحق والعدل والإحسان والبر والتعاون والإحسان العام الشامل ، وبذلك نضع الأساس القوي لبناء المجتمع الرشيد والوصول إلى الأهداف المنشودة للحياة المسالية .

ثانياً - العنصر الجسمى :

وهو العنصر المادى الذى خلقه الله من مواد الأرض ومنها ينمو الإنسان وركب فيه الميول التى يتطلبها نموه ونمو ذريته . وللجسم مطالبه الشهوانية المتعددة ، وهى مطية للشر إذا أسرف فيها الإنسان وخسرج عن حدود الاعتدال ، وقد سخر الله له ما فى الأرض جميعاً وأباح له التمتع بالطيبات من الرزق الذى بثه الله ، على أن يسعى ويعمل هفله وأن ينفع نفسه ويبادل بنى جنسه النفع العام الشامل بلا أثر ولا استئثار .

وقد وضع الإسلام للجسم نظاماً يكفل صحته ، وأسدى النصح إلى الإنسان فى طعامه وشرابه ليكون من الحلال الطيب ، وليجتنب ما عسى أن يعود عليه بالضرر . يقول سبحانه « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، ويقول جل شأنه « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا

استمع إلى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. الآية » .

(البقرة ١٧٧) ، « أفن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الآباب الذين يوفون بعهدهم ، الآيات (الرعد ١٩) ، « إن الله يأمر بالعدل والإحسان .. الآية » (النحل ٩٠) « قد أفلح المؤمنون . الآيات » (المؤمنون) ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا .. الآيات » (الفرقان ٦٣) . إلى غير

ذلك من الآيات التى تتضمن أصول الفضائل كالعدل والوفاء بالعهد والاعتدال فى الإنفاق والأمانة والعصبر واجتناب شهادة الزور وإعطاء الحق لمستحقها إلى غير ذلك

٣ - وأما الوجدان وما يتفرع منه من عواطف فقد قوى الإسلام رباطها وأحكم أواصرها بين الإنسان ووالديه وذوى قرباه وجاره البعيد والصاحب بالجنب ، وجعل المودة أساساً للرباط فى الأسرة ، ثم بين جميع الناس ، وكل هذا مما يجعل الحياة الإنسانية هادئة راضية مرضية .

هذه النواحي الثلاث هى الدعامة للسكيان الروحى للإنسان ، وهى فوق ذلك رباط وثيق بين أفراد المجتمع ، توحد أهدافه وتحقق التجانس بين عناصر الأمة وتكون عاملاً قسوياً فى رقيها ونهوضها . وهى فى مستواها الرفيع وسيلة للصحة بين الإنسان

زروع وضرع ومعادن ، وأنزلنا الحديد فيه
بأس شديد ومفانيع للناس ، وأنزل من السماء
ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم .
وكذلك لكي يتمتع بجمال الحياة ونعم الله
التي لا تحصى ، وكل هذا إنما يكون بالعمل
وبالجد . وقد وجه الله سبحانه فطر الناس
إلى أن الظفر بخيرات الله إنما يكون بالسعي ،
يقول سبحانه : « فامسوا في مناكبها وكلوا
من رزقه » ، ويقول جل شأنه : « جعل لكم
الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فحاجا ،
ويقول عز اسمه : « ولقد مكناكم في الأرض
وجعلنا لكم فيها معايش » .

وجوب الانتفاع بالمادة لا تكون
لمن يحرزها خصب ، بل تتجه إلى مساعدة
المعوزين والمساكين ، كما تتجه لمصلحة
الامة عامة ، وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي
ويتم التعاون الذي يفنئ الإسلام .
والإسلام يعد العمل في التجارة والزراعة
جهادا وأجرا .

قال عليه الصلاة والسلام : (من نصب
شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر
كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة
هند الله عز وجل) وقال صلى الله عليه وسلم :
(سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد
موته : (من علم علما ، أو كسرى نهرا ،
أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى
مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا
يستغفره بعد موته) .

منه لحما طربا ، ويقول عز اسمه : « لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تأكلون » ، ويقول سبحانه
« يأبى الناس كلوا مما في الأرض حلالا
طيبا ، إلى غير ذلك .

هذا هو التكوين الإنساني في ناحيته
الروحية والمادية . وفي هذا التكوين قد
أودع الله القوى التي تتطلبها سعادة الإنسان
وإنما ترى فيه بجلاء عناصر التواضع والتعاطف
والتضامن والتعاون على خير المقاصد ، ونرى
أيضا إرشاد الإنسان إلى جميع منابع الخير اللازمة
لحياته . فإذا اتجهت هذه العناصر إلى الله بارئها
سعد الإنسان ، وإذا انحرفت ضل وغوى .

* * *

يبقى بعد ذلك أن يؤدي الإنسان - بهذا
التكوين المتكامل - رسالته التي خلقها الله
من أجلها .

فإذا عسى أن تكون هذه الرسالة ؟

رسالة الإنسان في الحياة :

قد حدد الله سبحانه غاية هذه الرسالة
في قوله جل شأنه : « إني جاهل في الأرض
خليفة ، وقوله جل شأنه ، وهو الذي جعلكم
خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض
درجات ليبلوكم فيما آتاكم » .

ولكي يقوم الإنسان بمطالبة هذه الخلافة
زوده الله بالمواهب التي تمكنه من أداء
هذه الرسالة ، فأمدّه بالطاقة والعقل ، وجعل له
التصرف في الأرض وما عليها وما في جوفها
لكي يعمر وينتج وينتفع بخيرات الله من

وبصيرته عن الاتجاه إلى تهذيب قلبه ،
ويصرفه إلى العدوان والصراع مع غيره فينسى
مقومات النفس المطمئنة الراضية ، وبواحث
الخلق القويم ويهيق به الدمار .

لهذا حث الإسلام على البذل والتصدق ،
ورغب فيهما بوصائل كثيرة ، ونظم السياسة
المالية لكي يعم الخير ويطمئن الفقير ، وذلك
بأداء الزكاة بنسبة خاصة ، وقد أجاز أن يزيد
هذه النسبة إذا اقتضت مصلحة الأمة ذلك ،
وحث أيضاً على العمل وعلى السعى وعلى
الإنتاج والتعمير ، وكل ذلك لخير الإنسان
وخير المجتمع .

وكما جعل الله الإنسان خليفة في الأرض
جعله أيضاً مستخلفاً فيما منحه إياه من فضل
أو خير أو مال ، يقول سبحانه : « آمنوا
بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه » ، فالإسلام يعد الأغنياء حراساً على المال
وهو مال الله ورزقهم به وهم مستخلفون فيه .
والاستخلاف ليس معناه الاكتناز
أو الاحتكار أو الاستيثار ، وإنما المقصود
منه نفع المجتمع وإعطاء المحتاج وإطعام
الجانح ومعوثة المعوزين .

ولو سار الناس على هذا النهج في النظام
المالي وفي توزيع الثروة ومنع احتكارها
والعمل على تشميرها والسعى في استخراجها
وتنميتها لظفروا وظفر المجتمع بخير كثير .

هذا هو الإطار الذي رسمه الإسلام للحياة

ومن أهم أهداف الإنسان في رسالته
في الحياة المال ، فهو رمز الثروة والغنى ،
ولكنه سلاح ذو حدين ، فهو ضروري
لمطالب الحياة ومعايش الناس غير أنه إذا
أسيء استخدامه ، فقد يتحول إلى شر وبال .
ولهذا قاوم الإسلام طغيان المال ، ونبه
إلى الآفات والمضار التي تنجم عن المغالاة
في حبه وجمعه واكتنازه دون تمكهن المجتمع
من الانتفاع به أو تركيزه في أيدي فئة
الإقطاعيين الذين يتداولونه فيما بينهم دون
غيرهم ، يقول سبحانه : « والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب أليم » ، ويقول جل شأنه
« كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

إن المال أو الثروة* بصفة عامة هو السبب
الأول لما نراه من صراع الفرد مع نفسه
وصراعه مع غيره : فإنه في صراع محتم
متأجج مع نفسه بسبب نزعاته وميوله المادية
والشهوانية التي تقوده إلى حب الثروة والرغبة
في الغنى إلى درجة جارفة وهو أيضاً في صراع
مع غيره حبا في الاستحواذ والاستيثار ،
وإن الجسرى وراء المال لصدنهم النفس
ولإشباع تأجج الغرائز البهيمية ، وجه حبا
طاغيا ، يوجه قلب الإنسان إلى ملاذ الدنيا
وشهواتها ومظاهر الترف ، ويضعف ما فيه
من سعى نحو سامى المقاصد وسنى المطالب ،
لأن انهماكه في إحراز المال يعشى بصره

الطمع كيانه ويشير شبيح الحرب الطامعة الغاشمة مخاوفها ، ويزلزل أقدامها ، وكل هذا مرجعه : إما إلى الطمع الذي يدق الأعناق أو الاستغلال الذي يطغى على العقول ، أو حب المال الذي يعمي البصائر والابصار ، وإما إلى القلوب التي تست على الإنسانية المصيبة وخلت من التعاطف وضلت عن طريق الحق والخير ، وإما إلى الاثنين معا . ولقد حاولت هذه الدول ، بعد أن ذاقن وبال أمرها ، أن تصلح ما جنت يداها أو ما جناه حكامها وورثاؤها ، وأن تخرج للعالم بمبادئ ظنت أنها تفنن الحرية والإخاء والمساواة ، ولكنها لم تلبث أن تنسكت لهذه المبادئ ، وتمنعت لها ، ولم تحقق منها شيئا ، فاستعبدت الأحرار ، وأذلت الضعفاء العزل من السلاح ، أو الذين جردتهم من القوة في جميع مظاهرها ، وبذلك تحولت مبادئها إلى شر صارخ : فصارت الحرية التي تطبقها على الشعوب استعبادا ، والمساواة إذلالا ، والإخاء ظلما واعتداء ، ومرجع كل هذا إلى أن القرية الروحية الخفية في هذه الدول الاستعمارية لم تنل عناية أو اهتماما ، وأن حب الخير لا يحظر بياها إلا إذا كانت المغايم لها وحدها ، واستولت منها على القسط الوفور .

فلترك هذه الدول سادرة في غلوائها هائمة في ضلالها متهاكة في صراعها إلى أن توقظها الأحداث الصاخبة ، وتصدها تيارات الحرية

المثالية ، وهو إطار يكفل للشعوب وللجاعات وللأفراد الخير وإشاعة العدل والمساواة وبث التراحم والتعاطف والقضاء على الفقر والتخلف ، ويضع الأساس المتين للفرد والكرامة التي تشهدها الإنسانية .

وقد أثبت هذا النظام الإسلامي نجاحا فعالا في الهوض بالمسلمين إيمان مصور الازدهار العربي : فقد كان الرقي شاملا والعلم ساطع الضوء يقبس منه القاصي والداني ، وكانت العواصم العربية محط الرحال ومعقد الآمال ، وكل ذلك بفضل ما في الإسلام ومبادئه وتوجيهاته من روح كانت أقوى حافز على السهر بالحياة وبالجمتمعات في ظلال العدل والمساواة والإخاء والمودة والرحمة ، وكانت الحضارة الإسلامية منبع الإشعاع لجميع الشعوب وسائر الأمم على اختلاف أجناسها وكان الأمن واوف الظلال ، والحرية مكفولة للجميع على اختلاف العقائد والمستويات .

* * *

فهل يعود للمسلمين مجدهم ؟ ومتى ؟ وبماذا ؟ ولكي نمهد للإجابة عن هذه الأسئلة يجمل بنا أن نلقى نظرة عابرة على الشعوب على اختلاف درجاتها في التقدم أو التخلف ، ثم نعود إلى الأمة الإسلامية لنرى حاضرها ، ثم نتطلع إلى ما نأمل لها من مستقبل مشرق زاهر .

١ - أما الدول التي تسمى التقدمية وهي التي ترى أنها قطعت شوطا بعيدا في المدنية فإنها لا تزال يتفشى القلق في أنحائها ويهدد

الآثم بالتضامن والتعاون على الخير والبر والنهوض ، فإنه لا يفل الحديد إلا الحديد ، ولتعمل هذه الشعوب على أن تكون جبهة تستهدف الخير والعدالة الاجتماعية وتحقق الحرية والعزة والكرامة ، هذا إذا أرادت لنفسها الانطلاق بالسير في ركب الحياة النامية المزدهرة ، وإنهم - بعون الله - إلى هذا متجهون وعلى الطريق السوى سائرون وسيظفرون بكل خير إن شاء الله عما قريب .

٣ - وأما الشعوب الإسلامية والعربية فقد ظلت كذلك أحقاباً طويلة بقود الاستعمار والحكم الأجنبي زمامها ويقطع أوصالها ويفرق كلمتها ، ويخذم أنفاسها حتى انتابها الضعف وكادت تنسى مجدها الماضي وفقدت كثيراً من الصفات النبيلة التي نشأها عليها الإسلام ومبادئه من القوة والعزة والخلق الكريم ، ولكنها الآن قد هبت من سياستها وجرت في عروقها الدماء الزكية ونهضت تحفرها ذكريات عظمتها الماضية ويحدها شعورها بما كان لها من مكانة مرموقة .

وإن أقوى ما تسند إليه لتستعيد مجدها وتسرد مكانتها هو أن تتجه إلى المنابع الثلاثة التي أوضحنها فتنهل من مورد العذب الصافي ما تغذى به ما في النفس الإنسانية من عناصر الخير والحق والتعاطف من أصول الفطرة السليمة ، ثم تتجه بعزم وقوة إلى تحقيق الرسالة التي حملها الله للإنسان وهي أن يكون خليفته في هذه الأرض ، وذلك

واليقظة التي عمت جميع الشعوب الناهضة ، وحينئذ يعود إليها صوابها وتسير طائفة أو مرغمة في طريق الحق والخير .

٢ - وأما الدول المتخلفة فقد ظلت تحت نير الاستعمار زمناً طويلاً امتص فيه ثروتها واستنزف خيراتها واحتكر منابع الخير والقوة فيها وأشاع فيها الجهل والفقر واستخدمها مطية لمآربه ، فأصبحت عرومة من السكفاف الذي يقيم الآود ، وكادت تفقد الشعور بإنسانيتها وبحقها في الحياة وفي الحرية وفي التكريم ، وهذه الشعوب ترى الآن خيراتها قد أصبحت نهبا للمستعمرين والمستغلين ومن يسير في ركبهم .

ومنشأ هذا الذي صارت إليه هذه الشعوب إما الضعف والتهاون وإما التراخي تحت أقدام المستعمرين وأعدائهم وتسليمهم الزمام وتمكينهم من ثروة البلاد ، ومن هذه الشعوب دول متخلفة ، ومنها دول نامية متطلعة للرفق واستكمال وسائل الحياة بعدد أن تحررت من ربطة الاستعباد ، ومنها دول أخذت بمحظ نصيب من النضج . والواجب على جميع هذه الشعوب أن تتضامن وتوحد وجهتها وتجمع أمرها وتقف صفواً واحداً في وجه المستعمرين والطامعين ، فإن المستعمرين إنما يمتدرون - إلى جانب القوة - على تسكلمهم ، ويحمون أنفسهم بتعاونهم على الإثم والعدوان ، على الرغم من اختلاف نزعاتهم وتباين مقاصدهم فلتقابل هذه الشعوب المتخلفة ذلك التعاون

الروحى للإنسان ولكنها ناحية لا تقوى السلطات أو القوانين الوضعية على أن تستكمل بناءها وتعالى صرحها وثبتت أصولها فى القلوب إلا بوازع نفسى من الأفراد والجماعات وبياعت من أعماق ضمائرهم ، وصفاء من قلوبهم ، وموازرة مخلصة هادفة من المشرفين على شئون التربية وإعداد الشباب وإرشاد الجماعات ، وتثبيت إيمانها وبقينها بالله ، وهذه الناحية هى (الخلق القويم والضمير السليم) .
فذلك هو الذى ينأى بالأفراد عن الانحراف عن الجادة ، ويمنعهم الرذائل المردية ، مثل الغش والرشوة وفساد الذمم والتهاون فى أداء الواجب والاعتداء الغاشم والحركات الهدامة والحيانة ومختلف الجرائم ، ونحو ذلك من الرذائل التى تعوق الأمم عن بلوغ السكال .
وإن الأمل عظيم فى المشرفين على إعداد الناشئين وتربيتهم ، والقائمين على تقويم الشباب وإرشادهم أن يعملوا على تثبيت المبادئ السليمة القوية فى نفوسهم ، وأن يعمرؤا قلوبهم بالإيمان ويعملوها بنبيلى الخلال وكريم الخصال .

لأنهم إن فعلوا فقد أسهموا بالحظ الأوفى فى الإصلاح المرجو والنهوض المنشود .
وإنه نسال أن يسدد خطانا ويهدينا إلى طريقى الحق والخير والرشاد ؟

عبد المحمى مصرى

عضو بجمع البحوث الإسلامية

بالاهتمام بالإنتاج والتعمير واستغلال ما فى الوطن العربى من خصب ، ومن بذور الخير ومن منابع الثروة تدور الفاء والبركة على جميع الشعوب العربية وعلى غيرها من أصدقاء العرب وأنصار السلام ، وبأن يوفق العرب عرا التضامن والاتحاد بينهم حتى يحققوا قول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ، وبذلك تتوحد كلمتهم ، وتتضح للعالم أهدافهم ، ويسرون قدما نحو العزة والكرامة والأمن والعدالة وإقامة دعائم الحياة على الأسس الحكيمى القوية السليمة .
ومما يبشر بالخير ويملا القلوب ثقة وأملا أن الشعوب العربية - وفى طليعتها الجمهورية العربية المتحدة - قد عقدت العزم بعون الله على أن تسترد حقوقها وتستعيد أمجادها ، وقد أخذت فى الأسباب الكفيلة بتحقيق أهدافها المنشودة ، وقطعت مراحل مباركة موفقة فى هذا السبيل : فحققت العدالة والمساواة وقضت على الاحتكار والاستغلال يشى الوسائل ، وهى سائرة على بركة الله وبمعوته فى طريق الازدهار والتقدم بخطى سريعة وعاملة جهدها على النهوض بالأفراد والجماعات وعلى الإصلاح الشامل فى جميع مرافق الحياة .

ويهدر بنا فى هذا المقام أن نتوء بناحية لها خطرهما وأثرهما القوى فى إصلاح الأفراد والشعوب ، وهى دطامة متينة فى التسكين

العفو في الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد مهدي علام
"عضوالمجمع"



الدكتور محمد مهدي علام

المذنب إصلاحاً نفسياً يعيده إلى المجتمع الذي يعيش فيه عضواً سليماً ، بل وإيماً حليماً ، فكل وسيلة شريفة تحقق ذلك الغرض تكون عقوبة أو تحل محل العقوبة ، والعفو - في بعض الأحوال - يحقق هذا الغرض لذلك كان العفو صورة من صور العقوبة .

غير أنه لا يعزب عن بالنا أن العفو علاج غير مأمون إلا في اليد الحازمة ، فله نفوس خاصة ، وذنوب خاصة ، وظروف خاصة ، وإذا أسئ استخدامهُ أو أسرف فيه كان

تمهيد :

الغرض من العفو :

إن البحث في الغرض من العفو يدهونا للبحث في الغرض من العقوبة ، وحملنا أن نذكر هنا أن المشرعين قد ارتأوا في العقوبة آراء مختلفة يمكننا أن نرجعها إلى مذاهب أربعة :

١ - العقوبة الانتقامية : ويرى دعايتها أن الجاني ينبغي أن ينال جزاء ما اقترفت يده .

٢ - العقوبة الرادعة : وينادي أصحابها بأن الغرض من العقوبة هو كف المجرم عن العود للإجرام .

٣ - العقوبة الواظلة : ويرى أصحابها أن غاية العقوبة وعظ الناس الذين لم يجرموا بعد ، حتى لا يقعوا في الإجرام .

٤ - العقوبة المصلحة : ويرى دعايتها أن العقوبة ليست إلا علاجاً للمجرم نعالجه بها ليبرأ من حالة نفسية شاذة ، هي ما يسمى عادة بالإجرام .

وأحدث ما وصل إليه علم الأخلاق هو الأخذ بمذهب الإصلاح في العقوبة - بل هذا المذهب أخذ بعض المشرعين حديثاً في كثير من البلاد ومن بينها الجمهورية العربية المتحدة . وإذا كان الغرض من العقوبة هو إصلاح

٤ — د... علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم كتاب عليكم وعفا عنكم ، البقرة : ١٨٧
 هـ — د وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .
 وقاتلوا حيث تقفتموه ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك فيه فإن قاتلوك فاقتلوا كذلك جزاء الكافرين .
 فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، البقرة : ١٩٠ — ١٩٤ .
 ٦ — د واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حلیم ، البقرة : ٢٣٥ .
 ٧ — د وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، إن الله بما تعملون بصير ، البقرة : ٢٣٧ .

وبعد أن يسوق الباحث آيات العفو في الكتاب الكريم يقول : وقد هدانا بحجها إلى النقط الآتية :

١ — أن العفو ليس أصلا في المعاملة بين الناس ، لأنه قدر زائد على العدالة ، بل هو ظلم بالفعل : ظلم المرء لنفسه بالتجاوز عن حقه ، وإنما سمي هذا الظلم دهفوا ، لأنه

جناية محققة ، لهذا جاء الإسلام بالعقوبة والعفو جميعا ، ولكنه لم يأمر بالعفو أمرا وإنما ندب إليه ندبا : مكن المعتدى عليه من الدفاع عن حقه ، ولكنه أوصاه بالسماحة والعفو بديلا .

وقبل أن أدلى بما استنبطته في هذه النظرية أسوق الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر العفو في القرآن الكريم ، فهي مادتى في الاستنتاج وعمادى في البحث (١) .

١ — د ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ، البقرة : ٥٢ .

٢ — د فاعفوا ، واصفحوا ، حتى يأتي الله بأمره ، البقرة : ١٠٩ .

٣ — د يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى : الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والآثى بالآثى ، فمن هني له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان . ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، البقرة : ١٧٨ — ١٧٩ .

(١) ولقد اقتصرنا هنا على الآيات التي هي نص في موضوعنا ، تاركا عشرات من الآيات التي ذكر فيها العفو ذكرا عرضيا ، ولكن ما تركت لا يختلف في أفضله أو معناه عما اقتبست . وقد حرصت على أن اقتبس الثلاث الآيات التي يبدو للنظر الأولى أنها لا تسير لإحدى نواحي النظرية ، ثم حاولت الأئمة بينها وبين سائر الآيات ، (راجع الفقرة السادسة من النظرية) .

غافر ٣ ، .. وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، الشورى ٣٧ ، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن هذا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، الشورى ٣٩ ، ٤١ ، ولئن صبر ، وغفر ، إن ذلك لمن عزم الأمور ، الشورى ٤٣ .

(وانظر كذلك - البقرة ٢٨٤ ، آل عمران ١٢٩ ، المائدة ٣٩ ، ٤٠ ، الأعراف ١٥٦ ، ١٦٧ ، الأنفال ٢٥ ، ٢٩ . الحج ٦٠ ، الأحزاب ٢٤ ، صبا ٤ ، ٥ ، محمد ٤ ، الفتح ١٤ ، الحديد ٢٠ ، ٢١ ، الحشر ٤ ، ١٠ ، التحريم ٧ ، ٨ ، البروج ١٢ ، ١٤) .

وبعد فهذه آيات صريحة في أن للعقوبة موضعها ، وللعفو موضعها ، وهي كذلك صريحة في أن كفة العفو أوجح ولا شك أن هذه الطريق الوسط بين العقوبة والعفو أشكل بالحزم ، وأدعى إلى السلم والأمان ، فلو شرعت العقوبة وحدها لمآلات الإحسان القلوب ، وتمسكت الحفائظ من الصدور ، ولو شرع العفو وحده لمآلات الفوضى ، واستشرى المجرمون ، بل لو شرع العفو وحده لمآلات النفس أميل إلى الزهد فيه ، والتبرم به ، فليس في طبيعة الإنسان أن يتخلى عن جميع حقوقه ، في جميع الأحوال . ٢ - ولننظر مرة أخرى في تلك الآيات فسرى أن العبارات التي استخدمها القرآن

اسم جميل ، لهذا للظلم النجيل ، من أجل ذلك لم يفرضه الله تعالى ، بل رغب فيه ، وندب إليه بوسائل شتى ، وآية ذلك أنه - عز شأنه - شرع العقوبة ، حتى يشعر المجرم بأن حقوقه مصونة . وفضلا عن المواضع الخاصة بذكر العقوبة ، قد كرر القرآن مشروعيتهما مع كثير من آيات العفو ، ليلقى الطمانينة في قلوب العباد على أن مصالحهم مرهية ، وليكون عفوهم إذ ذاك سماحة خالصة ، لا طاعة مزيفة . وحسبنا أن نذكر هنا بعض الآيات التي ورد فيها ذكر العقوبة مع العفو ، تارة قبله ، وتارة بعده ، وتارة قبله وبعده جميعاً : • كتب عليكم القصاص في القتلى ... فمن عفى له من أخيه شيء ... البقرة ١٨٧ • عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه . والله عزيز ذو انتقام ، المائدة ٩٥ • اعللوا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ، المائدة ٩٨ ، فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ، الأنعام ١٤٧ ، إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم ، الأنعام ١٦٥ ، وإن ربك لغفور مغفر للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب ، الرعد ٦ ، نبي هبأدى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم ، الحجر ٤٩ ، ٥٠ ، وإن عاقبتهم فمآقبوا بمثل ما هوقبتهم به . ولئن صبرتم لهو خير للعابرين ، النحل ١٣٦ ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول ،

الكريم في العفو مغفيرة به، حريصة على تقريبه إلى القلوب، مما يؤيد ما قلناه من أن الشارع الحكيم يرغب فيه، أولا، وثانيا: أنه يشعر بأنه ليس اتجاهه طبعيا من المظلوم نحو ظالمه فقد وصف الله تعالى نفسه بالعفو، ووصف به رسوله الكريم وطالبه به، ووصف به كذلك المقربين من عباده فوضع بذلك مثالا هليا أمام عباده يمتدون بها من غير الزام.

ولو علم الله أن النفس البشرية تميل بطبيعتها إلى العفو لأمر به أمرا ولكنّه جل ثناؤه يعلم أن في الطبيعة البشرية ألا تأتمر أولا، وألا تأمر بما تشعر بأن فيه تجاوزا عن حقها ثانيا، لذلك لم يأت العفو بصيغة الأمر إلا قليلا، تحاشيا لإثارة روح العناد الخبيثة في نفوس البشر، وإنما جاء في أروع ما تنطق به الأساليب المرغبة النادرة:

«وأن تعفوا أقرب للتقوى، ولا تندوا الفضل بينكم، البقرة: ٢٣٧»، «إن تمسككم حسنة تسؤم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتمتقوا لا يضركم كيدهم شيئا، آل عمران: ١٢٠»، «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاذمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، آل عمران: ١٣٣ — ١٣٤»، «وإن تصبروا وتمتقوا، فإن ذلك من عزم الأمور».

آل عمران ١٨٦. «والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية، ويدرون بالحسنة السيئة، أولئك لم عقبى الدار: جنات عدن يدخلونها ... سلام عليكم بما صبرتم فتنم عقبى الدار، الرعد ٢٢ — ٢٤، «وإن صبرتم لهو خير للصابرين». النحل: ١٢٦ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا، ويدرون بالحسنة السيئة... وإذا سمعوا العفو أعرضوا عنه القصص ٥٤ — ٥٥، «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. الزمر: ١٠»، «وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون،... وإذا ما غضبوا هم يغفرون، الشورى: ٣٦ — ٣٧، «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. الحشر: ١٠» (وانظر كذلك الحج ٣٤ — ٣٥، الفرقان: ٦٣، المنكحوت: ٥٨ — ٥٩، الشورى: ٤٠، ٤٣، المنتحة ٧، التغابن: ١٤، البلد: ١٧ — ١٨).

٣ — وإذا درسنا الآيات التي جاء فيها العفو بصيغة الأمر ألفيناها جميعا إلا ثلاث آيات (البقرة: ١٠٩، وآل عمران: ٢٠٠ والنحل: ٩٠) مشتركة في هذه الصفة، وهي أنها ليست خطابا مباشرا للجمهور والناس الذين يغلب أن يشور في نفوسهم روح المعارضة والعناد، إذا أمروا بالتجاوز عن حقهم في القصاص، فيصميم ذلك عن إدراك حكمة

الكريم في العفو مغفيرة به، حريصة على تقريبه إلى القلوب، مما يؤيد ما قلناه من أن الشارع الحكيم يرغب فيه، أولا، وثانيا: أنه يشعر بأنه ليس اتجاهه طبعيا من المظلوم نحو ظالمه فقد وصف الله تعالى نفسه بالعفو، ووصف به رسوله الكريم وطالبه به، ووصف به كذلك المقربين من عباده فوضع بذلك مثالا هليا أمام عباده يمتدون بها من غير الزام.

ولو علم الله أن النفس البشرية تميل بطبيعتها إلى العفو لأمر به أمرا ولكنّه جل ثناؤه يعلم أن في الطبيعة البشرية ألا تأتمر أولا، وألا تأمر بما تشعر بأن فيه تجاوزا عن حقها ثانيا، لذلك لم يأت العفو بصيغة الأمر إلا قليلا، تحاشيا لإثارة روح العناد الخبيثة في نفوس البشر، وإنما جاء في أروع ما تنطق به الأساليب المرغبة النادرة:

«وأن تعفوا أقرب للتقوى، ولا تندوا الفضل بينكم، البقرة: ٢٣٧»، «إن تمسككم حسنة تسؤم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتمتقوا لا يضركم كيدهم شيئا، آل عمران: ١٢٠»، «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاذمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، آل عمران: ١٣٣ — ١٣٤»، «وإن تصبروا وتمتقوا، فإن ذلك من عزم الأمور».

وفي الأخرى أمر عام كذلك بالإحسان إلى جانب الأمر بالعدل . ونحن نرى أن ورود الأمر في هذه الصورة العامة - لافي صورة خاصة بالأمر بالعفو عن مسمى ، كما ورد ذكر العفو في الآيات الأخرى - أبعد من إثارة النفس للعناد ومقاومة الأمر . لأن النفس لا تذكر إذ ذاك لإساءة وقعت عليها تشعر بشهوة الانتقام لها ، كما كان يحدث مثلاً لوجاءت آية النحل ١٢٦ على الصورة الآتية : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » ، « ولكن اصبروا فوهو خير للصابرين » . « تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » . ولقد تغرينا وجاهة هذا التعليل بمحمل آية البقرة ، عليه ، ولكن صراحة ألفاظها - على الرغم من غياب ذكر الإساءة أو العقوبة فيها - تدعونا إلى تلخيص تعليل آخر ، ويخيل إلى أنه قصد بهذه الآية أن ترد هكذا فريدة لتنبه الناس إلى شدة العناية بالعفو والأخذ به ، حتى لا تكون جميع آيات القرآن خالية من صيغة الأمر ، موجهة إلى جمهور الأمة . فإذا قرنت هذه الآية بغيرها من آيات العفو ، استخرج الناس من المجموع المرمى السامى الذى رعى إليه الشارع : من أن العفو مرغوب فيه ، وإن لم يكن مأموراً به . إن علينا نقدر في هذا المعنى ما رواه معاذ بن جبل ، قال : « لما بعثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن قال : ما زال جبريل عليه السلام يوصينى بالعفو ، فلولا على باقه لظننت أنه يوصينى بترك الحدود » .

العفو البالغة ، بل كان الأمر فيها موجهاً لمن طهرت نفوسهم من خبث التعصب للنفس والعناد ، أعنى للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، أو لصديقه الصديق أنى بكسر رضى الله عنه ، أو لفئة معينة وإن كانت غير محدودة من المقربين من عباد الله تعالى . ولا بد أن نفير إلى أن هذه الطائفة تركت غم محدودة إطلاعا لسكل امرئ أن يكون من بينها .

٤ - بقی أن ننظر في الآيات الثلاث التي ورد فيها الصفح بصيغة الأمر في خطاب الأمة وهي قول الله تعالى : « فاهفوا ، واصفحوا ، حتى يأتي الله بأمره » ، البقرة ١٠٩ ، « يا أيها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا واتقوا الله ، لعليكم تفلحون » آل عمران ٢٠٠ ، « إن الله بأمر بالعدل ، والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر ، والبغى ، يعظكم لعليكم تذكرن » النحل ٩٠ . ونريد أن نقرر هنا أولاً أن آية واحدة منها (آية البقرة) هي التي ذكر فيها العفو بلفظه الصريح ، بل وبمرادفه الفصيح أما الآيتان الأخريان ، ففي إحداهما أمر بالاصبر بصفة عامة مما يشمل العفو وغيره ، فقد يكون الصبر على مكاره لا مجال للعفو فيها (١) .

(١) يلاحظ أن استعمال « الصبر » في هذه الآية ليس صريحاً في معنى « العفو » ، صراحة استعماله في عشرات الآيات الأخرى التي يذكر فيها الصبر بمناسبة العقوبة واحتمال أدنى المتعين الخ .

التأكيد في الكلام لا تسلك إلا الحكمة بلاغية
ومى هنا علم المشرع بأن السامع يغلب ألا
يلتقي هوام مع موضوع الكلام ، ورغبته
- رغبة المشرع - في زيادة التنبيه على الصريح
وتحسينه ، والندب إليه ، ليثمر ذلك التأكيد
في نفوس الناس الذين قد يسمو على بعضهم
ويعر هذا (الظلم النبيل) .

« فتاب عليكم ، وهذا عنكم ، البقرة ١٨٧ »
« وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا
الفضل بينكم ، البقرة : ٢٣٧ ، « والكاظمين
الغيت ، والعافين عن الناس ، آل عمران ١٣٤ ،
« فاعف عنهم ، واصفح ، المائدة : ١٣ ،
« خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض
عن الجاهلين ، الأعراف : ١٩٩ ، « والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم .. ويدروا أن بالحسنة
السنية ... سلام عليكم بما صبرتم ، الرعد ٢٢ ،
« ٢٤ فاصفح الصفح الجميل ، الحجر : ٨٥ ،
« وليعفوا وليصفحوا ، النور : ٢٢ ، « وإذا
ما غضبوا هم يغفرون ... فن عفا وأصلح ، .
« ولمن صبر وغفر ، الشورى ٢٧ ، ٤٣ ،
« فاصبر كما صبر أولو العزم ، الأحقاف ٢٥ ،
« وإن تعفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا ،
التغابن : ١٤ ، « فاصبر صبرا جميلا ،
المعارج : ٥ ، « واصبر على ما يقولون ،
واجرهم حجرا جميلا ، ١٠ المزل .

وانظر كذلك : أربعة وأربعين آية
أخرى لا يحتاج البحث عن التأكيد فيها إلى
كبير مجهود ؟

محمد مهدي عجم

على أن لنا في هذه الآيات الثلاث تأويلا
نقلسه في التعبير البلاغى ، لا في التعليل
اللفظى . فالأمر كثيرا ما يأتى بغير الإلزام ،
وفي القرآن من أماليب العرب . فلا مانع من أن
يسكون الأمر قد ورد للنصح والإرشاد أو
للندب ، أو للإباحة أو للتنخير ، على مثال
الأمر في قوله تعالى : « فمكابوهم إن علمتم
فيهم خيرا » ، وقوله : « فإذا حللتم فاصطادوا » ،
وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الأرض وابتغوا من فضل الله » ، وقوله :
« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الأسود من الفجر » .

هـ - وهذه ظاهرة أخرى تمتاز بها آيات
العفو امتيازاً يزيد نظريتنا تأييداً ، من أن
الشارح الحكيم كان عليماً بأن العفو قد
زائد على العدالة ، أو كما سميناها هو « ظلم
نبيل » ، لا تميل إليه النفس ميلا طبيعيا .
فتحن نرى أن القرآن إذا عرض للعفو ذكره
في عبارات مطبقة مؤكدة (١) : بالترادف ،
أو المفعول المطلق ، أو لام التوكيد ،
أو النعت أو التنزيل ، ونحو ذلك . وسيل

(١) جدير بنا أن نلاحظ أن التوكيد للمصاحب
لآيات العفو في القرآن الكريم ليس مقصورا على
التوكيد النحوى . بل هو يشمل كذلك الأساليب
البلاغية التوكيدية ، إلى جانب ما أسميه (بالتوكيد
الصرفى) وهو التوكيد بالصيغة الصرفية كاستعمال
صيغ الابلغة بدلا من صيغة اسم الفاعل لما في الصغ
الأول من دلالات التأكيد التى تغلو منها صيغة
اسم الفاعل .

القرآن في التربية الإسلامية

لصاحب الفضيلة الأستاذ نديم الجسر
"عضوالمجمع"



الأستاذ نديم الجسر

وقد أهدى الباحث رسالته في ثمانية فصول لتسكون منهجاً كافياً لاستيعاب مجته حتى يمكن أن يفهم الأخلاق والأوامر والنواهي والحلطات والمناهج وطرق الإلزام التي وصفها القرآن في التربية الإسلامية ، ، وعلى ذلك كانت فصول البحث :

- ١ - الإنسان ، المراد تربيته .
- ٢ - بعض الحقائق العلمية في علم النفس والتربية .

يعتمد هذا البحث على كثير من الحقائق العلمية التي يقررها علم النفس، وعلم وظائف الأعضاء ليعطي صورة واضحة عن الإنسان، في تركيبه العضوي وبيئته شافياً عن كثير من غرائزه وميوله وعاداته موضحاً خطر الجهاز العصبي من بين الأجهزة التي يتكون منها الإنسان .

وتعتبر تلك الحقائق كقائمة يقرر بعدها الباحث عناية القرآن بالإنسان وتفصيلاً وافياً لميوله وغرائزه وعاداته التي سبق بها القرآن الكريم علم النفس بقرون أربعة عشر ، وأدلى بها أكثر تفصيلاً وشمولاً ، وأوصى تربية ، وأحزم أسلوباً فهم من المعلم الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه .

وقد عني الباحث بمرض نماذج من مسكارم الأخلاق التي دعا إليها القرآن . كما أشار إلى غيرها بما نقر منه ، معقباً ذلك بتفصيل واف للبداية العامة والخاصة التي ترتكز عليها أساليب التربية في القرآن والتي صار بها المسلم على بيئة من هدى الله وسعة من خلق القرآن ، وتمتع بحرية لا ضرر فيها ولا ضرار .

الحالتي وحكمته أو يترك كالأعمى لا يكاد يفرق بين الحق والباطل والنور والظلام .

أما القرآن فقد استكمل طرق الإلزام حين عددها ، ونوعها ، وشعبها وفصلها وسلطانها ،

أول ما سلطها على عقل المؤمن ، ثم على قلبه وضميره ، ونفسه ، وغرائزه ، وطباعه ،

وجسده ، فانتزع الدواء من ممكن الداء ، واستنار القوة من مركز الضعف ، وشمل هذا

الإلزام الكبائر والصغائر والأخلاق والآداب وفصل أبواب الترهيب والتزغيب في الحياة

الدنيا وفي الحياة الآخرة ، وجعل الفرد رقيقاً على نفسه وعلى المجتمع ، وجعل المجتمع رقيقاً على الفرد ، وأهدى المسلم لمركبة الحق والخير ، في عقله ونفسه ، وصراع الحياة

في جسده فتمت بهذا الاستكمال لطرق الإلزام كلمة ربك صدقا وعدلا وعلما ورحمة وإحسانا

في قوله للسلعين : اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً . ولا كمال لدين لا تكتمل فيه طرق

الإلزام ، وطرق الإلزام التي وضعها القرآن تسكاد ، عند المحصى لها ، تنحصر في ستة أنواع :

١ - الإلزام بوازع العقل .

٢ - الإلزام بوازع الضمير .

٣ - الإلزام بوازع الترهيب والتزغيب .

٤ - الإلزام بوازع الكفارات .

٥ - الإلزام بوازع الرأي العام في المجتمع .

٦ - الإلزام بوازع السلطان .

٣ - الغرائز والطبائع والميول في القرآن .

٤ - الأخلاق في القرآن .

٥ - مبادئ عامة من القرآن ترتكز عليها التربية وطرق الإلزام .

٦ - الأخلاق بين الغرائز والعقل وحرية الإرادة في القرآن .

٧ - مناهج وأصاليب التربية والتوجيه في القرآن .

٨ - طرق الإلزام في القرآن .

ونقدم من هذه الفصول الفصل الأخير وسينشر البحث كاملاً في الكتاب السنوي للجمع .

طرق الإلزام في القرآن :

من أعظم مزايا القرآن على غيره من الشرائع استكمالها (طرق الإلزام) أي إلزام المكلف بتصديق ما قرره من الحق ، وتنفيذ ما شرعه من الأحكام ، والاختصاص بما وصى به من مكارم الأخلاق ، والعزوف عما نهى عنه من مساوئها .

ولسنا ننكر أن الشرائع القائمة على الأرض اليوم تنطوي على الإلزام ، ولكن الإلزام سطحي ناقص ، يقف في بعضها عند حدود الجرائم ولا يتناول الأخلاق ، ويقف في بعضها عند نوع من الوعيد بعذاب الدنيا دون الآخرة ، ويمس في بعضها باب الاقتناع العقلي ، فينتهي الأمر بالمكلف إلى أن يتممه له طريق الغرور ، أو ينفذ عليه باب الأمل والرجاء ، أو ينفذ له باب الشك في عدل

الإلزام بوازع العقل :

من البدهى أن يكون الإلزام بوازع العقل أول طرق الإلزام وعمادها في شريعة منزلة من الحكيم الرحمن ، وهذه البداهة مؤيدة بحقائق بديهية أخرى يأخذ بعضها برقاب بعض في سلسلة مترابطة الحلقات ذكرها القرآن :

فالقرآن الذى بين أن الله إنما خلق الناس ليعبدوه ، وأنه يريد أن يتلهم أيهم أحسن عملا ، هو القرآن الذى بين أن الله خلقهم أحرارا ، وبين أن لا إكراه في الدين ، وهو الذى أكثر من ذكر البراهين العقلية ، كما سبق البيان وأكثر من ذكر الحكمة في كثير من العبادات والمعاملات ، والأوامر والنواهي وهو الذى بشر من يؤتى الحكمة بالخير الكثير ، لذلك كان الاتقناع العقلي بصحة القضايا العقلية ، وبفائدة المبادئ ، والأحكام والتكاليف والأوامر والنواهي ، أول ضرب من ضروب الإلزام .

ولكن هذا الإقناع العقلي الحر الذى أمرنا به القرآن لا يجوز أن يطنى إلى حد الغرور الذى يجعلنا نخلط بين المستحيل عقلا والمستحيل عادة ، فالمستحيل عقلا لا وجود له أبدا في شيء من حقائق القرآن وأحكامه وأخباره ، أما المستحيل عادة فلا يجوز أن يبنى عليه الإنكار لأنه داخل تحت قدوة الله بل تحت قدوة العبد أحيانا ، كما رأينا في أمور كثيرة كنا نعدّها مستحيلة في العادة ، ثم تمكنا منها بطريق العلم ، والأمثلة كثيرة ، وآخرها هذا الوصول إلى القمر .

وكذلك تقول عن شك البعض في حكمة التكاليف : فإن حكمة كثير من التكاليف ظاهرة بالنص ، أو بما تحت النص من طرق الاستنباط العقلي ، فلا يجوز لنا في بعض الأمور القليلة ، التي لا ندرك حكمة ، أن ننسكرفقها ، بل علينا ، كما أمرنا أن نحمل المتشابه على الحكم ، ونحمل القليل الذى خفيت حكمته على الكثير الذى ظهرت حكمته وينفعنا في هذا الباب أن نضع نصب أعيننا الآية السابعة من سورة (آل عمران) والآيات التي وردت في (سورة الكهف من ٦٦ إلى ٨٣) عن قصة موسي مع العبد الصالح الذى علمه الله من لدنه علما ، لكي تتعلم ، بدورنا ، الصبر على ما لم نخط به خبرا ، وعلى ما لم نستطع عليه صبرا .

الإلزام بوازع الضمير :

إن الذين يكفهم الإلزام بوازع العقل هم القلة من العقلاء الحكماء المفكرين الذين يعبدون الله لأنه يستحق العبادة ، ويعطيهم أوامره لأنها ، بذاتها ، تستحق الطاعة ، أما الكثيرة من الناس فلا يكفهم وازع العقل ولكن ينفع معهم وازع الضمير . وهو من أعظم الزواجر ، ولا سيما في الذنوب التي لا تغالها يد العدالة الأرضية ، والعيوب التي لا تراها عين الناس ، وقد ركزه القرآن ، كما هلت ، على العقل ، وعلى الرقابة الإلهية ، والخوف على النفس والأولاد والأموال في الدنيا ، وعلى الخوف من عذاب الآخرة

وهي وكأثر أخرى سبق بيانها وتفصيلها آنفا
في تربية الضمير .

الإلزام بالترهيب والترغيب :

لقد سلك القرآن في الإلزام بالترهيب
والترغيب طرقا كثيرة ومتنوعة: منها الترهيب
بانقضاء الله في الدنيا من العاصي للظالم الباغي
في نفسه وأولاده ، وشدد على ذكر الأولاد
لأن المصيبة فيهم أعظم عند المرء من مصيبتهم
بنفسه ، وضرب الأمثال للمصيبة في الأموال
والنثرات من التذكير بساعة الموت .

ومنها الترهيب بعذاب الله في الآخرة ،
فأكثر من ذكر البعث وأكده ، وأكثر من ذكر
أحوال القيامة ، وأكثر من ذكر عذاب النار ،
وصفها بأوصاف تفخلع لها قلوب المؤمنين .
وفي الترغيب أكثر من الوعد بخير الدنيا
وزيادته للساكرين ، ومن الوعد بحفظ
النعمة على الذين لا يغيرون ما بأنفسهم .
وأكثر من وصف نعيم الجنة ، وفصل
تفصيلا يرغب المعتادين على الترف ، ويؤمل
الصابرين على الشظف ، والمحرومين من خير
الدنيا ونعيمها في المآكل والمشرب والمسكن
والنساء والخدم . وهو وصف يعترض عليه
بعض الجهال والمثسكين الذين يملأ الويل
قلوبهم . أما الذين يدركون خفايا النفس
البشرية في شدة حبها للخير والنعيم ، ونقصها
من الحرمان ؛ فإنهم ليعلمون أنه وصف لازم
وضروري وفي منتهى الحكمة .

الإلزام بوازع الكفارات :

ومن الأساليب التي امتاز بها القرآن
على غيره أسلوب الكفارات الذي يفرض
به الله إلى العبد نفسه أن يعاقب نفسه تكفيرا
عن بعض الذنوب بعقوبة جسدية كالصوم
أو عقوبة مالية كريمة كإطعام المساكين
وهتق الرقاب . وفي هذا الأسلوب الفذ تربية
للضمير ، وامتحان للإيمان ، وتعميد للعبد
على محاسبة نفسه ، والاعتراف بذنبه والرضا
بحكم ربه ، كما سبق البيان في تربية الضمير .
الإلزام بوازع الرأي العام .

وهذا أيضا أسلوب عظيم جدا من الأساليب
التي امتاز بها القرآن في التربية الإسلامية .
فقد حض على الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وذك التاركين لها في آيات كثيرة تجعل
هذا الواجب من القروض العينية على كل
مسلم ومسلمة بقدر الوسع والقدرة كما يفهم
قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم
منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه
فإن لم يستطع فبقلبه) ولو اتبع المسلمون
هذه الطريقة الفذة من طرق الإلزام ، ولا سيما
في النهي عن المنكرات الأخلاقية التي لا تنالها
يد القوانين لما كانوا فيما هم عليه اليوم من
سوء الحال الذي يجعلنا قنمة للذين كفروا .
ويرتكز هذا النوع من الإلزام على ما قرناه
في الفصل الأول من غرزة حب الظهور
والرغبة في ثناء الناس ، والخوف من ذمهم
واحتقارهم . . . فتأمل حكمة القرآن في

ووازع الترهيب وحده لا يكفي عند كثير من المشككين ، أو الذين يحبون العاجلة أو الذين يستبعدون يوم القيامة ، أو الذين يفترون ويعمدون على رحمة من الله من غير تفكير في أن رحمة الله الواسعة لا تناقض عدله وحكمته البالغة .

ووازع الرأي العام وحده لا يكفي عند كثير من الفرق في بحار من الذنوب إلى آذانهم ، فلا يخافون الليل ، بعد أن جف في وجوههم ماء الحياء من الله والناس ، بل قد يصترى هذا الوازع القوي كثير من الضعف إذا حمت البلوى حتى لم يعد أحد يستطيع من أحد ، ولا أحد يستطيع أن يعير أحداً . وهو ماكدنا نكون فيه اليوم ، ونعوذ بالله من أن تنزل بنا لعنته : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتقاهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

ووازع العقوبات التي ينزلها السلطان أيضا لا يكفي وحده ، لأن كثيراً من مساوي الأخلاق لم يرد في القرآن نص على عقوبتها ، ولأن بعض الجرائم قد يخفى عن عين السلطان أو يفلت من يد العدالة من ضعف الحكومة أو فقدان الأدلة ، أو فساد القضاء .

ولكن اجتماع الوازعات كلها حول الإنسان قد يكفي هذا كثر الناس وهذا ما فعله القرآن ؟

نريد بم الجهر

عضو بجمع البحوث الإسلامية

استخراج الدواء من مكن الداء وتحويل طاقة الغرائز وإعلائها إلى الخير بنفس الأسلوب الذي اكتشفه علماء النفس والفربية بهـ عصور طويلة . . .

(صبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) .

الإلزام بوازع السلطان :

ولكن بعض الناس ، وهم القلة والحدقة ، لا ينفع معهم وازع العقل ولا وازع الضمير ، ولا وازع الترهيب والترغيب ، ولا وازع الضغط بنقمة الرأي العام في المجتمع ، فكان لابد من وازع أعظم ، وهو وازع السلطان الذي قيل إن الله يزع به أحيانا ما لا يزع بالقرآن . وهو العقوبات المختلفة التي فرضها القرآن على بعض الجرائم وفوض أمرها إلى الحكام .

اجتماع الوازعات :

وهكذا نرى أن القرآن لم يكتف بنوع واحد من الوازعات أو بنوعين كما اكتفت الشرائع والقوانين الأخرى ، ولكن جمع الوازعات كلها حول الإنسان :

فوازع العقل وحده لا يكفي عند جميع الناس لما هليت من أن الذين يكتفون به هم القلائل ، بل النوادر ، من الحكماء الذين كادت خشية الله الكاملة تكون منحصرة بهم . إنما يخشى الله من عباده العلماء ، ...

ووازع الضمير وحده لا يكفي لأن الضمائر قد تصل عند بعض المجرمين إلى حدود الموت والعدم .

تحديد الشهور القمرية

للأستاذ محمد علي السائس
"عضو المجمع"



فضيلة الأستاذ محمد علي السائس

أن تقبمه الحكومات الإسلامية حتى يرفع
الهرج والقلق من النفوس .

الفصل الأول

بين فيه آراء الأئمة الأربعة فيما يثبت به
هلال رمضان وغيره من الشهور .

وقد استعرض آراء علماء هذه المذاهب
وأكثر من القول عنهم وانتهى - أخيراً -

إلى النتائج الآتية :

صور فضيلته ما يصيب المسلمين من قلق
واضطراب من جراء اختلاف دولهم
في إثبات الأهلة ، ولا سيما هلال رمضان
وشوال وذى الحجة ، وقد دفع هذا أحد
أعضاء المجمع إلى أن يتقدم باقتراح بحث هذا
الموضوع ، وأن المجمع قد أحال عليه دراسة
هذا الموضوع ، وقد انتهى من بحثه إلى أن
هذا الأمر ليس بعزير المنال لأن علم الفلك
- الآن - مبني على حساب دقيق ، ولما اخترع
من آلات دقيقة يسهل معها رؤية الهلال ،
ولتقدم وسائل الإعلام .

وقد بنى بحثه على أربعة فصول وخاتمه ،
وهي :

١ - آراء علماء المذاهب الإسلامية فيما
يثبت به هلال رمضان وغيره من الشهور .

٢ - آراء العلماء في اختلاف المطالع ،
أ يؤثر على ثبوت الهلال أم لا ؟ .

٣ - أنواع الحساب الفلكي قديماً وحديثاً
ثم بيان ما يمكن التعويل عليه وما لا يمكن .

٤ - آراء العلماء في جواز العمل
بالحساب الفلكي .

وأما الخاتمة فلبیان الرأي المختار ، وما يجب

وأما غيرها من الشهور فلا بد من نصاب الشهادة ؛ وإذا كان ثبوت الشهر لإثبات حق من حقوق العباد فيشترط فيه كل شروط الدعوى .

مذهب المالكية : أن ثبوت هلال رمضان وشوال من قبيل الأخبار الدينية ، فلا تشترط فيها سوى العدالة واشترط أكثرهم الذكورة ، كما اشترطوا شهادة هدين ، ولا يشترط لفظ دأشهد ، وأجاز بعضهم الاكتفاء بعدل واحد ، كما أجاز بعضهم قبول شهادة النساء مع رجل .

مذهب الحنابلة : حاصله : أنه يقبل في هلال رمضان قول عدل واحد ، لافرق بين أن يكون بالسما هلة من غيم أو غيره أو كانت صحوا ، وسواء كان في المعمر أو عارجه وسواء انفرد به واحد من جماعة أو شاركته الجماعة ، وهو خبر لا شهادة ، ولا يشترط فيه لفظ الشهادة ويقبل فيه قول المرأة والعبد كسائر الأخبار .

ولا يقبل في هلال رمضان خبر مستور ولا يميز .

وأما غير رمضان من الشهور ، فلا بد من رجلين هدين بلفظ الشهادة .

الفصل الثاني في اختلاف المطالع
اختلف العلماء في إثبات الشهور القمرية ، وحاصل هذه المذاهب ما يأتي :

مذهب الحنفية : خلاصة الرأي في هذا الموضوع ما يأتي :

١ - أن الخبر الخاص برؤية الهلال من قبيل الأخبار الدينية ، فيجب وجوبا كفاثيا على من رآه أو بلغه الخبر بطريق شرعي أن يعلنه قايما بالواجب الديني .

٢ - ثبوت الأهلة كلها لا تدخل تحت الحكم قصدا ، وأن حكم القاضي بالنسبة للهلال من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو من قبيل الفتوى .

٣ - أن أي شهر هربي يثبت - شرعا - برؤية هلاله ، أو بعد الشهر السابق ثلاثين يوما .

٤ - أنه يكفي في ثبوت أي شهر خبر واحد عدل عدالة ورواية في حالي الغيم والصحو ما لم يكن تفردة مظنة الخلط أو الكذب فلا بد من عدد يحقق به غلبة الظن .

٥ - لا يشترط لفظ دأشهد ، ولا نصاب الشهادة ، ولا ما يشترط في الدعوى إلا أن يكون المقصود بالشهر حق العباد .

مذهب الشافعية : حاصل مذهبهم أن الشهور التي فيها عبادة كرمضان وشوال وذى الحجة يكتفى فيه بشهادة واحد عدل ولا تقبل شهادة المرأة والعبد ، ولا بد من لفظ دأشهد ، وأن تكون أمام قاض ينفذ حكمه ، ولا تشترط الدعوى ، لأنها شهادة حسبة .

مذهب الحنفية : ظاهر الرواية أنه لا عبرة باختلاف المطالع فإن ثبت عند أهل المغرب وجب الصوم على أهل المشرق .

وفي المذهب رأى آخر أن لاختلاف المطالع أثر في ثبوت الهلال ، وهذا الرأي هو ما اختاره الزيلعي شارح السكز .

مذهب المالكية : في هذا المذهب ثلاثة أقوال :

١ - وهو أشهرها أنه لا عبرة باختلاف المطالع قربت البلاد أو بعدت .

٢ - يعتبر اختلاف المطالع إذا ثبتت عند حاكم خاص فلا يعم الحكم إلا من كان في ولايته دون غيرها .

(٣) يعتبر اختلاف المطالع بالنسبة للبلاد البعيدة جداً كالاندلس بالنسبة إلى خراسان .
مذهب الشافعية :

إذا تقاربت البلاد فحكمها حكم بلد واحد باختلاف ، وإن تباعدت فوجهان مشهوران أحدهما لا يجب الصوم على أهل البلاد الأخرى .

مذهب الحنابلة : أساق عنهم قولاً واحداً وهو أنه لا عبرة باختلاف المطالع في ثبوت هلال رمضان وسكت عن غيره من الشهور
مذهبه الشيعة الإمامية والزيدية :

وقد اختلفوا فمنهم من اعتبر اختلاف المطالع سبباً لاختلاف الأحكام ومنهم من عمم ، واعتبر ثبوت الهلال في بلد حكماً عاماً في جميع البلدان وهذا ما استظهره الشوكاني .

وانتهى فضيلة الاستاذ إلى استظهار أنه لا عبرة باختلاف المطالع وأخذ يناقش أدلة المخالفين ويفندها ، وأهم ما تعرض له بيان أنه لا صعوبة على الأمم الإسلامية أن تأخذ بهذا المبدأ ، وأن وسائل الإعلام الحديثة يسرت الأمر على الناس .

ولو فرض أن الهلال رؤى بمواكش - وهي آخر الحكومات الإسلامية غرباً - وأبلغت هذا النبأ بعد المغرب عندها إلى أقصى البلاد الإسلامية شرقاً - وهي الفلبين وأندونيسا ، فإنهم يستطيعون أن يأخذوا أهبيتهم للصيام من سحور وعقدنية ؟ لأن هذا النبأ يصلهم - كما يقول فضيلته - قبل شروق الشمس بثلاث ساعات أعنى قبل بزوغ الفجر بـ ١٠ إلى ساعة ونصف الساعة ، وهذا وقت كاف للسحور وعقدنية .

الفصل الثالث

في طرق إثبات القمر بالحساب الفلكي
استعرض - فضيلته - طارق الفلكيين - قديماً وحديثاً - في إثبات الشهور القمرية وهي ترجع إلى طريقتين :

الأولى : تعتمد على الوضع الاجتماعي للشمس والقمر ، فإن القمر والشمس مجتمعان كل شهر مرة ، وهؤلاء يعتبرون مبدأ الشهر من حين الاجتماع سواء كان الاجتماع ليلاً أو نهاراً ، وهذه الطريقة ألغاها الإسلام .

الثانية : أن يجبر الكسركلما زاد عن نصف

وانتهى فضيلته إلى القول : بأنه لا مناص لنا من الاعتماد على الحساب الفلكي ، إن لم يكن لإثبات الشهر بآدى ذى بدء فلا إثبات إن رؤية الهلال ممكنة أو غير ممكنة لتقبل الشهادة أو ترد .

الخاتمة في مخرصة البحوث

وبيان أيسر السبل لإثبات الأهلة تبين من كل ما تقدم في هذا البحث أن الراجح ما يأتي :

أولا : أن لإثبات الشهور في حد ذاته من غير نظر إلى ما يتعلق به من حقوق العباد من باب الإخبار لا من باب الشهادة وأنه لا يدخل تحت الحكم والقضاء فلا تلزم فيه شروط للشهادة ويستوى في الخبر أن يكون ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا ولا يشترط مجلس الحكم ولا تقدم الدعوى ولا قضاء قاض ولا أمر حاكم ولا لفظ (أشهد) ويمكن أن يكون الخبر مستورا غير ظاهر الفسق .

ثانيا : أن الشهور جميعا سواء في حالة الصحو أو الغيم يمكن في إثباتها خبر الواحد متى غلب على الظن صدقه ولم يكذب الحساب الموثوق به القاضى باستحالة الرؤية وأنه لا تشترط الاستفاضة ولا العدد الجم

يوم فيصير المحرم ثلاثين وصفر تسعة وعشرين ، وربيع الأول ثلاثين ، والثاني تسعة وعشرين وهكذا . وفي السنة الكبيسة يجعل ذو الحجة ثلاثين يوما .

ونقل فضيلته عن السبكي : أن علم الهيئة يقتضى لجبر الكسر أن تكون الأشهر الناقصة ستة والكاملة مثلها وتارة مثلها وتارة تكون الناقصة خمسة والكاملة سبعة ، وليس في الشرع ما يرد ذلك .

وانتهى فضيلته إلى أن الوضع الهلالى لا يسبق الوضع الاجتماعى .

الفصل الرابع

في بيان آراء العلماء في الاعتماد على الحساب استعرض آراء الفقهاء في هذه المسألة ، وبين أن المسألة محل أخذ ورد وفيها مجال للاجتهاد ، فليست من المسائل المجمع عليها . ثم بعد ذلك ختم هذا الفصل من البحث بما حاصله أنه لا غضاضة من صحة الاعتماد على الحساب الموثوق بصحته ثم رد على ما تعلق به البعض من قوله صلى الله عليه وسلم : من أتى كاهنا أو منجما فقد كفر بما أنزل على

محمد ، وبين أن هذا في علم النجوم الاستدلالي المبني على التخرصات والتكهنات ، وهو ما يستدل بمطالع النجوم على الحوادث المعينة كوت إنسان أو رخاء أو غلاء أو غير ذلك .

بعد الاجتماع قبل الشمس أو معها فيكون أول الشهر الليلة التالية لليلة الواقعة بعد الاجتماع وقد يتقدم أول الشهر بالحساب الفلكي الاجتماعى على أدلة بالحساب الفلكي الشرعى المبني على إمكان رؤية الهلال بيوم في الأكثر أو بيومين في الأقل .

ويلزم على الأخذ بهذه التقاويم أن تتغير أوقات العبادات عما حدده لها الشارع وبالتالي يلزم إحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فقد حرم الله صوم أيام العيدين وأيام الفطر وأحل الفطر في شعبان كما يلزم عليه أن يكون الوقوف بعرفة في غير التاسع وأن تذبح الأضاحى قبل وقتها .

خامسا : أن الحساب الفلكي الشرعى المبني على الوضع الهلالى وإمكان رؤيته بعد غروب يوم ٢٩ من الشهر السابق بحساب الرؤية يصلح مناطا مستقلا لإثبات الشهر كما اختاره طائفة من العلماء لإثبات من ذكرنا كلسبكي وابن سريج وابن مقاتل وغيرهم ووجه الشيخ بخيت المطيعي ، وأن ذلك لا يتنافى مع أحاديث إثبات الشهور بالرؤية أو الإكمال بقاء على أن المراد العلم بالرؤية لا حقيقتها ، بدليل وجوب الصوم على الأعشى والمحبوس في المظمورة وسكان القطبين والبلاذ التي في حكمها وهم محرمون من الرؤية حتما ويدل على ذلك أيضا ما جاء في بعض روايات

إلا عند مظنة الغلط أو الخطأ أو رجحان تهمة الكذب .

ثالثا : أنه لا عبرة باختلاف المطالع فإذا ثبت الشهر في أية حكومة إسلامية ونقل هذا الثبوت إلى سائر البلاد الإسلامية بطريق موثوق به فإنه يعم حكمه الجميع ما داموا مشتركين مع بلد الرؤية في جزء ولو يسير من ليلة الرؤيا .

رابعا : أنه لا يصح التعويل في إثبات الشهور على قواعد الفلكيين القدماء فيما قبل عصر النهضة الإسلامية في العصر العباسي لأنها قواعد تقريبية ظنية غير متيقنة ولا منضبطة كما لا يصح التعويل على الجداول الفلكية التي تجعل بعض الشهور ثلاثين يوما أبدا وبعضها ٢٩ يوما أبدا فقد تبين خطأها وأنه قد تتوالى أشهر كلها ثلاثين وأشهر كلها تسع وعشرون .

كما ثبت أن الحساب الفلكي المعمول به الآن في التقاويم الرسمية وغيرها لا يتفق مع الحساب الشرعى الذى يعتمد على القطع بالرؤية أو إمكانها على الأقل لأن التقاويم الحالية تعتمد في تعيين أوائل الشهور على اجتماع الشمس والقمر فيجعلون أول ليلة يغرب فيها القمر بعد غروب الشمس هي أول الشهر ولو استحالت الرؤية . ومن المقرر أنه قد يتفق الحسابان وذلك فيما إذا غرب القمر

الروايتين بل نحن نزلها على حالين مختلفين
فذلكون عاملين بهما .

سادسا : يجب وجوباً كفاً كما قلنا أن

يسكون في كل حكومة إسلامية هيئة شرعية

لإثبات الشهور العربية بوجود الإثبات

المعتبرة شرعاً مع مراعاة الاتصال بالمرصد

والفلكيين العدول الموثوق بهم في دينهم

وعلهم ليتحققوا من جواز الرؤية أو

استصحابها حتى لا يقعوا في الخطأ ويثبتوا

الشهر قبل موعده كما حصل في بعض السنين

من قاضي الرؤية المنفرد بهذا الإثبات وترتب

عليه صيام المسلمين يوماً من شعبان وفطرم

يومين من رمضان .

سابعاً : ليتحقق الأمل المنشود وهو

توحيد أوائل الشهور العربية في جميع البلاد

الإسلامية يجب أن ينبه ناشرو التقاويم

الرسمية وغيرها إلى أنه يلزمهم أن يبنوا تحديد

أوائل الشهور القمرية على الوضع الهلالي

الحقيقي فيكون أول الشهر هو أول ليلة

يمكن أن يرى فيها الهلال بعد الاجتماع وأن

يراعى خط عرض مراکش وهو ١٥ درجة

(غرب جرينتش) لتسكون تقاويمهم هلالية

شرعية عالمية مساندة ومنظمة لعملية الرؤية

في جميع الحكومات الإسلامية .

والله الموفق للصواب ؟

محمّد علي العايسى

عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم فإن غم

عليكم فاقدروا له ، فقد فسر من يرى من العلماء

الأخذ بالحساب القطعي قوله صلى الله عليه

وسلم : فاقدروا له بمعنى فانظروا وتنبهوا فيه

من قولهم : قدرت الأمر نظرت فيه وتدبرته

وذلك بالحساب هند من خصهم الله بهذا العلم

قال السبكي : والبحث في الحديث في موضعين :

أحدهما قوله : فاقدروا له ، قال بعض من

يقول باعتقاد الحساب : معناه أحسبوا له

أ ه ، ويكون معناه قدروه بالحساب والمنازل

كما قال تعالى : وقدروه منازل لتعلموا عدد

السنين والحساب ، قاله مطرف بن هبادة من

التابعين وابن قتيبة من المحدثين وابن سريج

من الشافعية وابن مقاتل من أصحاب محمد

ابن الحسن وطائفة من المتأخرين قالوا : ولا

يلزمنا مقال (المازري) من أن الناس لو كلفوا

بالحساب ضاق عليهم لأنه لا يعرف إلا أفراد

قلائل لأنه إنما يلزم ذلك لو كلف عامة الناس

بالحساب ولم يقل بذلك أحد بل الذي قلناه

أن قوله صلى الله عليه وسلم : فاقدروا له ،

بالمعنى الذي اخترناه خطاب لمن خصه الله

بهذا العلم . وقوله : فأكلوا العدة ثلاثين

يوماً كما في الرواية الأخرى خطاب للعامة .

فالذين خصهم الله بهذا العلم يسكون نظرم

بالطريق المقصود لهم وهو طريق الحساب

ويكون نظر العامة الذين لا يعرفون الحساب

أولاً يقلدون من يعرفه بالطريق المتيسر لهم

وهو الرؤية أو إكمال العدة فلا تنافي بين

توصيات الفترة الأولى

لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث

٣ - تهيئة أسباب هذا التقويم الفردي ، والاجتماعي ، والسياسي ، وفي مقدمة تلك الأسباب إحياء التراث الإسلامي والتعريف الصحيح بالإسلام عقيدة وشريعة ، وعلى مختلف مستويات التلقين والتعليم والتثقيف .

٤ - يطلب المؤتمر إلى مجمع البحوث الإسلامية العمل على تكوين هيئة دائمة تعمل مسئولية التعريف بالإسلام وتوجيه الأبراج الدراسية والثقافية الوجهة الإسلامية الصحيحة .

٥ - كما يطلب إليه العمل على إنشاء صندوق يسهم المسلمون كافة في تمويله للإقفاق منه على التعريف بالإسلام ونشر الثقافة الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي وإنشاء المراكز الإسلامية وما إليها .

٦ - ويطلب إليه أيضاً العمل على وضع موسوعة مفسرة الأحاديث النبوية تتولى تحقيقها لجنة خاصة حتى يكون رجوع الناس إلى المصدر الثاني في الإسلام أمراً مأموناً وميسراً .

٧ - العمل على تطهير المجتمعات الإسلامية من الغزو الفكري والأخلاق وإرشادها إلى كمال التعامل الإسلامية وصلاحها لحل مشكلات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتوجيهها نحو جمال الأخلاق الإسلامية

بتوفيق من الله تعالى اختتم مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية المرحلة الأولى من دورته الثالثة التي بدأت ظهر يوم الجمعة الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٠ من سبتمبر ١٩٦٦ بتلك التوصيات :

١ - تنبيه المسلمين في جميع أقطار الأرض إلى أن العمل الجهدى الدائب على إنقاذ فلسطين من أيدي الصهيونيين الباغين الغاصبين هو فرض في حق كل مسلم ومسلمة وتحذيرهم من فتنة المروق من الإسلام بالتعاون مع الصهيونيين الغاصبين الذين أخرجوا العرب والمسلمين من ديارهم ، أو التعاون مع الذين ظاهروا على إخراجهم ، وتوكيدهم تفرق في المؤتمر الثاني من دعوة الدول الإسلامية التي اعترفت بإسرائيل إلى سحب اعترافها .

٢ - أن تتضافر جهود المسلمين ، حكومات وأفراداً ، على توجيه حياتهم العامة والخاصة وجهة إسلامية سليمة على أساس متين من تعاليم الدين الحنيف في نظم الحكم والإدارة والقضاء ، حتى يصلح المواطن المسلم ، وحتى يتحقق بصلاح الأفراد ذلك المجتمع الإسلامي الكريم المؤمن بربه ، والمعتز بدينه وقادراً على الوقوف في وجه تيارات الإلحاد والغزو الفكري والأخلاق .

- الأصلية - ووضع سلسلة كتب مبسطة في هذا السبيل وترجمتها إلى اللغات الحية الكبرى .
- ٨ - توكيد توصية الدول الإسلامية بتعليم اللغة العربية لغة القرآن في مدارسها لتيسير مشاركة غير العرب من المسلمين في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية .
- ٩ - يناشد المؤتمر السلطات ذات الاختصاص في مختلف الدول الإسلامية أن تعمل على ترقية تشريعاتها ونظمها من كل ما يخالف حكم الإسلام ، وأن ترد هذه التشريعات والنظم إلى كتاب الله وسنة رسوله مستعينة بكل مستحدث صالح من فكر أو حكم لا يعارض أصلا من أصول الدين .
- واقه ولى التوفيق ، وعلى الله قصد السبيل ؟

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

- بسم الله الرحمن الرحيم يصدر المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية - في فترة الثانية ، بعد دراسة الموضوعات التي عرضت عليه - القرارات والتوصيات الآتية :
- في السنة النبوية :
- ١ - يعلن المؤتمر للعالم الإسلامي حجية السفة وأنها المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد كتاب الله عز وجل :
- ويوصي المسلمين بالتمسك بها والعمل بمقتضاها في التربية والمعاملة والسلوك، منوها بما كان لها إلى جانب القرآن الكريم من الأثر البالغ في تكوين الفكر الإسلامي ، وبناء الحضارة الإنسانية ، وصيانة المجتمع من عوامل القلق والانحلال .
- ٢ - والمؤتمر إذ يكبر الجهود العظيمة التي بذلها العلماء في تدوين الحديث والتحرى في روايته يلفت نظر الشباب والنخبة المثقفة إلى المنهج القويم لعلماء الحديث ، وثبتهم في جمعه وتقدمه ، بما لا مثيل له عند أمة من الأمم الأخرى ، الأمر الذي ظهرت نتائجه في أساليب الفقه والتأويل والأدبي والاجتماعي ومن ثم فإن هذا التراث العظيم ، تراث السنة حوى بأن يكون مصدر نور وهداية ، ومبعث غار واعتزاز لأمتنا الإسلامية .
- ٣ - يطلب المؤتمر إلى مجمع البحوث الإسلامية أن يعمل على جمع الأحاديث التي قد يظن أن ظاهرها غير مراد ، وعلى تحقيقها وذلك عن طريق البحث في أسانيدنا والنظر في متونها ، وفق ما وضعه علماء الحديث لذلك من أسس وموازن كفيلة بتوضيح درجتها ثم يعمل على شرحها .
- في التأمين والمعاملات المصرفية :
- ١ - يقرر المؤتمر فيما يتعلق بمختلف أنواع التأمين لدى الشركات أن يستمر المجمع

كان أو أنثى ، إذ لم تتمكن التهمة في إخباره
لصحب من الأسباب ومن هذه الأسباب
مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به الصادر
بمن يوثق به .

(ح) خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ،
أما إلزام السكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت
الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية
للنظر في ذلك .

(د) يعتمد على الحساب في إثبات دخول
الشهر إذا لم تتمحقق الرؤية ولم يتيسر الوصول
إلى إتمام الشهر السابق ثلاثين يوماً .

٢ - يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف
المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة
في جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون
اختلاف المطالع معتبراً بين الأقاليم التي
لا تشترك في جزء من هذه الليلة .

٣ - يجب المؤتمر بالصعوب والحكومات
الإسلامية أن يكون في كل إقليم إسلامي هيئة
إسلامية يناط بها إثبات الشهور القمرية مع
مراعاة اتصال بعضها ببعض ، والاتصال
بالمراصد والفلكيين الموثوق بهم .

في الذبائح والهدى :

١ - يعلن المؤتمر أن الذبائح من هدى
وغيره في موسم الحج شريعة من الشعائر
الإسلامية وعبادة دينية لها أهدافها الاجتماعية
ولا يجوز لمن يكون قادراً عليها أن يستبدل
بها غيرها من القربات ، أما غير الواجد فإنها

في استكمال دراسته للعناصر المالية
والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة، وأن يستمر
في الوقوف على آراء علماء المسلمين في الأقطار
الإسلامية بالقدر المستطاع ، حتى يتنبأ استنباط
أحكام كل نوع من أنواع هذا التأمين .

أما التأمين لتعاوني والاجتماعي - وما يتدرج
تحتها من التأمين الصحي ضد العجز والبطالة
والشيخوخة وإصابات العمل وما إليها - فقد
قرر المؤتمر الثاني جوازه .

٢ - يقرر المؤتمر أن (الكيمبيالات)
الخارجية، قد تبين بعد الدراسة، أنها في واقعها
لا تخرج في حكمها عن الحكم في (الكيمبيالات)
الداخلية من جوازاها شرعاً، هذا ما قد يكون
فيها من الريا فإنه محرم شرعاً، وعدا ما يتصل
بها من التأمين الذي لم يسقط حكمه بعد .

٣ - يطلب المؤتمر إلى المجمع مواصلة
دراسة البديل المصري للإسلامي ، وطريقة
تنفيذه مستعيناً في ذلك بآراء رجال الاقتصاد .

في تحديد أوائل الشهور القمرية :

١ - يقرر المؤتمر ما يلي :

(أ) أن الرؤية هي الأصل في معرفة دخول
أى شهر قمرى كأيدي عليه الحديث الشريف .
فالرؤية هي الأساس ، لكن لا يعتمد عليها
إذا تمكنت فيها التهم تمسكنا قوياً .

(ب) يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر
والاستفاضة ، كما يكون بخبر الواحد ذكراً

غير واجبة عليه ، والواجب عليه هو ما أحله الله عليها من الصوم .

٢ - يهيب المؤتمر بجماعة المسلمين في كل الأقطار شعوبا وحكومات أن يتعاونوا على دفع المضار التي قد تكون في موسم الحج بسبب هذه الذبائح ، وعلى أن تأتي بشمراها ومنافعها التي أرادها الشارع ، وأن يتخذوا السبل المؤدية إلى ذلك .

في الاجتماع والاقتصاد :

١ - يقرر المؤتمر :

(أ) بما أن الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ، تحدد الحقوق والواجبات فإنه من الخير للإنسانية أن تنفذ كل نظمه التي جاء بها القرآن والسنة في المعاملات بكل شعبها وفي الزواجر الاجتماعية ، فإنها تحمي الفضيلة وتدفع الفساد والشر .

(ب) أن الإسلام لا يفرق بين الناس بالألوان أو الاجناس أو الأقاليم ، وأنهم جميعا سواء في أصل الحقوق والواجبات .

(ج) ويقرر: أن العلاقات الدولية يجب أن تقوم على أساس العدالة واحترام الكرامة الإنسانية ، والوفاء بالمعاهدات العادلة ، وبطلان كل اتفاق يقوم على ظلم الضعفاء .

(د) ويقرر وجوب التعاون العادل بين الناس في الانتفاع بمخبرات الأرض ، بحيث يسهل على أهل كل إقليم الانتفاع بفائض ما ينتج غيره من غلات الأرض ومعادنها ،

وما تنتجه مصانعها من غير غبن لأحد .

(هـ) يقرر الإسلام العدالة الاجتماعية التي تقوم على العمل المنتج وتهيئة الفرص المتكافئة ، ليتمكن كل من أن يعمل بما تنسج له طاقته ، وأن كل عامل ينال ثمرة عمله ، وأن العمل عباده ، وأن الناس إذا تفاوتوا بالثنى والفقرة فإنه لا طبقية في الإسلام بالنسبة لأصل الحقوق والواجبات ، والمساواة فيها مساواة كاملة .

(و) إن تعاليم الإسلام قد اشتملت على أحكام في تنظيم الجانب الاقتصادي يتألف من مجموعها نظام اقتصادي متكامل ، يمتاز عن النظم الاقتصادية الأخرى ، ويحمي الإنسانية من مساوئها .

ويرى المؤتمر أن الأخذ ببلوغ الكفاية الإنتاجية . وتحقيق العدالة الاجتماعية ، مع التصك الكامل بالمنهج الديني ، والقيم الروحية هو تطبيق سليم في هذا العصر لتوجيهات الاقتصاد الإسلامي وأحكامه الاجتماعية .

٢ - يطلب المؤتمر إلى المجمع أن يعنى عناية تامة بالتراث الإسلامى وبالوثائق والعهود التي اشتملت على التوجيهات الرشيدة ، فيجمع ما تفرق من نصوصها ليفتح بها الدارسون والطلاب ، كما يوصى بأن تترجم هذه النصوص وما يتصل بها إلى مختلف لغات الأمم الإسلامية وبعض اللغات الحية .

والله ولى التوفيق ؟

مع العلماء الوافدين

للاستاذ سعد عبد المقصود خلاص

العراق :

ولقد كان أول لقاء لنا مع فضيلة الشيخ عبد الله الشخيلي من علماء السنة في العراق الشقيق واستطلعنا رأى فضيلته في انطباعاته عن الأزهر والمؤتمر والبحوث :

وأجاب فضيلته في شيء من الثقة قال : لقد أوضحت في السكلمة التي ألقيتها في المؤتمر أن المسلمين في جميع البقاع يعلقون أكبر الآمال على الأزهر وعلى مؤتمره لاسيما وأنه يضم النخبة المعتمدة من أئمة الفقه من مختلف المذاهب وذوى الرأى والعلماء المتخصصين في مجالات الفكر ولقد اتسمت مناقشاته بالتسامح من أجل الوصول إلى الحقيقة أما البحوث فقيمة مفيدة وكلها بما يتصل بحياة المسلمين والنهوض بهم وأخص بالذكر البحوث الآتية :

- ١ — مكانة السنة من الاستدلال : لفضيلة الشيخ على الحنيف
- ٢ — المجتمع الإسلامى في ظل الإسلام لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة
- ٣ — وثيقتان من الأدب الإسلامى للأستاذ محمد خلف الله أحد

كان اللقاء مشمرا ومؤثرا ومثيرا في الوقت نفسه ، مشمرا بما أحرز من نتائج وما أقيما من أهداف وغايات ، ومؤثرا بكل همانى الود والقساح والإخاء والوفاء، ومثيرا كل مفاهيم الحق والخير والجمال كان لقاء في قلب كل مسلم وروحه ، وهنا ما نثلا في صميمه وبين حناياه ، لقد أدرك العلماء حقيقة دورهم ومعنى وجودهم ، وما يتطلبه منهم مستقبل دينهم فكانوا على مستوى العمل لبنات صالحة وجنودا مخلصين أرقوا - في الله - أهينهم ، وذوبوا مساهم وصباحهم من أجل أن تنبت السكلمة الفاشمة وتستوى فكرة فيها حيوية الدفع ، ووعى المرحلة ، وهمة القادة الرواد .

ولذلك لانهجب إذا وجدنا العالم بأسره يشده جو المؤتمر وتهزه روعة اللقاء الكبير فتطلع إليه في دهشة وأهمية بالغتين ، ووجدنا ستمائة مليون من المسلمين في بقاع الأرض كلهم عين تنظر وتتطلع بشوق إلى مؤتمر علمائهم وما يسفر عنه من توصيات وقرارات ويرون فيها شحنة من الأمل موجبة وزادا من الخير زاخرا وعظيما .

في كلية اللغة العربية عام ١٩٥٦ وهو رئيس حزب نصر الله ومدير القسم العربي بوزارة الاستعلامات الصومالية وقد مثل الصومال في المؤتمرات الثلاثة لمجمع البحوث الإسلامية .

قابلنا سيادته بالترحيب الآخرى واجهن له إقامة حافلة بالهجة والأمل وسألناه عن رأيه في الأزهر والمؤتمر والبحوث وعن الآمال التي يعلقها الشعب الصومالي المسلم على هذا المؤتمر .

وابتسم في تفاؤل وأجاب : الأزهر أمل المسلمين والحصن الأمين للتعالم الإسلامية واللغة العربية ، ولي شرف التخرج فيه سنة ١٩٥٦ من كلية اللغة العربية ، أما البحوث فقد أخرجني الظروف عن الاستماع إليها ... ولكن الذي أود أن أؤكدته هو أن الشعب الصومالي يعلق آملا كبيرة على الأزهر وعلى المؤتمر ثم طلب أن يخصص المسئولون في الأزهر المنح الدراسية السنوية لأبناء الأوجادين ، من المنطقة المحتلة في الصومال من الحبشه - باسم حزب نصر الله الصومالي وأن يزيدوا عدد المعاهد الأزهرية في الصومال إلى جانب مهادي ، مقديشو ، وبرعو ليواجهوا بذلك الحركات المعادية للإسلام .

وسألت سيادته : بمناسبة الحركات المعادية للإسلام - ما رأيكم في الحركات التبشيرية

وأعني أن تبحث ، في العام القادم ، المعاملات المصرفية والتأمين والبنوك لأن المسلمين في أمس الحاجة إليها .

وسألت فضيلته أيضا عن رأيه في التقارب بين المذاهب الإسلامية جمعاء للكلمة وتوحيد الرأي .

وأجاب فضيلته : إذا كان المقصود من التقارب بين المذاهب أن يتغلب أحدها على الآخر أو على بقية المذاهب فذلك أمر لا يمكن تحقيقه لأن المذاهب قامت على النظر والاجتهاد وليس بالمستطاع جمع المسلمين على رأي واحد في جميع الأمور أما إذا أريد التعايش السلي على أساس من الاحترام المتبادل وأن لا يؤثر اختلافهم في الفهم والنظر والاجتهاد على علاقات الود والإخاء فذلك ممكن التحقيق إذا حسنت النيات وخلصت الأوهام بل هو واجب ينبغي أن تتضافر الجهود للوصول إليه ، وفي اعتقادي أن المسلمين إذا تركوا التعصب الأعشى للمذاهب وتمسكوا بأصول الإسلام الأساسية فإنهم سوف يصلون إلى هذا الهدف النبيل .

الصومال :

كان لقائنا مع الصومال البلد الإسلامي العظيم مثلا في السيد الأستاذ إبراهيم حاشي محمود ... والاحتاذ إبراهيم أزهرى تخرج

موريتانيا :

وقد مثلها في المؤتمرات الثلاث للجمع
فضيلة الشيخ محمد سالم عبد الودود الأستاذ
بالمعهد الإسلامي العالي «بتلميد» سابقا ورئيس
المحاكم الابتدائية للأحوال الشخصية ،

وسألنا فضيلته : متى استقلت الجمهورية
الإسلامية الموريتانية ومتى سميت بهذا الاسم ؟
وما اسمها الأول ؟ وما اللغة الرسمية لها ؟

وبهده أجاب : استقلت استقلالاً
داخلياً في نطاق مجموعة الدول الناطقة باللغة
الفرنسية ، وتسمت بهذا الاسم سنة ١٩٥٨
ونالت سيادتها التامة سنة ١٩٦٠ وكان اسمها
الأول « شنقيط » ، باسم أقدم مدن البلاد
وفي عهد الاحتلال سميت باسم مستعمرة
موريتانيا ، وفي يوم الاستقلال سميت باسم
الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، وجميع
المواطنين مسلمون وفي كل حي من أحياء
المدن والقرى مسجد ، والمساجد كثيرة
وتعتبر في الوقت نفسه دور العلم الإسلامي .
أما اللغة الفرنسية فلا تزال اللغة الرسمية وقد
بدأت الدولة في تعليم اللغة العربية بالتدريج .

وعدت أسأل فضيلته عن دراساته والمعهد
الذي تخرج فيه ، وما انطباعاته من الأزهر
والمؤتمر والبحوث وانطباعات الشعب
الموريتاني .

الرامية إلى نشر المسيحية في إفريقيا . .
وهل حققت هذه الحركات أغراضها . . وما
هي وسائلها في ذلك ؟

فأجاب بأن الحركات التبشيرية في إفريقيا
جرثومة خبيثة تستهدف عرقلة انطلاق الإسلام
وزحفه في القارة السمراء وهي رائدة الاستعمار
العالمي في كل بلد حل فيه تحت ستار ديني .
ولقد وكر التبشير جهوده في إفريقيا لأن
معظم سكانها من السود لم يكن لهم دين
سموي أو حضارة موروثة فأرادوا تهويلهم
إلى المسيحية بإمكانياتهم الهائلة ووسائل
الإغراء .

أما الوسائل التي يستخدمها التبشير فهي
إنشاء المستشفيات والمدارس التي يكون لها
في الغالب أقسام داخلية وإرسال خريجي هذه
المدارس إلى البلاد الاستعمارية ليكملوا
تعليمهم هناك . ثم بعد ذلك يتولى هؤلاء
الحريجون أمر البلاد أنصاراً للاستعمار .

ولكن المبشرين لم يحققوا أغراضهم
لأن الصومال ولا في إفريقيا إلا في النذر اليسير
ولم تتأثر الدهوة الإسلامية به بل سارت وما
زال تسير في طريقها المقدس ، واقترح لمقاومة
هذه الحركات التبشيرية ونشر الإسلام افتتاح
مدارس ومعاهد تابعة للأزهر في مختلف
البلدان وتوسيع نشاط جمع البحوث الإسلامية
بحيث يرسل دعاة متخصصين إلى جميع البلاد
الإفريقية .

فهل ترون أن العصابات اليهودية امتداد للحرب الصليبية؟ ثم إننا نقرأ في التاريخ أن الأندلس لم تضع من أيدينا إلا عندما تخاذلت الكلمة المسلمة وذهب ربح المسلمين بالتفرق والتباغض فهل يمكن أن نطبق هذه الظاهرة علينا اليوم؟ بمعنى أنه لو اتفقت كلمة العرب والمسلمين ستعود فلسطين إلى شعبها وسيعود إليها شعبها.

وابتدا فضيلته في الحديث ليجيب: لاشك أن العصابات اليهودية امتداد للحركات الصليبية فلم يكن الهدف الحقيقي وراء هذه المؤامرات الاستعمارية الصهيونية هو فقط إقامة جسر للاحتعمار في قلب الوطن العربي بل كان الهدف هو مواصلة الحروب الصليبية الحاقدة إلى غايتها من توهين للعقيدة الإسلامية وملاحقة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وقد جاء في مقال نشره المستشرق الفرنسي د. هانوتو، مستشار الخارجية الفرنسية بمعد احتلال فرنسا للجزائر وتونس قوله: «إن أهداف الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر تركزت في احتراد بيت المقدس من المسلمين».

وعندما دخل الجنرال د. هورت، مدينة دمشق في الحرب العالمية الأولى توجه توجاً إلى قبر البطل الناصر صلاح الدين، ووقف

وقال: «دراساتي إسلامية عربية بحثت، أما المعهد الذي تخرجت فيه فهو - واقع - أبيض». واستأنف قائلاً: أما الشعب الموريتاني فبرى في الأثر الحافظ الأيمن على التراث الإسلامي والعربي، ويرى في مؤتمرات التجمع أنجح وسيلة لحل مشكلات المسلمين وإحياء الصلات بينهم وتوحيد صفوفهم، وأطالب الأثر بمزيد من توجيه البعثات والمؤلفات وقبول الطلاب الواقفين من «موريتانيا»، وتخفيف شروط قبولهم حتى يمكن بناء دولتنا على أساس عربي.

أما في رأي فقد نجح المؤتمر أبعد حدود النجاح، وأرجو أن يبحث في الدورة القادمة الاستغناء بالتشريع الإسلامي عن التشريع المستورد. هذا إلى جانب البحوث كلها المفيدة والحامة مثل ذبائح غير المسلمين بها في البلاد غير الإسلامية - والاستغناء بالوسائل العصرية في الذبح عن الزكاة. إلى جانب المعاملات المصرفية والتأمين.

وشكركم لسيادته هذا اللقاء الطيب المشوق وتمنياته وفادة كريمة وإقامة هنيئة.

غزة:

قابلسا من الذين مثلوها في المؤتمر فضيلة الشيخ محمد حسن عواد عضو المحكمة الشرعية ورئيس تحرير مجلة (نور اليقين). قلت لفضيلته: فلسطين قبل المسلمين الأولى

وتقدمه ، وواجب العلماء تشكيل لجان في بلادهم وتوضع لهذه اللجان خطة موحدة مستوحاة من مقررات مجمع البحوث لقصد مجابهة الدعاية الصهيونية ، وعليهم إصدار المنشورات وأن يغرسوا في قلوب الشباب المسلم كله أن فلسطين قبل أن تكون عربية فهي مسلمة ، قبله الإسلام الأولى ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكونوا من هذه القلوب طلائع غازية تجابه معارك الدعاية وترى بالصهيونية في مياه البحر المتوسط . وودعت فضيلته شاكرًا له هذه الخماصة وتلك الغيرة الوطنية والإسلامية المتقدمة ، وتمنيت لجميع الصفوف والنقاء الكلمة ووحدة الهدف والصف ، لتعود فلسطين السليمة .

روسيا :

وقابلنا بعد ذلك الشيخ ضياء الدين باباخان مفتي المسلمين في الاتحاد السوفيتي . فسألت سماحته : ما هي النظم الاجتماعية التي تحكم المسلمين في روسيا ؟ وأجاب سيادته : لا يوجد هناك نظام اجتماعي خاص بالمسلمين وحدهم بل الجميع أمام القانون سواء ، ولكن المسلمين وأهل الديانات الأخرى لهم أن يتبعوا عاداتهم وتقاليدهم الخاصة في الزواج والطلاق وغيرها من المراسم الدينية .

أمام جثمانه وأخذ ينفث من حقهده الأسود قائلا : د ما نحن قد عدنا يا صلاح الدين ، . أما الجنرال الإنجليزي اللورد د الفبي ، فقد كان مزموأ ومتفائلا حينما وقف على مشارف القدس وهو في الطريق إليها وأدلى بتصريح يقول فيه : د اليوم انتهت الحروب الصليبية ، .

وإذا كانت الأندلس قد ضاعت لتفرق الصفوف وتخاذل الكلمة كما ضاعت فلسطين فبفضل توحيد الكلمة والنحام الصفوف ستعود يا ذن الله فلسطين إلى أصحابها ولنصرن الله من ينصره .

● وعدت أسأل فضيلته : هل ترون فضيلتكم أن المؤتمرات الثلاثة للجمع قد اهتمت بقضية فلسطين ، وما هي مقترحاتكم كفلسطيني لتخليصها من أيدي العصابات الصهيونية الآثمة ؟ .

● فأجاب : لقد حققت المؤتمرات الثلاثة نجاحا طيبا وأعطت فلسطين قدرا كبيرا من اهتمامها وأوصت بتخليص فلسطين من العصابات اليهودية .

● أما تحرير فلسطين فله سبيل واحد هو وحدة العرب والسلاح وتصفية القواعد والجيوب الاستعمارية والرجعية وواجب المسلمين أن يعبثوا جهودهم لدفع الخطر الصهيوني الزاحف فهو زحف ضد الإسلام

الإكثار من تبادل البعثات العلمية والروحية وإرسال الكتب الدينية والمدرسية ، وإذا كان من الممكن ترجمة الكتب الدينية إلى اللغة الروسية أو التركية التي هي لغة أكثر مواطني آسيا يكون ذلك حسنا والانتفاع بها أعم . أما البحوث ففريدة كلها وهامة لآسيا والبحوث التي تتابع القضايا الجديدة وإيضاح رأى الإسلام فيها مثل توحيد أوائل الشهور القمرية ومكانة السنة من الاستدلال ، وتربية الشباب في الإسلام ونرجو أن يبحث عمل المصانف في الإسلام والبنوك والتأمين .

عمان :

● وكان لقائنا بفضيلة الشيخ سليمان بن حمير القهباني رئيس وفد عمان في المؤتمر .

● وبعد أن رحبنا بفضيلته في القاهرة سألته عن آخر تطورات قضية عمان فقال : إن شعب عمان مصمم على نيل حريته واستقلاله مهما كلفه ذلك حتى يتحقق النصر ويخرج آخر جندي بريطاني من أرض الوطن خصوصا بعد أن أعلنت الأمم المتحدة قرارها الأخير في العام الماضي بمطالبة بريطانيا بالانسحاب فوراً من عمان وإعطاء أهلها كافة حقوقهم الشرعية .

● وسألت فضيلته عن رأيه في البحوث فأجاب : كلها مفيدة ومثمرة نرجو العمل على تحقيقها تحقيقاً عملياً بالفعل لا بالقول .

● ثم سألت فضيلته ثانياً : متى دخل الإسلام القسم الآسيوي من الاتحاد السوفيتي هل وجه التحديد ؟ وهل التراث الإسلامي هناك لا يزال موجوداً ؟ وهل تحتفلون بالاعياد الإسلامية ؟

قال سيادته : دخل الإسلام هذا القسم منذ سنة ٥٦ هجرية وأخذ ينتشر في مدنها الرئيسية (بخارى) وده سمرقند ، وده طشقند، وغيرها فلم يمض إلا وقت يسير حتى أصبحت هذه المدن مراكز الحضارة الإسلامية شهدت لهجات « جنكيزخان » وغيرها وتعرضت للتخريب والإحراق، وفي الوقت الحاضر لا تزال جميع ألوان التراث الإسلامي القديم وكذلك الآثار ومؤلفات العلماء القدامى البارزين مقدس من الشعب .

واستطرد فضيلته قائلاً : أما الاحتفال بالاعياد والمواسم فنحن نحتفل بها وسوف نحتفل هذه الأيام بذكرى مروي ١٢٠٠ عام على ميلاد الإمام البخاري .

وانتقلنا إلى جو المؤتمر فسألت سماحته عن رأيه في الأزهر والمؤتمر والبحوث وما انطباعات المسلمين الروس عنها ؟

وأجاب فضيلته : الأزهر أمل المسلمين في العالم أجمع والمؤتمرات التي عقدتها بداية لتجميع الخيوط التي تفرقت ولإزاحة الغبار الذي تراكم على التراث . والمسلمون في روسيا يعلقون أملاً كبيراً على الأزهر ويطلبون

في التفرقة ؟ وما رأى سيادته فيها على ضوء الإسلام ؟

فأجاب سيادته : توجد في جنوب إفريقيا أمة حديثة خليطة من الاجناس الأوروبية المختلفة تدعى الآن « أفريكاز » ، لغتها جديدة وهي لغة « الأفريكاز » ، خليط من الهولندية والألمانية والإنجليزية والعربية والملاوية مع بعض تحويرات في بعض الأحيان .

وهم يستعملون بعض إشارات الإنجيل التي توحى بأن السود هم عبيد منذ ولادتهم ذلك لأنهم يعتقدون أن أحد أبناء « نوح » عليه السلام وهو حام ، الذي تنسب إليه في زعمهم شعوب القارة الأفريقية ، قد حلت عليه لعنة والده وبالتالي تنقل اللعنة إلى كل إنسان من بعده إلى يوم القيامة ، وانطلاقاً من هذه المعتقدات أقاموا سياستهم على التفرقة العنصرية .

ويبلغ السكان البيض في جنوب إفريقيا من ٤ - ٥ ملايين نسمة بينما يبلغ السود ١٤ مليوناً ، ومن هذا يتبين أن البيض لجأوا إلى ترسيخ هذه المعتقدات دفاعاً عن وجودهم .

ويمكن توضيح سياسة التفرقة العنصرية عملياً في جنوب إفريقيا في أربعة مجالات .

أولاً : التوزيع الجغرافي للعنصرى للسكان يقوم على أساس أن الأوروبيين في القمة يليهم المولودون فالآسيويون فالسود ، وبالتالي فإن كل مدينة أو قرية يجب أن تقسم إلى أربع

● وسأنته أيضاً عن انطباعات شعب عمان عن المؤتمر فأجاب فضيلته : إن الشعب العماني يعلق على هذا المؤتمر أكبر الآمال وأهمها إذ هو خطوة إيجابية فعالة لها ما بعدها وإن لكافة قراراته وتوصياته أثراً خطيراً في تضامن المسلمين وازدياد قوتهم وفاعليتهم .

● وسألت فضيلته كذلك عن أنجح الوسائل لاسترداد فلسطين فأجاب :

ليس هناك إلا حل واحد هو السيف ، ووحدة الصف فلواتحدت كلبة العالم الإسلامي ما بقي اليهود ساعة من نهار .

جنوب إفريقيا :

والتقيت بالسيد الأستاذ إسماعيل عبد الرزاق من جنوب إفريقيا ورئيس حركة الصدق العالمية ، وسيادته يجيد ثمانى لغات ويحاضر في اللغة الإنجليزية بالدراسات العليا بجامعة الأزهر وبعد رسالة الدكتوراه من كلية أصول الدين عن « التفرقة العنصرية » .

● سألت سيادته قبل أن تبدأ الحديث ما معنى حركة الصدق العالمية ؟

فقال سيادته : معناها ترجمة معاني القرآن الكريم .

● ثم سألته عن التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا ، والظواهر والأشكال التي اتخذتها ، وعلى أى شئ اعتمد المستعمر

ولهذا يرى سيادته أن تمثل الأقليات الإسلامية في أمريكا وإفريقيا في المؤتمر القادم لأنهم أحوج الناس إلى ذلك .
وبعد أن شكرنا سيادته وتمنيينا لأخواننا في جنوب إفريقيا الخير والتوفيق تلاقينا مع مندوب يوغوسلافيا .

يوغوسلافيا :

مندوبها في هذا المؤتمر السيد / الأستاذ حسين سليمان - وزو رئيس قسم الشؤون الإسلامية بالبوسنة والمهرسك بيوغوسلافيا قابلت فضيلته وسأته عن دراساته والمعهد الذي تخرج فيه ؟

فقال سيادته : أتممت دراساتي الابتدائية والثانوية ومعهد القضاء الشرعي في يوغوسلافيا ثم حضرت إلى القاهرة والتحق بكليّة الشريعة الإسلامية بالأزهر وتخرجت فيها عام ١٩٣٩ .
وسأله عن أحوال المسلمين في يوغوسلافيا .
وهن عدد المساجد تقريباً ؟ والمؤسسات الإسلامية ؟

فأجاب سيادته : أما عدد المساجد في يوغوسلافيا فيبلغ ٢١٢٤ مسجداً وهذا العدد يزداد من يوم لآخر وقد دمر وخرب أثناء الحرب العالمية الثانية أكثر من خمسمائة مسجد .

ويقوم مسلمو يوغوسلافيا بأداء شعائهم الدينية بحرية ، خربة العقيدة مكفولة بالدستور وبقوانين أخرى .

مناطق متميزة يختص كل عنصر منها بمنطقة بحيث تقتصر كافة نواحي حياته ونشاطه في نطاق منطقته حسب . . وحرية التنقل من منطقة إلى أخرى مباحة هل أن يعود كل إلى منطقته بالليل .

ثانياً : لا يستطيع أى إنسان أن يشتري قطعة أرض إلا في حدود منطقة عنصره .

ثالثاً : لا يجوز الزواج بلى ولا حتى المباريات الرياضية بين أفراد الاجناس الثلاثة الآسيويين والمولدين والاسود من ناحية وبين الأوربيين من ناحية أخرى وإن كان يجوز ذلك بالنسبة للاجناس الثلاثة فيما بينها ومن يتجاوز ذلك فإنه يتعرض للبحاكمة .

رابعاً : الجيش والتسليح العسكري مقصور على البيض الأوربيين فقط . أما الشرطة فإن أفرادها في مناطق كل منطقة يكونون من بين أبنائها ، ولكن القيادة العليا للجوليس تنحصر فقط في البيض وحدهم .

وعدد المسلمين في جنوب إفريقيا ضئيل جداً وهم ثلاثمائة ألف نسمة بين ثمانى عشر مليوناً ولذلك لا يستطيعون مقاومة هذه السياسة الخبيثة مقاومة فعالة وهم يجتهدون كثيراً في نشر الإسلام بين الملونين ويتزايدون بسرعة عجيبة لأنهم يعتقدون أن الإسلام قرر المساواة بين البشر في أكمل صوره وأمثلة أوضاهه وأنه الحل الوحيد لجميع مشاكل جنوب إفريقيا بصفة خاصة .

وتوحيد صفوفهم ، وإلا لما اعترى المجتمع الإسلامي في عصر الانحطاط من جهود واسترجاع هذه الغابر وبجده التليد .

وأهم البحوث في نظري الاقتصاد الإسلامي وبحث الاقتصاد المعاصر وبحث المجتمع الإنساني في ظل الإسلام وبحث ووح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع ، وبحث توحيد أوائل الشهور لأنها تتعرض للشاكل التي تواجهنا وأتمنى أن يصدر المؤتمر قراره بتحديد الأعياد الإسلامية وكيفية إثبات أوائل الشهور القمرية للحد من الفوضى التي تحدثت تفرقا بين المسلمين .

ونظرا إلى أن سيادته أوربي كان لا بد من أن أسأل سيادته عن أثر التقدم العلمى والحضارى فى أوربا على نفوس المسلمين بصفة خاصة والأوربيين بصفة عامة .. وعن أيسر الوسائل التي يراها سيادته لنشر الإسلام بينهم ولإبقائه فى نفوسهم .

وأجاب سيادته : الفكرة الغربية خالية من القيمة إذ أنها تقوم على إنكار القيم الروحية ؛ فجميع المذاهب الفكرية والفلسفية فى أوربا تنظر إلى الإنسان من ناحيته المادية فحسب ؛ ونهمل ناحيته الروحية والمعنوية واعتقادى أن أوربا تنطلق إلى ما يحقق حاجاتها الروحية ، فالفرصة سانحة لنشر الإسلام الذى ينظر إلى الإنسان من ناحيته المادية والروحية ، وخير وسيلة لنشره فى نظرى

والطائفة الإسلامية فى يوغوسلافيا أعظم جماعة إسلامية منظمة فى أوربا ولها منظماتها وهيئاتها ومؤسساتها ولها فى العالم أهمية عظمى ولقد استطاع هؤلاء المسلمون أن يحملوا رسالة الإسلام خمسينة عام ويدافعوا عنها بكل إخلاص ، وأن يصمدوا أمام كل التيارات وقد حافظوا على إسلامهم وكيانهم وتقاليدهم وراثتهم فى تلك البقعة من أوربا وهم مستعدون لأن يبذلوا كل مرتخص وغال فى سبيل دينهم الحنيف ، وهناك معهدان لتخريج الأئمة والخطباء والوعاظ ، وتقوم المهيضة الإسلامية بإصدار المجلة الإسلامية ونشر الكتب وقد قننا بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اليوغوسلافية .

وسألت سيادته : ماهى انطباعات المسلمين فى يوغوسلافيا وانطباعاتكم من الأزهر والمؤتمر والبحوث ؟

وأجاب سيادته : إن العالم الإسلامى كله يعلق على الأزهر أهمية عظمى وأن رسالته فى عصرنا المادى الذى اشتد فيه الصراع بين الرأسمالية والشيوعية رسالة عظيمة ، وأنتا على يقين بأنه سيؤدى رسالته كما أداها من قبل بإعداد جيل مدرك للتعاليم الإسلامية ومدرك لمشاكل العصر .

ويجمع البحوث بمؤتمراته التي تعقد كل عام ويجتمع فيها كبار علماء الإسلام خير وسيلة لتعزيز الصداقة ودعم الصلات بين المسلمين

والمجمع ومؤتمراته عظيم وعظيمة . لقد جمعت العلماء الأعلام من كل بقاع العالم الإسلامي ليعترفوا على المشاكل ويوجدوا لها الحلول من الدين ويوحّدوا من الصفوف والآراء والأفكار تجاه المشاكل والأحداث العصرية والبحوث كلها مهمة ومنتجة وكنت أتمنى أن يبحث المؤتمر البحوث الآتية :

- ١ - تحديد أوائل الشهور القمرية .
- ٢ - المصارف في الإسلام .
- ٣ - موقف الإسلام من النظم الاجتماعية والمادية وإصدار مشروع قرار الأحوال الشخصية والمدنية .

سألت سيادته : هل ترى أن المؤتمر يحقق نجاحا في جمع كبة المسلمين وتوحيد صفوفهم ؟ فأجاب : نعم سوف يحقق الله به اجتماع المسلمين على الغاية المرجوة والهدف المنشود لأن الاستعمار والرجعية تخطط في الوقت الحاضر لعزل الدول العربية التقدمية عن العالم الإسلامي وإضعاف مركزها من القيادة وتوعية الشعوب ، ومثل هذه الاجتماعات التي توحدت فيها الكلمة . كبة العلماء وتوحدت من روائهم صفوف الشعوب التي يمثلونها لدليل واضح على فضح هذه الخطط وكشف العملاء من روائهم .

فن الأزهر تطلق الصيغة ، ومن يجمع البحوث يمثلا في هلاله ترضع الراية ، ومن اجتماع الصفوف واتحاد الكلمة يكن العزم

هو الكتف والفشرات التي تبحث عن معالم الإسلام بأسلوب علمي يناسب روح العصر وحاجاته .

والمسيحية لا يمكن أن تملأ فراغ القلوب الذي تشعر به الشعوب الأوروبية لأن ظهور العلمانية التي انقلبت في النهاية إلى المادية كان كرد فعل على ما كانت تقوم به الكنيسة في العصور الوسطى تحت سيطرة وطغيان الكنيسة ومحكمة التفتيش لجاء الإسلام بمبادئه السمحة وأخذها من مهدتها .

وفي عصرنا صارت أوروبا تحت سيطرة الماديات بحيث أصبحت البشرية مهددة . . . فعلى الإسلام إنقاذ أوروبا مرة ثانية .

وشكرت لسيادته جميل فهمه للأمور وتفاؤله الحسن لمستقبل الإسلام ودهونا بالتوفيق للإسلام وأهله وتمنيت لسيادته إقامة هائلة آمنة .

الكويت :

وكان لقائنا مع الأستاذ راشد الفرحان عضو وفد الكويت في المؤتمر سائلا عن انطباعاته عن الأزهر والمجمع والمؤتمر والبحوث : فأجاب سيادته : بأن الأزهر ، كان ولا يزال ، جامعة الإسلام الحقة التي فتحت أبوابها منذ مئات السنين لتهدى خطى المسلمين الزاحفة إلى منطلق حق . فهو المحور الذي التفت حوله القلوب وحفظ على اللغة شبابها ، وهلمأه بمثابة حامل العلم في زحف مقدس كريم .

« ملتان ، حاصبة البنجاب ، قلب باكستان
ثم انتشر لواء الإسلام في تلك الديار
انتشارا سريعا .

وعدد المسلمين في « باكستان ، أكثر من
تسعين مليوناً ، وهم يمثلون ٩٠٪ من السكان
وسألت سيادته عن أهمية المؤتمر وقراراته
بالنسبة إلى هؤلاء الاخوة الباكستانيين .

فأجاب : المسلمون في باكستان يعدون
قرارات هذا المؤتمر وتوصياته من أهم
الأمور ويعملون على وقفها ، ولكن القوانين
الرسمية هناك لم توافق على هذه القرارات إلى
الآن ، ولنا جهود كبيرة في تخليص القوانين
من المواد غير الإسلامية ، وقرارات المؤتمر
تكون وثيقة في أيدينا تشجعنا تشجيعاً .

وسأله أيضاً ، قدم أحد أعضاء الوفود
في المؤتمر اقتراحاً بضرورة تقديم منهج
تعليمي موحد للمسلمين في الدين الإسلامي
واللغة العربية فما رأيكم في هذا الاقتراح ؟

وابتسم فضيلته وقال : لو تحقق هذا المنهج
فسيفيد فوائد كثيرة منها تربية أذهان
المسلمين في كل البلاد على نهج واحد ويكون
ذلك وسيلة إلى توحيد المسلمين ، ومنها ذبوع
اللغة العربية لغة القرآن .

وودعنا فضيلة مولانا مفتي محمود شاكرين
له هذه الإجابة متمنين له تحقيق هذا الاقتراح
من جانب السادة المسؤولين في الأزهر .

والتصميم ، وإن أعظم فائدة تحققت هي وقوف
وفود العلماء من أرجاء العالم على صدق نية
الجمهورية العربية المتحدة في جمع كلمة المسلمين
وإعلاء كلمة الله ، وقد وافق القول العمل ،
« وقبل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون » .

باكستان :

وكان لنا لقاء مع الباكستان البلد المسلم
الكبير ، وهو لقاء مع تسعين مليوناً من المسلمين
يمثل في :

مولانا مفتي محمود عضو اللجنة الوطنية
في باكستان .

سألنا فضيلة مولانا مفتي محمود متى وكيف
دخل الإسلام باكستان ؟ وما عدد
المسلمين على وجه التقريب ؟ .

وأجاب فضيلته : دخل الإسلام باكستان
في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان
الأموي وكان ملك السند وهي حصة من
الباكستان قد أخذت سفيينة من الأسطول
التجاري للمسلمين ، وحبس من كان فيها فلما
وصل الخبر إلى عاصمة الخلافة الإسلامية
بعث الخليفة الأموي محمد بن قاسم الثقفي على
رأس خمسة آلاف من المسلمين المجاهدين إلى
السند لإنقاذ هذه السفينة ففتح الله على يد
(محمد بن قاسم) هذه البلاد حتى وصل إلى بلدة

فأجاب بأن الأزهر حصن الإسلام وأمل المسلمين منذ فجر التاريخ ، ويجمع البحوث الإسلامية له مكانة في غاية الأهمية بما يرجي منه من خدمات نفيلة في سبيل حل المشاكل الدينية التي طالما اعتاص على العلماء حلها . والبحوث كلها مفيدة وهامة وأخص منها بالذكر :

١ — بحث الشيخ فديم الجسر ، القرآن في التربية الإسلامية ، .

٢ — الدكتور مهدي همام ، العفو في الإسلام ، .

٣ — الشيخ علي الخفيف ، مكانة السنة من الاستدلال ، .

٤ — الاحتاذ عبد الله كنون ، الحديث وقيمه العلمية والدينية ، .

٥ — فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، وبعد تمنياتنا لبا كتمان وشعبها وعلمائها الخير والنجاح والتقدم والإسلام بالفاهية والنمو ودعنا فضيلته شاكرين له هذا اللقاء الطيب الجليل .

كانت هذه لقاء ائتمام السادة وفود المؤتمر في دورته الثالثة ومع صادق دعواتنا بالحج ورجائنا أن يحقق الله الآمال التي يصبو إليها المسلمون تمنى لهم كل تقدم وسعادة ورفاهية في ظل الإسلام الحنيف ؟

سهر ظهري

وتوجهنا بعد ذلك إلى فضيلة الشيخ محمد يوسف مدير المدرسة الإسلامية بكراتشي ، وكنت حريصا على أن أستطلع رأي فضيلته في التفرقة العنصرية وتحرير فلسطين .

سألت فضيلته : الإسلام دين السلام والمساواة والحرية ؟ فما رأيكم في التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا وغيرها ، وتحرير فلسطين من العصابات اليهودية ؟

وقد أجابنا فضيلته فقال في الأمر النبوي : (لزال الدنيا جميعا أهون عند الله من دم يهراق بغير حق) .

لقد خلقنا الله أحرارا من أب واحد وأم واحدة قال تعالى : ديا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، فالإسلام مساواة وحرية ، والتفرقة العنصرية لون من الإجرام الأحمق الذي تفتحه الأقليات البيض لتحكم وتتحكم في السود ، والإسلام قد قضى على هذه النزعة في القرآن والحديث النبوي فكان مع رسول الله (بلال) و(صهيب) و (سلمان) و (عمار) جنبا إلى جنب مع أشرف قريش : أب بكر وحمزة وعثمان وعلي وأبي سفيان وغيرهم .

أما تحرير فلسطين فواجب في أعناقنا جميعا نحن المسلمين لإنقاذ قبلة الإسلام الأولى من الخطر اليهودي اللعين .

ثم سألت فضيلته عن رأيه في الأزهر والمؤتمر والبحوث ؟

مع الأمين العام في مؤتمري الصحيفيين للاستناد على الخطيب

الدورة الثالثة للمؤتمر فقال : إن تقييم ما تم في هذه الدورة حكم ، والحكم في هذه المسائل غاية وهدف ثم جهد وعمل ، وإذا كان الجهد والعمل يلتقي مع الغاية قيل : إن العمل نجح وإلا فشل .

لابد ، إذن من تحديد الغاية والهدف من هذه المرحلة ، ثم نبين الجهد الذي قامت به أجهزة المؤتمر ، ونرى بعد ذلك إذا كان هذا الجهد قد حقق غايته أولا .

والواقع أن غايات هذا المؤتمر إنمائها : غايات وتنفيذ .

من هذه الغايات :

محاولة ربط المسلمين بزباط وثيق حول العقيدة والمسجد وجعل المفاهيم الإسلامية واضحة يفهمها العصر الحديث والعصور المتطورة ، ثم دراسة ألوان حيوات المسلمين الاجتماعية وتطور حياتهم على أساس من الدين والعقيدة ودراسة المجتمع الحديث وما جده فيه من قضايا وأحداث حتى يتمكن المسلمون - عن وعي - من فهم عقيدتهم والامتنال بها وحتى لا يكون هناك تناقض بين ما يقومون به من أعمال ، وما يؤمنون به من شرائع ومعتقدات .

عقد السيد الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية مؤتمري صحيفيين الأول في ١٩/٦/٦٦ والثاني في ٢١/٦/٦٦ ، حضرهما مندوبون من صحافة القاهرة ومراسل وكالة (رويتر) ومندوب عن مجلة (تايم) ، وقد ركز سيادة الأمين العام في هذا المؤتمر الأول على بيان غايات وأهداف مجمع البحوث الإسلامية وسعيه الحثيث في تطبيقها عمليا ، وإسهامه الفعال في توضيح واجب المسلمين حيال فلسطين ، وعنايته بإنشاء صندوق عموله حكومات المسلمين وأفرادهم لتقديم أي عون يهدف إلى خدمة الإسلام والتعريف به .

قال سيادته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أود أولا أن أشكركم ، وأشكر كل وسائل الإعلام على ما قمت وقامت به من جهد في سبيل خدمة المؤتمر هذا العام ، وأرجو أن يظل هذا التعاون قائما بيننا وبين الإعلام وبخاصة وأنه ليس لدينا ما نخفيه بحال من الأحوال وإذا حدث فليس ذلك إخفاء . ولكن ، لأن موعد نشره لم يحين بعد :

ثم تحدث سيادته عن الفترة الأولى من

المسلمين تربية إسلامية حتى لا يشذوا في سلوكهم عن أثره .

هذه الموضوعات قد أثارت عند المدعوين روحاً قوية إيجابية فعالة ، وقد ظهرت هذه الفعالية في الاقتراحات التي تقدموا بها أثناء انعقاد المؤتمر وبعد انعقاده تعبر بصدق عن أنهم يعيشون بعقولهم ووجدانهم معنا في هذا المؤتمر فلم يفهم قليل ولا كثير . كذلك لم تكن استنتاجاتهم محدودة ، فكانت هناك اقتراحات متعلقة بالسلوك الفردي والاجتماعي والفترسيع الإسلامى ، ولزوم أن يكون مداه واصعا ، وكانت اقتراحاتهم موجهة إلى الحكومات والأفراد وبذلك أمكن أن يقال :

إن السادة الذين دھوا إلى هذا المؤتمر لم يكونوا محايدین بعقولهم ووجدانهم بل كانوا مسهمين لا بكلمات بل باقتراحات يمكن أن أن تكون دستوراً للحياة .

لقد قام المؤتمر بإيجاد جو إسلامى هام وإثارة حرارة إيمانية ليس في البيئة التي انعقد فيها فحسب ولكن في كل أجواء البلاد في العالم الإسلامى فأنفعلوا بها جميعا انفعالا روحيا وعقليا ، وكان من أثر هذا الانفعال أن وفد إلىنا سليل من البرقيات والخطابات التي تبين أنهم كانوا يعيشون معنا بعقولهم ووجدانهم كانت هذه البرقيات من كثير من رجال الجمورية العربية المتحدة وغيرها من بلاد العالم الإسلامى

كذلك من غايات هذا المؤتمر مساعدة الأقليات الإسلامية ، أبنائنا وجدت ، علميا وعلميا وربطهم بالمسلمين وباطا ينشأ منه تعاونهم وخيرهم .

هذه هي بعض غايات بجمع البحوث الإسلامية وتلك مهمة من مهمات مؤتمراته . فهل قفنا هذا العام بعمل يساعد على تحقيق هذه الغايات ، كلها أو بعضها ؟

إذا نظرتم إلى الموضوعات التي طرحت للبحث في الدورة الأولى وجدتموها كلها من هذا القبيل .

فدراسة السنة والحديث النبوى ومكانتها من الاستدلال ، ومن ناحية صحتها وسندها من الموضوعات التي لم تطرح للبحث فقط ، ولكن ليرجع إليها المسلمون كذلك في تنظيم حياتهم ، ولتبيين للناس وبخاصة ، من غير المسلمين ، الذين تحدثوا كثيراً عن السفة وقيمتها نبين لهم أنها في صحتها وثبوتها لا ينبغي أن يشك فيها باحث على .

تحدثنا كذلك عن التربية الإسلامية في القرآن .

وعن المجتمع الإنسانى في ظل الإسلام . وبحسنا روح الإسلام وأثرها في تربية المجتمع ، والمأثور من المسلمين في سياسة الرعية أو المجتمع .

ترون من هذا أن الموضوعات مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياة المسلمين وتهدف إلى تربية

فالمهمة التي تحمل مسئولية التعريف بالإسلام وإحياء التراث الإسلامي، ومساعدة الأقليات الإسلامية على النهوض كل ذلك يجعلها تحتاج إلى مال وفير والصندوق كفيلاً، إن شاء الله بالمساعدة على تذليل هذا الصنيع .

وقرارات هذا العام فيها كثير من التجديد، لا من حيث التعبير والصياغة كما قد يظن بعض الناس ولكن من حيث المدلول والمعنى المقصود منها .

لذلك يمكن القول بأن المؤتمر في هذه الفترة سجل نجاحاً باهراً كما كان له نجاح عظيم في الماضي بسجلته أعماله السابقة ونتائجه ولعلكم تذكرن أن السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية سجل لنا ذلك ، والحمد لله ، في حفل الافتتاح ، ولذا كان على أن أشكر كل من أسهم في إنجاح المؤتمر ولا يغيب هنى أن أشكر كل رجال الأزهر الذين شاركوا في الأعمال الإدارية والفنية في هذا السبيل .

* * *

وفي ختام جلسات الدورة الثانية يوم الخميس ١٣ من رجب ٢٧ / ١٠ عقد سيادته مؤتمره الصحفي الثاني أشاد فيه بمجهود المؤتمر في تلك الفترة وتلا فيه قرارات وتوصيات الفقرة الثانية المنشورة بالصفحة ٤٨٧ ع ٩

على الخطيب

أمين التحرير

وهنا يطيب لي أن أكرّر ثانية أن وسائل الإعلام على ما قامت به من جهد كبير في هذه الفترة ولعلكم قد شاهدتم كيف أن مشاعر المسلمين في غزة كانت متأثرة نتيجة هذه الزيارة القصيرة التي قضاها في القطاع ، وقد رأيتم مدى تحمسهم الشديد وإيمانهم بأن قضيتهم سائرة - لا محالة - إلى الغاية السعيدة التي يتبعونها .

ولقد كانت التوصيات والقرارات التي وصل إليها المؤتمر في مرحلته الأولى تدل بوضوح على مدى تقديره البالغ للمسؤوليات الكبرى الملقاة على عاتقه لذلك كانت توصياته تهدف دائماً إلى تحليل هذه الغايات إلى واقع محلي .

فالقرارات المتعلقة بفلسطين - مثلاً - لم يقل : إن إنقاذ فلسطين من أيدي المغتصبين فرض وأن المسلمين ينبغي أن يتضامنوا في تحريرها فحسب ؛ بل هدف إلى أبعد من ذلك إذ جاء فيه : إن تجميع قضية فلسطين بأي لون من التجميع محل يؤدي إلى دعم كيان إسرائيل ، وهو فتنة قد تؤدي إلى المروق من الإسلام وذلك جديد لم يكن في القرارات السابقة في المؤتمر .

وثمة ناحية هامة بحثها المؤتمر أهى بها إنشاء صندوق يسهم المسلمون كافة - حكومات وأفراد - في تمويله للإنفاق على التعريف بالإسلام ، وإنشاء مراكز إسلامية ، وذلك عمل جليل بالغ الأهمية لأنه من الخطوات الأولى التي يتوقف عليها تنفيذ عدد كبير من القرارات والتوصيات .

مَرْجَبًا بَوْرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ

لِلأُسْتَاذِ سَعْدِ عَبْدِ الْمَقْصُودِ ظِلَامٍ

نَعْمُ سَيِّدِي ، سَاطِعٌ ، شَفَافٌ خَفِيَ لِي الْمَلَا حُ وَالْمُجَدَّافُ
تَرَا قَصُ الْأَحْلَامِ مِنْ صَبَوَانِهِ وَتَكَادُ تَلْتَمِسُهُ هَوَى أَعْطَافُ
لَا تَسْأَلُونِي مَا أَتَى بِي مَا هَذَا ؟ الْحُبُّ ، وَالْأَحْبَابُ وَالْآلَافُ
أَحْبَابُنَا إِنِّي أَنْتَيْهِ وَبِي هَوَى وَفَوَادِي الْحَيَاتِي أَنِّي يَسْتَأْفُ
تَتَعَاقَبُ الْآمَالُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَتَتَعَرَّدُ الْأَطْيَارُ وَالْأَطْيَافُ
وَيَرِفُ فِي نَفْسٍ وَمِيضٍ مُؤْمِنٍ وَالْمَهْرَجَانُ وَضَوْؤُهُ الرِّفَافُ

* * *

يَا مَرْجَبًا بِالْمُسْلِمِينَ يَضْمُمُ فِي قِبَلَتِيهِ الْأَزْهَرُ الْمُضْيِافُ
نَادَى قَلْبِي الصَّادِقُونَ . وَأَحْرَمُوا وَسَمِعُوا إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ قَدْ طَافُوا
مَرَّحُوا إِلَى السَّاحَاتِ يَمْدُودُ رُكْبَهُمْ لِإِخْلَاصِهِمْ لِلَّهِ وَالْإِنْصَافُ
رَكِبُوا إِلَى الْإِيمَانِ كُلِّ أُيَّةٍ وَاسْتَعْفَبُوا الْآلَامَ وَهِيَ زَعَافُ
وَتَذَكَّرُوا الْقُرْبَى وَهَدَأَ خَالِدًا فَتَعَاظَفُوا وَتَعَانَقُوا وَتَصَافُوا
وَمَضُوا إِلَى التَّارِيخِ فِي حِرَابِهِ فَتَعَطَّرُوا بِعَبِيرِهِ وَاسْتَأْفُوا
وَتَقَدَّمُوا نَحْوَ الْبِنَاءِ وَكُلُّهُمْ مَتَحَفِّزُونَ إِلَى الْبِنَاءِ خَفَافُ
أَقْبَى فِي خَطَوَاتِهِمْ إِذْ أَقْدَمُوا وَالْمَجْدُ وَافِي حَيْثُمَا قَدْ وَافُوا

* * *

يَا أَزْهَرَ الْأَجْمَادِ يَا مَهْدَ السَّافَا يَا خَيْرَ مَا أَبْقَى لَنَا الْأَصْلَافُ
حِرَابُكَ الْأَسْنَى تَرَانِيمُ الْهَدَى وَسَمَّاكَ مِنْ أَضْوَانِهِ شَفَافُ
طَوْبِي لِمَهْدِكَ فِي الْوُجُودِ مَخْلَدًا يَا كَمِ تَقَاسَى بِمَعْرُكِ الْآلَافُ
جَاهَدْتَ كَالْمَصْبَاحِ أَقْبِيَّةَ الدُّجَى وَزَرَعْتَ فِيهَا النُّورَ وَهِيَ عِجَافُ

ورعيت دين الله حق رعاية
مرت عليك الحادثات ولم تهن
وصدت أنت بمزومة لا تنثنى
ما خفت ظلما يغير ولا العدا
والمضمررون النيل منك تجمعوا
ورأوا صمودك يا أبى يخافوا

* * *

لكن خطى الأيام ألقت ظمها
فاذا هناك مشاكل لا تنتهى
لم تلق حلا ناجما فتعقدت
حتى دهوت إلى النهوض فشمرت
من كل ذى فهم عميق مدرك
يتدارسون ليهتدوا لحلولها
وبناقشون بكل وهمي مثمر

* * *

يا أيها العلماء إن لقاءكم
عيد لكل المسلمين وفرحة
عيد لامتنا عساها تلتقى
الله أعطاها ضمانات الهدى
الامة الحميرى تلاشى ظلها
كانت لها فى الحافقين حضارة
كانت وما زالت على هام الورى
فى كل ناحية كتاب مصفر
وقصيدة فيها الحمود مفرد
لكن غفونا واستخف وعانتنا

عيد تقبّل فجره الأعطاف
والعيد يُحمد يومه الهفاف
فتجمع الأجزاء والأطراف
ما بالها تمتصها الأحلاف
وهذا عليها الحاقد المتلاف
غنت بها فى الحافقين ضفاف
حبا يطوف به الهدى ويطاف
وبكل أنقى مزهر هفاف
والأغنيات الجيضر والإبلاف
كم ضيع الأقوام الاستخفاف

عفنا نصيح دهاتنا وهداتنا
فإذا الدجى كالأخطبوط يلفنا
وإذا الحضارة قصة أذلية
وإذا التراث بقية من مصرف
وإذا عوادي الدهر تقصف بابنا
وإذا الآباة الفاتحون تراجعوا
وإذا البناة هل متاهات الثرى
وإذا سراة القوم هاموا فى السرى
وإذا أماسيتنا يكبلها الأمى
وإذا بنا : لا شئ .. لا معنى لنا
أرأيتموا الإسفاف قد أودى بنا
فتعلم التاريخ كيف يعاف
لبنى .. وكانت دوحنا الألفاف
وإذا الغناء تدوسه الاخفاف
ولكم أضلاع تراثنا الإسراف
والدهر مثل رياحه قصاف
وإذا هو بين الحياة ضعاف
وإذا قويم بنائهم أحقاف
وسلائهم بيد النديم رطاف
وربيننا بين الفصول جفاف
وإذا صحيح وجودنا أنصاف
يا شد ما أودى بنا الإسفاف

* * *

أين الطريق إلى الخلاص من الردى
أنتم سبيل الخير .. خير سبيله
يا أيها العلماء بورك سعيكم
المسلون تطلع وتشوق
يحيون ساطات الزجاء وكلمهم
نسجوا من الآمال ضوء وجودهم
وكان وعيد الله باستخلافهم
فتطلعوا شوقا إلى هلماتهم
زفوا الرجاء إلى النفوس محبة
زفوا إليها كل خير هلماتها
أنتم لديها الآن كل وجائها
كيف السبيل يكون والإسفاف
وطريقه المتبسم المعطاف
يوم اللقاء وبورك الإشراف
ومنى ترف . ومهجة وشغاف
ثقة .. ونأى مزهر .. وقطاف
وكأنه للغابر استئناف
يحدوم . ولهم به استخلاف
وكأنما بين الرؤى استعطاف
أنعامها بين القلوب لطاف
تحيا فقد نثر الصفوف خلاف
ورجاؤها أن يوجد الإيلاف

سهر عبد المقصود وظهرم

تخطيط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

بيان أعضاء المؤتمر في غزة

من أرض المأساة بقطاع غزة ، وبين لاجئي فلسطين المعتصبة بفعل الصهيونية العالمية ومؤسسات دول الاستعمار ،

يعلن أعضاء المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية أن قضية فلسطين أمانة في عنق كل مسلم : الانتصار لها واجب ، والدفاع عنها فريضة ، والتفريط فيها جريمة في حق الدين ، ووصمة في جبين الإنسانية ، وأن الانتصار لخصومها ومغتصبها والمعينين لها خروج عن الوحدة التي أمر الله بها : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » :

ويعلن أعضاء المؤتمر أن التودد للصهيونيين ومن والاهم ، والتعامل معهم حرب لله ولدين الله وللسلمين .

ويطالبون بأن تسحب الدول الإسلامية التي اعترفت بإسرائيل هذا الاعتراف ، وأن تقطع الدول والشعوب الإسلامية التي تتعامل معها هذا التعامل .

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ،

	PAGE
1 — The Third International Conference of The Islamic Research Academy By : A. M. Mohiaddin Alwaye	1
2— The Inaugural Session :	
a) Speech by The Grand Sheikh of Al-Azhar H. E. Hassan Al-Mamoun	3
b) Speech by Sheikh Ibrahim Siwar Al-Dhahab	9
c) Speech by The General Secretary of The Academy . Dr. Mahmoud Hubb Allah	12
d) Speech by the Vice-President of U.A.R. Mr. Hussein El-Shaféi	17
3— The Spirit of Islam is the Chief Factor in Reforming Contemporary Society By : Abdul Hameed Hassan	20
4— Recommendations of the First Stage	27
5— Resolutions and Recommendations of the 2nd Stage ..	29

3— The Conference urges all Islamic governments and peoples to set up Islamic authorities in their respective countries to be assigned the task of determining the first of lunar months with the help of observatories and reliable astronomers.

Fourth : Sacrifices and Offerings

1— The Conference declares that the sacrifices and offerings made on the occasion of pilgrimage are Islamic rites and acts of worship which have their social objectives. A Muslim who can afford them is not allowed to omit them in favour of other pious gifts. Their omission, however, can be made good by fasting as is prescribed by the Holy Qur'an, if the pilgrim cannot afford them.

2— The Conference appeals to all Muslim peoples and governments, to check the dangers which might arise during pilgrimage from sacrificial offerings, to put them to a good use as is prescribed by the Law-giver, and to adopt the ways wherewith to accomplish this object.

Fifth : On Social and Economic Affairs

1— The Conference recommends:

a) Since Islam is a creed, worship, and a law defining rights and duties, it is best for mankind to practise all the teachings ordained by the Quran and the Sunnah on dealings

and social sanctions, in as much as they safeguard virtue and check evil and corruption.

b) Islam makes no distinction between people as to colour, race, or region. All men are equal in terms of fundamental rights and obligations.

c) International relations must be established on a basis of justice, respect for human dignity, the fulfilment of just treaties and the annulment of all agreements prejudicial to the interests of weak parties.

d) All peoples of the world should co-operate in exploiting the natural resources of the earth on a just basis so that the one could possibly benefit by the surplus crops, minerals and manufactured goods produced by the other.

e) Islam stands for social justice based on productive labour and equal opportunities so that each can work according to his work. Work is an act of worship. Though some people are rich and others are poor, yet Islam recognizes no classes as all people enjoy equal rights and have similar obligations.

f) The teachings of Islam include certain provisions with regard to the organisation of the economic aspect. These provisions constitute in their entirety an integrated

companies, the Conference recommends the Academy to carry on the study of the financial, economic and social aspects of the question, and get acquainted as far as possible, with the views of Muslim scholars in Islamic countries so that the Conference could deduce the legal ruling on every kind of insurance.

Regarding the social and co-operative insurance including health insurance against disability, unemployment, old age, labour accidents and the like, the Second Conference had already decided that it is admissible.

2 — Having studied the Question of foreign bills of exchange the Conference has come to the conclusion that they are in fact as admissible as inland bills of exchange, except for those bills which bear usurious interest forbidden by the law, and those involved in insurance on which no ruling has been deduced.

3 — The Conference calls upon the Academy to continue the study of the Islamic substitute for the modern banking system, and the method of its application, with the help of economists and business men.

Third : Fixing the Beginning of Lunar Months

1 — The Conference declares that :

a) The observation of the new moon is the original method of

fixing the beginning of lunar months as is indicated by the prophetic tradition. But this method is not to be relied on if strong suspicions are raised against it.

b) The observation of the new moon is established by a report handed down, or widely spread, by persons who cannot be supposed to have plotted a lie, as well as by the report of a single informant, whether male or female, unless his statement is impugned for one reason or another, such as contradicting the reliable calculation of a reliable astronomist.

c) The report of a single informant is only binding on himself as well as on those who have trust in him. The public, however, should abide only by the definite observation carried out by the person detailed by the Islamic State for this purpose.

d) The beginning of the month is to be settled according to astronomical calculation if it is difficult to see the new moon or to reckon the preceding month as thirty days.

2 — The Conference decides that no allowance should be made for the different times of the moonrise in various countries, however distant, if they all co-incide even in a short period of the night when the new moon has been seen ; if not, then the differences of moonrise should be taken into account.

Resolutions and Recommendations

ISSUED BY

The Third Conference of the Islamic Research Academy
(*The Second Stage*)

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful, the third Conference of Islamic Research Academy passes the following resolutions and recommendations on the subjects presented for consideration in the second stage.

First: The Prophetic Sunnah

1 — The Conference declares to the Islamic World the authenticity of the Sunnah as the second source of legislation in Islam next to the Holy Qur'an. It recommends all Muslims to adhere to it, and act upon it in the field of education, dealings, and behaviour, emphasizing the important role it played in forming the Islamic thought, building up human civilisation and safeguarding the community from factors of unrest and deterioration.

2 — In appreciating the strenuous efforts exerted by Muslim scholars in the recording in writing of traditions, and their meticulous care in transmitting them, the Conference draws the attentions of the Muslim youth and the cultured élite to the sound method adopted by traditionists who endeavoured

to ascertain the truth in the collection and criticism of traditions in a manner unprecedented in the history of any other nation. This method had produced its deep effect on methods of historical, literary and social criticism. Therefore, this great heritage, the heritage of the Sunnah, is worthy of being a source of enlightenment and guidance, as well as of pride and glory, for our noble Islamic community.

3 — The Conference entrusts the Islamic Research Academy with the task of collecting and verifying those traditions whose outward sense seems to be wide of the mark. This can best be achieved through the examination of their texts and chains of authorities (Isnad) in accordance with the criteria and rules laid down by traditionists for the criticism of traditions. Further, the Academy should prepare commentaries thereon.

Second : Insurance and Bank Transactions

1 — Regarding the different kinds of Insurance practised by

individuals, to direct their public and private lives along sound Islamic lines on a firm basis of Islamic teachings on systems of government, administration, and jurisprudence. Such direction would help to reform the Muslim citizen and as a corollary to reform the Muslim community with firm belief in God, and deepseated pride in the Faith, and power to resist atheistic trends as well as intellectual and moral invasion.

3 — The Conference recommends the measures conducive to such individual, social and political reform. Foremost among these measures are the revival of Islamic heritage and the proper acquaintance with Islam as both a creed and law, at all cultural and educational levels.

4 — The Conference urges the Islamic Research Academy to appoint a permanent body to assume the responsibility of propagating Islam and directing the scholastic as well as cultural programmes along proper Islamic lines.

5 — The Conference further, urges the Academy to create a fund to which world Muslims would contribute for the purpose of the propagation of Islam, the diffusion of Islamic culture, the revival of Islamic heritage and the establishment of Islamic centres and other organisations.

6 — The Conference also calls upon the Academy to compile an indexed encyclopaedia of Prophet's

traditions to be verified by an ad-hoc committee for Muslims to use as a second fundamental reference on Islam.

7 — The Conference calls for purging Muslim societies of intellectual and moral incursions and for guiding such societies to the perfect character of Islamic teachings and their fitness as means of solving the society's economic, social and political problems. Attention of Muslim societies should be called to the Islamic code of ethics in its pristine beauty. A series of simplified text-books in this respect is recommended to be produced and translated into the major living languages.

8 — The Conference re-affirms its recommendation urging Muslim countries to teach Arabic, the language of the Quran, in their schools to make it possible for non-Arab Muslims to study the Holy Quran and the Sunna.

9 — The Conference appeals to the authorities concerned in the various Muslim countries to clear their laws and systems of government of all that runs counter to the tenets of Islam and to bring such laws and systems into line with God's Book and the traditions of His Prophet while adopting all new and good concepts and principles which would not clash with the fundamentals of the Faith.

"And Allah's is guidance. Allah alone can show the right path".

RECOMMENDATIONS

Issued by

The Third Conference of the Islamic Research Academy
(The First Stage)

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

By the grace of Allah, the Conference of Islamic Research Academy to-day concludes the first stage of the third session which started on Friday, Jumada Al-Akhira 15, 1386 A. H. (September 30, 1966). The Conference expresses its thankfulness to Allah, the Almighty, for providing the occasion for this blessed meeting of Muslim Ulema from different countries within the precincts of Al-Azhar to join together in furthering the interests of Muslims in their spiritual and temporal affairs, thereby preserving Islamic unity and fraternity, co-operating in righteousness and piety, avoiding sin and aggression, guarding against dispute and dissension, and effectively contributing to peace of all mankind on a basis of right, justice, and equity.

The Conference records its deep appreciation of President Gamal Abdel Nasser's kindness in placing the Conference under his auspices, in paying great attention to religion and in delegating Vice-President Mr. Hussein Al Shafei

to open the Conference session.

The Conference also extends grateful thanks to the U.A.R., both government and people, for their generous hospitality. It appreciates the Grand Sheikh of Al Azhar's concern for the conference which helps to fulfil the mission of that Islamic institution in preserving the Faith and serving Muslims all the world over.

The Conference recommends as follows :

1— It impresses on Muslims everywhere that serious and persistent struggle to deliver Palestine from the hands of Zionist aggressors and usurpers is an obligation on every Muslim, man and woman, and warns against deviation from Islam through co-operation with Zionist usurpers who have driven the Arabs and Muslims out of their homes or with those who helped to render them homeless. The Conference re-affirms the decision taken at its second session calling on those Muslim states which had recognised Israel to withdraw their recognition.

2 — The Conference urges Muslims, both governments and

What can this message be ?
Man's Message in Lifes :

God Gracious has defined the aim of this message in His words; "I will create A vicegerent on earth" And the Almighty's words: "It is he who hath made You (His) agents, inheritors of the earth. He hath raised You in ranks, some above others, that He may try you in the gifts He hath given you."

To be able to bear the responsibilities of this agency, God endowed man with talents that help him carry out such a message. He supplied him with energy and intellect to do such acts as he deems proper on earth and under it; to build, produce and to utilize God's gifts: plants animals and metals:— "And we sent down Iron, in which is (material for) Mighty war, As well as many benefits for mankind."

"And Sendeth down rain from the skies, and with it bringeth out fruits where with to feed you.

God has directed people's attention to the fact that God's gifts can be obtained only by persistent effort. The almighty Says, "For you, so traverse Ye through its tracts And enjoy of the substance which He furnishes."

And Says: "And God has made The earth for you as a carpet (spread out), That ye may go about therein, in spacious roads."

And Says: "It is we who have placed you with authority on earth, and provided Ye therein with means for the fulfilment of your life."

The use of such wealth should not be restricted to its owners but must be devoted to the help of the needy and the disabled. It should also be devoted to the general welfare of the nation, thus achieving the social solidarity and the co-operation cherished by Islam. Islam considers work in trade and agriculture a sort of a holy struggle, deserving reward.

The Prophet, Allah bless him and give him peace, said, "Anyone who plants a tree, attends to it with patience till it bears fruit shall be rewarded by Allah for every fruit it bears." He also said: "Seven things a man may be rewarded for in his grave after his death. Teaching knowledge, digging a river or drilling a well, planting a palm tree, building a mosque, bequeathing a holy book, or leaving a pious son who would pray God for him after his death."

and his God, as well as protection against the evils of material greed and the dictates of a soul that is prone to evil.

The more lofty this spiritual side is, the greater will be man's progress, the stronger his self-control and domination over the worldly resources which God has created for him. Hence, the necessity to foster this element with motives of good; mercy, truth, justice, charity, benevolence and co-operation, thereby laying the solid foundation of a mature society and achieving the cherished aims of an ideal life.

Secondly :

The Physical Element :

This is the material element which God created from the matter of earth from which man grows, and acquires the inclinations so necessary for his growth and that of his offspring.

The body has diverse sensuous desires which are conducive to evil if man goes beyond the bounds of moderation :

God has subjected to man everything on earth and allowed him the enjoyment of lawful earnings which God has made accessible to him, provided that he should labour, use his brains, serve himself and exchange benefits with all mankind without selfishness or egoism.

Islam has set proper rules to keep human body fit and sound and advised man to partake of lawful food and drink avoiding all that may cause him harm.

God Gracious Says : "...eat and drink : But waste not by excess".

And God most dignified says :

"It is He who has made the sea subject, that ye may eat there of flesh that is fresh and tender".

And Says : "ye shall have there in Abundance of fruit from which ye shall have satisfaction".

And the Gracious God Says : "O Ye people ! Eat of what is on earth, lawful and good"; and others.

These are the both sides of human formation, spiritual and material within which God has deposited all the forces necessary for human happiness. In this formation we can clearly see the elements of mercy, Sympathy and co-operation for the best of aims which guide man towards all the springs of good necessary for his life. If these elements are directed towards God, their Creator, man will become happy but if they go astray he will miss the right path.

There remains for man with such complete formation to carry out his message for which God has created him.

"God Commands justice, the doing of good, and liberality to kith And kin, and he forbids All shameful deeds and injustice : And rebellion, He instructs you. That ye may receive admonition. (Verse 19 Chapter of "The Bee").

"The Believers must (Eventually) win through, Those who humble themselves, in their prayers ; who avoid vain talk ; who are active in deeds of charity, who abstain from sex, except with those joined to them in the marriage bond, or (the captives) whom their right hands possess. For (in their case) they are free from blame, But those whose desires exceed those limits are transgressors. Those who faithfully observe their trusts and their covenants. And who strictly guard Their prayers :- These will be the heirs, who will inherit paradise. They will dwell there in (For ever). (The verses from I to II Sura Muminun or The Believers).

"And the servants of (God Most Gracious are those who walk on the earth In humility. And when the ignorant Address them, they say, "Peace!". Those who spend the night In adoration of their Lord Prostrate and standing; Those who say : "Our Lord : Avert from us the wrath of Hell, for its Wrath Is indeed an affliction grievous, Evil indeed is it as an abode and as

a place to rest in"; Those who when they spend, are not extravagant and niggardly, but hold a just (balance) between those (extremes) Those who invoke not, with God and other god, Nor slay such life as God Has made sacred, except for just cause, nor commit Fornication..." (verses from 63 to 68. chapter of The Criterion).

And many other verses dealing with the roots of virtue such as justice, keeping one's promise, moderation in spending, honesty, patience, avoiding perjury, giving rights to the rightful owners and other virtues.

(3) As for [conscience and the sentiments associated with it, Islam has linked them closely together in man's relations with his parents, relatives distant neighbours and near friends. Affection is made by Islam the basis of relations in the family first, and then between all people. All this helps to make human life quiet agreeable and pleasant.

These three aspects are the prop of the spiritual being of man; moreover they form a close connection between the members of a society, unifying their aims, achieving harmony between the elements of the nation and constituting an important factor in its progress and development. At their lofty standard, they provide a link between man

by free knowledge, profound thinking and conviction.

Besides the elevation of intellect there are other sides that have their great value and importance in encouraging scientific research and drawing plans for the implementation of its programmes of which modern civilization takes good care. These include the opening of wide scopes before the human mind and for free action towards the noblest of aims in life.

Moreover, the drawing of man's attention to the aspects of the glorious nature and the signs of God's mercy and His bounty is the most powerful stimulant of faith in God and recognition of His power and greatness. It has another value in that it reminds of the riches abounding in this universe which he can use for his good and the good of others.

(2) As for will, Islam has directed it towards good in all its forms such as charity, benevolence, co-operation, and alms giving. In the Noble Quran, there are many verses dealing with the roots of virtues and noble character calculated to secure a noble life for the individuals. Listen to the Almighty's words: "It is not righteousness that ye turn your faces towards East and West, But it is righteousness to believe in God And the Last Day;

And the Angels; And the Book; And the Messengers; To spend of your substance; Out of love for Him, For your kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask, and for the ransom of slaves; to be steadfast in prayer, And practice regular charity, to fulfil the contracts which ye have made. and to be firm and patient in pain (for suffering) and adversity, and throughout all period of panic. Such are people of truth, the God fearing (Sura 2 — 177).

(19) "Is then one who doth know that which has been Revealed unto thee from thy Lord is the Truth, Like one who is blind? It is those who are endued with understanding That receive admonition :-

(20) Those who fulfil the covenant of God and fail not in their plighted word; (21) Those who join together those things which God hath commanded to be joined. Hold their Lord in awe And fear the terrible reckoning;

(22) Those who patiently persevere, seeking the countenance of their Lord; Establish regular prayers; spend; out of (the gifts) we have bestowed for their sustenance, secretly and openly; and turn off Evil With good : for such there is the final attainment of the (Eternal) Home, — (Verses from 19 to 22 chapter of 'Thunder').

us to God and directs man to obey and carry out His orders. It guides us to the good as well as the noblest and most glorious deeds; helping us to guard our - selves against error and evil.

If educationists take care of that element and if man tends it with purification it will be the best guide to the right path, the path of the Mighty Commendable God.

This spiritual or psychological element has three phases, each aiming at a noble end in life, namely :—

Intellect, that aims at the knowledge of truth;

Will whose aim is to reach good;

Conscience, having for its objects noble sentiments and beauty of soul.

Truth, good and noble sentiments are ideal aims which, if achieved achieved by man, will give him a happy life, Peace and harmony will also prevail amongst nations. These three aims have a very important place in Islam which takes great care of them. The Almighty Says: "It is He who has sent His Apostle with Guidance And the Religion of Truth."

Truth includes the spread of justice, fairness and equality. Good aims at love, harmony and good relations amongst people. Sentiments play an important part in promoting

fraternity, co-operation, mutual sympathy and love.

These are a few principles on which the ideal mature society rests. If individuals, communities and peoples appreciate these principles truly, sincerely and with a strong will, people's life will be pure, the causes of envy, injustice and aggression will be obliterated and tendencies to evil and destruction will be pulled out of all minds, we would thereby get an ideal society which all peace-loving peoples aspire to or perhaps we might attain the virtuous city which old thinkers or civilized nations have tried to achieve without success.

Islam takes the greatest care to promote these aims; it elevates intellect, will and nutrise noble sentiments,

(1) The clearest way to nutrise intellect is that mentioned in the Holy Quran urging people to contemplate God's signs in the universe and the human soul alike. The Almighty Says: "On the earth Are signs for those of assured faith, As also in your own selves : Will ye not then see?" and Says: "Do they not look At the sky above them?"— "Now let man but think from what he is created!" "Then let man look at his food. (And how We provide it)" ... etc.

Contemplation can be achieved

retain the hope of seeing the true dawn, as they have faith in God, trust in His power, and adhere to the precepts of Islam.

We see all this within our sphere, and feel a pressing need for decisive solutions that may save humanity and spare it an evil destiny.

May we therefore look up to God imploring Him for help and to His great religion for guidance to the most righteous path.

Let us turn to Islam guided by its noble principles, good advice and wise guidance.

The basis on which Islam lies is the innate quality of man.

Islam is the religion of sound nature in which God has created His peoples.

This nature is directed towards the good in the world and depends on sensible thinking as well as on clear and tolerant principles. This is the secret of the strength and immortality of Islam. It is also the secret of the power of those adhering to its principles, for nature if pure renders the soul also pure and capable of virtuous acts and sublime intentions. Peace between peoples would thus prevail and communities and nations will stride towards the best of goals.

Let us see what Islam has stated concerning the creation of man and

his message in life. The Holy Qur'an explains the creation of man in the Almighty's words, "He began the creation of man of man with (nothing more than) clay," and His words: "He created man from sounding clay like unto pottery," The rest of his creation is explained in the verse, "When I have fashioned him (in due proportion) and breathed into him of My spirit, Fall ye down in obeisance unto him.".

The humanbeing is thus formed of two elements, one is spiritual and the other material. Islam has taken great care to foster and guard those two elements from anything that may spoil them or drag them towards the path of evil and sin: as their perfection and homogeneity would lift man to the highest point of virtue and thus renders him capable of carrying out his message which God has assigned to him in the best way.

Let us now deal with these two elements to follow their effect on the development of the individual and the reform of society. Reference will then be made to man's message in life and how he can fulfil it truly, faithfully and with strong belief in God.

First : The Spiritual element :

This is the more important element as it is the path that leads

The Spirit of Islam is the Chief Factor in Reforming Contemporary Society



Among the most useful papers came before the third conference of the Islamic Research Academy was prof. Abdul Hameed Hassan's (Member of the Islamic Research Academy) above mentioned one. The author explains the contributions of Islam to reform the individuals and societies. He speaks about the effects of them in reforming the Contemporary Society. Following are the excerpts of this paper :

“Conscious and highly cultured men aspire to a better life. Developing nations also long for a prosperous life that may restore their prestige and make up for the backwardness they suffered under the heavy yoke of colonisation and during the periods of weakness and failures. Progressive countries likewise endeavour to step up their progress and thus keep pace with world civilisation. The so-called advanced countries at present day are still doubtful as to which path they have to follow, or to which system they should adhere, in order to ensure a quiet and contented life. These countries keep on thinking in a bid to reach a better way of leading their lives.

The struggle between capitalism

and socialism in all its forms is raging fiercely. All peoples of the world long for a peaceful life after the darkness they had plunged in. They seek a solution to those problems which embitter their lives and threaten their existence.

The Arab nations could not help comparing their former condition of power and glory to their present unenviable plight. The Islamic nations who were known for their considerable strength and close bonds through the Arabic language that provided a strong link and a ground for mutually warm sentiments among them have now been deprived of a dignified and decent life, in as much as imperialism estranged them through distorting their language. However, they still ente-

'the human society under the aegis of Islam', and 'the spirit of Islam is the chief factor of reforming contemporary community, the third conference emphasises the interest Muslims take in studies which prove that they keep pace with the latest developments of arts and sciences, and adhere to the principles of their religion.

By discussing the subject of integration of Islamic environments and the determination of the beginning of lunar months, the conference also emphasises the fact that Muslims throughout the world are governed in their religious affairs by common ties and systems.

Gentlemen,

Not only Muslims but also those concerned with social and economic studies throughout the world are eager to see the light of Islamic view shining upon the social and economic questions of the day assessed within the context of Islamic principles.

Gentlemen,

The United Arab Republic responds to basic human requirements to ensure a free and decent life for all in conformity with the basic principles of religion. Care has, therefore, been taken to establish a system where exploitation has no longer any place, and where mass production, honourable transactions, free education, the right to

employment, the freedom of expression and the written word have the upper hand.

Attention has equally been paid to religious affairs. Religious research and publications in all branches of knowledge are encouraged by the State which lives up to the principles of religion in supporting oppressed peoples.

Thus the State emphasises the fact that it is good deeds that indicate good intentions. Muslims might just as well, for their well-being in this world and the next, count on deeds not words. They should strive in the cause of Allah with the devotion due to Him, and believe that in the absence of social freedom there is no political freedom

We have indeed in the Apostle of God Allah bless him and grant him peace - and his companions, a good pattern of conduct. The Apostle did not seek influence or personal aggrandizement. He taught us by good example that the true call for Islam should be confined to preaching Islam, free from the ambitions of this world. It is not plausible that the call for Islam be made by a leadership deeply sunk into a leisurely indulgence of treasures alongside the abject poverty of a people yearning for the bare necessities of life.

May Allah guide you. He is the best to protect, and the best to help.

At that time the spirit of Islam stood for sacrifice and self-denial, for progress and positiveness, for serious and tireless preaching. It believed in the ideal society and tried to establish it. It believed in all classes of people especially those who lacked the opportunities of life. It called for the abolition of class and differences between Muslims, so that each individual should feel he was entitled to a just share in the wealth of his native land.

Gentlemen,

Before coming I recalled the Conference's previous resolutions. I found they had for the first time tackled debatable issues with complete frankness and other issues of which theologians took no notice.

The two previous conferences proved to be worthy of appreciation and praise because they rose to the level of their responsibilities and coped with problems about which previous scholars took no trouble.

The first conference discussed the subject of private property and adopted a resolution which stressed the right of authorities to place such limits on private property as would check flagrant evils and further the public good. It was decided that usurped property and unlawful acquisitions should be handed over to their lawful owners or to the state Treasury. Again

it was decided that imperialism and its agents constituted the chief danger to which Muslim individuals, communities and states should offer persistent resistance until the Muslim conscience, science and countries were liberated. Furthermore, the conference denounced Zionism as a new slogan of the insidious disease of colonialism, and emphasised the struggle against both imperialism and Zionism as an obligation upon every Muslim.

The second conference considered family planning, the Palestine question and the attitude of Islam towards slavery. In the name of Islam it condemned the attempted repression of the natural rights of both individuals and communities, and called upon Muslims all the world over to resist such attempts, affirming that such resistance was incumbent upon every Muslim and that the shirking of this responsibility was a major sin.

The originality of the treatises discussed by the two previous conferences is amply proved by the fact that the logic of the research papers presented for consideration in this third conference emphasises the necessity of pursuing the study of subjects of far-reaching effect on the life of Islamic peoples.

By discussing the role of the Quran in modern education, 'the Islamic and contemporary economy',

S P E E C H

By : Mr. HUSSEIN EL-SHAFFI, VICE-PRESIDENT OF U.A.R.

(ON BEHALF OF PRESIDENT GAMAL ABDEL NASSER)

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful. Praise be to Allah, Lord of the Worlds. Peace and blessings be on the leader of Apostles.

Members of the Islamic Research Academy, and guests of the United Arab Republic,

I welcome you in the name of President Gamal Abdel-Nasser and convey to you his greetings and best wishes for the success of your conference upon which the attention of every Muslim is focused. I have the pleasure to assure you that President Gamal Abdel Nasser follows with keen interest the conference's deliberations. The President believes that the meeting of Muslim scholars provides a vital medium to the attainment of objective opinions on a basis of research, knowledge, and recommendations seeking the pleasure of Allah and the benefit of all Muslims on the local level as well as on the level of the whole Muslim world which extends across five continents.

I have also the pleasure to express the deep appreciation by the people of the United Arab Republic of your sacred struggle for the cause of Allah. Our government and people appreciate the hardships you suffered

on your long journey to attend this conference for the sake of Islam, and the propagation of its teachings and heavenly verities upon which rests the wellbeing of Muslims.

Gentlemen,

Thanks to God (exalted He be) for affording us the opportunity of meeting in this third conference of the Islamic Research Academy.

Your annual conference has come to provide an opportunity for Muslim scholars to gather for the sake of pure knowledge free from every sort of political considerations that would alienate its scientific character. This character is worthy of Al-Azhar which has never failed in its mission as custodian of the Islamic heritage for almost one thousand years.

Your conference has, likewise, become an occasion impatiently awaited by all Muslims, who follow with keen interest the social, economic and political issues submitted to the conference, and look forward to such resolutions as would satisfy the Islamic peoples and meet the challenges facing Islam with sound religious decisions.

The free Islamic thought should have the upper hand it had at the beginning of the divine ministry.

On most of them the conference adopted resolutions and recommendations aimed to serve the Islamic community in both temporal and spiritual affairs, to reinforce the sense of co-operation between Muslim peoples, to support their just causes, and to correct the understanding of some legal rulings. Some papers are still under discussion because they require more time to be thoroughly studied so that the premises may be adequate to pass verdicts and draw conclusions.

To-day opens a new session of the Islamic Research Academy. The research papers prepared by the members will be presented for consideration to the conference on many matters of vital concern to Muslims at large. Foremost among the papers is the role of the Sunna in Islamic legislation and the refutation of doubts and suspicions cast on its authenticity and transmission. Several topics engaging the attention of Muslims at the present time will be presented for the first time such as the means of fixing the beginning of lunar months, thus determining Muslim feasts and other religious occasions with precision.

The conference will also discuss the means of benefiting by the sacrifices offered on the occasion pilgrimage as well as the questions relating to Islamic and contemporary economy.

Gentlemen,

I regret to announce the death of an eminent scholar of Islam and a member of the Academy, the late Sheikh Al Bashir Al Ibrahimi. May Allah shower His choicest blessings on him and rank him with the righteous.

Gentlemen,

In this session the plan of work will be the same at that of the two preceding sessions. It will be carried out in two stages, the first starts to-day and ends on the eleventh inst. In this stage the guests will participate with the members of the Academy. The second stage will continue to the end of the fourth week following inaugural meeting. The work of this stage will be confined to the Academy members.

As I have said and always say, to state the religious point of view on these topics and problems would not suffice. Our chief duty is to determine the means of implementing the resolutions and recommendations of the conference so that they would become the working plan for the Islamic community and the object of serious consideration. "Say : Work, Allah sees your work, and His Apostle and the Believers."

And Allah's is the guidance.

Peace be on you, the mercy of Allah and his blessings.

The plans of the Academy will be put into practice only when the influence of the Academy makes itself felt on the international level, when its message is supported by the organizations interested in the cause of Islam as well as by the forces in charge of Muslim affairs. Without such plans and support any step towards reform would serve no other purpose but to embolden the foes of Islam to disparage the Faith and strike at its roots.

Hence the need for frequent meetings in this Islamic forum in order to discuss the methods of preserving the Islamic religion and creed and ensuring a life of honour and glory for the Muslims. The will be achieved when conformity is established between life and religion, behaviour and creed. Not only will such conformity be a spiritual and conscious force capable of facing all challenges and smashing all orraneous nations and misleading calls but allso a coherent and social force calculated to bring welfare to Muslim peoples. "On that day the believers will rejoice in Allah's help."

It is for this reason that we should think seriously of the religious and cultural affairs of tens of millions of Muslims who represnt minorlties in many countries in order to help them understand their true religion in its pristine purity.

They should, therefore, be present here with their problems for the Academy to solve them in the light of the real life they live.

In order to enable the Academy to shoulder all these responsibilities, its scope has to be broadened and its powers increased.

Gentlemen,

The current session of the conference was preceded by two ones, the first of which was the first fruit of the Academy and the beginning of joint thinking among Muslims in modern age. In that session the Academy discussed several research papers and adopted resolutions and recommendations which might justly be considered as new rulings meeting the exigencies of the age. The second session, likewise, witnessed a set of scien-tific researches of vital importance, covering a wide range of topics such as 'The Islamic creed as expounded in the Quran', 'Contemporary bank transactions from an Islamic perspective', 'Family planning and birth control, and 'The status of woman in Islam. Other research papers dealt with social and cultural topics refuting many perverted concepts and ideas alien to Islamic culture.

All these papers were the subject of intensive study and discussion.

feelings through sympathy which paves the way for co-operation.

This aim will be achieved when Islamic communities believe that they possess a common heritage which can help them to face the problems of life and overcome these problems, when they believe that they form one nation combined by one religion having the avowal of one Creator as its essence, the worship of God as its means, love as its effect, good life, dignity and righteous behaviour as its fruit, all of which are the aspects of the message for which you, eminent scholars, are responsible and upon which you establish the methods of reform.

Gentlemen,

It will not be difficult for the Academy and its scholars to reduce all the new elements that entered the life of Muslims to the General principles and rules laid down by the canon law for the regulation of Islamic life. The canon law with its broad principles and rich details and the wisdom involved therein will make the task easy. To-day, however the matter is far more serious than the task of casuistry, elucidation and interpretation. We live in an age seething with internecine strife for domination and influence, a strife unprecedented in the history of humanity, whose aim is not concerned with the practical life of

mankind. Its real aim is to do away with religion both negatively and positively. To this hidden aim attention must be turned, and to its defeat all energies should be directed.

It is obvious that as yet the Islamic world is far from thinking of this challenge which threatens its religion. So far it has not analysed this challenge nor assessed its disastrous effects upon Muslims with the intellectual and dogmatic invasion involved therein. The Islamic world has not thought over the means of facing this challenge.

In this respect a heavy task devolves on the Academy as well as on Muslim peoples and communities.

The task of the academy is to reveal the Islamic values which establish the balance between the force of the individual and the society. It has also to reveal the major Islamic truths in a codified, scientific framework in whose light a Muslim could see his religion its pristine form and original purity, thereby distinguishing false and deceptive values which neither insure a safe future nor convince a sound mind.

The task of Islamic peoples is to instil these values into the minds of the rising generations, deepen their belief in them, and conform individual and corporate behaviour to them.

Allah saith truly in this connection, "Believers, men and women, are protectors one of another". Hence, sound belief and righteous work are the basis of good behaviour for both the individual and the community. The present conditions of Muslim peoples will be mended in the same way as those of first generations, Mundane interests will not unite Muslim peoples unless they are united by their religious doctrines, unless they are prompted by the motives of the covenant which Allah ratified with them. But they will not be united by religious doctrines unless these doctrines are firmly rooted in hearts free from hatred and minds pure from sin. "The blood of Muslims is equally retaliated. A promise made by an individual Muslim shall be taken as a promise held out by the whole community. Muslims form one front against their enemies".

To achieve this lofty ideal the Islamic Research Academy has been established so that it may be a meeting-place for Muslim scholars at large irrespective of their different opinions and tendencies.

Within the precincts of the Academy they meet, drawing inspiration from the Holy Book, seeking guidance in the pure Sunna. In their discussions and deliberations they seek the truth and uphold it. Then

they proclaim their verdicts regarding the problems discussed in a friendly atmosphere free from discord.

Had the Islamic Research Academy confined its attention to questions of jurisprudence and their solutions, it would have been doomed to failure, but since its birth and during its short span of life, its field of work has been the Muslim community; its means of work jurisprudence and study; its aim of research work, to rectify individual and social behaviour.

The purpose of scientific research in this respect is to solve the problems that confront Muslims in their daily life in a way that conforms to the tenets of their religion so that religion and life should not become poles apart with the result that Muslims are either driven by the current into dark depths of materialism brightened by dim, faint light of false values and artificial ideals which could neither enliven a human soul nor stand the test of time or rather driven by puritanism and extremism to the verge of monasticism and ascetism devoid of all dignity and glory and freed from the duties of social life urged by Islam.

The aim of studying the problems of Islamic communities is to find scientific solutions to them is a bid to promote friendly relations and

S P E E C H

By : Dr. Mahmoud Hubb Allah

Secretary General to the Islamic Research Academy

In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

Praise be to Allah. Him we praise, His aid we invoke, His guidance we seek. In Him we believe and in Him we trust. Allah bless His Apostle Muhammad and grant him peace together with his family and companions and the adherents of his religion.

Gentlemen :

To-day we meet in the U. A. R. under the aegis of Al-Azhar the house of Allah, the centre of learning, the stronghold of Islamic call, and the Mecca of Muslim scholars since ancient times.

To-day we meet in the third conference of the Islamic Research Academy, in response to God's call, and in order to deepen our knowledge of God's religion and law, and to promote the spirit of co-operation enjoined by Islam as a pre-requisite for the development of nations and communities.

We have already met in two conferences held before in which some members presented their

studies and researches while others expressed their opinions and presented the problems of their people and the aspirations of their countries. All the participants were inspired with an earnest hope and a major objective, namely, that Muslims should regulate their temporal affairs according to the tenets of Islam, free from distortion or falsification, conform their behaviour and institutions to the doctrines of their religion without alteration or deviation, and adhere to the Truth at a time when the Muslim community is impaired by the factors of weakness and threatened by the cancer of division and disunity.

Muslim peoples are characterized by a salient feature with which Allah endowed both the individual and the community. Islam teaches the individual to live for himself and his religion as well as for his community, seeing that he is a single entity living in a society which knows no bounds. At the same time it teaches the community to cooperate in order to make the individual live happily and breathe freely under its protection and care.

held by God is summed up in two main injunctions :

1 — Our bounden duty to expound in plain language the teachings of Islam.

2 — Our bounden duty to abstain from disguising these teachings.

"And (remember) when Allah laid a charge on those who had received the Scripture (He said) : Ye are to expound it to mankind and not to hide it" (III, 187).

God, Glory be to Him, has equally explained what we have to perform; nay, He had taken from us a strong pledge to utter the truth as evidently revealed in His Holy Book. Thus, we should not say against God aught but the truth.

"Hath not the covenant of the Scripture been taken on their behalf that they should not speak aught concerning Allah save the truth?" (VII, 169.).

For this reason, we have met together, and this would be the course we have to follow in our Congress, throughout this session and subsequent ones, by the Grace of God.

To the United Arab Republic is due the honour and credit that are greater than I can say : because it is the country to which belongs the exalted Azhar, the stronghold of Islam, the shining torch of learning and the castle of Arabism. The United Arab Republic is the principal centre of fraternisation (where people associate with each other in a spirit of friendly equality), by which we are most favourably impressed.

To her eminent people and honourable scholars, who represent the greatly beloved President Gamal Abdul-Nasser, we present our heartiest thanks and fervent prayers to God to favour them with ample reward.

Peace be upon you, God's mercy and His blessings.



in Allah and the Last Day and the angels and the Scripture and the Prophets; and giveth his wealth, for love of Him, to kinsfolk and to orphans and the needy." (II, 177).

Islam admits no partisanship, disunion, sectarianism, or the formation of contending blocs, because the whole body of Muslims are considered as closely related together through a firm bond of brotherhood. They are one unique monolithic party; the party of God.

"Lo! is it not Allah's party who are the successful?" (LVIII, 22)

God has admonished the faithful that whosoever takes infidels as friends, is deemed as one of them. "Your friend can be only Allah; and His messenger and those who believe". (V, 55).

Nay, God has warned believers of disunion: otherwise they would be idolaters. "And be not of those who ascribe partners (unto Him); of those who split up their religion and became schismatics, each sect exulting in its tenets".

(XXX, 21, 32).

In every issue that arises, Islam ordains, unceasingly, to have recourse to God, His messenger, and qualified scholars who are quite competent to apply the method of deductive reasoning. As to those who impart any novel issue

or extend their hands to unbelievers are not considered as real Muslims.

"When there comes to them some matter touching safety or fear, they divulge it, whereas if they had only referred it to the Apostle and such of them as are in authority, those among them who are able to think out the matter would have known it. If it has not been for the Grace of Allah and His mercy ye would have followed Satan, save a few (of you)", (IV, 83).

The Islamic Research Academy, composed of the foremost Muslim scholars, representing all the countries of the world, is our unique and cherished hope; it is the strong and unbreakable rope of God (to which all Muslims should hold fast).⁽¹⁾

All of us are held responsible for obligations, to comply with which we are answerable to God, His Book, His messenger, and to the whole body of Muslims.

The pledge in which we are

(1) The phrase between two Brackets is added to explain what is intended by the author as regards 'the rope of God'. The expression is quoted from the (Quranic verse : "And hold fast all together, by the Rope which God (stretches out for you), and be not divided among yourselves". (III, 103). (Tr.)

S P E E C H

By : Shaikh Ibrahim Siwar Al-Dhahab

On Behalf of the Delegates to the Conference

Praise be to God, Lord of the Worlds; peace and blessings be on Muhammad, the noblest of Apostles, his family and all his Companions.

Your Excellency vice-President of the United Arab Republic,

Your Eminence, the Great Imam, Rector of Al-Azhar and Chairman of the Congress,

Honourable Members of the Islamic Research Academy,

Honourable Delegates,

God's peace be upon you, His mercy, and blessings.

I have been most fortunate and immensely favoured by Providence to be accorded the honour of giving a speech on behalf of the delegations to this solemn Congress.

I extend to all of you, honourable Members, thanks that are beyond my humble powers to express. You have obliged us by the noble work you have accomplished and which is still in the course of fulfilment. I refer to these valuable Islamic studies, the statements of which you have deduced from the fully detailed indications in the standard works of Muslim jurisprudence. They are

intended to be entirely grasped by Muslims, so that the latter can act conformably to the verdicts which these statements comprise, and which have come to be a corpus of rulings, highly adaptable to every age and country, and considerably promoting the interests of the whole body of Muslims in both East and West.

No doubt that one of the basic fundamentals of Islam is to effect a perfect accord amongst Muslims whose strength is gathered, in dignity and power, for realising righteousness and charity and making mutual recommendations to truth. God has veraciously said : "By the declining day, Lo ! man is in a state of loss, save those who believe and do good works, and exhort one another to truth and exhort one another to endurance." (CIII, 1,2,3.)

Righteousness, in Islam, can never be earned by the mere directing of one's face towards the east or the west. "It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believeth

We should act in conformity to what we have learned as the appropriate teachings of Islam, so that we would not be included with those whom God described in the Quranic verse : "O ye who believe . . Why say ye that which ye do not ? It is most hateful in the sight of God that ye say that which ye do not." (LXI, 2, 3.).

Gentlemen, After having set a good example, we have to help those in authority in Muslim countries to put into force God's 'Sharia' instead of applying man-made legislation which is widely divergent from the divine. Thus, God's rulings can be applied as much as possible by Muslim rulers.

Once, Muslim rulers are accorded this guidance, the enemies of Islam would give up any hope of trying to deceive us through temptation and insinuation, because we would have recourse to God's 'Sharia' and the heavenly revelation.

I pray God, the Exalted, to help us in every deed (of piety) and in all that we renounce. "Our Lord.. Give us mercy from Thy presence and shape for us right conduct in our plight." (XVIII, 10.).

We, unanimously, implore Him to unite all Muslims in truth and to make them "hard against disbelievers and merciful among themselves" (XLVIII, 29).

I pray God, the Exalted to bestow upon Muslim rulers success and to strengthen through them the prestige of Islam, so that Allah's word becomes the uppermost.

On behalf of the Conference and of all Muslims, I greet President Gamal Abdul Naser, because he had been helped by God to establish the Islamic Research Academy, to found its Council, and to put this Conference under his gracious patronage.

I, equally express my heartiest thanks to him for deputising the vice-president Al-Sayyed Husseln El-Shafe'i at the formal inauguration of the Conference. I implore God to reward adequately all those who have rendered good services to this Conference and have striven to make it a success, so as to enable it to perform its message. "Allah is sufficient for us . . Most Excellent is He in Whom we trust" (III, 173).

May God's blessings be upon you.

exhortation". "Say: O people of the Scripture .. Come to an agreement between us and you, that we shall worship none but Allah, and that we shall ascribe no partner unto Him, and that none of us shall take others for lords beside Allah. And if they turn away, then say: Bear witness that we are they who have surrendered (unto Him)" (III, 64). And His saying: "The messenger believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and (so do) the believers. Each one believeth in Allah and His scriptures and His messengers- we make no distinction between any of His messengers". (II, 285).

We declare to the world, at large, that Islam calls upon mankind to come to a word laid down plainly that we will not worship other than God, nor associate aught with Him, because God is He who created everything. He is the Omniscient, Who is marked out with all the perfect attributes. "Naught is as His likeness. He is the Hearer, the Seer". (XLII, 11).

God, the Almighty, knew mankind's need to Islam, so He revealed the Holy Quran to His messenger Muhammad. The Quran comprises the word of God who promised to guard it against any alteration or modification. God says: "Verily,

we have sent down the Reminder and verily we will guard it."

(XV, 9.).

He, who believes in any revealed religion, and intends, through his own free will, to embrace Islam, is not required to renounce the message of the former prophet in whom he had believed. It would only suffice to rectify his faith in the unity of God, to disown associates with Him, to worship God sincerely, and to believe in the message of Muhammad together with the messages of the former prophets, including the one in whom he had previously believed.

The call to Islam is mainly based on the fact that God had created mankind and that nobody is distinguished by either race or colour. Merit is only accorded to those who perform pious deeds. The Holy Quran had declared these principles fourteen centuries ago. God, the Almighty says: "O mankind Lo .. We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo .. the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct. Lo .. Allah is knower, Aware." (XLIX, 13.).

To perform adequately our duty, we would greatly be helped, if we set a good example to all Muslims.

with the rejoicing of Zionism all the world over, hailing the project of the Islamic Pact, how all the information media in Israel have been made use of to propagate for the idea of the Pact. The council discussed, as well, the statement I had already made, before its meeting, in which condemnation of the prospective Pact is clearly expressed. The council, then issued the following decision :

1. The Islamic Research Academy condemns the political and colonialist motives underlying the idea of the Pact and calls the attention of the Muslim states to caution themselves against the deceptive methods adopted by the colonialistic policies.

2. The council supports the statement that had already been issued by His Eminence the Rector of Al-Azhar as regards the proposed Pact, and considers this statement as thoroughly expressing the view of the Academy touching on the projected Pact.

The statement had been submitted to the Secretariat of the Academy and it is accessible to anyone willing to be informed of it.

Since we disagree with those who support the idea of the Pact,

because we consider it as unquestionably prejudicial to the basic interests of Islam and Muslims, and regard it as a means that is considerably advantageous to colonialism and Zionism, we urge those who strive to propagate the idea of the Pact, to reconsider the project and to draw a comparison between the aims they intend to realise through the Pact and the grave misuse it would surely entail; This is due to the fact that we are a compact community of Muslims. We should renounce what causes doubt and suspicion and should adhere to what is sound and reasonable. We have to abandon what we deem as ambiguous and equivocal and abstain from anything that might contaminate our faith. We should determine as our ultimate aim the unity of Muslims and to let Muslims resolve unanimously upon truth. This is identical to what is aimed at by your conference. Equally is it maintained by the teachings of Islam.

Gentlemen :

We, as Muslim scholars, entrusted by God, the Almighty, for the preservation of Islamic teachings, are held responsible before God the Exalted for expounding the Islamic beliefs to call unto the way of thy Lord with wisdom and fair

When the attacks launched by the enemies of Islam prove to be of no avail, we shall never find anyone misled by their erroneous arguments or bent on insinuating their preposterous assumptions.

In such a way, the Islamic atmosphere might be cleared from any intriguing or plots intended to break asunder the unity of Muslims. Henceforward, Muslims would easily recognise their true enemies : avowed or disguised.

Since the ultimate aim of this conference is to promote the interests of Islam, the first duty of Muslims should be to clean off the Islamic territories from every usurping intruder or despetic accomplice. It is up to Muslim scholars to guide their brothers in faith so as to make them fully informed about the verdict of Islam, bearing on any sort of bloc or combination that is apparently showing compliance with the teachings of Islam but is really intended to lead to surrender and submission.

Both old and modern historical events indicate that the enemies of Islam in the past are quite similar to their corresponding representatives who are challenging the modern world of Islam; the Zionism of to-day is merely an extension to the medieval crusading spirit of yesterday.

If Muslims were to realise this fact, they would recognise those who had been hinted at by God in the Quranic verse "Allah forbiddeth only those who warred against you on account of religion and have driven you out from your homes and helped to drive you out that ye make friends of them. Whomsoever makes friends of them (all) such are wrong-doers" (LX, 9).

Taking in charge this duty, the Academy's council investigated in its twenty first meeting, held on the 1st of Dhul-Hijja 1385 A. H., (23rd March, 1965) the attitude to be adopted towards the project of forming a Islamic Pact. It had equally dealt fully with the idea of the Pact and how it had developed.

The Academy's council surveyed the attitude of those who uphold the project of the Pact and who strive to call attention to it in both the Arab countries of the Middle East and the northern parts of Africa known as the Maghreb.

The study, equally, comprised the cause of freedom in the Arab zone, its relevance to the teachings of Islam and the attitude of Muslim countries which fervently support the issues of liberation, both Muslim and Arab. The council dealt also

United Arab Republic holds, through Al-Azhar, this annual conference which is meant to let the world, at large, hearken to the final conclusions drawn from the Muslim scholars' investigations which reveal the substantial principles of Islam, as closely and clearly integrated without obscurantism, as thoroughly evolving and unfolding, without any relapse into unbridled license and as encompassing all the possible issues without adducing any pretexts.

The holding of such conference has realised the excellent presuppositions perceived by its advocates and the favourable assurance anticipated by Muslims. In its two previous sessions, the Conference had offered a voluminous corpus of academic studies, revealing the acumen of their authors and their lucid intellectual faculties. The prominent features of their scholarly work are the penetrating and exhaustive research, the variety of topics, and the adaptability of their inquiries to the mental outlook of our age and the exigencies of the modern ways of living.

The Islamic Research Academy has dealt fully, in the recommendations and decisions it has issued, with what engrosses the attention and energies of Muslims, i. c. liberating their respective countries from colonialism, purifying their

faith from schismatic aberrations, and exposing the misleading trends in cultures, known to be utterly lacking in consistency and reasonableness.

We implore God the Almighty to bestow upon us further aid, so that we might be more competent to grasp and fathom the teachings of His Holy Quran, to be appropriately guided by the Sunna of His Prophet Muhammad and the 'Ijtihad' of former Muslim scholars who had perceived Islam in a way totally devoid of fanaticism and who had adopted a tolerant attitude in argumentation and fairness in controversy. Thus, we emphasise to the contemporary world that Islam is fully equipped with the fundamentals, essential for realising a virtuous life and constituting a prosperous community whose individuals co-operate in charity and righteousness.

Once we are favoured by God in realising this aim, we shall have refuted the doubts raised by the enemies of Islam as to the adaptability of the Muslim Faith to real progress in all the aspects of life and to its competence to offer mankind a perfect and upright form of civilisation in which both the material and spiritual standpoints are fully integrated.

S P E E C H

By

H. E. HASSAN AL-MAMOUN
THE GRAND SHEIKH OF AL-AZHAR

In the Name of Allah, the Beneficent, the Merciful, I open the third session of the congress of the Islamic Research Academy. On behalf of Al Azhar, I greet you with the greetings of Islam that start with peace and culminate in mercy, and blessings from God. Glory be to Him and may He be Exalted.

May God's blessings be upon you.

I extend to you further greetings on behalf of all Muslims; these are meant to be an expression of confident anticipation and trust in you. Praise be to Allah, Who hath guided us to this. We could not truly have been led aright, if Allah had not guided us. I pray for and greet the Holy Prophet Muhammad whom God hath sent with the guidance and the religion of truth that He may cause it to prevail over all religion.

The United Arab Republic, honoured by the adopting of Islam as its faith, and Arabic as its language and Al-Azhar as its foremost site of Islamic learning, feels great pleasure in welcoming Muslim scholars from all parts of the world and in

according them a warm reception that corresponds with the noble task and expected achievements for which they have been invited.

It is a great honour to the United Arab Republic to afford Islam a favourable opportunity to let a world adrift and confused hear the word of truth uttered by honest and outspoken hearts.

Firmly believing that religion with Allah is Islam, the United Arab Republic has recognised the appropriateness of Islam to all ages and countries, has perceived the adaptability of its teachings to any novel issues that might arise in human life and its compliance with the inevitable stages in human development. This is due to the fact that Islam had been constituted by God Who knows what He had created and He is the Subtile, the Aware.

As a corollary to this firm belief in the matchless traits of Islam and in the distinction of its principles and legislation which treat fully with the whole issues of life, the

explore ways and means of unifying Muslims of all countries so that they may form a united front co-operating individually and collectively in virtue and piety and working together for their own benefit and that of humanity. It also resolves that the Academy should equip itself as early as possible with all the means necessary for the spread of Islam, and its defence and the necessary for carrying out these duties and also the pooling of resources. This is a matter of utmost importance demanded by contemporary Muslim life”.

The first conference of the Academy created great hopes and kindled much courage, thus a second International conference of the Muslim scholars was held in May 1965. It studied topics concerning the family and society and

announced its recommendations on the subjects of Financial and Economic Affairs, Family and youth Affairs and problems of civilization and social Affairs.

Now we have before us the fruits and blossoms of the third conference. The general picture of these experiments sheds light on the path of the Islamic Research Academy. This great Academy connected the bonds that were broken and awakened the Muslim scholars to a new life of unity and solidarity and provided them opportunity to exchange views on various problems facing the Muslim world. There can be no two opinions about the importance of these conferences of the scholars of Islam, who shoulder the responsibility of spreading Islam and solving dogmatic and social problems. This indeed is no mean achievement for the Academy.

The Inaugural Session and the Speeches

The Inaugural Session of the third Conference of the Islamic Research Academy was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday, 1st October 1966 (16th Jumad al-Akhira 1386 A.H.). The Grand Sheikh of Al-Azhar, H.E. Hassan Al-Mamoun delivered the inaugural address. Sheikh Siwar Al-Dhahab of Sudan spoke on behalf of the delegates participating in the conference. Dr. Mahmoud Hubb Allah, Secretary General to the Islamic Research Academy, then reviewed the important role of the Academy in solving the problems that confront Muslims in their daily life. And he explained the tasks and issues which were before the conference. Mr. Hussain Al-Shaf'ei, Vice-President of U. A. R. delivered a speech. He welcomed the delegates on behalf of President Gamal Abdul Nasser. Following are the texts of the speeches delivered in the session :—

SPECIAL ISSUE

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Jumâdal-Akhira
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

October
1966

THE THIRD INTERNATIONAL CONFERENCE OF "The Islamic Research Academy"

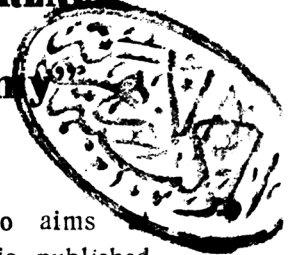
By : A. M. Mohiaddin Alwaye

The third Conference of the Islamic Research Academy was held in Cairo in October 1966, under the auspices of the glorious Al-Azhar and the guidance of the great Muslim Scholars of the world.

This was a continuation of the previous two conferences held in 1964 and 1965. The Islamic Research Academy was established in 1961 under the patronage of Al-Azhar, to serve as the highest body for Islamic Research. It also aims at undertaking the study of all that pertains to the Islamic heritage, working on an international level, aiming for the rejuvenation of Muslim culture releasing it from the many past false accretions. So presenting the true elements of Islam.

This Academy also aims following up all that is published by Muslims and non-Muslims alike about Islam and its legacy, to benefit from what is right and to refute and rectify what is wrong. The first conference of the Academy, which comprises a select number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage, was held in March 1964 in Cairo. It was a dream come true. That conference had given the Muslim Scholars, from all over the world, a forum to meet and an opportunity to share each other's views. The first conference announced in a statement:

"The conference resolves that the present condition of the Muslims imposes a duty on the Academy to



مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٥٠ في المبرور العربية لفحة
٥٠ ضاحج المبرورية
والمدرسين الطلاب تخفيض خاص

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزءان الخامس والسادس - السنة الثامنة والثلاثون - رجب وشعبان سنة ١٣٨٦ هـ - أكتوبر ونوفمبر ١٩٦٦ م

السلامة والحرية



لُغَتَنَا بَيْنَ الْمَلِمْ وَالْمُعَلِّمِ

بقلم

أحمد حسن الزيات

وتباعد الديار هي الدين واللغة . وما دامت
أمة محمد روحا واحداً بالإسلام ، ولساناً
واحداً بالعربية ، فإن استقلالها موقوت
وإن طال ، وإن استقلالها آت وإن تأخر .
لذلك سمعت فرنسا سعيها الدائب في مراكش
والجزائر لفقة البربر عن دينهم بإصدار
الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم
بطردها من المدارس والدواوين ؛ ولكن
دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، والله
المصحف كانت أبقى من لغة السيف .

أكتب اليوم عن اللغة وصلتها بالفسكر
وخطرها في النهضة وأثرها في الوحدة ، فإن
الكلام من حولها يكثر ، والرأي في أمرها
يختلف . وما كان لكثرة الكلام عنها داع
ولا لاختلاف الرأي فيها موضع ، لولا
أن قوضى الأدب في مصر قد جعلت من اللغة
العربية وأدبها مسألة تريد الجواب ومشكلة
تطلب الحل . ولهذا المسألة أو المشكلة أصلاً :
الاستعمار والجهل ، أما الاستعمار فلأنه رأى
أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف الأقطار

من التناقض والشذوذ وتعدد الأوجه وتباين المذاهب ما ينفر الطلاب منه . والذين صبغوه بهذه الصبغة هم الرواة الذين رادوا البوادى وشافهوا الأعراب ودونوا كل ما سمعوه ، فاجتمع لهم بذلك المترادفات والأضداد وتعدد الجموع والصيغ لفظ واختلاف النطق للكلمة . وكان النحاة مضطرين إلى أن يمحطوا قواعدهم لتشمل هذه العيون وتستوعب تلك اللهجات ، فأغرقوا القواعد في الشاذ ، وأفسدوا الأحكام بالاستثناء ، حتى نذر أن تستقيم لهم قاعدة أو يطرد عندهم قياس . وزاد في هذه البلبلة أن أعاجم النحاة أسرفوا في التعليقات والتفديرات حتى جعلوا النحو والصرف ضربا من الرياضة الذهنية والقضايا الجدلية التي لا يصلحها باللغة سبب ، ولا يقوم عليها فن ولا أدب .

فإذا كان القائمون على اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم ينظرون في النحو والصرف على أنهما قواعد للغة واحدة ولهجة واحدة فيقتصر منها على القواعد الشائعة التي تحفظ هذه اللغة وتقوم تلك اللهجة ، على شرط ألا تهرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة ، وألا تجعل بالاختصار أشبه بالهيكل العظمى ، فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح ؛ وإذا كانوا يعمدون النظر في علوم البلاغة بعد أن اختلفت مذاهب القول ، وتعددت أغراض

واكتفت بالجلوس على عاداتها من الدهاء والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقها ، لأن اللغات العامية تختلف في البلاد العربية اختلافا شديداً يكاد يجعل كل لهجة منها لغة مستقلة . وإذا انهمكت أطامها اللغة المشتركة وهي الفصحى استحالت التفاهم وضعفت العقيدة وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يبتلعها قطعة قطعة ، ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار في الشرق وقوة الوعي في العرب . وأما الجهل وهو الأصل الآخر لمشكلة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار في هذه الدعوة المجرمة . والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها ، وعزوفهم عن علومها وأدبها ، وهو جنافية المدرسة ، فقد فشلت في تخريج القارئ الذي يقرأ عن فهم ، والكاتب الذي يكتب عن علم ، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبا ، ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيراً صحيحاً لا بلسانه ولا بقلبه . فإذا دفعه استعداده الأدبي إلى الكتابة أثر العامية على الفصحى ، ودعا إلى التحلل من القواعد والقيود ليجمع الفوضى فظاما والخطأ مذهبا والعجز شركة .

وعلة هذا الفشل هي النحو نفسه ، فإن فيه

باللغة، ويقرأ باللغة ويبرزه باللغة، فالناظم بينهما شديد والتفاعل بينهما ظاهر، وهذا هو الفرق بين لغة تتكلمها منذ الصغر، ولغة تتعلمها في الكبر، فالعربي إذا تعلم الفرنسية مثلاً وأراد أن يعبر بها ففكر أولاً بلغته الأصيلة، ثم ترجم فكره إلى اللغة الدخيلة.

وهذا يوجب على المعلمين أن يصلوا فكر الناشئ بالفصحى في جميع أطوار عمره المدرسي، فيسمع بها دروسه في كل ما يتعلم، ويؤدى بها أفكاره في كل ما يكتب، ثم ينشأ للطفل أدب قائم بذاته يتألف من الحكايات والأساطير المنترضة من أدب الشعب تيسر عليه اللغة وتوجب إليه القراءة وتضيق في ذهنه الفرق بين لغة الكتابة ولغة الحديث، ثم يستعان على تقويم لسانه وتقوية ملكته بالأنشيد القصيرة الموقعة والمدرجات البسيطة المنوعة.

فإذا بلغ طور المراهقة وكان قد نشأ في هذا الجو الجميل من القصص والشعر والغناء والتثليل، طلب المزيد من ذلك في دروس الأدب، فتحلل له أبلغ الروائع أينوق، وتشرح له أجمل النماذج ليحفظ، وتختار له أمتع الكتب ليقرأ؛ حتى إذا تخرج وجد القراءة قد أصبحت من عادته فلا يكف عن الاطلاع، والكتابة قد صارت من طبائمه فلا يضيق بالإنتاج، وبذلك يكون تعليم اللغة

الكتابة، واستحدثت المقالة والأفصوصة والقصة والرواية، فيصلح منها الفاسد ويكمل الناقص ويفصل الجميل، لتتسع لأغراض الحياة ومقتضيات الحضارة ومطالب العصر؛ رجونا أن تسفر جهود الثورة عن إصلاح لغوى كامل شامل يجيب اللغة إلى الطلاب، ويسهل الكتابة على الكتاب، وينفي عن الشباب ممصرة الجمل بلغتهم وأدبهم فلا يدعون إلى اللغة العامية، ولا يتمردون على الآداب العربية. وليس من شك في أن رجال الثورة الذين يزهون اليوم نهضة العربية ووحدة العرب سيولون هذا الإصلاح اللغوى ما يستحقه من الجهد والعناية، لأنهم يعلمون علم اليقين أن اللغة الفصحى هي عماد الثقافة الإسلامية، ورباط الجامعة العربية، وأن أدبها هو التراث الروحي المشترك الذى يشور في دمائنا لننهض، ويصرخ في آذاننا لتتحد ويشتد في حدائنا لنلحق.

وفي اعتقادي أن أصل الأصول في الإصلاح اللغوى أن نصلح الطريقة التي تعلم بها اللغة، فإنها لا تزال تعلم باعتبارها ألفاظاً مفردة، وقواعد مجردة لا تتصل بالعقل ولا بالنفس ولا بالحياة.

وكان الطريق الأمثل أن تعلم على أنها الوسيط الذى تتمثل فيه الأفكار والآراء فنحن لا نفكر إلا بلفظ، ولا نلفظ إلا بفكر، والتلميذ منذ الحداثة يسمع الفكر

ومذاهب الأدب عندنا هي مذاهب الأدب في الغرب؛ حتى الرمزية، وهي كما قلت في كلمة أخرى بنت الأفق الغائم والنفوس المعقدة واللسان المنغمم، يريدون أن تتبناها العربية وهي بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح، وحتى الوجودية، وهي وليدة الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة، يحاولون أن تتبناها العربية لغة الرسالة الإلهية التي كرمت الإنسان وفضلته على سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعداها وهو عاقل، ولا يتحداه وهو مؤمن ١.

• • •

والثورة التي هزمت الفساد وقهرت الاستبداد وحررت الوطن جديرة بأن تكفل الإصلاح للتعليم، والاستقلال للأدب، والحرية للفكر، والحماية للفصحى، لتسير الأمة صحيحة الجسد والروح، قوية الذات والمعنى، متحدة الرأي والهوى، إلى ما نرجوه لها من سلطان وعمران وهزة ٢.

أحمد حسن الزيات

على هذا الوجه قد أحدث آثاره الثلاثة : أثره العقلي بربط الفكر باللغة، وأثره النفسي ببعث اللذة من تذوق الأدب، وأثره العملي في خلق القدرة على القراءة والكتابة، وإذا استطاع الشاب بعد المدرسة أن يقرأ فيفهم، ويكتب فيحسن، ويفكر فيصيب، استطاع أن يجد السبيل إلى كل علم، والطريق إلى كل غاية .

أما تعليم الفصحى بالعامية، وتخفيف القواعد ليقراها الطالب كتاب المعلقة دون أي كتاب، ويكتب بها موضوع الإنشاء دون أي موضوع، وتدریس نايخ الأدب على أنه سجل ولادات ووفيات، وديوان حوادث وروايات، فذلك هو الذي كره الدارسين في اللغة، وزهد الناشئين في الأدب، وصرف أدباء الشباب إلى الآداب الأوروبية، فالمتفرنسون مثلاً يحفظون (هوجو) ولا يحفظون المتنبى، ويدرسون (فلتير) ولا يدرون الجاحظ، ويقرأون (لامرتين) ولا يقرأون البديع ومن هنا نشأت هذه التبعية المعيبة التي فرضت على أدبنا لآداب الغرب، فأساليب الكتابة اليوم هي أساليب الكتابة في الغرب،

ألوان من الرياء

للأستاذ محمد محمد المدني

يقصد في أكثر الأحيان إلى ما هو من العبادات فيأتي به في ظروف خاصة مریدا به لإظهار تعبد لله ، وتعريف من يراه بأنه رجل صالح ، وبذلك يكرن قد فعل الفعل الذي حققه أن يكون لله صرعا ، مریدا به وجه الناس وإن زعم أنه يعبد الله ، وفي القرآن الكريم « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وهذا يدل على شدة مقت الله للرياء ، وأنه يريد لعباده التطهر منه ، والترفع عنه كما يتطهرون عن الشرك الأكبر الذي هو عبادة الأوثان والطواغيت فعلا .

والرياء أنواع :

منها : الرياء بالمظهر والسمت واصطناع الخشوع :

يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأ طيء رأسه ، ويثنى رقبته إلى صدره ، متظاهرا بالخشوع ، فقال له : ارفع رقبتك - يا صاحب الرقبة - إنما الخشوع في القلوب ، وليس الخشوع في الرقاب ! ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده ، فقال له : أنت أنت لو كان

من أصول السرية والتذيب للنفوس في الإسلام : الاعتماد على ما في القلوب من الإخلاص وصفاء النية ، لأن الأعمال أو الأفعال الظاهرة لا تحقق الغاية المقصودة منها إلا إذا صدرت عن قلوب منيية إلى الله ، متجهة إليه ، بالقصد ابتغاء مرضاته ، وطلبها لما عنده .
فإنه تعالى يريد من عباده أن يكونوا جادين فيما يصدر منهم ، لا أن يكونوا متظاهرين به ، ولذلك اعتبر الإسلام الرياء نوعا من الشرك ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : (الرياء - يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ؟) .

وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا عن ربه ، فقال : (يقول الله عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء ، وأنا أغني الأغنياء عن الشرك) ومعنى قوله « فهو له كله » أي لذلك الشريك ، لا أقبل منه شيئا .

واعتبار الإسلام الرياء نوعا من الشرك هو تعبير جيد عن واقعه ، فإن المرائي

الدين والعبادات وسيلة لا كتساب ثقة الناس،
والتوصل بذلك إلى المغايم؛ فترى الواحد منهم
يظهر التقوى والورع والتحسر على ما وصل إليه
حال الناس من المعصيان والخروج على الدين،
وغرضه أن يعرف بالامانة والتدين، وقد
كانوا قديماً يرغبون في الوصاية على اليتامى
أو النظارة على الأوقاف، أو تولى القضاء بهذا
اللون من النظام بالتدين، والآن نجد من
يفعل ذلك ابتغاء للظهور أمام العامة وجاهير
الشعب، بالغيرة على الدين، والغضب
لا انتهاك الحرمات، لأن لهم مأرب من وراء
الظهور بهذا المظهر في اقتناص الحكم والسلطان
والمناصب.

ومن أنواع الرياء ما نراه أيضاً من أولئك
الذين يظهرون في العامة بمظهر، وفي الخاصة
بمظهر آخر يخالفه ويناقضه، فهم أمام العامة
يتزمتون ويقشددون ويتسكلمون في الحلال
والحرام والشبهات، كلاماً يبدو فيه الورع
الشديد، والغيرة على الدين والأحكام، حتى
إذا التقوا بقوم من الخاصة في نادى الأندية،
أو مجلس من المجالس، انطلقوا على سجيبتهم
يحلون الحرام، أو يحرمون الحلال، ليظهروا
بمظهر الحرية الفكرية، والتقدمية العلمية،
وعدم الجبود على آراء الأولين، وهؤلاء
ينطبق عليهم قوله تعالى :

« وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا
خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن

هذا في بيتك، أى في خفاء عن الناس لئلا
يكون تظاهراً ورياء .

وقد رأيت وأما في القطار ذات يوم رجلاً
ذا سمع ووقار، ولحيته سوداء شابة، وهو
يجلس بعيداً عني، وكان كلما شعر بأنني أنظر
إليه يحرك شفتيه كأنه يقرأ أو يدعو،
حتى إذا تظاهرت بأنني لا أراه، استقرت
شفته فلم تتحركاً، فبدأ لي أن أخبره،
فكررت النظر إليه مرة بعد مرة، وفي كل
مرة أراه يسارع إلى تحريك شفتيه في ارتباك
واضح من المفاجأة، حتى أدركتني شفقة
عليه، فعرفت النظر عنه !

وقال على كرم الله وجهه :
« للرائى علامات : منها أنه يكسل إذا كان
وحده، ويفشط إذا كان في الناس . »

والرائى يكون عادة ضعيف الشخصية،
فيريد أن يسترضف شخصيته بالنفاق والخداع
والتظاهر والادعاء، ومعسول القول،
وهو الذى يقول الله تعالى فيه :

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة
الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد
الخصام وإذا تولى سمى في الأرض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العوة
بالإثم لحسبه جهنم ولبئس المهاد . »

وهذه الآيات الكريمة تصف أخطر
أنواع المرائين، وهم أولئك الذين يتخذون

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من هؤلاء ويقول : (إذا رأيتم المادحين فاحشوا في وجوههم التراب) - أى فلا تقبلوا منهم مديحهم وردوهم عن رياتهم ردا قبيحا ، كما لو أنتم التراب في وجه عدو لكم ، قادم عليكم . والواقع أن المادح عدو حقيقى للدوح ، يريد أن يخدعه عن نفسه ، ويخيل له أنه أعظم الناس ، ولذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من مدح في وجهه فكأنما ذبح بغير سكين ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن مدح رجلا : (ويحك ! لقد قصمت ظهر الرجل) وفي هذا إرشاد وتحصين ضد الرياء ورؤية النفس ، يدور في نطاق المعنى الذى جابه ، القرآن الكريم ، حيث يقول الله عز وجل :

« لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ؛ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

ومن الناس من يرائى بالأصحاب والزائرين ، فربما بذل جهده في التعرف إلى شخص له جاه ومنزلة ليقل إن معارفه كثير ، وربما رأيت المرائى من هؤلاء يجلس بجوار أحد المسئولين مثلاً ، ويسر إليه حديثاً مجرد أن يقول الناس إنه صاحبه ، وكل ذلك إنما يفعله أصحابه طلباً للجاه والمنزلة في قلوب العباد . والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ، .

محمد محمد المرنى

مستهزئون ، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، .

ويقول الإمام الغزالى في هذا الصنف من المرائين :

لقد كان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام من يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض - أى لأنهم كانوا يرون قوة المسلمين ، ويطمعون فيما لديهم فيراءونهم وينافقونهم باعتناق الإسلام - قال الغزالى : وهذا مما يقل في زماننا ، ولكن يكثر الآن من ينسل عن الدين باطناً ، فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلاً إلى قول الملاحدة ، أو يعتقد على بساط الشرع والاحكام ميلاً إلى أهل الإباحة ، أو يعتقد كفر أو بدعة وهو يظن خلاف ما يعتقد ، هؤلاء من المنافقين والمرائين المخسدين في النار ، وليس وراء هذا الرياء رياء ، بل حال هؤلاء أشد من الكفار المجاهرين بالكفر ، فهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر .

ومن ألوان الرياء التى يمجتها الإسلام ، ويرشد إلى التحرز من أصحابها : ما درج عليه بعض الناس من إزجاء المدح والثناء لمن في يدهم الجاه أو المال أو الحكم ، فترى هذا الصنف من المرائين يقسم بالله جاهداً أنه لم ير مثل عبقرية فلان ، وأنه حاش دهره طويلاً ، واتصل بكثير من الناس ، فلم ير أحداً غلصاً مثل فلان ، وهو يقول ذلك ليعلمه الممدوح فيكافئه عليه ، وقد يقوله في وجهه ليندعه عن نفسه .

الإسلام ونتائج المدينة الحديثة

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

من ذلك الخطر المحقق وتقليل الجشع البشري الذي أصبح مفرطاً في القوة على صورة فنية تسكاد - ولا قدر افقه - تصير مشروعه ، أو لوقفه عند حده وإخضاعه لعقل جماعي رفيع يسمح بخلق وسائل جديدة لمقاومة هذا الخطر السكامن في هذه المادية كون الجرائم الفتاكة ، والذي لو وز كل إلى حيز الوجود لهوى بالإنسانية جمعاء في عبودية ذليلة تنتهى بها بعد قليل من الزمن إلى الهيمنة الخاصة . وليس هذا تشاؤماً من جانبنا ، بل إن عددا لا يستهان به من العلماء التجريبيين ، ولكنهم أيضاً من المفكرين المتعمقين ، قد فزعوا منذ عشرات السنين ، وسجلوا في مؤلفاتهم هذا الفزع من تلك النتيجة المرعبة الموجهة من العلم نحو الإنسانية ، وطالما ذكرنا في مقالاتنا وكتبنا شيئاً من فصوصهم القلقة في هذا الشأن ، واليوم نستأنس برأى العالم الكبير (ألكسى كاريل) في كتابه الشهير : (الإنسان ذلك السكائن المجهول) إذ يقول :

« حقا إن العلم التقى لا يأتينا ألبته بالشر مباشرة ، ولكنه يصير خطراً حين يحبس - بسبب فتنة جماله - عقولنا تماماً في داخل المادة التي لا روح فيها ولا حياة ، ومن

بما لا سبيل إلى الشك فيه أن المفكر الواهي لا يسكاد يتأمل فيما نفاً من الحرب العالمية الثانية من كوارث ، وما تركته وراءها من دمار مادي ومعنوي ، وتدهور خلقى ، حتى يدفعه ذلك التأمل إلى أن يوجه إلى نفسه هذا السؤال في حميرة وارتيابك ، وهو : لماذا نشاهد أن هذا القرن الذي كشف للإنسانية كثيراً من التقدمات العلمية الباهرة قد حمل إليها كل هذا الدمار وصير مشيقاتها الفاتنة خرائب وأطلال ، وجعل معالمها الجميلة دميعة شوهاء ؟ ولا يوشك هذا السؤال أن يتجه إلى النفس حتى يدوى صوت العقل في منطق المتزن الرهيب قائلاً : إن السبب واضح ، وهو أن الميكانيكا التي (اخترعت لتتحكم في المادة) قد سمحت لبعض الأنامى القساة المحرومين من كل حاسة خلقية أن يتحكموا في البشرية ، وأن يحاولوا إخضاع العالم لإراداتهم . ومن ثم فإن واجب الإنسان الذي لا يزال يستمتع بإنسانيته ، قد صار ثقيلاً إلى حد الإرهاق ، وإن صرخات الضمير البشري وجهوده المتواصلة ، وقواه المتضافرة تسكاد كلما تلتقى في حرارة وحدة للتصميم على الخروج من هذه المأساة المحزنة والابتعاد

التي تكشف لنا النقباب عن الحاجات الحقيقية للأفراد ونحن نعلم أتم العلم أن هذه هي إحدى الغايات العظمى التي رمت إليها الأديان السارية وعلى الأخص الإسلام بسبب ما تحقق فيه من ميزات قبول جميع المعارف واتساع صدره لسلك العلوم ومقدرة مبادئه على دمجها ، وعلى التوفيق بينها بهيئة تسمح للمدنية الحديثة بتجنب أن تصدر كارثة عامة كتلك التي يتوقعها الدكتور كاريل حين يقول: «إن البيئة التي شيدناها بقولنا واختراها نتا ليست مقيدة على قادتنا ولا على صوتنا ، وهي لا تلتزم ، ونحن فيها تعساء ، بل نحن ندهور دقليا وخلاقيا وبقينا إن الجماعات والأوطان التي بلغت فيها المدنية الميكانيكية قمتا ، هي التي تضعف أكثر من غيرها ، وهي التي تكون عودتها إلى البربرية أسرع لأنها تبقى بلا دفاع معنوي في البيئة المادية العادية التي أتت بها العلم ... ففي الحقيقة أن القلق والشقاء اللذين يلازمان أعضاء المدينة الجديدة (أي أهل المدن المفرطة في الميكانيكية) لا يأتيان من أنظمتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحسب ، بل هما يأتيان من تدهورهم الخاص إذا أنهم ضحايا تأخرهم في علوم الحياة من علوم المادة ... » (ص ٣٢) .

ولكى يكون تعبير هذا العالم دقيقا كان يفبغى أن يقول: إن علوم الحياة كانت موجودة بل منفتحة ومزدهرة ثم طغت عليها علوم

ثم فإن الانسانية اليوم يجب علمها أن تركز اعتبارها على نفسها ، وعلى أسباب عدم كفايتها الاخلاقية والعقلية ... فليسه العلوم الميكانيكية والطبيعية والكيميائية هي التي تأتي لنا بالخلقية والذكاء والصحة والاتزان العصبي والسلم الباطني ، وإذن فينبغى أن يتخذ ظمونا إلى المعرفة طريقا آخر غير الطريق الذي يسلكه اليوم أي أن معرفتنا يجب أن تنج من الجوانب الفيزيقية والفسولوجية التي هي محصورة فيها الآن نحو الجوانب العقلية والروحية ، (ص ٤٨) .

وليس هذا العالم وحده هو الذي ينادى بسرعه الإغاثة بل إن كثيرين غيره يبالون بوجود اختصاصيين ينشغلون بدراسة الحياة الباطنية للإنسان وبمحاكاة الدينية والأخلاقية التي تتطلب الترضية بصورة لا تقل قوة وسلطانا من حاجاته الفسيولوجية عندما يتعلق الأمر بسعادته ، وأكثر من ذلك أن الدكتور كاريل يذهب - في فكرة وجوب دراسة الانسان - إلى أبعد مما ذهب إليه أولئك العلماء فيقول : « في الحق أنه منذ أن قضت المدنية الحديثة على الشرائط الطبيعية للوجود ، قد صار علم دراسة الإنسان أكثر العلوم ضرورة » (ص ٣٢) .

وإذن فالعلماء التجريبيون الحقيقيون هم الذين يدعوننا ، بل يستحثوننا على العناية بعلم الدراسة الداخلية للإنسان ، لأنها هي

أو الجاهل بأى علم من العلوم المتعمقة بهما كتعليمها
تنتهى إلى الفشل ثم إلى الدمار . وهو قبل ذلك
كله ، ينصر على أن القائل بهذا الإهمال أو السائر
فيه ، جاهل بالحقيقة الإنسانية ولا عجب في هذا
إذ أن مفشئ الإسلام الذى أمر بالتبحر في
العلوم معنويها وماديها هو الأهم بما ينبغى
للإنسان في دنياه وآخرته ، وبوسائل سعادته
وسيره نحو الكمال ، أما القائلون بإهمال العلوم
المعنوية ، والاقتصار على الماديات فهم من
القشوريين الذين قيل في شأنهم ما بلى :

قل للذى يدعى في العلم معرفة
عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

الحق الذى لا مشاحة فيه إذن هو أن
الاجتماع بين علوم الحياة والسلوك البشرى ،
وهى العلوم المتجه نحو الجوانب الدينية
والأخلاقية من جهة ، والعلوم الطبيعية من
جهة أخرى ، أى جميع المعارف الإنسانية
التي يدعو الإسلام إلى الإحاطة بها ، ذلك
الاجتماع هو الذى جعل منه ديننا كونياً .
ولا جرم أن هذا التوجيه يعنى - في هيئته
جد بسيطة وجد عميقة - بالأسس الجوهرية ،
ويتحرك لكل أمة التصرف في مسائلها الخاصة
العارضة التي تقضى طبيعتها بتغيرها وتطورها
حسب الأزمنة والامكنة والظروف . ولقد
لاحظ الكاتب الفرنسى الكبير (بلاك) ذلك
في كتابه (الآمال المفقودة) فقال : (إن
الشموب الدينية لديها قوانين قليلة) وهذه

المادة فأنست المحدثين إياها نسياناً يوشك
أن يكون تاماً ؛ لأن الإسلام قد أتى بها إلى
الإنسانية ، وأمر أتباعه أن يتزودوا منها
ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً دون أن يسمح لهم
بإهمال أى شيء من العلوم المادية ، لأنه
طالما بحث الإنسان على اقتناص جميع المعارف
والعلوم بلا استثناء . ولستأ هذا في حاجة إلى
إعادة الآيات الجمة ، والأحاديث الموفورة
التي لا تبيح العلم فحسب ، بل توجهه وتحض عليه
في حزم وجد لا نظير لها في أى دين آخر
وتلك إحدى الميزات المتعددة التي جعلته
ديناً عالمياً بل كونياً ، وضمنت صلاحيته
لكل زمان ومكان . وسر ذلك أن هذا الدين
المحالد يهدف إلى رفعة البشرية والسير بها
نحو الكمال ، وتحقيق السعادتين المعنوية
والمادية لأن ذا الجلال والإكرام يعلم أن
الإنسان مكون من نفس وجسم ، وأنه
لا يكون رفيعاً ولا سعيداً إلا إذا حكم النفس
في الجسم وجعل لها عليه السيادة والقيادة
والأمر والتنفيذ (ألا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير) .

ولقد وضع الإسلام فهم الحياة الماض ،
وتطبيقها الحاضر في قواعد دقيقة احتوتها
المبادئ الإسلامية الواردة في القرآن
والأحاديث ، وفي الحياة العملية للنبي الجليل صلى
الله عليه وسلم ومن ثم فإن إهمال أى جانب
من جوانب معرفة الحياتين المعنوية والمادية

(٤) يحض في شدة هلى الخيرية بأوسع امتداداتها .

(٥) يدين لإدانة صريحة الظلم في جميع مظاهره ، ويحظر أدنى صوره هلى كل شخص أيا كان ، وبإزاء أى كان .

(٦) يشرف العقل ويمجده وبأمر بتأسيس كل تصرفات الحياة على التفكير .

(٧) ينشر مبادئه وتعاليمه بوساطة الحجج العقلية والإقناع ، لا هن طريق الحياة أو الإكراه .

(٨) يترك لأشباع كل دين الحرية والعناية بفهم وتثبيت تعاليم عقائدهم كما يبدو لهم .

(٩) يشرك الفقراء مع الأغنياء في ثروتهم ويقر الوسائل العملية كمقود البيع والإيجار على جميع أنواعها ^(١) ، لأنها تحقق المعونة العادلة المتبادلة بين العاملين وملاك الأرض ورءوس الأموال .

(١٠) يدعو إلى الرأفة بالضعفاء وهى التى ينبثق منها بالضرورة تأييد البؤساء والتدخل لصالح المضطهدين ، وتطبيق الجزاء هلى الظالمين .

(١١) يدين عبودية الإنسان للإنسان كما يدين الاستبداد على جميع صوره ، ونظامه ديمقراطى في جوهره ، وهو لا يقر الحكم المطلق ولو بالنسبة إلى أعدل الاناسى .

بان من هذا كله أن النتيجة البقينية للطريق الإلهى هى السعادة والرفعة والنجاح

(١) أى التى لا ربا فيها . مجلة الأزهر .

العبارة تشرح القوة التوجيهية للمقيدة في سلوك الشعوب دون أن تتركها في حاجة إلى رقابة القوانين الوضعية التى تقوى وتشتد بقدر ما يضعف الإيمان . ولكى لا نسهب في تعقب هذه البساطة ، وفى تقبيل تلك المبادئ الإسلامية التى وضعت القواعد الرئيسية للحياة البشرية بأنواعها الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية دون أن تحاول فرض أى فرع من الفروع العرضية في حياة الأمم كما أسلفنا آتقاء ، لكى لا نسهب في ذلك ، نود أن نقف بك هنية عند بيان علماء الجزائر المصلحين الذى نشره في سنة ١٩٣٦ والذى يلخص هذه المبادئ الإسلامية فيقول ما موزجه :

إن الإسلام هو دين الله الذى أنزله لتوجيه عباده في أفضل الطرق . ومن المبادئ الأساسية لهذا الدين أنه .

(١) على نفس النحو الذى يدعو فيه إلى الأخوة الإسلامية بين المسلمين ، هو كذلك ونفس الجدية يذكر التماسك الإنسانى بين جميع البشر .

(٢) يثبت المساواة التامة - من وجهة نظر الكرامة الإنسانية وحقوق الأفراد - بين الاناسى من جميع الاجناس والالوان .

(٣) يفرض كقاعدة مطلقة العدالة بين الاناسى دون أدنى امتياز من أى نوع كان .

من أسرار معابده أو يتلذذون على كونهته الذين لا يستطيع علماء العصر الحديث سبر أغوار معارفهم؟ الحق أنهم كانوا يأتون إلى هذا الوادى لينقبوا عن الحقيقة المضمون بها على غير أهلها ، وهى التى تشرح ألوهية التوحيد أو دين الفطرة الذى تفضلت به العدالة السماوية على جميع أهل الأرض والذى حدثنا القرآن أن الله قد أنبأ به البشرية كلها فى الميثاق الأول وفى هذا المعنى يقول مؤرخ الآمار القديمة (ماكسيموس) التهرى ما نصه: « أشهر الفلاسفة قد استعاروا أفضل النظريات فيما لديهم من الحقائق والأمور الخالدة والفكر الخصبة من التقاليد الدينية للإنسانية . »

وبما لا ريب فيه أن تلك التقاليد قد فقدت فى كل مكان تقريبا ولكنها بقيت فى مصر مصونة أتم الصيانة وأنفسها . ولهذا كان وادى النيل مقصد جميع الحكماء والعلماء . ولعل هذا هو أحد المرجحات التى قال النبى الجليل هن مصر من أجلها : « إنها كنانة الله فى أرضه ، وهذا كله يشغل واجبنا فى الشعور بالمسئولية ، ويدفعنا إلى الاحتفاظ فى الحاضر والمستقبل بمسكانتنا كأمانة الدينونة ومعلنى الوجود . »

وإذا كانت مصر هى كنانة الله التى اختارها لصيانة المبادئ الإسلامية والعمل على

الخلق والاجتماعى والسياسى ، أما الطريق البشرى المادى ، فإن نتيجهته المحتومة هى الفوضى والتدهور والخراب والانهيار إلى البهيمية الشائنة .

وإذ كان أولئك العلماء الجزائريون المصلحون قد استطاعوا أن يتعمقوا فى هذه المبادئ الإصلاحية الجليلة ، وأن يستخلصوا منها تلك القواعد التنظيمية الخالدة ، فنحن بفطرتنا أولى بذلك ، لأننا ننسب إلى شعب أعدته السماء أكثر من أى شعب آخر لفهم تلك المبادئ وتطبيقها ، والظفر نتائجها الرائعة وهى الصلابة والتماسك والديموم والثقافة والخيريه ، وبالإجمال معالم الإنسانية الرفيعة السائرة إلى التقدم سيرا متواصل ، ولم لا ؟ ألسنا صلالة هذا الشعب الذى تثبتت فى أعماقه منذ القدم حاسة إرادة البقاء بصورة تجعلها تكاد تكون من جوهر وجوده ذاته أو لسنا أبناء أولئك الذين كانوا يؤمنون بأنهم تلقوا معارفهم عن السماء مباشرة ؟ بل ألسنا منجدرين من أولئك الذين كان يقال عنهم منذ العصور الأثرية : « إن شعب مصر هو الشعب الدينى بأدق معانى هذه الكلمة ؟ وإلى جانب هذا كله ألم يكن أكبر حكماء الأرض فى العالم القديم - كفيثا غورس ، وأفلاطون وفلوناخوس وغيرهم - يأتون إلى وادى النيل لعلهم يظفرون بجانب

ليست أقل ضرورة لتحقيق السعادة من النشاط المادى الذى يحسن الحياة الاقتصادية فحسب وأن أول الجهود التى ينبغى أن يقوم بها أولئك المنتجون المعاصرون هو مقاومة هذه الفكرة الاسيئة التى تعلن: أنه لا فائدة إلا فيما يبتج المال . وهى فكرة خطيرة انزلق إليها قسم كبير من الإنسانية ، وهو الذى دوى فى أحابيل المدنية المادية المعاصرة المؤلفة من الرأسماليين والصناعيين الذين يماون الآن أشد أزمت الضمير الخلقى التى يخشى العقلاء أن تجهرف البشرية كلها . وسر ذلك أن الإنسانية قد استطاعت أن تعيش آلاف السنين بغير هذه المخترعات الحديثة ، ولكنها لم تستطع ، ولن تستطيع ، أن تعيش يوماً واحداً بلا أخلاق ولا دين ، لأن الدين حصن مضيق لأخلاق الأمم ، وضمان متين لتماسك الشعوب ومن ثم فإن الحسكة من الأندمين والعقلاء من المحدثين قد انفقروا على أن المؤلفين والكتّاب الذين يتقيدون فى كتاباتهم بالقواعد العقلية والقوانين الخلقية والمبادئ الدينية تتسكون لديهم ملكات خاصة تمتاز بدوام التوجه إلى العقول والأرواح فى قوة ورواة وخلو تام من الأغراض والأهواء . فتنفذ كتاباتهم ونصائحهم إلى صميم القلوب .

المكتور محمد غطوب

ازدهارها وتفتحها بفضل الأزهر قلعة الدين وحسن اللغة العربية من جهة وبما جد فيها على يد النظام الحاضر من تشجيع شتى المعارف ومختلف الثقافات ، وترجمة منتجات الأمم الأخرى من جهة ثانية ، فإن من الطبيعى أن تكون مصر على رأس الشعوب العربية بل الإسلامية ومارى آدابها وملجأ فنونها ومآتى قمرىها بعزتها وكرامتها وحريتها وقيادتها إلى الاستقرار الاجتماعى . وبالإجمال هى مرفأ السلام الذى كان يحط أنظار الشرق منذ أقدم العصور ، وكان الاستعمار يعوقه عن توجيه سفنه إليه حتى شمت أنوار النظام الراهن فتطمطعت العوائق وتكسرت العقبات واقرب الجميع من الغاية العظمى وهى انتهائاً .

غير أننا نطالب بالحاح وجد شديدين بأن يكون هذا الإنتاج الثقال والعلى الراهن على نفس النحو الذى أشرنا إليه فى مبدأ هذه الكلمة ، والذى سجله الدكتور (كاريل) فى كتابه المذكور آنفاً أى أن المؤلفين والمترجمين المعاصرين ينبغى أن يضعوا نصب أعينهم أن الهدف الاسمى للتقدم هو أقصى مراتب العرفان بنوعيه المعنوى والمادى ، وأن القيادة أو التوجيه يجب أن يكون للأول لا للثانى لأن الحاجات الأخلاقية والدينية

نقض ما كُتب في رسالة ”دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني“

للكاتب محمد الصادق عربون

بعده ، ومن هنا بدت لنا أهمية قراءة هذا البحث وكتابة بحث علمي بما وصل إليه جهدنا في غير استقصاء لما لأهمية له من وجهة نظرنا .

١ - قالت صاحبة الرسالة في مقدمة بحثها (ومن أجل هذه الأسباب جميعاً اخترت ميداناً لغوياً أصيلاً في العربية لتتم في رحابه محاولتي ، وأهني به ميدان القراءات والتجويد القرآني) بينما مؤلفة الرسالة في أسطر سابقة هذه العبارة الأسباب التي لأجلها اختارت القراءات والتجويد القرآني لتكوين موضوع بحثها . فالبحث إذا يقصد إلى الحديث عن قراءات القرآن وتجويده فمحوره وميدانه قراءات القرآن وأدائه ترتيباً .

٢ - قالت صاحبة الرسالة ص ٢ : (ولقد اخترت هذا الموضوع بالذات لأنه أرض خصبة يتضح فيها بجلاء أن الأداء القرآني كأي فن أدائي آخر يتأثر بالنظام العام للغة ، وبالظروف المختلفة التي تحيط به عند نشأته ، ثم يحتفظ ببعض آثار هذه الظروف بسبب تدخل العامل التقديسي ،

وقعت إلينا نسخة كاملة من هذه الرسالة ، بعد سماعنا بعض ما أثير حولها ، فقرأناها ورأينا - خروجاً من هدة ما أخذناه على أهل العلم من موافيق ألا يكتفوا حقاً علوه ، وألا يسكتوا عن باطل عرفوه ، بل عليهم أن يبينوا بالحكمة ما وصل إلى علمهم في صراحة الحق المذهب ، وجهارة الرأي في دائرة البحث العلمي ، بعيداً عن عصبية الجدل ، وجدل التعصب لفكرة أو مذهب ، خصوصاً إذا كان البحث متصلاً بالإسلام وأصله ، وعلومه ومعارفه فإن هذا الدين - بحمد الله - رحب المدى قوى البناء متين لا يغالب ، عظيم لا يسامى .

وهذا البحث موضوع الرسالة التي بين أيدينا يدخل في صميم الأصول الإسلامية ، أو هو على التحقيق يدور حول أصل الأصول الإسلامية ، إنه دراسة في التجويد القرآني ، أي أنه بحث في القرآن الكريم ، في أهم جانب من جوانبه ، والقرآن الكريم هو أصل الأصول الإسلامية أو هو أصل الإسلام وقاعدته التي يرجع إليها كل أصل

السكريم وترتيبه طريقة خاصة معروفة عند السلف إذا خرج منها القاري أنكر عليه ، ولا يسكت هن عوامل زمنية أو شخصية أو ييشية تتدخل فتغير من طريقة الأداء القرآني التي يوجبها عامل التقديس ، وتقتضيها صحة الأداء التجويدي للقرآن الكريم .

وقد كرهوا النبر في قراءة القرآن ، والنبر رفع الصوت ببعض خفضه بما يشبه التلاعب وكرهوا في القراءة هذا كنه الشعر ، وأجازوا الحذر والتدوير ، وكل هذه طرائق في أداء التلاوة القرآنية عرفها علماء القراءات قال القرطبي : علم على القطع والبتات أن قراءة القرآن تلقيا متواترة عن كافة المشايخ جيلا فجيلا إلى العصر الكريم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها تحجيج ولا تطريب مع كثرة المتعمقين في غمار الحروف ، وفي المد والإدغام والإظهار وغير ذلك من بقية القراءات ، ثم إن في التجميع والتطريب ممز ما ليس بمهموز ، ومد ما ليس بممدود فترجع الألف الواحدة ألفات ، والواو الواحدة واوات ، والشبهة - أي الحرف - الواحدة شبهات - أي حروفا فيؤدى ذلك إلى زيادة في القرآن ، وذلك ممنوع ثم قال القرطبي : وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة التجميعات ، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق .

وايكن ذلك العامل مهما كان قويا لا يمنع من أن يعمل الزمن عمله) .

واضح من هذا النص أن صاحبة الرسالة جعلت الأداء القرآني مثل أى فن أدائي آخر كالشعر بأنواعه والتغنى به وبأى كلام آخر - يتأثر بالظروف المختلفة ... وعامل التقديس في القرآن مهما كان قويا لا يمنع من أن يعمل الزمن عمله في الأداء القرآني فيغير فيه ويبدل ويزيد وينقص .

وقد نص علماء الإسلام على أن قراءة القرآن لها حدود وضوابط في الأداء والترتيل إذا خرج القاري عنها بزيادة أو نقص فإنه يكون آثما بهذا الأداء ، وقد يخرج أدائه ما يقرؤه عن تسميته قرآنا .

وقد عقد الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره بابا بعنوان : (كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى وما يكره منها وما يحرم واختلاف الناس في ذلك) وهذا معناه في وضوح - كما يؤكد ما ذكره القرطبي مفصلا تحت العنوان الحديث عن الأداء القرآني وتلاوته وترتيبه وقد روى في هذا الباب أحاديث تصف أداء النبي صلى الله عليه وسلم وترتيبه القرآن ، وفي حديث أنس بن مالك أن زياد الثميري قرأ أمام أنس فرفع صوته وطرب ، فقال له أنس رضي الله عنه : يا هذا ما هكذا كانوا يضعلون .

وهذا نص صريح في أن الأداء القرآني

وهذا التعميم لهذه القاعدة ، لابد - في نظر الباحث - من تطبيقه على القرآن الكريم باعتبار نصوصه وآياته وكلماته بناء لغويا منطوقا يكون صورة أدائية تخضع لنظام اللغة العام ولهجات الأفراد وعوامل الزمن ولن يستطيع عامل التقديس وضبط الأداء القرآني المنقول بالتواتر جيلا لجيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعوق هذا التأثير ، فالقرآن في نظر الباحث كغيره من الأبنية اللغوية المنطوقة خاضع للتأثر ب لهجات الأفراد وعوامل الزمن والبيئة وهذا بلا شك يخرج النصوص القرآنية عن قداستها في الأداء المنطوق بالتواتر عن الأشياخ جيلا لجيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الوحي جبريل عليه السلام ما عليه رب العزة تبارك وتعالى ، وهذا الخضوع للتأثر بذلك يجعل النصوص القرآنية كأي بناء لغوي منطوق كالشعر بألوانه الغنائية وغيرها والمجع وترنياته والخطب وطبقاتها في الحماس والهدوء والنبر ، وسائر كلام الناس الذي يخضع في أدائه لهذا التأثير .

وحينئذ تخرج النصوص القرآنية عن ضوابطها الخاصة ، وسماتها الترتيلية للمأمور بها في الأداء ، ولا ريب أن ذلك يفتح باب التحريف والتبديل والتغيير في ألفاظ القرآن وكلماته ، وهذا ما لا يقبله مسلم .

٤ - قالت الباحثة ص ٣ : (ومن أجل إثبات وجهات النظر هذه انقسم البحث إلى

وهذا نص صريح أيضا في أن أداء قراءات القرآن منطوق بتواترها تلقيا عن القراء بأسانيد متصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان كذلك فلا يمكن أن تدخله عوامل الزمن والبيئة فتغير ما تواتر منه ، ولو جاز لهذه العوامل أن تدخل لوقع المحذور الذي يخرج به عن القرآن والفاظه عن حقائقها المنزلة لها ، ولأدى ذلك إلى الزيادة في القرآن ، وهذا ما لا يقول به مؤمن .

٣ - قالت صاحبة الرسالة ص ٣ : (وكان الهدف الثاني - للباحثة وراء هذا البحث - هو إثبات وجهة نظر الدراسات الحديثة في أن أي بناء لغوي منطوق يكون صورة أدائية تتأثر بنظام اللغة العام ولهجات الأفراد ، وبعامل الزمن مهما تدخلت عوامل أخرى لعوق هذا التأثير) .

هذا نص صريح في أن الرسالة وضعت قصداً لإثبات وجهة نظر الدراسات الحديثة - وهي عندنا دراسات المستشرقين - وأن إثبات وجهة نظر هذه الدراسات الحديثة هي الهدف الثاني من أهداف الرسالة .

وواضح من هذا النص أن الباحثة تقصد إلى تعميم قاعدتها بأن أي بناء لغوي منطوق يكون صورة أدائية تتأثر بنظام اللغة ولهجات الأفراد وعوامل الزمن ، ولن تستطيع عوامل أخرى تعويق هذا التأثير .

إنما هو حصيلة تفكير إنساني مصدرها الأول والآخر النظر في القرآن الكريم بنصوصه النازلة من السماء المتلقاة بالتواتر القطعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يضرا لإسلام أن ينظر ناظر في هذا المجهود الفقهي ، فيخطئ أو يصيب في أنظارهم . ولكن يضير الإسلام أن يأتي باحث أيا كانت مكانته ، فيهجم على آيات القرآن ونصوصه ويعرضها للتحريف والتغيير والتبديل .

٥ - قالت صاحبة الرسالة ص ٨ (الفصل الثاني - دراسة من مواقع التاريخ) ثم ذكرت تحت هذا العنوان قولها : (ولما كان الرسول يفعل ذلك - تقصد كما قالت : إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحاول استخدام لهجة القوم الذين يحدتهم - في أحاديثه العامة معهم فن الأولى أن يفعله في الأمر الأهم الذي أتوه من أجله ، من الطبيعي أن يستبدل في النص القرآن لفظه بأخرى يعلم أنها أكثر شيوعا في تلك البيئة ، أو يرى أنها تحمل شحنات من المعاني تفهم الفسكرة أكثر ، أو أن يغير في نظام جملة يجعلها أكثر وضوحا أو ليكسبها بلاغة أكثر في نظر القوم الذين يقرأ أمامهم) . ثم ذكرت صاحبة الرسالة بعد ذلك قولها : (ومن الطبيعي أن يلحق التغيير - أي زيادة على تغيير اللفظ - الأداء نفسه فيتميل إذا أقرأ من يميلون) .

وهنا نقف - أولا - مع الأستاذ الدكتور حسن عون المشرف على الرسالة ، وهو العالم

أربعة أقسام رئيسية تناولنا في أولها الحديث عن القراءات ونشأتها منذ نزول القرآن الكريم على الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ظهور القراءات السبع المعروفة) .

وهذا القسم الأول من هذه الأقسام الأربعة هو الذي يهمنا ، ونسجل هنا في صورة واضحة أن البحث في القراءات مقصود للباحث ذاتا ، وليس من باب التكملة التي لا يحتاج إليها ، والتي يصح حذفها من الرسالة . وتبقى للرسالة قيمتها بدونها ، وليس من شك أن البحث في قراءات القرآن بحث في نصوص القرآن ، الذي هو أصل الأصول في دين الإسلام فليس من الحق في شيء أن يبحث الرسالة الذي قامت عليه ليس بحثا دينيا - كما يقول الأستاذ الدكتور المشرف على رسالة في كتابه الأبيض . وليس من الحق في شيء أن يبحثا يتناول آيات القرآن وكلماته وألفاظه لا يتناول الدين في جوهره ولا في أصوله ولا في تشريعاته ، وإذا كانت آيات القرآن ليست جوهر الدين ولا أصوله فإمى إذا أصول الإسلام وما هو جوهره ؟ .

والأستاذ الدكتور المشرف على الرسالة عالم مسلم أزهرى قبل أن يكون شيئا في عالم العلم والمعرفة ، وهو بعنوانه الأصيل من أخبر الناس أو كان يجب أن يكون من أخبر الناس بأن جوهر الدين الإسلامى وأصوله ليس هو مجهود الفقهاء الذين قصدوا لاستنباط الأحكام الفرعية من القضايا الشكلية لأن هذا المجهود الذي بذله الفقهاء

في بيئة من يحاط بهم من الوافدين إليه للإيمان به وتعلم القرآن المأزول عليه بألفاظه التي تحمل معانيه المقصودة بأسلوبه الخاص ونظام جملة ، والله تعالى قد نزهه عن ارتكاب هذه الطامة ، وأمره أن يقول رداً على الذين لا يرجون لقاء الله من كل كافر عنيد ، حينما أرادوه على تبديل آيات القرآن وألفاظه ونظام جملة ليمتنحوا صدقه في دعواه: أن هذا القرآن نزل إليه من عند الله ، فقالوا له : و أنت بقرآن غير هذا أبديله قل ما يكون لي أن أبديله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، و أوضح من نص الآية أن هؤلاء الملاحدة من أبالسة الكفر طلبوا متعنتين من النبي صلى الله عليه وسلم أحد أسرى على سبيل البذل والتخيير .

الأمر الأول : بأنهم بكتاب كامل غير هذا الكتاب الذي يتحداهم به ليتوصلوا بذلك إلى إثبات عدم صدقه في دعواه: أن هذا القرآن منزل عليه من عند الله ، وأن ما يتحداهم به قوله : « قل لأن اجتمعتم الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، غير صحيح .

الأمر الثاني : أن يبدل هذا القرآن فيغير نظام جملة بتغيير ألفاظها أو يغير أسلوبها بالتقديم والتأخير أو بالزيادة والنقص أو نحو ذلك من ألوان التبديل .

وقد رد الله عليهم بأمره نبيه صلى الله عليه

المسلم الأزهرى ففسأله سؤالا جانبيا ، هل فضيلته لا يزال عند رأيه في أن البحث الذي قامت عليه الرسالة ليس بحثا دينيا ولا يتناول الدين - الإسلامى طبعا - في جوهره ، ولا في أصوله ؟ بعد هذه الفقرة التي سقناها من نصوص الرسالة ، وهي كما يرى الرايون مشتملة صراحة على أربع طامات كل طامة منها هي شر من أختها ، وكل طامة منها معول الحادى يهدم الدين من قواعده .

الطامة الأولى :

قول صاحبة الرسالة : (من الطبيعي - أى وجلال القرآن هكذا النص - ومن الطبيعي أن يستقبل رسول صلى الله عليه وسلم في النص القرآن لفظة بأخرى يعلم أنها أكثر شيوعا في تلك البيئة) .

وهذا التعبير لا يستعمل - كما يعرفه كل من شدا شيئا من علم اللغة واستعمالاتها - إلا في المعاني المصلحة التي تكون من قبيل البدايات أو الضروريات العقلية التي لا يعترها شيء من الشك .

والمسلمون عامتهم وعلماؤهم يتساءلون : أية طبيعة هذه التي انتسبت إليها هذه الطامة البركانية التي تتلاهب يوحى الله إلى الأمين سيد الوجود ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فتجعله يستقبل من تلقاء نفسه في النص القرآن لفظة بأخرى مجرد أنه يعلم أن هذه اللفظة أكثر - تأمل أفعل التفضيل - شيوعا

- في نظر صاحبة الرسالة - أن يهمل لفظة من القرآن أوحى إليه بها لقصد معناها ، ويتركها مضية ليضع مكانها - من تلقاء نفسه طبعا في نظر صاحبة الرسالة - لفظة أخرى لمجرد علمه بأنها (أكثر شيوعا عند القوم) ، وهنا يثب سؤال (على) : وأين يقع علم محمد صلى الله عليه وسلم من علم (رب محمد) صلى الله عليه وسلم ؟ أو ليس فقط هو في البداهة - إن كان للبداهة فوق - أن (رب محمد) صلى الله عليه وسلم كان (أعلم) من محمد صلى الله عليه وسلم بأكثرية شيوع اللفظة الجديدة في بيئة القوم ، فكان من سواء الدعوة أن تستعمل هي في الجملة القرآنية المنزلة حتى لا يضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى التبديل والتغيير في نظام الجملة القرآنية وألفاظها ؟ فيقول على الله ما لم ينزل عليه ، والله تعالى يقول له (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) .

وصاحبة الرسالة تذكر هذا التغيير والتبديل في نظام الجملة القرآنية بتغيير لفظة باللفظة سببا عاما يؤكد أنه يفعله من تلقاء نفسه دون توقيف ، وهذا هو التقول على الله فتقول (ولعل السبب في استخدام الرسول عليه السلام للهجات العرب المختلفة هو رغبته في استغلال (أى) والله مكثرا استغلال ما في الطبيعة الإنسانية من الارتباط والشعور) وإذا كان النص مسوقا في صدد محادثة النبي صلى الله عليه وسلم من محادثهم عن يفدون إليه

وسلم بالتبلى من القدرة على إجابته إلى أى أمر من أمريهم ، ولكن صاحبة الرسالة تقول : ومن الطبيعي في صناعة الإشراف على وسائل العلم والبحث أن يكون فضيلة الأستاذ الدكتور العالم المسلم الأدهى المشرف على الرسالة قد اطلع على قولها هذا - (من الطبيعي أن يستبدل الرسول عليه السلام - طبعا من تلقاء نفسه دون توقيف من الله تعالى ، لأن صاحبة الرسالة ترفض التوقيف صراحة في قراءة القرآن كنتيجة أولى من النتائج التي توصل إليها بمحتها فهي تقول بالحرف الواحد في ص ٢٨٨ - (١ - أول نتيجة توصل إليها هذا البحث هي رفض فكرة التوقيف في قراءة القرآن) وتقول في نفس النص (وكان اختلاف الناس أيضا في قراءة الصورة الموحدة التي ألزمهم بها عثمان دليلا جديدا برفض فكرة التوقيف ، ثم أكد هذا الرفض حمل ابن مجاهد في اختيار سبع من قراءات كثيرة) وفعود إلى نص الرسالة في الطامة الأولى حيث تقول : (من الطبيعي أن يستبدل الرسول صلى الله عليه وسلم في النص القرآني لفظة بأخرى يتغير بها نظام الجملة القرآنية لمجرد علمه أن اللفظة الجديدة أكثر شيوعا في تلك البيئة . ونص عبارة الرسالة كما نقلناه حرفيا يفيد بمقتضى صيغة (أكثر) أن اللفظة المبدلة هي المنزلة من عند الله كثيرة الشيوع معروفة لدى أهل تلك البيئة . لكن الرسول عليه السلام رغم هذا الشيوع وهذه المعرفة لا يبالي

لكن واقع الأمر عند صاحبة الرسالة أن النص القرآني نزل من عند الله تعالى بلفظة تحمل (شخات) من المعاني تفهم الفكرة (أقل) مما تفهمه لفظة أخرى لم ينزل بها النص القرآني ، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن اللفظة الأخرى التي فانت القرآن أن ينزل بها هي التي يجب أن تبلغ للقوم لما فيها من شخات تفهم الفكرة أكثر . هذا منطق الرسالة .

أما منطق العلم والإسلام فيأبى أن يتقبل هذا المنطق الذي يعطى النبي صلى الله عليه وسلم حقا لا يرتضيه لمقامه الشريف ، يعطيه أنه أدرك - أكثر مما أدرك القرآن العظيم - ولا أريد أن أقول كلمة أخرى - أن لفظة فانتة ولم ينزل بها كانت أليق بموقعها من أختها التي نزل بها ، لأن هذه اللفظة الفائتة تحمل (شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر) مما تحمل اللفظة القرآنية التي نزل بها النص من عند الله ، وحيث أن يكون من حق النبي صلى الله عليه وسلم أن يستبدل باللفظة القرآنية اللفظة التي فانت القرآن أن ينزل بها ، والتي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم مناسبة في مكان اللفظة القرآنية لتؤدي ما تحمل من شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر . وجميع لوازم الطامة الأولى لازمة هنا .

محمد الصادق عرموده

(عميد كلية أصول الدين)

من قبائل العرب فإنه مرتبط ارتباط الأصل بالفرع بقولها (ومن الطبيعي أن يستبدل في النص القرآني لفظة بأخرى إلخ .) وهو صريح في أن الحامل له على استخدام لهجات العرب في أحاديثه هو نفس الحامل له على أن يستبدل في النص القرآني لفظة بأخرى ، بل إن صاحبة الرسالة كانت أصرح في أن هذا (الاستغلال) أولى أن يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ، وهو الأمر الأهم الذي أتاه القوم من أجله فتقول : (ولما كان الرسول عليه السلام يفعل ذلك في أحاديثه العامة معهم فن (الأولى) أن يفعله في الأمر الأهم الذي أتوه من أجله . إلخ .) الطامة الثانية : قول صاحبة الرسالة (من الطبيعي - إعادة لأصل النص لتحقيق الربط - أن يستبدل الرسول عليه الصلاة والسلام في النص القرآني لفظة بأخرى يرى أنها تحمل شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر) . في هذه الطامة وقع لفظ (أكثر مواقعها غير موقعه في الطامة الأولى ، لأن الأكثرية هناك في الطامة الأولى لا تبيح الاستغلال مادامت الفكرة موجودة ، أما هنا في هذه الطامة الثانية فاللفظة التي تحمل شخات من المعاني تفهم الفكرة أكثر يجب أن تكون هي اللفظة القرآنية التي يجب أن تبلغ إلى الناس وهي التي تحقق في أسلوب القرآن الإعجاز وهو مناط حجية القرآن .

من مجموعت جمع البحوث الإسلامية :

وظيفة الراعى ومسؤولياته

وثيقتان من الأدب الإسلامى السياسى

للأستاذ محمد خلف الله أحمد

وهناك طائفة كبيرة من أمثال هذه الوثائق فى الأدب الإسلامى فى مختلف عصوره وهى جديرة بالدراسة والتأمل ، لما فيها من العرض البليغ لروح الإسلام وتعاليمه ولما تمثله من مناهج التطبيق العلمى للأصول العامة التى وضعها القرآن - وأكدها السنة اسياحة المجتمع والقيام على شئونه .

ومن الوثائق الهامة فى هذا الأدب الإسلامى السياسى عهدان مشهوران فى تاريخ الإدارة الإسلامية .

أولهما : ما كتب به الإمام على رضى الله عنه إلى مالك بن الحارث الأشتر الفخيم ، حين أرسله والياً على مصر ، وهو وارد بنصه فى كتاب " نهج البلاغة " الذى جمعه السيد المرتضى من كلام سيدنا الإمام على كرم الله وجهه ، وقد تنبه الشيخ محمد عبده ، شارح الكتاب إلى أهمية الجانب السياسى فى أدب الإمام على فأشار إليه إشارة خاصة فى خطبته ونبه مديرى المدارس إلى ما فيه من الكلام فى أصول المدنية وقواعد العدالة وبيان حقوق الرعية على الراعى .

أوضح الإسلام طبيعة العلاقة بين الراعى والرعية ، ووضح الأسس الثابتة لدولة ديمقراطية روحية ، تمتزج فيها الفسكرة الديمقراطية الكاملة بالروح الدينى ، وتقوم فلسفتها على أساس الاعتقاد بوحدانية الخالق وبـ كرامة بنى الإنسان والمساواة بينهم فى الحقوق والواجبات .

ويشهد لعناية الإسلام بهذا الجانب من حياة المجتمع وفرة الأدب الإسلامى التوجيهى فى السياسة والحكم والإدارة والقضاء وجباية الخراج والصدقات وقيادة الجيوش وشئون الحرب والسلام وما إليها .

وفى سنة ١٩٤١ نشر الباحث الهندى محمد حميد الله الحيدر آبادى فى القاهرة كتاباً بعنوان : مجموعة الوثائق السياسية ، يضم اليهود التى عقدها الرسول ، صلوات الله عليه وتوجهاته لرسله إلى مختلف الجماعات الإسلامية ووسائله إلى رؤساء القبائل العربية وعظماء الممالك الأجنبية المجاورة من فرس وروم وغيرهما ، كما يضم طائفة من وثائق عصر الخلفاء الراشدين .

« هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله أعلم . »

تشابه هاتان الوثيقتان في موضوعهما : فكلتاها عهد موجه إلى وال على عمالة كبيرة من عمالات الدولة الإسلامية، وكلتاها تحاول أن ترسم - في شيء من التفصيل - منهجا للوالى في سلوكه الشخصى ، ونظامه في الإدارة والحكم ، واختياره لأعوانه ، وصلاته بطوائف الرعية ، وكلتاها تؤلف نموذجا واضح الطول في أدب التوجيه السياسى (إذ تتألف كل منهما من أكثر من ألفين ومائتى كلمة) ؛ وكلتاها تمثل صورة من صور البلاغة في كتابة الرسائل في العصر الذهبى للأدب العربى .

١ - ومنشئ الرسالة الأولى سيدنا الإمام على أحد الخلفاء الراشدين ، وابن عم الرسول صلوات الله عليه ، وزوج ابنته ، وأحد كتاب وحيه . ورفيقه في الكفاح والنضال، شب في حجر الدعوة ، فشق أسرارها وأهدافها ، وروى من معينها الصافى منذ صباه ، وشهد مع الرسول مواقع الإسلام الأولى ، وأبلى فيها البلاء الخالد . وكان نموذجا في بلاغته ، كما كان هلبا في بطولاته .

حدد الخليفة في مستهل هذه الرسالة معالم المهمة التى عهد بها إلى واليه الجديد على مصر فقال :

والوثيقة الثانية يوردها « ابن خلدون » في مقدمته في الفصل الذى عقده للكلام على أن « العمران البشرى لا بد له من سياسة ينظم بها أمره » ويقول في تقديمه لها :

« ومن أحسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب « طاهر بن الحسين » لابنه « عبد الله » لها ولأه المأمون الرقة ومصر وما بينهما . فكتب إليه أبوه « طاهر » كتابه المشهور ، عهد إليه فيه ، ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في درلته وسلطانه من الآداب الدينية والخاصة والسياسة الشرعية والملوكية ، وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة . »

وبعد أن يورد « ابن خلدون » النص بتمامه يقول :

« وحدث الإخباريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره أعجب به الناس وانفصل بالمأمون فلما قرئ عليه قال : « ما أبقى أبو الطيب - يعنى طاهرا - شيئا من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به ثم أمر المأمون فكتب به إلى جميع العمال في النواحي ايعتدوا به ويعملوا بها فيه » ثم يقول ابن خلدون :

الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية ... وإنما عماد الدين - وجماع المسلمين والعدة للأعداء - العامة من الأمة ، فليكن صفوك لهم وميلك معهم ، وليمكن أبعد رعيته منك وأشأنهم عندك أطلبهم لمصائب الناس ... وأطلق من الناس عقدة كل حقد ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع ، فإن الساعي غاش ، وإن تشبه بالناصحين ... ولا تدخلن في مودودك بخيلا ولا جبانا حريصا ... وإن شرو زوائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ، ومن شر كههم في الآثام ، فلا يكون لك بطانة ، وليكن آخر أعوانك عندك أقولهم بحر الحق لك ... وألق بأهل الورع والصدق ، ثم رضمهم على ألا يطروك ولا يتججحوك بباطل لم تقعه ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء وأعلم أنه ليس شيء بأدهى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عنهم ، ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدر هذه الأمة ، ولا تحدثن سنة أضرب بشيء من ماضي تلك السنة ... وأكثر مداورة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ماصليح عليه أمر بلاك .

بهذا يحدد الإمام صفات الوالى النموذجي في شخصه ، وما يجب أن يكون عليه موقفه من الرعية عامة ، والصفات التي ينبغي أن يتطلبها

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر : جباية خراجها وجهاد هدوما ، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها ، أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه ، الحق لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جهودها وإضاعتها ... وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ، ويزعها عند الجمحات ، فإن النفس أماراة بالسوء إلا ما رحم الله ...

ثم يأخذ الخليفة في تفصيل ما أجمل ، بادئا من ذلك برسم الخطوط الرئيسية لشخصية الوالى المسلم وسلوكه وصلاته بالناس بقول الإمام لواليه ما خلاصته : املك هواك ، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبسة لهم واللاطف بهم ، ولا تكون عليهم سبعا ضاريا يغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، ولا تنهبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدى لك بنقمته ... وإياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فإنه يذل كل جبار . وأنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن حاسة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيته ... وليمكن أحب

واحدة منها إذا أصيبت معالجة شئونها ،
أو هضمت حقوقها ، أو اختير لقيادتها من
لا يصلح لها ، أو أحست باختلال ميزان
العدالة فيها .

والخليفة في تصويره لأحوال هذه الفئات
يصدر عن بصيرة نافذة في أحوال النفوس ،
وفي علاقات الجبايات ، وتعرضها للصالح
والفساد . فهو في توجيهه للسوالى في أمر
القضاة يقول :

« ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته
في نفسك بمن لا تضيق به الأمور وتمحكه
الخصوم ، ولا يتأذى في الزلة ، ولا يحصر
من التي إلا الحق إذا عرفه ، ولا تشرف
نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون
أقصاه . أوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج ،
إلى أن يقول : « ثم أكثر تعاهد قضائه ،
وأفسح له في البذل ما يزيل غلته ، وتقل معه
حاجته إلى الناس . »

فإذا ما جاء إلى شئون التجار وذوى
الصناعات أو صاه بهم خيراً ، وعرفه تفهمهم
وخدمتهم للجتمع ، ثم حذره من انحراف
بعضهم فقال :

« واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً
فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتمكاراً للنافع ،

في أهوائه ومستشاريه ، والإمام يصوغ هذا
التحديد في أسلوبه البلاغى المؤثر ، ذوى الفقر
المحكمة والفواصل المتوازنة ، مؤيداً كل توجيه ،
بإيراد سره وحكمته من طبائع النفوس
وظواهر الاجتماع .

٢ - ثم ينتقل الإمام إلى المقطع الرئيسى
الثانى من رسالته . وهو الخاص ببيان الفئات
التي يتألف منها المجتمع ، وحق كل منها من
حناية الوالى ورعايته فيقول :

وأعلم أن الراعية طبقات ، لا يصلح بعضها
إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ،
منها : جنوداه ، ومنها كتاب العامة والخاصة
ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الإنصاف
والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل
الذمة ومسئلة الناس ، ومنها التجار وأهل
الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى
الحاجة والمسكنة . وكلا قد سمي الله سهمه ،
ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة
نبيه صلى الله عليه وآله عهداً هندياً
محفوظاً .

ويستمر الإمام فيفصل ما أجمل في هذا
التقسيم ، مبرراً مكان كل فئة من هذه الفئات
في حياة المجتمع وما به صلاحها ، موضحاً
ما أشار إليه من تكاملها وتكافلها ، مبيناً
المزائق التي يمكن أن تنحرف إليها أى

واجعل لذوي الحاجات منك قسما . تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلسا عاما ، فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعدهم عن جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك مكلهم غير متعتع ، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن : (إن تقديس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع) .

٣ - والقسم الثالث الرئيسي من رسالة الإمام إلى عامله يتناول أمورا عامة تعين العامل على النجاح : منها أن يحرص على إصدار حاجات الناس يوم ورودها ؛ وأن يحض لسكل يوم عمله فإن لسكل يوم ما فيه ؛ وأن يجعل لنفسه قسما بينه وبين الله أفضل تلك المواقيت - وإن كانت كلها لله إذا صلحت النية وسلبت الرعية ؛ وألا يطيلان احتجابه عن الرعية فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور ، وأن يحول بين بطانته وخاصته وبين ما ينحرفون إليه من استقذار وتناول وقلة إنصاف في معاملة ، وأن يصحر للرعية بعذره أن ظنوا به حيفا ؛ وألا يدفع صلحا دعاه إليه عدوه وفيه رضا ؛ وأن يحذر - مع ذلك - كل الحذر من عدوه بعد صلحه ؛ وأن يحوط هذه بالوفاء ويرعى ذمته بالأمانة ؛ وأن

وتحكما في البياعات ، وذلك باب مضرة العامة وعيب على الولاة ، فامنع من الاحتسار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه ، وليكن البيع سمحا ، بموازين هذل ، وأسعار لا تصحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فذلك به ، وعاقب في غير إسراف .

ويوجه الإمام هناية خاصة إلى الفئة المحدودة الموارد أو العاجزة عن الكسب فيقول في توجيهاته للوالي :

« ثم الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البوسى والزمنى ، فإن في هذه الطبقة قانما ومعرا ، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من غلات موافى الإسلام فى كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه ... »

فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصغر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ... ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليدفع إليك أمورهم ، ثم أعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم . وتعمد أهل اليتيم وذوى الرقة فى السن ،

(٤ - ٥٨) وقوله : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قسامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) - ٥ / ٨ - وقوله : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن حبل الله) - ٣٨ / ٢٦ - وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وقوله : (من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يحد من هو أصلح المسلمين منه فقد خان الله ورسوله) .

وتمتاز رسالة الإمام بين رسائل الخفاء في تلك المرحلة بطولها وتفصيلها . وقد نبه السيد المرتضى جامع نهج البلاغة ، إلى أنها من بين كتب الإمام وعهوده أطولها وأجلها للمعاصرين . ويبدو أن هذه الكتب تمثل - من ناحية - جانباً هاماً من أدب الإمام ، وتمثل من ناحية أخرى وعياً أصيلاً وفهماً عميقاً متكاملًا لمسئولية الراعى في رعيته ، فكلها تفيض بوجوب الحذب على الرعية والإحترام لمشاعرهم ، واجتلاب مودتهم ، والرفق بهم في أموالهم وتحذير الولاة من التقصير في المسئولية فإنهم ، خزان الرعية ،

يرى نفسه من الإعجاب بها ومن حب الإطراء ؛ وأن يتحاشى المن على الرعية بالإحسان ، والعجلة بالأمور قبل أوانها ، والتسقط فيها عند إمكانها ، واللجاجة فيها إذا تنكرت ، والوهن عنها إذا استوضحت .

ثم يختم الإمام رسالته إلى عامله بالدعاء فيقول :

(وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضا من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد ، وجعل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، إنا إليه راغبون) .

٤ - هذه الرسالة البليغة الجامعة التي تترجم روح التعاليم الإسلامية في الحكم والإدارة إلى خطة توجيهية عملية ليست الوحيدة من نوعها في أدب الإمام على ، ولا في توجيهات أصحابه وسابقيه من الخلفاء الراشدين وهي كلها تنبثق من المعين الأول الذي فجرته آيات القرآن الكريم وسنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه - من مثل قول الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل

ويوجب بعضها بعضا . . . وأعظم ما افترضه سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الراعى ، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، لجعلها نظاما لا لفهم ، وهذا لدينهم ، فليست تصلح الرعية إلا لصالح الولاية ، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية . . .

وقد أجابه رجل من أصحابه بكلام طويل ، يكثُر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال الإمام رضى الله عنه :

«... فلا تكلمونى بما تكلم به الجبابة ، ولا تحفظوا منى مما يتحفظ به عند أهل الجبادة ، ولا تخاطبوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بى استئثالا فى حق قيل لى ، ولا التماس إعظام لنفسى ، فإنه من استئثل الحق أن يقال له ، أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه . فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل ، فإنى است فى نفسى بفوق أن أخطئ . ، ولا آمن ذلك من فعلى ، إلا أن يكفى الله من نفسى ما هو أملك به منى ، فإنما أنا وأنتم مملوكون لرب لا رب غيره ، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا . . .»

محمد خليف الله الصمد

ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة . . . وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأفظع الغش غش الأئمة . .

والإمام حريص على أن يفتح عيون ولاته على الصغيرة والكبيرة من شئون الحكم وصلات الحاكم بالناس . بلغه مرة أن عامله على البصرة ، عثمان بن حنيف الأنصارى ، دعى إلى وائمة قوم من أهلها فضى إليها ، فكتب إليه يقول :

«أما بعد يا ابن حنيف : فقد بلغنى أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ، استطاب لك الألوان - وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم طائلهم مجفو وغنيهم مدعو . فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فاشقبه عليك عليه فالظله ، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه . . .»

وقد نهج الإمام نهج أصحابه الخلفاء الراشدين من قبله فبين فى خطبه وهبه بمسئوليته نحو الله والناس فى حكم المسلمين ، وإدراكه لما يجب أن تكون عليه الصلة بين الراعى والرعية يقول فى خطبة خطبها : (صفيين) :

«ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض لجعلها تكافأ فى وجوبها

فجاءت القرآنا

التوبة بعد الأوان صفة الخاسرين للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله ، إلا الذي
آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ١١ ، آية ٩٠ يونس .

أنباء بذلك بعض علماءه ، وكهانه ، فاحقده
ببنى إسرائيل جميعا ، يهلك الأهراس ،
ويقتل الأبناء في غير تريث ولا رحمة .

والقرآن الكريم يذكر عن هذا الفرعون
فصولا عجيبة من القصص الحق ، وإن لم يحفل
القرآن بذكر اسمه الخاص ، فإن تعين الاسم
لا يتعلق به كبير شأن ، مادامنا نعرف الوقائع
ونعرف أنه فرعون موسى وهو الذي دالت
على يده دولة الفراعنة - كما نذكر بعد - .

وقد لقي موسى وهارون من فرعون هذا
ما تضيق به الإنسانية ، وذاق بنو إسرائيل
من هوانهم على يده ما تحجل الدنيا لذكره .

٢ — فلما أذن الله بتفريج الضائقة أوحى
إلى موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلا ، من
مصر ليلتمس النجاة ناحية البحر الأحمر ...

وقد بادر موسى بالخروج في بني إسرائيل ،
وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا من الأنفس
كما يذكر الرواة

١ — اشتهر صاحب السلطان والحكم
في مصر قديما بلقب فرعون ، وصار هذا اللقب
عنوانا على الجبروت الشخصي ، والطمع
في الحكم ، والتطاول على الله ، والاستهانة
بالرسل والرسالات ؛ بل صارت كلمة فرعون
في أسماع الناس محفوفة بالكثير من معاني
الجهوة التي تطنى ما يكون لبعض الفراعنة
من أجداد ، وما يشهد به التاريخ من بطولات .

ولكن واحداً من هؤلاء الفراعنة هو
الذي تركزت عنده مشأمة الحياة ... وهو
فرعون موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام
أعمن هذا الفرعون في ضلاله أكثر من
أسلافه ، وزعم نفسه إلها ، بل نادى في الناس
« أنا ربكم الأعلى ، ... » أليس لي ملك مصر
وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟؟ .

وكان من شأن هذا الفرعون مع بني
إسرائيل أن تشاءم منهم في مصر ، وتوقع
ذهاب ملكه على يد مولود يولد فيهم ، كما

ولمّا هنا يكون فرعون هذا عاش على الكفر ، والإسراف فيه ... ثم لجأ ساعة الموت إلى إعلان الإيمان ، وأنه من المسلمين .

ولكن أمّله الكاذب لم يلبث في وهمه حتى يسمع نداء علويّا من جانب الله على لسان ملائكته بتكذيبه في زعمه الإيمان ، والفتش يجمع عليه فيما فرط منه ، الآن وقد عصيت قبل . وكنت من المفسدين .

يعنى : ليس لك إيمان يعتمد به ، وهل يكون إيمانك يا فرعون بعد أن عاينت حالة الموت ، وتخلّفت عنه أيام حياتك الطويلة ، وضاعت منك فرصة القبول للتوبة .

٣ - إن الإيمان ، أو التوبة بعد الأوان وفي ساعة الاضطراب ، لا يكون استجابة صحيحة لدعوة الله ، وإنما يكون تمهّلاً على كسب الفضيلة ، دون إرادة سابقة ، ولا هزيمة صادقة ، وذلك بناء على غير أساس ، فهو بناء منهار من أوله ، والله تعالى - عفى عن هذا الإيمان ولا يرضى منا الزيف في الركون إليه وقت الهدى ، بعد مجافاته أيام الرعاء .

٤ - فليكن جزاء فرعون هذا التوبيخ ليتحذر أكثر وأكثر ، كما أفسد كثيراً وأكثر .

وإذا كان فرعون بغياً إلى الله وملائكته وإلى بنى إسرائيل ، وكان مكتوباً عند الله شقياً بسوء مسلكه : كان جبريل عليه الصلاة

فلما أصبح فرعون وعلم بذلك . خرج وراءهم في زيادة على عدد قوم موسى بالقي ألف نفس ، يريد اللحاق بهم ، للفضاء عليهم قبل أن يغفلوا من تحت يده .

وحينما أبصر قوم موسى أن فرعون وراءهم خافوا وقالوا لموسى : إنهم سيدركوننا فطمأنهم بقوله - عليه الصلاة والسلام : إن معى ربى سيدي ، ثم أوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، ففعل ، فانفلق ماء البحر إلى فرقتين عظيمتين ، كل واحدة منهما كالجلجل الأشم .

ويقال إن مسالك الطريق بين الماء كانت اثني عشر مسلكاً بعدد الأصابع من بنى إسرائيل ، وهم ذرية يعقوب عليه السلام . ولما وصل بنو إسرائيل إلى شاطئ البحر ناحية سيناء ، اندفع وراءهم فرعون وقومه حاسبين أن الطريق مفتوح لهم كما رأوه .

وحينما كانوا بين الشاطئين : بدتهم المعجزة ، وانطبق البحر عليهم جميعاً ، وشارف فرعون الموت الذى كان لا يحسب له حساباً ... وحينئذ تعلق بالأمل المضائع ، وقال : دأمت أنه لا إله إلا الذى آمننت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

يعنى : هو الله الذى كنت أكذب فيه بنى إسرائيل ... وأنا من المسلمين الذين أخلصوا أنفسهم لله .

وقد صورها لنا القرآن بلسان الحقيقة . .
وكم في القرآن من قصص رائع ، نرجو أن
يبصرنا الله بمراميه ، ويهدينا إلى توجيهاته .
وبعد :

فقد نقل الشيخ الألوسي في تفسيره كلاما
ذكره الشيخ محي الدين بن عربي في كفاية
الفتوحات الربانية - وهو شطحة خرافية ،
شطحا ابن عربي ، نارقض فيها نفسه وخرج
بها على ظاهر النصوص المتضادة ، إذ قرر
أن فرعون مات مؤمنا ، وتكلف في فهم
الآية تكلفا غريبا ، وغريبا أكثر من شيخ
كابن عربي ، وأخذ يستشهد لزعمه بقول الله
لـموسى وهارون : فقولا له قولا لينا ، وبقوله
تعالى : لعله يذكر أو يخشى ، فالقول اللين
أمانة عنده على حسن استعداد فرعون ،
وكلمة لعله يذكر أو يخشى ، تعبیر بالرجاء
من جافب الله ، وقد تحقق الرجاء بقول فرعون
آمنت أنه لا إله إلخ .

ولكن الشيخ الألوسي ناقش ابن عربي
في هذا التكلف ، وأبطال هذه الشطحة ،
وما كان أغنا ثاني تفسير القرآن عن هذه
الجزافات (المستيرية) وأغلب الظن أن هذه
فرية مكذوبة على ابن عربي ، والله يهدينا
إلى صراط مستقيم ؟

عبد اللطيف السبكي

والسلام حين الفرق يدس في خلق فرعون من
طين البحر ، حتى لا يستنشق نفسه ، ولا يتمكن
من كلمة طيبة في موقفه هذا ، لأن الكلمة
الطيبة لن تنفعه الآن ، وهو لا يستحق مجرد
ذكرها باللسان ، كما يذكره الطيبيون أو
الصالحون .

وقد أراد الله أن يجعل فرعون عظة لقومه
وللناس من بعده ، فأخرج بدنه من البحر
إلى الشاطئ جثة ، ليراها الناس بأعينهم ،
ويؤمنوا بعدلة ربهم ، ويمتبروا بما جرى
على هذا الجبار الأليم ، فالיום ننجيك بيدك
لتكون لمن خلفك آية ، ولا شك أنها آية
واقعية ، تكفي ، وتكفي كثيرا للوعظة .
ولكن الكثير منا عن آيات الله غافلون .

٦ - وقد ذهب فرعون كالمعذور الذي
لم يكن له وجود ، وتلاشى ملكه كما تتلاشى
الهباء في فضاء ليس له حدود .

وصار بعد تأله كلمة سراب ، أو نفخة
في تراب ، وهكذا يكون الباطل ، مهما
تسكن له صولة . وتبارك الله الذي هو الحق
وحده ، وقد خسر الذين كذبوا بلفظ الله ،
وما كانوا مهتدين .

٧ - كانت هذه العبرة على ما يقول
المؤرخون عند مكان على البحر الأحمر ،
يسمى إلى الآن - هيون موسى - وهي قريبة
من السويس .

هل أتمّ الفخر الرازي كتابه في التفسير؟

للاستاذ علي العماد

— ٢ —

(النظر) المذكور في تفسير قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » .

وقد استوفى الكلام حقاً في تفسير هذه الآية من سورة (القيامة) . وجاء عند تفسير قوله تعالى : « هماز مشاء بنميم » من سورة (القلم) قوله : « وقد استقصينا القول فيه في قوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » .

في تفسير سورة (الفاتحة) عند الكلام على القراءة خلف الإمام قال : (واحتج أبو حنيفة بالقرآن والخبر أما القرآن فقوله تعالى : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . واعلم أنا بينما في تفسير هذه الآية أنها لا تدل على قولهم ، وبالعنا . فليطالع ذلك الموضع من هذا التفسير . والآية في سورة (الأعراف) .

ومعنى كل ذلك أنه فسر سورة (البقرة) بمد أن فسر سورتي (الشعراء) و (القيامة) وفسر سورة (القلم) بعد أن فسر سورة (الحمزة) . وفسر سورة (الفاتحة) بعد أن فسر سورة (الأعراف) .

٢ — في التواريخ التي أثبتناها ، والتي

ثم نأخذ في الإجابة عن السؤال الذي جعلناه عنواناً لهذا البحث . وقبل أن نأخذ في الإجابة هنه نحاول الإجابة عن سؤال آخر : هل فسر الرازي القرآن مرة مرة سورته بحسب الترتيب المصحفي ، أو فسر غير مرتب السور ؟

يبدو للناظر - بادي ذي بدء - أن السور فسرت غير مرتبة اعتماداً على الشواهد الآتية :
١ - أنه يحيل في تفسير بعض السور المتقدمة في الترتيب المصحفي على تفسير بعض السور المتأخرة في هذا الترتيب .
من ذلك :

في تفسير سورة (البقرة) عند قوله تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك » أورد سؤالاً ، صورته : « ما السبب في قوله : نزله على قلبك ؟ » ثم قال في الجواب : « هذه المسألة ذكرناها في سورة الشعراء » .

وعند تفسير قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » من سورة البقرة أيضاً ، قال : « اعلم أن في الآية مسائل :

المسألة الأولى : الكلام المستقصى في لفظ

ذلك أن هذا الشهر يبتدىء بيوم (السبت) وعلى ذلك يحتمل أن يكون فرغ من تفسير سورة الأنفال في اليوم الثاني ، أو التاسع ، أو السادس عشر ، أو الثالث والعشرين ، أو الثلاثين من شهر رمضان ، فيحتمل أن يكون فسر الأنفال قبل التوبة ، وأن يكون فسرهما بعدها .

هذه أدلة واضحة على أنه لم يكن يلتزم في تفسيره الترتيب المصحفي المعروف غير أن الذى ينعم النظر لا تقنعه هذه الأدلة ، بل يجد أدلة أخرى تشهد بأنه فسر القرآن مرتبة سورة .

(١) هذا أمر طبعى يكاد يتفق فيه جميع المفسرين .

(٢) يحيل كثيرا في تفسير سور متقدمة في الترتيب المصحفي على تفسير سور متأخرة وسترد أمثلة كثيرة لهذا في هذا البحث .

(٣) تواريخ تفسير كثير من السور التى حدد تواريخها متتابعة : يونس - هود - يوسف - الرعد - إبراهيم - والسور من : (الصافات) إلى . (الفتح) .

(٤) العبارة التى وجدت بخط السيد مرآضى ، والتي تقول : إنه وصل في تفسيره إلى سورة (الأنبياء) تدل على أن الجزء الذى رآه كان مرتبا ، وهذا على افتراض أن الفسخ الذى وجدت من الكتاب ظلت على الترتيب الذى كان يمل عليه الفخر .

حدد بها الرازى فراغه من تفسير بعض السور لاحظنا أن بعض السور المتأخرة في الترتيب المصحفي فسرت قبل سور أخرى تسبقها في هذا الترتيب .

من ذلك مثلا أنه فرغ من تفسير سورة (الإسراء) في العشرين من المحرم سنة إحدى وستائة من الهجرة ، في حين فرغ من تفسير سور : الأنفال والتوبة ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم في الأشهر التالية للمحرم من تلك السنة ، كما أنه فسر سورة (الأنفال والتوبة) في رمضان من سنة إحدى وستائة ، وفسر سورة (يونس) و (هود) في شهر رجب من تلك السنة ، وسور : يوسف والرعد وإبراهيم في شهر شعبان .

ومعنى ذلك أنه فسر هذه السور بهذا الترتيب : الإسراء - يونس - هود يوسف الرعد - إبراهيم - الأنفال - التوبة .

وقد سبق أن ذكرنا أنه حدد تاريخ فراغه من تفسير سورة التوبة باليوم الرابع عشر من رمضان ، وقال : إنه فرغ من تفسير سورة (الأنفال) في : (رمضان) هكذا من غير تحديد .

وأن فراغه من تفسير سورة : (التوبة) كان يوم جمعه ، وفراغه من تفسير سورة : (الأنفال) كان يوم أحد ، فإذا كان الجمعه في ذلك الشهر يوافق الرابع عشر كان معنى

تفسير السورة على الفراغ من مراجعة تفسيرها ، أو من إتمام تفسيرها .

* * *

ثم نأخذ في الإجابة عن السؤال الأول :
وأول ما نؤكد أنه الفخر فسر سورة :
(الأنبياء) التي جاء في هامش كشف الظنون
نقلا عن شرح الشفاء ، عن خط السيد مرتضى
أن الفخر وصل إليها في تفسيره .

ذلك أن الفخر قال في أول تفسير هذه
السورة : (اقترب للناس حسابهم ، لقائل
أن يقول : كيف وصف بالاقتراب ، وقد
هبط بعد هذا القول قريب من ستائة عام ؟
فإنه يفهم من هذه العبارة أنه شرع في تفسير
هذه السورة في نحو هذا التاريخ ، ومعلوم
أن الفخر توفي سنة ٦٠٦ هـ . أجمعت على
ذلك كل المصادر التي تعرضت لتاريخ وفاته -
على أني أوجع أنه فسر ما قبل سنة ستائة ،
لأنه يعتبر القرب من التاريخ ما كان قبله ؛
فيقول في نفس الموضوع : (إن المعاملة إذا
كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى منها شهر فإنه
لا يقال : اقرب الأجل ، أما إذا كان الماضي
أكثر من الباقي فإنه يقال : اقرب الأجل ،
فعلى هذا الوجه قال العلماء : إن فيه دلالة على
قرب القيامة .

وعلى هذا فعبارته : (قريب من ستائة)
معناها أقل من ستائة ، لسنة أو لا أكثر من
سنة ، ولا يمكن - بحسب تفسيره للقرب

والذي أوجه أن الفخر فسر سور
القرآن مرتبة ، وكان يعمل التفسير على تلامذته
وفي أخريات حياته كتب لنفسه نسخة من
هذا التفسير ، وأدخل عليها معلومات جديدة
كما هي عادة المؤلفين حين يراجعون ما كتبوا
وإذا كان الموضوع قد استوفى الكلام فيه
في سورة متأخرة أشار إلى ذلك الموضع .
يدلنا على أنه نسخ تفسيره بخطه ما نقلناه
آنفا مما جاء في تفسير سورة هود : (وقد
وجد بخط المصنف) كما يدلنا على ذلك عبارة
جاءت في كتاب : (هيون الأنبياء في طبقات
الاطباء) فقد قال ابن أبي أصيبعة في ترجمته
للفخر : (رأيته تفسيره ، وهو اثنتا عشرة
مجلدة بخطه الدقيق) .

وهذا المؤلف قريب عهد بالرازي ، فقد
توفي سنة ٦٦٨ هـ .

ولعل أقوى ما يعيننا على هذا الترجيح
أن الرازي كان يفسر سوراً عدة في شهر
واحد ، أو يفسر في الشهر الواحد - أيضاً -
سورتين كبيرتين ، كما هو الحال في سورتى :
(يونس وهود) اللتين فسرهما في شهر رجب ،
و (الأنفال والتوبة) اللتين فسرهما في شهر
رمضان .

وقد أشرت فيما سبق إلى أنه ربما فسر
سورتين في ليلتين متواليتين أو سوراً في
ليالي متقاربة .

وهذا يرجح أن نحمل كلمة الفراغ من

كل السور التي تلى صورة الواقعة في الترتيب المصحفي أي إنه فسر الثلاثة الأجزاء الأخيرة من القرآن ، وسورة (الحديد) ، وأنه - أيضا فسر كل سورة أحال على تفسيرها ، في تفسير سورة الواقعة ، أو في تفسير السور التي يظن أنه فسرهما .

ولكن تبين لي أن هذا الظن غير صحيح بالنسبة للأميرين جميعا .

أما الأول : فلأن وجدت في تفسير السور التالية لسورة الواقعة شواهد كثيرة ترفض هذا الافتراض . من هذه الشواهد :

١ - في تفسير قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، من سورة الحديد يقول المفسر : (وسمعت والدي رحمه الله يقول : إنه كان يروى أنه لما نزلت هذه الآية أقبل المشركون نحو البيت وسجدوا) . ونحن نعرف أن الرازي أخذ عن والده (ضياء الدين) فيما أخذ (تفسير القرآن) ، وأنه أشار إليه في بعض السور التي ثبت أنه فسرهما .

٢ - وجاء في تفسير هذه السورة عند قوله تعالى : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، قوله : « واعلم أنا بينا في سورة النور أن النور الحقيقي هو الله تعالى ، وأن نور العلم الذي هو نور البصيرة أولى بكونه نورا من نور البصر ، .

وبما يؤيد تفسيره لسورة : (النور)

من التاريخ - أن يكون التاريخ الذي فسر فيه هذه السورة بعد الستمائة .

فإذا كان فسر سورة الأنبياء في هذا التاريخ وكان يفسر القرآن بالترتيب المصحفي فإن ست سنوات كانت باقية من حياة المؤلف كفيhle بأن يفسر ما بقي من القرآن .

يضاف إلى ذلك أن من المؤكد تفسيره لسور بعد سورة الأنبياء ، هذه السور التي نص على تاريخ الفراغ من تفسيرها ، أو أحال في السور التي فسرهما عليها .

وبما يؤكد أن الفخر فسر سورة الأنبياء أننا سنثبت فيما يلي أنه فسر سورة (الإخلاص) المثبت في تفسيره الكبير ، وقد قال في تفسيره هذه السورة : (وقد استقصينا في تقرير دلائل الوجدانية في تفسير قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ») .

وقد استقصى فعلا في تفسير سورة الأنبياء في تقرير دلائل الوجدانية ، فقد ذكر أربعة عشر دليلا على وحدانية الله ، واعتبرها : (أدلة أخرى) .

• • •

أما الفقرتان اللتان وردتا في تفسير سورة (الواقعة) فتؤكدان أن تفسير هذه السورة ليس من تصنيف الفخر ، وإنما هو لعالم آخر استفاد - على حد قوله - من الرازي فواتد لا يحصيها .

ثم يقع في الظن أن هذا المفسر كتب تفسير

٥ — في تفسير قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً ، من سورة : (النبأ) قال : « وأعلم أنا ذكرنا في تفسير سورة البقرة عند قوله : (جعل لسك الأرض فراشا) كل ما يتعلق من الحقائق بهذه الآية » .

٦ — في تفسير سورة : (القدر) قال : (قال ابن عباس : أنزل إلى سماء الدنيا جملة ليلة القدر ، ثم إلى الأرض نجوماً ، كما قال : فلا أقسم بمواقع النجوم . وقد ذكرنا هذه المسألة في قوله : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ») .

٧ — في تفسير قوله تعالى : (خلق فسوى) من سورة (الأعلى) جاء قول المفسر : (وقد استقصينا القول في هذا الباب في مواضع كثيرة من هذا الكتاب) .

وهي عبارة تدل على أن مؤلف الكتاب كله واحد وإلا لقال - والمعروف أنه يجب أن ينسب إليه عمله - : وقد استقصينا القول في هذا الباب في مواضع كثيرة ، بما صنفناه من هذا الكتاب ، أو : وقد استقصى مؤلفه نحر الدين القول في مواضع كثيرة . أو عبارة تشبه لإحدى هاتين العبارتين .

٨ — في تفسير سورة (الانقطار) عرض لوعيد أصحاب الكباثر ، ثم قال : (والسكلام في هذه المسألة قد استقصيناه في سورة البقرة .

- وهذا إلزام للقضاء الذين يرون أنه وصل في تفسيره إلى سورة الأنبياء ، وأنه كما يفهم من كلامهم فسر القرآن مرتباً - قريباً من سورة الأنبياء ، فإننا - وقد أكدنا أنه فسر سورة الأنبياء في حدود الستائة - نرى أن الزمن الذي كان باقياً من عمره يسمح له بتفسير هذه السورة القريبة منها .

٣ — جاء في أول تفسير سورة : (الملك) « أما قوله : (تبارك) فقد فسرناه في أول سورة : (الفرقان) . وما قلناه في تفسير سورة النور نقوله في شأن تفسير سورة الفرقان .

٤ — في تفسير سورة (ن) قال : الأقوال المذكورة في هذا الجنس قد شرحناها في أول سورة البقرة

ثم قال بعد قليل : بل الحق ، إما أن يكون يريد هذا الحرف (ن) - اسماً للسورة ، أو يكون الغرض منه التعدى ، أو سائر الوجوه المذكورة في أول سورة البقرة .

هذا الدليل الأخير وإن لم يكن حاسماً لجواز أن المفسر شخص آخر غير الرازي ، وقد أحال على ما ذكره الرازي ، ولكن الشاهد يضم إلى الشاهد فيأخذ قوة منه ، وفي الشاهد السابق يقول الرازي : (شرحناها) فيضيف الشرح إلى نفسه ، ومثل هذا الكلام يقال في مواضع أخرى .

ثانيا : كلمة : (ختم الله له بالحسنى توافق حال الفخر ، فنحن نقدر أنه كتب تفسير سورة الجن ، وقد جاوز الستين ، وفي مثل هذه السن تخطر على الأذهان كثيرا مثل هذه الدعوات .

ثالثا : أنه رأى أنا سحركوا عن السكاهنة العراقية ، وهؤلاء الناس - فيما أرجح - عاصروا الفخر ، فإن السلطان ، منجر السلجوقي انتهى ملكه في سنة (٥٤٨ هـ) فالذين عاصروا هذا السلطان ، وحكوا عن السكاهنة من لفهم الفخر .

أما نجم الدين القمولى الذى توفى سنة ٥٧٢٧ هـ فن البعيد جدا أن يكون رأى أحدا منهم ، وأما شمس الدين الحويبى فإنه إذا كان رأى أحدا منهم فقد رآه فى سن الطفولة ، إذا كان ميلاده - على رأى - فى سنة ٥٨٢ هـ ويبعد أن يعتمد مفسر متورع على ما رآه فى مثل هذه السن .

رابعا : أن الإيمان بما يقوله السكهان والسكاهنة ومن إلى هؤلاء هو مذهب الفخر فكلامه هنا يتفق مع مذهبه فى مثل هذه الأمور .

(١٢) وفى تفسير هذه السورة نفسها ، سورة الجن هند تفسير قوله تعالى : (عالمين فيها أبدا) قال : استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أن فساق أهل الصلاة مخلدون فى النار

٩ - فى تفسير سورة : (هبس) عند قوله تعالى : (فأنت له تصدى) شرح معنى التصدى ، ثم قال : (وقد ذكرنا مثل هذا فى قوله : (لأمكناء وتصدية) فأحال على تفسير سورة الانفال .

١٠ - فى تفسير سورة : (المرسلات) عند قوله تعالى : (وإذا النجوم طمست) قال : وذكرنا تفسير الطلمس عند قوله تعالى : (ربنا اطمس على أموالهم) فأحال على تفسير سورة : (الأعراف) .

١١ - فى تفسير سورة (الجن) ذكر (منجر من ملكشاه) ونقله للسكاهنة البغدادية إلى خراسان ، وسؤالها عن الأحوال الآتية فى المستقبل ، وأنها ذكرت أشياء وقعت على وفق ما قالت ، ثم قال : (قال مصنف الكتاب ختم الله له بالحسنى : وأنا قد رأيت أناسا محققين فى علوم الكلام والحكمة حكموا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة لإخبارها على سبيل التفصيل ، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها .

وفى هذه العبارات أنواع من الدلالات أولا : كلمة (مصنف الكتاب) تدل على أنه الفخر ، لأن الذى يكتب تسكلا لا يدعى أنه مصنف الكتاب ، ولأنه سبق أن جاءت هذه الكلمة فى تفسير بعض السور التى لا نشك أنه فسرهما .

تفسير قوله تعالى : (ليس كمثل شيء) ، وهذا المسكان هو موضعها ، لكن مفسر الواقعة وضع المسألة في هذه الصورة لأدنى ملائسة ، فلو كان تفسر الرازي على ذكر منه لرجع إلى هذه الآية في موضعها ليرى ما قال الرازي فيها ..

ولا ننسى أن الرازي هو الذي فسر سورة الشورى كما ذكر ذلك في آخر تفسيرها ، وأنه - فعلا - ذكر شيئا عما ذكره مفسر سورة الواقعة في السور من مجيء كاف التشبيه في قوله تعالى : (ليس كمثل شيء) .

فالمتأمل في كل هذا يرى لزوما عليه أن يرجح أن الذي كتب تفسير سورة الواقعة لم يكن يريد أن يجعله جزءا من تفسير الفخر ، ولهذه الملاحظة مزدي بيان فيما يأتي من الحديث ، لكن تعجلناها في هذا الموضع لنتم الفكرة في ذهن القارئ بدينا .

* * *

وأما أن مفسر سورة الواقعة لم يفسر بعض السور التي أحال عليها في تفسيره ، فأدلتنا على ذلك ما يلي :

١ - في تفسير قوله تعالى : (لا ينزفون) قال : بمعنى لا ينفد شراهم ، كما بيناه هناك أي في سورة : (الصافات) . والصفات فسرهما الرازي .

٢ - وكذلك أحال في تفسير قوله تعالى :

وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار قالوا : وهذا الوعيد مشروط بشرط ألا يكون هناك توبة ، ولا طاعة أعظم منها . قالوا : وهذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات ، لأن سائر العمومات ما جاء فيها قوله : (أبدا) فالخالف يحمل الخلود على المسكت الطويل . أما هنا فقد جاء لفظ الأبد ، فيكون ذلك صريحا في إسقاط الاحتمال الذي ذكره الخالف .

(والجواب) أنا بينا في سورة البقرة وجوه الأجوبة على التمسك بهذه العمومات ، ونزيد هنا وجوها .

وربما قال قائل : إن مصنف التكملة أدمج شخصيته في شخصية الفخر ، وجعل يتحدث بلسانه .

(والجواب) من وجوه :

أولا : أن صنيعة في تفسير سورة الواقعة يدل على أنه لا يجب أن يغفل التنويه بنفسه .

ثانيا : أن المسألة التي ذكرها في سورة الواقعة ، وقال : إنه رأى الفخر ذكر شيئا منها وأنه وقع على ذلك بعد كتابة ما كتب ، يدلنا صنيعة فيما على أن تفسر الرازي لم يكن بين يديه ، ولا في حفظه عندما فسر هذه السورة .

ذلك أن الكلام الذي قال : إنه رأى للرازي ، منه كور في تفسير سورة (الشورى) في

لسورة الإخلاص ، فكيف يكون له هذا التفسير ، ثم يفمرها عالم آخر ؟ .

كان الطبيعي أن يلحق تفسير سورة الإخلاص المستقل - كما ألحق تفسير سورة الفاتحة ، وقد كان مستقلا - بالتفسير الكبير ، وهذا الذي حدث .

الثالث : سبق أن تسكمت هن إحاالته في تفسير سورة الإخلاص على تفسير سورة الأنبياء ، وهذا يثبت تفسيره لسورة الإخلاص ، ما دام قد ثبت تفسيره لسورة الأنبياء من أدلة أخرى غير ارتباط تفسيرها بتفسير سورة الإخلاص .

الرابع : في تخريج القراءات في قوله تعالى : (أحد ، الله الصمد) قال : وقد ذكرنا هذا مصدقاً عند قوله تعالى : (عزيز بن الله) وهذا في سورة (التوبة) وقد ثبت أنه فسر هذه السورة الأخيرة ، فهو - قطعاً - قد فسر سورة الإخلاص ، على الرغم من هذه بتفسيرها في تفسير سورة الواقعة .

وبعبارة أخرى : تفسير سورة الإخلاص الموجود في كتاب مفاتيح الغيب ليس من تصنيف مفسر سورة الواقعة ، وقد يكون له تفسير لها ، لكنه ليس الذي بين أيدينا في تفسير الفخر .

على العمري

(وكأس من معين) فقال : ما معنى المعين ؟ قلنا : ذكرنا في سورة الصفات أنه فيعمل أو مفعول ، وعنى فيه خلاف .

٣ - في تفسير قوله تعالى : (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) أحال على تفسير سورة الملك ، فقال : ما الفرق بين هذا الموضع ، وبين أول سورة تبارك ، حيث قال : (خلق الموت والحياة) بتقديم ذكر الموت .. ثم قال : وأما في سورة الملك فسنذكر إن شاء الله تعالى فائدتها .

وقد قلت : إن سورة الملك من تفسير الرازي بدليل إحاالته في تفسيرها على تفسير سورة البقرة .

٤ - أحال في تفسير سورة الواقعة على تفسير سورة الإخلاص ؛ إذ قال في تفسير قوله تعالى : (فسبح باسم ربك العظيم) . وإذا قلت هو قادر ثبت له العلم والإرادة والحياة ، وغيرها من الصفات ، وسنذكر ذلك في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله تعالى .

ومعنى هذا أن تفسير هذه السورة الموجودة في كتاب : (مفاتيح الغيب) من تصنيف مفسر سورة الواقعة ، ويرده أمور :

الأول : أن هذا الكلام الذي وعده به ليس هناك في تفسير سورة الإخلاص .

الثاني : أن صاحب كشف الظنون ذكر أن لفخر الدين الرازي تفسيراً مستقلاً

الجبـال في القرآن الكريم

دكتور محمد أحمد النمردي

— ٥ —

و الجبال أرساها ،

هذه آية كريمة أخرى من كلمتين في الجبال
زل الوحي بها بعد أخت لها من كلمتين أيضا
تأملناها في المقال السابق . هذه من سورة
(النازعات) وأختها من سورة (النبا) والسورتان
ترتيبهما واحد في المصحف وفي نزول الوحي
بهما ، فأية النازعات هي آخرة الآيات المسكية
التي ذكرت فيها الجبال مطلقا ، وإن كانت آخرة
الآيات حسب ترتيب المصحف هي آية سورة
الغاشية ، وإلى الجبال كيف نصبت ، ،
وقد سبق أن تأملناها في المقال الثالث .

وقد رأينا كيف جمع الله لعباده عن
الجبال في آية سورة التبا ما لا يكاد المتأمل
يقضى حقه عجا من الحقائق الطبيعية التي
كانت مجهولة للعالم أجمع في عصر نزول
القرآن ، وظلت كذلك حتى كشف عنها العلم
الحديث . وفي آية النازعات هذه مزيد من
أسرار خلق الجبال أودعها الله الفعل (أرسي) .
إن أول معنى للفعل هو ثبت بتشديد الباء
وهي هذا المعنى اقتصر أهل التفسير .
لكن الكلمة تستعمل مادتها أيضا مع
السفن ، ففي القاموس من استعمالها (رست
السفينة : وقفت على الأنجر) . وفيه تحت مادة

نجر : (والأنجر مرساة السفينة : خضبات
يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة
إذا رست رست السفينة) .

وإرساء الجبال أمر مجهول لقارى الآية
الكريمة ، وإرساء السفينة أمر معلوم له .
فهل يستطيع أن يتوصل بهذا الذي يعرف
إلى شيء من ذلك الذي يحفل ، ويكون
ما يتوصل إليه عن هذا الطريق موافقا
للمعروف في العلم عن الجبال ؟

إن أول ما يتجه إليه الفهم هو القوى
المؤثرة في السفينة في مرساها . هناك ثقل
المرساة ، وثقل السفينة إلى أسفل يقابله ثقل
الجبال . وهناك رفع الماء السفينة إلى أعلى
يقابله ضغط حرارة جوف الأرض بغازاته
وأبخرتها ، هي الجبال .

وهناك القوى الجانبية المؤثرة في السفينة
من نحو فعل الموج وقوى الشد المتغير بين
السفينة والمرساة الواحدة أو المتعددة عن
طريق ما يصل بين السفينة وبينها من جبل
أو سلسلة ، ويقابلها في حال الجبال تلك
القوى الجانبية المائلة التي أنفأ الله الجبال
بفعلها في قشرة الأرض حتى تموجت على
العموم جبالا ووديانا ، وأقام الله الميزان بينها

لها جذور غير منصهرة ذاهبة في منصهر سائل
مادته أثقل من مادتها .

وقد دل البحث على يد غير (فيشر) على أن
متوسط كثافة مادة الجبال هو نحو ٢.٢٦
ومتوسط كثافة الأرض هو نحو ٥.٥ فبطن
الأرض السائل أكثف حتى من جبالها وهذه
حقيقة علمية أخرى تقابل المعروف من أن
متوسط كثافة السفينة ، أى وزنها مقسوما
على حجمها ، هو أقل من كثافة ماء البحر
أو النهر وإلا لما طغت عليه ولغرت فيه
فإلى هذا الحد من الدقة يتحقق الشبه بين إرساء
الجبال في أحد نوعيها الأساسين وبين إرساء
السفينة وتبارك الله الذى أودع هذه الحقائق
عن الأرض وجبالها كلمة واحدة من كلمتين
في كتابه : (والجبال أرساها) .

لكن الآية الكريمة فيها بعد ذلك مزيد
أن سيولة جوف الأرض ورسو الجبال
النارية فيها هدت إليها سيولة ماء البحر لكن
ماذا عن البحر نفسه ومائه ورسو السفن
فيه ؟ أليس لذلك مقابل في الجبال ؟ .

إن العلم يحددنا أن الجبال الرسوبية تنشأ
طبقاتها أول ما تنشأ في البحر قريبا من شواطئه
بما تحمله الأنهار إلى البحار من طمي ورمل
وما إليهما ترسب فيه طبقات بعضها فوق
بعض ، حتى إذا تركت وعظم سمكها في الحقب
الطوال رفضها الله بقوى من تحتها وجانبا حتى
تصير جبالا شاطئية ظاهرة الطبقات الرسوبية
وأذن فالآية الكريمة تدل بالفعل (أرسى)

وبين غيرها من القوى ، فاستقرت الجبال
ورست في الأرض كما رست السفينة واستقرت
في مرساها بتوازن القوى المؤثرة فيها .

وإلى هنا نجد كلمة (أرساها) في آية النازعات
قد أدت إجمالا إلى نفس النتائج التي أدى
إليها تأمل جعل الله الجبال أوتادا فيما يتعلق
بالنشأة مما لفت سبحانه العباد لإيها بآية النبأ .

لكن هناك العلاقة بين السفينة والبحر
التي من أجلها احتاجت السفن إلى المرساة .
فهل لهذه الناحية شيء يقابلها في إرساء
الجبال ؟ وبعبارة أخرى هل هناك سائل
رست فيه الجبال كما رست السفينة في ماء البحر ؟

المقارنة تقتضى أن يكون جوف الأرض
سائلا ، وأن الجبال تستقر عليه كما تستقر
السفينة على ماء البحر وسيولة جوف الأرض
المستتبطة هكذا من كلمة (أرساها) في الآية
الكريمة حقيقة واقعة يتم عنها ما نشاهد
في بعض البراكين عند ثوراتها من قذفها
بالحمم والصخر المنصهر ، لكن الرسو على
هذا الجوف السائل لا ينطبق في العلم إلا على
نوع من الجبال هو ما يسمى بالجبال النارية
في مقابل ما يسمى بالجبال الرسوبية ، وهما
النوعان الأساسيان من أنواع الجبال . في هذا
الصد يدقول العالم الجيولوجي القس : أ. فيشر :

إن البحث من ناصيته الرياضية والجيولوجية
يدل على أن تحت القشرة الأرضية طبقة
سائلة تحوى غازات ممذابة ، وأن الجبال

المسند إلى ضمير الجلالة ، على أم نوهين من الجبال ، النارى منها والرسوى ، كل راس راسخ ، هذا على شاطئ البحر وذلك بجذور له في طبقة سائلة من منصرف الصخر في جوف الأرض ، فسبحان الذي جمع لعباده ، كل هذا في كلمتين تكونان آية من آيات كتابه العزيز . وإذا تتبعنا مادة (رسا) متعلقة بالجبال في الكتاب العزيز وجدناها وردت في صيغة اسم الفاعل بمجموعا في تسع آيات ذكرت فيها الجبال لا بلفظها ولكن بوصف أنها رواسى وذلك في تسع سور : واحدة مدنية هي سورة الرعد ، وثمان مكية هي حسب نزول الوحي بها . المرسلات وق والنمل والحجر ولقمان وفصلت والفعل والأنبياء . وآية (المرسلات) هي قوله تعالى : « وجعلنا فيهما رواسى شاخات وأسقيناكم ماء فراتا » ، وفيها ، أى في الأرض المذكورة في الآيتين قبلها : « ألم نجعل الأرض كفافا أحياء وأمواتا » . وآية (ق) هي قوله تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . وبالفعلين (جعل) و (ألقى) جاء التعبير عن خلق الجبال في بقية الآيات الكريمة القسح . بالفعل (جعل) في آيات النمل وفصلت والأنبياء والرعد . وبالفعل (ألقى) في آيات الحجر ولقمان والنمل . والدلالة في (جعل) عامة تشمل أنواع الجبال كلها ما ذكرنا منها وما لم نذكر . لكن

الدلالة في (ألقى) أخص منها في (جعل) . وقد لاحظ ذلك (ابن عطية) فيما ذكر (أبو حيان) عند تفسير آية النمل إذ نقل عنه قوله : « قال المتأولون (ألقى) بمعنى خلق وجعل ، وهي عندي أخص من خلق وجعل ، وذلك أن ألقى يقتضى أن الله أوجد الجبال ليس من الأرض واسكن من قدرته واختراعه . ويؤيد هذا في النظر ماروى في القصص ، إلى آخر ما قال عن (الحسن) و (وهب بن منبه) . وقد أحسن في التنبيه إلى أن (ألقى) أخص من (جعل) لكنه لم يكن يعرف أن الجبال أنواع مختلفة النشأة ، وأن الفعل ألقى ينطبق تماما على نشأة الرسو منها ؛ فهي بالفعل يلقيها الحق سبحانه في الأرض فسادتها تنقلها الأنهار قوب شواطئ البحار بأمره ، حتى إذا تراكمت إلى الحد الذي قدره سبحانه ، وتماسكت بالتضاغط وبغيره ، رفعتها تلك القوى جبالا شاطئية بأمره . فقد خلق الله الجبال من الأرض وخلق ثاني نوعها الأساسيين من قدرته واختراعه ، لا جأة مرة واحدة كما فهم (ابن عطية) من الفعل (ألقى) وما روى في القصص ، ولكن قدر سبحانه خلقها حين ألقاها خطوات ، كما قدر خلق الجنين في بطن أمه في أطوار ، لتكون كل خطوة كسل طور آية : في الحق يمكن إذا أن الألوان أن يكشف عنها عباده ، وليكون انطباق ما يكشفون عنه من حقائق الفطره على حرفية ما أنزل في كتابه العزيز ، كما رأيت في (أرسى)

(وألقى) ، شاهد صدق على أن من أنزل القرآن هو فاطر الفطرة سبحانه .

دوالأرض مددناها : د

وخلق الجبال الرسوبية بهذه الصورة التي كشف عنها علم طبقات الأرض هو مثل يفسر معنى مد الأرض في الآية الكريمة : دوالأرض مددناها وألقينا فيها رواسي . هو مثل من أمثلة وصورة من صور ، إذ لا بد أن تكون هناك صور أخرى لد الأرض كما كما يشير إليه تقديم مد الأرض هل إلقاء الرواسي في آية سورة (ق) ، وفي أختها آية سورة (الحجر) : دوالأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبئتنا فيها من كل شيء موزون ، وفي آية الرهد : د وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، الآية ٤ .

صحيح أن الواو في اللغة لا تفيد الترتيب حتماً كما تفيد الغاء وثم . لكن ترتيب الذكر عند العطف بالواو في كتاب الله خصوصاً إذا تكرر بذاته كما في الآيات الكريمة الثلاث ، لا بد أن تكون له حكمة ، كما هو واضح مثلاً في بحى المحارم حسب درجات القرابة في قوله تعالى : د حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ، الآية ٢٣ من سورة النساء .

ولو لم يأت التعبير إلا بالفعل (ألقى) في الآيات الثلاث التي ورد فيها ذكر الرواسي مقرونا بمد الأرض لكان هذا كافياً في قصر

صور هذا المد على ما تلقىه الأنهار من رواسب في المياه الضحلة ، كبناء شواطئ البحار في العادة ، سواء أرفعت طبقات الرواسب المتركمة جبالاً بعد ذلك أم لم ترفع بل بقيت أرضاً تزرع وتسكن كما في دلتا الأنهار ، لكن التعبير جاء أيضاً بالفعل (جعل) حين ورد ذكر الرواسي مقرونا بمد الأرض في آية الرهد ، ودلالة هذا الفعل عامة شاملة لأنواع الجبال ، وإذن فالجبال النارية على الأقل لا بد أن يكون فيها أيضاً مثال لما ذكر الله في الآيات الكريمة الثلاث من مد الأرض ، أى اليابسة ، إذ على هذا ينبغي هنا أن يفهم معنى الأرض ما دام يابس الأرض هو الذي يزداد ويكثر بالجبال الرسوبية ودلتا الأنهار ، وهذا طبعاً لا يمنع أن يكون لد الأرض معنى آخر قد يكون الفلاسكيون عرفوه في تاريخ نشأة الأرض السكوكب السيار ، لكن المد بمعنى الزيادة في يابس الأرض هو الذى يوحى به الإنشاء عنه مقترناً بالإنشاء عن الرواسي إلقاء في آيتين وجعلاً في آية ، أى على وجه الخصوص بالرواسي الرسوبية في آيتين وعلى وجه العموم بها وبغيرها في آية . وقد تحقق المد بالمعنى الخاص المتضمن في الفعل ألقى ، فهل هو متحقق على وجه أوسع كما يشير إليه الفعل ذو المعنى الأعم ؟

العجيب أن المد بالمعنى الأوسع المستفاد من هذه الإشارة القرآنية متحقق بالفعل ، متحقق أيضاً في الجبال النارية بل وفي جزر

فتأمل الآن وانظر إلى تلك الحقائق العلمية التي دل عليها القرآن الكريم بتفسيه بليغ يأتي في آية (والجبال أوتادا) ، أو بلفظ فعل يأتي التعبير به كما في الفعل (أرسى) والفعل (ألقى) ، أو بتقديم (ظاهرة) في الفطرة على ظاهرة في الذكر كلما ذكرت الظاهران معا كما في مد الأرض وخلق الرواسي ، أو حتى بنسبة التكرار في الذكر بين فعل كما في ألقى وجعل . ثم تأمل مع هذا كيف جاء ضمير الجلالة في كل آية حاملا على قبول ما يظهر من أسرارها ، باعنا هل استنباطها في دقة وحذر ، واحكم ماذا كان يكون أثرها ووقعها لو كان من المسلمين أثرها ووقعها لو كان من المسلمين ، كالفخر الرازي مثلا ، من سبق إلى استنباطها هكذا من اللفظ والتعبير القرآني فسبق بذلك من طريق القرآن إلى الكشف عن تلك الحقائق المتعلقة بالجبال قبل أن يكشف عنها العلم الحديث .

فهذا جانب آخر من جوانب إعجاز القرآن الكريم من الناحية العلمية لا يمكن أن ينسب بحق إلى عبقرية بشر ، لأن العبقرى إنما تظهر عبقريته في ميدان هو مشتغل به متفرغ له ، ثم هو لا يسكت في ذكر نتاج عبقريته بالإشارة يودها كلمة أو كلمتين أو كلمات معدودة كالألفاظ في أى آية كونية من آيات القرآن الحكيم . على أن ضمير الجلالة في الآية القرآنية يحول قطعا دون مثل هذا الاحتمال

محمد أحمد محمد النور

مادتها من الصخر المعروف في العلم بالصخر الناري ، أو هي معروفة فيه بالجزر البركانية مثل جزائر (هاواي) وأكثر جزر المحيط الهادى ، وفي دائرة معارف (هتشلسون) المصورة: أن الجزائر إما قارية تتصل بالقارات من تحت الماء كأنها كانت جزءا منها ، وإما محيطية أى في المحيطات منقطعة عن القارات وهذه بركانية تكونت بارتفاع قاع المحيط بالقوى البركانية بالتدرج ، أو بها في غير تدرج كأنما ثار قاع المحيط بركانا وارتفع فجأة ، فهي جميعا أشبه بقمم بادية من جبال مغمورة في المحيط . وفي بعضها مثل (جاوة) سلاسل جبال صخرها نارى وفيها براكين أكثرها خامد وأقلها يشور من حين إلى حين فهذه الجزر وجبالها كانت يوما ما قاعا للمحيطات ثم رفعها الله للعيان زيادة في اليابسة كما زادها بالرسوب من الجبال وبدلتا الأنهار .

وفي الآيات السكينة الثلاث لطيفة أخرى تصقتج من أن مد الأرض ورد في آيتين مع الفعل ألقى ، وفي آية مع الفعل جعل ، إشارة فيما يبدو إلى أن المد في اليابسة عن طريق رواسب الأنهار أكثر وأغلب إن لم تكن ضعف مدها عن طريق رفع القيعان الصخرية النارية جزرا وجبالا في البحار ، وهذا يحتاج في تحقيقه إلى بحث جغرافى ، لكنه أجدر أن يكون واقعا بالفعل ، إن لم يكن بالنسبة إلى الرسوب والنارى من الجبال ، فبالنسبة إلى النارى من الجزر والرسوب من دلتا الأنهار .

جَوَانِبُ الْبِرِّ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ

للأستاذ ابراهيم شعوط

اشتمدت حلوكه الليالي ، واختفى بريق
الأمَل بين طيات الظلام الدامس ، وبات
أهل مكة يتخبطون في ضلال وحيرة .

فقد تلاشت المثل العلية ، وحل مكانها
انحلال في الخلق ، وفوضى في المعاملات ،

ولم يقتصر ظلم العرب على ما بينهم من
هداوات وثرارات ؛ بل تعدى ذلك إلى
استغلال للضعيف واضطهاد للغريب حتى
كاد يعرف بينهم أن الظلم هو أساس معاملتهم ،
ودستور حياتهم .

ولم يبق للفضيلة مكان إلا في قلوب قوم
إن ثاروا من أجلها كان لهم الويل والشبور
من عامة القوم وصناديد العرب ، وغول
قريش . فأصبح بنو عزم ، وبنو جمح ،
وبنو عدى بن كعب - على بطشهم - جبارين
لا يبالون بما يقرفون من آثام وما يرتكبون
من أوزار .

وكان هناك في جوانب مكة عدد قليل من
الآخيار الأحرار تأخذهم النخوة وتشدهم
المروءة ، وتثور في داخل أنفسهم مبادئ
الفضيلة فينضح الألم على وجوههم أسي
وحسرة لأنهم لا يستطيعون أن يرسلوا

صرخاتهم في وجوه الظالمين . فكانوا
يتلمسون أسبابا يفجرون بها العواطف
المكبوتة ، ويوقظون الضمائر التي نامت
في ظل ظلم مألوف ، وعادات تربى الجيل
على مهادها .

وكان أن سمع أهل مكة - ذات يوم -
نداء حزينا يسكبه صاحبه في آذان الجماهير
السادرة في غيها من سكان مكة . يسكب
الوجيمة والحزن من قمة جبل (أبي قبيس)
في بحجة المظلوم ، وحجارة الخائف المذعور
هائفا :

يا آل فهر لمظالموم بضاعته
بيطن مكة نأى الدار والغفر
وعزم أشعث لم يقض عمرته
يا للرجال ! وبين الحجر والحجر
إن الحرم لمن تمت مكارمه
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فتجاوبت أصداء هذا النداء في جوانب
مكة ، وردتها جبالها وبيوتها حتى جمعت
الأحرار الأبرار فهبوا سراعا لمبعث الصوت ،
ومصدر الاستغاثة فوجدوا رجلا يضرب
كفا بكف - وقد انحدرت دموعه من شدة

وأما الرجال فهم الزبير بن عبد المطلب ،
وعبد الله بن جعدان ، والعباس بن عبد المطلب ،
وجاهة من بنى أسد بن عبد العزى وكثير
من تيم بن مرة .

وظل محمد عليه الصلاة والسلام يأخذ نفسه من
صغره بنصرة المظلوم وحماية الضعيف والوقوف
إلى جانب الحق والبر بالمحتاجين من الفقراء
والمساكين وهو في سن لم تكن تلزمه بمثل
هذه الصفات بعد . وبدأت جوانب البر
واضحة في حياته كلها ، بأوزة في تشريعاته
ومعاملاته وحرص الحرص كله على أن يكون
هذا الجانب هو لب تعاليم الإسلام وروحه
الذي يجب أن يتغلغل في عقول المسلمين
ويختلط بدمائهم ، واعتبره علامة واضحة على
سلامة الإيمان وقوة العقيدة . فأخذ يحرص
المسلمين على العناية بأمر الفقراء واليتامى
والمساكين فقال : (الساعى على الأرملة
والمسكين كالجاهد في سبيل الله . قال أبو هريرة :
أحسبه قال : وكالقاتل لا يفتر ، وكالصابغ
لا يفطر) .

ثم هو الذى ضرب للناس المثل بالقول
والعمل على أن رصيد العبد عند ربه هو
ما قدمه من الصدقات وما استودعه عند ربه
في أيدي الفقراء والمحتاجين ، وأبدى هذه
الصورة في ذبحه شاة ثم أخذ يتصدق منها حتى
لم يبق منها إلا كتفها . فسأل عائشة رضى الله
عنها عن الباقي لأهل البيت من الشاة فقالت :

لأحسائه بالظلم - بنذب حظي في ماله المسلوب ،
وبضاعته المغصوبة . والذي زاد من حيرة
الرجل وضاعف عليه حزنه أن غاصب
بضاعته شريف من أشرف مكة لا يرفع
في وجهه صوت ، ولا يلام على تصرف
هو (العاص بن وائل السهمي) - من سادات
العرب وهمونهم .

فإذا يصنع الأحرار والأخيار ؟
اجتمعوا في دار عبد الله بن جعدان يقبلون
الأمر على وجوهه ليصنعوا شيئاً يرفع من
شأن بلدهم ، ويرتفع بأهلها إلى مستوى
المروءة والإنسانية . فاتخذوا قراراً حاسماً
وتعاقدوا على تنفيذه مهما بلغت تضحياتهم
في سبيله .

تعاهدوا ، وتحالفوا - بالروح والبدن -
على ألا يقر ببطن مكة ظالم ، ولا تنطوى
جوانحها على مظلوم - مهما كان شأن الظالم ،
ومهما كان شأن المظلوم - فهم مع المظلوم
حتى يرد إليه حقه ؛ ما بقي فيهم للحياة رفق ،
وما بل بحر صوفه .

هرف هذا الحلف (بحلف الفضول)
فيأترى من هم هؤلاء الفضلاء الذين
صرخوا في وجه الظلم حتى ذعر ، وحاربوا
الظلم حتى انهار ؟

هم فتي لم يجاوز خمسة عشر عاماً من عمره ،
ورجال آخرون . فأما الفتى الصغير فهو محمد
ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

قلت : (يا رسول الله ما بقي منها إلا اكتفها)
فقال : (كلها قد بقي إلا اكتفها) .
الذى كانت عليه .

رسول الله ونبي البر قد عكس على أمته
فهمهم للرج الدائم في الحياة فبعد أن كانت
الطبيعة توحى إلى غريزة الإنسان حب التملك
والآثرة فيقيس الرج بما في يده .

فلما ضرب رسول الله هذا المثل صار
المستقيم في أذهان أمته أن من أراد أن يدخر
لنفسه وصيداً هند وبه فليجعل هذا الرصيد
صدقات يقدمها إلى أصحاب الحاجات وفي منافع
العباد في منشآت للتعليم والعلاج وإبراء
العجزة .

ثم أظهر من ضروب القرعيب في البر ما
خرج عن طاقة العقول العادية حيث روى
لأصحابه - كما نقل أبو هريرة - فقال : (بيننا
رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في
سحابة يقول : إسق حديقة فلان فتبجى ذلك
السحاب فأفرغ ماءه في جرة - أرض ذات
حجارة سوداء - فإذا شرجة . والشرجة مسيل
الماء من الحرة إلى السهل - من تلك الشراج
قد استوهبت الماء كله ، فتبجى الماء فإذا رجل
قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته - بفأسه -
فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان
للأسم الذي سمعه في السحابة فقال له : يا عبد الله
لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : لأن سمعت صوتاً
في السحاب الذي هذا ماءه يقول : إسق حديقة
فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت
هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق

(كلها قد بقي إلا اكتفها) قضية لا يقرب
الشك لإيها وهي موضوعة دائماً أمام أمة
محمد لتدفعهم إلى البذل والتضحية وإخراج
مافي بيوتهم ليكون في بيوت أقعدها العجز ،
وحرمتها الفاقة من تملك شيء مما وصل إليهم
من بيون الأغنياء .

هي مصداق قوله تعالى : د ما عندكم ينفد
وما عند الله باق .

صورة بارعة في تمثيل الباقي للإنسان
والمفقود منه ، فالشاة التي تصدق رسول الله
بها باقية له في ميزانه عند ربه ، والكتف
الذي لم يتصدق به مفقود هديم النفع لا يكاد
يمر من المدخل إلى المخرج في ساعات حتى

الصوف قد خزقوها في رموسهم - عامتهم
من مضر . بل كلهم من مضر . فتغير وجه
رسول الله عليه الصلاة والسلام لما رآه بهم
من الفاقة ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام
فصلى ثم خطب فقال :

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها
رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به
والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ، - يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وتتنظروا أنفس ما قدمت
لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، .
تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من
ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره .
حتى قال ولو بشق تمره . لجاء رجل من
الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها . بل قد
عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين
من طعام ولباس فرأيت وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتהלل حتى كأنه مذهبه -
إنا . من فضة قد طلى بالذهب - فقال :

من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها
وأجر من عمل بها من بعده من غير أن
ينقص من أجورهم شيئا . ومن سن في الإسلام
سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
من بعده من غير أن ينقص من أوزام شيء .

دكتور إبراهيم شعوط

أستاذ التاريخ المساعد بجامعة الأزهر

بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثا ، وأرد فيها
الثالث الباقي .

هكذا كان يلقي رسول الله هذه المعاني
في قلوب المسلمين لينشدوا الحمير لأنفسهم بما
يبدلون من مبرات للفقراء حتى يكونوا
كما أراد .

وإن الناظر فيما شرعته الرسالة المحمدية
يجد أن روح العبادات كلها تهدف إلى هذا
المعنى ، وتكون هي من وسائل هذه الغاية .
فالصوم درس في الجوع والصبر على المسكروه
لتعلم البر ، والجل على البذل والإنفاق .
والحج مجاهدة ومكابدة أساسها توصيل البر
إلى أهل هذا الوادي والقادمين عليهم من
الإخوان في الدين - والصلاة تردد على أبواب
المولى في اليوم خمس مرات ليقف المخلوق
بين يدي الخالق فيؤدبه بالدين حتى يرق
إحساسه ، وترهف عاطفته فيحب لأخيه
ما يحب لنفسه .

وكان عليه الصلاة والسلام دائما زعيما للبرات
داخيا إليها بالقول والعمل فلم يكن شيء يفضيه
أشد من رؤية المحتاجين في أسعالم البالية ،
وقد أعياهم الجوع ، وأضنام الصبر على قسوته
ترفعها عن سؤال الناس وتعففا عما في أيدي
غيرهم فيروى جرير بن عبد الله - رضى
الله عنه - ويقول :

كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاءه قوم عراة عليهم ثياب من

الإمام الأوزاعي يَجِبُهُ الطَّغْيَانُ لِلأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ رَجَبِ الْبَيْتِيِّ

كنت قد واليت الحديث على صفحات (مجلة الأزهر) عن أعلام من فقهاء الإسلام ورحمته قد جابهوا الطغيان في جراءة نادرة ، ورفضوا راية الحق حين لمعت الأسنة وبرزت المحتوف . ولم تأخذهم في الله لومة لائم أو مهابة عاقبة ، ثم جمعت ما كتبت في كتاب صور تحت عنوان (علماء في وجه الطغيان) ولكن من كتبوا إلى من أفاضل القراء أخذوا يلحون في متابعة الحديث عن هؤلاء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من حفظة دين الله ، فرأيت أن أستجيب إليهم بمتابعة الحديث مبتدئا بالأوزاعي رحمه الله .

وقد بدأ أمير المؤمنين الخليفة الأول أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي عهده بالصلاة الجامعة بالكوفة وورق المنبر فحمد الله وأثنى عليه واقتخر بقرابته لرسول الله ، وندد بما قام به الفجرة من بني حرب ومروان ثم قال : (ولأن أرجو ألا يأتاكم الجور من حيث أتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الإصلاح وما توفيقنا أهل البيت إلا باقية) ثم أدركته وعكة مرضية فجلس على المنبر وصعد عه داوود بن علي ليقول من خطبته المشهورة : (إنا والله ما خرجنا في هذا الأمر لنسكتكم لجيونا ولا عقباناً ولا لنحضر نهراً ولا نبني قصراً ، وإنما أخرجتكم الأنفة من ابتزازهم حقنا ، والغضب لبني همن ، وما كثرنا من أموركم ، وبهظنا من شئونكم ، ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ، ويشد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم ، وخرقهم بكم واستدلالهم لكم ، واستقشارهم بفيئكم وصدقاتكم ومنافعكم ، لكم ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس رحمه الله أن نحكم

حين سقطت الدولة الأموية وابتدأ عهد بني العباس تطلع المسلمون إلى زمان مشرق بالعدالة يقوده آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مراقي العدل والإنصاف والأمن ، وقد قام الدعاة في كل مكان يعيدون مثالب الأمويين وفضائلهم على الأسماع لاعتين منكرين ، ومبشرين بزمان صالح يترعهم رجال يهدون إلى الحق وهم به يعدلون .

العم الغاشم قد اعتقد أنه ظل الله في أرضه ،
يعز من يشاء ويذل من يشاء وقد انهزم
مروان بن محمد على يده في معركة الزاب
فعد ذلك مبعث غر متناول ، ورأى نفسه
صاحب الأمر الحقيقي إذ استطاع أن يهزم
آخر خليفة مرواني ثم أخذ يقبعه بجنوده
حتى تم مصرعه ، وأورثه ذلك جماحا ونزقا ،
فأخذ يبيع العزل من بني حرب ، ليستأصل
شأفة الأيتام والأرامل والعجزة من النساء
وكأنه جرى في سباق دموى مع أبي مسلم
الخراساني ، فإذا أباد أحدهما معشرا نافسه
الآخر بأضعاف ما أباد ، لا يرقبان في الله
إلا ولا ذمة ! وحقت كلمة الله فوقع البأس
بين الطغاة ، وأكل بعضهم بعضا في النهاية .
والذين يخطون روايات كتب الأدب
بروايات كتب التاريخ دون تحقيق ، يزعمون
أن المعفو الشامل قد عم بني أمية أولا ،
فصنع منهم أمير المؤمنين وتقساموا مجالس
السمر مع بني العباس في أبهاء الخلافة ،
وباحات الإمارات ، وكادت تندمل الجراح ،
لولا أن هبدا شاعرا يقال له (سديف) كان مولى
للخليفة ركب إليه من الحجاز فاستأذن مثلما
دون أن يحبر باسمه ، وحلف ألا يحسر اللثام
عن وجهه إلا في حضرة أبي العباس ، فأذن
له فدخل ليرى الخليفة على سريرته ، وبني هاشم
دونه على السكرامى ، وبني أمية دونهم على
الوسائد مشاة على الأرض ، فلما شاهد اللثام
الشمس حسر اللثام عن وجهه وأخذ ينشد .

فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله
وتفسير في العامة منكم والخاصة بسيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فواجه ما صعد
منبركم هذا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأمير
المؤمنين أبو العباس !!

ولكن الذين أعطوا الناس ذمة الله وذمة
رسوله أن يحكموا بما أنزل الله ويعملوا
بسنة رسول الله . ويسيروا في العامة والخاصة
بكتاب الله ، صاروا يمعنون في الغدر وسفك
الدماء وإزهاق النفوس وخيانة العهد إلى
مضى بعث الفزع وزلزل الاطمئنان ،
وعطف النفوس إلى الأمويين حين وجدوا
آلافا من الأرواح تزحف ، وزلازل من
من الحروب تشب ، وأخذوا بالظنة دون
تحقيق ، ومبادرة بالشر دون تريث ،
حتى صار المصبح مشفقا أن يمسى دمه ربا
للأرض ولجبه طعاما للطير ، ومصرعه حسرة
في قلوب الأفريين ...

وكان أشد بني العباس عصفا بالأرواح
وهيجانا للشر ، وزلولة للسكينة عبد الله
ابن هلي عم أمير المؤمنين حتى وصفته بعض
الروايات التاريخية بالسفاح إذ أنه أحق
بهذا اللقب من ابن أخيه ، وقد كتب أستاذنا
المغفور له عبد الحميد العبادي في توضيح ذلك
فصولا قوية كانت مدعاة نقاش على مفيد
يعين كبار الكتّاب منذ ربع قرن ! هذا

ومالوا إلى القساح ، ولسكن الشاهر آنس
 رغبات سادته في الانتقام والحفيظة ، فوضع
 الثقاب على النفط ، وأخذ يشعل اللهب
 ليرضى سادته غير حافى بعلامة ضمير ، أو ثورة
 هاجس ، بل إن عبد الله بن هلى لم يكن
 فى حاجة إلى من يهيجه ، فنذف سروان
 ابن محمد وهو لا يذر أموياً يعثر عليه ، وقد
 رجح الأستاذ العبادى أن استئصال بنى أمية
 لم يكن بحضرة أمير المؤمنين بالسكوة
 أو الحيرة أو الأنبار ، ولم يتم هلى يده كما تزعم
 روايات الأدب والتاريخ ، لأن العراق لم يكن
 فى وقت من الأوقات موطن بنى أمية وبخاصة
 فى أخريات عهدهم عندما انبثقت عليهم فيه
 البشوق وكادت أن تأتى هلى سلطانهم قبل
 زحف العباسيين إنما كانت الشام موطن
 بنى أمية ، وعلى يد عبد الله بن على قد قامت
 جرائم الإبادة والاستئصال ! فهو صاحب
 الإثم الكبير فيما كان !

كان فى أهل الشام غيرة وحفيظة فقد هز
 عليهم أن يفتك بالناس لمجرد الشبهة ، فكل
 من كانت له صلة ما بنى أمية اق حقه من
 عبد الله ! والشام حاضرة الأمويين وعرين
 سلطانهم فلا ريب أن يكثربها الأشيع
 والمريدون ، ولا ريب أن يستحرق القتل
 والاعتقال ، وأن تعطى عهد الأمان ، حتى
 إذا استسلم الخائف لقمصره دون أكثر
 بوفاء ! فتهاشم المتهمون مستائين ، وغير
 القوم شعور لطيف بالمأساة ! فإخوانهم

أصبح الملك ثابت الأساس
 بالبهايل من بنى العباس
 بالصدور المقدمين قديما
 والزموس التماقم الرواس
 يا أمير المطهرين من اللثم
 ويا رأس منتهى كل راس
 لا تقبلن عبد شمس عثارا
 واقطعن كل رقلة وغراس
 أنزلوها بحيث أنزلها الله
 بدار الموان والإنعاس
 ذلها أظهر التودد منها
 وبها منكمو كحد المواس
 انصهم أيها الخليفة واحسم
 عنك بالسيف شأفة الأرجاس
 فتغير لون أبى العباس وأصابه زمع ورعدة
 ثم التفت إلى جنوده من الحرسانية فأخذوم
 بالسيوف حتى همدت جسامهم ورحل
 حديق إلى عبد الله بن على فأنشده :
 لا يفرك ما ترى من إناسى

إن تحت الضلوع داء دوبا
 فضع السيف وادفع السوط حتى
 لا ترى فوق ظهرها أمويا
 فهاج هائج الأمير ، وأعدم الأرواح
 بالملئات ! هذا الذى ترويه كتب الأدب
 وبعض كتب التاريخ لا يجوز أن يلقى بالاتبعة
 على رأس هذا العبد الشاهر وحده ! فما كان
 له أن يصدر أمراً فى شعره يغير به سياسة
 خليفة وأمير لوصفت سرائر العباسيين ،

العبادة ، وفي كتابه أحسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي ، نماذج من آثاره البليغة ، وأذكر أني قرأت قديما وعظا للأوزاعي ساقه إلى أبي جعفر المنصور يصور به اليوم الآخر والنفخ في الصور وقيام الناس لرب العالمين ، وإلزام كل إنسان طائفة في حققه ، فإريت في موضوعه أعذب وأبدع بما صدر عن الأوزاعي الصدور من الوعاظ والمرشدين ، ولدينا في مجال الوعظ الديني أدب حتى يتطلب البعث والإشادة ، وهوترات حافل يسوؤنا أن يضيع .

أحضر عبد الله بن هلي كبير علماء الشام وإمام الفقه في الإقليم ، فمضى لقاته حين أقبل ، وأجلسه في صدر المجلس وكأنه يحاول بالترحيب به أن يميله إلى حاشيته ، ثم بدأ فتكلم عن مآثم بني أمية وما صنعوه بالحسين وآل البيت ثم ما قام به ولائهم من أمثال الحجاج وعمر بن يوسف وعبد الله بن زياد من إرهاب وطغيان ، واتهمه بالدوال إلى الأوزاعي فقال :

يا أوزاعي ما تقول في ثورتنا على الأمويين ! فرد الشيخ في صرامة : قال صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) . فتمهر وجهه عبد الله ، وظهر الغضب في وجهه ، ولكنه كظم غيظه وسأل متجهما ؟ وما قولك في دماء بني أمية ؟ .

فلم يلبث أن هتف الشيخ بالرأى العريج :

يتساقطون من حولهم مضرجين بالدماء ! وإذا كان آل رسول الله من بني العباس قد نهضوا ليحققوا الحق ! فما لهم يفعلون ما لا يقولون ، وما لعبده الله يشعل الحرائق أني ساز ! وجاءت الأنبياء لعبد الله بن علي ، فرأى أن يسكت الناقدين باسم الدين ، وأن يكون ذلك على رموس الأشهاد إذ يستجوب فقيه الشام وعالمها الكبير (أبا عمرو عبد الله الأوزاعي) في دماء بني أمية وأموالهم ، ولن يجرؤ الفقيه - في ظن الطاغية - أن يفتي بما يخاف هواه وهو يرى السيوف تبرى . والدماء تسيل ! كان الإمام الأوزاعي صاحب مهابة وجلال ، وله في الفقه إمامة ذات صداوة ، فقد تخرج في مدرسة الصحابة من أمثال أبي عبيدة الجراح وبلال وشرحبيل ممن كان لهم بديار الشام مقام ، وأخذ العلم عن عطاء وابن سيرين ومكحول والثوري وروى عنه جماعة من مشيخة الفقهاء ممن كانوا في طبقة أساتذته كقتارة والزهرى وقد قال ابن خلكان في ترجمته : «هو إمام أهل الشام ولم يكن بالشام أعلم منه ثم حكي عنه ، أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي تخرج حتى لقيه بذى طوى فخل سفيان رأس بعيره عن الفطار ووضع في رقبته فكان إذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ . ومع أنه صاحب مذهب فقهي تبعه الناس أحقا باثم اندرس فقد كان أدبيا فصيح اللسان ، قوى الأسلوب ، جزل

الأوزاعي قائلا : كيف هذا ؟ .

فرد عبد الله يقول متحديا : ألم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي ؟

فهز الأوزاعي رأسه وقال في ابتسام : لو أوصى إليه ما حكم الحكيم !! فاستشاط ابن علي من الغيظ وصاح بأتباعه أخرجوه ! أخرجوه ! وأخذ يبيح في نفسه الرجل الشرير ليصف به عن قريب ، انقشر في الناس حوار الأوزاعي ، ولكن الطاغية يشغل عنه بالعبء الفادح إذ يجيئه النبأ بموت أمير المؤمنين ومبايعة أبي جعفر المنصور ، وكان يرى لنفسه الأمر فيهيح هائجه ويهيء الجنود لمقاتلة المنصور زاحفا بكتائبه المتراصة ، ويرمي أبو جعفر بأبي مسلم فيتعارك الطاغيتان ، وتدور الدائرة على طاغية الشام ثم لا تمهل طاغية خراسان فيلق مصرعه على يد طاغية ثالث ، وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا .

مضت الأيام وعاش الأوزاعي مبعجلا مهيبا في دمشق ثم ارتحل إلى بيروت فأقام بها حيث جاءه اليقين ، فنفر الناس إلى تشييع جنازته متزاحمين وتطلع عامل المدينة ليرى الحشد المتراحم خلف نعشه فيقول في تعجب .

رحل الله أبا عمر ! فقد كنت أخافك أكثر من أمير المؤمنين ؟

محمد رجب البيومي

مدرس أول بدار المعلومات بالفيوم

قد كانت بينك وبينهم عهود وكان من الواجب شرعا أن تني بها .

فلم يتالك الطاغية أن صاح وقد اشترأت أعناق القوم - اجعلني وإياهم لا عهد بيننا ؟ فنظر الأوزاعي في حدة ثم صاح : دماؤهم عليك حرام !

ثارت ثائرة عبد الله ثم أن يبطش بالشيخ ، ولكن ماذا سيكون بعد مصرعه ؟ إن الجريمة قد سجلت عليه دون إفلات ! ولا بد من ملائحته ليتراجع قليلا ، فاصطنع الهدوء وقال للأوزاعي : وما دليلك يا شيخ الشام ؟ فلم يمهله الأوزاعي أن هتف في اعتداد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) !

تعقد المأزق واسود ، وضائق الدنيا في وجه جد الله ، ثم رأى أن يتراجع عن الدماء ويسأل عن الأموال فقال في استخفاف وما رأيك في أموالهم ؟ .

وهنا أجاب الأوزاعي في هدوء مستقر واطمئنان لا يترزع .

إن كانت أموالهم في أيديهم حراما فهي حرام عليك أيضا ، وإن كانت حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعي هنا بلغ الغيظ حدته بالطاغية فصاح محنقا : ما هذا : أليس الأمر لنا - آل البيت - ديانة ، قابقسم

السَّنةُ وَمَا أَثَرُ حَوْلِ مُصَنَّفَاتِهَا لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ الْأَحْمَدِيِّ أَبِي النَّوْرِ

الأوامر والنواهي والإرشادات التي أوحى إليه بها من غهر القرآن الكريم ، وحث على وجوب أتباعه فيها ؛ لما اكتسبته من حرمة الوحي وقداسته ؛ فقال عز شأنه :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وحذر من مخالفته ، وذكر سوء عقابها فقال :

« فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى وجوب الأخذ بما صح عنه من ذلك فقال :

(إني أوتيت الكتاب وما يعمله ، يرشك شعبان على أريكته أن يقول : بيني وبينكم هذا الكتاب ، فما كان فيه من حلال أحلناه ، وما كان فيه من حرام حرمانه ، ألا وإنه ليس كذلك)^(١) .

لذلك لم يكن غريباً أن يجعل الله طاعة رسوله من طاعته فيقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

سارت البشرية - عبر تاريخها المسديد - وهي تشدو الحق ، وتنفذ الخير ، وتهفو إلى السكال ... وكلها مضت رويدا وأفاها المولى سبحانه بما يوائمها من كتبه ورسالاته « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . وما أن بلغت مرحلة النضوج الفكرى حتى أرسل الله خاتم أنبيائه ورسله بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يساق التطور الإنسانى ، ويختتم الكتب السماوية ، ويجى - بحق - أوفاهها بالقصد ، وأولاها بالبقاء ، وأحراها بخلود الأثر ؛ لما يضم بين دفتيه من أعدل الشرائع ، وأقوم المبادئ ، وأبلغ العبر .

وقد ههد سبحانه إلى فيه محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل ، كما ههد إليه بتفصيل ما أجهل ، قال عز وجل : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .

وقد روى الأوزاعي عن حسان بن عطية : (كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك)^(١) كذلك عهد سبحانه إلى نبيه بإبلاغ بعض

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ١٤٧/١ - ١٤٨ والمحكم في المستدرک وصححه وأقره الذهبي وفيه زيادة (وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله) ١٠٩/١ والترمذي وقال : حسن غريب من هذا الوجه ٩١/١ وابن ماجه ١/٥ - ٦ .

(١) جامع بيان العلم ١٩١/٢ .

ولقد كان في القمة من أولاء أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الذي كان جامعاً الصحيح ثمرة جهد دائب طوال ستة عشر عاماً من عمره الخصب ، فجاء مثلاً رائداً ، ومحملاً شائعاً في جمع الحديث سواء من ناحية الأصالة في المنهج ، أو الشدة في الاشتراط ، أو الدقة في التحري ، أو العبقرية في الاستنباط ، أو الفقه في السنة ؟

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري تفرقت الأمة بالقبول : تعب معينه اثر ، وتأخذ من هله الزاخر ، وتحتج بأحاديثه وهي في القمة من الصحة .

إلى أن تطاول كاتب متعالم لم يقرأ في الحديث ولا في التفسير قراءة متخصص ولم يدرس دراسة باحث ، ولم يكتسب كتابة منصف ، وفي مقال ذكر أنه ليس في البخاري أحاديث مفقودة فحسب بل منكورة أيضاً .

وساق لذلك ثلاثة عشر نصاً أو هم أن تبعها ملقاء على البخاري وليس كذلك فبعضها موضوع والبعض الآخر في محته (مقل) ولم يرو البخاري منها إلا حديثين : حديث التيمم ، وحديث المباشرة ، والباقي لا يلزم به ؛ لأنه ليس من شرطه ، ولا يعني في هذا المقال إلا ما يتعلق بالبخاري .

على أن تمت أموراً لا غناء عن ذكرها في هذا المقام وأموراً أخرى ذكرت في ردود تحتاج إلى إسهاب أو تعقيب سميها ور .

وأن ثبت له الهداية إلى السنن اللاحب ، والمنهج القويم ، كما أنبتها القرآن الكريم ، فيقول : « وإنك تهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض » .

وأن يسجل له في محكم كتابه أنه ما يصدر في هذه الأمور عن نفسه ، وإنما يبلغ ما يوحى إليه بأمانة بالغة :

« وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا

وحي يوحى » .

ومنذ بزغ فجر الإسلام فقد كان للسنة في نفوس المسلمين مكانتها الأثيرة ، وحرمتها الكبيرة بما كان له أبعد الآثار في مسارعة المسلم إلى الامتثال عند علمه بثبوت الأمر أو النهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في عظمة ما قدم عليه الحديث في القديم والحديث من صادق الجهود في حفظ السنة وصونها ، ونقل المرويات ونقدها ، وتمييز صحيحها عن سقيمها ، وكشف النقاب عن الثقات ، والضعفاء ، والمجاهيل ، ومن يصح الأخذ عنه ومن لا يصح ، وما أكثر ما أظلموا أنهارهم ، وأسهروا دجهم ، وأفنوا أعمارهم في سبيل إحياء السنة وتنقيتها من الدخيل والمنتحل .

يشهد بذلك تراثهم الذي خلفوه لنا في مصنفات الحديث المختلفة ، وفي تاريخ الرجال وفي فن الجرح والتعديل ، وفي سائر ما يتعلق بعلم الحديث دراسة أو رواية .

صفة القرآنية عنها .

ومن الثابت عند المفسرين والمحدثين أن القرآن قد يفسخ السنة ، وأن السنة قد تفسخ القرآن ، دون أن يكون لذلك تأثير في صحة المنسوخ ذاته ؟

وفيا أورده الحازمي بكتابه (الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار) وأبو جعفر النحاس في كتابه (النسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) أمثلة تغني عن الإيراد ، فليرجع إليها من أراد .

٣ - قد يظهر الحديث - بادي الرأي - معارضا للقرآن ، وقد يسارع سطحي النظرة إلى القول ببطلانه دون إعمال الفسكرة ، أو تذوق روح الشريعة ، أو تعرف إلى اصطلاح المحدثين ، أو استقراء لمعنى الكلمة في الجزئيات والوقائع المختلفة .

ولنضرب لذلك مثلا . كلمة المباشرة ، التي أقام صاحب المقال منها بعض أسس الهجوم على البخاري ، فالمعنى بها كما ذكر شراح الحديث ومنهم الفسطلاني ، والعيني ، والنووي ، وابن حجر ، والكرمانى وغيرهم : التقاء البشريتين ، لا الجمامة ، ولا الالتقاء الجفسي .

يؤيد ذلك اللغة من جهة ، واستعمال الكلمة في سياقاتها المختلفة في الأحاديث من جهة أخرى .

٤ - قد يكون الحديث تعبيرا عن حادثة وقع فيها اجتهاد الصعابة ، واختلفت فيها وجهات النظر بينهم فيسجلها الحديث كما هي .

الحقيقة وإسهما في تكاملها والله ولي التوفيق . فأبرز ملاحم المقال أن كل ما يصوره يخالف القرآن الكريم ، أو يعارض العقل ، وذلك لا يعقل أن يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد ساق السكاتب أمثلة عديدة من

البخاري وغيره يبرهن بها على مدعاه ؟ ثم دعا إلى تنقية كتب التفسير والحديث من أمثال تلك الخزعبلات والمفتريات ؟ كذا قال ؟

وذلك عند السير في ضوء النقد معترض ، شكلا بما يلي :

١ - ما المراد بمخالفة القرآن ، وموافقة العقل ؟

هل يريد بذلك أية مخالفة ، وأية موافقة ؟ إن إطلاق القول في ذلك ، وفتح الباب فيه أمام كل طارق ، والسير في دروبه دون إطار منهجي محدد ، يؤدي إلى الحكم ببطلان كثير من الأحاديث الصحاح ، وبفضي بذلك إلى الاصطراع الحاد بين المسلمين من الناحيتين : الفسكية والعقدية ؛ فما تراه طائفة منافيا للعقل ، أو مخالفا للقرآن قد لا تراه طائفة أخرى كذلك ؟

٢ - قد يكون الحديث المعارض للقرآن منسوخا ، والنسخ لا يرفع الحكم بصحة الحديث في ذاته ، بلى قد تكون الآية القرآنية نفسها منسوخة بحديث - ما - فلا يؤدي ذلك إلى القول ببطلان الآية ، أو انتفاء

في بعضها الآخر، وحلل هذه المعارضة وذلك كتابه : « تلخيص المستدرك » ،
ومن هنا قال العلماء : إن المستدرك
للنيسابورى لا يقرأ بدون التلخيص للذهبي
كما أن الإحياء للغزالي لا يقرأ من الناحية
الحديثية دون تخريج العراقي ، أو الرجوع
إلى المصادر المختلفة لتمييز الحديث . ١

أجل ! فقد حشد الغزالي كل ما يخدم النقاط
التي أودعها كتابه الحافل ، دون سبر الأحاديث
من الوجهة الفنية . ١٤

ولو قد تم إلزام الحاكم البخارى ومسلم
في كل ما ألزمهما به ، لكان من الجائز في هذه
الجزئية أن يتم إلزام ابن حزم أو غيره لها ؟
بل لو تم إلزام ابن حزم للبخارى ومسلم
في هذا الحديث لما فات الحاكم أن يخرج
في كتابه ، بناء على أنه على شرط الصحيحين
الذى ألف كتابه من أجله . ١٥

بيد أنه لم يخرج ١٦ .

فأذن البخارى أو مسلم إذا ؟ وما هي
مسئولية أحدهما في إلزام لا يخلو من طابع
النظرة الشخصية . ١٧

على أن هذا الذى ذكرناه أولاً وأخيراً
من الناحية الشكلية فحسب .

واقه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

محمد الهمداني أبو النور

وقد يكون من حكاية المذهب ذهب بعض
الصحابة - زماناً - ثم رجع عنه ، أو تأزلاً
ارتأه في فهم آية تلاها أو طليت عليه .

وذلك كحديث التميمي للجنب ، وما حدث
بين عمر وعمار بن ياسر من خلاف في رأى
بشأنه .

وكحديث المناظرة بين أبي موسى الأشعري ،
وعبد الله بن مسعود التي جرت بينهما على
أساس ما حدث بين عمر وعمار ، رضى الله
عنهم جميعاً .

فغير واقع ولا سائغ أن يقصد الرسول
صلى الله عليه وسلم أو أحد الصحابة إلى مخالفة
الكتاب العزيز ، بله أن يخالفه بالفعل ؟
٥ - قول ابن حزم أو غيره في حديث
إفطار الصائم بالبرد : إن هذا على شرط
البخارى ، أو على شرط مسلم لا يلزم البخارى
أو مسلماً في شيء ، وعلى ابن حزم أن يتحمل
مسئوليته وحده . ١٨

فكم قال الحاكم : أبو عبد الله النيسابورى
إن هذا على شرط البخارى ، أو على شرط
مسلم ، أو على شرطهما وقد انتهض فألف
لذلك كتابه : (المستدرك على الصحيحين)
جمع فيه ما رواه على ما رآه من ذلك ثم لم
يصف له منه الكثير . ١٩

لقد تعقبه الذهبي فأقره في بعضها ، وعارضه

حَوْلَ طَبِيعَةِ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

لِلأستاذ كامل السيد شاهين

١ - يكاد النقاد يتفقون على أن الشعر الجاهلي يمتاز بقوة المتن، وشدة الأسر وجسادة اللفظ . وقد غلوا في ذلك غلواً كبيراً حتى جعلوا هذا الأصل معياراً يقيسون به ما هو داخل فيه ، وما هو خارج عليه ... وحتى صار كل شعر مسته السهولة أو جرى فيه اللين متهماً مطعوناً فيه ، سواء في ذلك ما تناول أحدنا جرت في عصر الجاهلية ، وما كان من قبيل النغمات الخاصة التي يتغنأها الشعر ، وتعبر عن الحياة والنفس الإنسانية . وبهذا المعيار نفيت قصائد عن امرئ القيس ، وعن مهمل بن زبيعة ، وعن جليلة بنت مرة ، وعن المنخل اليشكري ... وعن كثير سواهم في دروب العصر الجاهلي . وما ترحض النقاد في قبول اللين السهل القليل الغريب إلا مع شعراء السواد كعدي ابن زيد العبادي .

• • •

وقد ذكر الدكتور طه حسين أن هذا المذهب الذي ذهبه القدماء والمحدثون في تحقيق الشعر الجاهلي مذهب خادع ، وربما كان في الشعر الجاهلي ما هو يسير لين ، وربما كان في الشعر الإسلامي ما هو غريب حوشى ..

وشعر الفرزدق ، ورجز العجاج وروبة وذى الرمة بيئة على ذلك . والمعيار الذي ارتضاه الدكتور طه حسين لقياس الشعر الجاهلي ، وما ينبغي أن يكون عليه صلابته واعتداله هو أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث الشريف ، فهو يقول : « وإذا ، فلا ينبغي أن تتخذ غرابة اللفظ دليلاً على الصحة والقدم ، ولا ينبغي أن تتخذ سهولة اللفظ دليلاً على الانتحال والجدّة .

وإذا ، فليس غريباً أن نقرأ الشعر يضاف إلى الجاهليين فنفهمه دون مشقة ، ونرجح مع ذلك صحته ، وأن نقرأ الشعر يضاف إلى الجاهليين فلا نفهم منه شيئاً ، ونرفض مع ذلك أن يكون صحيحاً .

وإذا لم يكن بد من وضع قاعدة في هذا الموضوع ، فنحن ميالون إلى أن نقف موقف الشك من الشعر الذي يسرف صاحبه في الغريب ، كما أننا ميالون إلى أن نقف موقف الشك أيضاً من الشعر الذي يسرف صاحبه في السهولة واللين ... وإنما الشعر الذي نستعد للنظر في صحته هو هذا الذي يناسب لغة القرآن وما صح من الحديث متانة لفظ

والأخرى من بنى عقيل، أما جليمة فهي شاعرة ربعية وبكرية . والفرق بين شعر المضربين والربيعين واسع ... وربما كان بنو بكر من ربعة ألين ألفاظاً من سواهم اسكتفاهم السواد والخنساء وإيلي كانتا قد عالجتا الشعر

واشتهرتا به ، وتمرستا بإنشاده . والشعراء الذين يحترفون الشعر يكونون في الجملة أكثر تنظيلاً وانتقاءً للألفاظ وقرباً من القوة والمثانة من الشعراء الذين لم يحترفوا الشعر وإنما يقولونه في الفينة بعد الفينة ، وعلى أمد طويل ولم يروا التنازع أن جليمة قالت شعراً إلا هذه القصيدة اليتيمة . على أن الخنساء بالذات إذا تناولت الرثاء لانت ورقت أحياناً على ما قيل فيها من الفجولة والقوة .

هذا حديث اللين والمهولة ، فأما حديث الابتذال ، فلسماً نرى في اللفظ ابتذالاً على الجملة ، أما في المعنى ، فإن الشعر العربي كله لا نكاد نظفر فيه بقصيدة غير هذه القصيدة في تصوير الألم المضاعف ، وتوزع نفس المرأة بين الحزن على زوجها ، والشفق على أخيها وإظلام حاضرها ، وانتظار مستقبل أكثر إجحافاً وأشد إظلاماً ، ووقوعها بين نار الحزن ونار التهمة ... فالابتذال إذاً بعيد كل البعد من معاني هذه القصيدة .

هسي أن يكون لنا بعد ذلك حق الإدعاء بأن أبيات جليمة يمكن أن تكون صحيحة ، وأن تكون من الأنفاس الشعرية التي ترددت

ورصانة أسلوب في غير تسكف للغريب ، ولا إسراف في الحوشية ، ويناسب القرآن وما صح من الحديث سهولة مأخذ وقرباً من الفهم من غير إسفاف ولا دنو من السخف (١) .

والدكتور طه حسين عندما يقرر هذا المبدأ يضييق به عند التطبيق ، فيقبل من الشعر ما كان متين اللفظ وصين الأسلوب في غير تسكف للغريب ، ولا إسراف في الحوشية ، ولكنه يرفض ما كان سهل المأخذ قريباً إلى الفهم ، مع أنه لم يبلغ درجة الإسفاف ، ولا هو دان من السخف .

وإلا فبأي ذنب يرفض شعر المهمل لرفضاً حاسماً مدعياً أن فيه سهولة وليناً وإسفافاً ويرفض قصيدة جليمة بنت مرة :

يا لبنة الأقوام إن شئت فلا

تجعل باللوم حتى تسألي

لأنه - فيما قال - لا يستطيع شاعر في هذا العصر الحديث أن يأتي بأشد منه سهولة وليناً وابتذالاً ، مع أننا نقرأ للخنساء وإيلي الأخيلية شعراً فيه من قوة المتن وشدة الأمر ما يعطينا صورة صادقة للمرأة العربية البدوية . اهـ

وحديث الدكتور الناقد عن إيلي والخنساء حديث لا ممتنع فيه من نواح كثيرة . فالخنساء وإيلي الأخيلية مضربتان الأولى من بنى سليم

خلال جولاته في البراري ومشاهدة الأعراب أو تلقاها عن أستاذه الغز الحليل بن أحمد . وكان الأصمعي معلما للغة مؤدبا ماسمرا في دار الخلافة على عهد الرشيد ، وقد غبر زمانا يجوب البادية يجمع الأشعار والآثار والشوارد ، فإذا اختار من الشعر اختار ما هو غريب بدوي ليبره الرواة ويبرهم . ووجدوا بين أيديهم « جمهرة أشعار العرب لابن زيد بن محمد بن الخطاب . . . وقد كان أبو زيد صاحب لغة وغريب ونحو ، ولذلك جاءت جمهرته شافة من روحه ذات طابع خاص في الشعر .

إذن فهذه المختارات لا تعطينا الطابع العام للشعر الجاهلي ، إذ كان أصحابها يتقاصرون بالغريب ، ويرغبون في اتخاذ المنزلة عند الحكماء وعند الناس بظهورهم به .

وقد كان أولاد الخلفاء على عهد الأمويين يدفعون إلى البوادي لتستقيم أسقطهم ، وتنطبع على الصحيح الفصيح ، فلما جاء العباسيون رحل العلماء أنفسهم إلى البوادي وقعد الأمراء في منازلهم يستقدمون هؤلاء العلماء ليعلموهم ما عرفوا ويحملوا إليهم ما حصلوا . وتلقى الأعراب في الأمصار كان أمرا مألوفالذي هؤلاء العلماء ، فهناك حرف لم يعرفه الأصمعي ، وحرف لم يوجد عند أبي عبيدة ، وحرف يختصم فيه أبو زيد مع غيره من العلماء .

في العصر الجاهلي ، بالرغم مما يجده القارئ الكبير بها من سهولة ولين .

٢ — ولكن الذي أغرى النقاد باتخاذ الغرابة والصلابة سمه يستدلون بها على جامعية الشعر وأصلا يعتمدون عليه في نقده وتمييزه ؟ أكبر الظن أن الذي حملهم على ذلك هو ما انتهى إلیهم من مختارات هذا الشعر . فقد وجد النقاد بين أيديهم شعر (المعلقات) ، وهي مجموعة أشعراء تدرسوا بالشعر ومرتوا عليه ، ومنهم من اعتاد الاحتفال به والاحتشاده ، والأناة فيه ، أناة لم يعرف لها مثيل في تاريخ الشعر ... لجاء هذا الشعر إلا أقله حافلا بالغريب مانجا بالصور الشعرية طويل النفس إلى حد لا نجد إلا قليلا بين أشعار الجاهليين . ووجدوا بين أيديهم (المفضليات) وهي مجموعة من القصائد التي تميد فيها نفس الشاعر حتى يتجاوز مائة من الأبيات ، ويقصر حتى لا يتجاوز ثلاثة الأبيات ولكن الغرابة والصلابة تلتظمها جميعا .

وكان المفضل الضبي معلما للغة . . كان يعلم المهدي بن المنصور ، وكانت للمنصور ضلعة في اللغة . . فإذا اختار المفضل للمهدي شعرا يقسم بشدة الأسر ، وجسارة اللفظ ، فهذا أمر طبيعي إذ هو يتغنى تعليم اللغة والأسلوب العربي في وقت معا .

ووجدوا بين أيديهم « الأصمعيات » ، وهي مجموعة مختارة من القصائد التي رواها الأصمعي

والذى تراه فى المختارات التى جمعها اللغويون .
على أنه ليس معقولا أن يخرج الشعر من
الصلابة والغرابة التى نراها فى هذه المختارات
إلى السجاجة والتدفق الذى نراه فى أشعار
المهاجاة التى قيلت على النبى عليه الصلاة
والسلام ونقلتها كتب السيرة وبعض كتب
الأخبار والتاريخ لأن اللغة لا تتطور بهذه
السرعة فى مدى لا يزيد على خمسين عاما .

٣ — وبالإيمان وطول القراءة والتقصى
بدا لنا أن هناك شعراً جاهلياً غير شعر
المعلقات وأضرابها ، له فنون وألوان .

فهناك شعر جاهلى يمتاز بالجولة ولكن مع
روح تشبه روح الخطابة وهو شعر الفرسان .
وهناك شعر جاهلى يمتاز بالسهولة واللين
يمتزجا بروح الخطابة أيضاً وهو شعر الرثاء .
وهناك شعر جاهلى يمسّه الغريب مساً
ولكنه لا يعنه ولا يغب عليه ، وهو شعر
الشعراء الذين لم يتخذوا الشعر صناعة .

هناك شعر جاهلى ألين عريكة وأبصر
لو كان من سواء هو شعر الفساة .

وإذا فطبيعة الشعر الجاهلى قد تؤثر فيها
طبيعة الشعر ، وقد يؤثر فيها الغرض ، وقد
تؤثر فيها الممارسة وطول العلاج ، وقد يؤثر
فيها الجنس .

ونرجو أن نتناول ذلك بالدواسة والتشيل
فى المقال المقبل إن شاء الله .

دامل السبر شاهين

والأمر فى ذلك إلى هؤلاء الرافدين الذين
يتجرون بما لديهم من ذوات الأوبار ،
وذوات الأشعار ، وبما لديهم من شوارد
الغريب ونوادر الآثار .

إذا فليست المعلقة ممثلة لطبيعة الشعر
الجاهلى ، وليست المفضليات ممثلة لهذه الطبيعة
وليست الجهرة والأصميات صورة صحيحة
لها . . . وليست هذه جملة صالحة لأن تكون
هنوا للشعر الجاهلى بعامة .

ولنما هى لون من ألوان الشعر الجاهلى
وذلك اللون البدرى الصلب القسوى المتن
العديد الأسر .

والذى يشهد لنا أن كتب الأخبار كالأغانى
وكتب التراجم كالشعر والشعراء تقدم لنا
شعراً مخالفاً فى جملة الشعر الذى يقدمه
لنا اللغويون .

وبحسبك أن تقرأ ترجمة فى الشعر والشعراء
أو صوتاً فى الأغانى و ترجمة لصاحبه حتى تطمئن
إلى أن فى الشعر الجاهلى لونا وألوانا تخالف
اللون الذى تطلع عليه فى الجهرة والأصميات
وفى المعلقة والمفضليات .

والذى يشهد لنا كفاك أن الأدباء غير
اللغويين عندما اختاروا مختاراتهم بعد أن
ذهبت (موضوعة) الغريب والتباصر به
اختاروا مجموعة من رائع الشعر تتميز
بالحلاوة وتدق العاطفة وبحسبك أن تقرأ
حماسة أبى تمام أو حماسة البحتري وتقع
ما جاء منها من الشعر الجاهلى لترى شيئاً غير

علمائونا إبان العدوان الصليبي

للدكتور عباس حلمي سماعيل

استئصال الخطر الصليبي من ربوع الوطن العربي . واهتم صلاح الدين كذلك بحصم الخلاف بين الشيخ جمال الدين محمود المحمودى المعروف بابن الصابونى ، والشيخ نجم الدين الحبوشانى شيخ المدرسة الصلاحية بالقاهرة ، وهما من أتباع المذهب الشافعى . مذهب الدولة الأيوبية ، فأمر صلاح الدين أخاه الملك العادل بنقل وقف ابن الصابونى إلى مكان آخر بعيد عن مسكن الحبوشانى ، نسبة إلى خبوشان إحدى قرى نيسابور من بلاد ما وراء النهر (١) .

وكان الملك العادل يستشير الشيخ عبد الرحيم البيهاسى ، المعروف باسم القاضى الفاضل ، فى تفاصيل الإدارة المصرية ، والقاضى الفاضل بدوره يساعده فى تجهيز الجند وتعمير الأسطول وجمع المال ونقل المؤن إلى ميادين القتال من مصر ، باعتبارها محور ارتكاز القوى الدفاعية عن الشرق الأوسط كله ضد العدوان الأوروبى الصليبي فى العصور الوسطى ، كذلك كان القاضى الفاضل يكتب للعادل أجوبة خطابات صلاح الدين بأفصح عباراته

لم يعرف العلماء العرب المسلمون حدوداً أو فواصل فى تنقلهم طلباً للعلم والمعرفة ، فأتجوا الآداب ، وأبدعوا فى الفنون ، وأضافوا إلى العلوم . ولم تسم هذه الآداب أو الفنون والعلوم بأسماء مصرية أو عراقية أو سورية أو غيرها ، أى أنها لم تحمل اسم الإقليم الذى ظهر فيه علماءها وأدباؤها وفنانونها ، وإنما سميت جميعاً بالآداب العربية والفنون العربية والعلوم العربية . ذلك أن العرب لم يعرفوا الإقليمية فى الإنتاج العلمى والأدبى والفنى ، وسميت الحضارة التى بنوها بالحضارة العربية الإسلامية ، لأنها حضارة تعبر عن أمة واحدة ، هى الأمة العربية الإسلامية .

وبلغ من حرص السلطان صلاح الدين على وحدة العلماء المسلمين أن أمر أخاه الملك العادل سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) بمنع المناجاة ، والأشاعة أتباع أبى الحسن الأشعرى ، من المناجاة فى علم الكلام ، لأن كل فريق اعتمد بجماهة من الجند ، فخشى صلاح الدين أن يحتدم الخلاف ، فى وقت كان هو فيه فى أشد الحاجة إلى الوحدة ، من أجل

(١) أبوشامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٦٨ .

أصابه تشبها بالملوك ، ولما اعترض العادل عليه في ذلك قال : « أنا ملك العلماء كما أن الملوك ملوك الرعايا » ^(١) والغاشية سرج من جلد مخروزة بالذهب ، يحالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب الحفلة كالأعياد ، يرفعها (الركابدار) على يديه ويلفتها يمينا وشمالا .

ومهما يكن من أمر ، فقد لقي العلماء صدرا رحبا وتشجيعا من البلاط الأيوبي على عهد السلطان العادل ، إذ كان العادل نفسه كلفا بسماع الحديث النبوي ، محبا للعلماء ومجالسهم ، وكثيرا ما شجعهم على التأليف ببذل المال اللازم ، ولو كان المواقف من أهل البلاد البعيدة ، والدليل على ذلك الإمام نضر الدين الرازي نفسه ، فقد صنف للعادل كتاب (تأسيس التقديس) وذكر اسمه في خطبته ، وبعثه إليه من بلاد خراسان ^(٢) . وسعى العادل إلى اجتذاب العلماء إلى القاهرة ، فعندما وصل عالم النبات أبو العباس بن الرومية من المغرب إلى الإسكندرية سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) استدعاه وأمر بأن يقروله جراية . وكان بمن حظي لدى العادل أيضاً الطبيب مذهب الدين هبة الرحيم بن علي المعروف بالدخوار ، وكان

مشيرا وناصحا ومصلحيا ومصالح الإسلام والمسلمين ، ولذلك كان العادل ينميه بمصر عندما يطلبه صلاح الدين ليستشيره في أمر من الأمور . وكانت مصر في ذلك الوقت تقاسى ضائقة مالية شديدة ، فبعث صلاح الدين إلى الأثرياء من أهله وأمرأه دولته يطلب منهم قرضا ، لكنهم اعتذروا إليه ، فأرسل إلى المعتمدين من الفقهاء والقضاة يطلب منهم أن يقتصدوا في النفقات لمدة عشرة أيام ، ويرسلوا إليه ما اقتصدوه قرضا حتى يصل إليه الخراج والغنائم ، وهنا امتثل مرسومه العلماء ، ومن بينهم القاضي المرتضى بن قريش أحد كتاب ديوان الإنشاء بالقاهرة ^(٣) . ولذا حظى العلماء بتقدير الدولة ، فعلى شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حمويه شيخا للدرسة الصلاحية خلفا لنجم الدين الحبوشاني ، وكان الناصح أبو الفرج بن نجم الحنبلي عظيم الحرمة عند الملوك الأيوبيين ، قدم مصر مرتين ووعظ بها ، وتمسك من تأليف كتبه ومنها كتاب أسباب الحديث في عدة مجلدات ، وكتاب الانجاد في الجهاد . غير أن الملك العادل عزل الشيخ شهاب الدين الطوسي من ولاية الأحباس ، لأنه كان قد أمر (ركابداره) بأن يرفع الغاشية على أطراف

(١) التابلسي : نفس المرجع ص ٢٠

(٢) المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٥٤ .

(٣) التابلسي : لم القوانين ص ٧ - ٨

والطبية وحسن صوته وإتقانه العزف على العود ، وألبسه شيخ الشيوخ صدر الدين حسن بن صمويه خرقه النصوف لإقرارا بفضلته (١) .

وتعلم السلطان الكامل منذ صغره الأحاديث النبوية ، وأجاز له العلامة أبو محمد بن برى وأبو القاسم البوصيري وابن صدقة الحراني فنشأ على حبها حريصا على حفظها ونقلها .

ولذا شيد سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٧ م) دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة ، وأول من تولى مشيختها أبو الخطاب عمر بن دحية ، وتولى الشيخ المطيطس بهاء الدين الجيزي التدريس بالزاوية الشافعية بجامع عمرو ، بعد أن ألبسه شيخه ابن أبي عسرون الطيلسان اعترافا بعلومه ودينه وهدالته (٢) .

واجتذب الكامل إلى بلاطه العالم الرياضي علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف الذي ولد في الصعيد وتعلم بمصر والشام ، ثم بالموصل على كمال الدين موسى بن يونس علامة عصره وبلغ من تبحر تعاسيف في الرياضيات أنه حل عدة مسائل بعث بها إلى الكامل (فردريك الثاني) ملك الألمان وأمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وكان من تلك المسائل ما يعتبر من أعوص الأحاجي والألغاز ، ومع ذلك

العادل قد طلبه من وزيره صفي الدين ابن شكر لمعالجته من مرض حار فيه الأطباء فشفاه منه ، ثم عينه على الشئون العلمية في الجيش ، فقام بذلك خير قيام ، وكان الدخوار أديبا ، اختصر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وألف مقالة في الأغذية واشتغل بعلم الفلك ، واقتنى من الآلات الفلسكية ما لم يكن عند غيره ، كما كان هندية ست عشرة رسالة في الأسطرلاب ، وهو عبارة عن دائرة من الرصاص يمكن بها تقدير ارتفاع النجوم وزواياها من على ظهر السفينة ، وتحديد مواقع الأماكن بمعرفة خطوط الطول والعرض .

وامتاز أيضا السكحال سديد الدين القاسم الذي تولى رئاسة السكحالين بالبيارستان الناصري ، وكان أخوه رشيد الدين أبو حليقة من علماء الرياضيات والموسيقى والطب والأدب ، إذ تعلم الرياضيات من علم الدين قيصر الحنفي المعروف (تعاسيف) ، والموسيقى من ابن الدينخورد المصري وصفي الدين بن علي ابن البيان ، والبهاء المصلح السكبي ، وشهاب الدين النجفوني ، وشجاع الدين بن الحصن البغدادي ، والطب على جمال الدين بن الحوافر وعبد اللطيف البغدادي ، والأدب عن زين الدين بن معطى المغربي ، فأصبح ينظم الشعر الجليد ، وذاع صيت أبي حليقة ، فتنافس الملوك الأيوبيون في استخدامه لمهارته العلمية

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٥٩ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٢٧ .

خلق على كتاب (الخواص) لفخر الدين الرازي: وشجع الكامل التأليف في التاريخ والسياسة لولعه بمجل مشكلاته بالأساليب (الدبلوماسية) مثلما فعل الامبراطور (فردريك الثاني)، وتجلت تلك (الدبلوماسية) في المفاوضات السكلمية الفردريكية التي جرت سنة ١٢٢٦ هـ (١٢٢٩ م) على يد نحر الدين بن شيوخ الشيوخ. وعن شجهم الكامل ناج الدين ابن حويه الذي ألف كتاب السياسة الملوكية، وألف المؤرخ على بن يوسف القفطى كثيراً من كتب التاريخ مستعيناً بمكتبته الحافلة التي اهتم بها اهتماماً يفوق ولعه بالخيول المسومة على قول ياقوت الحموي (١).

وأُنكر السكامل على أخيه الملك الأشرف مرسى محاباته للحنابلة المبتدعين ومعاداته للشيخ عز الدين بن عبد السلام نقيب الشافعية بدمشق، وذهب السكامل إلى دمشق سنة ٥٦٣ هـ (١٢٣٧ م) وعين ابن عبد السلام شيخاً بزاوية الغزالي بجامع دمشق، وولاه قضاءها، وأنفذه رسولا إلى الخليفة العباسي المستنصر ليصل معه إلى اتفاق لمقاتلة التتر. ونفذ السكامل فتاوى ابن عبد السلام بمصر والشام، فأمر بمنع كتابة عقد الصداق على الحرير، وأبطل دق السيف على المنبر في صلاة الجمعة، وحرّم صلاتي الرغائب ونصف شعبان (٢).

وفعل السكامل هذا كله تشجيعاً لابن عبد السلام

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٥ ص ١٨٧ - ١٩١.

(٢) السيكي: طبقات الشافعية ج ٥ ص ٨٠ - ٧١٧.

حل تعاسيف عقد إشكالها فرداً فرداً، وفتح أعلام طلائعها ورموزها واحداً واحداً، واشتغل تعاسيف مهندسا بارعا أيضاً، فعمل للبلك المظفر محمود صاحب حماة كرة من الخشب، رسم عليها جميع الكواكب المعروفة وقتذاك، وسأده في رصد ما المؤرخ جمال الدين بن واصل (١).

وقام النباقي البارح ضياء الدين عبد الله ابن البيطار بكثير من السياحات والمنازلات، فسافر إلى بلاد اليونان وأصيا الصغرى والمغرب، ليرى بنفسه على الطبيعة خواص بعض النباتات وأنواع القرية التي تلائمها. ووجه ابن البيطار جل اهتمامه إلى النباتات الطبية، حتى استطاع أن يؤلف كتاباً في الأدوية اسمه المغني في الطب، الذي أعجب السكامل، فجعله رئيساً على العشابين بمصر. ولم يضارعه في ذلك العلم سوى وشيد الدين بن الصوري الذي أجرى تجاربه على نباتات جبل لبنان.

وكافأ السكامل أبا حليقة بمبلغ سنوية عندما شخص نبضه، ونجح في معالجة أسنانه بالترياق الفاروق، وأخرج حصاة من مؤذنه الخاص أمين الدين جعفر، كانت قد سدت مسالكه البولية، فضلاً عن أنه ألف كتباً كثيرة منها (الختار في آلاف عقار) ومن مركباته الترياق المختصر الذي عالج به المغلوجين، وقوم الأيدي المنقوسة، وأذاب البلغم، وسكن آلام القولون. ومن تلاميذه أبو سعيد الذي

(١) أبو الفدا: المختصر ج ٣ ص ١٧٣.

ورغم انكشاف بصره ، إشارك بما يستطاع
أن يقدمه من القشجيع والوعظ ، لاعتقاده
أن الإسلام دين كفاح وجهاد .

وأغدق الصالح على العلماء المراتبات والهبات
من ديوان الأحباس ، ومن هؤلاء جمال الدين
ابن الحاجب الذى اشتغل بعلم النحو والصرف ،
وأقام قرب المدرسة النحوية بالإسكندرية ،
وزكى الدين هبى العظيم المنذرى عالم الحديث ،
والطبيب أبو سعيد بن أبي سليمان الفنى ألف
له كتاب (هيون الطب) ، والعشاب ابن البيطار
الذى ألف له كتاب (الجامع فى الأدوية) المفردة .

ولما جاء السلطان تورانشاه سنة ٦٤٧ هـ
(١٢٤٩ م) ليطرد الصليبيين ، رحب به
جماعة من العلماء كان من بينهم سراج الدين
الارموى الفنى كان قد عاد من بعثته بصقلية
بعد ما ألف للإمبراطور (فردريك الثانى) كتابا
فى علم المنطق . ولم ينس تورانشاه رغم انشغاله
بمحاربة الصليبيين أن يطلب من المؤرخ ابن
واصل موضوعا للمناقشة ، فاختار قول أحد
الفقهاء : « الحمد لله الذى إن وعد وفا ، وإن
أوعد تجاوز وهفا » .

هكذا اجاهد العلماء بعلمهم وأموالهم وأنفسهم
لطرده الصليبيين من الوطن العربى ، وتعاونوا
على جعل علومهم فى خدمة مجتمعهم ، على
اعتبار أن العلم قدرة وقيمة بل قوة وثروة .

علاء الدين محمد بن إسماعيل

وأمثاله من المجتهدين فى وقت فترت فيه همم
العلماء عن الاجتهاد .

وعين السلطان الصالح أيوب الشيخ ابن
عبد السلام قاضيا بمصر ، رغم تجرته على
الملوك ، فإنه سبق أن تحدى الملك الصالح
إسماعيل لما باع للصليبيين أسلحة دمشق ،
كما رفض إياها وشتم الاشتغال بالسكر هندا
الملك الناصر داود مخاطبا إياه : « بلدك صغير
على على ، والواقع أن ابن عبد السلام حاز
إعجاب محبيه وأعدائه ، فعمته محبوه بسلطان
العلماء ، وتحديث الصليبيون هنه قائلين :
« لو كان هذا قيسنا لغسلنا رجله وشربنا
مرقةها » . وأنكر ابن عبد السلام هلى
الصالح لإباحة بيع الخور ، والإسراف
فى الاحتفال بالأعياد ، من إقامة الزينات
الفاخرة ، واصطفاف الأجناد ، وتقيلهم
الأرض بين يديه . وظل يقوم الحسكام ،
ويمثل سلطة الأمة بإزاء سلطة الحكومة ،
ويتقرب إلى الله بكلمة حق فى مجلس ظالم
إلى أن أمر الصالح كاتبه بهاء الدين زهير بالرد
هلى رسالة لويس التاسع ملك فرنسا ، فجاءت
الحملة الصليبية السابعة ، وعندئذ رابط
ابن عبد السلام مع المسلمين فى المنصورة
يعظمهم ويحضهم على مقاتلة الصليبيين ، ووقف
إلى جانبه أبو الحسن الشاذلى ، إذ غادر
الإسكندرية مستخلفا بها أبا العباس المرسى
فى رئاسة الاتباع ، إلى معسكر المنصورة ،

فُزْأثر العزلا الذلى على كُتاب

المحرمة الرومانكية فى انجملترا
للكرمر محمد سمر عبد الحسنى

عام ١٧٠٤ والمظاهر المختلفة لتأثير هذا الكتاب فى الأدب الأوربى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يمكن تلخيصها على النحو الآتى :

أولا : التقليد المباشر كما حدث فى قصة (الواقى) لأوفها (وليم بكفورد) والمسماء : Vathek.

ثانيا : تقليد الشكل والأهداف فى قصص غير شرقية بل أوربية الأصل Pseudo-Oriental.

مثل قصتى :

Almor An and Hamet.
py : J. Hawkesworth.
Nourjahad by Mrs. Sheridan

ثالثا : كانت حافزا على كتابة مجموعات مماثلة من القصص المتعددة الأنواع التى ربطها إطار خارجى واحد مثل :

Persian Tales Turkis Tales.

رابعا : استغلال القصص بشكل لاصلة له بطبيعتها وأهدافها الأصلية مما نتج عنه النوع المعروف بالقصص الشرقية التعليمية وقصص السخرية :

Satiric and didactic Oriental Tales.

٢ — أثر كتاب (ألف) ليلة على بعض الأعمال الفنية من حيث الأسلوب والخيال : يقول سير ريتشاود.ف. بيرتون Sir Richard Francis Burton وهو من أعظم المستشرقين فى القرن التاسع عشر فى التعقيب على ترجمته الخاصة للنص الكامل لكتاب ألف ليلة وليلة فى ثلاثة عشر مجلدا (١) ، إن كثيرا من الحكايات التى يحتوئها هذا الكتاب كانت معروفة فى أوروبا منذ القرن الثالث عشر إذ كان برويهاجاك د. فترى Jaques de Vitry أسقف عكا الذى مات فى روما عام ١٢٤٠م ، وبعد ذلك ظهر كثير منها فى صورة مذبذبة منقحة فى مجموعة القصص المسماة Gesta Romanorum فى القرن الرابع عشر. ومع ذلك فإن الأثر الأدبى الذى تركته تلك المجموعة المتكاملة من القصص الخيالية الرومانسية على أسلوب الكتاب الأوربيين وخيالهم لم يلاحظ فعلا إلا بعد أن ظهرت ترجمة مسيو جالاند Galland الفرنسية

(١) أنظر :

The Thousand Nights and a Night :
Terminal Essay, IX, 146.

المأخوذتين من مجموعة ألف ليلة وليلة .
 تاسعا : استخدمت مادة هذه القصص في
 كتابة بعض المسرحيات الصامتة *Pantomimes*
 والمسرحيات الاستعراضية الموسيقية
Musical Plays, Reviews .
 عاشرا : اعتبرت مرجعا هاما عن حياة
 الشرقيين الاجتماعية والدينية ولذا كثر
 الاستشهاد بها والإشارة إليها في كثير من
 مؤلفات الكتاب الإنجليز شعرا ونثرا
 في الموضوعات التي لها علاقة بالشرق .
 وبالإضافة إلى كل هذا لا يفوتنا أن نذكر
 حقيقة هامة وهي أن جمهور القراء في القرن
 الثامن عشر كان يطالع هذه القصص بشغف
 قبل أن تظهر بشائر الرواية أى القصة
 الإنجليزية الطويلة *The Novel* فقصص
Robinson Crusoe لمؤلفها *Daniel Defoe*
 لم تظهر إلا في سنة ١٧١٩ أى بعد ظهور
 الترجمة الإنجليزية للكتاب ألف ليلة بنحو
 إحدى عشرة سنة وقصة *Joseph Andrews*
 لمؤلفها *Fielding* لم تظهر سوى عام ١٧٤٢ .
 أما كولردج *Coleridge* وهو من أعظم
 رواد الحركة الرومانسية في إنجلترا فقد
 أيقن منذ البداية ما لهذه القصص الشرقية
 من أهمية كبرى كمصدر من مصادر الانبعاث
 إلى عالم الأرواح في الشعر الإنجليزي حتى
 أنه عندما تهيأ لإلقاء سلسلة من المحاضرات
 العامة عام ١٨١٨ موضوعها :

*Romantic Use of the Supernatural
 in Poetry.*

مثل عشرات القصص القصيرة التي كتبها
 رجال المدرسة الكلاسيكية الجديدة في أوائل
 القرن الثامن عشر أمثال أديسون ، ستيل ،
 دكتور جونسون :

Addison, Steele and Dr. Johnson.

عامسا : صياغة بعض قصص الكتاب
 في قالب أوربي يلائم البيئة المحلية .

سادسا : الاستفادة خياليا من بعض
 المواقف والحوادث المذكورة في هذه القصص
 ونقلها بتصرف إلى القصص الأوروبية .

سابعا : أوحى بكتابة مؤلفات في الشعر
 والفن مستغلة مادة تلك القصص وموضوعاتها
 فيما ظهر تحت اسم :

Anglo-Oriental Fiction.

أمثال :

*The Talisman, The Surgeon's
 Daughter.* by Sir Walter Scott.

وفي الشعر أمثال الروايات الشعرية :

Thalaba, The curse of Kehama
 (1825, 27)

لمؤلفها : *R. Southey*

وكذلك *Lalla Rookh* (1817)

لمؤلفها : *T. Moore*

وتشمل :

*The Veiled Prophet of Khorasan;
 The Fire Workshippers; Paradise
 The Light of the Haram.*

ثامنا : اقتبس بعضها وكتب على شكل
 قصص الأطفال مثل قصتي :

*Aladdin or the Wonderful Lamp;
 Kamaralzaman.*

تصدق أن مؤلفها كاتب إنجليزي لم ير الشرق في حياته واسكن خياله وعقله تأثر بما كتب عن تقاليد الشرق وروحه وخرافاته ، ونلس هذا الأثر جليا في حياته الشخصية وفي مؤلفاته وكلمه تقاليد لاسلوب وموضوعات القصص في كتاب ، ألف ليلة وليلة .

إن طبيعة بكفورد ومزاجه الشاذ جعلاه لا يستطيع مقاومة الشذوذ والمغالة في أى شئ يصادفه ، ومن هنا كان لكتاب ألف ليلة وليلة ، تأثير خاص في نفس هذا الكاتب منذ طفولته الأولى كما يشهد Lewis Melville في كتابه :

The Life and Letters of William Beckford (1910)

إن هذا الكتاب أثر على حياة وشخصية بكفورد أكثر من أى كتاب آخر ، ولقد ظهر هذا الأثر في قصته المشهورة Vathek وقصص أخرى لم تنشر إلا في عام ١٩١٢ بعنوان The Episodes of Vathek (١) وبعد طفولته لم يمح أثر هذه القصص من مخيلة بكفورد بل بقيت ثابتة طوال

(١) مجموعة هذه القصص :

The Episodes of Vathek :

تتكون من :

1. The Story of Prince Alasi and the Princess Firouzkh.
2. The story of Barkierokh.
3. The Story of the Princess Zulkais and the Prince Kalilah.

خصص المحاضرة الحادية عشرة من هذه السلسلة ليعين أثر هذا الكتاب على خيال الشعراء والكتاب في عصره . أما في شعره هو : فن السهل ملاحظة أثر هذه القصص في اثنين من أشهر مؤلفاته الشعرية ألا وهما :

The Ancient Mariner (1796) :

Kublakhan (1816)

ولم يكن Coleridge وحده الذى تأثر منذ الطفولة بالخيال القصصى في ألف ليلة وليلة التى كان يقرأها مرارا وتكرارا ، فكل من Sir Walter Scott, W. Wordsworth فعلا نفس الشئ ، وقصيدة فيسون وعنوانها :

"Recollections of the Arabian Nights"

ثبت لنا أيضا ما كان لكتاب ألف ليلة وليلة ، من أثر عميق على أولئك الشعراء الرومانتيكيين .

ومن أشهر القصص وأهمها في الأدب الإنجليزي قصة Vathek التى تخيل فيها المؤلف أن بطلها أحد خلفاء الدولة العباسية History of the Caliph Vathek (1786) ألفها الكاتب الإنجليزي شاذ الشخصية والسلوك ولیم بكفورد William Beckford

وهذه القصة تعتبر بحق من العوامل القوية في التحول والاتجاه نحو الأدب الرومانتيكى

في عالم القصة الطويلة أى الرواية The Novel وفى هذه القصة يظهر أثر كتاب ألف ليلة وليلة ، بوضوح متناه ، فهى تقليد ناجح لقصص ألف ليلة وليلة لدرجة أنه يصعب

٣ — مناقشة قصة الوائق :

والآن فلنحاول مناقشة قصة الوائق التي ظهرت لأول مرة عام ١٧٨٦ . لقد اختلف النقاد منذ البداية في تقدير القيمة الأدبية لهذه القصة الغربية التي شرد فيها خيال المؤلف إلى حد أنها أوشكت أن توصف بأنها خرافية أى Fairy Tale خصوصاً وأنها جمعت الكثير من أساطير الشرق وسارت على نمط الكثير من قصص د ألف ليلة وليلة ، من حيث الشكل والموضوع حتى لينخيل إلى القارى أنها فعلاً إحدى قصص هذا الكتاب ولقد شعرت أنا شخصياً بهذا الشعور في كل مرة عادت فيها قراءة هذه القصة التي تعد أعجب قصة إنجليزية كتبها شاب إنجليزي عاش في سحر الشرق وليالي اللهو والملاذات سنيين عديدة ، وقام بكتابة هذه القصة نتيجة لأفكاره وتجارب الشخصية ، وما يتوقع لنفسه من عقاب الضمير ونهاية سيئة محزنة جزاء ما قدمت يداه من استهتار ، وتحسد اشرايع الأديان السماوية . ولهذا يعتبر كثير من الكتاب أنها تنفيس حتى للكاتب (إسقاط Self-projection) الذي هوى وحضل سواء الصبيل . ونستدل على حقيقة هذه الملاحظات لا من قصة الوائق Vathek وحدها ؛ بل من القصص الشرقية الأخرى التي كتبها هذا الكاتب الشاذ كملحق لقصة الوائق أسماها :
ملاحق الوائق Episodes of Vathek

حياته بعد ذلك حتى أصبح يحلم وهو كبير السن بما قرأه عن الجن والسحر والتعاقد مع الشيطان ، لأنه كان يأمل أن يكون له ما كان للخلفاء العباسيين من ثروة وجاه وسلطان . وقد عاش حتى آخر حياته في عالم يحاكي العالم الشرقي وكان أحب الأسماء إليه التي كان يفتنونه بها هي :

'The Caliph', 'The Arab', 'Vathek' وكان أعز أصدقائه اثنين من المستشرقين أحدهما إنجليزي والآخر فناني روسي A. Cozens والأخير منهما لعب دوراً هاماً في حياة بكفورد البوهيمية موهما إياه أنها المثل الحق للحياة الشرقية الصاخبة ، وبمساعدة المستشرق الإنجليزي S. Henley تمكن بيكفورد من ترجمة سبع قصص من حكايات د ألف ليلة ، وكتب حوالي ثلاث عشرة قصة على غرار تلك القصة الشرقية التي يجول فيها الخيال ويصول بدون أى قيود أو اعتبار للزمان والمكان .

وقبل الكلام عن قصة Vathek أحب أن أشير إلى قصة رومانتيكية أخرى لم تنشر إلا في عام ١٩٣٠ مع أنها كتبت منذ عام ١٧٧٠ وهذه القصة إسمها (الرؤيا The Vision) وأهميتها عندنا أنها كانت بمثابة تمرين أدبي لقلم الكاتب قبل البدء في المغامرة الأدبية الكبرى وهي قصة الوائق التي كانت موضع الاهتمام والتقدير عند كثير من النقاد والأدباء الحداثيين .

أن كثيراً من المؤلفين في القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يعرفوا معنى الهدنة والأمانة العلمية . وقد صور بكفورد السحر والشعوذة والبذخ والجون والمذات الجنسية بجميع أنواعها تصويراً حياً في هذا الكتاب . ولكن أغرب شيء أنه هل الرغم من أن كتب التاريخ في زمنه قات : إن الخليفة الوراق كان من المعتزلة ، فإن بكفورد تراه له طلباً وعدواناً وعلى حساب التاريخ أن يغير الحقائق ويجعل الوراق من عبدة النار . وهذا خطأ فاحش . والتفسير الوحيد لتشويه حقيقة مذهب الوراق هو أن بكفورد ربط كل حياة ببطل القصة من أول الأمر بإبليس عدو الله وهو في عقيدة المسيحيين ملك النار Prince of Fire والنار أو الجحيم هي نهاية مطاف الأمير الشرقي الذي تبع خطوات الشيطان فملك وخلد في النار . وهذا طبعاً أمر ليس له أى أساس تاريخي وإنما جاء من فصح خيال هذا المؤلف المنحرف وعلى ذلك فشيخة الوراق في هذا الكتاب ما هي إلا شخصية خيالية Fictitious ليس لها سند تاريخي صحيح .

• • •

٤ — فكرة القصة وموضوعها ومصادرها : لقد أجمع النقاد على أن الفضول والرغبة الجماعية في التمتع بتجارب جديدة والانانية لدرجة تعذيب النفس هي الأمور التي تدور

والرؤيا The Vision وغيرها ، وبالإضافة إلى هذه القصص يمكن التحقيق من هذا الحكم إذا ما قرأنا مجموعة خطابات الغرامية إلى صديقه وزوجة ابن عمه وتدهى (لوزا Louisa) في هذه الخطابات نحمد أبشع ما يتصور العقل من أمثلة فاضحة للرديلة والفساد بكل معانيهما . ولا غرو فلقد كان بكفورد أحسن مثل لتلامذة الشيطان .

ومن الطريف أن هناك الكثير من الشبه بين المكايب نفسه وبطل القصة سواء من حيث المظهر والشخصية أو الظروف المحيطة التي لعبت دوراً هاماً في حياة المؤلف والبطل ونمايتهما . فبجانب القوة الجسمية والعقلية الفائقة نحمد أن كلا منهما كان ينعم بجميع مظاهر الفخفة والثراء والسلطان الذي لاحد له وكلاهما كان شديد الطموح والطمع في الزيادة من زخرف الحياة وملذاتها .

ومن ناحية أخرى فإن بكفورد اعتمد في تصويره لشخصية هذا البطل على ما وقع تحت يديه من كتب أوروبية فيها تاريخ حياة الخلفاء العباسيين ولا داعي للحديث هنا عن حقيقة أخرى يعرفها كل من اطلع على مثل تلك الكتب التأريخية فقد كتبها مؤرخون أوروبيون اعتمدوا على مصادر غير موثوقة بها فكان طبيعياً أن يشوهوا بعض الحقائق . وعلى الرغم من أن بكفورد قد هنى بصفة عامة بالنصوص التاريخية ، فينبغي أن نذكر

بالحصول على قوى خارقة ، وعلى كنوز الملك سليمان ، ومن قبله . وفي الطريق يقع في حب الفتاة الجذابة نور النهار ابنة الأمير نحر الدين الذي استضافه ، وكانت هذه الفتاة على صغر سنها من شاكله هذا الفاسق الذي لم يرح حرمة الضيافة فاتخذ منها فريسة شهوانه وفر معها ليواصل الرحلة وبعد عدة مصاعب ومواقف حرجية وصل هذان العاشقان الطمرحان إلى قصر الشيطان في جوف الأرض المعروف في القصة باسم قصر النار السفلية :

The Palace of Subterranean Fire.
ولقد ماكانت خيبة أملهما إذ وجدا أن محتويات هذا القصر الخفيف التي من أجلها ضحيا بكل عزيز وغال لا تساوي شيئا إطلاقا، فالفائدة من كنوز الذهب والجواهر والماس في سجن أحكمت أبوابه إلى الأبد ؟ وبعد فترة يتحول القصر بمن فيه إلى جحيم يستمر بلظى نيران المفرورين الضالين أمثالها. وعندما تأتي الساعة المحددة ينالان عقابهما جزاء هدم كبح جماح عواطفهما الجامحة وجرائمهما البشعة — وتتأجج قلوبهما نار وتستمر كذلك حتى يوم القيامة وبهذه النهاية المؤثرة يختم الكاتب قصته حين يقول :

"Such was, and such should be, the punishment of unrestrained passions and atrocious actions; Such is, and such should be the chastisement of blind ambition, that would transgress those bounds

عليها قصة الواثق . وهذه الأفكار الرومانسية التي انتشرت كثيراً في الأدب الأوروبي بلغت أوجها في مسرحية « فاوست » التي كتبها الشاعر الألماني الكبير « جيته » في أوائل القرن التاسع عشر . ووجه القبه بين هذه المسرحية وقصة الواثق متوفر إلى حد بعيد غير أنه بدلا من جو المصور الوسطى للتقليدي اختار بكنفورد قصته الخيالية أميراً شرقياً تقع تحت قدميه كل سلطات هذا العالم وملذاته . ولكن الواثق لم يقنع بالعظمة الدنيوية ومعرفة العقل البشري المحدود في فضوله الذي لاحد له ؛ بل اندفع إلى البحث عن تجارب جديدة وعن معرفة أوسع بالكون والأجرام السماوية لكي يروى ظمأه العظيم لتذوق المعرفة ورفيقته الشديدة في التمتع بالمذات . وتحت تأثير أمه (قراثيس Carathis) وكانت مولعة بالسحر ، هيمنت على الخليفة فكرة أن تكون له قوة خارقة تفوق قوى البشر مهما كلفه ذلك الأمر . وكانت النتيجة أنه تعاقد مع قوى الشر ، وباع نفسه للشيطان وأصبح عبداً لإبليس عدو الله والبشر .

وقدم خمسين طفلاً جميلاً لرسول الشيطان الذي تقمص شكل قزم هندي بشع المنظر وسار الخليفة في موكب فاخر من عاصمة ملكه سامرا (سر من رأى) إلى خرائب اسطخر المسكونة بالأرواح الشريرة ، حيث وعد

من الخصائص المميزة للقصة الرومانتيكية ولذلك اعتبرت نقطة التحول في تاريخ القصة الرومانتيكية في إنكلترا .

ويكفي الإشارة هنا إلى مقاله (بول إدوارد مور) Paul Edward Moore في كتابه القيم (تيار الرومانتيكية) The Drift of Romanticism عندما كان يتحدث عن علاقة بكفورد وقصة الخليفة الوائق بالحركة الرومانتيكية .

" If we look below the surface of things and penetrate through many illusions, we shall perceive in Beckford's vision of the restless throng, moving over with hand pressed upon flaming hearts, the essential type and image of the romantic life and literature".

أما مصدر المادة التي استخدمها المؤلف فهي مصادر فرنسية تحتوي ترجمة لأشياء مختلفة متصلة بحياة الشرق من حيث الأدب والتاريخ والاجتماع وغير ذلك ، وأشهر هذه المصادر ترجمة لكتاب د'ألف ليلة وليلة ، وموسوعة عن الشرق تدعى Bibliotheque Orientale لمؤلفها D'Herbelot .

واستفاد أيضاً من قصة مغامرات خيالية شهيرة في وقته كانت تدعى :

The Adventures of Abdalla Son of Hanif.

وكذلك اعتمد المؤلف على كثير من كتب المستشرقين الأوروبيون وعلى كتب الرحالة الفرنسيين والإنجليز ؟

دكتور محمد سمير عبد المجيد

which the creator hath prescribed to human knowledge; and, by aiming at discoveries reserved for pure Intelligence, acquire that inflated pride which perceives not the condition appointed to man is to be ignorant and humble".

وكان مصير الوائق ، وما نزل به من عقوبة أليمة ، هو أهم فكرة في الكتاب والمشهد الأخير الذي تبدو فيه العاطفة المتأججة ، وروعة الإحساس العميق . ولم يكن الكتاب نقيجة لخيال سقيم ، ولكنه مأخوذ من واقع حياة كاتبه بكفورد الذي كان شعوره بالإثم وخوفه من العقاب يسيطران على نفسه طوال المدة التي كتب فيها هذا الكتاب العجيب الذي يعتبر بحق صورة لحياة كاتبه أو كما يقول علماء النفس : Psychological allegory

وهكذا أصبحت هذه القصة تعبيراً صادقا عن حياة بكفورد الخاصة وعن علاقته بمن شاركوه في ارتكاب الجرائم الخلقية أو من دفعوه إليها بشكل مباشر أو غير مباشر .

ولقد كان سر نجاح هذه القصة تماسك أجزائها وتسلسل الحوادث تسلسلا طبيعيا منطقيا

لأن الكاتب لم يرفع نظره طوال سردها عن القدر المحتوم لبطل القصة وبطلتها : الخليفة

الواائق وعشيقة نور النهار ، وهما يمثلان في الواقع بكفورد وخليلته (لوزا) المأجنة .

هذه هي القصة الوحيدة التي خلدت اسم

بكفورد Beckford حتى يومنا هذا ، وأهم خصائصها - كما قلت آنفا - احتواؤها على كثير

القرآن الكريم مُنْجَمًا ومَجْمُوعًا

للأستاذ أحمد حنفي نصّار

قال : (يأتي الملك أحيانا في مثل صلصلة الجرس ، فيفصم عنى وقد وهيت ما قال ، وهو أشده على ، ويتمثل لى الملك أحيانا رجلا فيكلمنى ، فأعنى ما يقول) وفى كل الحالات ، كان جبريل عليه الصلاة والسلام يؤدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القرآن بلفظه ومن ذلك كان التعبد بلفظه ، والإعجازه ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه .

وأول ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم . جبريل عليه الصلاة والسلام ، كان بغار حراء حيث بدأ الوحي ، وقد رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ، على صورته الملكية مرتين : الأولى ، وهو متهبّط من السماء ، سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، فذهب إلى خديجة رضى الله عنها فقال : (دثرونى . دثرونى) فأنزل الله تعالى : يا أيها المدثر . قم فأندبر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . . والثانية ليلة الإسراء والمعراج ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلما جاءه الوحي ، يمل على كتاب الوحي ما نزل عليه من القرآن ، ويعلمهم أن هذه الآية

القرآن الكريم ، كتاب الله المحفوظ ، هو الأصل الأول لهذا الدين الإسلامى الخفيف . أنزله الله جملة واحدة ، من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، فى الليلة المباركة ، من شهر رمضان ، ليلة القدر : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، . إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ، . إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر . .

ثم نزل به الروح الأمين ، جبريل عليه الصلاة والسلام ، بعد ذلك مفصلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين كفروا ، لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا ، . وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ، وكانت مدة التنزيل ثلاثا و عشرين سنة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه ، وهو ابن أربعين سنة ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح .

وكان الوحي يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، على صفتين ، هن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف يأتي الوحي ؟

فلما نزلت سورة براءة ، بنقض العهد ، الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم ، والمشركين نزلت بغير بسملة ، وبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم ، مع علي بن أبي طالب ، ورضي الله عنه ، فقرأها عليهم في الموسم ، ولم يبسم في ذلك ، على ما جرت به عادتهم في نقض العهد ، من ترك البسملة ، والله أعلم . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال : (البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالأمان) .

ثم إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : (أقرأني جبريل عليه السلام على حرف ، فراجعته ، فلم أزل استريده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف) . (قال الزهري : بلغني أن تلك الأحرف السبعة ، إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا ، لا يختلف في حلال ولا حرام . وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو حنيفة القاسم بن سلام ، حيث قال : حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي ابن كعب ، قال : ما حك في صدري شيء منذ أسلمت ، إلا أني قرأت آية ، وقرأها آخر غير قراءتي ، فقلعت : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلعت : يا رسول الله أقرأني آية كذا وكذا ، قال : نعم ، وقال الآخر : أليس تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : نعم ،

تكتب هقب آية كذا في سورة كذا ، وذلك بتوقيف جبريل عليه السلام لإياه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يراجعهم ليضمن صحة ما يكتبون عنه ، فعن زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، أنه قال : كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يمل علي ، فإذا فرغت قال : (اقرأ) فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه .

وقد صرح أن جبريل عليه الصلاة والسلام ، كان يعارض الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن مرة في شهر رمضان من كل سنة ، فلما كان العام الذي توفي فيه ، عارضه بالقرآن مرتين . فوضع الآيات في مواضعها ، وأسماء السور ، وترتيبها ، ووضع البسملة في أوائلها ، إنما كان بالوحي . وقد حصل اليقين بهذا الترتيب ، انتهى بين دفتي المصحف الذي بين أيدينا ، من النقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أجمع الصحابة - رضي الله عنهم ، على ذلك . وأما البسملة ، فلم تكتب في أول براءة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يأمر بكتابتها ، أي أن جبريل عليه السلام ، ما نزل بها ، قال الإمام القرطبي ، رضي الله عنه ، في كتابه - التذكار في أفضل الأذكار : (والمعنى في ذلك ، والله أعلم ، ما ذكره بعض العلماء . أنه كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية ، إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، فأرادوا نقضه ، كتبوا إليهم كتابا ، ولم يكتبوا في أوله البسملة ،

ثم قال د: إن جبريل وميكائيل أتياي، ففقد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، وكل حرف كاف شاف، .

والأحرف السبعة: سبع لغات متفرقة، في جميع القرآن، من لغات العرب؛ فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة؛ والثاني بلغة أخرى سوى الأولى؛ وهكذا إلى السبعة؛ وليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات. قال الإمام القرطبي: وقد أجمع المسلمون؛ في هذه الأمصار، على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة (القراء السبعة) فيأرووه ورأوه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات؛ واستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله من حفظ الكتاب، وقال مكي بن أبي طالب على ما ذكر في فتح الباري على صحيح البخاري: وهذه القراءات السبع (نافع وعاصم... الخ) جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، .

ومعنى هذا أن الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع، قال الإمام المحقق ابن الجزري: ولازلت استشكل هذا الحديث (أى حديث: أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف الخ) وأفكر فيه، وأمن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة، حتى فتح الله على بما يمكن أن يكون صوابا، إن شاء الله تعالى، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها، فإذا هي يرجع

اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف، لا يخرج عنها وذلك. إما باختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، نحو (قرح) بضم القاف وفتحها (آل عمران) أو في الحركات بتغير في المعنى فقط نحو: وادكر بعد أمة، (٥ يوسف) بضم الهمزة وتشديد الميم أى بعد مدة طويلة أو بفتح الهمزة وتخفيف الميم مفتوحة وما. بمعنى النفساني. أو في الحروف بتغيير في المعنى لا الصورة نحو تبلو وتلو في آية د هناك تبلو كل نفس ما أسلفت، (٣٠ يونس) وعكس ذلك أى بتغيير في الصورة لا المعنى نحو: و زادكم في الخلق بسطه، (٦٩ الأعراف) بالسين والصاد. وإما بتغيرهما أى الصورة والمعنى نحو: فاسعوا إلى ذكراؤه، (٩ الجمعة) قرئ فامضوا- ومثل ذلك كالعن المنفوش، قرئ كالصوف و: وفكره موسى، : قرئ فلكره. وأما بالاختلاف بالتقديم والتأخير نحو: وجاءت سكرة الموت بالحق، (١٩ ق) قرئ (وجاءت سكرة الحق بالموت) ومثل ذلك: فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، (١٢ النحل) قرئ: لباس الخوف والجوع. وأما الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو: ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب، (١٣ البقرة) قرئ: وأوصى بها (زيادة الهمزة) وقوله تعالى وما علمته أيديهم، (٣٥ يونس) قرئ: وما حملت أيديهم فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها، ولا ينقضي به رأى سبقي به ابن الجزري قريب من هذا. ومعلوم أن هذا الحصر ليس تسليما بهوا

مسيلة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة ، بأرض اليمامة ، وكان أصحاب مسيلة قريباً من مائة ألف وجيش المسلمين نحو ثلاثة عشر ألفاً فصدق المسلمون الحمله ، مستهينين بالموت ، حتى ولى جيش الكافر قارا ، واستشهد فيمن استشهد وامن المجاهدن ، كثير من الحفاظ من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

ثم كانت تلك الصحف عند الصديق رضى الله عنه ، أيام حياته ، ثم أخذها عمر رضى الله عنه بعده ، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة ، فلما قتل كانت عند حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها و بقيت عندها حتى أخذها عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

ولما قدم حذيفة بن اليمان ، على عثمان ابن عفان ، رضى الله عنهما ، من العراق ، وقد أفرجه اختلاف أهلها في قراءة القرآن ، قال لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلنوا في الكتاب ، اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة ، رضى الله عنها ، أن أرسل إلى ليلى بالصحف ، فنسخها ثم نزلها إليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت الأنصارى الخزرجى ، وجعل معه من القرشيين عبد الله بن الزبير وصعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهم جميعاً من أنجلاء الصحابة وفيهم زيد كاتب الوحي وهو وعبد الله بن الزبير من الحفاظ ، فنسخوها في مصاحف ، وأرسل عثمان

القراءة به ، بل منه ما هو منسوخ لعدم موافقته لرسم مصحف عثمان الذى أجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنه وترك ما خالفه .

ثم قال ابن الجوزى بعد ما تقدم : وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والروم والإشمام ، والتفخيم والترقيق والتثقل ، مما يعبر عنه فى اصطلاح علماء هذا الفن بالأصول ، فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فيه اللفظ والمعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ، ولئن فرض ، فيكون من الوجه الأول ، وهو الذى لا تتغير فيه الصورة والمعنى .

وسبب اختلاف القراءات نشأ عن الكتابة الأولى ، لأنها كانت لا نقط فيها ولا شكل وهذا - كما قال ابن قتية - من رحمة الله ولطفه بعباده ، أن يجعل لهم متسعاً فى اللغات ، ومتصرفاً فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين . وقد أجمع الأئمة على أن القراءة لا تكون مقبولة إلا إذا اتفق لها أن تكون موافقة لرسم المصحف العثمانى الإمام . وإن تكون موافقة لوجه من وجوه العربية ، وإن تكون متواترة ، وكل قراءة لا تتوفر فيها هذه الشروط فقد أجمع العلماء على رفضها .

هذا ، وقد قام أبو بكر رضى الله عنه ، فى خلافته بجمع صحف القرآن ، لأول مرة وذلك ، لما اشتد القتل بالقراء ، يوم قتال

والكلمات ، ولا تغيير اللفظ ولا المعنى .
وهكذا ، حفظ الله القرآن الكريم ،
في جميع مراحل ، حتى وصل إلينا سليما ،
على ما أنزله الله على رسوله ، ولا يزال كذلك
إلى ما شاء الله ، وصدق الله العظيم إذ يقول
لنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلقى الوحي
حريصا على سرعة الأخذ من جبريل عليه
الصلاة والسلام : « لا تحرك به لسانك لتعجل
به ، إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع
قرآنه . ثم إن علينا بيان ، وإذ يقول : « إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وكما أن الله جلت قدرته - وقد يحفظه ،
وقد صدق وعده ، فقد يسره كذلك للذكر .
« ولقد يسرنا القرآن للذكر ، بالإعانة عليه
وتسهيل حفظه ، بجزالة نظمه ، وعذوبة
ألفاظه وعباراته ، وترتيب آياته ، وسوره ،
وإيسر ذلك لكتاب غيره من الكتب
المقدسة السابقة عليه ، ومن باب أولى فليس
ذلك لغيرها من كتب الخلق على الإطلاق .

وبدخل في التيسير لذكره ، ما نرى من
انتشاره في العالم كله على تنوع طبعاته ،
وكثرة حفاظه واستمرار تلاوته ، آناء الليل
وأطراف النهار ، وما جسد من سماعه من
الإذاعات العامة ، والخاصة به ، وكذلك في تعدد
تفاسيره في جميع العصور مطولة وموجزة ،
ليبين معانيه ، وتقريبه إلى الأفهام منذ القرن
الأول إلى يومنا هذا ، ولا يزال أمره كذلك ،
ما تعاقبت الأجيال إلى ما شاء الله على تقديره

أحمد منفي نصار القوصي

ابن عفان رضي الله عنه إلى كل أفق بمصحف ،
بما نسخوا ، وحبس بالمدينة واحدا ،
وأمر بما سواه من القرآن ، في كل صحيفة
أو مصحف ، أن يحرق ، وذلك خشية أن
يكون في بعضها غلط أو أن تكون سببا
للكذب والاختلاف .

ورسم المصحف العثماني الإمام ، ليس
توقيفيا ، وقد أجمع الأئمة على اتباعه ،
ولاشك أن في هؤلاء الصحابة السكانيين
المذكورين رضي الله عنهم ، لم يكونوا على
درجة من الإتقان في الكتابة والتنسيق ،
لمسكاة العرب من البداوة ، وعدم تفشى
الكتابة فيهم ، ولذا خلت كتابتهم من النقط
والشكل وما إلى ذلك .

وقد سئل مالك ، رحمة الله عليه ، هل
يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من
المجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتابة الأولى .
وقال عمرو ولا تخاف له من علماء الأمة .

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه : تحرم
مخافة خط مصحف عثمان ، وإلى ذلك ذهب
شيخ الإسلام العزبن عبد السلام ، وأضاف :
وذلك أثلا يوقع في تغيير من الجهال .

وأما نقطه وشكله ، فقد حدث من أواخر
القرن الأول ، إذ بدأ به ، على القول الراجح
أبو الأسود الدؤلي ثم متابع بعد ذلك التحسين
في هيئة النقط ، وزيادة علامات الشكل ،
والفواصل والترقيم . وكل هذا لم يكن به
بأس ، لأنه من دواعي سرعة الفهم ، ومن
محسنات الكتابة ، لادخله في جوهر الحروف

فلسطين في شعر المهاجرين للأستاذ حسن جاد

(بلفور) المشنوم ، لم تسكف هذه البلبابل
النازحة عن ترديد صداها النائر الحزين ،
وقد هزها النذير ، وروعتها النكبة ، فراح
تطارح البلبابل المقيمة في الوطن العربي ، شجوا
بشجو ، وتفجعا بتفجع ، وأنينا بأنين .

لقد بدأت سحب المأساة تتجمع جوعد بلفور
للصهيونية في أن يمنحها من جيب غيره ،
وأن يملكها مالا يملك ، فصدق ما قاله الشاعر
القروى المهاجر رشيد سليم :
الحق منك ومن وعدك أكبر

فاحسب حساب الحق ، يا متجبر
تعد الوعود وتقتضى لإنجازها
مهج العباد ، خست ، يا مستعمر
لو كنت من أهل المسكارم لم تكن
من جيب غيرك محصنا يا (بلفور)
ولما وقعت الواقعة ، اهتز لها قلب الشاعر
لايلى أبو ماضى :

ديار السلام وأرض المنا
يشق على السكل أن يحزنا
خطب فلسطين خطب الملا
وما كان خطب الملا هينا

في ضمير كل عربي مخلص لوطنه ، وفي
لعرويته ، تعيش عنة فلسطين الحبيبة ؛ تحز
جنبه ، وتدعى قلبه ، وتحرق مشاعره ؛ وتثور
في صدره حقدا مستعرا ، وسعارا مشبوبا
للأثر المقدس .

وطالما استفاضت هذه المشاعر على السنة
الشعراء في كل بلد عربي ، فتجاوبت بها آفاق
العروبة ، ورجعت صداها المرن الحزين ،
فتسكنا الجراح ، وأثار الخواطر ، وحرك
الشجون .

وتجاوزت المأساة حدود الوطن العربي
إلى ما وراء البحار ، حيث عاش في أمريكا
نفر من أبناء الشام ، هاجروا إليها فرارا
بحريتهم وأفلامهم من أسر الحكم العثماني
الفاشم ، وسجن الاستعمار المظلم الظالم ، فلم
تبر عيونهم مفاتيح العالم الجديد ، ولم تشغلهم
حياتهم فيه عن قضايا وطنهم الحبيب ؛ بل
ظلوا مشدودين إليه برباط العروبة الوثيق ؛
يعيشون في أحدهائه ، وينددون بمظالمه ،
ويكون آلامه ، ويرددون آماله ، ويحنون
إليه .

ومنذ غام الأفق في سماء فلسطين جوعد

طال إشفافنا وأصبح حابا
من ترى جراً اليهود الذئابا
فترك الدين فالسياسة بطل
والذي في القرباب مل القربا
إن سفك الدماء جرم ، ولكن
إن ذبحت اليهود تلق الثوابا
ومن الإثم زجهم في قبور
إن أشلاءهم تشين القربا
ويشم ريح الحياة في الصفوف العربية ،
فيحمل العرب إثم الهنة ، ومسئولية فلسطين ،
ويثور على التخاذل والحيانة :
جنوا علينا فما ثارت حماسنا
غبيظا ولاخف تحت السوط تهليل
ذنب الطفاة كذنب الخافعين لهم
سيان في الجرم ظلام ومذلول
سيذكر العار أن العرب دهورهم
يوم الكريمة مجهول ومرذول
وليس يبرأ من ذنب الونى أحد
فمكنا عن ضياع القدس مسئول
أجل ، فالعرب كلهم مسئولون عن فلسطين
ولن يبرأوا من إثمها حتى تتحد كلتهم في
صف واحد لرد الوطن السليب . فالذين
يدعون إلى مهادنة إسرائيل ومفاوضتها ،
فيضعفون العواثم ، ويفرقون الكلمة ، مجرمون
في حق أوطانهم ، خائفون لبلادهم . يقول
إلياس قنصل :

مهرنا له ، فكأن السيوف
تحر بأكبادنا موهنا
فقل لليهود وأشياهم :
لقد خدعتكم بروق المني
ألا ليت (بلفور) أعطاكوا
بلاداً له لا بلاداً لنا
فليست فلسطين أرضاً مشاعا
لتعطى لمن شاء أن يسكنها
فلا تحسبوا لكم موطننا
فلم تلك يوماً لكم موطننا
فإننا سنجعل من أرضها
لنا وطننا ، ولكم مدقنا
ومع احتدام المعركة في هذه الأرض
المقدسة كان الشاعر (جورج صيدح) يطوف
بديوانه (النوافل) على الجوالى العربية في
الأرجنتين ، ويرصد ريعه لمكوبى المعركة ،
وهو يهتف :
وطنى ماذا على النازح لمن
ذكر القدس فصلى وبجهد
رب أرض دفسوها ظمئت
لدم يصلح فيها ما فسد
قسما بالمسجدين ارتفعما
حيثما أسرى النبي المعتمد
ودهم ، لا ثبقت أقدامهم
قبل أن يقضى قضاء لا يرد
وعلى أثر مذبحه (دير ياحين) يرسل
الحاعر (إلياس قنصل) هذه الشعلة النارية :

فسكة القدس لن تطول إذا ثرنا
 على الخوف واستعدنا السدادا
 فالذى يضعف العزائم بأسا
 مجرم كالذى يخون البلادا
 وأى هربى غلص لعروبه يرضى أن يذنس
 ثرى أرضه المقدسة، شعب ضائع هريق
 القدس، كما يقول (نصر سمعان) :
 يا فلسطين قدسك الضحايا
 وكسك الخلود أسى بروده
 يدهى الحق فى ترابك شعب
 تأنف الأرض من تراب جدوده
 ويهيب الشاعر الآخر (إلياس فرحات)
 بشباب العرب، ويهدد الصهيونيين فى ثقة
 وأمل وإصرار :
 أشباب يعرب قم فنحن هنا
 نلقى بملء صدورنا المحنا
 قل للغير على منازلنا
 كالسيل يتغذى من هنا وهنا
 حملت نفسك فوق طاقتها
 وركبت - ويحك - مركبا خشنا
 إن لم يكن زمن يوافقنا
 للتأثر منك سنخلق الزمنا
 فاجعل ضريحك جاهزا أبدا
 وأعد نفسك واحمل الكيفنا
 وما يزال يدهو (التمولين) من أبناء
 العروبة إلى التضحية فى سبيل إنقاذ الوطن
 السليب، بالمال والاتحاد والقوة :
 لو كان لى نفض السكوبت جعلته
 يمشى على جثث اليهود جنودا
 ماذا تفيد الصرب ثورة بعضهم
 مادام حائط مجدم مهدودا
 ما أفقر المتمولين إذا همو
 كسبوا بخسران البلاد نقودا
 وإذا كان (الشاعر القروى) يستسلم أحيانا
 للبكاء، ويسكتنى بالدمع المنزوف يستجديه
 من عيون اللاجئين :
 أبعد فلسطين يناع على فقى
 وهل بقيت فى مقلة دمعة بعد ؟
 ألا دمعة من لاجيء استمدها
 فأبكيه بالبحر الذى جزره مد ؟
 فإنه يشور أحيانا أخرى معتزا بهقه وانقا
 من النصر :
 يا مغربيا فى عنكبوت دهائه
 هلا غزلت بغير هذا المفضل ؟
 إن كنت يوما بالوعود مكرت فى
 أنا غير عهدك بالزمان الأول
 أغنائى الحق الذى أنا ربه
 عن وقفه المتسول المتوسل
 الأرض لى والدار لى، والقول لى
 والفعل لى والسيوف لى والنصر لى
 أما (زكى قنصل) فإنه يشور لمأساة اللاجئين
 فى قصيدته (خرافة السلام) حيث يقول :
 لحنى على القدس انطوت أعلامه
 وكبت بأشبال النضال خيول

مليون كان في العراء تشردوا
لم يختلج لوائهم مستول
ومن البلاء تصديقكم بعض الوهود
وما الوهود سوى هراء .
نصبوا على درب الرياح خيامهم
يذكي جراحهمو غمد مجهول
يا شائدين على الرذيلة دولة
للبطل يوم ضاحك ويزول
لا ترقصوا للنصر فهو بداية
إن الحتام ندامة وعويل
صبرا يا فلسطين، لقد دنت الساعة الفاصلة
واستعد جيش التحرير لخلاصك ، فالحرب
آتية ، وصليل السيف أفصح من مقال اللسان
وصوت المدفع أقوى منطقاً فرد الحق
السليب من منطق الكلام ، صبرا يا فلسطين
مع شاعر المهجر الجنوبي (حسني غراب) :
صبرا فلسطين صبرا وراقبي فرجا
لا بد من عجب يأتي به رجب
فلينفقوا في سبيل النصر ما كنزوا
من السبائك حتى ينفذ الذهب
الحرب آتية ، والسيف منتدب
لحل ما عجزت عن حله السكتب
صبري باد
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْأُسْطُورَةِ

لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْتُون

وهنا عرف أبو سفيان أنهما سعد بن معاذ وسعد بن عبادَةَ المقصودان بهذا الهمتاف .

نعم إنه أبو ثابت سعد بن عبادَةَ بن دليم ابن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ، سيد الأنصار وحمدة بنى ساعدة ، ومن كان يشار إليهم بالبنان من أهل المدينة ، وكان المرشح الأول للخلافة من بين الأنصار بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، لو كان مقدراً أن يكون أول خليفة منهم دون قريش ، وله عن النبي هشرون حديثاً ، وروى عنه بنوه قيس وسعيد وإسحاق ، وحفيده شرحبيل ابن سعيد ، كما روى عنه سعيد بن المسيب والحسن البصري . وكذلك من الصحابة ابن عباس وأبو أمامة بن سهل .

وأمه (عمرة) الثالثة من بنات مسعود ابن قيس الخزرجية ، بايعت النبي . وتوفيت بالمدينة في ربيع الأول من العام الهجري الخامس ، حيث كان النبي في غزاة (دومة الجندل) ، وأنها في المجاهدين معه ، فلما عاد النبي إلى المدينة أتى قبرها فصل عليها وترحم ، وكان عليها نذر قبل أن تموت ، فاستشار سعد بنى الله في أن يقضيه عنها بعد موتها . فأشار عليه . فتصدق بجائله (الخراف) وفاء وصلة منه لأمه ، وقضاء لحق الأمومة عن أختيه مندوس وليل .

حسبه أن يكون من الأنصار ليصدق عليه قول حسان وهو من الخزرج مثله :

سماهمو الله أنصاراً بنصرهمو
دين الهدى وهوان الحرب تستعر
وساوعوا في سبيل الله واعترفوا

للتناقبات وما خافوا وما ضجروا
فما بالك وهو رئيس الخزرج وزعيم
الأنصار غير متازع ، وأحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا النبي في (العقبة الثانية) ، وله الكرامة في الجاهلية والصحبة في الإسلام والجهاد في سبيل الله ، ومع ذلك تناثرت أخباره في صفحات النفسانيات ، ومن العجب أن تكون حياته الحافلة بمجالات الأعمال محصورة بين قوسين من أساطير الأولين .

زعموا أن قريشاً سمعت هاتفاً على جبل أبي قبيس يقول :

فإن يصبح (السعدان) يصبح محمد
بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وكان أبو سفيان بن حرب فيمن حسيرهم لغز هذين السعدين ، فلم يسترح له جنب إلا عندما عاد الهمتاف بالليل يقول :

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً

ويا سعد سعد الخزرجين الفطارف

أجيباً إلى داعي الهدى وتمنيا
على الله في الفردوس منية عارف

الكرم والجود ، أما سعد فكان يمشى ثمانين رجلا ، راضية بذلك نفسه ، وفي (سرية الخطب) اشتد الجوع بالمسلمين حتى كانوا يفتسمون التمرة الواحدة ، فيشتري ابنه قيس ابن سعد خمس جزائر ، هل كل جزو وسقان من التمر وينحر لهم كل يوم جزورا . وكان سعد يكتب بالعربية ، وقلما كان العرب يكتبون ، وكان يحسن العوم والرمي ، والعرب تسمى كل من يتقن ذلك (المكامل) وما من غزوة أو سرية إلا كان لسعد فيها موقف كريم في الجود بالمال أو السداد في الرأي أو الإخلاص في القداء .

وكان سعد على رأس تسعة من الحزج بايعوا النبي فيمن بايعه من الأنصار يوم (المقبة الأخوة) . حيث نفر الناس من (مى) . فأخذ القوم يستطلعون الأخبار فأدركوا المنذر بن عمر وسعد بن هبادة ، أما المنذر فقد أفلت ولم يدركوه ، وأما سعد فقد سقط في يده هذ مدخل مكة ، فأخذوه وأرثقوه ، وظلوا يضربونه حتى دخلوا به مكة وما زالوا به يجذبونه من شعره الكثيف وهو يحتمل الأذى في سبيل الحق - وكأفه نصب أحر ، كما يقول الدهبي - حتى وقف هل أمره نفر من قریش ، فيهم رجل جميل الطلعة ظاهر الوضأة هو سهيل بن عمرو ، ظن سعد فيه خيرا . فإذا بسهيل هذا يخيب رجاءه ؛ وينقلب عليه كالوحش الكاسر . فيفاجئ سعدا بلسكة تفقده صوابه وأخذ

تزوج سعد من فكيهة بنت عمه ، فولدت له أمامة وسدوس وقيس الذي هو أحد دهاة العرب ، وكانت قد أسلمت وبايعت النبي ، وتزوج أيضا غزية بنت سعد بن خليفة بن الأشرف ، وقد أسلمت هي الأخرى وبايعت . أما جده لأبيه دليم بن حارثة ، فكان له ولآبائه في الجاهلية أطم ينادى عليه : من أحب اللحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة وعلى هذا المنوال نسجت الأيام حياة سعد ، فكان الملك الشريف المطاع الذي سار هل نهج آبائه وأجداده ، وما يؤثر عن جده هذا أنه كان يهدى (مئة) عشر بدنا في كل عام ، وكذلك كان يفعل هبادة ثم سعد حتى أسلم ، ثم صار ابنه قيس يهديها إلى السكبة وتلك هي إحدى الخصال التي تألفت منها زعامة سعد ، وهي خصلة موروثة محمودة في جاهلية العرب وفي الإسلام ، حرص عليها صاحبنا أشد الحرص ، ليستكمل مجده ، ويستوفي زعامته ، فكان يدهو : اللهم هب لي حمدا ، وهب لي مجدا ، لا مجد إلا بفعل ، ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه .

اشتهر سعد في الجاهلية بأمر هو عناصر القوة والتميز في شخصية كل من تؤهله الظروف للزعامة ، فقد كان الكريم الجواد هو وأبوه وجده كما رأينا ثم ولده من بعده ، وكان إذا أسى النهار انصرف الرجل من المسلمين بواحد أو اثنين من (أهل الصفة) إلى بيته حيث

والعدة والمنعة ، ولكنه نزل هند أبي أيوب
الأنصاري ، وكانت جفنة سعد مع ذلك
لا تخطيء النبي ليلة واحدة ، بل كانت تدور
مع النبي حيث دار بكل دار من دور أزواجه ،
ولما خرج النبي في (غزوة الأبواء) استخلف
على المدينة سعدا لما له من المكانة عنده .
وفي (غزوة بدر) حيث كان المسلمون
قلة أمام كثرة قريش ، لم يجد النبي ما يحمل
الأنصار عليه ، فسرعان ما قدم سعد هذين
جملا ، فدعا له النبي بالحخير ؛ وكان (الغضب) -
وهو السيف الذي غزا به النبي في غزواته تلك -
قد وهبه إياه سعد . وإن كان سعد لم يشهد بدرا ؛
مع شدة حرصه عليها ؛ فقد نهش ، وهذا
هو سبب تخلفه ؛ ولم تفتحه غزاة بعدها أبدا .
ولما عقد النبي مجلس الشورى في أمر
أبي سفيان . قام سعد يقول : لو أمرتنا
يا رسول الله أن نخيضها البحر لأخضناها ؛
ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى (برك
الغمام) - باليمن - لفعلنا .

وكان سعد يحمل راية الأنصار ويتكلم
بلسانهم ؛ وبلغ من النبي مكانا ساميا ؛ ففي
(أحد) دفع لإيابه لواء الخزرج ؛ وثبت
معهم ، فيمن ثبت . ولما وضعت الحرب أوزارها
خرج النبي - وهو جريح - متوكئا بين السعدين
حتى رجع إلى بيته ، وأذن بلال لصلاة المغرب ،
فخرج يتوكئا عليهما كذلك فصلي ثم ناد . .
وظل سعد الكريم الجواد على الدوام

السفهاء يسحبونه ، ويمعنون في تعذيبه
والتشكيل به ، حتى دنا منه أحدهم . وقد وق له
قلبه . وقال له هاهنا : ويحك أما بينك وبين
أحد من قريش جوار أو عهد ؟

تذكر سعد - حينئذ - أنه كان يكرم
العاصي بن وائل كلما قدم المدينة ، ويحير تجار
جبير بن مطعم ، ويمنع عنهم أذى البغاة .
وكذلك الحارث بن حرب . . فقال الرجل :
ويحك فاهتف باسم أحدهم ، وذكره بمالك
من مكرمات ، ففعل وخرج فوجد بعضهم
هذه الكعبة فقال لهم : إن وجلا من الخزرج
يتعذب بالأبطح ، ويهتف بكم ويذكر ما كان
بينه وبينكم من صلة وجوار ، فسأل أحدهم :
من هو ؟ وقال آخر : لعله سعد بن عبادة
وقال ثالث : صدق واقه ، فقد كان يفعل
كذا وكذا . . وما أسرع ما خصوه من أيدي
القوم فانطلق ، والقوم في خجل من أنفسهم ،
حتى لقد قال ضرار بن الخطاب وهو حائق .
تداركت (سعدا) عنوة فأخذته

وكان شفاء لو تداركت (منذرا)
ولو نلته طلعت هناك جراحة

وكان حريا أن يهان ويهدرا
فرد عليه حسان بن ثابت قائلا :

فلمست إلى (سعد) ولا المراء (منذرا)

إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
ولما قدم النبي المدينة مهاجرا كان سعد
أحرص وجل على نزوله بينهم في العسد

إلى المدينة ليخرجن الأعراس منها الأذل ،
وتشاور النبي في أمره مع الصحابة . فدخل
سعد من الزاوية التي يؤمن بها ، ويحكى للنبي
مراسيا أنه قد بعث وقرم ابن سلول ينظمون
له الخرز ليمتوجوه ملكا عليهم ، ولم يبق
إلا خوزة واحدة كانت عند يوشع اليهودي
فلما أعز الله العرب بمحمد ، أذل ابن سلول
فما يرى إلا أن يحدا قد سلبه ملكه المزعوم
وارفع سعد على مستوى الانتقام ، وأشار
على النبي أن يرفق بابن سلول .

وفي حادث الإفك ، تحتمل الفتنة من الأوس
والخزرج فيما اندفعت إليه . ويحاول سعد
ابن معاذ أن يؤذى شعور الخزرج فيمن تولى
كبره فيهب سعد بن عباد ليدافع في حرارة
وليمان عن قومه ، ويوشك السعدان أن
يتقاتلا ، لولا أن رسول الله قد أخذها قبل
أن تسفثرى ، وعاد الصفو إلى القلوب كما كان
وهذأت العاصفة الهوجاء ، ومضت القافلة .
وتظهر مزاي سعد في المحسن أيضا عندما
يقصده صفوان بن المعطل لهجو حسان
ابن ثابت وسبه ، وهو شاعر النبي والمنافع
دونه بلسانه .

أمسى (الجلابيب) قد عزوا وقد كثروا
(وابن الفريضة) أمسى بيضة الجلد
ويقضى النبي يجلس صفوان ، ويقف سعد
خطيبا في قومه يتحدث في أمر صفوان وقد
أسلم - وينسكرك عليهم ما فعلوا ، فيقولون :
إن النبي بذلك أمر ، فيرد عليهم سعد : ولكن

في كل موقف ، يذل المال في سبيل الله ، فما
جاءت (غزوة حراء الأسد) حتى ساق
ثلاثين بعيرا بأحمالها ، والجزائر خلفها ،
وصارت الثيران توقد ليلا ، والمسلمون
ينحرون ويطعمون ، والعدو في فرح وولع ،
وكذلك كان سعد في (غزوة بني النضير) .
فقد أرسل التمر على الجمال لإطعام المجاهدين
من المهاجرين والأنصار . ولما غنموا من
اليهود ما غنموا ، قسم النبي عليهم الفتي . وخص
المهاجرين والمؤلفة قلوبهم فتغيرت قلوب
بعض الأنصار ، وأوشك الفضل أن يدب في
نفوسهم لولا أن وقفوا من النبي على الغرض
النبيل الذي يرى إليه صاحب الدعوة ،
فاطمأنوا عندئذ ورضوا ، ودعا للأنصار :
اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ،
وأبناء أبناء الأنصار .

كان لسعد في هذه المشكلة وقفة الرجل المتزن
المتدبر الذي يقول للنبي في جرأة وصراحة
مع الأدب الجيم : يا رسول الله ، ما أنا إلا
من قومي ، وفي الوقت نفسه ، ما كانت الريبة
لتخامر صدره قط في أي أمر يعرمة
رسول الله .

وركب النبي ذات يوم إلى سعد يزوره وهو
مريض ، فبصر به رأس المنافقين عبيد الله
بن أبي بن سلول ، فالتقى على مسامع النبي من
خش القول ما جعل سعدا يلمح في وجهه
الشريف أثر ذلك ، وأدرك أن ابن سلول
قد أمعن في التمحيص حتى قال : ولئن وجعنا

الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين ، من هنا برزت خصال الأمانة في سعد ابن عبادة السيد الجواد والبطل المغوار والمفسر الحر والمقدم في القوم ، لهذا بعث النبي معه ببعض السبايا والذراري من بني قريظة إلى الشام ليبيعهم ويشترى بهم خيلا وسلاحا ، وتلك مهمة وكلها النبي إلى من يرتفع إلى مستوى خطرهما بمزاياه ، كسعد الأمين على سمة الدين ، فإذا كانت الأمانة مؤهلا لسعد في هذا الأمر ، فهي أيضا مؤهلة لأن يكون من أهل الشورى الذين يعتد بهم في المهمات .

في (عمرة الحديبية) استشار النبي سعد بن عبادة وعمر بن الخطاب ، فأشارا عليه أن يؤخذ المسلمون أمهاتهم ، وكان سعد أحد الثلاثة الأماناء الذين تمهدوا إلى يهود بني النضير يدعوهم إلى الإسلام ، ويذكر ونهم بما هو عنه عندهم في الكتاب ، وتجلى حكمة سعد أيضا عندما بعث النبي بعض رجال من الأوس والخزرج يستطلعون خبر القوم في (غزوة الخندق) فإذا به يدرك أنهم على أسوأ حال وينبري لهم زعيم الأوس يشاتهم لحدة في طبعه لا تبرحه ، ولكن ابن عبادة . يؤوب إلى العقل فيقول لابن معاذ : دع هناك مشاتهم ، فإنا بيننا وبينهم أروى من المشاتمة .

وما يحكى عن سعد وابنه قيس أنهما جاءا بزاملة إلى رسول الله - وقد ضلت زاملته في (حجة الوداع) ثم وجدها - فرد إلى سعد زاملته شاكرأ له هذه الأريحية وقال :

رسول الله قد قضى لكم بالحق ، وإنه ليجب أن يترك صفوان ، والله لا أبرح حتى يطلق ونظر حسان في هذه الشهامة التي أبداهما سعد فترك حقه وعز ذلك على قومه ، فأخذتهم العزة بالإثم ولكن قيس بن سعد وقف يقول : عجباً لكم . ما رأيتم ، يا قوم إن حسان قد ترك حقه . وتأبون أتم ، وعندئذ خجل الخزرج لما في طباههم من رقة وسماحة فأطلقوا سراح صفوان إكراما لسعد الذي مضى به إلى البيت فكساه ، وخرج إلى المسجد ف صلى معه فنظر النبي إليهما ، وعلم بما فعله سعد فدعا له دهاء اهتزت له أريحية سعد فأعطى صفوان بستانا به نخلات كانت تغل عليه الكثير .

دنا العام السادس من الهجرة في (غزوة ذي قرد) أو غزوة ابن عيينة) كما كانت تسمى - تجلعه خصال سعد في الكرم والفداء معززة بشهادة الخزرج له في حضرة النبي فإنه لما أسلم إليه الراية أقام خمس ليال يحرس المدينة في ثلثائة من قومه ، وبعث أحمال التمر وعشر جزائر مع ابنه قيس ، فأعجب النبي بهذا كله فقال : يا قيس بعثك أبوك فارسا ، وقرى المجاهدين وحرس المدينة من العدو !! اللهم ارحم سعد وآل سعد ، ثم قال : نعم المرء سعد بن عبادة ، فقال الأنصار إعجابا بزعيمهم : يا رسول الله هو بيننا وسيدنا وابن سيدنا ، كانوا يطعمون في المحل ويحملون الكل ويقرون الضيف ويعطون في النائبة ويحملون على العشيرة ، فيقول النبي - وقوله الحق - دخير

يطلق لتفسيكه عنان الحرية ، وطالما كان يتوخاها في حضرة الرسول ، إذا نزلت آية ، أو جاء ما يناسبها من أحداث ، فقد تليت هذه الآية الكريمة ، والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تآمروا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم . . فتساءل سعد : هكذا أنزلت يا رسول الله ؟ وينظر النبي إلى من حوله ويقول : يا معشر الانصار ألا تسمعون إلى ما يقول سيديكم ؟ . قالوا : لا تله يا رسول الله فإنه غيور : والله ما تزوج قط إلا بكراً . ولا طلق امرأة قط فاجترأ أحد أن يتزوجها بعده . ولكن سعداً - وهو الواثق من نفسه المعتر برأيه - يقول : يا رسول الله والله إنى لأعلم أنها حق . وأنها من الله ، ولكنى قد تعجبت أن لو وجدت لكع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجها ولا أحرکه حتى آتى بأربعة شهداء ، فلا آتى بهم حتى يقضى حاجته . . ومن ذلك أيضاً أن النبي أراد أن يعطى فطفاً ثلث ثمار المدينة لترجع عن الحرب وعقد النبي مجلس الشورى ، وحضر السعدان ، فقال النبي : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال النبي : بل شئاً أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأتق

أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة ، ؟ فيرد سعد قائلاً : يا رسول الله ، المنة لله ورسوله ، والله يا رسول الله ، إن الذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي ندع ، فيقول النبي : صدقتم يا أبا ثابت ، أبشر فقد أفلحت ، إن الأخلاف بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه منها خلفاً صالحاً منحه ، ولقد منحك الله خلفاً صالحاً . فيحمد سعد ربه على ما أنعم به عليه ، ويلتفت ثابت بن قيس بن شماس إلى النبي ، فيذكر ما كان لأهل بيت سعد في الجاهلية من أفضال وأجود ، فيقول عليه الصلاة والسلام : الناس معادن . خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا . لهم ما أسلبوا عليه .

ويشاء الله أن تحمل بركته في ذرية سعد ابن عباد ، فيستكثرون بمصر والاندلس فقد ذكر رجال التراجم عدداً كبيراً منهم حتى القرن الثامن الهجري . كان منهم بالاندلس الشعراء والفقهاء والقضاة والأطباء والنحاة ، وكان أول نزولهم (سرقطة) ومنها انتشروا في سائر المدن الاندلسية ولا سيما قرطبة وغرناطة ، وكان منهم الأمراء المسكرمون ، والعلماء الأجلة كآبي العباس المرسي نزيل الإسكندرية والوافد عليها من (مرسية) الاندلس ، فدعى المرسي . وكان سعد - إلى جانب ما رأينا من خصال -

متوعدا ، فكان يقول وابنه قيس يحفظ ما يقول ويعيده على الناس من كثرة جموعهم ، وعلم أبو بكر وعمر فخرًا من فورهما خشية أن يبايع الفساس ابن عبادة فقتلوا الخلافة من قريش إلى الأوس والخزرج فيتنازعون فتذهب ريعهم ، وحسم الأمر . وقضى على دهوى الانصار : منا أمير ومنكم أمير . وأدرك الجميع عاقبة الخلاف ، فارتضوا أبا بكر خليفة لرسول الله .

أما التساريخ الذي أفاض في مناقب سعد وقومه في الجاهلية والنبوة ، فقد سكت عن أخباره بعد ذلك ، حتى لقد لقي عمر سعدًا ذات يوم في طريق المدينة ، ولم يشأ سعد أن يخفي عن أمير المؤمنين كراهيته لجواره ، وما لبث غير قليل حتى انتقل إلى الشام فبات ببحوران في العام الخامس عشر من الهجرة ، وقبره بالمنيحة من غوطة دمشق مشهور يزار إلى يومنا هذا ، ويردد المؤرخون جميعاً أنه ما ه صريح الجن في بئر أو نفق ، إذ هتر على جلده وقد اخضر ، وكما عرفوه أسطورة في البداية ، عرفوه أسطورة في النهاية ، فزعموا أنهم سمعوا بالمدينة هاتفا يقول :

قد قتلنا سيد الخز

رج سعد بن عبادة

ورميناه بهمـين

فلم نخطف فؤاده

محمد محمود زيتونه

رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوك من جانب ، فأردت أن أكسر عنكم عن شوكتهم إلى أمر ما .

وفي (يوم الفتح) - وقد جاء نصر الله - أمر النبي سعداً بأن يدخل مكة من (كداء) . فلما دخلها استقبلت به نفوة النصر - إذ مر بأبي سفيان ، وقد أسلم - فصاح سعد : « اليوم يوم المحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، اليوم أذل الله قريشاً » ، فسمعها عمر ابن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان ، فسا كان أسرعهم إلى النبي : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، والله ما نأمن أن يكون له في قريش صولة . وتأثر أبو سفيان أشد التأثر وظن أن النبي أمر بقتل قومه . وغضب النبي وأمر هلياً ابن أبي طالب أن يدرك سعداً وأن يأخذ الراية منه . ويدخل بها مكة ، وقيل إن النبي أمر بدفعها إلى قيس بن سعد ، ولا عجب فقد كان سعد غيوراً شديد الغيرة ، جاء عن ذلك في حديث النبي : « إن سعداً لغيور ، وإنى لأغمر من سعد ، والله أغير منا ، وغيره الله أن توتى عارمه » ، وقال لأبي سفيان مواشياً ليسح من صدره ما عسى أن يكون قد علق به من قول سعد : « اليوم يوم المرحمة ، اليوم أهز الله قريشاً » .

وقبض رسول الله ، واجتمع الانصار حول سعد في سقيفة بني ساعدة ، وكان يومئذ

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للدكتور محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

- ٢ -

عبد الحى بن غفر الدين فى الثامن عشر من رمضان سنة ١٢٨٦ هـ فى بلدة دراي بريلي، على مقربة من مدينة لكهنؤ فى شمال الهند وقد نشأ على الاطلاع والجمع ، وكان ذلك ذوقا توارثه من أبيه السيد غفر الدين بن عبد العلى الحسنى صاحب المؤلفات العديدة فى التاريخ والأنساب . وكان له فى هذا الموضوع هوى من الصبا . كما وصف نفسه فى مقدمة كتابه نزهة الخواطر . حيث قال : أما بعد : فإني منذ هرفت العين من الشمال ، وميزت بين الرشد والضلال ، لم أزل ولوعا بمطالعة كتب الاخبار ، مغرى بالبحث عن أحوال الأدباء الاخيار ، حريصا على خبر أسمعه أو شعر رفق شمله فأجمعه حتى اجتمع عندى ما طاب وراق ، وزين بمحاسن لطائف الأفلام والأوراق . فاقصرت منه على أخبار أدباء الهند التى أنا فيها . وضربت صفحا عن أدباء الأقاليم الأخرى التى تنافى بها حرصا على جمع ما لم يجمع ؛ وتقييد شئ لم يقل إلا ليقيد ويصم .

تحدثنا فى المقال السابق عن مساهمة علماء الهند المسلمين فى نشر التراث الإسلامى والثقافة العربية ، وتناولنا بعض مؤلفاتهم العربية فى مختلف العلوم والفنون ، ونقدم الآن المؤلف العربى القيم ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، للعلامة السيد عبد الحى بن غفر الدين الحسنى ، المتوفى سنة ١٢٤١ هـ ، وهو كتاب كبير ، أو موسوعة هلمية فى ثمانية أجزاء ، لخص فيها واقتبس من ثلاثمائة كتاب فى العربية والفارسية والأردية ، ما بين خطوط ومطبوع ، عن تراجم علماء الهند ومؤلفاتهم وطبقاتهم مع تهذيب وتنقيح وتلخيص وتحقيق حتى أصبح الكتاب يحتوى على تراجم أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ونيف من رجال الهند ذوى الشأن فى العلوم والفنون والآداب وتاريخ بلادهم .

وقبل أن نستعرض محتويات هذا الكتاب القيم ، نقدم نبذة عن مؤلفه وصفاته التى أهله للقيام بهذا العمل الجليل : فقد ولد العلامة

- وهكذا أنشأ الشيخ عبد الحمى على معرفة طبقات الرجال وخصائصهم ودقائق أخبارهم فكان له كما يقال : فن تاريخ الهند سليقة وذوقا إذا كان لغيره صناعة وكذا ، وبعد أن درس المكتب الدراسية في الصرف والنحو والفقه والأصول والتفسير والمعقولات ، وكتب الحديث على أشهر علماء الهند في عصره حرص على التبحر في آداب اللغة العربية والفاوسية والأردية ، وكان يدرس الأدب والطب والحديث والقرآن ، ويقضى معظم أوقاته في مطالعة الكتب والتصنيف ، وقبل بضع سنين لوفاته كان يحب تدريس التفسير والحديث فرغب عن سائر العلوم ، ولم يكن يشتغل إلا بهذين العلمين ، وتوفى رحمه الله في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ هـ ودفن في مسقط رأسه .
- ومن الصفات التي ساعدته على القيام بهذا العمل الجليل والتأليف في هذا الفن الخطير
- ١ - مواهبه في التاريخ ، وقد رزقه الله صفاء الحس وقوة النظر ودقة الملاحظة ، فيضع الرجل في طبقته ، ويصفه بدقة ، فهو في ذلك يشبه ابن خلدكان في وفيات الأعيان
 - ٢ - إتقانه وإحكامه في التدوين ، فلم يستعجل في كتابه ولم يبادر بنشره بل كان ينقح ما كتب ويهذب ويراجع المصادر ويستأنف النظر حتى يقتنع بما ذهب إليه في نقد الرجال ووصفهم بطول الدراسة والممارسة
- ٣ - هدم تحيزه إلى فئة في التاريخ وعدم تعصبه بجماعة ، بل يودى الأمانات إلى أهلها .
- ٤ - مشاركته في جميع العلوم السائدة في عصر المترجمين والسلف من علماء الهند وكانت له بصيرة نافذة في تراجم رجال الهند وأعيانها ومدارسها الفكرية المختلفة .
- ٥ - قلبه السيال وبيانه السلسال في تقييد الحوادث وتراجم الرجال لجعل كتابه الذي نحن بصده علماء وأدباء ومتمعة لا يمل القارئ مطالعته ، بل يتقلب منه في حديقة غناء يتجول في أطرافها حتى أصبح كاسمه نزهة الخواطر وقد بقيت هذه المكتبة العلمية العامرة بعد وفاته تراثا عزيزا عند أولاده ، وهي في ثمانية أجزاء ، يتضمن الجزء الأول تراجم علماء الهند وأعيانها فيمن قدم إليها من عظام المسلمين من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري ، والجزء الثاني في أعيان القرن الثامن ، وهكذا كل جزء في قرن كامل إلى الجزء الثامن الذي هو في تراجم علماء القرن الرابع عشر . ولما طبعت دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد كتاب الدرر السكاكنة في أعيان المائة الثامنة ، للعلامة ابن جبر العسقلاني عام ١٣٥٠ هـ (٩٣١ م) طبع الجزء الثاني من نزهة الخواطر أيضا إكمالاً لتاريخ القرن الثامن ، وذيلاً للدرر السكاكنة ، وبقي سائر الأجزاء مودعا في مكتبة المؤلف . وكانت الطبعة الأولى للجزء الأول من

حتى صار كتابه تاريخاً حياً لمحمّل في جوانحه قلباً مليئاً بخفة الروح ، ورواء الطبع ، وعذوبة الخلق ، واستهل المؤلف كتابه بقوله :

« الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وعلمه البيان ، وأنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأعجز مصاقع البلغاء عن المعارضة باللسان ، إلى المقارعة بالسيف والسنان ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد فاتحة كتاب الوجود ، وخاتمة أبواب الوحي والكشف والشهود ، والشفيع المشفع في المقام المحمود ، من سطع نوره على كل موجود ؛ وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، الذين أيدوا الشريعة السمحة الغراء ، وأسسوا أبنية قواعدها البيضاء ؛ حتى استقام الحق واعتدل ، وزهق الباطل وبطل ... » .

ثم استطرد المؤلف كلامه عن الحاجة الماسة إلى وضع كتاب بالعربية عن تاريخ الإسلام في الهند المنتثر في مؤلفات عديدة ، مع تهذيب وتنقيح وتحقيق ، فقال :

« ولولا من الله عز وجل - وله المنّة على هذا العبد بالقوة على ذلك بعد المنّة - لما تيسر له جمع الكتاب ، الذي هو أغلى من الذهب المذاب ، وأحلى من لذيذ الخطاب ، ومداعبة الاحباب ؛ لأن أهل الهند مع كثرة فضلاتهم ووجود الأعيان في كل مكرمة على تعاقب

هذا الأثر العظمى سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) تحت إشراف دائرة المعارف العثمانية ولما تولى إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد وزارة المعارف للجمهورية الهندية حث على متابعة طبع الأجزاء الأخرى فاستمر الطبع حتى ظهر الجزء السابع عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٩ م) وكانت الطلبات تنال من مكشبات الشرق والغرب ، ولا سيما الجزء الأول منه فأعادت دائرة المعارف العثمانية طبعه عام ١٣٨٠هـ (١٩٦١ م) . وأما الجزء الثامن من نزعة الخواطر فلم يطبع إلى الآن ، ومن المنتظر أن يظهر إلى حيز الوجود عما قريب وفق مشروع دائرة المعارف العثمانية وحركتها القوية لنشر المكتب القيمة في مختلف العلوم والفنون .

ومن ميزات « نزعة الخواطر » وبهجة المسامع والنواظر ، أنه يشتمل على فوائد غالية في تاريخ الهند العلى والسياسى والدينى وعلى نكت لطيفة لا يظفر بها القارىء فى مكتبة حافلة ، فضلاً عن كتاب مفرد ، وقد هئّر عليها المؤلف فى رحلته العلمية الطويلة بين الصحف والمقار والمذكرات أو تلقاها من أفواه المعلمين الكبار والعلماء الثقات فنشرها على صفحات الكتاب مع أمانة النقل وتحري الصدق والعدل فى الرواية وانتقاده فى موضع الانتقاد وتقريره فى موضع التقرير ، وذلك هو المثل السكامل لتاريخ البشر للبشر

علم أنى بفضل الله سبحانه وتوفيقه أجدت
في كتابي هذا، وأبدعت وصنعت ما لم يستطعه
كبار العلماء مع توفر رغباتهم في الجمع
 والتصنيف ، لا سيما في هذا الباب ... ،
واختتم المؤلف الجليل مقدمة كتابه مبيناً
صدق نيته ، وصفاء هدفه من القيام بهذا
الجهود الجبار فقال :

« وإن لم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه ،
أو طاعة وزير أو أمير ، ولم أداهن فيه
أحدًا بنفاق أو مدح أو ذم مباحين للأخلاق ،
لميل نفسي أو غرض جسماني ، وأنا أستغفر
الله الذي لا إله إلا هو المحي القيوم من وضع
قدي في طريق لم أسلكه ، وتجارتني في رأس
مال لم أملكه ، هذا مع اعترافي بقصور
باعي ، وقصور همتي ، وتصوب طباعي
في القوانين العربية ، ودواوين المثاني الأدبية .

مالي وللأمر الذي قلته

مالي للذباب وطعمة العنقاء

أبكي بعجزى وهو يبكي ذلة

شتان بين بكائه وبكائي .

وهكذا تعتبر « نزهة الخواطر » مؤلفاً
كبير الشأن من طراز « الدرر الكامنة » ،
للمسقلاني « والضوء اللامع » ، للسخاوي ،
« والبدر الطالع » ، للشوكاني ، « وخلاصة
الأثر » ، للنجي

الأهصار ليس لهم عناية كاملة ، ولا رغبة
وافرة ؛ إلا في دفن محاسن أكابرهم ، وطمس
آثار مفاخرهم ؛ فلا يرفعون إلى علمائهم
رأساً ، ولا يمدون إليهم يداً ؛ مع توفر
وغباتهم إلى الإطلاح على ما لغيرهم من
الشعراء والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال
مشايخ الصوفية والإكباب على جمع كشوفهم
وكراماتهم ، وعلى كتبهم التاريخية وغيرها ،
وإنى لاكثر العجب من اختصاص المذكورين
بهذه الحصلة التي هي سبب لدفن محاسن سابقهم
ولاحقهم ، وطمس رفيع قدر عالمهم وفاصلهم ؛
ولهذا أهمل المصنفون في التاريخ على العموم
ذكرهم ، لم يقرجوا لأهل قرن من تلك
القرون ، ولا من مضى في عصر من هاتيك
العصور ، وإن ذكرهم المؤرخون منهم ترجموه
ترجمة مغسولة عن الفائدة ، عاطلة عن بعض
ما يستحقه ، ليس فيها ذكر مولده ولا وفاته ،
ولا شيء من مسموعاته ولا مقروءاته ،
لأن الذي ينقل أحوال شخص إلى غيره
ينبغي له أن يكون من معارفه وأهل بلدته ،
فاذا أهمله عارفوه أهمله غيرهم وجعلوا أمره .
ومن هذه الجهة أجدني إذا ترجمته في هذا
الكتاب أحداً منهم لم أدر ما أقول ؛ لأن
أهل عصره أهملوه فلم يبق لدى من بعدهم
إلا مجرد أنه فلان لا يدري متى ولد ،
ولا في أي وقت توفي ، وبماذا انفرد
في حياته من المزايا ؛ فن هرف ما ذكرناه

فإن الخل بها ضيق فاقمعوا هذا القطن في الماء ثم اطبخوا به واصطبغوا افسار محمد بن القاسم إلى مكران ، فأقام بها أياما ثم أتى قنبر ، ففتحها ثم أتى أرماثيل ، ففتحها ثم سار إلى الديبل ، يوم جمعه ووافته سفن كان حل فيها الرجال والسلاح والأداة فغمدق حين نزل ديبيل ، وركزت الرماح على الخندق ونشرت الأعلام وأنزل الناس على راياتهم ونصب منجنيقا ، وكان بالديبل كنيسة^(١) عظيمة ، عليها دقل طويل ، وهي الدقل راية حمراء فرمى الدقل فكسر فاشتد طيرة الكفر من ذلك ، ثم إن محمدا ناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردم وأمر بالسلايم فوضعت وصعد عليها الرجال ففتحت عنوة وهرب عامل داهر وقتل سادن بيت ألهم في الديبل واختط للسليين بها وبني مسجدا وأنزلها أربعة آلاف ، ثم أتى محمد (البيرون) فصالحه أهلها وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا ففتحها حتى هجر نهر دون دهران ، فصالحه أهلها ووظف عليهم الخراج وسار إلى دسهبان ، ففتحها ثم سار إلى دهران ، فنزل في وسطه وهجره مما يلي بلاد راسل ، ملكه قصة ، (كجه) من الهند ولقيه داهر على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وتوغل داهر ، وقاتل فقتل عند المساء وانهمز المشركون

(١) أهل المراد بالكنيسة هنا معبد الوثنيين .

تناول المؤلف في الجزء الأول منه الطبقة الأولى من العرب الذين قصدوا الهند في القرن الأول الهجري ، وفي مقدمتهم فاتح الهند الأول محمد بن القاسم الثقفي ، . ويتبين منه مدى صلة الهند بالعروبة ومكانتها في تاريخ الإسلام ، فكانت الهند من البلاد التي هبت عليها نفحة من نفحات الإسلام في فجر تاريخه ، ولم تزل محط رجال المسلمين العرب من العلماء والدعاة والفاخرين في القرن الأول ، وأودع فيها الإسلام ذخرا لا يضيع من عظماء المسلمين الذين ضحوا بأنفسهم ونفيسهم في سبيل نشر الدعوة الإسلامية الحقة ، وفيما يلي نص ماورد في كتاب نزعة الحواطر عن تاريخ محمد بن القاسم الثقفي ، وقصة فتحه الهند :

« محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي هذيل الثقفي كان من بني أعمام الحجاج وخخته ، ولده الحجاج على ثغر الهند في أيام الوليد ابن عبد الملك ، وكان بفارس ، وقد أمره أن يسير إلى الري ، وعلى مقدمته أبو الأسود جهم بن زحر الجعفي ، فردده إليه وعقد له على ثغر السند ، وضم إليه ستة آلاف من جند أهل الشام ، وخلقا من غيرهم وجهزه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والمال ، وأمره أن يقيم بشيراز ، حتى يقاتم إليه أصحابه ويوافيه ما أعد له ، وحمد الحجاج إلى القطن المحلوج فنقع في خل الخمر الحاذق ثم جذف في الظل فقال : إذا صرتم إلى السند

ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف درهم
فقال : شفينا غيظنا وازدنا ستين ألف
ألف درهم . ومات الحجاج فأتى محمداً وفاته
فرجع عن الملتان إلى الرور وبغور وكان
قد فتحها فأعطى الناس ووجه إلى البيهقان ،
جيشاً فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة وسالمه أهل
د سرست ، ثم أتى محمد الكيرج ، فخرج
إليه د دهر ، فقاتله فانهزم العدو وهرب
د دهر ، ويقال قتل ، ونزل أهل المدينة على
حكم محمد فقتل وسبي ، قال الشاعر :

نحن قتلنا داهراً ودوهرأ

والخيل تردى مفراً ففسراً
ومات د الوليد بن عبد الملك ، وولى
د سليمان بن عبد الملك ، فاستعمل د صالح
ابن عبد الرحمن ، على خراج د العراق ،
وولى د يزيد بن أبي كبشة السكسكى ،
د السفند ، فحمل محمد بن القاسم مقيداً مع
د معاوية بن المهلب ، فقال محمد متمثلاً :

أضاعوني وأبى فتى أضاعوا

ليوم كريمة وسداد ثغر
فبكى أهل الهند على محمد وصووه
بالكيرج ، فحبسه صالح د بواسط ، فقال :

فلئن ثوبت بواسط وبأرضها

رهن الحديد مكبلاً مغلولاً
فلرب قتية فارس قد رهتها

ولرب قرن قد تركت قتيلاً

وقال :

فقتلهم المسلمون كما شاءوا ، وكان الذى قتله
في رواية المدائني رجلاً من بني كلاب وقال :
الخيل تشهد يوم داهر واقتنا

ومحمد بن القاسم بن محمد
أنى فرجت الجمع غير معد

حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت المعجاج مجدلاً

متعفر الخدين غير موسد

ثم سار إلى داور ، ففتحها وكانت بها
امراً لداهر فخاف أن تؤخذ فأحرقت نفسها

وجواربها وجميع مالها ، ثم أتى محمد
د برهمناباد ، المتينة وكان (قل داهر) برهمناباد

هذه فقاتلوه ففتحها محمد عفوة وقتل بها ثمانية
آلاف ، وقيل : ستة وعشرون ألفاً ،

وخلف فيها عامله وسار محمد يريد د الرور ،
و د بغور ، فلتقاه أهل د ساوندرى ،

فسألوه الأمان فأعطاهم إياه ثم تقدم إلى
د بسند ، فصالح أهلها وانتهى إلى الرور

وهي على جبل فحصرهم أشهراً ففتحها صلحاً
وبنى مسجداً وسار إلى د السكة ، ففتحها ثم

قطع نهر د بياس ، إلى د الملتان ، فقاتله أهلها
وانهزموا ودخلوا المدينة فحصرهم محمد وضيق

على أهلها فزلوا على الحكم فقتل محمد المقاتلة
وسبي الذرية وأصاب ذهباً كثيراً فسميت

د الملتان ، د فرج بيت الذهب ، .
قالوا : ونظر الحجاج فإذا هو قد أنفق

على محمد ستين ألف ألف درهم ، ووجد

الأول : محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي
قدم السند وقاتل الهنود مع محمد بن القاسم
الثقفي وأمره محمد بن القاسم على سرية وبعثه
إلى دسندوسان ، في خيل وجمازات فطلب
أهلها الأمان والصلح وسفر بينه وبينهم
د السمينية ، فأمنهم ووظف عليهم خرجا
وأخذ منهم رهنا وانصرف إلى محمد بن القاسم
ومعه من د الزط ، (١) أربعة آلاف ثم لما
صار محمد بن القاسم إلى مهران أمر محمد
ابن مصعب على طليعته فعب مهران بما يلي بلاد
د راسل ، ملك د قصة ، (كجه) وعن الثاني
قاسم بن ثعلبة بن عبد الله بن حصن الطائي
الرجل المجاهد كان بالسند وقاتل الهنود تحت
لواء الأمير محمد بن القاسم الثقفي وقتل كثيرا
منهم وهو الذي قتل د داهر بن صصة ، ملك
السند ، رواه البلاذري عن ابن السكبي .
وعن الثالث : د محمد بن هارون بن ذراع
النسري استعمله الحجاج بن يوسف الثقفي
على نهر الهند بعد مجاعة بن صهر التميمي ،
الذي توفي د بمكران ، فغزا محمد بن هارون
فغنم على الثغر وقام بالأمر خمس سنين ، ثم لما
ولى الحجاج ابن عمه محمد بن القاسم الثقفي
كتب إلى محمد بن هارون يأمره أن يجهز
جنده ويستعد للخروج إلى بلاد السند ، فلما
أتى محمد بن القاسم د مكران ، وسار إلى

(١) طائفة من المفادكة المعروفة باسم « جات »
ولعل الزط مررب جات .

لو كنت أجمعت الفرار لوططت
إنك أعدت للوغى وذكر
ومدخلت خيل السكاسك أرضنا
ولا كان من عك هلى أمير
ولا كنت للعبد المزونى نابعا
فيالك دهر بالكرام عشور
فعذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل
حتى قتلهم ، وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح
وكان يرى رأى الخوارج .

وقال د حمزة بن بيض الحنفي ، يرثي محمداً :
إن المروءة والسباحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سودداً من مولد
وقال آخر :

ساس الرجال لسبع عشرة حجة
ولداته من ذاك في أشغال
كانت وفاة الحجاج في شوال سنة ٩٥ هـ ،
وفاة الوليد وتولية سليمان في جمادى الآخرة
سنة ٩٦ هـ ، وفي تلك السنة عذب محمد وقتل
بواسط . كما في « المكامل » ، وفتوح البلدان ،
وغیرهما من كتب الأخبار .

وذكر المؤلف ثلاثة من كبار المجاهدين
الذين قاتلوا تحت لواء د محمد بن القاسم الثقفي ،
وهم : محمد بن مصعب الثقفي ، والقاسم بن ثعلبة
الطائي ، ومحمد بن هارون النسري . فقال عن

للتخلص من استعمار الإنجليز . والفن الثالث يتناول خطط الملوك في الأحكام السياسية وتنظيم العساكر وترتيبها ونظامها وهوائهم في تحصيل المسالية والعدل والقضاء مع ذكر تقاليدهم في خروجهم إلى الناس وآداب التحية الشائنة في عهدهم وما حدث فيها من التغيير في كل عهد من العهود في أرجاء الهند .

ويتضمن كتاب دجنة المشرق ومطلع النور المشرق، فصولاً هامة ونافعة عند البحث في أخبار الهند من ذكر السنين والشهور والساعات والنقود والموازين الهندية في كل عصر ، وكذلك الشوارع العامة والحدائق والجوامع والحياض والمقابر مع مآثرها ونوادرها وهذا المؤلف القيم يساعد على معرفة خط المسلمين في حضارة الهند وعمارتها وسلوك ملوكهم فيها ونظام حكمهم وخطط سياحتهم مع تقصى التغيرات التي حدثت في عهود الحكام الذين حكموا الهند من ولاية العباسيين والملوك الفزنويين والغوريين والمغول وغيرهم ، وما ظهر على أيديهم من رقى المدنية والصناعة والعلم في أرض الهند حتى صار هذا الكتاب سجلاً عربياً حافلاً بتاريخ هذه البلاد السيامي والحضاري والعلمي والجغرافي ؟

يتبع
محمد الدين هوكوني

د فزبور ، لحقه بها وأتى (أرماتيل) وفتحها وأقام زماناً يستريح بها فمات ودفن د بقنبل ،

* * *

وهكذا نرى د كتاب نزهة الخواطر ، يستقصى تاريخ الإسلام في الهند وتراجم رجال الفتوحات الإسلامية ورجال العلم والأدب فيها من القرن الأول للهجرة النبوية .

* * *

ومن أجل السكتب العربية الأخرى لصاحب د نزهة الخواطر ، كتاب دجنة المشرق ومطلع النور المشرق ، في جغرافية الهند والتاريخ الإسلامي فيها ، ويحتوى هذا الكتاب على ثلاثة فنون ، الفن الأول فيه مقدمة وأربعة أبواب : فالأول في جغرافية الهند وموقعها من الأرض وجبالها وأنهارها وأشجارها ونوادرها وأديانها ولغاتها واستقصى في هذا الباب عقاير بلاد الهند والفواكه التي لا توجد في غير هذه البلاد ، والأبواب الثاني في ذكر مقاطعات الهند المشهورة ، والأبواب الثالث في ذكر أشهر مدنها وقراها في الدولة الإسلامية فيها ، والأبواب الرابع في وصف أهل الهند وولاياتها في العصر الأخير .

والفن الثاني : في أخبار ملوك الهند مع بيان ظهور الإسلام في أرض الهند وذكر ولايتها في مختلف العصور ، وتاريخ الملوك والأمراء في عهد الحكم البريطاني فيها وثورة الهند

حول تنفيذ حكم الطاعة للكثور عبد الناصر توفيق العطار

امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خلق ولادين ، إلا أتى أخاف السكر : (أى بخروجها عن حدود الله) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقبِل الحديقة وطلّقها تطليقة ، ، فهنا نرى رغبة امرأة * بت بن قيس في فراق زوجها وعزها على ذلك حتى إنها تخشى الخروج عن حدود الله إن ظلت على زواجها معه ، وقد خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البقاء معه أو فراقه خلما بتعويض الزوج عما دفعه في زواجه منها من صداق وغیره ، فاختارت الخلع ، وهكذا د فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به .

٢ — هذه حلول القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة . من دقتها وشمولها . وعمومها تدرك - بحق - أن أى حل لا يستلهم أسسها مجتمعة قاصر عن بلوغ حد الكمال ، مهما بدا صالحا في بعض الحالات .

لقد قيل مثلا : إن إسقاط النفقة الزوجية كاف لإلزام المرأة هند النشوز بالعدول عن

١ — إذا كنا نطلب - مخلصين - الوسيلة المناسبة لتنفيذ حكم الطاعة بما يكفل للزوجين تمام الرضا والمودة والتعاطف ، وبما يحفظ أطفالهما ، ويبقى للأسرة - وهى نواة المجتمع - كيانهما ، فلا بد من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم نستلهم منهما الحل الصحيح ونستضيء منهما طريق العلاج الناجع السليم ، وفي كتاب الله الكريم نزل قوله تعالى : « والسلاقي تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجرهن في المضاجع ، واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن الله كان عليا كبيرا ، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليا خبيرا » ، بهذا رسم الله سبحانه طريقا لعلاج نشوز المرأة ينقل بين الإرشاد والإنذار والقوة والصلح والتوفيق بين الزوجين .

ومن تمام حكمة الله عز وجل أن شرع (الخلع) للمرأة أن رغبت في فراق زوجها حيث قال سبحانه : « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به » ، وفي السنة النبوية تطبق واضح لهذا المبدأ ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن

به حتى الآن ، وهو التجاء إلى القوة دون إرشاد أو إنذار أو صلح بين الزوجين ، ومن ثم بدا في كثير من الظروف جافاً وغريباً يشبه الشعور ويؤذيه ، فضلاً عن تجاهله فريقاً من الناشئات اللاتي لا يرغبن في العودة إلى أزواجهن ، ويعقدن العزم على ذلك بما لا يدع فرصة إلى وفاق أو صلح مع أزواجهن .

٣ - من هنا كان لابد من البحث عن طريق لتنفيذ حكم الطاعة يتدرج بين الإرشاد والإنذار والتوفيق بين الزوجين واستخدام القوة أو أعمال الخلع عند اللزوم استلهاً لمبادئ القرآن الكريم .

ويبدو لنا - أن تحقيق ذلك ميسور في حدود سلطة القاضي الوضعي إذا أسعفه التشريع بنص يتضمن القواعد الآتية :

(١) إذا حدث شقاق بين الزوجين ورفع الأمر إلى القضاء ، بعث القاضي حكماً من أهل الزوج وآخر من أهل الزوجة للصلح بينهما .

وهذا الحكم معمول به بمقتضى المواد ٦ - ١١ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ولكن في نطاق محدود ، وهو حالة ما إذا ادعت الزوجة لإضرار الزوج بها بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالها ، ورفض طلبها وتكررت شكواها ، فلماذا لا يؤخذ بهذا الحكم سواء كانت الشكوى من الزوجة أو من الزوج ؟ أليس ذلك

فشوزها ، وهو حل يفتقر إلى الوسائل القرآنية الأخرى : من إرشاد وتوفيق ، أو قوة وخلع عند اللزوم . ولقد بدا لبعض المفكرين الاكتفاء بهذا الجزاء إذا مارفت الزوجة تنفيذ حكم الطاعة ، ولو استمرت على ذلك أمداً بعيداً ، وبالتالي اقتصر هذا الحل إلى علاج يداوى الحياة الزوجية طوال فترة سقوط النفقة إذا لم تعدل الزوجة عن فشوزها ، حتى بدا الطلاق أو الخلع خيراً من بقاء كل من الزوجين معلقاً بين الزواج والفراق ، في حالة أشبه بالافصال الجسماني المعروف عند (الكاثوليك) ولكن بلا حدود ولا ضوابط ولا نهاية ، فضلاً عن أن هذا الحل لا يضمن تنفيذ حكم الطاعة إلا نادراً ، فأغلب النساء الناشئات لمن مورد مال يأتي لهن : إما من عمل يكسبن منه أجراً أو راتباً ، وإما من قريب كأب أو أخ ينفق عليهن ، وإما من مال الزوج نفسه الذي يدفعه نفقة لزوجته الناشئ بمقتضى حق حضانتها لأطفاله ، والتجاء الزوج هنا إلى الطلاق أو إلى تعدد الزوجات لإنهاء ذلك المركز القانوني الغريب يخلق له مشكلات أخرى ، وقد يزيد الطين بلة ، فضلاً عن أن ذلك أمر غير ميسور لكثير من الأزواج .

ولقد قيل كذلك : إنه لابد من تنفيذ حكم الطاعة جبراً على الزوجة الناشئ ، ولو عن طريق الشرطة مثلاً ، وهو الحل المعمول

ومعز القاضى عن الإصلاح بينهما ، وهو حكم معمول به بمقتضى المادة السادسة من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ حسبا للشقاق بين الزوجين ورفعاً للضرر عن الزوجة . ومن العدل أن يكون الحكم كذلك بالنسبة للزوجة إن ثبت إضرارها بزوجها عند نشوزها ، ويتم الفراق هنا خلعا غير أنه إذا كانت الزوجة لا ترغب في فراق زوجها خلعا وكانت كذلك لا ترغب في العودة إليه فأين تذهب إذا لم نحملها جبرا على رعاية أطفالها بين أحضان أبيهم وتحت إشرافه إن رغب في عودتها إليه ؟ وحيث لم يفلح أى من الزوجين المتنازعين في حمل الآخر على التسليم بحقه ، وحيث ثبت القضاء نشوز الزوجة فلامناس من تنفيذ حكم الطاعة بالقوة الجبرية إذا كانت الزوجة غير راغبة في فراق زوجها خلعا . وتستطيع الزوجة عند الحكم بالطاعة أن تبادر بنفسها إلى تنفيذه اختيارا وتقديرا منها لسلطة القضاء الذى أظهر أن زوجها لم يخطئ في حقها وثبت لديه أنه برئ من الأسباب التى بنى عليها نشوزها ، ولا يقال : إن المشكلة هنا لها جانبها النفسى والخلقى لحسب ، وتوقف على مدى الاحترام والتقدير المتبادل بين الزوجين ورضا كل منهما بالحياة مع الآخر ، لأن المشكلة كذلك جانبها الاجتماعى والقانونى ، فنشوز الزوجة وخروجها عن طاعته يبنى من بداية تفكك الأسرة ، نواة المجتمع ،

مفهوم حكم القرآن « وإن خفتم شقاق بينهما ، أيا كان مصدر هذا الشقاق أو الشاكي منه ١٤ (ب) فإذا ثبت نشوز الزوجة حكم القاضى بإسقاط النفقة الزوجية وأمر بتشكيل لجنة من : باحث اجتماعى أو باحثة ، وواظ دبنى أو واهظة ، وأحد أقرباء الزوج للذهاب إلى الزوجة وتكليفها بالعودة إلى منزل الزوجية فوراً مع قريب الزوج ، .

وهذا الحل الذى نقترحه يجمع بين فكرة الإرشاد والإنذار ، ويرجى استخدام القوة لحل النزاع بين الزوجين ما دامت هناك فرصة للإصلاح بينهما ، والامل معقود على خريجات كلية البنات الإسلامية في القيام بدور الباحثة الاجتماعية والواظظة الدينية .

(ج) « وعلى القاضى بعد الاطلاع على تقرير الباحث الاجتماعى ، وتنفيذا للقرار السابق أن يحكم : إما بالطلاق (خلعا) إذا توافرت شروطه الشرعية ، وإما بتنفيذ حكم الطاعة بالقوة الجبرية إذا استمرت الزوجة على نشوزها ، وإما بحفظ الدعوى إن عدلت الزوجة عن هذا النشوز .

وهو حل يحسم حال الحياة الزوجية بين الزوجين المتنازعين ، ولا يدع أحدهما معلقا بين الزواج والفراق . ألا ترى أن الزوج إذا أضر بزوجه ضررا لا يستطيع معه دوام العشرة بين أمثالها طلق القاضى عليه زوجته - بطلبها - طلقه بائنة إذا ثبت الضرر

التي يقع عليها عبء توعية الزوجين بالسلوك
الفاضل . ومع ذلك لا بأس - فيما يبدو -
أن يراقب القاضي - بأمر من المشرع - معاملة
الزوج لزوجته في فترة رد الفعل ، وهي عادة
لا تزيد على شهر ، إذا صلحت فيه الأمور
بين الزوجين استقامت حياتهما الزوجية
غالباً . ومراقبة القضاء لسلوك الزوجين
ليست بدعاً في الدين أو القانون ، بل في ذلك
اتباع صادق لمصرح أمر الله سبحانه وتعالى
« فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ،
إن الله كان علياً كبيراً ، وصدق الله العظيم »

الدكتور عبد الناصر توفيق الطاهر

وكيل نيابة بندر سوهاج

الأمر الذي تضطرب معه العلاقات الاجتماعية ؛
وليس من الحكمة أن بغض التشريع الطرف
عن ذلك ؛ بل عليه أن يتدخل بحل حاسم
يضع حداً لحوادث هذه الفوضى وهو
ما يهدف الاقتراح هنا إلى تحقيقه .

(د) « وإذا نفذت الزوجة حكم الطاعة
اختياراً أو جبراً عنها استهدى القاضي
الزوجين بعد شهر ، أو كلف الباحث الاجتماعي
والواظظ الديني بزيارتها بعد شهر للاطمئنان
على هدالة الزوج » .

فقد يحلو لبعض الأزواج أن يسمى معاملة
الزوجة عنده عودتها إليه ؛ ولا يعد ذلك هيب
في حكم الطاعة ، ولو تم جبراً عن الزوجة
بل هو مسئولية أجهزة الإعلام بثق صورها

المغيرات خلق الله

عن عبد الله بن مسعود : قال لعن الله الواشيات والمستوشيات والنامصات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله : فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها : أم يعقوب
وكانت تقرأ القرآن فأتته فقات : ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشيات والمستوشيات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ؟ فقال عبد الله : وما لي لا ألعن من
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في كتاب الله ؟ فقالت المرأة : لقد قرأت
ما بين لوحى المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل :
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، فقالت المرأة : فإنى أرى شيئاً من هذا
على امرأتك الآن . قال : اذهبي فانظري قال : قد دخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً
لجأت إليه . فقالت : ما رأيت شيئاً فقال : أما لو كان ذلك لم نجامعها . ١٠ صحيح مسلم ٣ .

عائدٌ من الفلبين

للأستاذ محمد زيتون

- ٣ -

(١) علاقات العرب القديمة مع الفلبين : إلى سومطرة وملوكاس Moluccas

أتناول في هذا المقال علاقات العرب الأقدمين بالفلبين قبل ظهور الإسلام ثم اتحدث عن وصول الدين الإسلامي إليها وكيف استطاع العرب الأوائل أن يجعلوا رسالة الإسلام إلى أقصى المشرق .

يقول مؤلف كتاب التاريخ السيامي والثقافي للفلبين (١) : إن العرب أقاموا علاقات مع الشرق الأقصى في الزمن القديم منذ حكم الملك سليمان ، وذلك في خلال

ملكه سبأ المعروفة "Shaba in the Bible" فقد أقام عرب جنوب الجزيرة العربية الماهرون في التجارة علاقات تجارية مع الهند وآسيا خلال القرن الأول الميلادي ولقد كانت سفنهم التجارية تمرر هباب بحور

الملايا ذاهبة إلى الصين ، وفي القرن الثالث كان للعرب جالية تقوم بالتجارة في كانتون Conton وفي القرن التاسع زارت سفنهم "Kedah" في شبه الجزيرة الملايوية، وجاءوا

ومن هنا ندرك أن العرب القدماء - قبل مجيء الإسلام - قد انتشر نشاطهم وركبوا في سفيل تجارتهم البحر حتى وصلوا إلى أقصى المشرق في جزر الفلبين مثل منداناو ولوزون واثبتوا مهارة تجارية وبحرية في الزمن القديم .

(ب) دخول الإسلام إلى الفلبين .

يذكر المؤرخ السابق أن المسلمين الذين وصلوا إلى جنوب شرق آسيا وحلوا الدين الإسلامي معهم كانوا من سلالة السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يبين أنه بمصاهرة الأسر الحاكمة الوطنية

(1) Pag 41 philippine. Political and Culturel History Volum 2 - by Gregorio F. Zaide.

عليها ، وقد شكل السلطنة على نظام السلطنة العربية معطيا لنفسه كل اختصاصات الخليفة ، وكان نظام حكمه مستمدا من القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية وبذلك استطاع أن ينشر بين المواطنين عادات وتقاليد جديدة مستمدة من آداب الإسلام وتعاليمه ، وقد مات أبو بكر سنة ١٤٨٠ م بعد أن حكم ثلاثين عاما حكما ناجحا ساعد في ظله المحكومون بتعاليم الإسلام السمحة .

أما جزيرة (منداناو) ثاني جزيرة كبيرة في الفلبين - وبها الآن أربع محافظات يقطنها المسلمون. فقد وصل الإسلام إليها عن طريق الشريف كابنسون Kabungswan قائد Johor المسلم في سنة ١٤٧٥ م استطاع مع الجنود (السمل) الذين يسكنون في جزر قريبة من منداناو أن يفوز إلى شاطئه محافظة (كوناباتو) وأن ينتصر على القبائل المستوطنة هناك تلك التي استعدت لمحاربتة . وقد بدأ القبائل الأصلية تعتنق الدين الإسلامي بعد انتصاره عليهم كما تزوج الشريف كابنسون أميرة من أهل البلاد تسمى Dutri Tunina وصار الأمير كابنسون أول سلطان مسلم في منداناو .

هذا ما يذكره مؤرخ التاريخ السياسي والثقافي للفلبين .

وبالحيل السياسية استطاعوا أن يستولوا على حكم الملايا ويوحدها بحكوماتها في حكومة واحدة وأخذوا يفسرون العقيدة الإسلامية بهمة ونشاط ملحوظين حتى إذا كانت سنة ١٢٧٦ م وجدنا الإسلام قد أصل جذوره في ملقا Malacca هذه المدينة التي صارت قلعة للمسلمين وعاصمة فيما بعد لامبراطورية وماجايامت الهندية .

ثم يستمر في حديثه فيقول ولكن كتب المؤرخين المسلمين في الفلبين Morr chronicles تذكر: أن المبشر العربي مخدوم أمين الله المنتصر في ملقا وصل إلى ساحل (سولو) إحدى جزر الفلبين الجنوبية في سنة ١٣٨٠ م وأبتدا يبشر بالدين الإسلامي في الفلبين وبعد عدة أعوام سنة ١٣٩٠ م قاد وراجا بجندا، المسور المقدم أمير منانكاين سومطرة Monankaban Sumatra جيشا من المسلمين فتح به سولو واستطاع بسهولة أن يستولى عليها لأن جنوده كانوا يستعملون البنادق التي كانت تستعمل لأول مرة في الفلبين .

وفي سنة ١٤٥٠ م وصل إلى سولو أبو بكر المسلم قائد Palanbong Sumatra وتزوج Poramisuli بنت وراجا بجندا ، وبعد موت وراجا بجندا تولى أبو بكر الحكم وأقام سلطنة سولو وأعلن نفسه سلطانا

في تلك البقاع ضوءاً جديداً على تاريخ الإسلام في الفلبين حيث عدل الرأي السائد بأن الإسلام دخل الفلبين بالسيف ، كما كان لتعاليمه تأثير كبير على أهل سولو الذين يصعب التأثير عليهم لتسليمهم بحريتهم وشجاعتهم المنقطعة النظير ولقد لقيت تعاليم الإسلام في أهل سولو تربة صالحة لها .

ويستمر مؤلف تاريخ سولو فيقول :
 وفترة بعد مخدوم د سلسلة الذهب في سولو تقول عشر سنوات ، قدم إلى سولو أمير من منتسكين^(١) يسمى راجا بجندأ^(٢) - ويقال إنه وصل إلى سونيجا وباسيلان قبل وصوله إلى سولو ، وأنه تابع الأصول الشمالية التي تقود من (يرينو) إلى (كاجيان سولو) ، (وبانوتارن) ، (وسونيجا) وعندما وصل إلى بونسا خرج أهل سولو ليقاتلوه كما هو متوقع عادة ولكن «Tarsila»^(٣) تستمر لتوضح أنه كان مسلماً لذلك كفوا عن القتال ودهوه ليقم معهم كما أكرموا استقباله - وقد كان راجا بجندأ مصحوباً بوزرائه ولا شك أنه قدم إلى بونسا ليقم وبهمك وكان يجيشه

ببنائيدكر (الأستاذ نجيب صليبي) في كتابه تاريخ سولو . ما ينفي استخدام القوة في دخول الإسلام إلى الفلبين وأن انتصار التعاليم الإسلامية بها واعتناق السكان الأصليين لها قد سبق قيام الحكم الإسلامي فيقول^(١) وقد أثر في الفترة من سنة ١٣٨٠م إلى سنة ١٤٥٠ اثنتان مشهورتان هما مخدوم ، وراجا بجندأ . ومخدوم كان قاضياً عربياً وأستاذاً وصل إلى ملقا ، في نصف القرن الرابع عشر حيث استطاع أن يجعل سلطان ملقا ، محمد شاه يعتنق الإسلام ويقيم تعاليمه في أنحاء مملكته ملقا . واستمر تأثير مخدوم مشرقاً إلى أن وصل إلى سولو ومنذئذ وفي سنة ١٣٨٠ زار معظم جزر الأرخبيل وجعل كثيراً من الناس يعتنقون الإسلام في كثير من الأماكن ؛ وتدعى جزيرة سيوتو أن بها قبره ولكن الأماكن التي كان نجاحه فيها ؛ هو هي بونسا ، حيث تمكن بمساعدة رؤساء القرى الذين اتبعوه أن يقيم بها مسجداً .

وقد نجح مخدوم في الوعظ والتبشير بالدين الجديد بين الناس الذين اشتهروا بالاستقلال في آرائهم والعناد في ممارسة دينهم وعقائدهم وعاداتهم كما هو معروف ومشهور عن أهل سولو ، وقد ألقى نجاحه في التبشير بالإسلام

(١) منتسكين : منطقة غنية ومتقدمة في وسط

سومطرة وقدم منها كثير من الأسر الملايوية .

(٢) وراجا : اللقب العادي لكل ملوك الملايا .

(٣) سلسلة نسب سولو .

قيادة راجا سايان - ملك فلبيني مسلم - كما كانت في لوزن عند نهر Pasig River Tondo مملكة إسلامية أخرى تحت حكم الملك المسلم Laken Dula . ملاحظة :

زرت في فبراير سنة ١٩٦٥ مع الحاج هبد العزيز عمر مؤسس كلية مسلمي الفلبين في هولو قبر المبشر الإسلامي مخدوم أمين اقه في قبة جبل أغد (ومعناه الجبل التابع) ويرتفع حوالى ٢٠٠٠ قدم وما زال هناك إلى الآن خادم يعتنى بقبره ويوقد عليه البخور كما يضع الناس عليه دائماً قشاشاً أبيض ، وحول القبر كثير من القبور الأخرى التي يقولون فيها : إنها لاتباعه ولا توجد كتابه على هذه القبور .

أما في جبل (داتو) الذي يهاور الجبل السابق ويرتفع حوالى ١٨٠٠ قدم فيوجد فيه قبر كتب عليه باللغة العربية : من مات غريباً مات شهيداً هذا قبر الشهيد تمهار وأنه مات في شهر رجب المعظم سنة ٧١٠ هـ أى منذ سبعة قرون .

الاسبان والمسلمون في الفلبين :

هلمنا من حديثنا السابق أن الإسلام بدأ ينتشر من جزيرة منداناو وسولو جنوباً إلى أن وصل إلى جزيرة لوزون في الشمال

نوعاً من الغارات الطبيعية التي وضح نجاحها . كما ذكرت Tarsila منداناو : أن الشريف (كابنسوان) قد وصل إلى منداناو بإسلام كما وصل راجا بجندا ، وبذلك اتفق المؤرخون الوطنيون في سولو ومنداناو على أن إقامة الحكم الإسلامي في سولو على يد راجا بجندا ، وفي منداناو على يد الشريف كابنسوان ، كان بطريق سلمى ولم يستعمل فيه السيف أو القهر والقوة .

والحق أن عمل التجار المسلمين والمبشرين والدعاة - كما هو ثابت على القبر الموجود في جبل داتو القريب من هولو والذي توفي صاحبه سنة ٧١٠ هـ - قد سبق لإقامة الحكم الإسلامي ومهد له الطريق منذ مطلع القرن الثالث عشر أو قبل ذلك إلى حين وصول راجا بجندا سنة ١٣٨٠ م حيث وجد شعباً مسلماً في حاجة إلى قائد فكان هو القائد المنتظر الذي أقام حكماً إسلامياً دون أن تراق فيه دماء إنما هو إقامة لحكم إسلامي بين قوم مسلمين .

ومن سولو ومنداناو انتشر نور الإسلام وعمت تعاليمه بين البسايابا وغيرها من جزر الفلبين كما تأصل في جزر مندورا وبانتجس وأقيمت إمارات وممالك في وسط وشمال الفلبين في سنة ١٥٧١ كانت مانايلا - عاصمة الفلبين الآن - ما زالت مملكة مسلمة تحت

ذلك لأن الهداية العظمى التي أثرت بها الحضارة العربية في الفلبين هي الإسلام الذي لا يزال ديننا للأهالي في منداناو وسولو . فتح بحىء هذا الدين أتى نوع جديد من نظام الحكم وهو نظام السلطنة وكذلك جاءت الحروف العربية التي لا تزال تستعمل في كتابة الفن والعلم وتنقش على الأسلحة هناك .

وقد أثرت الحضارة العربية الإسلامية في القانون والتاريخ والأدب . فالمسلمون في جنوب الفلبين لا يزالون يستعملون التاريخ العربي ويتعاملون حتى اليوم إلى القانون المأخوذ من القرآن ، كما قد تأثر أدبهم بالأدب العربي وبخاصة القصة مثل : (ألف ليلة) وكذلك كثير من الكلمات في لغة سولو ومنداناو عربية مثل دنيا - كتاب - مدرسة - قاض - عقل شريعة حتى (التجال) لغة الشمال يوجد فيها كلمات عربية مثل خطاب Sulat .

وصول الأسبان إلى الفلبين :

وقد ابتدأ وصول الأسبان إلى الفلبين في ١٧ مارس ١٥٢١م حين وضع (ماجلان) قدمه على أول أرض في الفلبين وكان ذلك في جزيرة غير مسكونة جنوب جزيرة سمر تسمى Homonhon وقد حضر إلى الجزيرة بعض الفلبينيين فأعطاهم ماجلان بعض الهدايا وأعطاه الفلبينيون بعض الأطعمة وفي ٢٥ مارس أبحر ماجلان نحو الجنوب

حيث كان يحكمها الملك المسلم د راجا سليمان ، ولكن وصول الأسبان بقيادة ماجلان إلى الفلبين كان عاملاً على وقوف المد الإسلامي ووقوع الصدام بين الإسلام والمسيحية في جنوب شرق آسيا فقد قامت معارك دموية بين الملك راجا سليمان والأسبان في سنة ١٥٧٠ ، وسنة ١٥٧١ م . ولم تكن الحرب من أجل كفاح سياسى بين الأسبان الفرسان وبين المحاربين الفلبينيين للاستيلاء على حكم الوطن فحسب ؛ بل كانت أيضاً حرباً صليبية بين الصليب والحلال - الذي ما زال يتمسك به بعض الحكام الوطنيين من المسلمين في أعلامهم إلى الآن - لتحقيق السيادة الدينية . وقد كان انتصار الأسبان على المحاربين من المسلمين بقيادة راجا سليمان قرب ما ميلا انتصار المسيحية على الإسلام في شمال الفلبين . فتوقف المد الإسلامى إلى جميع الأجزاء الشمالية من الفلبين ، كما ترتب على انهزام المسلمين في (لوزون) انكماش الرقعة الإسلامية إلى جزر سولو ومنداناو في الجنوب حيث استقر الإسلام فيها إلى الوقت الحاضر حيث استطاع أن يحمى نفسه فيها إبان الاحتلال الأسباني والأمريكي أكثر من ثلاثة قرون وأربعة عقود سعى خلالها الأسبان والأمريكان جهد ونشاط لكي يزحزحوه من قلوب وعقول معتنقيه ولكن دون جدوى .

عنه من سيرة طيبة وليشتري طعاما من التجار فأظهر الملك رغبته في استقباله ولكن بشرط أن يدفع ماجلان الضريبة التي تدفعها سفن التجار الذين يدخلون الميناء ، وبعض هذه السفن لدول أجنبية مثل سيام .

ولكن ماجلان رفض أن يدفع الضريبة ، وتدخل ماجا كولامبو ونصح ملك سيو ، وبين له الرغبة الطيبة الأسبان فتنازل الملك عن طلب الضريبة ، وترك ماجلان ينزل إلى شاطئ سيو . وفي ٧ إبريل سنة ١٥٢١ : احتفل أهل سيو وماجلان ببداية الصداقة بينهما ، وكانت سيو في ذلك الوقت مدينة اقتصادية لها صلة تجارية مع الجزر الأخرى وشرق الهند وسيام والصين ، كما كان أهلها يرتدون الملابس والحلى ولهم منازل ويحكمهم قانون ولهم صناعة وتجارة وميزان وقياس ويستخدمون كثيرا من آلات الموسيقى والطرب ، كما كان لهم رقصهم وذهبهم الشرقي بما يدل على تقدمهم الحضارى .

وقد بذل ماجلان جهداً كبيراً لكي يفشر المسيحية بينهم وبين لهم مزاياها ، وبسرعة اعتنق ملك سيو وأتباعه المسيحية وتنصر في ١٤ إبريل سنة ١٥٢١ حوالى خمسمائة من أهل سيو وكان من بينهم الملك وأسرة وكذلك راجا Kalmba وقد أقيم صليب كبير على الشاطئ حتى بلغ عدد المنتصرين ثمانمائة من رجال

الغربي فوصل إلى جزيرة ليماساوا في ٢٨ مارس حيث وجد ملكاً تحت حكم راجا Kolombo واستطاع ماجلان أن يتحادث مع الملك بواسطة عبيد له مترجم اسمه Enrigue من الملايا وقد أعلن كلاهما صداقته للآخر وفي ٢٨ مارس أعلن اتفاقاً دموياً بينهما وهذا هو أول اتفاق فلبيني أسباني في التاريخ .

وبهذه المناسبة أقام الأب Pedro de valderroma حفلة على شاطئ جزيرة Limoswa حضرها ملك Kolombo وماجلان ورجاله لكي يعلنوا هذه الحادثة التاريخية ، وهي وصول الأوروبيين إلى الفلبين ، وقد زرع ماجلان شجراً على الجبل وأقام صليباً وانحنى له وكذلك فعل الملك ، وقد ساعد جنود الأسبان رجال الملك في حصاد أرزهم وبعد ذلك صاحب الملك الحفلة إلى جزيرة سيو . وفي ٧ إبريل سنة ١٥٢١ وصل ماجلان إلى شاطئ جزيرة سيو ، واستعد لخوض معركة حربية ، فأطلق مدافعه التي سببت ذعراً وخوفاً شديداً للناس ، وأرسل ابنه مع المترجم Enrigue يقول لملك سيو راجا Homaban الذى كان رئيساً لثمانية قبائل و ٢٠٠٠ فارس بالرمح : إن سيده قائد لأكبر ملك في الدنيا وأنه حضر لكي يكتشف Molucha ويريد أن يزوره لما سمعه

ونساء وأطفال وبعد عدة أيام طلب ماجلان من أهل سيويو أن يحرقوا صنمهم pgon idols كما وعدوا عندما تنصروا ولكنهم رفضوا ذلك لأنهم ما زالوا يقدمون الضحايا لأجل أن يشفي الصنم أخا الملك أشجع وأحكم رجل في الجزيرة والذي كان قد شمر بمرض خطير منذ أربعة أيام ، ولكي يحمي ماجلان عقيدة المسيحيين الجدد ذهب إلى الرجل المريض ونصره وأسرتة وعالجه وبعد خمسة أيام من العلاج شفى الرجل المريض ففقد الناس نفقتهم في الصنم وأشعلوا فيه النار

لابولابو يقاوم الأسبان ويتحداهم :

وبوحي من النجاح الأولى الذي لاقاه ماجلان في سيويو أمر كل القبائل في سيويو والجزر المجاورة أن يعترفوا بملك سيويو Homobon كملك لهم ويقبلوا يده -سلامة على الطاعة ولكن حاكما فلبينيا مسلما شجاعا وهو لابولابو ملك - Makton - جزيرة صغيرة بجوار سيويو - رفض بإباء أن يفعل ذلك وقاوم الأسبان فأرسل ماجلان رجاله وأحرقوا القرى هناك ؛ ولكن ذلك لم يخف لابولابو أو يحمله على التسليم والخضوع وفي ٢٦ إبريل سنة ١٥٢١ جاء ابن الملك Zula وهو ملك آخر في جزيرة Makton إلى سيويو بهدايا ورسالة يطلب فيها المساعدة ضد لابولابو فوجهه ماجلان بالمساعدة . وفي

فجر ٢٧ أبريل هاجم ماجلان جزيرة (مكتن) بقوة مكونة من ستين فائسا أسبانيا في ثلاث سفن وألف مقاتل من حلفائه أهل سيويو يركبون ثلاثين سفينة محلية، وأحب ماجلان أن يظهر شجاعة جنوده لملك وأهل سيويو فقال لهم امكشوا في سفنكم وانظروا كيف يحارب الأويويون . وقبل أن يبدأ الحرب أرسل رسالة إلى لابولابو ليعطيه فرصة أخيرة للسلام، وطلب منه الاعتراف بسيادة الأسبان ودفع الجزية ، وأجاب لابولابو بجملة أنه لا يخضع لأي ملك ولا يدفع الجزية لأية قوة وإذا كان العدو يملك رماحا فنحن نملك رماحا أيضا وشعلا نارية . وقد أخذ ماجلان من رجاله تسعة وأربعين رجلا وترك أحد عشر رجلا يحرسون السفن وعندما وصل الغزاة إلى الشاطئ وأوا لابولابو مع جنوده ينتظرون عددهم وقد اصطفوا ثلاثة صفوف، فأطلق جنود ماجلان نيرانهم أولا ولكن بنادقهم لم تظهر تأثيرا في أهل مكتن الذين هبوا مسرعين ليحجموا حريتهم ووطنهم وصاحوا صيحة الحرب وشرعوا رماحهم وسهامهم وعصيهم النارية والحجارة .

موت ماجلان :

وقد أمر ماجلان بعض رجاله بحرق بيوت أهل مكتن ليخيفهم فيذعنوا له ولكن ذلك

ولو دفع كل ثمين في العالم ولكنهم سوف يبقون جسده للذكرى ، وحتى الآن لا أحد يعرف أين جسد ماجلان وإن كان يوجد الآن متحف لذكرى مقتل ماجلان قريبا من المكان الذي مات فيه ، وقريبا من هذا المتحف يوجد متحف آخر في قرية Opon Macton يحمل ذكرى لابولابوالبطل الشجاع المسلم هازم ماجلان .

إن انتصار لابولابو في مكين كان صدمة وكارثة للأوربيين ، فهذا أول نجاح للدفاع عن استقلال الفلبين ضد الاستعمار العربي وأول نصر سجله الجيش الفلبيني على قوى الغرب بفضل لابولابو أول بطل يستطيع في التاريخ الملايوي ويهزم ماجلان هازم البحار .

وبعد موت ماجلان اختار رجاله اثنين خليفة له ، أما ملك سيبو وسكانها فقد فقدوا فتتهم في الشجاعة الفادرة التي كانوا يرونها للرجل الأبيض ، وحتى الأسبان أنفسهم الذين يفاخرون بشجاعتهم قد تخجلوا من هذا الفخر الكاذب .

محمد محمد شتا زيتونه

بمجمع البحوث الإسلامية

أتى بنتيجة عكسية لأنهم عندما رأوا مفاظهم تحرق ضاعفوا شجاعتهم وهاجموا المغيرين بجرأة وبسالة أدت إلى رجحان كفتهم فلما رأى ماجلان أن النجاح ليس في صفه أمر رجاله بالانسحاب وأحس بالهزيمة ، إذ اشتد الهجوم من كل جانب فوقف ماجلان على الشاطئ وحارب بشجاعة ليحمي رجاله في عملية الانسحاب إلى السفن ولكن سهما مسموما جرحه في فخذه اليمنى وطارت قبعته من رأسه ، وجاءت حربة فأصابته في وجهه فحارل أن يأخذ سيفه ففجز عن ذلك لأن حربة أخرى جرحته في زراعه اليمنى وجاء رجل من مكين وقطع رجله اليسرى فسقط على الأرض وانقض عليه آخر وقتله بجرسته وسيفه ، وبذلك مات (ماجلان) كما مات معه ثمانية من الأسبان وأربعة من أهل سيبو وكانت خسائر أهل مكين خمسة عشر وجيلا .

لابولابو هازم ماجلان :

وظهر يوم المعركة أرسل ملك سيبو إلى أهل مكين وسالة عارضاهلهم أى ثمن لىكى يسلبوا إليه جسد ماجلان ، فأجاب أهل مكين أنهم سوف لا يسلبون إليه ماجلان

تاريخ الإسلام

تاريخ الإسلام في العصر الوسيط "للاستاذ ساندروز"

تعلیق للأستاذ الدكتور أحمد نؤاد الأهواني

A History of Medieval Islam

By : Saunders — London, 1965

المفروض أن هذا الكتاب على (أكاديمي) أو هكذا يوحى مظهره ، من جهة طبعته ، والدار التي صدر عنها ، وعنوانه : (تاريخ الإسلام في العصر الوسيط) ومؤلفه الأستاذ ساندروز ، صدر بلندن سنة ١٩٦٥ .

فلا ينبغي أن يخدع بما جاء في الكتاب من بحث يكتمل رداء العلم .

ولكتاب التاريخ طرق كثيرة مختلفة ، أقدمها طريقة الحوليات التي سادت في الزمن القديم ، وهي تجري على سرد الحوادث متتابعة زمنياً عاماً بعد آخر .

وأول سؤال يتبادر إلى الذهن هو وجه الحاجة إلى مثل هذا التأليف في الوقت الحاضر على الرغم من وجود عدد من الكتب تبحث موضوع الإسلام في العصر الوسيط ، وقد نشرت: إما بالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية فهل جاء صاحب هذا الكتاب ، الأستاذ ساندروز بمجديد ، وهل له تفسير جديد لهذا التاريخ ؟ ولأمر ما تحتضن دور النشر الكبيرة المحترمة هذه الكتب وأعمالها . وهذا الكتاب من منشورات (روتلج وكيجان بول) في لندن وهم من أم دور النشر الرصينة .

وقد ظهرت فيما يختص بالتاريخ الإسلامي طريقة جديدة يسلكها بعض المؤلفين الغربيين وهي إبراز الصراع بين الإسلام من جهة وبين المسيحية من جهة أخرى ، وأن هذا الصراع بدأ منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ساداً بين الديانتين الإسلامية والنصرانية ،

الجواب عن هذه الأسئلة يوضح حقائق كثيرة ينبغي أن يتنبه لها القارئ المسلم ،

انتهى بمد وجزر في فترات مختلفة من القرون الأربعة عشر التي عاشها الإسلام . ولو كانت الروح التي أملت على المؤرخين هذا المنهج هي الروح العلمية المجردة من الهوى دون تحيز إلى إسلام أو نصرانية ، لكانت النتائج المترتبة على اتباع هذا المنهج مقبولة ، ولكن الواقع يختلف عن ذلك لسببين ، الأول أن المؤرخ لا يمكن أن يتجرد من هواء الدين ، والثاني أنه يعتمد عامداً متعمداً أن يكون صاحب هوى .

إن مؤرخي أوروبا وأمريكا يتعمدون اتباع هذا المنهج لينفخوا في نفوس أبناء وطنهم نار العصية الدينية ، ويؤلبوم على الشعوب الإسلامية ، ولذلك ما تزال هذه الكتب تكتب بكتب روح صليبية ، والحق أنك حين تقرأ كتاب الأستاذ ساندرز فإنك تشهد مؤرخاً كأنه في ملعب كرة قدم يسجل لعبة بين فريق المسلمين وفريق المسيحيين الذي يتميز له دون أن يخفى تحيزه ، فكلما أحوز المسيحيون نصراً صفق وهلل ، وكلما ظفر المسلمون بنصر أبدى أسفه على ذلك .

الفرض إذن من هذا الكتاب هو إذكاء نار الحماقة بين أبناء أوروبا وأمريكا ضد العرب والمسلمين ، في حربهم الصليبية العدوانية على الشرق ، وبخاصة الشرق الأوسط ، واتخاذ الدين ستاراً يخفى وراءه هذه الأهداف الاستعمارية .

يشبه مؤلف الكتاب المسلمين عند ظهور الإسلام بالبرابرة الذين غزوا أوروبا الرومانية وأسقطوا حضارتها . ففي بداية الفصل الثالث (ص ٣٩) يقول : « وبمنظرة عامة يمكن أن تتمثل الغزوات العربية وكأنها تشبه الغزو الجرمانى الذى أسقط قوة روما في ممالك أوروبا الغربية . ففي كلتا الحالتين تشقت الجيوش الامبراطورية مع هجمات العدو البربرى ، وانتزعت من الامبراطورية أراضيها الواسعة التي ظهر فيها نظام جديد على أنقاض نظام اجتماعى بال . ولقد كان هناك فارق أساسى بين هاتين الغزوتين على الحضارة اليونانية الرومانية . ذلك أن الجرمان دخلوا العالم الرومانى إما وثنيين كالفرنجة والانجسوسكسون ، وإما مسيحيين كالغوط والوندال وتجمع هؤلاء جميعاً آخر الأمر في يد الكنيسة الكاثوليكية . وتعاون الرومان والتيتوتون ، وهم المغلوبون والغالبون على تكوين المجتمع المسيحى في العصر الوسيط . أما العرب فإنهم لم ينقضوا على الامبراطورية وثنيين أو مسيحيين ، بل أتباعاً لدين جديد وضع سداً بينهم وبين خصومهم لا يمكن اجتيازه ، وهو اللغة العربية التي رفها النبي إلى أعلى مرتبة لأنها لغة الوحى ، فانتصرت على كل لسان آخر في كل أوصى ساد فيها الإسلام . وظهرت حضارة إسلامية جديدة ، وبرز نموذج جديد

انتهى بمد وجزر في فترات مختلفة من القرون الأربعة عشر التي عاشها الإسلام . ولو كانت الروح التي أملت على المؤرخين هذا المنهج هي الروح العلمية المجردة من الهوى دون تحيز إلى إسلام أو نصرانية ، لكانت النتائج المترتبة على اتباع هذا المنهج مقبولة ، ولكن الواقع يختلف عن ذلك لسببين ، الأول أن المؤرخ لا يمكن أن يتجرد من هواء الدين ، والثاني أنه يعتمد عامداً متعمداً أن يكون صاحب هوى .

إن مؤرخي أوروبا وأمريكا يتعمدون اتباع هذا المنهج لينفخوا في نفوس أبناء وطنهم نار العصية الدينية ، ويؤلبوم على الشعوب الإسلامية ، ولذلك ما تزال هذه الكتب تكتب بكتب روح صليبية ، والحق أنك حين تقرأ كتاب الأستاذ ساندرز فإنك تشهد مؤرخاً كأنه في ملعب كرة قدم يسجل لعبة بين فريق المسلمين وفريق المسيحيين الذي يتميز له دون أن يخفى تحيزه ، فكلما أحوز المسيحيون نصراً صفق وهلل ، وكلما ظفر المسلمون بنصر أبدى أسفه على ذلك .

الفرض إذن من هذا الكتاب هو إذكاء نار الحماقة بين أبناء أوروبا وأمريكا ضد العرب والمسلمين ، في حربهم الصليبية العدوانية على الشرق ، وبخاصة الشرق الأوسط ، واتخاذ الدين ستاراً يخفى وراءه هذه الأهداف الاستعمارية .

(على) . وإلى هنا يسدل الستار عن الفصل الأول من مسرحية تاريخ الإسلام . ويرفع الستار مرة أخرى عن فصل آخر هو تكوين الأمبراطورية العربية على يد الدولة الأموية ، ثم ثورة العباسيين وتكوين الخلافة العباسية التي بدأت قوية الشوكة ثم أخذت تتفكك إلى دويلات ، ويضعف الخليفة في بغداد ولا يصبح له سوى نفوذ اسمي .

إلى هنا يعضى تسلسل الحوادث بشكل طبيعي ، غير أن المؤلف يعترض هذا التسلسل ، فيعقد فصلا خاصا عن الفرقة الإسماعيلية تعد في واقع الأمر نغمة شاذة في هذا اللون التاريخي . حقا كان الفاطميون إسماعيلية ، ظهروا في شمال إفريقيا ومنها فتحوا مصر ، وأنشأوا القاهرة والجامع الأزهر ، واستمر حكمهم زمنا ، بدأ مزدهرا قويا على يد المعز لدين الله ، ثم تدهور في آخر دولتهم إلى أن انقرضت . ولكن المؤلف يحاول أن يربط بين هذه الدعوة الفاطمية وبين دهوات آخر ظهرت في المشرق الإسلامي ، مثل القرامطة والحشاشين وغيرهم . لأنه يسمى هذه الدهوات « ثورة » على الإسلام ، استقلت بكثير من الولايات الإسلامية عن الحكم السني ، وهزت العالم الإسلامي من أساحه ، ويسرت للعالم المسيحي فرصته الأولى الجديدة في استعادة بعض أرضه

من المجتمع ، حضارة ومجتمع يتحديان عقائد العالم المسيحي وقيمه .
ولقد كان الفرس على حضارة كذلك ، ومع ذلك فلا تجد من المؤلف مثل هذه المواجهة ، ومش هذا الأسى . وقد نسي المؤلف أن العرب لم يكونوا « برابرة » بل كانوا مؤمنين أتقياء عدولا حرروا الأمبراطورية من الاستعباد الاقتصادي والديني

يقع الكتاب في اثني عشر فصلا ، الأول : وصف الجزيرة العربية وجيرانها ، والثاني : الرسول ، والثالث : الغزوات الأولى ، والرابع : الحروب الأهلية ، والخامس : الأمبراطورية العربية ، والسادس : الثورة العباسية ، والسابع : ضعف الخلافة ، والثامن : الفرقة الإسماعيلية ، والتاسع : نفوذ الأتراك ، والعاشر : رد فعل العالم المسيحي ، والحادي عشر : فكبة المغول ، والثاني عشر : حضارة الإسلام في العصر الوسيط
هذه الفصول ليست مفصلة ، لأن الكتاب كله عبارة عن مائتي صفحة أو تزيد قليلا ، فهي إذن أشبه بنظرات عامة ، أو استعراض سريع للقوى المختلفة التي ظهرت على المسرح السياسي في التأريخ الوسيط . الفصول الأولى حتى الفصل الرابع تمثل ظهور الإسلام وانتشاره في عهد الرسول والشيخين أبي بكر وعمر ، ثم النزاع على الحكم وما ترتب عليه من فتن وحروب أهلية وبخاصة في خلافة

ولد في ضوء ساطع من التاريخ، فقضية لا يمكن تأييدها لأننا لانملك اليوم شاهدا معاصرا على ذلك. إن معرفتنا بمحمد مستمدة من القرآن، ومن الحديث، ومن السيرة. وفيما يختص بالقرآن فلا يوجد أى باحث غير مسلم يشك في أن القرآن من تأليفه الشخصى his personal composition، وأنه الوحي الذى زعم أنه تلقاه من عند الله خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته. فالقرآن في نظره ليس مصدراً يرضى عنه لحياة الرسول. أما السنة فهي كما يقول: «إن إقامة حياة الرسول على الحديث كن يبنى هذه الحياة على الزمان» (ص ٢٢). وبهذا هدم صحة الحديث بحجة قلم.

الآن يجب من ذلك أنه يعتمد على السيرة كصدر تاريخي له قيمة أعظم ويمكن الاعتماد عليها أكثر، بحجة أنها تقدم لنا سيرة كاملة عن محمد في صورة خبرية.

وليس لنا أن نناقش مثل هذا المؤرخ الذى يعجز عن التمييز بين المصادر التاريخية الثابتة الصحيحة، وبين المصادر غير الثابتة أو التى تقل درجة صحتها. وكيف يجوز عالم باحث في القرن العشرين على الشك في صحة القرآن مصدراً لحياة الرسول، وقد انتهى معظم المستشرقين إلى هذه النتيجة، بل إن بعضهم رفض كل مصدر آخر ولم يعتمد سوى

المسلوبة، وإعادة بعض النفوذ في البحر الأبيض، (ص ١٢٥).

لم تكن إذن الثورة الإسماعيلية في صالح العالم الإسلامى، ولكنهما، كما أفصح المؤلف، تخضع أغراض المسيحيين، وقد نص على ذلك حين أوضح أن المسيحية استطاعت أن تستعيد بعض الأرض والنفوذ. الحق أن الدهوة الشيعة من أسامها يحوطها للنفوذ، وقد سجل التاريخ قصة عبد الله ابن سبأ اليهودى الذى كان يدعو إلى (على) في حياته وزعم أنه إله، وغلا في شأنه، حتى اضطر إلى القبض عليه ونفيه. والإسماعيلية وما شابهها من فرق، تعد بما تتخذه من دعوة باطنية سرية، وتعاليم مستورة، خارجة على الإسلام وصليبا في هدمه. من أجل ذلك نجد المستشرقين يحملون بهذه الدعوة، ويتقبعون تاريخها، ويؤيدون تعاليمها، ويضعونها مع أهل السنة وهم الغالبة العظمى من المسلمين في مستوى واحد.

وأخطر من هذا كله أن المؤلف يسلها صراحة أن الإسلام ليس ديناً سماوياً. هذا مع العلم أن بعض المستشرقين في الوقت الحاضر قد هدلوا من موقفهم وأخذوا يعدون الإسلام ديناً والقرآن كتاباً. يقول المؤلف (ص ١٩): «أما دهوى (ربثان) أن الإسلام كان الدين الوحيد الذى

كان يتحنن ويتعبد على طريقة الحنفاء .
ونحن لا ندرى (هوية) المؤلف الدينية
أهو مسيحي أم يهودي ، ولكن عبارات
المدح والثناء التي نظمها لليهود ، والعبارات
التي سالت على قلبه حين كتب عن طردهم من
الجزيرة العربية بعد سقوط خير في حياة
الرسول ، كل ذلك يفضح ولا شك هويته
الصهيونية . وإليك نص هذا الرثاء :

وهكذا طويت صفحة تراجيدية في تاريخ
اليهود بالجزير العربية ، صفحة شعب القس
ملاذا في أرض جدباء من اضطهاد الباليين
أو الرومان . وهو شعب على الرغم من إبعاده
عن التيار الرئيسي لليهودية ، ظل يحتفظ
بطهارة الإيمان ، وأسهم بنفوذه الصامت
مؤيدا بالنهرانية في القضاء على آلهة العرب
القديمة ، ولقد تأثر محمد إلى الأعماق بتاريخهم
القديم ، وديهم ، وأسفارهم المقدسة ، وشعائر
عبادتهم . . . الخ ، (ص ٣١) .

ومن هذه العبارات يتكشف تحالف
الصهيونية مع الاستعمار في تشويه حقائق
الإسلام .

أحمد فؤاد الأهواني

القرآن كما فعل الأستاذ (بلاشير) مثلاً ، وغيره .
هذا الكاتب - إذن - إما جاهل ، وإما
مضلل ، وإما أنه يجمع بين الجهل والتضليل .
فإن أمثلة جملته قوله : إن محمداً ولد بين سنتي
٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ولو كان عالماً مثبتاً لقال : بين
٥٧٠ ، ٥٧١ . وإن محمداً لم يكن ينتسب
إلى الطبقة (الأرستقراطية) ، أو د الملاء ، في
قريش ، بل إلى قبيلة أقل في مستواها
الاجتماعي ، وهي قبيلة بني هاشم . والذين لهم
أدنى المسام بتاريخ العرب يعلمون منزلة بني
هاشم في القبائل العربية ومبلغ شرفها .

ومن أمثلة الجهل الفاضح مع الافتراء
والتضليل قوله (ص ٢٥) : « ومن آلهة
العرب ثلاث : اللات والعزى ومناة . وقد
أهلن النبي فجأة أنه تلقى وحياً يحيز عبادتها .
وبعد فترة قصيرة اهتمف أن الشيطان خدعه ،
وجعله ينطق بهذه الآيات التي نصحتها بوحى
صحيح يؤيد وحدانية الله ، . ولو كان عند
هذا المؤلف أدنى علم بالتاريخ الإسلامى
والديانة الإسلامية ، لعرف أن النبي عليه
الصلاة والسلام ، ما ينطق عن الهوى ، إن
هو إلا وحي بوحى . وأنه عليه الصلاة والسلام
عصم عن عبادة الأصنام التي عليها العرب في مكة
طيلة حياته ، وأنه قبل نزول الوحي والرسالة

الكتاب

الإسلام والعقل
للكنوز عبد الحليم محمد

للاستاذ مصطفى عبد الواحد

جعل له عنوان « السجود » ، الإمام الشافعي
والفكر اليوناني ، ثم إخفاق الفلسفة .

والقسم الثاني في علم الكلام وفيه فصول
ثلاثة : الفلسفة وعلم الكلام - علم الكلام
الراهن - علم الكلام فيما ينبغي أن يكون .

ومباحث الكتاب كما ترى طريفة ، يمتزج
فيها المؤلف بالجديد ، أو أنها مسائل من
العلم القديم تحمل الطابع الذاتي للأدب الذي
درس الفلسفة في باريس بعد أن استكمل
ثقافته الإسلامية في الأزهر الشريف .

وقد كنت أحب أن أكتفي في هذا المجال
بعرض فكرة الكتاب أو تلخيص آرائه ،
ولكنني وجدت في الكتاب بعض البحوث
الموجزة التي تحوي أحكاما صادمة أو آراء

هذا الكتاب على إيجازه ، يعرض لقضايا
ذات أهمية بالغة في الفكر الإسلامي ويناقش
مسائل من الفلسفة والعلم يحتاج استيفاء
القول فيها لمطولات واسعة .

ولكن الهدف الأصيل الذي جعله المؤلف
في كتابه هذا أمام عينيه : أن يقنع القارئ
بحقيقة كبيرة هي أن الدين بطبيعته يعتمد على
التقديس ويخاطب في الإنسان حاسة روحية ،
والتعمويل على العقل في هذا المجال أو إلقاء
الزمام إليه يؤدي بالإنسان إلى مآهات تجنبه
طريق الصواب .

وقد قسم المؤلف كتابه إلى قسمين : القسم
الأول في الفلسفة ويحوي أربعة مباحث :
القرآن هاد للعقل ، موقف المسلم من الدين وقد

يحذره المؤلف من إعلان أن الإسلام يخاطب العقل ويستثير فيه التفكير المستقيم ، كما قال الله سبحانه : « قل إنما أهلكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ، ثم تتفكروا : ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (١) . إن ما يحضاه المؤلف من ذلك أن يقال : إن الإسلام قد جعل العقل حكماً على الدين : « ويلتهى ذلك لا مناص بأن يكون العقل هو القاسم وليس الدين ، وذلك قلب الأوضاع وانحراف عن الصراط المستقيم » (٢) ، ويرى المؤلف أيضاً وما يراه حق : « أن القرآن لا يستشير الإنسان في أية قضية من القضايا التي جاء بها الوحي » (٣) وكل هذه المحذورات لا تتأتى من القول المذكور ، إذ أن اقتناع العقل مرحلة سابقة للإيمان وبعدها يتبع المسلم دينه ويسلم وجهه إلى ربه ، بعد أن أيقن بأن ذلك هو الحق ، وتلك خطوة يقوم بها العقل الإنسان في كل اتجاه يتجه إليه في حياته .

* * *

(١) سورة سبأ .

(٢) ص ٩ .

(٣) ص ١٤ .

قد يعسر فهمها على أصحاب الثقافة الإسلامية المحدودة ، أو يتمكن من تأويلها على غير وجهها ذوو الأغراض السيئة .

ومن هنا آثرت أن أشير إليها مبدياً الرأي أو مستنقهاً الصواب .

١ - في الفصل الأول أراد المؤلف أن يحدد مفهوماً جديداً لصلة الإسلام بالعقل غير المفهوم الذي يردده كثير من الدعاة في العصر الحديث وهو أن القرآن كتاب العقل ، وأنه دهوة لتحرير العقل من قيوده ، فذكر المؤلف حدود الصلة بين الإسلام والعقل وبعد أن بين أن الدين جاء هادياً للعقل في مسائل معينة ، هي ما وراء الطبيعة ، والأخلاق والتشريع ، وأن القرآن لا يناقض العقل ولا يعسر عليه فهمه ، ذكر أن القرآن نزل في حقيقة الأمر ليقود الإنسانية نحو الكمال الروحي ... « وما دام الأمر كذلك فليس للعقل إلا التسليم والخضوع والخضوع ، أو بتعبير أدق : السجود ، وهو ليس بسجوداً تعسفياً أو تهكمياً ، وإنما هو سجود مصدره الإيمان اليقين بأن هذا من عند الله » (١) .

فما دام الأمر أخيراً يعود إلى اقتناع العقل بأن هذا الدين من عند الله ، فما الذي

من « ونيك ، فصحة له الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلق الدكتور هـ ، ذلك بأن الكلمة التي أبدلها البراء بن عازب ، بحسب منطقنا وعقلنا تكون سالحة ، ولكننا لا نرى بعقلنا ومنطقنا إلا الشكل الظاهر ، أما مواطن الأمور أما أسرار الكلمات ، أما حكمة الأوضاع المحددة ... فإننا لا نصل إليه بمنطق البشر .

ويبلغ من حذر المؤلف من التسليم بدور العقل أن يؤول الآيات التي تأمر بالتدبر والتفكير والنظر بأن المراد بذلك الاعتبار فيقول : « وكل ما ذكره من التفكير والنظر والتدبر إنما أراد به الاعتبار ، وأراد أن يقول : تفكروا اتروا أن ذلك هو الحق ،^(١) .

وهو نفس المعنى الذي يقصده من يقولون : إن الإسلام دين العقل ، دون تأويل .

لأن كل ما هناك أن الدعاء الذي عليه الرسول لبراء بن عازب قطعة مختارة من أدب النبوة العالي ، ويمكن العقل أن يدرك يسر لماذا أثار الرسول صلوات الله عليه كلمة فيليك بدل رسوله في هذه الجملة ، وذلك لتجنب التكرار في كلمة رسوله وأرسلت ، ليصبح لكلمة أرسلت معنى يزيد على مجرد التأكيد اللفظي .

ولذلك لم أر وجهاً لقول المؤلف يصف السلف الصالح : « لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ويمثلونه القائد الحكم المهيمن ،^(٢) فإن الإخضاع يعني تأني النص على الفهم أو مناقضته للعقل ، وليس في الإسلام شيء من ذلك ، والآيات المتشابهة لا تمثل إلا مناطق لم يسمح فيها الوحي بالكثير من التفاصيل وليست مشا كل يقف أمامها العقل أو تعسر على الاقتناع .

٢ — ويعد المؤلف في الفصل الذي جعله عنوانه (السجود) بمعنى ترك تحكيم العقل في الدين طائفة المعتزلة من خلفاء إبليس ، فهم في نظره لم يسجدوا لله بسجود خضوع وإذعان ، فلم يسجدوا له إلا شكلاً .

والمثال الذي ذكره المؤلف تأييداً لقوله لا يمثل هذا المعنى الذي أراد ، إذ يذكر أن البراء بن عازب أخطأ في دعاء عليه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به قبل نومه فقال : « ورسوله الذي أرسله ، بدلاً

ثم لا يجد مناصاً من الإقرار بأن مدرسة الشيخ محمد عبده إنما هي مدرسة اعتزالية في مبادئها وأصولها ، وهي مدرسة اعتزالية في غاياتها وأهدافها ، ذلك أنها تضع قضايا

(١) ص ١٤ .

(٢) ص ١٥ .

عصره ، وحفاظاً على الإسلام الذي تكالبت عليه قوى الشر في هذا العصر ، وفي الحق أن هذا الرجل قد كسب للإسلام أنصاراً ما كان يفلح معهم منهج التسليم ونبد التفكير ، بل كانوا يعملون من هذه الدعوة إلى الإذعان وإخضاع العقل وسيرة أخرى للصد عن الإسلام والنمى عليه .

وفي رأي أن الشيخ محمد عبده لم يكن مفتوناً بالعقل ، ولكنه اضطر إلى ذلك السبيل في عصر كانت الحضارة الحديثة تخاليل للناس فيه بشعارات براقة من البحث والاقتناع ، باستعمال لماذا وكيف ...

وقد فقه الرجل دينه وأدرك صلابته ، وعرف أنه لا يضيق بالبحث ولا يتخرج من النقاش والاقتناع ، فجلى الأمة الإسلامية هذه الحقيقة ، وأظهر لأعداء الإسلام خاصية الإسلام الفذة ، ووقف يناطح بالحجة والدليل ، ولا نريد أن نقول : إنه لم يخطئ في بعض جزئيات تفكيره ، أو لم يبالغ بعض الشيء في منهجه ، ولكننا نلفت الأنظار إلى تقدير دوره أو محاسبته بظروفه وموقفه من عصره وقومه .

* * *

الدين في ميزان عقلها فتتبنى وتثبت حسباً تقتضيه الأمواء والنزعات^(١) .

ثم يرى أن المدرسة العقلية في الدين لم تسجد لله سجود خضوع وإذعان ، وإنما سجدت للعقل وعبدت العقل^(٢) .

والمعتزلة أيا كان الأثر الذي تركوه في التفكير الإسلامي ، كانت لم أخطاؤهم التي أنكرها عليهم جهود الأمة ، في حرية عقلية وحوار استمر طويلاً ، وكل مسلم يستطيع أن يدرك حساب المعتزلة من الخطأ والصواب ، ورغم ذلك فإنهم لا يهتمون في خضوعهم لرهبهم أو ولائهم لدينه ، فما فعلوا ذلك إلا اجتهداً للدفاع عن الإسلام في عصر استشرى فيه العقل العربي للجدل وشاعت فيه الثقافات المختلفة ، ولم يعد مجرد الإذعان كافياً للإقناع ، فكان لابد من البحث في حقائق كثيرة ، ذلك البحث الذي حمل طابع عصره وتميز بخصائصه . وبرغم أخطاء المعتزلة في التفكير فقد كانت لهم حسناتهم العديدة في قوة الاحتجاج للدين والهد عنه أمام تيار الإلحاد والزندقة .

كذلك فإن الشيخ محمد عبده لم يخرج النهج العقلي في البحث في الدين إلا استجابة لحاجة

٣ — ومن هذا القبيل يرى الدكتور أن علماء الكلام الإسلاميين : يعبرون عن

(١) ص ٣٢

(٢) ص ٣٢

« قد وصل إيمانها إلى درجة يشبه أن يكون معدوما ، وما ذلك إلا لتغلغل النهج الوثني في بحث قضايا الدين ومبادئه ... » .

وهذه معركة جديدة يثيرها المؤلف ، حله عليها يقينه الصادق وتصوفه العميق ، وهي لا شك دفعة عاطفية نحمد الباعث عليها ، ولكنها ليست رأيا تحمد عقباة ، إن الأمة الإسلامية قد أثبتت وجود الله سبحانه بالأدلة العقلية ، استجابة للحاجات العقلية المتفارطة ، فتح معرفة المسلم لربه بفطرته إلا أن الأدلة العقلية تزيد إيماننا ويقينا : « أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، والقرآن نفسه قد استدلل على وحدانية الله سبحانه بأدلة عقلية رغم بدايتها ، وصدق الشعور بها ، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، « كما أشاء إلى إثبات الوجود بقوله : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، . وليس الإسلام بالذي يضعف الإيمان به حين يوضع موضع البحث ، بل هو كالجواهر الرقيق لا يزيد النظر فيه والتأمل في حسنه إلا جمالا وبهاء .

وبعد : فإن كتاب الدكتور هبيل الحليم محمود ، نفحة روحية يفتتح بها أهل الصفاء ، تشمله كله غيرة على الإسلام وحب له ، وحسب

نزهة بشرية تقحم نفسها في الوحي بصورة تحاول أن تكون مقنعة ، (١) .

والدراسة التاريخية لعلم الكلام تبين أنه نشأ كحالة علمية للاحتجاج على عقائد الإسلام بالطريقة التي عرفها المسلمون من دراسة الفلسفة ، وقد كان على المؤلف بدلا من التزمي عليهم أن يبين لنا على وجه الإجمال موقف المسلم من كل ثقافة أو علم ينتشر في بيئته ، هل من حقه أن يحدد موقف دينه منه ؟ أم السبيل أن يقفل على نفسه دائرة لا يسمح فيها شيئا ولا يحس بشيء ؟

٤ - — ويبقى بعد ذلك أن المؤلف يرى أنه لابد من حذف مسائل ثلاث من علم الكلام ، هي القدر ، والصفات ، ووجود الله ، ومن العجيب أنه يرى أن الإسلام لم يحجج لإثبات وجود الله وإنما جاء لتوحيده ، وأن « الآيات الكثيرة التي يظن بعض الناس أنها نزلت لإثبات الوجود فليست من ذلك في قليل ولا كثير » (٢) .

وأن نهج إثبات وجود الله عقليا منهج وثني ، وهو الذي أتاح الانحراف الكامل ، أي إنكار وجود الله ، وأن الأمة الإسلامية

(١) ص ٤٧ .

(٢) ص ٩٦ .

وحسان بن النعمان الأزدي، وهوسى بن نصير.
ومنهج الكتاب في الترجمة لمؤلاء القادة :
هو عرض حياة كل منهم بإيجاز ، وبيان
دوره في الجهاد ، ومنزله في القيادة ، وحديث
التاريخ عنه ، و عرض لمحات للجوانب
الإنسانية البارزة في حياته .

والكتاب كما نرى يجمع بين جانب التاريخ
والأحداث وبين جانب التراجم والتعريف ،
فن الممكن اعتباره تاريخاً للفتح الإسلامى
للغرب العربى ، ومن الممكن كذلك النظر
إليه على أنه تراجم لقادة هذا الفتح .

وقد سار المؤلف على المنهج العلمى
في تحليل الأحداث ونقد الروايات ، فعرضها
على مقاييس الاجتماع وقوانين البيئـة حتى
يقضى إلى الرأى الذى يستريح إليه ، وقد
اعتنى - وهو من رجال الحرب - بتحليل
أسباب النصر والهزيمة والكشف عن قوة
الخطـة وضعفها ، وذلك ميزة جديدة ينفرد
بها بين كتب التراجم والتاريخ .

بروف عليه الصوم

لفضيلة الأستاذ عبد الحميد كحيل
وكيل الدعوة بأوقاف الجزيرة
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر
يقناول هذا الكتاب تفسير سورة يوسف

التارىء المسلم ذلك في كتاب يتحدث عن
الإسلام

قادة فتح المغرب العربى

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب
الناشر : دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت
الجزء الأول ٣٥٠ صفحة .

يعرض هذا الكتاب لتاريخ الفتح الإسلامى
لأقطار المغرب العربى من خلال عرضه
لتاريخ قاداته ..

والقصد منه - كما يقول المؤلف - أن يذكر
أهل المغرب في أقطاره كافة كيف دخلت
العربية إلى بلادهم ، وكيف انتشر الإسلام
في ربوعها ، أو كيف ضحى آباؤهم وأجدادهم
بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ..

وقد بدأ الكتاب بمقدمة موجزة عن
الناحية الجغرافية للغرب العربى، عن الموقع
والسكان ، وعن الناحية التاريخية للغرب
قبل الإسلام ، وبعد ذلك اتجه إلى موضوعه ،
وهو الحديث عن القادة العامين الذين تم على
أيديهم الفتح الإسلامى لأقطار المغرب ،
وهم : عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ومعاوية
ابن حـديج السكونى ، وعقبة بن نافع
وأبو المهاجر دينار ، وزهير بن قيس البلوى

السكريم ، ولا نجشهم هناك المصطلحات الغامضة ومكابدة المشقة في فهم مقاصد الآيات ، وفي نفس الوقت لا نوجز القول في التفسير حتى يصبح حلا للفردات ، لا يحمل عبء ولا يكشف حقيقة .

إن كتابنا السكريم بحاجة إلى جمهور العلماء كل في ميدانه ، ليربطوا النفوس بمعانيه وينيروا الآفاق بسنائه .

* * *

المقابلة مع القارئ

تفسير الآيات الغامضة

تأليف محمد علي حسن الحلبي

دار الفكر ببيروت ٣٠٠ صفحة

ورد هذا الكتاب من مؤلفه إلى مجلة الأزهر ، وقد استوقف عنوانه نظري ، إذ أن المتشابه من القرآن يعني الآيات غير القاطعة الدلالة على معنى بذاته، والتي يجتهد العلماء في بيان المراد منها أو يفوضون حلها إلى الله سبحانه ، ولكن القرآن لا يحوى آيات غامضة كما يشير عنوان الكتاب ، إذ أن الغموض معناه الخفاء ، بمعنى ألا يتضح من الآيات معنى قاطع أو غير قاطع .

ويعرض قصته من خلال التفسير ، فهو نظرة إلى قصة يوسف بمنظار القرآن الكريم ، بعيداً عن الروايات المدسوسة والأخبار المستزيدة .

وقد اعتمد المؤلف في هذا التفسير على أشهر التفسيرات القديمة ، ولكنه يصرح في المقدمة أنه مزج بين أقاويل المفسرين بحيث لا يمكن نسبة كل منها إلى قائله ، وتوخى في ذلك فائدة القارئ ومتعته ... وأضاف إلى ذلك ما اهتدى إليه من فهم وفكر .

والطابع الذي يتميز به هذا التفسير لسورة يوسف هو العناية بمجانب العظمة والاهتمام بالمعزى الخلقى والنفسى الذى تشير إليه الآيات ، تمهيداً مع مقاصد الهداية في قصص القرآن ، والمؤلف بذلك يؤدي واجبه أيضاً فهو من رجال الدعوة العاملين .

وقد ختم المؤلف تفسيره بالعبر والدروس التى ينتفع بها من عرض القرآن لقصة يوسف بهذه الصورة مبيناً جوانب العظمة أيضاً في حياة هذا النبي الكريم .

والحق أن هذا الاتجاه القريب من نفوس جماهير المسلمين في هرض معانى القرآن جدير بالاهتمام فالحاجة إليه ماسة ، حتى نصل أبناء الأمة الإسلامية جميعاً بمنابع الهداية في القرآن

ويدلنا على أن المؤلف قد أخطأ التوفيق
بتمرضه لتفسير القرآن دون استكمال العدة
لذلك ما نشير إليه في إيجاز ما نبأ فيه عن
الصواب :

وعجبت بعد ذلك حين رأيت المؤلف يبدأ
كتابته بتفسير الفاتحة مع أنها سورة محكمة
لا متشابهة ولا غامضة ثم يعرض تفسير
آيات من سور القرآن على الترتيب من البقرة
حتى سورة هود .

١ - يقول في تفسير الآية : « مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا ، أى مثل هؤلاء المنافقين
كمثل أصحاب الذي استوقد نارا ، يعنى طلب
إيقاد النار وهو موسى بن عمران . . (فلما
أضاءت) يعنى فلما أضاءت الشجرة التى كلم الله
تعالى منها موسى بالعلم والهداية (ما حوله)
يعنى أضاءت على موسى ومن حوله ومن
بنو إسرائيل بأن أنقذهم من يد فرعون ،
(ذهب الله بنورهم) أى بنور الهداية ، وهذا
تخطيط لا يحتاج إلى رد .

ومع أن فهم القرآن والنظر في معانيه حق
لكل مسلم ، إلا أن ادعاء العلم بتفسيره
وإذاعته على الناس ينبغى أن يصحبها شئ من
التهيب والإجلال لقداسة هذا الكتاب
الكريم ، وقد كان كبار علماء السلف الصالح
وأئمة الهداية يفرهون أن يقولوا فى القرآن
بآرائهم فيه لكون . وأقل ما يقال فى هذا
المجال أن العلم بلغة العرب وإجادة علوم الحديث
وحسن التلقى عن أئمة التفسير أبسط شرط
لمن يجلس من المسلمين مجلس تأويل القرآن
وتفسير آياته .

٢ - وفى تفسير قوله سبحانه : « ثم أتوا
الصيام إلى الليل » يرى المؤلف أن المسلمين
أخطأوا فى إفتارهم فى الوقت الحاضر ، فهم
يفطرون وقت غروب الشمس ، ولا يسمى
هذا عنده ليلا ، بل لا يكون الليل إلا عند
الظلام وظهور النجوم ، ولا يجوز الإفطار
إلا بعد غروب الشمس بنصف ساعة ،
وكذلك يفسر قوله تعالى : « ولا تبashروهن
وأنتن عاكفون فى المساجد ، أى ولا تنكحوا
نساءكم وقت الصلاة والدعاء ، فإن الله نهى
عن النساء وجماعن فى أول وقت من الليل

ولكن المؤلف - كما يقدمه لنا كتابه
نفسه - لا يعرف من البلاغة والبيان
أكثر مما يعرفه طلاب المدارس المتوسطة
ليس إلا - ومع ذلك جاء بمتشابه القرآن
وجعلها فى متناول الجميع كما يقول . وهو
أيضا - كما يقدم لنا نفسه - (سأل الله الثواب
فأعطاه علم الكتاب ، والجنان فعله تفسير
القرآن فهو علم لذي لا نظير له فى كتب
التفسير . .) .

وذلك خاص في شهر رمضان أى من وقت الإفطار إلى بعد صلاة العشاء بساعة . ثم آمنوا ثم كفروا ، مع أنها واضحة الدلالة في أنها تعنى المنافقين ولا ذكر فيها لليهود ويدل على ذلك سياقها وما بعدها من الآيات . وقد وقع المؤلف بذلك في تحريم الحلال وفي التلبيس على جمهور المسلمين في أمر دينهم .

٣ - ومن ذلك تفسيره قوله سبحانه : (إن الذين آمنوا ثم كفروا) بأنهم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا وهبدوا المعجل

وهكذا يسير المؤلف في كثير من الحالات وأقل ما يقال في هذا الاتجاه أنه اعتماد على الظن في تفسير القرآن وقد للاستعداد الأولى لمن يضع نفسه في هذا الموضع الخطير .

مصطفى عبد الواحد

من وصايا الحكماء

لقى رجل حكيمًا فقال : كيف ترى الدهر ؟
 قال : يخلق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويقرب الخيبة ، ويباعد الأمنية .
 قال : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به منهم تعب ، ومن فاته نصب .
 قال : فما الغنى عنه ؟ قال : قطع الرجاء منه .
 قال : فأى الأصحاب أبر وأوفى ؟ قال : العمل الصالح والتقوى .
 قال : أيهم أضر وأردى ؟ قال : الغنى والهووى .
 قال : فأين المخرج ؟ قال : سلوك المنهج .
 قال : وما هو ؟ قال : بذل الجهود وترك الراحة ، ومداومة الفكرة .
 قال : أوصنى . قال : قد فعلت .

انبثاء وآراء

وبعض المسلمين يرحل إليهما مسافراً نحو ثلاثين كيلومتر ، والمناسبتان الجامعتان للمسلمين ببولندا هما : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، ففيهما يشهد المسلمون الرحال إلى هاتين القريتين فليس في العاصمة مساجد .

وقال سيادته عن التعليم بين أبناء المسلمين :

ليس للمسلمين لغة خاصة ، وإن كان في هاتين القريتين مسنون يلقنون أبناء المسلمين القرآن بالعربية ، وإن كانوا لا يستعملونها في غير ذلك ، لذلك كانت الصلاة تؤدي مترجمة في معظم الأحوال .

ورجاسياده الزائر أن يتفضل المجمع فيعمل على الاتصال بالجهات المسئولة في بولندا ليستفيد أبناء المسلمين من منح المجمع . وبعثاته التعليمية .

ووعده السيد الأمين العام الزائر بالنظر في رغباته وتقديم ما يمكن تقديمه من منح وكتب دراسية في العام الدراسي ٦٧ / ٦٨ وترجم إلى اللغات المحلية لمسلمي بولندا .

استقبل السيد الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية السيد: (علي ردا تسكي) عضو الوفد التجاري البولندي ورئيس مسلمي بولندا الذي يزور الجمهورية العربية المتحدة .

ودار الحديث بين الزائر الكبير والسيد الأمين حول ما يمكن أن يقدمه الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية لمسلمي بولندا ، وأبدى الأمين العام رغبة الأزهر في التعرف على أحوال المسلمين في بولندا ومدى القميلات التي يمكن أن يقدم المجمع في ضوئها مساعداتهم ، وهي مساعدات شاملة تجمع بين البعثات التعليمية ، والمنح الدراسية بالأزهر والكتب الثقافية .

وقد وصف السيد الزائر أحوال المسلمين في بلاده فقال : إن عددهم محدود ويعيش نحو أربعين في المائة منهم بقريتي : كروششتان ونجتنسكي ، وفي هاتين القريتين مسجدان الأمر الذي ترتب عليه ألا يصل أكثر المسلمين الجمعة ما عدا ما كنى هاتين القريتين

الحياة إلى تطور البحث العلمى فما بالنال انهم
بوضع (دائرة معارف قرآنية) تهتم بإبراز
الجوانب العلمية التى تضمنتها الآيات القرآنية
فتفسر الآية تفسيراً شاملاً كاملاً من النواحي
الدينية ، والتاريخية والنفسية والقانونية
والاقتصادية والجغرافية وغير ذلك .

وهذا العمل سيكون أكرم عمل تقدمه
هيئة إسلامية من الهيئات التى فيط بها بيان
الثقافة الإسلامية ومدىها بالطاقة التى تكسبها
نفس فاعليتها الأولى :

وإن عملاً ، كهذا يحتاج إلى لجنة تمثل فيها
الخبرات العلمية فى كل جانب من فنون البشرية
وعلمها وبذلك نقول : إننا قد أسدينا إلى
الإسلام خدمة ، وإلى المسلمين معروفاً .

على على الختاني

مجلة الأزهر :

نسارع فنؤكد للسيد / على على الختاني أن
هذه الرغبة أثرت باقتراح شامل قدمه
إلى مؤتمر مجمع البحوث الثالث هذا العام السيد
الدكتور عبد المعين خان عضو الوفد الهندى
بالمؤتمر ومدير المعارف العشائية بمحيدر آباد
ولا شك أنها رغبة ستجدى قلوب المسئولين
وذوى الكفاية استجابة مباشرة .

وشكر السيد الزائر الأمين العام مينا
جدوى هذه المنح فى انتفاع المسلمين فى بلاده
مستقبلاً منها ؟

حول دائرة معارف قرآنية

كتب السيد على على الختاني إلى المجلة يقول :
إن القرآن الكريم كان وما زال يكون
الأساس الذى يقوم عليه البناء الإسلامى ؛
لهذا كانت عناية المسلمين ببحثه تفوق عنايتهم
بأى أمر آخر سواء ، وكانت نتيجة ذلك
ذخيرة علمية تضمها آلاف المكتتب فى الشرق
والغرب على سواء ، وما زلنا نلح آثار
القرآن الكريم واضحة فى بعض الدساتير
العالمية مثل القانون الفرنسى ، وبعض الهيئات
الألمانية تطالب بأن يتضمن القانون الألمانى
نصاً يبيح تعدد الزوجات كذلك امتد أثره
الكريم إلى الناحية الأدبية ، ويرى ذلك
واضحاً فى آثار الشاعر الألمانى دجوت ، .

ولما كان العلماء الذين اشتغلوا ببحثه ذوى
اهتمامات مختلفة بجوانب علمية مختلفة اختلفت
تبعا لذلك - مناهجهم ، وإن لم يقصروا جميعاً
فى توضيح المعانى المقصودة .

وبما لا شك فيه أن العلوم قد ازدهرت
فى هذا القرن ازدهاراً عظيماً ، ودفع تطور

تفسير الفخر الرازي

وكتب الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر
مفتش اللغة العربية ببور سعيد كلية يرد فيها
على منكري إتمام الفخر الرازي لتفسيره ،
وهو الموضوع الذي يقوم بدواسته دراسة
علمية موضوعية الأستاذ (على العماد) يقول
الأستاذ أحمد عبد اللطيف :

لعل الشبهة التي عرضت للبعوضين
أو الشاكين في نسبة التفسير للفخر تعود
إلى تركه ما اعتاد قوله في نهاية تفسير كل
سورة ، لكن كل ذي بصر بالأساليب ،
والأسلوب هو الإنسان، تمكنه من التعرف
على روح عرضه ، وطريقة بحثه ، وحسن
تأنيبه في التأويل وبراعته الفائقة في دفع
المعترض .

إن منهج بحث الفخر ، يدل عليه ،
ولا يمكن تقليده ، أما قولهم : إنه فسر
إلى سورة الأنبياء ، فإن طريقته في الاستدلال
بالنخبة مطردة واضحة ، وهي طريقته
المنهجية التي اتبعها في كتابه . من مفاتيح
الغيب ، والتي لم تتخلف في أي جزء من
أجزائه الثمانية الضخام ، وقد أمكنني استخلاص
طريقته بخصائصها التي أبرزها فيما يأتي :

أولا : اتجاهه إلى التأويل ، وإيراد المعنى
على وجوه يؤكد بعضها وينفي البعض .

ثانيا : قوة محجته على مني ما يريد نفيه .
ثالثا : استطراده عند تحقيق مسألة علمية
لغوية أو منطقية أو نحوية .
رابعا : نزعة التجريدية الصوفية في تفسيره
آيات أسرار الكون .

خامسا : عنايته بالفحوى في نهاية مطافه .
هذه الخصائص - وغيرها تدل على وحدة
المنهج في تفسيره إذا عمل القارئ البصير
بصيرته فيتعرف على حقيقته من بين سطوره
أحمد عبد اللطيف بدر

● خصصت إدارة الأزهر مسع وزارة
الأوقاف مائتي واعد ومدروس أزهرى
لنشر الوعى الدينى والقيم الروحية بين
جنود وضباط القوات المسلحة .

● اعتمد الاتحاد العام لعلماء المساجد
برنامجا لإحياء لىالى شهر رمضان
المعظم بجميع مساجد القاهرة والمحافظات
وتبلغ المساجد التي يتم ذلك فيها اثني
عشر ألف مسجد موزعة في جميع
أنحاء البلاد .

تعد المراقبة العامة لرعاية الشباب بالأزهر مشروعا لإقامة أربعة معسكرات عمل عقب عيد الفطر المبارك في كل من الوجهين : القبل والبحري لأربعمائة طالب من المعاهد الأزهرية الثانوية للسماحة في مشروعات تعمير البيئة المحلية على أن يتم الطلبة احتياجات المعاهد أولا من التعمير والإنشاء .

اهتمت في مشروح ميزانية الأزهر الجديدة ٢٠٠ ألف جنيه لإنشاء معبدتين جديدين للأزهر في كل من مدينتي دسوق بمحافظة كفر الشيخ ، وشبين الكوم بمحافظة المنوفية ثم تجديد عدد من المعاهد الأزهرية الأخرى .

صدر في ١٥ / ١٢ / ١٩٦٦ قرار رقم ٤٠٨ بتحقيق رغبات ستة وسبعين ومائة مدرس من مدرسي المعاهد الأزهرية في الانتقال إلى أماكن اختيارهم على أن يتم إخلاء طرفهم عقب انتهاء دروس يوم الخميس ٢٢ / ١٢ / ١٩٦٦ ليتسلخوا عملهم في المعاهد المنقولين إليها صباح السبت ٢٤ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

أعدت إدارة الأزهر برنامجا لإلقاء دروس في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالجامع الأزهر ، يتخللها ندوات شعرية طويلة شهر ومضان ، وذلك في فترتين من كل يوم تبدأ الأولى بعد صلاة العصر . والثانية بعد العشاء ، ويقوم بإلقائهما نخبة من أساتذة الأزهر على رأسهم الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

تجرى المراقبة العامة لرعاية الشباب بالأزهر مسابقتها الأدبية التي اعتادت إقامتها بين جميع طلاب المعاهد الأزهرية الثانوية . وتتناول المسابقة الموضوعات الآتية :

حفظ وتجويد القرآن الكريم ، الشعر والخطابة ، المقال والقصة ، صحافة الحائط والزجل . . وهذه رابع مسابقة لها فقد بدأت بأولى مسابقاتها عام ١٩٦٣ وتقوم المعاهد حاليا بإجراء المسابقة في مستوى المحافظات . ثم ترفع نتيجة اختباراتهما إلى المراقبة في أواخر شهر إبريل ليتم اختيار الفائزين في مستوى الجمهورية .

في محيط العالم الإسلامي

- تلقى الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر دعوة من الفيسخ (ضياء الدين خان) مفتي مسلمي الاتحاد السوفيتي ورئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان - لزيارة مسلمي الاتحاد السوفيتي ، وقد وعد فضيلته بالنظر في طلبه .
- انتهت في الشهر الماضي أعمال المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية الذي رأسه الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ، وقام فيه بأعمال الأمانة العامة الأستاذ الدكتور محمود حب الله الأمين العام للمجمع ، واتخذ المؤتمر عدة قرارات وتوصيات هي الآن محل رعاية المسئولين .
- أعدت إدارة الثقافة الإسلامية التابعة لمجمع البحوث الإسلامية للطلبة الوافدين الذين لا يجيدون العربية ، ويرغبون في استكمال دراستهم بالأزهر : معاهده وكتباته - دروسا خاصة في اللغة العربية والشريعة الإسلامية لتمكينهم من تحقيق رغباتهم .
- بلغت منح إدارة البعوث الإسلامية التابعة للمجمع للطلاب الوافدين من مختلف بلاد العالم الإسلامي ثنتين وستائة منحة دراسية للعام الحالي ١٩٦٧/٦٦ م
- بلغ مجموع الطلبة الوافدين إلى الأزهر هذا العام ١٩٦٧/٦٦ م اثنتين وستائة وأربعة آلاف طالب انتسب إلى جامعة الأزهر منهم سبعة وألفا طالب ، وإلى المعاهد الدينية خمسة وتسعون وخمسمائة وألفا طالب :
- من الوطن العربي ١٩ دولة ٧٢٢ طالبا بالمعاهد الدينية ، ١٣٢٧ بجامعة الأزهر من إفريقيا ٢٨ دولة ١٤٢٤ طالبا بالمعاهد الدينية ، ١٣٦ بجامعة الأزهر من آسيا ١٨ دولة ٣٦٨ طالبا بالمعاهد الدينية ، ٥٢٨ بجامعة الأزهر من أوروبا والأمريكيتين ١٣ دولة ٨١ طالبا بالمعاهد الدينية ، ١٦ بجامعة الأزهر .
- ويقيم جمور هؤلاء الطلبة بمدينة ناصر للبعوث الإسلامية حيث تتوفر لهم

في العالم الإسلامي والعربي يشرف عليها
الأزهر الشريف .

الرعاية الطبية وتقدم لهم وجبات غذائية
كاملة وتشرف عليهم لجنة تسهر على راحتهم .

● طلبت حكومة (أفغانستان) من هيئة المطابع
الأميرية بالقاهرة إمدادها بأنواع خاصة
من الحروف المشككة تمهيداً لإصدار طبعة
جديدة من القرآن الكريم بأفغانستان .

● حققت الوفود العربية نصراً كبيراً
في اجتماعات اللجنة الإدارية للمنظمة
«اليونسكو» الدولية بباريس ، فقد
وافقت اللجنة على استخدام اللغة العربية
داخل المنظمة اعتباراً من الدورة القادمة
للتوتمر العام لليونسكو التي ستعقد
في نوفمبر ١٩٦٨ تمت الموافقة بأغلبية
خمسین صوتاً ، ومعارضة إحدى عشرة
دولة ، وامتناع عشر عن التصويت
ستتكفل الكويت بتغطية نفقات
المشروع وقدرها ٨٠٠ ألف دولار .

● زادت بعثات مجمع البحوث الإسلامية
للعالم الإسلامي هذا العام عن ذی قبل
وزودت تلك البعثات بالمسكتبات الثقافية
وقد بلغ مجموع أعضاء البعثات من مدرسی
المعاهد والوعاظ ستين وأربعائة أستاذ ،
ومن جامعة الأزهر تسعة وأربعين أستاذ
ذهبوا إلى سبع وثلاثين دولة بين إفريقية
وآسيوية وأوروبية وأمريكية .

وتعنى هذه البعثات بأداء رسالتها المقدسة
في نشر تعاليم الإسلام واللغة العربية ،
كما تؤدي جهداً مشكوراً في سبيل توثيق
العلاقات الودية بين هذه البلاد
والجمهورية العربية المتحدة وقد أثمرت
هذه الجهود عن افتتاح عدة معاهد دينية

على القطيب

youth, so that he passes this stage unpolluted is worthy of being under the shadow of Allah on the day when people are brought together before Allah.

The third type is represented by the man who loves places of worship so much that the call to prayer to God touches him to the heart, and rouses his exaltation of God, and his submissiveness to Him, even though with his own free will. He rejoices that he is going to commune with Allah in his prayer, his mind being conscious and prudent, his tongue reminiscent and thankful and his heart extremely faithful. To God he has ever devoted his prayer, his devotion, his life and his death. And he shall be under the shadow of Allah at the Hour of Doom which none may retard.

The fourth type is represented by two men who loved and obeyed God; which led them to loving one another faithfully; a love in which they met and in which they parted. This Hadith exhorts us to make the sake of God and His worship the motive behind our love and hate, so that one should establish strong relations with those who, like him, are faithful and love God and His Apostle, not those who do evil and cherish indecent feelings. Happy are those who seek good example, to follow and who do right; for this is to their own advantage on the Doomsday.

The fifth type is that of a man who resisted temptation into sin matched against him by a beauty that not only turned heads, but also had the power to avenge her pride if once it is wounded. Though he might have yielded to the seduction of the charms at his disposal, like Joseph, he said "Allah forbid". Such a man whose passion melted with fear of God is an example of the miraculous education of Islam, and on the Appointed Day, shall be under the shadow of Allah.

The sixth example is that of a man who guarded himself against sham goodness and hypocrisy. He gave charity, but behind a thick veil of concealment; thus he secured the poor man, to whom he gave this charity, dignity and respect rather than exposure.

Everyone should virtually contrive to free his acts from whatsoever may render them false or imperfect. God's reward should be dearer to him than any other consideration, that he may be under the shadow of God on the Day of Last Judgement.

The seventh and last example is that of a man who, once alone, recalled God to his mind and then, out of love, faith, contemplation submissiveness or fear, he wept. For the sake of these tears he shed, he shall be forgiven his sins and richly rewarded on the day when no excuse will help the evil-doers...

From the Tradition of the Prophet :

Under the Shadow of Allah

By

SOLIMAN BARAKAT

The Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, said :

“Seven men shall be under the shadow of Alla on the day when there is no shadow but His : an equitable imam ; a youth who grew up in the worship of Allah ; a man whose heart clung to mosques ; two men who loved one another in their love of Allah, so that in this love they met and in it they parted ; a man whom an influential and beautiful woman called on but he said, “I do fear Allah” ; a man who gave charity in such secrecy that his left hand never knew what his right hand spent ; and a man who in loneliness recalled Allah to his mind, and then his eyes filled with tears.”

In this Hadith, the Apostle of Allah demonstrates to us seven types of people whom Allah is well pleased with and will reward richly. Anyone possessed of their qualities shall be sheltered and protected on the day of Reckoning, when the Judgement of Allah, lies in wait.

The first type is that of the equitable imam. By an imam, or leader, is meant any person entrusted with the observance of any good or interest of Muslims. The Prophet demonstrates this type of men first on account of the responsibilities confided to them and the prevalence of their help if they are just and straight. And the term is applied not only to political or religious headmen, to generals or instructors, but in fact to anyone who undertakes a common welfare. These, then, should fear God and be fair and straight that they may be under the shadow of Allah on the Last Day.

The second type is represented by the youth who grows up in the worship of God. He loves God, recalls Him to his mind, submits himself to His commandments and rejects His interdicts. He prefers the tranquillity and peacefulness of his heart, through worshipping God and seeking His consent, to indulgence in wordly wishes and bodily desires. Such a man who retains his chastity in the critical stage of

helplessly buried the same way as the poor, the quantity of pigmentation that colour the skin deep near the equator and light near the poles, nevertheless, distion of colour, race and creed are unknown to Islam and God rewards or punishes people according to their virtues or vices.

Equality in Islam is clearly marked on friday noon where people stand for prayers, the poor in close shoulder to the rich and the white beside the black in straight lines, where the guiding prayer must be the most religious man in the assembly regardless colour or wealth. Bilal, the Abisinian muslim, was elected mayor of El Medina by the prophet during a certain war, and all the Muslims welcomed the election because the faith and spirit of Islam was warm in their hearts.

Before Islam, slave markets were at large and the rich was free to purchase as many women as he could afford, but Islam teaches equality as men and women come from the same essence, possess the same soul and they are equipped with the equal capability for intellectual and spiritual attainments. Islam places man and woman under like obligations - the one to the other. The Quran says :

فاستجاب لهم ربهم لاني لا اضع عمل عامل منك

من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ...
(آل عمران ١٩٤)

(And their Lord hath heard them (and He said) : Lo ! I suffer not the work of any worker, male or female, to be lost. Ye proceed one from another).

Muslim women are in the same level with men as they are rewarded or punished the same as the good and the bad men. A married couple partly confide on one another, and partly on their parents, but at the loss of their parents, they fully confide on each other and in case one of them is lost, the other would feel the shock of separation by death very badly.

A muslim man may marry a girl of the scripture who should not be forced to Islam against her wish unless she fully believes in the faith. As the Quran declares :

ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...
(البقرة ٢٥٥)

(There is no compulsion in religion. The right direction is distinct from error).

If the son is muslim, he has to keep up with his faith and fulfil all the obligations of Islam in full and then to obey his parents in other matters if they are not muslims. The Quran says :

وإن جاهدك على أن تترك بي ما ليس لك به علم
فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً (لقمان ١٤)

(Continued on page 12)

Estimation of Mankind in Islam

BY : ALY OMAR FADEL

Arabs worshipped statues of certain mortar in gigantic forms, beautiful shapes and marvellous colours. The farce of worship is a big redicule as the elements of the statues are only water, mortar, colours and art which are far from being heavenly as they are obtainable from the earth, made by man.

Islam bade the Arabs to realise the one God with a complete submission to the Divine control in the mode of conduct of life and obedience of laws revealed by the Qur'an.

The big miracles of the Qur'an that survive as it is delivered through revelations to Muhammed for the development of human faculties, illuminated the hearts of the companions of the prophet. They were the nucleus for spreading Islam all around the world to restore the true faith and eradicate clouds of ignorance, infidelity, dishonesty, unchastity and libertinism that were hanging over the whole world.

A needy muslim crossed the desert to meet the kaliph. He entered the mosque where the Kaliph was doing his prayers. After his prayers, the kaliph started to

ask God compassionately for health, safety, preservation of his children and so many other requests that took a long time. After doing his own prayers, the man did not hesitate to return to his country as he preferred to work hard and ask God for help instead of asking the kaliph for help.

The Almighty God raised the position man to a large extent for obliging the Angels to kneel down for Adam who is posted vicegerent of God on earth.

• وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ... [البقرة ٣٣] .

(And when We said unto the Angels : Prostrate yourselves before Adam, they fell prostrate, all save Iblis).

Islam started from the Arabian Peninsula, and the Arab chieftains resisted that faith which forbids the strong to enslave the weak, the rich to look down upon the poor and the white to disdain the black.

The rate of worthiness of man is not esteemed by the ample means of monetary situation, the variety of ranks and artificial superiority of their bygone predecessors who are

What is more promising and fills our hearts with confidence and hope is that the Arab peoples led by the U.A.R. have decided through God's help to restore their right and glory and have attained the means that will help them to accomplish their cherished aims. They have already covered a long way towards this end, accomplished justice; equality and eradicated monopoly and exploitation. Through God's blessing and help they continue to walk along the path of welfare and progress with a fast pace, exerting all possible effort to raise the standard of individuals and communities and accomplish reform in all spheres of life.

In this same context, it is noteworthy to underline an aspect which is of great influence in reforming individuals and societies alike. It is an essential part of man's spiritual formation which no authorities nor positive laws can develop without spontaneous impulses on

the part of individuals and communities, impulses springing from the depths of their conscience, and purity of heart, coupled with sincere support from those in charge of education and the youth, and those interested in guiding communities and deepening their faith in God. This aspect is "straight forward character and pure conscience".

This is the best safeguard against error and flagrant vices such as cheating, bribery, corruption and dereliction of duty, brutal aggression, subversive movements, treachery and other vices that prevent nations from attaining perfection.

We entertain high hopes that those responsible for the education of the rising generation will do their utmost to infuse these sound principles in their minds and to fill their hearts with faith and noble character.

If they do they will contribute much to the cherished progress and reform.

(Continued from page 14)

(But if they strive with thee to make thee ascribe unto Me as partner that of which thou hast no knowledge, then obey them not. Consort with them in the world kindly..).

Islam commands the freedom of thinking by applying what is right and denying what is wrong, nevertheless, there are certain people who lack any personality and are easily persuaded to adversities for

lack of deep thinking and love of lust and exorbitance.

The call of the Qur'an is basically addressed to intelligent understanding; it invites man to look at every thing in the universe and to reflect upon it. The true faith at heart enables man to be a first class undefeated warrior, and he can live in a happy and stable life.

themselves of the yoke of slavery. Others again have attained a relative measure of maturity. It is incumbent on these countries, therefore, to get together, close their ranks and stand as one man against imperialists and the covetous, for imperialists, apart from strength, depend upon their unity and depend them selves through co-operation, to commit aggression despite their various aims and intentions. Developing peoples should, therefore, confront such vile co-operation by co-operating for good, charity and development as nothing "can cut iron but iron."

If such people wish to keep pace with development and progress, they must form a front of themselves aiming at their good and social justice in order to accomplish liberty, glory, honour and dignity. By God's help they will go along the right path and will prosper in the near future.

As for the Arab and Islamic peoples, they have long been dominated by the imperialists and foreign rulers who frittered their countries away, divided their ranks, and suppressed their breath till they became weak, almost oblivious of their former glory. They lost most of the noble qualities inculcated in their minds by Islam, as well as

the principles of power, dignity and noble character.

Now, they have risen from slumber, with pure blood running in their veins, urged by the memory of their past glory and the feeling of having had an influential position.

The most effective way of restoring their former glory and status is by resorting to the three sources already mentioned so that they may develop the element of good, truth, sympathy and benevolent nature and proceed with strong will towards the accomplishment of the message God has entrusted to man as His vicegerent on earth. This message can be fulfilled by giving due attention to production, construction, and the exploitation of the rich resources of the Arab world for the good and benefit of all Arab Nations, their friends and all peace lovers. It behoves the Arabs to close further the bonds of co-operation among them in pursuance of God's words. "And hold fast, by the Rope which God (Stretches out for you), and be not divided among yourselves."

Their word would thus be one, and their aims become clearer to the whole world and they would go forward to attain dignity, security, justice and set up their life upon firm and sound foundations.

and the spectre of a greedy oppressive war stirring their fright and shaking the earth under their feet.

This is largely due either to ruinous greed and exploitation which dominate their mind, craving for money which dims their sight and conscience, or to the cruel hearts which have no pity on suffering humanity, being void of sympathy and missing the path of right and good or is due to the two causes combined. After tasting the ill-effects of their conduct, these nations tried to make amends for what they committed.

They advocated principles of liberty, fraternity and equality but they soon denied these principles and fulfilled nothing of them, instead, they enslaved the free, subjugated the weak and the defenceless people whom they deprived of all means of power. Their principles thus turned into flagrant evil. Liberty developed into slavery, equality into humiliation, fraternity into injustice and aggression.

This is because the true spiritual education in these imperialist countries is neglected and public interest is thought of only when all the gains are for them, and where they get the lion's share of them.

Let these countries be indulged

in their excessive oppression and obsessed by their gross injustice untill such time as they are awakened by the currents of liberty and consciousness that have prevailed all the rising peoples, only their will they be brought back to reason; and follow the path of good and right either voluntarily or under compulsion.

2 — As regards underdeveloped nations, they have long suffered the yoke of imperialism. Their riches being plundered and the sources of their wealth and power exhausted, illiteracy and poverty were spread in them far and wide. They were exploited by imperialists and deprived of the mere sustenance that may keep them alive.

They almost lost the feeling of being human and of their right to live, to be free and respected. These peoples have already seen their riches being exploited by the imperialists, the exploiters and those revolving in their orbit.

The fate of those peoples may be attributed to their weakness, negligence or slavish subordination to imperialists, their agents and supporters who exploited their national resources. Some of these countries are backward, others are progressive, diligently following the path of development after they have rid

required. Islam also urged diligence and constant endeavour to produce and to construct for the welfare of man and society alike.

Just as God made man his vicegerent on earth, He also made him heir to dispose of that He has bestowed on him in the way of wealth and riches. God the Almighty says : "Believe in God and His Apostle. And spend (in charity) out of the (substance) where of He has made you heirs."

So Islam considers the rich as guardians of wealth which actually belongs to God.

Being heirs to wealth does not mean hoarding it up; monopolizing or exclusively appropriating it, but rather using it for the benefit of the society, in order to aid the needy, feed the hungry and help the poor.

If people act according to those teachings in their financial dealings, in distributing wealth, preventing monopoly, and properly investing and promoting their riches, they will thrive and society will prosper with them.

That is the frame which Islam has drawn up for an ideal life. It is a formula which ensures good for peoples; communities and individuals. It also ensure the prevalence

of justice, equality and love, eliminates poverty and backwardness and lays a firm foundation for the dignity cherished by humanity.

This Islamic ruling has proved a great success in reviving muslims during flourishing Arab eras. Progress was comprehensive then and science so advanced that peoples near and far benefited by it. Arab capitals were the cynesure of many people; due to the spirit of Islam, its principles and directives which gave an impetus to the establishment of justice, equality, fraternity, love and mercy. Islamic civilization was a source of radiation to all peoples and nations of the world. Security prevailed and liberty was assured for all people of different religions.

Will muslims now restore their former glory ? when ? and how ?

To prove the way for answers to these questions we should be well advised to cast a glance on peoples of different levels of progress or backwardness, then revert to the Islamic nation to consider its present and look forward to the glorious future we hope for it.

1 — As for the countries known as progressive, thinking they have a big share of civilization, we find unrest still prevailing all through them, greed threatening their being

The Spirit of Islam is the Chief Factor in Reforming Contemporary Society

BY

Prof. ABDUL HAMEED HASSAN

(Continued from the October 1966 issue)



One of the most important aims of man's message in life is to amass riches, being a symbol of wealth. This, however, is a two-edged weapon. It is necessary for the needs of life and people but, if misused will turn into great evil.

That is why Islam objected the domination of capital and reminded of evils that might arise from the hoarding up of wealth, depriving the society of its benefits, and concentrating it in the hands of a few feudalists. Gracious God Says : "And these are those who bury gold and silver And spend it not in the way of God; announce unto them a most grievous penalty".

And Says : "In order that it may not (Merely) make a circuit Between the wealthy among you".

Money or wealth in general is the main cause of the struggle between man and himself, between himself and others. It is a severe hot struggle with himself because

of his love for material things and his passion that prompt him to love wealth and crave for riches. He is in constant strife with others because of his love to appropriate wealth to himself. His quest for riches in order to satisfy the greed of his soul or unsatiated bestial instincts may incline his heart towards the pleasures and luxuries of life, thus weakening his search for noble aims and lofty ideals. His absorption in money gathering blinds his sight and directs him towards aggression and strife with others, and so he overlooks the elements of a contented soul and the motives of seemly conduct, eventually suffering destruction.

That is why Islam urged charity and generosity and encouraged them in many ways. It regulated the financial policy of the state in the interests of the poor and needy. Alms giving (zakat) was thus ruled at prescribed rates which may be increased if public interest so

Another reason why Ramadan is important to Muslims is because the Quran says: "Ramadan is the month wherein the Quran was revealed." This is the holy book which is a guide for all mankind. The 27th of this month, Lailat al-Kadre, is described in the Quran as a night "better than 1,000 months" in which the angels descend free from every commission, and which means blessings until the appearance of the red of dawn. This night comes during the last ten days of the month which many Muslims spend in seclusion, usually in a mosque, not leaving it day or nights and perform the special prayers of Ramadan, the Salat al-Tarawih; these are eight or twenty Rakats performed every evening immediately after the Isha prayer.

After the last day of Ramadan, the "Id al-Fitr" (festival of the breaking off the fast) is celebrated on the 1st Shawwal and the following two days. On the first day the Salat el-Id, is celebrated in the open air between sunrise and the moment when the sun has reached its zenith. As this marks the end of the period of fasting, it is, although called the "Minor festival", celebrated with much more festivity

and rejoicing than the "major festival"; with people putting on new clothes, visiting and congratulating and bestowing presents on one another.

It is at this time that the Zakat al-Fitr must be paid if it has not been paid during the period of fasting. This is the obligatory gift of provisions which, according to Tradition, was ordered by the Prophet in the year 2 A. H. and fixed as regards the amount. It has to be given by every free Muslim for himself and all persons whom he is legally bound to support, a man is exempted only if he does not possess more than the bare necessities of life for himself and his family. Throughout the Muslim world the regulations about the Zakat al-fitr are observed with particular scrupulousness, for it is considered to be part of the duties of Ramadan and to serve as atonement for any involuntary negligence during this month.

Indeed it is well known that for the faster there are many joys waiting for him in Paradise and that he will be honoured there, that he will enter by a special gate and meet Allah. Let us remember all these things during the month of Ramadan and emerge from it a better and finer Muslim.

fasting is one of the five pillars of Islam. . . Shahada, Salat, Zakat, Sawm, and Hajj.

The things which break the fast are :

1 — The entering into the body of any material substance in so far as it is done conscientiously and is preventable.

2 — Deliberate vomiting, which is only permitted by doctor's orders.

3 — Sexual intercourse.

4 — Deliberate seminal emission, which is a consequence of sexual contact; in other case a distinction is made as to whether it is caused by passion or not.

5 — Menstruation.

6 — The bleeding of a pregnant woman.

7 — Unsound mind.

8 — Intoxication.

Special dispensations are granted to invalids and travellers on condition that they make restitution for it; and "if one eats by an oversight", says the tradition, "he may continue the fast because Allah himself has caused him to eat".

It is to be commended if the 'Saim' or faster :

1 — Takes the 'Fatur' as soon as possible after he is certain the sun has set; he ought preferably to use ripe dates for this or water.

2 — Eats the 'Sahur' (what is eaten after midnight) as late as

possible and uses for it the same as is recommended for the Fatur.

3 — Refrains from indecent talk, slander, calumnies, lies and insults.

4 — Avoids such actions as, although not actually forbidden, might arouse passion in oneself or in others.

5 — Refrains from being bled.

6 — Tastes no food.

7 — Chews nothing edible.

8 — Thanks Allah after the day of fasting.

9 — Recites the Quran.

10 — Forms a special intention (Niyya) before fasting each day.

One should also remember that fasting consists in not only refraining from eating and drinking, but from all mean desires and worldly thoughts, in keeping one's organs of sense members free from sin and from all things that detract from Allah. Everything should be avoided which might affect the result of the fast; for example, at the 'Iftar' one should not eat more or far better than usual and one should not sleep during the day to avoid feeling hunger or thirst, for they fight the power of the passions. Subjection of the passions, where by the soul is brought nearer to Allah, is the real object of fasting, not mere abstinence. Tradition says: "How many fasters there are for whom only hunger and thirst are the results of their fast."

THE SIGNIFICANCE OF 'RAMADAN'

BY

RASCHIED AL-ANSARI

'Ramadan' is the holy month of all Muslims in which they fast by the divine command of Allah. For one lunar month, from dawn til dusk, nothing is eaten or drunk in this ninth month of the Muslim calendar. This month is like no other in the year, there is an atmosphere and feeling about this month that can not be mistaken. . . a mixture of piety and gayety for at this time a Muslim comes very close to Allah.

Piety because of the high esteem in which fasting stands with Allah, this is pointed out by Al-Ghazali and he gives a reason for this tradition that fasting is a passive act, no one seeing men fast except Allah; also it is a means of defeating the enemy of Allah, because human passions, which are Satan's means of attaining his ends, are stimulated by eating and drinking. The passions "are the places where Satan lives in abundance and where he feeds; so long as they are fruitful he continues to visit them often, and so long as he visits them frequently, the Majesty of Allah is concealed from His servant and he is shut off from meeting with Him. The Prophet

of Allah even says : "If Satan did not fly around the hearts of men they would readily think of heaven". Fasting is therefore "the gateway to divine service".

Gayety because fasting in Ramadan is the most fitting atonement for sins committed in the course of the year. Tradition says : "Fasting on one day in Ramadan is better than thirty days in a holy month", and "the scent of the breath of a fasting man is more pleasant to Allah than the scent of musk". Allah compares one who denies his passions for His sake with His angels and says to him : "Thou art with Me like one of My angels", and He urges His angels to regard those who fast.

Fasting, Sawm, in Arabic originally meant "to be at rest". It also has the meaning "Silence", for in a Meccan Sura a voice commands Mary to say "I have made a vow of Sawm the Merciful, wherefore I speak to no one this day". Fasting in the legal sense is abstinence (imsak) from things which break the fast and there is an obligation to fast on every Muslim adult, for

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
من لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم
كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ،
فالآن باشرؤهن وابتغوا ما كتب الله لكم ،
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام
إلى الليل » (البقرة ١٨٧)

“It is made lawful for you to go unto your wives on the night of the fast. They are raiment for you and ye are raiment for them. Allah is aware that ye were deceiving yourselves in this respect and He heth

turned in mercy toward you and relieved you. So hold intercourse with them and seek that which Allah hath ordained for you, and eat and drink until the white thread becometh distinct to you from the black thread of the dawn. Then strictly observe the fast till night fall...”

Surah II Verse 187.

In fact, fasting in Islam does not simply imply abstaining from food and drink and refraining from evil, but also teaches man the ways leading to suppression of the tendency to evil and improving the tendency to good.

Sayings of the Prophet

« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن . »

“Fear Allah wherever you may be and cause the good deed to follow the evil so that it may be expiated thereby, and treat people in a kindly way.”

« لا يبلغ الرجل درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس . »

“Man will not attain to the exalted position of the pious until he refrain from the mere permissible lest he be tempted by it to lapse unto the forbidden.”

« من طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء . »

“Whoso seeketh the world within the bounds of the lawful and according to the dictates of virtue, will be reckoned in the same category as the martyrs.”

power to renounce unlawful gratification. Thus he can guard himself, morally and spiritually against evils. As every faculty of man requires training to attain its full force, the faculty of submission to the Divine will should also require to be trained. In addition to that moral and spiritual achievements fasting has its physical advantages.

It accustoms man to a life of hardship and frugality, so that he may not be too much given over to ease. But also exercise a very good effect upon health in general. The prophet Muhammed (peace be upon him) teaches that hunger is the best cure to many ailments; this is a well-known fact proved and defended nowadays by medical authorities. The fasting creates power of will and patience in man and teaches him the lessons of self control and keeping system in all walks of life. It will help him to keep his duties and to face difficulties of life. In fact, the fasting creates discipline and unity of intention and action among the Muslims; and they acquire the power to suffer tribulations and adversities which they must face in defence of their Faith, culture, freedom and unity.

As regards those who are temporarily sick or on a journey during the month of Ramadan, included in

this class are the women who are with child or who breast feed their child; they shall fast a like number of other days. Those who cannot keep the fast on account of persistent or long-standing disease or who are too old or weak, they shall give away the measure of one man's food to a man in need every day during the whole month. This practice is definitely stated in the following verses of the Quran :

« أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَعَلَى
الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . » - البقرة ١٨٤ -

“(Fast) a certain number of days; and (for) him who is sick among you, or on a journey, (the same) number of other days; and for those who can afford it there is a ransom : the feeding of a man in need — But whoso doeth good of his own accord it is better for him : and that ye fast is better for you if ye did but know — ”.

Surah II verse 184.

The duration of each day of the fast is from dawn to sunset. Nothing whatsoever is allowed to be eaten or drunk; sexual intercourse is also strictly forbidden, within that duration. As the Holy Quran says :

soul that inclines man to evil doings or tends to lead him into immoral paths and it is the primitive nature of man which is prone to transgression at certain age in his development. As long as he is devoid of high moral qualities, the evil nature is predominant in him and he will continue to be subject to this state.

When he frees himself from the control of animal passions and is guided by wisdom and knowledge he then passes the physical stage and becomes a moral being in the strict sense of the word. He then walks in the light of true natural upright. The source of the moral conditions of man is called in the Qur'an as « النفس اللوامة » (the self-accusing soul or conscience). The Qur'an says : « ولا أقسم بالنفس اللوامة » (Nay, I swear by the accusing soul..) surah LXXV, verse 2. By this stage he changed from the disobedient to the self-accusing soul. It up braids a man for the doing of an evil deed and strongly huts unbridled passions and bestial appetites. At this stage the soul is anxious to attain to moral excellence and revolts against disobedience which is the characteristic of the first or the animal stage of man. The duty of this soul is to generate noble qualities and to transform life so as to bring the whole course and conduct of it to

moderation and to restrain the carnal passions and sensual desires. The third stage is to reach the soul on attaining to the source of all spiritual qualities; then it is called « النفس المطمئنة » (the soul at peace). The Holy Qur'an describes this soul as follows :

« يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

«But ah ! thou soul at peace ! Return unto thy Lord, content in His good pleasure ! Enter thou among my bondmen ! Enter thou my Garden!» surah LXXXIX, verses 27-30.

Fasting, as prescribed in Islam, has its physical, moral and spiritual advantages in the three fold conditions of man. Before, Islam, fasting meant the suffering of some privation in times of mourning and sorrow. In the Bible it is stated that fasting has in all age and among all nations been an exercise much in use in times of mourning affliction. All the institutions of Islam are actually practical steps leading to perfect purification of the soul. The fasting is aimed at that man may learn how he can shun evil. The Qur'an declares: « لعلكم تتقون »

«Ye may ward off (evil)» or you may guard against evil doings. Because he who is able to renounce the lawful satisfaction of his desires in obedience to Divine Commandments, certainly acquires the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Sha'bân
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

November
1966

FASTING IN ISLAM

BY

A. M. Mohiaddin Alwaye



Fasting is a universally recognized institution and an old worship prescribed in all religions. In Islam it is one of the fundamental practical ordinances. The Holy Qur'an says that fasting was enjoined on all nations who passed before the prophet Muhammad; But Islam has introduced a new meaning into the fasting. It is enjoined in Islam for the moral elevation of man and for his spiritual development. This object is made clear in the following verse of the Qur'an :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

« O ye who believe ! Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that ye may ward off (evil) » Surah II verse 183.

It is plainly stated in the concluding words of this verse that the object of fasting is that he may be able to guard himself against evils physically, morally and spiritually. For Islam has dealt fully with three conditions of man, namely the physical, the moral and the spiritual. This three fold condition of man is the three stages of his development. The Holy Qur'an mentions three springs out of which these three conditions are flowing. The first of them is, as termed in the Qur'an, « النفس الأمارة » which signifies the uncontrollable soul (the soul prone to lust and evil). The Qur'an says about this kind of soul: « إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ » (Lo! the (human) Soul enjoineth unto evil) Surah XII, verse 53.

This is the characteristic of the

مَجَلَّةُ الْإِنْهَارِ

مجلة شهرية جامعة

بِقِصْدِ عَنِ شَيْخَةِ الْأَنْزَهَرِي (وَنَظَائِرِهَا)

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

«العنوان»

إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«بدل لا اشتراك»

٥٠ في المبرزة لعمرية لمغة
خارج المبرزة

وللمدسين الطلاب تخفيض خاص

الجزء السابع - السنة الثامنة والثلاثون - رمضان سنة ١٣٨٦ هـ - ديسمبر ١٩٦٦ م

السلامة العامة

الثَّوَرَاتُ بَيْنَ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ

بقلم

أحمد حسن الزيات



من الخلط بين الحيوانية والإنسانية في بني آدم ؛
فالإنسان باهتباره حيوانا تحكم فيه غريزتان :
غريزة حفظ الحياة ممثلة في القوت ، وغريزة
حفظ النوع ممثلة في المرأة . وأسباب المحسومة
بين الأفراد والجماعات إنما هي النزاع المستمر
على هاتين الوسيلتين ، كانت المرأة في بدء
الخلقة هي حواء ، وكان القوت في حياة الجنة
هو الشجرة ، وكانت الآخرة والطعم والحسد
هي إبليس ، وكانت الضحية لهؤلاء جميعا هي
سعادة آدم .

حاول بعض فلاسفة التاريخ والاجتماع
أن يفسروا الحروب والثورات تفسيراً
اقتصادياً فيرجعوها جميعاً إلى الجوع أو إلى
الخوف منه . ذلك لأن الجوع كافر بالأخلاق
والقيم والعواطف والقوانين والأنظمة ،
ولأن الخوف منه علته ما يصيب الأفراد
من الآثرة والشح ، وسبب ما يحمل الدول
على الاستعمار والتنافس .

ولقد جرؤ مستشرق روسي معاصر فزعم
أن دعوة الإسلام كانت ثورة على وأسمالية
قريش ! وهذا الرأي الفائل وأمثاله إنما نشأ

اعتبرناه إنسانا فإنه ينزل من خلق الله في المنزل
الوسط بين البهيم والملك ، فيكون بما دبت
مرتبطا بالأرض ، وبروحه متصلا بالسماء
وبهاتين الطبيعتين فيه يشارك الحيوان في
رغائب جسده فيثور أو يهدأ تبعاً لما يجد في
حسه ، ويشارك الملك في رغائب روحه
فيستخط أو يرضى تبعاً لما يجد في نفسه ، وكلما
بعد همه وارتفع هواه وبأ نفسه عن مواطن
الذل ، وسما بعزمه إلى معالي الأمور ، فيطمح
إلى أبعد من المال ، ويسعى لاكثر من القوت
ويغضب لما هو أشد من الفقر ، ويثور لما
هو أعظم من الجسوع : يطمح إلى العلا ،
ويسعى للجد ، ويغضب للكرامة ، ويثور
للحرية .

والإنسان يظل حيوانا ما دام يكفيه من
العيش قضاء شهوته . والريق يظل عبدا
ما دام يغنيه طعام سيده عن حرته .

ولا خير في من كان غاية همه
من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
وقد هرب الملك الشاعر الشاعر الثائر امرؤ
القيس عن المطمع الأسمى للنفس الرفيعة ،
والمثل الأعلى للحياة الكريمة ، فقال :
ولو أن ما أسمى لأدنى معيشة
كفاني ، ولم أطلب ، قليل من المال
ولكنني أسمى لمجد مؤئل
وقد يدرك المجد المؤئل أمثالي

مضى هؤلاء الثلاثة يعملون في الدنيا
ما يشاء القدر : يخلقون التنافس لتنشط عناصر
الحياة ، ويوجدون الخلاف لتتفق عوامل
الموت ، حتى قال ابن أبي الحديد في شرحه
لنجم البلاغة : « لم تسل السيوف إلا لوجهه
أصبح من وجه ، ولقمة أسوخ من لقمة » .
على أن اللقمة كانت أشد الثلاثة إيقادا للنار
الخصومة ؛ لأن الشعب أو الفرد يصاب في
حرته فيصبر ، ويؤذى في كرامته فيستكين
ويفتن عن عقيدته فيرضى ؛ ولكن إذا حرم
الرغيف انقلب ضاريا كالوحش ، جارفا
كالبركان .

وكان الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه
يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول :
« والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر » ،
يريد بالثريد الأعفر الحزب المفتوت في مرق
اللحم الغسم .

وإذا تفحصنا أسباب الصراع بين أم الشرق
وأم الغرب ، أو بين الرأسمالية والاشتراكية
لا نجد إلا السبب الذي قاله كثير بن شهاب
لغلامه ، وقد طلب منه الطعام يوما فقال له :
ما عندي إلا خبز وبقول : « ويحك ! وهل
اقتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقول » ؟ .
وكل ذلك حق لا نزاع فيه إذا اعتبرنا
ابن آدم حيوانا ليس غير ، له معدة وليس
له قلب ، وله شهوة وليس له عقل ، أما إذا

أعلى وقوة المادة من أسفل فظفرنا بإلغاء الحماية وإعلان الدستور .

ثم ثار قادة الجيش في سنة ١٩٥٢ على طغيان الملك وفساد الحكم وجور الإقطاع وتبعهم الشعب لا لأنه أصيب في شبابه وأقواته ومواسيه ، ولكن لأن وعيه كان قد نضج ، ورشده كان قد اكتمل ، ومثله كان قد هلا ، فرأى أنه أمة من الناس يصدق عليه قول الله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . ثم جرى في خواطر خاصته معنى الحديث المحدثي المأثور : (كيفما تكونوا يول عليكم) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون : أنحن من الفجر والفحش والضللال والانحلال والعفن بحيث يتولى أمورنا ملك داعر كهذا الملك ، وحاشية فاجرة كهذه الحاشية ، وحكومة فاسدة كهذه الحكومة ؟ ولكن الاجوبة التي انبعثت همسا من أفواه العامة إلى آذان الخاصة أقنعت الضباب الاحرار من قادة الجيش أن الوطن سليم ، وإنما المرض في زعمائه ، وأن الشعب صالح وإنما الفساد في كبرائه ، فخافوا على مصيره قول الله عز قوله : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ، فثاروا على هذه الحال فأخذوا ذلك الملك الخليع فألقوه في البحر ، وقبضوا على تلك

نعم ، لو كان امرؤ الفيس قد قنع من حياته بالنصيب الاخس لكفاه مخرج من الإبل أو قطع من المعز ، ولكنه ركب ماركب من غيرات الهول ، وكابد ما كابد من ويلات الحرب ، ليدرك مجدا غاب ، ويرجع ملكا ذهب . فالثورة إما أن يبعثها الخس الحيواني في الناس وإذن تبدأ بها العامة ، وإما أن يبعثها المعنى الإنساني فيهم وإذن تبدأ بها الخاصة . وسواء أبدأت بها العامة أم بدأت بها الخاصة فإنها تنتهي في الغالب إلى أن تكون ثورة القريتين جميعا . وإن انسا في ثورتنا الثانية على الاحتلال والاستعباد ؛ وفي ثورتنا الثالثة على الطغيان والفساد ، أصدق الشواهد على ذلك .

ثارت عامة الشعب على الإنجليز في سنة ١٩١٩ لأنهم استغلوا وقتلهم : سخرت قوات شبابهم وأقوات دوابهم ليمنوا بها الجيوش في الحرب ، وغصبوا حميرهم وخيولهم وبغالهم ليحملوا عليها عتاد الحرب ، فهلك من هلك من الانفس ، وضاع ماضع من الاموال ، فقتبه من كانوا غافلين من الفلاحين إلى أن هؤلاء الدخلاء الذين سلبواهم وزقهم ووثرتهم ، هم الذين سلبواهم وطنهم وحررتهم ، فصرخوا لهم بالشر ، وتفجروا عليهم بالغضب ، فقطعوا المواصلات في الطرق والآنر ، وقاتلوا الإنجليز في المدن والقرى . ثم تلاقت في هذه الثورة قوة الادب من

الحاشية المأجنة وطرحوم في السجن ،
 واتفقوا الساسة المربين فجزوهم في المعتقل ،
 وفرزوا الموظفين الغادرين ورموهم في الشارع
 ثم فتحوا باب الإصلاح والإصلاح على عهد جديد
 فيه العزة للوطن والكرامة للواطن والعدالة
 لكل مظلوم والرعاية لكل عامل والعناية بكل
 ضعيف ، حتى شعر كل مصري بأنه ارتفع إلى
 مقام الإنسان الكريم الحر ، فأرضه له وحكامه
 منه وسعيه لنفسه وزمامه بيده .

قالتورتان كما يلاحظ المؤرخ الاجتماعي
 اختلفا في الأسباب المباشرة والوسائل المؤدية
 والأيدى البادئة على حسب اختلافهما
 في البواعث المادية والأدبية ، وفي آثار تلك
 البواعث في نفوس العامة والخاصة ، ولكنهما
 اتفقتا في النتائج القريبة والغايات البعيدة

أحمد عيسى الزيات

آفة الشرق هذا الغرب

يخيل إلى من هول ما أسمع وأرى أن هذا الغرب قد مسخ حوتنا من حيثان الأساطير
 له وروس أربعة قد فغر أفواهها جميعا على الساحلين الإفريقي والآسيوي يريد أن يطبق
 فكوكها على العالم العربي بأسره ، وإنما عوق هذه الحلاقيم عن الازدراء هذا الخلاف
 الصاخب بين تلك الروس على الاقسام كيف يكون وعلى الانتقام متى يبدأ ، وإذا تصورت
 أفواج الصك حين يسوقها التيار إلى شبكة الحوت فتجزع وتضطرب ، تصورت أمم الشرق
 الصغيرة وقد روها هذا الوحش الهائل وهي وادعة في ظلال دينها ، قانعة بحلال الرزق
 من أرضها ، فتتظر إليه نظر المقتضى عليه ، تستنجد باليهود فلا تنجد ، وتستغيث
 بالموائيق فلا تنفك .

وحى الرسالة ٣ : ٧٤

الرَّسُولُ ﷺ يَصِفُ الْقُرْآنَ

للأستاذ محمد محمد المدني

عجبا يهدي إلى الرشده فأمننا به ولن نترك
ربنا أحداً ، ، من قال به صدق ، ومن حكم
به عدل ، ومن حمل به أجر ، ومن دعا إليه
هدى إلى صراط مستقيم .

وهذان الحديثان الشريفان فهما ألفاظ
وعبارات يحتاج بعض القراء إلى الكشف
عن معانيها والمراد منها .

ونحن شارحوها في قصد وإيجاز :

* قوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله » .
شبه ما في القرآن من غذاء للعقول
والأرواح ، مباح ميسر لمن قدم إليهم ،
بالمأدبة التي يدهى إليها الناس - وقد جرت
العادة بأن تكون حافلة كثيرة الحفريات ، ثم
بين بقوله : « فتعلموا من مأدبته » ، أنها
مأدبة معنوية ، فهي مأدبة علم ونور ،
لا مأدبة طعام وشراب .

* قوله : « إن هذا القرآن حبل الله » .

تمثيل بالحبل الذي يستمسك به - حذراً
من الوقوع ، فالقرآن كأنه حبل مده الله
للناس ليستمسكوا به إذا أرادوا النجاة والفلاح .

* « لا يعوج فيقوم » .

لا يمكن أن يصيبه هوج في وقت ما ،

فيما يرويه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى ، فتعلموا
من مأدبته ما استعظمت ، إن هذا القرآن حبل
الله ، هو النور المبين ، والشفاء النافع ،
هصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ،
لا يعوج فيقوم . ولا يزيع فيستعقب ، ولا
تنقض عجايبه ، ولا يخلق على كثرة الرد » .

وفيما رواه الحارث الهمداني عن الإمام علي
رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول .

« ستكون بعدى فتن » ، فقلت :
وما المخرج منها ؟ قال :

« كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر
ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ،
ليس بالهزل ، هو الذي من تركه من جبار
قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله
الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر
الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي
لا تزيع به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ،
ولا تشيع منه العلواء ، ولا يخلق على كثرة
الرد ، ولا تنقض عجايبه ، هو الذي لم تنقه
الجن إذ سمعته أن قلوا : « إنا سمعنا قرآنا

هذه إحدى خصائص القرآن الكريم ، فهو كتاب مقروء يماثل في عظمته كتاب الكون المشاهد ، لا يزال الناس يطلعون منهما على جديد عجيب ، ولذلك كلف الله الناس أن يتدبروا القرآن ، وأن يتدبروا آيات الله في الكون ، فكلاهما موصل إلى الإيمان ، وهذا تكليف موجه إلى جميع العصور ، وجميع العقول ، وقد أظهرت الأيام والحوادث والعلوم والتجربات ، كثيرا مما كان خافيا على الناس في الكون ، وفي القرآن ، وسيظهر في المستقبل أيضا ما شاء الله أن يظهر ، تحقيقا لقوله تعالى :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

• « لا يخلق على كثرة الرد » :

أى هو جديد دائما مع كثرة ترديده والتأمل فيه ومدارسة معانيه .

شبهه بثوب لا يخلق - أى لا يبلى ولا تدركه الملائكة - مهما استعمل .

• « فيه نبا من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » ،

يريد أن القرآن الكريم متضمن لثلاثة جوانب تدور حولها أمور الناس :

أحدها : إنباء الغيب عن الأمم السابقة ، والرسالات المتقدمة ، وقد جاء القرآن فيها بفصل الخطاب ، وكان كثير منها قد حرف أو طمس معالمه ، أو أخفاه أهل الكتاب عن الناس ، فلم يعد يعلمه إلا القليل .

حتى لا يحتاج إلى أن يقوم ، أى يعدل : وأنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

فليضهم هذا أولئك الذين يحاولون الخروج من أحكامهم زاعمين أنها لم تعد مناسبة لأهل العصور الحديثة ، أو للبدنيات والحضارات الجديدة ، فكأنه في أنظارهم معوج ، وهم يريدون أن يقوموا بوجهه ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، « أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ، • ولا يزيغ فيستعجب ،

معناه : لا يميل ولا يجور فى حكمه ، حتى يحتاج الناس إلى أن يستعجبوه ، أى يسترضوه ويطلبوا منه أن يكف عنهم جوره وذلك من قول القائل « استعجبته فأهتبنى » ، أى استرضيته فرضى عني .

وهو تمثيل بالحاكم الذى قد يجور فى حكمه بغيا على الناس ، كأنه عليهم غضبان ، فيستعجبونه ، أى يرضونه ، والقرآن حاكم عادل لا يكون منه ذلك ، لأنه جاء رحمة للعالمين ، وقد كان الناس من قبله ربما أذنبوا أو هتوا عن أمر ربهم فغضب عليهم وعاقبهم بتحريم شيء من الأشياء ، أو بتكليفهم ما فيه مشقة عظيمة ، كمنظف من مظاهر الغضب ، وقد سمي الله أمة القرآن رحمة وذكرى للعالمين ، وهدى وبشرى للمؤمنين .

• « ولا تنقض عجايبه ،

هى نسيج وحدهما ، تراها متميزة عن سائر الكلام مهما بلغ من القوة والفصاحة ، فلا يمكن لأى لسان ، أى لأى كلام ، أن يلتبس بها أو يلحقها .

ولأنك لتدرك جمال اللفظ القرآنى بين سواء من الالفاظ ، حتى لنحسبه الدر بين الحصى .
* ولا يشبع منه العلماء ، :

من خصائص القرآن أنك كلما زدتهم نظرا أزدك علما ، وازددت به شغفا . وكما أصغيتهم حبك ، وقبلت عليه بقلبك ووجهك إليه ثاقب نظرك ، فتح الله به عليك فتوحا وكشف لك به من أسرار الفهم والعلم ما تقر به عينك ، وتهيم به روحك ، ولذلك كان يدأب عليه العلماء فى إقبال وشغف ، فلا يشبعون منه ، ولا يملون دراسته ، لأنهم ذاقوه فمرفوه .

وفى ذلك يقول بعض العلماء :

إن القرآن الكريم قد جاء على نحو عجيب يجعله آية ومددا للبليغ فى بلاغته ، وللحكيم فى حكمته ، والفيلسوف فى فلسفته ، والاجتماعى فى اجتماعه ، والمقنن فى تقنينه ، والسياسى فى سياسته ، والحاكم فى حكمته ، والزراعى فى زراعته ، والفلسفى ، والمهندس ، والمعامل ، والمصانع ... كل واحد من هؤلاء يجد فيه ما يده على تفوقه غير العادى ، وما يشبع به نهمه العالى ؟

محمد المصطفى

الثانى : أخبار الغيب المستقبلية عما يأتى من أحداث ووقائع ، أو عما سوف يستحدثه الناس أو يكتشفونه .

وقد جاء القرآن بأخبار كثيرة تحققت حوادثها بعد عصر نزوله ، وأشار إلى أمور ومكتشفات وسنن وآفاق ما يزال الناس يطعمون عليها عصرنا بعد عصر .

الثالث : أحكام القرآن وتعاليمه ومبادئه التى هى دستور الأمة وقوانينها الكاملة التى لو ساروا عليها حقا ؛ لاستقرت أمورهم ، وسعدت حياتهم .

* « من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله » :

وحوادث التاريخ شاهدة بذلك لمن تتبع سير الطغاة ، وأخبار الجبابرة ، وحواقب أهل الانحراف عن تعاليم القرآن ، فإن نهايتهم كانت دائما خذلا أو هلاكا ، أو ضياعا ، ومنهم من أصابته القوارع ، وجعله الله مثالا للآخرين .

* « ولا تزىج به الأهواء ،

أى : لا تميل به ، ولا تستطيع أن تجرفه بقياداتها مهما عنفت واشتدت ، بل تزول هى بعد حين ، ويبقى هو نابتا شاعرا لا يتزلزل . فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكك فى الأرض ،

* « ولا تلتبس به الألسنة . »

من قولهم : التبتس به الخيل ، أى لحفته .
والمواد أن عبارات القرآن وتراكيبه ،

الإسلام والسياسة

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

المتناقضة مع الواقع أتم التناقض ، كل ذلك قد أسهم في فتح عيون السواد الأعظم من الشعوب . ولا غرو فإن الأمم مفلتة من الاحتفاظ بكثير من الجوانب الخلقية الجبلية التي أنبأنا الإسلام بأصولها وفطريتها لدى الإنسانية على الهواء ، وهذا هو سر انعطاف جميع الأمم من غير استثناء إلى تثبيت العدالة الحقيقية . وهو كذلك منشأ قوة الحاسة الخلقية في نفوسها إلى حد أن تزييفها ، أو تلويثها بيد السياسة يثيرها ، ويدفع قلوب أبنائها إلى الامتناع . وهذا ينتهي بها حتما إلى الارتياحية السياسية . ونحن نعلم أن الارتياحية في السياسة تصل بها إلى العجز والإجذاب التامين كما هو شأنها في الفلسفة أثناء هورد الشك أو (اللا أدريّة) وأن العالم الذي نحن فيه يتطلب الآن حياة قوية مفسدة أكثر مما كان يتطلبها في أي وقت آخر .

على أن هذا الاضطراب ، وتلك الفوضى الذين أصابا كثيرا من الأمم قديما وحديثا ، لا ينبغي أن يصيبا المسلمين المتمسكين بدينهم لأن الإسلام يمتاز بالاشتغال على الاتصاف

منذ الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، جعلنا نشاهد لدى الشعوب عامة نوما من التبرز والامتصاص من السياسة بتفاوت مظهرهما والتعبير عنهما كثرة وقلة بتفاوت الظروف والأحوال التي تدعو إلى تعدد الفعوض ، غير أن الأضواء الناشئة عن الأحداث ، أو المنبثقة من فضج الشعوب ، قد أخذت تنقشر شيئا فشيئا حتى أوضحت معالمها ، وجلت أسبابها ومصادرها ، فبنت أصوات واعية مسنونة ، وطفقت تعلن أكاذيب السياسة الداخلية الحزبية ونفاقها وأخطارها من جهة ، وكشفت عن وجه السياسة الدولية السكالح المرائي الذي يتحدث عن العدالة ، وهو أبعد ما يكون عن تطبيقها أو التفكير فيها . ولقد نهت هذه الأصوات المدوية المفاداة بالحذو من نفاق السياسة عددا من العقول الراجحة المثقفة إلى تلك الهوة الواسعة التي

تفصل السياسة من الأخلاق في العصر الراهن . ولو أن كلا منهما ينادى على التوالى بالعدالة المطلقة ، بل إن هذا النداء المتوالى ، وتلك الدعاية الوائفة للعدالة ، ومعاودة تناجيهما

المؤرخ في هذا الشأن ما سجله في الكتاب الخامس من (تاريخ الحرب البيلوبونية) هن تلك المحاورة الشهيرة التي دارت بين مستشارى جزيرة (ميلوس) ، وسفراء (أثينا) وهى القصة التي تحتوى على تلك الأسرار التي يضعها الساسة المعاصرون تحت عنوان « السياسة الوضعية » .

وبجملها أن جزيرة ميلوس كانت تريد أن تظل محايدة بإزاء الحرب التي اشتعل أوارها بين (أسبارطا ، وأثينا) . غير أن أحدا الجيوش الاتينية لم يلبث أن نزل إلى الجزيرة بغتة وطلب من أهلها في حزم : إما الخضوع والانضمام إليه ، وإما الحرب ، ولما كانت ميلوس ضعيفة ، فإن اشتراكها في الحرب معناه القضاء عليها نهائيا . ولهذا يسأل مستشاروها قائلين : « أهذا عدل ؟ ، فيجيبهم سفراء أثينا بقولهم : « عندما يتعلق الأمر بالقضايا الإنسانية الهامة ، لا يتحقق الخضوع للعدالة إلا إذا اقتضت ذلك ضرورة » . والقاعدة الوحيدة في هذا هي السلطان بالنسبة إلى القوى والخضوع بالنسبة إلى الضعيف ، وهنا يسأل مستشارو الجزيرة قائلين : وهل هذا الخضوع يكون مشرفا للضعفاء ؟ فيرد سفراء أثينا بقولهم : « احذروا فعندما يترك المرء نفسه ينزلق وراء كلمة الشرف ، فإنه يكون بمن تستهويهم الكلمات . أما القوى فلا يحتاج إلا إلى التبصر ، وفي كل مكان توجد فيه القوة

في العدالة بين الحياة والأخلاق ولا يتعلق الأمر إلا بما ، وبممثلينا في أن نقف هذه المبادئ الرفيعة من ديننا ، وأن نطبقها أحسن التطبيق ، والآن يجب علينا أن نبين كيف اتسعت الهوة بين السياسة والأخلاق وما هو موقف الإسلام من هذه المسألة .

لكي نفهم أن هذه الثنائية بين السياسة والأخلاق اللذين يتحدثان كلاهما باسم العدالة قد أنتجت نتائج عملية لا يمكن التوفيق بينها وبغضى الصعود على سلم التاريخ إلى عهد الإغريق الذين يصورهم (نيتشا) في هذه الناحية فيقول : « عندما نتحدث عن الإغريق ، إنما نتحدث عن الأماص واليوم ... فالحرية التي نملكها للكتابة عنهم هي التي تسمح لنا بالصمت عن قوم آخرين ، لأن الإغريق هم الذين يسرون في أذن القارئ المتأمل ما يستفيد منه ، وهم الذين ييسرون لإنسان زماننا مهمة تسجيل الأشياء التي تدفع إلى التأمل » .

ولكي نتغلغل إلى أعماق السياسة الوضعية ، ينبغي أن نتجه إلى المؤرخ الإغريق (توكوديديس) الذي امتاز بدوغة عالية من ذكاء بنى جلده ، وصفاء قرائمهم ونزاهتهم ، والذي استطاع أن يقرأ ما في نفوس الاناسي ، وأن يكشف أسراراً كبرى لولاه هو وأمثاله ، اظلت خافية بين ثنايا الزمن . وما نستفاد منه من كتب ذلك

الحكمة . ولا غرو فإن هذه الشخصية العظمى المنبعثة من فطرة أشد عظمة والتي شادت السماء أن توجد في إهريقا أثناء عصر الانحلال والتدهور الذي أفقدته تعاليم السوفسطائية التي أطلقت غرائز القوة الوحشية من عقالها وقدمت الغلبة البهيمية على الحق والاستقامة، فلم يكن يشاهد هذه الحالة الأسيئة حتى هب يقاومها بكل ما لديه من قوة ، وبدأ بنفسه لحكم قوته الناطقة في قوتية الشهوية والغضبية وبهذا قدم لمعاصريه والأجيال الآتية أصعق المثل الرائعة التي تصلح لأن تكون قدوة نموذجية للإنسانية جمعاء ، ولقد بدأ دراسته هذه باستكشاف ذلك الظل السميك الذي كاد يخفي التلاؤم الإغريقى والذي هو الحاجة إلى سيادة القوة التي لا تهدف إلا إلى تربية مادية فظة . . وهكذا صمم إفلاطون على أن يحوكل هذه الظلال السكيفية ، وأن يحل محلها طموحات سامية نبيلة وهى الأهداف الفلسفية التي استطاعت - لحسن حظ البشرية - أن تأسر عقول الشباب ، وتسحر قلوبهم . ومن هؤلاء وحدهم تألفت الأجيال المقبلة بسبب ما أقره في رؤوسهم من فكر : العدالة في ذاتها ، و الخيرية في ذاتها ، إلى غير ذلك مما صار ، بفضل تعاليمه ، مألوفا لدى الخاصة والكافة .

ومن أهم ما يلفت النظر عند إفلاطون هو أن العدالة ليس معناها التعادل بين قوتين

تقتضى الضرورة المحتومة أن توجد السيادة . ولسنا نحن الذين وضعنا هذا القانون ، وإنما هو أزلى ، حقا إن هذا القانون في اعتقادهم قاسم ولكنهم يرون أنه هو الوحيد الذى يمكن أن يقرر النظام في العالم . وهو ليس مضافا للعدالة ، لأن العدالة في رأيهم لا يمكن أن توجد إلا بين أطراف متساوية في القوة تتناوب الخدمات أو الضمانات ، لأن مصالحها إذ ذاك تتحقق في الأتبادل الهدم فيما بينها . وإذن فالعدل عندهم ليس مضادا لقانون القوة وإنما هو حالة خاصة من حالات هذا القانون وهى التعادل بين القوى المتساوية .

وفي هذه النصوص القديمة المأثورة عن الإغريقى تقبين جليا عناصر السياسة المستعملة اليوم بين السكتلتين : الغربية والشرقية . ومنشأ مناووراهما التي ترى دائما إلى الاحتفاظ بهذا التعادل ، وتلك هى السياسة المنبثقة من النقص البشرى .

ولكن لا ينبغي أن نفهم من هذا أن الإهريقى قد أجمعوا على وجوب سيادة هذه المبادئ التي ترى ضرورة تحكم القوى في الضعيف كلاً ، (إفلاطون) يلاحظ وجود هذا القانون ولكنه يصلحه إصلاحا أساسيا إذ يقرر أن على الحكماء أن يسودوا وبأمرؤا وعلى الجهلاء أن يخضعوا وبطيما ، وإلا لما وجدت في العالم مثالية ولا عدالة ولا أصبحت الصدارة للقوة الوحشية على

فظهر المجنون على أتم صوره معلنا أن السياسة شيء والأخلاق شيء آخر . وقد صور هؤلاء الوضعيون تلك القطيعة بين الأخلاق والسياسة بما أطلقوا عليه اسم السياسة الواقعية أو (الضرورة الحيوية) التي تسمح للبعض بقهر الآخرين على إلغاء ضرورة حياتهم ، وقد نجم عن ذلك أن السياسة خلت من جوهرها الأخلاقي ثم هوت بين أيدي أولئك الذين لا يرمون إلا إلى النجاح المادي الفوري أو إلى فوائد طائفة معينة ، أو إلى تحقيق مطامع لا تقف عند حد ، فصارت جهازا مفزعا ، أو آلة ميكانيكية فارغة تلتهم كل ما وصل إليه أو يصل إليها ، وتصنع شقاء الأناسي بمداومة لا تتحمد ولا تسكل .

هذا هو بجمال مظاهر السياسة الحديثة التي تعرف المداة بأنها (حفظ التوازن الضروري في منطقة أو مناطق معينة من الكرة الأرضية) ولطالما تعدت السياسة عن حفظ التوازن في أوروبا . والآن هم يرددون في كل يوم كلمة (حفظ التوازن في منطقة الشرق الأوسط) دون أي التفات إلى شقاء بعض الشعوب الصغيرة أو إلى اندحاقها في سبيل ذلك التوازن الذي لا يخرج من كونه ضروريا للقوى الاستعمارية وأيا ما كان فإن هذه القطيعة التي انتهت إليها العالم الحديث بين السياسة والأخلاق ، قد نشأت في مجموعها من ضعف العاطفة الدينية وانتصار الوضعية المادية التي أولى نتائجها

مقاسوبتين وهي أيضا لا تنحصر في طاعة قوانين الدولة مهما كانت حسنة ، وإنما هي عنده وجوب وجود إصلاح سياسي كامل تكون فيه العدالة هي الفضيلة الأساسية أي عماد جميع الفضائل أو جماعها كلها .

وكذلك (أرسطو) يحتفظ للعدالة بنفس العنصر الأخلاقي ، أي أنها هي التي يجب أن تسود كل علاقتنا مع الآخرين . ومنفذ همد مـذنب الحكيميين لم تتعارض السياسة مع الأخلاق قط ولو نظريا على الأقل بل ظلنا مترابطين في نفوس البشر ولو بالقوة لا بالفعل كما يقول الفلاسفة .

بيد أن هذا الكفاح الجدي الذي قامت به الفلسفة لتنظيف السياسة من أدرانها ، وإخضاعها للأخلاق لم ينجح في هذا التطهير كل النجاح ، بل إن هذا التبع الصغير الذي بدأ تمجيد القوة ينبجس منه في عهد (توكو ديديس) ضئيلا أول الأمر قد جعل يتسع ويمتد حتى صار نهرا للظلم والطغيان . ولكنه مثليه ، كانوا دائما يضعون الأقنعة على وجوههم السكاحية زمنا طويلا ليخفوا وحشيتهم متحكمين بالعدالة دائما خوفا من حكم التاريخ الذي لا هوادة فيه ولا رحمة . وقد ظلت الحال على هذا المنوال حتى تم انتصار المذاهب الوضعية والمادية في القرن التاسع عشر وكشف أسياعها النقاب عن نفاق السياسة ، وحطموا الزجاج الذي كان يحجبها نوعا ما ،

هي المبدأ الثاني الذي نادى به الإسلام بمبدأ التوحيد . ويذكر هذا الفريق للتدليل على غناية الإسلام الفائقة برعاية حقوق الغير تلك العبارة الإسلامية الماثورة وهي : إن الظلم الذي يقع على الناس من أفراد أو من جماعات حتى لو كان على غير معرفة من المظلومين ، يبقى عبثا على فاعله أو فاعليه ، وبطل ذلك في حقته حتى يعترف أمام المظلوم ويرد إليه حقوقه كاملة ويظفر منه بإبراء ذمته في وضوح لا يعرف المواربة ، ومعنى هذا في صراحة أن الأسف والندم النظريين لا يجديان فتيلا . وإلى جانب ذلك يدين الإسلام - في جد لا يأف اللين ولا الانحناء - روح السيادة والاستعلاء والسيطرة والفساد بأوسع معانيه أي الفساد الأدبي والمادي والفوضى إذ يقول : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . (سورة ٢٨ آية ٨٣) .

وبما هو موضع إيجاب في المبادئ الإسلامية ، أن سياسة العدوان والابتلاع التي تطاق عليها أمة العصر اسم ضرورة الحياة ، لم يفت القرآن أن يدينها ويندبها ، وينهى أتباعه عن استعمالها فيقول : وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، (سورة ٢ آية ١٩) . فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما

تقسية القلوب ، ولكن هذا الخطر الدائم يجب أن يكون بينه وبين الأمم الإسلامية بون شاسع بشرط أن تتحد فيما بينها ، وتكون قيادتها في أيدي زعماء مؤمنين ذوي كفايات ممتازة ، ووعى متيقظ وإبشار فذائي وذلك لأن الاتحاد مع حسن القيادة ، يمنح الشعوب قوة تقياها من أن تكون ضحايا الطغاة والجور ولكن هذه القوة الواقية لا تخلق ألبنة من الأمم الإسلامية جلادين ولا ظالمين لأن مبادئ الإسلام تربط ربطا محكما بين والأخلاق والسياسة لأنها تأمر معتنقيها باستعمال العدالة مع الأعداء والأصدقاء بدوابة واحدة ولا تسمح بالظلم الفردي أو الجماعي تحت عنوان أي مبرر ولا في ظل أي ظرف مهما كان ، ومن أي كان ، وضد أي كان .

وله لا يحب الظالمين ، (سورة ٢ آية ٤) . وقد غاب من حمل ظلمها ، (سورة ٢٠ آية ١١١) . ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ، (سورة ٢٥ آية ١٩) . ديا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، (سورة ٤ آية ١٣٥) من هذه العدالة التي بلغت في الإسلام أقصى حدود الشدة والعناية ، يتبين جليا أن حقوق الغير لها في هذا الدين الجليل الخالد قداسة خاصة إلى حد دفع فريقا من الأجانب إلى القول بأن هذه الحقوق توشك أن تكون

جعل الله لكم عليهم سبيلا، (سورة ٩٠ آية ٩٠). وهنا ينبغي أن نعلن سرورنا واعتباطنا ومباهاتنا بالسير على نهج القرآن في هذا ولم لا! ألم يقل رئيس جمهوريتنا: «نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا».

ولم يكتف الإسلام بمطالبة أتباعه بعدم الاهتداء على الآصين المسلمين، بل أمرهم بالمسارعة إلى إغاثة المظلومين، وأوجب عليهم المبادرة إلى مناصرة المضطهدين ولو أدى ذلك إلى الحرب في سبيلهم والقتال في صفوفهم بلا أي غرض من أغراض التوسع أو الاستعباد وإنما بغضا للباطل والجور وحبا للحق والعدل، «ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان» (سورة ٤ آية ٧٥). غير أن المروءة والرجولة والشهامة الحديثة قد شاءت للبحار بين المعاصرين - بدلا من حماية المستضعفين من الشيوخ والنساء والولدان - أن يلقوا عليهم القنابل وهم نائمون في بيوتهم فيفزعهم من نومهم ولو أن لديهم من تعاليم الإسلام ما يرشدهم إلى المعالم الباقية من الإنسانية، لحصروا الحروب في جبهاتها ميادينها.

وما يسترعى الانتباه في هذا الصدد أن الفضائل التي يأمر بها الإسلام، لاتتعلق بالجوانب المادية أو بالثبوت العملية من

الحياة فحسب، بل هي قبل كل شيء مسئولية معنوية مثالية رفيعة وهي مطلوبة من كل فرد وجهالة في الأمة، وهي لدى الحاكمين والمهمين أشدها لدى المحكومين والمسيرين، إذ أن هؤلاء الآخرين مسئولون عن أنفسهم فحسب بينما أن الأولين مسئولون عن أنفسهم وعن غيرهم كما ينص الحديث الشريف بقوله: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) أي أن رئيس الدولة مسئول عن الدولة كلها والوزير مسئول عن وزارته، والأستاذ مسئول عن تلاميذه، ورب الأسرة مسئول عن أسرته، والزوجة مسئولة عن منزل زوجها، والخدم مسئولون عن مصالح خدومهم، وبمناسبة الحديث عن مسئولية المهيمنين على الشؤون العامة وفي مقدمتهم رؤساء الدول يجب أن نعلن رأي الإسلام في احترام المعاهدات وفي الوفاء بالعهود ومصارحة الغادرين بقدرهم، والخائفين بخيانتهم وذلك كله مناف لسياسة العصر الدولية المؤسسة على الخيانة والمراوغة، والتي تقر مناقضة المعاهدات قبل أن يحف مدادها، وتعتبرها «قصاصات ورق»، وهو كذلك متعارض مع السياسة الداخلية المكونة من الوعود المصنوعة «للاستهلاك المحلي».

ومعنى هذا في وضوح أن رؤساء الدول يجب أن يكونوا شرفاء صرحاء شجعاناً في

بأن أى أمر من الأمور الداخلية لا يعضج الكلمات ، كما يقول الفرنسيون أى هو يصارحها بأسوأ الحالات وينبها بتفاصيل العجز والنقص فى الإنتاج والزيادة فى الاستهلاك ، وكذلك بإزاء السياسة الخارجية هو يعلن على ودوس الأستهاد ، وفى محطات الإذاعة (والتليفزيون) أن الدولة الفلانية من العرب قد خرجت على الإجماع ومررت من الوطنية أو أن دولة كذا أو كذا تريد أن تملى علينا شروطها ، ونحن نصارحها بأننا لا نقبل شروط أحد ولا نريد أن نخضع لاية قوة كانت فلتعظم هذه الدول ودوسها على الصنخور وأتأنا سننتصر حتما لأننا مؤمنون بمبادئنا عاملون بإيماننا ؟

المركنور محمد غمروط

صراحتم مع الصديق والمعدو على قدم وساق مع الداخلين والخارجيين على غرار واحد وتلك السياسة هى التى يرسم القرآن خطوطها الرئيسية فيقول : د ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . (سورة ٨ آية ٥٨) . د يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . (سورة ٥ آية ١) . د ولا تكونوا كالتى نقصت غزوها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، (سورة ١٦ آية ٩٢) . ونحن إذا تأملنا فى هذه السياسة الداخلية والخارجية التى رسم لنا الإسلام هياكلها الرئيسية ألفيناها - والله الحمد أولا وأخيرا - تطبق الآن فى جمهوريتنا تطبيقا يسير نحو الكمال بخطوات ؛ واسعة إذ أن الرئيس (جمال عبد الناصر) عندما يخاطب فى جماهير الشعب

عزل وال

لما حج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة ومعه يحيى بن خالد ؛ فأنبرى إليه العمري فقال : يا أمير المؤمنين ، قف حتى أكلك ا فقال . أرسلوا زمام الناقة ، فأرسلوه ، فوقف فكأنما أوتدت ، فقال : أقول ؟ قال : قل ، فقال : اعزل هنا إسماعيل بن القاسم . قال : ولم ؟ قال : لأنه يقبل الرشوة ، ويطيل النشوة ، ويضرب بالعشوة ، قال : قد عزلناه عنك ، ثم انفت إلى يحيى فقال : أعندك مثل هذه البديهة ؟ فقال : إنه ليحب أن يحسن إليه ، قال : إذا عزلنا عنه من يريد عزله فقد كافأناه .

وظيفة الراعي ومسؤولياته :

وثيقن ان من الأدب الإسلامى السياسى

للأستاذ محمد خلف الله احمد

- ٢ -

واحفظ رعينتك في الليل والنهار ، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر لايه وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك من الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه ، فإن الله سبحانه قد أحسن إليك ، وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل فيهم ، والقيام بحقه وحدوده عليهم ، والذب عنهم ، والدفاع عن حريمهم وببضتهم ، والحقن لدنائهم والأمن لسرهم ، وإدخال الراحة عليهم ، وهـذا أخذك بما فرض عليك وهو تفك عليه وصائلك منه ، ومثيبك عليه بما قدمته وأخرت .

ثم تعدد الرسالة الصفات والفضائل التي يجب أن يكون عليها الوالى في شخصه وفي سلوكه : فعليه أن يلزم نفسه المواظبة على ما فرض الله عز وجل من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس ، والأخذ بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلافته ، واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده ، والاقتصاد في الأمور كلها ، والاستسكثار

أما الوثيقة الثانية التي اخترنا أن نعرضها هنا فتجى متأخرة عن وثيقة الإمام بقرنين من الزمان ، ومنشؤها لم يكن خليفة ولا أميراً للدومنين ؛ ولكن قائد وكاتباً ومؤسس أسرة من الوزراء والولاة فارسية النسب عربية الولاء ، لعبت دوراً كبيراً في الحكم والإدارة في العصر العباسى الأول ، وامتد نفوذها قرابة ثلثي قرن . في تلك المرحلة التي بلغت فيها الحضارة الإسلامية - أو كادت - ذروة اتساعها السيامى والثقافى والعمرانى .

هذه الرسالة المطولة التي تشترك مع رسالة الإمام في الموضوع وفي كثير من الخصائص الأدبية والسياسية - حتى يغلب على الظن أن منشئها هذا فيها حذو الإمام في رسالته - كتبها طاهر بن الحسين ، - رأس الأسرة الطاهرية . لابنه هـبده الله ، لما ولاه المأمون الرقة ومصر . وهى - كرسالة الإمام - تبدأ بحض الوالى على تقوى الله وبيان مسئولية في رعاية أهل ولايته والعدل فيهم فتقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيتته ومراقبته عز وجل ، ومزايلة سخطه .

ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كفوراً ،
ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردن سائلاً فقيراً ،
ولا تغمض عن ظالم رهبة منه أو محاباة ...
٦ — وينصح له في شأن الأموال وإلتفاتها

والخراج وجبايته وتوزيعه فيقول :
« واعلم أن الأموال إذا كثرت وأدخرت
في الخزائن لا تنمو ، وإذا كانت في صلاح
الرهبة وإعطاء حقوقهم وكف الأذى عنهم ،
نمت وزكت وصلحت بها العامة ... فليكن
كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة
الإسلام وأهله ... وانظر هذا الخراج الذي
استقامت عليه الرهبة وجعله الله للإسلام
عزاً ورفعة ، ولأهله توسعة ومنعة ، فوزه
بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ،
ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف أشرفه ،
ولا عن غني لغناه ، ولا عن كاتب لك ،
ولا عن أحد من خاصتك ولا حاشيتك ،
ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ... واحمل
الفساس كلهم على أمر الحق فإن ذلك أجمع
لإلغتهم ، وألزم لرضاء العامة ... واعلم أنك
جملت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً ، وإنما
سمى أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم
وقيمهم . فخذ منهم ما أعطوك من حقوقهم ،
ونفذ في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم
أودم ، واستعمل عليهم أولى الرأي والتدبير
والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة
والعفاف ... »

من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله
تعالى ومرضاته ، وإيثار الفقه وأهله والدين
وحملته ، وكتاب الله عز وجل والعاملين به ،
والإكثار من مشاورة الفقهاء ، والأخذ من
أهل التجارب وذرى العقل والرأي والحسنة .
وتجمل بعد هذه صفات أخرى أدخل
في عمل الوالي وأكثر التصاقاً بالناس . يقول
طاهر بن الحسين لابنه : « ولا تمنن أحداً
من الناس فيما توليه من مهلك قبل أن
تكشف أمره ، فإن إيقاع التهم بالبراءة
والظنون السيئة بهم آثم لائم ... ولا يمنعك
حسن الظن بأصحابك والرافة برعيتك أن
تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ... »
ويقول له : « ... واسلك بمن تسوسه
وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدى ، وأقم
حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر
منازلهم وما استحقوه ... وإذا عاهدت عهداً
فأوف به ، وإذا وعدت الخير فأنجزه ،
واقبل الحسنة وادفع بها ، واغضض عينك عن
كل ذي عتب من رعيتك ، واشدد لسانك
عن قول السكذب والزور ، وابغض أهل
النيمة وأحب أهل الصلاح والصدق ...
 واجتنب سوء الأهواء والجور ، وأظهر
برامتك من ذلك لرعيتك ، وإياك أن تقول ،
أنا مسلط أفعل ما أشاء ! فإن ذلك سريع إلى
نقص الرأي وقلة اليقين بالله عز وجل ...
ولا تحقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ،

ومؤامراته وما عنده من حوائج العمال وأموار الدولة والريعية ؛ ثم تنصح له أن يفرغ من عمل يومه ولا يؤخره لغيره ، وأن يكثّر الأذن للناس عليه ويرحم وجهه ، ويسكن لهم حواسه ويخفف لهم جناحه ، ويظهر لهم بشره ويلين لهم في المسألة والنفاق ، وأن يفرّد نفسه بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليه ، وأن يتعامل ذوي البأساء واليتامى والأرامل ، وأن يجرى للأضرار من بيت المال ، وأن ينصب لمرضى المسلمين دوراً تأويهم وقواماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم .

ثم يختم : طاهر بن الحسين ، عهده إلى ولده بقوله .

« وتفهّم كتابي إليك ، وأمعن النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله في جميع أمورك واستخره ، فإن الله عز وجل مع الصالح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضى ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً ، وللله والذمة عدلاً وصلاًحاً .

(٧) خاتمة :

إن هذه الدراسة التحليلية لوثيقتين هامتين من الأدب الإسلامي في سياسة الريعية قد كشفت عن اتجاه إسلامي عام في سياسة الريعية يقوم على ربط وطاية العباد بتقوى الله وخشيته وعلى وجوب تهلي الوالي في نفسه بالصفات

وتعالج الرسالة - كما طالت رسالة الإمام - شئون بعض الفئات التي تقوم على مرافق عامة في حياة المجتمع كالجند والقضاة والكتاب وغيرهم .

فأما الجند : فعلى الوالي أن يتفقدهم في دواوينهم ، وأن يدير عليهم أوزاقهم ، ويوسع عليهم في معاشهم كي يقوى أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعة الوالي وأمره خلاصاً وإنشراحاً .

وأما القضاء : فهو من الله تعالى بالمسكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي تعدل عليه أحوال الناس في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصالح أحوال الريعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، وتأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ويقيم الدين ، ويجرى السنن والشرائع في مجاريها ... ، .

وتتناول الرسالة نواحي متفرقة من النصيح والتوجيه في صلة الوالي بعماله ، وفي رعاية المرضى والفئات غير القادرة من الشعب ، وفي صلة الوالي بالجمهور ؛ فتتضح للوالي أن يجعل في كل (كورة) من عمله أمينا يخبره خبر عماله ، ويكتب إليه بصيرهم وأعمالهم ، وأن يعرف ما يجمع هماله من الأموال وما ينفقون منها ، وأن يوقت لكل رجل من عماله وكتابه بمحضرتة في كل يوم وقتاً يدخل فيه بكتبه

والقسطاس^(١) كما أكدت نتائج الدراسات التي قام بها السابقون من العلماء المسلمين في سياسة الراعي والرحمة ، وقد اشتهر من بين هؤلاء مؤلفان عالجا الموضوع معالجة كاشفة : أحدهما القاضي أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ صاحب : « الأحكام السلطانية والولايات الدينية » ، و « أدب الدنيا والدين » ، وغيرهما ويقرر المؤلف في كتبه أن صلاح الحياة

(١) أنظر لسكاتب هذا البحث :

١ - « موقف الحضارة الإسلامية من حقوق الإنسان » .

(بحث نشر بالمجلة المصرية للقانون الدولي ١٩٥٦ مجلد ٢) .

ب - « حرية العقيدة والفكر في الإسلام » .
(بحث ألقى في المؤتمر الدولي للثقافة الإسلامية في لاهور - باكستان ٥٨/٥٧ نشر بالعربية في مجلة كلية الآداب بالاسكندرية مجلد ١٢/١٩٥٨ .
وبالإنجليزية في كتاب المؤتمر .

ج - « الإسلام والحضارة » (من مختارات الإذاعة - وزارة الإرشاد القومي - القاهرة) .

د - « أثر الحضارة الإسلامية في رقي البشرية وسعادتها » .

(بحث ألقى في المؤتمر السنوي الثاني لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٥ ونشر في كتاب المؤتمر) .

التي دعا إليها الإسلام: من الصلاح والتواضع لله ، والصدق في المعاملة ، و مراعاة العدالة التامة بين جميع الفئات التي يتألف منها المجتمع وتوجيه مزيد من الرعاية للفئات غير القادرة على الكسب وإنفاق الأموال العامة في عمارة البلاد واستصلاح العباد .

هذا الربط بين حمل الولاية في سياسة الرعية وبين توحيد الله وعبادته والحفاظ على حدوده جزء من ظاهرة عامة واضحة ، هي ظاهرة التكامل المعجز الذي يتسم به النظام الإسلامي في عقيدته وعباداته ومعاملاته واجتماعه وسياسته وأخلاقه ، وهو تكامل لم يتبع مثله لأي نظام آخر في تاريخ البشرية وإلى هذا التكامل يرجع كثير من أسرار النجاح الذي حققته الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية ، والذي يمكن أن تحققه في تاريخها الحديث إذا حافظت على مقوماتها وسماتها الأصلية .

وقد أكدت هذه الدراسة التحليلية ما كشفت عنه البحوث الحديثة من السبق الذي تفردت به الحضارة الإسلامية في تقرير حقوق الأفراد والجماعات ، وإرساء قواعد العدالة الاجتماعية ، والتنبيه إلى مسئولية الحكام والولاة والرعاة فيما يحملون من أمانة الولاية على الرحمة والنبابة عنها في توجيه شئونها العامة ، والسير فيها بالعدل

كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، وقد أوضح فيه الفسكرة الإسلامية في السياسة العادلة والولاية الصالحة ، بأنها تلك الفسكرة على قواعد أساسية تضمنتها الآيتان الكريمتان : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ، سورة هـ - ٥٨/٥٩ » وقد طبق ابن تيمية هذه القواعد في مجال السياسة العملية ، وبين كيف يؤدي كل من الراعي والرعية الأمانة كما يجب . واقتبس من الآيات والأحاديث ما يكشف عن أسرار المبادئ الإسلامية في نواحي الحكم : من اختيار الولاية والعمال ، وجباية الأموال وصرفها ، ورعاية الحقوق ، وتنظيم الجهاد ، والأخذ بمبدأ الشورى ، وما إلى ذلك من ضروب التنظيم للحياة العامة الصالحة .

وإذا كان هذا البحث قد اقتصر على تحليل وثيقتين من الأدب الإسلامي في سياسة الرعية فإن التراث الإسلامي حافل بأمثاله من العهود والرسائل . ومن الملحوظ أن هذه النصوص والوثائق لا تنقص على شكل معين من أشكال الحكم والولاية ، ولكنها -

الإفسائية وانتظام شئونها يقوم على ستة أركان رئيسية تنفرد عنها بقية أبوابها وهي : دين متبع ، و سلطان قاهر ، وعدل شامل ، وأمن عام ، وخصب دائم ، وأمل لمسيح : فأما الدين المتبع : فإنه يصرف النفوس عن شهواتها ، إذ يصير زاجراً للضائر ، وقيماً على النفوس ، وأما السلطان : فوجوده ضروري لنظام العمران ، ووظيفته في الأمة حماية الوطن من أعدائه ، وعمارة البلدان ، والتصرف في الأموال العامة على مقتضى السنة المشروعة ، والقضاء على المظالم ، والأحكام بالتسوية بين أهلها واختيار الولاية والعمال من أهل الكفاية والأمانة ، وأما العدل الشامل فإنه يدعو إلى الألفة ، ويبعث على الطاعة ، وتعمر به البلاد ، وتنمي الأموال ويأمن السلطان . والعدل عدلان : عدل الإنسان في نفسه ، ثم عدله في غيره . وأما الأمن : فبه تطمئن النفوس ويأمن الضعيف ، ويقر الخائف . وأما الخصب : فإنه يقوى رابطة الود والتواصل ، ويخفف من حدة الحسد بين الناس ، وأما الأمل المسميح : فهو نعمة من الله ، تدفع على العمل والتعمير والإصلاح ، إذ لولا الأمل ما تجاوز الواحد حاجة يومه ، ولا تعدى ضرورة وقته .

والمؤلف الثاني هو العالم الجليل تقي الدين ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) صاحب

الإسلاميين بدراسة هذه النصوص في ضوء التطور السياسي الحديث دراسة مقارنة تكشف عن الصلة الوثيقة بين ما تضمنته من تعاليم وما يحاول كفاحنا العربي والإسلامي في العصر الحاضر انجازه من تحقيق الكرامة والمعيشة المطمئنة والفرص المتكافئة والمعادلة الاجتماعية والحرية السياسية والاعتقادية والفكرية لجميع المواطنين وبذلك يتم الربط بين ماضيها وحاضرها ، وتسكب فلسفاتنا الحديثة من هذا الربط تركية وأصالة .

٤ - وأن تختار مجموعة من هذه الوثائق السياسية الإسلامية بترتيبها التاريخي إلى وقتنا الحاضر وتترجم إلى مختلف لغات الأمم الإسلامية كالأردية والاندونيسية والتركية والفارسية وإلى بعض اللغات الكبرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والأسبانية وغيرها لتقوم دليلاً ما تلا على أصالة ثقافتنا وقيمنا وشاهدنا مصداقاً على السبق الذي تفردت به الحضارة الإسلامية في مضمار التطور السياسي والأخلاقي إذ وضعت أسس الديمقراطية الصالحة ، ودعمتها بروح الإيمان والعقيدة ووضعتها موضع التطبيق الفعلي في سياسة الرعاية ، وقررت من مبادئ العدل والشورى والمساواة ما تحاول البشرية الآن جاهدة أن تصل إلى تقريره عن طريق جهودها وكفاحها وثوراتها وهيئاتها الدولية .

محمد خلف الله أ.م.م

عضو مجمع البحوث الإسلامية

شأن التعاليم الإسلامية في تقريرها الأصول الكبرى لشئون الاجتماع الإنساني - تعطى فلسفة وروحا ودليلاً مرشداً يبق على توالى الأيام مصدراً مضيئاً ، ينير معالم الطريق ، ويفيد منه كل من يتولى أمراً من أمور المجتمع الإسلامي ، سواء أكان ذلك المتولى فرداً أم هيئة أم مجلساً ، وسواء أكانت ولايته عامة على الرعاية أم خاصة بإقليم منها ، أم محددة بقطاع من قطاعاتها .

وفي ختام هذا البحث نوصي بما يلي :

١ - أن يعطى هذا الجانب من الأدب الإسلامي مكاناً في مناهج تربية القادة ، ومن يعدون لتولى الشئون العامة والإشراف عليها في حياة الأمة : ككليات القانون والشرطة ومعاهد الإدارة وتخرج القادة والكليات الحربية وما إليها من المؤسسات .

٢ - وأن يجمع ما تفرق من نصوص هذا الأدب في كتب التراث الإسلامي في مجموعة أو مجموعات تضم توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية وهدى الخلفاء للولاة والوزراء والعلماء والقضاة والقواد ومن إليهم ، ونماذج من سير الحكماء الصالحين وأحاديثهم وخطبهم في القديم والحديث ، على أن تشر تلك المجموعات في طبعات ميسرة للشعب تفارك في تكوين الذوق الأدبي والضمير الأخلاقي لشباب الأمة .

٣ - وأن يقوم بعض المعاصرين من الباحثين

نقض ماكتب في رسالة ”دراسته في أصوات المد في التجويد القرآني“

لدكتور محمد الصادق عرمون

- ٢ -

قبل هذا التغيير ، كان بتوقيف من الله تعالى ، بل إن أسلوب الباحثة صريح في أن هذا التغيير كان من النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل عليه بما أنزل ولأنه يلجأ إليه باعتباره أمراً طبيعياً وتقتضيه رغبته الشخصية في استغلال ما في طبيعة القوم المخاطبين من ارتياح إلى من يحدتهم بلغتهم . وهذا صريح في أن نظام المرحلة القرآنية النازلة من عند الله كان أقل وضوحاً في إفادة المعنى المطلوب من نظام الجمل التي استحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم التغيير والتبديل ، وحينئذ يكون القرآن قد نزل إلى المخاطبين بما لا يحقق إفهامهم المعنى من أقرب طريق كما هو موجب البلاغة فيكون غير بليغ ، ولا معجزاً .

وهذا يفتح الباب على مصاريعه لكل من تحدثه نفسه أن يغير في نظام جمل القرآن على حسب تقديره بعلم أو جهل - ليجمع الجمل أكثر وضوحاً - في نظره - لإفهام المخاطبين ، وحينئذ لا تبقى جملة من جمل القرآن إلا ويمكن فيها القول بأن نظامها يحتاج إلى تغيير بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص لتسكون أكثر وضوحاً عند بعض المخاطبين لأن الباحثة

الطامة الثالثة : قالت صاحبة الرسالة (من الطبيعي - إعادة لأصل النص لتحقيق الربط - أن يغير - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - في نظام جملة يجعلها أكثر وضوحاً) ، وهذه الطامة ليست ثالثة الأثافي ولكنها داهية الدواهي لأن التغيير في نظام الجملة يحتمل تقديم كلمة فيها كانت متأخرة أو تأخير كلمة فيها كانت مقدمة ، وقد يحتمل التغيير الزيادة والنقص في كلمات الجملة ، كما يحتمل تبديل كلمة بأخرى ، وأي ذلك أريد كان تحريفاً لنص القرآن وتبديلاً له ، وهذا التحريف والتبديل لنصوص القرآن ترى صاحبة الرسالة أنه من الطبيعي أن يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الجملة التي أنزلها الله تعالى عليه كانت غامضة مهمة مشقة ، لا يتضح معناها ، وبهذا التحريف والتبديل تصير الجملة المغيرة المبجلة التي لم ينزل بها القرآن من عند الله أكثر وضوحاً للمعنى المقصود والباحثة لم تشر - من قريب أو من بعيد - إلى أن هذا التغيير الذي يحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم في نظام الجملة القرآنية النازلة من عند الله بلفظها وأسلوبها ليجمعها أكثر وضوحاً منها

يدى المسلمين في مشارق الأرض ومقاربها بما هو بين دفتي المصحف أنه هو القرآن النازل من عند الله المتعبد بتلاوة لفظه ؟ إن أعداء الإسلام وخصوم القرآن من الملاحدة القدامى والمحدثين، ومن اليهود القدامى والمحدثين، ومن المستشرقين المتربصين بهذا الدين - الإسلام - وكتابه المبين لا يستطيعون أن يهدموا صرحهما - ولن يفعلوا - بأقوى من هذا المعول المسموم الخبيث ، وفي هذا الصدد يقول أبو بكر الأنباري في كتابه الرد على من خالف مصحف عثمان وهو عذري ، تحت يد بعض أصحابنا بعض أوراق منه اطلعنا عليها - راداً على أبي الحسن بن شنبوذ بدعته في القراءات الشاذة (وقد نبغ في زماننا هذا ذائع زاغ عن الملة ، وهجم على الأمة بما يحاول به لإبطال الشريعة التي لا يزال الله يؤيدها ويثبت أسسها وبني فروعها ويحرسها من معائب أولي الخيف والجور مسكايد أهل العداوة والكفر ... ثم ساق أمثلة من قراءاته التي تغير نظام الجملة القرآنية بالزيادة والنقص وتبديل لفظ بلفظ ... إلى أن قال (والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر حرفاً منه منكر كان كافراً ، حكمه حكم المرتد ، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه) ... وقال أبو حنيفة : (لم يزل صنع عثمان رضي الله عنه جمع القرآن بمقتله لأنه من مناقبه العظام) .

لم تقصر هذا الحق على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل جعلته لأصحابه رضوان الله عليهم ، فهي تقول في ص (١٠) : (وحين نزل القرآن أول هذه كان الهدف الأول للمسلمين نشر الدعوة الإسلامية ، وطبيعي جداً أن يتركز الاهتمام على الفكرة ، وأن يشتغل بها الجميع ، فكان الرسول يقرأ النص ، ويغير فيه حسب الظروف ويسمح لمن يقرأ عليه بقدر من المخالفة) .
بإداهية الدوامي :

(١) الهدف الأول للمسلمين حين نزول القرآن عدم المجالاة بلفظ القرآن النازل من عند الله المتعبد بتلاوته .

(٢) الرسول يغير نص القرآن حسب الظروف وهذه الظروف ما هي ؟ وما حصرها ؟

(٣) التغيير حسب الظروف لا يقف عند النبي صلى الله عليه وسلم ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يسمح لمن يقرأ عليه بقدر من المخالفة في النص الذي سمعه منه ، وقد يكون هذا النص هو الذي جرى عليه التغيير من النبي صلى الله عليه وسلم حسب الظروف وقت الإلقاء ، وقد تتغير هذه الظروف بظروف أخرى يحصرها من يقرأ عليه ليقري غيره أيضاً فالتغيير لا يقف عند حد ولا حصر وإنما هو يخضع للظروف التي لا تعد ولا تحصر . وليتصور أي مسلم هذا الوضع ليري هل يبقى للقرآن المنزل من عند الله وجوه كما أنزله الله ؟ وهل تبقى أية ثقة فيما بين

من القدرة على أن يزيدوا فيها أو ينقصوا منها
أو يعارضوها بمثلها .

وفي قول أبي بكر الأنباري (فإذا قرأ
قارىء ثبت يدا أبي لهب وقد تب ، ما أغنى
عنه ماله وما كسب ، سيصل ناراً ذات لهب ،
وأمراته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من
ليف) فقد كذب على الله عز وجل وقوله
ما لم يقل وبديل كتابه وحرفه (وضع للكفرة
صاحبة الرسالة في موضعها من العلم والدين فهي
ليست من العلم في شيء لأن العلم يعتمد على الحجة
والدليل ، ولم تسق صاحبة الرسالة حجة ولا دليلاً
على فكرتها المستفردة في السماح بتغيير نظام الجملة
القرآنية دون توقيف من الله سوى الأسباب
والطامات التي اختلقتها اختلاقاً .

فأما وضعها في مكانها من الدين فهو كما
صرح به أبو بكر الأنباري : أنه كذب على الله
واقراء عليه وتبديل لكتابه وتحريف له
وايس وراء ذلك إلحاد في دين الله ، يحرمه
الجهل أو الإصرار . واستشهاده الذي ذكره
نص في موضوع لأنه وقع فيه تغيير لنظام الجملة
القرآنية بزيادة كلمة (وقد) قبل الفعل الماضي (تب)
وينطبق عليها أحد الأسباب المختلفة في الرسالة ،
كما وقع فيه تغيير أيضاً لنظام الجملة القرآنية
بتبديل لفظة بأخرى قد يزعم زاعم أنها
أوضح منها ، وهي لفظة (ليف) التي وقعت
بديلاً عن لفظة (مسد) التي نزل بها القرآن
في قوله (في جيدها حبل من مسد) .

وقد طعن عليه بعض أهل الزيغ فأنكشف
عواره ووضحت فضائحه وقال أبو عبيد : وقد
حدثت عن يزيد بن زريع ، عن عمران بن
حدير ، عن أبي مجلز قال : طعن قوم على عثمان
رعى الله عنه بحمقهم - جمع القرآن ، ثم
قروا بها نسخ .

قال أبو عبيد : يذهب أبو مجلز إلى أن عثمان
الذي أسقط يعلم ، كما أثبت الذي أثبت يعلم .
قال أبو بكر وفي قول الله تعالى (إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) دلالة على كفر
هذا الإنسان ، لأن الله عز وجل حفظ
القرآن من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان
فإذا قرأ قارىء (ثبت يدا أبي لهب وقد تب ،
ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصل ناراً ذات
لهب ، وأمراته حمالة الحطب ، في جيدها حبل
من ليف) فقد كذب على الله عز وجل وقوله
ما لم يقل ، وبديل كتابه وحرفه ، وحول ما قد
حفظه منه ومنع من اختلاطه به .

وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل
الإلحاد ليدخلوا في القرآن ما يحملون به عرى
الإسلام وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين
أحال هذه الأباطيل عليهم .

وفيه : إبطال الإجماع الذي به يحرس
الإسلام ، وبشائنه تثبت الصلوات وتؤدى
الزكوات ، وتتحرى المتعبدات .

وفي قوله تعالى : (الركتاب أحكمت آياته)
دلالة على بدعة هذا الإنسان وخروجه إلى
الكفر لأن معنى : (أحكمت آياته) . منع الخلق

يشهدان (طعام العاصي والكافر والفاقد والظالم) وهذا بين البطلان لاخفاء فيه ولا شبهة في رده .

ولو كان القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المعنى ومبدلاً للفظ بما يقوم مقامها لم يخرج عمر ، وهشام بن حكيم ، وأبي معاذ الذين سمعوه يقرءون خلاف قراءتهم إلى ما خرجوا إليه ، ولم يكن في ذلك النزاع والمحصام ولم يحز أن يتداخل أياً من الشك مثل الذي كان يعقوب في الجاهلية حتى يحتاج للنبي صلى الله عليه وسلم أن يثبت ، والرغبة إلى الله تعالى في إزالة الشك عنه .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه (كذلك أنزل على) فدل ذلك على تضيق الأمر عندهم وحصره على لغات بعينها ، ويدل على ذلك إجماع الأمة على ما ثبت من دين النبي صلى الله عليه وسلم ، بإكفار ابن أبي سرح لأنه صلى الله عليه وسلم استكتبه فكان يملأ عليه شيئاً ويكتب هو ما يقرء مقامه ولا يفسد نظراً ، ولا يخل معنى قرء عليه الصلاة والسلام على ذلك توهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يؤدى القرآن على غير ما أوحى إليه به فاعتقد تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم .

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم ابن أبي سرح أن ذلك جائز وأن له أن يبدل كل لفظة بما يقوم مقامها لم يتخالفه شك . وقال الإمام ابن عطية في تفسيره (أباح الله

وقد عرض الإمام أبو بكر الباقلاني في كتابه (نكت الانتصار) وهو أحد المخطوطات الهامة التي تحت يد بعض أصحابنا ومن نسخته نقلنا هذه النصوص - إلى قضية المساعدة في تغيير نظام الجملة القرآنية بتبديل لفظة بأخرى وهي يجمع الطامات التي دارت حولها فكرة الرسالة ، فأرانا (الباقلاني) أنها قضية قديمة اختلفها أعداء الإسلام من الملاحدة ليزولوا الثقة بأصل أصول هذا الدين وهو القرآن الكريم فقال : فإن قيل : فقد سلمنا أن نقل القرآن شائع ذائع وأن أبا بكر رحمه الله لم يأمر بطلب العينة لإثباته جملة أو إثبات ما هو معجز لسكرته علم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفسح لمن قرأ عليه أن يقرأ الكلمة على وجه غير الوجه المعروف إذا كان المعنى واحداً ، لأن قدر الكلمة والكلمتين غير معجز فأمر أبو بكر بطلب العينة لتلايىث كلمة إلا بشهادة ؟ وهذا باطل لأن أبا بكر رحمه الله إذا علم أن النبي صلى الله عليه وسلم وسع في ذلك فلا يجوز له تضيقه ومنع القارىء من بديل الكلمة بما هو في معناها .

ولو جاز ذلك أيضاً لادى إلى الزيادة للعظيمة في القرآن وبطل أكثره ، ولا يحصر ذلك عدد بل قدر ما تحتمله الكلمة وذلك أن يأتي بالشاهدين يشهدان أن القراءة (طعام الأنيم) وآخران يشهدان (طعام الفاجر) وآخران

بتبديل لفظ آخر أو تقديم لفظ على آخر أو زيادة لفظ في الجملة أو نقص لفظ منها دون توقيف من الله تعالى كما ذهبت إليه صاحبة الرسالة لإفساد نظم القرآن فيكون كفرأبه .
 الطامة الرابعة : قالت صاحبة الرسالة :
 (من الطيبي - إعادة لأصل النص لتحقيق الربط - أن يغير - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - في نظام الجملة - القرآنية ليسكبها بلاغة أكثر في نظر القوم الذين يقرأ أمامهم وهذا واضح في أن صاحبة الرسالة تعتقد أن الجملة القرآنية النازلة من عند الله تعالى على لسان ملك الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون أقل بلاغة مما يجب لها في نظر القوم الذين يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم أمامهم ، فيغير النبي صلى الله عليه وسلم دون توقيف من الله منزل القرآن نظام الجملة ليسكبها بلاغة أكثر في نظرهم .

وهنا يجب - في نظر صاحبة الرسالة - أن توضع بلاغة القرآن موضع التغيير والتبديل في نظام الجملة القرآنية ، لأن الجملة القرآنية النازلة من عند الله قد تكون أقل بلاغة في نظر السامعين فيغيرها من يقرأ عليهم - سواء أكان هو النبي صلى الله عليه وسلم أو من قرأ عليه - إلى جملة أكثر بلاغة في نظرهم .
 وبهذا تذهب صياغة الأسلوب القرآني النازل من السماء وتغير إلى صياغة بشرية يضمنها من يرى أنه يستطيع أن يأتي بجملة

لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام : فقرأوا ما تيسر منه بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يستبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة للنبي صلى الله عليه وسلم في الحروف السبعة ليوسع بها على أمته ، فأقرأ مرة أياً بما عارضه به جبريل ، ومرة ابن مسعود بما عارضه به أيضاً ، وعلى هذا تجيء قراءة حمر بن الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها ، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم في كل قراءة منها وقد اختلفنا هكذا أقرأني جبريل ، هل ذلك إلا أنه أقرأ مرة هذه ومرة هذه ... وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه - كما هو فكرة الرسالة الرافضة للتوقيف - لبطل معنى قوله تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

ويقول أبو بكر الأنباري في كتابه : (الرد على من خالف صحف عثمان) .

« ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به ورد على محمد صلى الله عليه وسلم ما حكاه عن ربه . ولا شك أن تغير نظام الجملة القرآنية

مع التوقيف أفزع حذيفة فقال لثمان رضى الله عنه : وأدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى كما رواه البخارى ، فإلنا بتخير (سهلى) في نظام المجلة القرآنية وحسب البحث ذلك في تقرير الرسالة عليها .

أما من الوجهة الدينية ، فالحكم على (الفكرة) - فكرة الرسالة - واضح لأنها تقوم على جهالة تسوق إلى التعريف في أصول القرآن ، أو على قصدي دفع إلى الإلحاد في دين الله والله هو العليم بضائر خلقه وفي الطامة الرابعة (نكتة) خفيفة تدفع إلى كفر جهول ، وهى أن الله منزل القرآن أدى معنى من المعاني القرآنية بلفظ أقل بلاغة من لفظ أداه به مخلوق أى مخلوق : النبى عليه الصلاة والسلام أو غيره ، وأن لفظ المخلوق أبلغ من لفظ الخالق .

ثم قالت صاحبة الرسالة فى ص (١١) بعد أن أشارت إلى بعض الروايات فى اختلاف القراءات ، ولأمر ما لم تشأ أن تذكر النصوص كاملة (وهكذا الروايات على اختلافها تتفق على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبيح الاختلاف ، ولا بعدد إلى الخطيئة ، كان يتسامح عليه السلام ببعض الأشياء فى النص ، كان كل ما يهيم الرسول عليه السلام المحافظة على الفكرة - أى أنه عليه السلام ما كان يهيم لفظ القرآن وأسلوبه وصياغته ونصه النازل من عند الله - هذا

أبلغ من جملة القرآن ، وتبقى هذه الصياغة البشرية هى القرآن الذى يتعبد به المسلمون وبقيمون على قواعده وأصوله أنظمة حياتهم فى عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم .

وقد تعدد النصوص المغيرة حسب تعدد تقدير المخاطبين لبلاغة الجملة القرآنية ، وحسب ما يطرأ عليها من التغيير والتبديل تبعاً لظروف الصامعين الذين قد تكون الجملة القرآنية بالنسبة لهم أقل بلاغة فى نظرهم .

ولا شك أن هذا يؤدى إلى أن يكون لدى المسلمين عديد من النصوص المختلفة للفكرة الواحدة كلها تسمى (قرآن) ، وهذا يبطل آيات التحدى بسورة من مثله ، لأنه بمقتضى نظرية إباحة التغيير فى نظام الجملة القرآنية لتكون أكثر وضوحاً و (أكثر بلاغة) و (أكثر شيوعاً) و (تحمل شخات من المعانى تفهم الفكرة أكثر) يمكن وجود أكثر من سورة ، بل أكثر من قرآن - على مرور الزمن - لأن احتمال التغيير لآى سبب من هذه الأسباب يمكن أن يكون فى أكثر آيات القرآن الحق النازل من عند الله .

وما نظن أن يحد المحدثون وأعداء الإسلام من اليهود والزنادقة والمستشرقين المتربصين بابا يدخلون منه إلى هدم الإسلام وأبطال أصوله وتحريف القرآن وتبديله أوسع من هذا الباب الذى تفتحه نظرية إباحة التغيير فى نظام الجملة القرآنية ، والاختلاف

ما يحتمله التغيير من استبدال لفظ بلفظ ، أو تقديم لفظ على لفظ أو زيادة لفظ أو ألفاظ في الجملة ، أو حذف لفظ أو ألفاظ من الجملة وبديهي أن هذا التغيير هو الذي تعنيه صاحبة الرسالة بالاعتدال الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم حرصا عليه ويلزمه بداهة ما قلنا سابقا : إن نظام الجملة القرآنية النازل من عند الله كان جاريا على غير الاعتدال ونعوذ بالله من أن يعتقد مسلم ذلك ، يسهل أننا لا نستطيع أن نفهم كيف كان الرسول عليه السلام إذ يفعل ذلك - أي الحرص على الاعتدال وإباحة الاختلاف في القراءة بتغيير نظام الجملة القرآنية - مطمئنا على النص القرآني (؟؟) فإن لفظ (نص) لها مدلولها اللغوي ولها مدلولها (العرفي) وهي دائما تعني الألفاظ نفسها المعبر بها عن الفكرة في نظامها الخاص التي وردت به عن صاحب الفكرة . أما إذا لحق الألفاظ بتبديل بمرادف - ولا ترادف في اللغة أو لحقها بتغيير في نظامها ووضعها من الجملة ، أو زيد عليها أو انقص منها فلا يمكن أن يقال حينئذ : إن النص الذي أوردته المتكلم هو الذي جاء في الجملة التي غير نظامها ، فكيف إذن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام - مطمئنا إلى النص القرآني ، بعد إباحة الاختلاف ، والاختلاف قد وقع بالفعل وتغير نظام الجملة بأي نوع من أنواع التغيير ؟

بالإضافة إلى أن الرسول لم يضع في اعتباره التخطي لمجرد اختلاف لفظين يؤيدان معنى واحدا) .

كان يجب في أمانه العلم أن نذكر صاحبة الرسالة اختلاف الروايات في اختلاف القراءات بنصوصها ليقين القاريء أولا مدى ما فيها من اختلاف ، وليتبين - ثانيا - من نصوصها أن هذا الاختلاف في القراءات هل كان توقيفيا مازلا من عند الله ما موردا النبي بقبليته كما هو صريح الروايات الصحيحة الثابتة أو كان لمجرد رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في استغلال ما في الطبيعة الإنسانية مع الارتباط والشعور ؟ أو لمجرد أنه كان كل ما يهيمه الفكرة دون اللفظ والأسلوب ؟ وقد ورد في أصح الروايات وأهلها سنداً وأقربها للتواتر (أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فبكلها شاف كاف فافروا ما يتيسر منه) وهو حديث عمر ، وهشام في سورة الفرقان من رواية البخاري وفيه (كذلك أنزل) يقولها تصويبا لقراءة كل منهما .

ثم قال صاحب الرسالة (ص ١١) ولكن الرسول عليه السلام كان حريصا على الاعتدال ، وإباحة الاختلاف ما دامت الفكرة لم تتغير والعبارة لا تخرج عن حدود العربية السليمة) .

هذا إمعان في تأكيد فكرة صاحبة الرسالة في إباحة تغيير نظام الجملة القرآنية بكل

الظاهرة اللغوية الأولى التي أشرت إليها في الفصل السابق بإفادة نص هام يحرص فيه الجميع أولاً على حرفية الفكرة ، وثانياً بحكم حالة من القداسة على الاتفاق على ما يشبه النص الموحد - تأمل - وقيل منهم الرسول عليه السلام ذلك لأنه كان مطمئناً إلى أن التحريف لن يدخل القرآن .

فهى في هذا النص تؤكد أن جميع المسلمين يحرصون . أولاً : على حرفية الفكرة فقط . وثانياً : بحكم حالة القداسة لا بحكم نظر على ولا إيمان ديني ٩٤ . وهالات القداسة مجردة عن الحقائق العلمية والمنطق العقلي ليست من معارف المسلمين الأولين الذين تلقوا حقائق إسلامهم من فم الوحي في ظل العقل والعلم . وليتأمل الناظر في هذا البحث قول صاحبة الرسالة (على حرفية الفكرة) أما اللفظ المنزل ، وأما الأسلوب الموحي به ، فلهما نظام الجملية القرآنية كما جاءت من عنده ، فإن ذلك لا يحرص عليه المسلمون ويمجرون فيه التغيير والتبديل بغض حرج على أحد ما دامت الدواعي للتغيير التي ذكرتها في لإباحة تغيير نظام الجملية القرآنية قائمة ، ثم ليتأمل الناظر في هذا البحث قول صاحبة الرسالة : (الاتفاق على ما يشبه النص الموحد) فنص القرآن عندها ليس موحداً ، ولكنه متعدد تعدداً لا يبعده من شبه النص الموحد ، والتعدد مهما صور فهو بهذا الشبه مشعر

٨ - وصاحبة الرسالة تخلط بين (الآداء) وبين (نظام الجملية) لأنها تقول (ص ١٢) (ومهما حاول أفراد الجزيرة العربية من المسلمين أن يقلدوا الرسول عليه السلام يفهمهم إلى ذلك شعورهم الديني فإن آداءهم لن يسلم من العوامل اللهجية والشخصية ، ولذلك وفر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا العناء ، وسمح لهم بالاختلاف ولم يخطئ فرداً منهم) وهنا نسال : أى اختلاف هذا الذى تعنيه صاحبة الرسالة ؟ هو الذى سمح لهم به الرسول عليه الصلاة والسلام ، إن أرادت الاختلاف في الآداء أى التلاوة لنص ما نزل من القرآن ، وهو ما يجب أن يراد لقولها (لن يسلم من العوامل اللهجية والشخصية) والآداء أى - التلاوة - هو الذى يتأثر بالعوامل اللهجية والشخصية فالأمر في ذلك مرجعه إلى ضوابط الآداء القرآنى التى اتفق عليها القراء جيلاً فجيلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاختلاف فيه يسير الأمر ما لم يخرج باللفظ القرآنى عن حده .

وإن أرادت الاختلاف في نظام الجملية القرآنية - أى في جوهر ألفاظها وأسلوبها - وهو ما تدور حوله الرسالة فالأمر فيه خطير كما شرحناه فيما سبق .

٩ - وقد عادت صاحبة الرسالة في ص ١٣ تؤكد فكرتها فتقول : (وعلى العموم فإن قراءة القرآن في تلك الفترة الزمنية تشبه

يقرأ بها) ، ومن اليداهة أن يكون من غير الغالب - بمقتضى نص الرسالة - أن الفرد من الصحابة يغير النص في كل مرة يقرأ بها ، يجعل النص الواحد نصوا كثيرة بعدد ما يتاح له من التغيير غير ملتزم الصورة الأولى التي قرأ بها على الرسول عليه الصلاة والسلام وأقرأ عليها ، فالقرآن - إذا - فيه فصوص التزم فيها الفرد من الصحابة الصورة الأولى التي قرأ بها على الرسول عليه الصلاة والسلام وأقرأ عليها وفيه فصوص لا يلتزم فيها الفرد من الصحابة الصورة الأولى التي قرأ فيها على الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بل غير فيها وبذل وهذا التغيير والتبديل في القرآن الذي بين أيدي المسلمين .

ولا ندرى ماذا بقي للقرآن بعد ذلك من حقيقته الأصلية المنزلة من عند الله ؟ هذه تتسبب خطيرة أشد الخطورة تؤدي إليها فصوص الرسالة ، وخطووتها ليست من الناحية الدفينة لحسب ؛ بل خطووتها من الناحية العلوية إلى جانب الناحية الدينية ، لأنها فصوص تلقى هكذا دون أية دراسة وبحث ولأنها فصوص تؤدي على الأقل إلى التشكيك في القرآن وفصوصه ، ولا ندرى أية مصلحة علمية في هذا التشكيك ؟

يتبع
محمد الصادق عرجمو
حميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

بالاختلاف ، ثم تقول صاحبة الرسالة : (إن الرسول قبل منهم ذلك) - أى اختلاف النص وتعدد في دائرة ما يشبه النص الموحد لأنه كان مطمئنا إلى أن (التحريف لن يدخل القرآن) فإن صاحبة الرسالة تجيب عن هذا فتقول : (لأن لغة القرآن هي العربية بين قوم يتكلمون العربية) ومعنى ذلك أن تغيير نظام الجملة القرآنية ما دام في إطار اللغة العربية فلن يؤدي إلى تحريف القرآن وتبديل أسلوبه وكأن القرآن نزل بلغة العرب ليضع له العرب الصياغة والأصوب والألفاظ اللاتقة بأداء المفكرة ، ولم ينزل من عند الله بأسلوب وألفاظ متعبد بها تلاوة وتحدياً ، وعندئذ ما لذى يمنع خصوم القرآن من ادعاء أن القرآن الذي بين أيدي المسلمين ليس هو النص الحقيقي الموحد النازل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو شيء شبيه به وما الذى يمنع هؤلاء الخصوم من ادعاء أن القرآن الذي بين أيدي المسلمين هو مجموعة من النصوص التي غير فيها نظام الجملة على صييل المعارضة للنص الأصيل الذى نزل به جبريل ؟

أما هذا النص الأصيل (المرحد) فلا وجود له . ولينأمل الناظر في هذا البحث إلى قول صاحبة الرسالة : (وفي الغالب لم يكن الفرد من الصحابة ليغير النص في كل مرة

ابن الياسمين وقصة الأرقام العربية

لأستاذ عبد الله كنون

عضو مجمع البحوث الإسلامية

هويته :

العلم . وكان أول تعلقه بالفقه والتوثيق .
حتى صار من أعلام المارفين بالوثيقة . ثم
اشتغل بالنظم والنثر وفنون الآداب فصار
من أعلام الآداب والكتاب .

ويظهر من النصين أنه كان مشاركاً في الفقه
والآداب زيادة على وسوخه في علم الحساب ،
وإن براعته في هذا العلم كانت بالأخذ عن
ابن قاسم الذي خلفه بعد في فتره بإشيلية .
شخصية أدبية ممتازة :

وبفيض ابن سعيد في الناحية الأدبية من
ترجمة صاحبنا على حين أن الناحية العلمية
لا تحظى منه بأدنى اهتمام ونحن نقبض ما عنده
في ذلك ثم نلقيه بالكلام على الناحية الأخرى
إذ كانت الشخصية الكاملة المترجم لا تبرز
إلا بشخصيتهما معا .

ولقد حكي مما يدل على أوليته الثابتة بأنه
جاء بإشيلية إلى شيخ طبيب فشكا إليه بطلب
معدته وأنه لا يشبعه شيء ، فقال له : وقد لمح
عليه بوارق السعادة لا بد لك من أن تشكي
بأسوء هضم معدتك . نعم وبثانية . نعم
وبثالثة . فضضت الأيام وطلع (١) إلى

(١) يقال طلع إذا كان بلغه والتعبه إلى تقوية
وهو كذلك من المستعمل في العامة المغربية .

العالم الرياضي الأدب أبو محمد عبد الله
ابن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين ،
من أهل مدينة (فاس) ، بربري الأصل من
بنى حجاج أهل قلعة (مندلاوة) . كذا هرف به
في (الذخيرة السنية) وحلاه بالفقيه الحاسب .
وبه تعلم أن وصف ابن سعيد المغربي له
في كتاب (الفصول اليا نعة) بالإشيلية إنما هو
جرى على عادتهم من اعتبار الشخص الذي
أقام بقطر ما ، من أهل ذلك القطر ، ولو
جرينا نحن على هذا الاعتبار لتبيننا أكثر
نقاء الأندلس في القرنين الخامس والسادس
وما بعدهما .

والياسمين اسم أمه نسب إليها وكانت
سوداء ، وكان هو أيضاً أحمود ومنه يعلم أن
هذا الاسم في الإمام قديم .

قال في الذخيرة : أخذ من عبد أبي عبد الله
ابن عبد الله بن قاسم علم الحساب والمعدد
وشارك في غير ذلك . وكان أحد خدام
المنصور (الموحدى) ثم ولد العناصر . وله
أرجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه
ب (إشيلية) سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وقال
في الفصول اليا نعة : تخرج بإشيلية في فنون

الحال التي وجد فيها الفتح بن عاتق صاحب
(قلائد العقيان) و (المطمح) ، وتطرق
لذكر بعض أسماء المكمشوفة في هذا الصدد
وحكى الحكاية الآتية عن أبي عمران الطرياني :
قال كنت في اليوم الذي أصبح فيه
ابن الياهم مذبحا عند الكاتب أبي الحسن
ابن هياش ، فبينما أنا ألعبه بالشرنج إذ
دخلت إليه أمة له وألقت لديه برامة هرقته
أن امرأة دفعها إليها ، ورغبت منها أن توصلها
إلى سيدها . فقال هذا وقتك ؟ ولم يلتفت إليها
قال : فقلت : له ولعل فيها ما لا يجب تأخيرها ،
قال : ولعل . ثم أخذها وقرأها ، فإذا برجعه
تغير ثم ضحك ورمى بها إلى . وقال انظر هذا
الذي لا يجب تأخيرها . فقرأتها فإذا فيها :

هذا ابن حجاج تقاقم أمره

وجرى وجرح لخد غايته الرسن

حتى غدا ملقى ذبيحا حاكيا

لناس رقدته إذا هجر الوسن

فليحذر الكتاب ما قد غاله

وأخص بينهم الفقيه أبا الحسن

فقلت ومن ترى قائل هذه الآيات لعنه

الله ؟ قال يا سبحان الله . وهل صاحبها غير

السكراني^(١) (الجراوى) الذى طبعه الله على

(١) يعرفه ابن سميح بالسكراني ويختلف نسبة

كذلك عند غيره من المؤرخين ، وهو الجراوى .

أنظر الحلقة الخامسة من ساحة ذكريات مشاهير

المغرب .

(مراکش) ، وبلغ المبلغ العظيم من مجالسة
المختصين ومسايرته له إذا ركب في أسفاره ،
لافتتانه بمحدثه وما يجد هذه مما لا يحده
عند غيره . فاتفق أن طلع ذلك الطبيب إلى
مراكش واجتمع به . فقال له : يا حكيم
صدقت فيما أنذرتني به من سوء المضم فما
تراه ؟ فدلله على ما يصنع ، ثم مضت الأيام
فحكاه بالقرس^(٢) ، وقال أظن هذه الثانية .
قال : نعم ، ثم أقام مدة ووقع اجتماعه به ،
فقال له يا حكيم : صدقت في اثنتين فأين
الثالثة ؟ فقال : يا فقيه بلغتنى على ألسن الناس
ولو كانت علة شكوت بها . فضحك أبو محمد
وكان كثير الاحتمال والمطايبة . وأحسن
للطبيب . وكان قبل ذلك لم يقصر عليه من
دنياء بشيء ، قال ابن سميح : وإنما أشار
الطبيب إلى الخلة التي اشتهرت عن ابن الياهم
واقه أعلم بالسراير .

وظهر أن هذا الطبيب كان إلى جانب معرفته
بطلب الأبدان طيبيا نفسانيا ولذلك تعرف على
ما سيؤول إليه حال مترجمنا من المحراف
وشذوذ ، أن صحت هذه الحكاية . وهى على
كل حال تدل على نشأته المدللة وسماحة أخلاقه ،
وتدل على أنه كان بائسيلية في صفوان شبابه .
ثم أشار ابن سميح إلى وفاته ذبيحا بداره
بمراكش والكيفية البشعة التي وجد عليها بمثل

(٢) القرس مرض يرمى بداء للبلوك وهو ألم
يأخذ في الرجل والقدم على الخصوص .

نبذتم مقالة هذا وذا
 فزال المرء وقيل الخوصوم
 وأثبتتم قول من لفظه
 هو الحق والشرح منه يقوم
 فلا زلتم لسكال الهدى
 وإحياء دارس درس العلوم
 وقوله من قصيدة ناصرية :
 عجبت لمن يراك وبعد هذا
 يحاول أن يرى ملكا سواكا
 وقد جمع الإله لديك ما قد
 تفرق في البرية من حلاكا
 وما أحد يؤم ذراك يوما
 فيختار الترحل عن ذواكا
 فسبحان الذي أعطاك ملكا
 على مقدار ما أعلى علاكا
 قال : وخرج ابن الياصمين إلى بعض مجائر
 مراکش فنظر إلى زهر نارنج فاستحث
 على وصفه من كان معه من أهل الشعر
 والأدب ، فقال كل واحد منهم على ما أعطاه
 فكره فلم يحفظ من ذلك إلا قول ابن الياصمين :
 جاء الربيع وهذا
 أولى البشائر منه
 كأنما هو ثغر
 قد جاء يضحك عنه
 وختم ابن سعيد ترجمة صاحبنا بهذه المحاورة
 الشعرية التي جرت بينه وبين ابن الحجاج
 ابن نموي أحد كبار هلباء قاس ، وكان حضر

ألا يضيع فرصة من فرص الأذية ؟ قال
 أبو عمران ثم اشتهر بعد ذلك قول الكورائي
 (الجرأوى) في تلك القضية معرضا بابن عياش :
 فليحذر السكتاب ما قد غاله
 وأخص من بين الجميع فلانا
 فحصل التحقيق بأنه قائل ما تقدم .
 وما وقع بينه وبين الشاعر أبي العباس
 الجراوى أن هذا هجاء بقوله :
 اصت الجبأوى ورأس الفسر بينهما
 لون الغراب وأنفاس من الجمل
 خذها إليك بحكم الوزن أربعة
 كأنتم والعطف والتوكيد والبدل
 فاشتهر قوله بين الناس حتى استنفذ حلم
 ابن الياصمين فقال يحميه :
 يا أهرق الناس في نسل اليهود (١) ومن
 نأى شمائله التفصيل لأجمل
 خذها بحكم اجتماع الذا واحد
 تغنى عن العطف والتوكيد والبدل
 ثم قال ابن سعيد : وله موشحات يغنى بها .
 وأمداح في المنصور والناصر . وأمثل ما وقع
 من ذلك قوله من قصيدة منصورية ذكر
 فيها قطع المنصور الاشتغال بكتيب الفروع
 والاختصار على ما ثبت من الأحاديث النبوية :
 أسيدنا قد وودتم بنا
 موارد كننا عليها نحموم

(١) نسبه إلى اليهود لأن القبيلة التي هو منها
 كانت على اليهودية قبل الإسلام .

إلى مراکش فاستحسنتم مذاكرته بها
وأحسن إليه وخلع عليه على حسب مذكره
(أبو الوليد الشقندي) في معجمه ومنه نقل
ابن سعيد . قال : وحضر مع ابن الياسمين
فاستقبح صورته واستحسن كلامه فقال فيه :

أيها اللابس لون الية
ل ثوبا حين أظلم
والذي يضمر داء

منه يوما ما تألم
أنت من أقبح خلق
الله ما لم تتكلم
بشذور باهرات

ساحرات لو تجسم
أصبحت في كل جيد
حسن عقدا منظم
فلما بلغ ذلك ابن الياسمين قال :

أيها الغامى أتى ربحك
قبل النجو يفضم
في قريض حسن الصو

رة بالهجو مجذم
فقبلناه وقد جاء

لنا بالمدح يعلم
ثم قلنا بمزاح
منك يوما ليس يعدم
إنما الشأن فعنه

عالم ليس يعلم
لا تراه الدهر إلا

بغيرم السكاس مغرم

يرفض النفل مع الله
رضا أو ان الزير واليم (١)
وإذا صلى رياء
كان فيها مثل أبكم
في ثياب كسريع

قد سرى فيها المحرم
ذا جواي وهو ظلم
لك والبادي أظلم
قال الشقندي : هذان الشعراء بمنزلة
الشعريين ، وكلاهما عين في مقابلة هين ...
وناهيك بها شهادة من الشقندي صاحب
الرسالة المعروفة في الإزراء على أدباء المغرب
وشعرائه .

وإلى هنا نكون ، قد انتهينا من ترجمة
ابن الياسمين الأدبية ، وقد عرفنا عنه أنه أديب
يمتص حسن الحديث فكذلك المحضر مع سماحة
نفس وطيب خلق ، وبذلك تأهل لمجالسة
المنصور والناصر في معيتهما . وأما حفظه
من الشعر فكان ، كما رأينا في هذه النماذج
من نظمه ، ليس بالقليل فهو يزاحم الشعراء
والفقهاء بمسكنيه ولا يقصر في الغالب عن
إجادة وإن كانت ميزته هي المحاضرة بعلمه
وأدبه والحديث الطلي الذي يرغب فيه ولذلك
حلاه ابن سعيد بقوله الجليس المتفنن الكاتب .
عالم رياضي كبير :

بقيت الناحية العلمية من ترجمته ، وهي التي

(١) الزير وترقيق والم بخلافه وتر غليظ .

وبعد ما يجبر فليقابل
بطرح ما نظيره يمثّل
وقوله في أحكام الجبر :

على ثلاثة يدور الجبر
المال والاعداد ثم الجذر

فالمال أكل عدد مربع
وجذره واحد تلك الأضلع

والعدد المطلق ما لم ينسب
للمال أو الجذر فاحكم تصب

فبعضها يعدل بعضها عددا
مر كبايع غيره أو مفردا

فتلك ست نصفها مركبه
ونصفها بسيطة مرتبه ...

والجذر والثى بمعنى واحد
كالقول في لفظ أب ووالد الخ

كتابه تلقيح الأفكار

ولابن الياسمين أيضا كتاب تلقيح الأفكار
في العمل برسوم الغبار ويوجد بخطوطا

في الخزائن العامة بالرباط ضمن كتب المكتبة
الكتانية . وهو كتاب له أهمية علمية

وتاريخية كبيرة . أما العلمية : فتظهر من
محتوياته وقد جمعه على خمسة أبواب تتضمن

أربعين فصلا .

فالباب الأول في العدد الصحيح وما يتعلق
به ، وينقسم إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : في ضرب الأعداد بعضها
في بعض .

قامت على شهرته بالبراهنة في علم الحساب
والجبر . وهو لذلك يعد من ألمع علماء العرب
شهرة في الرياضيات ، وقد تقدمت الإشارة
إلى أوجوزته في علم الجبر التي أخذت عنه
بأشيلة ، وهي تبدأ في العدد الصحيح وأبواب
في الجمع والطرح والضرب والقسمة وحل
العدد إلى أصوله ، ثم مقدمة في الكسور
وأبواب في الجبر أى جبر الكسور والمسط
وهو عكس جبر الكسور والصرف وطرق
استخدام المجهولات ، وأخيرا ينتقل إلى علم
الجبر والمقابلة وهو أهم أبواب الأوجوزة
وأنفسها (١) وقد شرحها كثير من علماء الفن
كالماردى والقصادى وابن الهائم وغيرهم ،
ومنهم من اقتصر على شرح القسم الأخير منها
وهو المتعلق بالجبر والمقابلة لعظم نفعه وكثرة
فائده ، وفي هذه الأوجوزة توجد خلاصة
كثير من القوانين والمعادلات الجبرية التي
تتضمنها كتب الجبر الحديثة ، وهي تدل على
فضل الخاطم في الجبر وبعد غوره فيه كما تدل
على أن ثروته الأدبية لا يستهان بها فلو لا
أحاطته بالجبر والشعر أحاطة كلية لما استطاع
أن يضعهما في قالب جذاب (٢) .

ومثال منها قوله في معنى الجبر والمقابلة :

وكل ما استثنيت في المسائل
صيره إيجابا مع المعادل

(١) قدرى طوقان في كتابة تراث العرب على

في الرياضيات والفلك ص ١١١

(٢) السكاك نفسه في مجلة الرسالة العدد ٦٣

الفصل العاشر : في معرفة تركيب الكسور .

الفصل الحادى عشر : في جبر الكسور .

والباب الثالث : في فوائد لا يستغنى عنها فيما تقدم من المسائل ، وينقسم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : في معرفة الطروحات التى يستدل بها على الصواب من الخطأ .

الفصل الثانى : في معرفة ما للعدد من المقامات في القسمة وغيرها .

الفصل الثالث : في الأجزاء التى لا تنقسم .

الفصل الرابع : في حكم التكرار من الآلاف

والباب الرابع : في استخراج الأحوال المجهولة وينقسم إلى أحد عشر فصلا :

الفصل الأول : في جمع الأموال لمجرد الكسور .

الفصل الثانى : في جمع الأموال بزيادة الدراهم .

الفصل الثالث : في جمع الأموال باستثناء

دراهم من كسورها .

الفصل الرابع : في جمع الأموال باستثناء

دراهم من كسورها وزيادة دراهم في كسر آخر .

الفصل الخامس : في جمع الأموال بلا مثيل .

الفصل السادس : في الأموال المختلفة .

الفصل السابع : في طرح الأموال .

الفصل الثامن : في ضرب الأموال .

الفصل التاسع : في جمع الأموال .

الفصل العاشر : في أنواع شتى من الأموال .

الفصل الحادى عشر : في امتحان الأموال .

والباب الخامس : في أشياء يحتاج إليها في

الجبر والمقابلة وينقسم إلى تسعة فصول :

الفصل الثانى : في قسمة الأعداد بعضها

على بعض .

الفصل الثالث : في تسمية الأعداد بعضها

من بعض .

الفصل الرابع : في جمع الأعداد بعضها

إلى بعض .

الفصل الخامس : في طرح الأعداد بعضها

من بعض .

والباب الثانى في الكسور وما يتعلق بها ،

وينقسم إلى أحد عشر فصلا :

الفصل الأول : في ضرب الكسور المتصلة

وأخذ بسطها .

الفصل الثانى : في ضرب الكسور المنفصلة .

الفصل الثالث : في ضرب الكسور المبيعة

على اختلافها .

الفصل الرابع : في ضرب الكسور المستثنى

منها على اختلافها .

الفصل الخامس : في جمع الكسور بعضها

إلى بعض .

الفصل السادس : في طرح الكسور بعضها

من بعض .

الفصل السابع : في صرف الكسور من

اسم إلى اسم .

الفصل الثامن : في قسمة الكسور بعضها

على بعض .

الفصل التاسع : في معرفة تسمية الكسور

بعضها من بعض .

فلم أزل أطلبهما وأسوف، وأعدهما وأخلف
وكل ذلك لا ينقض عهدهما، ولا يحيل ودهما
إلى أن فتح الله العليم في وجود بعض مسائل
منها عند بعض إخواني، فخدمت الله عز وجل
على ذلك كثيراً، وصرفت المهمة إلى جمعها
وأضفت ما لا غنى عن معرفته منها مثل جمع
الأموال وطرحها وضربها وامتحانها، وما
اختلاف أعمالها لاختلاف معانيها وما
يستحيل منها وبعض ما يتصرف فيها من
وجوه الأعمال مثل الجبر والقياس ومثل
المكعبات الخ.

حل مشكلة الأرقام العربية :

وأما أهميته التاريخية فإنها في إشارته إلى
أصل الأرقام الحسابية المعروفة بالعبارة
ووجه تسميتها بذلك وأنها — وهذا من
الأهمية بمكان — لها شكلان، شكل هو
هذا المستعمل بالمغرب وشكل هو المعروف
بالأرقام الهندية وهذه هي عبارته في ذلك
أثناء المقدمة : وأعلم أن الرسوم التي وضعت
للعدد تسعة أشكال يتركب عليها جميع العدد،
وهي التي تسمى أشكال العبارة وهي هذه
(وهنا رسم أرقام الحساب كما رسمها في المغرب
من واحد إلى تسعة) وقد تكون أيضاً
هكذا (وهنا رسمها بالهكل المعروف بالهندي)
ثم قال : ولكن الناس عمننا على الوضع
الأول. ولو اصطلحت مع نفسك على تبديلها
أو عكسها لجاز. ووجه العمل على حاله

الفصل الأول: في المسائل الستة التي يحتاج
إليها في الجبر .

الفصل الثاني : في أخذ الجذور .

الفصل الثالث : في ضرب الأجزاء بعضها
في بعض .

الفصل الرابع : في قسمة الأجزاء بعضها
على بعض وتسميتها .

الفصل الخامس : في جمع الأجزاء بعضها
إلى بعض .

الفصل السادس: في طرح الأجزاء بعضها
من بعض .

الفصل السابع: في ضرب كسور الأجزاء.

الفصل التاسع: في مسائل من المساحة مقربة

إن شاء الله .

والمدارس لفصول الكتاب لابد أن

يقف على دلائل كثيرة تعرفه بعبقريته صاحبنا
في هذا الفن وتظهر منه على ذهنية رياضية
قلما توفرت إلا للأفذاذ من العلماء . وعلى

حسب ما يظهر فإن هذا الكتاب جمعه من
مذكراته التي كان يلقيها دروساً على الطلبة،

فإنه يقول في مقدمته : «كنت في مدة أعلى
الحساب أثبت مسألة من كل نوع من أنواعه

مخافة اختلافه في حين إعماله ... فأكثرت جماعة
من الإخوان البحث عنها ورغبوا في انتساخ

ما تحصل منها، فدفعتم إليهم ما كان هندي،

فلم يعد منها شيء إلى ... وكان من جملة من

رغب فيها أخوا صدق، وصديقاً حق،

فقدّر الله عز وجل أعمالها قبل أخذها لها.

الغربيين لها عن طريق المغرب العربي بواسطة (الابا سلفستري الثاني) أو غيره الذي تعلمهما في الأندلس أو هنا في المغرب ولا زائد ، وإلا فالشكلان معا غباريان بمعنى أنهما كانا يستعملان في الأعمال الحسابية على الطريقة الهندية ، وكانا مستعملين أيضا عند أجدادنا العرب في المشرق والمغرب .

والسبب الذي اخترناهما له هو بعينه السبب الذي كان الحامل للغربيين على اختيار هذا الشكل المسمى عندهما بالعربي ، وهو السهولة والوضوح واليسر ، وقد نوه صاحبنا ابن الياصمين في خطبة كتابه الذي نحن بصده ، بهذه المزية التي لها في هذه العبارة : (هذا العمل المعروف بالغبار أقصر أنواع الحساب وأفيدها وأوضحها بجودة بيانه وبلوج برهانه). هذا هو ابن الياصمين العالم الرياضي الفذ والأديب المحاضر المتبحر ، لا نزهم أننا كتبنا ترجمته له ، وإنما رسمنا الخطوط الأولى في ترجمته ، وهو حري بأن يخص يبحث واسع مستقل يحلل شخصيته الأدبية ، ويبرز مظاهر نبوغه العلمي ، وفي انتظار هذا البحث نؤمل أن يكون في هذا التعريف الموجز ما يعطى فكرة ولو بجملته عن حياته وإنتاجه .

وقد كانت وفاته رحمه الله سنة ٦٠١ وقيل آخر سنة ٦٠٠ وعلى الأول أقصر صاحب الذخيرة السنية وابن سعيد في الغصون اليا نعة .

عبد الله كـنـو

لا يتبدل . وقد صنعها قوم من جواهر الأرض مثل الحديد والنحاس من كل شيء منها أعداد كثيرة ويضرب بها ما شاء من غير نقش ولا نحو . وأما أهل الهند فإنهم يتخذون لوحا أسود يمدون عليه الغبار وينقشون فيه ما شاءوا . لذلك يسمى حساب الغبار . وعلى الحقيقة ليس إلا المداد والحجر .

إن لفظة النبعة من القيمة التاريخية ما لا يخفى فإنها كشفت أن للشكلين المستعملين في البلاد العربية من هذه الأرقام الحسابية أصلا واحدا وأنهما قديما كانا مستعملين هنا وهناك . فإن صاحبنا يقول (ولو اصطلاح مع نفسك هل تبدلها أو عكسها لجاز) وهذا واقع فإننا نجدهما في بعض المخطوطات مما يقرب من عصر المؤلف (القرن السادس) يتقارضان كما أنها تثبت اشتراكهما معا في التسمية بحروف الغبار أو برسومه جريا على اصطلاح المؤلف . وقد كان هذا بحسب الأصل ، وإن كان هذا الاسم فيما بعد كاد يختص بالأرقام المستعملة في المغرب في حين أن الأرقام المستعملة في الشرق اشتهرت بالأرقام الهندية والهنود هم الذين كانوا يتخذون طريقة الرقم على الغبار في الأعمال الحسابية فأطلق على هذه الأرقام بملاحظة تلك الطريقة اسم الغبار والغباري والغبارية ، يبقى أن أرقامنا المغربية التي اشتهرت أيضا بالأرقام العربية هند الغربيةين إنما جاء هذا الاسم من اقتباس

في حجاب القرآن

رسول الله هود عليه الصلاة والسلام للأستاذ عبد اللطيف السبكي

١ - هو هود بن عبد الله بن رباح ... ويلتقي مع إبراهيم في جده - سام بن نوح - سلام الله عليهم جميعا ... فسام هو الجد السادس لهود ... والثامن لإبراهيم . وكانت رسالة هود - من بعده نوح - إلى قبيلة (عاد لارم) ، وهذه القبيلة تنسب إلى جدها الأهل - إرم - بكسر الهمزة . وكانت تقيم في منطقة الأحقاف ... بجوار أرض حضرموت .

وبمجموع الآيات التي تناولت قصة هود وقومه : تسع وسبعون آية ؛ ولكن سورة هود كان لها كبير شأن فيما ورد بها من المعطيات ، والذكرات حتى ليرى : أن بعض الصحابة - رضى الله عنهم - قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يا رسول الله : قد شئت - بفتح التاء - فقال صلوات الله عليه : شيتنى هود ... وفي بعض الروايات : شيتنى هود وأخواتها) .

٢ - وقد تعرض القرآن كثيراً لذكر هود وقبيلته عاد .

ففي القرآن سورة باسم هود ، وهي السورة التي نحن بصددتها الآن ...

ثم ذكر القرآن قصة عاد في سورة الأعراف .. والمؤمنون .. والشعراء .. وفصلت .. والأحقاف .. والذاريات .. والقمر .. والحاقة .. والفجر .

ويذكر العلماء : أن أخواتها هي ... : سورة الواقعة . والمرسلات . وعم . وإذا الشمس كورت ... فإن في هذه السور من القصص الرهيب ، والزجر القسوى ما يثير الخوف ، ويضاعف الخشية من الله ، وبسبب ذلك يسارع الشيب عادة إلى شعر الإنسان كما يكون الشيب ، وتجابهة الحلقة وليله الموم كشيأ .

٣ - هذا وكانت قبيلة عاد ذات بأس ،

جارية على اللسان ، كما هي شاختة في روح الدعوة ومقاصدها .

ولذلك كان هذا النداء بلفظ - يا قوم - شعار الانبياء السابقين في الأمم ، كما يحكي لنا القرآن عنهم ، ... ولم يكن تقليداً لرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - لأنه مبعوث إلى الناس عامة ، فكان نداؤه : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ... ، ولم يخص قومه بالدعوة إلا تمهيداً في أول الأمر ، حسب تكليف الله في قوله : وأندر عشرينك الأقربين ، يعنى : ابدأ بهم .

ثم صار هود عليه السلام يواصل دعوته إلى التوحيد ، ويذكرهم بنعم الله عليهم ، وأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادهم عليهم بسطة في النعم .

ويؤكد لهم ما يعرفونه : أنه واحد منهم ، وأنه لا يطلب منهم أجراً ، ولا يبتغي سلطاناً ، ولكن هادياً لم تسكن واهية لدعوة هود ، ولا خاتمة من سلطان الله ، فسلط الله عليها ريحاً شديدة البرد ، مزججة الصوت ، أحدثت بهم سبع ليال ، وثمانية أيام ، حتى تقلصت جلودهم ، وجفت دماؤهم ، ونحرت عظامهم ، وصاروا كخشب النخل الذي تجوف ولم يعد فيه أثر من الحياة ... وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين .

ويسار لم تظفر بمثلها أمة سابقة ، حتى كان من وصف القرآن لها بعد : ألم تركيف فعل ربك بعباد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، ؟ ؟

نعم ! ! بسط الله لعاد في الأرزاق ، وأفسح لها مجال العيش والحضارة ، وأتاح لها قسطاً كبيراً من جسامه الأبدان ، والقدرة على بناء القصور الشائخة ، وتنسيق الحدائق ، وتعبيد الطرق ، ووفرة الحظ في كل ناحية .

٤ - ثم لم يكن لهذه النعم تقدير عندهم .. ولا أثر طيب في صنيعهم ، ولا قليل من الشكر لله الذي أسبغها عليهم .

بل كانوا غواة مسرفين ، وكفاراً بمعنين . يعكفون على أصنام يعبدونها .. ولا يقفون إلى ما يصلح شأنهم ...

فبعث الله إليهم أخاهم هوداً - عليه السلام - وهو كريم النسب فيهم ، ويمتاز عليهم عقلاً وشكلاً ، وخلقا ، كما هو المفروض فيمن يختاره الله لهداية قومه ، وتبليغ رسالته ربه .

دعاهم هود : يا قوم : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، .

والنداء بلفظ - يا قوم - يشمر بالتلطف في الخطاب ، ويشير عاطفة الإخاء في الجنسية والإقليمية ، ويبعد عن الذهن مظنة التحكم ، والآنانية ، ويبرز معاني الرحمة ، والمودة

هـ — وقد بدئت سورة هود بثلاث آيات: في الأولى وصف للقرآن: بأنه كتاب أحكمت آياته ، فلم يكن في شيء منها خلل في لفظه ، أو معناه ، ولا يتسرب إلى شيء منها باطل فيما جاءت به - لأنها من إله حكيم في صنعه ، خبير بما يفعله ، ويقضى به ، ويفصله في بيانه لعباده بالآيات أو بالسنة وفي الثانية دعوة إلى التوحيد لله والإيمان بأن محمدا رسول ينذر ، وي بشر فيما أمر الله أن يبلغ إلى أمته (ألا تعبدوا إلا الله ، إني لكم منه نذير وبشير) وتلك هي الدعوة التي كان مثلها منهج الرسالات الأولى ... وهي الموثق

٦ — ثم اتجهت الآية في سياقها إلى ناحية الجزاء لمن يكون على هذا السخط فيقول تعالى يتمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ، .

فالمتاع الحسن إلى نهاية الدنيا : هو السلامة من الهلاك الذي كان ينزل بالكافرين وهو ثانيا راحة الضمير من القلق الذي يساور النفس العاصية ، حينما تتذكر إنحرافها وتخلفها في ظلمة الضلال .

والممتع - ثالثا في الدنيا - يكون بالاطمئنان إلى ما يختار الله لعبده من حظ ، ورزق ، وكل ما يجري به القدر . فقلبك هي حلوة الإيمان في الدنيا ، وهي المتاع الحق فيها .

وبعد ذلك جزاء آخر : هو أن الله يرث كل عبد صاحب فضل في تدينه ما يستحق من فضل الله في جناته ، وليس لهذا الفضل حدود مرسومة لنا ، وإنما ذلك موكل إلى علم الله وكرمه ، والله ذو الفضل العظيم .

عبد اللطيف العسكي

يعين الله وعباده منذ استحضرت الأرواح في الأزل، وطرح عليها سؤال (ألسنت بربكم) فكان الجواب - بلى - يعني نعم ، أنت ربنا وحدك ، لا شريك لك وفي الآية الثالثة - توجيهه إلى الاستغفار والتوبة دائما (وأن استغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه) وبذلك التوجيه يشعرتنا أن المرء في حاجه قصوى إلى التنزه - أولا - عن دنس الشرك . ثم هو في حاجة مستمرة إلى التطهر بالاستغفار ، والتوبة من كل خطيئة يتعرض لها أو هفوة تدعو على لسانه ، أو تشوب عمله للدين ،

مواكب النصر في رمضان

للأستاذ إبراهيم على شعوط

١ — نزول القرآن في هذا الشهر : القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

في الغمار المظلم في جبل حراء انقذت أول شرارة أضاءت في آفاق مكة وأرسلت شعاعها الخالد إلى كل أنحاء العالم . فكافت الكلمة الأولى هي الخطوة الأولى في سبيل العلم والمعرفة دفعت البشرية كلها إلى طرق أبواب العلم بكل إمكانياته .

دعوة دوى رجعها في جنبات العالم حين قال الله لرسوله اللاحى : إلميه في غار بعيد مظلم يلتبس منه الهدى والمعرفة . اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم .

لشهر العظيم سر وللصوم فيه معنى يدركه الذين تجردوا من شهواتهم وكبقوا كل رغباتهم في سبيل الله حق صارت رائحة أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك . وهناك من قصر النظر من يعتقد أن شهر رمضان فترة زمنية يخلد فيها المسلمون إلى الكسل ويعتري عزائمهم الفتور والضعف .

شهر رحلة ووحية يقطعها المؤمن ذهاباً إلى ربه محاولاً بكل إمكانياته التخلص من سيطرة المادة ، ويجد المؤمنون فيه لذة كبرى للركون الروحي والإحساس النفسى بأن تلك العبادة تنزيه للبدن وسعوبه في آفاق الروح الخالدة مع بارئها في شوط طويل من العبادة والتبتل والتخلص من الثقل المادى فتنتطق الروح حلقة في آفاق تتلاشى عندها كل الشهوات والذات .

ولعل هذا الشهر قد اختصه الله من حيث وضعه الزمنى بخصائص لا تكاد توجد ، بل لا تكاد تدرك إلا في هذا الشهر . ثم جعلها المولى سرا من أسرارهِ ، وخاصة من خواصهِ فاختار زمان شهر رمضان ليكون فيه مطلع النور ، ومنه مصدر وميض البرق الذى بدد الضلال والظلام الملتصق بالأرض والسماء وجعل وجوه العالم كلها تشرق فيه حين أشرقت في سماء رمضان آيات القرآن الكريم الذى نزل على رسول رب العالمين ، شهر رمضان الذى أنزل فيه

منافذ الجسد المطلة على الشهوات ويهتك الحجب
الكثيفة التي تحجب الأنوار ، ويفسح المجال
أمام الروح لتنتقل من قيود المادة وتصبح
في آفاق عليا لا يصل إليها إلا من أضناه
الجوع والعطش لله وفي الله .

موقعة لم يحدد المسلمون زمانها ولا مكانها
ولكن الله هو الذي حدد الميعاد فقال لنبيه
« ولو تواعدتم لاختالفتم في الميعاد ولكن
ليقض الله أمراً كان مفعولاً » .

من أجل الزمان الذي حدثت فيه هذه
الموقعة الكبرى لم تكن منزلة بدر بين
حوادث التاريخ أنها معركة حربية انتصر
فيها فريق على فريق ، أو لأنها انجلت
عن عدد من القتل وجملة من الأسلاب فكم
من معارك حربية كان حصادها من القتل
آلافاً ومن الأسلاب والغنائم ما لم يخطر
على بال .

ولمّا أخذت موقعة بدر مكانها في التاريخ
بزمانها الذي أقت لها ومكانها الذي التقى فيه
طرفاها - لأنها قلبت الميزان السياسي والاجتماعي
والاقتصادي في جزيرة العرب ، وانتزعت
السيطرة من اليد التي كانت فيها ووضعها
في يد الصفوة المنتصرة من المؤمنين .

وأصبح الزمن كله - من يومها - مديناً
لهذه الغزوة لأنها وضعت أساس دولة جديدة

وعما يوصف له حقاً أن هذا الحاطر يسرى
في عقول الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية
فيجعلون من رمضان شهر النوم والبطالة
والكسل ويلتمسون مبررات لإهمالهم
وتقصيرهم في أداء واجبهم .

ونحن في هذا المقال نعرض للمسلمين شهر
رمضان ونظوف معهم فيه بمواكب النصر
التي حققها الصائمون في رمضان ، ونكشف
سر الطاقة الروحية التي قهرت الأحداث
والأعداء وخلقت في أمة الإسلام روحاً
وثابة تصل إلى غاياتها في عزلة الصائمين
كرامة المؤمنين .

باستعراض الحوادث الكبرى والمواقف
الحاسمة في التاريخ نجد أن المولى جل جلاله
هكذا يريد النصر لأوليائه يختار لهم الزمان
والمكان اختيار الذي وضع سره في اقتران
الزمان بالمكان ليحقق الوعد الذي وعد
والنصر الذي يرفع به هامات أوليائه ويلشر به
دينه ويؤيد به الحق الذي جاء على لسان
وصوله .

٢ - موقعة بدر :

كان الزمان الذي دبرته العناية الإلهية
لمعركة بدر شهر رمضان حيث كان كل مسلم
في عبادة وروحية لا يشوبه فيها رياء ولا يفارقه
فيها الإخلاص ، في صيام وحرمان يسد

صلى الله عليه وسلم يقدمون أرواحهم فداء
للنداء الموجه إليهم من ربهم ، وإذ يعدكم الله
لأحدى الطائفتين أنها لكم ، .

لما كانت الضراعات الموصولة بالسما من
القلوب الصائمة والبطون الجائعة تصل إلى
الملا الأعلى في تجاوب وإخلاص أجاب المولى
هذه القلوب الحاشعة الضارعة بقوله : د أنى
معدكم بألف من الملائكة مردفين ، كما أوصى
إلى المسدد الملائكى بقوله لهم : د لنى معكم
فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين
كفروا الرعب ، . ثم يبالغ المولى فى نصرة
الصائمين وإمدادهم بإسكانيات النصر كلها بعد
ما تبين من طهارة قلوبهم بالحرطان من شهرات
نفوسهم وجهازة أصواتهم بالدعاء ؛ فيقول
لرسوله وحبيبه فى حومة الوغى واشتداد
المعركة : د إذ تقول للؤمنين: ألن يكفيكم أن
يعدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين
بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم
هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مصورين ، .

من سياق هذه الآيات تبين عناية الله
بالصائمين المقاتلين فى بدر وفى قلة من العدد
وإن كانوا قد سموا بأرواحهم وجردوا
أنفسهم عن المادة بصيامهم فلم تعد المادة
شيئا فى أعينهم وحلقوا بأرواحهم فى عالم
التسليم والرضا بعد أن وأوا بأعينهم منازلهم

على أنقاض نظام منهار وسارت بركب
الإنسانية فى طريق الهدى والنور ، ولغنت
العالم كله مبادئه لم تكن لتخطر لأحد
من البشر على بال .

وكان المسكان (بدرا) بين العدو الدنيا
والعدو القصى ، وكان موقف المؤمنين
بالعدو الدنيا حيث كانت الأرض ثابتة
تحت أقدام الصائمين وكان الماء تحت سيطرتهم
وحدهم ، وكان مكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم على شرف عال يدير منه المعركة
ويتلقى توجيهات ربه الذى يدير له المعركة ،
ويتولى عنه نحر أهدافه الذين اعتزوا بكثرتهم
ويسجل عليهم الحزى أمام العالم كله .

زمان مختار فى شهر مبارك ومكان مقتضى
لتدور المعركة فيه كما أراد خالق الزمان
والمسكان ، من هليهم بالنوم قبل الموقعة ،
وأنزل عليهم مطراً طهرهم به ، وأذهب عنهم
رجز الشيطان ووطأ الأرض وصلب به
الرمل وثبت الأقدام : د إذ يغشاكم النعاس
أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على
قلوبكم ويثبت به الأقدام . .

ضراعات إلى الله من أفواه الصائمين المعطارة
بخلوف الصيام واستغاثات من المسلمين الذين
هم فى طاعة مولاهم منطلقين إلى رضا رسول الله

في الجنة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصارع الكفار في المعركة ومواضعهم في النار .

وفي منازل القرب من الخالق منزلة الشعور بالذل والإحساس بالضعف فتى ذل العبد بين يدي ربه وهبه العزة على خصومه وذلك وصف القرآن للمؤمنين : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » .

ومن أجل هذا الذل الذي هو مقدمة العز وعلامة النصر قال الله لأهل بدر الصائمين في المعركة الخاشعين في العبادة الأذلاء في الضراعة قال : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

وأى إكرام أعلى من ترتيب المولى لمواكب النصر في شهر رمضان ، وفي الموقعة الأولى بين أوليائه وأعدائه ؟ أى إكرام بعد أن كانت عناية الله بالمعركة واضحة في إمداده أحبائه بألف من الملائكة مردفين ، ثم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ثم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

إن اختلاط الملائكة بالمؤمنين في موقعة بدر لم يتم إلا بعد أن تجرد المؤمنون من سيطرة المادة وإغراء الشهوات وارتفعوا بأرواحهم إلى صفوف الملائكة الذي وجدوا في طهارة روحهم ، وفي مهارة رميهم ما جعل

الضربات يلتقي بعضها ببعض حتى كان يكفي المؤمن أن يحرك سيفه فتجهز الملائكة على خصمه فإذا بالرعد وسم تطاير ، وإذا بالصفوف تنهار ولم يدرك السر إلا بعد أن أعلن الله للمؤمنين مشاركة الملائكة لهم في المعركة :

٣ — فتح مكة في رمضان :

من يمن هذا الشهر ، ومن طهر الصائمين فيه ، ومن سمو الروح وتحليتها في مجالات ربانية تطلب منه العون وتبذل من أجله الروح تمت في هذا الشهر أحداث كبرى وأعمال جليلة اكتسب فيها المسلمون النصر والظفر بطهارة الروح وبذل المهج عبادة لله وطلباً للشهادة وإحساساً بحلاوة الجهاد والبطون غاوية والقلوب ظمأى في صبيل الله .

لم تكن مجرد الصدقة هي التي جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بكتائب الإسلام وجنود الرحمن في العام الثامن للهجرة وبعد مضي عشرة أيام من رمضان ويقرو في نفسه هزماً أكيداً هل يفتح مكة هذا الفتح الذي أهنأ الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأيمن ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله الله مهوى أفئدة الناس أجمعين .

هذا الفتح الذي استبشر به أهل السماء ودخل الناس به في دين الله أفواجا وأشرق وجه الأرض وزحفت جمافل الجيش الصائم

لندهر بسحرها وسرها أقواما ضالين إلى هداية الإسلام .
 تحركت الجيوش مع رسول الله إلى مكة في الحادي عشر من رمضان وفي قلوبهم التيقن بشهر رمضان وفي نفوسهم الانس بعبادة الصوم فكانوا كلما أغدوا السير وتقدموا انضم إليهم من سائر القبائل من يزيد في عددهم ومنعتهم وسار على رأسهم رسول الله يفكر في دخول البيت الحرام في شهر الصيام من غير أن تراق قطرة دم واحدة .
 وبلغ الجيش (من الظهران) قرب مكة وقريش لا تعلم شيئا عن هذا الجيش الجرار وأمر الرسول بالفطر من شدة الحر .
 وهناك في من الظهران أخذت طلائع الراغبين في الإسلام تستقبل رسول الله في جيشه معلنة إسلامها . وكان للعباس بن عبد المطلب هم رسول الله دور خطير في التمهيد لفتح مكة وتحقيق رغبة رسول الله في أن يتم الفتح بسلام من غير اصطدام أو إراقة دماء .
 ومع ما استقبل به رسول الله من الرضا والتسليم فإنه فرق الجيش إلى مجموعات تدخل مكة من كل مداخلها دفعة واحدة ثم نزل عليه الصلاة والسلام : (الحجون) على مقربة من قبر خديجة وهم أبي طالب وضربت له قبة هناك فلما سئل : أيريد أن يستريح في بيته؟ قال : (كلا فأتروا لي في مكة بيتا) ، ثم أجال

بصره في جبال مكة وشعابها ومنازلها المبعثرة هنا وهناك وفي البيت الحرام الذي يقع في مكة في وسطها فلما وضحت في ذهنه هذه الصورة تفرقت في عينه دموع الشكر العميق للدولى سبحانه وتعالى بمزوجة بلذة النصر الذي حققه له ربه ، وأدرك أن مهمة القائد قد انتهت فركب من فورده ناقته القصواء وسار بها في مدارج صباه ، وذكرى طفولته حتى بلغ الكعبة فطاف بها سبعا على راحلته يستلم الركن بعصا في يده ، فلما قضى طوافه دعا (عثمان بن طلحة ففتح الكعبة ووقف الرسول على بابها ثم قال : (لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، وفصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) ، ثم تكاثرت الناس حوله حتى امتلأ بهم المطاف قتلا عليهم قوله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ، ، ثم قال : (ألا كل دم أو مائة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج : يا معشر قريش : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرأ . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء) .
 ففحات رمضان عطرت ثم رسول الله فما يخرج منه إلا عطر ، وما يفوح إلا بالمسك فتجاوز عن جرائم قريش الماضية كلها ،

ومؤازرة الرسول، كما أن هذه الغزوة سجلت للمسلمين قوة كامنة يستطيعون بها أن يتحدوا دولة الروم ويطرقوا أبواب القيصرية في قوة وإصرار .

بلغ الرسول عليه الصلاة والسلام أن قيصر الروم قد سلح القبائل العربية المقيمة على حدود الشام فأمد قبائل الحمْ وجذام وغسان بكل ما عنده من أسلحة لينقض بهؤلاء مع الجيش البيزنطي، على أتباع محمد ومعتنقي الدين الجديد، ثم ذهب (هرقل) قيصر الروم بنفسه إلى مدينة حصن في أرض الشام ليدبر بنفسه العمليات الحربية ضد محمد وأتباعه .

وأعد رسول الله جيشاً جراراً ليقضى على كل أساليب التهديد التي يقبها هرقل ومن معه ورغم أن هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال فإنها سجلت نصراً مؤزراً للمسلمين حيث انسحبت الجيوش الرومانية من مواقعها لما عرفوا قوة الجيش الإسلامي والروح التي تصوده من الرغبة العارمة في خوض المعركة الفاصلة بينهم وبين الروم .

ولما انفرد رسول الله بالسيطرة على مواقع الروم، وعلمت القبائل المجاورة فرار الروم من وجه المسلمين أقبلت كل جماعات العرب المقيمين قريباً من الحدود الرومانية أو الواقعة ديارهم في طريق هودة المسلمين

وصفح من كل ما تقدم من أحمالهم الرهيبة ، ومسح قلبه الصائم من آثارها كلها فلم يشترط عليهم شرطاً للمستقبل ، ولم يسترد منهم حتى يمتلكات المهاجرين التي استولت عليها قريش عقب هجرتهم إلى المدينة ، بل طلب من المهاجرين أن ينزلوا عن كل حقوقهم القديمة . فتحت مكة أبوابها للمسلمين الصائمين ، ولكنها حين رأت من رسول الله سماعته ونبه وكرم أخلاقه فتحت له قلوبها فكان هذا الفتح أجمل وأعظم من أن تصل إليه سيوف المسلمين إذا كان اعتمادهم على السيوف وحدها فلانت قلوب ما كانت لتلين ، وتأثر قساة القلوب وغلاظ الأكباد بمبادئ الإسلام القوية السامية .

غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة :

ويدور الفلك بالثهور والأيام ليجمع من شهر رمضان شهر يمن وبركة على المسلمين في مواقعهم الحربية التي يخوضونها في هذا الشهر .

كانت آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي غزوة تبوك وأدركها يمن ورمضان حيث حمل أعباءها جيش العسرة الذي تبارى في تجهيزه صحابة رسول الله فكشفوا عن إيمان عميق وتضحيات رفعت من قدرهم وصارت نماذج رائعة لبذل الأموال والمهج في سبيل نصرته الإسلام

و (الحناقص) استمر بهم الإيعان في السير شمالا ، وجنود خالد من ورائهم حتى وصلوا (الفراض) وهي تطل على حدود الروم ولا يفصل بين الدولتين في هذه المنطقة سوى نهر الفرات .

وهناك اجتمع الحلفاء من الفرس والروم وعرب البادية والتقى الجمعان في رمضان والآكباد صادية والبطون خاوية والصائمون مع الله في صلح وحمية فكلما ظنوا بأنفسهم الضعف زادم الله قوة . وكان خالد بن الوليد يدرك قوة الروح في جنده فأمرهم أن يلحوا على أعدائهم ولا يرفعوا أيديهم لحظة عن الطعن والإجهاز على عمالة الدولتين ، وهمد السكيان الفارسي والرومي على مرآى ومسمع من شعبيهما على ضفتي الفرات .

وقد أبدى خالد من فنون القتال ما لم يعهده الجند في المعارك السابقة حتى انكشف الروم وحلفاؤهم وتبعهم المصلوبون يعمنون فيهم قتلا حتى بلغت ضحايا موقعة الفراض مائة ألف قتيل بإجماع المؤرخين ، على الرغم من أن الشهر كان رمضان ، والفصل كان صيفا ، والمكان على مئات الأميال من المدينة .

فتح الأندلس في رمضان عام ٩٢ :

وإذا سرنا في ركب الزمن وصاحبنا قافلة رمضان المنتصرة في كل زمان ، وجدنا أن المجد الذي حققه شهر الصوم لم يتيسر أبداً

أسرعوا إلى عقد الصلح مع رسول الله ، والارتباط معه بمعاهدات الصداقة التي أمنت حدود الديار الإسلامية وألقت الرعب في قلب أكبر دولة عرفها العرب منذ قديم .

موقعة الفراض في عام ١٢ هـ :

وهذه معركة رمضان أيضاً لها طابع جديد في مجرى الفتوحات الإسلامية وهي تعتبر نقطة تحول في سير الحروب ضد الفرس وهذه المعركة قائدتها خالد بن الوليد ، وقد اقتضى هذا الموقع توجيه الحرب وجهة جديدة لم يكن خالد ولا أبو بكر ليفكروا فيها إلى ذلك الحين .

وترجع أهمية موقعة الفراض إلى أنها أول موقعة يتحالف فيها الفرس والروم ضد المسلمين ، وأنهما بتحالفهما هذا حملا المسلمين حملا على أن يدخلوا حتما في حرب مع الروم الذين شعروا أن قضية الفرس إنما هي قضيتهم . وبدا المسلمين أنه ليس من الحكمة أن يقتصر الأمر على فتح فارس بل لا بد أن يخوضوا معارك دائمة مع حلفائهم الذين اعتبروا المسلمين عدواً مشتركاً بين الدولتين . ومن أجل ذلك لم يمد في إمكان المسلمين أن يتركوا الروم بعد ما ظهرت نواياهم بالانضمام للفرس في معركة الفراض . وذلك أن قلوب الفرس وعرب العراق الذين فروا أمام جنود خالد في معركة (الحصيد)

لوزيق في سنا بك خيل المسلمين الذين لم يزد
حدهم عن اثني عشر ألفاً .

ومن أسرار رمضان العجيبة أيضاً أن
موسى بن نصير حينما ذهب إلى الأندلس
ليساعد طارقاً في فتحها اختار أن يكون
دخوله هذه البلاد في رمضان عام ٩٣ هـ ،
ولما اشترك في المعارك الحربية ورأى بنفسه
تلك المدن المحصنة أراد أن يضرب المدن
الكبرى ليفتحها على مصراعها للمسلمين
فحاصر مدينة (مارده) حصاراً واثقاً من
قوته ، وأحست المدينة بمصيرها هل يد
موسى بن نصير فسلمت صلحاً في آخر يوم
في رمضان عا ٩٤ هـ .

وليس في وسعنا سرد الانتصارات
الرمضانية كلها في الإسلام كما أنه ليس
في صفحات مجلة شهرية مكان يتسع لكل نصر
تم في رمضان . ولعل هذا البحث يكون فاتحة
لكتاب يتناول مواكب النصر كلها في رمضان
إن شاء الله ، ولكننا نختم هذا المقال بهذا
القساؤل : ما الذي جمع في هذا الشهر كل هذا
الحج ؟ وما السر الذي جعل رمضان
مقروناً بالنصر والفوز في ميادين الحياة كلها ؟
أهو سر طواه خالفه في زمانه ، وسره من
خلقه ؟ أم هو سر الصائمين المتقادين لله
في الثلاثين يوماً التي احتواها رمضان ؟ لعله
كل ذلك ؟ دكتور إبراهيم شعوط

لشهر سواء . فحين سبحت الأرواح الصائمة
مع الآمال الهائمة إلى دفع العقيدة الإسلامية
إلى أوروبا هبرت بوغاز جبل طارق حلقة
في شهر رمضان .

ومن الغريب أن كل معركة مهمة أو فتح
بلد عظيم أو مدينة كبرى في الأندلس
ارتبطت بشائر النصر فيه بشهر رمضان .
أمر عجيب يلفت الأنظار حقاً .

فحين أراد (موسى بن نصير) أن يخوض
الأرض الجديدة في أوروبا بالسرايا وبعت
في طليعة هذه السرايا مولاه (طريف بن مالك)
ليرتاد ويكشف مقدرات أهلها كان ذلك
في رمضان حيث حقق طريف نصراً رجع بعده
حُملاً بالغنائم إلى قائده موسى يبشره بتحقيق
الآمال إذا وصل المسلمون إلى تلك البلاد .

وحين أعاد موسى بن نصير جيش الفتح
للأندلس بقيادة (طارق بن زياد) كأنه كان يعلم
أن المعركة الفاصلة ستكون في رمضان ، فسا
كاد يدخل طارق بلاد الأندلس حتى وافاه
رمضان بأجاده الإسلامية ، ويمنه في المعارك
الحربية ، ووجد جموع القوط هناك عند
مدينة (شريس) وعند مائة ألف من جنود
القوط بقيادة ملكهم (لزريق) دارت المعركة
في سهول شريس مع فجر يوم ٢٨ من رمضان
عام ٩٢ هـ وجال طارق برجاله جولات بددت
تلك الجموع الهائمة بعد أن فقدوا ملكهم

شَرُّ رَمَضانَ مُوسِمِ التَّعَسُّفِ الرَّوحِيَّةِ لِلأَسْتَاذِ حَسَنِ جَاد

لأنما هو العبادة الوحيدة التي تحقق الإخلاص في التقوى ، والصدق في العبودية .

فهو يمتاز عن العبادات الأخرى بأنه عمل سلبى ، ليس له مظهر خارجى يحس ، فهو سر بين العبد وربّه ، لأنه ليس إلا (نية) في القلب ، و (كف) عن الطعام والشراب ، و (إمساك) عن كل منكر من القول أو الفعل ، ولهذا لا تتأق فيه المواربة ولا الرياء ولا الخداع ، كما يمكن أن تكون في العبادات الأخرى ، ومن هنا جاء في الحديث القدسى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه وشرابه من أجل ، . وهذه السلبية هى جوهر الإخلاص ، وهى حقيقة اليقين ، لأنها تعتمد على مراقبة الله وحده ، وعلى ضمير العبد وبقظته . يقول الرسول الكريم : (ليس فى الصوم رياء ، والذى نفس بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

ويقول بعض السلف : (طوبى لمن ترك شهوة حاضرة ، لموعد غيب لم يره ، لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه فى ترك شهواته قدم رضا مولاه على هواه ، فصارت لذته

[٤]

يحيى شهر رمضان من كل عام ، فيكون واحة ظليلة تستروح فيها النفوس المثقلة طول عامها بأصار المسادة ، وتنجد الأرواح بما ران عليها من أوضار الدنيا ، وتنفض القلوب عن جوهرها النقي ماشاها من غبار النوازح والشهوات ، فالصوم تدريب نفسى ، وتنمية روحية ، بهما تتحقق الغاية منه ، وهى (التقوى) ، كما قال الله تعالى : ديا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، ، وكما يقول الرسول الكريم : (الصوم جنة) أى وقاية ، والتقوى هى الوقاية : وقاية النفس بما يسوءها من غضب الله وعذابه ، بامتنال أوامر ، واجتناب نواهيه ، وصونها عما يردىها من الشهوات والذنوب . وحفظها بما يراودها من النوازح والميول ، وتركيتها بصالح الأعمال وكريم الأخلاق .

ومتى بلغ العبد هذه الغاية . وحقق هذا المقام ، شفاف مقام ربّه ، ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى .

ولا شك فى أن الصوم - بما يقوم عليه من إمساك عن الشهوة ، وضبط للسلوك ، وكبح لجماع النفس ، وكبت لسماع الفرائز -

وما يوجب من إضعاف الجسم، وكسر الشهوة،
وقمع الغريزة، ومخالفة العادة؛ وبذلك يتعود
ترك ما ألف من قبيح العادات المسادية
والخلقية .

وبحسب الصيام أنه يعود العبد على الصبر،
فهو نفسه صبر، وبذلك يجابه ما يعترضه من
مشاق، وما يفتنه من نوازل، بالصبر الذي
تعوده على الحرمان في الصيام، كما أنه يتعود
الصبر على الطاعات، ويألف الصبر عن
المعاصي. وبذلك تشتد عزيمته، وتقوى
روحه .

وهكذا نرى في الصيام تنظيمًا للسلوك،
وتقويًا للنفوس، وتعديلًا للفرائض، وتعبئة
للأرواح، وتقوية للإرادة، وتحقيقًا لمعنى
الإنسانية في الإنسان .

وإذا كان الصوم رياضة جسمية، وتقوى
البدن وتخلصه من رواسب الأغذية وسمومها،
إلى جانب كونه تعبئة روحية، ورياضة
نفسية، يتحقق بها الإخلاص في العمل،
والمراقبة لله، والصبر على الهدائد، وضبط
النفوس، وقوة الإرادة. فما أحرى المجتمع
الذي يربي الصيام أفراد هذه التربية، أن
يحقق المعجزات، ويواجه العقبات. ويمتاز
المشاق، ويحقق ما يصبو إليه من أمل .

ما أحوج مجتمعنا الراهن إلى أن يدرك
أفراد هذه الحقائق التي يجهلونها لنا شهر
رمضان، وأن يستفهموا أمرار الصوم،

في ترك شهوته لله، لإثارة لرضا به على
هوى نفسه) .

وسئل ذوالنون المصري : متى أحب ربى؟
فقال : (إذا كان ما يكرهه أمر هنالك
من الصبر) .

إن الصوم انتصار لإرادة الروح، وحصار
لبواغث الشهوة، وسد لمنافذ الفتنة، وتضييق
لجارى الشيطان؛ يقول صلوات الله وسلامه
عليه : (إن الشيطان ليجرى من ابن آدم
مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع)، كما
يقول لعائشة رضى الله عنها : (داوى قرع
باب الجنة ... بالجوع) .

لأنه فرصة الروح تنطلق فيه من إसार الجسم
وقيود المادة، لتسبح في عالم الصفاء والنفاء
تظللها السكينة المؤمنة، وتغمورها أشراق
الملا الأعلى، وتزود من زاد التقوى بما
يعينها على رحلتها في هذه الحياة .

بحسب الصيام أن يحقق الإخلاص في العبد
كما قلنا - باعتبار أنه العبادة التي تتجرد
عن الرياء، ولا يمكن أن يتمثل فيها الخداع،
إذا أن العبد لو أراد الرياء لاستطاع أن
يتناول ما يشتهى في الخفاء، دون أن يعرف
أحد أنه مضطر؛ فالصوم الحق لا يمكن
إلا أن يكون ابتغاء وجه الله، لا يصبو به
غرض، ولا يداخله رياء .

وبحسب الصيام أنه يقوى إرادة العبد،
وينمى هزمه، بما يفرض عليه من السلوك،

الإنسانية في نفس الصائم ، وبما يربى فيه من الإحساس بالآلام الغير ، حين يحس لذع الجوع وسورة الظم ، وبذلك تستيقظ في نفسه دوافع الخير ، وتقوى دواعيه ، فيسارع إلى كف لكفة دموع البائسين ، ورد لطفة المحرومين . وما أجمل ما يقوله شوقي في هذا المقام . « الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ؛ لسكل فريضة حكمة ، والصوم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ، ... يستثير الشفقة ، ويحرض على الصدقة ، ويسكر الكبير ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ؛ حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، وألم الجوع إذا لذع ، .

ترى هذه التعبئة الروحية ، بما فيها من هجرة إلى الله بالروح من قيود الجسد وأهوائه ونوازحه ، وفرار إليه بالإخلاص والمراقبة من شوائب الأرض والمادة . . إعداد واستعداد لهجرة الروح والجسد معا إلى بيت الله في موسم الحج ؟ بعد أن تنكسر حدة الجسم ، ويتم للروح سلطانها عليه ، وقهرها له ، حتى يسكون مهياً لتلك الرحلة المقدسة التي يواجه فيها مشقة الصفر ، وهناء الاغتراب ، فيضطرب ما هبأ به هذا الشهر من قوى روحية ، تعينه على أمره ، وتؤدبه في حضرة ربه ، وتنسيه ما سواه ، وتصرفه عن شواغل (البقية على الصفحة التالية)

ويتذوقوا طعمومه ، ويتمرسوا بما يغرسه في النفوس من ضبط الإرادة ، وبقظة الضمير ، ومراقبة الله ؛ وأن يجعلوا من هذه التعبئة الروحية زاداً لم طول العام ، يفهمهم إلى الإخلاص في العمل ، ومراقبة الله في الإنتاج ، والصبر على الضغوط والتحديات ومواجهة الصعاب والمشقات ، والاعتدال في الإنفاق ، والاقتصاد في المطعم ، وكبح جماح الشهوات في كثير مما ترومه من مظاهر البذخ والإسراف والترف .

إن هذه التعبئة الروحية في شهر رمضان لخليقة أن تذهب على غيره من شهور العام ، فتعود ما ألفناه فيه ، لننفع بهذه التعبئة فيما نواجهه من ضغوط اقتصادية ، تقتضيها لإخلاص وإنتاجاً ، وتطلب منا صبراً وهزماً ، وتحتاج إلى كسر الشهوة ، واعتدال النفقة .

وإذا لم توجد المراقبة والإخلاص لدى العامل فلن يتحقق ما نريد من زيادة الإنتاج لمواجهة زيادة الاستهلاك .

وإذا لم نقتصد في ما كلنا ومشربنا ، فلن نجد ما يفي بحاجتنا عسى أن نجد في هذا الشهر فرصة ، تقوم سلوكنا ، وتصفي نفوسنا ، وتروضنا على مجاهدة النفس ، ومغالبة الشهوة ، ومراقبة الله .

وبعد فإن الصوم الصحيح خليق أن يحقق التكافل الاجتماعي ، بما يشهده من العواطف

تاعة رمضان بقلعة الجبل

للدكتور عباس حلمي اسماعيل

فضلا عن ذلك أبو الكاتب النحير: يحي الدين ابن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء بدولة الممالك الأولى المعروفة بدولة الممالك البحرية (١).

واهتم السكامل بقاعة رمضان ، لأنها كانت مجمعا لأصدقائه العلماء . وبلغ من اطمئنانه إلى أحدهم وهو زين الدين بن البياع أن ولاد الخطابة بقلعة الجبل ، فضلا عن نيابة الحكم ببعض البلاد وكثيراً من الوظائف الديوانية . كذلك وصل حب السكامل (الصلاح الإبرلي) أن اتخذ أحد دعامه ، وتولى الإنفاق على أقاربه وعما ليسك ، وأقطع ولده بساتين قليب . والواقع أن بيت السكامل بالقلعة

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤ .

حرص الأيوبيون كما حرص الفاطميون من قبلهم على إحياء ليالي رمضان ، وبلغ من حرص السلطان السكامل الأيوبي على إحيائها أن شيد قاعة بقلعة الجبل بالقاهرة سماها قاعة رمضان ، منذ أن انتقل مقر الحكم إلى القلعة سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٨ م) وجلس السكامل مع الفقهاء والقراء في تلك القاعة في هذا الشهر الكريم ، ليحيوا ليالي رمضان على المذهب السني (١) ومن أئمة القراء الذين أجادوا فن تجويد القرآن في تلك القاعة على عهد السكامل المقرئ الشهير الشيخ : زيادة بن عمران ، والشيخ : عبد الظاهر بن نشوان الذي انتهت إليه مشيخة القراء ورياسة فن القراءة في ذلك الزمان ، وهو

(١) النويري : نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٥٥ .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

سبحانه : الحج أشهر معلومات ، فن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .

جعلنا الله عن يصومون رمضان حق الصوم ، ونصرنا به على نفوسنا وشهواتنا ، وغفرانا به ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر ، إنه غفور رحيم ؟

صوم جاد

الدنيا والحياة ، وتصفى نفسه ، وترهف حسنه وتسمو به مما لا يليق .

« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له حاجة في أن يدع طعامه وشرابه - إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم . »

وهكذا نرى الأدب في الحج ، كما يقول الله

بكلام مليح ، ولذا شيد سنة ١٢٢٢هـ (١٢٢٧م) دار الحديث السكلمية بين القصرين بالقاهرة . وقيل إنه عند ما حفر العمال أساسها وجدوا تمثالا كبيرا من الذهب ، فأمر السكالم بأن يسبك وينفق على بنائها الذي وقفه على المشتغلين بالحديث من الفقهاء الشافعية (١) .

وأول من تولى مشيخة هذه الدار الشيخ أبو الخطاب عمر بن دحية ، وبقيت هذه المشيخة في بيته زمنا طويلا ، ثم تولاها الحافظ عبد العظيم المنذرى الذي قيل عنه : « ما على وجه الأرض من مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم » . ولم ينس السكالم أن يدعم مكانة المدرسة الصلاحية بقبة الإمام الشافعى بالقاهرة ، فعين لها الفقهاء والمدرسين بعد أن كان يعلم بها المعيدون فقط ، وأسند مشيختها لشيخ الشيوخ كمال الدين أحمد بن حموية ثم لنقيب الاشراف شمس الدين الأرموى ، حتى جاء وقت سميت فيه بالمدرسة الشريفة ، وفتحت هذه المدرسة أبوابها للطلبة الغرباء ، فوجدوا مساكن مريحة ، وحمامات مزودة بالماء الساخن ، وأطباء يتفقدون أحوالهم الصحية ، ومعالم ينفقون منها ، هذا عدا ما لشيخ المدرسة كل يوم من راتب الخبز وراوتين من ماء النيل ، وشجع السكالم بناء المدارس بالصعيد ، ليتيسر على أبنائه التعليم ببلادهم ،

(١) ابن إيس : بدائر الزهور ج ١ ص ٨١ .

كان بمثابة مدرسة ، إذ كان يبيع عنده كل ليلة جمعة ، على سرر متقابلة ، صفوة من العلماء أمثال : الجبال العنقى ، وعمر بن دحية ، فيعرض السكالم عليهم الموضوعات الدينية والمسائل العلمية ويشاركهم في مباحثاتهم . وأثار السكالم مرة مناقشة حول الطريقة الصحية لكل الخيار ، ولعله أراد بهذه المناقشة أن يقضى قبل الإفطار ليلا وقت الفراغ . واشترك في المناقشة الفيلسوف : أفضل الدين الحونجى والطبيب رشيد الدين أبو حليقة ، وأشار الحونجى بأكله بقشره لما عسى أن يكون به من عناصر غذائية وألياف مفيدة ، ونصح أبو حليقة بأكله دون قشر لأنه غليظ هسر الهضم ، وعندئذ استحس السكالم لإجابة أبي حليقة ، فقرر له جامكية كبيرة .

والواقع أن السكالم حرص على أن يكون عالما من الطراز الأول بالبحث والمناقشة والمجادلة ، ليثبت للفقهاء والعلماء والأدباء أنه جدير بالسلطنة لقوة علمه فضلا عن براعته السياسية والحربية ، فكان له آراء شخصية في النحو ومسائل الفقه ، بسطها على علمائه ، وكافأ من حلما منهم بأكبر (المعالم) . وساعده على ذلك نشأته الأولى ، فقد تعلم منذ نعومة أظفاره الأحاديث النبوية ، وأجازه العلامة أبو محمد بن برى وأبو القاسم البوصيرى وابن صدقة الحرانى ، فنشأ على حبها ، وحرص على حفظها ونقلها ، وتكلم على صحيح مسلم

يلتقى على المذهب الشيعي الذي ظل متفشيا في قوص وطود وقفت وإسنا وأسوان ، بفضل معاضدة هرب بنى عبد القوى وبنى الكنز بقايا الفاطميين المشردين الذين هاجروا إلى أقاصى الصعيد ، ليسكونوا في مأمن من ضربات السلطان ، وليدبروا خطط قلب الحسك السنى وقتل دعائه ، ومنهم ابن سيد المكل الذى نشر المذهب السنى بإسنا ، وصنف كتاب (النصائح المفترضة في فضائح الرفضة) (١) .

وبلغ من حب الكامل للأدب والعلوم أن استولى على مكتبة القاضي الفاضل وزير صلاح الدين ، وكان بها آلاف كثيرة من الكتب ، منها كتاب الأيك والغصون لأبى العلاء المعرى في ستين مجلدا .

وهو الذى اقترح على الكامل ضرب عملات صغيرة ، فعمل الكامل باقتراحه تبركا ، وسك الفلوس ليسهل شراء الحاجيات الصغيرة التى يكثر الإقبال عليها في شهر رمضان . والواقع أن الكامل أحب الصوفية ، وتدلل عليه منهم الشيخ عمر بن الفارض ، وسى بابن الفارض لأنه كان يكتب الفروض للنساء على الرجال ، وهرب بين معاصريه باسم حجة أهل الوحدة ، لأنه كان يسبح في أودية المقطم طلبا للوحدة والعزلة ، وكان الكامل يزوره في قاعة الخطابة بالجامع الأزهر ليتبرك به (١) .

هكذا أسهمت قاعة رمضان بالقلعة في إحياء ليالى رمضان مع غيرها من دور الصلح والعبادة بمداورة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، من أجل إقامة مجتمع تسوده المودة والمحبة ، مصفى من التبعية والعبودية ، وهو في نفس الوقت يعمل على تحرير كل شبر من أراضيه من أدناس الصليبيين وأطباع التمرق ؟

عباسى ملهى إسمايل

ومن دور العلم والعبادة التى أسهمت في إحياء ليالى رمضان ، جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، فكان يتسع لأربعين حلقة عليية صباحا ومساء يوما بعد يوم ، ويضاء كل ليلة بالقناديل ، وينفق عليه من أوقاف ببلاد المنوفية الخصب ، وولى الكامل خطابة الجامع للشيخ أبى الطاهر المحلى ، وكان أول أمره (شرايما) ببيع الشراب الخلو في الأسواق ، ثم جنح إلى التصوف وصار طالما عفيفا

(١) ابن العاد الحنبلى : شذرات الذهب ج .

الصِّيَامُ عَنِ اللَّحْمِ وَنَتَاجُ الْحَيَوَانِ لِلأُسْتَاذِ عَلَى الْخَطِيبِ

طبيعته تلك - مرتبة القصد والاعتدال ،
وهيأت له ممارسته للصيد إشباع تلك الغريزة
في أغلب الأحوال حتى أصبح لا يلتفت
لظروف المستقبل ، ولا يفكر في الادخار
لوجبة أخرى ، وختم بعضهم ذلك بلعم أخيه
بل وصل به الأمر أن يعد فريقاً من بني جنسه
لوجبات شبيهة بتسميتهم لإعدادها للذبح
كالأنعام (ص ١٩ - ٢١ م ١ قصة الحضارة) .
ففي البدائي إذن عاشت الفطرة تحدوها
الشهوة فتطورت إلى تلك القسوة هل أن الذي
يعيننا من ذلك كله بيان طبيعة الإنسان
ومدى حبه الفطري للحم ؛ فأما شهوته الالهية
التي تنكبت به الطريق فقد تولت حسابها
أديان السماء .

إن أقدم نص يهدينا السبيل إلى تقرير أمر
السماء في هذا الموضوع كتب عنه العلامة
(ابن كثير) فقال : «إن الله قد نصر في كتابهم^(١)
التوراة أن نوحاً عليه السلام لما خرج من
السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل
منها»^(٢) يشير رضي الله عنه إلى ما ورد في العهد
القديم : «كل دابة حية تكون لكم طعاماً

تعيش فوق الأرض - إلى يومنا هذا - أم
منها من أخذ بنصيب وافر في المدنية ومنها
من أقعدته ظروف شتى عن اللحاق بها فاقصر
منها - هل نصيب ، ومنها أم ما زالت تعيش
على بدائية فطرية لم تتخل عنها حتى اليوم .
وعلى الأرض أديان سماوية اعتنقتها كثرة
من الناس ، وأديان بشرية ليس لأحكام
السماء فيها نصيب ، ودانت كثرة غالبية من
الناس لهذه الأديان ، ونزلت على أحكامها
عن رغبة أو خوف إذ بين هذه الأديان
ما يتخذ السحر وغيره من ضروب الأذى
سبيلاً للسيطرة والإرهاب .

وبين فرق من معتنقي الديانات البشرية
وغيرها ممن ينسب لأديان سماوية نجد أناساً
تتعبد بصوم يقضى عليهم أن يبتعدوا عن
تناول اللحم ونتاج الحيوان فترة الصوم ،
أو تمتنع منه إلى الأبد .

إننا قبل أن ندرس (شرائع) هذه الأديان
ينبغي أن ننظر إلى (الفطرة) فطرة الإنسان
التي جبل عليها ، وعاش لها ، واستقام بها ،
وتتمثل هذه الفطرة بغير تجميل من أفعنة
الحضارة في نفوس البدائيين ، وحب هؤلاء
للحم غريزي ؛ والبدائي به منهم لا يعرف - مع

(١) أي اليهود ؛

(٢) ص ٢٨٢ تفسير ابن كثير المجلد الأول .

أن يستنتج منه امتناع بنى إسرائيل عن اللحم فترة إلى أن يوصع الله عليهم تخومهم تقول : إن الله رزق بنى إسرائيل المن والسلوى في فترة التيه قبل توسيع التخوم وكان أحد هذين النوعين لهما خالصا .

غير أن شريعة التوراة حرمت أنواعا من اللحم كالخنزير والإبل تحريما دائما ولكنهما لم تحرم ما أحلت من اللحم لفقرة تعتبر صياما عن اللحم ، كذلك لم تحرم نتاج ما أحلت منه فترة حتى يمكن أن يعتبر ذلك صياما عنه ، نقرأ هذه المحرمات في سفر (اللاويين) كله كما نقرأ عنها في سورة (الأنعام) من القرآن الكريم . ولكي نوفي هذا البحث حقه ينبغي أن نشير إلى ما ورد بالعهد المتداول من حادثة اتخذها البعض ذريعة إلى تقرير هذا الصيام .

أورد العهد - في غير نصوص أسفار موسى - قول دانيال - زمن السبي - أي بعد وفاة موسى بنحو ثمانية قرون يتحدث عن نفسه وهو أسير بمملكة بختنصر (بابل) :

(في تلك الأيام ، أنا دانيال ، كنت نائما ثلاثة أسابيع . أيام . لم أكل طعاما شميا ، ولم يدخل في لحم ، ولا خمر ، ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع) دانيال ١٠ - ٢ ، ٣ . وكان ذلك هقب رؤيا فهم منها (دانيال) وجوب الجهاد ليتخلص بنو إسرائيل من أسرهم ؛ فهل يعتبر هذا النص دليلا على شميرة صيام بالكف عن اللحم ونتاج الحيوان ؟

كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع ، .
تلك ٩ - ٥٠٤

ويصدق ذلك قول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم : دكل الطعام كان حلالا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، واستعانة بالنصين ، بل بالأخير يتبين في وضوح أن الله سبحانه لم يحرم تناول اللحم مطلقا حتى عهد يعقوب عليه الصلاة والسلام . . وكان يعقوب هو الذي حرم على نفسه - دون أن تحرم أوامر السماء - جزءا من لحم الإبل ، ويذهب بعض المفسرين إلى أن الذي حرمه إسرائيل على نفسه إنما هو ألبان الإبل ، ونتيجة لذلك كله نقول : إن شريعة الله ليعقوب في المسأكل والمشروب كانت استمرارا مطلقا لشريعة (نوح) فلم تحرم من ألوان الطعام شيئا ، واستمر الحل قائما ، ولم توجد فترة صيام عن اللحم وتناج الحيوان قاصرة عليهما .

ويمكن أن نستمر في البحث بعد يعقوب بنحو خمسة عشر قرنا أو أكثر حين نزلت التوراة في (العهد) المتداول نص صريح لا يحرم الامتناع عن اللحم لفترة تعتبر صياما يقول : « إذا وسع الرب تخومك كما كلمك وقلت : أكل لحما ؛ لأن نفسي تشتهى أن تأكل لحما فني كل ما تشتهى نفسك تأكل لحما ، تث ١٢ - ٢٠ ، ٢١ . وقد يحاول بعض الناس أن يعمل في النص هقله ويقول : في النص ما يشير ، أو يمكن

ومل نشر دانيال هذا الصيام
في بني إسرائيل؟

إذا التزمنا حق الإجابة العلمية نقرر أن دانيال عليه السلام ليس مشرعا ، وإنما الشريعة للتوراة وحدها . ودانيال وغيره من الأنبياء في بني إسرائيل من بعد موسى كانت وظيقتهم بالنسبة للتوراة محددة - وهي الحفاظ عليها ومباشرة تطبيقها وأخذ الناشزين من بني إسرائيل بالعقاب . وهل ترى في الخبر شيئا غير حالة طائفة لم تتكرر ؟ ١٤ .

ونضيف إلى ذلك أن دانيال لم ينشر هذا الصيام في بني إسرائيل ، ولو أنه نشره - كـرغبة مثلاً فعلت (أستير الجميلة) لحفظ اليهود ذلك . وليس بمبحث ذلك بين اليهود هسير . ولعدم مشاركة بني إسرائيل له في هذا الفعل لا يمكن أن نعتبره نفلا للجميع بوجه من الوجوه ، والنص بعد ذلك يفسر نفسه ، فساكن دانيال بعد رؤياه إلا رجلا حزينا ينوح ليل نهار في حزن دائم لمصير بني إسرائيل ، حزن يقبض الشبهة ويطلق في الإنسان رغبة الرواء الحسن ، ولو حملناه على الصيام لساكن صيام (وصال) كالذي أداه موسى أربعين يوما متتالية ، وكما في فعل هيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وليس امتناعا خاصا عن اللحم ، ثم النص بعد ذلك حجة على من يدعى تشريع هذا الصيام بأمر من السماء ، فهو لاء حرعوا على أنفسهم اللحم

وتناج الحيوان فترة صومهم ، ولم يمتنعوا عن الخبز ولا استعمال الطيب .

ولقد حدث أن امتنع دانيال وبعض رفاقه عن تناول اللحم فعلا حينما وقعوا في الأسر واختيروا ليسكونوا بحاشية الملك - وكان يجب على دانيال أن يفعل - فهو يحافظ على الشريعة ، وهو - أيضا - لا يعلم ما هي جنس اللحوم التي تقدم للملك وكبار حاشيته ، ولا هذر له بالجهل ، فالجهل ليس بعذر ، والتقية لا تعفيه فهو (قدوة) وليس هو من عامة اليهود حتى يكون الإكراه ، مثلاً حجة له .. ومثله في ذلك مثل غيره حتى من أقطاب المسلمين . وكانت كذلك فتوى أئمة الإسلام في التقية ، ثم بعد ذلك نجد نص العهد المتداول صريحا . يقول : وأما دانيال فجعل في قلبه أنه لا يتنجس بأطياب الملك ، ولا بخمر مشروبه (١) . . . ولذلك اقتصر على القطاني .

ذاك من اليهود .

وأما الأناجيل المتداولة فهي بريئة كل البراءة من هذا التشريع . وفي الأسفار الملحقة بها جاء عن (طائفة) تشرح ما لم يشره الله . «مرائين ينطقون بالكذب وضمائم مكوية ، ويمنعون عن الزواج ، وعن أكل أطعمة خلقها الله ليقتنوا لها بشكر كل من آمن وعرف الحق» (٢) .

(١) دانيال ٩ - ٨ .

(٢) الفصل الرابع ٢ ، ٣ من رسالة القديس بولس إلى تيموثاوس .

فمن أين هبت تلك الريح . ١٩
الريح التي أرسلت بلواقح مست ديانة ذات
أصل سماري . ٢٠

لننا ينبغي هنا أن نقرر حقيقة نقررها
مطمئنين فعلى من يرغب في نقضها أن يتقدم
بالبرهان :

د إن موقف شرائع السماء من قضية اللحم
ونجاج الحيوان هو موقفها من (التناسخ) .
إن أديان السماء تنكره لذلك تذكر نصوصها
الصيام عن اللحم ونجاج الحيوان .
أنكرت أديان السماء التناسخ بدرويه
الأدنى والأعلى :

فلا تقول شريعة منها : إن الإنسان يموت
ظاهرا ولكن روحه تظل تنقل معذبة
من جسد لآخر . من أدى إلى خنزير ولكنها
- أبدا - لا تموت .

كذلك ليس في نصوص شريعة منها :
أن الإنسان يموت في الظاهر ولكنه يولد
ولادة ثانية يسمو فيها فيسكون ملكا
في الملائكة . أو يسمو أكثر فيصير إلهيا
كما ترى الجائنية . (١)

والإيمان بالتناسخ هو المصدر المباشر
لتحريم اللحم ونجاج الحيوان .

والمؤمن بالتناسخ يؤمن بأن (جسد
أى حيوان يمكن أن يكون (ظرفا) لروح

(١) أنظر الجائنية في الهند قصة الحضارة . الهند
والفرق الأقصى : ول ديورانت .

د فلا يحكم عليكم أحد في المأكول أو
المشروب ، أو من قبيل هيد ، أو رأس شهر
أو سبوت ، (١) .

ومعروف أن الكنيسة في أى الطوائف
المسيحية اتخذت لها حق تشريع غير إنجيلي
يسمى بـ (التشريع الكنسى) . ومن التشريع
الكنسى هذا الانقطاع عن الحيوان وتناجه
في أيام معلومة جعلت صوما (٢) .

ومن العجيب أن بعض القسس يستشهد
بمحادثة دانيال كتأكيد لهذا الصوم ، فإذا
كان الأمر كذلك فلماذا خالفت النصوص
بعضها إلى مستوى التناقض . ففي إنجيل
(متى) حث على التطيب .

د أما أنت فإذا صمت فادهن رأسك واغسل
وجحك ٦ - ١٧ .

د وإذا صمت فلا تكونوا معسبين كالمراتهن
فإنهم يذكرون وجوههم ليظهروا للناس
صائمين ٦ - ١٦ .

انظر لما فعل دانيال - إذا افترضنا أنه
كما يرون - هل تطيب ١٩

في الحق أن أديان السماء جميعا بريئة من هذا
التشريع ولا تعرفه مستوى فيها دين نوح وإبراهيم
وموسى وهيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

(١) الفصل الثانى من نفس الرسالة إلى أهالى كولسى .

(٢) انظر في ذلك الوصية الثانية للكنيسة

الكاثوليكية في كتاب : سلاحك أيها المسيحى للعندارى .

وه الصوم في كنيسة القبطية . للقس شنودة

حنا فى الأوثوكسية .

الحداد ، ولا يدخل في أفواه من شئ غير الماء والحضر مدة سبعة أيام يضمن خلالها تماماً عن غير هذين اللونين من الطعام والشراب حتى يتم دفن لايس (١) ويقضى تكريس الكهنة بذلك في مراحل المختلفة فقد قضى (لوكيوس) عشرة أيام صائماً عن أكل اللحم .

ومضى فيثاغورس في اليونان على النحو نفسه ورأى ، أن جميع الحيوانات التي تدب على الأرض أهل للحلول النفس البشرية فيها وإذا ثبت ذلك فمن المحتمل أن يكون كل حيوان ظرفاً لنفس بشرية ، وإذا فذبح الحيوانات أو قتلها جريمة كبرى لا تقل عن قتل الإنسان ... ومنذ ذلك العهد أصبح أكل اللحوم عظوراً على كل فيثاغورى مخلص (٢) .

وكان على الكاهنة في الصيام - استعداداً للتنبؤ - أن تصوم ثلاثة أيام لا تتناول خلالها إلا ورق الغار لتمضغه وتأخذ من رحيقه (٣) هذا واقع يفهمه اليهود ويشيح عنه المسيحيون - إلا البروتستانت فكل النصوص التي يستشهد بها المسيحيون من : كاثوليك وأرثوذكس ، في هذا الباب تؤخذ من العهد المتداول ... بينما أصحاب العهد ، وهم اليهود

إنسان . أو يكون هو الإنسان نفسه في ولادة ثانية .

ومسيرة لهذا المنطق يحرم البرهمن والجاتي والفيتاغورى بدامة طعام الحيوان ؛ لأن في أكله أكل لحم أخيه . ومن هنا شرع في تلك العقائد ألوان من هذا الصيام : أبدياً أو لفترة . وأى رسالة سماوية لم تنحرف إلى اعتقاد (الحلول) على أى وجهه مثل الحلول بأكل الخبز المقدس ، أو الحلول في الله - والعياذ بالله - لا يمكن أن تقر تلك الشريعة . . . فأما إذا قالت : عاش في الله . أو مات في الله ؛ فهي من التناسخ والحلول على عقيدة . وهي من هذا الصيام على تشريع ... ولكن ... ليس من عند الله !!! .

وجولة مع الحلوليين تبين لنا ذلك : فهذا (ماني) الذي بدأ مسيحياً زرادشتياً وانتهى برمياجانتيًا طلب إلى أتباعه تحريم اللحم إلى الأبد بجانب محظورات أخرى (١) . واعتقد المصريون القدماء في الحلول وكان التجسيد ، ظاهرة هندم تلازم الإله فروح (إزوريس) منذ مات في الظاهر ، حلت ، في مجل (لايس) كما حلت روح (إيزيس) في البقرة (نوت) . (٢)

فإذا مات مجل لايس قضت الشعائر أن يعم الحزن مصر كلها ، وترتدى النساء ثياب

(١) نفس المرجع ص ٤٨٢ .

(٢) ص ٥٧ الفلسفة الأغريقية ج ١ د غلاب

(٣) انظر ص ٢٢٢ قصة الحضارة ول ديورانت

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤

(٢) ص ٤٢٨ ديانة مصر القديمة أدولف إرمان .

لا يقرون هذا الصيام ولو كان الأمر كذلك لسكان اليهودية أولى .

ولقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصد ربح هذه الفتنة - حتى ما يظهر منها من
حسن نية وقال : من رغب عن سنتي فليس
مني ، واشتد عليه الصلاة والسلام في ذلك
حين رأى جماعة من أصحابه ، وكانوا نحو
عشرة منهم : سالم مولى أبي حذيفة رضى الله
عنهما ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الله
ابن عمرو بن العاص ، وعلى بن أبي طالب ،
وعبد الله بن مسعود ، والمقداد بن الأسود .
يحتسمون فيقول بعضهم لبعض : ما حقنا إن لم
نحدث عملاً ؟ ! فإن النصارى قد حرموا على
أنفسهم فنحن نحرم ، وقالوا : نقطع هذا كبرنا ،
ونترك شهوات الدنيا ونسبيح في الأرض كما
يفعل الرهبان ، ثم تبتلوا فجلسوا في البيوت
واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح وهمو
أن يحقتصوا ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
أمرهم فأرسل إليهم ، فذكر لهم ما بلغه عنهم
فقالوا : نعم . فقال عليه الصلاة والسلام :
لكني أصوم ، وأفطر ، وأصلي ، وأنام ،
وأنكح النساء ، فمَن أخذ بسنتي فهو مني ،
ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني ونزلت الآية .
أى السابقة .

غير أن المسيحيين يعرفون الخبز المقدس .
ويؤمنون بطرف من الحلول المتقدم فسرت
فيهم حدوده ... ولما كان هذا اللون من
الصيام لا يجد سندا في الأناجيل المتداولة ،
استكروه له بعض نصوص العهد القديم التي
سبقت فجعلوها استغناسا لحكم الكنيسة .

كذلك لما كان (البروتستانت) ناثرين بطبعهم
ووضعهم على الكنيسة الكاثوليكية فقد
أنكروه ؛ بل أنكروا فرضية الصيام جملة
وتفصيلا وناطوه بالرغبة (١) .

وأنكر الإسلام كل شيء من هذا اللون
وحاربه . أخبر ابن عباس رضى الله عنهما :
« أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت للنساء ،
وإنى حرمت على اللحم ، فنزل قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات
ما أحل الله لكم ولا تعمدوا إن الله لا يحب
المعتدين » (٢) .

بل تعدى الأمر إلى محاربة (تفريع أى

وقال عليه الصلاة والسلام : « سيد طعام

(البقية على الصفحة التالية)

(١) انظر مقالنا في هذا الموضوع في رمضان
الماضى ١٣٨٥ هـ مجلة الأزهر .

(٢) انظر (ابن كثير) تفسير الآية من اللساند .

الجمال في القرآن الكريم

د. أسناز الدكتور محمد أحمد النمراري

- ٦ -

د. وألقى في الأرض رواسي أن تُميدَ بكم ،
من تسع آيات في القرآن الكريم ذكرت
الجمال فيها بالرواسي ، نظرنا في ثلاث ،
ذكرت الرواسي فيها متصلة بمن الله على عباده
بمده الأرض ، وهي آيات سورة : ق والحجر
والرعد . ولهذا في الآيات الست الباقية
نظائر ثلاث ذكرت الرواسي فيها سببا لنعمة
أخرى كبرى هي أن الله منع منها الأرض

أن تُميدَ وتضطرب بالناس . تلك الآيات
الثلاث هي حسب ترتيب نزول الوحي بها :
آية سورة لقمان : د الله الذي خلق السموات
بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي
أن تُميدَ بكم ، الآية (١٠)
وآية سورة النحل : د وألقى في الأرض
رواسي أن تُميدَ بكم وأنها رأ ، الآية (١٥)
وآية سورة الأنبياء : د وجعلنا في الأرض
رواسي أن تُميدَ بهم ، الآية (٣١)

(بقيه المنشور على الصفحة السابقة)

أهل الدنيا وأهل الجنة اللهم ، وكان كبار
الصحابة لا يمتنعون عنه ومنهم فقيه الأمة
عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ،
فإنه كان إذا جاء رمضان لم يفته اللحم ^(١) .
إنما يفسد الجسد إسراف وهو الذي يؤدي
به . فهو العلة ؛ لذلك استهدفه الإسلام بالتحريم
قال تعالى : د ... كلوا واشربوا ولا تسرفوا
إنه لا يحب المسرفين ، .

المؤمن - وهذا ما دعا عمر بن الخطاب رضي الله
عنه إلى التحذير من الإسراف فيه فقال :
إياكم واللحم ؛ فإن له ضراوة كضراوة الخمر ،
ورأى جابر بن عبد الله ومعه منه أحمال
فقال له : أما يريد أحدكم أن يطوى بطنه
من جاره أو ابن عمه ؟ أين تذهب هناك
هذه الآية : أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها ^(٢) ،

على الخطيب

فالقصد والاهتدال شرعة الله ومذهب

(١) انظر ص ٢٨٩ الطب النبوي لابن قيم
(٢) ص ١٣٠ ج ٢ للموطأ للإمام مالك . مطبعة
دار إحياء المكتب العربية

(١) انظر ص ٢٨٩ الطب النبوي لابن قيم
الجوزية والاول من سنن أبي داود .

ما يحيط باليابسة من البحار كأنما الأرض سفينة فوق ماء يخشى أن يضطرب بها لولا أن نقلها الله بالجبال، وكذلك فسروا (وتدية) الجبال في قوله تعالى : (والجبال أوتادا) بأنها تثبت الأرض كما تثبت الأوتاد الخيمة . وليس الأرض بخيمة كما بينا عند النظر في الآية الكريمة في المقال الرابع^(١) فلننظر الآن فيما يمكن أن يقال من الناحية العلمية في الجبال : كيف يمكن أن تكون سببا في هدم اضطراب الأرض في حركتها ليستقيم بعدم اضطرابها عيش الناس عليها . فلو أنها اضطربت بهم في حركتها اليومية لساء عيشهم فيها سوءا لا يقدره ولا يدرك أى نعمة لله على الناس في امتناعه إلا من اضطربت به السفينة في البحر، أو الطيارة في الهواء، وطال ذلك عليه ثم ذهب ما كان به حين هذا البحر أو سكن الهواء بدخول المرفأ أو نزول المطار . وليتصور الإنسان بعد ذلك ماذا كان يكون حاله لو أن ذلك الاضطراب استمر به طول الحياة ١٤٠

إن الأرض كرة - أو كالكرة - تدور أمام الشمس من المغرب إلى المشرق دورة كاملة في اليوم حول محورها يصنع مع مستوى فلك دورانها حول الشمس زاوية قدرها ثلاث وعشرون درجة ونصف ، هذا الدوران

والخطاب في آيتي : لقمان والنحل للناس كافة ، أما ضمير الجمع للغائب في آية الانبياء فراجع إلى (الذين كفروا) وفي الآية قبلها إذ يذكرهم الله بمعائب من آيات قدرته وحكمته عسى أن يؤمنوا به وحده : د أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ؟ وجعلنا في الأرض رواسى أن تميد بهم ، الآيات .

وأسرار الفطرة المنبئة إلیها في الآيات الثلاث متعددة لكننا سنقتصر القول هنا على ما تعلق منها بالجبال ، ما كشف العلم الحديث عنه وما ينتظر الكشف . وأول ذلك ما في قوله تعالى : (أن تميد^(١) بكم) من إشارة واضحة إلى حركة الأرض ؛ فإن الذي يخشى منه أن يميد ويضطرب هو الجسم المتحرك لا الساكن .

وحركة الأرض لم تكن معروفة للفسرين القدامى وإنما الأرض كانت عندهم ساكنة كما كانت عند الناس أجمعين حتى الفلاسفة . ولذا ردوا احتمال اضطراب الأرض إلى

(١) في القاموس : (ماد) : يميد يميدا ويميدانا : تحرك وراغ .

والسراب اضطرب .

والرجل أصابه غثيان ودوار من سكر

أو ركوب البحر .

(١) عدد جادى الأولى ١٣٨٦ .

محور لا يضطرب ولا يميل إذا دار أو (دور) حول ذلك المحور .

والأرض في الواقع لا تميل ولا تضطرب في دورها أو دورانها المستمر حول محور لها لا يتغير ولا يقبل ، فلا بد طبقاً لسنة الله هذه أن تكون متماثلة في الكتلة بالنسبة لهذا المحور ، هذه نتيجة رياضية يقينية أعلن العلماء اكتشفوها فلم يحققوها عملياً لما يكتنف تحقيقها من الصعوبات ، خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع كتل الجبال إذ معنى التماثل في الكتلة أن أي مستوى يقطع الجسم ماراً بمحور التماثل فإنه يقسم الجسم إلى قسمين متماثلين في الكتلة : لكل جزء في أحد القسمين نظير في القسم الآخر يساويه في الكتلة والوزن ، لا في الهيئة والحجم .

لكن الله فاطر الأرض ورسى جبالها يفني عباده في كتابه العزيز أنه أرمى الجبال فيها بحيث يتمتع ميدان الأرض واضطرابها . فأول تفسير لهذا ، طبق سنته سبحانه في الجسم الدوار غير المضطرب ، أن الجبال موزعة في الأرض بحيث تتماثل في الكتلة بالنسبة لحركة الأرض اليومية . وهي نتيجة عجيبة حقاً . فمن أعجب عجائب القدوة والإحكام ، أن تتماثل كتل الجبال الواقعة في شقي الأرض إذا انشقت في أي اتجاه بمستوى يمر بمحور دورانها اليومى أمام الشمس .

المستمر حول محور ثابت يسمى في اللغة دوراً (١) ، وهو الأرض ثابت المقدار والاتجاه طبقاً لسنة الله كشف عنها (نيوتن) فهي قانون من قوانين الحركة المفصولة إليه يقول : إن الجسم المتحرك لا تتغير حركته في المقدار أو الاتجاه إلا بقوة تؤثر فيه من حيث المقدار أو الاتجاه أو كليهما .

وقد صان الله الأرض ، منذ فطرها على تلك الحركة اليومية ، عن كل قوة عارضة كي تدوم حركتها تلك إلى ما شاء الله ، أي إلى أن يشاء الله طلوع الشمس من مغربها كما جاء في الحديث الصحيح . إذ من الممكن في العلم أن يحدث هذا - والشمس تهرى بمجموعتها في الفضاء بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية - بأن تقترب من نجم أكبر منها يغلبها على الأرض بالقدر الذي يتغير به اتجاه حركتها اليومية ، فيصبح من المشرق إلى المغرب بدلاً من المغرب إلى المشرق فيصير المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً ، وعندئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل كما جاء في الحديث الصحيح .

وصفة ثانية لله سبحانه يعرفها علماء حركة الأجسام : إن الجسم المتماثل في الكتلة حول

(١) في القاموس : دور للشيء دوراً دار دوراً على الظاهر وأدوت - الفازلة - للفرز فتلته شديداً حتى كأنه واقف من دورانه .

كان هذا له دخل فقد أشارت إليه الآيات الكريمة بكلمة واحدة هي كلمة (رواسى) التى سميت بها الجبال إذا تذكرنا الحقائق العلمية التى ذكرت فى المقال الخامس عند النظر فى قوله تعالى (والجبال أرساها) .

وعلى أى حال فقد نبت تلك الآيات الكريمة إلى عجبية من عجائب آيات الله فى الفطرة تتصل بعيش الناس فى الأرض وعليها يتوقف هناؤم فيه، وعلى علماء الفطرة أن يبحثوها ، وأولاهم بذلك علماء الفطرة من أهل القرآن ، فإن لم يفعلوا فسيقضى الله غيرهم لبعثه والكشف عنه وفاء بوعده سبحانه فى قوله : (صزيهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) . كما قد حدث فعلا على أيدى علماء الفلك الحديث بالكشف عن حريان الشمس فى الفضاء وعن الحركات الذاتية للنجوم، فكان فى ذلك تفسير لقوله تعالى: (والشمس تجري) من آية سورة (يس) ولقوله تعالى: (كل فى فلك يسبحون) من الآية (٣٣) فى سورة الأنبياء ٩ .

محمد الأصغر النمراوى

فهذا مجال واسع أمام علماء الفطرة وخاصة من أهل القرآن ، ليثبتوا علميا ولو فى اتجاه واحد أن الجبال ذات كتل متماثلة بالنسبة لمحور دوران الأرض ، وهو عمل عظيم لا بد من اشتراك الحكومات فيه لتكفل ما يقتضيه من نفقات، ومن يقل: إن هذا ناتج نظريا من قانون هدم اضطراب الجسم الدوار وإذن فلا داعى لتحقيقه علميا إذا قامت دونه الصعوبات ، قلنا : كفى إعجازا علميا للقرآن ودليلا كوفيا على أنه من فاطر الفطرة وحائق الأرض بحيث تدر ولا تميد ، أن القرآن فيه مرة بعد مرة بعد مرة إلى هذه الحقيقة النظرية الرياضية قبل أن يعرف العلم القانون الذى ينتجها .

وقد يكون الأمر أعظم سرا حتى من هذا قد تكون هناك عوامل ثانوية تعمل على اتزان الأرض فى حركتها اليومية حتى لا يشعر بها الناس ، مثل فعل حركة الجزء السائل فى جوف الأرض أثناء الدوران أو فعل حركة مياه البحار على الشواطئ ، وما أكثرها ، إن كان لها أثر فى مثل هذا ، فإن

خسوف القمر للأستاذ علي الجندى

خسوف القمر يحدث من مروره في ظل الأرض ؛ ولا يقع هذا إلا عند الاستقبال، أى عند ما يكون القمر بدرا !!
والخسوف السكلى أندر من الخسوف الجزئى ، وأكثر الخسوفات يبدو لاكثر سكان الكرة الأرضية .
ويمكن أن يشاهد الخسوف كل المدة . وقد تشاهد بدايته ، وقد تشاهد نهايته . غير أن القمر لا يختفى تماما عن النظر ، حتى في الخسوف السكلى ؛ وذلك بسبب انكسار أشعة الشمس بمرورها في طبقات الهواء السفلية حيث ينحرف النور ، ودرجة الانكسار واللون تتوقفان على كثافة الهواء في ذلك الوقت .
ويقول ابن منظور : وتقابل الشمس نصف القمر الذى يلي الأرض ، إلا ليلة الخسوف فتحول الأرض بينهما فيحجب القمر عن الشمس ، فينخفض بظل الأرض . وأنت لا ترى فرقا بين قول ابن منظور العالم اللغوى الأديب ، وبين أحدث ما يقوله علماء الفلك في عهدنا هذا عن خسوف القمر .
فهم يقولون : إن ظل الأرض يمتدورها إلى مسافة تقرب من تسعمائة ألف من الأميال فإذا اتلف ووقع القمر - وهو الجرم الوحيد - ضمن هذه المسافة في هذا الظل أثناء سيره حول الأرض ، حدث خسوف أيا كان ؛ فإذا صادف ووقع كله في الظل ، شمله خسوف كلى !!
ومن الغريب أن الشعراء عرفوا كثيراً من هذه الحقائق الفلكية الدقيقة العميقة !! عرفوا : أن القمر جرم معتم يستمد نوره من الشمس !!
وفي ذلك يقول ابن المعتز :
يا مفرداً بالحسن والشكل
من دل هينيك على قتل
البدر من شمس الضحا نوره
والشمس من نورك تستلج
ويقول المتنبي : وقد أخذه من ابن المعتز ، وكان كثير الأخذ منه على إنكاره النظر في شعر المحدثين ، كما يقول الشاعري :
تمكسب الشمس منك النور طاعة
كما تمكسب منها نورها القمر

وعرفوا : أن الأرض تسبب الخسوف للقمر ؛ باعتراهما بينه وبين الشمس !!
وقد أشار إلى ذلك الشاعر القروي
المعاصر بقوله :

وفي ذلك يقول الشيخ تاج الدين المالكي :
مذ واصل الخل شمس الراح قلت له :
الشمس لا ينبغي أن تدرك القمر
فقال - معتذرا - : لو حيل بينهما
وإني الخسوف لبدر التم مبتدرا
يشير بقوله - لو حيل بينهما - : إلى أن
سبب خسوف القمر حيلولة الأرض بينه
وبين الشمس !!

والبدر كالثاني العصري عاد ضحياً
من مرآة النجم يشكو الضعف والخورا
يمشي إلى الساحل الغربي متبدا
كالشيخ في سفح تل الأفق منحدرا
والأرض حاوت أتلقي الفجر ضاحكة
لأما الشمس أم تبكي ابنتها القمر !!
ولكن ذلك ليس بعجيب من الشاعر القروي
فهو يعيش بين كشف العلم الحديث .

وصف القمر في الخسوف :

قال ابن الرومي :

يا من بغرته الهلال أما ترى
قر السماء وقد بدا في المشرق
كخريدة نظرت إلى لآل لها
قتلتمت خجلا بكم أزرق
وقال نصر الدين بن يعقوب ، وقيل :
أبو سعيد بن نصير :

كأنما البدر به الكسوف
جام لطيف رائق نظيف
في نصفه بنفسي قطيف
ومن التعليل البديع للخسوف قول (صردر)
في طليحة سوداء من جواربه :

علقتها سوداء مصقولة
سواد عيني صفة فيها

وعرفوا : أن الخسوف لا يقع للقمر
إلا في ليلة الاستقبال : أي عند كاله وتماه !!
وفي ذلك يقول أبو الفتح القسبي - يرقى
الصاحب بن هباد - :

فقدناه لما تم واعتم بالهلا
كذلك كسوف البدر عند تمامه
بل أعجب من ذلك أن شاعرا قديما هو
هلي بن معاذ تلهمه الفطرة النقية السليمة :
إلى أن القمر جزء من الشمس فيقول :
البدر طفل في حضن الهوى
متزلق من رحم الشمس

وهو يوافق بعض العلماء المحدثين الذين
يذهبون إلى أن القمر جزء من الأرض
- كان يشغل المحيط الهادي - وأن الأرض
جزء من الشمس ؛ فهو حفيد للشمس !!

طرائف الخسوف ١١
يقول القاضي كمال الدين الزمكاني يداعب
إنسانا يسمى « بدر الدين » :
يا بدر دين الله ، صل مدنقا
صيره حبك عود الخلال

لا تخش من عار إذا زرته
فما يخاف البدر عند الكمال
فلما سمع بذلك الشيخ صدر الدين بن
الوكيل كتب إلى بدر الدين معارضا :
يا بدر لا تسمع مقال الكمال
فكل ما نطق زور محال
البدر يخشى النقص في نفسه

ولما يخسف عند الكمال ١١
وكان عبد الله بن زمرك الأندلسي مات
له جارية يهاها فبات عنده ضريحها ، وكان قد
حرف أن القمر سيخسف فنظم بيتين ولحظهما
حتى إذا كان قبيل الخسوف ، تغنى فيهما
بصوته المشجي ، واللحن يسوق الشوق
ويزجي ١١ وهما :

شقيقك غيب في الحده
وتطلع يا بدر من بعده
فها خسفت فكان الخسوف
حدادا للبست على فقده
فما استم الغناء حتى دخل القمر في الخسوف ١١
فعد ذلك من النوادر الغريبة ١١

على الجندي

ما انكسف البدر — على تيمه ،
ونوره — إلا ليحكىها
لأجلها الأزمان أوقاتها
مؤرخات بلياليها
وقول شاعر :

انظر إلى البدر في الخسوف بدا
مستسلا لقضاء الله والقدر
كأنه وجه معشوق أدل على
على عشاقه فابتلاه الله بالشعر
وقول آخر :

من لم ير البدر لم ير العجبا
في ليلة التم إذ رأى طربا
سار إلى الشمس كي يقبلها
فلم يحدها فساد منتقبا
وفي التعزى عن القعود دون الغاية يقول
شوقي في سقوط الطائرة بأحمد حسنين :

فه سرجك في السماء فإنه
سرج الألهة ما عليه غبار
عرض الخسوف له بما أزرى به
ما في الخسوف على الألهة عار
أو لم تظأ أرض السماء ولم تدر
حيث الشموس تدور والآثار
ويقول على شوقي أحد موظفي وزارة
الأوقاف سابقا :

وما أنا إلا البدر عاق صفوره
خسوف ولكن لم يفقه عن السير

زواج المتعة بين الشيعة والسنة

للدكتور عبد الفتاح محمود

هذا هو نص المصدر الأول . أما المصدر الثاني ، وهو البحر الزخار وصاحبه شيعي زيدي يتصل فكره بالإمام زيد عم الإمام جعفر الصادق فيقول : (الأكثر يحرم نكاح المتعة ، وهو المؤقت لنيه صلى الله عليه وسلم وعلى عليه السلام عنه) (١) .

ويعود ابن المرتضى فيقول (وأما ع - با صا - ابن جريج - الإمامية ؛ فيجوزون نكاح المتعة) وقد هدت إلى تفسير الرموز فوجدت أنه يقصد ابن عباس الذي ومن إليه بحرف العين ، والباقر الذي ومن له (با) ، والصادق الذي ومن له (صا) وابن جريج معروف كالإمامية من الشيعة ، والعلّة هـندهم كما يروى البحر الزخار (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) .

أما المصدر الثالث ، وهو أحدث المصادر للشيعة فيقول : (ومن طرقنا الوثيقة عن جعفر الصادق عليه السلام أنه كان يقول (ثلاث لا أتقي فيهن أحد : متعة الحج ، ومتعة النساء والمسح على الخفين) (٢) .

كان أول ما فوجئت به في الجانب الشيعي ثلاثة مصادر هامة قديمة وحديثة تبيح زواج المتعة ، وتوثق حجتها بسند عن إمام الشيعة الأكبر جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ) وصنفى أن الإمام الصادق قد أنكر هذا الزواج المؤقت وربطه بالانحراف ، والتحلل من التشريع السليم . هذه المصادر الشيعية هي : السكافي ، السكيني ، والبحر الزخار لأحمد بن يحيى المرتضى ، وأصل الشيعة لكاشف الغطاء وهو أحدثها .

أما السكافي فيقول : (إن علياً والباقر والصادق قد أحلوا زواج المتعة . وأن الباقر سئل عنها فقال : أحلها الله في كتابه وستة نبيه . نزلت في القرآن فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، فهي حلال إلى يوم القيامة . فقل له يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر؟ فقال : وإن كان فعل . فقل : إنا نعيمك بالله أن تحمل شيئاً حرمه عمر فقال : أنت على قول صاحبك ، وأنا على قول رسول الله) . كما روى السكافي عن جعفر الصادق أنه قال : (ليس منا من لم يستحل متعتين) (٣) .

(١) أحمد بن يحيى المرتضى : البحر الزخار ٢/ ٣٦٧ وانظر الدكتور أحمد أمين ضحى الإسلام ٣٠/ ٢٥٨/ ٢٥٩

(٢) كاشف الغطاء أصل الشيعة ١٦٧ .

(٣) السكيني : السكافي : ٩٥ / المخطوط .

في تفسير هذه الآية : (فما استمتعتم) قيل : المراد بالاستمتاع هنا درك البغية ، والمباشرة ، وقضاء الوطر من اللذة . والمعنى فما استمتعتم أو تلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن أجورهن أى مهورهن . وقيل : المراد : نكاح المتعة ، وهو المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم وهو مذهب أصحابنا الإمامية . والواضح أن لفظ الاستمتاع - وإن كان في الأصل واقعا على الإمتاع والالتذاذ - فقد صار يعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين ، لا سيما إذا أضيف إلى النساء ، فعلى هذا يكون معناه : فتي عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن . (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) قيل المراد به : لا حرج ولا إثم عليكم فيما تراضيتن به من استثناف عقد آخر يزيد الرجل فيه الأجل ، وتزيده المرأة في المدة ...

هذا هو تفسير الطبرسي الشيعي ، وقد أضاف الكافي وهو من أهم المراجع الشيعية أيضاً إلى الآية الكريمة : (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) ، جملة زعم أنها محذوفة من القرآن الكريم لظن بها هكذا : (فما استمتعتم به منهن -) إلى أجل مسمى) - فآتوهن أجورهن فريضة . خلاصة الرأي الشيعي : أن نكاح المتعة عقد لأجل طال أو قصر ، ولا توارث فيه ،

إن موقفنا في مناقشة هذه الآراء القديمة والحديثة ، يضطرنا بل يوجب علينا ، منهجياً الرجوع إلى المشكلة من جذورها وأصولها من القرآن ومفاهيمه من الشيعة والسنة ثم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحريمه لهذا النوع من الزواج بعد إباحته بثلاثة أيام عند فتح مكة . ثم نذكر المؤيدين والمعارضين والمتوقفين معتمدين على رأى ابن عباس الذى وافق ثم عارض ، وكان في موافقته ومعارضته أدق المؤرخين المفسرين الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن ابن عباس نفسه ثم نذكر موقف الإمام جعفر الصادق الذى تجاهله الأقدمون والمحدثون من الشيعة ، ونسبه أهل السنة في حججهم لإزاء رأى الشيعة .

أصل الآية الكريمة^(١) (والمحصنات من النساء ، إلا ما ملكت أيمانكم ، كتاب الله عليكم . وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً) .

يقول الإمام الطبرسي^(٢) المفسر الشيعي

(١) الآية ٢٤ من النساء .

(٢) الطبرسي : مجمع البيان المجلد الثانى ٣٢ وانظر

فقه الإمامية لأبى القاسم الحلى ٢٠٥ / ٢٠٦ .

أجورهن أى مهورهن (فريضة) حال من الأجور بمعنى مفروضة ، أو صفة مصدر محذوف أى إيتاء مفروضا . (ولا جناح عليكم) فيما يزداد على المسمى أو يحط عنه بتراض ، أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق .

وقيل : نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام عند فتح مكة ثم فسخت ، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم أباحها . ثم أصبح يقول بأياها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ، إلا أن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة . وجوزها ابن عباس ثم رجع عن ذلك . (إن الله كان عليا حكيمًا) : عليا بالمصالح ، حكيمًا فيما شرع .

وملخص رأى جمهور المعارضين يؤكد أن المقصود من الآية ليس زواج المتعة ولا وصفها بصفة الزواج ؛ لأن المفروض فى الزواج بمعناه الحقيقي أنه الدوام لا ذلك النكاح المنقطع ، ولأن سياق الآية كلها فى الزواج . فالآية الكريمة ذكرت ما يحرم من الزواج وما يباح ، وذكرت أن معنى الاستمتاع يكون بفقد النكاح ، أما دليل الشيعة الذى يتمسك بلفظ الأجر ، فلا عمل له لأن الأجر قد ذكر فى آيات كثيرة ترتبط بالزواج لا بالمتعة مثل : (فانكحوا من يآذن أهلن ،

ولا يشترط أى شاهد ، ولا ضرورة فيه لطلاق ؛ فانتهاه أجل العقد مع انتهاء المدة ، والعدة حيثان لمن تهيض ، وخمسة وأربعون يوما لمن لا تهيض ، ويمكن عندهم تجديد العقد . ودليل الرأى الشيعى هو التعبير القرآنى بالاستمتاع أو المتعة دون النكاح ، ثم التعبير بالأجر ، والمتعة عندهم إيجار على منفعة ، والأجر بصد الاستمتاع ، ولو كان زواجا دائما فإن المهر بنفس العقد ، ويطلب الزوج بالمهر أولا ، ثم يمكن من الاستمتاع . وهذا عندهم دليل على جواز عقد المتعة . ولكن ماذا يقول التفسير غير الشيعى ؟ يقول البيضاوى (١) :

وأحل لكم : قرأها حمزة والكسائى وحفص على البناء للعلوم (ما وراء ذلكم) ما سوى المحرمات الثمانى المذكورة ، وخص عنه ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع ، والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها . (أن تبتغوا بأموالكم محصنين) مفعول له . والمعنى أحل لكم ما وراء ذلك لإرادة أن تبتغوا بأموالكم بالصرف فى مهورهن ، والإحصان العفة فإنها تحصن للنفس عن اللوم والعقاب ، والسفاح الزنا (فاستمتعتم) فمن تمتعتم به منهن من عقد أو جماع فآتوهن

(١) البيضاوى : تفسير الآية المذكورة والبحر الزخار ٣٦٧ / ٣٦٨ .

حرم ذلك إلى يوم القيامة ؛ فمن كان عنده
منهن شيء فليخل سبيلها ، ولا تأخذوا
بما آتيتموهن شيئا) .

وقد أكد صحيح^(١) مسلم أيضا أن محمد
ابن الحنفية روى أن أباه الإمام عليا ابن
أبي طالب قال لابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء . .
كما روى مسلم كيف نادى ابن عباس بالمتعة ،
ثم نهى عنها في روايته التي تقول^(٢) (قال ابن
شهاب : أخبرني هروة بن الزبير أن عبد الله
ابن الزبير قام بمكة يعرض بابن عباس قائلا
إن أناسا أمهى الله قلوبهم كما أمهى أبصارهم
يفتون بالمتعة ؛ فناداه (ابن عباس) فقال :
إنك لجلف جاف ؛ فلعمري قد كانت المتعة
تفعل على عهد إمام المتقين . فقال له ابن الزبير :
لجرب بنفسك . فواجهه ففعلها لأرجنك
بأحجاري) وتعود الرواية فتحكي كيف نادى
ابن عباس إلى إنكارها بعد تأييدها فتقول :
(إنما كانت المتعة في أول الإسلام ، وكان
الرجل يقدم البلد ، ليس له بها معرفة ،
فيزوج المرأة بقدر ما يرى أن يقيم فتحفظ
متاعه ، وتصلح له شأنه ؛ حتى إذا نزلت الآية

وآتوهن أجورهن)^(٣) . أمر آخر خطير
هو أن الآية الكريمة التي تقول (والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما
ملكك أيماهم)^(٤) . هذه الآية تحدد في دقة
أن الشريعة حرمت الجماع إلا بأحد شيئين :
عقد نكاح ، أو ملك يمين ، والمتعة ليست
هذا ولا ذاك ، ثم إن المتعة أيضا ترتفع
بغير طلاق ، ولا يجري فيها توارث . أما
كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها ،
فإن ذلك نجد في رواية عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه نصها^(٥) (عن ابن عباس قال
سمعت عمر يقول : والله لا أنكح عن المتعة
ولقد فعلها رسول الله) يعنى العمرة في الحج
لا متعة النساء ، وقد روى^(٦) سلمة بن الأكوع
أن النبي صلى الله عليه وسلم قد (رخص لنا
عام د أوطاس ، في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها
رواه مسلم) .

وعن سبرة بن معبد - قال أمرنا رسول الله
صلى الله عليه بالمتعة عام الفتح حين دخلنا
مكة ، ثم لم يخرج حتى نهانا عنه ، وأخرج
مسلم وأبو داود والقسائي أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : (يأيها الناس إنى قد أذنت
لكم في الاستمتاع من النساء ، وأن الله قد

(١) وانظر أيضا صحيح مسلم حديث رقم ١٤٠٤ -

١٤٠٧

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٢٧ باب ١٦ (باب

النكاح) .

(١) آية ٢٥ من النساء .

(٢) آية ٦٥ من (المؤمنون) .

(٣) ابن للرفعي البحر الزخار ٦٣٧ / ٦٣٨ .

(٤) صحيح البخاري حديث رقم ١١٨٩ .

وقد لاحظت أن الإمام الصادق يتفق مع عمر بن الخطاب^(١) في قوله: إن المتعة زناً؛ فقد روى عروة ابن الزبير أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب فقالت: إن ربيعة ابن أمية استمتع بامرأة فحملت منه. فخرج عمر يحرق رداءه، وهو يقول هذه هي المتعة، ولو كنت تقدمت فيها لرجمت، ولو أوتي رجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمت.

فإذا هدنا إلى كاشف الغطاء العالم الشيعي نهدده يقول في جبرية عجبية به: إنه متمسك بما قاله المعصوم أولاً، وهو لا يخطئ، ولا يهوزله أن يخطئ أو يغير من رأيه، ثم يعود فيقول: (ومن طرقنا الوثيقة عن جعفر الصادق أنه قال: ثلاث لا أتق فيهن أحد: متعة الحج، ومتعة النساء، والمسح على الخفين).

ولا ندري ولا يدري المنهج العلمي ما الطرق الوثيقة التي يلغزها كاشف الغطاء فلا يكشف لنا عنها؟ وهل في العقل أن نلزم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر أبيض اضطراباً لضرورة كالميتة لا تحمل إلا المضطر كما يقول ابن عباس؟ ثم حرمه الله بعد ذلك لما زالت أسباب الضرورة؟ وهل ما هو مؤقت يوجب الأبدية على أساس دعوة العصمة؟

(١) موطأ مالك حديث ٤٢ وأنظر أحمد أمين ضحى الإسلام ج ٣ / ٢٠٨.

الكرامة (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم : قال ابن عباس : فكل فرج حواهما حرام ، وقد أخرجه الترمذى أيضا . فإذا عدنا إلى الإمام جعفر الصادق إمام الشيعة الأكبر فإننا لا نجد كما تزعم أممات المصادر الشيعة يبيح هذا النظام من الزواج ؛ فقد روى البيهقي عنه أنه سئل عن المتعة ؟ فقال هي زنا بعينه . أى بعد تحريرها تحريراً قاطعاً ؛ فلم يفعلها الرسول ولا الخلفاء الراشدون ، ولا الحسن ، ولا الحسين . (والمتعة صورة من البغاء وهذه كانت مباحة في عصر الجاهلية إلى صدر الإسلام كالخنزير وقد حرمها) (١) .

(وقد اعتمد (زفر) (٢) صاحب الإمام أبي حنيفة على مبدأ ابن عباس القائل بأن المتعة كانت كالميتة لا تحمل إلا المضطر أقول : إن صاحب أبي حنيفة اعتمد على هذا المبدأ الخطير فأكّد أن الشرط المنقطع يوجب التحريم لموضوعه ، بمعنى أن كل شرط شرط مدة لا يعيش ولا بد من قصد الدوام ولهذا نهى الرسول عن ذلك كما نهى على وابن عباس وجعفر الصادق .

(١) محمد عبدالغفار الهاشمي الشيعي : (أئمة الهدى من آل بيت المصطفى ٣٠ - ٣٥ وأنظر أيضاً محمد عزت دروزة : الدستور القرآن ٤٤٧ (٢) البحر الزخار ج ٢ / ٣٦٧ :

المعجب هنا قول الأستاذ مغنية أنهم يبيعونها ولكنهم لا يفعلونها . ولا شك أن هذا التوقف أخطر من الموافقة على إباحتها ، ولكن مادامت الإباحة قائمة فالفعل بالتبعية مباح قائم ، وإن تورم أو توقف فضيلة الأستاذ جواد مغنية في رأيه المعلق ، فإذا ذكرنا له ما رواه الجاحظ عن غلاة الشيعة في هذا الصدد أو سخنا له خطورة توقفه في رأيه يقول الجاحظ^(١) (إن جماعة من الرافضة الشيعة يقولون بالوقاية وطريقتها: أنه إذا احتلت امرأة أحدهم استعار امرأة غيره) ولا شك أن نظرية الوقاية تخريج شيعي دقيق لنسكاح المتعة وهو ما دعا إليه كاشف الغطاء في قوله: إن المتعة أمر ضروري للسافر للتجارة، أو طلب العلم عصمة له وقد نسي كاشف الغطاء أن تعميم نظام المتعة يشبه تعميم نظام البغاء وإذا كان البغاء نظاما مدنيا فالمتعة عنده وعند تابعيه نظام ديني كما نسي هؤلاء جميعا أن مبدأ التسامى مبدأ إسلامي أقوى أساليب الصوم والعمل بالفتكاح المؤقت أو ضرورة الوقاية أو اتباع أخف الضررين اللذين أكبرهما الزنا وأخفهما المتعة وكلاهما حواء في الواقع رغم تعميم نظام المتعة.

إن سيد المرسلين اجتهد في أمر أسرى بدر ونزل القرآن بغير ما اجتهد ، فهل هذا يغض من قدر الاجتهاد؟ وهل العصمة بمفهومها الشيعي تمنع الاجتهاد؟ أعجب ما في الأمر أن كاشف الغطاء^(٢) يقول: (وكل منفعة لا ضرر فيها في عاجل، ولا في آجل مباحة بضرورة العقل وهذا نسكاح المتعة) ، ومن قال: إن ضرورة العقل تبيح كل منفعة لا ضرر فيها .

ولو سرنا وراء هذا المبدأ لخرجنا من المحدود والواجبات الدينية والإنسانية خروجا على منهج الإسلام سواء بسواء . . والمعجب أيضا أني أجد عالما جليلا معاصرا هو الأستاذ محمد جواد مغنية وهو شيعي واع بصير يقول^(٣): (إن الشيعة لا زالوا يقولون بإباحة المتعة، ومع ذلك لا يفعلونها، وما هي بشائنة في بلادهم . فلم تستعمل المتعة شيعة سوريا ولبنان ولا العراق ، والمنقول أن بعض المسنات في إيران يستعملنها) ،

(١) كاشف الغطاء : أصل الشيعة ١٧٠ / ١٧١ الطبعة العاشرة .

(٢) محمد جواد مغنية (رئيس المحكمة الشرعية في بيروت) الشيعة الإمامية ١١٤ .

(١) الأصمغاني : محاضرات الأدباء ١٤٠٢

التحقيق لتشبهها بغير الواقع الغريزي ، بينما وجهة النظر الشيعة غير مقبولة لاشكلا ولا موضوعا لبعدها عن المنطق الإسلامى للتشريع الواضح الكامل ولا شك أن هذا المبدأ رغم اختلاف اتجاهاته قد أعان على ظهور ما يسمى فى القرن العشرين باسم زواج التجربة Trial Marriage حرصا على سلامة المجتمع من العقد النفسية كما يزعم بعض علماء النفس المقعدون لنظم زواج التجربة ، أو البغاء الرسمى أو زواج المتعة ، أو الزواج الخاص ، أو المؤقت أو ما يتوالد من كل هذه المصطلحات البعيدة كل البعد عن الروح الإسلامى أو المنهج الإسلامى الذى يملك بوسائله ومناهجه الذاتية والموضوعية كل مبادئ رقى الفرد والمجتمع

عبد القادر محمود

وقد لاحظت بالرجوع إلى نظم الزواج قديما وحديثا أن هذا الزواج المؤقت عند الشيعة يماثله ذلك الزواج المؤقت للفلاسفة ورجال الجيش فى جمهورية أفلاطون رغم اختلاف الاتجاه والمهدف . فقد أباحه أفلاطون لاعتبارات خاصة ترتبط بتحقيق مبادئ جمهوريته المثالية بينما أباحه الشيعة للوقاية فقط عند الاغتراب فى الحرب أو التجارة أو طلب العلم وباسم الدين ! وبينما كانت نظرة أفلاطون خاصة قاصرة على الحسكام والحراس ، فإن نظرة الشيعة مطلقة دون أى قيد مكانى أو زمانى أو دبنى فى الواقع . وربما كانت وجهة نظرة أفلاطون غير المسلم مقبولة حسب مبادئ جمهوريته ، وإن كانت فى الواقع هسيرة

بنو وهب

أعرق بنو وهب فى الكتابة وأنجبوا ، وفهم يقول الطائى :

كل شعب كتم به آل وهب فهو شعبي ، وشعب كل أديب
وكان الحسن بن وهب حسن الشعر والبلاغة . قال :

ابك ؛ فن أحسن ما فى البكا أن البكا للوجد تحليل
وهو إذا أنت تأملته حزن على الحدين حلول

زهر الآداب ٣ ص ٦٤٤

فتوى "الإمام محمد عبد" في التأمين على الحياة

للأستاذ محمد الدسوقي

المذكور مع الربح الذي ينتج مما دفعه فهل ذلك يوافق شرعا ؟

الجواب : اتفاق هذا الرجل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكون من قبيل شركة المضاربة ، وهي جائزة ، ولا مانع للرجل من أخذ ماله مع ما أنتجه من الربح بعد العمل فيه بالتجارة ، وإذا مات الرجل في إبان المدة ، وكان الجماعة قد عملوا فيما دفعه ، وقاموا بما التزموه من دفع المبلغ لورثته ، أو لمن يكون له حق التصرف في المال ، أن يأخذ المبلغ جميعه ، مع ما وبه المدفوع منه بالتجارة على الوجه المذكور .

٢ - غير أن هناك فتوى أخرى نشرها

فضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي - رحمه الله - في مجلة الأزهر ، المجلد الأول ص ٦٧٩ ، ونسجها إلى الأستاذ الإمام ، وقد جاءت كما يلي :

السؤال : رجل يريد أن يتعاقد مع جماعة ، على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط متساوية ، ليعملوا فيه بالتجارة ، واشترط معهم أنه إذا قام بما ذكر وانتهى أن الاتفاق بانتهاء الاقساط المعينة ، وكانوا

١ - نصبت إلى الإمام محمد عبد فتوى في التأمين على الحياة ، جوز فيها هذا النوع من التأمين : لأنه كما يرى : من قبيل شركة المضاربة ، وهي جائزة شرعا ، وهذه الفتوى صادرة بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣١٩ هـ ، وهي منشورة في مجلة المحاماة السنة الخامسة رقم ٤٦٠ ص ٥٦٣ هكذا :

فتوى شرعية

تأمين على حياة . جوازه . شركة مضاربة .
القاعدة الشرعية : عمل شركات التأمين على الحياة عمل مباح ؛ لأن اتفاق الشخص مع أصحاب شركة التأمين هو من قبيل شركة المضاربة وهي جائزة .

السؤال : سأل جناب مدير شركة (قومية) مغوال ليف (الأمريكية) في رجل اتفق مع جماعة (قومية) على أن يعطيهم مبلغاً معلوماً في مدة معلومة على أقساط معينة ، للتجارة فيما يبدو لهم فيه الحظ والمصلحة ، وأنه إذا مضت المدة المذكورة ، وكان حياً يأخذ هذا المبلغ مع ما وبه من التجارة في تلك المدة ، وإذا مات خلالها تأخذ ورثته ، أو من يطلق له حال حياته أخذ المبلغ

في المال أن يأخذ المبلغ جميعه مع ما ربحه المدفوع منه بالتجارة على الوجه المذكور ، ومعنى هذا أن المستأمن إذا مات قبل أن يدفع الأقساط كلها جاز لورثته أخذ المبلغ المتفق عليه جميعه مع ربح ما دفع من أقساط ، على حين لا يؤدي ما جاء في مجلة الأزهر هذا المعنى ، فالنص يقول : « وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح ، ويفهم من هذا النص أن المستأمن إذا مات قبل أن يؤدي الأقساط جميعها لا يأخذ إلا ما دفع من أقساط مع ربحها .

وثالثها : ما نشر في مجلة الأزهر لا ينطبق على نظام التأمين بأوضاعه القانونية الحديثة فهو صورة مضاربة وإن لم ينص على طريقة تقسيم الربح أو تحمل الخسارة أما ما نشر في المحاماة فإنه يأخذ شكلا من أشكال التأمين في أخذ المبلغ المتفق عليه ، وإن لم تؤد الأقساط جميعها .

٤ — ومع هذا فليس فيما نشر في المحاماة أو الأزهر دليل على مشروعية التأمين على الحياة كما هو اليوم ، لأن ما نشر في الأزهر لا علاقة له بهذا التأمين وهو كما أشرت صورة مضاربة ، وليس بين التأمين على الحياة والمضاربة المشروعة شبه كما يأتي بيان ذلك قريبا ، ولكن ما نشر في المحاماة ، هو الذي يمكن

قد عملوا في ذلك المال وكان حيا ، فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الأرباح ، وإذا مات في تلك المدة فيكون لورثته ، أو لمن يكون له حق الولاية في ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الأرباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيداً لأربابه ، بما ينتج له من الربح جائز شرعا ؟ الجواب : أنه لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل ، وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة ، كان جائزا شرعا ، ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والعمل في المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما يخصه في الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته ، أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح . ٣ — ويلاحظ أن ما نشر في مجلة الأزهر ، يختلف عما نشر في المحاماة من وجوه :

أولها : ما نشر في مجلة المحاماة ، نص فيه على أن شركات التأمين على الحياة من قبيل شركة المضاربة وهي جائزة شرعا ، فيكون التأمين على الحياة جائزا ، على حين أن ما نشر في مجلة الأزهر ، لم ينص فيه على ذلك .

وثانيها : « وردت في المحاماة ، العبارة جاز للورثة أو لمن يطلق له حق التصرف

في حالة حدوثها ؟ إنه كما هو معلوم يؤدي الأقساط وتصبح بعد أدائها ملكا للشركة تتصرف فيها كيف تشاء ، وتستغلها بالطرق التي تراها مجدية لها ، وذلك في مقابل قيامها بدفع مبلغ التأمين المتفق عليه ، وقد يكون ذلك بعد أداء المستأمن قسطا أو قسطين مثلا فأين هذا من المضاربة التي تقوم على تبادل المنافع والتعاون ، وتهيئة مجالات الحياة السريعة للعاملين ؟

إن طبيعة المضاربة تقتضي الإشراف في الربح والخسارة ، وفي التأمين على الحياة لا مجال للخسارة بالنسبة لشركات التأمين ، فقد وضعت الشروط التي تمنعها الخسارة أو الضرر على حين يتعرض المستأمنون لأضرار بالغة بسبب تلك القوانين التي هي في صالح الشركات دائما .

هـ — وقد جاء في الفتوى المنسوبة للإمام محمد هبده أن أخذ المبلغ جميعه مع ما ربحه المدفوع منه جائز ، فما الدليل على هذا ؟ هل يمكن أن يكون ضربا من التعاون والتكافل ؟ أو أنه وفاء بالإنزام قد فرضه المؤمن على نفسه ولا مانع شرعا من الوفاء به ؟

إن شركات التأمين التجارية تعمل على تحقيق أرباح للمساهمين ، ولا تكون ملزمة قبل المستأمنين بشيء إلا طوعا لشروط وقواعد

أن يتخذ دليلا لحل هذا النوع من التأمين ، لأنه حكم عليه بأنه من قبيل المضاربة ، وهي جائزة شرعا .

غير أن القول بأن التأمين على الحياة من قبيل المضاربة الشرعية غير صحيح ، لأن المضاربة كما عرفها الفقهاء عبارة عن عقد على الاشتراك في الربح على أن يكون رأس المال من طرف ، والعمل فيه من الطرف الآخر ، وقد صاحب رأس المال ، كما يتعدد العامل ، وأهم شروطها أن يكون نصيب كل من الطرفين في الربح محددًا غير مجهول النسبة وأن يتحمل صاحب رأس المال الخسارة وحده إذا لم تكن بلا تعدد من المضارب (١) فهل نظام التأمين على (٢) الحياة يمكن أن يكون من قبيل المضاربة الشرعية ، وما أوجه الشبه بين هذه وذاك ؟ وهل يقوم المستأمن بدفع الأقساط للشركة على أن تعمل فيها ثم يتقاسم الربح ويتحمل الخسارة وحده

(١) أنظر مختصر المعاملات الشرعية للأستاذ على الخفيف ص ٢٥٢ .

(٢) التأمين على الحياة : عقد تتعهد الشركة بمقتضاه - مقابل أقساط تسد - بأن تدفع عند وفاة المؤمن على حياته مبلغ التأمين ، ويسمى التأمين في هذه الصورة « التأمين في حالة الحياة » أو تدفع مبلغ التأمين إذا بقي المستأمن حيا إلى تاريخ معين ويسمى « التأمين في حالة الحياة » (راجع التأمين على الحياة للدكتور عبد الوود يحيى)

(٣) أنظر المصدر السابق .

الاجنبى قد وجد من المسلمين عزوفا عنه ، لارتياحهم ، وعدم اطمئنانهم دينيا إلى ما بدعوهم إليه ، فلم يجد وسيلة أجدى من أن يعرض الأمر على المفتى ، وقدم سؤاله إليه بصيغة لبقه ، فلم ترد فيه كلمة التأمين ، ولذا لم ترد في الإجابة أيضا (١) ، وقد جاءت الفتوى محققة لما يتطلع إليه المدير الاجنبى ، فطار بها فرحا ، واتخذها ، كما اتخذها سواء من أصحاب شركات التأمين ، سلاحا يجذبون به العملاء ويرغبونهم في التأمين .

ولكن مع هذا لا تعد هذه الفتوى - مع التسليم بصحتها - دليلا على حل التأمين على الحياة ؛ لأنها اعتبرته من المضاربة الشرعية ، وهذا غير صحيح ؛ لأن التأمين التجارى نظام حديث بقوانينه ونظمه وأهدافه ، ولا يشبه المضاربة فى شيء ، فليست هذه الفتوى إذن سفدا لحل هذا النوع من التأمين ، وإن زعم بعض فقهاء التأمين (٢) أن الإمام محمد عبده قد دعا إلى التأمين ؛ لأنه لمس بميزاته ، وأثره فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

محمد المرسوقى

(ماجستير فى الفريضة الإسلامية)
محرر بمجمع اللغة العربية

معينة ، وهى لا تقوم على التعاون لأن المستامن ليس عضوا فى شركة التأمين ؛ لأنه لا يمكن أن يكون عضوا فى شركة هو فيها طرف وهى طرف ، ومن ناحية أخرى لا تعد هيئات تساعد المحتاجين والمكروبين ، ولأن عقد التأمين من ناحية ثالثة عقد معاوضة يحصل كل طاقه فيه على مقابل لما أعطاه انتفى - إذن - أن يكون ما تدفعه شركات التأمين تبرعا أو تعاونا وإذا لم يكن ما تدفعه هذه الشركات تبرعا ؛ فإن الالتزام بدفع المبلغ جميعه دون أن يكون المستامن قد أدى الأقساط كلها ليس له سند شرعى ، وهو صورة من صور المقامرة لأن أخذ المبلغ - مع عدم دفعه كله - معلق على حصول أمر مجهول للطرفين وقت حصوله ، فعنصر المقامرة متوفر فى هذه الحالة .

٦ - وأخيرا لماذا كان السائل رجلا أمريكيا يدير شركة تجارية للتأمين ، وليس رجلا مسلما يسمى لمعرفة حكم دينه فى هذا اللون من التعامل ؟

إن الذى لا ريب فيه أن هذا السائل لا يهجه أن يحرص المسلمون على أحكام دينهم وأن يأخذوا بها فى أقوالهم وأفعالهم ، ولكنكته يرى من وراء ذلك إلى تحقيق مصلحته فقط ، إن الغاية من سؤاله ، الحصول على تصريح من المفتى - مرجع المسلمين فى معرفة شئون دينهم - بشرعية تلك العملية ، إن هذا المدير

(١) أنظر مجلة إدارة قضايا الحكومة السنة السادسة العدد الثالث ص ٩١ .

(٢) أنظر مجلة القانون والاقتصاد مارس سنة ١٩٨٦ .

الدّميرى وحياة الحيوان

للأستاذ محمد جاد البنا

بمروق مكنتياتها ، وإطفاء منارات الفكر والعلم بها - وكان لزوما - كما رأى السلطان بيبرس أن تنتقل الخلافة من بغداد إلى القاهرة التي عاشت هيشة هادئة نسبية ، والعلم لا يفرح إلا في ظل الهدوء والأمان . كذلك فإن من طبيعة الموسوعات - كما يقول أحمد أمين في ظهر الإسلام - أنها جمع لمتفرق وهي تحتاج إلى جد وصبر أكثر مما تحتاج إلى كبير عقل وهذا مظهر من مظاهر التقليد وعدم الاجتهاد .

ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن هذه الموسوعات وإن اتسمت بسمة النقول وجمع المعلومات دون ابتكار بالغ - استطاعت أن تحفظ الكثير من التراث الحضارى الذى كان لابد من حفظه ودفع يد البلى عن ذواته الحافلة ودوره النادرة ومصاوعة الزمان في سبيل بقاء هذا الميراث الضخم .

ومع أن الأزهر كان متألقا يرسل الضوء بعيداً في ذلك الحين فإن علماءه - رحمهم الله - قصروا جهدهم وقتها على مجرد الفتيا المذهبية والاجتهاد المقيد . ولكننا لا نستطيع أن

الشيخ كمال الدين هلم من أعلام القرن الثامن الهجرى ، وإن كانت وفاته في مطلع القرن التاسع ٨٠٨ هـ ، مما جعل طائفة من المؤرخين والمترجمين يدسونه مع أعيان هذا القرن إلا أن الصواب غير ذلك ، فالرجل عاش زهرة عمره بين مسارب القرن الثامن قارب منتصفه وله ٧٤٢ هـ ، وفيه تلقى العلم ومع أيامه ارتحل ، وفيه اقترن وأنجب وفيه أعطى خيره ثماره فلا ضمير علينا إذن أن تلقى عافتنا من الضوء على النواحي الاجتماعية والسياسية والتيارات الثقافية والعلمية التي ماج بها هذا القرن حتى إذا التقينا بالمرجم له كان اللقاء أليفا والمعرفة آكدة .

القرن الثامن الهجرى يسجل نهضة علمية شاملة نكاد نطلق عليها « النهضة الموسوعية » لكثرة المؤلفات الجامعة التي ولدت وتم نضجها إبان هذا القرن ، ولعل السبب الذى يفسر ازدهار هذه الحركة الموسوعية هو انتقال الزعامة العلمية والسياسية من العراق إلى مصر التي نجمت من حركة التخریب التترى بعد ما نكبت الحضارة الإسلامية في بغداد

من علوم الشريعة ، وممداد من التقوى ووجهة في الرأي والمنصب .

حلقات العلم إذن كانت تعقد في المساجد والمدارس المنتشرة كالمنازل في المدن الكبيرة بينما (ككتائب) حفظ القرآن الكريم تنتشر كالأهصاب الدقيقة في القرى والكفور والنجوع ، من بين هذه القرى كانت قرية دميرة - بفتح الدال وكسر الميم - على شاطئ فرع من فرعي النهر الخالد المسافر لعناق البحر الأبيض عند دمياط ، وكانت هذه للقرية بما لها من حضارة قديمة تعج بجمع حافل من العلماء والفقهاء والأشراف والسادة فهي ترفع رأسها في غروتيه على القرى المجاورة لها في ذلك الحين لأنها استطاعت أن تهدي إلى القاهرة نجمة من رجال الفكر والعلم والحكم ، فهي التي أهدت إليها بل إلى مصر كلها والعالم الإسلامي أجمع « صاحب صني الدين الدميري » المعروف « بابن شكر » الوزير العالم الذي اشتهر بعزمه وحزمه وحسن سياسته وجليل عمله (١)

(١) ولد للصاحب صني الدين الدميري سنة ٥٤٨ هـ ، وظل وزيراً للملك العادل ثم لابنه الملك الكامل حتى طاع في سنة ٦٢٢ هـ قال المقرئ : وهو الذي أنشأ المدرسة الصاحبية في القاهرة . الخطط لعل مبارك ١١ / ٥٧ / ٦٠ .

نبخس الأزهر حقه أو نعمطه فضله فلولاه لضاعت علوم الشريعة ولما انت لغة القرآن ولولاه لساد ظلام الجهل آفاق الشرق العربي والإسلامي الذي ظل لمدة طويلة من الزمن ينهل من ينبوعه ويسير في ضوئه .

ونحن ، وإن كنا لا نجد للماليك - حكام مصر والشام في ذلك العصر - فضلهم على العلم وآيادهم على العلماء . إلا إننا لا نستطيع أن نقض النظر عن تعجيبهم للتسكيا والحواشي والربط والزوايا التي أفسدت ووح العلم وصاعدت على انتشار الأمراض الاجتماعية بما أشاعت من صوفية عمياء انتشرت خلال هذا العصر فأضلت أكثر مما هدت ، ولعل السبب في ذلك الاتكال المريض والتمكين لهذه الصوفية المشوهة أن الماليك كانوا ينفون من وراء ذلك إلهاء الشعب عن وضعه وتركه تحت رحمة الأقدار تعبت به السلطات الحاكمة تحت ستار من الدين ، والدين من ذلك براء .

ذلكم كان مجمل الحال في القاهرة العاصية فإذا عن الحال في القرى والأقاليم المصرية وقتذاك؟ الحق أن علوم الشريعة الإسلامية كانت تغزو العقول وتسيطر على الأفتدة لأنها كانت تمثل اللون الشائع في ثقافة ذلك العصر فقلبا نجد أسرة في القرية المصرية وقتها تملك شيئاً من اليسار لم تبحث بسفير لها ليعفقه في الدين وليتوقف بالعلم كي يعود إلى أهله يزداد

كان مولد كمال الدين الدميرى فى القاهرة أوائل عام ٧٤٢هـ كما كتب ذلك بخط يده ، وكما هى العادة لم يعلم يوم مولده تحديدا شأنه فى ذلك شأن كل المعظماء الذين وقفوا فوق قمم العظمة والخلود يحفر يوم موتهم فى القلوب والتاريخ والصخر البارد وينسى يوم مولدهم لأنهم يومها لم يكونوا عظماء بعد .

ويبدو أن أسرة الدميرى كلها كانت قد هاجرت إلى القاهرة لتكسب وطلب الرزق بعد أن أوشكت مصانع (النشار) ، التى اشتهرت بها القرية والتى كانت مصدر رزق وفير لأهلها ^(١) ، أن تغلق أبوابها ويتراكم ظل الإهمال حولها بسبب فساد الادارة الحاكمة ، أو لعل السبب الذى يفسر هجرة الاسره الدميرية من موطنها هو سوء حالة الفلاح

ولم لا ترفع الدميرة ^(٢) وأسمها فى علو وكبرياء ١٤ أليست هى منجبة الرجل الصالح التقى الورع الشيخ د أبو تراب ، عبد الوهاب بن خلف الشهير د بالخف ، الذى مات فى نهاية ٢٧٠هـ ^(٣) ثم هى تستعد مع منتصف القرن الثامن الهجرى كى تقدم إلى القاهرة العاصمة بل إلى الإنسانية قاطبة هديتها الثمينة ممثلة فى ولدها النجيب محمد بن موسى بن عيسى بن على الكمال أبو البقاء الدميرى الأصل والنسب ، حقا إن دميرة لا تنسركر أنه ولد فى القاهرة ، وللقاهرة أن تفخر بذلك وتعزى ولكن دون نخر القرية التى يعزى إليها أصله وفرعه ، التى ما فتئ يذكرها بالخير طوال حياته حتى أنه تمنى يوم أن كرم فى القاهرة أن يكون فى موكبه المهييب بين الدمرتين ^(٤) .

= وكفر دميرة القسديم (من قرى مركز طنطا محافظة الدقهلية الآن) وقد كانتا بلدة واحدة مكونة من دميرة القبلية ودميرة البحرية حتى تم انفصالهما أخيرا كاجاء فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ .

(١) يقول هلى مبارك : إن دميرة كانت مشهورة بصناعة النشار وذكر فى الخطط كيفية استخراجها وقتها وكيف كان يصدر إلى أوروبا وقال : إن هذه القرية كانت من القرى المعتبرة فى ديار مصر .

الخطط ١١ / ٧٥ أميرية

[٦]

(١) دميرة : اسم فرهونى قديم لتلك القرية ، وليس عربيا ، وبسبب ذلك وقع النسب لها على لفظها فقيلا : دميرى بدون حذف الياء كما يجرى فى مدينة ... الخ ، ومعناها فى لغتنا : الأرض الخصيبة .

(٢) قال صاحب معجم البلدان : وإليها ينتسب : أبو غسان مالك بن يحيى بن مالك الدميرى ٨٥ / ٤ ، وفى الخطط التوفيقية - الحادى عشر - ذكر طويل لمشاهيرها فليرجع إليه من أراد .

(٣) د الدميرتان ، هما قرىتا : دميرة ، =

الأيام ما فتئت أن تساءلت هل خلق الفتى
 • لشد الخيط، • ونظم الأبر، ؟ أم أنه هيء
 بطبعه وطموحه لشيء غير هذا؟ إن داعي العلم
 يدهوه وبواد المعرفة تتيقظ في فؤاده
 وبواد الفؤاد الإلهي تكاد تنبثق من صدره،
 واستجاب الفتى لداعى العلم وكان لا بد له
 أن يستجيب والافق للفقه والأصول ١١٢

من للأدب والشعر وتاريخ الحيوان ؟ من
 للمعرفة الموسوعية والتحقيق الدقيق والنظر
 الثاقب ١١٢

وسرعان ما حفظ القرآن الكريم وجوده،
 وسرعان ما اقتسب إلى الأزهر - جامعة الدين
 والدنيا في ذلك العهد - ولزم الشيخ السبكي
 (بهاء الدين أحمد) ليأخذ عنه الفقه الشافعي
 ولم يقتصر عليه وحده وإنما كان يتردد إلى
 حلقة السكال أبي الفضل (النويري) وكان
 لزاما عليه أن يتصل بحلقة برهان الدين
 (القيراطي) ليأخذ عنه الأدب ويتردد على
 درس الهاء بن عقيل ليأخذ عنه العربية .
 وهكذا صار ينتقل من حلقة إلى حلقة ومن
 أستاذ إلى أستاذ كالنحلة الدوب يلقف من
 هنا فائدة ومن هناك شاردة حتى امتلأ علما
 وفقها وفضلا وأدبا وظهرت عليه معالم النجابة
 وبواد التفوق، ولكنه لم يفتقر بذلك
 ولم يتخذ مجلس الاستاذية الذي كان ينتظره
 في الأزهر جامعته التي تخرج منها وإنما أدرك

المصري آنذاك ؛ لأن الغلال التي كان يسقيها
 بعرق جبينه يذهب معظمها لمخازن الدولة
 وأولى الجاه وأصحاب السلطان، وقد أدى هذا
 الأمر، كما ذكر صاحب الخطط، إلى خراب
 القرى، وتشرد الفلاحين، وهجرتهم إلى المدن
 يتسكعون في شوارع القاهرة وأزقتها
 لا يعرفون لهم مأوى .

ويبدو كذلك أنه حينما استقرت الأسرة
 المهاجرة في القاهرة عملت بالتجارة، أو اتخذت
 بعض الصناعات والحرف، ولم أجد مؤرخا
 واحدا يدلنا في وضوح على نوع هذه التجارة أو
 نوع هذه الحرفة لأن المؤرخين والمترجمين للشيخ
 الدميري اقتصرُوا على تتبع حياته بينما تركوا
 الأضواء بعيدا عن حياة أبيه وأهله والتي
 لو سلطت عليهم لاستفدنا - نحن الدارسين -
 من ذلك فائدة جليلة .

قال الرواة : حينما شب الفتى الدميري عن
 الطوق، وقارب سن النضوج كان لا بد له وهو
 ابن الأسرة السكادحة المهاجرة من عمل أو
 صناعة ليتكسب ويميش، ورأى أمه أن
 «الخباطة»، وهي مهنة رابحة في ذلك الزمان،
 تكفيها مؤنة العيش وحاجة الحياة، فذهبوا به
 إلى «خباطة» ليعلمه ويميزه إذا هو أحسن
 صناعته وقد كان ما أرادوا فأجاد الغلام خباطة
 الملابس وتمكسب منها زمنا، ولكن

قياسا على تذكرة داود وفي الموسوعات الخاصة
كتاب (حياة الحيوان) في جزئين وعليه
سنقصر الحديث لانه الكتاب الاوحد الذى
عثرنا عليه مطبوعا من بين هذه الثروة العلمية
الضخمة والتي تحتاج إلى العناية من لجنة إحياء
التراث في وزارة الثقافة .

وقبل أن نلتقل إلى حجة حياة الحيوان
يحسن أن نلم بشيء من مجالس علمه وفضله
وتقواه التي كانت تعقد بالقاهرة ومكة
والمدينة وجوف الكعبة فلقد تسلم كرسي
الاستاذية في الأزهر لمدة طويلة بعد أن عاد
من رحلته المسكية الأولى - وكان كما ذكر الرواة
يشغل الطلاب في حلقة الأزهرية هذه يوم
السبت غالبا ، وكان يدرس الحديث بالقبة
البيرصية ، وكان يذكر الناس ويعظمهم
بمدرسة ابن البقرى داخل باب النصر يوم
الجمعة . قال صاحب الضوء اللامع : وكان
يقيد في مجلسه هذا أشياء حسنة من فنون
العلم ، وكان يذهب إلى جامع الظاهر بالحسينية
بعد عصر الجمعة غالبا .

قال المقرئ في هقوده : ... صاحبه
سنتين ، وحضرت مجلس وعظه مرارا لإعجابي
به ، وأنشدني وأفادني وكنت أحبه في الله
لسمته وحن هديه وجميل طريقته ومدامته
على العبادة لقيني مرة فقال : ما زال المقرئ

بحاسة ابن القرية المهاجر أن لا بد من الرحلة
لأن المعرفة : ما قامت على الكتاب
والمشاهدة ، والنظر والعمل ، قل سيروا
في الأرض فانظروا ، كان عليه إذن أن يطلب
الشيء الثاني المتمم لمعرفته والمكمل لثقافته .
وكانت أولى رحلاته سنة ٧٦٢ هـ إلى مكة

المكرمة ، لا للحج وحده ، وإنما للعلم كذلك
فهو لا يضيع وقتا يستطيع أن يطلب فيه
مجلس علم فهو دائم التردد على حلقة الجلال بن
عبد المعطى ليقرا عليه الترمذى كذا فهو
يطلب مجلس السكال محمد بن عمر بن حبيب
وعليه قرأ مسند أحمد . ثم عاد إلى حاصنة
الأزهر بعد أن أدى فريضة الحج الأولى
وحاجة النفس العظمى فانصكب عليه الغزير
وانهل نبعه الثر وأبنع حقله الخصب فأعطى
الحصاد الوافر والثر الحلو في كل فن ومن كل
لون في الحديث - أعطى (الديباجة في شرح
سنن ابن ماجه) قال عنه حاجي خليفة في كشف
الظنون : إنه في مجلدات خمسة وإنه مات قبل
تحريره وتبليغه . وفي التوحيد والعقائد -
الجواهر الفريد في علم التوحيد - وفي الفقه
الشافعى - (النجم الواج في شرح المنهاج)
للزوى - وفي الأدب والشعر - أعطى (شرح
غاية الأرب في معرفة كلام العرب) وشرح
المعلقات السبع ، هذا هدا مختصر لشرح لامية
العجم للصفي . وفي الفروع - تذكرة الدهرى

سنة اثنتين وستين وسبعائة وجاور بها حتى حج في السنة التي بعدها ثم تعددت زيارته وكثرت أوباته حتى صار له طلابا ينتظرونه في مكة مثلبا يتشوق إليه المريدون في القاهرة ولو ذهبنا، مثلبا ذهب صاحب الضوء اللامع، في تعداد مرات سفره إلى مكة لطلال بنا الوقوف وامتد بنا الأمد .

والذي يعنيننا الآن أنه انفصل عن مكة سنة تسع وتسعين وسبعائة لظل بالقاهرة يحاضر الطلاب في حلقات العلم ويذكر الناس في مجالس الوهظ ثم هو لا ينسى حين يعود إلى داره أن يلم بالقراطين فيجبر بياضها بنتاج فكره وفائض هبقريته وغزير عليه حتى طواء الموت فيمن طوى لثلاث ليال خلون من جهادى الأولى سنة ثمان وثمانمائة من الهجرة وذكرت كتب تراجم المعتمدة أنه دفن بمقابر الصوفية المعروفة يومها بمقابر « سعيد السعداء » ويبدو أن زاوية صغيرة أقيمت على قبره وما زالت باقية حتى الآن بعد أن جددتها وزارة الأوقاف عام ١٣٢٤ هـ أى منذ ستين عاما . وبالزاوية . فى حى الحسينية بالقاهرة - ضريحه المعروف بضريح سيدى محمد كمال الدين الدهيرى المشهور بالصوابى ، إلا أن المسجد صغير مهتم لا يليق بقدر الرجل الذى اهتم به علماء الغرب ومستشرقوه فترجموا مؤلفه عن حياة الحيوان (البقية على الصفحة التالية)

يروى - رأيت فى المنام أنى أقول لشخص : لقد بعد عهدى بالبيت العتيق ، وكثر شوقى إليه فقال : قل لا إله إلا الله الفتاح العليم الرقيب المنان . فصار يكثُر ذكر ذلك حتى حج فى تلك السنة رحمه الله وعظ فأفاد وخطب فأجاد .

وقالوا عن تفواه الشيء الكثير فما يروى منه أنه كان أكلوا نهما فى مطلع حياته فلما أخذته سبجات العبادة وتصبغ برداء التقوى صار بحيث يطيق متابعة الصيام . وكان له أذكار يواظب عليها ، وعنده خشوع وخشية وبكاء عند ذكر الله سبحانه . ويقول صاحب شذرات الذهب : « وكان ذا حظ فى العبادة تلاوة وصياما ومجاورة فى الحرمين ويذكره كرامات كان يخفيها وربما أحالها على غيره . » والرجل لا يقتصر على مدارس القاهرة ومساجدها ودور علمها فهى وحدها لا تسكن فى بيضه الغزير وإنما يطلب الرحلة العلمية من جديد ليفيد بعدما استفاد وليعطى مثلبا أخذ ، ثم هو كذلك فى رحلاته هذه يلهم بصيرته الغذاء والنماء والاكتمال ويشد الرحال إلى أم القرى مكة مرة بعد مرة حتى توثق بينه وبينها نسبا وصهرا ؛ فلقد تأهل فيها بأم فاطمة ابنة (يحيى بن عباد الصنهاجى : المسكية) التى ولدت له (أم حبيبة وأم سلمة) وهبى الرحمن وكانت أولى قدماته على ما أخبرت عنه زوجها ، فى موسم

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

دؤستاذ مجي الدين اللوائ

— ٣ —

الدهلوى ، صاحب كتاب ، حجة الله البالغة ، المعروف الذى يعد من أمهات المؤلفات العربية فى القرن الثانى عشر .

وقد ولد الشيخ الإمام قطب الدين أحمد ولى الله بن عبد الرحيم ، الملقب بشاه ولى الله الدهلوى ، فى الرابع عشر من شوال سنة ١١١٤ هـ ، وكان جده الشيخ وجيه الدين العمري ، من كبار مشايخ (دلى) ، وقيل : إن نسبه يتصل بالإمام موسى الكاظم وصى الله عنه ، وبعد أن أخذ العلوم عن والده الشيخ

قدنا فى العدد السابق بعض المؤلفات العربية القيمة للعالم الهندى الشيخ عبد الحى ابن نضر الدين الحسى ، واستعرضنا نماذج من كتابه ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، فى تاريخ رجال الهند وأعيانها المسلمين فى مختلف العصور ، وكذلك كتابه ، دجنة المشرق ومطلع النور المشرق ، فى جغرافية الهند والتاريخ الإسلامى فيها . ونقدم الآن بعض المؤلفات العربية فى مختلف العلوم ، للشيخ الإمام ولى الله بن عبد الرحيم

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

سيرته التى ما زالت نهب الضياع تائمة فى بطون المؤلفات والتراجم الواردة .

هذا عن الرجل أما الكتاب فهو هنا معه لقاء قادم إن شاء الله ؟

محمد باد البنا

معيد البحوث والدراسات العربية العالية

= وانتهى منه إلى حرف الفاء - نقلا عن كشف الظنون لحاجى خليفة الذى ذكر أيضا أن الحكيم شاه محمد القزوينى ترجم حياة الحيوان إلى الفارسية وزاد عليه أشياء .

إلى لغات عدة واختصره وهذبوه واستفادوا منه (١) . ولا شك أن الشيخ الدميرى جدير بنظرة من الأزهر أو وزارة الثقافة أو وزارة الأوقاف فهو حقيق بإحياء ذكره وتجديد ضريحه ومسجده وإلقاء بعض الضوء على

(١) فى مجلة المشرق ١٠ / ٧٦٥ - أن السكولونيل د جاكار ، أحد أساتذة كلية (ممباى) بالهند ترجم كتاب حياة الحيوان ، إلى الإنجليزية ووضع القسم الأول منه فى لندن سنة ١٩٠٦ م والقسم الثانى سنة ١٩٠٨ م =

عنه الحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ إبراهيم بن الحسن المدني ، وعاد إلى الهند ، سنة ١١٤٥ هـ .

وكتابه (حجة الله البالغة) هو عمدة تصانيفه في علم أسرار الشريعة وأصول الدين ولم يتكلم في هذا العلم أحد قبله على هذا الوجه من تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات والمبادئ . واستحتاج المقاصد . وبعد كتابا مبتكرا في موضوعه وأسلوبه العلي (١) . ومن نعم الله تعالى عليه أن أولاده ألجج بين العلوم والفنون الكثيرة والفصاحة في اللغة العربية والربط الخاص بالفنون الأدبية في النظم والنثر ، فإنه حاز علم تفسير القرآن وعلم الحديث والأثر مع حفظ المتن وضبط الأسانيد والنظر في دواوين النجمايع والمسانيد وعلوم الفقه على المذاهب الأربعة وأصحابها ، والاطلاع على مأخذ المسائل ومنازع الحجج والدلائل ، وعلم العقائد وأصول الدين وعلم الحقائق وآداب السلوك .

وقد أثنى كثير من أجلة العلماء على الشيخ ولي الله الدهلوي وأولاده ومريديه الاجماد ، لما نفع الله بهم وبعلمهم في سبيل توطيد ركن علم الحديث في الهند ورد كيد الشرك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ، كما شهدت بذلك كتبهم وفتاواهم ، ومنهم شيخه أبوطاهر

عبد الرحيم ، وحصل له التبحر في علوم الحديث والفقه والتوحيد ، اشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فرحل إليهما سنة ١١٤٣ هـ ، ومعه خاله الشيخ هبيد الله البارهمي وابن خاله محمد عاشق ، وغيرهما من أصحابه ، فأقام بالمحرمين عامين كاملين ، وصحب علماء الحرمين صحة علم وتحقيق ، وتلف على الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكردى المدنى في المدينة المنورة ، فتلقي منه ، ما بين قراءة وسماع ، صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن ابن ماجه ، وموطأ الإمام مالك ، ومسنند الإمام أحمد ، والرسالة للشافعي ، والجامع الكبير ، ومسنند الحافظ الدارمي ، وسمعه من أوله إلى آخره في عشرة مجالس كلها بالمسجد النبوي عند المحراب العثماني تجاه القبر الشريف (١) .

وأجازه الشيخ أبوطاهر الكردى والمدنى إجازة عامة بما تجوز له وعنه روايته من مقروء ومسموع وأصول وفروع وحديث وقديم ومفروظ ورقم ، ثم ورد الشيخ ولي الله الدهلوي بمكة المكرمة ، وأخذ موطأ مالك عن الشيخ ، وقد الله ، المالكي المكي وحضر دروس الشيخ تاج الدين القلي المكي ، وسمع عليه أطراف الكتب الستة ، وأخذ الإجازة عنه لسائر الكتب ، وأخذ

(١) أعيد طبعه ونشره في مصر مرارا .

(١) نزهة الخواطر ج ٦ :

أن الزنادقة والملاحدة تستروا في ذى الصوفية وتطاولت أيديهم بعبارات القرآن العظيم والأحاديث النبوية وكتابات المشايخ السكبار، وحلوا على غير المراد فضلوا وأضلوا فساد الزمان أن يكون شيئا بزمان الجاهلية فاقضى التدبير السكلى والحكمة الأزلية أن تظهر حقيقة الحقائق بالقدر المشترك الجامع بين علوم النبوة والولاية بل الجامع بين العلوم كلها مرة أخرى في مظهرها الثالث ليكون منصة لظهور حقائقها الجامعة المميزة بين العلوم ومراتبها فهو يقن قوائن ويدون قواعد يحصل بها الامتياز التام بين علوم النبوة والولاية بل بين العلوم المتعددة كلها من التفسير والحديث والفقه والعلوم والتصوف والسلوك فينزل كل علم منزله ويبلغ كل عبارة وإشارة مبلغه وهو السكامل المسكّل ، زبدة المتقدمين ، قدوة المتأخرين ، قطب المدققين ، الشيخ ولي الله المحدث الدهلوى .

وتطاولنا في النقل بما كتب عن هذا المؤلف العظيم بغية أن يكون بمثابة تعريف عاجل بطريقته الجديدة وأسلوبه الخاص في تحقيق أسرار الشريعة وغوامض العلوم العقلية والعقلية وتمييز العلم المنقول من المحرف المدخول وفرق السنة السنية من البدعة غير المرضية ، وتطهيرها من قذى أهل المعقول والهلوى .

محمد بن إبراهيم المدنى ، حيث قال : إنه يسند عنى اللفظ وكنت أصح منه المعنى ، أو كلة تشبه ذلك ، وكتبها فيما كتب له ، وهذا يقرب من قول البخارى في أبى عيسى حين قال له : ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت فى ، وليس وراء ذلك مفخرة ترام ، ولا فوقها منقبة تمنى ، ومنهم الشيخ شرف الدين محمد الحسينى الدهلوى فى كتابه (الوسيلة إلى الله) . ثم لما دونت علوم الولاية وقواعدها وقوانينها وتحققت النفوس السكاملة بأصولها وفروعها وغلبت على الاستعدادات المختلفة نتائجها وثمراتها ومرت الدهور والأعصار وتطاولت إلها أيدى الأفكار اختلطت علوم الولاية بعلوم النبوة لشدة غموضها اختلاطا صعبا مع التميز بينها ، بل اختلطت العلوم كلها من النافعة والضارة لاخترط الناس عربهم وعجمهم ، ولا اختلاف استعداداتهم وأمرجتهم ولتارس العلوم وتداول السكتب بينهم فتيسر لكل واحد من الناس أن يحمل أى عبارة من أى علم شاء على وفق ذوقه بطريق فن الاعتبار ويستدل بها على مدعاه وهو لا يدري أن حلها بطريق الاعتبار لا يتأتى به الاستدلال فاشتبه الأمر على نفوس المستعدين وتصرص المتحقق لها بالعلوم على حيالها فأصيبت المصيبة واستطارت البلية إلى كل الجهات حتى

ومن مؤلفاته في التفسير : « الفوز الكبير في أصول التفسير ، ذكر فيه العلوم الخمسة وتأويل الحروف المقطعات وحقائق أخرى ، و « الفتح الكبير ، واقتصر فيه على غريب القرآن وتفسيره بما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وتأويل الأحاديث في توجيهِ قصص الأنبياء الواردة في القرآن وبيان مبادئها التي نشأت من استعداد النبي وقابلية قومه ومن التبهر الذي دبرته الحكمة الإلهية في زمانه . وفي الحديث : « المصنف شرح الموطأ ، برواية يحيى بن يحيى الليثي مع حذف أقوال الإمام وبعض بلاغياته ، وتكلم فيه كلام المجتهدين . و « المسوى شرح الموطأ ، واكتفى فيه على ذكر اختلاف المذاهب وعلى قدر من شرح القريب . و « شرح تراجم الأبواب للبخاري ، وأتى فيه بتحقيقات دقيقة وغريبة . و « النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر ، و « الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين . و « الإرشاد في مهمات الإسناد ، و « إنسان الصين في مشايخ الحرمين ، و « كتاب الأربعين ، وجمع فيه أربعين حديثاً من أمهات الأحاديث النبوية ، رواها عن شيخه أبي طاهر بسنده المتصل إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وفي أصول الدين وأسرار الشريعة : كتاب « حجة الله البالغة ، المذكور ، في علم

أسرار الشريعة وغيرها . و « إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ، وهو كتاب عديم النظير في بابهِ ، ولم تعهده المكتبة العربية من قبل : و « حسن العقيدة ، في العقائد . و « الإنصاف ، في بيان أسباب الاختلاف بين الفقهاء والمجتهدين . و « المقدمة السنية في انتصار الفرق السنية . ، وفي الحقائق والمعارف : « القول الجميل في بيان سواء السبيل ، في سلوك الطرق الصوفية الثلاث المشهورة القادرية والنقشبندية والجلسية . و « الاتباه في سلاسل أولياء الله ، وهو كتاب مبسط في شرح السلاسل المشهورة في الطرق الصوفية ، و « الهوامع ، في شرح « حوز البحر ، المعروف . و « شفاء القلوب ، في الحقائق والمعارف .

ومن أهم كتبه في التصوف ولطائف النفس كتابه « التفهيمات الإلهية ، ومن أطرف ما ورد فيه قوله : « ومن نعم الله على ولائخر أن جعلني ناطق هذه الدورة وحكيمها وقائد هذه الطبقة وزعيمها فتعاق على لساني ونفث في نفسي فإن نطقت بأذكار القوم وأشغالهم نطقت بجوامعها وأتيت على مذاهبهم جميعاً ، وإن تكلمت على نسب القوم فيما بينهم وبين ربهم زويع لي منكها وبسطت في جوانبها ووافيت ذروة سنامها وقبضت على مجامع خطامها ، وإن خطبت بأسرار اللطائف الإنسية تعرضت قاموسها وتلست باغوسها

ومن مؤلفاته في التفسير : « الفوز الكبير في أصول التفسير ، ذكر فيه العلوم الخمسة وتأويل الحروف المقطعات وحقائق أخرى ، و « الفتح الكبير ، واقتصر فيه على غريب القرآن وتفسيره بما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وتأويل الأحاديث في توجيهِ قصص الأنبياء الواردة في القرآن وبيان مبادئها التي نشأت من استعداد النبي وقابلية قومه ومن التبهر الذي دبرته الحكمة الإلهية في زمانه . وفي الحديث : « المصنف شرح الموطأ ، برواية يحيى بن يحيى الليثي مع حذف أقوال الإمام وبعض بلاغياته ، وتكلم فيه كلام المجتهدين . و « المسوى شرح الموطأ ، واكتفى فيه على ذكر اختلاف المذاهب وعلى قدر من شرح القريب . و « شرح تراجم الأبواب للبخاري ، وأتى فيه بتحقيقات دقيقة وغريبة . و « النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر ، و « الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين . و « الإرشاد في مهمات الإسناد ، و « إنسان الصين في مشايخ الحرمين ، و « كتاب الأربعين ، وجمع فيه أربعين حديثاً من أمهات الأحاديث النبوية ، رواها عن شيخه أبي طاهر بسنده المتصل إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وفي أصول الدين وأسرار الشريعة : كتاب « حجة الله البالغة ، المذكور ، في علم

وقبضت على جلايبها وأخذت بتلايبها ،
 وإن تمطيت ظهر علوم النفس ومبالغا ،
 فأنا أبو عذرتها آتيم بمعائب لا تحصى
 وغرائب لا تُسكتنه ، ولا اكتناها يرجى ،
 وإن بحثت عن علم الشرائع والنبوات
 فأنا لست عريفها وحافظ جريتها ، ووارث
 خزائنها وباحث مغانيها ، (١) .

وورد في كتاب : المقامات ، الشيخ غلام
 على العلوي الدهلوي : « أن الشيخ ولي الله
 ابن عبد الرحيم قد بين طريقة جديدة وله
 أسلوب خاص في تحقيق أسرار المعارف
 وغوامض العلوم وأنه رباني من العلماء ،
 ولعله لم يوجد مثله في الصوفية المحققين الذين
 جمعوا بين علمي الظاهر والباطن ، وتكلموا
 بعلوم جديدة ، إلا رجال معدودون . »

ومن مؤلفاته بالضمير العربي : أطيب النغم
 في مدح سيد العرب والعجم ، ويتم منه نبوغه
 في الشعر أيضا في رقة الأسلوب وصفاء المعنى
 وخصب الخيال ، وفيما يلي إحدى قصائده
 العربية ، في مدح الرسول العربي :

كان نجوما أو مضت في الفياهب
 هيون الأفاعي أو رموس العقارب
 إذا كان قلب المرء في الأمر خائرا

فأضيق من تسعين رجب السباب
 وتشغلي عني وعن كل راحتي
 مصائب تقفو مثلها في المصائب

(١) نزهة الخواطر ج (٦) .

إذا ما أتقن أزيمة مدلهمة
 تحيط بنفسى من جميع جوانب
 تطلبت هل من تاجر أو مساعد
 ألؤذه من خوف سوء العواقب
 فليست أرى إلا الحبيب محمدا
 رسول الله الخلق جم المناقب
 ومعتصم المكروب في كل غمرة

ومنتجع الغفران من كل هائب
 ملاذ عباد الله ملجأ خوفهم
 إذا جاء يوم فيه شيب الفوائب
 إذا ما أتوا نوحا وموسى وآدما
 وقد هالهم أبصار تلك الصعائب
 فما كان يغنى عنهم عند هذه
 نبي ولم يظفرهم بالمسارب
 هناك رسول الله ينجو لربه

شفيعا وفتاحا لباب المواهب
 فيرجع مسرورا بنبييل طلابه
 أصاب من الرحمن أغلى المراتب
 سلالة إسماعيل والعرق نازع
 وأشرف بيت من لؤي بن غالب

بشارة عيسى والذي عنه عبروا
 بشدة بأس بالضحوك المحارب
 ومن أخبروا عنه بأن ليس خلقه

بفقط ، وفي الأسواق ليس بصاحب
 ودعوة إبراهيم عند بناءه
 بمكة بيتا فيه نيل الرغائب

ويا ويل قوم حرفوا دين ربهم
وأفقتوا بمصنوع لحفظ المناصب
ويا ويل من أطرى بوصف نبيه

فصلاه رب الخلق اطراء غائب
ويا ويل قوم قد أبار نفوسهم
تسكف تزويق وحب الملاعب

ويا ويل قوم قد أخف عقولهم
تجبر كسرى واصطلام الضرائب
فأدركهم في ذاك رحمة ربنا

وقد أوجبوا منه أشد المعائب
فأرسل من عليا قریش نبيه
ولم يك فيما قد بلوه بكاذب

ومن قبل هذا لم يخاطب مدارس ال
يهود ، ولم يقرأ لهم خط كاتب
فأوضح منهاج الهدى لمن اهتدى

ومن بتعليم على كل راغب
وأخبر من بدء السماء لهم وعن
مقام مخوف بين أيدي المحاسب

وعن حكم رب العرش فيما يعينهم
وعن حكم تروى بحكم التجارب
• • •

وقد توفي المؤلف الشيخ الإمام ولي الله
الدهلوى في شهر المحرم عام ١١٧٦ هـ بمدينة
دهلي فدفن بها إلى جوار ضريح والده العظيم

طيب الله ثراها ، وجزاها خيرا على ما قدمه
من خدمات في سبيل العلم والدين .
(يتبع) محيي الدين اللؤلؤ

جبل الحيا أبيض الوجه ربة
جليل كراديس أزج الحواجب
صبيح مليح أدعج العين أشكل

فصيح له الإعجام ليس بشائب
وأحسن خلق الله خلقا وخلقة
وأنفعهم للناس عند الثواب

وأجود خلق الله صدرا وناثلا
وأسطهم كفا على كل طالب
وأعظم حرر للعالم نهوضه

إلى الحمد سام للمعظائم خاطب
ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره
إذا احمر بأس في بئيس المواجهب

وآذاه قوم من سفاهة عقولهم
ولم يذهبوا من دينه بمذاهب
وما زال يدعو ربه لهدام

وإن كان قد قامى أشد المتاعب
وما زال يهفو قادرا من مستهم
كما كان منه هند جيفة جاذب

وما زال طول العمر لله معرضا
عن البسط في الدنيا وهيش المزارب
بديع كمال في الهاني فلا ارؤ

يكون له مثلا ولا بمقارب
أنا ما مقيم الدين من بعد فقرة
ومحريف أديان وطول مشاغب

فيا ويل قوم يشركون برهم
وفهم صنوف من وخيم المثالب
ودينهم ما يفترون برأيهم
كتمريم حام واختراع السوابب

الإمام ابن حزم

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

٣٨٤ - ٤٥٦ هـ

للتكامل الاجتماعي التي اعتمد فيها على القرآن والسنة ، والتي تسجل له السبق في هذا المضمار .

د من هو ابن حزم ؟

هو الإمام الحافظ المجتهد النقاد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (١) بن غالب ابن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان ابن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب ابن أمية بن عبد شمس الأموي ، وهو من أئمة الظاهرية ، وصاحب التآليف الممتعة المفيدة ، وذو النفس الطويل في كل ما يمرض له من بحوث ومساائل ، وأحد علماء الأندلس الإسلامية .

وأصل أجداده من بلاد قارص فهو قابسي الأصل ، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده ، وجده خلف أول من دخل الأندلس منهم ، ولعله كان من جنود الفتح الإسلامي لهذه البلاد ، وكان أبوه وزيراً جليلاً كبير الشأن ببلاد الأندلس وزر في عهد

(١) حزم ليس بأبيه ولكنه جد أبيه واسكن اشتهر بالنسبة إليه .

في تاريخ الإسلام رجال كثيرون ، صنعهم الإسلام بثقافته ، وساهموا في الثقافة الإسلامية الأصيلة أيما إسهام ، وشاركوا في الحياة العقلية ، والتراث الإنساني مشاركة تستحق الإكبار والإعظام ، وتركوا ثروة من المؤلفات والموسوعات التي لا تزال ذات تأثير في الثقافة المعاصرة ، بل منهم من سبق إلى أفكار ومذاهب تشريعية واجتماعية وأخلاقية لم يعرفها الغرب إلا في العصور الأخيرة ، مما يشهد للعقلية الإسلامية والعربية بالخصوبة ، والإنتاج ، والابتكار .

وضربوا في باب الحرص على العلم والمعرفة ، وتحمل المشاق في سبيلهما مثلاً علياً تعتبر مفخرة من مفاخر المسلمين والعرب ، بل منهم من آثر العلم والبحث عن الحقيقة على الوزارة والرياسة . من هؤلاء العلماء الأفاضل الإمام : أبو محمد ابن حزم ، وصنّحهم له ترجمة موجزة ولكنها مركزة انتعرف شيئاً من ملاح هذه الشخصية الفذة ، ثم نعرض بعد ذلك لمؤلفاته التي تعتبر من ذخائر الإسلام وكنوزه القيمة ، والتي كونت إبنات في بناء التراث الإنسان ، ولآرائه في باب

والكد والتعب على الراحة والسكل ،
والعلم على الوزارة ، والمجد الباقي على العرض
الزائل ، وهو مثل من الأمثلة الفريدة ،
في تاريخ الدنيا .

أحداث أثرت في حياته :

ويذكر الإمام الذهبي في تذكرته أحداثا
وقعت له أثرت في حياته واستحثته على البحث
والعلم ذلك أنه قدم (بلنسية) فوجد فيها مجلس
علم ، فصار يسمع ويتعجب ثم سأل الحاضرين
عن شيء من الفقه ، فأجيب عنه ، فاعترض
عليه ، فقال له بعض الحاضرين : هذا العلم
ليس من منتحللاتك ، فعز عليه هذا وأقبل
على العلم ولقاء الأشياخ ، ولم تمض إلا مدة
وجيزة حتى قصد إلى ذلك الموضع الذي نيل
منه فيه ، فناظر أحسن مناظرة قال فيها :
أنا تبع الحق ، واجتهد ولا أتقيد بمذهب^(١) .

ويذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المغربي
عن ابن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد
جنازة فدخل المجلس فجلس ولم يركع ركعتين
فقال له رجل : قم فصل تحية المسجد ، وكان
ابن ست وعشرين سنة قال : فقامت ركعت
فلما رجعنا من الجنازة جئت المسجد فبادرت
بالتحية ، فقال لي : اجلس ، اجلس ، ليس
ذا وقت صلاة يعني بعد العصر فانصرفت
حزينا وقلت للأساذ الذي وباني : دلتني على

المنصور محمد بن أبي عامر (١) الذي استأثر
بالسلطان في عهد الخليفة هشام الثاني
(٣٦٦ - ٤١٣ هـ) .

نشأته وحياته

إن كانت بغداد بلد العلم والخلافة في الشرق
الإسلامي العربي ، فقد كانت قرطبة بلد العلم
والخلافة في الغرب الإسلامي العربي ، وقد
بقي البلدان بهذه المثابة بضعة قرون فكم تخرج
فيهما من فقهاء ومفسرين ، ومحدثين ومتكلمين
وأدباء ، ونحويين ، ولغويين ، وحكام .
وفلاسفة ... وفي قرطبة ، وعلى التحديد ،
في الجانب الشرقي منها ولد ابن حزم ، وكانت
ولادته في رمضان سنة أربع وثمانين
وثلاثمائة من الهجرة ، وقد نشأ في مطارف
النعيم والجاه والآبه حتى قيل فيه : كان
أولا يلبس الحرير ، ولا يرضى من المسكاة
إلا بالسري ، ولا عجب فقد كان بيته بيت
علم ووزارة وقد كان أبوه وزيرا للنصور
محمد بن أبي عامر ، ووزر هو للمستظهر
بألقه عبد الرحمن بن هشام مسدة ، ثم نيزد
الوزارة ، وأقبل على علوم الإسلام فقال
ما لم ينله أحد (٢) ، وهكذا نرى أن
ابن حزم صرف عن حياة الدعة والخلول ،
وزهد في الدنيا ومناصبها وآثر البحث

(١) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق

(١) التذكرة ج ٣ ص ٢٢٤ .

في هذه العلوم في القرون الأولى ، وإن كان المحدثون أشد تطبيقاً لأصول الرواية في الإسلام من غيرهم ، وأكثر تدقيقاً فيها من غيرهم ، لأنهم يعلمون أنهم يروون السنة ، وهي الأصل الثاني من أصول التشريع في الإسلام .

فلا تعجب إذا كان ابن حزم أخذ العلم عن كثير من الشيوخ والاساتذة منهم أبو عمر أحمد بن الحسين ، ويحيى بن مسعود بن وجه اللجنة ، ويوسف بن عبد الله القاضي ، وحام ابن أحمد القاضي ، وعبد الله بن ربيع التميمي ، وعبد الله بن محمد بن هيثم ، وأبي هرير الطائفي^(١) ، وأخذ المنطق عن الشيخ محمد ابن الحسين المذحجي القرطبي المعروف بابن السكتاني ، وكان أدبياً شاعراً طيباً ، له في الطب رسائل ، وكتب في الأدب^(٢) .

وأخذ عنه العلم تلاميذ كثيرون من مشاهيرهم : الحافظ أبو عبد الله الحميدي ، وقد أكثر من الأخذ عنه ، وابنه أبو رافع ، وكان ابنه هذا سوريا فاضلاً ، وكان في صحة المعتمد بن عباد صاحب دأشيلية ، وغيرها من بلاد الأندلس ، وكان له مع المعتمد هذا موقف كريم مما زاده كرامة وحبا عنه^(٣) ،

دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون ، فقصده وأعلمته بما جرى على ، فداني على (الموطأ) فبدأت عليه قراءة ، ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره ثلاثة أعوام ، وبدأت بالمناظرة^(٤) .

ولعل في هذه القصة عبرة لكثيرين من أهل العلوم الدنيوية وأرباب الجاه والسلطان الذين لا يعلمون من أمور دينهم ، وعلوم الشريعة ما يصححون به عباداتهم ، ويعرفون الحلال من الحرام فيتزودوا من علوم الإسلام بما ينأى بهم عن المآثم والأخطاء ، إن لم يبلغوا ما بلغ ابن حزم من مرتبة الفقه والاجتهاد .

وشيوخه وتلاميذه ،

من خصائص علماء الإسلام ولاسيما علماء الرواية والحديث أنهم لا يأخذون العلم إلا من الشيوخ ، والتلقي من الأفواه ، لأن ذلك أدى إلى الضبط والتوثيق ، وأبعد من الخطأ والتصحيف ومن المعروف عند المحدثين قولهم : لا يؤخذ العلم من الصحفيين ، أي الذين يأخذون الحديث من الصحف ، ولا يعتمدون في الرواية على التلقي الشفاهي ، وقد أخذ بهذا الأصل الذي يعتبر من قواعد علم أصول الرواية ، غير المحدثين من علماء التاريخ ، واللغة ، والأدب في العصور الأولى كما تجد ذلك واضحاً في السكتب التي ألفت

(١) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٦ .

ولكن للعيان لطيف معنى
له سأل المعينة السليم
وله أيضا في المعنى :

يقول أخى : شجك رحيل جسم
وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له : المعين مطمئن
لذا طلب المعينة الخليل
وقال ابن بشكوال في حقه : كان أبو محمد
- يعنى ابن حزم - أجمع أهل الأندلس قاطبة
لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه
في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة
والشعر والمعرفة بالسير والأخبار .

فلا تعجب إذا كان ولده أبو رافع الفضل
ابن أبي محمد قال : إنه اجتمع عنده بخط أبيه
من تأليفه نحو أربعائة مجلد تشتمل على قريب
من ثمانين ألف ورقة (١) وهذا يدل على
التفانى في سبيل العلم ، وعدم إضاعته دقيقة
من العمر في غير النافع ، وهذه القصة قد كثرني
بما ذكر عن الإمام العلامة محمد بن جرير
أبي جعفر الطبري من أنه مكث أربعين سنة
يكتب كل يوم أربعين ورقة (٢) ، وكذلك
نقل عن كثير من أئمة العلم في الإسلام نحو
هذا ، وهي مثل مشرفة ، وقم عليها ينبغي أن

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢ ،

بداية ونهاية ج ١٢ ص ٩١ .

(٢) أعلام المحدثين للكاتب ص ٢٩٣ .

وآخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن
شرح بن محمد .
حفظه للحديث وفقهه ،

وكان أبو محمد بن حزم حافظا للحديث ،
عالما بعلومه وفقهه ، مستنبطا للأحكام من
الكتاب والسنة صاحب اجتهاد ، واستقلال ،
ورأى ، وقد كان في مبدأ أمره شافعي المذهب ،
ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر ، ونفى
القول بالقياس ، وتمسك بظواهر القرآن
والسنة ومهموما ، والبراءة الأصلية حتى صار
من أشهر أئمة الظاهرية بعد داود الظاهري .
وسعة علمه وتفنه ،

وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ ،
وصحة الدائرة في العلوم ، ولم يقتصر عليه
على الحديث وحفظه ، والفقه واستنباط
الأحكام كما هو الشأن في كثير من علوم
الحديث والفقه ، ولكنه تفنن في علوم
أخرى كالمنطق ، والفلسفة ، وعلوم اللغة
والبلاغة والأدب ، والمعرفة بالسير والأخبار
حتى قال تليذه أبو عبد الله الحميدى :
مارأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة
الحفظ ، وكرم النفس والتدين ، وما رأيت
من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ،
ثم قال أفقدني لنفسه :

لئن أصبحت مرتحلا بجمي
فروحي هندكم أبدا مقيم

، أخلاقه وزهده ، :
كان ابن حزم يجمع إلى العلم الخلق، والتمدين
الصادق، والزهد في الدنيا ومناصبها ،

(٣) التذكرة ج ٣ ص ٢٢٢ .

وقد بلوتها فلم أجد لها شكرا في الرضاء ، ولا صبرا على البلوى ، ولو أن أحدا لا يعظ
أخاه حتى يحكم أمره لترك الأمر . . . ولكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس
وتذكير من النسيان ، واهلبوا أن الدنيا سرورها أحزان وإقبالها إخبار ، وآخر حياتها
الموت ، فكم من مستقبل وما لا يستكمله ومنقظر غدا لا يبلغه ؟ ولو تنظرون الأجل ومسيرة
بعضتم الأمل وغروره .

أَهْلُ الرَّأْيِ مِنَ الْفَقْهَاءِ لِلْإِسْنَادِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِي

نقول أولهم ، فقد قضى أبو بكر بالرأى في مسألة الخلافة - على الرغم من تخرجه الشديد من استعماله له ، ولجونه إليه - وذلك حين أعوزه فيها الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله فلم يجد إلى ذلك سبيلا ، فكان لا مفر من استعمال الرأى في أمر لا نص فيه ، ولا سابقة له . يظهر ذلك حين اجتمع الأنصار ورسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير الموت ، وراجعت بينهم فكرة إسناد الخلافة بعد الرسول إلى زعيمهم سعد بن عباد . . فدخل أبو بكر وعمر وهبيدة بن الجراح ، وخطبهم أبو بكر مرجحا جانب المهاجرين في الخلافة ، فصاح صائح الأنصار من أمير ومنكم أمير ، فرد سعد : وهذا والله أول الوهن ، وأيده أبو بكر قائلا : لا يصلح والله سيفان في قراب واحد ، بل منا الأمراء ومنكم الوزراء . . وبهذا الرأى انقسم الموقف الذي هدّد وحسدة الأمة الفتية بالانقسام والفشل . وبهذا نرى أن الصحابة في جملتهم لم يردوا الرأى لأنه رأى ، ولا تنسكروا للحكم العقل حين يعز عليهم مدلول النص ، بل كلهم ، أو جلهم يعتقد بالرأى ، ويعول عليه كمصدر من مصادر التشريع . .

إذا ذكر هذا الاسم فإنما ينصرف أول ما ينصرف إلى المدرسة الفقهية التي ظهرت في القرن الثاني الهجري متمثلة أصدق التمثيل وأعظمه في الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه . وليس أبو حنيفة في واقع أمره إلا رمزا لتلك المدرسة ، وملتبقي لأصول اتخذت من الرأى في الفقه مذهبا ودينا ، وفروع انحدرت فيها تلك السليقة الفقهية ، وآثرتها رأيا واتجاها ، ونستطيع أن نضرب لأبي حنيفة ومن أثر فيه وتأثر به من فقهاء الرأى ، مثلا بالشجرة الطيبة الأصل ، الزاكية الفرع ، فشخصية الإمام تمثل الساق التي تركزت فيها هضارات الجذور على تشعبها وتعددتها ، ومن هذا الساق الطويل القويض العميق امتصت الفروع مادة حياتها وهضارة كيائها وبمجموع تلك الوحدة الفقهية التي اتسعت بسمه الرأى ، يمثل في التاريخ التشريعي للإسلام مدرسة السكوفة ، أو مدرسة الرأى ، . أو مدرسة العراق . وإذا قمعنا أصول تلك المدرسة التي قامت عليها ، وحاشت بها . وجدنا أن أبعدها غورا ، وأصلحها عودا ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . فقد كان أبرز من استعمل الرأى من الصحابة ، ولا

الكبرى . على عكس ما كان عليه العمل زمن الرسول وأبي بكر . حيث كان الطلاق الثلاث بكلمة واحدة يقع واحدا . وقال في ذلك : « إن الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه أناة » . وأمضاء عليهم ثلاثا . إلى غير ذلك من الشواهد العديدة على مدى استخدامهم للرأى في الفقه ، واستنباط الأحكام منه .

وكان أشد الصحابة تأسيماً بعمر . واقتداء به في هذا المذهب المعقول واستنباط الأحكام منه . عبد الله بن مسعود الذي قال : « لو سلك الناس وادياً وشعباً ، وسلك عمر وادياً وشعباً لسلكت وادى عمر وشعبه » . وقد كان رضى الله عنه عظيم الثقة في فقه عمر . دائب التشبه به . متشعباً . بل متضلعا بأفكاره وأسلوبه الاجتهادى ولذا قال الشعبي : كان عبد الله لا يقنت ، ولو قنت عمر . لقنت هب الله ، يقصد هب الله بن مسعود ، ويعنى بالقنوت : القنوت في صلاة الصبح .

ولما دار الفلك دورته . وانتقل مركز الإشعاع إلى العراق . وخاصة إبان عصر بى العباس . برزت مدرسة العراق إلى حين الوجود الفقهى . مكلفة في سبيل آرائها التى لم تكن جديدة في أصلها . وإن اتخذت صفة الجدة فيما تفرع بعد ذلك من أحكام وقتارى ومؤلفات كانت في عالم الفقه الإسلامى فتحا مبيئنا . أضفى على التفسير ثوباً قشيباً من المرونة الفكرية . والحيوية

بيد أن منهم من يميل إلى التوسع فيه والاطمئنان إليه أمثال عمر ، وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعلى ، وأبى موسى الأشعرى .

ولذا قال الشعبي : « ثلاثة يستفتى بعضهم من بعض : عمر ، وابن مسعود ، وزيد ، وكان على ، وأبى بن كعب وأبوموسى يستفتى بعضهم من بعض » . وكان عمر بن الخطاب أmeer الصحابة في استعمال الرأى ، وأكثرهم توسعا فيه ، وكان له في ذلك بصيرة نافذة ، ورأى لماسح ، وفكر فضييح . وقد بدأ ذلك مبكرا في حياة الرسول وأقره عليه ، وأنجب به ، وقال فيه ما يفيد أنه أوشك أن يكون من المهملين المحدثين بما وراء الفيوب ، وله في ذلك سوابق تشريعية جريئة . منها : حرمان المؤلفة قلوبهم ما كانوا يستحقونه بنص الكتاب . لأنه رأى أن هذا الحكم قد صار غير ذى موضوع لأنه استنفذ أغراضه . وقال في ذلك : « إن الله أعز الإسلام ، وأغناه عنهم ، ومن ذلك .. صدم قطع يد السارق عام الجماعة . حين وجد الشبهة تكثفت الحد . وهى شبهة الحاجة والاضطرار فأصطط الحد ، وكذلك تحريره المعتدة تحريرا مؤبدا هل من تزوجها في العدة لأنه تعجل في شيء كان يمكنه التأني فيه فعاقبه بحرمانه منه ، وإيقاعه الطلاق ثلاثا بكلمة واحدة . وجعله موجبا للبينونة

والسكن الذي لا شك فيه هو أن عبد الله ابن مسعود كان نقطة البدء في حياة مدرسة الكوفة ، وكان واسطة العقد بين زعمائها والمؤسسين لمذهب الرأي فيها . حتى إن أقوال علي لم يوثق بها إلا إذا جاءت عن طريق ابن مسعود ، وكان طبيعياً أن يكون أستاذ مدرسة الكوفة الأول هو عبد الله بن مسعود ، وأن يتكلم علي يديه نخبة من أهل العراق . . . لهموا في أفق الحياة التشريعية ، وكان لهم في ميدان الفقه صولات وجولات بقيت ، وسوف تبقى منارا للسالكين ، وملذا للباحثين ، منهم الفقهاء الستة : حلقمة بن قيس النخعي ، الأسود بن يزيد النخعي ، مسروق ابن الأجدع الهمداني ، عبيدة بن عمرو السلماني ، شريح بن الحارث القاضي ، الحارث الأعور . . .

فهؤلاء الستة هم أصحاب ابن مسعود وحواريوه الذين قامت على أكتافهم أصول مدرسة الرأي في الكوفة ، والذين دارت بهم عجلة الفقه المعقول بصورة متعيزة ، وقد قال فيهم الشاعر :

وابن مسعود الذي سرج له

مقربة أصحابه ذوو الأحلام
وكان هناك أنباغ وأشباغ لابن مسعود
بلغوا الستين كما حكى إبراهيم التيمي ، وإن لم يبلغوا مبلغ الستة السابقين علما وفقهاء وشهرة ، وأعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله

العقلية . التي أتاحت للفقه بسط سلطانه على آفاق ما كان يستطيع بلوغها . لو لم يتخذ من الرأي مركبا ذلولا ومن العقل وطاء ممهدا . وكان إمام هذه المدرسة العراقية بعد انتقال النشاط الفقهي إلى تلك الأرض الجديدة : عبد الله بن مسعود . الذي كان مرآة صافية انعكست عليها كل آراء عمر وفلسفته الاستنباطية لدرجة أن ابن مسعود لم يخالف عمر فقهاً إلا في مسائل معدودة عند الفقهاء ومن العجيب أن آراء ابن مسعود المخالفة لعمر كانت أحب إلى الفقهاء من آراء عمر . فقد جاء في إعلام الموقعين عن الأعمش عن إبراهيم النخعي : « أنه كان لا يعدل بقول عمر وعبد الله بن مسعود إذا اجتمعا . فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب إليه لأنه أطف » .

ومع ما كان لعبد الله بن مسعود من الأثر البارز ، والبصمات الواضحة في منهج المدرسة الكوفية . كان لعلي بن أبي طالب القدح المعلى في ثقافة هذا الإقليم ، وطريقة تفكيره . . . إذ أنه ارتحل إلى الكوفة ، واتخذ منها دارا لإقامته ، ومنبراً لرسالته ، وعاصمة لخلافته ، وبتبعه جمع من الصحابة الذين استقروا إلى خلافته ، واستروحوا أرج الحق من حكمه ، واثق حوله . بعض أهل الكوفة أثناء مقامه بينهم تلك المدة القصيرة الراجعة بالأحداث الجسيمة

الناس فقها ، وأحسنهم اجتهدا حتى قال :
أبو حنيفة الأزواجي : « إبراهيم النخعي أفقه
من سالم ، ولولا فضل الصحبة لقلت : إن
علقمه النخعي أفقه من عبداقه بن عمر ، وقد
أكب أهل العراق على جمع ما يتيسر لهم جمعه
من فتاوى ابن مسعود وقضايا علي بن أبي
طالب وفتاواه ... وكان أحفظهم لهذا ،
وأرخصهم فيه إبراهيم النخعي الذي صار فيما
بعد قطب الرعي ، وعمود النشاط الفقهي
في العراق ... حتى إن مذهب الإمام
أبي حنيفة يستند في أغلب آثاره إلى هذا
الإمام وآرائه كما يقين هذا جليلا من كتاب
الآثار لأبي يوسف ، وكتاب الآثار لمحمد
بن الحسن الشيباني ، ومصنف ابن أبي شيبة
وجامع عبد الرزاق حيث أسندت معظم آراء
أبي حنيفة وماأخذه الفقيه إلى قريحة إبراهيم
النخعي الخصيبة . . . ونستطيع أخيرا وليس
آخرا أن نقول : إن تلك الذخيرة للفقهية
التي تسلسلت من لدن عمر وحملها عنه
ابن مسعود إلى الكوفة ، ثم أفرغها في صدور
الفقهاء الستة وأضرابهم ، واستقاها النخعيون
وخاصة إبراهيم ، وطعمت بفقته على وقضاياهم
قـ . . أودعت عقليته الإمام أبي حنيفة وتفاعلت
بها نفسه العميقة ، وفطرتة الالمية ، وقرينته
الوقادة . حتى ظهرت بعد ذلك صرحا شامخا
من الفقه المدعم بالرأي . . المدلل عليه بالعقل
المتريجم عن معاني الحرية الفكرية في ميدان
الفقه والاجتهاد . . وبظهور فقه أبي حنيفة

ابن مسعود وأجمعهم لمذهبه ، وأشددم
تأثرا به ، ودعوة له : إبراهيم النخعي ،
ونافسه في هذا الميدان : عامر بن شراحيل
الصعبي إلا أن هذا الأخير أخذ من على
وأهل المدينة اتباعا لمسروق .

ويبدو طابع هذه المدرسة الفقهية بوضوح
في كراهيتهم للخوض في تفسير القرآن الكريم ،
وتحاشي تأويله . إذا كانوا يرون أن خصوبة
الرأي لا تعمل عملها إلا في تربة الفقه . .
حيث يعرض الفقيه لبيان الأحكام الشرعية
العملية من أدلتها التفصيلية ، معتمدا أولا
بالبذل على ما يهديه إليه غالب ظنه في إطار
الكتاب والسنة ، والقياس ، وتوابع الرأي
من استحسان ، ومصالح مرسة ، وتحكيم
للصلحة ، ونحو ذلك .

وهذا اللون من التفكير يغتفر فيه
من الخطأ ما لا يغتفر في جانب القرآن
الكريم وتفسيره ، وبيان المعاني التي تنطوي
عليها ألفاظه ، ويهدف إليها سياقه ولحاظه . .
والقاعدة المشجعة لعمل الفقيه هي الحديث
الذي رواه أحمد بن حنبل الصحيح : « أنه جاء
خصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحتصمان ، فطلب النبي إلى عقبة بن عامر
الجبلي أن يقضي بينهما وقال له : اجتهد ، فإن
أحسنك فلك عشر حسنات ، وإن اجتهدت
فأخطأت فلك أجر واحد ، . .

وتتلخص الفكرة العامة لدى فقهاء الكوفة
في أن عبداقه بن مسعود وأصحابه هم أثبت

القانون ... لا في ضوء الواقع حين التطبيق كما هو اتجاه المدرسة الحديثة في القانون ... وقد اعترض الأستاذ اهرنج ، على هذا الخط من التفكير التقديرى الافتراضى في الفقه الفرنسى ووصفه بأنه بعيد عن روح القانون نفسه وجعل به ... وقال : د من الخطأ أن نحاول باسم المنطق أن نجعل القضاء يجرى على النظريات الرياضية ، ولا ينبغي أن تخضع الحياة لمبادئ موضوعية ، وإنما يجب أن نضع مبادئنا بحيث تتفق وما يجرى في الحياة العملية ... إن المسألة ليست مسألة منطق ، وإنما هي الحياة ... هي المعاملات ... هي الذوق القانونى الذى يتحكم فيما يجب أن يكون ولسكننا في ضوء المركزية الاخلاقية التى ندين بها والمثل العليا الثابتة لا يسعنا أن نتفق مع الأستاذ اهرنج ، فى التشكر بالمقاييس القانونية - التى يجب أن تستند أساسا إلى مبادئ الدين أو إلى مبادئ القانون الطبيعى المستمدة من العدل والحق والاخلاق المركوزة فى طباع كل الشعوب ونرى أن توسيع دائرة البحث عن طريق الافتراضات الفقهية ... أو بعبارة أخرى عن طريق د الفقه التقديرى ، الذى يتميز به فقه أى حنيقة ... إنما هو تعبير عن بلورة معينة لروح القانون تستهدف الاستعداد للمستقبل ، وللتأهب للبلاء قبل وقوعه ... ولا سيما فى الجهود التى تضمحل فيها القوة الاجتهادية ... كما حدث فى نهاية القرن الرابع

على مسرح الكوفة . تبعه لأول مرة فى مجال الاجتهاد الإسلامى الاصطلاح المعروف حاليا د بأهل رأى ، وهو تعبير جديد فى باب ، لم يسبق إليه أحد فى عهد الصحابة وإن كان كثر منهم قد غلب عليه هذا الطابع القياسى بمعناه الأعم كما برزت فى أفق البحث الفقهى ظاهرة جديدة تعتمد على الشرح والبيان مرتين : مرة بطريق المتون والمختصرات . ومرة بطريق الشرح على المتون ، وهذا يشبه إلى حد كبير ... المرحلة الثانية من مراحل مدرسة الشراح على المتون فى د أوروبا ، التى ظهرت فيما بين سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٨٠ م بفرنسا ، وأهم خصائص هذه المرحلة . . البحث عن إرادة المشرع تحت ضغط الحاجة العملية إلى ذلك . وقد جرهم ذلك الأسلوب الفلسفى لاستجلاء بواعث المشرع ودوافعه إلى الخروج عن نطاق الأعمال الواقعة . . والاشتغال بافتراض الفروض . . واستغلال المنهاج المنطقى المجرد والتحقيق فى آفاق التقديرات والافتراضات مما أبعد القانون الفرنسى فى تلك الفترة من القرن التاسع عشر عن النطاق العمل وصيغه بالصيغة النظرية البحتة :

وقد دأب فقهاء القانون الفرنسى فى هذه المرحلة على محاولة التعرف على الفكرة التشريعية الكامنة فى إرادة المشرع ... فإن لم يجدوها افترضوها افتراضا بالوصف الذى يمكن أن يتصوره المشرع أيام وضع

قريباً من الحرية الفكرية الواسعة ، ولذا ظهر فيه القياس نارة والاستحسان أخرى ، والعرف حيناً ، وتحكيم المصلحة حيناً آخر إلى غير ذلك من وسائل الاستنباط الحرة . ولقد حدد أبو حنيفة إطار عمله الفقهي بقوله : (إني أخف بكتاب الله إذا وجدته ، فإلم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآثار الصحاح عنه ، التي فشت في أيدي الثقات ، فإن لم أجده في كتاب الله ولا في سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت ، وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين وسعيد بن المسيب (وعدوا جالاً قد اجتهدوا) فإني أن أجتهد كما اجتهدوا (فنحن رجال وهم رجال) وبناء على هذا التخطيط الفقهي لأن حنيفة دخل هذا الإمام باب الاجتهاد من أوسع أبوابه ، وصالح فيه رجال ، وكان اشتراطه المشدد للحديث المقبول مدعاة لصيق الاستدلال به وذلك لأسباب دعاه إليها حرصه على أن يصل باجتهاده إلى ما يطلب على ظنه أنه حكم الله . فلا يلزم بعد هذا أن نسمي هذا اللون من الاجتهاد فلسفة فارسية ، أو نزع أنه قدم الرأي على النص الثابت عنده بعد أن اتفق مع سائر الأئمة على القولة المأثورة : (إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا بقولي عرض الحائط) . وترجع أهم العوامل في استعمال الرأي

الهمجى ... حيث أفترت العقليات الفقهية من وسائل الاجتهاد ، وعم التقليد . . وعاش المتأخرون عالة على التقديرات والافتراضات الفقهية التي افتن في تفريغها وتخريجها المتقدمون من أهل الرأي ... وقد كانت نزعة مدووسة الكوفة بصفة عامة الإقلال من الاعتماد على الأحاديث ، ووضع القيود المشددة على ما يصلهم من تلك الأحاديث وتغليب جانب الاحتياط على حسن الظن في قبول الروايات ، والتعويل في مقابل ذلك على القياس ووجوه الرأي المختلفة كلها وجدوا إلى ذلك سبيلاً مما خلع على الفقه ثوباً نظرياً الأمر الذي دعا أهل الظاهر إلى إن يوجهوا تقديم للفقه الحنفى بقولهم : د إنه صير الفقه الإسلامى فلسفة فارسية ، كما يدل لذلك قول ابن حزم الظاهري في كتابه د الإحكام في أصول الأحكام ، حيث ذكر : د إن كثرة التقديرات في فقه الحنفية ... وقولهم في أغلب تفريعاتهم : أرأيت لو حدث هذا ... أرأيت لو كان كذا ... سمي فقههم د الفقه التقديرى ، أو فقه الأراييين .

والأشبه بالحق أن فقه أهل الرأي في مدرسة الكوفة لم يخرج من نطاق الحدود الدينية . المنبثقة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وهو ، وإن سلك مسلكاً فلسفياً في التفكير والتعليل . والقياس والتخريج ، فرجع هذا إلى جو العراق الذي اختلف من جو المدينة فقد كان جو العراق بعيداً عن أسلوب التقليد

يوسعون من دائرة الرأى إلى الحسد الذى جعلهم ينظرون إلى الأحكام من خلال العقل والمنطق ولكن فى دائرة الدين والأخلاق الإسلامية . قال سهل بن مزارم : (كلام أبى حنيفة أخذ بالآرتق ، ونظر فى معاملات الناس على ضوء ما استقاموا عليه وصلاح عليه أمرهم . يسلك سبيل القياس ، فإذا لم يسقم له مضى على الاستحسان . فإن لم يحض له رجع إلى ما يتعامل المسلمون به ، وكان يتقبل الحديث المعروف . ثم يقيس عليه ما ساغ له القياس .

ثم حمل لواء الرأى فى الفقه بعد أبى حنيفة تلاميذ نوابغ رجع إليهم الفضل الكبير فى حفظ مذهبه وانتشاره وخلوده منهم أبو يوسف قاضى الرشيد والهادى والمهدى ، ونجيد بن الحسن الشيبانى الذى بلغت تصانيفه فى العلوم الدينية تسعمائة وتسعين كتابا ، وعلى كتبه يعتمد الحنفية فى المذهب ، ومنهم الحسن بن زياد ، وزفر بن الهزبل . فهؤلاء الأربعة أشهر من نشر مذهب أهل الرأى ، وهم الذين دونوه ، وانتصروا له ، وأكثروا من التفريع فيه ، والإجابة عنه .

ولم يكونوا يقفون عند حد فتاوى أبى حنيفة . . بل كان لهم من حرية الرأى وأصالة الفكر ، ما يحلمهم على مخالفة إمامهم طالما ظهر لهم ما يوجب الخلاف ، وقد ثبت أن أبا يوسف ونجيد ورجعا عن آراء كثيرة وآها الإمام نتيجة لاتساع ثقافتها ، وإطلاعها على ما عند الحجازيين .

بتوسع وكثرة عند أهل العراق إلى ما يأتى : أولا : محاباتهم لأسلوب ابن مسعود رضى الله عنه الذى اقتبسه من عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى عاش بينهم معلما ومفتيا فأنم فيهم وتأثروا به .

ثانيا : الاكتفاء الذاتى بأحاديث صحابة الكوفة الذين وفدوا إليها فى خلافة على وم كثير حتى تعتبر الكوفة أوفر الأمصار بعد المدينة باجتماع الصحابة فيها . مع مراعاة بعد الشقة عن المدينة وصعوبة المواصلات ، وندرة التبادل الثقافى ، والاتصال العلمى بين العلماء .

ثالثا : ولعله أهم الأسباب . أن العراق كانت أرض الثورات والفن التى تجرتها بعنف وخطورة عوامل السياسة لأول مرة . ففى منبع الشيعة ، ومقر الخوارج ، فيما قتل على ، والحسين من بعده . وتعددت النزعات المذهبية ، والعصبيات السياسية . مما أدى إلى تزيف الحديث ، والتمجيد على قدسية نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فظهر الوضع فيه والكذب فى روايته وإسناده . كل هذا . بالإضافة لى تنوع مظاهر الحضارة فى العراق عنها فى الحجاز ، وتعبد الثقافات الأجنبية التى اتصل بها المسلمون بحكم الجوار والاختلاط وما نتج عن هذا من كثرة المسائل الفقهية وجدتها . وظهور صور عملية لم يكن للسليين بها من قبل عهد - مما جعل فقهاء العراق يتشددون فى قبول الأحاديث ، ولا يقبلون منه إلا الذائع المشهور ، وبالتالى

ما بقي . . وما درس . . ولا يقصد بها إلا صاحباً أبي حنيفة وهما أبو يوسف ومحمد . . وذلك لما بذلاه من جهود مضية للحفاظ على المذاهب عن طريق التدوين والتصنيف ، والتفريع والتفريع ، والنشر والتوزيع ، حتى انتقل مذهب الرأي من حيث نشأ بالكوفة إلى سائر أنحاء العراق ومصر وبلاد الروم من بلاد همذان واسترباذ وغيرها وفي فارس وبخارى وفرغانة وأصبهان وشيراز وطوس والهند والسند ولا يزال إلى يومنا هذا يحتل في الهند مكان الصدارة ، وبعد هولاكو انتشر في دمشق وحلب . . وكان الفضل الأكبر في ذلك الزحف الفقهي الشامل لمؤلفات الصاحبين (أبي يوسف ومحمد) التي فتحت لمذهب أهل الرأي الأبصار والأبصار ، وغزت كل شبر في الأراضى التي امتد إليها سلطان الإسلام ، ولقد كان لأبي يوسف يعقوب المتوفى سنة ١٨٢ هـ مصنفات عدة منها كتاب الأمان وهو نيف على ٢ كتاباً ، وأشهر كتبه كتاب الخراج وهو في السياسة المالية للدولة الإسلامية ، وكتاب الجوامع والآثار واختلاف ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والرد على سير الأوزاعي وكتاب أدب القاضى والمناسك والصلاة والزكاة والفرائض والحجود والصيد ، وتعتبر كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني أشهر وأكبر كتب الرأي في مذهب الحنفية وعليها الاعتماد في الفتوى وهي أصح

فهما في حقيقة أمرهما مجتهدان ولكنهما ينتسبان إلى الإمام . وقد حفلت قائمة أهل الرأي من الفقهاء بالكثير من رجال الطبقات ، منهم هلال ابن يحيى البصرى الذى اشتهر باسم : (هلال الرأي) ، ومحمد بن سماعة الذى قال فيه يحيى ابن معين حين مات : دعات ربحانة العلم من أهل الرأي ، وعد منهم الحضايف ، والطحاوى المصرى ، وهب الله السكرخى ، وأحمد القدورى صاحب مختصر القدورى ، والسرخى صاحب المبسوط ، والنسفى صاحب السكز ، وتاج الشريعة صاحب الوقاية ، والمرغنيان صاحب الهداية ، والصدر السعيد صاحب المحيط البرهانى ، وابن الساعاتى صاحب مجمع البحرين وملحق النهرين ، وابن نجيم المصرى صاحب الأشباه والنظائر .

فهؤلاء الفقهاء هم الذين حملوا لواء مذهب أهل الرأي ، ونشروه في الحافقين ، بما صنفوا فيه ، وشرحوا له . . وكانوا بحق مفخرة علمية فقيمية يعتز بها التراث الإسلامى كلما ذكر الفقه وأهله . ولكنهم على أى حال ، لم يبلغوا في ذلك مبلغ الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد ابن الحسن . . ولقد صارت كلمة الصاحبان ، أشهر اصطلاح فقهي إسلامى لا في مذهب الحنفية وحده ، بل في سائر المذاهب سواء منها

في تلك الحقبة الزاخرة بالفتح والنصر . قد بسط أجنحته على مشارق الدولة الإسلامية ومغاربها ، وخرج من دائرة النظرية المجردة ، إلى دفيا الواقعية العملية بما فيه من وسائل اجتهاد هذة ، وبما ينطوى عليه من حيل شرعية للتوفيق بين النظريات والعمليات هند تناقضها . حتى لا تمس مبادئ الإسلام الأصلية بأدنى إهمال ، وحتى لا يصاب الفقه بالانهزالية أو السلبية .

فالحيل الشرعية التي هي من خصائص مذهب أهل الرأي إنما تسعى للتوفيق بين المثالية والواقعية وهي أكثر ما تكون في نطاق الأعمال وأقل ما تكون في العبادات كما في حيل الشيباني والخفاف والقزويني ومحمد بن الحسن ، وهي محاولة للخروج من مأزق الأحكام مع الحفاظ على النصوص .

وقد كثر ذلك عند الحنفية وقل عند غيرهم وقد كانت في مطلع أمرها تستهدف التيسير ورفع الحرج .. ثم استغلت فيما بعد استغلالا يتنافى مع أهداف الدين وأخلاقه . ومهما يكن من أمر ... فإن مذهب أهل الرأي بمرونته ولبافته أنصاره استطاع أن يتحكم في المسائل الخاصة والعامة للمسلمين ، ويحكم فيها عن رغبة وطوعية نظراً لانسيجانه مع العقل ، مع عدم الإخلال بما يمليه العقل ؟

وأقوى ما في المذهب وأشهرها كتب ظاهر الرواية وهي المبسوط ويسمى الأصل ، والجامع الصغير ، والجامع الكبير ، والسير الصغير والسير الكبير ، والزيادات ، وزيادة الزيادات ومسائل النوادر والآثار ، وكتاب الكسب ، وموطأ الإمام مالك من روايته .

وبعد : فقد كان ظهور مدرسة الكوفة على مسرح الفقه الإسلامي عاملاً مشجعاً على الحرية الفكرية في قطاع التشريع . . وآية عملية على مرونة مبادئ الإسلام ، وحيوية قوانينه ، وملاءمتها لظروف البيئة والزمان مهما تنوعت وتجددت . وقد زادت جهود تلك المدرسة بين أصول الإسلام وقواعد الفلسفة والمنطق . وأبرزتهما في صورة متكاملة متجانسة . فيها برقي العقل ، وومض الفكر ، وانطلاقة الحرية . الأمر الذي دعا الشعوب الحديثة المهد بالإسلام إلى الانتفاف حول مذهب أهل الرأي ، والتمس به ، والأخذ عنه ، وكان للفقه التقديرى الذى تتميز به هذا المذهب والتفريعات الكثيرة فيه أثر كبير في تلبية الأحكام الشرعية لصور الحياة المتجددة . فوجد الناس فيه لكل سؤال جواباً ، ولكل حادثة حكماً ، ولكل جديد بياناً وافياً ، وتأويلاً شافياً .

ولهذا لا تعجب إذا رأينا الفقه الإسلامى

محمد محمد الصمرفاوى

فُزْأثر العزلا الذنى على كُتَاب

الحركة الرومانتيكية في إنجلترا
للدكتور محمد سمير عبد الحميد

— ٣ —

“The most Eastern and sublime tall”
ونحن نتفق تماماً مع اللورد بيرون حين

يقول في مقدمته لإحدى قصصه الشعرية
المسماة The Giaour عام ١٨١٣ :

“For correctness of costume,
beauty of description and power
of imagination, it far surpasses all
European imitations, and bears such
marks of originality, that those
who have visited the east will
find some difficulty in believing
it to be no more than translation.”

وفي نفس تلك المقدمة يعترف Lord
Byron بصراحة بأنه يدين لتلك القصة
العربية ، بشيء كثير في قصته الشعرية
الأخرى (1817) Manfred سواء فيما يختص
ببعض المناظر أو بعض الشخصيات الهامة
مثل شخصية الشيطان Ahriman وهي صورة
مكررة لصورة إبليس في قصة بكفورد .

ومن بين الأدباء الرومانتيكيين الآخرين
الذين تأثروا بشكل ما في مؤلفاتهم بقصة الخليفة
الواثق هم R. Southey وآثار Vathek

تبدو في قصة ثعلبة (1810) Thalaba التي
سنشير إليها فيما بعد و Sir Walter Scott،

• — أثر هذا الكتاب الفذ في المؤلفات

الرومانتيكية :

لا يتسع المقام هنا لغير الإشارة المختصرة
إلى تلك المؤلفات التي نجد فيها أثراً من
قصة الخليفة الواثق بالله التي اشتهرت إبان
المرحلة الأولى من تاريخ الحركة الرومانتيكية
وقد زاد اهتمام النقاد بها بعد ذلك إلى حد أن
بعضهم مثل مور P. E. Moore ودكتور
جارنيت Dr. Garnett يعتبرها أحد مصادر
الحركة الرومانتيكية وقد صرح الدكتور
Oliver Elton في موسوعته الخاصة بتاريخ
الآداب الإنجليزية بأن (١) .

“Beckford’s honours require asser-
ting”

وبالإضافة إلى هؤلاء فهناك الكثيرون
غيرهم يشهدون بأن روح الشرق تتجلى واضحة
في قصة الخليفة الواثق ومن أهم هؤلاء
Lord Byron الذي كان من أشد المعجبين
بهذه القصة حتى وصفها بقوله :

1 — O. Elton, A Survey of English
Literature (1920),
Part III, vol. 1., p. 209.

٦ - قصة « خروبة ملكة مصر »
وعلاقتها بالحركة الرومانتيكية :

ولعل من الخير أن نشير إشارة عابرة إلى قصة « خروبة ملكة مصر » ، وهي قصة عربية الأصل كتبها أحد المؤرخين المصريين عام ١٥٨٤ ونقلها إلى الفرنسية عام ١٦٦٦ مستشرق فرنسي يدعى Pierre Vattier كان يعمل في مكتبة قصر لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، ثم ترجمت بعد ذلك إلى الإنجليزية عام ١٧٨٥ وظهرت ضمن مجموعة قصص رومانسية جمعها أديبة إنجليزية تدعى كلارا ريف Clara Reeve ونشرت تلك المجموعة بعنوان The Progress of Romance ولملخص هذه القصة العاطفية البسيطة هو ما يلي :

« ولدت خروبة عرش مصر بعد وفاة والدها الذي كان حاكماً قوياً خضع لنفوذه كثير من ملوك الدار المجاورة وكان من بين هؤلاء « جابر » الملك الشرس العملاق الفنى أغراء وجود فتاة جميلة وصغيرة السن على عرش مصر على غزو بلادها وإكراهها على الزواج منه ، وبعد أن نجح في غزو مصر تمكنت « داليسا » ، وصيفة الملكة - وكانت ساحرة ماهرة - أن تقنع الملك جابر بشتى الطرق حتى وعد أن يشيد مدينة حديثة بالأحجار الثمينة التي كان قد جلبها ليسد بها مجرى النيل انتقاماً لثأر قديم ، وذلك كي تقبل

في قصته (الشرقية) المشهورة The Talisman (1825) التي يظهر فيها صلاح الدين الأيوبي مع ريتشارد قلب الأسد وأعوانه الصليبيين Coleridge في قصيدته الشهيرتين :

Kubla Khan (1797), The Ancient Mariner (1798).

يصف بعض المناظر بشكل يرجح تأثره بأسلوب قصة الخليفة الوائى ، ويشهد على ذلك John Livingston Lowes في كتابه عن S. T. Coleridge المسمى The Road to Xanadu الذي ظهر عام ١٩٣٠ .

أما عن أثر Vathek في قصص Keats الشعرية من حيث المادة والأسلوب فيقول Dr. Varma في كتابه الحديث The Gothic Flame (1957)

“Vathek was known to Keats and the book seems to have contributed a few detailed devices to two of his famous poems : Hyperion (1818) and Lamia (1819).”

وفي عالم القصص الخيالية نجد أثر الوائى Vathek واضحاً في قصة B. Disraeli المسماة The Wonderful Tale of Alroy (1833) وقد اعترف المؤلف نفسه بذلك في مقدمة القصة . ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن هذه القصة تصور أول محاولة لكتاب إنجليزي يهودى يدعو فيها لإعادة مجد إسرائيل وجمع شملهم في وطن واحد .

* * *

Odyssey وكذلك ببعض أجزاء من قصة أوفيس Metamorphoses .

ولهذا كله فليس غريباً أن تصبح هذه القصة العربية الساذجة المصدر المباشر للملحمة شعرية هامة في الأدب الإنجليزي تدعى Gebir ظهرت لأول مرة عام ١٧٩٨ ومؤلفها هو Walter Savage Landor أحد فطاحل شعراء القرن التاسع عشر ، وقد أكد هذه الحقيقة في صراحة الباحث M. Elwin في صفحة ٤٧ من كتابه : Savage Landor الذي ظهر سنة ١٩٤١ ، والحق أن شهرة هذا الشاعر الكبير قامت على هذه الملحمة التي يدين فيها إلى حد كبير جداً قصة (خروبة) العربية ، وعلى الرغم من أنه احتفظ بكل عناصرها الرومانتيكية وصفاتها التي جذبت انتباهه فإنه - كما يتوقع - حور بعض حوادثها وغير أسلوبها بما يلائم هدفه الخاص الذي حتم عليه أن يجعل (جابر) هو بطل القصة بدلاً من خروبة ، وبعد ظهور هذه القصة بعامين (أي عام ١٨٠٠) نشر مؤلفها ديواناً صغيراً من الشعر تحت عنوان :

Peoms From the Arabic and Persian والطريف جداً في هذا الموضوع أن لاندور لا يعرف اللغة الفارسية ولا العربية إطلاقاً وعندما سئل اعترف بذلك وقال: كتبها فقط

خروبة الزواج منه ، ووافق الملك على ذلك وابتهداً مشروعه العظيم ولكن مضى الأسابيع والشهور ولم تظهر أى نتيجة لمجهوده الجبار ، والسفر في ذلك أن داليسا استخدمت الألوف من الجن ، فكانوا يهدمون بالليل ما نجح العمال في تشييده بالنهار - كشفت ذلك السر حورية من حوريات النيل وكانت تظهر على الشاطئ كل ليلة لتصارح أحد الرعاة فتزيمه ، وتأخذ خروفاً من قطيعه ، ثم يحتفى الملك جابر نفسه في زى الرعاة وعند ما تظهر حورية البحر هذه يهزمها ويأسرها ، فتكشف له السر ويطلق سراحها ، وتعلمه التعويذة اللازمة ليقضى بها على بحر داليسا وفي ليلة العرس بعد أن يذبت خروبة تنصاع لنصح وصيفتها مرة أخرى وتنفذ ما دبرته من مؤامرة كبرى ، ففي أثناء حفلة الرقص والشراب تغطيه برداء مسمم فيموت لساعته تحت أقدام الملكة الفاتنة الغادرة ، ولكنها لم تغفل من الجزء السماوى فلم تلبث أن ماتت بلدغة ثعبان ، ودفنت في المدينة الجميلة التي بناها لها جابر .

ما أشبه هذه القصة بالقصص الرمزية في الشعر اليوناني والرومانى ولقد قال المترجم الفرنسى لهذه القصة أنه أثناء ترجمته لها كانت وقائعها وأسلوبها تذكره بالجزء الرابع في قصة هوميروس المعروفة بالأوديسة

التي ظهرت عام ١٨١٠ ، وفي هاتين القصتين الشرقيتين نجد أن Southey حاول أن يخرج الشعر القصصي الرومانتيكي عن مجاله التقليدي أى جو العصور الوسطى . وهما في الوقت ذاته مثل على ما يتصوره خيال الشاعر الرومانتيكي عندما يفكر في حياة الشرق الزاخرة بالغرائب والأساطير العجيبة ويكون له من هذا التصوير هدف فني معين . ونقلا عن Jhon Simmons في كتابه

Southey الذي ظهر عام ١٩٤٥ يقول الشاعر: لقد بدأت بالديانة الإسلامية لأنها الديانة التي أحسن معرفتها شخصيا ولأنه يسهل على كل من قرأ كتاب د ألف ليلة وليلة ، وألم عن طريقه بأصول هذه الديانة (١) أن يفهم القصد ويندج في روح قصة د ثعلبة ، . وتبدأ القصة بوصف الظروف العائلية التعيسة التي عاش فيها الطفل العربي الصغير ثعلبه وكيف أنه بعد أن قتل زعماء السحرة

(١) ليست قصص ألف ليلة وليلة مرجعا دينيا حتى يصور الإسلام على حقيقته ، ولكن الشاعر أراد أن يسبغ على نفسه ، رداء المعرفة فأخطأ اختيار المرجع للقراء وما في كتاب د ألف ليلة وليلة ، من خرافات لا يتفق مع روح الإسلام في شيء ...

مجلة الأزهر

مقلداً د بعد ما قرأت ما ترجمه سير وليام جونز Sir William Jones من قصائد عربية وفارسية ، القصائد العربية هي المملكات السبع التي ترجمها ذلك المستشرق العظيم الذي أسس الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية The Royal Asiatic society ، في عام ١٧٨٤ ، وكان له فضل كبير في نشر الثقافة والأدب الشرقي بوجه عام في جميع أنحاء أوروبا .

٧ — قصة ثعلبة والشاعر الرومانتيكي روبرت صاذي :

وبعد لاندور Landor كان أول من استجاب لتيار الاهتمام المتزايد بالشرق وأمله خلال السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر هو أمير الشعراء Robert Southey . ولقد بدأ مشروعه الأدبي الضخم الذي كان ينو أن يتناول فيه العقائد الدينية الميثولوجية التي عرفها الجنس البشري في أنحاء العالم المختلفة في أربع قصص شعرية طويلة كان أولها القصة العربية د ثعلبة ، :

Thalaba the Destroyer

التي ظهرت عام ١٨٠١ وقارنها بعض العقاد بمحنة Milton الخالدة ، الفردوس المفقود ، Paradise Lost من حيث الهدف والمعنى الديني وثالثها القصة الهندية :

The Curse of Kehama

الشاعرية البديعة التي اجتذبت الآلاف من قلوب قارئها واشتهرت لفترة طويلة في أوائل القرن التاسع عشر .

بعد أن قتل السحرة الأشرار ثمانية من أفراد عائلة (حديرة) لم يبق سوى الطفل الصغير ثعلبة وكان في بقائه حيا خطر دام على كيانه سلالة السحرة في جميع أنحاء العالم - ودم هذا الطفل وحده هو الكفيل بإطفاء شعلة النار الزرقاء التي هي بمثابة رمز الخطر في قصر النبي دانيال ويحاول هؤلاء السحرة بشق الطرق لإغراءه بالانحدار في طريق الرذيلة فيقوده إلى جنة ساحر أفاق اسمه (علاء الدين) حتى يصل إلى فردوس الرذيلة المليء بكل أنواع الملذات الحسية والجنسية لإشباع شهوات الرجال الذين ضلوا سواء السبيل، واتبعوا خطوات الشيطان - وعندما يدخل ثعلبة فيها لأول مرة يرى عجباً من نساء جميلات فانتات يحاولن جامدات إيقاعه في شبا كهن .

ومن أهم ما جاء في هذا الجزء من القصة وصف المنظر لاجتماع أتباع (علاء الدين) وكيف انتهر ثعلبة فرصة اقترابه من هذا الساحر الأفاق وقضى عليه بمساعدة زوجته الشابة الصغرى (عزيزة) - وفي لمح البصر انتهت أركان فردوس الرذيلة واختفى بمن فيه إلى الأبد .

أباه وإخوته السبعة اختارته العناية الإلهية ليكون المنفذ لإرادة الله التي تقضى بالفتك بحيل السحرة الذين عاثوا في الأرض فسادا واتخذوا قصر الملك دانيال في جوف البحر مقرا وحصنهم - ويحاول عبدالدار الساحر الماكر أن يقتل الفتى المختار ، ولكنه يقع جثة هامدة عندما تهب السموم لجأة وبعنف أثناء محارلته - وبواسطة الخاتم السحري الذي يأخذه ثعلبة من أصبع عبد الدار يعلم ثعلبة أن أباه (حديرة) قد قتلته عقبة أحد قادة السحرة، ويقسم أن يأخذ بثأر أبيه ويثأر لجميع من قتلهم السحرة من قبل - فيشدرحاله ليحقق رسالته ويعلم أن التعويذة الكبرى التي سيقضى بها على السحرة وأعوان الشيطان هي قوة الإيمان فيتوكل على الله ويشق طريقه بنجاح إلى قصر النبي دانيال في جوف البحر وبعد هراك عنيف تظله العناية الإلهية وتحميه قوة الخاتم السحري ، يدك ثعلبة جدوان ذلك الحصن المنيع ويفتك بالسحرة جميعا مجتمعين عندما يخرج سيفه ويطعن قلب تمثال إبليس طعنة نجلاد - ويستشهد بعد أن أدى رسالته أحسن أداء وتصدر روحه الطاهرة إلى بارئها وهو مطمئن أنه سينعم في جنة الخلد بمسوار زوجته الحبيبة (عزيزة) التي اختطفها الموت منه ليلة العرس .

وهذه مقتطفات قصيرة من هذه القصة

إبليس معبودهم يهز الداعر هو اطمنا ببلاغته
وقوة تصويره للوقوف الذي ينتهي باستشهاد
البطل بعد أن يضرب ضربه الحامئة بأمر
الله ويملك السحرة جميعا ويخلص الإنسانية
من شرورهم .

Thalaba knew that his death hour
was come;

And he leapt, and springing up,
Into the Idol's heart

Hilt deep he plunged the sword.

The Ocean vault fell in, and all
were crushed,

In the same moment, at the gate

Of paradise, Oneiza's Houri form

Welcomed her husband to eternal
bliss.

ولقد كان Shelley من بين الشعراء البارزين
في الحركة الرومانسية الذين أعجبوا كثيراً
بقصيدة Thalaba وترك ذلك الإعجاب أثره
في بعض مؤلفاته مثل قصيدته بعنوان
Alastor عام ١٨١٦ ، والآخرى بعنوان

The Witch of Atlas عام ١٨٢٤ .

وقد استعرض أحد النقاد الحديثين وهو
A. M. D. Hughes في مقال نشر في المجلد
السابع من مجلة The Modern Language
Review لعام ١٩١٢ تأثير Thalabe
في قصيدة Shelley الأخيرة وهي :

The Witch of Atlas.

Thus fled the arrow from Oneiza's
hand;

It pierced the Monster Bird,

It broke the Talisman . . .

Then darkness covered all . . .

Earth shook, heaven thundered,

and amid the yells, of evil

spirits, perished

The Paradise of sin.

يذهب ثعلبة بعد ذلك إلى غار هاروت

وماروت ليعلم سر التعويذة التي يستطيع بها

القضاء على السحرة وبعد كفاح مرير ضد

الأرواح الشريرة التي تحرس هذا الكهف ،

يسمع ثعلبة هاروت معلنا .

Son of Hōdirah. Thou hast
proved it here;

The Talisman is Faith

ومن المناظر المؤثرة والتي تبعث على

الشعور بالرعب والخوف منظر جموع السحرة

وهي في قصر النبي دانيال أثناء الليل لتقوم

بمحاولة أخيرة يائسة للقضاء على رسول

العناية الإلهية ثعلبة .

Suddenly the Magic Fire went out and

Darkness spread all over the place

At that portentous sight

The Children of Evil trembled,

And terror smote their souls..."

وفي المشهد الأخير حينما تمكن ثعلبة من

الدخول إلى مقر السحرة بعد مغامرات

خطيرة ومجهود جبار ، ويقف أمام تماثيل

عقائد المسلمين وطقوسهم الدينية تدعى :

Picart's Religious Ceremonies
والشاعنة للفردوسى وكتاب د ألف ليلة
وليلة ، . كما أن زيارة صاذى لاسبانيا
ومابها من آثار التراث الإصلاى ساعده على
فهم الروح والعادات الشرقية، ولقد شهد كثير
من الأدباء والنقاد بقدرته الفائقة فى حسن
اختيار المادة ودقة استمالتها وحسن تصرفه
فى كثير من المواقف الحرجة التى يصعب
على متعصب فى الدين أن يخرج منها بسلام .
أما عن المصدر المباشر الذى أوحى له
بموضوع تلك القصة الشعرية فهو باعتراف
الشاعر نفسه قصة د المغربى الساحر ،
"Maugrabi the Magician" وهى إحدى
القصص المكنة لمجموعة قصص د ألف ليلة ،
ظهرت عام ١٧٩٢ وكانت منقولة عن نسخة
فرنسية . فى مقدمة الطبعة الرابعة لقصة
ثعلبة يقول المؤلف :

"In the Continuation of the
Arabian Tales, the Domdaniel is
mentioned; a seminary of evil
magicians, under the roots of the
sea. From this seed, the present
romance has grown.

يقع في سمير عبد الحميد

ولقد كان Shelley نفسه متحمسا ومهتما
بقراءة الكثير مما ينشره ويترجمه المستشرقون
الإنجليز عن الشرق الساحر الذى جذب
اهتمام Shelley إلى حد كبير ، فى عام ١٨٢١
كتب قصيدة حماسية محاولا بعدها تقليد
أسلوب قصة د عنترة بن شداد ، وسماها :
From the Arabic An Imitation

والآن نعود للسؤال الهام : من أين اشتق
هذا الشاعر الإنجليزى روبرت صاذى
معلوماته التى بنى عليها تلك القصة الشرقية التى
لقيت فى وقت ما نجاحا كبيرا ؟ - الواقع أنه
اعتمد كغيره من الشعراء الذين كتبوا عن
الشرق بشكل أو بآخر على كتب الرحالة
الإنجليز الذين نشطوا كثيرا منذ نهاية القرن
الثامن عشر نظرا لزيادة العلاقات التجارية
والسياسية بين إنجلترا وبلدان الشرق الأوسط
عامة . كما أنه استفاد كثيرا من مؤلفات
وترجمات المستشرقين الإنجليز الذين كان لهم
أيضا فضل كبير فى تغذية الحركة الرومانتيكية
بالمادة المطلوبة عندما اتجه التيار نحو الشرق
أو تيار الاستشراق فى الأدب الإنجليزى وأهم
الكتب التى اعتمد عليها هى : القرآن الكريم
مترجما ، وموسوعة تحتوى على كثير من

موطنُ الجمال "فلسطين" للأستاذ إبراهيم محمد نجبا

(حوار بين شيخ لاجئ وابنه الصبي ...
أمام خيمة من خيام اللاجئين ... العائدين)

يا موطن	الجمال	والسحر	والخيال
يا جنّة	تزينت	بالنور	والظلال
أعيش في	ربوعها	بالروح	بآمال
قطائر	منـ	على ذرا	الدوال
قطرة	في	تنساب	في خيال
أو زهرة	من	ترف	كاللال
أو لمسة	من	على ثراها	الغـ
أو لمسة	من	رحيـ	الجمال
أو همسة	من	تحضى	إلى الأعلى
خائـ	لربها	تدعـ	في ابتهاج
أو أمل	منـ	في بسـ	الأطفال
أو نبضـ	قوية	في عزمـ	الأبطال
أو قصة	جـ	في خاطر	الليـ

* * *

أواه . . .	هل أهود	ويسمح	الوجهـ
وبالمنى	يـ	ريبعك	الجمـ
يا أرض	أجـ	يا سر	أجـ

* * *

قل يا بني . . .	هل ثم من جديد ؟
هل حان وقت هودتي	لموطني الحجيـ ؟

لدار قد فقدتها من زمن مديد
أخرجت منها عنوة فعشت كالطريد
لقريبي . . . وقريبي صحابة المضييد
النور فيها قبله من شفة الخلود
والظل فيها ممسة من نغم بعيد
والنمر فيها بسمه كبسمه الوليد
أو أرج تربة له إشرافه الورود
والزهر فرحة الربا بالطائر السعيد
وكل شيء . . . رائع كفجر يوم العيد

* * *

أواه . . . إلى أهود ويسمح الوجود
وبالمدنى بجمود ربيعك الجديد
يا أرض أجسادى يا سر أجدادى ؟

* * *

أجل . . . أجل يا أبى غداً نعود للوطن
غداً سترفع الجباة فوق لجة المحن
غداً نعود للحياة من قرارة الزمن
بمزمننا . . . وإن نرد بغير عزمنا . . . فلن

* * *

غدا نعيش فى ديارنا يظلنا السلام
حصادنا إذ نزرع الآفراح . . . حب وابتسام
وأرضنا الروم تمض الجن . . . على الدوام
وفى مروج التين والزيتون يمرح الحمام

* * *

إننا انتفضنا يا أبى مثل الأسود فى الأجم
قد راعها عاد بداوهاجم عات هجم

كالموج ثار واحتدم	فزمجرت منقضـة
للفضال . . واءتزم	وجيشنا قد اعتمد
بالصلاح . . من أرض الكرم	أن يطرد اللثام
لأهلها منذ القدم	لكى تعود أرضنا
دك السدود واقتحم	انظر أبي فإنه
مرددا هذا القسم	أنصق أبي لصدوته
في أرض العـروبـة	قسما بمجدك يا بنية الاجاد
إلى ديارهم الحبيبة	سنعيد كل اللاجئـين
فوق أرضهم الخصيبة	فيعود نور الحق بسطع
ذنبق الإيمان طيبة	ومن القلوب الخضر ينشر
أزهارا وأغصانا وطيبة	ويصـوغ باسم الله
فأنت من يدنا قريبه	يا أرضنا مـدى يدك

* * *

وافرحناه بالحيـاة	وافرحناه
اليوم أبصرت السنا	اليوم أبصرتنى
وكان من ظلم الطغاة	ة لا يرانى . . أو أراه
اليوم ريق الشبا	ب صب فى دى قواه
وأطلق الريح فى	آفاقنا أبهى رؤاه
فكل شيء . . أمـل	يحملنى إلى مـداه
وكل صـوت . . نغم	يأسرنى . . حتى صداه
اليوم أمضى فى الحقـو	ل . . عند شاطئ القناة
مقبلا كل اخضرا	ر . . لا ثما كل حصاه
لن تعرف الدموع يا	قلبي . . ولن تقول : آه
وكل ما تقـوله	حمدا وشكرا للإله

ابراهيم محمد نجما

ما يقال عن الإسلام

محمد النبي والحاكم

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

Mohammad, Prophet and Statesman

(محمد النبي والحاكم) فقد قصد إلى جمهور المثقفين ، ويعد اختصارا للكتابين (محمد في مكة) ، و (محمد في المدينة) . وهو كتاب صغير نسبياً ، يقع في ٢٥٠ صفحة من الحجم الصغير . رتبته صاحبه هل أحد عشر فصلاً ، وصحب فيه الرسول عليه الصلاة والسلام منذ مولده حتى وفاته . لجاء الفصل الأول بعنوان (اليتيم الموهوب) والثاني (من الدعوة إلى الرسالة) ، والثالث (المعارضة والرفض) ، والرابع (الهجرة إلى المدينة) ، وهكذا إلى آخر الكتاب . وهذا النهج في كتابة السيرة ليس جديداً سواء عند كتاب العرب قديماً مثل سيرة ابن هشام ، أو عند المحدثين مثل حياة محمد لميكل ، أو غيره من المستشرقين . وهو منهج معروف سليم .

وإذا كانت كتب سيرة الرسول من الوفرة كما ذكرنا ، فما هو الجديد الذي استحدثه المؤلف ؟ الجديد عنده أنه كتب

الكتاب المؤلف بأقلام المستشرقين عن محمد صلى الله عليه وسلم منذ أواخر هذا القرن حتى الآن كثيرة ومتعددة ، ولا تزال تصدر في ثوب جديد تستفيد من الدراسات السابقة من جهة ، وتعتمد على مناهج جديدة للبحث من جهة أخرى .

ومنذ سنوات قليلة طلع علينا الأستاذ (منتوجومرى وات) بكتاب جديد عن (محمد النبي والحاكم) صدر في طبعته الأولى سنة ١٩٦١ ، وفي طبعته الشعبية التي اطلعت عليها سنة ١٩٦٤ . وليس (منتوجومرى وات) مجهولاً لدى المشتغلين بالإعلاميات ، له - منذ ربع قرن - كتاب عن القضاء والقدر في الإسلام ، وشرع منذ سنة ١٩٥٢ يكتب عن محمد والإسلام ، فأصدر سنة ١٩٥٢ (محمد في مكة) وسنة ١٩٥٦ (محمد في المدينة) ، و ١٩٦١ (الإسلام وتوحيد المجتمع) . وهي مؤلفات ضخمة كتبت للمختصين . أما هذا الكتاب

في ذلك مضطربا ملتوبا ، لأنه يعتمد في رأيه على مناهج العلم . ولكن الدين شيء ، والعلم شيء آخر ، وهما ميدانان مختلفان ، ومتى شرعنا في تطبيق المنهج العلمي على الدين ، لا جرم ننتهي إما إلى شك وحيرة ، وإما إلى إلحاد صريح . وقد وقع المؤلف في الشك والحيرة ، ولم يستطع أن يحزم بشيء ، فجاء تعبيره اللغوي مفصحا عن هذه الحيرة ، فيقول : « إن صح ، أو « أكبر الظن » ، أو « في الأغلب » ، أو « على الأرجح » ، وهكذا مما يباعد بينه وبين اليقين .

إن التفسير الذي يذهب إليه المسلمون ، وبدونه لا يعد المسلم كذلك ، هو أن القرآن كلام الله نزل على محمد وحيا بالطرق المذكورة المقررة في القرآن والحديث ، ولو كان القرآن من كلام محمد ، ما كان الإسلام ديننا سماويا ، ولا كان محمد رسولا نبيا ، بل مجرد رجل عظيم ، أو مصلح اجتماعي كبير .

ليس إذن عند المسلمين شك في نبوة الرسول وفي قداسة القرآن وأنه كتاب الله ، لا ريب فيه . ولكن المستشرقين في قلوبهم مرض . يدسون للإسلام وينسكرون صحته . وفي الكتاب الذي نعرضه أمور ثلاثة تطعن في النبوة ، وهي :

١ - في الفصل الخاص بنزول الوحي على محمد وقيامه بالدعوة إلى الرسالة ، يحاول

السيرة في إظهار من الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا أمر طبيعي معه تقدم علم الاقتصاد والاجتماع . ولكن يقف عاثقا في سبيل تطبيق نتائج هذين العليين ومناهجهما على السيرة النبوية ، إنا نهمـل حقيقة الوقائع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت موجودة في ذلك الزمان ، أي في الجاهلية قبل الإسلام ، اللهم إلا على سبيل الفرض والتخمين . فليست هناك وثائق تاريخية مدونة عن العصر الجاهلي ، ولا توجد إحصائيات وبيانات وهي عمدة المباحث الاقتصادية والاجتماعية . والمصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه والوقوف به ، والبعيد عن التزييف ، والذي يمد مرآة صادقة لحياة العرب في الجاهلية وعند ظهور الإسلام هو (القرآن) ولذلك كتب كثير من المستشرقين حياة النبي معتمدين على ما جاء في القرآن فقط ، أما الاعتماد على ما جاء في السير التي إنما دونت بعد وفاة النبي بقرن ونصف من الزمان ، فليس مما يوثق به وبخاصة إذا تعارض مع ما جاء في الكتاب العزيز .

من أجل ذلك وقع بحث مونتجومري هذا على الرغم من طرافته في انحراف جوهرى يهدم أساس الكتاب وهو نبوة محمد . والحق لقد تصائل المؤلف ، إن في أول الكتاب وأن في آخره ، هل كان محمد نبيا ؟ وكان جوابه

تناقض المؤلف وأخطابه في الحكم على معرفة محمد الكتابة والقراءة ، فهو يذكر في صفحة ١٦ عند الكلام على نزول القرآن ، أن الأغلب أن معظم الآيات التي أنزلت قد دونت في أثناء حياته ولكن المواد الصالحة للكتابة كانت نادرة في مكة والمدينة وأن إحدى الروايات القديمة تذهب إلى أنه بعد وفاة محمد وجد أحد كتبه سوراً من القرآن مدونة على الحجارة والصف والكتف ورقائق الجلد . فأنظر إلى شك المؤلف في الروايات المتواترة الثابتة ، إذ المقرر عندنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر كتاب الوحي أن يضعوا الآيات التي تنزل عليه في مكانها بعد آية كذا أو كذا ، ومن الثابت لدينا أن القرآن حفظ سماعاً وكتب محضاً ، وفيما أوردناه عن المؤلف من ندرة مادة الكتابة . وأمر النبي كتابه بالتدوين ما يدل على أنه كان أمياً ، لا على أنه كان يعرف القراءة ، وأبلغ من هذا في الدلالة ، أن المؤلف حين ترجم أول الآيات التي أنزلت على النبي وهي :

داقرأ باسم ربك، قال recite ولم يقل read . ونعود إلى القضية التي أثارها المؤلف وهي أن ما جاء في القرآن سمعه النبي من أفواه المسيحيين واليهود ، فنقول: إن التهمة ليست جديدة ، وقد ردها كثير من المفسرين

المؤلف القول بأن محمداً تأثر بالتراث المسيحي واليهودي ، وهو تراث كان معروفاً في بلاد العرب آنذاك ، اطلع عليه من ورقة بن نوفل ، أو من أسفاره إلى الشام . وفي سبيل ذلك يزعم المستشرقون أن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة ، وأن تأكيد المسلمين أنه دأى ، لا يعرف القراءة ولا الكتابة إنما سببه تدهيم القول بأن القرآن كان معجزة ، وإلى هذا يذهب المؤلف ص ٤١ ، حيث يقول : « على العكس ، من المعروف أن كثيراً من أهل مكة كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، ولذلك من المفروض أن تاجراً كهناً كالحال في محمد كان يعرف تلك الصناعة . » ولكن المؤلف تردد بعد ذلك فلم يذهب إلى الزعم بأن محمداً اطلع على التراث المسيحي في مصادره المكتوبة ، بل قطع بأن معرفته بهذه المعلومات وصلت إليه سماحاً وشفافاً وبعد مناقشة طويلة ينتهي المؤلف ص ٤١ إلى ما يأتي : « الخلاصة أن محمداً تلقى معرفته بالآراء الواردة في الإنجيل من البيئة الفكرية المحيطة بمكة ، وليس من طريق القراء أو الاتصال بأفراد أعيانهم . وهكذا يمكن القول بأن الإسلام ينتمي إلى التراث لليهودي المسيحي حيث إنه نشأ في وسط مشبع بأفكار الكتاب المقدس ، »

وقبل أن تناقش هذا الرأي . نشير إلى

من قبل ، ونهض من المسلمين من تولى الرد عليها ، وبخاصة الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ونضيف إلى ذلك أن النبي كان يجادل النصارى واليهود في زمانه بالتى هى أحسن ، ويبين أن ما يذهبون إليه باطل يخالف الشريعة الصحيحة ، وذلك بالحجة الواضحة ، والأغلب أنه لم يكن يبدأ بمناقشة اليهود أو النصارى ، وإنما هم الذين كانوا يبعثون إليه بوفودهم يهاجونه ، فكان عليه السلام ينتظر نزول الوحى ثم يرد عليهم بما أنزل عليه ، وعندئذ يهت أولئك الذين جاءوا يتحدونه ، ولا يحجرون جوابا ، وهم أولئك المفروض أنهم على دواية وثيقة بترائهم العقائدى اليهودى أو النصرانى ، وهم هم المفروض فيهم أن محمدا استقى منهم معلوماته فكيف يزعم المستشرقون أن الإسلام صورة محرقة عن التوراة والإنجيل ، وفي الوقت نفسه يقدم الإسلام حقائق أكثر دقة وموافقة للعقل وعلمنا بأخبار الأمم الماضية والأنبياء والمسلمين السابقين ، وهى حقائق لا يمكن أن تكون متداولة بين الجمهور ، إلا إذا كانت متداولة داخل الكنائس ، ولم يعرف أن النبي أقبل هذه المعابد والكنائس وتلقى دروسا كهنوتية تيسر له المعرفة الوثيقة بذلك التراث .

ونحسب أن هذا كان كافيا لأن يجعل الأستاذ مونتجومرى وات يعدل عن الاعتماد على هذه الأكاذوبة ، وهو الضاليع في الدراسات الإسلامية ، ومن الغريب أن يشغل عرض القصة أربع صفحات من كتابه الصغير ، (من صفحة ٦٠ إلى ٦٤) . ولعله فطن إلى اضطراب الروايات بشأن هذه القصة ، فقال ما نصه : « تختلف الروايات عن هذه الواقعة بعض الشيء في التفصيلات ، بحيث يجعل البدء بالنقاط المؤكدة (هكذا) ، ثم نمضى بعد ذلك إلى تلك المشكوك فيها بدلا من اختيار رواية كاملة ونقد عناصرها . ولا بد أن محمدا قد تلا آيات من القرآن قسم بطلب الشفاعة من أصنام العرب . وهذه هى إحدى الروايات : « أفرأيت اللات

من قبل ، ونهض من المسلمين من تولى الرد عليها ، وبخاصة الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ونضيف إلى ذلك أن النبي كان يجادل النصارى واليهود في زمانه بالتى هى أحسن ، ويبين أن ما يذهبون إليه باطل يخالف الشريعة الصحيحة ، وذلك بالحجة الواضحة ، والأغلب أنه لم يكن يبدأ بمناقشة اليهود أو النصارى ، وإنما هم الذين كانوا يبعثون إليه بوفودهم يهاجونه ، فكان عليه السلام ينتظر نزول الوحى ثم يرد عليهم بما أنزل عليه ، وعندئذ يهت أولئك الذين جاءوا يتحدونه ، ولا يحجرون جوابا ، وهم أولئك المفروض أنهم على دواية وثيقة بترائهم العقائدى اليهودى أو النصرانى ، وهم هم المفروض فيهم أن محمدا استقى منهم معلوماته فكيف يزعم المستشرقون أن الإسلام صورة محرقة عن التوراة والإنجيل ، وفي الوقت نفسه يقدم الإسلام حقائق أكثر دقة وموافقة للعقل وعلمنا بأخبار الأمم الماضية والأنبياء والمسلمين السابقين ، وهى حقائق لا يمكن أن تكون متداولة بين الجمهور ، إلا إذا كانت متداولة داخل الكنائس ، ولم يعرف أن النبي أقبل هذه المعابد والكنائس وتلقى دروسا كهنوتية تيسر له المعرفة الوثيقة بذلك التراث .

٢ — إذا ثبت أن القرآن محرف ، وأنه

(والله يا هم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ...) .

إن ما نأخذه على المؤلف وهو يدعو إلى الموضوعية والبحث العلمي، قوله : إنه سيذكر الرواية المؤكدة ، فما أساس هذا التأكيد ، ورائحة الوضع في الرواية أو الروايات تفوح من كل جانب ، وقد كان الإنصاف يقتضيه أن يذكر جميع الروايات وتفنيدها ، ويرجع الجانب الصحيح الذي يرجح تزييفها ووضعها

(٣) تساءل المؤلف في آخر الكتاب (من صفحة ٢٣٧ إلى ٢٤٠) هل كان محمد رسولاً نبياً ؟ وفي هذه الصفحات القلائل ذهب مع بعض المؤلفين الأجانب إلى أن الوحي الديني يصدر عن المتخيلة المخترعة ، وهذا التفسير ليس في الواقع جديداً لأن بعض فلاسفة العرب الأقدمين ذهبوا إليه ابتداءً من الفارابي إلى ابن سينا ، ولكن على أساس أن المتخيلة قوة نفسانية متوسطة بين قوة الحس وقوة العقل ، وهي المختصة بالاتصال بالعقل العاشر الفعال الفاضل عن الله ، وبهذه الصيغ يقيم الاتصال بالله ، غير أن الجديد في تفسير موتوجومري أنه يستخدم ما يذهب إليه علم النفس الحديث من انبثاق المشاعر والأفكار عن اللاشعور

والعزى ، ومناعة الثالثة الأخرى ، تلك الغرائيق العـلا ، وأن شفاعتهم لترجي . وبعد فترة من الزمن نزل عليه الوحي بمحو هذه الآيات ووضع آيات أخرى بدلا منها ، وهي : « أفرايتم اللات والعزى ، ومناعة الثالثة الأخرى ، ألسم الذكر وله الاتى ، ... » (سورة النجم من ١٩ إلى ٢٣) إلى قوله ولا يمكن أن يتطرق إلى الفكر أن أحدا قد اخترع مثل هذه الرواية واقنع جمهرة المسلمين بقبولها (ص ٦٠ - ٦١) ويسمى المؤلف هذه الآيات ، (الآيات الشيطانية Satanic) أى التى ألغها الشيطان في روجه ، نسبة إلى الآية من سورة الحج التى تقول : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى . ألقى الشيطان في أمنيته . فيمنسخ الله ما يلقي الشيطان ... إلى آخر الآية . وقد رد القدماء على هذا الحديث الموضوع ، فقال ابن إسحاق : إنه من وضع الزنادقة . وذهب محمد عبده إلى أن العرب لم يصفوا آلهتهم بأنها الغرائيق ، وأن الغرنوق في لغة العرب اسم طائر مائى كما أن في تعدد الروايات واختلافها ما يدل على اضطرابها ، هذا فضلا عن أن تسليم محمد بشفاعة أصنام العرب مما يقتضى أصلام دعوة التوحيد التى اضطلع بالدهوة إليها ، والتى لقي من أجلها تعذيباً رهيباً حتى قال قولته المشهورة :

أو الفنان ، وبذلك ترتفع عن صفة النبوة وفيما يلي ترجمة دقيقة للفقرة الأخيرة من كتاب مونتوجومري ، يتبين منها رأيه الصريح في نبوة محمد ، قال :

وأخيرا ماذا عن سؤالنا عن نبوة محمد ؟

نقول في الجواب: إنه كان إنسانا مخيلة المخترعة تشتغل على مستويات عميقة فتنتج أفكارا تتصل بالمسائل الرئيسية عن الوجود الإنساني مما جعل دينه يلقي انتشارا واسعا لا في زمانه فقط بل في القرون المتتالية ، وليست كل الأفكار التي أعلنها صادقة صحيحة ، ولكن بفضل الله وزعمته تمكن من أن يمد ملايين من البشر بدين أفضل مما كانوا يعتقدون فيه قبل أن يشهدوا بأنه لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

أحمد فؤاد الأهواني

بطريق الخيلة المخترعة ، كما يفعل الشعراء والفنانون وليس من الضروري أن يكون كل ما يصدر عن الخيلة المخترعة معبرا عن الحقيقة ، فقد يكون بعضه صادقا وبعضه الآخر كاذبا .

ولكن المسلمين يعتقدون أن القرآن الذي

أوحى لمحمد أنزل إليه من عند الله ، ولم يكن مستقدا من أهوار اللا شعور ، ومن المعروف أن جبريل عليه السلام كان أحيانا في صورة رجل هو الذي ينزل بالوحي ، وهكذا أجمعت الأحاديث ، ويشهد به ما جاء من آيات تنص على أن الروح الأمين هو الذي كان ينزل بالوحي ، فالقول إذن بأن الوحي ينبع من اللا شعور عن طريق الخيلة المخترعة ، قول يفسح المجال لأولئك الذين يذهبون إلى أن القرآن ليس كلام الله ، بل تخيلات شخصية من محمد أشبه بما يفعله الشاعر

مرت امرأة يقوم من بنى نعيم فأحدرا النظر إليها ، فقال منهم قائل : والله إنها لرشحاء (أى كثيرة العرق) ، فقالت . يا بنى نعيم ، والله ما امتثلتم في واحدة من انتقن ، لا قول الله عز وجل : د قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ولا قول الشاعر :

● فغض الطرف إنك من نعيم ●

• وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم. (إبراهيم ٢٢)

(And when the matter hath been decided, Satan saith : Lo ! True was the promise which Allah made you. I too made you a promise, but I did not keep it. I had no power over you. Save that I called you and you answered me. So do not now blame me but blame yourselves.)

• وإذا يتجادون في النار فيقول الضعفاء الذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد . (غافر ٤٧-٤٨)

(And when they argue in Hell, the weak say to those who were proud : Lo ! We were your followers: will you therefor rid us of a portion

of the Fire ? But those who were proud say : Lo ! We are All herein. Lo ! Allah has judged between His servants.)

A Muslim, then, should not let vanity carry him off to sin if he is called to good ; nor should he be deceived by the imposture of those who walk in Satan's footsteps, commit evil and indecency and assert about Allah what they do not know. He had better be a benevolent improver, aloof from evil-doers.

For the Prophet, may peace and blessing be on him, has said : "Let no one of you be an unprincipled time-server who says : I am like the people, whether they do good or evil so do I ; but you all should be determined to do good if men did good, and shun them if they wronged."

(Continued from page 14)

are leaving a house you were born in to a house you would live in ; keep things and you will have a happy life : You must always feel satisfied, be obedient and far-sighted.

Soufyan El - thawry advised his friends by saying : Seek knowledge and science to teach and guide others and not to attack or mock other men of letters.

Shehab El-Din Sahrawardy told some of his friends : If God inflicted

something on you, accept it and do not show dissatisfaction because He is aware of what you are thinking, and if you showed satisfaction He would reward you. If you think either way you would alter nothing of your fate. Be patient, for patience is the prerequisite of faith. But if you could not do this and found no outlet for your distress then ask His help, and be sure that He would help you.

From the Tradition of the Prophet :

The Ways of Good and Evil

By

SOLIMAN BARAKAT

The Prophet has said :
« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور
من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا
إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

(Whoever calls others to guidance shall be rewarded a recompense equal to that conferred on all those who follow him, without decreasing a bit their recompense. Whoever calls others to error shall be burdened with as heavy sins as shall be all those who have responded to his call, without the least cutting short of their sins.)

By guidance here is meant what is good and pious, such as building an institution for public welfare, contending vice, giving in charity to the poor, fighting for Allah's cause, working for the unity and strength of Muslims, or, in general, obeying Allah. Such a call may be in word or in deed.

On the other hand, error is the contraposition of guidance, and by it is meant transgression against divine law or against principles of morality, such as debarring others from the path of Allah, or the

neglect of duty. Again such a call may be in word, deed or in silence which gives the consent of the persuader at the occurrence of evil.

Then, one's call shall be either to one's credit or to one's disgrace, and one shall either be favoured with Allah's requiteful justice and pleasure, or incur His wrath ; and in any case one's reward shall balance that of all the men one has induced.

In this Hadith, there is impressive persuasion into enjoining justice and the endurance with faith and fortitude of whatever befalls one, as well as alienation from calling other men to evil and making foul deeds seem fair. On the other hand, there is also urge to following those who call to a straight path and to having faith in Allah, as well as warning of responding to those who call to Hell-fire. After all, the principle of man's responsibility for his own acts is well established in this Hadith. The allegation of being tempted or misled is an invalid excuse.

willingness you will be mune and they can hurt you not, and deprive you of neught. To meet hardships with endurance and patience results in reward, for verily along with trouble cometh ease.

Abu Darda'a quoted that prophet Muhammad said : Do good and gain what is good; consider yourself among the dead for the day of Judgment is coming soon.

Once Muhammad said to a man: Beware of God whenever you are : "if you did evil then let good follow it for the latter eliminates the former, and treat people well."

Omar ben Al-Khattab told a man to keep what God had given him, to realize that.

God knows what he does and remember what he would meet when he dies-wherever he is.

Omar ben Abd El-Azziz told one of his men after appointing him to be in charge of a region : Consider the young Muslims as your sons, and the elder muslims your brothers and the eldest your parents, thus be merciful to your sons, sympathetic to your brothers and obedient to parents.

As a matter of fact, almost all Muslim thinkers and wisemen recommended to their sons or close fri-

ends practical advices so as to be wiser and to take care of themselves.

Let us hear what said, Saeed Ben Gohelr advising his son : O my son, treat people with kindness, do not be persistent in your demands. Pray as a human who would die soon; if you can do tomorrow better than yesterday, then do. Be always hopeful.

Once a philosopher told his son : If you want to get what you like, you must endure what you do not like. You will get rid of what you dislike if you wait for what you like. Modesty will prevent humiliation.

A woman told her son : Beware of back-biting because it leads to hatred and disunity.

Do not pick out other's defects. Stick to your religion and be generous. Follow the good acts of others and avoid bad actions.

Another woman advised her son by saying : Be virtuous and modest. Treat your friend with easiness and patience; lend them a hand when in a crisis. By so-doing they will like you and trust you.

A beduin woman advised her daughter on her marriage : Adopt yourself to your life, because you

(Continued on page 16)

'Wassaya' in Islam

By

Dr. Gamal Eldin El Ramady



"Wassaya" do not mean what the men of law and jurisprudence consider "wills" which are concerned with legal subjects and rights. It is a well-known fact that rights resulted of voluntary actions - from those who have the rights - to achieve certain results which we call legal proceedings - such as buying, granting and the wills we are speaking about, or resulted from legal actions which have no thing to do with those rights.

Therefore, the will is considered as a contract whose effect cannot be implemented except after the death of its owner; for instance, ownership cannot became valid before the death of the man who signed the will.

Heirdom is a very complicated matter yet it is well-explained in Islam. It depends on the man's will, and he is free to decide his heirs according to the Islamic legislation.

The English law allows the British to give their properties to whoever they want and not

according to their religious legislations. On the other hand, the French law allows the citizen to put all his properties in his will-except a portion to be divided among his heirs.

This, however, concerns the legal aspects of the "wills", but as for the "wills" in the sense that they are related to wisdom, education and enlightenment, they are to be found in literature.

This sort of "wills" which have better call "Wassiyah" was-and still is-practised by prophets, philosophers, poets and others. They believe that philosophy - in the full meaning of the word - gives mass experience and wisdom. It also affects his social behaviour.

In this sense, Ibn Abbass quoted Prophet Muhammad saying : I shall teach you words that will benefit you; comply to God's orders and He will make you happy; do not forget your God when you are happy and prosperous, if you did He would forget you when you are in distress. Ask God only for help and assistance. If all humanity gathered to hurt you without God's

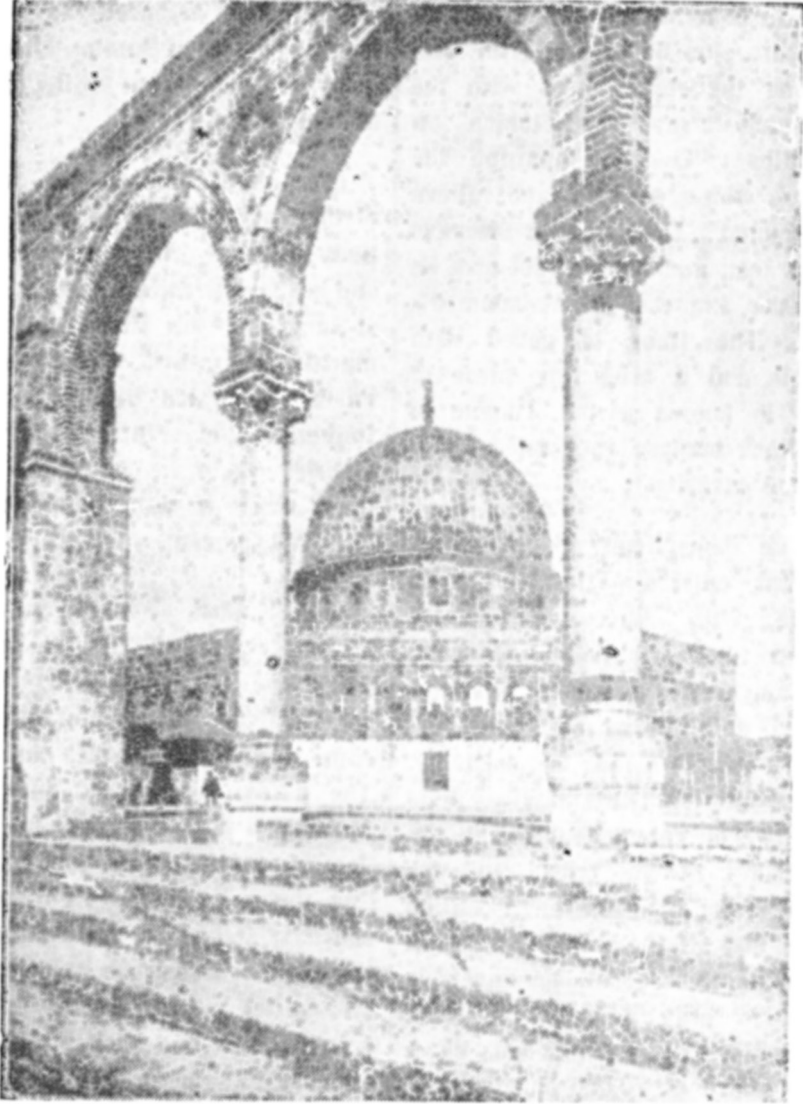
The entrance to the cavern beneath is by means of the Bab al-Maghara, the humble pilgrim descending the eleven steps with the following "Prayer of Solomon" on his lips : "O Allah. pardon the sinners who come here, and relieve the injured", The height of the cave is six feet, and on the roof may be seen the impress of Muhammad's head. The floor is paved with marble and a projecting piece of rock is known as the Tongue of the Rock because it greeted Umar on one occasion.

The dome itself is of wood, covered outside with lead, and inside with stucco, beautifully gilded and richly ornamented. Quranic passages wonderfully inscribed in interwoven characters from a frieze round the building. In the interior four massive piers and twelve columns surround the Al Skhra in the centre and the dome rests on these. Tradition states that all the prophets of Allah up to the time of Muhammad have come to pray here at the Rock which is daily surrounded by a body guard of 70,000 angels. Most

important of all, it was from here the Prophet ascended to heaven on his horse al-Buraq. His footprint may be seen still, Qadam Muhammad.

The round hole in the middle of the Rock is where the Prophet's body pierced its way upwards, and nearby is shown the Saddle of al-Buraq in the shape of several marble fragments. There is also on the west side of the Rock the impression of the Handprint of Gabriel where he held down the Rock when it was about to rise with Muhammad.

The Kubbat al-Sakhra is one of the most beautiful sights in the world and one that is known to all Muslims. Millions of pilgrims come to see and wonder and pray. The eulogy pronounced on it by Mukaddasi still describes the wonderful beauty to this present day : "At dawn when the light of the sun first strikes on the cupola, and the drum catches the rays, then is this edifice a marvellous sight to behold, and one such that in all Islam I have never seen its equal".



'Kubbat Al-Sakhra' (The Dome of the Rock)
Jerusalem

The building thus became the model for all the "Temple" churches built in Europe. The dome being the symbol of the order appearing on the Grand Master's seal.

In 1187, Saladin, the famous warrior and scholar, captured the Holy City amongst great rejoicing throughout the Muslim world. He immediately removed all the Christian additions from the Dome and there may be seen the inscription set up by Saladin inside the cupola, that records the fact of his restoration.

★ ★ ★

Ibn Abd Rabbihi states : " Now when thou enterest the Sakhra make thy prayer in the three corners thereof, and also pray on the slab which rivals the Rock itself in its glory for it lies over a gate of the gates of Paradise ". This slab is a portion of the marble pavement near by the Bab al-janna and marks the place where the prophet Elias knelt in prayer. Others believe it covers the Tomb of Solomon. All, however, assert that it was originally part of Paradise and so is called the Flagstone of Paradise. A tradition has it that Muhammad (may peace be with him) drove into this slab nineteen nails of gold which are destined to drop out periodically and when all have fallen through, the end of the world will

come ; the Devil almost succeeded in removing them but the angel Gabriel intervened just in time. Nowadays three nails remain in place, but one has become a little sunken. It is with humble step and slow, therefore, that the pious pilgrim treads this holy place lest by dislodging one of the nails he should hasten the day of judgement.

According to legend, angels visited the Rock 2,000 years before Adam was created, and Noah's ark rested here after the Deluge. It is said to be actually one of the rocks of Paradise, and that here on the Resurrection Day the Angel of Death will blow the last trumpet ; but previous to this the Ka'ba will come from Mecca as a bride unto the Sakhra. It is also said that it rests on a pal'n-tree beneath whose shade Asiya, Pharaoh's wife, and Maryam, Moses sister, will give the faithful a cooling draught from one of the rivers of the Garden ; for all the sweet waters on the earth are believed to originate somewhere beneath it.

Beneath the Rock is a cave the floor of which when stamped upon by the foot emits a hollow sound pointing to the presence of a cavern beneath, perhaps a well, the " Well of the Spirits " where the souls of departed are believed to assemble twice weekly.

The Sacred places of Muslims :

KUBBAT AL-SAKHRA

By

RASCHIED AL-ANSARI

Situated in the second most holy city of Islam, al-Kuds (Jerusalem), lies the most beautiful edifice known as the Kubbat al-Sakhra or otherwise known as the Dome of the Rock. This is considered next in importance to the Ka'ba in Mecca and the following may help to explain why this is so.

The history and legends surrounding the Kubbat al-Sakhra are diverse and fascinating, it being quite well known in historical literature. When Umar managed to conquer Jerusalem he found the Rock scandalously covered with muck and filth, this he ordered to be removed by the Nabataeans and, after heavy rains had thrice cleansed the Rock, prayers were then given there.

The fifth Umayyad Caliph, Abdul Malik, built the Dome above the sacred rock in the years 69 — 72 A.H. and there is a famous Kufic inscription in yellow and blue mosaics above the cornice round the base of the Dome which states: "Hath built this dome the servant

of Allah, Abdul Malik, commander of the Faithful, in the year two and seventy - Allah accept him". For the expenses of building this magnificent domed edifice, he is reputed to have set apart the revenue from Egypt for seven years; causing a treasure-house to be built for this money to be kept in what is now known as the Kubbat al-Silsila, or Dome of the Chain.

In those days a latticed screen of ebony and lavish curtains of brocade surrounded the Sakhra. There were also to be seen a precious pearl, the horn of Abraham's ram, and the crown of Khursaw, suspended by a chain hung from the centre of the Dome; but with the coming of the Abbasids these were then transferred to the Ka'ba.

The year 1099 was a sad year for Muslims for then Jerusalem was taken by the Crusaders. The building was endowed by Baldwin II, and became the Temple Domtni, the Church of the Knights Templars.

troubled waters as it did in the past if it is accepted once again as a guide to thought and action and its contents are actually implemented in life. History tells us that the age of in which the Prophet Muhammad (peace be on him) was born, lived and worked, his own people, the Arabs were the most degenerate people morally, culturally, socially, politically, in fact in respect of every aspect of human life. They were the worst specimen of the then civilised humanity. The Prophet lived only for Sixty-three years and he received revelation in his fortieth year. His ministry, therefore, lasted only for twenty three years and it is during these twenty three years that he delivered his mission and worked. History tells us again that the very same Arabs, the nomadic children of the desert who only a few years ago were the worst specimen of humanity at the time of the Prophet's death were in every respect—morally culturally, socially and politically were the best amongst men. The unlettered Arabs became the teachers of the then civilised world. The uncultured Arabs who would delight in drinking, debauchery, gambling and in every imaginable kind of moral and intellectual perversion gave the world all refinements and fineries of culture. The Arabs divided into

countless tribes, clans, families and ever-engaged in neverending family and tribal feuds moulded themselves into a compact and homogeneous nations and gave the world the conception of a real world-wide brotherhood of man. The most easily ignitable Arabs incapable of resisting the slightest provocation and temptation presented a perfect example of temperance and tolerance. The brutes, the uncivilised peoples of Arabia created a magnificent and wonderful civilisation in twenty three years the like of which the world had never seen. This in itself is a miracle the miracle of the Kalima. Twenty three years, in the life of an average man is not very much significant, far less so it is in the life of a nation and the humanity taken as a whole twenty three years can only be linked to a bubble in the ocean. The question that appears here in bold relief to every inquisitive mind is how this mighty transformation was possible within such a small period of time and what were the ingredients in the teachings of Muhammad (peace be on him) which caused this unparalleled revolution in the thinking, feeling and action of man. This question when answered in concrete terms will reveal the revolutionary character of the Kalima.(1)

(1) The Creed of Islam.

Prophet was again mutilated to give divine rights to the sultans. This novel and un-Islamic conception of religion found a very congenial seed-bed for its growth and development in materialistic Europe and has very nearly destroyed religion.

The Prophethood of Mohammad (peace be on him) is an integral part of the text of the Kalima. This was necessary for ensuring the purity of faith in the Oneness of God and in the Divine origin of the Holy Quran. There is an innate tendency in man to exalt and even to worship their heroes and perhaps the influence of Polytheism created and developed this habit into an instinct. This instinct is mainly responsible for destroying the purity of faith and mutilating the text of the previous revelations. Jesus was raised to divinity by his over-zealous followers. The Christians called Jesus the son of God and forged Trinity out of strict monotheism of pure christianity. The Brahmins of India described their teachers as incarnations of God and ultimately created a cult of idol worship destroying the sublime monotheism of pure Vedic Dharma. That the followers of Muhammed (peace be on him) in their blind devotion to the master may not commit the same error consciously or unconsciously, the fact that Muhammad

(peace be on him) is not God or is not in any way associated with Him but is merely a Prophet, is mentioned in the body of the Kalima itself. The Holy Quran directs Muhammad (peace be on him) to say, "I am a man like you except that I receive revelation" (S.XLI : V,6) and again, "And before thee also the apostles are sent were but men, to whom We granted inspiration : if ye realise this not, ask of those who possess the message" (S.XVI : V,43). In fact, all the prophets were men and their distinction was that they received revelation. The Prophethood of Muhammad (peace be on him) implies faith in revelation and the divine origin of the Holy Quran, the Book of Islam. The mention of the Prophethood of Muhammad (peace be on him) in the text of the Kalima protects and actively guards against corruption of the faith in God, faith in the Prophet and faith in the Holy Quran, the three main sources of Islam. But for this, the purity of the sources of Islam, its precepts and examples would have had the same fate as previous revelations had.

The Kalima has the potentiality of carrying humanity from progress to progress and achievement to achievement towards its goal as the mariner's compass leads a ship to its destination safely and safe through the

if some advanced and progressive people had been selected and given the distinction of being the nursery of Islam; a diamond shines most when set in lead, a base metal. This is the law of nature. According to calculations of Karl Marx some industrially advanced country like England or America having highly organised labour should have been the incubator of his philosophy but contrary to his expectations Russia, an industrially backward country, had the credit of demonstrating to the world the cult of Marxism in a living form.

The Kalima when its contents were actually implemented in life moulded the human materials of Arabia into a magnificent and lovely nation and that mighty nation was sent back to the sands again from which it sprang when the Arabs reduced their faith in the Kalima into a lip profession having no bearing upon their active life. The Muslim nations of the World are by no means the chosen people of God. The invariable and impartial Laws of God operate equally on them as they do on other peoples. The Muslim Arabs were great as long as they maintained the purity of faith and action.

To be free from the sovereignty of the contents of the Kalima the Abbaside Sultans of Baghdad and

their feudal chiefs, the noblemen and the aristocracy of Baghdad induced the Ulemas or the Pundits of theology who for material advantages would always manufacture religious sanction for all un-Islamic actions of the Sultans to mutilate the Kalima. They invented a new Arabic version of the Kalima, "La Ma'buda Illallah Muhammad al Rasullullah" or "There is no object of worship but God and Muhammad is His Prophet". Thus Islam was reduced to a mere form of worship and divided life into two water-tight compartments-temporal and spiritual. No time was lost in creating temporal and spiritual lords. The Ulemas themselves became the spiritual lords and called themselves representatives of the Prophet. The Sultans became the temporal lords. The temporal and the spiritual lords in perfect harmony and concord with each other conspired to exploit the people. For securing the pleasures of Heaven, obedience to the spiritual lords and for securing pleasures of the earth, obedience to the Sultans became the order of the day. There is a saying of the Holy Prophet, "The rulers are shadows of God" which means that the rulers must sustain the people under their charge faithfully in the manner in which God sustains His creature. This Hadith or the saying of the

The Effects of the Belief in the Oneness of God

By

ABUL HASHIM

The "Kalima" or the belief in the Oneness of God and the prophethood of Muhammad (peace be on him) is the Corner-stone of Islam. It contains in itself in seed-form, all the magnificence of the mighty revolution, Islam, created in the thinking, feeling and action of man known in the history of human evolution as the Arab civilization.

"There is no deity but God and Muhammad is His Prophet", is the correct English rendering of the text of the Kalima. The Kalima negates Atheism and Polytheism and positively proclaims the Oneness of God and the Prophethood of Muhammad (peace be on him). By implication the Kalima teaches the composite Nature or the Unity of the Universe and the oneness of man and insists upon belief in revelation and intuition as sources of transcendental knowledge and wisdom. God of the kalima is not a blind cosmic force, the unconscious first cause or inert fountain-head of vitality but He is the Living and the Conscious Creator, Sustainer and

Evolver of the Universe. The Holy Qur'an catigorically defines God and the purity of faith in God in a few short verses, "Say, He is God, the one and Only; God, the Eternal, Absolute; He begetteth not nor. He is begotten; and there is none like Him". (S. CXII : V.1—4), and again "All praise is due to God, the Creator, Sustainer and Evolver of the Universe, the Beneficent and the Merciful and the Lord of the Day of requital" (S. I. : V. 1—3).

Faith in the Kalima is not a passive faith in some uncertain deity but is an active faith in the Living and conscious God who is visible in Nature. This faith has concrete values in the everyday business of life. A faith without action or an action without faith has no place in Islam or in any view of life worth the name. Belief in the Kalima, therefore, demands a faithful implementation of the contents of the Kalima in every aspect of human existence. The truth grandeur and practical values of the Kalima would not have been made so clearly manifest

and the followers asked him to remain in it in case they were defeated, so that he might be safe and join the Muslims in Madinah. It was an extraordinary thing to ask of a man who was leading the battle, but these soldiers thought more of the safety of their leader than of themselves. No doubt that they believed in God and the leadership of their prophet, yet they could see no danger, but thought first of the safety of their beloved leader and hoped for victory against the aggressors. But we find Muhammad (peace be with him) among the gallant little army encouraging and speaking to them about the help of God.

The battle was started between the army of Qurish and the Muslims by the water of Badr. Three of the warriors of the Qurish advanced into the open space which divided the two armies and challenged three warriors from the Muslims to single combat. Hamza, Ali and Ubaidah accepted the challenge. The combat was nearly over with

the last remaining warrior of the Qurish-trio about to be killed and seeing that their opposite numbers were uninjured, the Maccans advanced against the Muslims who engaged them in battle. The battle went at first against the Muslims, but ended in a signal victory for them. The leader of Qurish and several of their greatest men were killed and many were taken prisoners. It was indeed a day to be remembered in the history of Islam.

Their sincere faith in God and His messenger and the leadership of their Prophet, enabled them to face an enemy of more than three times their number and better equipped, with courage and talent. It was a strong belief and good faith in their mission that enabled this little army to defeat such a huge and well equipped army within a few hours. A glorious 'victory' that paved the way to unity of the Arabs, the spread of Islam and the dawn of the greatest humane civilization in the world !



When the Prophet saw this huge army of the Quriesh, in comparison with the small number of his own, he prayed God that the handfull of the Faithful might be saved and he said : "O my God ! if this little band were to perish, there would be none to offer unto you pure worship". The Muslims advanced into the valley of Badr and the Prophet ordered them to prepare for defence on a line in front of the wells, which meant that the water would be between his followers and the Quriesh.

How did the Prophet organise his little army and the planning of the battle ? Muhammad, (peace be with him) being of a democratic nature, began by consulting his followers. Naturally the exiles were overkeen to fight for their faith and right. The Prophet gave the 'Ansâr' (The helpers) of Al-Madinah, whose oath of allegiance had not included fighting in the field, the chance of returning if they wished; but they were only hurt by the suggestion that they could possibly forsake him. They said in reply : "We have faith in you, we believe you and have witnessed the truth you have brought unto us. We promised you and gave our consent to hear and obey. Go ahead for whatever you want. We are with you. By God if you cross the sea afoot we will

cross it with you. Not one of us will remain behind. We are not afraid to face our enemies tomorrow. We are patient in war and sincere in battle".

When the Muslims advanced into the vally of Badr and took position in front of the wells, a Muslim expert asked the Prophet : "Is this place ordered by God ? If so, we cannot change it, or is it your plan of war ?". The Prophet replied : "It is my plan of war". The expert said : "Then it is not the right place, order your men to move beyond the well and build a defence around it, so that your army may drink from it and the same time deny it to your enemies". The Prophet ordered the army to move according this plan. When his little army of three hundred and thirteen men, ill-armed and roughly equipped halted near the water of Badr, the army of Qurlesh outnumbered the Muslims by more than two to one and was much better mounted and equipped, so that their leaders counted on an easy victory. When the Prophet saw them streaming down sandhills he prayed : O Allah ! Here are Quriesh with all their chivalry and pomp, who oppose Thee and deny Thy messenger. O Allah ! Thy help which Thou hast promised me ! O Allah ! Make them bow this day" ! A tent was arranged for the Prophet

against you, but begin not hostilities. Lo ! Allah loveth not aggressors).

The Battle of Badr, which occurred in the 17th Ramadân 2-A.H, was the first battle in the history of Islamic faith. It ended in a glorious victory for Muslims as it was the first step towards the immense prestige for the cause of Islam over all of Arabia. It had also a great effect upon the civilization and humanity. The Battle of Badr was a most outstanding event in the history of Islam on account of its important results. Here we must point out the motives behind the intrigues used against Islam and the impending catastrophe which was awaiting Muhammad and his followers at that very critical time.

A caravan consisting of Muslims was raided during a sacred month, in which it is forbidden to fight except in defence. During these sacred periods, however, some of the raiders were killed by the defenders. This soon gave the lie to propaganda against Muslims all over Arabia. This propaganda was being spread mainly by the Jews who had reached a point of despair against Muhammad's help and they broke off their promises and began openly their intrigues again. The Jews informed the 'Qurish' of every detail about the Muslims' strength

in 'Madinah' and they promised them their full support when the 'Qurish' advanced upon Madinah. It was a very critical period for the Prophet, who was aware of the intrigues; he had no means of defence because the Muslims had not built or considered the fortification of the City of Madinah.

Here we must remember that Muhammad (peace be upon him) was not a mere preacher of a new religion, who could ignore the catastrophe which might destroy his plans or exterminate his followers. The army of the Qurish was approaching Medinah, destroying trees, stealing sheep and camels in their path. Their army was a thousand strong and well equipped. They were approaching the City with the main intention of exterminating the Muslims and capturing the City. Owing to the grave situation Muhammad (peace be upon him) had to fight against his inclinations of human kindness and forgiveness.

With an army of only three hundred disciples, the Prophet (peace be upon him) left Madinah City and occupied positions in the Valley of 'Badr'. The Meccans advanced forward of the wells, since as water is a vital weapon in war, they decided to cut all supplies from Muhammad and his small army.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Ramadân 1386	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	December 1966
-----------------	--	------------------

THE BATTLE OF 'BADR'

BY

A. M. Mohiaddin Alwaye



The Holy Qur'an stated that the message of the Prophet Muhammad is general to all nations till the end of this world. The early Muslims ardently believed that they were doing a great service to other people by guiding them to a faith that secures for its adherent the happiness of the two worlds. Although they were ready to give up their lives for propagating their faith, they were carrying on that duty by preaching and conveying the people, the message of God in peaceful way.

The use of force in spreading Islam is contrary to the very spirit of Qur'anic principles as it is stated : 'لا إكراه في الدين' (There is no compulsion in religion). In the Islamic point of view fighting is not the thing to be liked and sought, that peace

should be clung to as far as possible. This great human idea of a true Muslim is embodied in the following verses of the Qur'an :

• كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ • (Fighting is enjoined upon you, although it is something disliked by you) and

• وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ... • (But if they lean toward peace, you also lean to it (peace)). Islam likes

order, truth and liberty. Wars, under Islam, cannot be declared except in the case of defence and it tried to organise and confine to its narrowest limits. For this aim, rules were set in the most humanitarian form even in the defensive wars. The Holy Qur'an says :

• وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا •

• (Fight in the way of Allah against those who fight

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعية

بِصَدْرِ رَجُلٍ مَشِجَّةٍ الْإِسْلَامَ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَجَزِي

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
ج. في المرسى العمريه الموحدة
٥٠ شارع الجمهورية
والدريس الطالب تخفيض خاص

الجزء الثامن - السنة الثامنة والثلاثون - شوال سنة ١٣٨٦ هـ - يناير سنة ١٩٦٧ م



لِسَمَاءِ الْمَرْيُومِ

لغتنا بين الجمود والميوعة

بقلم

أحمد حسن الزيات

لغتنا اليوم في أزمة لم تتعرض لمثلها منذ ابتليت هي وأهلها بتسلط التتار على العراق ، والصليبيين على الشام ، والفرنجة على الأندلس ، والترك على مصر . فلو أنها استكانت لهذا التسلط فأنحلت إلى لهجاتها العامية ، ولحقت بأخواتها السامية لما كان ذلك بدعا من القول ولا حدثا في التاريخ ؛ ولكنها بقيت في خلال تلك الحقب السود جزءاً من حقيقة الإسلام تحيا في كتابه ، وتنشر في كتبه ، وتدرس في معاهده .

أما الأزمة التي تأخذ بكظمها اليوم فهي تصيبها والملك في أيدي أهلها يكاد يستقر ، والحكم في جميع أقطارها يوشك أن يستقل . وكان منطق الأشياء يقضى بأن تنهض العربية بنهوض العروبة ، وتتجدد بتجدد الإسلام ، وتزدهر بازدهار الحضارة ؛ ولكنها وقفت وقفة الجسم القاصر بين قوتين متضادتين : قوة تجذبه إلى الوراء ، وقوة تجذبه إلى الأمام ، حتى انتهى به الجذب من هنا ومن هنا إلى أن تمزق ، فجهد بعضه في أيدي فريق ، وماع

فينظر إليها نظر السنى إلى البدعة ؛ فإذا استحسنتها حاول أن يسوغها بقول مروى عن أحد البداءة ، أو رأى منقول عن بعض النحاة ، فإن وجد قولاً لنحوى ولو أعجمياً ، أو لحناً

لقليلة ولو حوشياً ، أجاز وإلا منع ! وربما كان نحوى اليوم أدق فهما لأسرار اللغات من نحوى الأمس ، ولكنها التبعية العقلية التى سرت من الفقهاء إلى اللغويين بحكم الصلة الوثيقة بين اللغة والدين .

لو أن عبارة النص القديم كانت من تقوى القلوب التى تحرص على سلامة الأسلوب فى اللغة كما تحرص على سلامة المنهج فى الشريعة لقلنا : نعم ونعام عين ؛ ولكنها تعلقت بالضعيف كما تعلقت بالقوى ، وأخذت بالشاذ كما أخذت بالمطرد ؛ فكان من هذا التناقض أن فسدت كل قاعدة وصح كل خطأ !

ذلك على الإجمال نصيب المزمتمتين من الشيوخ فى أزمة اللغة . أما نصيب الإباحيين من الشباب فيها فهو نتيجة محتومة لوقوف كهنتها على باب هيكلها يذودون عن حوضها كل شارب ، ويصدون عن عليها كل طالب ، إلا من نذر نفسه طول الدهر لدراستها على المنهج الموروث من تعدد الأوجه واختلاف الصيغ وتباين المذاهب وتناقض الأقوال . وكيف يطلب علماءها من النشء أن يخلوا ذرعهم لتحصيل اللغة على هذا النمط ، وليست قواعدها إلا مادة من مواد الدراسة

بعضه فى أيدي فريق . وهذان الفريقان اللذان أزماها هذه الأزمة هما : شيوخها الذين يتعبدون بقديمها عن تعصب ، وشبابها الذين يتصرفون فى جديدها عن جهالة .

شيوخها علموها كل العلم ، وأحبوها كل الحب ، ثم اعتقدوا أنها حين استطاعت أن تعبر عن وحى الله وسنة رسوله وأحكام شرعه قد كملت كالدين وتمت تمام النبوة ، فحرصوا على أن يظل باب الوضع مغلقاً ووقفوا من موادها وقواعدها حيث وقف الأقدمون ، لا يتقدمون إلا بدليل منهم ، ولا يحكمون إلا بنص منقول عنهم ، ويحفظون قول (ابن فارس) : : ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، وينسون قول ابن جنى : : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ولا يدخلون فى حسابهم أن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبات الدين ، ولا أن تختتم ختام النبوة ، لأنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، والمعانى لا تنفد .

ترى النحوى المعاصر وقد اكتملت له الآلة وقويت فيه الملكة فاستقصى أطراف النحو وأحاط بأصوله وفروعه ووقف على شاذه ومقيسه ، ثم تعرض له أو تعرض عليه مشكلة من مشكلات التعبير الحديث تطلب منه جواز المرور إلى حرم القواعد المقررة ،

لأنهم يدعون إلى العامة لأنها أسهل لا لأنها أفضل ؛ فإن تحصيلها لا يحتاج إلى كتاب ومعلم ودرس ؛ وإنما يحتاج إلى بواب وشارع واستماع .

وشر ما في الأمر أنهم يكثرون والكتاب الأصلاء يقولون ؛ وعماقريب أو بعيد ينخفض مستوى الأدب حتى يبلغه الكسبيح ويناله القزم ويتزعمه الجاهل ، ويومئذ يستساغ لنفسه ، ويؤلف السخف ، وتصبح الفصحى هى الغريبة والأدب الرفيع هو المنكر .

أما تفريج هذه الأزمة فلعله يكون إذا توسط بين التزمت الجامد والإباحية المائعة قوام من اللدونة المعتدلة ، تصوغ ألفاظ اللغة على الأوضاع التي تقتضيها حال الحضارة وتشكل أساليبها على الصور التي يرتضيها ذوق العصر ، وتنظر إلى النحو والصرف على أنهما قواعد للغة واحدة ولهجة واحدة ؛ فيقتصر منها على القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة وتقوم هذه اللهجة .

والمسأول المعقول أن يكون مجمع اللغة العربية هو الكتلة الثالثة التي تعدل المزاج بين الكتلتين اليمينية واليسارية ، أو الرأسمالية اللغوية التي يقوم عليها حفاظ الشيوخ ، والشيوعية الأدبية التي يدعو إليها سفه الشباب .

أحمد محمد الزيات

المتعددة المتنوعة ، ولكل مادة على الطالب واجب مفروض من الجهد والوقت؟ أما كان الأولى أن تقتصر المدرسة العامة من النحو والصرف على قواعدهما الأساسية العملية ، ثم تقدمها إلى الناشئ مبسطة في صور شتى من الأمثلة الشارحة والنماذج الموحية والتمارين المدربة فتلائم بين قدرته وطبيعته ، وتوفق بين علمه وعمله ؟ بلى كان ذلك هو الأولى ، ولكن المدرسة عنيت بالحفظ لا بالفهم ، وبالشهادة لا بالكفاية ، وبالكلم لا بالكيف ، فعجزت عن تخريج القارىء والكاتب والمفكر .

وكان الجارى في عرف الناس ألا يتعاطى إنسان عملاً إلا إذا تجهز بجهازه فلا يزال الطبابة إلا من درس الطب ، ولا الكتابة إلا من درس الأدب ؛ ولكن طائفة من الشباب آتاهم الله الاستعداد ولم يؤتهم العدة أرادوا أن يكونوا كتاباً فاقتحموا مكاتب الصحف واقتعدوا كراسى الإذاعة وأخذوا يقودون الرأي ويوجهون الأدب ويروضون الأذواق على تفاهة العامة ، فإذا آلمهم النقد وأعيامهم البيان ثاروا على الفصحى المنيعه الدرك ثورة الثعلب على عنقود العنب البعيد المنال ، ودعوا إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يتكلم ، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة .

لا "التي قيل إنها زائدة"، وليست كذلك درء مطايع من الجرأة في تفسير الكتاب العزيز لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .
د أما بعد ، فهذا بحث موضوعه : " لا ، التي قيل : إنها زائدة
وليست كذلك .

الخاصة التي أشرنا إليها ، وهي آيات معينة قال
بعض العلماء بل كثير منهم : إن (لا) فيها زائدة .
وينبغي أن يعلم أن الكلمة تكون زائدة
إذا كانت لا تعطى معنى أصليا زائدا على
ما استفيد من غيرها في جملتها . وبعبارة
أخرى إذا كان ما تدل عليه من معنى بحسب
أصل وضعها اللغوي مستفادا من كلمة أخرى
وردت قبلها في الكلام نفسه :

فكلمة (لا) تكون زائدة إذا كان النفي
الذي هو معناها الوضعي مستفادا من غيرها ،
فتكون زيادتها بعد ذلك مفيدة تأكيد هذا
النفي وتقويته : فإذا قيل : هل في الديانات
السماوية ما يبيح شرب الخمر ، ثم قيل
في الجواب : (لا) ، كانت هذه الكلمة مفيدة
قطعا بأصل وضعها عدم جواز شرب الخمر
في شيء من تلك الديانات ، فإذا زيد على
(لا) هذه أخرى ، وقيل : (لا . لا) كان
الجواب بالنفي مستفادا بالوضع الأصلي من
الأولى ، وصارت الثانية تأكيداً وتقوية
لهذا النفي .

والكلام في (لا) هذه التي قيل : إنها زائدة
وهي ليست بزائدة ، مقصور على ما هو وارد
منها في القرآن الكريم : في آيات معينة
محدودة ، قرر بعض العلماء الذين عنوا بتفسير
الكتاب العزيز ، أن (لا) فيها زائدة ، على
حين أنها أصلية وأصلية في موقعها ، كما يتبين
ذلك بمشيئة الله تعالى .

وليس معنى هذا أننا نمنع أن تقع
في القرآن كلمات زائدة يقصد بها معان خاصة
كتوكيد حكم بنى أو لإثبات ، فإن ذلك واقع
وكثير ، وهو من الحقائق التي لا شبهة فيها :
فمن ذلك كلمة أن بعد (لما) في قوله
تعالى : " فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه
فارتد بصيرا " .

وكلمة (ما) في قوله سبحانه : " فبأرحمة من
الله لنت لهم " . " وإذا ما غضبوا هم يغفرون " .
و (الباء) في قوله عز وجل : " وما ربك
بظلام للعبيد " . " أليس الله بكاف عبده " .
نحن لانمنع شيئا من ذلك ، ولكننا نمنع
أن تكون (لا) زائدة في تلك المواطن

تكون زائدة مأتياً بها لمجرد التقوية والتأكيد ثم يكون من غير المعقول ومن عكس الوضع الطبيعي أن تكون مؤكدة لما بعدها ، فإنه إذا جاء بعدها لفظ بمعناها كان هو الجدير أن يعتبر زائداً مؤكداً .

وقد نقل « ابن يعيش » عن « ثعلب » أنه يمنع أن تجيء « لا » الزائدة للتأكيد في ابتداء القول ؛ كما أثبت عن بعض العلماء أنه ينكر ويستقبح أن يأتي الحرف المزيد للتأكيد أول الكلام ، وأنه يقول : « إن حكم التأكيد ينبغي أن يكون بعد المؤكد » . (شرح المفصل ج ٨ ص ١٣٦) .

الثاني : أن تكون مؤكدة نفياً استفيد مما قبلها ، فلا يمكن أن تأتي لتأكيد ثبوت معنى سلطت هي عليه ، فإن من غير المعقول أن يكون نفي المعنى مؤكداً لثبوته ، فنفي العلم بشيء لا يؤكد ثبوت العلم بذلك الشيء .

هاتان قضيتان ضروريتان لا تقبلان أن تكونا محلاً لخلاف أو اشتباه ؛ وقد آثرنا إيرادهما هنا للتنبيه والتذكير ، ولأنه سيبنى عليهما الحكم في المسائل الآتية ، التي سنعرض فيها لبعض الآيات القرآنية ، تلك الآيات التي وردت فيها كلمة « لا » الزائدة للتوكيد أو غير الزائدة أصلاً ، كما سيتبين الأمر في ذلك .

على أنه بالرغم من أن هاتين القضيتين كانتا

إذاً لا ينبغي أن يفهم من أن كلمة قد وقعت زائدة في بعض الآيات القرآنية أنها خالية من المعنى ، مجردة من الفائدة ، فإن هذا يعني أنها تكون لغواً باطلاً وحشواً عابثاً ، وذلك محال أن يكون شيء منه في الكتاب العزيز .

وفي هذا يقول ابن يعيش : « ليس المراد - بزيادة الحرف - أنه قد دخل بغير معنى ألبسته ، بل يزيد لضرب من التأكيد ، والتأكيد معنى صحيح » .

ثم ينقل عن (سيبويه) قوله - في تلك الحروف الزائدة - : « لأنها زائدة من حيث إنها لم تحدث شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من المعنى ، سوى تأكيد الكلام » . (شرح المفصل ج ٨ ص ١٢٩) .

ثم إنه يلزم لصحة الحكم بزيادة (لا) ألا تكون زيادتها موجبة لشيء من اللبس والاشتباه ، كما نص على ذلك أيضاً ابن يعيش بقوله : « لأنها لا تزداد إلا في موضع لا لبس فيه » ، (شرح المفصل ج ٨ ص ١٣٧) .

* * *

هذا - وزيادة (لا) لإفادة التقوية والتأكيد على الوجه الذي بيناه آنفاً ، تقتضى أمرين : الأول : أن تكون مسبوقه بذلك الذي تؤكد ، فلا تقع إذاً في أول الكلام ؛ لأنها لو وقعت كذلك لكان المعنى الوضعي - وهو النفي - مستفاداً منها بطريق الأصل ، فلا

التقريرين ، أن القضيتين - على رغم أنهما من الثبوت والوضوح ، بحيث لا تقبلان أن تكونا محلًا للخلاف - قد خالف فيهما بعض العلماء .

أما الوجه الثاني : من الجواب ، فهو قائم على عدم التحويل على ذلك الخلاف ، وعدم اعتباره خلافاً صحيحاً ؛ فإنه ليس كل خلاف يعتبر ، إلا إذا كان له حظ من النظر كما يقولون ؛ وهؤلاء الذين عالفوا في القضيتين أو في إحداهما ، ليس لهم مستند فيما صاروا إليه من الخلاف ، إلا ما لاح لهم ببادئ الرأي ، من تلك الآيات القرآنية ، أن « لا » فيها زائدة في أول الكلام ، أو أنها في بعض الآيات لتأكيد ما وجه إليه النفي بها من إثبات ؛ ولكن من أين لهم أن « لا » في تلك الآيات على ما ظنوا ؟

إن القول بأن « لا » جاءت مزيدة في القرآن في ابتداء الكلام ، أو أنها جاءت في بعض الآيات لتأكيد ثبوت ما هو منتف بها ، هو من قبيل المصادرة ، أو هو مجرد دعوى عارية من الدليل .

...

هذا - والآيات التي هي مثار هذا البحث - وهي التي كثر فيها كلام النحاة والمفسرين ، وتشعبت فيها طرق التخريج والتحليل ، واختلفت فيها وجوه الإعراب والتأويل - ،

من الثبوت والوضوح بالمنزلة التي قد تجعل القول فيهما من الفضول ، فقد وجدنا من المفسرين القدامى والمحدثين من يجادل فيهما جميعاً أو في إحداهما ، وأن بعضهم يزعم جواز أن تقع « لا » الزائدة للتأكيد في ابتداء الكلام ، كما يذهب بعض آخر إلى جواز أن تقع « لا » الزائدة ، مؤكدة لثبوت نفس المعنى الذي سلطت عليه (١) . وقد ارتكب هؤلاء وهؤلاء - في سبيل تخريج بعض النصوص القرآنية على ما ذهبوا إليه - شيئاً كثيراً من التكلف والتعسف .

قد يقال : إذا كان العلماء قد ثبت خلافهم في القضيتين ، على النحو المصرح به هنا ، فكيف ادعى آفا أنهما من الضروريات ، التي لا تقبل أن تكون محلًا للخلاف أو اشتباه ؟ ألا يكون ذلك من التناقض ؟

والجواب من وجهين :

الأول : أنا في أول الأمر ، لم نقل : إن القضيتين لم يقع فيهما خلاف ، حتى يكون ذلك مناقضاً للاعتراف بعد ذلك ، بأنه قد وقع فيهما الخلاف ، وإنما الذي قلناه ، هو أنهما من الضروريات التي لا تقبل أن تكون محلًا للخلاف أو اشتباه ؛ وإذاً يكون حاصل

(١) أو يقال : إن المـ كمزادة « لا » فيماـ كمزينة بذلك يلزمه القول بجواز أن تقع « لا » الزائدة مؤكدة لثبوت نفس المعنى الذي سلطت عليه .

يمكن حصرها في خمسة أقسام سنفصل القول فيها تفصيلاً ، ثم نتبعها ببعض متفرقات ، نوردها في خاتمة البحث ، إن شاء الله تعالى :
بجمل الأقسام الخمسة .

القسم الأول : ما كررت فيه « لا ، أى ذكرت مرتين في الجملة الواحدة ، مع الفصل بينهما بقسم .
وذلك مثل قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » . (٦٥ سورة النساء) .

ومثال ذلك من الشعر العربي قول امرئ القيس :

فلا وأبيك ابنة العامرى

لا يدعى القوم أنى أفر
القسم الثانى : ما وقعت فيه « لا ، مع أن المصدرية بعد فعل منع .

ويدخل تحته قوله تعالى : « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » . (١٢ سورة الأعراف) .
وقوله عز وجل : « قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن » ، (٩٢ سورة طه) .
القسم الثالث : ما دخلت فيه « لا ، على فعل أقسم » .

وهو آيات كثيرة ، مثل قوله تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » . (٧٥ ، ٧٦ الواقعة)
« فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون

إنه لقول رسول كريم » . (٣٨ - ٤٠ الحاقة)
« لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة » . (١ ، ٢ القيامة)
« لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد » . (١ ، ٢ البلد)

القسم الرابع : ما وقعت فيه « لا ، بعد أن المصدرية المسبوقه بلام التعليل ، ثم وقع نفي بعدها في الجملة نفسها وذلك كما في الآية الأخيرة من سورة الحديد : قوله تعالى :

« لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء » .

وهذه هي الآية التى اتخذها كثير من العلماء أساساً للقول بالزيادة ، يحملون عليها غيرها من الآيات التى جعلوا « لا ، فيها زائدة ؛ فهم كلما صادفتهم آية من هذه الآيات ، قالوا : إن « لا ، فيها مزيدة للتأكيد ، كما في قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب » ؛ كأن « لا ، في هذه الآية الأخيرة مفروغ منها ، ومقطوع فيها الحكم أنها زائدة ، وكأنه لا يستقيم الآية معنى إلا على أساس هذه الزيادة .

ونحن سنبين القول الفصل فى ذلك بمشيئة الله تعالى وحسن معونته .

« القسم الخامس » ما ذكرت فيه أداة النفي

السداد والاستقامة ، في تفسير هذه الآيات ، وذلك على أساس أن كلمة « لا » فيها - وهي التي قالوا إنها زائدة - ليست بزائدة ؛ بل هي واقعة موقعها ، أصيلة في موردها ، مؤدية معنى النفي الذي وضعت له في اللغة .

* * *

القسم الأول :

« ما ذكرت فيه « لا » في الجملة الواحدة مرتين مع الفصل بينهما بقسم » .

وذلك مثل آية النساء : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

هذه الآية قرر فيها « الزمخشري » - وتابعه كثير من المفسرين - ^(١) أن « لا » الأولى في قوله سبحانه :

« فلا وربك لا يؤمنون » زائدة لتأكيد معنى القسم الذي ورد بعدها . وهذا نص عبارته ، قال : « فلا وربك » معناه « فو ربك » ،

مرتين ، وجاءت ثانيتهما مع ثاني الأمرين ، في مقام نفي التسوية بينهما .
وذلك كما في قوله تعالى :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن » . (٣٤ فصلت)

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الخور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » . (١٩ - ٢٢ فاطر)
ومنه قوله سبحانه :

« وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء » .

(٥٨ - غافر)
هذه الآيات جميعها ، التي اشتملت عليها الأقسام الخمسة التي بينها ، قد قال كثير من العلماء : إن « لا » فيها زائدة ؛ وخرجوا ذلك تخريجات ، ما نظن أنها كافية للاطمئنان إلى الحكم بزيادتها . ^(٢)

وسنعرض ما قالوه في آيات كل قسم من تلك الأقسام ، ثم نعقب بالوجه الذي نرى فيه

(١) فتابع « الزمخشري » في القول بزيادة « لا » الأولى جماعة من المفسرين : كأبي السعود ، والفتن الرازي والنسفي ، والألوسي ، والسيوطي ، وغيرهم . غير أن منهم من اقتصر على ما جرى عليه الزمخشري ، من أنها زائدة لتأكيد القسم ؛ ومنهم من جوز مع ذلك ، أنها زائدة لتأكيد النفي الوارد بعدها . هذا القسم ، في قوله : « لا يؤمنون » ؛ كما انفصل القول في ذلك ، وهناك رأى ثالث أنها أصيلة لنفي أمر دلت عليه الآيات السابقة ، وهو رأى الطبري وتابعه فيه جماعة من العلماء .

(٢) ممن سار على أن « لا » زائدة في آيات الأعراف ، وطه ، والحديد ، من علماء اللغة صاحب « القاموس » ؛ فإنه قال - في « لا » من باب الألف اللينة - بعد أن ذكر لها « مدة استتمالات » : وتكون زائدة : « ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تبين » « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » « لا يعلم أهل الكتاب » .

بها « لا » الثانية ؛ أما الأولى فقد وقعت موقعها ، وأدت ما يراد من المعنى ، فلا تكون هي المزيـدة .

« الوجه الثاني » مما يعترض به على كلام « الزخشرى » أنه يجعل « لا » الزائدة تأكيداً لمعنى القسم ، ولا يرضى أن تكون تأكيداً للنفى الذى جاء بعده ، كما يصرح بذلك فى بقية كلامه ، الذى أوردناه له ؛ فكيف تكون « لا » التى هى أداة نفى فى أصل وضعها ، مؤكدة للقسم بعدها ، وهو معنى إيجابى ؟ ثم أى علاقة بين « لا » ومعناها ، وبين القسم ومضمونه ، حتى تكون مؤكدة له ؟

لورضى « الزخشرى » بأن تكون « لا » الأولى - وهى النفى أصلاً - قد زيدت لتأكيد النفى الذى وقع عليه القسم ، لكان الأمر بعض الشيء ، ولكان نقض كلامه من وجه واحد هو الوجه الأول ، الذى قلنا فيه : إنه جعل السابق تأكيداً للاحق ، وذلك خلاف الوضع الصحيح ، لكنه لم يرض بذلك محتجاً بأن « لا » هذه ، قد زيدت لتأكيد الإثبات ، فى قوله تعالى : « فلا أقسم بـتبصرون وما لا تبصرون » ، لأنه لقول رسول كريم ، وإذا لا تكون تأكيداً للنفى . وهنا يأتى الوجه الثالث ، من أوجه الاعتراض على كلامه .

« فى هذا الوجه الثالث » نقول : إنه جعل « لا » تأكيداً لمعنى القسم ، ولم يجعلها تأكيداً للنفى بعده ، لأن هناك مانعاً - فى رأيه - من

كقوله تعالى : « فوعدك لنساءلهم » ، و« لا » مزيـدة لتأكيد معنى القسم ، كما زيدت فى « لا تبصرون » ، لتأكيد وجوب العلم ، و« لا يؤمنون » ، جواب القسم . ثم قال : فإن قلت : هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر « لا » فى « لا يؤمنون » .

قلت : يأتى ذلك استواء النفى والإثبات فيه ، وذلك قوله : « فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون » ، لأنه لقول رسول كريم (١) . غريب من الإمام ، « الزخشرى » أن يسير هذا السير فى تفسير الآية الكريمة ؛ وغريب أن يتابعه فى ذلك جماعة كبيرة من جلة العلماء والمفسرين .

إن كلام « الزخشرى » هذا ، يمكن أن يعترض عليه من عدة أوجه :

« الأول » من حيث إنه يجعل « لا » ، مزيـدة لتأكيد معنى القسم الوارد بعدها ؛ وقد قلنا ؛ فيما قدمناه من قضايا وأحكام : إن هذا خلاف الأصول ، وعكس المعقول ؛ وهو قلب للأوضاع التى يعدها الناس ، وتجرى عليها اللغات ؛ فإن ما تكون زيادته للتأكيد ، ينبغى أن يكون متأخراً عما هو مؤكد له .

ثم إن « لا » قد ذكرت فى الآية مرتين ، فإذا كان لابد من القول بالزيادة ، فإن الاحق

(١) الكشف ج ١ ص ٣٧١ ، ٣٧٢

وقد اقتصر « الزمخشري » على ذلك الوجه في إعراب « لا » ، في قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ، وهو جعلها صلة مؤكدة للقسم .
واقصر على هذا الوجه أيضاً - تبعاً له -

العلامة « أبو السعود » .

أما « الفخر الرازي » فقد صدر كلامه بهذا الوجه ، أتى به نصاً من غير تغيير كلمة ، ثم أتبعه بوجهين آخرين :

« أحدهما » : على أساس أن « لا » زائدة للتأكيد أيضاً ، ولكنه تأكيد النفي الذي جاء فيما بعد . قال : لأنه إذا ذكر في أول الكلام وفي آخره ، كان أوكد وأحسن .

والرد على هذا الوجه يعلم بما قدمناه ، فإنه ليس بما يقبل ، أن تكون الكلمة التي ذكرت أولاً ووقعت موقعها ، زائدة لتوكيد شيء يأتي بعدها .

« الوجه الثاني » من الوجهين اللذين أوردهما « الفخر » : هو أن « لا » أصلية لا زائدة ، فهي مفيدة معناها الذي وضعت له في اللغة ، وهو النفي ، ولكن هذا النفي موجه إلى أمر سابق ، وتقدير الكلام : ليس

— يكون السابق مزيداً للتأكيد لللاحق ، ولا على

أن يكون النفي تأكيداً للإثبات هذا -
- وأما قوله : « كما زيدت في » مثلاً يعلم ، للتأكيد وجوب العلم ، فإن ترجىء القول فيه إلى ما سيأتي عند الكلام على هذه الآية من سورة الحديد في القسم الرابع

جعلها تأكيداً لهذا النفي : ذلك أنها جاءت في موطن آخر تأكيداً للإثبات ، فلا تكون تأكيداً للنفي ، لأن النفي والإثبات بمنزلة النقيضين ، فإذا وردت زائدة لتأكيد أحدهما فلا تزداد لتأكيد الآخر .

هذا ما قاله « الزمخشري » في توجيه كون « لا » في آية النساء ، توكيداً للقسم ، وليست توكيداً للنفي الذي بعده ، وهو في نظرنا توجيه غير وجيه ، لأنه لا مانع من جعلها في مقام النفي ، توكيداً لمعنى النفي ، كما كانت في مقام الإثبات ، توكيداً لمعنى الإثبات ، مادام معنى التأكيد الذي تحمله ، إنما تحمله بحكم أنها مزيدة ، ول مجرد كونها مزيدة ، وليس لسبب آخر ، فهو وصف ملازم للزيادة ، والكلمة مزيدة هنا وهناك ، فلا مانع إذاً من أن تؤدي معنى التأكيد في الحالين ، وفي كلا الموطئين .

على أنه إذا لم يمكن أن يكون لها الأمران جميعاً : التأكيد في الإثبات والتأكيد في النفي ، فالأولى بها والأنسب لأصل وضعها ، أن تقتصر على تأكيد النفي ، وتمحض له ، لأن النفي هو أصل معناها ، وطبيعي ألا تخرج من نطاقه ، حينما تزداد للتوكيد (١) .

(١) قد جريتنا في مناقشة كلام « الزمخشري » والرد على استدلاله ، على ما نقض به قواعد الفطر مما فيه الكفاية والوفاء بهذا الرد . أما حقيقة رأينا في المسألة ، فهي أننا لا نوافق بحال ، على أن =

يُحكّمك حكما بينهم ، فيما اختلط بينهم من أمورهم ، فالتبس عليهم حكمه ، ١٠٥ . (١)

ومعنى هذا أن النفي الأول (فلا) ، موجه إلى أشياء سبق القول فيها ، في الآيات التي قبل هذه . فهو تكذيب لأولئك المنافقين ، في زعمهم أنهم مؤمنون برسول صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل عليه . على حين أنهم يضمنون الخلاف والكفر به ؛ ولذلك هم لا يقصدون إليه صلى الله عليه وسلم ليحكم لهم في شؤونهم ، بل يتحاكمون فيها إلى الطاغوت ؛ ثم استأنف الكلام بخطاب الرسول ، والإقسام له بربه ، بقوله سبحانه : « وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فهو كلام مبتدأ مبدوء بالقسم من الله على أن أولئك المنافقين لا يؤمنون إيمانا صحيحا ، يعتقدون فيه اعتقادا يقينيا جازما ، حقيقة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى يحكموه في شؤونهم ، ويرضوا بحكمه ويعطمنوا إليه ، فلا يكون عندهم شيء من الضيق أو التبرم بحكومتهم ، وإنما يذعنون لها إذعانا خالصا ، ويسلمون بها تسليما تاما .

هذا كلام له في ظاهره شيء من الوجاهة ، ولكنه عند التحقيق لا يستقيم تمام الاستقامة ، على المعبود من أسلوب القرآن ، الذي هو في أعلى درجات البلاغة ؛ لأنه لا يستقيم على

الامر كما يزعمون أنهم آمنوا بك وهم يخالفون حكمك . ثم استأنف القسم بقوله : « وربك لا يؤمنون حتى يحكموك » ، (١) .

وهذا الوجه قد سبق إليه (ابن جرير الطبري) ، ولذلك سنؤخر الكلام عليه ، حتى نورد ما قاله هذا الإمام الجليل في تفسير هذه الآية .

غير أننا هنا نلاحظ ملاحظة سريعة : أن الإمام (الفخر) يقول : ثم استأنف القسم بقوله : « وربك » ، فإنه صنيع لا يستقيم ، إلا إذا كان نص الآية هكذا : « لا فوربك لا يؤمنون حتى يحكموك » ؛ لكن الامر ليس كذلك ، وليست الفاء في الآية متصلة بالقسم ، على النحو الذي جاء به كلام الإمام الرازي .

• • •

تفسير الإمام الطبري آية النساء :

قول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

قال رحمه الله : يعنى جل ثناؤه بقوله : (فلا) فليس الامر كما يزعمون ، أنهم يؤمنون بما أنزل إليك ، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد . واستأنف القسم ، جل ذكره . فقال : (وربك) يا محمد (لا يؤمنون) أى لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك . حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ؛ يعنى حتى

حقيقة بذلك المعنى ، ينبج بقوة من قلب تلك الكلمة ، أو أنها قد مسته ولو مسا خفيفا ، بعد أن حملت به وأكرهت عليه .

إن الآيات التي نريد عرضها هنا ، هي الآيات من الستين إلى الرابعة والستين ، من سورة النساء ؛ وهي التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » (٦٠) « ولذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول . رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا » (٦٢) « أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم ، وعظمهم ، وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا » (٦٣) « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » (٦٤) « فلا » .

هذه هي الآيات ، وهذه كلمة « فلا » عقيها موقوفا عليها ؛ فإلى الذي أفهمته هذه الكلمة ؟ ومن الذي يستطيع أن يدعى ، أنه

أسلوب القرآن ؛ ذلك الاقتضاب الشديد ، بل ذلك البتر ، الذي تصير إليه الآية على ذلك الرأي .

لأنه على ذلك الرأي ، تكون كلمة (فلا) وحدها ، قد حلت محل جملة تامة من الكلام ، مقصود بها الرد على ذلك الزعم ، الذي زعمه المنافقون . وحينئذ يكون الوقف على تلك الكلمة (فلا) جائزا ؛ لا بل لأنه يكون وقفا تاما ، من حيث إنها حلت محل آية كاملة ، أو محل جملة تامة من آية ؛ وهذا شيء نستطيع أن نقول : إنه يأباه الذوق القرآني الكريم . ونكتفي بهذا عن أن نقول : إنه شيء يأباه ذوق كل أسلوب عربي سليم .

إننا - وأيم الحق - لا ندرى كيف كانت كلمة (فلا) هذه ، المقترضة المبتورة ، مفيدة ذلك المعنى الذي أشار إليه (الطبري) ومن رأى رأيه .

إن هذه الكلمة لا تشعر بشيء مما قالوه ، حين نطق بها وحدها ، مقطوعة عما بعدها ، وبعد تلاوة الآيات التي سبقتها ، وهي الآيات التي قالوا : إن الكلمة تحمل الرد على مزاعم المنافقين ، التي حدثت عنها تلك الآيات .

ولا بأس أن نعرض هنا تلك الآيات ، التي سبقت الكلمة « فلا » ، ثم تتبعها بها موقوفا عليها ، كما يريد أصحاب ذلك الرأي ، ثم نرجع إلى أنفسنا ، لنرى هل شعرت

قد عقل منها ذلك المعنى ، الذى حملت به أو شيئاً منه ؟ .
وكال اختيار، ويطمئنون إلى حكمه ويزعنون له تمام الإذعان .

إن ذلك المعنى الذى حملوا به تلك الكلمة ، قد تصيدوه لها تصيداً ؛ وهو - مع ذلك - لا يكاد يفهم إلا بمعونة الآية المبدوءة بتلك الكلمة ذاتها ، وهى قول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً » .

ومن هنا يقول « أبو حيان » - كما سيأتى فى آيات القسم الثالث : إن ذلك الوجه لا يجوز لأنه يلزم عليه حذف اسم « لا » ، وخبرها من غير دليل .

• • •

الوجه المختار فى تفسير آية النساء :

إن الحكم الذى تحمله آية النساء : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم » ، هو حكم بنى الإيمان عن أولئك المنافقين ، الذين يزعمون أنهم مؤمنون بما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل من قبله ، على حين أنهم لا يحبون أن يتحاكموا فى شؤنهم إليه .

فالآية نفى للإيمان عنهم ، وحكم فصل بأنه لا يثبت الإيمان لهم ، إلا إذا كانوا يحكمونه صلى الله عليه وسلم فى شؤنهم ، عن رضا

إن الاهتمام بالنفى، ولإبراز ما يدل على هذا الاهتمام، وتأكيده بالقسم والمبادرة به مبادرة تجعله فى شبه مقام الصدارة ، فلا يتقدم عليه إلا أداة النفى وحدها ، حتى يكون من أثر ذلك أن يفصل بالقسم بينها وبين المنفى بها - إن هذا كله قد جمعته الآية فى أسلوبها الرائع الذى جاءت عليه .

فقد كان من الممكن - لإفادة المقصود الأصيل من الآية ، مجرداً عن الوفاء بتلك المعانى الخاصة - أن يقال : « فوبرك لا يؤمنون حتى يحكوك » ، كما قيل فى الإثبات : « فوبرك لنسألهم أجمعين » ؛ لكن هذا الوضع تفوت به الدلالة على قوة الاهتمام بحكم النفى ، تلك

بعينها « لا » الثانية من دون اختلاف أى اختلاف ؛ ومثل هذا لا يقال فيه : إن أول الأمرين موطيء ومهد للثاني، بل الذى يقال - وهو المعهود فى مثل هذا المقام ، ولا معهود غيره - : هو أن أول الأمرين واقع موقعه ، والثانى مسرّك له .

٣ - وكما أنها ليست زائدة لشيء من ذلك هى ليست أصلية لنفى شيء علم بما سبقت من الآيات ، كما يقول « الطبرى » لما قدمناه .

ولإذا فهم أصلية واقعة موقعها ، مفيدة معناها الذى وضعت له ، وهو النفي ؛ فهم لنفى شيء يأتى بعد فى الآية نفسها . أما « لا » الثانية فهم المزيدة ، كما تقتضى بذلك طبيعة الأشياء .

وهذا الوجه قد أشار إليه أبو حيان فى (البحر المحيط) (١) ، حكاه فيما حكى من أقوال ؛ وهو رأى قد خطابه صاحبه خطوات فى سبيل الوجه المختار فى تفسير الآية ، لكنه لم يبلغ فى ذلك الغاية المرجوة .

وذلك أن « لا » الثانية ليست زيادتها فى رأينا - لمجرد التأكيد ، كما يحكى « أبو حيان » فى بعض تلك الأقوال ؛ لأنه لو كانت زيادتها لذلك وحده لا يمكن أن يستغنى عنها ، ويكون

الدلالة التى إنما يوفى بها تقديم أداة النفي ، وجعلها فى صدر الكلام .

وكان من الممكن أيضا أن يقال : « فلا يؤمنون وربك حتى يحكوك » ؛ ولكنه وضع ضعيف ؛ هو أضعف من سابقه ، من حيث إنه قد زحزح فيه القسم ، عن حكم مكان الصدارة ، حتى فقد قوته البالغة ، فى تأكيد حكم النفي ، وهى القوة التى تتوافر له فى حالة تقديمه .

إن القسم إذا أخر عن الحكم ، فإنه لا يتخلف عن أن يفيد تأكيد هذا الحكم ؛ ولكنه تأكيد يأتى متأخرا ، بعد ما يقع الحكم بالنفى عاريا عن ذلك التوكيد .

هذا - وحاصل هذا الوجه المختار ، الذى يتقرر به الأمر فى كلمة « لا » فى آية النساء التى معنا :

١ - أن « لا » الأولى فيها ليست زائدة لتأكيد القسم ، ولا لتأكيد النفي الذى جاء بعده ، لما قدمناه من البيان .

٢ - وكذلك ليست زائدة توطئة وتمهيدا للنفي الوارد بعد القسم ، على ما يحكىه العلامة الطبرى (١) وذلك أن « لا » الأولى هى

(١) جمع البيان للخبخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرى ج ٣ ص ٦٨ - ٦٩ مطبعة المرفان صيدا - سوريا .

(١) تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأمدلى ج ٣ ص ٢٨٤ .

أنها لدفع توهم غير المراد - فالذى نراه أنه لا يمكن من جهة البلاغة ، طرح هذه الزيادة . وإذا كان أهل العربية يقررون أن أداة التعريف « أل » ، قد تكون زائدة لازمة ، ويقول في هذا المعنى ابن مالك :

وقد تزداد لازماً كالكلمات

والآن والذين ثم اللاتي

فإننا نستطيع أن نقرر هنا ، أن « لا » ، الثانية في الآية ، هي في الاعتبار البلاغية من قبيل الزائد اللازم ، فلا يمكن الاستغناء عنها ، نظراً إلى ما تؤديه من المعنى الضخم ؛ وما تدفعه من خطأ الوهم .

• • •

هذا - وعلى الوجه الذى اخترناه في آية النساء ؛ يستقيم بالضرورة بيت امرئ القيس :

فلا وأبيك ابنة العامرى

لا يدعى القوم أنى أفر

فإنه صدره بأداة النفي التى هى أصلية في موضعها ، إذ ينفي بها عن نفسه ما قد يدعيه القوم عليه من الجبن والضعف ، والفرار من لقاء العدو ؛ وهو ما أشار إليه في هذا البيت نفسه لا في بيت آخر .

وهذا الحكم مهم عنده ، وهو حريص كل الحرص على تقريره وتوكيده ، ولذلك بادر فيه بأداة النفي ، ثم أراد أن يؤكد النفي وأن يبادر بهذا التأكيد ، حتى يكون له ما يشبه

الكلام مستقيماً بدونها ؛ فهل يمكن مع المحافظة على الخصائص التى أشرنا إليها فيما سبق - أن يقال « فلا وربك يؤمنون حتى يحكوك » ، لا نظن أنه يمكن ذلك في أسلوب البلاغة القرآنية ؛ فإن هذا وضع في ظاهره شناعة يبرأ من مثلها الكتاب العزيز .

إن هذا الوضع قد يحمل بظاهره على الظن الخطأ ، بتوجيه القسم غير وجهته الصحيحة ، فإنه قد يظن خطأ في بادىء الرأى ، أن المقسم عليه هو إيمان أولئك المنافقين ، وليس هو نفي الإيمان عنهم ؛ وهذا هو ما تقتضى عليه « لا » الثانية وتمحو أثره .

« غير أنه قد يقال ، كيف تكون « لا » ، هذه زائدة ، وقد حصلت تلك الفائدة الكبرى وقضت بوجودها على ما قد يتوهم من ذلك المعنى الخاطئ ؟ أليس فيما قرره العلماء ، أن الكلمة الزائدة في التركيب لا يخل إسقاطها منه بما يؤديه من المعنى ؟

والجواب ، أن إسقاط الكلمة الزائدة لا يخل بما يؤديه التركيب من المعنى الأصلي ولكنه قد يخل بما يراد لفادته من المعاني البلاغية التى يتسابق في ميدانها البلغاء .

فالزيادة التى يمكن إسقاطها فلا يتأثر بسقوطها المعنى ، هى الزيادة التى تكون لمجرد التأكيد ، أما إذا كانت لشيء آخر كالذى أشرنا إليه آنفاً في الآية التى معنا - وهو

هذا - وتعرض هنا ملاحظة بسيطة :
على ما جاء في التفسير الكبير للإمام «فخر الدين
الرازي» في تفسيره أول سورة «القيامة» ،
من نقاش حول بيت امرئ القيس ، وأنه
يصلح للرد على دعوى أن «لا ، لا ، لا تزداد»
في أول الكلام ، إذ أن الشاعر زادها في مستهل
قصيدته .

والذي نريد أن ننبه إليه ، هو أن المتبادر
من عبارة «مستهل» القصيدة هو مطلعها ،
وأن المراد أن الشاعر زاد كلمة «لا» في أول
البيت الذي هو مطلع القصيدة .

ولكن الحقيقة أن البيت ليس هو مطلع
تلك القصيدة ، بل مطلعها بيت قبله يقول فيه :
أحار بن عمر كأنى خمر
ويعدو على المرء ما ياتمر

تنبيه : قد تبين مما قدمناه ، أن رأيتاني هذا
الموضوع ؛ هو أن «لا ، لا ، الأولى ليست
زائدة في آية النساء ؛ وليست زائدة في بيت
امرئ القيس ؛ سواء أكان البيت هو مطلع
القصيدة أم لم يكن كذلك ؟

(يتبع)

د. محمد المصطفى ناج

بحث مهدى للجملة

مكان الصدارة الحقيقية ، فأتى بالقسم والياً
لأداة النفي ، وكان من نتيجة ذلك ، أن فصل
به بين أداة النفي والمنفي بها - وهو فصل
مغتفر من أجل أنه بالقسم كما يقرر العلماء -
ثم زاد «لا ، الثانية لأمرين :

«أولها» - وقد يكون هو أدناهما
في الاعتبار - هو قصد تأكيد النفي المستفاد
من «لا ، الأولى .

«والثاني» - وهو الأهم - هو إرادة
الحيلولة دون ما يلزم على إسقاط «لا ،
الثانية من صورة الأمر المستكره لو قيل :

لا وأبيك وابنة العامري
يدعى القوم أنى أفر

ومن هذا يتبين أن «لا ، الأولى في بيت
امرئ القيس ليست زائدة لتأكيد القسم
الذي بعدها ؛ ولا لتأكيد النفي الذي بعد هذا
القسم ؛ وليست أصلية لنفي شيء دل عليه كلام
سابق ؛ وإنما هي أصلية لنفي ما أراد نفيه
في البيت نفسه ، من ادعاء القوم أنه
جبان فرار .

ومثل هذا يمكن أن يقال في كل ما هو من
قبيل بيت امرئ القيس ، مما يكون على
نهج تلك الآية القرآنية الكريمة .

لاوساطة بين الخالق والمخلوقين

للأستاذ محمد محمد المدني

بذاته لا يقول يقال ؛ ثم هو « قريب » :
لما على معنى قوله في آية أخرى : « ما يكون
من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » - أى قرب
الحضور والعلم - وإما على معنى : « إن رحمة
الله قريب من المحسنين » - أى هو قريب
برحمته واستجابته بحيث لا يحتاج عباده إلى
أن يتخذوا بينهم وبينه سفيراً أو وسيطاً ؛
ثم يقول : « أجيب دعوة الداع إذا دعان ،
فيرشد إلى أن قرب الإجابة مرتبط بصدق
الاتجاه في الدعاء ، وذلك إذ يذكر « الدعوة ،
وهي لا تكون جديرة بهذا الاسم إلا إذا
كانت خالصة لله ؛ ويذكر « الداعي ، وهو
ذلك الذي التجأ إلى ربه عالماً بأنه لا يسوق
الخير حقاً أحد سواه ؛ ولا يدفع الضرر حقاً
أحد سواه ؛ ويذكر « إذا دعان ، ليؤكد
معنى الإخلاص وصدق التوجه ؛ ثم يأمر
عباده بأمر جامع لكل ما يرشح العباد لقبول
الدعاء . فيرشدهم بذلك إلى أن مفتاح الإجابة هو
الاستجابة : « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي
لعلهم يرشدون » .

ولإذن فليس هناك شرط للقبول يرجع إلى

من العقائد التي قررها القرآن الكريم ؛
وكان لها أثر بعيد في إصلاح أحوال البشر :
تلك التي تصف الله تعالى بأنه قريب من عبده .
يجيب دعوة الداعي إذا دعاه . دون وساطة
أحد من الخلق .

ومن الآيات التي تقرر هذا قوله تعالى :
« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب
دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا
بي لعلهم يرشدون » .

وفي هذه الآية الكريمة يبدأ الله تعالى
بمخاطبة رسوله فيقول له : « وإذا سألك
عبادي ، فهو يتجيب إليهم . ولا ينتظر سؤالهم
عن ذلك فعلاً . بل يعرضه . ويشير إليهم
بأنه ينتظره ؛ وهو يصفهم بأنهم « عباده ،
فيضيفهم إلى ضمير التكلم تكريماً لهم ؛
ولمبدأناً بحبه ورحمته ثم يأتي بجواب (إذاً)
فيقول : « فإني قريب ، ولا يقول : - كما
يقضيه ظاهر الكلام - فقل لهم : إني قريب ؛
وذلك لأنه يريد أن يجعل لهم الحقيقة ذا كراً
لماها بأسلوب مباشر منه هو ؛ ليس فيه
واسطة ؛ دالاً على أن هذا هو شأنه المتقرر

واستعبدوا الناس بهذا الأسلوب وخوفوهم ؛
وعطلوا مواهبهم ؛ وضيعوا كرامتهم .

ولذلك كان فضل القرآن على البشرية عظيما
لإذ هدم هذه الآوهام ؛ وخلق بين العباد ورب
العباد على هذا النحو من القرب والتجاوب .

. . .

وكما حرص القرآن على انتزاع هذا الوهم
من نفوس الناس ؛ وعلى إقناعهم أن الله
وحده هو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات ويعلم ما يفعلون ؛ حرص كذلك
على انتزاع هذا الوهم من نفوس القادة
والمتصدين فى شئون الدين ؛ حتى وصل
الأمر به إلى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن
الاستغفار للشركين ؛ أو الصلاة عليهم إذا
ماتوا ؛ وكذلك نهى أصحابه عن الاستغفار
لهم قطعا لدابر هذا الوهم الذى جعل الناس
من قبل فريقين : فريق الشعب الذى يتطلب
الغفران ؛ وفريق رجال الدين الذين يمنحونه
أو يتوسطون فيه .

فمن ذاك قوله تعالى :

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » .

فبين بذلك أن استغفار الرسول لهم لا
ينفعهم ؛ والمبح إلى أن الاشتغال به ليس بما
يستجبه الله لانه اشتغال بما لا فائدة فيه .

أحد بين الخالق والمخلوقين ؛ ولأننا شرط
القبول هو الاستجابة والإيمان . وهما
فى إمكان العبد .

. . .

وقد انبنى على هذا الأصل أن الله تعالى
يقبل التوبة عن عباده مباشرة . دون أن
يلجئهم إلى أن « يعترفوا » لأحد . أو يدلوا
بأية وساطة أو سفارة . وأن الكرامة
الإنسانية حفظت على الناس ؛ فلم يعد أحد
محتاجا إلى أن يبذل ماله أو ماء وجهه لإنسان
مثله ؛ باسم أنه حبر من الأحبار ؛ أو كاهن
من الكهان ؛ أو عالم من العلماء ؛ لكي يكشف له
ما ستر الله عليه من ذنبه ؛ ثم يطلب منه أن
يهبه أو يبيعه الغفران .

ولقد كان هذا الأمر قد وصل قبل الإسلام
إلى حد الوهم والخرافة التى جعلت الناس تحت
سيطرة رجال الدين ؛ لا ينقضون أمراً ؛
ولا يرمون أمراً فى شئونهم الخاصة أو العامة
إلا بإقرار رجال الدين ؛ فمن أراد أن يبيع
فلا بد له من أن يستأذن الكاهن ؛ ومن أراد
أن يهب شيئاً من ماله أو ملكه ؛ فلا بد له
من أن يحصل على موافقة الكاهن ؛ ومن
أراد أن يرهن أو يتعاقد ؛ أو - حتى - أن
يموت ! فلا بد من أن يتدخل فى أمره
الكاهن ؛ وما كفاهم ذلك حتى زعموا أنه
لا توبة إلا بهم ؛ ولا غفران إلا عن طريقهم

وفي ذلك النهي العام عن الاستغفار للشركين
مهما كان شأنهم يقول الله تعالى أيضا :
« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين
لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

والتعبير بقوله « ما كان للنبي والذين آمنوا »
يفيد قوة في النهي عن ذلك ؛ إذ هو نفى لأن
يكون لأحد منهم هذا الحق ؛ على حد قوله
تعالى في النهي عن إبداء النبي وعن نكاح
أزواجه من بعده :

« وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ؛ إن
ذلكم كان عند الله عظيما » .

ولما كان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛
قد سلف منه الاستغفار لأبيه ؛ جاء بعد
هذه الآية قوله تعالى :

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن
موعدة وعدها إبراهيم ، فلما تبين له أنه عدو لله
تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم » .

وهو تعليل لإقدام إبراهيم على الاستغفار
لأبيه ، بأنه كان توفية بوعده وعده إبراهيم ،
كما حكى الله عنه أنه قال له « لاستغفرن لك
وما أملك لك من الله من شيء » ، أى :
وما أملك لك هداية ولا غفرانا ، وإنما
الله هو المالك لذلك - وقد وفى إبراهيم بهذا
الوعد ، كما حكى الله عنه أنه قال في دعائه

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :
« ولا تصل على أحد منهم مات أبدا
ولا تقم على قبره . إنهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون » .

وهذا بيان لما شرعه الله تعالى في شأن
من يموت من المنافقين . الذين هم في الحقيقة
كافرون ؛ وقد تقدمه بيان لما شرعه جل شأنه
في شأن الأحياء منهم ؛ إذ جاء قبل هذه الآية
مباشرة من سورة التوبة :

« فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك
للخروج ؛ فقل لن تخرجوا معي أبدا ؛ ولن
تقاتلوا معي عدوا ؛ إنكم رضيتم بالقعود
أول مرة ؛ فاقعدوا مع الخالفين » .

ومجموع الآيتين يفيد : أن الله يأمر نبيه بأن
يقطع ما بينه وبينهم في حال الحياة ؛ وفي حال
المات ؛ فلا يقبل خروجهم معه إلى الجهاد بعد
تخلفهم الذي تخلفوه عنه ؛ ولا يقدم على الاستغفار
لهم أو الصلاة عليهم بعد موتهم .

وبين له أنه لا ينفعهم استغفاره أو صلاته
لأنهم ماتوا وهم فاسقون ؛ ورضوا بالقعود
من قبل وهم قادرون .

وبما ورد في ذلك أيضا قوله تعالى :

« سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر
لهم ؛ لن يغفر الله لهم ؛ إن الله لا يهدي
القوم الفاسقين » .

وذلك حديث عن الأحياء منهم بدليل
قوله « إن الله لا يهدي القوم الفاسقين » .

وذلك قوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ؛ إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله ؛ كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ، .

أى : أنتم أيها المؤمنون مطالبون بالتأسي بفعل إبراهيم والذين معه في شأن المشركين ؛ إلا في قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرن لك ؛ لأن ذلك ، وإن أقدم عليه إبراهيم قبل أن يتبين له أن أباه من أصحاب الجحيم ؛ ليس مما يجب الله أن يؤتى به فيه ؛ وذلك سدا لباب الشفاعات ؛ ودرءا لأن يفتح ولو على نحو من التأويل .

وهكذا يحسم القرآن هذا الأمر حسما كاملا ؛ فلم يبق للإنسان أن يعتمد إلا على نفسه ؛ وإصلاح ما بينه وبين الله بالتوبة المباشرة ؛ والاستغفار المباشر ؟

محمد محمد المرنى

« واغفر لأبي إنه كان من الضالين ، فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه ، وهو قبل هذا التبين كان طامعا في إيمانه وإصلاحه عن الشرك ، فاستغفاره له بمعنى الدعاء لله تعالى أن يهديه ، لأنه لا يمكن أن يغفر له وهو مبصر على الضلال ، راسخ القدم في الشرك .

فكان القرآن يقول للنبي والمؤمنين : ليس لكم أن تستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي ، بعد أن يتبين لكم أنهم ثابتون على الشرك ، أو أنهم قد ماتوا وهم مشركون ؛ وإبراهيم إنما استغفر لأبيه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ؛ فلما تبين له ذلك تبرأ منه .

ولما كان قد يفهم من ذلك أن للمسلمين أن يأتسوا بفعل إبراهيم في ذلك ؛ فيستغفروا للمشركين قبل أن يتبين لهم إصرارهم أو موتهم على الكفر ؛ أراد القرآن أن يبطل هذا المفهوم بصراحة ؛ ويبين أنه مفهوم غير مراد ؛ ولذلك جاء التصريح في سورة الممتحنة باستثناء التأسي بفعل إبراهيم في ذلك من وجوب التأسي به في معاملة المشركين .

الحلال والحرام

للأستاذ عبد الله كنون
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وهي التي لا تفتش ولا تترش إلا إذا حاماها القانون ؛ فإذا تخلى عنها صارت فوضى وتعسفا لا يطاق ؟ .

ولعل أحدا منا لا يختلف في أن عصور النور الحقيقية هي التي تصان فيها الحرمات وتحفظ كرامة الإنسان ويكون للقيم الروحية والأخلاقية الدولة والسلطان على ما عداها من المذاهب والآراء . أما إذا ديسست هذه المعاني السامية بالأرجل ؛ وأطلق العنان للغرائز الحيوانية تمارس حريتها ؛ فإن ذلك هو الازم الذي يسود فيه الظلام ولوغلبت أضواء ليله على نهاره .

إن مسألة الحلال والحرام هي عين القانون الذي يضبط قضية الحرية ، ويحدد شروط مزاولتها للناس أي أنها تعيين الفعل والترك وما لا يجوز أن يتورط الإنسان فيه منهما تفاديا لطائلة العقاب . ومعلوم أنه بقدر احترام الإنسان للقانون تسمو مكانته في المجتمع ويتبعد عن مواطن الاتهام ؛ وأنه لا يتلطف بالتهمة ويوصف بالإجرام إلا من استهان بحرمة القانون واجترأ على مخالفته . فهل علينا إذن من حرج إذا نحن بحثنا في هذا الجانب

ليس شيء من تعاليم الإسلام . بعد القواعد الخمس . أحتج بالبحث من مسألة الحلال والحرام ؛ لأنها مناط الفعل والترك وعليها ينبنى سلوك الفرد المسلم ، وبها تتميز طبيعة المجتمع الإسلامي ويختلف كثيرا عن غيره من المجتمعات ؛ وإذا كان هذا حقيقة ثابتة فيما مضى من العصور ؛ فإنه في عصرنا الحاضر ، الذي طغت فيه المذاهب والآراء الاجتماعية والتربوية المختلفة المبدأ والمتعددة الغاية ، أخرى أن يكون حقيقة الحقائق وأكثرها ثبوتا عند النظر والاختيار ؛ كي نحفظ لمجتمعنا بسمته الإسلامية التي تجعله واضح المعالم بعيدا عن التأثر والانفعال بالافكار الهدامة والدعوات الموبوءة .

وليس علينا من نقيصة ولا عار إذا نحن بحثنا مسألة الحلال والحرام في هذا العصر الذي يسمونه عصر الحرية وعصر النور ؛ موهمين السذج والأغرار أن العصور الماضية كانت عصور عبودية وعصور ظلام ؛ فهل هي إلا مسألة قانونية تتعلق بحفظ النظام وحقوق الإنسان وبناء المجتمع الفاضل الذي توخاه الحكماء والفلاسفة من قديم الزمان ؟ ومتى كان بين الحرية والقانون تعارض ؛

ثانيتهما : تتعلق بتحقيق المضار وحكمة الحرمة سواء كانت المضرة للنفس أو للغير لحديث ابن ماجه وغيره : « لا ضرر ولا ضرار » ، يعني في شرعنا ، والمراد أن ذلك لا يجوز . فيحرم كل فعل أو قول يضر بنفس الإنسان كالانتحار والسكر والكذب وما إلى ذلك كما يحرم كل فعل أو قول يضر بالغير كالقتل والغصب والغيبة وما أشبه ذلك .

وهاتان الشعبتان لا خلاف فيهما بيننا وبين جميع أصحاب القوانين الوضعية إلا من حيث التعبير . فنحن نطلق على جزئياتهما لفظ حلال وحرام على ما أتى به الشرع . وينبغي أن نحفظ بهذا الإطلاق لما له في نفوسنا من دلالة موحية بالامتثال لأمره عز وجل . ورجال القانون وعلماؤه الأخلاق يعبرون بحرية التصرف وبالحالفة مثلا ، ولا زائد على ذلك . ثالثتها : تتعلق بما تردد بين المنفعة والمضرة واشتبه أمره على كثير من الناس وهذا يجب أن نقف عنده وقفة طويلة لأنه المقصود من هذا البحث إذ مرجعه إلى أمور المعاملة بين الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة » .

فبعض الناس تهتك فيه حتى قال قائلهم تلك العبارة التي تجرى على السنة كثير من المتحللين من أوامر الشرع المطاع وهي « الحلال : ما حل باليد » ، وبعضهم تشدد فيه غاية التشدد حتى نفى أن يكون في الوقت شيء حلال . قال

من قانوننا الإسلامى وأحكام شريعتنا الغراء التي هي أكمل الشرائع وأعدل القوانين ؟ وباعت آخر يحملنا على تناول هذا الموضوع . وهو تجلية ما يتضمنه حكم الشرع الشريف في مسألة الحلال والحرام من السباحة والتيسير ورفع الحرج عن الناس وعدم التضيق عليهم في مطالب الحياة . على خلاف ما يعتقده الكثير منهم في هذا الصدد إذا سمع كالمق : الحلال والحرام فيظنون أن الالتزام بذلك من العسر بمكان لما فيه من التشديد والمشقة والحصرمان . وهو اعتقاد خاطيء لأن الله سبحانه وتعالى يقول : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، ويقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن هذا الدين يسر فأوغل فيه برفق » ، ويقول : « بعثت بالحنيفية السمحة » ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تؤكد أن روح الإسلام هي هذه السباحة والتيسير المتجليان في جميع تعاليمه سواء كانت من قبيل العادات أم العبادات . ومسألة الحلال والحرام ذات شعب ثلاث .

إحداها : تتعلق بالبراءة الأصلية وحكمها حلية الأشياء ما لم يتبين ضررها لقوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا » ، قال القلشاني : اختلف في تعريف الحلال فقليل : هو ما لم يعرف أنه حرام . وقيل : هو ما عرف أصله . والاول أرفق بالناس لاسيما في هذا الزمان .

إلا طيباً . وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً » ؛ وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » الحديث ؛ فهل يعقل أن يتحدث النبي إلى الناس مبيناً لهم ما نزل إليهم من الأمر بطلب الحلال الطيب وعدم الأكل إلا منه ؛ وأنهم ورسل الله في ذلك سواء ؛ ثم يكون هذا الحلال الطيب مفقوداً غير موجود ؟

إن ذلك يقتضى أحد أمرين إما بطلان التكليف ، وإما التكليف بالتحال . وكلاهما باطل يزه الشرع الشريف عنه .

وفي الحديث : « لو كانت الدنيا دماً عيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً » وفي رواية « لو كانت الدنيا بركة دم لكان رزق المؤمن منها حلالاً » وهو وإن كان لا يعرف له إسناد إلا إنه صحيح المعنى . بل هو من غوى الخطاب الوارد في الآيتين المذكورتين في الحديث قبله . وإذن فالحلال موجود باق بقاء التكليف لا يصح إنكاره ولا دعوى فقدته فيما مضى من الزمن ولا في زماننا الحاضر ولا في الزمن الآتى . والذين قالوا بعدم وجوده أوقعوا أنفسهم والأمة في ورطة عظيمة من حيث لا يشعرون . فهم إذا كانوا يعتقدون عدم وجوده كان عليهم أن لا يتبلغوا إلا بما يسد الرمت ولا يتسعوا في مأكل ولا مشرب ولا ملبس . وهو حرج في الدين ما أنزل الله

الجزولى : اختلف في وجود الحلال في زماننا هذا فذهب الغزالي إلى أنه معدوم وذهب ابن العربي إلى أنه موجود وهو المشهور ولكن طلابه قليل .

فهل الأمر بهذا الغوض حتى يصح أن يذهب القوم هذين المذهبين المتطرفين في التحلل والتشدد ؟

اللهم لا ! فقد جاء في الصحيح عن النعمان ابن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الحلال بين وإن الحرام بين ؛ وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ؛ ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » الحديث .

فهذا صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم يقرر أن الحلال بين واضح لا خفاء به لمن أراده وطلبه ؛ وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان موجوداً غير معدوم ولا مفقود . وكذلك الحرام موجود لأنه بين ظاهر ؛ وإنما يبقى بينهما أمور قليلة تشبه أن تكون حلالاً أو حراماً فينبغى تجنبها ما دامت الشبهة قائمة ؛ خوفاً من الوقوع في الحرام فإذا انتفت شبهة الحرام وضعفت حلت (ولا ينبغى الاستقصاء في السؤال عن ذلك فإنه بدعة) قاله النووي . وأيضاً فإن مما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى طيب لا يقبل

بصدق ؛ وأجرة بنصح ؛ وأعشاب الأرض
غير المملوكة ؛ وصيد البحر وصيد البرقي
غير الحرم والإحرام ؛ وأقسام الغنائم
وأخماسها إذا قسمت بالعدل وأصدقة النساء ؛
والموارث ما لم تعلم حرمتها ؛ والسؤال عند
الحاجة الشديدة : وينبغي أن تكون هذه
أمثلة للحلال لا أصولاً له بدليل أن بعضهم
زاد عليها الهدية من أخ صالح وماء النهر .
والمهم أن زروقاً وهو محتسب العلماء
والأولياء كما يقولون عنه ؛ لم يذهب مذهب
الغلاة من الفقهاء والمتصوفة في عدم وجود
الحلال . وأهم من ذلك أنه لم يقل بوجوب
النظر في أصول هذه الأشياء وأصول أصولها
كما يشترط بعض المنتطعين لأجل أن تكون
حلالاً . وهذه هي روح التشريع الإسلامي
المبنى على المسامحة وعدم التعنيت ؛ لا ما يأخذ
به أنفسهم أولئك المفتاتون على الشرع ؛
ويحاولون أن يأخذوا به غيرهم من عامة
المسلمين فينفرون الناس ؛ وقد أمروا أن يبشروهم
ويعسرون عليهم وهم مطالبون بالتيسير
والتسديد والمقاربة (ولن يشاد أحد الدين
إلا غلبه) وفي القرآن العظيم : « ولا تقولوا
لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

عبد الله كنوه

به من سلطان . فإذا خالفوا ذلك وقعوا
في الحرام وهم يعلمون . وهذا لا يناسب العلم
ولا الزهد الذي يدعون . وأما الأمة فقد
جعلوها تتخبط في الحرام وتغرق في بحره من
غير مبالاة بأمر الشرع حتى قامت طائفة منها
تعتقد بحلية ما حرم الله وتقول تلك القولة
المنكرة : « الحلال ما حل باليد » وهذا كلام
يشبه أن يكون مروقا من الدين أدى إليه
التزمت والتنتعع والغلو المذموم .

والحق الذي يجب أن لا يعدل عنه هو أن
الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله
وكلاهما ظاهر لا خفاء به ؛ وليس الحلال
هو كل ما حل باليد ولا الحرام فقط هو
الموجود ؛ فإذا تحرى المسلم في بعض
المعاملات الربوية الخفية وتجنب الغش
والغرور ؛ فشكل كسبه حلال طيب إن شاء
الله لا شبهة فيه ولا حرام . فالعامل إذا قام
بما عليه من عمل ولم يغش فيه فأجره حلال
طيب ؛ والتاجر إذا نصح في تجارته ولم يغر
بها فكسبه حلال طيب ؛ والموظف إذا قام
بواجبه وأدى ما عليه من حق فرتبه حلال
طيب ؛ وهكذا كل من زاول عملاً وقام
بخدمته ؛ مخلصاً النية في ذلك فما يستفيده لقاء
أتعابه من مال ؛ كله مال حلال لا شبهة فيه
ولا دخل .

ولقد جاء في شرح الوغليسية للشيخ زروق
رحمه الله أن أصول الحلال عشرة : تجارة

نقض ما كتب في رسالة ”دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني“ للأستاذ محمد الصادق عمر مومن

— ٣ —

في جانب تغيير الكلمة بما يزعم أنه مرادف - ولا ترادف في لغة العرب - كالذي قرأ قوله تعالى حكاية عن إبليس (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) فقال: (لأجلسن) بديلاً عن (لأقعدن) فلما روجع أجاب (قعد وجلس سواء) والعامة، ممن يفقهون شيئاً من استعمالات هذه اللغة الشريفة يعرفون الفروق التي بين (جلس وقعد) ويعرفون متى يصح أن يعبر (بجلس) ومتى يصح أن يعبر (بقعد) فكيف بأعرابي عاش في بيئة عربية محضة في قلب الصحراء؟ أتغيب عنه هذه الفروق؟ أم أن هذه روايات ما كان يصح أن يذكرها بحث علمي يتعرض لأخطر قضية من قضايا العلم والدين؟

١١ — ثم تحدثت صاحبة الرسالة في ص (١٦-١٧) عما أسمته ظواهر حدثت في البيئة الإسلامية فيما يتعلق بقراءة القرآن بعد أن قبض الرسول عليه الصلاة والسلام. وذكرت من هذه الظواهر؛

١ — البيئات التي تتركز في بعضها السلطة المركزية التي نبتت فيها. بسبب تدخل العامل

١٠ — ومن العجيب استشهاد صاحبة الرسالة ص (١٧) على التغيير الذي تناول نظام الجملة القرآنية في إطار اللغة العربية بروايات عن بعض أجيال الأعراب - الله أعلم بصحة نسبتها إليهم - ثم لا تكلف نفسها البحث عن قيمة هذه الروايات ومئاتها من العلم والبحث؛ فتذكر رواية عن أعرابي قدم وأخر في آتي آخر سورة الزلزلة؛ فوضع الآية الأولى مكان الثانية، والثانية مكان الأولى فلما قيل له: قدمت وأخرت أنشد بيتاً من الشعر في معنى نافه أراد به أن يبين أنه لا قيمة لهذا النظام بين جملي الآيتين؛ وإنما المقصود هو المحافظة على (الفكرة) كما تقول صاحبة الرسالة؛ ومن البدهة أننا لا نستطيع أن نسكلف أحداً أن يتحمل ما لا طاقة له به من فهم دقة النظام في جمل القرآن وأن كل جملة في مكانها لو تحولت عنه لذهب بهذا التحول معنى النص الذي يقصده القرآن ويفهمه العلماء وقد بينت المعنى الذي يفهمه العامة من كلام أي كلام؛ ومثل هذا النوع من الاستشهاد

الديني، فكرة محاولة قراءة القرآن كما كان يقرؤه الرسول عليه الصلاة والسلام متبعا للنظام اللغوي الحجازي إلى أن وثبتت صاحبة الرسالة وثبا إلى أن عبد الله بن مسعود قرأ (عق عين) مغيرا حرف (الحاء) من حتى بحرف (العين) فكتب إليه عمر بن الخطاب : (أن الله أنزل هذا القرآن فجعله قرآنا عربيا مبينا وأنزله بلغة هذا الحى من قريش فإذا جاءك كتابي هذا فأقرء الناس بلغة قريش ولا تقرهم بلغة هديل والسلام) .

والمفهوم من هذا النص أن محاولة قراءة القرآن كما كان يقرؤه الرسول صلى الله عليه وسلم نبتت في البيئة التي تركز فيها السلطة المركزية بعد أن قبض الرسول عليه السلام؛ وهنا يسأل: كيف كانت قراءة هذه البيئة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام؟ هل كانوا يخالفون قراءته بالنظام الحجازي؟ وهل كان عبد الله ابن مسعود الذي قال عن نفسه : لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة؛ يخالف قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جاءت السلطة المركزية ممثلة في عمر بن الخطاب فردته عن هذه المخالفة وحينئذ تكون القضية ليست قراءة القرآن كما أنزل من عند الله بلفظه وأسلوبه وإنما هي شيء تتدخل فيه العصبية القبلية والسلطة المركزية . لأن عبد الله بن مسعود لم يكن

ليصعب عليه أن يقرأ (حتى حين) كما يقرؤها الحجازيون وسائر المسلمين . ولم تعرف عنه هذه القراءة المغيرة (عتي حين) إلا بهذه الرواية التي تشكلت السند الصحيح ولو سلمنا صحة الرواية جدلا فنسأل ؛ ولماذا خالف عبد الله بن مسعود قراءة نفسه في حياة الرسول عليه السلام إلى قراءة مغيرة لحرف ، قيل : إن هذيل قبيلته تنطقه هكذا . لعله رغبة في تملق عواطف قبيلته ؟؟؟ وعبد الله ابن مسعود عاش حياته في الإسلام ملازما للرسول عليه السلام ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فارق الحجاز إلى العراق . فهو حجازي الحياة زمن نزول القرآن وليس لهذيلته إلا هذا الحرف .

ومن هنا كانت هذه الرواية أشبه شيء بالاصطناع الذي يتكلفه الباحثون عن اختلاف اللهجات العربية قبل زمن نزول القرآن على أن صاحبة الرسالة ذكرت عبد الله ابن مسعود في ضمن الأفراد الذين لهم نفوذ روحي، وتورعت السلطة المركزية عن إجبارهم بالعنف على ترك قراءتهم فهل بقي عبد الله بن مسعود متمسكا بقراءته الهذيلية (عتي حين) كما تمسك أبي محتجا بقوله : أخذته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اتركه لشيء . ولكن عبد الله بن مسعود لم يعرف عنه أنه قال أخذت (عتي حين) من رسول

والمفهوم من هذا النص أن محاولة قراءة القرآن كما كان يقرؤه الرسول صلى الله عليه وسلم نبتت في البيئة التي تركز فيها السلطة المركزية بعد أن قبض الرسول عليه السلام؛ وهنا يسأل: كيف كانت قراءة هذه البيئة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام؟ هل كانوا يخالفون قراءته بالنظام الحجازي؟ وهل كان عبد الله ابن مسعود الذي قال عن نفسه : لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة؛ يخالف قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جاءت السلطة المركزية ممثلة في عمر بن الخطاب فردته عن هذه المخالفة وحينئذ تكون القضية ليست قراءة القرآن كما أنزل من عند الله بلفظه وأسلوبه وإنما هي شيء تتدخل فيه العصبية القبلية والسلطة المركزية . لأن عبد الله بن مسعود لم يكن

ورطانات بعضهم . ولكن هكذا أريد للبحث العلمى أن يقول فقال .

١٤ - ثم ذهبت صاحبة الرسالة تتحدث عن المصاحف العثمانية ثم تساءلت: ماذا كان موقف الأمة من هذا العمل ؟ . وأجابت من عند نفسها : بأنه بلا شك أثار كثيرا من النقاش والجدل ؛ وانقسم الناس لإزائه بين مشجع له راض عنه ، وبين غاضب حائق . ثم راحت تذكر الراضين عن عمل عثمان ولم تذكر من الغاضبين أحدا سوى عبد الله ابن مسعود فهل يعد هذا انقساماً ؟ وهل يليق بالبحوث العلمية لإلقاء النتائج هكذا بغير مقدمات ؟ وكان من حق البحث أن يذكر الروايات التي أفادت أن ابن مسعود رجع بأخرة عن رأيه في عمل عثمان ورضى به .

ثم ذكرت صاحبة الرسالة في ص ٢٦ : (أن مصحف عثمان لم ينجح في إزالة الفروق النصية) لأن كتابة المصحف كانت غير منقوطة فأدى ذلك إلى اختلاف كثير من الكلمات وضربت لذلك أمثالا متصيدة من كتاب المصاحف لابن أبي داود الذي رماه أبوه بالكذب . ١٥ - ثم قالت في ص ٢٧ : (أما الكلمات التي خالفت ما جاء بالمصحف فقد استبدلت بكلمات أخرى توافق كتابتها بالمصحف ...) إلى أن قالت : (إنه نتج من عمل عثمان أن تكونت - من وجهة نظر النص - ما يشبه النظم الجديدة التي تتكون من جزء كبير من

الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركها لقول أحد . ١٢ - وقد جعلت صاحبة الرسالة في ص (١٩) من ذلك تفسيراً لهجرة أصحاب القراءات الخاصة - تأمل - إلى المدن المفتوحة ليجدوا أمامهم متسعا لنشر قراءتهم الخاصة ، ووزعتهم على امصار الإسلام وعواصمه ولم تنس أن ترسل ببعض القراء من الصحابة أو غيرهم إلى بعض الجهات النائية أو بعض القرى الداخلية ، وأصبح الأمر في قراءة القرآن في هذه البيئات يشبه لقاء مستشرق يتقن العربية ويحفظ القرآن ولكن أدائه لا يسلم من بعض الرطانات - بيا كستانى لا يعرف العربية إلا ما حفظه من القرآن .

١٣ - ثم تقول صاحبة الرسالة ص (٢٠) (كان من الطبعي حين يلتقي هذا الخليط غير المتجانس من المسلمين أن لا يفهم بعضهم بعضا ، وأن تحدث بينهم مشاحنات حول قراءة القرآن) ثم ساق قصة حذيفة وقدمه من فرج أرمينية فزعا لما رآه من اختلاف القراء في القراءة مستنجدا بعثمان في توحيد المصاحف دليلا على ما ذكرته عن الخليط غير المتجانس ثم ساق رواية حذيفة عن الطبرى وفيها بيان الاختلاف ومنشؤه وأن هذا الاختلاف وقع بين قراء أهل الشام وأهل العراق ومقرىء أهل الشام أبى بن كعب ومقرىء أهل العراق عبد الله بن مسعود ولا دخل مطلقا في هذه القصة للخليط غير المتجانس

بقلب الجمل تقديمًا وتأخيرًا وتبديل ألفاظ بأخرى وزيادة ألفاظ أو نقصها، وهذا هو التحريف الذى يرفع الثقة بنص القرآن، وهو أخبث الكفر والإلحاد فى دين الله .

قالت صاحبة الرسالة. فى ص (٣٠) بعد ذكرها ازدياد الفتوحات الإسلامية ونمو الموالى فى دراسة اللغة العربية ودراسة القرآن باعتباره المظهر الأول للإسلام : (ولأذن فمن المتوقع فى مثل هذه البيئات أن تحدث تحريفات فى النص القرآنى بعضها - أى التحريفات - يظل فى حدود الصحة - ولكنها تحريفات لم ينزل بها القرآن من عند الله - وبعضها - أى التحريفات فى النص القرآنى - يتعداها إلى الخطأ ؛ وكذلك الحال فى الأداء وبالتالى تتعدد القراءات - أى المحرفة الخاطئة أو التى تظل فى حدود الصحة - ويبدو بعضها غريباً) .

هذا النص اضطررنا لتفسيره بما وضعنا لنبين أن فكرة صاحبة الرسالة منه أن تقول: إن القرآن الذى بين يدى المسلمين محرف تحريفاً خاطئاً فى المعنى والمبنى، وتحريفاً خاطئاً فى المبنى وظل صحيحاً فى المعنى ؛ وحينئذ ليفرح أعداء الإسلام بهذا الكشف العلى الذى قدمته لهم صاحبة هذه الرسالة .

والقول بحدوث (تحريفات فى النص القرآنى) كفر بواح، وإلحاد فى آيات الله

النظام النصى لقارى النص ... ذلك الجزء الذى لا يخالف خط المصحف وكان الجزء الآخر من النظام النص القرشى كما دونه عثمان). وليس هذا النص من صاحبة الرسالة فى حاجة إلى شيء من الاستنتاج لأنه صريح فى أن القرآن الذى بين يدى المسلمين مشتمل على نصين : نص قرشى دونه عثمان ؛ ونص يشبه النظم الجديدة تكونت من جزء كبير من النظام النصى لقارى النص ؛ وقد اوضحت ذلك بما لا يدع مجالاً للشك فقالت فى ص ٢٨ : (وبناء على هذا العرض يمكن أن نقول : إن عمل عثمان كان من نتيجته بمجرد الأمر بالتزامه :

- ١ - نشر نظام جديد من حيث النص كما بينا من قبل .
- ٢ - استمرار القراءات القديمة الموجودة قبل عمل عثمان .

والنتيجة الحتمية لهذا أن القرآن دخله نظام جديد فى نصه، ومعنى الجدة أن هذا النظام فى النص بعد عمل عثمان ليس هو النظام النصى الذى نزل به القرآن من عند الله، ويؤيد ذلك اعتبار القراءات التى قرئ بها القرآن قبل عمل عثمان قراءات قديمة وهى مستمرة إلى جانب النظام النصى الجديد ؛ وليس لذلك معنى إلا تبديل وتعديل نظام النص فى آيات من القرآن لا يعرف عددها، والتغيير فى نظام النص يكون

ولا ميزان ثم خلصت إلى مقصودها بغير لف ولا دوران فقالت : (وعرض الأمر على هذا النحو يساعد على (هدم) هكذا زعمها بحروفه - ففكرة التوقف في قراءة القرآن ؛ تلك الفكرة التي لا يقرها الدرس اللغوي والواقع التاريخي) ثم خلصت من هذه النتيجة إلى نتيجة أخرى فقالت في ص (٣٧) :

(١) فالرسول نفسه اختلف أداؤه باختلاف الظروف .

(ب) كذلك اختلف الصحابة في قراءاتهم منذ عهد - عليه السلام ولو كانت القراءة توقيفية لما أنكر بعضهم قراءة البعض ؛ ولما اختلفوا ورجعوا إليه عليه السلام .

وهنا نقف قليلا لنقول : ان المنطق يقول : الملازمة في الشرطية إذا لم تكن مسلبة كان يجب أن يقام على صحتها دليل ؛ وإلا أصبحت باطلة وفي الكلام هنا ملازمتان : الأولى تصح لو كان كل توقف في كل آية يجب أن يعمله ويحيط به كل صحابي ؛ لكن التالي باطل ؛ وبهذا تبطل الملازمة الثانية على أن التوقيف المذكور في كل رواية من روايات حديث الأحرف السبعة ؛ وهو مدار اختلاف القراءات وقد أوردت صاحبة الرسالة شيئا من هذه الروايات في معرض الاستدلال ؛ ولم تناقشها بل سلطتها .

(ج) كذلك فإن محاولة عثمان رضي الله عنه لكتابة المصحف بصرف النظر عما يحيط

واستهتار بالقيم العلية ، واستهانة بالاجتماع الإسلامي منذ وجوده على عهد النبوة الخاتمة إلى أن يرتفع الحق من الأرض .

قالت صاحبة الرسالة في ص (٣٢) وكان بعض هؤلاء العلماء حين يصل إلى هذا المستوى من العلم يحاول التوفيق بين أكثر من قراءة ثابتة صحيحة حتى يذهب إلى قراءة جديدة يراها أكثر معقولة وملاءمة للحال .

وهذا ذبح صريح لا يحتاج إلى كشف عن شيء مستور فيه ؛ لأنه يقول : إن بعض العلماء اختلفت قراءة جديدة ملفقة من جزئيات قراءات معترف بها ، ولكن القراءة الملفقة لا يمكن أن يدعى أنها كانت بصورتها الجديدة موجودة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويلزم من هذا بداهة وجود قرآن جديد بصورة لم تكن معروفة للرسول عليه الصلاة والسلام ولا قرأ بها هو ولا أصحابه ويبطل قول الله تعالى : « فليأتوا بحديث مثله » لأنهم جاءوا بهذا القرآن الجديد الملفق من جزئيات قراءات كان معمولاً بها .

وهذا ما تعترف به صاحبة الرسالة في قولها في ص (٣٣) (وهكذا ؛ فإن هذا التوفيق - أي التلفيق - مع قسم جزئياته إلا أنه كبناء على هذه الصورة - يعتبر نظاماً جديداً في كل شيء (النص والأداء) فهو إذن قرآن جديد .

وهكذا أطالت صاحبة الرسالة النفس في صفحات لتكرر تعدد القراءات بغير ضابط

الذكر وإنا له لحافظون) وقد حقق الله وعده لحفظ كتابه رغم كثرة أعدائه كثرة هائلة منذ نزل من السماء ونقل متواترا تواترا قاطعا يحفظه ملايين المسلمين في صدورهم . ويقروونه في صلواتهم وخلواتهم . ولن تكون هجيات الأعداء الجدد أقوى من هجيات إخوانهم القدامى من أمثال ابن الراوندى الملحد الحديث ، وليس تحت الشمس بالنسبة للقرآن الكريم جديد .

ثم أخذت صاحبة الرسالة في فصول أكثرها تراجم ونقول من كتب اللغة والقراءات تضخم بها حجم الرسالة جدا في أمور لا يعنى بحثنا الآن الوقوف عندها إلى أن وصلت إلى خاتمة الرسالة فقالت فيها - تعيد وتكرر رأيها بإصرار متعمد في هدم التوقيف في قراءة القرآن ورفضه رفضا قاطعا مؤكدة ذلك بجميع ما تملك من ألوان التأكيد فتقول في ص (٢٨٨) :

بعد هذه الجولة الطويلة في الكتب اللغوية والقرائية يمكن أن نجمل أهم نتائج البحث فيما يلي ؛ -

١ - أول نتيجة توصل إليها هذا البحث هي رفض فكرة التوقيف في قراءة القرآن . ثم أعادت نفس أدلتها المتهاوية التي ذكرتها بنصها في ص (٣٧) .

٢ - ثم قالت : (كان الأداء القرآني في أول عهده مسيرا لقواعد وميول وعادات

بها من الروايات تدل على وجود فروق كثيرة واختلافات - هذا مسلم ومن أجله أدرك إمام الأمة كتاب الأمة - إلى أن قالت : (وهكذا تتضافر العوامل المختلفة على رفض فكرة التوقيف) وإذن فالأمر في قراءة القرآن (سهلي) لاسئله ولا ضابط ولا أصول يعتمد عليها ولا قواعد ينبني على أساسها : (وكل ما يمكن أن يقال : إن قراءة القرآن اتفقت أصولها مع أصول الأداء العربي ثم بعد ذلك تلونت بلون الظروف المختلفة) .

قالت صاحبة الرسالة (ص ٣٧) : (هذه القراءات التي بين أيدينا يصعب جداً الادعاء بأنها كانت القراءات الملتزمة على عهد الرسول عليه السلام بسبب تدخل عوامل التطور واللهجات ثم عامل الاختيار الذي جعل القارئ يفتخ بقرأة من عدة قراءات تعلمها) .

والنتيجة الحتمية لهذا أن : هذا القرآن الذي يتمسك به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ليس هو الكتاب الذي قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالاحرف المنزلة من عند الله تعالى وإنا هو كتاب آخر ملفق من قراءات مختلفة استحدثت بسبب تدخل عوامل التطور واللهجات .

فليهنأ أعداء الإسلام من اليهود والزنادقة والملاحدة وخبثاء المستشرقين بهذا الفتح الإلحادي يقدم لإلهم هدية باسم البحث العلمي . ولكن الله تعالى يقول : (إنا نحن نزلنا

العامل الديني حرم قراءات القرآن؛ بل حرم الدرس اللغوي نفسه من مسامرة التطور وظلت أسس الأداء القرآني كما هي منذ القرن الأول للهجرة رغم تطور اللغة وتغيير العادات والميول والأذواق بحيث يمكن أن يقال: إن اللغة المنطوقة سارت في واد وسار الأداء القرآني في واديه القديم من حيث الأسس).

هذه شهادة - رغم أنها أشبه بالنقد العائب أو هي إياه سواء - يعترف بها القرآن الكريم لأنه استطاع ويستطيع دائماً أن يقف شامخاً قاهراً أمام تطور اللغة وتغيير العادات والميول والأذواق وسائر المؤثرات بطبيعته ونظامه وأدائه فلا يخضع لمؤثر خارج عن ذاته وأسلوبه ونظامه الذي نزل به من عند الله تعالى.

وصاحبة الرسالة إذ تقرر ذلك - وهي كما تظن آسفة - تقع من غير شعور أو قصد في تناقض الفكرة لأنها سبق أن قررت عن القرآن باعتباره نصه هو بناء لغوي منطوق تأثر كأي بناء لغوي منطوق بالمؤثرات اللهجية والبيئية الشخصية والزمنية ولا ندرى بأي قواها يأخذ البحث ؟؟ ولعل هذا الاضطراب في البحث نشأ من عدم الصبر على الدراسة العميقة الموضوع لانعدام وسائله العلمية.

اللغة العربية في ذلك الوقت وكان نظامه العام قريباً في النظام الشعري.

خصوصاً وأن بناءه النصي كان قريباً جداً من هذا البناء. (أي الشعري) وقد كررت هذا في ص (٢٧١) حيث قالت:

النص القرآني نس فني. والتفكير المنطقي والذي يؤيده الواقع يرجح أن القرآن جاء قريباً في بنائه من الشعر).

هذا الكلام ينادى على نفسه بأنه لم يعرف البحث الجاد، لأن بناء النص القرآني الفني أعيا الفحول من الباحثين من المؤمنين بالقرآن ومن الكافرين به ومن الملحدن العابثين فلم يجدوا منفذاً إلى القول بهذا القرب الشعري، والقرآن الكريم تحدى تحدياً صارخاً مقرباً مؤنباً آخذاً الطريق على خصومه أن يأتوا بسورة أية سورة في قدرها الكمي (ثلاث آيات قصار) مثل سورة (والعصر إن الإنسان لفي خسر) وسورة (الكوثر) وقال لهم مقدما: (لن تفعلوا) زيادة في التحريض على المعارضة إن استطاعوا فلم ينبسوا إلا بهذيانات المبرسمين ومن البداهة التي تغيب أعداء القرآن أنه لو كان بناؤه النصي قريباً من البناء الشعري لقالوا شيئاً مما هو مثلهم الأعلى وذروة فهم الكلامي في معارضة هذا التحدي الصارم ؟ ولكنهم عجزوا عن المعارضة وأبلسوا فلم ينطقوا.

ثم قالت صاحبة الرسالة (ولكن تدخل

في هذا البحث ، وبالتأمل غير العميق يظهر جليا ما بين الكلامين من تناقض لأن الكلام السابق يقرر هراحة أن العامل الديني حرم قراءات القرآن من التأثر ومسايرة التطور وظلت أسس الأداء القرآني كما هي منذ القرن الأول .

وفي هذه الفقرة تقرر صاحبة الرسالة أن الجانب الفني في الأداء القرآني تأثر بالظروف المحيطة به وكيفيا يكن فحسب البحث أن يظفر بهذا الاعتراف الذي يقرر صراحة أن للأداء القرآني أسسا لها ضوابطها وطرائقها الخاصة لم تتأثر بالظروف المحيطة بها وظلت كما هي منذ القرن الأول ، بل إن هذا الأداء القرآني تعاضى على مسايرة اللغة المنطوقة التي سارت في أدائها في وادوسار الأداء القرآني في واديه القديم ، وهذا بلا شك نقض لما قرره صاحبة الرسالة في أكثر من موضع من أن الأداء القرآني تأثر بالظروف واللهجات والبيئة والعادات والميول والأذواق ولك الله العليم الحكيم :

« يحول بين المرء وقلبه ، فلا يدري ماذا قال . ولا ماذا يقول :

« والله الأمر من قبل ومن بعد ، »

محمد السادس عمر مرون

قالت صاحبة الرسالة في آخر فقرات خاتمة الرسالة : (ولم تحظ اللغة كأداء فني باهتمام كبير من جانب اللغويين . وكذلك القراء الذين أنكروا الاعتراف صراحة بالجانب الفني في الأداء القرآني . وأيضا تأثره بالظروف المحيطة به والتي أمكننا إظهار بعضها فقد كان واضحا في قراءة الكوفيين تأثر الأداء بالطابع الشخصي للمؤدى فهؤلاء الكوفيون يمثلون أكثر عرب المدين خشونة ولذلك مالوا جميعا إلى تحقيق الهمزة .

هذه قضية ينقصها العلم والصبر على البحث ؛ فإنه ثبت عند الأثبات من أئمة القراءات أن حمزة بن حبيب الزيات ، وهو إمام من أئمة القراء الكوفيين كان لا يحقق الهمزة في بعض المواطن ، وكذلك الإمام عاصم ، وهو كوفي ، ثبت عنه من رواية شعبة عدم تحقيق الهمزة في بعض الألفاظ .

ثم قالت صاحبة الرسالة : ووضح تأثر القراءة بالجانب الفني في أداء ورش الذي رسم لنفسه قواعد غير التي نصت عليها كتب اللغة ليحقق لإذنه موسيقية يحرص عليها ، أما التأثر بالجانب الثقافي فيبدو واضحا في قراءة أبي عمرو) .

هذه الفقرة التي ختمت بها صاحبة الرسالة رسالتها جاءت تالية مباشرة للفقرة التي سبقتها

فجاءت القرآنا

المبالغة في الإنكار للحق كون في قوة الاعتراف به

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« فإن لم يستجيبوا لكم ، فاعلموا : أنما أنزل بعلم الله
وأن لا إله إلا هو ... فهل أنتم مسلمون ، ١٤ - هود .

ويكون هذا الإنكار المسرف ، والعجز
المطبق مثار الإيمان الصحيح ، وطريق
العلم الأكيد بأن القرآن لا يكون ، ولا يمكن
أن يكون إلا من عند الله ، أنزله بعلمه ، وعلى
مقتضى حكمته ، وحسن تدبيره .

ويكون موقف المسكذبين بمثابة
الاعتراف على أنفسهم بالإرجاف ، والإمعان
في الباطل .

ويكون هذا الباطل في خدمة الحق ، من
حيث لا يريد المبطلون ... وهكذا يكون
مصدق المثل - كاد المرء يقول : خذوني -
إذا أتتك مذمت من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى كامل
وتطبيق ذلك واضح فى الفروع الفقهية
عند القضاء ... حيث يعترفون المنكر ،
الفاكل عن اليقين ليبرر بها إنكاره - فى معنى

١ - بالغ الكفار قديما - ولا يزالون
ببالبون - فى تكذيب القرآن .. حتى تحدام
الله غير مرة أن باتوا بمثله ، أو بعشر سور
مثله ، أو بأقل من ذلك ... بل أرخى لهم
العنان أن يجمعوا كل ظهير لهم ، وأن
يستعينوا بكل وسيلة بما يخطر ببالم ، ليأتوا
بشيء يفترونه كما يفتري محمد - فى زعمهم -
كتاب الله ...

فلم يكن لهم قدرة على شيء من ذلك ... ومع
هذا بلغوا فى الإنكار مبلغهم ، وبلغ العجز
منهم مبلغه ، وظل إعجاز القرآن على توالى
القرون ... وبقى طوقا فى رقاب الكافرين به
إلى وقتنا ، وسيظل فيما بعد ، كما وعد الله
الذى أنزله ، وتكفل بحفظه ... فلم يبق
إلا شأن واحد مقطوع به لدى العقول الواهية
وهو أنهم على باطل ، وأن كتاب الله حق
وأن محمداً فيما جاء به على تمام الصدق .

والثالثة : أن أحد لا يستطيع ذلك ،
ولا تكون له صفة الألوهية إلا الله - تعالى .

ومن هذا الطريق يكون الإنسان على
بصيرة ، وعلى رشد في دينه ، وفي دنياه ،
ويكون في وجهته متأسياً بهدى الله ، وداخلاً
للبيت من بابه المشروع .

٤ - ثم توجه بنا الآيات إلى مقارنة بين
من يتعلق بالدنيا وحدها : ومن عاش فيها
حريصاً على النجاة من مفاتها .

ففي الأول : « من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها ، نوف لإيهم أعمالهم فيها ، وهم فيها
لا ينجسون » .

يعنى : من جنح إلى دنياه ، وتعلق بزينتها ،
وتوفير الرغبات فيها : فإننا نوفيهم نصيبه من
جزاء فيها ... دون أن يتجاوز هذا إلى متاع
الآخرة ... وهذا شأن من لم يؤمن ، ولم
يأخذ نفسه بالاتجاه نحو العاقبة الحسنى .

فتناعه في حظه المقسوم له من أموال ،
وأولاد ، وجاه ، وأهراض . تزيد ، وتنقص
وتسر ، وتغرى ... ثم لا يكون هذا المتاع
على قدر ما يفرض العبد لنفسه ... بل على
نحو ما شاءت حكمة الله له ولغيره : من تقسيم
الحظوظ في حياتهم الدنيا ... ثم لا يكون
لهذا الكافر نصيب من رضوان الله عنه
في الآخرة .

المعترف بالحق ، ولا فضل له ... وهذه
نتيجة أولى لذلك الإنكار .

• • •

٢ - وهناك نتيجة علمية أخرى
نستفيدها ... وهي الاهتداء إلى توحيد الله ،
وأنه المتصرف وحده وأنه : لا إله إلا هو .
ومقتضى هذا : لزوم الحجة ، ووجوب
التسليم لله .

وذلك ما يصارحنا القرآن به ، في قوله
تعالى : « فهل أقم مسلون » .

فإن ذلك الاستفهام لا يراد به الاستعلام .
بل هو مطالبة بالإسلام في أحلوب يتضمن
الاستفهام ، وفيه تلييح بتكريم الإنسان
من المطالبة إلى تفويض الأمر لاختياره ،
والاستفهام منه مما يراد القيام به ... كما
تستفهم من رغبتك ، بدلا من التكليف بها
أو هو خطاب رفيق ، يدركه أولو الألباب .

٣ - فتلک نتائج تفرض على المكذبين
أن يمثلوا ، وتوجب عليهم وعلى كل إنسان
أن يصحح إيمانه ، ويسلم وجهه إلى الله ...
إحداها : العجز الفاضح عن مقاومة
القرآن ...

والثانية : العلم اليقيني بأن القرآن ما نزل
إلا من عند الله ...

وهذا نمط العدل السكامل بين الله وعباده
 حيث قصر العبد أملة ، وجهده على دنياه ،
 فإنه لا يتجاوز الإطار الذي رسمه لنفسه ...
 وذلك قوله تعالى : « ومن كان يريد حرث الدنيا
 نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب » .
 ثم لا يكون حظه في دنياه فسيحاً كما يشتهي
 لأن الأمر في هذا منوط بحكمة الله :
 لا برغبات الناس ، فإن الرغبات قد تكون
 مفسدة للدنيا ، والله لا يحب من الناس أن
 يفسدوا ... فلذلك كان عطاؤه لنا بقدر
 ما سبق في تقديره ، وفي حدود مشيئته « من
 كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ،
 ثم جعلنا له جهم يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً » .

فقوله تعالى في موضوعنا : « ومن فيها
 لا يبينسون » ، معناه : نعطيهم في الدنيا جزاءهم
 في حدود ما سبقت به الحكمة ، وبقدر
 ما قسمنا لهم من غير بخس لذلك المقدور .
 وهؤلاء الذين توارثوا الكفر بالقرآن :
 هم الذين يقول الله فيهم جميعاً : « ... أولئك
 الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، وحبط
 ما صنعوا فيها » ، وباطل ما كانوا يعملون ،
 يعني بطل عملهم الطيب الذي كان ينفعهم
 لو آمنوا في دنياهم فلاحظ لهم في أخراهم ،
 وذهب أهلهم هباءً منثوراً ، ويحفظنا الله من
 الضلال ، ومن سوء العاقبة ؟

عبد اللطيف البكي

القرآن

القرآن جبل الله الممدود ، وعهده الممدود ، وظله العميم ، وصراطه المستقيم ، وحجته
 الكبرى ، وحجته الوسطى ، وهو الواضح صديقه ، الراشد دليله الذي من استضاء بمصابيحه
 أبصر ونجا ، ومن أعرض عنه ضل وهدى .
 حجة الله وعهده ، ووعيده ووعد ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، بشير الثواب ،
 ونذير العقاب ، وشفاء الصدور ، وجلاء الأمور ، من فضائله أنه يقرأ دائماً ، ويكتب ،
 ويحلى ، ولا يمل ، ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه ، وتصور الموت أمامه ، طوبى
 لمن جعل القرآن مصباح قلبه ، ومفتاح لبه .
 من حق القرآن حفظ ترتيبه ، وحسن ترتيبه .

أبو إسحاق المصري القيرواني

الوَحْدَةُ المَعْنَوِيَّةُ فِي الإِسْلَامِ

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

بالتواضع ، وكانت النتائج المنطقية ، بل الطبيعية لهذا أن الإسلام - رغم الظروف السيئة التي مرت به بعد عصوره الذهبية - قد ظل يمتد ويتسع من نفسه وبذاته ، أى دون تدخل العوامل الخارجية حتى كسا رقعة الأرض من شواطئ الأطلنطي إلى شواطئ المحيط الهادئ جامعا تحت رايته شعوبا من أجناس مختلفة وأروام متعاوضة وألوان متباينة ، وأجواء متضادة ، ضاربا بكل هذه الاختلافات الظاهرية عرض الأفق متمسكا ببدأ واحد وهو : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، (آية ١٣ من سورة الحجرات) .

وهكذا بقى ذلك التراث العملاق سليما من أية شائبة مدى أربعة عشر قرنا من الزمان لم تنل منه أى منال تلك السكوارى المتلاحقة التي جعل الاستعمار البغيض يصبها على ميادئه ، وعلى رموس معتقيه واحدة تلو الأخرى ، بل إن تلك القوة الذاتية الناشئة من قواعد التأسيسية ، ومقدرته على التغلغل والامتداد بلا عون خارجي قد طفقتا يزيدان وتبضاعفان في وسط هذه

بما لا سبيل إلى الهك فيه أن جميع العلماء الأدباء الذين تخصصوا في دراسة التاريخ العام ، وتعمقوا في وقائعه ، وحلّلوا أحداثه قد اتفقوا بالإجماع على أن جميع شعوب الأصقاع التي فتحها الإسلام كانت كأنها في انتظاره ، أو على موعد منه تتلف على تجيزه بفارغ الصبر ، وأن سيوف المسلمين الفاتحين لم تزد على أنها كانت تزيل القشرة الخارجية التي كانت تحجب تلك الشعوب عن مشاهدة هذا النور المتلألئ ، فلما زالت هذه القشرة العارضة الحاجبة ، وسطع عليهم ذلك الضوء السامى الذى ملك أفئدتهم قبل أن يهرأهينهم ، وجد القلوب معدة ، والنفوس مستعدة ، والأجواء مهيأة ، والأرض مهيأة ، والطرق مهيأة لاستقباله ، بل لاحتضانه واعتناقه بصورة لم يسبق لها في هذه الحياة نظير ، فتثبتت أقدامه ورسخت قواعده وأركانه في جميع البلاد التي شرفها بفتحها ، وأقنطرها بمبادئه من الظلمات إلى النور ، وأغاثها من الباطل والضلال ، والظلم والفساد ، وأرشدنا إلى الحق والهدى والعدل والرفاء ، وقد عرفت هذه الشعوب قيمته ، واعترفت بفضلها عليها فعضت عليه

المغرضون من أنه غزا البلاد التي فتحها بالسيف ، كبرت كلفة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . نعم كذبوا في هذه الدعوى الباطلة ، لأن صيوف المسلمين الفاتحين لم تزل - كما أسلفنا - إلا القشرة السطحية التي كانت تحجب نور الإسلام عن تلك الأمم ، وبالتالي كانت تحول بينها وبين الهداة والسعادة ، ومن آيات ذلك أن هذا النور السماوي عند ما زالت من أمامه تلك الحجب تغلغل إلى أبعد حدود أعماق القلوب والعقول في أفراد تلك الشعوب ومجتمعاتها ولم يبق منحصرا في الطبقات الحاكمة التي لا تلبث أن تلفظ العقائد التي فرضت عليها فرضا وتنفيذها في سرور عند ما تتغير الظروف ، ولو أن الإسلام كان قد دخل تلك البلاد بالعنف والإكراه ، لحاولت الأمم المفتوحة أن تتخلص منه كلما حانت لها الفرصة ولما عشت عليه بالتواجد على هذا النحو الذي يشاهده ويشهد به الأعداء قبل الأصدقاء وهنا قد ينشأ سؤال ، مؤداه : من أين أتت إلى الإسلام هذه القوة الذاتية ، وتلك الجاذبية التي لا يقوى على مقاومتها كبره ولا صغيره؟ والإجابة على هذا السؤال هي : أن مبادئه التأسيسية تتجاوب مع حاجات الإنسان الفطرية إلى الإيمان والشعور والعمل ، وهذا القوس الدائم المركز في الإنسان هو منبثق من غريزة منطقية ،

العواصف الهوج ، والأعاصير الجائحة كما يسجل ذلك الأستاذ المستشرق «بيمر وندو» مدير مركز الدراسات العليا في إفريقيا وآسيا الحديثين في كتابه «الإسلام وصلو اليوم» إذ يقول ما فقه :

« من الموقن به أن تقدم الإسلام ليس ثابتا ولا مستمرا ، أو أن سرعة استمراره تزيد باطراد فحسب ، بل إنه في مجموعه أسرع من تقدم المسيحية ، (ص ٤٢ من المجلد الثاني) . فإذا أضفنا إلى ذلك أن للمسيحية مبشرين ودعاة لا يحصيهم العد ، وأمورا طائلة تفق سهولة رخيصة في إنشاء المدارس التبشيرية ، والمستشفيات الخيرية المثمرة في العلاج ، إذا أضفنا هذا كله تبين لنا أن الإسلام يحتوى على قوة واضحة من الحقيقة العقيدية التي لا يتناول إلى عليها أي دين آخر . وهذه الحقيقة هي التي تدفع العقول إلى اعتناقه بلا قسر ، بل في حرية كاملة ، لأن جميع الأنظمة الصناعية لا تحيا إلا حقا محدودة ، بل قصيرة لا تلبث أن تزول عند ما تنهار القوى المادية التي فرضتها فرضا وأرغمت الأمم على الخضوع لها ، هذه هي سنة الناموس الكوني الذي يزيل المسببات عند ما تزول العوامل التي كانت تسند كياناتها أو تتضافر على منحها الوجود .

أما الإسلام فليس من هذا النوع البتة ، لأنه لم يفرض بالعنف وغم ما يتخرس به

بسيطة تتخذ في القرآن هيئة ذات قوة وجلال منقطعي النظير ، وقد أدرك أدق المسشرقين المتعمقين الزهاء هذه الحقيقة وما تنتجه في نفوس المؤمنين من نتائج فردية واجتهادية ، إذ أنها لهم بمثابة مبدأ مرشد ذي قوة استثنائية يعبر لهم بديا عن وجود الإله الخالق المجازي المحرر بخيره ، والشريو بشره ، فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (آتي ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة) .

وبعد ذلك يكون هذا التوحيد رمزا للجهود المسلمين المبذولة لتحديد غاية معينة لكل حمل من أحلام المتعددة ، ولتوجيه هذه الغايات الفردية كلها نحو الغاية النهائية العظمى التي هي المبدأ الأول والغاية الأخيرة المعبر عنها بكلمة التوحيد ، . . لا إله إلا الله وحده هو الأول والآخرة والظاهر والباطن ، . وأخيرا ينبغي أن نقبح أن هذا التوحيد العقيدى يتكشف عن معنى هظيم يفيض على المجتمع النظام والخير والناسك والسعادة ، إذ أنه يتضمن وحدة أخوية حرة واسعة النطاق تربط بين الأمم دون أن يستعبد إحداها للآخرى أى أن مبادئ الإسلام الحقيقية لا تفرض على دولة أن تقيس نفسها على أخرى ، أو أن تحاكيها في أنظمتها الخاصة بل هي تترك لكل منهما تمام الحرية في الاختيار والعمل مادام أنها جميعها تستظل

أو من منطق غريزى كائن في أعماق كيانه مهما يكن جاهلا أو معدوم الثقافة والاستنارة ومعنى هذا أن الإيمان منبثق من غريزة منطقية ، هو أن الإنسان بفطرته لا يستطيع أن يقبل حقيقة عقيدية معروضة للتباين مع حقيقة عقيدية أخرى ، أو تشيخ قصير معروضة للحلول عقيدة أخرى محلها بينما أن سلسلة طويلة من مبادئ إنسانية متينة لا توجد فيها ثغرة ، ولا يصيبها صدع ، و طرفها متمم إلى الأصول الأولى ، هي تملأ قلبه بالثقة واليقين ، ولهذا وحده كانت المبادئ القرآنية المشتمة على الوحدة والعمومية ، بل الكونية والثبات تبدو - فطريا - للعقل كأنها هي ذات التعبير عن الحقيقة العقيدية .

وعما هو جدير بالإيضاح هنا أن هذه الوحدة القرآنية قد اثبتت قبل كل شىء من التوحيد الذى هو المبدأ الأول للإسلام والذى كان موضع الصدور والصدارة في عقيدته ، إذ أن الإسلام كله يتكون من الاعتقاد بآله واحد لا شريك له ، ولا هد ، ولا ند ، ولا مثل ولا شبهه ، ولا قسم والخضوع والامثال لأوامر هذا الإله الواحد الواردة في كتابه الكريم ، أو على لسان نبيه الجليل الذى لا ينطق عن الهوى ، وإنما كل أقواله وأفعاله وحى يوحى ، ولا ريب أن هذه العقيدة التوحيدية التى تبدو في ظاهرها

المشط لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ،
أقول : إن هذه التسوية ذاتها هي التي أبلغ
هنا ذلك الرسول الصادق الأمين بقوله :
(كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه
هما اللذان يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه)
وهذا المعنى العميق هو الذي رعى إليه القرآن
حين قال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام :
« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان
حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » (آية ٦٧ من
سورة آل عمران) أى أنه كان على دين الفطرة .
ولقد سمعنا من أحد المتفهمين من أنصاف
المتعلمين اعتراضاً على هذا التعبير القرآني ،
وتحكما متشدداً ، مؤداه أنه كيف يوصف
إبراهيم بأنه مسلم وقد وجد قبل الإسلام
بأكثر من عشرين قرناً ؟ ! فالجواب حجراً
بقولنا : (إن معنى الآية الشريفة هو أن
إبراهيم كان على دين الفطرة الذي لا فرق
بينه وبين الإسلام ألبتة) .

كانت التسوية التي نص عليها القرآن بين
بني البشر جميعاً إذن موجودة وتامة ولم تحدث
الفرقة إلا فيما بعد ، وبأسباب خارجية ،
وعلى أجنبية ، دعت إليها الأغراض
والأهواء ، أو العوامل التي لم يكن بد من
طروئها على الاناسي كنفوس العهد ، ونسيان
التعاليم الإلهية ، فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن
مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال

براية الكتاب الكريم والسنة الفسراء
دون أن تضيق على نفسها مسالك الحياة
« أتم أعلم بأمور دينناكم » . ولا جرم أن
هذا الاختلاف في الأنظمة الداخلية ،
لا يتعارض مع الاتحاد الروحي الذي يكون
الأسرة الإسلامية الكبرى التي تعيش
في رحاب الإيمان وتحت راية الإسلام هيثة
السلام والوئام .

على أن هذا التوحيد العقيدى المنتهى إلى
الوحدة المتينة ، لم يبدأ بظهور الإسلام ،
بل بدأ متجهاً إلى بني الإنسان جميعاً منذ
الميثاق الأول : « وإذا أخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
أليس بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم
القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » (آية ١٧٢
من سورة الأعراف) . ومن هذا الميثاق
الأول الذي يصوره لنا القرآن أسى تصوير
وأكله ، يتبين لنا أن الله جل وعلا
قد أفهم البشرية قبل حلول أرواح أفرادها
في أجسامهم ، أنه هو الأحـد الخالق المنعم
المتفضل الجدير بالمعرفة والعبادة ، وأنه أخذ
عليهم العهد والميثاق جميعاً ألا يعبدوا إلا إياه .
ولارب أن هذه التسوية السكاملة أمام
الميثاق والتي تتفق أتم الاتفاق مع قول
القرآن : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة ... » (آية واحدة من سورة
النساء) وقول النبي الجليل : « الناس كأسنان

كما أوحى إلى اليهود ، وأن « شانج - تي » ،
ليس سوى إله الكتاب المقدس ... وفوق
ذلك فإن هزيمة الأخلاق الصينية ونفائها
كانا يبدوان غير مفهومين لدى المسيحيين
الأوروبيين لولا أن فرضوا نظرية الوحي
الإلهي في تلك الأصقاع .

ولا ريب أن هذا يؤيد ما قلناه مراراً
في هذا الصدد : من أن الميثاق الأول قد شمل
الجميع ، وأن الرسائل السماوية قد أرسلت
إلى الكل بلا استثناء ، ومن ثم فإن هذا
الذهول الذي أصاب الأوروبيين عندما ألما
بالإلهية والأخلاق الصينية لم يصب
المسلمين أدنى إصابة ، لأن القرآن كان قد
أنار لهم هذا الجانب الأسامي من جوانب
الحياة فأدركوا أن الله جل شأنه قبل الوحي
الإسلامي ، لم يهمل أية بقعة من بقاع الأرض
دون رسالة هي واحدة في كل مكان وكل زمان
ولا تختلف إلا في التفاصيل التي تلتئم مع
العقليات المتباينة التي يتفق بعضها مع هذه
الرسالة وبعضها مع تلك ، ولكن العدالة
الإلهية لم تحرم أحداً هذا الفضل المائل
في الرسائل جميعها ، وإن من أمة إلا خلا
فيها نذير ، (آية ٢٤ من سورة فاطر) .

ومن الآيات الواضحات في هذا الشأن أن
(إفلاطون) حكيم أثينا الذي تتلمذ على كهنة
مصر كناية الله في أرضه (كما قال النبي عليه
صلوات الله وسلامه) فعرف من أسانده

تطلع على خاتمة منهم إلا قليلاً منهم فاعف
عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين .
(آية ١٣ من سورة المائدة) .

أو كتحرير كلام الله وتشويه تعاليمه
وجعلها دميعة في ألفاظها ومعانيها ، أفقتطمعون
أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
وهم يعلمون . (آية ٧٥ من سورة البقرة)
أو كالخضوع للأهواء واتباع الأغراض
التي تصد عن التعاليم الإلهية ولو كان المفرضون
يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن
فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ،
(آية ١٤٦ من سورة البقرة) .

وعما يسترعى الانتباه في هذه المناسبة
أن معرفة هذا التوحيد المبدئي لدى المسلمين
من طريق القرآن الذي حدثهم عن الميثاق
الأول قد سمحت لهم بأن يدركوا هذه الفطرية
أكثر من غيرهم من أهل الأديان الأخرى ،
إذ أن الأستاذ (زانكير) المستشرق الألماني
يسجل ذلك في مقدمة كتابه (تاريخ الفلسفة
الصينية إذ يقول ما نصه :

« إن المبشرين المسيحيين الذين كانوا أول
من عنوا بالفلسفة الصينية ، قد ذهلوا من
عمق النظريات الأخلاقية وفتاتها ، وأجمعوا
على أنه لا يمكن شرح هذه الظاهرة إلا إذا
أمنوا بأن الإله قد أوحى إلى الصينيين

المرتبطة بكل واحدة منها . وأكثر من ذلك التفصيل الشاملة للبحث والحشر والسؤال والميزان والصراف ، وما إلى ذلك مما هو بارك في النصوص الإسلامية . ولقد انحرفت عقليات بعض المستشرقين في هذا الصدد فسلكوا في تعليل هذا كله مسالك ملتوية معوجة ، إذ زعموا أن الأديان التي تدعى الصغرية قد أخذت هذه الصور كلها من أساطير الأديان الوثنية بدلا من أن يفهموا الحقيقة المستقيمة ، وهي أن تلك الصور المصرية القديمة ليست سوى بقايا ظلت محفوظة من دين الفطرة الذي أوحى إلى الجميع بغير استثناء ، والذي هو في ذاته فكرة عقلية بلغت أقصى الدرجات وأسماءها .

غير أن سؤالنا لا بد منه يعرض هذا بطريقة طبيعية ، وهو : ما الذي سوأ هذه الفكرة الفطرية لدى بعض الشعوب وغير من معالمها وشوه جمالها ، وبطل أهدافها لدى البعض الآخر ؟ .

والإجابة على هذا السؤال هي أن هذه الفكرة التوحيدية قد تغلغت في الهداية والإرشاد في عالم هوريس الأخطاء والآثانية والغفيرة والحسد والاحقاد والمطامع والتمهوات والآهواء والمنافع . وبالإجمال كل أسباب التباغض والتنافر والوثنية والإلحاد وما إلى ذلك مما أشار إليه القرآن حينما ، وأسهب في تفصيله أحيانا فمضافت كل هذه العوامل المدمرة على تشويه هذه

أسرار الدين الفطري ومكنوناته ثم سجل في مؤلفاته عن الألوهية تسجيلات جعلت أعلام المفكرين يطلقون عليه اسم إفلاطون الإلهي ، وأنه أول من جعل العدالة مركز الفضائل ، وأنه أول من ربط السياسة بالأخلاق ذلك الربط القوي المحكم الذي لم تستطع القرون الطويلة أن تفهم وراءه ، بل إن الساحة المعاصرين الضالعين المضلين لا يزالون حتى الآن يتعككون بالمبادئ التي وضعها هذا الحكيم منذ أربعة وعشرين قرنا . وليس هذا فحسب ، بل إن من تلقى نظرة متفحصة على الفيدا ، كتاب الهندو المقدس ، يسترعى نظره ، بل يبهره في كل خطواته ما يلفيه فيه من فكرة الإله الأحد ، ولو أنها غطيت - في كثير من الأحيان - بقشور صدفية تلتهم مع عقليات العامة وخرافات الجماهير . ولكن قد بقيت أضواء دين الفطرة فيها ساطعة مثلثة تنبج مباشرة إلى قلوب الأتقياء وعقول المثقفين ، بل إن من يتصفح تاريخ مصر الفرعونية ولم يكن قد استضاء بضوء القرآن فإنه يصيبه نفس الذبول الذي أصاب المسيحيين الأوروبيين عندما أموا بالألوهية والأخلاق الصيفيتين في العصور الآثرية ، إذ أن المرء لا يسكاد يلم بالديانة المصرية القديمة حتى يبهره ما يجده فيها من تصورات دقيقة للفضائل والذائل ، والخيرات والشور ، والمثوبات والعقوبات

ولما عن طريق الجهود الخلقية الشخصية التي تكون القدوة المقترية من أخلاق النبي بقدر المستطاع .

وأخيرا ينبغي أن نعيد إلى الأذهان أن فكرة الوحدة المنبثقة عن توحيد المبدأ الأول هي على قم الفكر الفلسفي ، وأن فلاسفة الإسلام الذين طال تبجرهم في عظات القرآن ودهوته المؤمنين إلى التفكير والتأمل في أسرار الكون ، قد استلهموا منه طرق النظر المتنوعة ثم انتهوا بفضلها إلى إدراك مبدأ التوحيد وصدور الكون كله عن الواحد الذي لا شريك له ، وتبينوا من جهة أن المتعددات التي يكتمل بها الكون صادرة كلها من هذا الواحد الخالق ، وأن العقل البشري من جهة أخرى قد استطاع بفضل الفيض الإلهي أن يرجع هذه المتعددات الكثيرة إلى الوحدة الصادرة عن الواحد وما أمرنا إلا واحدة كلج بالبصر ، (آية ٥٠ من سورة القمر) .

وقصارى القول أن كشف القرآن لهذه الوحدة العميقة ، ودعوته إلى العودة إليها قد منحنا الإسلام هذه المقدرة الفائقة على الإقناع ، وتلك القوة الدفاعية التي تتقدم به يوما عن يوم في طريق التغلب على المعنويات في محيطات السماوات ، والامتداد المادي في محيطات الحياة ، والتي ضمنيت له الصلاحية لجميع الأزمنة والأمكنة بلا استثناء .

الدكتور محمد غنوي

الوحدة الفطرية ، وكست نورها الأزل الأبدي بستر خارجي كثيف يحجبها عن الناس وإن كان لا يستطيع أن ينال من ذاتها أدنى منال ، لأنها من عالم النور والخلود .

وهنا شامت الإرادة الإلهية أن تتابع إجماعات جزئية محلية خصصت لإرشاد الضالين ولجمع النفوس المتفرقة المنتثرة في أنحاء الحياة ، فجعلت تؤدي رسالاتها بقدر ما تسمح لها طبائع المرسلين الذين كفوا بها ، وظروفهم إلى أن آن أو ان الرسالة القرآنية التي شرحت أصل هذا التوحيد ، وأبانت عناصر هذه التفرقة ، ثم أوضحت عوامل العودة إلى الوحدة ففي الواقع أن أضواء القرآن لم تسلك تشع حتى مزقت تلك الأسرار ، وبددت ظلماتها ، وكشفت عن الآلاء الذي بهر العقول ، وأخذ بمجامع القلوب ، إذ طفق القرآن يدهونا إلى العودة التامة إلى الوحدة العميقة التي رسمت خطوطا للأمة الإسلامية في كتابها وسقفا وسولها بهيئة بارزة ، إذ يوجه القرآن الدعوة إلى كل فرد أن يسهم في تحقيق الوحدة المؤسسة على التوحيد : إما بواسطة الإقناع المكون من أسلوب السلام والدعوة وجادلهم بالتي هي أحسن ، . (آية رقم ١٢٥ من سورة النحل) . قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، . (آية رقم ٦٤ من سورة آل عمران) .

مكانة الفقهاء الإسلاميين

للاستاذ زكريا البري

- ٢ -

أصول الشريعة أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وهذه الآية مشتملة على تقرير هذه الأصول الأربعة بهذا الترتيب ، أما الكتاب والسنة فقد وقعت الإشارة إليهما بقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وقوله تعالى « وأولى الأمر منكم ، يدل على أن إجماع الأمة حجة ، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم ، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد أن يكون معصوما من الخطأ ...

والإمكان في ذلك أمر من الله بمطاعة الخطأ المحتمل ... والمعصومون هم أولو الحل والعقد من الأمة ، وهم أولو الأمر (١) وقوله تعالى : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، يدل على أن القياس حجة ، والمراد فإن تنازعتم في شئ حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والإجماع فردوا حكمه إلى الأحكام المنصوصة

(١) لعل المحذوف من كلام الرازي كقيل بإلقاء أضواء على المقصود من : إجماع الأمة ، وأولى الأمر ، وأهل الحل والعقد ، وما بين ذلك من عموم وخوص .

مجلة الأزهر

المنهج القرآني لمعرفة الحكم الشرعي :
بينما في مقالنا السابق مكانة الفقه الإسلامي وحيويته ، ووعدنا بعرض المنهج القرآني الخالد ، في معرفة الحكم الشرعي ، والذي يتضمن لهذا الفقه الاحتفاظ بمفصاته وأهدافه في تنظيم العلاقات الاجتماعية ، وتحقيق السعادة البشرية .

وفي هذا يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ، (١) .

بهذه الآية الكريمة الجامعة ، رسم القرآن المنهج الإسلامي ، لتعرف الأحكام الإلهية ، في كل ما عرض أو يعرض للمسلمين في حياتهم وشؤونهم ، بجوانبها المختلفة وآفاقها للمفسيحة الاجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها .

يقول الإمام الرازي : « اعلم أن هذه الآية آية شريفة ، مشتملة على أكثر علم أصول الفقه ، وذلك لأن الفقهاء قروا : أن

(١) الآية ٥٩ من -سورة النساء-

لسياسة الناس في مختلف العصور والبيئات ،
ويتسع لحاجاتهم المتعددة والمتغيرة والمتجددة ،
من أن يقف عند وضع القواعد الشكلية ،
والأسس العامة ، دون دخول في التفاصيل
والجزئيات ، وذلك فيما يمكن أن تتطور فيه
حالة المجتمع وتغير ، ففي النظام الدستوري
مثلا لا يحدد القرآن شكلا معيناً للحكومة ،
ولا لتوزيع السلطات فيها ، ولا لطريقة
الشورى ، وإنما يقرر العدل : « وإذا حكمتم
بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، وينادى
بالشورى : « وشاورهم فى الأمر » ، وأمرهم
شورى بينهم ، ويعلم الإخاء والمساواة :
« إنما المؤمنون إخوة » .

وفى العلاقات الدولية يؤسسها على السلام
والتعاون بين أفراد المجتمع الإنسانى : « وإن
جنتحوا السلم فاجتنب لها وتوكل على الله » ،
« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك فى الدين
ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا
إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

وفى المعاملات المدنية يضع أسسها العامة ،
ومضى التراضى ، وعدم أكل الأموال بالباطل
والوفاء بالعقود : « يا أيها الذين آمنوا
لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن
تكون تجارة عن تراضٍ منكم » ، « يحق الله
الربا ويربى الصدقات » ، « يا أيها الذين آمنوا
أوفوا بالعقود » ، وهكذا .

فى الوقائع المشابهة له ،^(١) وقد جاءت آيات
وأحاديث كثيرة زادت هذا المنهج وضوحا
وتفصيلا ومنشده إليها فيما بعد .
القرآن الكريم :

فأول المصادر الإسلامية كتاب الله ، الذى
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه . يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم - (٢) : « كتاب الله ، فيه نبأ ما بعدكم ،
وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ،
من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى
الهدى فى غيبه أضله الله ، وهو حبل الله
المتين ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى
لا تزيف فيه الأهواء ، ولا تشيع منه العلماء ،
ولا تلبس به الألسن ، ولا يخلق هلى كثرة
الرد ، ولا تنقض عجايبه ، وهو الذى لم تنته
الجن لما سمعته حتى قالوا : إنما سمعنا قرآنا عجبا
يهدى إلى الرشـد ، من قال به صدق ، ومن حكم
به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن هدى به
هدى إلى صراط مستقيم » .

ولابد الدستور الإلهى الخالد ، حتى يصلح

(١) مفاتيح الغيب ٣ : ٣٥٧ وما بعدها ،
بصرف وحذف ، وانظر روح المعاني للألبانى ٥٥
ص ٦٠ ط المنيرة .

(٢) أخرجه الترمذى عن على رضى الله عنه ،
قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
إنها ستكون فتنة ، قلت : فما المخرج منها يا رسول
قال : بكتاب الله . . .

السنة النبوية :

وقد جعل الله له هذا البيان في قوله تعالى :
« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ » ، يقول حسان بن عطية : كان الوحي
ينزل على رسول الله ، ويحضره جبريل بالسنة
التي تفسره ^(١) .

وقد حاول بعض الناس أن يهكسكوا في
حجية السنة قديما وحديثا ، بحسن نية وسداجة
حينما ، وبسوء نية وباطلة ، وأخذوا
بتمسكون بشبه باطلة ، فقالوا : إن القرآن
قد حوى كل شيء ، فهو يغنينا عنها ، مستقدين
إلى قوله تعالى : « مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
شَيْءٍ » ، وقوله تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ » .

ومن هنا تكامل الله بحفظه وحده في قوله
تعالى : « إِنْ أَنْزَلْنَاهُ نَزْلًا ذِكْرًا ، وَلَئِنْ لَمْ
نَحْفَظْهُ ، لَفَ كُنَّا أُولَ الْأَلْسِنَةِ » ، التي نهى الرسول - صلى الله عليه
وسلم - عن كتابتها في مثل قوله : « لَا تَكْتُبُوا
عَنِّي ، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُحْهُ » ،
ثم قالوا : إن العمل بالسنة - وهي مختلف
في صحة الكثير منها - يؤدي إلى اضطراب
أمر التشريع والاختلاف فيه .

ولهذا ، ولأن القرآن الكريم ، حال
ذو وجوه - كما قال الإمام علي - حين بحث
عبد الله بن عباس إلى الخوارج وقال له :
« لَا تَخَاصِمُهُم بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَالٌ ذُو وَجُوهِ » ،
نقول ويقولون ، ولكن حاجتهم بالسنة ،
فإنهم إن يجدوا عنها مبيها ، ^(٢) كانت السنة
النبوية - وهي أقوال الرسول - صلى الله عليه
عليه وسلم - وأفعاله وتقريراته ، في مقام
الهداية والتشريع ، هي المصدر الثاني بعد
القرآن نفسه ، يقول الله سبحانه : « مَنْ
يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » ، ويقول :
« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا » ، « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوَدَّةٍ إِذَا
قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ
مِنْ أَمْرِهِمْ » ، « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يَحْكُمَوكَ فِيمَا شِجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
حَرَجًا بِمَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

وقد جاء القرآن بفرائض مجملة في الصلاة
والزكاة والصيام والحج وغيرها ، ولا يمكن
معرفة هذه الفرائض إلا ببيان الرسل لها ^(٣) .

(١) نهج البلاغة - ٢ ص ١٣٦ شرح الامام
محمد عبده . ط الحلبي .

(٢) وقد استفتى رجل عمران بن حصين ، فأجابته
بحديث ، فقال له الرجل : حدثونا عن كتاب الله
عز وجل ، فقال له : إنك امرؤ أحمق ، أنجد في كتاب
الله صلاة للظاهر أربعا لا يجهر فيها ، وعدله أمثلة
كثيرة ، ثم قال له : أنجد هذا مفسرا في كتاب الله ؟
كتاب الله قد أحكم ، ذلك والسنة تفسره .

(١) وقد سئل الإمام أحمد عن قول بعض
العلماء : إن السنة قاضية على الكتاب ، فخرج من
هذا التعبير ، وقال : ما أجبر على هذا أن أقوله ،
إن السنة تفسر الكتاب وتبينه (المرافقات
لشاطبي - ٤ ص ٢٦) .

فأما كتابة القرآن وحده أول الأمر ، ونهى الرسول عن كتابتها ، فإنه لا يدل على عدم حجيتها ، لأن النهى عن كتابتها ، إنما كان بالنسبة لكتابة الوحي خاصة ، أو الذين يكتبون السنة مع القرآن في صحيفة واحدة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ، بدليل أن الرسول أباح الرواية عنه في نفس الحديث الذي ينهى عن كتابتها وقال : حدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، فإن الأمر بالتحديث بالسنة ، وتهديد من يكذب على الرسول فيها بالعقوبة دليل على حجيتها . وقد أجاز الرسول لبعض الصحابة كتابة السنة ، حين كان يأمن اختلاطها بالقرآن ، كما حدث مع ابن عمر .

وأما القول بأن العمل بالسنة أدى ويؤدي إلى الاختلاف ، فظراً لتفاوت العلماء في الحكم بصحة الأحاديث وعدم صحتها ، فإنه مردود ، لأن الاختلاف القائم على أسباب منطقية وهلمية ، أمر لا يخلو منه أى تشريع في الدنيا سماوياً أو وصفيها ، قديماً أو حديثاً ، ولن يزول هذا الخلاف بالاستناد إلى القرآن وحده ، وإهمال السنة ، بل يزيد ويشدد ، فإن القرآن حال ذو وجوه ، والسنة معه تؤدي من الأغراض ما تؤديه المذكرات الإيضاحية للقوانين واللوائح المتممة لها .

وقد تغافل هؤلاء عن الآيات القرآنية التي أوردنا بعضها في الاعتماد على السنة مرجعها ودليلاً ، وعن أن السنة لا يعمل بها إلا إذا ثبت صدقها بطريق اليقين أو الظن الراجح .

أما استدلالهم بقوله تعالى : د ما فرطنا في الكتاب من شيء ، فع التسلية بأن المراد في هذه الآية هو القرآن ، وليس اللوح المحفوظ ، كما هو واضح من السياق قبله ، إذ تقول الآية : د وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ، فإنه يدل على اشتغال القرآن على كل شيء من الأصول والقواعد الكلية فقط ، ومن تلك الأصول الرجوع إلى السنة التي قرر القرآن حجيتها ، وهذا هو المقصود أيضاً من قوله تعالى : د ونزلنا عليك الكتاب تبلياً لنا لكل شيء ، .

أما قوله تعالى : د إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون ، ، فإنه لا يعنى أن القرآن هو المحفوظ فقط ، بل إن حفظ الله قد شمل كلام القرآن والسنة ، وكما حفظ القرآن بالتواتر في الصدور وفي السطور ، فقد حفظت السنة بالنقل الصحيح عن طريق الصحابة وتابعيهم بإحسان ، ثم بالتدوين في المصنفات والمسانيد ، ووضع الصواب والمقاييس العلمية الدقيقة ، في السند والماتن ، لقبول الصحيح منها ، ورد الدخيل عنها .

يقول الشافعى : إذا بين الرسول آية
 فى الكتاب ، فمن الله بين وحكم الله هو ما
 فى الكتاب على ما بين الرسول ، وكما أنه
 ليس للمسلم أن يخرج عن الكتاب ، ليس له
 أن يخرج عن بيانه الذى بينه الرسول ، لأن
 النص وبيانه من الله ويقول الشاطبى : لا ينبغي
 فى الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه ، دون
 النظر فى شرحه وبيانه وهو السفة ، لأنه إذا
 كان كليا وفيه أمور كلية ، كما فى شأن الصلاة
 والزكاة والصوم والحج ونحوها ، فلا يحصى
 عن النظر فى بيانه ، ولقد صدق مطرف بن
 عبد الله فى قوله : والله ما نريد بالقرآن
 بدىلا ، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن ،
 ودأ على من قال له : لا تهذونا إلا بالقرآن ،
 ولهذا كان ثبوت حجية السنة المطهرة
 واستقلالها بتشريع الأحكام - ضرورة دينية
 لا يخالف فى ذلك إلا من لاحظ له فى دين الإسلام ،
 كما يقول الشوكانى (١) .
 ولا تكون السنة صحيحة إذا عارضت نصا
 قرآنيا قاطعا فى دلالة ، أو حكما عرف من
 الدين معرفة ضرورية يعلمها الخاص والعام ،
 أو خالفت بدهيات العقول وأحكامها القطعية
 التى لا يتردد فيها عاقل ، لأن ذلك يدل على عدم
 صحة نسبتها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم
 فإن أقوال النبى هى الحكمة ، التى جاء ذكرها
 فى مثل قوله تعالى : وأنزل الله عليكم الكتاب
 والحكمة ، وهلك مالم تكن تعلم ، ويقول
 الفزالى : وإذا كان الحديث مخالفا للعلوم القطعية
 عند أهل العلوم ، وجب رده إذا كان خبر
 آحاد ، ويكون ذلك دليلا على عدم صحة
 نسبتها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم .

(١) إرشاد الفحول ص ٢٩ .

يتبع
 ذكرى البرى

الجدال بغير علم

ألم تروا أن الله يخبركم ما فى السموات وما فى الأرض وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة :
 ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . وإذا قيل لهم اتبعوا
 ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم
 إلى مذبذب السعير .

دراسات حول القرآن : السَّجْعُ وَالْقُرْآنُ وَالْبَاقِلَانِي للدكتور عبد الرؤوف مخلوف

الأشعري قد ذكر ذلك في غير موضع من كتبه ، ويقرر أن من ذهبوا إلى إثبات السجع في القرآن قد زعموا أن ذلك مما يبين فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة .

ولا يقبل الباقلاني آراء القوم المثبتين للسجع في القرآن ورأيه في النفي يقوم على أمور منها :

أولاً : أنه لو كان القرآن سجعاً - أو فيه من السجع - لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها أو واحداً منها لم يقع بذلك إعجاز .

ثانياً : لو كان في القرآن سجع لجاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، ويقع ذلك - عنده - أن يقولوا : هو شعر معجز .

ثالثاً : أن السجع مما يألوه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لأن الكهانة تنافي النبوات ، وليس كذلك الشعر . فإذا كان القرآن نفي

من القضايا الفنية التي حظيت بعناية البلاغ العرب قضية الأصوات والموسيقى في الأداء اللغوي ، وقد اندرجت مباحث العلماء في هذه القضية تحت عناوين كثيرة اصطلاحوا عليها في علوم البلاغة من بينها السجع .

ومن تعرض لهذه القضية أبو بكر محمد ابن الطيب الباقلاني المتوفى ٤٠٣ هـ ، وهو أحد رموز السنة في المائة الرابعة الهجرية ، وصاحب كتب كثيرة في علوم الكلام والعقيدة . ومن بين كتبه كتابه المسمى (إعجاز القرآن) الذي نزع فيه منزع رجال البلاغة ، وعرض فيه لطائفة من قضاياها الوثيقة الصلة بمباحث اللغة ، لغة القرآن ، ومن بينها السجع .

وقبل أن ندلي برأينا في رأيه ، نرى ، ويحتم المنهج الصحيح أن نعرض مذهبه في القضية ، لا سيما وهو مذهب كثيرين كما يقول .

يرى الباقلاني أن ليس في القرآن سجع ، ويذكر أن قد ذهب أصحابه كلهم إلى نفي السجع من القرآن) وأن شيخه أبا الحسن

قد استهان ببديع نظمه ، وعجيب تأليفه الذى وقع التحدى إليه .

تلك جملة ما احتج به الباقلاقى لنعنى السجع من القرآن ، وحين ننعم النظر فيها نرى غلبة روح علم الكلام عليها ، فأولها : أن أصحابه ، وعلى رأسهم شيخه أبو الحسن الأشعرى ذهبوا إلى ما ذهب إليه ، ومعروف أن أصحابه وشيخه كانوا من علماء الكلام والجسد ، وليسوا من البلاغة وفنية الكلام فى كثير . والقضية قضية النقد والبلاغة ورجالها قبل أن تكون قضية علم الكلام ورجالها ، وعلى هذا يكون الاحتجاج برأيهم فيها احتجاجا برأى غير خبير .

وأما أنه لو كان فى القرآن سجع لكان جاريا على غرار كلام العرب ، فإننا لا نرى مانعا يمنع أن يكون القرآن كذلك . بل هو فى واقع الأمر كذلك ، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، وهو يتحدث عن نفسه وأنه جاء بلسان عربى مبين ، وإعجازه ، والأمر كذلك ، يرجع إلى فوته سائر كلامهم فى نظمه وتأليفه مراعىا مناسبة اللفظة - من جميع الاعتبارات الفنية - للبنى . وليس لإعجازه من جهة المخالفة فى الجففس ، لأن مخالفة الكلام فى الجنس لا تعنى عليه فنية ، ولا تكسبه صفة البلاغة لذاتها فضلا عن أن تبلغ به حد الإعجاز .

وأما أنه لو كان سجعاً لصح أن يقال فيه :

من نفسه بنفسه أن يكون شعرا ، فكذلك لا بد أن يتقن عنه أن يكون سجعاً .

رابعا : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للذين كلوه فى شأن الجنين وقالوا : (كيف تذى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس ذلك دمه قد يطل ؟ قال لهم عليه السلام : أسيحاه كسجاعة الجاهلية ؟ وفى رواية : أسيحاه كسجع السكهان ؟) .

خامسا : لو سلم لمثبتي السجع موضع أو مواضع معدودة منه فى القرآن لم تعد سجعاً لقلتها ، ولأنها لم تأت فيها مقصودا إليها ، ومثلها - حينئذ - كمثل عبارات منه جاءت هتزة بأوزان الشعر فلم يدع من أجلها أن فيه شعرا ، فكذلك حال السجع الذى يزعمونه ويقدرونه .

سادسا : يقول : لو كان الذى فى القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموما مرزولا ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقة كان قبيحا من الكلام ، لأن السجع له - فيما يرى - منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط ، متى أدخل به المتكلم وقع الخلل فى كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة ، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا . ومن جسوز وقوع السجع فى القرآن فإنه يكون قد سلم بوقوع الخطب فى طريقة النظم ، وأنه من فرق شتى ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم . ويكون

لا يقال في القرآن الكريم أسجاع ، بل إنما يقال فواصل ، أما مناسبة فواصل فلفظه تعالى : « كتاب فصلت آياته ، وأما اجتنب » أسجاع ، فلأن أصله من سجع الطيور .

بل جاوز الأمر في السجع حد الرأي فإذا هم يروون أحاديث تنهى عنه فقد جاء في إحياء علوم الدين للغزالي رواية تذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إياكم والسجع في الدماء ، حسب أحدكم أن يقول : اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من عمل ولكن رجال مصطلح الحديث لا يعمرون بمثل هذه الرواية دون أن يقولوا حديث إياكم والسجع في الدماء ، غريب .

وهكذا يقع ناس على البلاغة وفنية الكلام ما يسمى إليها وإلى قضية الإيجاز التي تقوم على فن الكلمة في نظم القرآن ، ومن ثم ما قال الأستاذ علي الجندى وهذا هو الخلط الذي لا ندلم به ، والمغالاة الظاهرة التي تحمل معاني الحجر ، والتضييق ، والتمحك ، فالفاصلة التي منعوا استعمالها في الشعر لأنها من خصائص القرآن معروفة للعرب قبل نزول القرآن ، وهي في الأصل الحُرزة بين الحُرزتين ، وكيف لا نقول « فاصلة » في الشعر وهي جزء من أجزائه ! إن الأمر لا يخرج عن أن يكون استعمالاً لغوياً سائفاً لا ضير فيه على التنزيل الحكيم ، والله سمي الوعشى كتابه في النحو « المفصل » ولم

هو سجع معجز ؛ فإننا لا نرى مانعاً يمنع من ذلك ما دامت قد تحققت فيه صفة الإيجاز ، ولفظ قدر البشر وطاقاتهم .

ويبدو أن نزعة الجسد عند الباقلاني وأضرابه من نزوها منزعه هي التي حملتهم على أن ينكروا أن يسمى ما في القرآن من سجع سجماً لأنهم رأوا الكلمة تطلق على أصوات الطير كما في قول ابن دريد : « سجع الحمامة معناه : رددت صوتها ، وأنشد :

طربت فأبكتك الحمام السواجم

تميل بها ضحوا غصون نوائح

على أن إفعام الدين في البلاغة ، ودراسات القرآن لم يكن مذهب الباقلاني لحسب ، وإنما هو اتجاه غلب على كثيرين ؛ غلب على أبي يعقوب المغربي حين قال : « ولا يقال في القرآن أسجاع ، بمعنى أنه ينهى عنه ، لا لعدم وجوده في نفس الأمر ، بل لرعاية الأدب وأعظم القرآن وتنزيهه عن التصريح بما أصله في الحمام التي هي من الدواب العجم ولكونه من فئات السكينة في كثرة أصل إطلاقه . وغلب على التفتازاني حين قال : ولا يقال في القرآن أسجاع وعناية الأدب ، وأعظمها ، إذ السجع في الأصل هدير الحمام ونحوه . . . وقيل لعدم الإذن الشرعي ، . . . على أن الرجل اتبع ذلك بقوله : وفيه نظر . وغلب على بهاء الدين السبكي حين قال :

فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد ، إذ لو كان الأمر على ذلك لكان كل أديب من الأدباء سجعاً ، وليس السجع كما يقع في الوهم بيداء يركب منها اعتسافاً بلا تبصر ولا تفكير ، ولكن طريقاً لحب تحفه الحدود الواضحة الدقيقة ، وتنظيمه الصوي المرشدة ، والمعالم المادية ، وهو مع ذلك ليس سيراً على بساط تخيل منقوش بالأزهار يتهادى عليه من شاء كيف شاء مزهواً مختالاً ، ولذكفه خطأ بطيئة تثقلها الأصناف فوق شوك حاد نافذ يحتاج إلى إحمال الفكر ، وإنعام النظر قبل نقله كل قدم .

يقول الباقلائي : (قد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعاً متقارب الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضه مما يمتد حتى يتضاهف طول له عليه ، وتزد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير - يقول الباقلائي : - وهذا في السجع غير مرضى ولا محمود) . وينظر لذلك بالشعر فيقول : إنه متى وقع أحد مصراعى البيت مخالفاً للآخر كان ذلك تخليطاً وخبطاً ، كذلك فإنه لما اضطرب أحد مصراعى السجع وتفاوت كان خبطاً) .

وظاهر من هذا النص أن الرجل يشترط في السجع التماثل في الوزن وفي الصوت الأخير من الفقرتين أو الفقر . ومتى لم يتحقق ذلك فإنه لا يعد الكلام سجعاً . والذي حمّله على تضيق ما وضعته اللغة ، وارتضاء الجمهور

بمنعه من ذلك أن المفصل اسم لسور خاصة من القرآن ..

أما أن السكّهان كانوا يسجعون ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذي سجع : أتسجاعة كسجاعة السكّهان .. فإن له وجهاً آخر توضيحه أن السجع صورة من صور الأداء الدعائي في اللغة تتفاوت درجاتها من حيث الصنعة والفنية ، فتأتي غثة منحدرة لا تمك إلا أن نردها كسجع العصور المتأخرة ، وكأسجاع مسيلة وأشباهه ممن كانوا يعتمدون إياه للتأثير على السامعين ، ومنه كلمة الرجل للنبي ، وكأنما أراد أن يؤثر عليه بموسيقى السجع حتى يحكم له كما يريد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقالته ليبين له أنه لن يؤخذ بسحر السجع ، وإنما سيقضى بالحق ، وتبقى للسجع بعد ذلك كله خصائصه التي يشترك فيها مع سائر صور الأداء اللغوي . يبقى له أن يجيده جيد ، ورديته ردي ، ولهذا ذاك صفاته . وكون السكّهان تكلفوا السجع لما أرادوا التوبة والتأثير على من يقصدونهم ، فأخضعوا المعاني للألفاظ ، وأفسروا الألفاظ للمعاني لا ينال من السجع إذا جاء على النفس الأصح ، وجاءت فيه الألفاظ لما استهدتها المعاني محقة مع ذلك ضرباً من الموسيقى يزيد التأثير فيبلغ الكلام بإجماع الطرفين غاية من البلاغة حتى ليرقى بذلك إلى حد الإعجاز كما في القرآن ، وليس الوقوف في السجع عند الاعتدال

وهو ما نلاحظ فيه مقابلة المتحرك بالمتحرك، وإن اختلف نوع الحركة ؛ والساكن بالساكن ، وليس المراد الوزن التصريفي . ومن المختلف بالروى قوله تعالى : وإذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رجعت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ، وكتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المهامة ما أصحاب المهامة ، وهكذا .

فإذا استقر في الأذهان أن السجع يمكن أن يتفاوت في الوزن والروى والمساحة ، ولا يخرج بذلك عن باب ، يمكن أن يرد ما ذهب إليه الباقلاقي من أن السجع له منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط ، متى أدخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المقصود كان مخطئا ، وكان شعره مردولا ، وربما أخرجه عن كونه شعرا وشتان بين منهج السجع وطريق الشعر .

بل نحن - فيما أرى - لانجاوز حد الصواب إذا قلنا : إن التوسع في الأسجاع بالمغايرة في الوزن وفي الجرس ، وفي المساحة هو سر جمالها بل هو سر جمال الموسيقى في القرآن .

إن التنقل من وزن إلى وزن ، ومن فاصلة ذات جرس إلى فاصلة أخرى ذات جرس مغاير هو سر عدم الإملال في ترداده أو السأم

في الأسجاع أنه اعتنق أولا فكرة نفي السجع عن القرآن فإذا هو يضيق دائرته حتى لا يكون منه فيه . وما صدق عليه تعريفه إياه - وهو قليل ، يخرج هو الآخر بأنه جاء غير مقصود إليه مثل كلمات اتزنت بأوزان الشعر في القرآن ، فإنه لا يقال فيها من أجل الوزن : إنها شعر . لسكننا نرد على الباقلاني مذهبه ، ونقول بأن في القرآن سجما - على اصطلاح النقاد والبلاغيين ، والسجع أوسع بابا وقصرفا ، وأكثر صورا وقوالب . وليس محصورا في تمام التماثل وكال التناظر في الوزن والجرس . وقد عرفه جمهرة النقاد بما يتسع لما جاء في القرآن الكريم من صوره وأفانينه ، واستخلص الأستاذ على الجندى في كتابه « صور البديع - فن الأسجاع » أنه تواطؤ الفواصل في حرف الروى ، أو في الوزن ، أو في مجزئتهما . وهذا التعريف يسمح بدخول جميع الصور التي تتفق بالوزن دون الروى ، أو بالروى دون الوزن ، أو بهما معا تحت باب السجع .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، فن المتماثل فيهما قول أبي تمام :

تدبير مصمم باقة منتقم

فه مرتقب في الله مرتقب

ومن المتماثل في الوزن دون الروى قوله تعالى : ونمارق مصفوفة ، وزوايا مبسوطة ، والمراد بالوزن : الوزن في اصطلاح العروضيين ،

ومتخالفة ، وفي جميع ذلك لا نحس تكلفاً ولا تصنعاً ، ولا استكراهاً اللفظ على معنى ولا إخلالاً بمعنى ، من أجل لفظ .

ثم هذا التخلّف بالوزن وبالقطع والجرس في ردّ وس الفقر والفواصل ليس خلافاً ولا اضطراباً ، وإنما هو سرّ الجمال ، ذلك أن التثقل بالقارىء بين ضرب وضرب ووزن ووزن ، ونغم ونغم ، وهيمّة موسيقية وأخرى ، ذلك مما يكسب الأسلوب طرافة ، ويضفي عليه جدة مستمرة وحدائث تجعله لا يخفق على كثرة الترداد .

ومثل السجع حين تتخالف أطرافه ، ويردد بين أنغام وأوزان ومساحات شتى على نحو ما نجد في القرآن للسكريم مثل اللحن الذي يبدع فيه صاحبه بما يحشد له من آلات العزف التي تعطى ألواناً شتى من الأصوات والموسيقى . يقول بوالو : « إذا شئتم أن تكونوا موضع حب القراء وجب عليكم أن تدأبوا على تنويع أساليبكم ؛ فإن الكتابة على نمط واحد مهما تكن طلاوتها تسبب ركود الفكر » .

« والقارىء يسأم مطالعة إنتاج الكتاب الذين يدخلون المثل على نفسه بسبب جموده أمام أسلوب واحد ذي نغمة واحدة متباعدة . »
« فنعم الشاعر الذي يستطيع أن ينوع أسلوبه ، »

لتكراره ، وحين نستمع إلى القرآن الكريم أو ندرسه ونعرض آياته وسوره ، ونقف في أثناء ذلك كله عند ما نعهده بجمعا فإننا نراه لا يتقيد بالطول ولا بالقصر في الفقر والآيات ، ولا يلتزم جرساً بعينه . ولا صوتاً بذاته ، وإنما يعود المعنى فيه ، والتوفيق الغنى في نظمه إلى أجل بما يمكن أن يتصور وأكثره امتاعاً للنفوس والحسن بما يجيئ في رأس الآية من صوت قد يتلوّه شبيهه إذا استدعى المعنى ، وبذلك يتم مع جمال الفكرة حلالة التوقيع فيكون الأذن كما للقلب من أطراف الحسن نصيب .

وإذا كان المعنى هو ما يستهدفه القرآن فإنه لا يهمل الجرس إذ من هـذين يكون الانسجام بين الفكرة واللفظ المعبر به عنها وكل كلام إنما هو سلسلة من الانسجامات تتابع في النثر على غير نظام دقيق كالذي نجده في الشعر .

وإذا كان السجع مقيداً بالتماثل فإن التماثل فيه غير مشروط بالتكامل ، ولا ملزم فيه النمام ، وإنما يكسفي من ذلك كله بالتقريب ومن ثم جاء السجع في القرآن ، ولم تلزم فيه وحدة المساحة الصوتية ، ولو أنها التزمت لخرج الكلام من باب الانسجام إلى تفاهيل الشعر ، وعلى ذلك جاءت الآيات والفواصل طويلة وقصيرة ، متفاوتة ومتباعدة ، مقشابة

« فيعبر أودية الرهبة إلى شاطئ الدقة » .
 « ويمر من لحظات المرور إلى ساعات
 المحن » .
 موضوع واحد شريطة ألا تنقطع أوصال
 السورة ، وإنما تترابط أجزاؤها ، ولو من
 طرف خفي ودقيق .

« ولا يغيب عن أذهانكم أن الملل
 مصدره التماثل ١١ » .
 فهذا رجل نافذ خبر الأساليب وأدرك
 ما يسببه التماثل المللزم ، والقشابة المكرور
 في الأصوات والألفاظ والأوزان .
 ومثل ذلك ما نقول : حين نعرض لتخالف
 الأساليب وتردها بين مرحل ومقيد أو بين
 وعظ وتعليم ، وسهرة وقصص ، وهكذا
 في كل ما يترامى أنه تفاوت من إحدى
 الجهات .

ونحن - النقاد العرب - حين نتصدى
 لاختلاف الموضوعات - تأتى في السورة
 الواحدة - نجمل من مبررات ذلك ، التنقل
 بالقارئ بين فكرة وفكرة حتى لا يسأم
 أو يستطيل الحديث في سورة طويلة عن
 إن ذلك جميعه يرد على الباقلاني مذهبه
 الذى يذهب فيه إلى أن للجمع طريقا مرتبا
 ومنهجا مضبوطا متى أخل به أحد أخل
 بالنظم والكلام .
 عبر الروف محاورف

البلاغة

البلاغة ما حط التكلف عنه ، وبنى على التبيين ، وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ،
 بأن جمع مع ذلك سهولة المخرج مع قرب المتناول ، وعذوبة اللفظ مع رشاقة المعنى ،
 وأن يكون حسن الابتداء كحسن الإنتهاء وحسن الوصل كحسن القطع فى المعنى والسمع ،
 وكانت كل كلمة قد وقعت فى حقها وإلى جنب أختها ... ثم ألبس بهاء الحسنة ونور المعرفة
 وشرف المعنى وجزالة اللفظ .
 الرمانى

زهر الآداب

هل أتمّ الفخر الرازي كتابه في التفسير...؟

للأستاذ علي العمري

— ٣ —

بصاحب النظم هو الإمام محمد بن مالك صاحب الألفية ، وهذا الإمام جاء بعد الفخر الرازي فقد كانت وفاته سنة ٦٧٢ هـ ، قال نقل عنه . على ما يتبادر للذهن . يؤكد أن المفسر لهذه السور عالم جاء بعد الفخر ، وبعد ابن مالك ، أو على الأقل معاصر لهذا الأخير . لكن وجدنا الفخر الرازي يقول في أواخر تفسير سورة النساء : (قال الجرجاني صاحب النظم) . فهو . إذن . ليس ابن مالك ، ولسكنه عالم من جرجان (لم أقف على اسمه) سبق الرازي .

* * *

ثم نجيّب عن السؤال :

لقد ترجّح هندی بعد هذا التردد الطويل بين أخبار أصحاب التراجم ، والتفسير الكبير للفخر الرازي أن هذا الإمام الجليل أتمّ تفسير القرآن كله ، ثم لاسرّ له من صنع التتار الذين أغاروا على خوارزم في سنة ٦١٧ هـ ، أي بعد وفاة الرازي بإحدى عشرة سنة ضاع جزء من هذا الكتاب ، يغلب على الظن أن يكون تفسير سور متفرقة

هذا . وربما وقعت شجة في بعض الأوامر ذلك أن الرازي يقول كثيراً في تفسيره للسور الأخيرة من القرآن : (قال صاحب النظم) . ومن أمثلة ذلك :

١ — في تفسير قوله تعالى : « تلقون إليهم بالهودة » من سورة الممتحنة : (وقال صاحب النظم : هو وصف النكرة التي هي (أولياء) . قاله الفراء) .

٢ — وفي تفسير قوله تعالى : « فطلقوهن لعدتهن » من سورة الطلاق : (وقال صاحب النظم : صفة الطلاق ، كيف يكون ؟ . وهذه اللام تجيء بأعان مختلفة : للإضافة ، وهي أصلها ، وإبيان السبب ، والعلّة) .

٣ — في تفسير قوله تعالى : « قد هللنا ما فرضنا عليهم » من سورة الأحزاب . هـ : (قال صاحب النظم : إذا وصل بعمل لم يحتمل غير الإيجاب ، وإذا وصل باللام احتمل الوجهين) .

* * *

والذي يقبّاد إلى الذهن . وقد وقع لي . لا سيما أن التعليقات كلها نحوية ، أن المراد

بل إن هذه العبارة تشعر أن القفطى يشير إلى ضخامة هذا التفسير، وكأنه موضع تعجب منه، إذ يذكر أنه بلغ اثني عشر مجلدا، ثم أردف ذلك بأنه بخط الرازى الدقيق، فكان مقتضى هذا أن ينوه بأن التفسير مع ذلك لم يتم ليكون أدهى إلى التعجب.

ثم نعود إلى ابن أبى أصيبعة صاحب عيون الأنبياء، وهو - كما قلت - أول من نسب إلى الخوئي تمة تفسير الفخر، وهذه أخذ كل من جاءوا بعده، فنرى أنه شديد الإعجاب بشيخه هذا، وربما كان هو الذى روج تلمذة الخوئي للرازى، وهذه التلمذة بمعناها الحقيقى موضع شك، فابن أبى أصيبعة يذكر أن شيخه الخوئي مات فى سن الشباب، وقد ذكر ابن السبكي أن الخوئي ولد سنة ٥٨٣ هـ وعلى هذا يكون عمر الخوئي حين توفى سنة ٦٣٧ هـ أربعاً وخمسين سنة، ويبعد أن يقول عن هذه السن: إنها من الشباب، فزجح أن الخوئي ولد سنة ٥٩٣ هـ وعلى ذلك تكون سنه عند وفاة الرازى ثلاث عشرة سنة وهى سن لا تسمح بأن يوصف بالتلمذة الحقيقية للفخر.

وقد شك التاج السبكي فى هذه التلمذة فقال فى ترجمة الخوئي: دخل خراسان، وقرأ بها الكلام على الإمام غفر الدين - فيما قال بعضهم - وقيل إنما قرأ على القطب المصرى تلميذ الإمام.

من الصور الأخيرة، كسورة الواقعة، لجاء شمس الدين الخوئي، ووضع تفسيراً لهذه الصور، وربما كان وضع تفسيراً كاملاً للقرآن أدخل بعضه فى تفسير الرازى.

وقد أشرت فيما سبق إلى أن أول من قال أن للخوئي تكملة على تفسير الفخر هو صاحب عيون الأنبياء، ولهذا المؤلف اعتبار خاص فى هذا الموضوع فهو تلميذ للخوئي، قرأ عليه بعض الكتب، ومحبه زهنا، غير أنه فى الوقت الذى يصرح فيه بقصة تمة تفسير الفخر فى ترجمة الخوئي، لا يشير إلى ذلك أية إشارة فى ترجمته للفخر، مع أنه تعرض لتفسيره، وقال: إنه رآه.

ومن المعاصرين لصاحب عيون الأنبياء وإن كانت وفاته أسبق، الوزير جمال الدين القفطى صاحب (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)، وعبارة هذا العالم: ومن تصانيفه - يريد غفر الدين - كتاب تفسير القرآن الكبير سماه مفاتيح الغيب، سوى سورة الفاتحة، وأفردها تصنيفاً، اثني عشر مجلداً بخطه الدقيق.

فهذه العبارة تفيده أن القفطى رأى التفسير وأنه رآه كاملاً، إذ لو كان ناقصاً لكان من البدهى أن يشير إلى ذلك، فهو يستثنى تفسير سورة الفاتحة، فكان طبيعياً - إذا كان التفسير ناقصاً - أن يستثنى أيضاً - الجزء الناقص منه، وإلا لم يتم بالأمانة العلمية،

الجامع ماشيا للصلوات في أوقاتها ، وكان رحمه الله ملازما للصلاة والصوم ، وقرأة القرآن .

وأبعد من ذلك في وصفه قوله في مقدمة الترجمة : هو الصدر الإمام ، العامل الكامل ، قاضى القضاة شمس الدين ، حجة الإسلام ، سيد العلماء والحكام . ويقول عن تصانيفه : إنها لا مزيد عليها في الجودة .

وكل هذا ينم عن حب عميق . فهل يسوغ لنا : أن نقول إن هذا المؤلف بالغ في تلمذة الخوئي للرازي ، وبالنسبة كذلك - في اعتبار تفسيره لسورة (الواقعة) التي ربما يكون تفسير الرازي لها قد ضاع لأى سبب من الأسباب ، أقول : بالغ في اعتبار هذا التفسير حتى جعله (تكملة) لتفسير الفخر .

ولو قارنا ما قاله (ابن أبي أصيبعة) بما قاله (أبو شامة) - مثلا - في (الروضتين) وما قاله (ابن السبكي) في (الطبقات) لأدركنا إلى أى مدى بالغ المؤلف في امتداح شيخه الخوئي .

فأبو شامة - وهو معاصر أيضا - لا يزيد عن قوله : (وكان رحمه الله حسن الأخلاق ، لطيفا ، كثير الإنصاف ، عالما فاضلا في علوم متعددة جملة ، محققا ، هفيفا ، متواضعا ، كثير المداراة ، محببا إلى الناس) .

ولعل ابن السبكي يقصد بكلمة (بعضهم) ابن أبي أصيبعة ، فهو الذى ساق القضية مساق المسلمات .

لنقاتل أن يقول : إن ابن أبي أصيبعة شافه الخوئي ، وحاش معه زمنا ، فروايته أوثق ، ولكن قد يكون من المقبول أن العلماء كانوا يفخرون بالآخذ من كبار المشايخ ، فلا يبعد أن يكون شمس الدين نزل بالرى في هذه السن المبكرة ، وحضر مجلسا أو مجالس للإمام غفر الدين فاعتد ذلك تلمذة له ، ثم أتم علومه على القطب المصرى .

فلما استحصف فكره ، واتسعت معارفه رحل إلى الشام ، والدليل على ذلك أنه حين نزل دمشق وكان صاحبها ، إذ ذاك ، الملك المعظم عيسى بن الملك العادل استحضره هذا السلطان ، وسمع كلامه فوجده أفضل أهل زمانه في سائر العلوم - هكذا يقول تلميذه ابن أبي أصيبعة - .

وصاحب عيون الأنباء - فوق ذلك - ببالح في مدح الخوئي ، فيقول - مثلا - : كان أوحده زمانه في العلوم الحكيمية ، وعلامة وقته في الأمور الشرعية ، طارفا بأصول الطب ، وغيره من أجزاء الحكمة .

ويقول عنه : وكان حسن العبارة ، قوى البراعة ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، وافر المروءة ، كثير الفتوة ، وكان مع ذلك كثير التواضع ، لطيف الكلام ، يعضى إلى

والدراسات النحوية التي امتاز بها هذا العالم، فكل ما فيها من هذين العليين لا يختلف عما نجده في تفسير السور التي تأكدنا من تفسير الرازي لها .

ويبدو أن أول من ذكر عمله في تكملة تفسير الرازي هو تاج الدين السبكي ؛ فقد قال - وهو يترجم له في الطبقات - : (وله تكملة هي تفسير الإمام الرازي) . ثم تبعه (ابن حجر) في (الدرر الكامنة) .

وكالم يذكر صاحب عيون الأنبياء في ترجمة الرازي أمر نقصان تفسيره ، مع أنه ذكر في ترجمة الخوي أنه له تكملة هي هذا التفسير ، كذلك أهمل ابن السبكي في ترجمة الرازي هذه المسألة ، مع ذكره أن القمولى تكملة .

وكما ذكر الففطى أن تفسير الرازي في اثني عشرة مجلدة ، ذكر صاحب عيون الأنبياء ، ولم يذكر شيئاً بعد إيراد العبارة ، مما يدل على أن التفسير كان كاملاً .

وبحضرتي فرض آخر ، وهو أقرب الفروض - هندي - إلى الصواب ، ولهذا الفرض ما يبرره . هو أنه كان للرازي تلاميذ كثيرون ، يصحبونه في غدوده ورواحه ، وبعض المؤلفين يذكر أنهم كانوا نحوه من تلاميذه ، وقد قيل : إن الرازي كان يعمل تفسيره ، فإذا افترضنا أن الذين كانوا يكتبون من هؤلاء التلاميذ خمسون تلميذاً كان لنا من

ولم شهاب الدين أبو شامة بدمشق سنة ٥٩٦ هـ ، وتوفي سنة ٦٦٥ هـ .

وابن السبكي يقول : (وكان فقيهاً أصولياً مشكلاً ، مناظراً ، ديناً ورعاً ، ذا همة عالية ، حفظ القرآن على كبر ، وكان - وهو قاضى القضاة - يجرى إلى الجامع بدمشق ، وربما بالليلسان يتلقى على من يقرئه القرآن ، وللقاضى شمس الدين مؤلفات كثيرة ، ونظم كثيرة) .

اتفق الجميع على أنه عالم فاضل ، غير أن تليفه جملة (الصغر الإمام) . وإذا صح أن تفسيره سورة (الواقعة) الملحق بتفسير الفخر الرازي له ، فإنه يدل على سعة علمه ، وحسن بيانه ، وبلغ تقليده للفخر في طريقته ومنهجه .

• • •

أما نجم الدين القمولى - وهو العالم الثانى الذى ذكرنا أن له تحفة على تفسير الفخر - فهو عالم مصرى ، تقلب في كثير من الأعمال ، وتوفى عن نيابة القضاء بمصر والجيزة ، وكان صدر الدين بن المرحل يقول عنه : ليس بمصر أفقه من القمولى ، وكان - مع جلالته في الفقه - عالماً بالنحو ، وكان رجلاً صالحاً متورعاً ، لا يفتر عن قول : لا إله إلا الله .

ولسنا نجد في هذا الجزء الأخير من تفسير الرازي أثراً بارزاً للدراسات الفقهية ،

أخرى مخطوطة على أنه ليس من عمل الرازي ،
وحيث لا نجد لذلك تفسيراً - على ما نرجح
الآن - إلا الذي قلناه .

ولعل ما يدلنا على أن نقصان تفسير الرازي
لم يكن أمراً مشهوراً بعد وفاته بخمسين سنة
على الأقل أن (أبا شامة) - وهو مؤلف
يعنى بتحرير ما يقول - ذكر في كتابه :
(الذيل على الروضتين) أنه ورد عليهم
بالعام جماعة من كبار تلاميذ الرازي ، ولم
يشر أية إشارة إلى قضية نقصان التفسير
الكبير ، وهذه قضية ليست بالهينة - حتى
يغفلوا مثل هذا المؤلف لو كانت معروفة بينهم ،
والتفسير نفسه لم يكن مجهول المسكنة بين
علماء دمشق في ذلك التاريخ .

* * *

هذا ما أمكن أن أطمئن إليه في شأن هذه
القضية . أما الكلمة الفاصلة فيها فلا تزال
في زاوية مجهولة من زوايا التاريخ ، لعل الله
يوفق أحد الباحثين للكشف عن مكانها
المجهول .

ويعلمكم الله ، وهو ذو الفضل العظيم ؟

على الهامى

الكتاب خمسون نسخة ، ثم إننا قد عرفنا
أن هؤلاء التلاميذ كانوا من جهات مختلفة ،
فن المقبول أن يكون بعضهم رحل عن (الري)
ولم يكتب عن التفسير إلا النصف الأول ،
وبعضهم كتب إلى سورة الأنبياء ، وبعضهم
إلى سورة الواقعة ... وهكذا . ثم تفرقت
هذه النسخ الناقصة في الاقطار ، فأتم الخوي
نسخة ، وأتم القمولى النسخة التي وقعت إليه
في مصر ، وكان من وقعت لهم نسخة ناقصة
الحيد مرتضى الذي تحدث عنه الشهاب
الحفاجي ، وقد نقلنا هذا الحديث فيما سبق .

ثم ظهرت نسخة الرازي التي كتبها بخطه ،
وبعض النسخ الكاملة التي كتبها بعض تلاميذه ،
وكتب الوراقون نسخاً من هذا التفسير ،
بعضها - ولا شك - كان نسخة كاملة من تفسير
الرازي ، وبعضها في تفسير سورة أو أكثر
لعالم آخر ، كهذه النسخة التي بين أيدينا .

وقد وجدنا الدليل القاطع على أن تفسير
سورة الواقعة الملحق بتفسير الرازي الذي
بين أيدينا ليس من تصنيف الرازي ، وبما
قام دليل أو أدلة على تفسير بعض سور
آخر في هذه النسخة المطبوعة ، أو في نسخة

أثر الفتوة الإسلامية في الحضارة الإنسانية

للأستاذ محمد رجب البيومي

عنوان (تقاليد الفروسية العربية) ليقرأ أبناء العربية صحائف الحق والخير والجمال يسطرها قلم نزيه، سمع اللغو الآفك فدحضه بالتى هي أحسن.

والحديث عن الفروسية شرقية وغربية إحدى مفاخر الإسلام دون مرأه، فقد توطأ أكثر الكتّاب في لغات الغرب على إنكار يده البيضاء في خلق الروح الإنسانى المترفع، والسمو بالناس إلى دنيا من الوفاء والشرف والكرامة مع أن كتاب أوروبا أنفسهم يعلنون في أسف حار أن فروسية الغرب - قبل أن ترتفع بها روح الإسلام - كانت فروسية جبروت وإقطاع، إذ يحرص كل نبيل إقطاعى على المحافظة على سلطانه فيضم حوله نفرا من الفرسان المرتزقين لا م لم غير الاهتمام بفنون النبيل، ثم تطورت الفروسية الإقطاعية إلى تقليد كنى حين خرجت كتائب الحروب الصليبية زاحفة إلى الشرق متأثرة بصيحات مزججة تنكروها المسيحية في لبابها الصميم وفي كلا العهدين لم تكن للفروسية الأوروبية آداب خلقية تنهج إلى النبل والفساح والوفاء والشرف، حتى وقف هؤلاء المعتدون على ألوان راقية

كثرت الكتب التى تتحدث عن الفروسية الأوربية، وما أسدته للأجيال المتعاقبة من معانى الأريحية والمروءة والكرم والوفاء وكان مما يدهش القارىء أن أصحاب هذه الكتب في أكثر أبحاثهم - يشوهون الحقائق الواضحة حين يهملون أثر الإسلام البارز في تكوين مروءة إنسانية عالمية، وهو أثر واضح جدير بنادى على نفسه بالأسانيد الصائبة والبراهين الملبوسة، لأنك إذا بحثت جاهدة عن شاهد واحد لهذه الفروسية النبيلة تقف بعيدا عن تأثير الإسلام، فلن تجد، حتى إن الذين يتحيفون الإسلام بأفكار فضائله، يشقون على أنفسهم كثيرا في النوبة والتلفيق ثم يفاجئون بمن يدحض آراءهم من ذوى ملتهم، لأن الحق لا يعدم النصير.

لقد كتب الأستاذ (واصف غالى) وزير الخارجية المصرية الأسبق سفرا قيا بالفرنسية يعلن سبق الإسلام إلى دعم الفضائل النبيلة في الشرق والغرب، بعد أن قرأ كثيرا من البحوث الموهبة الكاذبة عن الفروسية الغربية، فجاء بالأدلة الحاسمة مؤيدة بوقائع التاريخ وشواهد الأحوال لتفسر عن وجه الحقيقة، وقد ترجم كتابه إلى العربية تحت

فتملوا الشهامة والرفعة ، لانحو السيدات النبيلات فحسب ، بل نحو النساء جميعا على اختلاف طبقاتهم وهكذا تهذبت أخلاق العصور الوسطى الجافية وتطورت هندما اتصلت بالعقيدة العربية فلانت ولطفت ورقت وصمحت وذلك في عبارة موجزة هو أثر العرب في الفروسية الغربية .

وإذا كان عماد الفروسية العالية هو النبيل الخلق الأصيل فإن الأستاذ واصف غالى قد بسط من وقائع التاريخ ما يؤكد نبيل الفروسية الإسلامية ، فحضر الأمثلة على ذلك ببعض ما ذاع واشتهر في سجلات العرب والإسلام فهو يذكر مثلاً سماحة الأمير الأندلسي عبد الرحمن الثالث حين أذن لعدوه د. سافن ، أمير (ليون) أن يفسد إلى قرطبة فيستشير أطباءها المسلمين في علاجه ثم يرجع معزواً محفوظاً بالرعاية الإسلامية في حين يستضيف ملك قشتالة المسيحي أباسعيد ملك غرناطة فتعجبه جواهره ، وإذ ذاك تدفعه الأناية اللثيمة إلى قتله غدراً وهو في ضيافته ليستولى على ذهبه وفضته !! ثم يستطرد المؤلف إلى موقف ملك مراکش المسلم من الملك الفونس الحكيم حين استغاث به مستنصراً ، فعبّر إليه الملك المراكشي البحر مليباً نداه عن شرف وهامة وقد أراد الفونس أن ينزل عن منزلة الصدارة والعرف لهذا الباسل الذي خف إلى نهجته فقال له

من صفات العرب وأخلاق الإسلام ، فأروا لدى فرساننا الأبطال من روائع المروءة والبطولة والعفة والتسامح ما لفت أنظارهم إلى الفروسية الحقيقية ، ورجالها النبلاء ، أولئك الذين جعلوا البطولة الأصلية بطولة شرف ووقار ، لا بطولة غدر ودناء

بهذه الحقيقة الصريحة تتعلق فصول الكتاب مؤيدة بالشواهد الموائل ، وقد أحسن الأستاذ واصف غالى التعبير عن هذه الحقيقة حين قال ص ٢٦ .

« إن هؤلاء الذين كانوا يلقبونهم بالكفار عن كانت الكنيسة تأمر بمقاتلتهم دون هوادة ، (يريد بهم المسلمين) إنما هم أبطال كرام في معاملة الخصم سرت لإلهم الرأفة وأصبحوا أشد إنسانية ، وهكذا تعلم أولئك الفرسان في مدرسة العرب أن يكونوا سمحاء كبار النفس في خاصمة العدو ، لقد رأوا كيف يرعى العهد أولئك الذين لم يقاتلوا المعصودية فتعلموا أن يصونوا جميع عهودهم لا تلك العهود التي قطعوها رسمياً وأقسموا على الوفاء بها فحسب ، ورأى الفرسان لدى أهدائهم ذلك الازدراء العيوف للثروة والغنى ، ولمسوا فيضا من كرم ضيافتهم وجوداً لم يتخيلوا مثله فتعلموا أن يقدقوا في صدقاتهم وأن يسخروا في هباتهم ، ورأوا رعاية العرب لحرمة النساء بل ولحرمة أقلهن شأناً - أولم تصبح بعض الجوارى أميرات -

وإذا كنا نعرف ما اقترفه الصليبيون حين فتحوا بيت المقدس من استئصال العجزة من النساء والأطفال والشموخ حتى كانت الخيل تخوض إلى بطونها في مسيل من الدماء فإننا نقرن هذه الوحشية الفداحة بنماذج مختارة مما سطره الأستاذ واصف وهي من التيقن والثبوت بحيث اعترف بها كبار الخصوم من مؤرخي الغرب المسيحي ! ولعلمهم كانوا يمسحون عرق الخزي من وجوههم حين يقرنون توحش قرسانهم الضاري بسماحة المسلمين العادلة ، لو أصاخوا إلى الحق مجردا عن الأهواء والظنون .

ففي ميدان الحروب الصليبية ، نجد الأمثلة الكثيرة ، صلاح الدين الأيوبي يظهر روح التسامح نحو خصيمه ويتشاد قلب الأسد حين يسمع بمرضه ، فيرسل إليه ما طلبه من الدواء والكثيرى والخوخ والتاج وهو يهذى في سكرات الحمى متفاسيا ما صنعه بأمرى عكا من قبائح ، كما نجد الملك الكامل يقابل قائد الحملة الصليبية هلي دمياط (جان دي برين) فيجده متفطر القلب من البكاء وإذا ذاك يسأله عن مر بكانه فيقول في ضراعة : من حقى يامولاي أن أبكى وقد رأيت الشعب الذى همد الله به إلى يهلك بين البرد والماء جوعا . فيتأثر الملك الكامل ويرق واحما ثم يأمر بإرسال ثلاثين ألف غنيم للصليبيين ويفعل ذلك بضعة أيام متتاليات ١١

الملك المسلم : ولرب لك مجلس الشرف ما دمت مغلوبا على أمرك ، ولقد أتيتك لأهينك على تأديب عاق غادر ! فتأديت هذا الواجب وأصبحت قويا مهايا نازعتك كل شئ . وناصبك العداء من جديد ، ولا يترك المؤلف مواقف الأرمحية والبطولة لدى قادة الإسلام في الحروب الصليبية إذ يتحدث نخوياً عن موقف نور الدين محمود حين امتنع عن اتمام فرصة موت (بودوان) فلم يشأ أن يستعيد عسقلان إذ ذاك قائلا : « إنى لو فعلت ذلك لأهدرت قيم الإنسانية واستهنت بالأمم شعب يبكى مولاه ولا خللت بشرى الحربى حين أهاجم منكرو بين لم يتأهبوا للدفاع عن أنفسهم ثم يقرن ذلك بما فعله ريفشارد قلب الأسد همد ما دفعه جنبه إلى إصدار أمره بذيبح أمرى هكاسنة ١١٩١ رغم ما نصت عليه المعاهدة من تأمين حياتهم وحررياتهم ، ١١ وقارىء كتاب الأستاذ واصف يلبس سمو الروح الإسلامية لدى أبطال مسلمين لا يدرى كيف بلغت مثالياتهم الرفيعة هذا المبلغ من التعاطف الإنساني ! هذا الذى ماتت لديه رغبات الانتقام والثأر وعاشت معه نوازع الصفع والإغضاء ! وشيوع هذه المشالية النادرة بين المسلمين في الشرق العربى وفي الغرب بالاندلس دليل لا يخطئ على أن معين الهداية لديهم قد جمعهم على أندر خصال المثالية والنبل ...

في تلك الضائقة أن ترسل إلى القائد العرب من يهيب به أنه لو كان يريد مقاتلة المسيحيين فليذهب إليهم تحت أسوار العريجة حيث ينتظره زوجها ، أما أن يشن حرباً على امرأة فذلك ما لا يجدر به فارس باسل كريم أن يقدم عليه ونجحت خطتها فاستسلم القائد العربي المدقق إزاء هذا الدفاع الغريب ، واعتذر عن خطئه ، وود لو يحظى بتحيةة الملاك قبل رحيله ، فطاعت عليهم (بيرانجير) وسط حاشيتيها فوق الأسوار ومر أمامها الفرسان العرب وهم آخذون في الرحيل ، وكأنهم في مباراة بينهما كان في هذا الوقت نفسه وفي أثناء هذا الاحتفال الودي قد استولى الفونس على قرية العريجة .

هذا وشل من محيط يثبت نبالة الفروسية الإسلامية في مضمار الحروب ، أما ميادين الفروسية الأخرى فقد بلغ بها فرسان الإسلام مبلغاً مازال مضرب المثل في صحائف التاريخ ، وإذا كانت فروسية أوروبا ترى احترام المرأة وتقديرها أنبل ضروب الفتوة والأريحية ، فلننظر مع الأستاذ واصف غالى إلى مكانة المرأة في الإسلام لئن كان إنصاف الإسلام للمرأة مما يفهمه دأوس الشريعة الإسلامية بوضوح ، فإن أعداء الإسلام من غلاة المتعصبين يحرفون الكلم عن مواضعه إذ يزعمون أن الإسلام مصدر تأخير المرأة وانحطاطها ، وقد اضطر المكاتب أزاء ذلك

أما في ميدان أوروبا بالاندلس فيذكر الأستاذ واصف غالى عنه من نوادر الوفاء والنبل ما يفوح عبره في صفحات الكتاب دالاً على كمال المروءة ، ونبالة الأريحية ، ومن ذلك على سبيل المثال ما روى عن (المنصور بن أبي عامر) حين حضريوما في شعب ضيق فرقة كبيرة من جنود الأسبان وأصدر إليهم الأمر بالتسليم ، ولكنهم صمموا على الهلاك والاستئصال دون أن يجيبوا إلى الاستسلام فأمر المنصور في مروءة أن يفتح لهم الطريق وأفعا عنهم الحصار مؤثراً في همامة نادرة أن يرسل لعدوه نجدة كبيرة على أن يأمر باستئصال هؤلاء وقد وقعوا في المأزق السكريه ، ولقد حكى المؤرخ الأسباني (موسدن) أنه كان يدمر المدن بالحديد والقار حين تنهض لمقاومة جيوشه ولكنه لم يسمح بأهون شريع يقيق بمدينة تستسلم دون عصيان ! أما موقف حاكم قرطبة المسلم من زوجة الفونس الثامن فقد كان نادراً حقاً ! إذ أنه اتجه إلى خزو طليطلة رداً على مكيدة الفونس في حصار بعض المدن الإسلامية ، وندع الأستاذ واصف يتحدث عن هذه الحادثة النادرة إذ يقول عن القائد الشهم .

ودار في حذر حول معسكر المسيحيين وأمن في السير حتى بلغ أسوار طليطلة حيث كانت المأسكة (بيرانجير) تقبع في مقر دارها وتموزها وسائل المقاومة ، فخطر لها وهي

لغرائزه الأماره بالسوء ومضى في عصور
الانحطاط يردع ويدل تلك التي كان من حقها
عليه أن تصبح رفيقته ، وواصل ذلك حتى
جعل منها كائنًا يقل عنه قدرا ، لا شخصية له
ولا لون من ألوان الكرامة ، وحينما نبه
الرجل صوت ضميره يؤنبه على جوره وطلغيانه
تسلح بالكتاب الشريف فعلق يؤول ويعلى
ويحلى ويقسو على النصوص في تفسيرها
ليثبت أنه يصدر بأمر رسول الله ، وهكذا
حدث يوم راحت أوروبا تقسامل هن تخلف
المرأة المسلمة أن كان الجواب معدا ، وكان
من البساطة بحيث أقرته في حماس : جواب
يزعم أن الإسلام هو السبب الوحيد في
انحطاط المرأة وذلك لما يتبعه للرجال من
تعدد الزوجات ومن الطلاق وبما يفرضه
على النساء من الحجاب والانزواء .

وكان هذا الإجمال السريع بحاجة إلى تفصيل
كاشف فسكتب الأستاذ واصف غالى فصولا
قوية تتحدث عن المرأة كما اعتبرها القرآن
مؤيدا أقواله بأحاديث الرسول وأحكامه
الثابتة بالسنة الصريحة ، وقد بسط مسألة
تعدد الزوجات بسطا عادلا يعرفه فقهاء
المسلمين ويشهدون بصحته دون نقد ثم تعرض
للطلاق في الإسلام موضحا أسباب مشروعيته
وطرق تلافيه إذا وجه للاتفاق العادل مذهب
معقول ، ولم يغفل القول عن الحجاب

أن يذكر أن هذا الدين المفترى عليه قد منح
المرأة منذ القرن السابع الميلادى حقوقا
وامتيازات ما زالت أوريثات القرن العشرين
ينزعن إليها إذ أن المسئلة في شريعة الإسلام
أهل لأن ترث وتشهد في القضاء ولها أن
تزاوّل التجارة فتبيع وتشتري وتوصى دون
حاجة إلى رضا الزوج ثم أصاب المؤلف
مقطع الصواب حين قال ص ١٥٤ .

ولسكننا ينبغي أن نعرف بأن ما ينسب
إلى الإسلام من مسئولية تأخر المرأة ليس
كله من قبيل الخطأ ، بشرط ألا نخلط هنا
بين الشريعة الإسلامية ، وبين التأويلات
المعرضة للمشومة التي تفتق عنها عقول
الناس في عصور الفساد والانحطاط ، فقد
ظهر التطبيق الخاطئ على المبادئ ، وقدم
العرف السقيم على تعاليم القرآن ومن هنا راح
التناظر إلى العادات المنحرفة يهتم الدين
زورا وبهتانا .

وهذا كلام صريح يدفع الذين يحكمون
على المسلمين ببعض أعمال الجمة من المنتسبين
إلى الدين دون الرجوع إلى مصادر الإسلام
الصحيحة من كتاب وسنة وإجماع وقياس ،
وقد كروه المؤلف بعبارات مختلفة تزيد
دفاعه المنصف قوة ورسوخا وكان من أصوب
ما قاله في ذلك ص ١٤١

ولما كان الرجل هو الأقوى فقد استسلم

للنساء ولكننا نستطيع أن نذكر كيف أدت تلك الحفاوة - التي كانت في الأصل حماية صحية خالصة إلى العبث في مجتمع كان أقل من مجتمعنا تخرجاً إزاء بعض الأمور .

والسؤال الذي يمكن أن نوجهه إلى المسيئين إلى الإسلام بانتهامه الصارخ بظلم المرأة من ناحية الحجاب : أيهما أشرف للراءة أن تحتجب عن الأجني المتوقع أم تقوم له بالتدليك والاستحمام كما كان ذلك تقليداً تتبعه نساء القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر دون استحياء !

وفي مجال الاستشهاد بعظمة المرأة العربية : جاهلية وإسلامية أقاض المؤلف الكبير في سرد أمثلة ذائعة عن أم سيار وليل العفيفة وجميلة بنت هوف وزينب بنت محمد وأسماء بنت أبي بكر ، ثم يعمد باستشهاده إلى مضارب الخيام في القرن العشرين فينقل عن شهامة المرأة العربية في الصحراء ما سجله مدونو الرحلات من الأوروبيين ، ولم كان جيلاً منا أن نقدم للقراء بعض هذه النوارد الرائعة في دنيا البطولة والشرف والكرم والأريحية للراءة المسلمة حديثاً وقديماً ، ولكن ضيق المجال يدعو إلى التفتويه الموجز دون التحليل المقنع ، وفي كل ما قدمه كتاب الفروسية ما يجب أن يقرأه أبناء الإسلام بخورين .

في الإسلام ضارباً الأمثلة بما وقع من أمثال محر وعائشة ، والجديد علينا معشر المسلمين في ذلك هو المقارنات اللطيفة التي عقدها المؤلف بين المرأة المسلمة والمرأة الفرنسية في القرن الثاني عشر ، فقد نقل من تقاليد المجتمع الأوربي لاذ ذلك ما يندى له الخلق خزيماً ! أجل نقل الأستاذ واصف عن الكاتب الفرنسي ما نرويه مثل قوله ص ٩٠

د كشرأ ما تذكر قصص الفروسية أن العرف كان يقتضى بأن تعدم المرأة أو الفتاة التي تهم بسوء السمعة ، ولقد كان من النافع في أثناء القرن الثاني عشر إلى الرابع عشر وهي عصور اضطراب وانحلال في العائلة . أن يوضح الآباء للأبناء عبرة ذلك العقاب الذي خص به الأجداد الحب الآثم ، ويبدى المؤرخون والشعراء أسام وحسرتهم على حياة ربات العصور المنحلة ، فهنا فتيات يقعن عشاقهن إلى خيامهم ، وهناك سيدات عربيات يستصفن فرساناً ويصلنهم كلما أغفى أزواجهن ، ولقد كانت تتردد في كل مكان أغنية تقول (تبا للزوج الذي يدوم شهراً أو شهرين طويلاً) .

ثم ينقل بعد عدة سطور عن الكاتب الفرنسي . ب ماير ، قوله : كان التدليك أثناء الرقاد هنصراً من كرم الضيافة قديماً ، وكانت شئون الضيافة من نوم واستحمام متروكة

حسين كلبة الحق صريحة غلظة إذ أعلن
في مقدمة الطبعة العربية مثل قوله :

« لقد قرأ المنصفون من الغربيين هذا
الكتاب فأصلحوا من آرائهم وترجمة الأستاذ
أنور لوقا ترجمته هذه المتقنة وسيقرؤها العرب
فيعرفون أن صاحب هذا الكتاب لم يكن
كما كان يظن بعيدا عن اللغة العربية وآدابها
ولمّا كان قريبا منهما أشد القرب ألفا لها
أحسن الإلف وأبقى وأنه قد أبلى في خدمة
الإسلام والعروبة بلاء لا يحصنه إلا أولو
المزم والإخلاص في حب الوطن إخلاصا
لا تشوبه شائبة من إبطار النفس أو رغبة
في القناء، أو حرص على الاعتراف بالفضل،

وبما لا شك فيه أن نفرا كثيرا من قراء
العربية قد قرءوا الكتاب كما توقع الدكتور
وقد عرفوا أن المؤلف من أولى العزم
الصادق قد أبلى في خدمة العروبة والإسلام
بكتابه أحسن البلاء ! ولعلنا بمقالنا هذا
المتواضع نجزيه إنصافا بإنصاف !

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

أما الحديث عن الوفاء بالعهد والكرم
وحماية الضيف ، فذلك ثلاثة فصول ابتدأت
بصحيفة ٢١٠ إلى ص ٢٨٢ وكل سطر من
هذه الصفحات جدير بالقراءة إذ هو يضيف
إلى الفائدة العلمية لذة مشوقة حين يروى
طرائف الشجاعة والكرم والعفو والمروءة
لدى العرب في الجاهلية والإسلام !

ويضرب الأمثلة بروائع حنظلة بن هوف
واسرى القيس وحاتم وحاجب بن زوارة
وهاني بن مسعود وكليب في الجاهلية
وبمواقف علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب
وعبد الله بن جعفر وابن عباس وعبد الملك
ابن مروان والمكيك الأسدي ومعد بن زائدة
والرشيد والمعتمد وسواهم من أعلام التاريخ
وهي طرائف مغرية تطلب لذاتها حتى لدن
من لا يمتنون بربطها وبطأ وثيقا بأخلاق
الإسلام، فكيف إذا كانت في حقيقةها الأصلية
استجابة لدين فاضل يسمو بالخلق ويبحث على
الرحمة والعفو والإيثار ! لقد برهن المؤلف
الكبير على إخلاصه العظيم للحقيقة في ذاتها حين
قدم كتابه المنصف لقراء اللغة الفرنسية فأق
أكله ، وبلغ بعض ما يريد من تصويب الخطأ
ومناقضة الحجة حتى قال عنه الدكتور طه

حاجة الخلق إلى هداية الخالق للأستاذ عبد الرحيم فوده

كلية الخلق تطلق وتصدق على كل مخلوق ، وقد بين الله في كتابه الكريم أن كل مخلوق وجد بتقدير وحكمة ليؤدي في هذا الوجود وظيفته كما أرادها الله منه ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، وقوله سبحانه : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بعين ، ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، كما يفهم من قوله جل شأنه : « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ، أن كل شيء خلقه الله مزود بما يهدي ويحقق الغرض من وجوده .

ومن نعرف - من واقع ما نرى ونشاهد - أن كل حيوان تهيئه غرائزه إلى ما تقوم عليه حياته وإلى ما يصون به حياته ، وأن الإنسان من بين سائر أنواع الحيوان - يتمتع بأجل فعمة وأعظم مكرمة وهو العقل الهادي .

والتفكير الرشيد والشعور المتجدد بالتطلع إلى حياة أكل وأفضل وأجمل من حياته التي يحياها ، فإن هذا الشعور يدفعه - في هدى عقله وتفكيره - إلى السعي والعمل وكسب الطيبات . وبذلك تعمر الأرض ، وتخصب الحياة ، ويتجلى السر في أن الله - تبارك وتعالى - أثره دون غيره بالخلافة ، وفضله على كثير

من خلق ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

لكن هل يسكن العقل والغرائز والشعور المتجدد بالتطلع إلى حياة أفضل في تنظيم المجتمع الإنساني وتحقيق أمنه واستقراره ورخائه . . ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي قبل التسرع بها أو الشروع فيها أن نعرف معنى الهداية ومراتبها وأثر العقل فيها ، وتأثير الغرائز في نشاط الإنسان وسلوكه واتجاهه بصفة عامة ، فإن ذلك هو السبيل إلى معرفة حاجة المجتمع وحاجة كل إنسان فيه هداية الدين .

لقد قيل في تعريف الهداية إنها « الدلالة بالرفق على ما فيه الخير والحق » ، وهذا التعريف مع صدقه لا يفهم معنى الهداية كما يفهم من القرآن الكريم ، فإن مجرد المعرفة والعلم لا يكفي في تحقيق معناها ، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى : « أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، إذ يفهم من ذلك أن العلم لا ينجي من الضلال ، وأن معنى العلم

الحواس ، أو تصحح خطأها إذا انحرفت إلى الخطأ ، فإن حاسة الإبصار - مثلاً - وهي العين ترى الشيء الكبير على البعد صغيراً والعود المستقيم في الماء أعوج ، وحاسة الشم وهي الأنف ينحرف حركتها إذا أصيب صاحبها بركام وما إليه ، وحاسة الذوق كذلك وكما قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا
ولهذا كان من أجل ما أنعم الله به على الإنسان أن زوده بالعقل ليصحح به خطأ الحواس ، ويميز به بين النافع والضار ، ويعرف على هداه ما أودع الله في السكون من حقائق وأسرار ..

ولكن العقل محدود ، وبجال نشاطه محدود ، وهو يخطئ كما تخطئ الحواس ويخضع لمؤثرات نفسية ومادية كالهوى والمرض والبيئة والعادات ، فلا يستقيم حكمه مع الحق . ولا يلتقي اتجاهه مع الخیر بل يزل ويضل . ويقود صاحبه إلى مواطن الال والاضلال ، وكثيراً ما تستخدمه الغرائز ويحكمه الشيطان ، فيكون في عمله الشر وفي نفعه الضر . وفي هديه الضلال ، ومن ثم كان من فضل الله على الناس ورحمته بهم أن يبعث فيهم رسلاً بهداية الدين ليصححوا بها خطأ العقل والحواس ، ويقوموا بها انحراف الفطر والغرائز .

قد يختلف من بعض الوجوه عن معنى الهداية وإنما يكون العلم هداية إذا أدى إلى العمل به والسير على مقتضاه ، أو بعبارة أدق وأحق إذا بعث على فعل الخير واتجه بصاحبه إلى طريق الحق ، فالهداية انبعاث نفسي واشد إلى طريق الخير والرشاد أو هي كما ذكر البيضاوى في تفسيره دلالة بلطف ، ولهذا تستعمل في الخير دون الشر ، أما قوله تعالى في مصير الكافرين : « احشروا الذين طلبوا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم » فقد ورد - كما قيل - على سبيل التمسك والسخرية والاستهزاء . والهداية - كما ذكر الإمام محمد عبده أنواع ومراتب يكمل بعضها بعضاً ، فنأى ، أو أولها :

هداية الوجدان والإلهام الفطري : وأظهر مظهر لها ما نراه من الطفل الوليد الجديد حين يحس الحاجة إلى الغذاء . فإنه يتجه بهدى وجدانه وفطرته أو غريزته إلى ثدى أمه ليقتص ما فيه من غذاء ، ومنها هداية الحواس كالسمع والبصر . والذوق والشم واللمس ، ويشترك فيها مع الإنسان غيره من بقية أنواع الحيوان ، وهذه الحواس نوافذ العلم كما يذكر علماء النفس وكما يفهم من قوله تعالى « والله أخرجه من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » .

ثم تأتي بعد ذلك هداية العقل لتمام هداية

عليه كارهين له ، فإذا حانت لهم الفرصة والانتقاض — وكثيراً ما تحين — تمردوا واستأسدوا ، وانطلقوا بكل قواهم يعصفون بكل القيم والمثل وقواعد الأخلاق والقوانين ويروعون - دون ووع - أمنى الآمنين ، ومن ثم كانت معجزات الأنبياء - مع ما تدل عليه من صدقهم في التبليغ عن الله - تذكيراً لهؤلاء بالقوة التي يتساوى الناس جميعاً في العجز عن مناهضاتها أو معارضتها ، وكانت الشرائع التي بعث بها الأنبياء من عمل هذه القوة التي تحكم ولا تظلم ، بل من رحمة الله وفضله على الناس أجمعين ، كما يفهم من قوله في خاتم النبئين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

فليست النبوة لنوع الإنسان بمنزلة العقل للأفراد كما ذهب إلى ذلك الإمام محمد عبده في رسالة التوحيد وإنما النبوة أمس بحاجة الناس مجتمعين ومنفردين من العقل ، فهي للجمتمع نظامه وقوام صلاحه ، وهي لكل فرد في المجتمع نظامه وقوام صلاح أمره ، ذلك لأنه دائماً بين حاجات تدفعه . وآمال تخدعه أو تنفعه ، وبين هذه الحاجات المتجددة المتزايدة . والآمال التي يرجو تحقيقها لتلبية هذه الحاجات يجد الطرق أمامه تختلف قريباً وبعداً . ويسراً وعسراً ، واستواء والتسواء وقد تتعارض الطرق وتتناقض المصالح فتتهم أمامه السبل ويلتبس عليه الحق والباطل والخير والشر ، وقد يكون الشر

فأنا ، وأنت . وهو ، وكل فرد بإزاء فرد في مجتمع ، وكل مجتمع بإزاء مجتمع في أمة ، وكل أمة بإزاء أمة في هذا العالم تحسبنا غرائز فردية وجماعية لا تحصى فن أثره جامعة دائمة ، طامعة دائماً ، لا تقنع ولا تسبغ ، إلى حب استعلاء يتحيف أقدار الضعفاء . ويستهدف استئلالهم واستغلالهم ، إلى حرص على البقاء يغير التدافع والتنازع ، ويرقد بين الأفراد والجماعات والضعوب نار العداوة والبغضاء وما ينشأ عنهما من كروب وحروب وخطوب .. إلى آخر ما ركب فينا من ميول وشهوات تدفعنا إلى التماس ما يشبعها ولو من طريق الإثم والجور والعدوان على حقوق الغير .

هذه الغرائز لا يكتفي العقل وحده في صدورها وردها إلى الحد الذي يرتفع فيه الجور ويسود فيه العدل ، بل قد يكون العقل كما ذكرت أو أشرت مطيتها الذلول إلى إرضاء ميولها المنحرفة وأهوائها المختلفة .

وإذا افترضنا — مع ذلك — عاقلاً فاضلاً أو جماعة من العقلاء الفضلاء استوحوا حاجة المجتمع إلى العدل والنظام ، فوضعوا قوانين تمنع الطامع أن يجمع ، والسكادح أن يضيع ، والمحرم أن يجرم ، والحاكم أن يظلم ، لكان الخوض لهذه القوانين في منطق المنحرفين — وما أكثرهم — خضوعاً لعمل بشرى أو قوة مائلة لا يقبلونه إلا مرغمين

وقد قرن الله هديه صلى الله عليه وسلم بهدى كتابه حيث قال : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنفت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

ونخلص من هذا — على إيجازه — بأن حاجة الخلق إلى هداية الخالق أقوى من حاجتهم إلى قلوبهم وعقولهم ، وأن هداية الدين نعمة كبرى تتوج نعم العقل والحواس والغرائز الهادية إلى الحياة الطيبة ، ثم إن هذه النعمة الكبرى وجدت منذ وجد الإنسان والمجتمع الإنساني على ظهر هذه الأرض كما يفهم من قول الله لآدم وزوجه وذريتهما « قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبسّع هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

عبد الرحمن قوده

فيما يراه خيراً والخير فيما يراه شراً . ومن ثم كان لا بد له وللجتميع الذي يعيش فيه من هداية الدين ، فإنها الخير الذي لا يشوبه شر والحق الذي لا يأتيه باطل ، لأنها من عند الله وهو جل شأنه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص فلا يصدر عنه باطل ، ولا يخطئ . في قول أو فعل ، وهو أهل بما تستقيم عليه الحياة في كل زمان ومكان ، وبما يصلح عليه أمر الناس على اختلاف أسنتهم وألوانهم ، فلا يعترى أحكامه ما يعترى أحكامنا من شوائب العجز أو القصور .

هذا إلى أن هداية الدين تمثل رحمة الله بعباده ونعمته عليهم ، وقد كتبت هذه النعمة بالإسلام كما يفهم من قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » وقوله سبحانه « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » .

ولا شك أن هداية الدين تلمس من القرآن الكريم لأنه كما يقول الله فيه : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ، ثم من سنة خاتم الأنبياء والمرسلين لأنه كما يقول الله : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً وبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً » .

نشأة القراءات ورسم المصحف

للدكتور عبد العال سالم على مكرم

وكان من رأى الزخشرى أن هذه القراءة مردودة ، لأنها مخالفة للقواعد النحوية التي لا تميز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف .

وأرجع الزخشرى خطأ ابن عامر في هذه القراءة إلى رسم المصحف حيث قال: «والذى حمّله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركاتهم مكتوباً بالياء» (١) فالسبب إذن في هذه القراءة في رأى الزخشرى هو رسم المصحف ، ومعنى ذلك أن ابن عامر اعتمد على المصحف ، ولم يعتمد على الرواية . ومن هنا فتح الباب أمام هذا المستشرق فقال ما قال .

أما الزخشرى فلم يسكت الباحثون عن رأيه ففندوه وناقشوه ، فأبوحيان الأندلسى يقول عنه في كتابه البحر ما نصه: «وأعجب لعجمى ضعيف في النحو يرد على عوفى صريح بحض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ،

يرى المستشرق د جولد تسميه ، أن نشأة السكثرة من القراءات ترجع إلى رسم المصحف حيث يقول إن «اختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات... كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوفاً أصلاً ، أو لم تتجر الدقة في نقطه أو تحريكه» (١) وهجبت لم ينفرد د جولد تسميه ، بهذا الرأى العجيب ؟ ومن أين استقاه ، وعن أى مصدر أخذه ؟ ولما وقفت على رأى الزخشرى في قراءة ابن عامر للآية في سورة الأنعام ، وكذلك زين لسكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم» (٢) - تأكد لي أن مصدر الوحي بهذا الرأى هو الزخشرى حيث وقف من قراءة ابن عامر لهذه الآية موقف الناقد .

وبيان ذلك أن ابن عامر كان يقرأ «قتل أولادهم شركائهم» برفع القتل ، ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما في غير ظرف .

(١) مذاهب التفسير الإسلامى : جولد

تسميه ص ٨ .

(٢) الأنعام آية ١٣٧ .

(٣) البحر المحيط : أبو حيان ص ٢٢٩

ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون،
قرأها بعضهم تستكبرون بالتاء المثلثة فرد
عليه الدكتور النجار، قائلا: «لم تعتمد
هذه القراءة في القراءات السبع ولا الأربع
عشرة بل هي منكدة، ولا يعرف على وجه
التحديد من قرأ بذلك؟ وحسبك هذا دليلا
على أن الخط لم يكن هو العمدة في صحة
القراءة، [١].

وربما كان من أكبر الأدلة على بطلان
رأى جولده تسير، أن هذه القراءات رويت
وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف...
ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط معروف،
ولا الشكل اخترع، فظهرت حركة القراءات
قبل النقل والضبط، فكانت قراءاتهم للكلمة
على حسب ما يروون وينقلون، لا على حسب
ما يقرءون في المصاحف، [٢].

وفي رأى أن (جولده تسير) تورط في هذا
الرأى، لأنه لم يجد دليلا واحدا يعتمد عليه
الهم إلا رأى الزعزعى في قراءة ابن عامر
التي أشرت إليها وهى - كما بينت - قراءة
صحيحة لا تتعلق برسم المصحف، وإنما تتعلق
بالرواية والنقل.

ولو كان ما ذهب إليه المستشرق صحيحا
لاضطربت المصاحف وغيرت الآيات وبدأت

وقد اهتمت المسلمون على نقلهم لضبطهم،
وفهمهم، وديانتهم، (١).

وأما «جولده تسير» فقد تكفل بالرد
عليه الدكتور المرحوم عبد الحليم النجار
إذ قال معقبا على رأيه في تعليقه على كتابه
«مذاهب التفسير الإسلامى»، مانصه: «لم يكن
الخط العربى سببا في اختلاف القراءات، بل
كان مساعدا على استيعاب القراءات الصحيحة
بجالاته التي كان عليها عهد كتابة المصاحف
العثمانية من إعمال النقط والشكل، فليس
العبرة بالخط، وإلا لا عتمدت قراءات
يسمح الخط بها، (٢).

ولم يكتف الدكتور النجار بهذا الرد
على المستشرق بل تعقب أدلته التي أستدل
بها على رأيه ليفندها، ويعلن زيفها. فقد
قال المستشرق: «إن الآية: وما كان استغفار
إبراهيم لأبيه إلاهين موعدة وهذا إياه، (٣)
كان حماد يقرأها «أباه» بالباء الموحدة فرد
عليه الدكتور النجار قائلا هذه قراءة منكدة
بالانفتاح فليس من السبع ولا الأربع عشرة
ولو كان مجرد الخط كافيا لا عتمدت (٤).

ويرى المستشرق أن الآية «ونادى أصحاب
الأعراف رجلا يرفونهم بسيما» قالوا:

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٨ (هامش)

(٣) مذاهب التفسير الإسلامى ص ٨.

(٤) نفس المرجع ص ٩ «هامش».

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) القراءات والهجاء ص ١٨٣ بتصرف

للاستاذ عبد الوهاب حموده.

ثم قال - والقائل أبو القاسم - : وكان أبو العباس (المبرد) صحفياً ومن نقل اللغة عن المصحف صحف ، وإنما وجدته جبل رمل فقال : جبل ، وأسقط الرمل (١) .

فإذا كان نقل اللغة عن المصحف تصحيحاً فالأمر كذلك بصدد المصحف فن نقل القرآن عنه ، وأغلق أذنه دون الرواية والنقل وقع في التصحيح ، فجاد الرواية حفظ القرآن من المصحف ، وقد أخذ عليه أنه كان يقرأ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أياه (بالباء الموحدة) (٢) ،

وروى أن حمزة الزيات كان يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يوماً - وأبوه يسمع - ، ألم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه ، فقال أبوه : دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال ، وحدث إسماعيل بن محمد اليسرى قال : سمعت هشام بن أبي شيبه يقرأ (وجعل السقاية في رجل أخيه) فقلت له : ما هذا؟ قال تحفة الجيم واحدة [١٢] .

وأخبر ابن عمار قال : (انصرفت من مجلس عبد الله بن عمر بن إبان القرشي ... فرأته بمحمد بن عباد بن معشر فقال : من أين أقبلت؟ فقلت : من عند أبي عبد الرحمن شكك أنه فقال : ذاك الذي يصحف على جبريل -

كلماتها القرآنية بكلمات أخرى لا تمت إليها بصلة ، وحينذاك يضيع كتاب الله ، وتضيع معالمه ، ذلك لأن القارئ الذي لم يتلق القرآن عن طريق المشافهة والسماع يعز عليه في كثير من الأحيان أن يقرأ صحيحاً ، ومن ثم تعثرى قراءته التصحيح ، ولا نبالغ إذا قلنا : إن هذه التصحيفات وقعت من رجال لم يشرتهم الأدبية ومقدرتهم اللغوية كالمبرد الذي تحدث عن تصحيحه أبو القاسم على بن حمزة في كتابه (التنبيهات على أغاليط الرواة) فقال :

قال (١) في قول الفرزدق .

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد

ومات أبو غسان شيخ الهازم (٢)

يعنى بسطام بن قيس بن خالد الشيباني وهو فارس بكر بن وائل . ثم قال : وقتل بالحسن وهو جبل . وهذا غلط منه مركب من تصحيح ، وإنما الحسن شجر ، سمى الحسن لحسنه بكشيب من رمل ، ينصب الكشيب إليه فيقال : نقا الحسن ، ويقال اليوم قتل بسطام (يوم النقا) قال الفرزدق :

خالي الذي ترك النجيع برحمه

يوم النقا شرقاً على بسطام (٣)

(١) القائل : أبو العباس المبرد .

(٢) الهازم : لقب تيم الله به بن ثعلبة (أقرب الموارد ج ٢ ص ١١٦٥) .

(٣) ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٨٥٠ من

قصيده التي يناقض بها جبريل .

(١) التنبيهات على أغاليط الرواة ص ١٤٧ أبو القاسم على بن حمزة مخطوط ٢٢ لغة مكتبة الشنقيطي .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٩

(٣) التصحيح والتحريف للعسكري ص ٩٠ .

لإيمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط
أو الرسم .

وإذا نظرنا إلى الأمصار الإسلامية وجدنا
أن كل مصر التزم قراءة قارىء بعينه مع
احتمال رسم المصحف لهذه القراءة ، وأن
القراء انتشروا في الأمصار ليعلموا الناس
قراءة القرآن لإيماناً منهم بأن المصحف وحده
لا يغنى شيئاً في مجال القراءة ففي مصر مثلاً أول
من أقرأ القرآن بها هو أبو أمية عبيد بن
نخمر المغافري ، وكل القراءات بمصر رواية
من نافع نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد
المصري المعروف بورش . ويحدثنا السيوطي
أن عمر بن عبد العزيز أرسل نافعاً إلى مصر
ليعلم المصريين فأقام نافع بمصر مدة طويلة .
وأخذ الأندلسيون قراءة نافع عن
عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصري
المتوفى سنة ١٣١ هـ ، (١)

وبعد ، أفلم يكن أيها المستشرق - لدى
المصريين أو الأندلسيين مصاحف يقرءون
فيها ، ويستغنون بها عن نافع وغيره من
القراء ؟ إذا كان الأمر يتعلق بقراءة القرآن
الكريم حيثما اتفق لصح ذلك ، ولكن قراءة
القرآن الكريم دعاتها الرواية والمشافهة كما
بينت لك .

عبد المال سالم علي مدرس

(١) أدب مصر الإسلامية ص ٣٦ بتصرف :
للدكتور محمد كامل حسين .

يريد قراءته : (ولا يفوت ، ويعوق وبشرا
وكانت قد حكيت عنه) (١) .

ومن أجل هذه التصحيحات التي تخل بمنطق
الآيات قالوا : (لا تأخذ القرآن من مصحف
ولا العلم من محفي) (١) .

والتصحيح في القرآن من أهم الأسباب
التي جعلت أولى الأمر يهتمون بتنقيح
المصحف وذلك أن الناس دغبروا يقرءون
في مصحف عثمان بن عفان ورضي الله عنه نيفاً
وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان
ثم كثرت التصحيحات ، وانتشر بالعراق فمزج
الحجاج بن يوسف إلى كتابه ، وسأله أن
يضموا لهذه الحروف المتشابهة علامات (٢)
ومن عجيب إن هذه التصحيحات عدها ذلك
المستشرق قراءات ، وبين أنها نشأت من
خط المصحف ، وغاب عن ذهنه أن القراءات
مصدرها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتلقيها لأصحابه ، وهؤلاء لقنوها غيرهم
حتى وصلت إلينا وصنعت إلى غيرنا بالطريقة
نفسها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .
وإلى هذا الوقت نجد معلم الكتاب يبتدىء
مع التليذ الصغير أول ما يبتدىء . بتحفيظ
القرآن الكريم قبل أن يجيد القراءة والكتابة

(١) نفس المرجع

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) وفيات الأعيان : ابن خلكان ١ -

ص ١٢٥ ط ١٣١٠ .

الجبـال في القرآن الكريم

د. أسنان الدكتور محمد أحمد النمردي

- ٧ -

كما ترى ، وبالضمير في آيتي المرسلات وفصلت فإن الضمير في (فيها) في كل منهما راجع إلى الأرض المصرح بها في أولى الآيتين (٢٦، ٢٥) من سورة المرسلات : « ألم نجعل الأرض كفافاً . أحياء وأمواتاً ، وفي الآية (٩) من سورة فصلت : « قل أنتم كنسكفرون بالذي خلقى الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ؟ ذلك رب العالمين ، .

وآية سورة المرسلات أول آية قرآنية ذكرت فيها الجبال بالوصف باللفظ ، وقبلها نزل الوحي بثلاث آيات ذكرت فيها الجبال باللفظ هي آية سورة المزمل : « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ، وآية سورة التكوين : « وإذا الجبال سيرت ، وآية سورة القارعة ، « ثانية الآيتين « يوم يكون الناس كالفرش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، وكلها كما ترى تتعلق بأمور هائلة تقع بالجبال بين يدي الساعة أو عند قيامها . وإذن فآية المرسلات هي أولى الآيات القرآنية التي ذكرت فيها الجبال من حيث علاقتها بهذه الحياة ، أى من حيث وجودها لأفئتها ، ومن حيث دلالتها على الله

من الآيات التسع التي وصفت فيها الجبال بالرواسي في القرآن الكريم ثلاث اقترن فيها ذكر الرواسي بمد^(١) الأرض ، وثلاث بمنع ميدان^(٢) الأرض ، وثلاث أطلق الذكر فيها فلم يقترن بذكر ظاهرة خاصة في الأرض كالتى ذكرت في الآيات الست الأخرى .

هذه الآيات الثلاث الأخيرة هي حسب ترتيب نزول الوحي بسورها :

الآية (٢٧) من سورة المرسلات « وجعلنا فيها رواسي شامخات ، تتبعها الآية (٢٨) « واسقيناكم ماء فراثاً ، .

والآية (٦١) من سورة النمل : « أمئن (أم من) جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزاً ؟ إله مع اقّه ؟ بل أكثرهم لا يعلمون ، .

والآية (١٠) من سورة فصلت : « وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها ، في أربعة أيام سواء للسائلين ، . وقد جاء ذكر الأرض صريحاً في آية النمل

(١) المقال الخامس عدد شعبان .

(٢) المقال السادس عدد رمضان .

للناس في عصر نزول القرآن أولاً ، ثم في كل عصر يأتي بعد أن نزل القرآن ولأن الماء العذب ضروري للحياة في كل زمان ومكان . وقد جاءت آية الماء للفرات تغلظ في الصورة الكريمة آية الرواسي الشاخات ليدل التتالي على أن بين الأمرين صلة ، وأن شموخ الجبال له دخل كبير في نزول الماء يسقاه الناس وما لهم من صنوف الزروع والحيوان . ودخلها هذا حق يقرره علماء الجغرافيا الطبيعية والأرصاد ، ويعرف بعض وجوهه كل مشفق بين الناس ، فمن المعلومات العامة بين المثقفين أن الأنهار مرد منابعها إلى الجبال والماء الفرات ، أي العذب جداً كما يقول القاموس ، يدل أول ما يدل على ماء المطر ، لكن تنكيه في الآية الكريمة يفيد العموم ، فهو يشمل كل ماء عذب في الأرض سواء أكان ماء نهر أم بحر أم مطر . بل إلى الأمطار في النهاية مرد مياه الأنهار والعيون والعذب من الآبار .

والمطر في العلم يشمل كل ما ينزل من السماء من ماء أو ثلج أو برد طبق سنة الله سبحانه في دوارة الماء العذب بين البحار الملح والمحيطات وبين اليابسة فكل عذب على الأرض أصله الماء الأجاج . ومنشأ سبحانه على الناس بالماء الفرات في آية المرسلات لا يخلو هذا الوصف من إشارة إلى هذه الحقيقة الكبرى ههنا من يلحظ ضمير الجلالة

الذي فطرها وحقق بها ما حقق من منافع للناس . ومن هنا تقبين حكمة ذكرها باسمها في آيات التذكير بهول يوم القيامة ، وذكرها بوصفها في أول آية لفت الله بها عباده إلى مظهر من مظاهر قدرته في خلق الجبال .

وفي الآية الكريمة وصفان للجبال كما ترى : أنهن رواسي وأنهن شاخات على التنكير لا على التعريف ، تنبها إلى قبيل خاص من الجبال . فلئن كانت الجبال كلها رواسي (١) من حيث الثبوت والرسوخ في الأرض وهو المعنى الذي يعرفه كل أحد ، فليست كلها شواخ بالغة الارتفاع ، وإن كان تقدير الشموخ نسبياً عند الناس . لكن مهما يكن اختلافهم في التقدير فالكلمة في اللغة تدل على امتياز في الارتفاع ، ففي القاموس (شموخ الجبل علا وطال) . ولعل في العلم حداً لا يعتبر الجبل شامخاً دونه عند علماء الجغرافيا الطبيعية أو الجيولوجيا أو الأرصاد الجوية ، فإن لم يكن فالآية الكريمة تلفت إلى بحث هذه الناحية فيما تلفت إليه من بحث الكيفية التي رفع الله بها الجبال من ناحية ، وخالف بين ارتفاعاتها من ناحية أخرى حتى كان منها الشاخ الممتاز في ارتفاعه عند أهل كل إقليم ، إذ الآية تتحدث عن الأرض عامة لا أرض العرب خاصة ، والضمير في (وأسقيناكم) من قوله تعالى (وأسقيناكم ماء قرأتا ، ضمير خطاب (١) في المقال الخامس دلالات أخرى لهذا الوصف .

ونارها الشمس وإن من أعلى ، وحوامل
بخارها الرياح ، وقوابل قطرها الأودية
ومجارى الأنهار .

ويتضمن وصف الرواسي بالشاخات في آية
المرسلات حقيقة أخرى في الفطرة وظاهرة
معجبة ، تلك هي ظاهرة الثلج الدائم يكلل
هامات الجبال التي تكون درجة الحرارة في قممها
دائماً تحت الصفر إذا زاد ارتفاعها عن حد
خاص يتوقف على موقعها من خط الاستواء ،
حيث الحد الأعلى لارتفاع بدء منطقة الثلج
أو خط الثلج الدائم كما يسمونه . فهو في خط
الاستواء بين ستة عشر وسبعة عشر ألف قدم
أي نحو خمسة آلاف متر في المتوسط . وهو
يقل عن ذلك بالتدريج كلما بعد الموقع عن
خط الاستواء ، أي كلما قلت درجة الحرارة
الجوية في المنطقة . ففي مدار السرطان مثلاً ،
أي شمال خط الاستواء بنحو ٢٣ درجة ،
يكون ارتفاع خط الثلج الدائم نحو ثلاثة عشر
ألف قدم ، ويصغر ارتفاعه إلى نحو ستة
آلاف قدم عند خط عرض ٥٠° شمال خط
الاستواء ، ونحو أربعة آلاف قدم عند خط
عرض ٦٠° ، وهلم جرا حتى ينمحي تماماً
عند خط عرض ٧٠° إذ يكون الثلج دائماً
على مستوى سطح البحر كما يدل عليه الرسم
البياني لخط الثلج الدائم في نصف الكرة
الشمالي في دائرة معارف (هفتسن) المصورة
وانحماؤه هذا يحول دون اتخاذ معياراً عاماً

في الآية ويعلم أن البحار والمحيطات ، التي في
مجموعها تغطي نحو واحد وسبعين في المائة
من مساحة الكرة الأرضية ، يقبخر ماؤها
باستمرار طبق سنن الله في تبخر الماء في
مختلف الظروف ، حتى إذا حلت الرياح
البخار إلى أعلى الجو تكاثف سحباً ، وتكاثف
السحاب مطراً طبق سنن الله في ذلك كله حتى
إذا جرت الأنهار خلال الأرض منصبة نحو
البحار عاد عظم الماء إلى المصدر الذي منه
جاء ، وهكذا دواليك يا ذن الله في دورة
تتوقف عليها الحياة في الأرض من غير أن
يضيع فيها من الماء العذب شيء . فإن ما يظن
الإنسان ضياعه ، ذهاباً في جوف الأرض
أو في الجو ، مصيره أن يحتزن في باطن
الأرض ليمتدح حيث يشاء الله عيوناً طبيعية
وآباراً ارتوازية ، أو أن يتكشف إلى سحاب
ليعود مطراً من جديد .

وشواخ الجبال ركن مهم في تكثيف
البخار سحباً ، والسحاب ماء . فهي من
ناحية تحول مجرى ما يصطدم بها من الرياح
الافقية المتحملة بالبخار إلى أعلى حتى تصل
إلى مناطق التكثيف الباردة من أعاليها
وأعلى الجو ، وهي من ناحية أخرى تتكشف
ما يلاقى أعاليها من السحاب الذي تحمله الرياح .
فهى في الواقع تعمل عمل مكشفات هطلى
في عمليات تقطير هائلة تستأجر البحار والمحيطات

مقال آت لإنشاء الله طرفاً من هذا الموضوع الجليل عند ما تتأمل الآية (٤٣) من سورة النور . لكن لا يفوتنا التنبيه هنا إلى أن العموم الذي أفاده تكثير الماء في آية المرسلات يشمل ماء الطريقين جميعاً: طريق الكهربائية الجوية وطريق شواخ الجبال . وقد تكرر ضمير الجلالة المتمكّم ثلاث مرات في آيات المرسلات : عند ذكر الأرض ، وعند ذكر الرواسي العاصخات ، وعند ذكر الماء الفرات ، للدلالة على جلال ما أودع الله في كل من أسرار قدرته وحكمته ورحمته بما ذكرنا بعضه وما لا يستطيع استقصاءه أحد ، ولكي لا يستكثر أحد على الآية منها أن تدل على ما علم الله أن سيهدى أهل العلم الحديث إليه من أسرارها . وما كشفه أو يكشفه العلم الحديث من تلك الأسرار إن هو إلا تفصيل لما أجملته كل آية من حجة الله على الناس ألا يعبدوا إلا إياه .

أما آية النمل فقد أقام الله حجته على عباده فيها بالأرض أيضاً ولكن من حيث إنها قرار ، وبالماء ولكن من حيث إنه إنهار ، وبالرواسي من غير تخصيص بالشواخ منها ، وبآية رابعة له سبحانه في الخلق تتصل اتصالاً وثيقاً بالإنهار ألا وهي الحجر يذنها وبين البحار الأجاج التي تصب فيها أن تطفئ البحار عليها ، لأن البحرين المذكورين من غير

لشموخ الجبال في كل منطقة ، لكن من الممكن اتخاذه معياراً للشموخ في المنطقتين الحارة والمعتدلة فيكون الجبل الشاخ في المنطقة ما ابيضت هامته بالثلج على الدوام .

وكثير من الجبال يزيد ارتفاعه عن ارتفاع خط الثلج الدائم في منطقته . فإذا كان الفرق بين الارتفاعين كبيراً كان لتراكم الثلج فيما بينهما فضل في تغذية الأنهار بالماء نتيجة لذوبان بعض الثلج باستمرار لفظط الطبقات العليا على السفلى ، ولا نزلاق ما هلا على ما ذاب من أسفل ليمتد حتى حد خط الثلج شيئاً فشيئاً ، ولا يكاد يتعداه حتى يسيل .

ولن تنفذ الشلوج على قمم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها الدنيا ، لأنها كما تسيل هكذا باستمرار تتجدد أيضاً باستمرار . ولولا هذه الظاهرة العجيبة لجفت الأنهار التي تجري في وديان تحفها الصحراء إذا انقضت فصول الأمطار عند منابعها .

ويذهب أن تمتدكر أن الرياح التي تضع حملتها من الماء على شواخ الجبال تهب على ما وراها ولا ماء فيها . لكن الله سبحانه يرسل الغيث على ما وراها من طريق آية أخرى له في الخلق هي الكهربائية الجوية التي يلفت الله عباده إلى ما أودعه فيها من مظاهر قدرته ورحمته في الآيات التي تذكر الرعد والبرق في كتابه العزيز . وسنبين في

أما الرواسي في الآية الكريمة فينبغي تقدير آيات الله فيها من حيث علاقتها بعمله سبحانه الأرض قرارا لمن عليها ، وذلك ليس فقط لأن السياق يقتضى هذا ، ولكن أيضا بقرينة لفظة في الآية قليلة الحروف كبيرة الدلالة هي قوله تعالى (لها) بدلا من (فيها) في الآية الكريمة ، وجعل لها رواسي ، وأول ذلك ما تبين في هذا المقال من صلتها بالأنهار أو صلة الشراخ منها . وثاني ذلك حفظ الله الأرض بها أن تميد بالناس ، وهو الجانب الذي نبه الله عليه في آيات كانت موضوع المقال السادس من هذه السلسلة . أما علاقة الرواسي بمد الله الأرض فقد تأملنا آياتها في المقال الخامس ، وهو فيما نبين في ذلك المقال نفس موضوع إنشاء الجبال في أم أنوعها .

وتبقى آية فصلت من الآيات الثلاث المذكورة في صدر هذا المقال . ووضح منها ومن الآية قبلها أن ذكر الرواسي فيها كان طورا من أطوار خلق الأرض تمهيدا للطور الرابع الذي بارك الله فيه الأرض وقدر فيه أقواتها . والدليل على الأمرين جميعا جمعه سبحانه يوم الطورين الأول والثاني مع يوم الطورين الثالث والرابع في قوله تعالى : وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، بعد قوله تعالى في الآية قبلها : دقل أنكم لتسكفرون

وصف في قوله تعالى : (وجعل بين البحرين حاجزا) هما عين البحرين المذكورين في قوله تعالى من سورة الفرقان : (وهو الذي مرج البحرين ، هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) . وسورة الفرقان قد نزل بها الوحى قبل سورة النمل وهي كذلك أيضا في ترتيب المصحف ، وهذا يفسر ذكر البحرين في آية النمل من غير وصف بعد أن تبين وصفهما في آية الفرقان . وكذلك الأمر في ذكر حاجز بين البحرين مجردا في آية سورة النمل ، كأنه تليخيص للبرزخ والحجر المحجور وبيان الحكمة الله فيه . وليس هذا موضع بيان كيف أن سنة الله في جذب الأرض لما عليها إلى أقرب نقطة من مركزها هو الحاجز بين البحر أن يطغى على النهر ، لأن سطح البحر أقرب إلى مركز الأرض من سطح اليابسة الذي يجرى عليه النهر . فبسنة الله العامة في الجاذبية ينزل الله الأمطار ، ويجرى الأنهار ، ويحفظها من أن تطنى عليها البحار .

والأنهار تاريخ طويل في ماضيها وحاضرها يبحث عنها كيف نشأت وشقت مجاريها وقشقتها في الأرض ، وقد أشير إليه في الآية الكريمة بكلمة واحدة هي قوله تعالى وخالها ، أى خلال الأرض . وعلماء طبقات الأرض والجغرافيا الطبيعية هم الذين يدركون جلال ما تدل عليه هذه الكلمة القرآنية الفذة .

بالذى خلق الأرض في يومين ، وقوله في ثانية آيتين بعدها : « ففصاهن سبع سموات في يومين » .
فهذه ثمانية أيام في مجموعها لو أخذت مستقلا بعضها عن بعض . لكن الله سبحانه قد أخبر في آيات متعددة أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام . فلا مفاص من أن الأربعة الأيام في ثانية آيتي فصلت تشمل حتما اليومين في أولاهما . واليوم هنا ليس من أيام الدنيا ولكن من أيام الله . والله سبحانه يقول : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » . ويقول سبحانه : « تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . فانه أعلم بطول اليوم في كل من أيام خلق الأرض والسموات .
وقد ثبت في علم الفلك الحديث أن الأرض انفصلت عن الشمس استناداً على الأخص إلى ما ثبت في علم الكيمياء من أن المشترك من العناصر بين الأرض والشمس لا يقل بل يزيد عن ستين ، وأن الارتفاع الهائل في درجة حرارة باطن الشمس كاف في تحليل ما زاد عن الستين والثيف من ثقل عناصر الأرض ، وهي العناصر التي لم يكشفها التحليل الطيفي في الشمس . وإذن فالיום الأول من أيام خلق الأرض هو الحقة التي تم فيها انفصال جزء الشمس الذي صار فيها بعد أرضاً . واليوم الثاني هو الحقة التي تم فيها تبريد نفس الجزء حتى جمعه . واليوم الثالث هو الحقة التي خلق الله فيها الجبال في الأرض بما سلط على قشرتها من القوى الهائلة التي لا يعرف قدرها إلا هو ، والتي عرف علماء طبقات الأرض كثيراً منها . ومن عجائب الإعجاز العلمي البين في آية فصلت أن دل الله سبحانه على التداخل بين آخر طور التبريد والتجميد وأول طور خلق الجبال بمجمعه يوم الطورين الأول والثاني إلى يوم الطورين الثالث والرابع ودل عليها جميعاً بقوله « في أربعة أيام » . كما دل بذلك أيضاً على أن خلق الجبال كان ضرورياً لخلق الحياة وتقدير الأقوات في الأرض ، فقد أخبر سبحانه في سورة الأنبياء أنه جعل من الماء كل شيء حي ، ودل بذكر الأنهار والزرع في أكثر آيات الجبال في القرآن الكريم على أن الجبال ضرورية لسقيا الأرض وأهلها وزروعها وحيوانها بالماء الفرات . وهذا فيما يتعلق بالإنسان هو الحصة الأولى الكبرى في خلق الجبال الرواسي ؟

محمد أحمد القمري

بالذى خلق الأرض في يومين ، وقوله في ثانية آيتين بعدها : « ففصاهن سبع سموات في يومين » .
فهذه ثمانية أيام في مجموعها لو أخذت مستقلا بعضها عن بعض . لكن الله سبحانه قد أخبر في آيات متعددة أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام . فلا مفاص من أن الأربعة الأيام في ثانية آيتي فصلت تشمل حتما اليومين في أولاهما . واليوم هنا ليس من أيام الدنيا ولكن من أيام الله . والله سبحانه يقول : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » . ويقول سبحانه : « تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . فانه أعلم بطول اليوم في كل من أيام خلق الأرض والسموات .

وقد ثبت في علم الفلك الحديث أن الأرض انفصلت عن الشمس استناداً على الأخص إلى ما ثبت في علم الكيمياء من أن المشترك من العناصر بين الأرض والشمس لا يقل بل يزيد عن ستين ، وأن الارتفاع الهائل في درجة حرارة باطن الشمس كاف في تحليل ما زاد عن الستين والثيف من ثقل عناصر الأرض ، وهي العناصر التي لم يكشفها التحليل الطيفي في الشمس . وإذن فالיום الأول من

حول طبيعة الشعر الجاهلي للأستاذ كامل السيد شاهين

دواعي السهولة

انتخب لها أبطال من نوع خاص ، وإن لم تجتمع لها مشخصات المقامة بعد أن استوت فناً أدبياً من حيث وحدة البطل والراوى ، ومن حيث دوراتها حول غرض عام واحد هو السكينة ولطف الحيلة .

ولعل أصحاب المعاجم أنفسهم كانوا يلحون ذلك فيعنون بالغريب النادر أكثر مما يحرم الواضح المصتبين ... وربما كان صاحب القاموس مشيراً إلى هذا المبدأ الذى بنى عليه كتابه هذه سماه (القاموس المحيط ، والقابوس الوسيط ، فيما ذهب من لغة العرب شاطئاً) (١) ؛ فإن الذى يراجع القاموس يؤمن بأن الفيروزباده قد اهتم اهتماماً خاصاً بالغريب النادر ، ونحن لا نجد مثل هذه الحفاوة فى بعض كتب اللغة كالأساس ، ومقاييس اللغة ، وغيرهما .

وليس كل اللغويين يستريحون إلى هذا المنهج ؛ بل ربما ضاق به فريق منهم كالراوى صاحب مختار الصحاح فهو يقول فى تقديمه : واقتصرت على ما لا بد لكل عالم فقيه أو

(١) راجع شرح ديباجة القاموس ، للعلامة نصر الموريني .

ونزهد بالسهولة هنا ما يشمل البعد عن الجسادة والغلاظة ، بحيث يسكون أدخل فى الدمالة والجزالة .

وقد قلنا فى مقال سلف : إن جامعى الشعر الجاهلى كانوا من المؤدبين الذين يرمون إلى تحفيظ مساند من اللغة ، فكانوا يتحرون من القصائد ما يمينهم على تحقيق هذا الغرض ، كما نرى فى المفضليات والاصمعيات وغيرهما من مختارات المؤدبين ، وقد لمح ذلك الباتلانى فى إعجاز القرآن ، فقال :

وقوم من أهل اللغة يميلون إلى الرصين من الكلام الذى يجمع الغريب والمعاني مثل : أبى عمرو بن العلاء وخفاف الأحمر والاصمعي ومنهم من يختار الوحش من الشعر كما اختار المفضل المنصور من المفضليات ، وقيل : إنه اختار ذلك لميله إلى هذا الفن . ١ هـ

بل كانوا يضعون القصص (التى صارت فيما بعد مقدمة للبقايات) على لسان الأعراب فى البوادى .. وأكثر ما جاء من أحاديث ابن دريد فى كتاب الأمالى من هذا القرى

حتى إن كثيراً من المتأدبين فى هذا العصر يزعم أنها مقامات باعتبارها قصصاً خيالية

ظن ذلك بعض المتعاطين الأدب في القديم وزعموا للناس أن النقص فصاحة وقدرة حتى ومنهم ابن قتيبة في مقدمة أدب السكاتب ، وسخر منهم سخرية حادة ، وعلى آثاره جاء علماء البلاغة فهجوا على متبعي الغريب وأحفظوا كلامهم عن درجة الفصاحة ، وبذلك اعتدل الميزان بعد ذبذبة طويلة .

* * *

ولقد تورط الناقد للباحث الدكتور طه حسين في بعض أحكامه على الشعر الجاهلي ، فجعل السهولة واللين سببا لإسقاط بعض القصائد أو نقيها ... وجعل القرآن الكريم هو المعيار الذي يضبط ما يمكن قبوله من ذلك الشعر وما يمكن دمه .

ولعلنا نستطيع أن نقرر الأصل الذي يقاس إليه الشعر الجاهلي ، ليعرف صحبه من مدخوله في مقال مستقل ...

والباحث في هذا الشعر يجد فيه قوة المتن وشدة الأسر ، ويجد فيه الغلاظة والوهورة أيضا .

والمهتم للسهولة واليسر يجد أنها يظهران في شعر الفرسان ، وفي شعر النساء ، وفي شعر الشعراء المتأخرين للعراق والتابعين بها ، وفي بعض الأغراض التي تغلب عليها العاطفة غلبة ظاهرة كعصر الرثاء ، وأسفار النياحة والهميج والإلهاب ...

حافظ أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه ، لكثرة استعماله وجريانه على الألسن بما هو الأهم فالأهم خصوصا ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية ، واجتمعت فيه هويص اللغة وغريها طلبا للاختصار وتسهيلا للحفظ ... انتهى .

وكانه لا يجد كبير فائدة في تقيع الغريب واقتناس الشوارد ، والاحتفال بما هو نادى باند .

ولقد ظل لإجلال الغريب أسرا سائدا في رواية المؤدبين ، ومحاضرات اللغويين ، وتأليف أصحاب المعاجم دهرًا طويلا ... وذلك هو ما تورط نقاد الأدب في القديم في أحكام بعيدة عن الصواب حتى إن يونس ابن حبيب وأبا عبيدة كانا يفضلان الفرزدق على جرير على حين كان بهار يفضل جريرا على الفرزدق ، ويرى أن يونس وأبا عبيدة ليسا أهلا للحكم على الشعراء .

ولقد كان ثعلب يقدم مسلم بن الوليد على أبي نواس ، وكان البحرى يفضل أبا نواس ... وزعم أن ثعلبا لا يحسن الحكم على الشعراء .

وإذا كان المؤدبون ، فيما يقول الباقلاني ، قد اختاروا اختاراتهم الغرض يخص كتفسير ما يشتهه على غيرهم ، وإظهار التقدم في معرفته ، وعجز غيرهم عنه ، فلا ينبغي أن يخذلنا ذلك عن طبيعة الشعر الجاهلي ونظن به جساوة في اللفظ ، وميلا إلى الحوشية ، وقد

شعر الفرسان

واقف يكون من الصعب على الباحث تحديد
الفارس في العصر الجاهلي ، إذ كان كل أفراد
القبيلة من المحاربين ، ومن يستطيع منهم أن
يملك فرساً أو جواداً يخوض به الغمرات
فهو فارس .

غير أننا لا نستطيع أن ندفع أن الفرسان
يتفاوتون بلاء في الحرب ، وقدرة على إحراز
النصر ، وإحمال الحيلة .. ومن هنا يمتاز
بعضهم على بعض ويتقدم بعضهم بعضاً ،
فيشتهر أمثال : هنرة ، وعمرو بن معد يكرب ،
ودريد بن الصمة ، والمهمل ، والحارث بن
عباد ، وعامر بن الطفيل ، وربيعة بن مكرم
ومالك بن نويرة ، وهشبة بن الحارث بن شهاب .
على أن الذي دفع هؤلاء إلى الشهرة ليس هو
المهارة في ملاعبة الأسلحة ومقارعة السيوف
ليس غير ؛ بل يضاف إلى هذا انطلاق ألسنتهم
بالشعر يقولونه غزراً وتوعداً وتحميساً ورناء
للملازمة الراحلين .

ولابد أن يسكن هناك فرسان لم يشتهروا
لأنهم لا يقولون الشعر ؛ فليس أحد يدعى
أن الفروسية والشعر متلازمان بحيث
لا يكون المرء فارساً إلا انطلق لسانه بالشعر
فهناك فرسان مغمومون قد يكون لهم من
النكاية في العدو والضراوة في الحرب ما ليس
لهؤلاء الفروسان الشعراء .

ولو أننا تتبعنا شعو الفرسان لوجدنا
مسحة عامة تشمله هي طابع البعد من العودة
وقرب المعاني والتجاني عن التنقيح ، ثم
يتفاوت هذا الشعر بعد ذلك جزالة ودماثة
أو ليناً ويسراً ولعل السبب في ذلك أن
الفارس معجل من عاذته شعره بالصقال ،
إذ يقوله هند ثوران العاطفة وتأججها ويلقيه
إلى قوم مثله فاترى المواقف ، ثم هو مطمئن
إلى أن مكانه في القبيلة يعوضه عن التنقيح
والصقل ويعطمته إلى قبول قوله مهما يدن
من الإصاف .

ولعل من أبعد القصائد المأثورات يسراً
وسهولة قصيدة المهمل :

وهمام بن مرة قد تركنا

عليه القشعين من النور

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا طرد اليتيم عن الجزور

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا رجف الغضاء من الدبور

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلاً من كليب

إذا خيف الخوف من الثغور

وهكذا يمحى أشواطاً طويلاً .

وقصيدة الحارث بن عباد :

قرباً مربوط النعامه منى

قرباًها وقرباً مربألى

هو : قيس بن زهير إذ يقول في رثائه لقتيله

حمل بن بدر الفزاري :

تعلم أن خير الناس ميت
على جفر الهباء ما يريم
ولولا ظلمة ما زلت أبكي
عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر
بغى والبغى مصرعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي
وقد يستجمل الرجل الحلم
وإذ يقول :

شفيع النفس من حمل بن بدر

ونأرى من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي

فلم أقطع بهم إلا بناني

* * *

وإذا أريناك ذلك في شعر شرق الجزيرة
مما يلي العراق ومما يلي البحرين ، فإننا
نستطيع أن نريك ذلك كذلك في شعر آخرين
من وسط الجزيرة وغربها هناك حيث تسكن
قبائل قيس وعيلان من هوازن وثقيف وطامر
ابن صعصعة وكنانة ..

ولننخب لذلك قصيدة دريد بن الصمة التي
قالها تمجيدا لربيعة بن مكرم حامي الظمينة التي
حماها من فارس بعد فارس ، فهو يقول :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله

حامي الظمينة فارسا لم يقتل

وهي مشهورة متداولة .

ويبدو لي أن السر في هذه السهولة التي
تدنو من حدود اللين والركاكة أن المهمل
والحارث كانا يقولان قصيدتهما ارتجالا
وعلى عجل وكانا يستعینان بالتكرار على
استحضار المعنى وابتغاء الوسيلة إلى إصابة
القافية ، وشعرهما هذا أشبه بالخطب الإلهامية
منه بالشعر الذي يقوم على اللحن وتغنى فيه
الإشارة ، بل هو أشبه بترديد النائحات وراء
القادة حيث يكررون مقطعا واحدا بعد كل
كلام جديد .

ولعلك تقول: أين يذهب بك ؟! هذا شعر
تغلب وبكر ومحلتهما قريبة من السواد
أو فيه ، فلعل اللين جاء إلى شعر القبيلتين
من هذه السككني .

ولسكننا إذا راجعنا معلقة طرفة بن العبد
البكري ، والحارث بن حلزة اليشكري ،
هرفنا أن سر هذه السهولة أخرى أن يكون
راجعنا إلى خصوص القائل وأنه فارس لا يعنيه
اختيار لفظ أو تنقيح معنى أو فجاجة أسلوب .
ويؤيد هذا أننا نرى هذه الدمائم نفسها
في كلام الفرسان من سكان شرق الجزيرة ،
وبحسبك أن تقرأ معلقة عنزة وتقرنها إلى
المعلقات الأخرى (حاشا معلقة حمرو بن
كثوم فهي كذلك من شعر الفرسان) لنرى
فرق ما بين كلام وكلام من حيث الحزونة
والتهويل .. ويمكنك أن تراها في عيسى آخر

أفتنفي ذلك عن الأدب الجاهلي ، ونذهب
نفطك في أمره لأن مصحته تخالف سمة
المختارات . ذلك مذهب بعيد عن التحقيق .

* * *

ولا يتم لنا ما نريده من الاستشهاد حتى
نصوق لك أيضا بعض الشعر الذي هتف به
القحطانيون اليانعون الذين كانت ديارهم
في الجنوب الغربي ، ونختار منهم عمرو بن
معد يكرب اليبدي والذين ارتحلوا إلى أجا
وسلى من شمال الجزيرة ونختار منهم
حاتما الطائي :

قال عمرو يتحدث عن فرسه ؛ على طريقته
من الصدق والفكاهة ، وهو مذهب في الإدلال
والثقة بالنفس :

ولقد أجمع رجلى بها
حذر الموت وإنى أغرور
واقعد أعطفها كارهة

حين للنفس من الموت هرب
كل ما ذلك منى خلق
وبكل أنا في الروح جدير

وابن صبيح سادرا يوعى
ماله في الناس ما هشت بجهد
وقال حاتم :

غنيما زمانا بالتصعلك والغنى
كما الدهر في أيامه العسر واليسر
كسبتنا صروف الدهر ليما وغلظة
وكلا سقانا به كاسيهما الدهر

أردى فوارس لم يكونوا نهزة
ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللا تبدو أسرة وجهه

مثل الحسام حلية كف الصيقل
يزجي ظميقته ويسحب ربحه

متوجها يمشاه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة ربحه

مثل البغاث خشين وقع الأجل
ياليت شعري من أبوه وأمه ١٤

ياصاح من يك مثله لا يجمل
وفي ذلك يقول ربيعة :

إن كان ينفعلك اليقين فسائل
هني الظعينة يوم وادى الأحزم
إذ هي لأول من أتاها نهزة

لولا طمان ربيعه بن مكدم
إذ قال لي أدنى الفوارس منهم

خل الظعينة طائعا لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه

صددا ليعلم بعض ما لم يعلم
ومتسكت بالرح الطويل إهابه

فهوى صريعا للبدن وللهم
وليس هندي شك في أن هذا اللون أدخل

في الجزالة من شعر الحارث والمهمل ، ولكنه
بعد لم يزايل السهولة واليسر ، ولم يقارب
اللون الذي قدمه المفضل والأصمعي .

فما زادنا بغيا على ذي قرابة
غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وقدما عصيت العازلات وسلطت
على مصطفي مالى أنا ملئ العشر

وماض جارأيا ابنة القوم فاعلى
يجاورنى ألا يكون له سقم

بعمى هن جارات قوى غفلة
وفى السمع منى عن حديثهم وقر

على أتنا لا نتكر أن شيئا من الغريب
قد يجرى فى بعض القصائد ، كما نجد فى قول

عمرو بن معد يكرب يعتذر من هزيمة
بعدم صدق قومه فى القتال :

ولما رأيت الخيل زورا كأنها
جداول زوع أرسلت فاسبطرت

فجاشت إلى النفس أول مرة
فردت على مكروها فاستفرت

علام تقول الرمح يشغل طائقى
إذا أنا لم أنقض إذا الخيل كرت

لى الله جرما حكا ذر شارق
وجوه كلاب هارشت فازبأرت

فلم تغن جرم نهدها إذ تلاقنا
ولكن جرما فى اللقاء ابذعرت

ظلك كأتى للرماح درية
أقاتل من أبناء جرم وفرت

فلو أن قوى انطقتى ومأهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

فكثير من قوافى هذه القصيدة خشن غريب
(اسبطرت ، ازبأرت ، ابذعرت) ولكن ذلك

لا يعنى أن الغريب مسحة عامة فى القصيدة ..
ولا أنه لون طبعى فى شعر عمرو بن معد يكرب .

والقضية على كل حال ليست أن شعر كل
فارس فارس فأى هن الغلاظة ، وانتهى

إلى اليسر والسجاجة .. كلا ، ولكننا نريد
أن شعر الفرسان فى الأعم الأشيع على هذا

الأصل جاء . وبروز هذه الكلمات الغرائب
فى هذه القصيدة لا يعنى أنها تميل من الفصاحة

كما قد يظن بعض معلى البلاغة ، بل إن
للكلام حاجات قد تطلب الغريب ، ولا يغنى

غناؤه اللفظ المأنوس ، وقد تناول هذه
القضية ابن الأثير ، وأطفت بها فى بعض

المقالات .

وبعد : فالشواهد لشعر الفرسان كشدة
تستطيع أن تجدها فى ديوان الحماسة ، وأن

تلتقطها من أيام العرب ، وكلها على
هذا الروح الذى نحاظه بغاشة العاطفة الحارة ،

وسماحة الفروسية السكرية ، وينبؤ عن
التجهم والوعورة .

على أنه ينبغى ألا نظن أن الشعر الجاهلى
خلام المدخول ، فهناك شعر غريب دخل

الأدب الجاهلي ، وهناك شعر يميل إلى الدمائية
دخل الشعر الجاهلي أيضاً .

فهذه بشعر المعلنين ، والناشئين في الشعر ،
المقرزمين به أشبه منها بشعر شاعر متدفق
فنحن لا نستطيع أن نقبل من الرواة

ما نسبوه إلى المهمل في رثاء أخيه :

وعلى الجمل ، فإن مقياس الوعورة والقسهل
في الشعر الجاهلي مقياس خادع ، وغير هذا
المقياس أولى باعتبار العلماء .

وربما تيسر لنا تتبع أسباب السهولة
في الشعر الجاهلي في مقالات مقبلة إن شاء
الله تعالى ؟

أمل من ساهب

نعي النساء كلياً لي فقلت لهم :

مالت بنا الأرض أو زالت رواسبها

ليت السماء على من تحتها وقعت

وانشقت الأرض فانجابت بمن فيها

لا أصلح الله منا من يصلحكم

ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها

فقهاء المدينة السبعة

كان هبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علم المدينة ،
وقد ذكرهم هبيد الله في أبيات رقيقة في الغزل ، وهم بعد هبيد الله هذا : أبو بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديقي ، وعروة
ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن . وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد
ابن ثابت الأنصاري ؟

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

لدأستاذ محيي الدين الألواني

(٤)

اتباع السنة ورد البدعة بأقسامها وأطرافها مع الرد على تحريف الغلاة وتأويل الجاهلين وإفراط المتعصبين وتفریط المبطلين . فيقول في مقدمة الكتاب : ... هذا كتاب ناطق ببيان ما دلت عليه كلمة الإخلاص والتوحيد وأهمته من رد أنواع الضلال من الشرك والبدعة والتقليد وهي التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه موصلة أصحابها إلى دار السلام . طالما كان يحظر إلى بالبال أن أحرر في تيك الدلائل صحيفة كاملة وأحبر لهذه المسائل وقيمة حافلة . ولكن يعوقني الزمان الحاضر الحائز للفتن عن البلوغ إلى هذا المرام ولا يساعدن الدهر الماشي على خلاف المراد على سلوك هذه السبل : سبل السلام .

وكنيت دائماً بالمرصاد لانتهاز الفرص تحصيلاً لهذه البغية على ما يراد إلى أن وجدت — بحمد الله وحسن توفيقه — فرصة نزرة اختطفتها من أيدي آفاه الليل والنهار ، وزماناً يسيراً سرقة من حركات الفلك المحدد الدوار مع هجوم الأشغال وتشقت بالبال من كثرة الأسقام والاحتلال واختلاف الرجال ،

من أجل المؤلفات العربية لعلماء الهند ، كتاب « الدين الخالص » تأليف العالم الكبير السيد محمد صديق حسن خان ، القنوجي الشهير « بنواب بهوبال » المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ ١٨٨٩ م . وقد جعل المؤلف الكتاب جزأين وهب ههما « بالنصيب الأول » ، والنصيب الثاني ، وخصص « بالنصيب الأول » بمباحث التوحيد ، والنصيب الثاني بمباحث الاعتصام بالصنعة واجتناب البدع وجاء للكتاب حافلاً بمباحث التوحيد والسنة وسماء المؤلف « الدين الخالص » (١) مقتبسا اسمه من قوله سبحانه وتعالى « أله الدين الخالص » .

وكانت الهند من أسبق البلاد في مناصرة علم التوحيد والاعتصام بالصنعة والهدوة لإلهما بدليل مسارعة علمائهما في نشر وتأليف كتب عديدة بمختلف اللغات في هاتين الدعامتين القتين يقوم عليهما صرح الإسلام . ولم يدع المؤلف آية من آيات التوحيد الواردة في القرآن إلا أتى عليها بالبيان الوافي لإثبات التوحيد الخالص ، ونفى الشرك بجميع أنواعه وأصنافه ، وكان غاية في الرغبة في

(١) طبع في مصر في أربعة أجزاء .

وقد ورد في فضلها غير هذا ، لاشتغالها على أصول التوحيد ... الخ .

(ب) - دليل وجود الصانع :

سئل بعض الأعراب : ما الدليل على وجود الصانع الواحد ؟ قال : إن البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على المسير ، فهيكمل هلوى بهذه القطافة ، ومركزو سفلى بهذه السكثافة أما يدلان على وجود الصانع الحبير ؟ وفي القرآن من دلائل التوحيد كثير طيب وتكرير قوله تعالى : لا إله الا هو ، للتأكيد وقائدة تكريرها بالإعلام بأن هدفه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه ، وفيه حث العباد على تكريرها والاشتغال بها ، فإنه من اشتغل بها اشتغل بأفضل العبادات ، وبالأشتغال بها ترسخ قدم التوحيد في قلوب العباد ... الخ .

(ج) ود التمثيل والتقليد :

وقال تعالى : دوما من إله إلا الله ، فيه رد على من قال بالثلاثية من النصارى ، وقال تعالى : دقل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، وذلك أن النصارى عبدوا غير الله ، وهو المسيح ، وأشركوا به ، وهو قولهم : أب وابن وروح القدس ، فجعلوا الواحد ثلاثة ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، تبسكيت لمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير وإشارة إلى أن هؤلاء من جففس البشر وبعض منهم ، وإذراء على من قلد الرجال في دين الله فخلل ما حللوه وحرم ما حرموه عليه ، فإن

لجملتها وقتا لوبر هذا المرقوم على سبيل الارتجال وجناح الاستعجال بالتفصيل والإجمال ، فجمعت - حسب ما تمكنته وقدر ما تحصلت - آيات بينات وأحاديث شريقات وردت في إثبات التوحيد ونفي الإشراك واتباع السنة ورد البدعات مع تفسيرها الذى حرره العلماء الفحول ، وشرحها الذى أذعن له سلف الأمة وأتممتها بالتلقى والقبول ضاماً إليها من مقالات أهل العلم المتقدمين منهم والمتأخرين ، ماوقفت عليها ، جامعا لأشتات هذه الأبواب المتفرقة في الهداوين المؤلفة إليها ، فجاء - بحمد الله - أجمع ما جمع في هذا العلم

ويجد القارىء ما اشتمل عليه هذا الكتاب من المباحث الهامة من هداوين أبوابها العامة المقسمة إلى موضوعات يحتوى عليها كل باب ، فدونك نماذج من ذلك :

(١) باب في الآيات القرآنية الدالة على توحيد الله تعالى :

١ - أعظم آية في القرآن وأفضلها :

حيث قال : هن أبى بن كعب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله : أى آية من كتاب الله أعظم ؟ قال : د آية الكرسي ، ليهنك العلم بأبا المنذر ^(١) ، أخرجه أحمد ومسلم

(٢) قوله : ليهنك العلم ، بصيغة الأمر الغائب أى ليسكن العلم ههنا لك ، وفي رواية ليهنك العلم ، وأبو منذر كنية أبى بن كعب رضى الله عنه .

المخلوقات وخرجنا عن قلعهما المشاهد ،
وهلك من فيهما لوجود التمانع من الآلهة
على العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء .
وعدم الاتفاق عليه ؛ لأن كل أمر صدر عن
الاثنين فأكثر لم يحصر على النظام ، ويدل
العقل على ذلك .

قيل : هذا دليل إقناعي بحسب ما يفهمه
المخاطب وبحسب ما فرط منهم قاله الحفناوى
والفتنأزاني .

والصحيح أن الآية حجة قطعية الدلالة ،
والقول بأنها حجة إقناعية قول منكر ...
وأضاف يقول :

وأقول : الأدلة القرآنية والحجج الفرقانية
على توحيد الله تعالى تنفي عن البراهين
الكلامية والمسائل العقلية والدلائل الفلسفية
في هذا المقصود ، وليس وراء بيان الله ببيان ،
ودونه خروط الفناء .

قال الرازى : القول بوجود إلهين يفضى
إلى المحال . ثم ذكر دلائل ذلك وقال : هذه
حجة تامة في مسألة التوحيد ، والفساد لازم
على كل التقديرات التي قد روها . وإذا وقفت
على هذا عرفت أن جميع ما في العالم العلوى
والسفلى من المحدثات والمخلوقات والكائنات
فهو دليل على وحدانيته تعالى . وأما الدلائل
السمعية على التوحيد فكثيرة طيبة في القرآن
وفي الأحاديث .

من فعل ذلك فقد اتخذ من قله ربا ، ومنه :
« اتخذوا أربابا » ورهبانهم أربابا من دون
الله ، ... إلخ

(د) أرجى آية لأهل التوحيد :

وقال تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وهى أرجى
آية لأهل التوحيد ، فإنه سبحانه لم يؤنسهم
من المغفرة . عن على قال : (ما في القرآن
أحب إلى من هذه الآية) ومن يشرك بالله
فقد افترى إثما عظيما وعن جابر قال :
جاء أهرابى إلى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟
قال : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ،
ومن مات يشرك به دخل النار ، أخرجه
مسلم ... إلخ

(هـ) جواز إطلاق الأخ على الرسل :

وقال تعالى : « وإلى عاد أخاهم هودا ،
قال المفسرون : سماء أخا لكونه ابن آدم مثلهم
وبه قال الزجاج . والعرب تسمى صاحب القوم
أخاهم . وفيه دلالة على جواز إطلاق لفظة
(الأخ) على الرسل والأنبياء بناء على المثلية
في البشرية والصحبة ، خلافا لمن يزعمون أن
في ذلك استخفافا لهم وتدفعه هذه الآية .. إلخ .

(و) الآية حجة قطعية لا إقناعية .

وقال تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدنا ، أى لو كان في السموات والأرض
آلهة معبودون غير الله لبطلنا بما فيهما من

كلمة التوحيد هي الفارقة بين الكفر والإسلام
الكفر مقرون بتوحيد الربوبية . الشرك
الذي تسرب إلى المسلمين في العصور الأخيرة
أغلظ من شرك الجاهلية . الاستغاثة بغيره
شرك . الشرك يحبط للأعمال .

(٥) باب في بيان درجات الصاعدين إلى
مقامات الموحدين .

(٦) باب في الآيات الواردة في ذكر
المشركين والمشركات من أهل الكتاب وغيرهم .
(٧) باب في إفراد بني آدم بالتوحيد
في عالم الفرد .

(٨) باب في رد الإشراك في العلم .
وهكذا أقاض المؤلف في إسهاب أبواب
التوحيد في النصيب الأول من الكتاب لرفع
شأنه في الإسلام ، ولكونه الأساس الذي
تركز عليه قبول الأعمال وجعلها مقبولة
عند الله تعالى ، كما صرح به في مقدمته بقوله :
« وإن كان إخلاص التوحيد لله عز وجل
وقطع هلائق الشرك — كائنة ما كانت —
لا يحتاج إلى أن ينقل فيه أقوال الرجال أو
يستدل عليه بالأدلة ؛ فإنه الأمر الذي بعث
الله لأجله رسله وأنزل فيه كتبه . ومن
شك في هذا فعليه بالتفكير في القرآن
الكريم ، فإنه سيجده من أعظم مقاصده
وأكبر موارده ... » .
وقد بدأ المؤلف « النصيب الأول » في

(٢) باب في الأدلة الدالة على توحيد الله
أيضاً ، وأورد في هذا الباب ما يلي من المسائل :
معنى الطاغوت . أنواع التوحيد . معنى
الإله . أقسام التوحيد . معنى توحيد الربوبية
معنى توحيد العبادة . أنواع الشرك . الشرك
في الربوبية . اجتماع الشركين في العبد .
مراتب التوحيد . التثنية . تحريف المشركين
تصوير حال المشركين . جواب الإشراك .
جواب التحريف . ضلالة اليهود . تحريف
اليهود . الفرق بين الكافر والفاسق في كل ملة .
إطلاق الابن على المحبوب . ضلالة النصارى .
تحريف النصارى لمعنى (الفارقليط) أقسام
المنافقين . نفاق العمل والخلق . توحيد
الفلاسفة . توحيد الجهمية . توحيد الجبرية .
توحيد الاتحادية . توحيد الرسل . وغيرها
من المسائل المهمة .

(٣) باب في بيان أن من حقق التوحيد
دخل الجنة . وأورد فيه المسائل المتعلقة
بالتوكل والدعاء ووحدة الوجود وحكم
العقل .. الخ .

(٤) باب في الكلام على معنى كلمة التوحيد
والتحقق به ، ويقنول المؤلف في هذا الباب
المسائل الآتية :

إطلاق الكفر على المعاصي . إطلاق
الشرك على الرياء . إطلاق الإله على الهوى .
فضائل كلمة التوحيد . فضائل لا إله إلا الله .

دخلت على غيرها من الأسماء والصفات .
وقد أوضح هذا المعنى أهل البيان بما لا مزيد
عليه .

الخامس : اللام الداخلة على قوله «الرحيم»
والكلام فيما كالسلام في الرحمن .

السادس : اللام الداخلة على قوله «الحمد»
فه ، فإنها تفيد أن كل حمد له ومقصود عليه
لا يشاركه فيه غيره وفي ، هذا أعظم دلالة على
إخلاص توحيده .

السابع : لام الاختصاص الداخلة على
الاسم الشريف فإن مقتضى هذا أنه لا حمد
لغيره أصلاً ، وما وقع منه لغيره فهو في
حكم العدم . وقد تقرر أن الحمد : هو الثناء
باللسان على الجليل الاختياري لقصد التعظيم ،
فلا ثناء إلا عليه ولا جميل إلا منه ولا تعظيم
إلا له . وفي هذا من أدلة إخلاص التوحيد
ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مده وما ليس
عليه بمزيد .

الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر
والثاني عشر : قوله «رب العالمين» ، فإن لفظ
الرب — باعتبار معناه القوي — مشعر
أتم إشعار بإخلاص توحيده . هذا باعتبار
معناه الإفرادى دون الإضافي ، ثم في معناه
الإضافي في دلالة أخرى ، فإن كونه «رب
العالمين» يدل على ذلك أبلغ دلالة . ثم في
لفظ «العالمين» معنى ثالث ، فإنه قد تقرر

بيان اثبات التوحيد ونفي الإشراك ، مفتتحاً
بسورة الفاتحة ، حيث استدلل بثلاثين دليلاً
من فاتحة الكتاب وحدها على إخلاص
التوحيد لله تعالى بأصلوب خاص ، وبطريقة
خاصة اتبعها . وأورد هذه الأدلة كما يلي :
وفاقم أن فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها
كل مسلم في كل صلاة مرات ، ويفتح بها
التالي لكتاب الله والمتعلم له . فيها الإرشاد
إلى إخلاص التوحيد في ثلاثين موضعاً .

الأول : قوله تعالى : «بسم الله الرحمن الرحيم»
فإن هاء المعاني والبيان ذكروا أنه بقدر
المتعلق متأخراً ليفيد اختصاص البداية باسم
الله تعالى لا باسم غيره . وفي هذا المعنى
ما لا يخفى من إخلاص التوحيد .

الثاني والثالث : الاسم الشريف أعني لفظ
«الله» ، فإن مفهومه — كما حققه علماء هذا
الزمان — الواجب الوجود ، المختص بجميع
المحامد ، فكان في هذا المفهوم إشارتين إلى
إخلاص التوحيد : أحدهما تفرد به بوجوب
الوجود . وثانيهما اختصاصه بجميع المحامد .
فاستفيد من الاسم الشريف الذي أضيف
إليه لفظ «اسم» ، هذان الأمران .

الرابع : تحلية الرحمن باللام فإنها من
أدوات الاختصاص ، سواء كانت موصولة
كما هو شأن آية التعريف إذا دخلت على
المشتقات أو مجرد التعريف كما يكون إذا

ثم في معناه الإضافي إلى «يوم الدين» معنى ثانٍ ؛ فإن من كان له الملك في مثل هذا اليوم الذي هو يوم الجزاء لكل العباد وفيه يجمع العالم ، أولهم وآخرهم ، سابقهم ولا حقهم ، جنهم وإنسهم ، وملائكتهم ، فهو المستحق لإفراجه بالعبادة وفيه إشارة إلى استحقاقه لإخلاص توحيد . وقد فسر الله هذا المعنى الإضافي المذكور في فاتحة الكتاب هذه في موضع آخر من كتابه العزيز ، فقال : « وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » ومن كان يفهم كلام العرب ونسكته وأسراره كفته هذه الآية عن غيرها من الأدلة واندفع لديه كل شبهة .

السابع عشر : ما يستفاد من نفس لفظ «الدين» من غير نظر إلى كونه مضافا إليه .

الثامن عشر : ما يستفاد من تعريفه ، فإن في ذلك زيادة إحاطة وشمول ، فإن ذلك الملك إذا كان في يوم هو «يوم الدين» الذي يشتمل على كل دين ، كان من له هذا الملك حقيقا بأن يختص العباد توحيد . ويفردونه بالعبادة ، كما تفرد بملك يوم له هذا الشأن .

فإن قلت : هذان المعنيان السكائتان في لفظ «الدين» باعتبار أصله وباعتبار تعريفه أخذا في معنى الإضافي حسب ما ذكرته سابقا .

ثمة وشرها — أن العالم هو اسم لمن عدا الله من وجل وسواه ، فيه خل في هذا كل شيء غير الله سبحانه ، فلا رب غيره ، وكل من عداه فهو مرئوب . ثم في تعريفه باللام معنى رابع بمثل ما قدمنا ؛ فإنها تفيد زيادة الإخلاص ، وتقرر ذلك المفهوم في هذا الموضع . ثم في صيغة الجمع معنى خامس بزيادة تأكيد وتقرير ، فإن العالم إن كان اسما لمن عدا الله لم يكن جمعه إلا لمثل هذا المعنى ، وعلى فرض انهاده باللام فهو لا يقتضي ذهاب هذا المعنى المستفاد من أصل الجمع .

الثالث عشر والرابع عشر : قوله «الرحمن الرحيم» وتقرير الكلام فيهما كما سلف .

الخامس عشر والسادس عشر : قوله «مالك يوم الدين» ، فإن لفظ «مالك» ومعناه الإفرادى — من غير نظر إلى معناه الإضافي — يفيد استحقاقه بإخلاص توحيد ، ويفيد أنه لا ملك غيره ، فلا ينفذ إلا تصرفه لا تصرف أحد من خلقه ، من غير فرق بين نبي مرسل وملك مقرب وعبد صالح .

وهكذا معنى كونه «ملك» على القراءة الأخرى وهما السبعيتان ؛ فإنه يفيد أن الأمر أمره ، والحكم حكمه ليس لغيره معه أمر ولا حكم ، كما أنه ليس لغير ملوك الأرض معهم . أمر ولا حكم ، والله المثل الأعلى ،

إليه الثالثة ، ما تفيد النون مع ملاحظة
الأسرين المذكورين ، ولا تراحم بين
المقتضيات .

الثاني والعشرون والثالث والعشرون
والرابع والعشرون : قوله : « وإياك نعتين ،
فإن تقديم الضمير هاهنا معمولاً لهذا الفعل له
معنى وهو يقتضى أنه لا يشاركه غيره في
الاستعانة به في الأمور التي لا يقدر عليه
غيره ، ثم مادة هذا الفعل لها معنى آخر ،
فإن من كان لا يستعان بغيره لا ينبغي أن
يكون له شريك ، بل يجب إفراده بالعبادة
وإخلاص توحيده ، إذ وجود من لا يستعان
به كمدمه . وتقرير الكلام في الثلاث
الدلالات كتفسيره في « إياك نعبد ،
فلا نعبد » . وصيغ الحصر — إذا تقيعها ؟
من كتب المعاني والبيان والتفسير
والأصول — بلغت ثلاث عشرة صيغة
فصاعداً ، ومن شك في هذا فليقتبع كشف
الوخشي فإنه سيجد فيه ما ليس له ذكر
في كتب المعاني والبيان كالقلب فإنه جعله
من مقتضيات الحصر ، ولعله ذكر ذلك عند
تفسيره للطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضى
المقام بسطه ... » .

في الدين اللؤلؤ

قلت : لا تراحم بين المقتضيات ، ولا
يستنكر النظر إلى الشيء باعتبار معناه
الإفرادى تارة وباعتبار معناه الإضافي
أخرى . وليس ذلك بمجموع ولا مجزوء عند
من يعرف العلم الذي يستفاد منه دقائق
العربية وأسرارها ، وهم أهل علم المعاني
والبيان .

التاسع عشر والعشرون والحادي
والعشرون : قوله : « إياك نعبد ، فإن تقديم
الضمير معمولاً للفعل الذي بعده قد صرح
أئمة المعاني والبيان ، وأئمة التفسير أنه يفيد
اختصاص العبادة به سبحانه وتعالى ،
ولا يشارك فيها غيره ولا يستحقها ، ومن
اختص بالعبادة فهو الحقيق بإخلاص توحيده
وقد تقرر أن الاستغاث والدعاء والتعظيم
والذبح والتقرب من أنواع العبادة ، ثم مادة
هذا الفعل — أعني لفظ « نعبد » — تفيد
معنى آخر ، ثم المجيء بنون الجماعة لتكون
هذا الكلام صادراً عن كل من تقوم به
العبادة من العابدين كذلك ، فكانت الدلالات
في هذه الجملة ثلاثة : الأولى ، في « إياك » مع
النظر إلى الفعل الواقع بعده . الثانية ،
ما تفيد مادة « نعبد » مع ملاحظة كونها
واقعة من ذلك الضمير عبارة عنه ، وإشارة

دُرُوسٌ مِّنْ فَرِيضَةِ الْحَجِّ

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

ولأئمة المسلمين توجيهات كثيرة في تفسير هذه الاستطاعة ترغيباً في أن يحاول كل مسلم أن يهيئ لنفسه الظروف التي تمكنه من أداء هذه الفريضة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فإن نفذت طاقاته دون الاستطاعة فإن رحمة الله واسعة ، ومن كان في سعة من المال وعجز لمرض أقعده ، اقتضت رحمة الله أن يقبل حجه بالإئابة . أما من أخر أداء هذه الفريضة مع قدرته عليها ثم مات فهو آثم ، وبقي عليه الحج في تركته ، لينيب ورثته من يقوم به من ماله ولو لم يوص بذلك . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (لقد هممت أن أكتب في الأمصار بضرِب الجزية على من لم يحج وهو يستطيع إليه سبيلاً) (١) .

أما ثانياً الأمرين من مظاهر التيسير : فهو أن هذه الفريضة تلزم المسلم مرة واحدة في العمر على ما قد يكون فيه من سعة ويسر ، ذلك لأن الله تعالى يريد من عباده أن يظهرُوا الخُشُوع والامتثال لأوامره لا أن يشق عليهم ، وهو سبحانه وتعالى يعلم أن في هذه

إن المتأمل في أسرار هذه الفريضة يجد أن وراءها كثيراً من الدروس القيمة التي تنفع الناس في حياتهم ، وترسم لهم طريق النجاة يوم يعرضون على ربهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وإن أول درس يطالعنا في هذه الفريضة هو « التيسير » ، وأعظم به من درس يحل كثيراً من مشكلات الحياة وعقدها ، وقد دعانا إليه كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، فساخِر الرسول عليه الصلاة والسلام بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً . . .

وأم مظاهر التيسير في هذه الفريضة تتمثل في أمرين :

أولها : أن أداءها لا يكون إلا بالقدرة عليها ، فقد يعيش المسلم ما يعيش دون أن يؤديها ثم يموت غير آثم ، ولا تارك لأحد أركان الإسلام لأنه لم يترك أداء هذه الفريضة متممداً ولا متهاوناً ولا منكراً ؛ بل لأنه عجز عن القيام بها لعجزه عن تكاليفها فاقتضت رحمة الله ألا يكون هذا من المذنبين ما دام غير مستطيع .

(١) إحياء العلوم لفتاوى ج ١ ص ٢٢٠ طبعة الحلب سنة ١٣٤٦ . . .

ما استطعتم ولذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه). (١)
وهكذا رسم الرسول الكريم سبيل التيسير
واضح وقد نزلت آية المائدة تؤيد الرسول
الكريم: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء إن تبد لكم تسؤكم، وإن تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله
غفور حلیم». قد صأ لها قوم من قبلكم ثم
أصبحوا بها كافرين» (٢).

وهكذا كانت الدعوة إلى تيسير الأمور
والبعد عن تعقيد الحياة، درسا من الدروس
العديدة التي تستفاد من فريضة الحج.

ومن الدروس التي تعلمها من فريضة الحج:
هذه التجارب العملية لتهديب النفس والسمو
بالروح، وتطهير القلب.

بالأحرام ينتقل الإنسان إلى نظام في حياته
غير المألوف في سائر الأيام، إذ يجد نفسه
في ثياب لا تدل على أبهة، ولا تحتاج إلى تنسيق
أو تنميق أو أى مظهر من مظاهر التجميل،
بل إن الاهتمام بالتجميل ينتقل من الظاهر
إلى الباطن فيظهر الإنسان أنه بحاجة إلى
تنقية نفسه أشد من حاجته إلى نظافة ثيابه
المألوفة وتنسيقها، وهذا يبعث في النفس

الألوف المؤلفة من المسلمين الذين تجب عليهم
هذه الفريضة كل عام في مشارق الأرض
ومغاربها، ما يكفى لبعث الحياة في مناطق
الحجاز حول الحرم ويعود على أهلها بالخير
العميم، ثم إن القيام بهذه الرحلة الروحية بشوق
ولطف، وما يصحبها من تغيير في نظام الحياة
المألوف فترة من الزمن ومشاهدة تلك البقاع
الطاهرة وأداء مناسك الحج وما يصحبها
من خشوع. كل ذلك كفيل بأن يترك
في النفس من الآثار والصور ما يجعلها تتذكره
دائما، وقد يسكنى الإنسان القيام به مرة في
العمر، ومع ذلك فما أكثر من يعاودرن
الكرة بعد الكرة كلما استطاعوا إلى
ذلك سبيلا متطوعين راغبين في الاستزادة
من تلك المتع الروحية، والاستفادة بما في
ذلك من دروس.

وقد روى أن أحد الصحابة سأل رسول
الله صلى عليه وسلم: «الحج علينا كل عام؟»،
فأعرض عنه الرسول الكريم حتى كروا السائل
ثلاثا، فقال له صلى الله عليه وسلم: (ويحك
ما يؤمنك أن أقول نعم، والله لو قلت: نعم
لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم
لكفرتم، فانكرونى ما تركتكم، فإنما هلك
من كان قبلكم بكثرة سؤالم واختلافهم على
أنبيائهم. فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٦٧ طبعة
المكتبة التجارية ١٣٥٤.

(٢) سورة المائدة: ١٠١، ١٠٢.

النسوة عند صلاة الجمعة في صفوف خلف الرجال ولم يخصص وقت للرجال ووقت للنساء أو مكان دون مكان مع ما هو معلوم من شدة الزحام في الحج ؟

والجواب : أن الصلاة تتكرر في كل يوم وليلة خمس مرات أما الحج فمرة واحدة في العمر ، وأن أكتاف المصلين في الصفوف ينبغي أن تكون متلاصقة وهذا أمر لا يمكن الاحتراز منه ، وهو لذلك مدعاة إلى إثارة الشعور الجنسي إذا أبيع الاختلاط في الصف الواحد ، أما في الطواف فإن الاحتراز ممكن ، وأول إمكانياته هو خلوص النية وعزم الحج على ألا يحاول الالتصاق أو النظر بشهوة وهو يرى نساء من جنسيات مختلفة ، وقد يكون فيهن من هي أكثر جمالا وفتنة وأشد جاذبية من نساء وطنه ، إن شعور المرء في هذا المقام بأن شيئاً من الملاصقة أو النظر الخارج قد يفسد عليه حجه ويخرجه من سعاداته الروحية التي يصفها عليه ذلك المقام الكريم وهو متجرد إلى الله ، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، إن الشعور بذلك بعيد المرء إلى صوابه ، ويجعله ينفر من لذة عاجلة إلى سعادة آجلة وهذا هو المقصود من بقاء الاختلاط هنا فيعود الإنسان في حياته العادية أن يكبح جماح نفسه ويتجنب الاستمتاع بما ليس من حقه فيحفظ إن هو اضطرب إلى الوجود في مزدحم .

معاني بعيدة الأثر إلى قيمة زخارف الدنيا ، وأن الإنسان إذا تجرد منها لا يشعر بنقص في إنسانيته ، بل إنه يحس بقيمته كإنسان مهذب . وفترة الإحرام أيام الحج تقيد الإنسان بقيود تكبح جماح النفس فلا تستطيع أن تستمتع بما هو مباح كالنظير أو التزين أو مقاربة زوجته . . أو اللهو بالصيد . . وإذا كان الإنسان يشعر بقيود وهو قائم يصلي فلا يكلم غيره ولا يتلفت . . شعوره بقيود الإحرام أيام الحج عند الوقوف بعرفة والطواف ومنى . . قد يكون أشد وقعا على نفسه من شعوره بقيود الصلاة . وهذا يدعو إلى تعويد النفس الصبر وامتنال أوامر الله تعالى .

وفي اختلاط الجنسين أثناء القيام بهذه الفريضة ما يعتبر من أروع الدروس في التجمعات العامة ، وضبط النفس وكبح جماح الشهوات ، ذلك أن الحجاج يختلطون رجالا ونساء ، كباراً وصغاراً ، في مزدحمات دونها كل المزدحمات : في الطواف حول الكعبة ، وفي منى ، وفي عرفات . والعبرة هنا أن كلا من الرجال والنساء يكون في أشد الحذر من تلاصق الأجساد ، ولا سيما عند الطواف حول الكعبة حيث تتجمع الألوف المؤلفة في مدار محدود ، ويسعى كل لأن يكون قريباً من بنية الكعبة ليستطيع لمس الحجر الأسود . . ولسائل أن يسأل : لم جعل ترتيب

الأراضي وتحديد الأماكن ، كذلك اقتضت إرادة الله تفضيل بعض الأماكن على بعض فينبغي أن نلزم حدود الله رب العالمين .

ومن الدروس التي تتعلمها من فريضة الحج : التمارن ، نعم ، فإن كل حاج يشعر في تلك الأماكن بأنه أخ لغيره فإذا ما احتاج للمعونة فإن أخاه سرعان ما يلبي نداءه ، وما أكثر ما يشاهد في موسم الحج من ظاهرة المساعدات والمعانات التي تبدو بين الحجاج فما أن يحس أحدهم بمرض الآخر أو نفاد زاده أو عجزه على أية صورة حتى يسارع إلى معونته إن استطاع ودعوة من يكون أكثر مقدرة على رفع الأذى إن هو عجز .

ومن تلك الدروس لإظهار قوة المسلمين بطريقة عملية ؛ فوسم الحج يثبت أنه في الإمكان تجميع المسلمين في صعيد واحد إذا حزمهم أمر أو دهمهم عدو .

ولو تدبر المسلمون ما في هذه الفريضة من دروس وما ترى إليه من حكم بالغة وإرشادات سامية لحرصوا عليها ، وصارعوا إلى أدائها ، واعتبروها من نعم الله العكبرى عليهم ، والله ذو الفضل العظيم .

اللهم بصرنا ، ووقفنا ، وانقضنا بما نعم ، واهدنا إلى صراطك المستقيم .

الدكتور

— محمد الريمي الجبروي —

وفي توقيت الوقوف بعرفة من بعد زوال اليوم التاسع إلى قبيل فجر اليوم العاشر من ذي الحجة درس في احترام الوقت ، وتقدير قيمته ، والمحافظة عليه ، فقد يقيم الحاج شهراً أو سنة بالحجاز ثم يغيب هذه اللحظة في تلك الفترة المحددة فلا يقفها بعرفات ؛ فإنه لا يتم حجه ويضيع ما قضاه من وقت طويل . وما أخرجنا في حياتنا العادية إلى مثل هذا الدرس والمحافظة على الأوقات ، ولا سيما عندما يكون أحد مستأجراً على عمل في وقت محدود كوقت الموظف ، فإنه ليس من حق هذا الأجير أن يتنسى لحظة من وقته في غير ما يعود على المؤجر بالمنفعة ، وما أخرج أولئك الذين يعيثون بأوقات وظائفهم فيقضون بعضها في المحادثة إلى الأصدقاء أو قراءة الصحف . . . ما أخرج هؤلاء إلى الانتفاع بمثل هذا الدرس الذي يتكرر في تحديد أوقات الصلاة وأوقات الصوم . فليقننا نعمبر !

كذلك في تحديد منطقة عرفات ، إن هنا درساً في احترام الأماكن فلو أن الحاج وقف خارج المنطقة المحددة في الزمن المحدد فإن ذلك لا يجزيه ؛ بل يعتبر ناكراً لأحد الركنتين الأساسيتين للحج مهما كان قريباً أو عازياً لمنطقة الوقوف .

نعم هنا درس قيم ، فكثيراً ما تحدث مناازعات في حياتنا العادية بسبب تخطيط

نائلة امرأة عثمان للأستاذ محمد الأحمد أبو النور

وقد كانت هي وأبوها مسيحيين بينما كان
أخوها دسب، قد شرح الله صدره للإسلام،
فلم يقطع ذلك بينهم رحماً، ولم يمنع لهم ودّاً،
ولما جرت مياه الحياة بين ثلاثهم راتفة صافية
وسرت رياح التعاطف بينهم رحية وادعة.

فحين خطبها عثمان إثر مخاطبة بينه وبين سعيد
ابن العاص اغتبط أبوها وأسر ابنه دسباً،
أن يتولى عقد نكاحها قائلاً: أنت على دينه.
ولم يكتف بذلك بل أوصى دناثة، بما يحجبها
إلى بعلمها ويجعلها مكيئة عنده أثيرة لديه
حتى كانت بعد أحظى نساته وأحبهن إليه.

ويروى أبو الفرج الأصفهاني في ذلك أن
سعيد بن العاص تزوج — وهو على الكوفة —
هذه بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمر بن
نعلبة فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه: دأما بعد:
فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب
فاكتب إلى بنسبها وجمالها. فكتب إليه:

أما بعد: فإن نسبها أنها بنت الفرافصة
ابن الأحوص، وجمالها أنها بيضاء مديدة.

ما أكثر من طاشوا فوق هذا السكوب
عند ملايين السنين ثم مضوا دون أن يفيدوا
الحياة بشيء، أو يتركوا حتى مجرد ذكرى..
وإذا نقبت بين جنبات التاريخ فلن ترى
لهم أثراً، ولن تسمع لهم ركزاً..

ذلك أن التاريخ لا يعنى إلا بذوى القيم
والمبادئ الذين عاشوا لها وبها وكافروا
ونافخوا من أجلها، أو أولى المناقب والسجايا
الذين مثلوها بسلوكهم الرائد، وإجبايتهم
البناء، وتفاهلهم الخلاق مع الأحداث
والزمن ومع المجتمع والحياة.

من هؤلاء: نائلة امرأة عثمان بن عفان
رضي الله عنهما التي وهي لها التاريخ كفاحاً
بامراً، ووفاء نادراً، وبطولة فائقة.

نشأت دناثة، هذه في كنف أسرة عربية
عريقة، تؤمن بحرية الاعتقاد وبإمكانية
التعاطف والتواد بين أبناء الملل المختلفة،
في ظل البيت الواحد وتحت سقف الأسرة
الواحدة.

ربها ، وقد أمسى الإسلام أحرأمانها فأسلت
على يديه عقب قدومها .

وقد روى البيهقي في سننه أن عثمان بن عفان
رضي الله عنه نكح ابنة الفرافصة (١)
وهي نصرانية - على نصائه - ثم أسلمت حين
قدمت عليه .

وروى كذلك أن عثمان بن عفان تزوجها
وهي نصرانية (أى) ملك عقدة نكاحها وهي
على دينها حتى حنقت حين قدمت عليه (٢)
وذكر الطبري في تاريخه أن ذلك كان عام
٢٨ هـ وأنها تحنثت قبل أن يدخل بها . (٣)
وأياماً كان فلا ريب أنه قد أتبع لها
في بيت الخلافة أن تعلم عن الإسلام ما لم تكن

فكتب إليه : إن كان لها أخت فزوجنها . .
فزوجها إياه . وكان هضب ، مسلماً وكان
الفرافصة نصرانيا ، فلما أرادوا حملها إليه
قال لها أبوها : يا بنية : لآنك تقدمين على نساء
من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك
فاحفظي عنى خصلتين فتكلى وتطلي بالماء حتى
يكون ريحك ريح شن أصابه مطر (٤) .

وتهدت مع أخيها إلى عثمان - رضي الله
عنه ، ولعلها تعلمت الكثير من الإسلام من
قبل إذ كان أخوها ولا شك - يمارس شعائر
دينه على مرأى منها ومسمع .

ولعلها لم تردد في أن تسأله عن الكثير مما
جال بخاطرها من الشرائع والأديان وترأى
لها أن تقف على وجه الحق واليقين فيه .

ولعلها بعد هذا وذاك قد وضحت أمامها
الرؤية وبان لها من الإسلام ما يقنع العقل ،
ويهدى الفكر ، ويهذب الوجدان ويوائم
الفطرة ويصلح شأن الفرد والجماعة . صبغة
الله ومن أحسن من الله صبغة ، فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
فما عثمت أن شرح الله صدرها للإسلام
وكأنما كانت تتهدى إلى عثمان على نور من

(١) الفرافصة من أسماء الأسد وبه سمي
الرجل لشجاعته . قال الضر بن شميل :
الفرافصة بالضم الصغير من الرجال ، ورجل
فرافص وفرافصة شديد ضخم شجاع . والفرافصة :
هو أبو نائلة صاحبة الترجمة واسمه في ضبطه
يمتاز بهنزين الأولى أنه ليس في العرب من
تسمى بالفرافصة بالالف واللام غيره . والثانية
أن كل ما في العرب فرافصة بضم الفاء ما عداه
فإنه يفتحها لا غير هذا وقد كان بنو الفرافصة
بنو قومهم وساداتهم . انظر لسان العرب
٣٣٣/٨ وجهرة أنساب العرب ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٢) السنن الكبرى ١٧٢/٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٥٤ .

(٤) الأغاني ١٥ / ٧٠ نصب قريش ص ١٠٥ .

والشن : قرية الماء .

للجلبة التي امتلأت بها الدار فخرجت تخبر
الناس وتستنغيث بهم ففر القتل ودخل الحسن
والحسين وغيرهما فوجدوه مذبحاً (١)
ثم دفن - رحمه الله - وانتحبت عليه ثالثة ،
وأخذت تقول :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة
قتيل التجبي (٢) الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قـرابتي
وقد ذهب هنا فضول أبي عمرو (٣)

ولم يفته ما بين ثالثة وبين عثمان باستشهاده ،
بل لعله بدا أكثر روعة وإشراقاً وتألقاً .
لقد خرجت منتقبة إلى المسجد النبوي
- وهو مجلس الأمة ودرلمان ، المسلمين
يومئذ - لجمعت جمهورهم وخطبتهم خطبة
بليغة تثرى فيها عثمان وتستحث فيها العزائم
على الانتصار له والضرب على أيدي القتل
المارقين الذين حاربوا الله ورسوله وخرجوا
على خليفته وعاثوا في الأرض فساداً ، ثم
بعثت بقميص عثمان وبأصابعها المخترطة
وبكتاب يتضمن ما خطبت به المسلمين إلى

تعلم ، وأن تحفظ من القرآن ما لم تكن تحفظ
وأن تسمع من السنة ما لم تكن تسمع حتى
اجتمع لها من ذلك كله ما عقل فكرها وقوم
لسانها وجعل منها مثلاً حياً ورائعاً في البطولة
الجميدة والرأى النضيج ، والوفاء العزيز .

وقد ذكر الزركلي في (الأعلام) أنها كانت
خطيبة شاهرة من ذوات الرأى والشجاعة
وأنها حين ابتدأت شرارة الثورة واندلعت
ألسنة الفتنة على عثمان رضى الله عنه أشارت
عليه بالصلح مع علي بن أبي طالب وكان قد
جاء وحذره ، وأن عثمان عمل بمشورتها فأرسل
إليه بدعوة ، غير أنه قال : قد أعلمته أنى
لست بعائد . (١)

وتسور القتل الدار ، ووثبوا على عثمان
فضربه أحدهم بالسيف فآخذها الروح ،
ولا استولى عليها الجزع ، ولا ساورها حديث
الحرب ، ولمكنها تحولت طاقة بطولة
وشهامة ، فألقت نفسها على عثمان فداء له ،
بل فداء للأمة كلها وهي تستشعر أن هلاك
هلاك للأمة . . كما أن هلاك الرأس هلاك
للجسد ، ثم صاحت بخادمها (رباح) فقتل الرجل
وهجم آخر فوضع ذباب السيف في بطن
عثمان فأمسكت ثالثة بالسيف فزأصابعها
وقتل عثمان وصرخت فلم يسمع صراخها

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٣٨/٢ .
(٢) نسبة إلى قبيلة عربية نزلت بمصر
وكانت محلها بالفسطاط .

(٣) الأغاني ١٥/٧١ ونسب قريش ص ١٠٥

(١) الأعلام ٨/٢٠٣ ، ٢٠٤

معاوية بالعام مع النعمان بن بشير رضى الله
عنهما (١) .

ودل كتابها وخطبتها على مدى ما امتازت
به من قوة في الحجة، وبلاغة في القول، وجزالة
في التعبير، وروعة في الاقتباس، وعظمة في
الوفاء لبعلمها الذي أسلم روحه بين يديها بعد
إزدهاها الله، وأسدت هي على يديه من ذى
قبل ١١ .

ثم لم يقف الأمر بوفاتها النادر من هذا
المستوى؛ بل تعداه إلى ما هو أروع وأسمى.
لقد كانت تدرك أنها مطمح أنظار الرجال
بعد عثمان لما حباها الله به من جمال وفتنة
فضلا عما لها من نسب وجاء فعمدت إلى أبرز
موطن الإغراء فيها وكانت كما ذكر الذهبي
مليحة الثغر فأزال ثيابها بحجر وهي تقول :
والله لا يجتليهن كن أحد بعد عثمان (٢) . فلما
هدأت الثائرة وسكنت الفتنة وخرجت إلى
الشام خطبها معاوية وهو يومئذ من هوا
وهي من ذكرنا في ميعه الصبا وشرح الشباب .
وخطبة رجل كمعاوية لها بريق يكاد سنه
يختلف الأعمار .

يبد أن نائلة كما تجسدت من قبل فداء
تجسدت الآن وفاء فأبت وبعثت إلى معاوية
بثقيتها قائلة : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى
الثوب وأخاف أنه يبلى حزني على عثمان
فيطلع مني رجل على ما اطلع عليه عثمان (٣) .
وقد ذكر ابن حبيب ذلك تحت عنوان :
الوافيات لأزواجهن اللواتي لم يتزوجن
بعدهم ، وأن معاوية ألح عليها فقلعت ثقيتها
وبعثت بها إليه فأملك عنها ، (٤) .

رحم الله نائلة امرأة عثمان وما أروها
يوم تهادت إليه فهداها الله للإيمان على يديه !
وما أشجعها يوم وقفت بجانبه في محفته تمد
برأيها وتفقد يديه بروحها وتتفاعل مع
الأحداث فتخطب خطبتها وتسكتب كتابها !
وما أنبل وفاءها يوم أبت خطبة معاوية
فرفعت بين الناس من قدرها وأرضت بذلك
زوجها ، وفرضت على الثاويخ وجودها ثم
عاشت في ضمير الوجود رمزاً للكفاح
والبطولة والوفاء ، وكانت من الخالدين ؟

محمد الطاهر حموي أبو النور

معيد بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

- (١) أظفر الخطبة في بلاغات النساء ص ٧٠
والكتاب في الأغاني في الموطن السابق .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٤٨/٢ .
(٣) الإعلام للزركلي ٣٠٤/٨ .
(٤) المحبر ص ٢٩٤ .

الحشيش قديماً وحديثاً للأستاذ علي الجندى

آراء العلماء فيه :

ضرر الحشيش :

لم ينقل عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه رأى فيه ، لأن أكله لم يظهر في زمانهم بل كان مستورا يتعاطاه الناس في السر ، وظل سكوت السلف عنه إلى زمان المزنى تلميذ الإمام الشافعى - وكان أكله قد شاع وشربه قد ذاع ، وتنافس الناس في تناوله ، فأفتى المزنى بحرمته على مذهب الشافعى ، وكان المزنى - إذ ذاك في بغداد ، وكان أول ظهور الحشيش في عراق العرب .

ما للحشيشة فضل عند آكلها
لكنه غير معروف إلى رشفه
صفراء في وجهه ، خضراء في فمه
حمراء في عينه ، سوداء في جسده
وفي تصوير ضحاياها المساكين ؛ وقد همدت
أجسامهم ، وخدوت أعصابهم ، وسكرت
أبصارهم ، فلام أبقاظ ولاهم قيام ، يقول
ابن أبي حجلة المغربي - مضمناً شعراً
للبنفي - :

وقوم بالحشيشة ذاب منهم
د فؤاد ما تسليه المدام ،
د أرواب غير أنهم ملوك
مفتحة عيونهم نيام ،

وحين بلغت فتياً المزنى ، أسد بن عمرو
من تلاميذ أبي حنيفة - وكان في عراق
العجم - لم يتابعه على التحريم . ولكن
حينما رأى علماء ما وراء النهر أن بليته قد
حمت الناس ، ومضرته شملت البقاع ، حتى
ظهرت السفاهة على الحكماء ، وغلبت البلادة
على العقلاء ، وافقوا بأجمعهم على ما أفتى به
الإمام المزنى من حرمة أكله ، وإحراقه ،
وتأديب بائعيه ، والتشديد على آكله ، بل
أفتى جماعة من العلماء بوقوع طلاق السكران
من الحشيش أسوة بالسكران من الخمر زجراً
له ، كما أفتوا بأن من يقول بأن أكله حلال ؛
فهو زنديق مبتدع فاسق مخترع !!

ضرر الحشيش بأفشاء أكبر ١١ .

وتكون المصيبة أعم ، والبلية أدهى وأمر
حينما يكون سيمر الحشيش من الجنس الناعم
لللطيف ١١ فمناك يطير الحياء - وهو وكاء
العفة ، وقيد الصيانة ، وعقال الطهارة -
ولأنك لتجد مصداق ذلك في هذا الحوار
الرشيق بين الشيخ صلاح الدين الصفدى ،
وبين إحدى الشاعرات المليحات الحشاشات ١
قال هذا الله عنه ومنها ١١ .

مليحة مصطولة

إن لمنها فيما جرى
تقول : كل ظبية

ترهى الحشيش الأخضر ،
أرايت كيف ألهمها شيطان الحشيش :
أن تحسن الجدل عن نفسها ، وأن تغالط
في الحقيقة إلى أبعد الغايات ، وأن تلقى
في وجوهنا هذه الحجة الناصعة في ظاهرها
وكل ظبية ترهى الحشيش الأخضر ، حتى
لتسكاد تخدر عقولنا بعقلها المخدر ، فنسلم
لها دليلها ونقبل عذرها ١١ .

وقد كان أستاذنا الفيرزدق يبغض
الشاعرات لسبب لا أعرفه ، وكان يقول
إذا صاحبت الدجاجة صياح الديك فاذبحوها ١
يعنى إذا قالت الشعر .

فما الظن إذا كانت هذه الدجاجة من يبنخر
عقله في لغافة ، أو يحرقه في دجوزة ،
أو يفرقه في دقنجان .

الحشيش أنكى من الخمر ١١

وقد كنت أظن - كما يظن غيري - أن
الخمر أشد فساداً من الحشيش ، حتى سمعت
ابن الصائغ المصرى يقول :

عاطيت من أهوى وقد زارنى

كالبدر واني ليله البدر
والنيل قد مد على متنه

شعاعه جسراً من القبر
خضراء كافورية رنحت

أعطافه من شدة السكر
يفعل منها درم فوق ما

تفعل أوطال من الخمر
فراح نشوان بها غافلاً

لا يعرف الخلو من المر
يا لطيف ، أطف ١١ بإسلام ، سلم ١١

أسمعت ؟ لا يعرف شاربها الخلو من المر ١١
وتستطيع أنت أن تقول - دون أن يغضب

الخليل ابن أحمد - : لا يعرف التمر من الجمر ١١
لا يعرف الدر من البحر ١١ لا يعرف الخير

من الشر ١١ فعلت من شر هذا الشاعر
الحشاش المجرب : أنه لا شئ أقتل للعقل ،

ولا أقتك بالحشعة ، ولا أذهب بالتصون ،
ولا أدهى للنجور من الحشيش ١١ .

الخمر بدل الحشيش :

وأذكر بهذه المناجبة : أنه كان هندنا
في زمن الاحتلال ، المقيم رجل إنجليزي

« غرزا ، للحشيش !! وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

رب ليـل قطعته ونديـمـي

شاهدي وهو مسمى وسيمـي

مجلـى مسجـد وشـربـي من خـضراء

تزهي حسنا بلون نصير

قال لي صاحبي وقد فاح منها

نشرها مزريا بنشر العبير

أمن المسك قلت ليس من المسك

ولكنها من الكافور

فأمر السلطان بإبطال الحشيشة أيضا :

وقد كتب في ذلك رئيس الديوان القاضي

محي الدين بن عبد الظاهر يقول ... والجماعة

التي كانت ترضع ندى الكاس قد ارتعت بعد

ما فطمت ، وإن كلبة الشيطان بالتعويض عنها

قد نصرت ، وأنها لما أخرج المنع عنها ماءها

من الخمر ، أخرج لها من الحشيش مرعاها

بالأمر ، وأنها استراحت من الخمار واستغنت

بما تشتريه بدراهم عما كانت تبتاعه من الخمر

بدينار ، وإن ذلك فشا في كثير من الناس ،

فعرف في هيونهم ما يعرف من الاحمرار

في الكاس ، وصاروا كأنهم خشب مسندة

سكرى ، وإذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم

رجلا ويؤخرون أخرى . ونحن نأمر أن

تبحث أصولها ونقتلع ، ويؤدب غارسها حتى

يوجه أحمر وطربوش أحمر يدعى «رسل باشا»

يشغل حكمة دارية العاصمة : أي القاهرة حاضرة

الإسلام الكبرى وعاصمة العرب ، وهرس

لأفريقية وزينة الشرق الأوسط !!

كان هذا الإنجليزي يدهو إلى نشر الخمر

بين الحشاشين ، حتى يستبدلوا بالزردة

الخضراء ، الحقيقة الحمراء !! على نهج من

يقول : « بعض الشر أهون من بعض » ، وربما

كان الرجل مخلصا في دعوته ، فالحكيم يقول

في الشر خيار ، والشاعر يقول :

والسكر كركب النحس يسقى الأرض أحيانا

ولكنني كنت لا أرى هذا دراء ناجما

عملا بالحديث الشريف الذي أخذ به الإمام

مالك بن أنس « ما جعل الله شفاء أمتي فيما

حرم عليها » .

وكنتم من جهة أخرى أخشى أن يكون

مريدا من وراء ذلك ترويج « الويسكي

الإنجليزي » ، والله أعلم بالنيات .

الحشيش بدل الخمر :

وفي العهد المملوكي الأول حرمت الحكومة

شرب الخمر ، فإذا يفعل المدمنون ؟ لجأوا

مع الأسف - إلى بقت الغاب ، عوضا عن

بقت الأكراب فكانوا كالمستجير من الرمضاء

بالنار ، وقد اتخذ بعضهم من المساجد

والخشيش انتشارا ذريعا ، وبخاصة بين الجنود الذين هم حصن الدولة وسياج البلاد ، وحماة البيضة ، وذادة العدو ؛ فأصدر السلطان الظاهر بيبرس ، مرسوما بإحراق الخشيش وإراقة الخنور في مصر والشام - أعاد الله وحدتهما - ولم يقف عند ذلك فأمر بصليب من يتعاطاها أو توسيطه بالسيف - قطعه نصفين - فقصى على هذين المنكرين قضاء مبرما ، وإن الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن ، كما قال الخليفة عثمان بن عفان .

كيف سجل الشعر هذا الحادث الخطير ؟

وقد انقسم الشعراء لإزاء هذا الحادث قسمين كما ينتظر منهم .

قسم أشاد بهذا العمل الصالح من السلطان الصالح ، ورجاه للشعب الخير الكثير . من هؤلاء قاضى الإسكندرية ابن المنير الذى يقول :

ليس لإبليس عندنا طمع
غير بلاد الأمير مأواه

تحرجه الخنر والخشيش معا
أفقداه ماءه ومرعاه
وناصر الدين بن الفقيب الذى يقول :

منع الظاهر ، الخشيش مع الخنر
فولى إبليس من مصر يسعى
قال : مالى وللقيام بأرض
لم أمتع فيها بماء ومرعى

يحصد الندامة بما زرع ، وأطهر منها المساجد والجوامع ، ويشهر مستعملها في المحافل والمجامع ، حتى تقنبه العميون من هذا الوسن ، وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ، ولا خضراء الدهن .

وهذا النص الأدبى الحكوى يعترف صراحة بأن الخشيش كان يتناول حتى في بيوت الله التى أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه . ونفهم منه فوق ذلك - أن الناس لجئوا إلى الخشيش حينما حرمت عليهم الخنر ، وأنه كان أرخص منها .

وفي استبدال الخشيش بالخنر يقول ابن الصائغ المصرى :

طاطى خضراء كافورية
تحسب الخنر لها من جندها
أسكرتنى فوق ما تسكرنا
وربما أنقصا من حدما
يقصد بالحد : حد السكر وهو ثمانون جلدة .

ويقول البدر المنجى :

ولما خلونا - والمرة بيننا -
وقد عز شرب الراح فينا على الشرب
تعوض كل بالخشيش عن الطلا

ومن لم يجد ماء نعيم بالتراب
إهدام من يتعاطى الخنر والخشيش :
وفي العهد المملوكى الثانى انتشر الخنر

ومواعينها تسكرن والخنا
رُ من بعد كسرهما عبوس

الحمد لله ١١

من زمن بعيد كنت أحت الحكومات
الاحتلالية في العهود البائدة على الاقتداء
بأسلافنا في سن عقوبة الإعدام لتجار
الحشيش ، حتى يقضى على هذه الآفة التي عمت
وطمت في هذا الوقت حتى غزت المعاهد
والمدارس وأكواخ الفلاحين ودور الصناعة
وهددت البلاد بالحرب والدمار ١١ ولكننى
لم أجد أذناً واعية ولا نفساً صاغية ١١

وها هى ذى حكومة « ثورتنا البيضاء »
في العهد الناصرى المجيد ، ترتفع بعقوبة
الحشيش إلى حد الإعدام في بعض الحالات ؛
فتسد على إبليس طرائقه الشريرة ، وتفسد
على بذته إسرائيل ذرائعها اللثيمة في توريد
الحشيش المسمم لنا ؛ فتحفظ بذلك أجسام
الشعب ، وعقول الشعب ، وأخلاق الشعب ،
وأموال الشعب ١١ إنه لا أحد أكثر منى
غبطة بهذا العمل العظيم الكريم الصالح ،
فالحمد لله والشكر له أن وفق ولاية أمورنا
إلى ما فيه خيرنا وسعادتنا وقوتنا ورفعتنا ١١
ونسأله المزيد من فضله آمين .

على الجندى

وقسم أوجمه هذا العمل ؛ فهب يبكى الحمر
وبندب الحشيش ١١ ويشقى عليهما الجيوب ،
وبلطم الحدود ، وينادى بالويل والثبور ،
وعظائم الأمور ١١

من هؤلاء « شمس الدين بن دانيال »
ولعل آباءه كانوا يهوداً أو نصارى كما يشير
اسم أبيه ١١ فقد كان تفجعه عليهما عظيماً ،
ونواحه أشبه بنواح الشكالي المنسلبات ١
يقول من قصيدة طويلة :

مات يا قوم شيخنا لإبليس
وخلا منه رَبعه المأنوس

هو لولم يكن - كما قلت - مَينتا
لم يغير لأمره ناموس
أين عيناه والحشائش قد حرقن

بنار تُراعى منها المجوس
قطعوها من البساتين إذ ذا
ك صغاراً خضراء وهى هروس
أين هيئناه تنظر والمذر (١) قدأر

حش منه والماجور ، ود القادوس ،
وذوو القصف ذاهلون وقد كا

دت على سيلها تسييل النفوس
أين عيناه تنظر الحمر إذ هُطل
منها راووقها والكثوس

(١) المذر: شراب يتخذ من الشعير أو القمح

أدب الكُدية

للأستاذ محمد كامل الفقى

الذى يقوم على الاستجداء والتكفف وبذل شتى الحيل لنيل العرف: أدب كدية، أو أدبا ساسانيا، كما سعى التسول بهذه الأساليب تكديا... وأدب الكدية أخو أدب الصعلكة، والمكدون والصعالة أشباه ونظائر، وسنجلو وجه الشبه والفرق بينهما. عندما يحين موضع ذلك من البحث..

البيئة التي نشأت فيها الكدية أو أدب الكدية:

أدب الكدية وليد الفئس الاجتماعية، والظروف التي منحتها الحياة ظروف لم تتكافأ فيها الفرص، وتباينت الفواوق في هذا المجتمع تباينا ملحوظا، فإن من يدرس الحال السياسية والاجتماعية للأقطار الإسلامية في العصر العباسي، يجد البذخ والثراء في جانب، والفقر والبؤس في جانب، ليست هناك مقاييس مفهومة توزع عليها الأرزاق، ولا معايير معلومة ترد إليها أحوالهم ومظاهر حياتهم، فالخلفاء والأمراء وحاشيتهم والمستظلون بهم من العلماء والأدباء والحاشية في ترف وبلهينة، ونعيم مقيم، أما من عداهم من الناس فإنهم في صعب من العيش وضر موجه.

الكدية بالضم شدة الدهر، كالكدية، والأرض الغليظة، والصفاء العظيمة الشديدة، والشيء الصلب بين الحجارة والطين، وحفر فأ كدى صادفها. وسأله فأ كدى وجده مثلها، وأ كدى بمخل أو قل خير، أو قل عطاءه. وكدى كرمي (١).

وقيل في تفسير قوله تعالى (أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وكدى): أ كدى قطع عطيته وأمسك، وأصله لا كداء الحافر، وهو أن تلقاه كدية. وهى صلابة كالصخر فيمسك عن الحفر، ونحوه أجبل الحافر ثم استعير ف قيل أجبل الشاعر (٢).

فالغنى الذى تدور عليه هذه المادة هو الحاجة وشدة الحال، ومن ثم سموا الأدب (١) القاموس المحيط.

(٢) تفسير الكشاف للزخشري، وفي صبح الأعشى سطر ٦ (ولا تلق الحب إلا فى مزرعة لا تكدى على الزارع). وفي عيون الأثراف فنون المعارف والسير، لابن سيرة الناس بصدد بيان معجزات النبي (ص) وهزت الكدية بالخذق من أن يأخذها الممول، فضر بها النبي (ص) فصارت كثيبا أهيل أى رملا سافلا.

يسر يسره وتظاهر الموسرون بالفقر والحاجة ونأى كثير من الناس عن الخلفاء وخاصتهم وظهروا في الأدب العربي شعر يحمّد الفقير ويحث على بجانب السلطان وذوى الشأن ، وغلبت نزعة التصفوف على كثير من الناس .

هذا المترف المغدق ، وذلك الإسراف المفرط ، يقابله عند غيره هؤلاء فقر وحرمان وضيق وشقاء ، مما أدى إلى شيوع الحقد والتحاسد ، والكذب والخديعة ، والدمس والرشوة .

وأعجب ما في الأمر أن العلماء كثيرهم من سائر الطبقات ، إذا لم يعيشوا في كنف خليفة أو في بلاط حاكم ، مسهم الضرر ، وهانوا على الدولة .

فعبد الوهاب البغدادي المالكي الأديب الشاعر المؤلف الفقيه ، يهجر بغداد إذ لم يجد قوت يومه .

و (أبو حيان التوحيدى) العالم الأديب الفيلسوف يضطر في كثير من الأحيان إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والمرودة ، وإلى تعاظم الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويعطرح في قلب صاحبه لآل (١) .

(١) الإمتاع والمؤانسة ١ / ٣١ .

ولقد بالغ الخلفاء وأشباههم في بناء القصور وإنشاء الحدائق حتى شاربوا حد الخيال . وحشدوا ألوان الطعام ، واستكثروا من الجوارى والقيان ، وانتشرت مجالس الخمر حتى وضعت لها القواعد والقوانين ، كالذى فعله كشاجم في كتابه (أدب النديم) . وافتنوا فيما يكتب من الشعر على القناني والكتوس ، واعتمد الخلفاء والوزراء والأمراء مجالس الشراب ، وبالغوا في الإسراف ، فيها .

وكما وضعت قوانين لهذه المجالس وضعت قوانين للطرف والظرفاء ، وألفت في ذلك الكتب كالموثى للوشاء و (حدود الظرف) له أيضا ، و (ما يقدم من الأطعمة وما يؤخر) للرازى ، و (ترتيب أكل الفواكه) ، و (آداب الجسم) له أيضا ، و (الزينة) لحمين بن إسحق ، و (الهدايا والسنة فيها) لإبراهيم الحربي ، و (النبذ وشربه في الولائم) لقسطا بن لوثة .

هذه بعض مظاهر الإسراف والتبذل ، وتلك إشارات هادئة لما انتهى إليه الأمر في جو الخلافة والإمارة والوزارة والحاشية .

وقد بالغ الفاطميون في ذلك وغلوا غلوا شديدا ، حتى إذا نفد مال الخلفاء والأمراء كروا على الأغنياء يستصفون أموالهم لينفقوها في شهواتهم ، ومن ثم أخفى كل ذي

وما حق مثل أن يكون ضميماً
وقد عظمت عند الوزير وسائلي
ويقابل هؤلاء من الأدباء والعلماء
والفلاسفة الذين لم يتمحضوا لبلاط السلطان
وصانوا وجوههم عن الملق والمداينة
فعلبت لهم الحياة، طائفة أخرى مثل هؤلاء،
اتصلوا بالبلاط وذوى الجاه، فماشوا في
صحاف من ذهب، ورأينا كثيراً من هؤلاء،
يطلبون نعمة الحياة ونعيمها بالزاني للخليفة
والأمير والوزير فكانت أكثر المؤلفات
في هذا العصر منسوباً الجهد في إخراجهم
والتوفيق إليه إلى الأمير أو الوزير مصدراً
باسمهما، منوها بتشجيعهما للعلم والعلماء.
وكان طبعياً أن الآداب والفنون لا تجدد
نماء وسقياً إلا في بلاط الخلفاء والأمراء
والوزراء، وأن كل شاعر يتوفر على الإحسان
والتجويد لينال المكافأة، وأن ذوى الفنون
يحميدونها لئلا يكلوا من يد القادرين على المثوبة،
وقل من الشعراء من كان يفتى لنفسه، فاصطنع
الشعر بلون الاحتجاء، ورأى الشعراء
والأدباء أنهم لا يحميون إلا في ظل حاكم أو
أمير، فاحتجوا وسيلتهم في كسب العيش
المتمسول عن طريق الأدب الشعبي، وشاع
مذهبهم. وكانت لهم موهبة ذات فنون بارعة
في الاحتيال على الناس، وهم كالذين يسمون
(الأدبائية) في عصرنا الحاضر، وما أقدر
حياتهم على ابتذال المال بالإقناع وغزو المواطن

و (أبو علي القالي) تدفعه الحاجة إلى أن
يبيع كتبه (على الضن بها) فقد باع نسخه
من كتاب الجهرة (وهو أشد ما يكون حرصاً
عليها) للشرى الرضى، وقد وجد الشريف
مكتوباً فيها بخط (القالي):

أنست بها عشرين حولاً وبعثتها
فقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أنه سأييمها
ولو خلدتى في السجون ديونى
ولكن لضعف واقتدار وصية
صفدار عليهم تستهل جفونى
فقلت، ولم أملك سوا بق عبدة
مقالة مكوى الفؤاد حزين
(وقد تخرج الحاجات يا أم مالك)

ودائع من رب جهن ضنين)
فقد كان الاقتدار والحاجة دافعاً ملحاً
للأبى على العالم الجليل أن ينزل عن نسخه
وهو بها ضنين لقاء فمن بخس دراهم معدودة.
والزحشرى، العالم المحقق المفسر صاحب
الروائع الخالدة، حين يعف عن مائة
السلطان تضيق به وعنه الحياة حتى ليقول:

غنى من الآداب لسكنى إذا
نظرت فما في السكف غير الأنامل
فيا ليتنى أصبحت مستغنيا ولم
أكن في خوارزم رئيس الأفاضل
وباليتنى مرض صديقى، ومسخط
عدوى وأنى في فهاهة باقل

وسمى المتكسبون بذلك الساسانيين . أو (بنى ساسان) . أو (أهل السكدية) (١) .
بعد أن كانت نسبة شرف ومجد (١) .
السكدية تقوم على المهارة وسعة الحيلة

لا تظن أن السكدية عمل حاذق يأتيه صاحبه
من ذكاء قليل ، وتصرف مرتجل ، إن السكدية
تقوم على فن ابتزاز الأموال ، وخلق ألوان
من الحيل تنم عن دهاء ومهارة فائقة ، إلى
جانب مالا يغفله الباحث من خلاصة المنطق ،
والقدرة على البيان .

وقد تحدث الجاحظ عن أهل السكدية
حديثاً شيقاً وصف فنههم وشتى حيلهم ،
وطريقاً من نوادرهم .

وقال : (إبراهيم بن محمد البيهقي) في كتابه
(المحاسن والمساوي) في فصل هقهده بعنوان
محاسن السؤال : (٢)

قال الجاحظ : (سمعت شيخنا من المسكين
وقد التقى مع شاب منهم قريب العهد بالصناعة ،
فسأله الشيخ عن حاله فقال : لعن الله السكدية
ولعن أصحابها من صناعة ما أخسها وأقلها ،
لأنها ماعلصة ، تخلق الوجه وتضع من الرجال ،
وهل رأيت مكدياً أفلح ، قال فرأيت الشيخ
قد غضب والتفت إليه ، فقال يا هذا أقلل
من الكلام فقد أكثرت ، مثلك لا يفلح
لأنك محروم ، ولم تستحكم بعد ، وأن للسكدية
رجالاً ، فمالك ولهذا الكلام ، ثم التفت فقال :
اسمعوا بالله يميننا كل نبطي قرنان ، وكل

(١) شرح الإمام مقامات البديع .

(٢) الجزء الثاني ص ١٧ ط مطبعة السعادة
سنة ١٩٠٦ م .

من هم الساسانيون ؟

نقل المرحوم الأستاذ (أحمد أمين) في ظهر
الإسلام ما قاله (أبو منصور الثعالبي) في
اليقينة من أن (ساسان) هذا قد روافيه أقوالاً
مختلفة ؛ فن قائل : إنه ساسان بن اسفنديار ،
كان من حديثه أنه لما حضرت أباه الوفاة
فوض أمر الحكم إلى ابنته ، وأنف ساسان
من ذلك ، واشترى غنماً وجعل يرعاها وعيده
بأنه راعي الغنم . ففعل ساسان الراعي ، وساسان
السكردي ، ثم نسب إليه كل من فكدي
فيقال : فلان من بنى ساسان .

وقيل : ساسان هذا كان ملكاً من ملوك العجم
حاربه دارا ملك الفرس ، ونهب كل ما كان
له ، واستولى على ملكه ، فصار رجلاً فقيراً
يتروّد في الأحياء ويستعطي ، وهام على وجهه
متكدياً فضرب به المثل .

وقيل : كان رجلاً فقيراً بصيراً في استعطاء
الناس والاحتيال ، فنسبوا إليه . .

ويقول المرحوم الإمام الشيخ (محمد عبده) :
إن الساسانيين شرارهم دولة بنى ساسان التي
قضى الإسلام عليها ، وشرودوا في كل مكان ،
فصارت نسبتهم إلى الساسانيين نسبة ذل ومار ،

(١) راجع في ذلك كتاب (ظهر الإسلام ،

الجزء الأول .

الله أبا الحسن ، ومع عمر بن عبيد الله ، قولوا
 رحم الله أبا حفص ، وغزوت مع البطال
 ابن الحسين ، والبرداق بن مدرك ، وحمدان
 ابن أبي قطيفة ، وآخر من غزوت معه
 يا زمان الحاد ، ودخلت قسطنطينية ،
 وصليت في مسجد مسلمة بن عبد الملك ،
 من سمع باسمي فقد سمع ، ومن لم يسمع فأنا
 أهرفه بنفسي ، أنا ابن الغزول ابن الركن
 المصيصي المعروف المشهور ، في جميع الثغور ،
 والضارب بالهيف ، والطاعن بالرح ، مد
 من أسداد الإسلام ، نازل الملك على باب
 طرسوس فقتل الفراري ، وسبي النساء ،
 وأخذ لنا ابنان . وحلوا إلى بلاد الروم ،
 فخرجت هارباً على وجهي ، ومعي كتب
 من التجار ، فقطع على ، وقد استجرت بالله
 ثم بكى ، فإن رأيتم أن تردوا وكنا من أركان
 الإسلام إلى وطنه وبلده . . فواقه ما أتممت
 السلام حتى انتهت على الدوام من كل
 جانب ، وانصرفت ومعي أكثر من مائة
 درهم ، فدوئب إليه الشاب وقبل رأسه ،
 وقال : أنت والله معلم الخير ، فجزاك الله عن
 إخوانك خيراً) .

هذا الذي نقله البيهقي عن الجاحظ يرسم
 صورة واضحة عن حيل المسكدين وبراعتهم ،
 وفنونهم المختلفة في خداع الناس واستلاب
 أموالهم ، مع اتكاه على قوة البيان واعتماد
 على فصاحة اللسان . (يتبع)

محمد طاهر الفقي

حائك صفعان ، وكل ضراط كشحان ، يتكلم
 سبعاً في ثمان ، إذا لم يصب أحدهم شيئاً ثلب
 الصناعة ووقع فيها ، أو ما علمت أن السكندرية
 صناعة شريفة ، وهي عجيبة لذيدة ، صاحبها
 في نعيم لا ينفد ، فهو على بريد الدنيا ومساحة
 الأرض ، وخليفة ذى القرنين الذي يسلخ
 المشرق والمغرب ، حيثما حل لا يخاف البؤس
 يسير حيث يشاء ، يأخذ أطايب كل بلدة ،
 فهو أيام الترسين والهيريون بالكوفة ،
 ووقت الشبوط وقصب السكر بالبحر ،
 ووقت السمرقاني والأزاد والرازي والمان
 المرمر ببغداد ، وأيام التين والجوز الرطب
 بحلوان ، ووقت اللوز والرطب والسختيان
 والطبرزد بالجبل ، يأكل طيبات الأرض ،
 فهو رخي البال حسن الحال ، لا يغتم لأهل
 ولا مال ، ولا دار ولا عقار ، حيثما حل فعلمه
 طبل . أما والله لقد رأيته وقد دخلت بعض
 بلدان الجبل . ووقفت في مسجدها الأهم
 وعلى (فوطه) قد انثرت بها . وتعممت بجبل
 من ليف . ويبدى هناك من خشب القفل .
 وقد اجتمع إلى عالم من الناس كأنى الحجاج
 ابن يوسف على منبره . وأنا أقول .

يا قوم : وجل من أهل الشام ، ثم من بلد
 يقال لها المصيصية ، من أبناء الغزاة ،
 المرابطين في سبيل الله ، من أبناء الركضة
 وحرسه الإسلام ، غزوت مع والدي
 أربع عشرة غزوة ، سبعاً في البحر ، وسبعاً
 في البر ، وغزوت مع الأرمني ، قولوا : رحم

اللغة بين اللفظ والفكر

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

« نحن لا نفكر إلا بلفظ ، ولا نلفظ إلا بفكر ،

شيخ الكتاب ، الزيات ،

بالمحادثة التي تراعى حاجات النفس منذ تتفتح العين على الحياة .

ولذلك يرجع النفسيون لغة الطفل إلى أمه ، ويحكمون على بيته بأداة تعبيره ودرجات صوته ، واختيار ألفاظ تخاطبه ؛ فتكوين النطق مرتبط « بتوجيهه » إلى ما يدور بخلفاته ؛ فيساعد على التعبير عنه باختيار اللفظ المناسب لكل حاجة تعمل في نفسه . ومن هنا كان قطع الكلمات ، والتصرف فيها ، ومقاربتها إلى طبيعته ، والإكثار من « قاموسه » من الألفاظ التي تبتدىء بالفتح والسكون بعد أن يكون قد كون صورة لفظية عن نداء أمه بالميم ، وأبيه بالباء ! .

ومن عجيب الأمر أن للطفولة « قاموساً » فطرياً يتعلم ألفاظه الكبار حتى يمكنهم الاستجابة إلى متطلباتها ، وقد يجرى على الألسنة الصغيرة كلمات تعود إلى المعاني الكائنة في النفس - وأذكر أن طفلاً كان يردد كلمة « قبح » تعبيراً عن كل شيء يكرهه - بضم القاف وفتح الباء مشددة - لكنه يقلب القاف كافاً ، وكنا نعمل على إبعاد ما يثيره

[٨]

إذا كانت اللغة « أداة تعبير » فإن أصواتها ذات الدلالات المختلفة يجب أن تصور الفكر . وإن اختلاف الألفاظ من حيث الهمس والجهارة - مع مراعاة مخارجها - يقصد به « تصوير » ما في النفس من معان مارة تحتاج إلى تبيان حقيقتها ، وتبيان الحقيقة مختلف باختلاف القدرات .

واللغة قد تكون « سلوكاً » إذا انعدمت أداة التعبير « اللسانية » كإشارة الأخرس التي تختلف قوة ، وضعفاً دلالة على ما يدور في نفسه ، وقد تتخذ درجات صوته تعبيراً عن استفهام ، أو تعجب ، أو حزن وسرور ، وتكون اللغة في انفعالات « مرئية » على الوجه ، وإن تجردت عن اللفظ .

لكن القضية الكبرى في التعريف « المنطقي » من أن الإنسان : « حيوان ناطق » . فالنطق ميزة ؛ لأنه يحدد التعبير تحديداً مقرباً ما يدور في النفس ، ولا ضير في أن يكون « غير جامع مانع » لكنه يصور الحقيقة على أية حال مع تفاوت درجات التصوير . و« النطق » المميز يرجع إلى القدرة على « ترطيب » اللسان

المراد ، وهي أفعل من التصريح لتحقيق صدق التعبير ! . لكن استعمال « الحقيقة » في مرحلة « نشأة الفكر » يدعو إلى اختيار اللفاظ الموحية بهذه الحقيقة حتى يقتدر « الفهم » على استيعاب ما يراد إيصاله بحسب « النمو » الفكري . ومن هنا نشأت « الصعوبة » التي تبدو « مظهرية » في تكوين الحاسة اللغوية عند الصغار ؛ فالموازنة ليست كائنة بين اللفظ والفكر ، ومن ثم كان التباعد الذي أوجد الآلية في تلي اللغة .

على أن هناك حقيقة جديرة بالاعتبار ؛ مؤكدة أمر « المشافهة » الصحيحة في تكوين « النطق السليم » ، ولذلك كان خلفاء بني أمية يرسلون أبناءهم إلى مشارف البادية لتلي اللغة من الالف لسانة التي لم « ترتطن » بالحن أو هجئة العجمة توقياً من أن يفسد اللسان ! وللمسمع أمركبير في المحاكاة ؛ لأن لغة التخاطب تفرض « وحدة » النطق ومن هنا برزت المفارقة بين لغة « اللسان » ، ولغة « السكلم » ، حين تمازجت العناصر الدخيلة بالعنصر العربي الأصيل ؛ وعلى هذا القياس كانت هناك لغة « شارع » ، ولغة « مدرسة » ، ونحن نعمل دائماً على أن « يعرب » القائمون على تعليم هذا الجيل الالف لسانة بمحاولة نقل لغة المدرسة إلى خارجها حتى ترتقي بلغة التخاطب ؛ فنحد الحدة الواضحة في سوقية العامة .

حتى غير الكلمة إلى ما يعجبه فكانت « أمح » - بتشديد الميم مفتوحة - ومن عجيب المصادفة أنه ما زال يردد اللفظ الأول عند الاستنكار بعد أن أحال اللفظ إلى « قيسح » ، وقد بلغ الآن السابعة عشرة .

يقين من هنا « أن الفكر مرتبط باللفظ » و « اللفظ مرتبط بالفكر » ، وهذا التلازم يتطلب العمل على « المؤاخاة » بينهما ؛ فلا تقع النفرة ، ويتحقق التماثل « البالغ » ، غاية القصد من التعبير ، وهذا - في اعتقادي - مدلول « البلاغة » في سذاجتها ! .

وحين تطلب مراعاة مقتضى الحال مع « الإفصاح » عن المراد يكون القصد كون الالف لفاظ على « قدود المعاني » ، وعلى هذا القياس يصبح التفاوت الأدائي في القرب من الفكر ، أو البعد عنه .

...

وثمة اتجاه آخر متصل باختيار الالف لفاظ فلفطنا من أغنى لغات العالم بالترادف ، والاشتقاق ، والاشتراك ، والتجاوز . ولقد كان لهذه الخصائص أثرها في « سعة » الدلالة عما في الفكر ، ومطابقة لتوضيح « المضمون » على صورة جليسة ، أو مبالغ فيها . تارة بالتشبيه وتارة بالاستعارة ؛ بل إن « الرمز » بالكنائية له اتجاه يعبر عن رغبة النفس في مداراة ما تريد الإفصاح عنه بللازم المعنى

لا مثيل لها؛ فكيف ندعى «جفاف» لغتنا في طريقة تعلم أبجديتها مع أن ملاينتها لكل لغة تقدرنا على إعداد أبناء الجيل إعداداً يباعدهم بين «الرطانة» التي تؤذى أسماعنا حتى بدا التناقض العجيب بين «الكتابة السليمة» ، و «النطق الملحون» !!

لسنا ندرى إلى أى منطق يحال الكاتب الذى ينشئ ثم يخطئ في قراءة ما أنشأ ١٩٠ . لكننا نحيل ذلك إلى «رداءة» التكوين اللغوى؛ فهو قد حفظ تعابير، واستظهر كلمات من دون أن يتعرف مدى «حياتها» مع نظائرها في العبارات التي يكتبها أو أنه بمعنى أوضح قد تعلم اللغة على اعتبار أنها ألفاظ فردة، أو قواعد مجردة لا تتصل بالعقل، ولا بالنفس، ولا بالحياة ! .

ولقد أشار أستاذنا «الزيات» في مقولته إلى أن العقل يربط اللفظ بالفكر والنفس في ربطه بالشعور حتى يكون التأثير ببدائع الأساليب، وروائع التصاوير .

إن هذه الاتجاهات الثلاثة في الربط الوثيق مؤدية إلى ما يهدف إليه الراغبون في إصلاح الحال، أما «أثر الذوق في اللغة» فله مقال آخر إن شاء الله .

أحمد عبد اللطيف بنم

مفتش اللغة العربية ببور سعيد

إن دراسة اللغة العربية تحتاج إلى تبديل من حيث «المنهجية» ، وطريقة العرض ، والكتاب المقرب - ولقد استخدمت طرق اتجهت إلى «مثالية» من حيث العناية بالتعبير عن الفكرة جملة ، من دون رعاية حق اللفظ وحده مع أنه الأصل الأول ، وبالتعرف على دلالاته «الواحدة» يمكن تجميع وحدات لها دلالاتها ، وتحقيق بها قاعدة : «التفكير بلفظ ، واللفظ بتفكير» التي صدرنا بها هذا المقال .

إن هذه «المثالية» - في التعبير عن الفكر جملة - أوجدت حفظ كلمات وأضاعت «تصور» كلمة ، ومن ثم بطل التطبيقي الذى هو صورة التصديق فرع التصور ! .

إن «الابجدية» وحدها لا تكفى مجردة ، والكلمات لا تصلح محفوظة مجمعة. لكن الأمر يتطلب دراسة طبيعة «الطفولة» ، وحاجاتها واتجاهات «اللسان» في مراحل النمو المختلفة، ثم معالجة المنهج على أساس الربط بين حاجة الطفل إلى التعبير باختيار ألفاظ «معينة» تحيا معه ، وتعيش وجوده ، وتنبض بحياته ! .

إن لغتنا لا يصح أن تكون صورة «ممسوخة» للغة أخرى لها طرقها بل لا بد من «التعرف» لنوائم بين ما عليه لغتنا من أصالة وبين ما عليه العالم من تطورات ، وقد قدرت هذه اللغة على حمل الحضارة إلى أوربة في طواعية

ما يقال عن الإسلام

المسيح في القرآن

للاستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

Jesus in the Quran. By Geoffrey Parrinder

London, 1965

الاتجاه المعاصر نحو التقريب بين الأديان وإجراء البحوث فيما يسمى في الوقت الحاضر بالدين المقارن ، وهذه موجة تسود الغرب في أمريكا وأوروبا ، يرجع سببها إلى أمور مختلفة نذكر منها : شيوع الإلحاد في القرن التاسع عشر وفي هذا القرن مما دفع المتدينين إلى ضم صفوفهم لمواجهة تيار الكفر ، ومنها ذبوع المعرفة مع انتشار التعليم والثقافة وتيسير وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وسينما ومواصلات سريعة يسرت الاتصال بين الشعوب ؛ فلم تعد الحقائق خافية عن الأعين حتى يتهم المتدينون بعضهم بعضا بالكفر ، ومنها أن عقيدة المسيحيين من المسلمين ، والتي نشأت في العصر الوسيط وأدت إلى الحروب الصليبية قد انحلت وشرع المفكرون ينظرون إلى الإسلام نظرة إحاء لاعداء ، ولم تعد اتهامات المستشرقين المغرضة تلك التي كانت بوقا يمهّد للاستعمار تجوز على أحد ، ولذلك عدل المستشرقون من موقفهم وخففوا من غلوّاتهم ، وأخذوا يبحثون عن الحقيقة التي تدور حول الإسلام ، خالصة

من كل شائبة ، خالية من الهوى . ومن أمثلة هذه البحوث المقارنة النازرة إلى الإسلام بعين موضوعية منصفة ، وفي الوقت نفسه علمية ، هذا البحث الطيب الذي كتبه الاستاذ : (جوفري بارنذر) بعنوان « المسيح في القرآن » ، الصادر بلندن سنة ١٩٦٥ ، وصاحبه مدرس الأديان المقارنة بجامعة لندن ، ويبدو أنه يعرف اللغة العربية كما يعرف كثيرا من اللغات السامية ، ولما كان كتابه مؤلفا باللغة الإنجليزية فإن الآيات القرآنية التي اعتمدها في بحثه مترجمة كذلك إلى الإنجليزية ، وهذه أول ملاحظة نسجلها على الكتاب ، لأن القرآن لا يترجم ، فقد أنزل بلسان عربي مبين ، وحين اتهم الكفار النبي عليه الصلاة والسلام بأن قرآنه مستمد من الإسرائيليات أو النصرانيات ، نزل الوحي بأن اللسان الذي ينطقون به أعجمي ، أما هذا فلسان عربي مبين .

أدرك المؤلف هذه الحقيقة عن القرآن ، ولذلك اضطرب في الأخذ عن المترجمين ،

هذا البحث الأكاديمي بجانب الروح القرآنية ، لأن القرآن لا يتبع منهاجاً تحليلياً يشرح فيه الموضوع ، ويقطع أوصاله ، ولكنه يسلك منهاجاً تركيبياً يصور الموضوع على نحو كلّي تصويراً يلائم المعرفة التي يشتاقها الإنسان لبلوغ الحقيقة . وموضوع عيسى عليه الصلاة والسلام جاء في القرآن لالذاته ، بل للدلالة : على أن عيسى حلقة في سلسلة النبوات والرسول . لذلك جاء ذكره على الأغلب عقب إبراهيم وموسى وغيرهما . ومن جهة أخرى : للدلالة على قدرة الله تعالى على الخلق من عدم . ومن جهة ثالثة : على تنزيه الله عن الشريك والولد ، والإقرار بالوحدانية المطلقة ، ولإثبات البشرية للمسيح .

إن عرض قصة المسيح سواء في سورة آل عمران أم في سورة مريم يحقق الأغراض الثلاثة التي ذكرناها ، فسورة مريم نظمت في صياغتها البلاغة بطريقة فريدة رائعة ، مع الترفع عن الإسفاف ، والسمو إلى أعظم الآفاق العلوية . لهذا لا يملك المؤلف إلا أن يردد في أكثر من موضع من كتابه أن : « عيسى يرد ذكره دائماً في القرآن مقروناً بالاحترام ، ولا نجد أي أثر لنقده . ولا عجب في ذلك فإنه مسيح الله . » ومع ذلك فلا بأس بمنهج المؤلف ما دام يروقه ، ولكن لنا اعتراضات أساسية منهجية على ترتيب هذه الفصول الخاصة

فهو يؤثر مرة ترجمة بل "Bell" ، ومرة أخرى ترجمة أربري "Arberry" ، ومرة ثالثة لا تعجبه أي ترجمة فيضع اللفظة القرآنية كما هي بالعربية .

وقد اطلع المؤلف على أشهر التفاسير القديمة وبخاصة البيضاوي ، كما اطلع على مؤلفات الدكتور كامل حسين في كتابه : « قرية ظالمة » ، وعبد الحميد جودة السحار في كتابه : « المسيح بن مريم » ، وغيرهما من المصريين ، فضلاً عن مؤلفات كثير من المسلمين المعاصرين في الهند والباكستان .

المنهج العام الذي اتبعه المؤلف يبدأ بالرجوع إلى القرآن ، ثم إلى التفاسير العربية كالبيضاوي والرازي والزمخشري ، وينتقل من ذلك إلى الموازنة بين ما جاء في القرآن والإنجيل ، وقد رتب بحثه على سبعة عشر فصلاً تدور حول خمسة أمور : الأول : أسماء عيسى الواردة في القرآن ، والثاني : زكريا ويحيى ومريم والبشارة ، والثالث : من ميلاد المسيح إلى موته ، والرابع : العقائد المسيحية وبخاصة أنه ابن الله والتثليث ، والخامس : عن الإنجيل والنصاري .

٢ — أسماء المسيح الواردة في القرآن هي : عيسى : بن مريم ، المسيح ، العبد ، النبي ، الرسول ، كلمة الله ، روح ، آية ، رحمة ، وقد تتبع المؤلف هذه الأسماء في مواطنها من السور التي وردت فيها ، ودون إحصاء دقيقاً بالآيات القرآنية .

كما أن موسى في العربية هو موسى في العبرية ؛ وهذا نموذج من الاستطراد في البحث إلى الأصول اللغوية والتاريخية والمقارنة بين اللهجات واللغات والعقائد مما يشيع في كل باب من الكتاب .

أما « ابن مريم » ففي رأينا أنه ليس اسماً لعيسى ، بل نسبته إلى أمه دون أبيه . ولذلك جاءت هذه النسبة مقرونة في الأغلب بالاسم عيسى ، ولم ترد وحدها إلا في موطنين ؛ أحدهما في سورة المؤمنون (٥٠) : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية ... » وفي الزخرف (٥٧) : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ... » ؛ وقد فطن المؤلف (ص ٢٣) إلى أن القول بأن اسم أبيه يوسف النجار الذي يذكر في بعض الأناجيل ، ليس له ذكر البتة في القرآن . وهذا الإغفال مقصود ، لأن المسيح حسب الرواية القرآنية « كلمة » مثله عند الله مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . قالت مريم : « أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر » ؛ وذهب المفصرون بسورة (المؤمنون) إلى أن قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » ، إلى أن الآية فيهما واحدة وهي الولادة بغير رجل ، ولذلك لم يقل « آيتين » ؛ فهذا معنى أن المسيح « آية » ، ولو كان من أب وأم ما كان

بالأسماء ووضع عناوينها . فهو يبتدىء في الفصل الثاني بالحديث عن « عيسى » أول أسماء المسيح . ويسمى الفصل الثالث « ابن مريم » ، وكتب العنوان بالعربية بحروف لاتينية ، كما فعل في « عيسى » ، وإذا بنا في الفصل الرابع نجد هذا العنوان : (أسماء المسيح Names of Jesus) تكلم فيه عن : المسيح - العبد - النبي - الرسول - الكلمة - الروح . ثم يعقب في آخر هذا الفصل بعنوان فرعي هو ألقاب أخرى للمسيح ther titles وهي : آية - مثل - شاهد - رحمة - وجهه - من المقربين - مبارك .

ومن الخطأ في اللغة العربية الخلط بين الاسم والصفة والنعت واللقب والكنية . ذلك أن اسم المسيح في القرآن هو « عيسى » لا غير ، وكل ما سوى ذلك صفات أو نعوت أو ألقاب له . وكيف لعمري يكون « عبد » اسماً للمسيح ، وكلنا عبيد الله . ومحمد عبد الله ، كذلك جاء في القرآن عن سليمان « نعم العبد إنه أواب » ، فالعبد صفة شائعة المقصود منها أن الإنسان عبد الله ، وفي هذا يقول عيسى في سورة مريم : « إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً » .

من المفيد ولاريب رد لفظة عيسى إلى أصلها السرياني ، ثم رد السرياني إلى العبري ، فهي في السريانة يشوع ، وفي العبرية يشواه ،

برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .

قال المؤلف بعد أن أورد ترجمة الآية السابقة ما نصه : هذا آخر قول وأكثره أهمية يضعه القرآن على لسان عيسى . ولكن هناك رواية أخرى يقدمها أحد كتبة الرسول وهو «أبي بن كعب» ، ليس فيها اسم «أحمد» ، غير أن الرواية الأولى هي الرواية الرسمية ، وقد فدرت عادة بأن المقصود بأحمد هو محمد الذى بشر عيسى بنبوته .

ولسنا نعرف أن ثمة روايات مختلفة للقرآن :

لأنه قرآن واحد ، كتاب لا ريب فيه ، كتب فى حياة الرسول ، وجمعه أبو بكر جمعاً أول ، وأشرف عثمان بن عفان على كتابة أربعة مصاحف وزعها على الأمصار حتى لا يختلف المسلمون فى قرآنهم ، كما اختلف اليهود فى توراتهم والنصارى فى إنجيلهم ، ولا يزال القرآن منذ ذلك الحين حتى اليوم لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد باتت سائر محاولات المستشرقين للتشكيك فيه بالفشل . وما كان يجدر بالمؤلف وهو خبير بالإسلاميات أن يسمح فى كتابه بمثل هذه المفتريات التى لا سند لها ، مادام يعرف أن القرآن المتداول بين أيدينا اليوم هو الصحيح ، وقد أورد فى صفحة ١٤٧ كلاماً

اية للناس ؛ وروى فى أسباب نزول آية الزخرف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش : ليس أحد يعبد من دون الله وفيه خير ؛ فقالوا : ألسنت تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدًا صالحًا وقد عبد من دون الله ؛ فأنزل الله : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً .. » الآية ؛ فابن مريم فى هذا الموضع تأكيد لمولده من مريم ، وأنه عبد من عباد الله .

قال المؤلف : إن ابن مريم اسم كعيسى تماماً ، وأن المؤلف فى الشعوب السامية أن يسمى الشخص بأبيه ، وهناك بعض الأحوال يسمى فيها الشخص باسم أمه مثل ابن عائشة . ونحن نقول : إن النسبة إلى الأب أو الأم ليست اسماً ، كل ما فى الأمر أن بعض الناس قد يشتهر بهذه النسبة للتخفيف ، ويغفل ذكر الاسم .

...

٣ — كنا نود أن يبرأ كتاب الأستاذ جوفر بارندر من هذه المطاعن الصريحة أو الخفية ، والتى درج المستشرقون أن يشككوا بها فى القرآن . فقد ورد فى صفحة ٩٦ بصدد الحديث عن أقوال المسيح ، وما جاء عنه من أنه بشر بنبي يأتى بعده اسمه «أحمد» ، ففى سورة الصف (٦) : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً

« تحريف ، اليهود والنصارى للكتب المقدسة ، ثم أورد آراءهم المختلفة ، فالبيروني مثلاً يصرح بأن اليهود والنصارى قد بدلوا فعلاً نص الكتاب المقدس ، ولكن غيره كالطبري وابن خلدون وغيرهما يقولون : لأنهم أخطأوا في تأويل ألفاظ الكتاب المقدس ، وقيل : إن « التحريف » يعني تبديل طبيعة الشيء الأصلية ، ولكن أحداً من البشر لا يستطيع تحريف كلام الله ؛ ولذلك فإن المسيحيين حين يحرفون إنما يخطئون في تأويل كلام الله ، وقد يفعل المسلمون ذلك بقرآنهم ، واليهود بتوراتهم ... »

ومن الواضح أن المؤلف نقل التحريف من تغيير النص إلى مجرد تأويله ، وليس هذا المقصود ، لأن التحريف تغيير وتبديل ، لا تفسير وتأويل ، ففي سورة النساء : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » أى يحرفون الكلم الذى أنزله الله فى التوراة ، فالتحريف تغيير نص كلام الله .

ومن الواضح أن نص القرآن لفظاً وترتيباً وترتيلاً وتلاوة ، بل ورسماً - أى الرسم العثمانى - لم يحرف ، وهذا من جملة الأسباب التى نرفض من أجلها ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية ، لأنه كلام الله أنزل بهذا اللسان ، وخشية التحريف ، أما التأويل فليس بمستنكر ، لأنه شئ آخر خلاف التحريف ،

عن جمع القرآن يخلو من الدقة التى تعودناها فى صفحات الكتاب الأخرى . يقول مانصه : « ويعتقد المسلمون أيضاً أن محمداً كان أمياً ، ولذلك فإن القرآن المكتوب قد سجله أتباعه إذ جمع كتبه الوحي كزيد بن ثابت الآيات المكتوبة من الرقاع والعصب وصدور الرجال ، ، والصواب أن الذى أمر بالجمع عثمان ، وأن الصحف كانت موجودة عند حفصة منذ موت النبي وخلافة أبى بكر وعمر ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يأمر كاتب الوحي كلما نزلت عليه آية أن يضعها بعد آية كذا ، فى سورة كذا .

وليس الأمر كذلك بالنسبة للإنجيل وللكتاب المقدس . وفى الوقت الذى نزل فيه القرآن كانت التوراة والإنجيل - أو الاناجيل - تذهب إلى أن عزيراً ابن الله ، وأن عيسى ابن الله ، وهذه مقالة تتنافى بتاتاً مع الوحداية ، والإنجيل كما يقرر القرآن يعد محرفاً ، ففي آل عمران ٧٩ : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله .. » ، قيل : إن هذه الآية نزلت لما قال نصارى نجران للنبي : إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً .

يقول المؤلف صفحة ١٤٦ ما فحواه : إن خالمسأرين من مفكرى الإسلام تحدثوا عن

أما التوراة وكذلك الإنجيل فإن القرآن يقرر تحريفهما في بعض أجزائهما ، وبخاصة فيما يختص ببنوة عزيز وعيسى الله .
تأويل : أحد ، بأنها صفة وليست اسماً ، ولكن الأساليب العربية لا تحتتمل مثل هذا التأويل .

يعترف المؤلف بالإنجيل الأربعة المقررة منذ القرن الرابع الميلادي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم يتابع الكنيسة في رفضها لسائر الإنجيل الأخرى ، واعتبارها منتحلة غير صحيحة ، ولا شك أن نصارى شبه الجزيرة في الجاهلية كانوا يتداولون الإنجيل خلافاً لهذه الأربعة ، بل لقد ظهر أخيراً لإنجيل برنابا ، يبشر فيه المسيح بنبي يأتي من بعده اسمه محمد ، مما يؤيد ما جاء في القرآن ، غير أن الآية في سورة الصف تسمى النبي المرتقب أحد ، وقد حاول بعض المستشرقين

صفوة القول : إذا سلمنا بأن عيسى كان حلقة في سلسلة النبوات ، وأن محمداً كما جاء في القرآن خاتم النبيين ، فلا جرم يبشر عيسى بمن يأتي بعده ، كما جاء مصداقاً بمن جاء قبله ، وهذه هي الحقيقة القرآنية التي أكدها الله في أكثر من آية ، والقرآن كلام الله ، كتاب لا ريب فيه أنزل بلسان عربي مبين ، وحياً على محمد النبي الأمي ، الذي كاف بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ؟

أحمد فؤاد الأهواني

قول الحق الذي فيه يمترون

« وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب .

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد .

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

الكتاب

بحوث في تفسير القرآن
«سورة المدثر»

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

عوامل الضعف والفساد فيها دون أن يكتفى
بكلمة التضعيف .

وهذا التفسير كما يرى المؤلف للخاصة
لا للعامة بحيث يصلح مرجعا للباحثين
الدارسين .

وقد أثار تفسير المؤلف لسورة العلق جدلا
حول ما رآه الكثيرون إقحاماً للقرآن في
تفاصيل علمية لا يقصد إليها وليس موضوعه
فهو كتاب هداية وإيمان لا يهدف إلى معالجة
مسائل العلم أو السبق فيها .

وتأتى هذه الحلقة الثانية في تفسير سورة
المدثر فتراها أقوم سبيلا وأعدل منهجا ،
فليس فيها شيء من إقحام القرآن في بحوث
أو نظريات تثير الجدل ، وتكاد تكون
تلخيصا لآراء المفسرين الاقدمين ومحاولة
لاختيار الرأي من بينها .

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ جمال الدين
عياد وهذا هو العمل الثاني للمؤلف في مجال
دراسات تفسير القرآن ، وكان الأول هو
تفسير سورة العلق الذي صدر في عام ١٩٦١ .
وهذه البحوث تقوم على منهج أشار إليه
المؤلف في مقدمة سورة العلق ، وهو يتلخص
في التزام قواعد البحث العلمي إذ لا فرق بين
العلم والدين في نطاق البحث ، ومن هذه
القواعد :

- ١ - قراءة كل ما يتصل بالآيات من
أبحاث ، قديمة وحديثة عربية وغير عربية .
- ٢ - دراسة آراء المفسرين قديما وحديثا
والنظر في الآراء والوجوه المختلفة .
- ٣ - ويأتى بعد ذلك الترجيح وتمحيص
الروايات ، فن واجب المفسر في العصر
الحديث أن يكشف عن الآراء الضعيفة مبينا

ومسائل من العلم القديم تمثل الثقافة العربية والإسلامية المعهودة في التفسير .

١ — ففيه نقول نحويه ، مثل حذف المفعولين في قوله سبحانه : « قم فأنذر ، ومعاني الفاء في قوله : « وربك فكبر ، وإعراب قوله : « نذيرا للبشر ، وغير ذلك .

٢ — وفيه عرض لمسائل من علم الكلام لم يكن من الضروري لمن تعرض لتفسير القرآن الإشارة إليها فلها مواضعها من البحث والجدل ، مثل عرض الخلاف حول الهداية والضلال في قوله سبحانه « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وينتصر المؤلف لرأى أهل السنة وهو أن العبد مختار ، وأن اختياره لا ينفذ بغير مشيئة الله ، وهي نفس النتيجة التي ارتضتها الأمة الإسلامية من قرون كثيرة فلم يكن لإثارة هذا الجدل مناسبة في التفسير . ومثل عرضه لتعذيب الكفار بالفروع وأدلتهم موافقا في ذلك رأى ابن حزم .

ومثل مناقشته بتوسع لموضوع الشفاعة والخلاف فيه بين أهل السنة والمعتزلة وحجج كل منهم في تفسيره لقوله سبحانه : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين ، .

وفي رأى أن الاستطراد في تفسير القرآن بمعالجة قضايا علم الكلام توسع لا مقتضى له ، فالقرآن لا يفسر بالآراء والخلافات ،

وقد سار المؤلف على تقسيم سورة المدثر إلى أجزاء يعالج كل منها موضوعا واحداً .
فالفصل الأول : بعثة محمد رسولا من الآية الأولى إلى الآية السابعة . والفصل الثاني : إنذار الكافرين من الآية الثامنة إلى الآية العاشرة . والفصل الثالث : عناد الوليد من الآية الحادية عشرة إلى الآية السادسة والعشرين . والفصل الرابع : سقر اللواحة من الآية السابعة والعشرين إلى الآية الحادية والثلاثين . والفصل الخامس : المجرمون في سقر من الآية الثانية والثلاثين إلى الآية الثامنة والأربعين .

والفصل الأخير : آيات القرآن تذكرة للناس .

وهذا التقسيم مبالغ في الترتيب ، فالسورة كلها وحدة واحدة ، تعالج موضوع رسالة الرسول صلوات الله عليه في مبدأ أمرها وتواجه الكافرين المكذبين بما يتهددهم من عقاب .

وينهج المؤلف نهج الأقدمين في التقديم للآيات بذكر سبب النزول ، ثم يعالج الألفاظ اللغوية ويحل ذلك وسيلة لبيان المراد من الآيات ، ثم يعرض للقراءات ودلائلها .

وفي خلال ذلك نجد فيه بحوثا موجزة

فقلوه سبحانه : « ثم يطمع أن أزيد ،
تكشف عن خصيصة من خصائص الطغيان
وترسم صورة نفسية للكاذبين المستكبرين
الذين لا يشبعون من المال ولا توقظهم
النعمة ولا تفتح عيونهم على اليد الممدودة
إليهم بالعطاء ، فلا يشكرون ولا يؤمنون
حتى تأتيمهم القارعة ، هذه الآية لا يعلق عليها
المؤلف إلا بقوله : « والذي غمره الله بالنعم
خلفه من العدم وآتاه المال ممدودا والبنين
شهودا ومهدله تمهيدا خليق بأن يشكروا ويقنع ..
لكنه لا يشكر ولا يقنع وإنما يطمع أن أزيد
وهو سلوك عجيب يخالف لمنطق الأمور .^(١)
ثم يعدل سريعا إلى بيان الآراء في الزيادة
التي طمع فيها الوليد .

فقد كنا نرجو من المؤلف أن يكشف
في تفسيره عن مواصفات عصره وطريقته
في الفهم والتذوق في حدود الدلائل اللغوية
والأدلة الدينية ، فنحن بحاجة إلى كشف
منابع الهواية في القرآن على مستوى التخصص
أكثر من حاجتنا إلى اجترار المناقشات
السالفة والنظرات القاصرة على الإعراب
الواقفة عند حدود الالفاظ .

ولكن الأستاذ جمال الدين عياد - الذي
درس التفسير في الجامعة الأمريكية - ينظر
إلى هذا المنهج القديم معجبا أشد الإعجاب لأنه
ميدان جديد عليه ، وهو منهج مفيد بلا شك

ولا يتلام مع هذا الجدل العقلي الفلسفي
الذي حدث في البيئة الإسلامية بعد اتصال
الفكر العربي بالثقافات المترجمة ، فللقرآن
دلالة وله اتجاهه في الهواية والبيان .

٣ - كما نجد فيه لمحات فقهية استطرادية ،
كبيانها لتقسيم الفقهاء للطهارة وأحكامها ،
والأصل في ذلك من الكتاب والسنة في
تفسيره لقوله سبحانه : « وثيابك فطهر » .
وهكذا نجد أن هذا التفسير يتخذ من الآيات
القرآنية مناسبة لذكر ما يتصل بمعناها من
موضوعات تستقل ببيانها علوم أخرى ،
كعلم الكلام والفقه والنحو .

يبقى بعد ذلك أن نشير إلى أن الجانب
الذاتي للمؤلف لا يظهر في هذا التفسير فهو
مرتبط بالمنهج القديم ارتباطا كاملا بمعنى
النظر في الآراء واختيار أحسنها عن طريق
المناقشة بالوسائل القديمة أيضا من النحو
والرواية والنظر في الأسانيد .

فليس هناك تذوق جديد للآيات أو نظر
إليها من خلال الفكر الطليق ولا عناية
بما يمكن لعصرنا أن يهتدى إليه فيها من سنن
اجتماعية وحقائق إنسانية .

فالآيات التي تعرض لموقف الوليد بن المغيرة
من الإسلام كانت تنسج لكثير من النظر
الذي يستخرج منها حقائق اجتماعية ومواقف
تشابه في كل عصر ومكان ..

إلى جانب حكمة التشريع والترغيب والترهيب .
 ففي القسم الأول يتناول أحكام الزكاة
 من حيث فرضيتها والحكمة منها وما يصيب
 المسلم من الخير بأدائها وما يحق به من
 السخط والعقاب حين يهملها وعلى من تجب
 الزكاة .

في مجال الدراسات اللغوية والدينية ، لكنه
 لا يفيد في الوصول إلى الغاية الجوهرية من
 تفسير القرآن والاهتداء إلى حقائقه والانتفاع
 بها في الحياة .

مرشد المزكّ

تأليف داود صبري سليمان
 مطبعة العاني ببغداد ٨٤ صفحة

وفي القسم الثاني يعرض للأنواع التي تجب
 فيها الزكاة والمقادير التي فرضت في كل منها .
 وفي القسم الثالث يبين مصارف الزكاة
 والأصناف والذين لا يجوز إعطاؤهم منها ويختم
 الرسالة بالترغيب في الصدقات وآدابها ، وعز
 التعفف وذل السؤال ويتبع المؤلف في هذه
 الرسالة منهج الإيجاز وتلخيص الآراء الفقهية
 والتعويل على الراجح منها .

مصطفى عبد الواحد

هذه رسالة موجزة أراد بها المؤلف تعريف
 المسلمين بتلك الفريضة المحكمة من فرائض
 الإسلام ، فريضة الزكاة والتي شاع إهمالها
 في بيئات كثيرة من المجتمع الإسلامي منذ تخلت
 الحكومات عن تطبيق النظم الإسلامية .
 وهي تسير على النهج الفقهي المألوف
 المقرون بالأدلة الشرعية مع الإشارة

يغفر في المخاطبة ما لا يغفر في المكاتبة

الكتاب يتصفح أكثر مما يتصفح الخطاب ؛ لأن الكلام متخير ، والمخاطب مضطر
 ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أسرع فيه أم أبطأ ؟ ولأننا ننظر أخطأت أم أصبت ؟
 فإبطاؤك غير قادح في إصابتك ، كما أن إصراؤك غير مغط على غلطك .

زهر الآداب ١٢٣

انبثاء وآراء

● أصدر قسم المصاحف وفحص الكتب التابع لمجمع البحوث الإسلامية بياناً بنشاطه عن عام ١٩٦٦ جاء فيه :

وبلغ عدد الكتب الدينية والثقافية التي صدرها القسم ١٥٥٠٣ كتاباً انتفعت بها إحدى وثلاثون دولة هي : السعودية والسودان والأردن والمغرب والجزائر ولبنان واليمن والعراق وقطر والهند وجزر كومورو وأوغندا ونيجيريا وسيراليون وغانا وأستراليا وألمانيا وأندونيسيا وأمريكا وإنجلترا والدولة الفعيطية وكندا والصومال وسيلان وترنناد وماليزيا والفلبين وجزيرة ودبي والباكستان .

كذلك صدر القسم ٦١٥٠٠ لوحة قرآنية إلى السعودية ، ٢٤٠٠٠ لوحة إلى السودان ، ومصنفين مرتلين لنيجيريا ، ومصحفا مرتلا للباكستان .

وقد أتم القسم فحص خمسة عشر نوعاً من حجوم المصاحف وأصدر بها قرار تداول من مجمع البحوث الإسلامية فيما بين

إن القسم صدر ١٩٢٨١٨ مصحفاً لسبع وأربعين دولة هي : السعودية والسودان ، والأردن والمغرب والكويت والجزائر وليبيا ولبنان واليمن والعراق وقطر والهند وجزيرة كومورو وأوغندا ونيجيريا وتنزانيا وسيراليون وليبيريا وغانا . والكاميرون وأمريكا وألمانيا وأندونيسيا والدنمارك ويوغسلافيا واليونان وإنجلترا وسوريا وأفغانستان وكندا وفولتا العليا وعدن والصومال وتايلاند وغرب إفريقيا وجنوب إفريقيا وسيلان والحبشة وفرنسا وتركيا وترنناد وماليزيا والكونغو والسنگال وكينيا والباكستان وأسبانيا .

وبلغ مجموع الأجزاء المفردة من القرآن الكريم التي صدرها القسم ٢٤٧٣٦٠ جزءاً وزعت على ثمانية أقطار آسيوية وإفريقية وأمريكية هي : السعودية والسودان

معهد الدراسات الإسلامية بالصومال ،
ومعهد ألورن بنيجيريا ، وجميع المعاهد
الدينية بالجزائر ، ومعهد الكويت .

* * *

● لى بجمع البحوث الإسلامية طلبات
الهيئات والجمعيات الإسلامية فى كل من :
الجزائر والصومال وإريتريا والفلبين ،
ونيجيريا . وسيراليون ، وأندونيسيا ، ودبى ،
وليبيا واليمن فأرسل إليها الكتب الدراسية
والمصاحف فى حدود خمسمائة نسخة
لكل منها .

* * *

● أصبح مقررا اختصار مدة الدراسة
بالمعاهد الثانوية الأزهرية إلى أربع سنوات
بدلا من خمس ، انتهت اللجنة المشكلة لتعديل
برامج الدراسة فى المعاهد الأزهرية إلى
هذا القرار .

* * *

● تسلمت كلية السيدات المسلمات بسلان
ثلاثة آلاف كتاب هدية من بجمع البحوث
الإسلامية .

* * *

١٩/١/١٩٦٦ ، ٢١/١٢/١٩٦٦ بأرقام
مسلسلة تبدأ برقم ٧٢ وتنتهى برقم ٨٦ .

كذلك أصدر القسم بيانا عن المصاحف
المصادرة خلال العام نفسه ؛ منها طبعة
شركة تاج الهندية التى سبقت للمجلة أن
وضعت بيانا كاملا بالأخطاء التى وردت
فى طبعتها ومنها طبعة تمت بإديس أبابا ،
ومثالثة فى ألمانيا وذلك للسبب نفسه .

وقد قدم للفحص خلال السنة الماضية
خمس عشرة موضوعا بين : « سيناريو ،
ومجلة وكتاب أجيز منها ثلاثة عشر
موضوعا .

* * *

● زادت بعثات بجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر زيادة ملحوظة هذا
العام ، وقد أدى الجمع واجبه نحو المعاهد
العلمية التى يشرف عليها بالخارج فزودها
بم حاجتها من المدرسين وهذه المعاهد هى :

معهد غزة الدينى ، ومعهد القويرى بليبيا ،
ومعهدا مقديشيو وبرعو بالصومال ،
ومعهدا صنعاء وتعز باليمن ، ومعهد أسمرة
بإريتريا والمعهد الدينى بالقعيطية ، ومعهد
دبى الدينى ويشرف الجمع من الناحية
الفنية على :

● هرح السيد غالب وزير التربية والتعليم في الحكومة اليمنية بأنه تقرر إنشاء أول جامعة في تاريخ اليمن باسم : جامعة سبأ ستبدأ بخمس كليات في مقدمتها : الهندسة ، والزراعة ، والطب ، وستوزع الكليات على المدن اليمنية وقال : إن تمويل لإنشاء الجامعة سيعتمد إلى - حد كبير - على مساهمة أفراد الشعب اليمني .

* * *

(كتاب الهند) للبيروني الذي يتناول التاريخ والثقافة الهنديين ، و « صور الكواكب » للصوفي ، و... « الأسطرلاب » في الفلك و « الحاوي الكبير » للرازي في الطب ، وقانون المسعودي للبيروني في الرياضيات وكتاب « الأنواء » لابن قتيبة وغير ذلك .

● جاء من الهند أن رئيس الأوقاف الإسلامية في الهند رغبته في وقف الأراضي والعقارات اللازمة لتمويل معهد ديني ومركز إسلامي يتبع الأزهر الشريف في (كلكتا) يتولى التدريس فيه علماء أزهريون .

* * *

على الخطيب

● أصدر مكتب استعلامات الهند كتابه :



such as the delight of succumbing to temptation ; and those painful for the present but of future benefit such as curbing souls' desires. Then he puts under sixteen headings. Then in conclusion of his tract he throws light on the reasons that turn people from thanksgiving. They are ignorance, heedlessness, succumbing to passion, and Satan's conquest of men.

Allah has connected thanksgiving with remembrance in His wise Book. "Remember Me, then, and I will remember you. Give thanks to Me and never deny Me "

Hence, on account of the sublime standing of thanksgiving, Satan did not find a way to lead people astray worse than making them forgetful of it. Satan said to Allah: "I will

waylay your servants as they walk on your straight path and spring upon them from the front and from the rear, from their right and from their left. Then you shall find the greater part of them ungrateful."

Even the Prophet who has been forgiven his past and future sins was discovered by his companions praying long, worshipping Allah and weeping a lot out of thankfulness to Allah. How truthful was Ibn Massoud, then, when he said: "Faith is two divisions, thanksgiving as much as patience"; and how sober and intelligent is the Prophet who said of the believer: "In prosperity he gives thanks to Allah, which promotes his benefit; and in adversity - he takes patience, which promotes his benefit also".

(Continued from page 12)

Qur'an came to stay and survive to control the world until its end - The religion is entirely complete as well as it is the final link of literature that encycles humanity with knowledges, theories and experiments till doomsday. Its plasticity makes it fit for all generations to come. It is the religion for all human beings, for the sound bodies and the sick, the residents and the travellers, the youths and the advanced ages, men and women

It assists the creatures as a group with kindness and leniency to Heavens in the eternity.

« إن الدين عند الله الإسلام »

(آل عمران)

(Lo ! religion with Allah (is) The Surrender (Al-Islam): to His will and guidance. (III : 19)

In fact, it is the sole religion of all Prophets and Almighty God's messengers.

illustrated by the errors of the tongue. Among these errors Al-Ghazaly mentions backbiting, lying, hypocrisy, self-praise, wounding jest, insult and defaming the dead. On account of their repetition and familiarity, he considers them the worst offences.

As to misfortunes which man can ward off, man is said to have taken to patience if he abdicates vengeance or reward. Al-Ghazaly throws light on evidence of the necessity of such a type of patience in the verses of the Wise Book, the Tradition of the Prophet and the sayings of the Prophet's companions. After all, Allah will help the patient in both the life of this world and particularly, the life to come.

Endurance of such calamities as the death of dear kinsmen, the loss of property, or as blindness is the most exalted degree of patience. It is the stock of the truthful. In a Holy Speech of His, Allah has said: "If I match an affliction against one of my servants, in his body, his property or his offspring, and yet he conducts himself with becoming patience, I will be too coy of him on the doomsday to hold for him a balance or open a record of deeds." And in His Lightgiving Book He has said: "Say 'Nothing will befall us except what Allah has ordained.

He is our Guardian. In Allah let the faithful put their trust'.

As to thanksgiving, it is based on three pillars :

a) knowledge of the favour, of the ground of its being so considered, and of the Donor Himself without Whom the favour would have not been ;

b) joy, not with the favour or the act of being favoured, but with the Donor, submission to Him, and considering the favour a means of advance to Him, to abiding under His protection and to seeing His face;

c) the believer should also cherish benevolence for all creation, declare thanks and use the favours of Allah in acts of obedience and not of disobedience.

With reference to favour, Al-Ghazaly says it is every source of good, pleasure and happiness, and even everything wanted that will have an effect. However, he is of opinion that favour is genuinely the happiness of the other life. In demonstration of the sources of pleasure, he distinguishes them into many classes among which are : those useful in both this life and the next, such as knowledge and good manners ; those harmful in both lives such as ignorance and bad manners; those useful for the present but which are harmful in consequence

latter. No wonder, then, that the Muslim Falasifa exuberated in their treatment of these two praise-worthy traits.

According to Al-Ghazaly, patience is the firmness of the religious motive, by which man is distinguished from beasts, on confronting motive of passion. With the variation of situations, patience is termed different names. In adversity it is called patience of which the contrary is despondency or consternation. With abdominal and sexual appetite, it is called chastity. With riches and abundance it is termed self-control, contradicted by wantonness. In war and strife it is given the name courage or bravery, the opposite of cowardice; and with anger it is called clemency; the contraposition of which may be either grumble or indignation. If it is with a wearisome misfortune, patience is called large-heartedness, its opposition being weariness, boredom or depression. In the same way Al-Ghazaly goes on with the demonstration of various circumstances and the terms to be applied in each to patience and its counteract. Thus he mentions reticence, contentment and renunciation of wordly vanities, in face of disclosure or betrayal of secrets, greed and covetousness. Most Islamic morals are, then included in patience.

Al-Ghazaly then classifies patience into : a decreed precept, when it is connected with interdicts; an additional service - or Nafl - when it is with a misfortune; and a prohibited or hated passivity when connected, respectively, with prohibited or hated harm. Patience, however, is both necessary and unescapable; for not all that a man meets is after his heart. In any case, misfortune may be : connected with his own conduct, as is the case of his disobedience of a Divine decree; having no regard of his option, as is the case of a calamity; or that he can ward off remove or avenge himself for, as is the case of aggression on his security or his property.

The great authority of Islam says that compliance with Divine commandments and interdicts is by no means less severe than patience with calamities; for, by nature, man averts submission and has a liking for lordship. This is why a man may dislike prayer to Allah seemingly out of laziness, almsgiving out of avarice, and pilgrimage or fight out of both sluggishness and cupidity. Indecency, wickedness and oppression which Allah forbids are, according to him, the outcome of the motive of passion. Patience is most fell when passion and habit back up one another, which is best

From the Tradition of the Prophet:

“Thanksgiving and Patience”

By

SOLIMAN BARAKAT

Muhammad, Allah's apostle, may blessing and peace be on him, said: "Wonderful are the ways of the true believer. They are all good for him, which occurs to no one but a true believer. For in prosperity he gives thanks, which promotes his benefit, and in adversity he takes patience, which promotes his benefit also."

Life is a chain of connected links of weal and woe, and of joys and sorrows, and consequently faith shows in both thanksgiving and patience. Innately, man is spoilt by ease and transported with the joy of abundance, while he is shocked and his heart is broken at a misfortune's befalling him. A faithful believer, however, is not like that. To him both fortune and misfortune are trial from which he emerges nobler and nearer and dearer to the One above, through praise to Him and acceptance of His will, Who sees all, and who has said: "He that thanks has much to gain, but he who is ungrateful... Allah is all-sufficient and bountiful."

The exclamation with which the Prophet initiates his Hadith is an

intelligent allusion to the magic effect of faith that inundates hearts and breathes confidence into souls. Rather than success, affluence and good health and the like, on one hand, and failure, want, illness and the like, on the other, by prosperity and adversity is probably meant the general course of days, months and years. In other words, the faithful are incessantly in a state of acceptance of Allah's will, whether with pleasure or with endurance. Thus, instead of levity or dismay, faith puts the believer in continual contact with Allah and His pleasure and distinguishes the believer by all good and salvation. "Allah holds the rewards of this life and of the next"

As for thanksgiving, it implies both the acknowledgement of Allah's favour and its diffusion through the execution of His ordinances and the avoidance of His prohibitions. Hence, the terms "patience" and "thank", their derivatives and their various forms of usage - not to mention their equivalents - are adduced in the Wise Book as frequently as in more than one hundred positions of the former and than sixty positions of the

we commended unto Abraham and Moses and Jesus (XLII : 13).

Almighty God commands mankind to religious unity and denounces racialism, colour and influence of positions.

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » (آل عمران ٦٤)

(Say : O People of the Scripture! Come to an agreement between us and you : that we shall worship none but Allah, and we shall ascribe no partner unto Him and that none of us shall take others for lords beside Allah. (III : 64).

Heavenly faithful unity is teaching basically the ten commandments in Torah, in the Bible and in the Qur'an. (1)

« قل تعالوا أتت محرم ربكم عليكم ألا تفرکوا به شيئاً ... وهذا کتاب أنزلناه مبارك فاتتوه » (الأنعام ١٥١ — ١٥٥)

Muhammed the Prophet has an indefinite reverence to old Scriptures as well as the Qur'an defends, praises and esteems them boundlessly.

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ... » (المائدة ٤٤)

This is an open confession of

(1) Read the commandments.

Islam in praising Torah of Moses and the Bible of Jesus, nevertheless, calling on the Hebrews, Christians and all religions existing to follow Muhammad's message, not only because their correct books had established and described the forthcoming of Muhammad, as well as ordered the following races to embrace his faith during his appearance, but because the Qur'an is the last book from Allah that copes with the future to come.

« والذين هم بآياتنا يؤمنون والذين يقبضون الرسول النبي الأمي الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ... » (الأعراف ١٥٧)

The signs of the truth which acquainted Muhammad the Prophet were effective on the warm hearts of the nobilities and sagacious Christians who recollected and understood the truth carried from one Prophet to another and from one era to another until it settled on the forthcoming final Muhammad the prophet. They all pinned their faith in Islam and the Qur'an.

« ولتجدن أفرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »

(المائدة ٨٢ — ٨٣)

(1) See Old Scriptures in The Torah.

(Continued on page 16)

effectively with ease and certainty.

The development of human faculties enticed people of various nations to break the natural barriers and come in contact with one another to form one linked whole with a variety of teachings that were taken from one and the same source, and taught one and the same truth.

Muhammad, the last Prophet with a masterly hand, came at this period to restore Islam by a Sacred Book-El-Qur'an - which renewed the old teachings and restored them to their original form, with necessary additions to meet the requirements of the age and the following ages of the world.

«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن
أكثر الناس لا يعلمون» (سبأ : ٢٨)

(And We have not sent thee (O Muhammad) Save as a bringer of good tidings and a warner unto all mankind; but most of mankind know not.) (XXXIV : 28)

«ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول
الله وخاتم النبيين» (الأحزاب : ٤٠)

(Muhammad is not the father of any man among you, but he is the messenger of Allah and the Seal of Prophets.) (XXXIII : 40)

The Almighty Fair Wisdom is marked amongst the Prophets who believe and entrust each other. Any Prophet undertakes to manifest and pave the way practically to the following Prophet.

The Qur'an came to reveal and teach the previous religions. This holy final Book has recapitulated the old truths in their unalloyed form with requisite additions necessary for the development of present and future human faculties.

The Almighty God has taken the pledge and convenance on every Prophet to believe and assist the contemporary Prophets.

«وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» (آل عمران)

(When Allah made (His) covenant with the Prophets, (He said) : Behold that which I have given you of the scripture and knowledge. And afterward there will come unto you a messenger confirming that which ye possess. Ye shall believe in him and ye shall help him). (III : 81)

For this cohesion and unity of heavenly rules and regulations, religion in all periods, and with every Prophet is originally one, with difference in forms and not in principles, in order to be in harmony with various environments of different eras.

«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى» (الشورى : ١٣)

(He hath ordained for you that religion which He comended unto Noah, and that which we inspire in thee (Muhammad), and that which

the prophet was treating his followers, his character, his behaviour and his morale.

• لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر • (الأحزاب ٢١) .

(Verily in the messenger of Allah ye have a good example for him who looketh unto Allah and the Last Day) (XXXIII : 21).

Stages of Islam : Islam appeared with Adam and will eventually commence till the Doomsday. It is the righteous sole religion the Almighty God has bestowed upon all the people of the universe.

The Prophets from Adam's era to Muhammad are commanded by the Almighty God to announce and preach Islam. The faithful true believers are attested to be rewarded in the altitude of the two abodes, and the unfaithful disbelievers to anticipate their punishment in the second survival abode.

The Almighty God has duly harmonised Islam to the faithful believers and enabled them to perform their prayers at ease to suit their environment both socially and in various cultural aspects.

Islam has made its appearance with so much simplicity as to suit Adam, Eve and their children in order to fit their life.

At the era of Noah, people increased comparatively in number

and Islam extended and became more collective in order to harmonise with theories, culture and life with its enormous experiences.

People, by the laws of nature which submit to the Almighty Power, occupied the whole earth. They scattered and formed disconnected races and separated by natural barriers in the form of oceans, high mountains and vast barren deserts. These barriers hindered meetings of people to exchange their culture and knowledges. The advent of a Prophet in every area which is remote from the other areas, took place.

Muhammad the Prophet in charge of preaching God's message, was chosen by Almighty God, a kin of his tribe, and not a pure stranger to them in order to facilitate his duty of delivering his message amongst his own people, preach in the way they understand most and explain all their enquiries.

• وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم •
(إبراهيم ٤)

(And We never sent a messenger save with the language of his folk, that he might make (the message) clear for them.) XIV : 4

The Qur'an announces that every Prophet is sent to his own people for his acquaintance with their customs, and knowledge of their weakness. The Prophet remedies them

UNIVERSALITY OF ISLAM

BY : ALY OMAR FADEL



Islam in its real and apparent forms reveals its glistening superb merit to the eminent and refined humanity.

Definition of Islam : It is a thorough headway to Almighty God by submission of mankind; core and soul, to God by following His orders and avoiding His prohibitions.

Real trust in God means the full submission to the faith, and execution of His commandments in full.

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » النساء ٦٥ .

(But nay, by thy Lord, they will not believe (in truth) until they make thee judge of what is in dispute between them and find within themselves no dislike of that which thou decidest, and submit with full submission). (IV : verse 65)

The importance of the prophet is conspicuous, due to his colossal responsibilities to Islam which is inspired by the Almighty God through revelation.

« وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى »
سورة النجم ٣ - ٤ .

(Nor doth he speak of his (own) desire. It is naught save an inspir-

ation that is inspired) (LIII : 3—4.)

For many reasons, the prophet is the vicegerent to God on earth; by preaching and executing His regulations as they come to him. His integrity is developed as high as to infuse his spirit in Godliness which leaves no vacancy in his sincere heart to any but God, and that is due to his extreme devotion that surmount his own life and existence.

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » النساء ٨٠ .
(Whoso obeyeth the messenger obeyeth Allah . . . (IV : 80).

The companions and followers of the Prophet represent his spirit in themselves, and between one another, and with people, in peace and at war. They were Kind considerate and brave warriors.

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار
رحماء بينهم » الفتح ٢٩ .

(Muhammad is the messenger of Allah. And those with him are hard against the disbelievers and merciful among them selves).

(XLVIII : 29)

One cannot be a true muslim unless he is in compliance with the laws and regulations of God; by following the prophet, in the way

the Abbasids, then the Tulunids and Fatimids. It was during the Fatimids dynasty that Al-Kuds was captured by the Crusaders in 1099. The famous Muslim, Saladin, recaptured the city in 1187 and he carried out the restoration of the Aksa Mosque at this time. In 1229 the Aiyubid Caliph, Al-Kamil, concluded a treaty with the Emperor Frederick whereby the Christians took possession of Al-Kuds except for the Muslim sacred places on the Haram. Shortly after this the Mamluks came into power and took control of all Syria and Palestine, and so of Al-Kuds.

The rule of the Mamluks lasted for three centuries, after which the

Ottoman Empire came into being. No. events of great importance occurred in Al-Kuds during this time and its inhabitants remained in comparative peace, leading the lives of their forefathers Arab with Arab.

In recent years, after the first world war and the disintegrations of the Ottoman Empire, Al-Kuds became the capital of Palestine. This state changed with the formation of Israel in 1948, it became a city torn in two but held together by its sense of religious significance.

Al-Kuds of today still retains its original place in the Faith of Islam and the passing years only increase the respect and reverence in which it is held by all Muslims.

(Continued from page 5)

Malik bin Habib settled in Kodunkalur and built a mosque there. Afterwards Malik bin Habib moved to Kollam, (Quilon) where he built a mosque. Leaving his family in Kollam, he travelled to Hubli Mawari. After building a mosque there, he visited Pakanoor, Mangalur and Kanjerkode. He erected mosques in all these places and returned to Hubli Mawari.

There he stayed for three months. He then went to Shaliyam, Darmafatan and walapatanam. After building mosques in these places he returned to Kodunkalur. Accompanied by his uncle Malik bin Dinar, He visited all these mosques and said prayers in them. They finally returned to Kodunkalur, and thanked

their Lord for bringing the light of Islam to a land that was the meeting-place of world Religions and Cultures.

Long afterwards, Malik bin Dinar and Malik bin Habib went to Shahar and visited the grave of the departed King. Later, Malik bin Dinar travelled to Khurasan where he died. Malik bin Habib, returned to Malabar. He left some of his children in Kollam and settled in Kodunkalur with his wife where they died.

From this account it is clear that it were Arabs who first took the light of Islam to South India. They were the pioneers in this field and the first Muslims that settled there.

freedom of worship and the security of the churches. The entrance of Umar into Al-Kuds was a remarkable event of a remarkable man. It is well known that when he was offered the Church of the Resurrection in which to say his prayers, he refused because this might have lead his followers to turn the church into a mosque. Instead he performed his prayers on the entrance steps of the church.

It is said that when Umar asked to be taken to David's mosque, he was first shown the Church of the Holy Sepulchre and the Church of Sion. On his insistence that this was not the true place he was finally taken to the site of the mosque. This he recognised by the description given to him by the Prophet who had been there during his famous night journey, when he placed his foot on the the Rock to ascend to heaven.

Upon finding the correct place he had it cleared of all the debris with which it was covered, he then built a simple but large mosque which we are told could hold 3,000 men. This fact is confirmed by Bishop Arculfus (I tinera Hierosolymitana). Due to the fact that the Christians would not build a church on what they considered pagan ground, this was thus satisfactory to both sides and the Muslims acquired the desired place held sacred by them.

During the Umayyads the prestige of Al-Kuds increased. This was mainly due to political reasons, also it was easier to reach from Damascus than Medina or Mecca. Mu'awiya even had himself proclaimed Caliph there in 40 A. H. The Umayyads' plans were further helped by the holiness accorded Al-Kuds by the Prophets and the tradition, recorded by Al-Zahri, in which Muhammad classed Mecca, Medina and al-Kuds as of equal value to pilgrims. In facts, according to the hadith, Al-Kuds was placed first in precedent above the other two sanctuaries.

The Caliph Abdul Malik further persuaded his people in this matter as he did not want them to visit Mecca while Ibn Zuhair was in control of it, he thought they might be coaxed or forced to join the anti-caliph, Ibn Zuhair. It was at this time that Abdul Mulik built the renowned dome over the Rock, the Kubbat Al-Sakhra, around which the tawaf was performed and which surpassed all else in its beauty.

During the following centuries the religious significance of Al-Kuds gradually declined and came to be of less importance for the Muslims. Its history and fortunes being similar to other towns and cities in Syria and Palestine at that time

After the Umayyad period came

The Sacred places of Muslims :

JERUSALEM (AL-KUDS)

BY

RASCHIED AL-ANSARI

« سبحان الذى أمرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لئلا نرى من آياتنا
إنه هو السميع البصير » (١- الإسراء)

(Glory be to Him, who carried His servant by night from the Holy Mosque to the Farther Mosque the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our signs. Lo ! He only He, is the Hearer, the Seer.)

The old and beautiful city of Al-Kuds, venerated by Muslim, Christian and Jew, has a long and often bloody history stretching back to antiquity. All three religions claim a special interest in this ancient city. The Muslims for the following reasons :

1) Here is the place of the sacred rock, Al-Sakhra.

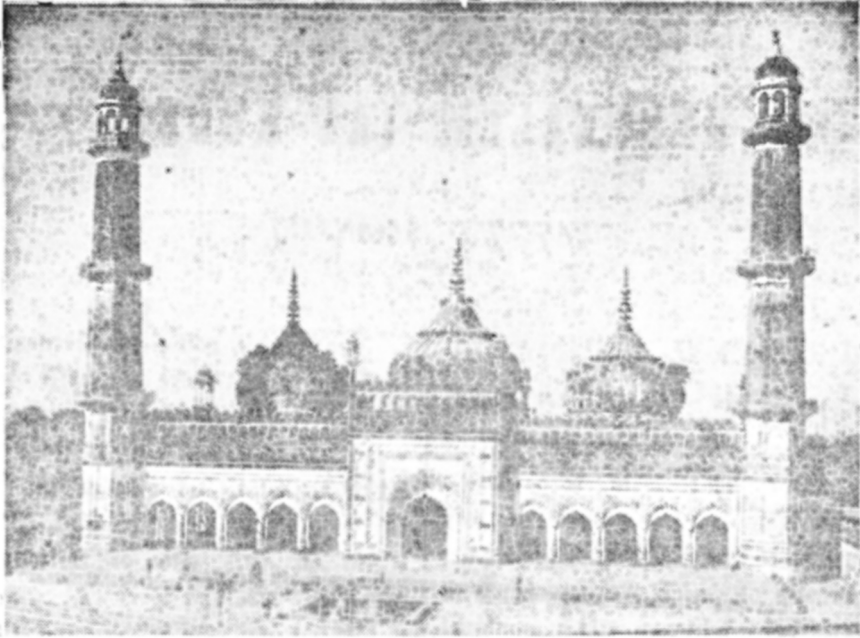
2) It is on this rock that Muhammad (may peace be with him) placed his foot when he ascended to heaven.

3) The above verse from the Qur'an.

The Arabic name for Jerusalem is Al-Kuds, but there is a still older name of ' Bait Al-Makdis ' Here it was that the wisest king of the ages, Soloman, built his famous mosque to the glory of the One God, Allah. It is on this site of Solomon's mosque where the Rock, Al-Sakhra, is located and over which the Caliph Abdul Malik built the Dome in the year 70 A.H.

The Christians' interest is due to the belief that their saviour, Jesus Christ, was crucified here. Marking the place of his death and sufferings are to be seen many beautiful churches belonging to the different sects of Christianity ; Coptic, Roman Catholic, Greek Orthodox, etc. During the Crusades the city changed hands at different times, usually with much bloodshed, the Crusaders turning the mosques into churches.

Al-Kuds first came under Muslim influence at the time of Umar. In 17 A.H., during the siege of Al-Kuds, a treaty was signed granting the Christians their lives and property,



The mosque of Lucknow (N. India)
one of the earliest Muslim monuments in India.

to rule the Kingdom during his absence and wrote down their duties in clear terms.

The ship sailed with them. They spent the night and the following day in 'Fandarina'. They then sailed till they reached 'Darmafatan' where they spent three days. They again sailed and reached Shakar. Here they stayed for many days during which period, they arranged to send a mission to Malabar, to call people to Islam and build mosques there. At this time, the King fell seriously ill. He gathered around him the members of the mission and urged them to go ahead with their duties. They Said :

"O King, we know not your

country, we had decided to go there because you are with us". The King thought for a moment. He then wrote a letter in Malayalam to his relatives. He gave it to them and asked them to go to Kodunkalur, Darmafatan and Fandarina. He asked them not to speak about his illness. Shortly after this the king died.

Two years after the death of the king, Sharaf Bin Malik member of the mission started for Malabar with his brother, nephew, and his wife and children. Soon after their arrival in Kodunkalur they presented the royal epistle to the Governor who granted them lands, gardens and fields as per the King's order.

Malik bin Dinar and his nephew

(Continued on page 8)

"Arab traders used to go to Ceylon for business. Some of them settled there with their families. When some of them died and their families had no one to take care of them, the King of Ceylon sent them by sea to 'Al-Hajaj Bin Yusuf' at Kufah. He gave them costly presents from his privy purse. When the ship reached Dibal in Sindh, a gang of pirates attacked the ship and took away the presents. When this sorrowful news reached Al-Hajaj he decided to attack Sindh in Retaliation". ('Futuh Al-Buldan' p 436 ; History of Farishta, second part.)

These events that took place during the reign of Walid bin Abdul Malik (705 - 715) signify that the people of Ceylon knew about Islam and that Arab traders had settled there during the first century of the Hijrah.

At this period, some arab traders also settled in Malabar.

In his "Tuhfat Al-Mujahidin", Sheikh Zain Al-din Bin Abdel Aziz relates to us how Islam found its way in Malabar. He says that since time long past, Jewish and Christian communities had settled in Kodunkalur (Cranganore) in the capital of Malabar. The Jews settled here were probably those who Kaikhusur, the King of Iran, had banished from the land. They crossed the Arabian

Gulf, and settled in Cochin.

Forester had a slightly different account of the Jewish settlement in Malabar. He says "In 369 A.D. a group of Jews migrated from the island of Miorea in Spain. They were about seven or eight thousand persons. They reached the coast of Malabar and settled in Cochin. As for the Christians, history records that St. Thomas preached in Malabar, and that Nestorian Christians, from Syria and Chaldea also, came there.

Years after this a group of Muslims passed by Malabar on their way to Ceylon to visit the footprint of Adam, when the news of their arrival reached the King, he received them and made inquiries about the Prophet. An elderly man replied to his questions and gave him an account of the Prophet's life and teachings, and the miracle of the splitting of the moon.

The King believed him and embraced Islam. He confided to the man that on their way back home, he would accompany them to Arabia to visit the Prophet. He asked his arab friends not to speak about it to any one in Malabar.

After their return from Ceylon the King embarked along with his visitors. He then sent for his members of his household and his ministers and told them that he would spend a week in contemplation. He appointed his ministers

Once again these relations suffered a rupture which provided an opportunity for the Arabs to take up the business.

So when the Portugese reached India, they found trade in the hands of the Arabs. It was the habit of the Arabs to start their voyage to the southern and western coasts of India during the months of July and August when the wind blows to the east. They would stay there for about four months and return to their country in the months of December or January. This voyage would last about thirty to forty days.

After the migration of the Prophet to Medina, hundred of Arab Tribes entered the fold of Islam, in a short period. Great men sent their deputies to prophet to announce their acceptance of the new faith. In the 9th and 10th years, after the Hijra the people of Yemen and Hadramaut embraced Islam in large numbers. Those were all traders. Their trade at that time had reached the peak of progress. They were exporting their goods to the Gulf of Arabia, Egypt, Sindh, Konkaram, Malabar, Ma'bar. Ceylon, Sabij (Java) China and other far off countries. In every country they visited they preached the new faith.

Thus came the voice of Islam to India and Ceylon in the first century of Hijrah.

During the reign of Caliph Abdel Malik bin Marwan (65-86) a group of Muslim traders came to Ceylon and settled there. There lived in Harmaz, a town in the Gulf of Arabia, a persian sailor by name 'Buzurg bin Shahriyar'. In his book : "The Wonders of India" which is an account of his voyage, he writes as follows :

"When the people of Ceylon heard about the Prophet, they sent a distinguished man to Arabia to enquire about the new prophet and to bring them news about him. The man arrived in Arabia in the reign of Caliph Umar (634-644 A.D.). He met the caliph and discussed with him the mission of the new prophet. He started for Ceylon with complete information about the new faith. But he died in Makran and his Indian servant who was with him returned to Ceylon and told the people all that he had seen and heard.

He conveyed to the people with information his master had gathered about Islam, the prophet of Islam and the caliphs Abu Bakr and Umar. About Umar, he says, he is a brave and pious man. He puts on patched clothes and sleeps in the mosque (wonders of India, p. 156).

Speaking about the causes of the Conquest of Sindh, the famous historian Ahmad Al-Baladhuri (892 A.D.) writes" :

The Arab had contact with the west coast of India many centuries before the advent of Alexander the great.

Indian produce was exported to coasts of Arabian peninsula from where Arab traders carried it to Todmar in Syria, and to Alexandria in Egypt, through Hejaz and Yemen. Western traders would buy the goods from Syria and Alexandria and export it to markets in their countries.

Arabs and Egyptians in those days acted as the media between India and Rome and Greece in commercial relations. The godown of Indian produce was 'Safar' in Hedramaut. Traders from this place had direct business contact with South India. That why we find coconut-tree and 'betel plant' growing there. These trees were imported from Malabar and grown there.

Roman traders living in Egypt began to pour into India. They made Malabar their business centre. Pleny says, "Ships from Egypt would reach india in two months and ten days".

The towns of Moserus and Fohar were the chief ports in those days. From these ports goods were exported to Rome in Roman ships. During the first and second centuries before Christ many Romans settled in these port-towns. They built a big temple in Moserus and called it Caesar Augustus.

These Romans are referred to in ancient Tamil works as 'Yuvaness'. The main items of export were pepper and pearl.

Pepper' is chiefly grown in Malabar and Peal is abundantly found in the Indian ocean even to-day. As for Bana, it is a precious stone resembling emerald. The romans liked it very much.

When king Alark defeated the Romans, he demanded from them an indemnity which included three hundred pounds of pepper. The two great Roman writers, Pleny and Ptolemy knew well the ports and commercial centres on the west coast of India. A Roman trader visited these places eighty years before the birth of Christ, and compiled an account of his travels and named it Barbalas. This account contains valuable information about India and the Roman Traders living there.

Commercial relations between Rome and Malabar were as best as they could until two centuries after Christ. These relations later grew in strength, thanks to the efforts of the Ptolemian kings and Alexandria became the centre of this trade.

In 215 A. D. Karda resorted to a massacre in Alexandria. This resulted in the rupture of trade relations with India for some time, and they were resumed later on.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Shawwāl 1386	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	January 1967
-----------------	--	-----------------

Spot Light on the History of

“ISLAM IN INDIA”

BY

A. M. Mohiaddin Alwaye



Any study of Islam in India has two different aspects ; the first aspect is the Muslim conquest of India, and the second one deals with the entry of Islam in India, and the efforts of the many individuals to spread the faith of Islam in this new land.

The last aspect of study is more extensive, more glorious and has left more lasting marks in the history of India. Islam does not own its spread in the length and breath of the country to the Kings, the Emperors, and the Conquerors ; but it owes its spread to the Arab individuals and their tremendous efforts.

These individual efforts began before the first conquest of India at

the hands of Muhammad Bin Qasim (91 A. H.). Historical research has brought to light the following facts: the first, the coming of Muslims to India was not a colonial movement nor was it a wave of military conquest ; secondly, the small groups that entered India as conquerors, were not Arabs execept, of course, the army that conquered India under the leadership of Muhammad Bin Qasim ; and thirdly, nowhere in India did Islam spread by force or coercion.

The following account of Islam in India will, it is hoped, throw some light on the spread of Islam in the sub-Continent of India, and the factors that helped in its spread.

مَجَلَّةُ الْإِنْهَارِ

مجلة شهرية جامعة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بدل الاشتراك»
٤٠ في المبرور العربية المتحدة
٥٠ ضاح الجهورية
والدرسين الطلاب تخفيض خاص

تصدي عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزآن التاسع والعاشر - السنة الثامنة والثلاثون - ذى القعدة وذى الحجة سنة ١٣٨٦ هـ - فبراير - مارس سنة ١٩٦٧ م

اسم المجلد الثاني



صفحة من حياة الأفغان

بمناسبة ذكرى وفاته السبعين

بقلم

أحمد حسن الزيات

ولكنهم نسوا أن الرسل بلغون والله ثبت ،
وأن المصلحين يبذرون والدهر ينبت ، وأن
جمال الدين إنما كان صيحة الحق وإشراقة الهدى
انبعثتا في يومهما الموعود كما ينفجر المكظوم
فيدوى ويحولك الليل فيصبح .

وهل كانت الثورات الديمقراطية التي شها
العراييون ثم المهديون ثم الاتحاديون ثم السعديون
ثم الهاشميون ثم الفهوليون إلا أقباساً من تلك
الشعلة المباركة التي حملها الأفغانى وتنقل بها
في ممالك الشرق ، يحرق ويضىء ؛ وينضج

في اليوم التاسع من شهر مارس عام ١٨٩٧ م
قضى السرطان في عاصمة الخلافة على الحكيم
الثائر المصلح السيد محمد جمال الدين الأفغانى
بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ومسح عن
عيون الشرقيين ما فترها من همود الكرى ،
وجلا عن قلوب المسلمين ما غشاها من صدأ
الجلل ، فاطمأن الاستبداد وأمن الاستعمار ،
وظن الذين ينقضون أوطانهم ليقبوا عروشهم ،
والذين يزيفون أديانهم ليملاؤوا كروشهم ، أن
الصوت قد خفت ، وأن المشعل قد انطفأ ؛

الثالثة والثامنة عشرة من عمره علوم الدين والدنيا ، وفنون اللسان والعقل ، على منهاج محيط شامل ؛ وأنه حذق في مراحل حياته ومواطن رحلاته اللغات العربية والأردية والفارسية والتركية والفرنسية ، وألم بالإنجليزية والروسية فاتصل منها بثقافة الشرق والغرب في القديم والحديث ؛ وأنه طوف ماشاء الله أن يطوف في أفطار الهند وإيران والحجاز ومصر وتركية وإنجلترا وفرنسا وروسيا ، فازداد بصراً بأحوال الدول وأخلاق الشعوب ؛ وأن موقع أفغانستان بين الهند وإيران أمكنه من أن يرى ميادين الاستعمار المدلل المذل تتسواثب عليها قوى الإنجليز والروس ظاهرة وباطنة ، فهاله منذ شب عدوان الأجنبي على استقلال أمته وجبرته .

كل أولئك الذى ذكرت من كرم المحتد ، وشرف المولد ، وبدواة البيئة ، وعمق الثقافة وحذق اللغات ، وإدمان الرحلة ، ومعاناة الاستبداد ، ومكابدة الاستعمار ، لم يخلق وحده الرجل المصلح فى جمال الدين ، وإنما كان مساعداً لسر العبقرية الذى أكنه الله فيه على أن يظهر مهياً الأسباب مستكمل الوسائل .

.....

كان رضى الله عنه متواضع النفس لأنه عظيم ، جرىء الصدر لأنه حر ، ندى الراحة لأنه زاهد ، ذرب اللسان لأنه قرشى ، أبى الضيم

ويحمى ، ويقبس ويشعل ، وساعده مرفوعة لا تنكل ، وعزيمته ماضية لا تنكل ؟

وسر القوة فى هذا الرجل أنه كان صاحب رسالة لاطالب ملك : هاجم السياسة الإنجليزية فى (العروة الوثقى) أعنف الهجوم أيام الثورة المهدية ، فدعى إلى لندن ليلوح له اللورد سالسبرى بملك السودان ليطفىء الثورة ويقترح الإصلاح ، فما كان جواب الأفغانى إلا أن قال : « إن السودان لأهله ، وهل تملكونه حتى تملكون عليه ؟ » (١) ، وأراداه السلطان عبد الحميد على مشيخة الإسلام فأبأها وقال : إن وظيفة العالم فيما يزاول من تعليم ، وإن رتبته فيما يحسن من علم (٢) .

أما كيف تهيأت نفسه لرسالة البحث والتجديد على فترة من رسل الهدى وأئمة الإصلاح فجر فيها الحاكم وكفر المحكوم ، فذلك من علم الله الذى يصطفى من يشاء كما يشاء لنصرة حقه وهداية خلقه . وكل ما نظنه معيناً على هذا التهيؤ أنه ولد فى بيت كريم الأصل يجمع إلى جلالة النسب إلى الحسين ، سودد الإمارة على بعض الأقاليم الأفغانية ؛ وأنه درج فى بيئة تعزى بطباع البداوة من حرية وحمية وأريحية وأنفة ؛ وأنه درس فيما بين

(١) خاطرات جمال الدين المخزومى ص ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٠ .

وأدار أمره على الثورى ، فأوجس الإنجليز خيفة من هذه النزعة ، فأرسلوا ذهبهم إلى منافسه فأضرم الثورة وفرق الكلمة وطرده الأمير .

وخرج السيد إلى الهند يبتغى السكنية عند تاجر صديق ، فاستقبله الإنجليز على الحدود ، وأنزلوه بالإكرام ضيفا على الحكومة . فسأهم الإقامة شهرين ، ولكنهم حين رأوا إقبال الناس عليه ، وإصغاءهم الشديد إليه ، قمعوا هذه المدة وأمره بالخروج . وكادت الأعصاب الهندية المخدرة تشورحين قال للزعما الهندود وهو راحل : « غزة الحق وسر العدل ، لو أن ملايينكم مسخت ذبابا لأخرجت الإنجليز بطينها من الهند ، ولو انقلبت سلاحف ، وغاضت البحر إلى الجزر البريطانية لجذبتهما إلى القاع » .

وفى الآستانة استقبله الصدر الأعظم استقبال التجارة ، وأحله أعيان الدولة محل الكرامة . ثم عين عضوا فى مجلس المعارف ، فرأى فى التعليم رأيا ، وخطب فى الصناعة خطبة ، أحفظا عليه أعوان الجهل من رجال العلم ، وإخوان الضلال من شيوخ الدين ، وتولى قيادة الإرجاف شيخ الإسلام لحاجة فى نفسه ، فافترى على الرجل الأباطيل ،

وبس حواليه الثائم ، فلم يجد الأفغانى بدا من النزوح إلى القاهرة ، وهنا وجد الصدر

لأنه أمير ، حاد الطبع لأنه مرهف ، صريح القول لأنه رجل .

ولم يبتغ من وراء هذه الصفات - كما قال - إلا سكنية القلب . وكان يحمد الله على أن آتاه من الشجاعة ما يعينه على أن يقول ما يعتقد ويفعل ما يقول ^(١) . ومن تماذج هذه السمائل وتلك الوسائل فيه اتسعت حوله الأرض ، وامتد أمامه الأفق ، وانعرف همه البعيد عن الدار والزوجة والعشيرة إلى الوطن الإسلامى كله ، والشرق الإنسانى كله ، فجعل قصده ووكده أن يدعو إلى إنهاضهما بالوحدة الإسلامية لتدفع غائلة المستعمر ، وبالحكومة الدستورية لتقمع شررة المستبد .

وقد آمن بهذه الدعوة إيمانه بالله حتى رأى فى سبيلها السجن رياضة والنفى سياحة والقتل شهادة ^(٢) ، وكان الذين يقفون من سيرة الأفغانى على الهامش يظنون أنه قمر جهده فى تحقيق هذه الدعوة على الكتابة والخطابة ؛ والواقع الذى لا شك فيه أنه فكر ثم قدر ثم دبر ؛ ولكن الوحدة كانت من الشتات بحيث لا تلتئم ، والاستبداد كان من الثبات بحيث لا ينهزم .

تولى الوزارة وهو فى ريق شبابه لأمير الأفغان محمد أعظم ، فجمع نفسه على الاستقلال

(١) خاطرات جمال الدين ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣ .

وانتقلت الشعلة إلى باريس ، وسطعت في العروة الوثقى ، وظلت ألسنتها ثمانية عشر شهرا تومض في جنبات الشرق كما تومض المنارة في ظلمات المحيط ، حتى دلت على أوكار الطغيان ونمت بأسرار القرصنة ، فاستقدمه شاه العجم واستوزره ، فلما أشار عليه بالشورى أشاح بوجهه عنه ، واستزاره قيصر الروس واستخبره ، فلما نبأه بمحدث الشورى نفر منه واستدعاه خاقان الترك واستشاره ، فلما نصح له بالشورى وتقسيم الإمبراطورية إلى عشر خديويات يتولاها أمراء عثمانيون زوى عبد الحميد ما بين عينيه ؛ ولكنه ألطف الجواب للحكيم الشجاع ، وظل على إكرامه أربع سنين حاول فيها أن يكبله بقيود المنصب والزواج فلم يستطع ؛ ولكن الموت استطاع أن يكبل الثائر الحر ليلبغ الاستبداد أجله المقدور !

وهكذا كانت حياة جمال الدين كلها جهادا مضنيا في سبيل الله والعلم والحرية والشورى . كان أينما حل تنفس الصبح واستيقظ الهجود . وأينما رحل ارتجفت العروش واضطربت القيود !

طيب الله ذكرى هذا الإمام العظيم وأجزل له ثواب المصلحين المخلصين في جنات النعيم !

أحمد محمد الزيات

الأرحب في رياض باشا ، فتجلت عبقريته في التعليم والتنبيه والتوجيه ؛ وأوقد بالزيت المقدس شعلته الوهاجة في البيت وفي القهوة فعشا على ضوئها الهادى طلاب المعرفة وعشاق الحكمة من علماء وأدباء وساسة وقادة .

ثم اتخذ من المحفل الماسونى الذى أنشأه منارة لهذه الشعلة ، فقسم الإخوان العاملين فيه شعبا ، لكل وزارة من وزارات الدولة شعبة . فشعبة الحرية تنظر في ظلامة المصريين ، وتندرد (ناظر الجهادية) أن ينصفهم من الضباط الجراكسة ؛ وشعب الحقايق والمالية والأشغال تندرد وزراءها أن يساوا المصريين بغيرهم في العمل والمرتب . وراع أولى الأمر ما قرأوا في تقارير الشعب ، وما سمعوا من لغط الموظفين ، وما رأوا من قلق المثقفين ، فاستدعاه الخديو توفيق وفأوضه في ذلك ، فقال له فيما قال : « إن سبيل الإصلاح أن يشترك الشعب في حكم البلاد عن طريق الشورى » .

ثم ازداد جمال الدين إمعانا في حملته ، وانقلب الأدب كله أصداء لأحاديثه وأبواقا لدعوته ، حتى انتهى الأمر بعد جهاد ثمانى سنوات إلى أن ضاق الإنجليز بسعة نفوذه ، فزينوا للخديو أن يخرج من مصر فأخرجه .

* * *

”لا“ التي قبل انتهائزائدة، وليست كذلك
 درء مظاهير من المرأة في تفسير الكتاب العزيز
 لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج
 القسم الثاني

و ما وقعت فيه (لا) مع أن المصدرية بعد فعل منع ،

(١) من هذا القسم آية الأعراف قوله تعالى: « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » . هذه الآية تحمل سؤال إنكار وتبكيك ، موجه إلى إبليس الذي أمره الله بالسجود تحية وتكريما لآدم عليه السلام ، فأبى أن يسجد استكباراً وأنفة ، متعللاً في ذلك بأنه خير من آدم ، إذ خلقه الله من مادة أفضل من مادة خلق آدم ، فقد خلق هو من نار ؛ أما آدم فقد خلق من الطين .

هذا هو المضمون المقصود من الآية ؛ وهو شيء أجمع عليه العلماء : « القدماء والمحدثون ، من غير خلاف من أحد منهم في شيء منه . لكنهم اختلفوا في طريقة أخذ ذلك المعنى من الآية اختلافاً كبيراً ؛ فإن ظاهر الآية لا يعطى ذلك المعنى بالسهولة التي يمكن أن يستغنى معها الناظر الباحث ، أن يبذل في ذلك جهده أو يعمل فكره .

ومن هنا يقول الإمام « غفر الدين الرازي » : « ظاهر الآية يقتضي أنه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود ،

وليس الأمر كذلك ، فإن المقصود طلب ما منعه من السجود ، . وقد عبر الرازي عن هذا بأنه إشكال يختلف في طريقة حله العلماء (١) . ومن قبله الإمام « ابن جرير الطبري » يقول: إن « ما منعك » معناه أي شيء منعك؟ ود ألا تسجد إذ أمرتك ، معناه أن تدع السجود لآدم ، إذ أمرتك أن تسجد له . ثم يعقب بقوله :

« فإن قال قائل ، : أخبرنا عن إبليس : ألحقته الملامة على السجود ، أم على ترك السجود ؟ فإن تكن ألحقته الملامة على ترك السجود ، فكيف قيل له : « ما منعك ألا تسجد ؟ وإن كان النكير على السجود ، فذلك خلاف ما جاء به التنزيل في سائر القرآن ، وخلاف ما يعرفه المسلمون » ؛ ثم أجاب بقوله :

« قيل ، : « إن الملامة لم تلحق إبليس إلا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم ، إذ أمره بالسجود له . غير أن في تأويل قوله :

(١) التفسير الكبير ج ٤ ص ١٨٦ المطبعة الشرفية .

« ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » ، بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافاً (١) .

« أقوال العلماء في الآية » :

إن الناظر في أقوال العلماء في كلمة « لا » الواردة في آية الأعراف : « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » ، وما أوردوه في ذلك من مختلف الوجوه والاحتمالات ، يجد أن كثيراً من هؤلاء العلماء - ولا سيما النحويون منهم - قد اتفقت كلمتهم على أن « لا » في « ألا تسجد » زائدة .

ونحن نذكر هنا ما أوردوه من الآراء والأقوال ، وما وجهوا به كلامها ، ثم تتبع ذلك بما نرى أنه الوجه المختار .

« رأى النحاة في الآية » :

يسند « الفخر الرازي » ، إلى « الكسائي » ، و « الفراء » ، و « الزجاج » ، وكثير غيرهم ، أنهم يقولون : إن « لا » في هذه الآية زائدة ، وكذلك يحكى « ابن جرير » ، عن بعض نحاة البصرة ، وبعض نحاة الكوفة ، القول بزيادة هذه الكلمة .

فمن النحاة البصريين يقول : إن « لا » في الآية عندهم زائدة ، وأن « ما منعك ألا تسجد » معناه « ما منعك أن تسجد » ، وأن ذلك كما قال الشاعر :

« أبي جوده لا البخل واستعجلت به
نعم من فتي لا يمنع الجود قاتله
قال : وقد فسرته العرب بأن معناه :
« أبي جوده البخل » ، وأنهم جعلوا « لا »
زائدة حشوا وصلوا بها الكلام » (١) .

وهذا بظاهره يعنى أن « لا » في الآية جاءت كالتى في هذا البيت ، وأن نحاة البصرة الذين نقل عنهم « ابن جرير » ، ذلك ، يرون أن « لا » في الآية زائدة حشو ، لا تحقق فائدة أى فائدة ، وأنها ليست إلا شيئاً قد وصل به الكلام ، كما قالوا في البيت .

وهذا الظاهر قد جاء على شاكلته ما أثبتته « أبو على الطبرسى » في « مجمع البيان » في تفسير آية الأعراف إذ قال مائنه : « ما » في قوله : « ما منعك » مرفوع الموضع ، والمعنى أى شئ منعك ، و « لا » ملغى في قوله : « ألا تسجد » ، والمعنى : ما منعك أن تسجد ؛ ومثله قوله . سبحانه : « لئلا يعلم » ومعناه لأن يعلم . وقال الشاعر :

« أبي جوده لا البخل واستعجلت به

نعم من فتي لا يمنع الجود قاتله
قالوا معناه : « أبي جوده البخل » اهـ (٢) .

(١) تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٣٢٤ دار المعارف .

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسى في تفسير آية ١٢ من سورة الأعراف ج ٤ ص ٤٠١ .

(١) جامع البيان : تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ دار المعارف .

الكوفة ، أنهم يفترقون عن نحاة البصرة ، بأنهم يجعلون زيادة « لا » في قوله تعالى : « ألا تسجد » لفائدة الاستيثاق من النبي وتأكيده . وإليك نص عبارته قال :

« وقال بعض نحوي الكوفة نحو القول الذي ذكرته عن البصريين ، في معناه وتأويله غير أنه زعم أن العلة في دخول « لا » في قوله : « ألا تسجد » ، أن في أول الكلام جحداً - يعني بذلك قوله : « لم يكن من الساجدين » فإن العرب ربما أعادوا - في الكلام الذي فيه جحد - الجحد للاستيثاق والتوكيد له . . . ١٠٥ (١) (٢) -

فقد جبر هنا عن « لا » بأنها ملغاة ؛ وفيما نقله ابن جرير عن بعض نحاة البصرة ، عبر عنها في الآية بأنها زائدة ، وفي التنظير هناك بالبيت ، عبر عنها بأنها زائدة حشو ، وأنها لوصل الكلام .

فهل وصف الكلمة بأنها حشو وملغاة أو صلة ، يرادف وصفها بأنها زائدة ، ويكون المراد بهذه الأوصاف كلها التعبير عن مطلق الزيادة ؛ سواء أكانت لفائدة أم لم تكن كذلك ، ويكون ذلك اصطلاحاً لا يقصر الحشو والملغى - كما في اصطلاح آخر - على ما لا فائدة فيه أصلاً ؟ (١) .

إن كان الأمر كذلك فقد هان الخطب ، وسلت « لا » الواقعة في كثير من آيات الكتاب العزيز ، من أن تكون شيئاً لا يعطى فائدة أى فائدة ؟ لأنه ما دامت هذه الأوصاف لمطلق الزيادة ، فقد أمكن أن تكون « لا » التي تجي مزائدة في بعض آيات القرآن الكريم من قبيل الزائد لفائدة .

ولكن هذا التخريج لا يساعد عليه ما صرح به الطبري ، الذي حكى عن بعض نحاة

(١) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٢٤ دار المعارف .

(٢) هذا الذي نقله ابن جرير عن بعض الكوفيين - في قولهم بزيادة « لا » في مقام الإثبات في مثل آية الأعراف ، وطريقتهم في تحليل هذه الزيادة ، وقولهم : إن العرب قد يعيدون الجحد في الكلام الذي سبق في أوله جحد للاستيثاق والتأكيد - يشبه كثيراً ما جرت به اللغة الفرنسية في العصر الحديث من استعمال كلمة « ne » في مواطن خاصة ليس المعنى فيها على النفي ، وإنما هو على الإثبات مع أن الكلمة موضوعة في أصل اللغة لفائدة النفي .

(١) يقول ابن يعيش في شرح المنفصل ج ٨ ص ١٢٨ : إن الصلة والحشوم من عبارات الكوفيين ؛ والزيادة والإلغاء من عبارات البصريين .

« لا ، في الآية الكريمة فهم يخالفونهم
إذ يجعلون زيادة « لا ، لفائدة هي الاستيثاق
من تحقق النفي المستفاد من قوله تعالى :
« لم يكن من الساجدين ، وتأكيده . ومعنى
هذا أن ذلك شيء لا يقول به نخاع البصرة ،
فإذا كان الأمر كذلك كان رأى أولئك
البصريين فيه من البشاعة ما يجب أن يستغفر
منه ويبرأ إلى الله من قبحه كل من له عقيدة
صحيحة في القرآن الكريم وأن أسلوبه لا يمكن
أن يشتمل على شيء يقال فيه : إنه زائد خال
من الفائدة .

ثم إن الاستشهاد بالبيت على أن « لا ،
في الآية زائدة إنما يكون له وجه من الصحة
إذا كانت زيادتها في البيت أمراً مسلماً به
مفروغاً منه ، فأما والحال على غير ذلك

= ولكن الترجمة الحرفية للجملة هي : لا أحد
غير راض بحظه (في الحياة) ، وذلك
نقيض المقصود .

(٣) ويقول الفرنسيون عن موليير
Molière الممثل الفرنسي المشهور

“Nul ne peut être comparé à Molière
dans le genre Comique” ومعناه :
لا يوجد من يمكنه أن يضارع موليير
في الرواية الهزلية .

ولكن الترجمة الحرفية للجملة هي : لا يوجد
من لا يمكنه أن يضارع موليير في ذلك وهو
نقيض المقصود .

إن هذا الصنيع يفيد أن الكوفيين إذا
كانوا يوافقون البصريين في القول بزيادة
= ومجمل القول في ذلك أن هذه الكلمة
الموضوعة للنفي لا تستعمل غالباً لإفادة هذا النفي
إلا مصحوبة بكلمة من كلمات معينة مثل :
Pas, point, rien, jamais, وقبلها تستعمل
الآن منفردة غير مصحوبة بشيء من مثل
هذه الكلمات حيث يكون الحكم بالنفي .

لكن ذلك قد كان جارياً في اللغة في القرن
السابع عشر . فكانت كلمة “ne” تستعمل في
ذلك العصر وإن كانت منفردة لإفادة النفي .

ثم لم يكن معروفاً في ذلك العصر أن
تستعمل هذه الكلمة المنفردة في موطن يكون
الحكم فيه بالإثبات .

وقد جد ذلك في العصر الحديث وأصبحت
تستعمل في موطن يكون الحكم فيها ثبوتياً
ولكنها على كل حال موطن خاصة ومحدودة :

(١) فمن ذلك أن يقال : J'ai peur
que cela ne vous incommode :
أنا أخشى أن ذلك يضايقك .

لكن الترجمة الحرفية للجملة هي : أنا أخشى
أن ذلك لا يضايقك ! وهذا غير المراد
بالضرورة .

(٢) وكذلك يقال :
“Aucun n'est content de son sort”
ومعناه لا أحد راض بحظه (في الحياة) =

وجاء في اللسان (١) أن البيت يروى بنصب
البخل وجره ؛ فمن نصب فعلى ضربين :
أحدهما : أن يكون بدلا من «لا» لأن «لا»
موضوعها للبخل ، فكأنه قال : أبي جوده
البخل ؛ والآخر : أن تكون «لا» زائدة ،
والوجه الاول أغنى البدل أحسن ، لأنه قد
ذكر بعدها «نعم» و «نعم» لا تترادف
فكذلك ينبغي أن تكون «لا» هنا غير
زائدة . قال : والوجه الآخر على الزيادة صحيح .
ومن جره فقال : «لا البخل» فبإضافة «لا»
إليه ؛ لأن «لا» كما تكون للبخل فقد تكون
للجود أيضا ، ألا ترى أنه لو قال لك الإنسان :
لا تطعم ولا تأت المسكرم ولا تقر الضيف
فقلت أنت «لا» . لكأنك هذه اللفظة هنا
للجود ، فلما كانت «لا» قد تصلح للأمرين
جميعا أضيفت إلى البخل لما في ذلك من
التخصيص الفاصل بين الضدين ، اهـ

هذا - وما هو جدير بالذكر أن المقابلة
في البيت بين «لا» و «نعم» في قوله :
«واستعجلت به نعم» ترجع كثيرا أصالة
«لا» ؛ بل لعلها تجعل هذا الوجه هو المتعين .
على أننا لو سرننا على ذلك الاحتمال الذي
أراداه في البيت أنصار فكرة الزيادة وقلنا
معهم : إن «لا» في البيت زائدة وزيادتها
هي من غير شك من قبيل الحشو الذي
لا يعطى معنى ولا يفيد شيئا إلا وصل الكلام

(١) في مادتي : «نعم» و «لا» .

فهيئات أن يثبت أمر هو في محل الشك بأمر
آخر هو أيضا محل نظر واختلاف .

إن البيت قد رواه أبو عمرو بن العلاء
على غير ذلك الوجه : رواه بكسر لام البخل
فتكون الكلمة مجرورة بإضافة «لا» إليها ؛
فإن «لا» حينئذ تصير اسما ، فتكون مضافة
إلى البخل ومنسوبة إليه ، لأن البخل شأنه
أن يقول «لا» عندما يسأل شيئا من العطاء ،
فاشتهرت «لا» بأنها «لا» البخل ؛ لأنها
علامة البخل ؛ وهذا كما يقال لام الأمر ،
وواو العطف ، وفاء الفصيحة وهكذا .

فالشاعر يصف بمدوحه بالكرم وسعة
الجود ، وأنه لا يبخل بالعطاء حتى على من
يقصده يريد قتله ؛ وإذا فهو يأبى بالضرورة
في مقامات الساحة والسخاء أن يقول «لا»
هذه التي تستعمل في البخل ومنع العطاء .

ثم إنه على رواية فتح لام البخل لا يلزم
أن تكون «لا» زائدة وأن يكون البخل
هو المفعول المباشر لفعل الإباء ، فإنه يجوز
أن تكون «لا» هي المفعول المباشر لذلك
الفعل ، ويكون البخل بدلا منها . والمعنى :
أبي جوده النطق بكلمة «لا» التي هي البخل
من حيث إنها علامة له ؛ فكأنها علم عليه .
ويكون المآل : أبي جوده البخل . (١)

(١) يراجع تفسير الطبري ؛ وكذا مجمع

البيان للطبرسي ج ٤ ص ٤٠١

عليه (الزخشرى) وتبعه فيه جمع من العلماء ، ولا سيما النسفى الذى اقتصر مثله على القول بالزيادة وعلى طريقة توجيهها . قال جار الله : إن « لا » فى « ألا تسجد » صلة ، بدليل قوله : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » ومثلها « لئلا يعلم أهل الكتاب » بمعنى ليعلم . ثم قال : « فإن قلت : ما فائدة زيادتها ؟ قلت » توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه ، كأنه قيل « ليتحقق علم أهل الكتاب » وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك ؟ (١)

هكذا يقرر الزخشرى فى آية « الأعراف » أن « لا » زائدة فى قوله سبحانه : « ما منعك ألا تسجد » ويقول : إن الدليل على زيادتها هنا أنها لم ترد فى آية « ص » وهى قوله تعالى : قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » مع أن المعنى المقصود فى الآيتين واحد ، والغرض المسوق له الكلام فيهما متحد أيضا .

إذا هى فى رأيه زائدة فى آية « الأعراف » ، كما هى - فى رأيه أيضا - زائدة فى آية « الحديد » : « لئلا يعلم أهل الكتاب » ، فإن قوله تعالى : « لئلا يعلم » هو - عند الزخشرى - بمعنى « ليعلم » .

يقرر الإمام الزخشرى ذلك ثم يتساءل

(١) الكشاف ج ١ ص ٤٨٠ .

وضبط وزن البيت على البحر المخصوص فغاية ما نصل إليه من ذلك هو أن « لا » قد تزداد فى الشعر ، وأنه قد تكون زيادتها من الحشو الذى لا يفيد معنى ولا يؤكد إثباتا ولا نفيا ؛ لكن ذلك كله لا يمكن أن يكون له أثر فى موضوع « لا » التى معنا فى آية الأعراف ، فإنها ليست من ذلك فى قليل ولا كثير ، ولا تدل زيادتها فى البيت على أنها زائدة فى الآية بوجه من الوجوه .

« خلاصة »

يتلخص مما قدمناه - مما حكاه ابن جرير عن بعض نحاة البصرة وبعض نحاة الكوفة ، وما أورده (الطبرسى) فى تفسيره - أن هؤلاء العلماء متفقون على زيادة « لا » فى الآية آية الأعراف .

غير أن منهم من يقتصر على الحكم بالزيادة فلا يبدى لها تعليلا ولا يبين لها حكمة ؛ بل هو يجعلها كالزيادة فى ذلك البيت ؛ « أى جوده لا البخل » على ما يرى فيه ، ولا يبالى بأن الزيادة التى على هذه الشاكلة تكون حشوا لغوا لا معنى له ولا فائدة منه . ومنهم من يجعل هذه الزيادة فى الآية لعل الاستيثاق من حكم النفي وتأكيده .

« رأى الإمام الزخشرى »

والآن ننتقل إلى وجه آخر من وجوه التخريج والتعليل لتلك الزيادة ، وهو ما سار

عن فائدة زيادتها في آية «الأعراف» ، وكذلك في آية «الحديد» .

«ويجب» بأن هذه الفائدة هي تأكيد معنى الفعل الذي دخلت عليه كلمة النفي «لا» ، وتقويته وتحقيقه ، فكأنه قيل في آية

«الحديد» بسبب زيادة «لا» : ليتحقق علم أهل الكتاب ؛ وفي آية الأعراف كأنه قيل - بسبب تلك الزيادة أيضا - «ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك» ؟

يعنى أن آية الحديد وردت لبيان الحكمة من الوعد الجميل الذي وعد الله به في الآية السابقة المؤمنين الثابتين على الإيمان والتقوى - من أنه سبحانه يجازيهم أحسن الجزاء : يضاعف لهم الرحمة ويتفضل عليهم بالنور والهداية والمغفرة وأن هذه الحكمة هي إرادة أن يعلم أهل الكتاب أنهم

لا يقدرّون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، أى أنهم لا يملكون شيئا من أمر هذا الفضل ليخصوا به من يشاءون ويحرموا منه من يشاءون .

ثم إن غاية ما كانت تفيد الآية في بيان حكمة ذلك الوعد : أنها هي إرادة أن يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرّون على شيء من فضل

الله وأن الفضل بيد الله ؛ ولكنه يكون مجرد علم لا تأكيد فيه ولا تحقيق لو قيل في الآية : «ليعلم أهل الكتاب» ، على الإثبات من غير

زيادة «لا» ، لكن زيادة «لا» ، هذه قد حصلت تأكيدا لذلك العلم وتشبيها له وتقوية لمعناه ، وصارت الآية كأنه قيل فيها - بسبب تلك الزيادة - : «ليتحقق ويتأكد علم أهل الكتاب بأنهم لا يقدرّون على ذلك» .

وكذلك الحال في آية «الأعراف» : «ما منعك ألا تسجد» فأما «عند الزمخشري» - بمعنى : «ما منعك أن تسجد» ، غير أنها بدون زيادة «لا» ، إنما تفيد سؤال إبليس ، سؤال تبكيت وتوبيخ ، عن المانع الذي منعه من السجود لآدم ، من غير أن يكون في ذلك تقوية ولا تأكيد لفعل السجود ، فلما زيدت «لا» ، أفادت تقوية ذلك الفعل وتوكيده ، فكأنه قيل - بسبب هذه الزيادة - على ما يرى «الزمخشري» - «ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك» !! .

هذا كلام «الزمخشري» عمدة أهل التحقيق من العلماء ، ومرجع جهرة عظيمة ممن عنوا بتفسير كتاب الله المجيد . وهو كلام لا ندرى كيف استساغه عقله الكبير ، وكيف رضيته واطمأنت به معارفه الواسعة وعلومه الغزيرة وخبرته بمذاهب القول وأصول اللغة وفنون الفصاحة وأساليب البلاغة ؟ .

لا ندرى كيف أن الكلام المشتمل على فعل مثبت لا يفيد إلا ثبوت معنى هذا الفعل من غير تقوية ولا تأكيد ، فإذا زيدت عليه

« نظرة في أقوال العلماء في آية الأعراف »

قدمنا الكلام على القول بزيادة « لا » في آية الأعراف ، وعقبنا ببيان ما يلزم على هذا القول - على اختلاف وجهات النظر في تطبيقه عند القائلين به - بما لا يصح أن يكون مثله في القرآن الكريم .

وبينا أن السؤال في الآية هو - في الحقيقة - سؤال عن المانع من السجود ، وأن آية أخرى ورد فيها السؤال عن المانع من السجود أيضا ولكن لم ترد فيها كلمة « لا » وهي آية (ص) التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها: (قال يا إبليس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي) .

وقد قلنا - ونعيد القول هنا - إن هذا لا يحتم أن تكون « لا » في آية الأعراف ، زائدة .

لأنه لا يحتم هذه الزيادة ، ولا يكون بحال علامة عليها ، ولا يبيح القول بأن « مامنك ألا تسجد » معناه « ما منعك أن تسجد » .

لأنه لا يجوز أن يجازف هكذا - من غير بينة - بالقول بزيادة كلمات في الكتاب العزيز ، ولا سيما إذا كانت هذه الزيادة مما يوجب الاضطراب ، واختلاط الأمر بين السلب والإيجاب ، كالقول بزيادة « لا » في مقام الإثبات .

ومن هنا نجد « ابن جرير » - بعد معارض

« لا » - وهي التي ليس لها في أصل وضعها اللغوي معنى غير النفي والسلب والإزالة - فإنه يفيد بذلك معنى جديدا ، هو تقوية ذلك الفعل المثبت وتأكيده بثبوته ؟ .

من الذي يمكنه أن يقول ويقبل منه قوله إن لا يعلم ، مؤكد لمعنى يعلم ، أو أن لا تسجد مؤكد معنى « تسجد » ؟ .

إن الإثبات والنفي أمران متنافيان متعارضان ، بل إن النسبة بينهما هي كنسبة المتناقضين ، فكيف يؤكد الثبوت بالنفي مع ورودهما على مورد واحد ؟ .

كيف يقال - في الكلام الذي جاء على صورة انتفاء حكم - إن معناه هو ثبوت ذلك الحكم ، بل ثبوته بقوة وتأكد لم يكونا حاصلين له من قبل ؟ .

ثم كيف يمكن إقناع من يعادى القرآن ويخالفه ويدعو إلى مناهضته ومحاربته والوقوف في سبيل دعوته - كيف يمكن إقناعه بصحة قضايا القرآن وسلامة أحكامه إذا قلنا له - على طريقة « الزمخشري » - ومن تابعه - إن هذه القضايا قديكون فيها ما تكون صورته صورة الحكم بالنفي ، لكن معناه - في باطن الأمر - على الإثبات ؟ .

ألا إن هذا الذي ذهب إليه الإمام « الزمخشري » لا يسلم له دليل ، ولا ينهض له شاهد من لغة أو عرف ؛ بل إن الشواهد كلها واللغة والعرف على خلافه .

المنع وأراد الداعي ؛ فكأنه قال : (مادعاك إلى أن لا تسجد) ؛ لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها ويسأل عن الداعي إليها ^(١) .

وهذا ظاهر في الحكم بأن في الكلام مجازاً مرسلًا بعلاقة الزوم .

وسنعرّف بما سيأتى في بيان الوجه المختار أن الآية من التضمنين وليست من قبيل المجاز . والعلامة أبو السعود - بعد ما أورد القول بالزيادة على نحو ما عند الزمخشري - قال : (وقيل الممنوع عن الشيء مصروف إلى خلافه ؛ فالمعنى : ما صرفك إلى أن لا تسجد) ^(٢) ؟

وهذا القول يميل أيضاً كسابقه إلى أن في الآية مجازاً مرسلًا علاقته الزوم .

أما أبو حيان فإنه - بعد ما قدم القول بالزيادة كما فعل غيره - قال ما نصه : (وقال قوم : (لا) في (ألا تسجد) ليست زائدة ، واختلفوا فقيل يقدر محذوف يصح معه المعنى وهو (ما منعك فأحوجك ألا تسجد) - وهذا هو ما سار عليه الطبري ، وقيل يحمل قوله : (ما منعك) معنى يصح معه النفي ، فقيل معنى

آراء بعض نحاة البصرة والكوفة ، وهي الآراء التي تدور على اعتبار (لا) في آية الأعراف زائدة ، وبعد ما بين وجهي نظر الفريقين - نجده يصرح برجحان القول بأصالة الكلمة ويقول : إن هذا القول هو الصواب لأنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له ؛ فالقول بأن (لا) في الآية وقعت حشواً لا معنى لها قول فاسد .

وقد ذكر في توجيه أصالة الكلمة أنه يلزم تقدير فعل يصح معه المعنى ويدل عليه المقام وسابق الكلام ، وقال : إنه بذلك يصير حاصل معنى قوله تعالى : (ما منعك ألا تسجد) ، (ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد) ^(١) .

وكذلك نجد (الفخر الرازي) - بعد ما أورد القول بالزيادة ، وقال : إنه القول المشهور ، وهو قول الكسائي والفراء والزمجج والأكثرين - نجده يعقب بقول آخر يرى : أن كلمة (لا) في الآية مفيدة ، وليست لغوا . ثم يقول : وهذا هو الصحيح ؛ لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب .

وقد عرض الفخر طريقة لتوجيه ذلك القول الصحيح ، قال فيها : (إن الله ذكر

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٤ ص ١٨٦ المطبعة الشرفية .

(٢) تفسير أبي السعود المطبوع على هامش التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٤ ص ٣٥٩ .

(١) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ دار المعارف .

والسؤال فيها واضح أيضا أنه ليس عن مجرد المانع من السجود ، وإنما هو عن السبب الباعث على ترك السجود ، فهو في معنى أى شيء حصل لك حتى حملك على ترك السجود مع الساجدين ؛ ولا شك أن السبب الباعث والدافع على ترك الفعل أقوى في التأثير من مجرد المانع من الفعل ، فهما أمران متغايران وإن كانا متقاربين .

(الآية الثالثة) آية الأعراف التي معنا : قوله تعالى : « قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » .

فإن فيها سؤالاً صريحاً عن المانع ، لكن الفعل (منع) لم يعد إلى المفعول الذي عدى إليه في آية (ص) وهو السجود ، بل عدى إلى عدم السجود .

فهل مجرد هذا يكفي للحكم بزيادة (لا) في آية الأعراف إذ قد جاءت بدونها تلك الآية الأخرى ؟ لا . لا . لأنه لا ينبغي أن يرسل القول هكذا سريعاً وجريئاً ، وأن يحكم بزيادة الكلمة بغير موجب ولا ضرورة ، ولا سيما تلك الزيادة الغريبة التي توجب اختلاط الأحكام ، والتي تبرز الحكم الثبوتى في صورة الحكم بالنفى .

إن القول الذى يلزم عليه أن صورة النفى تأتى لإثبات المعنى المنفى أو لتأكيد ثبوته هو قول لا ينبغي أن يصار إليه ؛ وليس

(ما منعك) . من أمرك ومن قال لك (ألا تسجد) ؟ (١)

وظاهر هذا رأى الثانى أن المراد به المجاز المرسل بعلاقة الزوم ، ويحتمل - ولكن على بعد - أن المراد به معنى التضمين .

و الوجه المختار في آية الأعراف ، :

إن آية (الأعراف) أتت معنا ، قد اشتملت على سؤال إبليس سؤال تبكيت وتوبيخ عن سبب تمرده وعصيانه أمرربه وإبائه السجود لآدم عليه السلام بسجود التحية والتكريم . وقد وردت في هذا المقام ثلاث آيات من القرآن الكريم جاءت بأساليب مختلفة :

(الأولى) قوله تعالى : (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (آية ٧٥ من سورة ص) فإن السؤال فيها واضح أنه عن المانع الذى منع إبليس من السجود . وقد اتبع بسؤال آخر فصل فيه - على سبيل التبكيت والتوبيخ - ما عسى أن يكون ذلك المانع ، وهو قوله تعالى : (أستكبرت أم كنت من العالين) ، أى هل الذى منعك من السجود هو الكبر والتعالى الكاذب أو هو أنك من العالين حقيقة ؟

(الآية الثانية) قوله تعالى : « قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين » (آية ٣٢ من سورة الحجر) .

(١) تفسير البحر المحيط لأبى حيان - ٤

ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

غير أن التضمين يقتضى طى المفعول الذى كان للفعل الأول ، العلم به ودلالة المقام عليه ؟ كما يقتضى التصريح بالمفعول الذى يتطلبه الفعل الآخر بعد أن يطوى هذا الفعل ويحمل الأول الفعل معناه ، ويكون تقدير الكلام حينئذ : « مامنك من السجود وما حملك على ألا تسجد » ؟

فالفعل (منع) الذى أشرب معنى حمل أو بحث لم ينسلخ عن معناه الأصيل ، بل صار - بإشرابه معنى الفعل الثانى - يدل على المعنيين جميعا .

ومن أجل ذلك يبقى متعدياً إلى مفعوله الأصيل المطوى ، ثم يتعدى إلى مفعول الفعل الآخر الذى هو فى باطن ذلك الفعل الأول بسبب التضمين (١) .

(١) التضمين يكون فى الأفعال والأسماء . وقد اختلف فيه : هل هو قياسى أو سماعى ؛ والظاهر أن اختلاف النظر فيه راجع إلى أنه كثير فى اللغة كثرة خولت لفريق من العلماء أن يقولوا بقياسيته ، لا بل أكثر العلماء على أنه قياسى كما فى الارتشاف لأبى حيان وغيره . وقد اختلف العلماء أيضا فى المعنى الذى يدل عليه اللفظ بالتضمين ؛ فقال بعضهم : إن المعنى المراد من اللفظ المضمن معنى لفظ آخر هو معنى ذلك اللفظ الآخر ، قد دل عليه بطريق المجاز المرسل ؛ فاللفظ المضمن لا يفيد =

هناك ضرورة تحتم القول بزيادة (لا) فى آية الأعراف حتى تأتى هكذا فى تلك الصورة التى تأبأها بلاغة القرآن .

بل إن ههنا مجالا رحبا ، ووجها سديدا سهلا ، يصرف عن القول بتلك الزيادة ، ويعنى من محاولة اقتحام مأزقها الضيقة الصعبة .

إن الآيتين الأخيرين من سورة (الحجر) وسورة (ص) تشيران إلى ذلك المجال الرحب وتوجهان لذلك الوجه السديد السهل ، وترشدان إلى سر ذلك التعبير الخاص الذى جاءت عليه آية الأعراف . إنه التضمين الذى هو من أقوى ما امتازت به بلاغة القرآن وأجله وأبرعه .

ذلك التضمين قد جمعت به آية الأعراف ما اشتملت عليه الآيتان الأخريان من المعنى :

جمعت به السؤال عن المانع من السجود ، والسؤال عن الباعث على ترك السجود ، بطريقة يدرکہا من يعنى بمراعاة الدقة والتعمق فى تفهم الآيات القرآنية ولا سيما فى مثل هذا المقام .

هذا التضمين إما أن يكون تضمينا نحويا لفعل (منع) يصير به مشربا معنى فعل آخر يفيد (الحمل والبحث) بحيث لا يفقد الفعل الأول معناه ولا عمله ، وبذلك يتعدى إلى مفعوله الخاص الذى كان له قبل التضمين ، ويتعدى أيضا إلى مفعول آخر يناسب معنى الفعل الثانى بسبب التضمين .

المفعول المصرح به مفعولا لاسم الفاعل (١) وتقدير الكلام على ذلك : « ما الذى منعك من السجود حاملا لك على ترك هذا السجود؟ وما قدمناه - من أن الفعل « منع » فيه تضمين وأنه لم ينسلخ بهذا التضمين من معناه الذى كان له قبل ذلك - يعلم أن ما نقله الشيخ « الألوسى » عن « السكاكى » من أن فعل المنع فى الآية مجاز عن الحمل ؛ وكذلك ما نقله عن

= على حقيقته دالا على معناه الأصلى ثم يفيد معنى اللفظ الآخر بطريق الاستنباع ، أى الدلالة الجانبية ، يفهم فيها المعنى من عرض الكلام وجانبه ، ولا يكون اللفظ حقيقة فى ذلك المعنى الجانبي ولا مجازا ولا كناية . ويرى السيد أن ذلك جائز وأنه يمكن أن يمثل له بقولك لشخص : آذيتنى فستعرف إذ هو يدل على التهديد ؛ وقولك : إن زيدا قائم فى دلالة على إنكار المخاطب .

ونحن نقول : إن منه قول الله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن » فى دلالة على أن النسب يكون الآباء للأمهات . وقوله سبحانه : « إذا جاء نصر الله والفتح » الآية فى دلالة على قرب أجل الرسول صلى الله عليه وسلم . (١) إذا كان العلماء مختلفين فى التضمين النحوى من حيث قياسيته فهم متفقون فى التضمين البياني أنه قياسى ، لأنه من قبيل حذف العامل بدليل ، وذلك شئ لاشبهة فيه .

ولما أن يكون تضمينا بيانيا يصاغ فيه من الفعل الثانى اسم فاعل يكون حالا من فاعل الفعل الأول ، مع طى مفعول هذا الفعل الأول كما فى التضمين النحوى ، ثم يكون

= حينئذ غير هذا المعنى . ولكن المرجح الذى عليه الجمهور الغالب من العلماء أن اللفظ بالتضمين يفيد معنيين اثنين : المعنى الحقيقى للفظ المضمن ومعنى اللفظ الآخر . غير أنهم اختلفوا مع ذلك : هل يكون اللفظ باقيا على حقيقته مفيدا معناه الأصلى أو يتحول إلى نوع من المجاز أو الكناية ؟ فقال بعضهم إن دلالة على المعنيين حينئذ تكون بطريق المجاز بعلاقة الجزئية والسككية ؛ فإنه كان دالا على معناه الأصلى وحده ، فإذا أريد به مع هذا المعنى معنى آخر كان ذلك من طريق المجاز . وقال آخرون : إنه يدل على كل من المعنيين بطريق الجمع بين الحقيقة والمجاز ، ومن قال بهذا العز بن عبد السلام . والذين يمتنعون الجمع بين الحقيقة والمجاز يقولون : إن اللفظ يدل على المعنيين جميعا ولكن من طريق عموم المجاز ، وذلك بأن يراد به - بطريق التجوز - معنى واحد عام ينطبق على كل من المعنيين . وقال بعضهم : إن دلالة على المعنى الثانى بطريق الكناية ، فتكون دلالة على المعنى الأصلى للانتقال منه إلى المعنى الثانى . وقال السيد الجرجاني : إن اللفظ باق =

ترك السجود في العبارة الثانية لا بد أن يكون له داع وسبب ، فهو المسئول عنه فيها . وإذا كان هذا كله قد أصبحت تؤديه - بعد التضمنين - جملة واحدة فقد صار لازماً أن يكتفى في ذلك بأداة استفهام واحدة . والله أعلم (آية طه) .

ومن القسم الثاني هذه الآية من سورة (طه) . وهي قوله تعالى : (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) .
« أقوال العلماء في الآية » :

في هذه الآية يسأل سيدنا موسى أخاه هارون عليهما السلام سؤال تأنيب وتعنيف إذ أنه لم يتبعه حين رأى القوم قد ضلوا وانحرفوا بعبادة العجل عن سبيل الإيمان عاب عليه أنه - حين رأى ذلك منهم - لم يتبعه ولم يلحق به بمن بقى على الإيمان من القوم . لكن الآية - في ظاهرها - تعطى أنه يلومه ويعنفه ويسأله عن المانع الذي منعه من عدم اتباعه ؛ وهذا بالضرورة غير مراد ، بل هو تقيض المراد .

وطريق فهم الآية على الوجه المطلوب هو عين الطريق الذي فهمت به آية الأعراف : (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) ؛ فإن أسلوب الآيتين واحد ، لا يختلف في شيء من حيث إنه قد جمع فيه بين فعل المنع وأداة النفي على ذلك الوجه الخاص .

ولذلك اختلف العلماء في هذه الآية من

بعض العلماء غير « السكاكي » من أنه مجاز عن الإلجاء والاضطرار ليس بوجيه ؛ فإن المجاز - كما هو معلوم - لا يصح فيه إرادة المعنى الحقيقي للفظ ، بل لا بد أن تكون هناك قرينة تمنع من إرادة هذا المعنى .

وإذاً يكون الصواب هو ما أفادته عبارة « الألوسي » ، التي أتى بها عقب ما تقدم ؛ وهي قوله : « وجوز أن يسكون ذلك من باب التضمنين ؛ وذلك على رغم أنه أرسلها سريعة عابرة وجد مختصرة (١) .

هذا - ويمكن أن يقال : إن التضمنين الذي معناها في آية الأعراف قد اشتمل على ما يسمى الاحتباك أو ما هو شبيه بالاحتباك ، وهو أن يكون في الكلام عبارتان يحذف من كل منهما ما ترشد إليه الأخرى .

والعبارتان اللتان تضمنتهما آية الأعراف هما : « ما منعك أن تسجد » (وما اضطررك أو ما دعاك ألا تسجد) ؛ لحذف من العبارة الأولى المفعول ، وهو (أن تسجد) ، لأن العبارة الثانية - وهي للتوبيخ على ترك السجود - تدل على ذلك المحذوف الذي سئل في العبارة الأولى عن المانع منه .

وحذف من العبارة الثانية الفعل (دعاك أو اضطررك) ، لأن السؤال عن المانع من السجود في العبارة الأولى يدل على أن

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ج ٨ ص ٨٨ المطبعة المنيرية .

و (الثاني) : أن يكون المراد ما دعاك إلى أن لا تتبع فأقام (منعك) مقام دعاك .
التفسير الكبير (ج ٦ ص ٦٨) .

وقال (الألوسي) : (ألا تتبع) أى تتبع ، على أن (لا) سيف خطيب ، كما في قوله تعالى : « ما منعك ألا تسجد » . ثم قال : وقال على بن عيسى : إن (لا) ليست مزيدة ، والمعنى ما حملك على عدم الاتباع ، فإن المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله . (روح المعاني ج ١٦ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ المنيرية) .
وقال أبو السعود : (ألا تتبع) أى أن تتبع ، على أن (لا) مزيدة . ، وقيل المعنى : ما حملك على ألا تتبع ؛ فإن المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله . (ج ٧ ص ٥١ الشرفية) .
وقال أبو حيان : (لا) زائدة كهي في قوله : « ما منعك ألا تسجد » . وقال على بن عيسى : دخلت (لا) هنا لأن المعنى : (ما دعاك إلى أن لا تتبع) وما حملك على أن لا تتبع . (البحر المحيط ج ٦ ص ٢٧٣) .
وظاهر من هذه الأقوال أن من يرى أن (لا) في الآية يمكن أن تكون أصلية فإنه يجعل فعل المنع من باب المجاز المرسل بعلاقة اللزوم : ففعل (منعك) هو بمعنى دعاك أو حملك ؛ فهو مستعمل في اللزوم ، ولكن على غير طريقة الكناية ، فإنه لا بد في المجاز من قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي للفظ ، والكناية ليست كذلك كما هو معلوم .

سورة طه ، كما ، اختلفوا في آية الأعراف . فمنهم من يرى أن (لا) زائدة ، ويقتصر على هذا الوجه (كالزمخشري) .

ومنهم من يجيز أيضا أن تكون أصلية ؛ على أن يقدر في الكلام فعل يستقيم به المعنى مع أداة النفي ، أو يحمل الفعل : (منع) على معنى آخر بطريق المجاز ليستقيم الأمر مع ذلك النفي . قال (الزمخشري) : (لا) مزيدة ، والمعنى ما منعك أن تتبع في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي ؟ وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ؛ وما لك لم تبأثر الأمر كما كنت أبأشره أنا لو كنت شاهدا ؛ أو مالك لم تلحقني ؟ الكشاف (ج ٢ ص ٣٣) .

وقال (النسفي) : « قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ، بعبادة العجل (ألا تتبع) لمى ما دعاك إلى أن لا تتبع ؛ لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي إلى تركه . وقيل : (لا) مزيدة ، والمعنى أى شيء منعك أن تتبع حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني . أو ما منعك أن تتبع في الغضب لله ؟ وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ، وما لك لم تبأثر الأمر كما كنت أبأشره أنا لو كنت شاهدا ؟ (ج ٣ ص ٤٩) .

وقال (الفخر الرازي) : أما قوله : « ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبع » ، ففيه وجهان : (الأول) : أن (لا) صلة ، والمراد ما منعك أن تتبع .

هو عن المانع من عدم السجود في الآية الأولى ،
وعن المانع من عدم الاتباع في الآية الثانية ،
على حين أنه من المحال ان يكون الأمر كذلك .
وإذاً يكون الحل أن الآية هنا فيها تضمين
كالذي هناك ، وان فعل (منع) قد طوى
مفعوله ، لكنه يكون مقدرأ ومقصودأ غير
محذوف متروك كما أن فعلاً آخر قد طوى بعد
أن حمل فعل (منع) بمعناه وعُدَى إلى
مفعوله . وعلى هذا يكون تقدير الكلام :
(ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أَلَّا تتبعن)
وما حملك على (ألا تفعل) أى على ألا تتبعن ؟
فطوى من العبارة الأولى مفعول (منعك)
وهو (أن تتبعن) للعلم به : إذ أن العبارة
الثانية تدل عليه ؛ فإن السؤال الذى فيها عن
الحامل على عدم الاتباع يعلم منه أنه حين
يسأل عن المانع يكون المراد المانع من
الاتباع نفسه .

كما أنه قد طوى من العبارة الثانية فعل الحمل
بعد أن حمل بمعناه فعل المنع ؛ فإن العبارة
الأولى تدل عليه ؛ فإنه ما دام أن السؤال
في هذه العبارة هو عن المانع من الفعل الذى
هو الاتباع فقد لزم في العبارة الثانية التى صرح
فيها بعدم الاتباع أن يكون السؤال فيها عن
الحامل على ذلك ، وبهذا يكون في الكلام
تضمين ، ويكون فيه أيضاً ما يشبه الاحتباك ؟

(يتبع) **مبرر الرحمن ناج**

غير أن ههنا ملاحظتين :
(الأولى) أن (النسفي) في آية (الأعراف)
قد تابع (الزمخشري) في القول بزيادة (لا)
مع الاقتصار على ذلك الوجه ؛ لكنه هنا
في آية (طه) يميز أيضاً كونها أصلية ، بل
لعل صنيعة في عرض الاحتمالين يفيد أنه
يرجح القول بالأصالة ، وهذا قد يبدو غريباً
من حيث إن الآيتين - كما قلنا - لا تختلفان
في شيء ما من الناحية التى هى محل الكلام .
(الملاحظة الثانية) أن الألوسى الذى قال
هناك في آية الأعراف : إنه يجوز أن تكون
العبارة من باب التضمن قد سكنت هنا عن أن
يعرض بشيء لهذا التضمن ، كأن معنى التضمن
لا يروقه كثيراً في هذه الآية أو في الآيتين
جميعاً على تفاوت في الدرجة والله أعلم .

(الوجه المختار في آية طه) :
إن ما يقال هنا - على أنه الوجه المختار لحل
الإشكال الظاهرى في الآية - هو عين ما قيل
في آية الأعراف ؛ فإن الأسلوب في الوطنين
واحد ، لا يختلف بوجه من الوجوه :
(ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) ؛
(ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أَلَّا تتبعن) .

هاتان هما الآيتان اللتان يدور عليهما الكلام ،
فهل يستطيع أن يدعى مدع أن بينهما فرقا أى
فرق من حيث الجمع بين فعل المنع وأداة النفي ،
ذلك الجمع الذى يقتضى - في ظاهره - أن السؤال

مثلٌ علياً من نبيِّه عمر بن الخطاب دُرِّسَ دُرِّسَ محمد المَدْفِي

وما ذاك إلا لأن عمر أيقظ رأيه ، وأنام
هواه ، وحشد مواهبه كلها في خدمة الدين
والأمة ، احتساباً لله وإخلاصاً وصدق نية ،
فلم يعد بينه وبين الحق والصالح حجاب
يحجب عنه رؤيتهما ، ويسر الله له أن يعيش
حياته بين الرسول وأصحابه حراً كريماً طليق
النفس من عقد تعقده ، أو عقد يعقده ، ثم
يسر له أن يعيش في منصب الإمامة الكبرى
عشر سنين بعد صاحبه أبي بكر رضي الله
عنه ، وقد سكنت ثائرة الفتنة التي نشبت بعد
وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وقضى
عليها أبو بكر القضاء الأخير ، بمواقف
حزمه التي حفظها له التاريخ ، ولا سيما في حروب
الردة : لقد تولى عمر مركز القيادة الأعظم ،
والأمور الداخلية مستقرة ، والعرب كلهم
مجتمعوا الكلمة ، فتفرغ للإصلاح والفتح
والتولية على الأمصار وتدوين الدواوين ،
وتوطيد نظام الدولة في كل شأن من الشؤون ،
دينياً كان أم دنيوياً ، حتى أصبحت الدولة
الإسلامية دولة قائدة يخشى بأسها في العالم ،
ودولة رائدة ما يزال التاريخ يحتفظ لها
في المثالية الحكمية بمرتبة الصدارة .
ومن الخير لأمتنا العربية ، وقد تحدثنا
في الفصول السابقة عن وجوه التوافق بين

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي
الله عنه آية في حب العدل ، والمساواة بين
الرعية ، وتحري كل ما يقوم عليه صلاح
الأمة ، واستقامة أمرها ، واعتدال ولائها
وعمالها .

وما يشاء ولي للأمر في عصر من العصور ،
ولا عامل من العمال ، ولا قاض من القضاة ،
ولا قائد من القواد ، أن يستهدى في عمله بهدى
صالح ، ويستن فيه بسنة واضحة ؛ إلا وجد
ذلك في هدى عمر ، وسنة عمر ، اللذين هما
من هدى رسول الله ، وسنة رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم .

ولذلك تمر الأحقاب والدهور ، وتتوالى
النظم والدول في مختلف العصور ، ولا يزال
العدل العمرى هو المقياس السليم للعدل
الإسلامي ، ولما يجب أن يكون عليه العدل
البشرى .

ولقد كان القرآن الكريم ينزل أحياناً
بتصويب رأى عمر فيما كان يعرض من مشكلات
تحتاج إلى حلول ، وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « إن الله جعل الحق على
لسان عمر وقلبه » ، ويقول : « لقد كان فيمن
كان قبلكم محدثون - أى ملهمون بالصواب -
فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر بن الخطاب » .

في الأعمال ، بحيث تبدو منهم هذه الصلاحية واضحة تراها كل عين ، ويتحدث بها كل لسان ، وإن لم يكونوا رؤساء أو متصدرين ، فهم يخلصون للمصلحة حدبا عليها ، وجبا لها ، وحرصا على أن تسود وترتفع رايها ، ولا يهتم أن تكون سيادتها ورفعها على أيديهم أو على أيدي غيرهم ، فيتجرد لإخلاصهم لها ، طبعاً لا تطبعاً ، وصنعاً لا تصنعاً ، فهم في الحقيقة ولايتها أو أولياؤها وإن لم يتولوها بقرار يصدر ، أو رسم يرسم ، فإذا عهد إليهم بأمر ، وكانت لهم فيه رياسة وصدارة ، لم تنسهم رياستهم وصدارتهم أنهم خدام المصلحة ، الذين يقومون بها ولها ، فتراهم يفتنون في سبيلها ، ويلقون بأنفسهم في تيارها ، لا يعرفهم الناظر إليهم ، المراقب لعملهم ، إلا بأنهم (عاملون) ولا يكاد يلتفت إلى مالهم من رياسة أو صدارة ، ذلك بأنهم اندمجوا فيما حولهم ، وفيهم معهم ، فلم يعد أحد يعرف : من الرئيس منهم ومن المرءوسين ؟ ومن القائد فيهم ومن المقودون ؟ وهذا الصنف من الرجال معروف في كل بيئة وفي كل ديوان من دواوين الوزارات والمصالح والمؤسسات ، وليس البحث عنه والوصول إليه بعسيرين على من شاء ، وأمثالهم هم الذين تصلح بهم وعلى أيديهم شئون الأمة ، وتستقيم أحوالها .

أهدافنا وأساليبنا الحكيمة ، وأهداف الإسلام وإصلاحاته ، أن نعرض لبعض الصور التطبيقية لعدل الإسلام كما نراه في سيرة عمر ، ليرى فيها كل منا ما ينبغي أن يتعشفه من مثل عملية ، وأن يأخذ به نفسه حيث كان ، وحيث أقامه الله في عمل من الأعمال ، فإن من أقرب وسائل الإصلاح والاستقامة ، أن تكون المثل العليا رائدة ، وصور الكمال حاضرة شاهدة .

فمن ذلك ما روى في كتاب (الإصابة في أخبار الصحابة) من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً لأصحابه ومستشاريه : دلوني على رجل استعمله على أمر قد أمني - أي أجعله عاملاً على أمر هام من أمور الأمة - قالوا : فلان ، قال : لا حاجة لنا فيه . قالوا : فمن تريد ؟ قال : أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس رئيسهم كان كأنه رئيسهم ، وإذا كان رئيسهم كان كأنه رجل منهم . قالوا : ما نعرف هذه الصفة إلا في (الربيع ابن زياد الحارثي) ، قال صدقتم : فولاه . (٥٠٤ ج ١ من الإصابة) .

إن هذه الكلمات الموجزة تفصح أيما إفصاح عن صفة (العامل) للدولة ، أو (الموظف الكبير) في شأن من شئونها ، فإن هناك رجالاً خلقهم الله تعالى مهيين بصفات خلقية عملية تجعلهم صالحين للصدارة

الذى كان يكتبه بتوليته - فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية؟ (ابن الجوزي ص ١٠٤) .

وهذا المعنى الذى لا حظه أمير المؤمنين عمر ، هو مقتبس من أدب النبوة ، فقد حدث مثل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فإن (الأقرع بن حابس) رآه يقبل ابن بنته الحسن رضى الله عنه ، فقال : إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : من لا يرحم لا يرحم . فإذا كان (الأقرع بن حابس) وهو عظيم من سادة العرب . يتفاخر بأنه رجل مهيب يترفع عن العطف على أولاده ، فإن رسول الله صلى الله عليه يزره عن هذا المبدأ ويشير إليه أن هذه قسوة لا يحبها الله ولا يرحم صاحبها ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء . وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلاعب الأطفال ويلطفهم ولا يترفع عن مخالطهم ، وأنه حمل طفلا وهو يصلى . وأنهض طفلا من عشرة عثرها وهو يخطب ، وأنه غسل بيده وجه أسامة وهو صبي ؛ وأنه قال د من كان له صبي فليتصاب له ، أى فليكن معه كما يكون الصبي مع الصبي ، ملاطفة له ولإناسا .

هذا هو المبدأ السليم الموافق للفترة والحكمة فى معاملة الأطفال ، لا مبدأ (الأقرع بن حابس) وأمثاله .

فعمر رضى الله عنه تأمل وفكر ، ورسم وحدد ، ثم سأل واستشار ، فأنتهى إلى المعرفة والهداية إلى ما يريد ، فنقد .

وإذا رجعنا إلى (الربيع بن زياد) الذى رضى به عمر وولاه ، لم نجد له إنسانا متظاهرا بالصالح والتقى ، أو متزلفا يدعى ما ليس فيه ، أو متوسلا بذى جاء ونفوذ يقسده ويثنى عليه ، ولكنه كان رجلا صارما فى الحق ، حريصا على المصلحة ، مستقيا لا يعرف له انحراف ، ولا ركون إلى هوى نفس ، لذلك ولى هذا الأمر فصلاح له ، وصلاح به .

ومن ذلك ما رواه (ابن الجوزي) وغيره د من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يجلس فى بيته ، وعنده رجل يريد أن يوليه أمرا من أمور الرعية ، فجعل يملئ الكاتب نص العهد أى القرار - بتوليته ، فجاء صبي من آل عمر جلس فى حجره ، فجعل يلاطفه والرجل يتعجب من ذلك ، كما أنه يرى أن أمير المؤمنين لا ينبغي أن يكون على هذه الرقة والاشتغال بأمر صبي فى مجلس كهذا فقال : يا أمير المؤمنين إن لى عشرة من الولد مثله ما دنا أحد منهم منى ! قال عمر : فما ذنبى إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك : وإنما يرحم الله عن عباده الرحماء ثم قال لسكاتبه : مزق الكتاب - أى القرار

الخوف هو الذي يدعو إلى أن يفتي في أمور الرعية، ويتجرى الحق والعدل، وكان يقول: (والله لو عثرت دابة في طريق البصرة لرأيت أن الله سألني عنها: لم لم أهد لها الطريق؟) ! وسمع بكاء طفل رضيع ذات ليلة وهو يعس في الظلام، فسأل عن سبب هذا البكاء فأعلموه أن أمه قد فطمته قبل أوان فطامته لكي يفرض له أمير المؤمنين نصيبه، فإنه كان لا يفرض للرضعاء إلا بعد الفطام، فجزع عمر جزعا شديدا، وعلم أن الله سألته عن ذلك، فلبث أن أمر متناديا ينادى في الناس: أن أمير المؤمنين يفرض للرضعاء عطاء، ولا ينتظر بهم حتى الفطام، فلتشبع الأمهات بعد اليوم أطفالها !

إلى هذا الحد كان عمر رقيق القلب، شديد الخوف من الله في شئون الرعية .

وقد روى الحسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصلى، فقرأ قوله تعالى: «إن عذاب ربك لواقع، ما له من دافع، فربا لها ربوة عادة الناس منها عشرين يوما ! أى أصيب بربوة في صدره من شدة الخوف حتى مرض بسببها، وجعل الناس يعودونه - أى يزورونه في مرضه - عشرين يوما .

وعن عبيد بن عمر قال: صلى بنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف فقرأها، حتى إذا بلغ

ولذلك عرف عمر هذا الدرس النبوى ووعاه وطبقه على نفسه، فعطف على ولده ولاطفه، وزجر الرجل الذى سأل في ذلك وقال له مثل ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم الآخر .

والعبرة التى نريد أن نلتمس إليها من ذلك هى أن عمر رضى الله عنه كان صاحب ذوق إدارى، وبصيرة حكيمية، إلى هذا الحد، حتى إنه لما فهم عن الرجل قسوته وشدة على أولاده، أدرك أن مثل هذا لا يمكن أن يرحم الرعية، بل سيكون معها على مثل هذه القسوة، وأن قسوته عليها لأشد لأنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية ؟

وقد يكون عمر معروفا بالشدة والقوة، ولكن شدته وقوته كانت في سبيل الحق والمصلحة، وكان إلى جانب ذلك فيه رحمة بالضعيف وكان يقول: (اللهم إني شديد فليني لأهل طاعتك)، فللشدة مقام، وللرحمة مقام ولذلك كان عمر يحوس خلال الديار ليلا ليعرف أخبار الرعية ويرحم ضعفاء الناس، وحوادث ذلك في تاريخه كثيرة معروفة، مع أنه هو صاحب الدرة التى كان يحملها في يده ويخيف بها من حاد عن سواء السبيل في شيء ما .

وبما يدل على ما في طبيعة عمر من الرقة ما عرف به من الخوف من الله، فكان هذا

قوله تعالى - عن سيدنا يعقوب عليه السلام -
 « و ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » ،
 بسكى حتى انقطع ، وفى رواية لما انتهى
 إلى قوله تعالى « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله »
 بكى حتى سمع نسيجه - أى صوت بكائه -
 من وراء الصفوف ، (الاعتصام للشاطبي
 ص ٣٨٤ ج ١) .

وهذه الرقة والخشية لله تعالى مبعثا قوة
 الإيمان ، وهى عصمة للمؤمن ؛ فإن الله تعالى
 يصف عباده المتذكرين بأوصاف منها قوله
 جل شأنه « ويخشون ربهم ويخافون سوء
 الحساب » .

وقد حدث بعض الصحابة رضوان الله
 عليهم فقال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
 (يعنى من البكاء) - والأزيز صوت يشبه
 غليان القدر .

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو الذى بشره ربه بقوله « ليغفر لك الله
 ما تقدم من ذنبك وما تأخر » - يبكى خشية
 من ربه ، فحق لعمر ولغير عمر - ولا سيما
 الذين يحملون أمانات الأمة - أن يبكوا من

خشية الله ، فإن هذه الخشية تعصمهم من أن
 يزلوا أو يضلوا وتضىء لهم سبيل الرشاد .
 ولقد نعلم أن رجلا من أمتنا العزيزة
 قد أنعم الله عليهم ، إذ وسد لهم الأمر ،
 وحملهم أمانة الحكم ، وأن منهم من لا يبيت
 ليله إلا متدبرا متفكرا خائفا من ربه ، حريصا
 على أداء أماناته ، تغرورق عيناه بالدموع
 إذا ذكر نعمة الله عليه ، ويسائل نفسه
 ماذا فعل فى سبيل شكرها ، وماذا هو فاعل ،
 وإن بدا أمام الناس ، قوى الشكيمة ،
 شديد المراس ؟

وهذه الخشية هى منبع الشعور بالمسئولية
 وبالرقابة الذاتية ، وهما المبدآن اللذان يقوم
 عليهما صلاح الأمم ، وقوة الشعوب ، وإن
 اشتراكيتنا الرشيدة لتتشدهما وتناشد فى
 شأنهما كل فرد من أفراد الأمة ، حتى يحس
 بذلك العامل فى عمله ، والموظف فى وظيفته ،
 والعضو المسئول فى جماعته ، والاستاذ فى
 جامعته ، والزارع فى زراعته ، وكل راع
 فيما استرعاه الله .

محمد محمد المرنى



فِجْهَاتُ الْقِرْلَانِ

من قبسات الهداية :

فِي الْمَوَازَنَةِ بَيْنَ الْمُبْطِلِينَ وَالْمُحَقِّقِينَ لِلأُسْتَاذِ عَبْدِ اللطيفِ السَّبْكِ

• من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ... نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون ، ١٥ هود .

- ١ - هنا عشر آيات - أولها : ماذا كرنا .
وآخرها : مثل الفريقين - رقم ٢٤ .
فلم يدخر لها عملاً ولا إيماناً ...
- والآيات العشر : فيها موازنة بين الجانبين .
وفيهما وقوف بنا عند هذه الموازنة لئلا نرى :
كيف تكون جناية الأحمق على نفسه ؟ ؟
وكيف تكون عدالة الله بين خلقه ...
وكيف تكون العبرة لمن كان بصيراً بعواقبه :
في الدين ... أو في الدنيا .
- ومعلوم لنا أن توجيهات القرآن عامة ،
ولا تقف عند جانب واحد .
- (١) يقول - تعالى - : • من كان يريد
الحياة الدنيا ، وزينتها ، نوف إليهم أعمالهم
فيها ... ، وهذا في ظاهره وعد من الله لمن
جنح إلى الدنيا مسرفاً فيها ، وعلق بها كل
- آماله ، وأفرغ فيها جهده ، وتجاهل الآخرة
فلم يدخر لها عملاً ولا إيماناً ...
وذلك الوعد الظاهر أن الله - تعالى - يوفيه
حظه بكل ما طمحت إليه نفسه ، وأن الله
لا يبخسه في دنياه شيئاً مما تعلقت به آماله .
ونحن نؤمن بأن الله لا يخلف وعده .
فهل يكون حقيقة أن الكافر ، ومن
في معناه ظافر ، في دنياه بكل أمانيه ؟ ؟
- ذلك ظاهر لا يستقيم على أصل من الصواب .
فإن الأمر منوط بمشيئة الله ، وميزان
حكيمته ، وليست المسئلة مسئلة العبد ولا تجارة
لشهواته .
وعلى هذا يكون الوعد الكريم في الآية
استدراجاً لأصحاب الأهواء ، ومطاوله لهم

في تمنياتهم ... وكأنه - تعالى - يقول لهم :
 من جعل همه دنياه ، وحصر آماله في زينتها :
 أمكن أن نعطيه ما تعلق به آماله ، وألا
 نبخسه شيئاً مما يكون مرجواً في زعمه ...
 ولكن : لا يكون له إلا ما قسمنا له فيها ،
 وليس له في الآخرة إلا النار ، وضاعت
 جهوده ، وحبطت آماله في الآخرة وهذا
 توجيه يتلاقى مع قوله - سبحانه - « من كان
 يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
 ثم جعلنا له جهنم يصلاًها ، مذموماً ،
 مدحوراً » .

فالعطاء من جانب الله مقدور بتقديره هو ،
 ومقيداً بإرادته لمن يريد عطاءه من خلقه .
 وبذلك يتبين واضحاً أن نصيب المرء
 في الدنيا وزينتها ليس بتقديره ، وإن صادف
 رغبته ، وحسابه أحياناً .

فالوعد الفسيح الذي في الآية ينطوي على
 التهديد المزعج : بأن أولئك الذين يشترون
 دنياهم بآخرتهم قد اختاروا صفقة غير رابحة .

٢ - وهذا قدر من البيان يكفي لدى العقل
 أن يتعقل ، ولصاحب البصيرة أن يتبصر ،
 ومع ذلك : فقد توافر في الآيات الكثيرة
 أضعاف هذا التنبيه ، ولا يزال الإنسان في
 كثير من غفلاته ، وحجة القرآن قائمة علينا
 بالحق ، وليس لنا على الله حجة بعد .

٣ - ولكننا - بعد ذلك - نتذكر أن الله
 قال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » .
 وفي هذا أن الكافر إذا عمل في دنياه عملاً
 طيباً ولو قليلاً ينال جزاءه في الآخرة ، وأن
 عمله محسوب له عند ربه ، حيث يوفي كل فاعل
 للخير جزاءه ، وإن كان عمله مثقال ذرة .

والجواب المعروف عند العلماء - أن جزاءه
 يكون في الدنيا ، لأن كفره يحبط ثوابه
 في الآخرة .

ولا يبعد عن الصواب أن نقول : إن الله
 يجعل الكافرين جميعاً في جهنم خالدين فيها ،
 أبداً ، ولكنه تعالى جعل جهنم طبقات متعددة
 وجعل أنواع العذاب فيها على درجات مختلفة .

وعدالة الله لا تسوى بين كافر كان يرتكب
 مع كفره مآثم أخرى ، وكافر كان يحسن
 عمله مع الناس كثيراً ، فكلاهما خالد في النار
 - ولا شك - ولكن المسمى لا يستوى مع
 المحسن ولا يكونان في طبقة واحدة ،
 والعذاب في إحدى الطبقات يخالف العذاب
 في غيرها : نوعاً .

وعلى سبيل المثال : أبو طالب عم النبي
 صلى الله عليه وسلم ، وكان يناصره ، ويدود
 عنه كفار قريش ، ومع ذلك مات كافراً
 ولم يستجب لدعوة الإسلام تعصباً للجاهلية .

« أفن كان على بينه من ربه ، ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة ؟ » :

وهنا استفهام من جانب الله سبحانه - وهو بالهمزة ، وهل هو للأنكار والنفي . ، فيكون المعنى : لا يستوى الكافرون المذكورون ، والمؤمنون الذين هم على بينة من ربهم فلا يكون المحتمون بالإيمان في وضع كوضع الذين كفروا بالحق ، وعبدوا دنياهم وحدها ، وشتان بين مشرق ومغرب .

أو تكون الهمزة للاستفهام التقريرى ... والمعنى : آمنوا ، وأقروا بأن من كان في تدينه على حجة صادقة ، وشريعة بينة من عند الله : هو المستجيب لدعوة ربه ، دون أولئك الظالمين لأنفسهم وكلا الغرضين في الاستفهامين قريب من الآخر .

وغايته أن الإنكار في الأول نفي للساواة بين الجانبين ، لإثبات ضمنى لرفعة درجة المؤمنين ...

وأما الاستفهام التقريرى فإنه تأكيد من أوله ، وقصد هادف إلى تزكية المؤمنين على سواهم ، بعد الإعراض عن ذكر المعرضين عن دعوة الدين الحق والبيئة التي عليها إيمان المؤمنين هي القرآن - لا شك - وزيادة عن كونه في ذاته حجة بينة من

وَأَبُو لَهَبٍ عَمِ النَّبِيِّ كَذَلِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ أَعْدَاءَهُ لِإِذْءَالِهِ ، وَمَاتَ كَافِرًا ، وَخَصِمًا عَنِيدًا .

فهل يكون أبو طالب في عذابه على درجة واحدة مع أبي لهب ؟

أظن العدالة تتجلى في التفريق بينهما ، وإن كان الخلود في النار للجميع .

وهذه العدالة في الآخرة تزيدهم ندما ، وحسرة على ما ضيعوا وما فرطوا ، حتى ترى هذا واضحا فيما يحكيه القرآن عن مساجلاتهم وتأوهاتهم « يا ليتنا نرد ، ولا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين » ، « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ، ولإنهم لكاذبون » .

وانظر : حينما ينادون أهل الجنة : « أن أفيضوا علينا من الماء ، أو مما رزقكم الله » ! فيكون الجواب : « إن الله حرمهما على الكافرين » .

وحينما يشمت فيهم أهل الجنة ، ويقولون لهم : « ... قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا : نعم » ، يعنى هو العذاب الذى كنا نكذب به ثم يسمعون مناديا من جانب الله يؤذن فيهم . « أن لعنة الله على الظالمين » .

٤ — ثم تنتقل بنا الآية الثالثة من الآيات العشر إلى الطرف الثانى من طرفى الموازنة ، فتحدثنا عن المؤمنين بعد الكافرين .

القرآن في تأييده « ومن قبله كتاب موسى ،
 إماما ورحمة » ، وكتاب موسى : هو التوراة . .
 وكانت سابقة على القرآن ، وسابقة على الإنجيل
 قبل القرآن . . والتوراة كتاب تشريع . .
 وكانت حافلة بالأحكام ، والقصص وكانت
 إلهاميا متقدما للقرآن . . وعرف أهل
 التوراة من معالمها كثيرا من الأنبياء عما يكون
 من رسالة النبي الخاتم ، حتى كان الأحبار
 يتنبئون بما يعرفونه سلفا عن النبي العربي
 الأخير .

فكانت التوراة مسبقا أسبقيتها في الزمن
 مؤيدة للقرآن من قبل ، وتابعة له في تصديقه
 وهذا معنى « ومن قبله كتاب موسى إماما ،
 ورحمة » . . كما تعلم أنت الشيء مقدما ثم تراه
 تمهيدا لشيء كان مؤجلا بعده .

ولذلك عاب الله على اليهود الذين عرفوا
 من التوراة جانبا من أمر محمد ورسالته ،
 بعد أن عاش منهم من عاش حتى نزل القرآن
 فكذبوه وكفروا بما كان في التوراة قديما ،
 ومعلوما لهم « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ،
 فلعن الله على الكافرين » .

٧ — وإذا كانت التوراة شاهدة للقرآن
 فلماذا لم يذكر مثل ذلك عن الإنجيل ، مع أنه
 أشاد بمحمد ، ورسالته ؟

قالوا : إن التوراة معترف بها عند اليهود

عند الله فله شاهد من نفسه يزكيه ، ويؤكد
 حجتيه ، وذلك الشاهد الذاتي هو قوة إعجازه
 لمعارضيه ، وإحاطته بما أودع الله فيه من
 معلومات شاملة ، لا تناقضها العقول الواعية
 ولا يحسها الباطل في قليل ولا كثير فالقرآن
 فيه اكتفاء ذاتي ، كما نقول ، وهو الشاهد
 لنفسه وقديما كان يسمعه الكافرون من الأنس
 أو الجن فتجذبهم روحانيته ويسحروهم بيبانه ،
 وتستقر في قلوبهم حقيقته فيؤمنون به غير
 مترددين ، ويعودون إلى قومهم معجبين
 وداعين مخلصين له « يا قومنا أجيئوا
 داعي الله ، وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ،
 ويجركم من عذاب أليم » ،

ه — وكذلك للقرآن شاهد آخر من عند
 الله . . وهو المعجزات التي أيدته من عند الله
 ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - فنصره
 بها على أعدائه ، وأقام له حجته رغم معارضيه ،
 حتى ملأ بها الدنيا ، وصار للإسلام علم خفاق
 على المشارف بعد أن لم يكن .

وعلى أي حال فللقرآن شاهد يتبعه : في
 تعزيته ، ودفع أعوانه ، وتركيز معالمه
 سواء : أكان الشاهد المذكور هو ذاتية القرآن
 أم كان المعجزات المقارنة له في تأييد الرسالة
 المحمدية .

٦ — ثم يذكر الله تعالى شيئا آخر يتابع

وهو الكفيل بكل ما جاء من عند الله من تشريع تحتاجه الإنسانية إلى نهاية دنياها .

* * *

٨ — وتنقل بنا الآيات بعد شيء من المقارنة : إلى تكرار التهديد ، وتسجيل الإثم الخطير على الكفار ، وظلمهم لأنفسهم بالكذب على الله .

ثم تذكر لنا مشهداً من مشاهد في الآخرة لتردعهم عن الإمعان في غيهم ، فيقول تعالى : « أولئك يعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم .. ألا لعنة الله على الظالمين » .

فهناك عرض للناس جميعاً على ربهم ، لتوفيتهم جزاء أعمالهم ، وإن كلا لما ليوفيهم ربك أعمالهم ، وحينذاك ينقض الشهداء : من الملائكة ، والأنبياء ، والمؤمنين فيعلنون شهادتهم على الكفار ، ويقررون سخطهم عليهم بالكذب الذي كانوا يفترونه على الله ربهم ، ثم يقولون : لعنة الله على الظالمين ، وهذا تذكير لنا بما نخشاه على أنفسنا من التخلف عن دعوة الله .

ولندخل في حين وعده الكريم بقوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأخبتوا إلى ربهم - آمنوا واطمأنوا إلى دينه وطاعته - أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

والنصارى . فالاحتجاج بها قائم على الفريقين أما الإنجيل فلا يقول به اليهود ، وإنما يقول به النصارى فقط فالاحتجاج به لا يكون مأخوذاً به عند اليهود لعدم إجماعهم مع النصارى على ذلك ونحن - المسلمين - نعتز بالقرآن ، وبشهادة التوراة له وبشهادة الإنجيل . والقرآن بعد ذلك كله : فوق متناول الشبهات ، وإن رغمت أنوف الكافرين به .

ولا يسبق إلى ذهنك أن القرآن في منزلة دون منزلة الكتب التي شهدت له من قبل بل القرآن مصدق لما فيهما ، وهو شاهد بحقيقتهما من عند الله ، وأنها تناولتهما يد التحريف والتبديل ، وأنه هو المسيطر على التشريع بعدهما ، ولم يعد الدين إلا لإسلاما قرآنياً ، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، . وقد أكد الله لنا أن التوراة نزلت على موسى ، وأنها كانت هدى وموعظة للبتين .. وأكد لنا كذلك أن الإنجيل نزل على عيسى ، وأنه كان مصدقاً لما بين يديه من التوراة .

ثم أكد لنا أن القرآن نزل مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل جميعاً ... بل أكد لنا أن القرآن نزل بالحق ، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيئاً عليه ، يعني مصدقاً لجنس الكتب السماوية كلها ، وقائماً بالتشريع بعدها .

الجمال للخلقة ، وتمام الحسن للوجه ، وفيهما منفعة الحياة إلى غير حدود

فإن يكن الكفار والمنحرفون عن مسالك الرشد غير مستشعرين بقبح شأنهم ، وحطة منزلتهم فلينظروا بأعينهم إلى دمامة العمى ، والصمم ، وما يشهدونه من نقص عند ذى العمى والصمم .

ثم لينظروا إلى ذوى البصر والسمع ، وما لهما من أثر في جمالمهم ونفع في حياتهم ، وبهذه المقارقات المحسوسة يدركون بعد منزلتهم عن منازل المؤمنين .

ويتفهمون من هذا المثل أن حياتهم في دنياهم حساب عسير عليهم في آخرهم ، وأن شقاءهم يستقبلهم ، فأين يكون لهم متاع ، وكيف يكون لهم خلاص ؟

هم الذين استجبوا العمى على الهدى فظلموا أنفسهم وما ظلمهم الله .

ومع هذه الزواجر في القرآن ... ومع تكرارها من مقام إلى مقام ، فالإنسان سادر في نسيانه ، ومن يهدى الله فهو المهتدى ؟

عبد اللطيف السبكى

وهذا قبس موجز ، من قبس الهداية والتبصرة ، نجدد به الذكرى لأنفسنا بما يكرره القرآن من توجيهاته لنا ، وتوعيته لعقولنا حتى لا نستسلم للغفلة ، وتذهلنا الدنيا كما أذهلت المعرضين ، حتى لم تدع لهم ساحة من الفكر ، ولا هاتفا من الخواطر ، نحو ما يستقبلونه في آخرهم .

وماذا رضوا لأنفسهم يوم يخشرون الدنيا والآخرة ؟؟

٩ — وبعد تلك المقارنات بين الجانبين ، وما يتخللها من وعيد للكفار ، ومن وعد كريم للمؤمنين ، يختم الله تلك الموازنة بمثل يصور به شأن الفريقين في صورة نحسها . ولا يتخطاها نظر المرء دون تنبيه إلى بعد ما بينهما .

وذلك قوله تعالى : « مثل الفريقين كالأعمى والأهمل .. والبصير والسميع » .

فتلك أوصاف متناقضة : بعضها ذميمة بغيض إلى كل حي من الإنسان والحيوان ؛ وهو العمى ، وعدم السمع - الصمم - فانظر ما فيهما من قبح ، وتشويه ، وما لهما من أثر في حرمان المبتهلى بهما أو بأحدهما .

وبعضها كريم على النفس ، ومشوق إلى كل حي ، وهو البصر ، والسمع : ففهم

عقيدة المُرشدَة للمهدى بن تومرت

للأستاذ عبد الله كنون

عضو مجمع بحوث الإسلاموية

والدين ، ذا ملكة راسخة وقوة على النظر والجدل بحيث يضاهي كبار الشخصيات العلمية البارزة التي ظهرت في المشرق لعده من أصحاب المقالات والمدارس في علمي الأصول والكلام فضلا عن تضلعه في الفقه والحديث .

وقد خرج لطلب العلم من بلده سوس سنة ٥٥٠ هـ وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولا شك أنه توقف في مراکش وأخذ بها عن بعض شيوخها ، إن لم يكن قد مر بفاس واشتغل فيها على علمائها العديدين ، ثم دخل الأندلس فنهل بها ما بل من ظمئه ، العلي وجاز البحر من المرية في مركب إلى المشرق كما يقول ابن القطان ، وهناك تعمق في الطلب وأشبع نهجه من العلم ولقاء المشايخ وكان ممن لبي من كبار العلماء في الإسكندرية أبو بكر الطرطوشي ، وفي بغداد الكيا الهراسي (١) وأبو حامد الغزالي على ما جزم به أكثر المؤرخين وزاد ابن أبي زرع أنه

(١) بكسر الكاف وفتح الهاء مع تشديد الراء أبو الحسن علي بن محمد الطبري نقل ابن خلكان عن عبد الغافر الفارسي قوله فيه إنه كان ثاني الغزالي بل أصل وأصلح .

طغى الجانب السياسي على الجانب العلمي من ترجمة المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحدين حتى كادت شخصيته العلمية تذوب في شخصيته السياسية ، وبالفعل فإن المؤرخين والكتاب الذين تناولوا ترجمته بالنقد والتحليل لم يعنوا إلا بأعماله السياسية ومعاركه الحربية ، والخطط التي وضعها لتأسيس الدولة التي قضت على دولة المرابطين ، وفي ظني أنهم لو عنوا بالناحية العلمية من حياته وقدروا جهوده في نشر المعرفة ، ودرسوا إنتاجه الفكري حق الدراسة ، لخرجوا بنتائج رائعة في التعريف بالرجل وتجلية شخصيته وإنصافه من الأحكام المتبصرة التي تسجل عليه من غير ترو ولا تحقير ، وإن كان العلامة ابن خلدون لم يغفل هذه الناحية ، ولذلك جاء رأيه في المهدي على جانب من العدل والإنصاف .

على أن السياسة حقا قد طغت على أعمال المهدي بعد انصرافه للدعوة واشتغاله بتدبير أمر أتباعه وأنصاره وتورطه في حرب المقاومة ، ولولا ذلك لآتانا منه علم غزير وإنتاج كثير ، لأنه كان إماما من أئمة العلم

(وانطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريبا من الدين ، وكان لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت ، ففظن أهل المغرب لذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في كافة العقائد وأعلن بأمامتهم وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأى الإمامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله : أعز ما يطلب) الخ .

ففي هذه العبارات الموزونة تقدير شخصية الرجل العلمية وتحديد لنوع الدعوة التي جاء يحمل لواءها حتى ذاعت وانتشرت وتنصيص على الجناح الذي ارتكبه في هذه الدعوة ومال به عن رأى أهل السنة من أشاعرة وغيرهم .

أما الشخصية العلمية التي أثبتتها للرجل فقد قلنا كامتنا فيها ويأتينا مزيد تقرير لها وتأكيدها عليها .

لازمه ثلاث سنين ؛ و حج وأقام بمكة مدة ، ودامت رحلته ما يزيد على عشر سنوات . ولسنا بصدد التعرض لما يتعلق بعمله السياسي فيما بعد ، وإن كانت الروايات عن نشأته ورحلته لا تفتأ تربط بين أحواله في هذا الطور من حياته وبين ذلك العمل العظيم .

على أن اهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجازفاته في سبيله هو في نظرنا مما يرجع إلى غيرته الدينية ويقظة ضميره أكثر مما يرجع إلى نزعة سياسية ، كما نهينا عليه في غير هذا المقام ، فأحرى بنا أن لا نعدل به عن هذا التوجيه ونحن لا نستعرض إلا الجانب العلبي من ترجمته .

ويشير ابن خلدون إلى عودة المهدي من رحلته المشرقية وما جناه فيها من الثمار الياقة وما صار له من شغوف في العلم والمعرفة والآراء والمذاهب ، وما قام به من دعوة صادقة لتنبية مواطنيه المغاربة إلى الاشتغال بالعلوم العقلية والنظر في أقوال علماء الكلام وخاصة الأشاعرة منهم إذ كان مذهبهم غير رائج في المغرب ولا بلغ إليه صدى المناظرات العظيمة القائمة بين أئمته في بلاد المشرق ، وذلك في فذلك عظمة القيمة بالنسبة إلى بحثنا هذا وهي قوله :

السلف الصالح من أئمة المسلمين . فالقول بأن المهدي وجد علماء المغرب على حالة من الجود وعدم استخدام العقل ونبد النظر ، كما يقع في كلام بعضهم هو من الغلو والمجازفة وإلقاء الكلام على عواهنه ، فإن هذا المذهب أيضاً قائم على الحجة ونظر العقل وترجيح أنه مقصد الشرع ومراده وأن العدول عنه بالتأويل والتوجيه مخالفة لذلك المقصد وعدول عن ذلك المراد .

نعم لما انتشرت المذاهب الفلسفية في المشرق وكثر الجدل بين أهل الملل والنحل غير الإسلامية وبين المسلمين وكان المنكرون من علماء الإسلام على الوثنيين وعباد الأصنام يسخرون من عقولهم ويعينونهم بعبادة آلهة مخلوقة مثلهم لا تملك لنفسها نفعا ولا ضراً ، فإن هؤلاء جعلوا يهتمون المسلمين بالتجسيم وعبادة إله على مثال المخلوقات ذى وجه ويد وعين ، وتطراً عليه الانفعالات النفسية من الرضى والغضب وما إلى ذلك ولا يخلو من الأغراض الجسمية كالحركة والسكون ، وتسربت هذه الوسوس إلى عوام المسلمين ولم يستطيعوا التخلص من بوائقها ، فقام أئمة الدين وحفظه العلم من الأشاعرة والماتريدية وبقية علماء الخلف السنيين برد هجوم هؤلاء الملاحدة والمتنطعين والدفاع عن حقيقة الدين وبيضته الإسلام

وأما دعوته التي قام بها وروج لها من الأخذ بمذهب الأشعرية في العقائد والاحتجاج عليها بالعلوم النظرية فالأمر فيها يحتاج إلى شيء من البيان والتوضيح ، ذلك أن أهل المغرب لعهد المهدي ورجوعه من رحلاته المشرقية ، كانوا إلا قليلاً منهم على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي مع التنزيه للخالق عز وجل وذاته العلية عن أن تشبه الذوات وتتصف بصفات المخلوقين . وذلك هو المذهب الذى عبر عنه الإمام مالك متبوعهم في الفقه والأحكام الشرعية بقوله للذى سأله عن الاستواء المذكور في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » - الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة . وكذا القول في الوجه واليد والعين والنزول والمجئ والضحك وغيرها مما ورد إطلاقه على الله سبحانه وتعالى في الكتاب أو السنة ، فإنهم يبرونه على ظاهره ولا يؤولونه بالذات أو القدرة مثلاً فراراً من الافتيات على الشارع الذى عبر بذلك ، ولكنهم يعتقدون التنزيه ومخالفته تعالى للحوادث فلا يلزم على الإيمان بظواهر تلك النصوص أى محذور .

هذا هو الموقف الذى كان المغاربة يلتزمون به في العقائد إبان ذلك ، وهو كما علمت مذهب

على مذهب السلف ونحن نغنى ما نقول . فلم يكن المهدي هو أول من تكلم في مذهب الأشعرى أو دعا إلى تأويل النصوص في المغرب بل سبقه بعض أهل العلم لذلك ولا سيما في (سبته وفاس) على ما بيناه في غير هذا البحث، ولكن هذا المذهب لم ينتشر ويسد على مذهب السلف إلا بعد قيام المهدي بدعوته التي جند لها جنوده وحمل الناس عليها حملا بدون رفق ولا هوادة وساعده على ذلك أنه كان قد انتشر في المشرق وأصبح المذهب السائد الذي هزم مذهب أهل الاعتزال على ما كان له من التمكن والسلطان .

وبما هو محتمل أن المهدي قبل رحلته رأى ما تعرض له كتاب (الإحياء للغزالي) من الإحراق والإتلاف في المغرب والأندلس أو على الأقل وعى الحملة الشعواء التي شنها عليه علماء الأندلس والمغرب والتي تزعمها القاضي ابن حديد قاضي قرطبة وهو أكبر شخصية علمية في مملكة المرابطين يومئذ . وكان بما ينكر على ذلك الكتاب مسائل في العقيدة خالف فيها كثيرا من (المسلمات) عند أهل السنة ، فكان من وكده في رحلته التحقق من هذه المسائل والتعرف على الحياة العلمية والاتجاهات العقدية في المشرق ، وهذا في نظري ما يرجح لقاء المهدي للغزالي . وهذا أيضا ما غرس في نفس ابن تومرت بذور الثورة على الواقع

ومجادلة أرباب المذاهب الفلسفية والدعوات المناهضة للحق بمثل الطرق التي يستعملونها في الطعن على الإسلام والأساليب النظرية التي يهاجمون بها عقائده . وكان مما استحدثه الأشعرى ومن أخذ بطريقته تأويل بعض الصفات والأقوال الموهمة التي لا تستطيع العامة أن تتخلص من اعتقاد لوازمها ، فقالوا في الاستواء على العرش : إنه الاستيلاء والظهور والغلبة أخذا من قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مہراق

كما قالوا في الوجه : إنه الذات، وفي العين : إنها الرعاية والحفظ، وفي اليد : إنها القدرة، وفي النزول : إنه الامتتان إلى غير ذلك مما هو معروف . وقصدهم ، أولا وبالذات ، إنما هو المحافظة على عقائد العامة والمسلمين الذين دخلوا في الإسلام حديثا من أهل الملل المجسمة وأشباههم . وهو اجتهد على كل حال أوجبته الضرورة وأملأه الموقف الذي كان عليه أمر الاعتقاد في المشرق الإسلامي .

أما في المغرب فلم تدع لذلك ضرورة ولا وجد موقف غير الذي كان عليه الحال أيام السلف ، فلم يكن ثم لزوم ولا مبرر لرواج هذه البدعة ولذلك قاومها العلماء المغاربة بنصح وإخلاص .

وقلنا آنفا : إن أهل المغرب لإقليلا منهم كانوا

والانصار والتأثير على عقول السذج والعوام لما رأى أنه لا مفر له من مصاولة خصومه ومنازلتهم في ميدان الحرب والقتال .

فالامرأذن يتصل بحركته السياسية وتمهيد الدولة التي عني بإنشائها لما قوى عزمه على مقاومة المرابطين بالسلاح . فلندع السياسة جانبا ولنعد إلى بساط العلم الذي يعيننا . ولكن لا بد أن نشير إلى أن أخذه بهذا الرأي الشيعي قولا وعملا كان متأخرا جدا عن المدة الأولى التي ظهر فيها بدعوته المتمحضة للأمر والنهي والتوحيد ، بدليل أنه في مجادلاته ومناظراته للعلماء بالمجلس الذي عقده له أمير المسلمين على بن يوسف في مراكش وغيره لم يفه بشيء من ذلك ولا حكى عنه أحد ما تشتم منه رائحة التشيع أو دعوى المهدوية . ثم إن رسالته في الإمامة التي صرح فيها بهذا الرأي وأكده ببخلاف العبارات هي أيضا مما يدل على ذلك ، لأنها جاءت مقترنة بالدعوة إلى القتال لنصرة الحق وإظهار السنة مع الإمام المهدي القائم بالحق والناصر لدين الله ووجوب طاعته واتباعه وعدم مخالفته فيما قل أو جل إلى آخر الالتزامات المشددة التي تقررها الرسالة ، وهذا أمر لم يرد في كتبه ورسائله السابقة عليها ، فدل ذلك على أنه أمر محدث أوحى به السياسة واقتضاه الموقف الجديد الذي أدى بابن تومرت إلى إعلان الحرب على خصومه .

المغربى وجعله يقوم بدعوته المكتسحة لكل مخلفات تلك الحملة التي أحرق بموجها كتاب الغزالي من مذهب السلف في العقائد ومذهب الإمام مالك في الفقه ، وإن كان قد نجح في الانتصار على الأول ولم ينجح في الانتصار على الثاني .

بقى الكلام على النقطة الثالثة من مقالة فيلسوف المؤرخين : وهي المتعلقة بجناح صاحبنا إلى مذهب الشيعة الإمامية في القول بعصمة الإمام وهو أمر محير حقا ، فإن المذهب العقدي الذي التزمه وهو الأشعرية ، والعلماء الذين أخذ عنهم واتصل بهم في رحلته وحياته العلمية وسلوكه في الدعوة من أول ما بدأ ، كل ذلك كان حريا أن يجافي بينه وبين هذه النظرية ويجعله إلبا عليها لا معها ، ولكن قبح الله السياسة ، فهذا الرجل الذي كان همه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما حل وارتحل ، وكان ينكر على الولاة وأولى الأمر تعاضمهم وتعاليمهم على الناس والذي قامت دعوته على التوحيد الخالص المدعم بالأدلة النظرية والحجج العقلية يتورط في هذه العضيبة ويدعى لنفسه ما لم يسلم لمن هو أكبر منه شأنا وأعظم قدرا ، ثم يزيد فيزعم أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا على حسب ما ورد في الحديث الشريف ، وذلك لتكبر الاتباع

التشيع أو من مذهب الشيعة الإمامية على الأصح ، وبعده لا نجد له أى صلة بهذا المذهب ولا ميل إلى التشيع في قول ولا فعل.. فتشيعه هذا كان سياسيا واستغلالا لقول من أقوال الشيعة يتعلق بالحكم أكثر مما يتعلق بالعقيدة والأحكام ، ولذلك قال ابن خلدون فيه « ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم » ، وهى كلمة صحيحة إلى أبعد حد .

ويقتضينا التعرض لحياة ابن تومرت العلمية أن نلم بذكر مؤلفاته التى وصلت إلينا والتي يشكل أكثرها إملاءات صدرت منه أيام تصديه لتعليم أصحابه وتشقيف طلبته الموحدين من عبد المؤمن خليفته الذى لقيه بقرية « ملالة » وهو بصدد الرحلة في طلب العلم فقال له: لقيت علما وشرفا إلى من دونه ، وهى ما بين كتب ورسائل صغيرة تؤلف المجموعة الآتية .

(١) أعز ما يطلب ، وقد ذكرناه وبه تسمى المجموعة .

(٢) كتاب الصلاة ، وضمنه أحكام الطهارة بتفصيل واف من الحديث والأثر ، ولذلك أمر المنصور الموحدى بجمع أحاديث في الصلاة على النحو الذى فعله ابن تومرت في الطهارة .

وهذه الرسالة التى تناولت قصة الإمامة والعصمة والمهدوية هى رسالة مستقلة عن كتاب: أعز ما يطلب .. الذى لاشك أنه كان من أوائل تأليفه ، ولذلك فإنه يعد كتابا تعليميا خاليا من الشعوذة كسائر كتبه التى وضعها في مبدأ أمره . وقد نوه فيه بقدر العلم وحث على طلبه وتعرض لمسائل من طرق العلم وأبواب من أصول الفقه ، وبناء على المناظرة التى جرت له بأغمات ، وليس فيه كلام على الإمامة وما يتعلق بها . فقول ابن خلدون في النص المتقدم عنه: « وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأى الإمامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذى افتتحه بقوله أعز ما يطلب » ، فيه تساهل كبير؛ لأنه يعتبر بمجموع تأليفه المبدوء بكتاب أعز ما يطلب والذى من ضمنه رسالة الإمامة هذه كتابا واحدا ، وليس الأمر كذلك ، فإن هذا المجموع كما طبعه (كولد زهير) يحتوى على عدة كتب ورسائل للهدى ، ولا يمكن أن يعد كتابا واحدا ، فمن نتيجة التفريق بين هذه المؤلفات اهتدينا إلى أن إعلانه برأيه هذا في الإمام وعصمته كان متأخرا عن مبدأ قيامه وظهور دعوته وتلك نتيجة ليست بقليلة الأهمية .

وما يجب التنبيه إليه أن القول بوجوب نصب الإمام وعصمته كان هو نصيبه من

(١٤) رسالة فيما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن طائفة من أمته لا تزال على الحق .
(١٥) رسالة في فضل التوحيد والاستدلال عليه من طريق النقل .

(١٦) كتاب الطهارة ويتضمن بعض أحكامها من الحديث النبوي ، ويظهر لنا أن الموضوعين الأخيرين وما يتلوها في المجموع إلى ص ٣٦٢ من حديث رفع العلم والامانة وغير ذلك هو ما عبر عنه في طاعة المجموع باختصار مسلم وإن أوهمت العناوين المتميزة أنها إملاءات مستقلة ، وعلى كل حال فهو اختصار موجز على مثال ما فعل ابن أبي جرة فيما بعد عند اختصاره لصحيح البخاري .

(١٧) رسالة في ذم الخمر وعقوبة شاربها .
(١٨) كتاب الجهاد وما ورد فيه من الثواب وهو رسالة متوسطة الحجم .

هذا ما ضمنه مجموع أعز ما يطلب من تأليف المهدي بن تومرت كتباً ورسائل يتخللها بعض الإملاءات الصغيرة في التحميد والتسبيح والثناء على الله عز وجل مما لا يمكن عده من التأليف بالمعنى العلمي .

وقد نشر هذا المجموع في الجزائر سنة ١٩٠٣ م بعناية المستشرق (كولد زهير) مع مقدمة له بالفرنسية .

(١٩) وما وصلنا أيضاً من تأليف المهدي كتاب الموطأ المعروف به والمنسوب إليه ،

(٣) رسالة الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل ، أو هي رسالة القياس وفيها رد على المعتزلة في تحكيمهم العقل ، وبذلك يفتني عنه ما نسب إليه من الاعتزال ، وأثبت القياس الشرعي وبها حكمنا أن الموحدين لم يكونوا ظاهرية كما ينسبهم من يتساهل في تحقيق أمرهم .
(٤) رسالة في العموم والخصوص وبعض المباحث الأصولية .

(٥) رسالة في طرق العلم .
(٦) رسالة في تقسيم المعلومات .
(٧) رسالة المحدث (بفتح الدال) وهي مباحث من علم الكلام .

(٨) رسالة العبادة والاحتجاج على وجوبها .
(٩) عقيدة التوحيد .
(١٠) عقيدة المرشدة ، وتمتاز الأولى عن الثانية باشتغالها على الدلائل العقلية بطريقة الأشاعرة وهي أكبر منها .

(١١) رسالة الإمامة وقد ذكرناها وهذه الرسالة والتي بعدها هما مما دونه بالعربية والبربرية حسب كتاب (الحلل الموشية) .
(١٢) رسالة القواعد وفيها كليات صالحة في الشريعة ولكنها تشتمل على أمور منسكرة من التشديد في الدين ووجوب الإيمان بالمهدي وعصمته .

(١٣) رسالة في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين ، وأمرها واضح .

وعدم التفرقة بين العهد الأول من حياته الذى كان فيه منقطعاً للعلم لم يتلبس بشيء من البدع التى أوبقته فيها السياسة ، وبين العهد الثانى الذى هو بخلاف ذلك ، حمل بعض العلماء على إنكار نسبة المرشد إليه لأنها عقيدة سنية خالصة من البدعة التى كان عليها ابن تومرت ، ونسوق القضية بجميع ملاساتها كما وردت فى (الطبقات الكبرى) للتاج السبكي .

قال : (وجدت بخط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلى العلاءى رحمه الله . . رأيت بخط شمس الدين الذهبي رحمه الله أنه شاهد بخط سيف الدين أحمد بن المجدد المقدسى ، لما دت خلاييت المقدس ، والفرنج إذ ذاك فيه ، وجدت مدرسة قريبة من الحرم أظنها الصلاحية والفرنج بها يؤذون المسلمين ويفعلون العظائم ، فقلت : سبحان الله ترى أى شيء كان فى هذه المدرسة حتى ابتليت بهذا ؟ حتى رجعت إلى دمشق فحكى لى أن الشيخ نغر الدين بن عساكر كان يقرئ بها المرشدة ، فقلت : بل هى المضلة . انتهى ما نقلته من خط العلاءى رحمه الله ونقلته من خطه أيضا . وهذه العقيدة المرشدة جرى قائلها على المنهاج القويم والعقل المستقيم وأصاب فيما نزه به العلى العظيم ، ووقفت على جواب لابن تيمية سئل فيه عنها ، ذكر فيه : أنها تنسب لابن تومرت ، وذلك بعيد من الصحة

وهو كتاب اختصر فيه موطأ الإمام مالك بحذف سند الحديث وضم إليه أبواباً متفرقة وأحاديث كثيرة مما لم يخرجها الإمام ، وقد طبع فى الجزائر أيضا سنة ١٩٠٧ م ويقع فى ٧٣٨ صفحة .

هذه آثار ابن تومرت العلية التى إذا أضيفت إلى مجهوده فى نشر المعرفة بالتدريس وتعليم الجماهير من أبناء القبائل المغربية ، أزرت أو كادت بأعماله السياسية وما بذله من مجهود فى إنشاء دولة الموحدين . ونحن يهمنا فى هذا البحث من تأليفه عقيدة المرشدة التى لقيت رواجاً كبيراً فى حياته وبعد مماته وتلقاها أئمة العلم بالقبول وحكوا عليه من خلالها بسلامة العقيدة وصحة المذهب .

ولا شك أنها كانت من أول ما أملى من تأليفه ولقن أصحابه من العقيدة على مذهب الإمام الأشعرى لأنها بمثابة المقدمة فى هذا الصدد من حيث الاختصار وعدم الاحتواء على الأدلة العقلية التى لا يدركها العموم كما فى عقيدة التوحيد ولأنها جاءت خالية من كل شبهة على ما كانت عليه دعوته أولاً قبل أن يدعى المهدوية والإمامة والعصمة ويتجرد للعمل السياسى الذى أقام به بناء الدولة الجديدة وقضى على دولة خصومه المرابطين .

ومن الغريب أن الاشتباه فى أمر المهدي

والجواب عن شكك هذا هو ما أجاب به السبكي عن تشكك العلائي سواء بسواء إلا أن المعروف من مذهب ابن تيمية أنه لا يرضى عن هذه العقيدة سواء كانت لابن تومرت أو لغيره .

وأما الذهبي وابن المجد فلا ينتظر منهما أن يثنيا على المرشدة ولا أن يقولوا فيها غير ما قالاه ، للخلاف بين الحنابلة والأشعرية الذي كان هو عين الخلاف بين أهل المغرب وابن تومرت لما ظهر بمذهبه الجديد . وما ألدع ما رد به السبكي قول ابن المجد في المرشدة والبلاء الذي أصيبت به المدرسة بسببها فإنه رد يوافق ذلك القول التافه .

لكن أعظم ما يستفاد من كلام السبكي ونقوله هذه هو أن المرشدة كانت تدرس في مدارس المشرق ويقوم عليها علماء مثل الإمام نجر الدين بن عساكر شيخ الشافعية في وقته بالشام . إن هذا مما يبين قيمة هذه العقيدة وأهميتها ويدل على سيورتها وانتشارها باعتبارها مقدمة صغيرة في هذا العلم وخلاصة مفيدة لمذهب الأشعري رحمه الله . ولا شك أنه قرأها عدد كبير من الطلبة وانتفعوا بها وأنه كان عليها إملاءات وشروح للعلماء الذين أقرءوها، فإن شهرتها التي جعلت جملة من أعلام الإسلام يتحدثون عنها ويبدون آراءهم فيها وفي صاحبها كيفما

أوباطل لأن المشهور أن ابن تومرت كان يوافق المعتزلة في أصولهم وهذه مباينة لهم . انتهى ، وأطال العلائي في تعظيم المرشدة والإزراء بشيخنا الذهبي وسيف الدين بن المجد فيما ذكره . فأما دعواه أن ابن تومرت كان معتزليا فلم يصح عندنا ذلك ، والأغلب أنه كان أشعريا صحيح العقيدة أميرا عادلا داعيا إلى طريق الحق . وأما قول سيف الدين المجد أن الذي اتفق إنما هو بسبب إقراء المرشدة ، فمن التعصب البارد والجهل الفاسد وقد فعلت الإفرنج داخل المسجد الأقصى العظام فهلا نظر في ذلك؟ نعوذ بالله من الخذلان؟ ونحن نرى أن نسوق هذه العقيدة ، وهي . . ولما ساقها قال . . هذا آخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سني) .

هذا كلام السبكي المتعلق بالمرشدة مع نقوله المتضاربة حولها مدحا وذما . فأما العلائي فإنه مدحها وأبلغ في ذلك لحد أنه أزرى بالذهبي وابن المجد لطعنهما فيها إلا أنه ارتاب في نسبتها لابن تومرت لأنه كان يوافق المعتزلة في أصولهم وقد رد عليه السبكي في ذلك وقال : إنه كان أشعريا صحيح الاعتقاد .

والمفهوم من كلام العلائي أن شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه كان يشك في نسبتها لابن تومرت فربما لهذه الشائعة عنه من ميله إلى الاعتزال وهي ليس فيها شيء من ذلك .

وسيلة نفعنا الله وإياه (بالأصل ولما نا)
بعقد عقيدته الجميلة ،

وكلامه هذا يفيد أنه لم يكن من الطائفة
التي تعتقد المهدى ، وقد بقيت هذه الطائفة
موجودة إلى زمن اليوسى ، وكانت تتمثل
في الشيخ عبد الرحمن اللجائى المتصوف
المعروف دفين الجاية وأتباعه على ما بينه
اليوسى في محاضراته . كما يفيد أنه كان يعلم
ما طرأ على دعوة المهدى من الجنوح عن
السييل وما يشوب تأليفه العقائدية من
الشبهة باستثناء المرشدة . فهو يتفق مع علماء
المشرق في هذا الأمر ويسلك نفس النهج
الذى سلكوه في قبول آثار المهدى التى
سلمت من الريبة وترك ما عداها أخذا بمبدأ
الإسلام المعبر عنه في الحديث الشريف بهذه
العبارة الفذة الجامعة (دع ما يريبك إلى
ما لا يريبك) وهو المبدأ الذى يقضى على
التعصب ويعترف بالحق إذا ظهر .

ويهمنا أن ننقل من هذا الشرح ما كتبه
مؤلفه على قول المرشدة : (جميع الخلائق
مقهورون بقدرته) وهذا نصه (الخلائق
هم العوالم المذكورة وغيرهم بما لا يعلمه إلا الله
تعالى ، وقوله مقهورون بقدرته أى مغلوبون
أذلة لعزة قدرته ، والقهار المستولى ، والقدرة
صفته فهو تعالى قادر بقدرة قديمة . وفى كلام
الإمام رد على المعتزلة الذين ينكرون
الصفات) إلخ .

كانت هذه الآراء ، تعطى أنها ملأت فراغا
في هذا المقام وشغلت كثيراً من الناس مدة
غير قصيرة من الزمن .

ويوجد عندنا شرح عليها فى كراسة ضمن
مجموع ، اسمه الأنوار الميمنة المؤيدة لمعانى عقد
عقيدة المرشدة لمؤلفه أبى زكريا يحيى بن الشيخ
المدرس أبى حفص عمر بن أبى بكر المشهور
بالتمسى ثم الهتني ؛ على ما جاء فى طالعته ،
وهو مغربى فيما يظهر ، مما يدل على أنها كانت
تدرس فى المغرب أيضاً لاسيما وهو قد وضعه
جواباً لسؤال سائل^(١) وهذا ما يقوله فى ذلك .

وبعد : كسانا الله وإياك لباس
التقوى ، وزحزحنا بمنه عن نار الشهوات
والهوى ؛ فإنك سألتنى أن أقيد لك على كلام
الإمام أبى عبد الله محمد المهدى رحمه الله تعالى
فى المرشدة ما يحل سماعه ويروق دليله ،
فأجبتك إلى ذلك مستعينا بالله ، وعادة لا يهتم
الناس بأى كتاب ويشرحونه إلا إذا كان
متداولاً مقروءاً ولو بين طبقة خاصة وأهل
ناحية معينة .

ويقول : هذا الشارح بأثر العبارة السابقة
ولما اجمعت على صحة هذه العقيدة لا غير وأنها
مرشدة رشيدة ولم يترك المهدى أحسن منها

(١) يشير هذا الشارح إلى أن هناك من
شرح المرشدة غيره ، فقد جاء فى أثناءه عبارة
تقول (نقل بعض من شرح هذا العقيدة .) إلخ

بنى أن نشير إلى أن أبا سالم العياشى نقل في رحلته خلاصة كلام السبكي في الرد على العلائق على أنه من الفوائد التى علقها من الطبقات الكبرى ولم يعقب عليه بكلمة .

ونقول: إن اسم المرشدة مأخوذ على ما نعتقد من قول صاحبها في إفتتاحها: (اعلم أرشدنا الله وإياك) وقد وقفنا على ست نسخ من المرشدة تماثل فيما بينها إلا واحدة منها هى نسخة مجموع أعز ما يطلب . وسنبين ما فيها من الخلاف تعليقا :

(الأولى) نسخة الطبقات (الثانية) نسخة أعز ما يطلب (الثالثة) نسخة الحلل الموسية فإن هذا الكتاب أثبت المرشدة من جملة ما أثبتته من كلام المهدى (الرابعة) نسخة كتاب سعادة الدارين للنهائى فإنه أيضا أثبتها معجبا بها (وهذه النسخ الأربع كلها مطبوعة (الخامسة) نسخة الشرح الذى تحدثنا عنه ، وهى أصح النسخ فى نظرنا لأن ألفاظها مفسرة مشروحة فهى بعيدة عن الخطأ والتصحيح (السادسة) نسخة مخطوطة من الحلل الموسية خاصة . فالجميع سمى نسخ اثنتان منها مخطوطتان . قابلنا جميعا وأخرجنا منها النص الآتى :

أعلم، أرشدنا الله وإياك ، أنه يجب على كل مكلف أن يتعلم أن الله واحد فى ملكه ، خلق العالم بأسره : العلوى والسفلى والعرش والكرسى والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما ،

وقد نقلنا هذه العبارة المبينة لكلام ابن تومرت قصداً لتصحيح الخطأ الذى وقع فيه السبكي أثناء ترجمته للمهدى . فإنه بعد ذلك الدفاع المجيد الذى نفى عنه ما رى به من الاعتزال عاد فرماه به هو نفسه فى الترجمة التى عقدها له فى الطبقات قائلا: (ثم صنف لهم تصانيف فى العلم : منها كتاب سماه أعز ما يطلب وفى عقائد على مذهب الأشعرى فى أكثر المسائل إلا فى إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة فى نفيها) .

وها نحن أولاء نرى أن المهدى لا ينفى الصفات وأنه يقول: (جميع الخلائق مقهورون بقدرته) وعلق شارحه على ذلك بقوله: إنه رد على المعتزلة الذين ينكرون الصفات . فيظهر أن السبكي لم يتأمل المرشدة على الرغم من كونه أورد نصها فى الطبقات ، ونفى عنه الاعتزال فى رده على العلائق ، وقال فى المرشدة: ليس فيها ما ينكره سنى يعنى أشعرى . فلعله ذهل عن هذا الاتهام الذى ضمنه ترجمة المهدى التى هى فى نظرنا ترجمة منصفة لو خلت من هذا التناقض (١) .

(١) وجاء فى الشرح أيضا ، تعليقا على قول المرشدة ، (ليس عليه حق ولا عليه حكم) ما يلى : (وفى هذا رد على المعتزلة القائلين بمراعاة الصلاح والأصلح ووجوب الرزق) ولم ننقله فى الصلب لأن كلام السبكي قاصر على اتهام المهدى بنى الصفات .

لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق ولا عليه حكم، وكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا كل ولا بعض ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف كان، كان ولا مكان [١] كون المكان [٢] ودبر الزمان لا يتغير بالزمان ولا يتخصص بالمكان ولا يشغله شأن عن شأن [٣] ولا يلحقه وهم ولا يكفيه عقل ولا يتخيل في الذهن [٤] ولا يتمثل في النفس ولا يتصور في الوهم ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، جل عن النظر والشبيه (٥) وليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

عبد الله كتبه

- (١) سقطت (كان) هذه من نسخة الطبقات وسقطت الجملة كلها من نسخة النبهاني .
- (٢) في نسخة الطبقات والنبهاني كون الألكوان .
- (٣) ثبتت هذه الجملة في نسخة الطبقات فقط .
- (٤) في الطبقات، وأعز ما يطلب: لا يتخصص. وفي النبهاني: لا ينحصر. وفي الحلل: لا يتحصل. وأثرنا ما في نسخة السرح لدقتها .
- (٥) انفردت النبهانية بهذه الجملة وهي في نظرنا مناسبة هنا .

جميع الخلائق مقهرون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه (١) ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك، حتى يقوم لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا، يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، فعال لما يريد قادر على ما يشاء له الملك والغنى (٢) وله العزة والبقاء وله الحكم والقضاء وله الأسماء الحسنى (٣) لا دافع لما قضى ولا مانع لما أعطى يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء [٤]

- (١) تختلف هنا نسخة أعز ما يطلب فتقول: ليس له قبل ولا بعد إلى قوله ولا كل ولا بعض. ثم تقول: لا يتخصص في الذهن إلى قوله وهو السميع البصير. ثم تعود إلى ما هنا من قوله ليس معه مدبر. وقد اعتمدنا ما في بقية النسخ .
- (٢) في كل النسخ والغناء بالمد وهو تصحيف.
- (٣) في نسخة السرح: وله الحمد والأسماء الحسنى، وشرح عليها. ولكنها زيادة لا توجد في بقية النسخ .
- (٤) سقط من نسخة أعز ما يطلب قوله: يفعل ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء وهو ثابت في بقية النسخ .

الإسلام والكرامة الإنسانية

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

مما لا ريب فيه أنه بقدر ما تتوالى الوثبات التقدمية في المدنية ، وبقدر ما تشعر المرم بالواجبات التي تفرض عليه وتلق على عاتقه ، كالواجبات الأسرية والاجتماعية والسياسية بأنواعها ، لا يستطيع أن يتخلى عن أن يدرك في الوقت ذاته فكرة رفيعة عن نفسه ودوره في الحياة ، وعن قيمته كفرد منحت السماء نعمة العقل والتفكير بغض النظر عن منزلته الاجتماعية وثروته ومولده .

ومما لا ريب فيه أيضا أن هذا الشعور هو الذي يدفعنا إلى إعلان استحقاقنا للاحترام أمام أنفسنا قبل كل شيء ، ثم إلى المطالبة بالظفر به لدى الآخرين ، ولكن لا بدافع الأنانية ، بل بدافع احترام الإنسانية المثالية في أشخاصنا .

هذه المشاعر العالية كلها كانت مجهولة في الغرب إلى عهد قريب ، ولم تنتعش وتقو إلا منذ القرن الثامن عشر الذي أطلق عليه في أوروبا اسم « عصر الانوار » ويحمل « كانت » هذه الأحاسيس بتعمقه المؤلف فيقول :

إليه على أنه موضوع للأخلاق العملية ، لأنه من هذه الوجهة لا يمكن أن يعتبر وسيلة لاية غاية من غايات الآخرين ؛ بل لاية غاية من غاياته هو . ولكن يجب أن ينظر إليه على أنه غاية في ذاته ، أى على أنه يحتوى على كرامة محترمة ، وقيمة مطلقة نابعة من ذاته نفسها . وعن طريق هاتين الصفتين الرفيعتين ، يلزم كل الكائنات العاقلة باحترام شخصيته ، وهما اللتان تسمحان له بأن يقيس نفسه بكل واحد منهم ، وبأن يعتبر نفسه معهم على قدم المساواة . (نظرية الفضيلة) .

وأيا ما كان ، فإن هذه المشاعر - ولو أنها شخصية محضة - كانت لها نتائج اجتماعية خطيرة الأثر ، لا سيما عندما تخلصت من غواشى العوامل الآخر ، وأصبحت واضحة لانشوبها أية شائبة أجنبية ، إذ جعلت تتعطف شيئا فشيئا نحو الحرية ونحو العدالة التي تحقق احترام حقوق الجميع على صورة يطبعها النمو ، ويميزها الاطراد . وما زالت تسير على هذا النحو حتى نشأ منها النظام الديمقراطي الحديث الذي يبدو أنه هو النظام الوحيد الذي يتفق مع مطالب الكرامة البشرية .

« إن الإنسان هو فوق كل تقدير حين ينظر

عنى القرآن فى كثير من آياته عناية فائقة بأن يوقظ البشرية ، وأن يغرس فى نفوس أفرادها بلا استثناء شعورا واحدا شاملا ، مؤداه أن العزة والكرامة متأصلان فى عنصرهم الأساسى ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فتعوا له ساجدين ، (آية ٢٩ من سورة الحجر) . ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للبلائكة اسجدوا لآدم ، (آية ١١ من سورة الأعراف) . « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، » (آيتا ٧٢ و٧٣ من سورة ص) . « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، » (آية ٧٠ من سورة الإسراء) .

ولم يقتصر البارى جل وعلا - بإزاء هذا الإنسان - على تكريمه وتفضيله اللذين أشرنا إليهما آنفا ، بل تفضل عليه بخلقه فى أحسن صورة ، وسواه أحسن تسوية وكذلك تكرم عليه بأن يخضع له كثيرا من خلقه إخضاعا واقعيّا وأن يسخره له تسخيرًا فعليّا ، وأن يجعل بعض مبدعاته الباهرة وسائل لغاياته وأهدافه ، بل لسعادته وهنائه ، وأن ينهبه إلى ذلك كله ليشعره بقيمته ، ويخطر به مكانته « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميرون ، ينبت

ومن ميزات هذا العصر الراهن أن المناداة بالديمقراطية تكاد تصم الأذان ، وأن الجميع لا يكفون عن التحكك بها . ولكن هذا من جانب الأثرية الساحقة من الغربيين نظرى فحسب ، بل هو رياء ونفاق ، لأننا نشاهد أن الاستعمار والتسلط فى كل ساعة من ساعات النهار والليل يدوسان بأقدامهما الحديدية تلك الديمقراطية المسكينّة بالرحمة ولا إشفاق ، بل دون أدنى علامة من علائم الإنسانية .

ومما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد ، أن أعنف المقاومين الآن لهذه الإهانات الماثلة فى الاستعمار هم المسلمون الذين عندما استيقظوا من سباتهم الذى ألقى بهم فيه استعمار قديم ، ونفضوا عن أنفسهم غبار السنين ، لم يجدوا أقل عسر فى استكشاف الكرامة الإنسانية بمزوجة بكل مبادئ دينهم وتعاليمه . ومن ثم فإن المسلمين لم يكونوا فى حاجة إلى التنقيب عن هذه الكرامة وتلك العزة فى أصول دينهم ، بل لم يكونوا فى حاجة إلى كثرة التأمل فيه لاستخلاصهما منه ، إذ أن الوحي الإسلامى قد وضعهما للجميع دفعه واحدة ، وفى نور وضاء متألّى . « والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . (آية ٨ من سورة : المنافقون) .

ولذلك أجمع المسلمون وغير المسلمين من الذين درسوا الإسلام ، على تقرير أنه دين الكرامة والعزة بأكمل هذين المعنيين . ولقد

ودفعتهم إلى التنقيب عن أسبابها ، فآلفوا - بعد الدراسة الدقيقة - أن في مقدمة هذه الأسباب ذلك الشعور بالكرامة الذى يغرسه الإسلام في نفوس معتنقيه ، والذى يمثل في حياتهم الفردية والاجتماعية أهم الأدوار وأجدرها بالعناية والاعتبار . ولم يفت أولئك المؤلفين من الرحالة أن يسجلوا في كتبهم أن هؤلاء المهتمين الجدد إلى الإسلام يدركون ويقدرون صعودهم المتواصل على درجات السلم الاجتماعى ، فمن ذلك تلك المحاضرة الشائقة التى ألقاها الأستاذ الفرنسى « شيليه » في دكار عام ١٩٥٩ والتي يقول فيها ما يلى : « إن الإسلام يمثل - بالنسبة إلى الفرد الذى يتخلص من تأثير القبيلة - تماسكا رفيعا ومستوى من الحياة عاليا ، وثقافة سامية وجوازا مشروعا للرحيل إلى أى مكان ، وللتغفل في أجناس آخر » .

وكذلك الأستاذ « روندو » مدير الدراسات العليا في أفريقيا وآسيا الحديثتين يسجل في كتابه « الإسلام ومسلمو اليوم » ما نصه :

« إن تقبل الامة الإسلامية للمهتدى الجديد تام ، فهى تمنحه الشعور برقيه الاجتماعى ، وفوق ذلك ، فإن العامل أو التابع لآى رئيس مسلم ، يتحرر في رحوبة من انخفاضه

لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . » (آيتا ١٠ و ١١ من سورة النحل) . « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، (آية ٢٠ من سورة لقمان)

وعندما أحس المؤمنون الذين اهتدوا إلى الإسلام بهذه الكرامة التى نبأهم بها القرآن والأحاديث القدسية والنبوية ، كان لها على نفوسهم وقع عظيم الأثر . ومن يريد التحقق من هذا التقدير لدى المسلمين ، وأثره في نفوسهم ، فلينظر مثلا إلى مسلمى إفريقيا المركزية ، وليقرأ كتب الرحالة الأوربيين فى أوصافهم لسكان هذه الأصقاع ، فهم يتحدثوننا عن مقدار ما أحدثه هذا الأثر ، ولا يزال يحدثه من تدفق هذا القسم من البشر على الإسلام جماعات وأفواجا بسبب ما وجدوه فى مبادئه من العزة والكرامة والعدالة والمساواة . ولقد وصفت جريدة « الموند » الفرنسية هذا التدفق فنشرت فى ١٦ يناير من سنة ١٩٥٧ « أن عدد المسلمين فى إفريقيا ، قد زاد فيما بين سنتي ١٩٣١ و ١٩٥١ من أربعين مليونا إلى ثمانين مليونا ، وأن الأرقام تزايدت فى كل يوم » .

ولقد افتت هذه الزيادة المطردة أنظار الباحثين الغربيين الذين لا يكتفون عن الملاحظة،

أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، (آيات ٤ و ٦ من سورة التين) ، « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » ، (آية ١٧٩ من سورة الأعراف) .

ونحن إذا نظرنا في الأخلاق الحديثة نظرة فاحصة ، ألفتينا أنها تشارك القرآن في وجهة نظره هذه ، دون أن تعرف ذلك ، إذ أن كل الذين يسيثون إلى الكرامة البشرية كاللصوص والفجار والسكيرين والجشعين والقساء الذين يعدون على إخوتهم في الإنسانية فيصيبنهم في حياتهم ، أو في حريتهم أو في ثروتهم ، هي تحكم عليهم بالسقوط المعنوي ، وتدينهم بالانفصال عن كل ما يربطه الحالة البشرية ، بالنبل والرفعة .

وما يزيد هذه الفكرة إيضاحاً أننا إذا أردنا أن نتحدث اليوم مع أحد المعاصرين باللغة التي تتفق مع زماننا هذا ، فإنه يجب علينا أن نتحدث معه عن الظفر بالكرامة الإنسانية عن طريق الكفاح ضد الظغيان والاستعمار لنيل الحريتين : الداخلية والخارجية ، وعن طريق العمل المشرف الذي يعيد للأنامى عزتهم التي أساءت إليها البطالة الناشئة عن الاعتماد على الغير ، والتي

البدائي بمجرد اعتناقه الإسلام الذي يعلم المساواة الأساسية بين جميع المؤمنين دون أى امتياز جنسى ، وأن حياته المعنوية تتغير تماماً عند ما يدخل في الأمة . ومنذ تلك اللحظة ينقطع عن أن يكون وحيداً منعزلاً ، (ص ٤٦ من الجزء الثاني) .

وهكذا يكشف الإسلام للمبتدى الجديد كرامته كقوة من مهمات كماله الاجتماعية متواضعة . ولكن هذا الصعود بالكرامة الإنسانية ، يجعل التعارض مع السقوط وفقدان الكرامة هائلاً حين يترك الصراط المستقيم الذى وضعه الله عليه بكثير من التشريف ، وإذن فعليه وحده أن يحتفظ بتلك المنزلة بوساطة تطبيق الفضيلة وملاحظة القانون الأخلاقى القرآنى ، بل القانون الأخلاقى لحسب ، لأن جهود الفكر البشرى المبذولة في التنقيب عن الخلقية الفطرية المودعة في الإنسان عن طريق الدين الفطرى قد انتهت بالعشور على القاعدة الجوهرية للقانون الإلهي كما نستطيع أن ندركه حين نوازن بينه وبين الوحي الإسلامى ، ففي الواقع أننا نشاهد في النصوص الإسلامية آيات وأحاديث حازمة حاسمة ، ضد كل من يحرف عن الطريق السوى ويهوى - بسبب فعل الشر - عن منزلته كإنسان ، وهكذا نجد خليفنا بوصف القرآن : « لقد خلقنا الإنسان في

في هذا الصدد ، وأن تقيس الطريق الذي يجب قطعه قبل الوصول إلى الهدف الأسمى الذي يحقق للأمة الإسلامية كلها تلك العزة المثالية التي نادى بها القرآن في وضوح وجلال مرات عدة ، وعلى صورة متنوعة .

ونحن إذا رجعنا بأفكارنا إلى حقبة السيادة الأجنبية والطغيان الداخلي ، وهي حقبة ليست بعيدة عنا كثيرا ، وإن كانت تبدو لنا الآن - لبغضها وسماحتها - منغمسة في أعماق عهد قد باد وانقرض ، وأصبح في خبر كان غير مأسوف عليه ألبتة . إذا استعدنا إلى أذهاننا هذه الذكرى ، أحسنا برعدة تملك علينا كياننا كله من هول الحكم الذي كان يصدره الناس علينا من أننا إمانيام لا ندرى بما يمر ، بنا وإما أننا مفقودو العزة لانحس بما يجرح كرامتنا ، ويهين إنسانيتنا .

ولقد سألتني رئيس تحرير مجلة « الجيل » مرة بمناسبة أحد أعياد الثورة قائلا :
ما أعظم مكاسب الثورة في رأيك ؟
فأجبت بهما يلي :

إن مكاسبنا في رأيي تتركز على الأخص في الكرامة والعزة اللتين حصلنا عليهما ، وهما تقدمان كل المكاسب المادية ، ولولم يكن للثورة إلا أننا أصبحنا مطلوبين لاطالبيين ، ومقصودين لأقاصدين ، وأصبحنا يؤخذ عنا ولا تأخذ عن أحد . لولم يكن

صارت موضع الفخر والمباهاة لدى « العاطلين بالورثة » ، ولكن ينبغي أن نعلم أنه لا كرامة للرم الذي يعمل دون أن يعرف لماذا يعمل أو بعبارة أوضح : لا كرامة لمن يعمل بلا غاية ولا هدف ، فيكون مثله كمثل الأنعام أو هو أضل سبيلا . وإنما يجب أن يتخذ العمل معنى خاصا ، ودلالة محددة أو بالحرى يجب أن يصير العمل لوجه الوطن العزيز المحبوب الذي يتحقق فيه مقر اشتراكية معتدلة كتلك الاشتراكية التي حققناها الآن في مصر بعد أن انتزعنا عناصرها كلها من قانوننا الأخلاقي الإسلامي الذي يدين في قوة عناية جميع الذين يصيبون الإنسان في حريته وكرامته أو يعتدون على أي شيء يخصه :
« ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ،
(آية ١٩٠ من سورة البقرة) .

يبد أننا - مع الأسف الشديد - نشاهد أن إخواننا من الأمة الإسلامية ، لم ينتهوا بعد من التخلص من تلك السيادة البغيضة التي تعمل في نشاط على تحليل أخلاقهم ، وتفكيك روابطهم ، وتحطيم وحدتهم ، وتسببهم تحت سيطرتها الاستغلالية المفسدة . ولأريب أننا نحن الذين قد تخلصنا من هذه الرواسب المخجلة - بوساطة ثورتنا الراهنة - والله الحمد أولا وأخيرا ، نستطيع وحدنا قبل الجميع أن نقدر وزن الكفاح الذي ينبغي القيام به

« يوجد من بين هؤلاء الشبان المسلمين والاقباط الذين يتخرجون في المدارس ، كثير من العقليات الممتازة ذوات الذكاء الرفيع ، وكنت أود أن أهتف بهم قائلاً : اعملوا على تحقيق رد الفعل قبل أن تفوت الفرصة ، ودافعوا عن أنفسكم ضد الغزو المفتت المذيب ، واحتقروا هذه « البضائع » الغربية الرديئة التي يغرقونكم فيها بعد ما تبور وينصرف الناس عنها عندنا (١) . وحاولوا أن تحتفظوا بتقاليدكم ولغتكم العربية الجديرة بكل إعجاب ، لأن الأمر يتعلق بكرامتكم القومية ... لأنكم شرقيون (ولأنني أنطق باحترام هذه الكلمة التي تتضمن ماضياً ذا حضارة فضجت قبل الأوان وعظمة نقية) بينما أنكم — بعد بضعة أعوام — إذا لم تأخذوا حذركم ، سيجعلون منكم سمسارة أفاكين لا تنشغلون إلا بتقييم أثمان الأرض ، وارتفاع أسعار القطن ...

(١) كان بيرلوتي — بهذه العبارات الخالدة — كأنه يقرأ من وراء حجب الغيب ما سيحدث في النصف الثاني من القرن العشرين بإزاء الوجودية السارتريّة الملهمة التي أصبح السطحيون المتحللون من المصريين يتعلقون بها بعد أن ماتت ودفنت في مهدها ، أو أصبحت خلقة بالية مهلهلة على أقل تقدير .

للثورة غير هذا لكني ، لأنني لا زلت أذكر كيف كان وزراؤنا يحجون إلى لندن في كل عام ليستجدوا من انجلترا مقاعد الوزارة ، أو ليستعدوها على الملك الظالم إلى حد أن مستر (إيدن) سئل مره في مجلس العموم : لماذا تحتقرون الوزراء المصريين ؟ فأجاب بقوله :

« ماذا نصنع لو وزير حقير ذليل إذا رأى انجليزاً يخفض رأسه حتى كاد طربوشه يلمس الأرض ؟ فهل نحن إلهة بمنحه الكرامة ؟ ، . وها نحن أولاء — بعد تلك العهود المظلمة — نسترد كرامتنا كاملة ، وهى الشئ الوحيد الذى يميز الإنسان على كل ما عداه من الكائنات الأخرى .

ومن تداعى المعانى في هذا الشأن أن مطالعتنا في المؤلفات الأوربية ، تعيد إلى ذكراتنا من حين إلى آخر ما كنا نقرأه في العهود البائدة في حزن مرهق وأسى مرير وتدفعنا إلى أن نستعيد الآن — بعد التخلّص من تلك المآسى المقيتة — في مرح وسرور ما كان يكتبه عنا بعض الذين يحبوننا من أصدقاء الإسلام الغربيين كالكتاب الروائى الفرنسى (بيرلوتي) حين كان يتأمل في حالة مصر الخاضعة للسيادة الاستعمارية في أوائل هذا القرن إذ يقول في كتابه : « موت فيليه » ما يلي :

تحققت، إذ قد وضعت السماء مصر - بواسطة هذه الثورة المباركة - على رأس البلاد الإسلامية والعربية . وليست هذه المكانة بالنسبة إلينا مصدر نخر ومباهاة نستفيد منها المجد والتشريف ، وإنما هي مسئولية عظيمة وواجب ثقیل يستدعى التنبه الدائم، والعمل المستمر ، والشعور بجدية الموقف لا على مر الشهور والسنين، بل على مر الأيام والساعات . ولا ريب أن هذا الشعور بالمسئولية، لا يخلو من لذة رفيعة تستوجب بديا شكر البارئ على نعمة هذا الامتياز، ثم تقدير ذلك الزعيم العظيم الذى مننت به السماء على أرض الكنانة والأسرار ، فأثقتها بعون الله وتوفيقه من محالب الاستعمار وعملائه وسماسرته ، والذى يقود هذا الوطن العزيز فى طريق الأحرار الأعزاء وعلى صراط المؤمنين الذين يتخذون الحق نبراسهم والخير غايتهم .

الكنوز محمد محمود

ثم يتحدث عن فلاح مصر فيقول :
« مسكين ذلك الجنس المتين الذى لا يتعب . إنه كان فيما مضى يمتلك نور العالم ، وها هو ذا قد هوى فى نوع من النوم المتهاك الذى يسر مهمة الغزاة فى الماضى والمستغلين فى الحاضر . . . لقد حان الوقت لإيقاظ ذلك النائم منذ عشرين قرنا ، لنرى ما لا يزال قادرا على إعطائه اليوم ، وأية مفاجأة لا يزال يحتفظ لنا بها بعد هذا النوم .
ومهما يكن من شئ - إذا حدث ذلك الاستيقاظ - فإن هذا النوع البشرى الذى هو الآن فى طريقه إلى الانحدار بسبب الإرهاق ، سيجد لدى هؤلاء المغنين على الشادوف والحارثين بذلك المحراث المغرق فى القدم رؤوسا لم تكد تمسها القحول ، ورصيда عظيما من الجمال والاتزان البدنى ، وطاقات قوية بلا بهيمية » .
ولقد كانت هذه العبارات الصادرة من قلب نظيف صديق ، كأنها نبوءة لم تلبث أن

« ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

(الآية ٧٠ من سورة الإسراء)

منهج الرازي في تفسيره للأستاذ علي العمري

أول ما يواجه القارىء في تفسير الفخر المبالغة فيما يمكن أن يستخرج من القرآن ، بل من آية واحدة ، بل من حرف واحد منه .. ما يمكن أن يستخرج من ذلك من آلاف المسائل .

وهكذا يأخذ في تأييد رأيه . وكل هذا يدلنا على الروح التي صدر عنها الرازي في تفسيره ، فقد أكثر من الاستطراد وتصريف الأقوال ، والإبعاد في الجدل والنقاش .

فقد ابتدأ بقوله : (اعلم أنه مر على لسان في بعض الأوقات أن هذه السورة - يريد سورة الفاتحة - الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة ، فاستبعد هذا بعض الحساد ، وقوم من أهل الجهل والغى والعناد) .

ثم أخذ يضرب الأمثلة ، وينتهي إلى قوله : (فثبت بهذا الطريق أن قولنا : «أعوذ بالله ، مشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أزيد» . ويقول : (الباء في «بسم الله ، باء الإلصاق ، وهي متعلقة بفعل ، والتقدير باسم الله أشعر في أداء الطاعات ، وهذا المعنى لا يصير ملخصاً معلوماً إلا بعد الوقوف على أقسام الطاعات ، وهي العقائد الحقة ، والأعمال الصافية ، مع الدلائل والبيانات ، ومع الأجوبة عن الشبهات وهذا المجموع ربما زاد على عشرة آلاف مسألة) .

١ - (فقلنا اضربوه ببعضها) : اختلفوا في ذلك البعض الذي ضربوا به القتييل : ما هو ؟ .

وبعد أن ساق خلافهم في أنه اللسان أو الفخذ النبي أو الذنب قال : ولا شك

بمبلغ ذلك فائدة تقع في دين ، ولا في الجهل به
دخول ضرفيه ، والإيمان بظاهر التنزيل
فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف عليه) .
وكذلك فعل الفخر الرازي :

٢ — ففي ذلك الموضع من تفسير سورة
(يوسف) يذكر روايات عن طريقة بيع
يوسف وعن عدد الدراهم المذكورة في الآية ،
وعن اسم من اشتراه ، وعن اسم امرأة العزيز ،
ثم يقول : (واعلم أن شيئاً من هذه الروايات
لم يدل عليه القرآن ، ولم يثبت أيضاً في خبر
صحيح ، وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف
على شيء من هذه الروايات ، فالأليق بالعاقل
أن يحتز من ذكرها) .

٣ — وفي تفسير قوله تعالى : « وجعلت
له مالا معدوداً » من سورة (المدثر) يقول :
(ومن المفسرين من قدر المال الممدود .
فقال بعضهم : ألف دينار ، وقال آخرون :
أربعة آلاف ، وقال آخرون : ألف ألف)
ثم قال : (وهذه التحكات مما لا يميل إليها
الطبع السليم) .

فهو يزيد هنا مناصرة هذه الأخبار للطبع
السليم ، بعد أن ينفي أنها وردت في كتاب
أو في سنة ، وأن يؤكد أن الآية لم تشر إليها
من قريب ، ولا من بعيد .

٤ — وفي تفسير قوله تعالى : « ويصنع
الفلك بأعيننا » من سورة (هود) يذكر
اختلافهم في صفة السفينة ومساحتها ، فنقائل :

أن القرآن لا يدل عليه ، فإن ورد خبر صحيح
قبل ، وإلا وجب السكوت عنه .

وله في ذلك سلف هو المفسر الكبير محمد
ابن جرير الطبري ؛ فقد أشار إلى ما قاله
الرازي في ذلك الموضع نفسه فقال - أعنى
الطبري - معقبا على اختلافهم في (البعض)^(١)
الذي ضرب به القتيل : (ولا يضرب الجهل
بأى ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به ،
مع الإقرار بأن القوم ضربوا القتيل ببعض
البقرة بعد ذبحها ، فأحياء الله ، وعرف
القاتل) .

ويتعرض الطبري لتحديد بعض المفسرين
(الثمن) الذي يبيع به سيدنا (يوسف) عند
تفسير قوله تعالى : « وشروه بشمن بخس
دراهم معدودة » ، ثم يقول : (والصواب
من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر
أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ، ولم
يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وضع
عليه دلالة من كتاب ، ولا خبر من الرسول ،
وقد يحتمل أنه كان عشرين ، ويحتمل ذلك
أن يكون كان اثنين وعشرين أو أن يكون كان
أربعين ، وأقل من ذلك ، وأكثر ، وأى ذلك
كان فإنها معدودة غير موزونة ، وليس في العلم

(١) يمنع جمهور فقهاء اللغة إدخال (أل)
على كلبة (بعض) ، وقد أجازها بعضهم ،
ويجىء استعمال (بعض) و (الكل) في
عبارات المؤلفين كثيرا .

لكنه قدح ذناب فكره فاستخرجها أو رآها في كتاب سبقه، فرضى عنها، ونقلها في كتابه من ذلك - مثلاً - تعليقه لجعل عدة أصحاب النار (تسعة عشر) فهو يقول في تفسير سورة (المدثر) : (ذكر أبواب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها .

(أحدها) : وهو الوجه الذى تقوله أبواب الحكمة : أن سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعلمية هو القوى الحيوانية والطبيعية .

أما القوى الحيوانية فهى الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة، والشهوة والغضب، ومجموعها اثنتا عشرة .
وأما القوى الطبيعية فهى: الجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة، والغاذية، والنامية، والمولدة،

وهذه سبعة ، فالمجموع تسعة عشر .
فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر (١) لاجرم كان عدد الزبانية هكذا .
(وثانيها) : أن أبواب جهنم سبعة ، فسته منها للكفار ، وواحد للفساق ، ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة : ترك الاعتقاد ، وترك الإقرار ، وترك العمل ، فيكون لكل باب من تلك الأبواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر .

(١) تعريف الجزء الأول من العدد المركب إذا أريد تعريفه هو مذهب البصريين، أما السكوفيون فيعرفون الجزأين .

كان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها خمسون ، وطولها في السماء (ارتفاعها) كان ثلاثين ذراعاً ، وأنها كانت من خشب الساج ، ومن قائل : كان طولها ألفاً ومائتى ذراع وعرضها ست مائة () ، ثم يقول : (واعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني ؛ لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها ألبتة ، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً ، وكان الخوض فيها من باب الفضول ، لا سيما مع القطع بأنه ليس هنا ما يدل على الجانب الصحيح .

والذى نعلبه أنه كان في السعة بحيث يتسع للؤمنين من قومه ، ولما يحتاجون إليه ، ولحصول زوجين من كل حيوان ، لأن هذا القدر مذكور في القرآن ، فأما غير ذلك القدر فغير مذكور) .

وبهذا الصنيع الواعى المتزن تجنب الفخر كثيراً من الفضول ، ورسم لمن جاءوا بعده طريقاً قويمًا ينبغى اتباعه في التفسير ، وإن كان بعض المفسرين - بعده - ضرب عن كلام الرازى ، وعن كلام ابن جرير صفحا ، وملاً تفسيره بما لا ينفع العلم به ، ولا يصير الجهل به ضاراً .

والفخر وإن كان بذلك نزه كتابه عن ترهات وأباطيل لاسند لها ، ولا يستسيغها طبع سليم ، دفعه عقله الفلسفى إلى أن يضيف إلى التفسير ألواناً من الغرائب كان يحسن به أن يضرب - أيضاً - عن ذكرها صفحا ،

والطهارة ، ولكل واحد من تلك المراتب الثلاثة نوع خاص من الظلمة) .

أليس يقال في هذه التعليقات ما قاله هو فيمن اختلفوا في (بعض البقرة) أو في (طعام المائدة) أو في (عدد الدراهم) التي يبيع بها يوسف عليه السلام .

أليست عارية مما يؤيدها من الكتاب الكريم ، أو من الخبر الصحيح ، أو من الطبع السليم ؟

على أن في آية : (المدثر) أمراً كان على الفخر ، وعلى كل من وافقه ، أو كان سلفاً له في هذا أن يراعيه ، وهو أن الآية نفسها هرحت بأن ذلك العدد مما لا ينبغي أن يبحث له عن علة في قوله تعالى : (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) .

فالآية واضحة وصريحة في أن هذا العدد لا تعليل له ؛ والفخر نفسه ذكر أن أحد سبب الفتنة في هذا العدد أن الكفار يستهزئون ويقولون : لم يكن . لم لم يكونوا عشرين ؟ وما المقتضى لتخصيص هذا العدد بالوجود ؟

على العمري

وأما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ، ولا بسبب ترك القول بل ليس إلا بسبب ترك العمل ، فلا يكون على بابهم إلا زبانية واحدة ، فالمجموع تسعة عشر .

و (ثالثها) : أن الساعات أربعة (١) وعشرون . خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس ، فيبقى منها تسعة عشر غير مشغولة بغير العبادة ، فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر .

ومن ذلك - أيضاً - تعليله لجعل الشعب ثلاثاً في قوله تعالى : (إلى ظل ذي ثلاث شعب) من سورة : (المرسلات) .

فقد قال : (وثالثها . قال قتادة : بل المراد الدخان ، وهو من قوله : (أحاط بهم سرادقها : سرادق النار هو الدخان ، ثم إن شعبة من ذلك الدخان على يمينه ، وشعبة أخرى على يساره ، وشعبة ثالثة من فوقه) .

(وأقول : هذا غير مستبعد ، لأن الغضب عن يمينه . والشهوة عن شماله ، والقوة الشيطانية في دماغه ، ومنبع جميع الآفات الصادرة عن الإنسان في عقائده وفي أعماله ليس إلا هذه الثلاثة ، فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة ثلاثة أنواع من الظلمات) .

(ويمكن أيضاً أن يقال : هنا درجات ثلاثة : وهي الحس ، والخيال ، والوهم وهي مانعة للروح عن الاستنارة بأنوار عالم القدس

(١) هكذا النص بتأنيث أربعة . الخ

إنسانية الحب في أدب المهجر للأستاذ حسن جاد

الحب في أسمى صوره ، وأوسع معانيه ، وأقدس عواطفه ، عنصر هام من عناصر الحياة عند المهاجرين ، وسمة بارزة من سمات أدبهم . فقد ارتفعوا به إلى سماء الحب الإنساني الصوفي ، الذي يفيض السلام على الكون ، ويفجر السعادة في النفوس ، ويخلع الجمال على الحياة ، ويفتح مغالق الحقائق ، وينير الطريق إلى الله .

أحبوا الطبيعة نباتا وطيورا وحيوانا ، حتى (الدودة الصغيرة) التي يرى ميخائيل نعيمة أنها ليست أقل شأنا من العقبان والنسور ، وليست بالدمية في عين الحياة التي لا تعرف الفروق بين التبر والتراب ، ولا تحرق عوسجة لتغرس مكانها زهرة ، فجوهر الحياة واحد ، وبذرتها متساوية .

وأحبوا الإنسانية كلها : رجلا وامرأة ، محبا ومبغضا ، قويا وضعيفا ، خيرا وشريرا ؛ حبا مطلقا لا يعرف الحدود والفوارق ، متسامحا يتسامى على العصيات والمذاهب .

يقول جبران : « إن المحبة المحدودة تطلب امتلاك القلوب . أما المحبة المتناهية فلا تطلب غير ذاتها » .

ويقول : « أحبك يا أخى ساجدا في جامعك ، وراكعا في هيكلك ، ومصليا في كنيستك ، فأنت رفيعي على طريق الحياة المستترة وراء الغيوم » .

لأنه الحب الرحب الشامل الذي لا يقف عند حب الرجل للمرأة ، ولا يقتصر على التحاب بين الأفراد ؛ بل يرفرف بأجنحته الملائكية على البشرية كلها ، ويغمر بأضوائه القدسية الوجود كله .

لقد اعتنقوا الإيمان بوحدة الحياة والطبيعة والوجود ، فرأوا أن (أصغر ما في الحياة يتم أكبر ما فيها ، وأن أكبر ما فيها يخدم أصغر ما فيها ، وبلغوا إلى قلبها ، فوجدوا الجمال في كل شيء حتى في العيون المتعامية عن الجمال) .

لذلك أحبوا كل ما فيها ، لأنه بهم ولهم ؛ وعشقوا الوجود ومظاهره في الأرض

ويقول نعيمه : « ألا وسعوا أبواب
أرواحكم كيلا يظل أحد خارجا - لا تبغضوا
أحدا من الناس ، وإذا نسجتم كساء لإنسان
خذار أن تنسجوا فيه خيطا واحدا من بغضائكم -
إنما الأرض كلها تحيا فيكم . وإنما السموات
وكل أجنادها حية فيكم ، فأحبوا الأرض
وكل الراضعين من ثديها إن أتم شئتم أن
تحبوا أنفسكم ، وأحبوا السموات وكل
أجنادها إن أتم شئتم أن تكون لكم حياة -
لا تبغضوا الشرير ، وابغضوا الشر - إن
شئتم الخلاص من الألم فعليكم أن تحبوا
ذواتكم ، غير أنكم إن أحببتم كل ما في
الكون إلا دودة واحدة فإنكم ما برحتم
تكرهون ذواتكم بقدر كرهكم لتلك الدودة ،
وسيبقى لكم في كرهكم ينبوع ألم . »

يقول أمين الريحاني : « إن في تلك الذرا
زهرة من أزهار الحب الدائم العميم ، وفي
الحب الدائم العميم تتلاشى العصبيات كلها . »
ويقول وليم كالسفليس : « ما عمر
الأكون إلا المحبة . والقلب إن لم يسع
الدنيا فهو وعاء صغير ، وإن لم يفهم أنغام
الكائنات فهو أوتار ميتة لا تحركها أغاني
الأرواح المتأخية ؛ فليحدث كل جرح
في قلوبكم جرحا . »

ويرى إيليا أبو ماضي أن الحب نور
يكشف حقيقة النفس ، ويهدي الإنسان
إلى الله :

إن نفسا لم يشرق الحب فيها
هي نفس لم تدر ما معناها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي ، وبالحب
قد عرفت الله بل هو نور خالد متجدد :

فالحب نور خالد متجدد
لا ينطوى إلا ليسطع نور
والمحبة عنده توقظ الشعور ، وتضيء
الكون ، وتنبت الزهر ، وتجعل الكوخ
الحقير كونا منيرا ، والسراب الخادع ماء منيرا :
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا

لولا شعور الناس كانوا كالدمى
أحب فيغدو الكوخ كونا نيرا
وابغض فيمسي القصر سجننا مظلم
كره الدجى فاسود إلا شبهه

بقيت لتضحك منه كيف تجهما
لو تعشق البيداء أصبح رملها
زهرا ، وصار سراها الخداع ما
لا تطلبن محبة من جاهل

المرء ليس يحب حتى يفهما
فالمحبة عنوان العقل ، ومرآة الفهم والمعرفة ،
والجاهل الغبي لا يحب لأنه لا يفهم ؛ والحب
عندهم يستوى فيه العدو والصديق ،
بل لا يكون حبا حقيقيا إلا إذا وسع المحبين
والمبغضين على السواء ، ولو لم يثمر من

المحبوبين إلا البغض ، كما يقول نعيمه :

قادت حبي لمبغضيا
لقاء ما قدجنوا عليا

فكان حظى من مبغضيا
 أن عاد حظى بغضا ليا
 وفى هذا المعنى يقول أبو ماضى :
 أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا
 أى الجزاء الغيث يبغي إن همى ؟
 من ذا يكافئ زهرة فواحة ؟
 أو من يثيب البلبل المترنما ؟
 يا صاح خذ علم المحبة عنهما
 لئن وجدت الحب علما قيا
 لو لم تفح هذى ، وهذا ما شدا
 عاشت مذمة ، وعاش مذما
 إنه الحب الإنسانى الكبير فى رحابته
 وسموه ، يسع الكون كله ، ويغمر البشرية
 جميعها ، ويرتفع عن الأغراض ، كما يصوره
 جبران فى (المواكب) :
 والحب فى الناس أشكال ، وأكثرها
 كالعشب فى الحقل لآزهر ولا ثمر
 والحب إن قادت الأجسام موكبه
 إلى فراش من الأغراض ينتحر
 هو الحب الذى يشمل المحسن والمسيء ،
 والصديق والعدو ؛ وينشر جناحه الرحيم
 على البائسين والمحرومين . فكما يقول نعيمه ؛
 « إن رأيتم أعمى وكنتم مبصرين فاعلموا أنكم
 عميان مثله ما لم تعيروه من بصركم بصرا ،
 فما دامت طريقه مظلمة فطريقكم مظلمة ؛
 لأن طريقه وطريقكم واحدة . »

يقول رشيد أيوب :
 وإذا عني رأيت أعمى فقير
 فى طريق باسطا لإحدى يديه
 دق قلبى دقة العطف الكثير
 لضرير ضاقت الدنيا لديه
 ثم نادى الله كالطفل الصغير
 ضع إلهى نظراً فى مقلتيه
 إن قلباً ملؤه الحب الصحيح
 دق حتى رق من فرط الشعور
 هو حى ولئن زار الضريح
 دق يا قلبى إلى يوم النشور
 « إن من يحب يعطف ويرحم من أعماق
 قلبه ، ويندفع ليضمد جراح الإنسانية ؛
 ومن يحب يبذل بسخاء ، ولو كان البذل من
 روحه . من يحب يصبح أكثر من إنسان ،
 بذلك هتف المسيح ، وهكذا يهتف الشاعر
 القروى :
 هو الحب حتى ليس فى الأرض مجرم
 ولا مدمع يجرى عليها ولا دم
 فقل للذى لا يعرف الحب قلبه
 ولم يلف إلا شاكيا يتألم
 أيا صاحبي إن العداة جهنم
 وما فيه من عز لتحلوه جهنم
 ويا صاحبي إن التجهم يقتضى
 من الجهد مالا يقتضيه التبسم
 إن الحب نفحة قدسية من نفحات الخالق

تشع في النفوس ، فتدفع الزارع إلى العمل ،
وتسهر الأم على طفلها ، وتلهم الطير بناء
الأعشاش ، كما يقول ندره حداد :

كما أن أمين الريحاني كان يقول : « لا تنسوا
الإنسانية في نزعتكم الوطنية » .
هكذا تفتتح النفوس الكبيرة بالحب ،
فتحتضن الإنسانية كلها ، وتفعمها بالمحبة ،
وتأسو جراحها ، وتهدهد شجونها ، وتحمل
المشاعل لتثير لها الطريق إلى الحق والخير
والسلام .

ما الحب يا صاح سوى نفحة
قدسية بين الورى تسطع
يحصد الزارع إن أخضبت

في الموسم الأرض التي يزرع
من أسهر الأم على طفلها
صابرة تشقى ولا تضجر ؟
من علم الطير على ضعفها
أن تبني الأعشاش فوق الغصون ؟
أخى ما حرك هذه النفوس

وهكذا نقرأ لجبران :
« تأملت في الطبيعة مليا ، فوجدت فيها
شيئا لا أحده ولا نهاية ، شيئا لا يشتري
بالمال . . . شيئا لا تمحوه دموع الحريف ،
ولا يميته حزن الشتاء . . . شيئا لا توجده
بمحيرات سويسرا ، ولا امتزجات إيطاليا . . .
وجدت فيها المحبة » .

في الخلق من ناس ومن طير
إلا الذي يجري كخمر الكموس
في كل نفس دون أن تدري
دعوه بالحب ، وكم عاشت
أوصله الحب إلى ما أراد
ذا نعمة من نعم الخالق
لولا كان الخلق بعض الجناد

كما نقرأ له : « الحب كوثر تسكبه عرائس
الفجر في الأرواح القوية ، فيجعلها تتعالى
متمجدة أمام كواكب الليل ، وتسبح مترنحة
أمام شمس النهار - الحب معرفة علوية تنير
بصائرنا ، وشعاع سحري ينبثق من أعماق
الذات الحساسة ، وينير جناتها ، فترى العالم
موكبا سائرا في مروج خضراء ، والحياة
حلما جميلا - المحبة هي الحرية الوحيدة في العالم ،
لأنها ترتفع بالنفس إلى مقام سام لا تبلغ إليه
قوانين البشر وتقاليدهم ، ولا تسود عليه
نواميس الطبيعة وأحكامها » .

والحب يرتفع بمستوى الوطنية عندهم ،
حتى يكون الوطن جزءا من الوجود الشامل ،
وتكون الأرض كلها وطننا . كما يقول جبران :
« الأرض كلها وطني ، والبشرية كلها عائلتي
أحب مسقط رأسي ببعض محبة لبلادى ،
وأحب بلادى بقسم من محبة للأرض ،
وأحب الأرض بكليتي لأنها مرتع الإنسانية » .

من حديث الحج في القرآن الكريم للأستاذ محمد الدسوقي

٢ — وقد تحدث القرآن الكريم عن الحج في آيات كثيرة ، بعضها يتعلق بفرضيته ، وبعضها الآخر يتعلق بمناسكه وآدابه ، كما سميت سورة من سور القرآن بسورة (الحج) والكلام عن كل ما يتصل بالحج في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يحتاج إلى بحث مستفيض لا تنفي مقالة واحدة به ؛ لذلك آثرت أن أقصر حديثي على آية واحدة جاءت في سورة البقرة وهي :

« إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم » ؛ لأن هذه الآية الكريمة اختلفت حولها الآراء وتباينت المذاهب ، وهي مع هذا تشتمل على بعض التوجيهات الربانية التي تحض الإنسان على الطاعة والاستزادة منها ؛ ليظل دائماً عارفاً بربه ، متجهاً إليه يرجو رحمته ويطلب مغفرته ويخشى عذابه .

٣ — الصفا والمروة : علامان للجبلين المعروفين بمكة ، ومعنى كونهما من شعائر الله : أنهما من أعلام مناسكه ومتعبداته ، قال الرازي : كل شيء جعل علماً من أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله . قال الله تعالى :

١ — ترد كلمة « الحج » في المعاجم اللغوية بمعنى القصد للزيارة ، ففي لسان العرب لابن منظور ، الحج : القصد ، ويقال حج إلينا فلان : أي قدم ، ورجل محجوج : أي مقصود ، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس : الحاء والجيم أصول أربعة ، فالأول القصد ، وكل قصد حج ، وفي مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، أصل الحج ، القصد للزيارة .

وأما معنى الحج من الناحية الشرعية فهو وثيق الصلة بمعناه من الناحية اللغوية ؛ إذ هو القصد في أشهر معلومات إلى البيت الحرام للنسك والعبادة فرضاً كانت أو سنة ، وقد افترضه الله على المكلف المستطيع مرة في العمر ، وزعم بعض الفقهاء أنه يجب مرة في كل خمسة أعوام ، والصحيح الأول ؛ لما روى عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج . فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع .

بين الصفا والمروة تعظيماً لهذين الصنمين المعبودين ، وكان أهل يثرب لا يدينون إلا دلمنة ، يعبدونها ويهلون لها ، ويعتبرون الطواف بين (أساف) ، (ونائلة) لإشراكها ، ولذا تخرجوا في جاهليتهم من الطواف بين الصفا والمروة .

وأخرج الإمام مسلم في رواية يونس عن الزهري عن عروة بن الزبير أن السيدة عائشة رضي الله عنها أخبرته أن الانصار كانوا قبل أن يسلبوا هم وغسان يهلون (لمناة) ، فتخرجوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، وكان ذلك سنة في آبائهم ، من أحرم (لمناة) لم يطف بين الصفا والمروة ، وأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلبوا فأنزل الله عز وجل في ذلك : « إن الصفا والمروة ، الآية ويروى عن الشعبي أن وثناً كان في الجاهلية على الصفا يسمى (أساف) ووثناً على المروة يسمى (نائلة) فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون : إن الصفا والمروة إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنين وليس الطواف بهما من الشعائر فأنزل الله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ... الآية .

هـ — من هذا يتضح أن بعض العرب ، وهم سكان (يثرب) ، كانوا يتخرجون من الطواف بين الصفا والمروة في الجاهلية ؛ لتعظيمهم

د والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، أي علامة للقربة ، وقال : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، وشعائر الحج والعمرة معالم نسكهما ، وقد سبق تعريف الحج ، أما العمرة فهي : القصد إلى زيارة البيت في أي وقت من العام ، فالفارق بين الحج والعمرة : هو أن للحج موسماً معيناً ، يعتبر موعداً لانعقاد المؤتمر الإسلامي السنوي بخلاف العمرة فإنها تؤدي في أي وقت من العام ، وهي كالحج في جميع أركانه ، غير أنه لا وقوف فيها بعرفة وهي كذلك مثله في جميع السنن والواجبات المتعلقة بهذه الأركان ماعدا ما يتعلق بالوقوف بعرفة من سنن وواجبات . والجناح بالضم : الإثم والتضييق والمؤاخذه . وأصل الطواف المشي حول الشيء والمراد السعي بينهما .

٤ — وقبل التعرض لدراسة هذه الآية نتعرف على سبب نزولها ففي هذا توضيح لبيان مدلولها وإزالة بعض الشبهات حولها . من المعروف أن الحج إلى البيت قديم من زمن إبراهيم عليه السلام ، وكان الطواف بين الصفا والمروة من مناسك الحنيفية دين إبراهيم غير أن الوثنية حينما بسطت سلطانها على شبه الجزيرة العربية ، وضع أهل الجاهلية صنماً على الصفا يقال له : « أساف » وآخر على المروة يقال له : « نائلة » وعدوا الطواف

أولتها عليه ، كانت : لا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها أنزلت في الانتصار . الحديث . .

ثم قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما .

٦ - الطواف بين الصفا والمروة لإذن من مناسك الحج ، وبهذا جاء الإجماع والعمل المتواتر ، وهو عند أبي حنيفة واجب وعند مالك والشافعي وابن حنبل ركن ، والسر في التعبير بنبي الجناح الذي يصدق بالمباح ، الإشارة إلى بيان خطأ المشركين الذين كانوا ينكرون كون الصفا والمروة من الشعائر ، وأن السعي بينهما من مناسك إبراهيم وذلك لا ينافي الطلب الجازم .

قال الإمام الطبري في تفسيره : « فأما قوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما فجاز أن يكون قيل لكلا الفريقين الذين تخوف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي ، وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية على ما روى عن عائشة ، وأى الأمرين كان فليس في قوله تعالى ذكره فلا جناح عليه أن يطوف بهما . الآية دلالة على أنه غنى به وضع الحرج عن طاف بهما من أجل أن الطواف بهما

صنما خاصا بهم واعتقادهم بأن هذا الطواف يعد لإشراكا بإلههم (مناة) ، وكان غير أهل (يثرب) يطوفون بين الصفا والمروة ؛ تعظيما للصنمين اللذين وضعوا فوقهما ، فلما أشرق نور الإسلام ، ودخل الناس في دين الله ، كسرت الأصنام ، وطهرت مكة من معالم الوثنية والشرك ، غير أن المسلمين من الانتصار وغيرهم تخرجوا من الطواف بين الصفا والمروة ؛ لما علق بهما من ذكريات الوثنية ، فضلا عن أنه لم يرد قرآن ولا سنة بإبطال شعيرة الطواف ، وقد ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة ، وقد توجه المسلمون إلى الرسول وسألوه في ذلك فأنزل الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ... » الآية .

وقد توهم بعض الصحابة أن قوله تعالى : « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » أن الطواف بين الصفا والمروة ليس من أركان الحج ، فقد روى البخاري عن عروة ابن الزبير قال : سألت عائشة رضى الله عنها فقلت لها :

أرأيت قول الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » فوالله : ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة . قالت : بئسما قلت : يابن أختي إن هذه لو كانت كما

حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة . حتى إذا انصبت قدماء في بطن الوادي سعى ، حتى إذا صعدنا مشى ، حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا) .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا لما في القرآن ومفسراً لآياته ، فإنه لا جدال بعد ذلك في أن الطواف شعيرة من شعائر الحج ، وليس في تلك الآية الكريمة دلالة على تركه .

وهذا الطواف سبعة أشواط ، ويشترط فيه البدء بالصفا ، والانهاء بالمروة ، ويشترط كذلك الموالاة بين الأشواط ، والمشي للقادر عليه ويسن له الطهارة ، والموالاة بينه وبين الطواف بالبيت ، كما يسن فيه أن يصعد على الصفا والمروة ، وأن يهرول أو يسعى على الأقل بين الميلين الأخضرين - وهما عمودان أحدهما تحت منارة على ، والآخر قبالة رباط العباس - وأن يكبر ويهلل ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدعو بما شاء مستقبلاً الكعبة على الصفا والمروة .

٨ — والطواف بين الصفا والمروة مأخوذ

كان غير جائز بحظر الله ذلك ، ثم جعل الطواف بهما رخصة ؛ لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت ثم رخص فيه بقوله : « فلا جناح عليه أن يطوف بهما » .

فكل ما يدل عليه التعبير القرآني هو أنه لا إثم على من فعل الطواف ، وهذا القدر مشترك بين الفرض والسنة والمباح ، فلا وجه إذن للاستدلال به على أن الطواف بين الصفا والمروة ليس من أركان الحج .

٧ — أما قول السيدة عائشة رضي الله عنها: (وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما) فإنه لا ينهض دليلاً على سنيته ، بمعنى عدم توقف إتمام الحج على أدائه ؛ لأن السنة في لسان الحديث معناها الطريقة التي كان يسير عليها الرسول الكريم ، وهي تشمل الفرض وغيره ، وقد بينت السيدة عائشة نوع السنة بقولها . عقب ذلك مباشرة : « فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما » وهذا يدل على أن السيدة عائشة إنما تريد بقولها « سن » معنى « شرع » ولا يمنع مانع لغوي من ذلك .

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » . أبدأ بما بدأ الله به . فبدأ بالصفا فرقى عليه

كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها ، وأنبع لها (زمزم) .

فالساعي بين الصفا والمروة ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه ، وصلاح حاله ، وغفران ذنبه ، وأنه يلتجئ إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم ، وأن يثبت عليه إلى نماته ، وأن يحسوله من حاله الذي هو عليه - من الذنوب والمعاصي - إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة ، كما فعل (بهاجر) عليها السلام .

٩ - وأما الشطر الأخير من الآية وهو : « ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم » . فعناه أى ومن أكثر من الطاعة بالزيادة على الواجب فإن الله يجازيه على الإحسان إحساناً ، وهو العليم بمن يستحق هذا الجزاء .

ولبعض المفسرين والفقهاء آراء في معنى هذا الشطر من الآية ، فيرى بعضهم أن المقصود بالتطوع هنا ، التطوع بالحج والعمرة بعد أداء الفريضة ، ويرى آخرون أن التطوع مقصود به أن الطواف سنة ، وليس من الأركان ، ولكن مثل هذا التأويل - فيما أرى - ليس سديداً ، فالآية عامة في التطوع بعمل الخير أيًا كان نوعه ، فلماذا نحصرها على معنى معين لا ينهض دليل على قبوله؟ على أن في هذا

من طواف السيدة (هاجر) أم سيدنا إسماعيل عليهما السلام ، فقد روى أنه لما تركت أم إسماعيل ، ومعها ابنها الرضيع في ذلك المكان الذي لا زرع فيه ولا ماء ، جعلت ترضع إسماعيل وتشرب من ماء كانت تحمله في السقاء فلما نفذ الماء عطشت ، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر : هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، ونظرت : هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، (فذلك سعى الناس بينهما) ؛ أما السيدة (هاجر) فإنها حين أشرفت في المرة السابعة على المروة سمعت صوتاً ، فتسمعت فإذا هي بالملك عند موضع (زمزم) ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء .

قال ابن كثير : لما ترددت (هاجر) في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة ، تطلب الثوث مناته ، متدلة خائفة ، مضطربة ، فقيرة إلى الله عز وجل ، كشف الله تعالى

السحر وتشجع على عمل الخير، وتبعث في الهمة روح النشاط والثاب والكفاح الدائب، وإهمال هذه الكلمة قد يدفع إلى الكفران بالقيم الإنسانية، وتثييط الهمم الخيرة، فلا يقدم لإنسان على إحسان، وتشجيع في المجتمع روح الأثرة والفردية وتكون المنفعة الذاتية هي معيار العلاقات الاجتماعية، والمجتمع الإسلامي بقيمه الخالدة، وفضائله الكريمة لا يعرف أثرة بين أفراد ولا جحوداً لمعروف مهما يكن مقداره.

١٠ — وبعد: فالحج موسم سنوي يلتقي فيه المسلمون على كلمة الله؛ ليشهدوا منافع لهم، وليذكروا اسم الله في أيام معلومات، وهذه آية من كتاب الله تتعلق بشعيرة من شعائر الحج والعمرة عرضتها ودرستها بقدر ما أتيج لي من توفيق في ذلك، والله أسأل أن يرعى حجاج بيته وزوار حرمه وأن يجعل هذا اللقاء السنوي بين المسلمين خيراً وبركة على العالم الإسلامي والبشرية جمعاء ٩

محمد المصطفى

المحرر بمجمع اللغة العربية

الجزء من الآية إشارة إلى فضل الله السابغ، ورحمته التي وسعت كل شيء، وكرمه الذي لا يعد له كرم، فאלله تبارك وتعالى فرض علينا الفرائض لمنفعتنا وسعادتنا في الدارين، وهو سبحانه غنى عنا وعن عبادتنا، ونحن الفقراء إليه، غير أن الآية الكريمة تقول بأن الله شاكر لمن تطوع بالخير، فما أعظم فضل الله، وما أجل نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وما أخلقت بالإنسان وهو يرى نعم الله الجزيلة أن يشكر الله في كل حالة، وأن يعبد ويدكره في كل وقت، وأن يؤمن بأن شكر النعم يزيد الكفر بها ويمحقها ويزيلها، وأن الإنسان إذا تخلى عنه الله فقد باء بالخسران المبين.

وأجمل ما في هذا التعبير من توجيه للخلق الرفيع والأدب القويم والمعاملة الحسنة، هو أن يقدر الإنسان عمل سواه، وأن يسدى إليه الشكر والثناء إذا ما قدم إليه معروفًا، فهذا يبنى التعاون بين الناس قويا متصلا ويظل المجتمع فاضلا مترابطا؛ والنفس الإنسانية فطرت على حب الثناء وسماع كلمة الشكر والتقدير وهذه الكلمة تفعل فعل



أثر المسلمين في الحضارة الإنسانية

التجارة . القانون التجارى . القانون الدولى

للاستاذ الدكتور محمد مختار القاضي

كان للعرب صلات تجارية في العصر الإسلامى مع الصين والهند وأوربا وإفريقيا . وكانت الطرق التجارية بين العرب وأوربا هي طريق جبال البرانس وطريق البحر المتوسط ، وهذان الطريقان كان يسلكهما عرب الأندلس وطريق الفولجا المؤدية إلى شمال أوربا والتي تحتاز روسيا وكان يسلكها عرب المشرق ، وقد فتح الطريق الأخير في القرن الرابع الهجرى . ومع ذلك فقد كانت هنالك صلات تجارية سابقة بين الروس والعرب ، وقد وصف ابن خرداذبة التجارة الروسية مع العرب بقوله : فأما مسلك تجار الروس ، وهم جنس من الصقالبة ؛ فإنهم يحملون الخبز وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومى ، فيعشرهم^(١) صاحب الروم .

وإن ساروا في تنيس ، مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ، ثم يصيرون إلى بحر جرجان ، فيخرجون في أى سواحله

وقد نشأ من ازدهار الجاليات الإسلامية في كثير من البلاد التي تغلب عليها غير المسلمين شأن جعل لهم استقلالاً ملحوظاً في شئونهم ،

(١) مروج : الذهب ج ٢ ص ١٥ .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى : لآدم ميز - ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريذة ج ٢ ص ٣٦٧ الطبعة الثالثة .

(١) يعشرهم أى يأخذ منهم العشر أى الضريبة . وهذا النص ورد في المرجع المذكور ص ١٥٤ .

نقود وجدت كانت مضروبة سنة ١٠٤٠ م ،
وبنو العباس هم أكثر من ذكروا فيها .
وسبب اضمحلال هذا الطريق كان كثرة الفتن
الداخلية في آسيا والاضطرابات السياسية
في روسيا (١) . ولكن أهم سبب يرجع إليه
التقليل من أهمية هذا الطريق هو أنه بسبب
وجود الحروب الصليبية والمعاهدات التي
عقدت بين المسلمين والصليبيين تحولت تجارة
المسلمين البرية عن الطريق السابق إلى تجارة
بحرية عن طريق البحر المتوسط (٢) .

وإذ تحولت التجارة إلى البحر الأبيض
أصبحت البندقية في القرن الرابع الهجري
تمد العرب بخشب السفن ، الأمر الذي جعل
الإمبراطور البيزنطي يحتج لدى الدوق فأمر
الدوق بوقف بيع الخشب للعرب (٣) .

• ولم يكن لأوروبا سلطان على البحر
الأبيض خلال القرن العاشر الميلادي بل كان
بحراً عربياً ، وكان لابد لمن يريد أن يقضى
لنفسه فيه أمراً من أن يخطف ود العرب كما
فعلت نابلي وغيتسه وأما لنى . ويظهر أن
الملاحاة الأوربية نفسها كانت في ذلك العصر

فكان يرأسهم مسلم ، ولا يقبلون حكم غير
المسلمين فيهم ، ولا يتولى حدودهم ولا يقيم
عليهم شهادة إلا المسلمون ، وإن قلوا ، وذلك
مثل بلاد الخزر والسرير واللان وغانة
وكوغة وصيمور (الهند) (١) ،

وكان العرب يرسلون إلى جميع الموانئ
الأوربية المحيطة بهم منتجاتهم الصناعية
والزراعية كالقطن والزعفران والورق
والحرير الغرناطى والجلد القرطبي والنصال
الطليطلية ، والعنبر والفراء والقصدير .

وكانت الموانئ الأسبانية : قادس ومالقة
وقرطاجنة وغيرها مراكز لنشاط تجارى
عظيم على عكس ما هي عليه الآن .

وتدل النقود العربية التي كشفت عنها
أعمال الحفر الحديثة على أن العرب وصلوا
إلى أقصى الشمال من أوروبا ؛ فوصلوا
إلى بحر البلطيق وشواطئ أسوج وفنلاندا
والدانمارك وبروسيا .

ويرى الأستاذ (لوبون) أن بعض الحلى
الموجودة في متحف (استكهولم) على أنها من
مصنوعات اسكندنافية إنما هي قد جلبت
من الشرق ، إذ أن كثيراً من هذه الحلى
ذو طابع شرقى . (٢)

أما الطريق الشرقى البرى فالراجح أنه اضمحل
في القرن الحادى عشر الميلادى ، فأحدث

(١) ابن حوقل ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢) حضارة العرب ص ٥٦١ .

(١) ابن حوقل ص ٢٨١ .

(٢) وهذه الطريق البحرية اضمحلت بدورها
بعد أن اكتشف رأس الرجاء الصالح .

(٣) آدم ميتر - ص ٤٢٣ ويقصد بالدوق
دوق البندقية .

بالتأكيد بعض نظمها القانونية من قوانين العرب كالشركات وغيرها من مسائل القانون التجارى الفنية . وإن المستوى الراقى الذى بلغته تلك القوانين فى بعض نواحيها أثر تأثيرا حسنا فى تقدم الفكر الأوروبى حتى فى غير ما ذكر (أى فى غير المسائل التجارية) ، وبذلك سجلت تلك القوانين فضلها الخالد .

ويقول الأستاذ ليريبور^(١) (بيجويزير) فى مقدمته على شرح القانون الإنجليزى : إن العادات التى أدخلها التجار الإيطاليون فى كل مكان يتكون معظمها من عناصر مستمدة من القانون الرومانى ، ولو أن منها عناصر مأخوذة من عادات العرب أو الأتراك .^(٢)

وفى بحث صغير أجراه العالم (جرسهوف) سنة ١٨٩٩ عن الحوالات المالية ، انتهى فيه إلى أن هذه الحوالات لم يعرفها العالم القديم ، وأن أول من عرفها العرب ، وعندهم أخذتها أوروبا فى القرن العاشر الميلادى عن طريق إسبانيا وإيطاليا . وانتقلت مع هذا النظام الجديد المصطلحات اللازمة ، له وهى

(١) ص ١٥ .

(٢) الواقع أن معظم هذه العادات مأخوذ من العرب ، والقليل منها هو المأخوذ من القانون الرومانى .

على حال يرثى لها من الضعف ، فى سنة ٩٣٥ م استطاعت مراكب عبيد الله المهدي الفاطمى أن تغزو جنوب فرنسا ومدينة جنوه ، وأن تفعل مثل هذا بمدينة بيزا بين عامى ١٠١١ - ١٠١٤ م^(١) .

ولما استرد الصليبيون سردينية سنة ١٠٢٢ م وكرسىكة سنة ١٠٩١ م من المسلمين فتح مضيق مسينا والبحر المتوسط للملاحنة الأوربية ، كما استردت الحرب الصليبية الأولى معنهم الثغور الجنوبية فى البحر المتوسط وربطت أوروبا بشبكة من الطرق التجارية بينها وبين الشرق .

وسمح مركز إيطاليا المتوسط بين الشرق والغرب بأن يكون لثغورها كالبندقية ورافنا وريمين وأنكونا وبارى وبرنديدى وتارنتو وكروتون ورجيو وسالرنو وأملفى ونابلى واستيا وبيزا ولوكا سمح لهذه الثغور بأن يكون لها تجارة مع فلسطين وبلاد المسلمين^(٢) . وقد أثرت الشريعة الإسلامية فى القوانين التجارية فى أوروبا تأثيرا ملحوظا ، ذلك بأن نظرية العقد فى الشريعة الإسلامية تقوم على الرضاية ، بينما كان القانون الرومانى شديد التعقيد ، لأنه قانون يقوم على الشكلية ويقول الأستاذ دوسانتيلانا^(٣) إن أوروبا اقتبست

(١) نفس المصدر ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٢) ول ديورانت مجلد ٤ ج ٤ ص ٧٤ و ٥٤٥

(٣) The Legacy of Islam P. 310

سواحل بحر الشمال وبحر البلطيق وبين المدن الإيطالية في البحر الأبيض ، الاتحاد المعروف بالهانس La Hanse ، وتقررت عادات ثابتة دونت في محررات شهيرة ، فظهرت قوانين أوليرون Law of Oléron, Le Rôle d'Oléron لتنظيم التجارة البحرية على شواطئ الإطلانطى في غرب أوروبا ، وقواعد وزبونفس Leges Wesbumenses في بحر الشمال وبحر البلطيق ، وقنصليات البحر المتوسط Consolato del Mare ، وكانت هذه القواعد أكثرها أهمية ، فبى وحدها التى بحثت في الغنائم البحرية أثناء الحرب ، وأن كانت أصولها الأولى نشأت في رودس من عادات يونانية قديمة ، إلا أنها طبعت لأول مرة في برشونة سنة ١٤٩٤ "١" .

كانت الحروب الصليبية سببا في تقدم التجارة ، وبسببها أيضاً تقدمت قواعد القانون الدولى ، ولم تكن الفكرة السائدة عند الإغريق ولا عند الرومان لتساعد على ما أحرزه القانون الدولى من تقدم .

أما عن اليونان فقد كانوا يعدون أنفسهم أرقى الشعوب و يعدون من عداهم برابرة ، لا حرمة لهم ولا عهد ، حتى إن (هوميروس) في شعره كان يحل لصوصية البحر وأسلاب

إما فارسية وإما عربية ، وما زالت متداولة إلى اليوم ، فكلمة أفال Aval مأخوذة من اللفظ العربى حوالة ، ولفظ شريك فارسى كثيراً ما ذكره الفردوسى (١) .

وقد دخل على اللغات الأوروبية كثير من المصطلحات التجارية العربية مثل كلمة founs أى فندق فيقال fonds de commerce أى محل تجارى وMagazin أى مخزن وهو الدكان . ويعدد الأستاذ (سيدىو) كثيراً من الألفاظ المحرية الأوروبية أخذها الأوروبيون من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط منذ القرن الثامن الميلادى .

وفى محيط القانون الدولى نرى أن الحروب الصليبية ، ولو أنها فشلت فى غرضها الاصلى ، إلا أنها خدمت أوروبا ، فبسببها نمت التجارة وبسببها توطدت روابط الإخاء الدينى بين الدول الأوروبية بوضع المسيحيين تحت سلطة دينية عليا واحدة (٢) .

لقد تقدمت بسبب الحروب الصليبية مبادئ القانون الدولى ، وذلك بسبب نشاط التجارة بين الدول المسيحية ، فنشأ بين أهم

(١) Grasshoff : Das Wechselrecht der Araber, 1899.

وانظر أيضاً ول ديورانت مجلد ٤ ج ٤ ص ٦٩ .

(٢) على ماهر - فى القانون الدولى العام

ص ٦٢ طبعة ١٩٢٤ .

(١) Encyclopaedia Britanica الطبعة

الثانية تحت لفظ Consulate of Sea .

وبتذبيحهم ، وتقتيلهم إن قاوموا بطش
الأمبراطورية ، ومن لم يمت منهم بالسيف
وقع في الرق .

ويقول البارون توبة (١) : إن فضل
العالم الإسلامي في تنمية أو تقدم القانون
الدولي كان عظيما في ناحيتين : ناحية الحرب
وناحية التجارة الدولية .

وأنت لا شك قد قرأت يوما ما عن تعاون
المسلمين مع الصليبيين أثناء الهدنة وإرسالهم
الأطباء لهم ، كالذي فعله (صلاح الدين الأيوبي)
مع (ريتشارد) قلب الأسد ومعاهدات الهدنة
ومعاهدات الصلح والمعاهدات التجارية ،
كل أولئك يؤيد بجملة ما قاله البارون توبة .

محمد مختار الفاضل

(١) محاضرات البارون توبة في المعهد
الدولي بلاهاي سنة ١٩٢٦ (بمجموعة المعهد

ج ١ ص ٣٩١ .

البر ، وكان (أرسططاليس) يرى أن الخائف
أوجد البرابرة ليكونوا أرقاء ، ويعد من
الأعمال الشريفة محاربتهم لسلب ثروتهم
واسترقاقهم (١) .

أما روما فقد ضنت على شعوب
أمبراطوريتها العظمى بأحكام القانون المدني
الروماني ، اعتقادا منها بأن الرومان (أهل
مدينة روما) هم أيضا أرقى الأجناس ،
وأخذت تعامل سكان الإمبراطورية بقانون
الشعوب Jus gentium ، وهو إن كان
يصلح أساسا للقانون الدولي لأنه مستمد من
القواعد المشتركة بين الشعوب ، إلا أن روما
ذاتها ما كانت تعترف لغير سكان
الإمبراطورية بالامتيازات الواردة في هذا
القانون ، فكانت تأمر بمحاربة الشعوب
الخارجة على الإمبراطورية الرومانية

(١) على ماهر - ص ٥٥ .



طبيعة الشعر الجاهلي شعر النساء

لأستاذ كامل السيد شاهين

- ٣ -

ألا هل أتاها على نأيا
بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتي فارس
فردكم فارس واحد
فليت لنا بارتباط الخيو
ل ضانا لها حالب قاعد
الشعر في ذاته ساخر هازي بالغ غاية
الروعة بهذا التهمك على القوم يتهنسون في
خيلاء لا يرون قوة تكسرهم، فيلقاهم فارس
واحد، فيهزم الجمع ويولون الدبر، وبهذا
التنى المرير، وهو أن يكون لغامد بدل خيلها
المرتبطة للحرب معزى وشاء، تروح عليهم
الحلبة فيكون للقبيلة بها لبنا وسمنا ..
وألفينا الخنساء تفدى فارساً من بني جشم
ثأر لها من هاشم بن حرملة، قاتل أخيها
معاوية فتقول:

فدى للفارس الجشمى نفسى
أفديه بمن لى من حميم
أفديه بكل بنى سليم
بظاعنهم وبالأنس المقيم
كما من هاشم أقرت عيني
وكانت لا تنام ولا تنيم

الدماثة على شعر النساء أغلب، غير أنها
تتفاوت من واحدة إلى واحدة تفاوت الطبائع
رقة وخشونة، والجنوح إلى الرقة في المرأة
أمر فطرى، فإن الصبي والصبية يتلقيان من
أهلها ومجتمعها لغة واحدة ولكن الفتاة تميل
بطبيعتها إلى لحن في القول يخالف لحن الفتى،
وميلها إلى الترتم ومط اللفظ شيء مدرك
في كل لغة، وفي كل لهجة ..

ونحن حين نعرض لشعر النساء، ينبغى
أن ننحى الرثاء، فالخزونة بعيدة عنه، في شعر
الرجال والنساء على السواء، وإنما تكون
شواهدنا في مجالات تغلب عليها القوة حتى
يتبين لنا فرق ما بين شعر وشعر، فنحن
نعرض عن رثاء (جليلية بنت مرة) لزوجها
كليب، ونعرض عن رثاء السلوك لولدها السليك،
ونعرض عن رثاء الخنساء لأخويها صخر
ومعاوية. فربما كان مرد السهولة في هذه
المراثى وأشباهها خصوص الغرض
لا خصوص الجنس.

فإذا ما استعرضنا شعر النساء في التحميس
والإهاجة، ألفينا امرأة من غامد تسخر
من قومها حين هزمهم ربيعة بن مكرم وحده،
فتقول:

وأدث ما عرفنا من أشعار الامتنان التي
تشبه في موضوعها موضوع شعر الخنساء ،
قول ربيعة بن مقروم يثنى على مسعود بن سالم
الذي خلصه من الإِسار :

لما تشكت إلى الآين قلت لها
لا تستريحين ما لم أكن مسعودا
ما لم ألاق امرأ جزلا مواهبه

سهل الفناء رحيب الباع محمودا
وقد سمعت بقوم يحمدون فلم
أسمع ببشك لا حلها ولا جودا
ولا عفاقا ولا صبرا لثابته

وما أنبيء عنك الباطل السيدا (١)
لا حلك الحلم موجود عليه ولا
يلقى عطاؤك في الأقبام منكودا

انظر إلى هذا التخلص البارع ، ثم إلى هذا
النفس الطويل المتدفق ، ثم إلى هذا الوشى
الحبرة ثم اقرن هذا إلى كلام الخنساء الذي
رويته أنفا ، لترى فرق ما بين الإِسماح
والكزازة ، وبين السير المرتب في الطريق
المأنوس ، والظلع بين الحصى والجنادل .

...

(ب) وشعر المرأة في الهجاء قليل ،

(١) هو الجد الأعلى للبإدح والممدوح ،
يقول : إن قومنا من آل السيد يعلون
حقيقتك فلا يجوز عليهم الباطل إذ أنا
قصدت ترويحهم .

خصصت بها فتي الأحرار قيساً
فتى في كل مكرمة كريم
والقارىء الكريم يدرك التهافت والركاكة
في هذه الأبيات جملة وتفصيلاً ، ومهما يقل
النقاد في خولة الخنساء ، فإن سقم هذه
الأبيات لا يغفر لشاعرة تنافس الرجال
ولا ترضى إلا أن تعد في ذؤاباتهم .

وقد جمعت الخنساء إلى غشاة المعاني
وتفاهتها ارتباك القافية بتريد المجرى (أى
حركة الروى) بين الكمر والضم .

وليت شعري عن الخنساء كيف طابت
نفسها بمدح هذا الفارس الجسمى ، وتفديته
بنفسها وبأحماها ، وبكل قبيلاتها ، وقد سبق
لها هجاء بين جشم كهن أجمعين ، أن خطبها
دريد ابن الصمة ، ومال أخوها معاوية (لعهد
بينه وبين دريد) أن ينفذ خطبته ،
إذ تقول :-

ولو أصبحت في جشم هديا
إذن أصبحت في دنس وفقر
قبيلة إذا سمعوا بذعر

تخفى جمعهم في كل حجر !
فإذا نحن رجعنا إلى شعر الرجال في
التحميس والإهاجة ، ألفينا لامرئ القيس ،
وتأبط شرا ، والشلم بن عمرو التنوخى ،
وزيادة الحارثى شعرا آخر ينبض بالقوة
والجلالة .

إذا ادعينا أنه هجاء صرف ، فإذا نحن قسناه
إلى ما جاء للنابغة والحطيئة ألقيناه أقصر نفسا
وأخف وقعا ، وألين مسأ .

وأشبه ما جاء من هجاء بشعر أم ثواب ،
قول فرعان بن الأعراف في ابنه منازل :

لربيتي حتى إذا آض شيطنا
يكاد يساوى غارب الفحل غاربه
فلما رآني أبصر الشخص أشخاصا

قريبا وإذا الشخص البعيد أقاربه
تغمد حتى ظالما ولوى يدي
لوى يده الله الذي هو غالبه

وكان له عندي إذا جاع أو بكى
من الزاد أحلى زادنا وأطايبه
وربيتي حتى إذا ما تركته

أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وجمعتهما دهما جلادا كأنها
أشياء نخيل لم تقطع جوانبه

فأخرجني منها سليما كأنني
حسام يمان فارقت مضاربه
أن أعرشت كفا أيك وأصبحت

يداك يدي ليث فإنك ضاربه ؟
والقوة والفحولة في شعر فرعان أبرز ،
وأدعو القاريء الكريم إلى المقارنة بين هذه

القوافي المطلقة في شعر أم ثواب ، وهي
تناسب رنة النياحة ، وبين قوافي فرعان التي
يختتمها بهذه الهاء الساكنة التي نحس معها

مع ضحالة وقصر نفس ، ولقد قرأت في هذا
الباب للخرنق أخت طرفة بن العبد ، هجاء
لعبد عمرو بن بشر إذ وشى بأخيها طرفة
إلى عمرو بن هند فقتله ، قالت :

ألا ثكلتك أمك عبد عمرو
أبا لحزيات واخيت المملوكا
هم ركوك للوركين ركلا
ولو سألوك أعطت البروكا

وهذا كما ترى شعر وضع مسف ، برىء
من متانة اللفظ ، وغارة المعنى ، ولطافة
السخرية . ونظم الحق إذا ادعينا أن شعر
النساء في الهجاء قد جاء كله على هذا النهج ،
فهذه أم ثواب الهزانية ، تقول في عقوق
ابنها ، ولثوم عرسه :

ربيتي وهو مثل الفرخ أعظمه
أم الطعام ، ترى في ريشه زغبا
حتى إذا آض كالفحال شديه

آباره ونقى عن مته الكربا
أنشا يمزق أثوابي ويضربني
أبعد شبيبي يبغى عندي الإربا

قالت له عرسه يوما لتسمعي :
مهلا فإن لنا في أمنا أربا
ولو رأيتني في نار مسعرة

من الجحيم لزادت فوقها حطبا
فهذا شعر غنى بصورة ، مصبوب في قالب
ينزع إلى الفحولة ، ولكننا نظم الحق أيضا

فصوت عاتكة رطب ندى برغم هذه القافية
الموصولة بهاء ساكنة ، ولا يخلو من ثروة
وضيق نفس ، جاءه من هذا البحر القصير ،
أما قول لبيد ففيه الرزافة والثقة ، وفيه
القوة والفحولة ، وفيه العتو والكبرياء ،
وفيه نخامة جشاء تزيده جلالة وهيبة .
كما لا نستطيع أن نقبسه إلى الفخر الندى
نقرؤه لعنترة أو لسلامة بن جندل .

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع
كان الصراخ له قرع الظنايب
وشد كور على وجناء ناجية
وشد سرج على جرداء مرحوب
فهذا من أروع ما يقال في المبادرة ، ولئن
كانت فيها خشونة وقساوة إلا أنها تلك الخشونة
الحبيبة التي يدعوها المقام .

ولقد تعلم أن كثيرا من الشواعر انخرق
عن الطبيعة السوية ، ونزع منازع الرجال
في سلوكهم وعواطفهم ، فأضيق ذلك لونا
مذكرا على شعرهم ، وأخص من تذكره
في هذا الباب الخنساء ، فالمرأة السوية يمنعها
الحياء من أن تقف موقفا شرسا من رجل
جاء يخطبها مهما يكن رأيها فيه ، والخنساء
قد ردت دريد بن الصمة ، وأوجعته هجاء
والمرأة السوية لا تغاضب أخاها لانه يرى
في زواجها رأيا ، وقد رأى معاوية بن الشريد
كفاءة دريد وأراد أن يقف إلى جانبه ،

بالتأوه المكظوم ، لتبين فرق ما بين الرجل
والمرأة في التناول .

(ح) وإذا افتخرت المرأة ففخرها بقومها
وما لهم من شرف ورياسة وبلاء في الحرب ،
وهيبة في النفوس ، وأيام غر .
وشعر الجاهليات متفاوت ، وأمتن ما قرأت
منه قول عاتكة بنت عبد المطلب :

سائل بنا في قومنا
وليكف من شر سماعة
قيساً وما جمعوا لنا
في جمع بان شناعة
فيه السنور والقنا
والكباش ملتجع قناعه
بعكاظ يعشى الناظريه
ن إذا همو لمحوا شعاعه
فيه قتلنا مالكا
قسراً وأسلمه رعاعه
ومجدلا غادره
بالقاع تنهسه ضباعه
ومع سلامة هذا الشعر من الضعف واللين ،
فإننا لا نستطيع أن نقرنه إلى شعر لبيد
إذ يقول :

إنما إذا التقت المجامع لم يزل
منا لزاز عظيمة حشامها
ومقسم يعطى العشيرة حقها
ومغذمر لحقوقها هضامها

دونها خشونة وقساوة ، فإنه عندما قتل أخوها عبد الله ، جنح أخوه عمرو بن معد يكرب إلى قبول الدية من قاتليه ، حسماً للصراع ، فهاج هائج كبشة ، فتحدث إلى قومها بلسان القتل ، تبعث حميتهم ، وتنتهى عن قبول رأى عمرو أخيها ، فقالت :

وأرسل عبد الله إذ حان يومه
إلى قومـه ، لا تعقلوا لهم دى
ولا تأخذوا منهم إفاً ولا أبكراً
وأنزل فى بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمراً إن عمراً مسلم

وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فإن أتم لم تثاروا واتديتمو
فشوا بأذان النعام المصلم
وبهذا الروح المذكر كانت ليلي الأخيلىة .
ففى تجوب الأسواق وتمدح الأمراء وتقصد
دار الخلافة ، وتحدث عن حبيدها توبة بن
الحخير وترثيه ، وليس هذا شأن من احتفظ
بشيمه النساء وطبيعتن .

وبعد ، فإذا ظفرت بشعر نسوى هادر ،
متسم بالفحولة والقوة ، أخذ بنصيب من
طبيعة الرجال ، فانظر حياة الشاعرة لعلها
تنسكب السلوك النسوى الناعم ، وتشبثت
بمنازع الرجولة ، فصدر عنها شعرها
المستحصف . ؟

طامل السيرة شافين

ولكن الخنساء لم تطلق هذا الجنوح وراحت
تسفه أعاها وتبين فياله رأيـه ، والمرأة
السوية لا تخرج إلى الأسواق لتتشداً الأشعار
وتنال شهادة التفوق على الرجال ، والخنساء
كانت تذهب إلى عكاظ ، وتعرض شعرها
على النابغة ، ويقدمها النابغة على سائر النساء ،
فتأى إلا أن تكون أشعر الرجال والنساء ،
فإذا رأينا فى شعر الخنساء شيئاً من القوة
وشدة الأسر فلأنها انسلخت عن طبيعتها ،
وانخرطت فى سلك آخر فاكسبت بعض
خصائصه .

وليست الخنساء فذة فى هذه الناحية . فهذه
ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب قد
كسبت من أهلها ، وكلهم فرسان شجعان ، بعض
روحهم ، فكانت تخرج معهم فى الحروب
حتى أسرها الصمة الجشمى ، وأولدها دريدا
وإخوته ، ولطبيعتها المذكرة ظلت تلح على
دريد فى طلب الثأر لأخيه سبد الله حتى
استقرأ غطفان حياً حياً ثم جاءها آخر الأمر
بذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب . فقتله
بفناء أمه ريحانة ، وقال لها : هل بلغت
ما فى نفسك ؟ قالت : نعم ، متعت بك !
فإذا لم تكن غلظة الرجولة قدمست قلب
هذا المرأة ، حتى زخر بهذا الحقد كله ،
فبماذا عسى أن نفسر هذا الموقف الحاد ،
الذى أسلفناه ؟ .

وما كانت أختها كبشة بنت معد يكرب

تولستوى والوحدانية

للأستاذ محمد رجب البيومي

أن الإنسان جاء إلى هذا الوجود لينبت بالعلم ويشمر بالعمل ولأن تكون ثمرته تعباً تراح به نفسه ، وسعيّاً يبتى به ويرقى جنسه ، وشعراً بالشقاء الذى نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم التى لم يمنحوها إلا ليسعدوا بها فيما كدر راحتهم وزرع طمأنينتهم .

ونظرت إلى الدين فخرقت حجب التقاليد ووصلت إلى حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هناك الله إليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هادياً للعقول كنت بعملك حاثاً للغرائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياءً يهتدى به الضالون كان مثالك فى العمل إماماً يقتدى به المسترشدون ، ويهمننا الآن فى خطاب الأستاذ الإمام ما أشار إليه من جهاد تولستوى فى إزاحة حجب التقاليد والوصول إلى حقيقة التوحيد ، لأن الأدب الروسى العظيم قد درس المسيحية دراسة ناقدة ووازن بين ما تراه الكنيسة الرسمية وما وصل إليه شخصياً من دراسه الإنجيل ، فكفر بكثير من المعتقدات ، ونادى بالتوحيد نداء صريحاً لا يقبل التليخ ، وكان بذلك من حيث لا يعلم

لعل حرية (تولستوى) الفكرية أول سمة تقسم بها شخصيته ، فقد رزق كثير من الكتاب سلاسة أسلوبه وروعة إبداعه ، ولكنهم لم يرزقوا هذا الطموح القوى إلى ارتياد المعرفة ، والولوج باكتناه أسرار الحقائق على وجه يتأى عن الترهات الجدلية ، والباطيل المتوارثة فى الصحف الأثرية دون تمحيص ونقد ! وقد كانت هذه الحرية الفكرية مثار الإعجاب لدى معاصريه من شتى الملل والعقائد والأجناس ، فكثرت أنصاره فى كل مكان يقدر الكرامة الفكرية ويدعو إلى الاستقلال العقلى فى دراسة العقائد والمذاهب ، حتى رأينا عالماً كبيراً كالأستاذ الشيخ محمد عبده يكتب إليه كتاب المعجب المقدر ، ويعلن فى إعجاب وإكبار ما يراه فى حريته حين يقول فى خطابه الشهير إلى المفكر الروسى : أيها الحكيم الجليل .

لم نحظ بمعرفة شخصك ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك إذ سطع علينا نور من أفكارك وأشرقت فى آفاقنا شمس من آرائك ألقت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التى فطر الناس عليها ، ووفقك إلى الغاية التى هدى البشر إليها فأدركت

فبدأ الكاتب الكبير يسأل نفسه عن وجوده في هذه الحياة؟ وعن مصيره المحتوم في نهايتها؟ وقد راعه أن تكون خاتمة الإنسانية على هذا النحو المجهول الفاجع !

وكثير من المفكرين قد أحسوا إحساسه ثم صرفتهم الأيام عن الإيغال في هذا المنحى الدقيق ، فقبلوا الحياة على سننها ولكن تولستوى كان من الحساسية بحيث شأهت الدنيا بعينه ، وأخذ عليه التفكير كل مأخذ ! وقد كتب اعترافاته الشهيرة ليصور حقيقة اضطرابه الخائض في هذه الأزمة الحالكة وليقول في أسى وحرقة بالغين .

هناك خرافة شرقية قديمة عن سائح أقبل نحوه وحش هائج في أحد السهول فلجأ هذا السائح هرباً من الوحش إلى جب ناضب ، ولكنه وجد في قاع الجب غولاً قد فغراه ليلتقمه ، ولما رأى السائح التعس أنه لا يستطيع النزول إلى قاعة مخافة أن يلتهمه الغول فقد أمسك بفرع من النبات انبث من صدع في الحائط وتعلق به ، وأحس بالتعب يدب في يديه شيئاً فشيئاً ، وشعر أنه سوف يسلم نفسه عما قليل لا محالة إلى الهلاك الذي يتربص به من فوقه ومن أسفل منه ، ولكنه لن يزال متعلقاً بالغصن ثم ما لبث أن رأى فأرين أحدهما أبيض والآخر أسود ، وقد دارا حول ذلك

يعلن حكم الإسلام في المسيح كما جاء به القرآن وأثبتته نبي الإسلام ! ولم يعرف عن تولستوى ، وهو الذى احترم الحقيقة العلمية مجردة من التعصب المفض ، أنه في هجومه

المفرط على معتقدات الكنيسة في المسيح عليه السلام كان يصدر عن دافع مفض ؛ بل كان الحق رائده في دروب البحث فإذا التفت بعد هذا الطواف الجاهد مع الإسلام في أكثر حقائقه عن المسيح وعن حقيقة التوحيد فهو التقاء يقابله المسلمون بالبشاشة والترحيب !

لقد نشأ تولستوى نشأة مرفهة ناعمة ، فقد كان سليل لأحدى الأسر الكبيرة المثرية في بلده ، وقد كان كاتباً نابهاً ترن الدنيا بآثاره ، وينال الخطوة الكريمة من صنوة المثقفين في عصره ! وكان الذى يراه في صيدته المدوى وأدبه الخافل وأسرته الشهيرة وثرأه الجهم يحسبه هادىء البال قرير الجفن بما بلغ من الشهرة والجاه والأدب في عالم يهتف باسمه ويتحدث عنه أدباؤه وقراؤه حديث الإعجاب والتقدير ، ولكن الرجل الكبير كان مخدوعاً عن نفسه حين اعتقد في شبابه أنه خلقت للقصص الفنى يلجح موالجه في حلبة الروائيين والقصاص ؛ فإن بذور المفكر المصلح كانت مستترة في البقاع السحيقة من نفسه ، ومرور الأيام يمددها بعناصر البقاء والنمو حتى تجاوزت الأغوار إلى السطح في سن الخمسين

أو حديث وقفات مطيلة يسأله رأييه في الحياة والفناء والغيب والروح ثم ينفى إلى نفسه فلا يجد لدى عباقرة الفلسفة ما يطمئن، فالنظريات تتعارض، والآراء تتصادم ولكن الفلسفة في النهاية تكون واضحة مفهومة حين تبتعد عن مشاكل الحياة المباشرة في رأي تولستوى ولكنها تتعقد وتلتوى وتغمض حين تصل إلى الصخرة العاتية التي تقف في وجه الحياة وهي الموت؟ فاجدواها إذن؟ ثم يترك الأدباء الفلسفة إلى الدين يزور الكنائس، ويناقش الأساقفة ويعكف على الصلاة والصوم، ويقرأ الكتاب المقدس ولكنه بعد ذلك كله يجد أصول عقيدته كما يقرها أساقفة الكنيسة تتعارض مع حرية تفكيره فيتهف من أعماقه هتافه الشهير « اللهم هبني إيماناً قويا آملاً به قلبي وأهدني إليه غيري » !

لقد قرأ الإنجيل كثيرا، ثم تعلم العبرية ليقراء في لغته الأصلية، ولكنه وجد الأساقفة يفسرون نصوصه كما يشاءون ! ويلزمونهم بأفكار وعقائد لا يقول بها صاحب فكر حر متطلع !

وهو لا بد مفند هذه الآراء، ومحطم أصولها الراسخة في أذهان أناس يعتقدون أولا ثم يفهمون الخيالات العائمة كأنها حقائق ثابتة تؤيد الاعتقاد الموروث ؟

الغصن وأخذنا يقرضانه، وأيقن السائح أن الغصن لن يلبث حتى يقطع فيسقط هو في فم الغول، وبينما يرى ذلك ويعلم أنه هالك لا محالة إذ أبصر بقدرات من الشهد على بعض أوراق الغصن، فأخذ يلعبها بأسنانه، يقول تولستوى : وهكذا ألتقي أنا بغصن الحياة وإني لأوقن أن غول الموت يتربس بي وأنه سوف يمزقني كل ممزق، ولست أستطيع أن أدرك لماذا وقعت في مثل هذا العذاب ولقد حاولت أن ألتقي الشهد الذي كان لي سلوة من قبل ولكني لم أعد أجد في الشهد ما يلذني، وما برح الفأران الأسود والأبيض وهما الليل والنهار يقرضان الغصن الذي تعلقت به، ورأيت الغول في وضوح ولم يعد للشهد طعمه الحلو، وليس أمام ناظري إلا الغول الذي لا مهرب منه والفأران ولن أستطيع أن أدير عيني عن ذلك، وليس ذلك حديث خرافة وإنما هو الحق الذي لا ينكر والذي يظن إليه كل إنسان .^(١)

إن عقلا كبيرا يرهقه التفكير في مصيره لا بد أن يتلسأب أبواب الهداية في كل سبيل حتى يجد المظلم المهادى لروحه . لقد أقبل تولستوى على الفلسفة يتبطن مسائلا ويسبر أغوارها، ويقف مع كل فيلسوف قديم

(١) تولستوى ص ٢٧٣ لمحمود الخفيف

القدس وآفة المصائب أن يقوم بالدعوة إليه المرتزقون باسم المسيح المتمتعون بالجاء والمال والآلهة ، وهم يجلسون على كرسي بولس الرسول ! إن المسيحية في خلاصة رأى تولستوى : ليست كما صورتها الكنيسة مجرد تعاليم سماوية نائية عن العقل ! ولكنها دين يخضع للتفكير المعتدل ! وكل ما يشذ عن هذا التفكير بعد عن الإنجيل في لبايه الأصيل ، وإذا كان من المناسب هنا أن ننقل بعض أفكار الرجل في سياقها المطرد فليسمع القراء رأيه في بولس الرسول الذى خلع على المسيح ما لم يكن له . بعد تمهيد يسير تقدم به الأديب الخطير حين قال :

إنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفقهها عليه السلام هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة السكاذبة التى شوهت وجه التعليم المسيحى حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحشنا إلى أيام بولس الذى لم يفهم تعاليم المسيح بل حمله على محمل آخر ثم مزجه بكثير من تقاليد القريسيين ، وتعاليم العهد القديم ، وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم أو رسول الجدل والمنازعات الدينية .

وكان يميل إلى المظاهرات الخارجية الدينية كالختان وغيره فأدخل ميوله هذه على الدين المسيحى فأفسده ، ومن عهد بولس ظهر

لقد عجز الرجل أن يفهم عقيدة التثليث وأعلن ذلك فى كتابه الشهير (نقصد للدين القائم على النصوص !) فكيف يكون الأب والابن وروح القدس إلهًا فى عقل تولستوى ثم كيف يصير المسيح البشر الآكل الشارب المتنقل إلهًا ؟ وإذا كان كذلك فكيف يصبح قدوة للبشر وهو من جنس إلهى وهم آدميون بشريون ! إن النبى يكون قدوة لإنسان مثله يراه يتعذب ويصبر ويجاهد ويكافح وهو ذو طاقة محدودة من عصب ودم ولحم فيهتدى بمثاله ويحتذى حذوه ولكن كيف يهتدى تولستوى بصبر المسيح وكفاحه والمسيح إله وتولستوى بشر ! ؟ ثم ما معنى الفداء ؟ كيف يولد الإنسان مخطئًا دون أن يعمل شيئًا يحسب عليه به ذلك الخطأ ؟

ثم يجىء عيسى فيصلب ليخلص الإنسان من خطأ لم يرتكبه ؟ ولماذا يتحمل تبعة غيره إن كان هناك خطأ ؟ ثم ما هذا العشاء الربانى الذى يدعو إليه الأساقفة كل عام فى إصرار ويقين ؛ فبأكل النصارى الخبز ويشربون الخمر ليتحول الخبز والخمر معا إلى دم يجرى فى جسم المسيح ؟

كيف يعقل هذا ؟ ثم ما المراد بتعميد الأطفال وقسمة الناس إلى أشقياء وسعداء ؟ إن ذلك كله فى منطق تولستوى لا يعد باطلا ونفاقا فحسب ؛ بل هو فسوق وكفر بالروح

اليهود في المجتمع الإسلامي

للأستاذ محمود محمد شبكه

لا نعرف ديناً يحارب التعصب ويبغضه ويحذر منه ، ويدعو إلى السماحة ويجب إلى إليها مثل الدين الإسلامي الخالد ، وإنك لتجد في كتاب الله الآيات الواضحة التي ترسم الطريق

المستقيم وتضع المنهج السليم في معاملة غير المسلمين فنقرأ قول الله سبحانه (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

التعود المعروف بتعاليم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأصلي الحقيقي فخر صفته الإلهية الكالية بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحي التي أولها منذ ابتداء العالم وآخرها في عصرنا الحالي والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وإن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهاً دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار موسى والزبور وأعمال الرسل ورسائلهم وتآليف آباء الكنيسة مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله (١) .

ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما أواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ، ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أأنى يؤفكون .

ولعل هذا بعض ما عناء الأستاذ الإمام حين كتب للفيلسوف الكبير مثنياً عليه حين مزق عن الدين حجاب التقليد ، ووصل به إلى عقيدة التوحيد ؟

هذا رأى تولستوى في ألوهية المسيح ! يلتقي به التقاء صريحاً مع القرآن حين يقول « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح

محمد رجب البيومي

مدرس أول بدر المطبات بالفيوم

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٨٩

للأستاذ محمد أبو زهرة .

للإسلام ، وحقد على أهله فلقد عاش اليهود في ظل العباسيين عيشة كريمة فيها المودة والمحبة والإخلاص وكانوا منتشرين في أنحاء المملكة الإسلامية فقد جاء : في ضحى الإسلام أن بنيامين أحد الرحالة اليهود الذين رحلوا سنة ١١٦٥ م أى نحو سنة ٥٦٠ هـ ذكر أن عدد اليهود في المملكة الإسلامية عند العرب كانوا نحو ثلاثمائة ألف وكانوا منتشرين على نهر دجلة والفرات وفي جزيرة ابن عمرو الموصل وعكبره وواسط وفي بغداد والحلة والكوفة والبحرة ، وفي كثير من بلاد فارس في همزان وأصفهان وشيراز ، وكانوا في غزنة وسمرقند ، وكان في فارس بلدتان تسمى كل منهما اليهودية إحداهما بجرجان والأخرى بأصفهان وكان ببغداد إذ ذاك نحو ألف يهودى وكان فيها درب يسمى درب اليهود وكان أغلب المالين في الشام يهودا واشتهر اليهود بحرف خاصة كالصيرفة ودباغة الجلود والصياغة .

وكان في القاهرة سبعة آلاف يهودى وفي الإسكندرية ثلاثة آلاف وفي الوجه البحرى ثلاثة آلاف وفي الوجه القبلى ستمائة . . . وقد استمتع ذلك العدد الكبير من اليهود في ذلك الجو الإسلامى بالحرية والكرامة بعيدين عن الإكراه والضغط وقد عاشرهم

يحب المقسطين إنما ينهكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . .

فهذه دعوة صريحة إلى البر وحسن المودة والمعاملة الكريمة مع غير المسلمين ماداموا في سلم وتفاهم وألفة ، كما أمرنا الله سبحانه وتعالى باللين والرفق في الدعوة إلى الإسلام ومناقشة المخالفين بالحسنى فقال : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . كما أمر الله نبيه الكريم أن يميز المشرك ويؤمنه إذا طلب الحماية والأمان فقال سبحانه (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) . وتلك سماحة لاتعدها سماحة كما أن طبيعة الإسلام تبدو ظاهرة جليلة في سلوك المسلمين وتصرفاتهم مع اليهود والنصارى في مختلف العصور اتباعا لما جاء به القرآن الكريم وما سنه الرسول صلوات الله عليه . وسنعرض في هذا المقال صوراً في السماحة وحسن المعاملة مع اليهود في عصر العباسيين والفاطميين برغم ما عرف عن اليهود من خسة الطبع ودناءة الأصل وما ركز في طباعهم من حب للقتل وإراقة للدم وما شهر عنهم من كيد

الاعيان : (أنه كان يهوديا من أهل بغداد .
 خيبت إذا مكر وله حيل ودهاء وفيه ذكاء
 وفطنة ، حضر إلى مصر أيام كافور الأخشيدى
 فأعجب كافور بذكائه ودرايته فعيّنه في ديوانه
 الخاص ، ولم تزل منزلته ترتفع وقدره يعظم
 حتى أمر كافور أصحاب الدواوين ألا يتصرف
 شيء من المال ألا بتوقيع ابن كلس ، ثم بلغ
 إعجاب كافور به حدا جعله يقول (لو كان
 مسلما لوليت له الوزارة) فطمع في الوزارة
 فأسلم ، ولما مات كافور وجد الوزير
 ابن الفرات الفرصة المواتية للانتقام
 من ابن كلس فاعتقله ، غير أنه سار مخفيا
 حتى وصل إلى المغرب واتصل بيهود كانوا
 مع المعز وخرج معه إلى مصر ، وولى الوزارة
 للعزیز نزار وعظمت منزلته عنده وأقبلت
 عليه الدنيا واثال عليه الناس ولازموا بابه
 ومهد قواعد الدولة وساس أمرها أحسن
 سياسة ولم يبق لأحد معه كلام .

وتولى الوزارة سنة ٤٣٦هـ للمستنصر بمصر
 صدقة بن يوسف وكان يهوديا فأسلم وكان
 معه أبو سعد التستري اليهودي يدير الدولة
 ويسوس أمورها ، وبعد مقتل التستري أسند
 الخليفة المستنصر ديوان خاصته إلى أخيه
 أبي نصر ، وقد ابنته أحد الدواوين الحكومية
 ولقد كان التستري مكروها لدى المسلمين
 إذ أنه بدأ يقرب أبناء ملته ، ويقلدهم كثيرا
 من المناصب التي في الدولة وقد كانوا بعيدين

المسلمون معاشرة حسنة وأخلصوا لهم ؛
 بل واتخذوا منهم أصدقاء من اليهود :

أما في أيام الفاطميين فقد زاد نفوذهم
 واتسع سلطانهم ووجدوا من الحكام كل عناية
 ورعاية ووصلوا في هذا العهد إلى أرق
 المناصب وأعلاها وملكوا أمور المسلمين
 ولم يكن ذلك التسامح مقصورا على اليهود
 وحدهم بل شمل كذلك النصارى فقد ولى
 العزيز نزار الوزارة عيسى بن نسطورس
 النصراني وجعل منشأ بن إبراهيم الفرار اليهودي
 واليا على الشام فكان واضحاً أن يظهر
 ابن نسطورس ومنشأ الحجابة لليهود والنصارى
 ويشغلوا كثيرا من المناصب في الدولة بعد
 إقصاء المسلمين عنها فازداد سخط المسلمين
 وضجوا بالشكوى وقدموا الاحتجاجات
 على تلك المحاباة التي أظهرها الخليفة لغير
 المسلمين حتى بلغ الأمر بأولئك الساخطين
 أن صنعوا صورة من الورق على هيئة امرأة
 وييدها شكاية فيها ، بالذي أعز اليهود بمنشأ
 والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين
 بك لإلا كشفت ظلامتي ، وأقعدوا تلك الصورة
 في طريق العزيز والرقعة بيدها فلما رآها أمر
 بأخذها فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من
 الورق علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ
 من عيسى ثلثمائة ألف دينار ومن اليهود
 شيئا كثيرا .

أما يعقوب بن كلس فقد جاء في وفيات

المسلمون في مختلف العصور ثقتهم وألقوا
إلهم بالمقاليد بل واثمنوهم على أرواحهم ،
ويكفى أن نعلم أن حاكما من حكام الأندلس
هو عبد الرحمن الثالث كان طيبه يهوديا يسمى
حسدای بن شبروط .

نذكر ذلك كله ثم ننظر ما كان من اليهود
في فلسطين وما ارتكبوا من مذابح سفكوا
فيها الدماء وقتلوا الأبرياء ، وما دنسوا من
أرض طاهرة ، وما شردوا من أنفسهم لم ترتكب
معهم جرما ولم تقترب ذنبا ، ثم نذكر
تحمينهم الفرص للقضاء على العروبة والإسلام
غير عابئين بما قدمه لهم أسلافنا وأجدادنا
من عطف ومودة وإحسان ، وماذا نفعل
في قوم وصفهم أنبياءهم في كتبهم المقدسة
بأنهم: شعب غليظ القلب صلب الرقبة وبأنهم
أبناء الأفاعى وقتلة الأنبياء .

إن المعركة بيننا وبينكم يا أبناء صهيون
لقريبة وفاصلة وعلى الباغي تدور الدوائر
وسوف نلقنكم يا ذن الله درسا قاسيا
لن تنسوه كما قال رئيسنا المقدى: (إن المعركة
بيننا وبين الصهيونية لم تنته بعد بل ولعلها
لم تبدأ بعد فإن لنا ولها غدا قريبا أو بعيدا
نغسل فيه عارا ونحقق أمنية ونسترد حقوقا

محمود محمد شكة

المدرس بدار المعلمين بطنطا

عنها ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل بدءوا
يستغلون مناصبهم في اضطهاد المسلمين وإهانتهم
وإذلالهم حتى دفعت هذه الحالة شاعرا من
الشعراء المعاصرين يسمى الرضى إلى كتابة
هذه الآيات :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم ، والمال عندهم
ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم

تهودوا فقد تهود الفلك
هذه صورة واضحة للتسامح المطلق الذي
وصل باليهود إلى المناصب الكبيرة الدقيقة
في الدولة وأضفى عليهم كل حالات التقدير
وجعل لهم هذه الخطوة الكاملة في نفوس
الخلفاء والرؤساء حتى مكثوا لهم وأطلقوا
أيديهم في أمور الدولة يديرون دفتها ،
ويتحكمون في المسلمين مع أن الخلفاء
الراشدين كانوا يحسنون معاملة أهل الكتاب
ولكنهم لا يسمحون باستخدامهم في شئون
الدولة ، فقد روى أنه ذكر لعمر بن الخطاب
غلام كاتب حافظ من (الخيرة) وكان نصرانيا
فقيل له : لو اتخذته كاتباً ؟ فقال عمر : لقد
اتخذت ، إذا ، بطاقة من دون المؤمنين ، ومع
ذلك استخدمهم المسلمون في أعمال الدولة
من عهد معاوية بن أبي سفيان وأولاهم

فُزْأثر العجرا الذنى على كُتابُ

الحركة الرومانتيكية في إنجلترا

للدكتور محمد سمير عبد الحميد

— ٦ —

تكتشف آخر الأمر عند وصولها إلى بخارى أن «فرمورز» الشاعر ما هو إلا ملك بخارى نفسه الذى تخفى ليدخل على قلبها البهجة والسرور قبل زواجها منه .

ومجموعة القصص تدعى Lalla rookh وتشمل بجانب « النبي المقنع » قصة :

- Paradise and the Peri.
- The Fire Worshipers.
- The Light of the Haram.

وكلها قصص عاطفية تصور رقة الشرق وسحر أجوائه .

وعلى الرغم من أن مفهوم الشيطان لدى (توماس مور) قد تأثر بمعتقدات الشرق، وكذلك بفكرة الرعب الرومانتيكى التى انتشرت بين كتاب الجيل السابق، فإن تعبيره الأبلسة وشخصية الشيطان كان مبتكرا لأنه اختلف عن كل ما سبق، ففي صورة المقنع نرى الرذيلة مجسمة والشيطان ممثلا، أى أن فكرة الشيطان وهو مصدر الشر قد تجسمت فى شخصية أنسى وهو هنا ذلك الأفاق الدعى

٨ — قصة نبي خراسان المقنع :

لم يكد حماس المعجبين ببطولة ثعلبة يفتر بمرور الزمن حتى ظهرت فى الأفاق عام ١٨١٧ قصيدة : « نبي خراسان المقنع » .

The Veiled prophet of Khorasan

وكاتبها هو Thomas Moore من أشهر شعراء الحركة الرومانتيكية الذين استجابوا لنداء الشرق فكسبوا شهرة واسعة وغنموا مالا كثيرا، وقصة « المقنع » هذه إحدى أربع قصص شعرية يربطها ببعضها إطار خارجى على نسق حكايات (ألف ليلة وليلة)، والقصة النثرية التى تسبق القصيدة تصف لنا الرحلة التى قامت بها (لالاروك Lalla rookh) بنت الأمبراطور (أورانج زيب) من دلهى إلى كشمير لتتزوج من الملك الشاب حاكم بخارى وفى الطريق يسامر الأميرة وحاشيتها شاعر من كشمير اسمه « فرمورز » يقص عليهن أربع قصص شعرية، وتقع الأميرة فى حب ذلك الشاعر الشاب الجميل الرقيق؛ ولكنها

الشیطان أرسل حملة عسكرية فتكت به وبكل أتباعه على هذه الخلفية التاريخية نسج المؤلف من خياله قصة غرامية بين عاشقين في مقتبل العمر، هما: حازم وزليخة. وهذه الفتاة الشابة الجميلة تفقد رشدها عندما تسمع أن حبيبها حازم قد قتل أثناء المعركة، وتلجأ، لسوء حظها حظها، إلى هذا الدجال تسأله المعونة؛ فيضللها ويعتدى على شرفها ويقنعها أن تنضم إلى المئات من أمثالها اللاتي لقين نفس المصير على أمل أن سيشفع لهن حين ينعمن بجنة الخلد بعد الموت. وعلى فجأة يظهر حازم في قصر المقنع وتحاول زليخة بناء على أمر المقنع أن تغريه بالبقاء معها ويتنكر لدينه الخفيف - كما تحاول النساء الأخريات بشتى الطرق - وهن يتنزهن في الجنة الدنيوية التي تذكرنا بجنة العلويين في قصة Thalaba - أن ينضم لأتباع المقنع ويهجر حبه زليخة، وينعم بكل أنواع الملذات الحسية والجنسية، ولكن عقيدته وإيمانه الراسخ لا يتزعزعان - وبمجرد ظهور جيوش أمير المؤمنين التي جاءت لتطهر البلاد من شر الأفاق ينطوى حازم تحت رايتهم، وقبل الهزيمة المنكرة التي لحقت بالمقنع ذلك النبي الدجال يدعو من بني من أعوانه إلى حفل كبير يدعوهم قبيل نهايته أن يشربوا نخب مستقبل سعيد في عالم آخر، ويميط اللثام عن أبشع وجه وقعت عليه عين إنسان، ويكشف لهم

أور النبي المقنع، وله كل صفات إبليس التي تدل على أنه حقا عدو الله والبشر فهو حقوق ومضلل ودنيء وشرير وقاس ومحب للوقعة وبذر الشقاق بين الناس.

ولقد اتبع هذا المفهوم كاتبان آخران هما: R. Maturin في قصته الطويلة Melmoth the Wanderer (1800) وكذلك Byron في مسرحيته التي لم تتم، وعنوانها: The Deformed Transformed (1824) وموضوع قصة «نبي خراسان المقنع»، مأخوذ من نبذة عن حياة ناثردجال عرف باسم المقنع وجدها المؤلف في موسوعة الكتب الشرقية المسماة Biblitheque Orientale التي سبق الإشارة إليها وإلى مؤلفها D'Herbelot عند الكلام عن قصة بكفورد «الواثن»، فنقلنا عن هذا المرجع ظهر هذا الساحر الأفاق في ولاية خراسان في القرن الثامن الميلادي، وادعى كذبا وبهتاناً أن الوحي هبط عليه وكلفه برسالة يؤديها نحو البشر في كافة أرجاء العالم؛ ولذلك سيعمل مكافئاً للقضاء على كل أنواع الظلم والاستبداد والخرافات التي تعانها البشرية - ووعد أتباعه ومن يؤمنون به جنات النعيم. ورحمة بأبصار مرديدة من قوة النور الرباني الذي يشع من جبينه كان يغطي وجهه دائما بقناع من شاش فضي اللون - وعندما انكشف أمره وتبين أمير المؤمنين الخطر من وجود رسول الشر وعبد

Of your foul race, and without
fear or check,
Luxuriating in hate avenge my
shame,
My deep-felt, long-nurst loathing
of a man's name :
Soon at the head of myriads, blind
and fierce
As hooded falcons, through the
universe
I'll sweep my dark'ning, desolating
way,
weak man my instrument, curst
man my prey..

وبمجرد سماعه بالهزيمة الساحقة التي منى
بها أتباعه يقفز إلى وعاء كبير مملوء بالقار
المغلي فيموت توا ويدوب كل جسمه ؛ فتبقى
ذكراه - كما كانت حياته - سوادا في سواد .
أما زليخة فتأني كرامتها إلا أن تثار من
نفسها بسبب ما لحقها من عار وبمجرد أن
يقع نظرها على حازم تضع النقاب الفضى الذى
كان يستعمله المقنع فيقتلها حينها حازم
ولا يدرك خطأه إلا بعد أن تقع جثة هامة
بين ذراعية .

لقد نجح مور أكبر نجاح في حبك تلك
القصة ومثيلاتها من قصص في مجموعة
Ialla Rookh بالطابع الشرقى فنال الثناء
والإعجاب من قارئيه ومن النقاد الذين شهدوا
له بذلك على صفحات الجرائد والمجلات ويقول
في ذلك بايرون Byron في رسالة خاصة
أرسلها كتيهنة :

أخير أعن طبيعة أمره وحقيقته، وفي مرارة الألم
من شدة الصدمة عند ما تبينوا أنهم لم يعبدوا
إلا شيطانا رجيا يندمون ، ولات ساعة
مندم فقد غنى الأمر والموت منهم قاب
قوسين أو أدنى لأن الخمر كانت قد مزجت
بالسم الزعاف وفي هذه الحالة يستمعون على رغم
أنوفهم إلى ما ينصب عليهم من إهانات ولعنات
متتالية جزاء الضلالة وبئس المصير . .

Dreadful as it was to see the
ghastly stare,
The stony look of horror and despair,
Which some of these expiring
victims cast
Upon their soul's tormentor to the
last ;
Upon that mocking Friend, whose
veil, no rais'd,
Show'd them, as in Death's agony
they gaz'd,
Not the long promis'd light, the
brow, whose beaming
Was to come forth, all conquering,
all redeeming,
On its own brood.

ولننظر إلى اقتباس آخر يتضح منه كيف
أن هذا الشيطان في صورة إنسان لا يكتفى
بإراقة الدماء مهما كثرت ولكن كان همه
دائما أن يغمر بالنفوس البريئة ويفتك بها
حتى يملأ الدنيا بؤساً وتعاسة - وها هو
في خلوة من نفسه يصرح بهذه المعاني فيقول .

Soon shall I plant this foot upon
the neck

وهما قصتان شريقتان رومانيتيتان ، وقد أخذ مادتهما من مصادر شرقية .

وعلى الرغم من أن مور Moore لم يزر الشرق بنفسه ؛ فإنه كان شغوفا جدا ببلاد الشرق ، وبجياة أهلها الفكرية والأدبية. وكان هذا دافعا له على البحث والتحصيل الدائم الذى يمكنه من إعطاء صور حية وحقيقية عن أهل تلك البلاد وحياتهم ، وكان مولعا بإعطاء تفاصيل كثيرة عن كل شيء يذكره فى قصصه الشعرية يتعلّق بعقائد وعادات الشرقيين فى شكل تفسيرات ومذكرات ولقد استعان فى كتابه Lalla Rookh بما لا يقل عن ثمانين كتاباً عن الشرق - وهذا الإخلاص مع الدقة فى البحث والاطلاع الواسع حقن ما لمجموعة قصصه الثرية من أمانة فى الرأى وحيوية فى التعبير ، وأضنى على إنتاجه الأدبي طابعاً شرقياً ممتازاً .

ولنقرأ ما قاله المؤلف : ت . مور نفسه فى هذا الصدد :

"... My own chief work of fiction (Lalla Rookh) is founded on a long and laborious collection of facts. All the customs, the scenery, every flower from which I have drawn an illustration, were inquired into by me with the utmost accuracy and I left no book that I could find on the subject unransaked.

You have caught the colours as if you have been in the rainbow and the tone of the east is perfectly preserved. (1)

والفضل فى ذلك يرجع إلى قوة خيال المؤلف وقوة ملاحظته فقد نجح فى تصوير المناظر والعادات والطابع المحلى بشكل يفوق كثيرا بعض المؤلفين الذين زاروا الشرق ذاته ولقد شهد بذلك الرحالة فى عصره وبعض المستشرقين - وكان أسطع برهان على ذلك أنها ترجمت إلى الفارسية وكان الشعب يتغنى بها فى شوارع أصفهان ولقد ظهر منها ما لا يقل عن عشرين طبعة . وترجمت إلى عدة لغات أوروبية منها : الألمانية والإيطالية والفرنسية ؛ فلا عجب إذ علينا أن المؤلف تقاضى من الناشر مبلغ ثلاثة آلاف جنيه إجمالى وهو أكبر مبلغ دفعه ناشر لآى مؤلف فى ذلك الحين . وفى كل هذا دلالة واضحة على مبلغ تقدير الشعب ، واستجابة الشعراء والأدباء لحركة الاستشراق التى ارتبطت منذ البداية بالحركة الرومانتيكية أو حركة التحرر من جمود الأدب الكلاسيكى وبجانب Moor كتب Lalla Rookh قصتين بالشعر هما :

The Epicurean (1827) ;

The Loves of the Angels (1823)

(1) Letters and Journals of Lord Byron (1904)

IV, p. 148. (ed.) R. E. Prothro.

ما يتعلق به استمرأ حتى ألف أشهر قصصه الشعرية Daon Jaun التي امتدت فصولها من عام ١٨١٩ إلى عام ١٨٢٣ . وكان العنصر الهام في كل هذه القصص هو العنصر الرومانتيكي الخاص بالحب والمغامرة ، مغامرات خياله أحياناً ، ومغامرات الحب الذي لا يعرف حدوداً ، ولقد لاقت كل هذه القصص الشرقية التي عبر فيها ببساطه وإخلاص عن ذكرياته العزيزة وتجاربه العجيبة في بلاد تختلف عيشة أهلها اختلافاً كلياً عن عيشة التحفظ والرياء والدبلوماسية والأرستقراطية وغير ذلك من القيود التي كان بايرون يضيئ بها جميعاً فيلجأ إلى الشرق الهادئ الوديع لينعم ، ولو في أحلام اليقظة ، بنسيم الحرية بعيداً عن حقائق الحياة المرة .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى السرعة المدهشة التي كان بايرون يكتب فيها هذه القصص ، وإلى الإقبال المدهش على قرائتها من شعب كان ينتظر هذا النوع من القصص الرومانتيكية التي تجري حوادثها في بلاد السحر والجمال ، ويكون أبطالها شخصاً جريئاً يعشق الحرية في كل معانيها ويقدر جمال الطبيعة وجمال النساء ويخاطر بحياته للحصول على ما يريد - رجلاً غامضاً له مبادئ تبدو غريبة من وجهة نظر الإنجليز الذين يقدسون تعاليم الكنيسة ويطيعون أوامرها طاعة عمياء بدون تفكير ، ولكن البطل

Hence arises that matter-of-fact adherence to Orientalism from which Sir George Ousley, Colonel Wilks, Carne and others, have given me credit." (1)

لورد بايرون وتأمره بالشرق :

الشاعر الذي أختتم به هذا البحث هو: لورد بايرون، وهو كما نعلم، من أشهر شعراء الحركة الرومانتيكية في إنجلترا، إن معرفته بالشرق لم تعتمد على الكتب الكثيرة التي كان مولعاً بقرائتها منذ طفولته فحسب؛ بل على تجاربه في ربوع تلك البلاد التي كان يشير إليها دائماً كبلاد السحر والجمال. لقد قام برحلة عام ١٨٠٩ وكان شبه جزيرة البلقان في ذلك الوقت ضمن الامبراطورية العثمانية، ولذلك التقت ألبانيا وغيرها بآثار الثقافة الإسلامية التي كان يرعاها الأتراك في ذلك الحين، ولقد أثرت مشاهداته في تلك الرحلة على خياله وفكره وانعكس ذلك الأثر العميق في مؤلفاته الشرقية التي أكسبته الشهرة والمجد فيما بعد.

وأهمها قصصه الشعرية المشهورة وأولها :

- The Giaour عام ١٨١٣ .
 - The Bride of Abydos عام ١٨١٣ .
 - The Corsair عام ١٨١٤ .
 - The Siege of Corinth عام ١٨١٦ .
- واهتمامه بالشرق وشغفه الشديد بكل

(1) J. Russell, The Memoirs of Thomas Moore (1853), VII, 2.

strictly preserved and so picturesquely exhibited." (1)

أما المصادر التي اعتمد عليها في الحصول على المادة والمعلومات عن الشرق وتعاليمه وعادات أهله وتراثهم الأدبي والفكري فكان يأخذها من كتب الرحالة والمستشرقين أمثال W. Jones, S. Ockley والقصاص الشرقية المترجمة خصوصاً مجموعة قصص ألف ليلة وليلة والقصاص الشرقية الإنجليزية وأهمها قصة بكفورد (الواثق) التي سبق الكلام عن تأثيرها في أعمال لورد بايرون .

هذا التقدير وهذا النجاح الباهر الذي لقيته قصص بايرون الشرقية امتد بعد ذلك إلى مؤلفاته الأخرى التي لم تكن تخلو هي الأخرى من آثار انطباعاته الشرقية وجه الحياة الشرق وعاداته .

ولكن من حيث المادة والموضوع والجو العام لا نستطيع الحكم بأنها شرقية في جوهرها فلا يسعنا هنا إلا الإشارة إليها فقط وهذه هي:

Manfred (1817) Cain (1821),
The Deformed Transformed (1824)

والحقيقة أن هذه المؤلفات تحتوي على كثير من الأبلسة وفكرة الصراع بين الشر ممثلاً في الشيطان وأعوانه وبين الخير ممثلاً في الشخص الذي يكافح ليحمي نفسه من إغراء قوى الشر والظلام .

* * *

(1) Works of Lord Byron, (ed.)
T. Moore (1838) X 9.

البيروني The Byronic Hero يختلف كلية عن هذا النوع من الرجال ، فتميزه كل صفات المؤلف الذي قنعى حياته مكافحاً في سبيل الحرية والعدالة ، ثائر ضد الاستعمار والاستبداد والنفاق — ولهذا غضبت عليه الكنيسة وحاربه السياسيون ورجال الأعمال بينما صفق له مهلهلاً ومكبراً جيل الشباب الوثاب فلا عجب أن قصته الأولى The Giaour

طبعت أربع عشرة مرة في ثلاث سنوات وظهرت الطبعات الثماني الأولى في السنة الأولى . أما قصته The Corsair فيبيع منها عشرة آلاف نسخة في أسبوع واحد ، وهذا يعطينا فكرة عن تعطش الشعب الإنجليزي لقراءة قصص تصور الشرق ومعيشة أهله سواء كانت مؤلفة أم مترجمة وسواء كانت ملتزمة الحقيقة أم مسرفة في الخيال .

هذا الإعجاب الشديد لم يكن من جانب جمهور القراء وحدهم ، بل أعجب به كثير جداً من الرحالة الذين زاروا مناطق الشرق الأوسط وكذلك النقاد والأدباء — وها هو سير (والتر سكوت) الشاعر القصصي المشهور يشهد على ذلك بقوله :

"Exquisitely beautiful in themselves, these tales received a new charm from the romantic climes into which they introduced us, and from the Oriental customer so

١٠ - خاتمة :

يتبين مما سبق أن التراث العربى فيما يختص بالابلسة وعبادة الشيطان ما هو إلا أحد روافد الاستشراق Orientalism الذى ظهرت آثاره خلال عصور الأدب الإنجليزى منذ البداية حتى نهاية الحركة الرومانتيكية .

وهذا التراث كان يزدهر وتقوى آثاره كلما ازداد الشغف والاهتمام عند الشعب الإنجليزى بوجه عام بحياة الشرق وثقافته ، فالحروب الصليبية والعصور الوسطى وقصص ألف ليلة وليلة فى أوائل القرن الخامس عشر واتساع رقعة إمبراطورية الهند فى أواخر هذا القرن وازدياد التبادل التجارى مع الشرق فى القرن التاسع عشر لهى أمثلة حية لفترات وظروف توضح قوة الاهتمام بهذا التراث نتيجة للاتصال والاهتمام المباشر بحياة الشرق وأهله .

ومنذ القدم تسالت آثار هذا التراث الشرقى عن طريقين ، أولهما : جاء نتيجة لتأثير مجموعة العقائد الدينية الشرقية (وأهمها الديانة المصرية القديمة والديانة الإيرانية) على التعاليم المسيحية فيما يختص باللاهوت والشياطين والحياة بعد الموت ، وثانيهما : جاء عن طريق الانتقال الشفوى للبائورات والحكايات الشرقية بواسطة الصليبيين والتجار والرحالة . بعد ذلك كانت آثار التراث الشرقى تأتى

عن طرق أخرى ، إما عن طريق مؤلفات إنجليزية ترد إلى مصادر شرقية فيما يختص بالابلسة والأعمال الخارقة للطبيعة أو عن طريق التأثر المباشر بالأدب الشرقى ذاته :

وعلا حظناه أثناء بحثنا هذا وجود خيوط الحركة الرومانتيكية التى التقت منذ البداية بخيوط الحركتين الآخرين وهما : حركة الاستشراق وحركة الابلسة وعبادة الشيطان ، وهكذا نشأت هذه العلاقة الثلاثية بين الرومانتيكية Romanticism والاستشراق Orientalism والابلسة Satanism وصارت تبدو واضحة فى مؤلفات ثلاثة من مشاهير الحركة الرومانتيكية وهم : بكفورد ، ومور وبايرون William Beckford, Thomas Moore, Byron

والعامل الرئيسى الذى يفسر لنا هذه الظاهرة الهامة هو التميز فى طبيعة ما هو شرقى فى الأدب أى أن المادة المأخوذة من بيئة شرقية تمتاز بصفات الغرابة والخيالية وأنها أجنبية منقولة من أجواء بعيدة ، وهذه الخصائص هى ما يعبرون عنه بهذه الصفات :

strange, fantastic, exotic

وكانت هذه الخصائص بذاتها هى ما يتجاوب بسرعة مع عواطف الموالين لروح الثورة الرومانتيكية الجديدة وخيالهم ومزاجهم وكانت حركة الاستشراق Orientalizing Movement والاهتمام بالكتابة عن

ثانيا : أن قصص ألف ليلة وليلة - وقد كانت حلقة الاتصال - ساعدت على تدعيم العلاقة الثلاثية المتبادلة بين هذه الاتجاهات الثلاثة :

Orientalism - Romanticism-Satanism
ثالثا : أن نجاح المؤلفات الشرقية ساهمت إلى حد كبير في ازدياد شهرة المؤلفين الإنجليز وبالتالي فإن هذه المؤلفات نفسها دعمت مكانة التراث الشرقي في الأدب الإنجليزي .

رابعا : إن القيمة الكبيرة للتراث الشرقي يمكن ملاحظتها حتى عند الكتاب الذين لم يهتموا بحياة الشرق ومعتقداته لأنهم اضطروا أن يجاروا تيار الاستشراق القوي لإرضاء الأغلبية العظمى من جمهور القراء .

خامسا : أن المؤلفات التي اعتمدت على التراث الشرقي كمصدر للبادة والموضوع قد ساهمت على اختلاف أنواعها في زيادة رصيد الأدب الإنجليزي بوجه عام والحركة الرومانتيكية بوجه خاص . (تمت)

دكتور محمد سمير عبد الحميد

الموضوعات والأفكار والتقاليد الشرقية التي بدأت في الأدب الإنجليزي منذ ظهور ترجمة كتاب (ألف ليلة وليلة) في أوائل القرن الثامن عشر قد وصلت أوجها (بعد ظهور الواثق) في قصص اللورد بايرون الشعرية . ولكن الواقع أن المأثورات الشرقية الخاصة بالأبلسة وعبادة الشيطان أكثر من أى شيء آخر في تراث العرب الأدبي هي التي ساهمت بأكبر قسط في إنماء ثروة القصص الخيالية **Stories dealing with the Supernatural** التي تتابعت في الظهور في المدة ما بين ١٧٨٥ - ١٨٢٥ وهي الفترة المعروفة بالعصر الرومانتيكي .

وختاما - بعد هذا السرد الطويل لآثار تراث الأدب العربي في مؤلفات بعض الكتاب الإنجليز إبان الحركة الرومانتيكية ، نستطيع أن نقرر في إيجاز الحقائق التالية :
أولا: أن تأثير هذا التراث العربي فيما يختص بالأبلسة والتعاقد مع الشيطان واضح في المؤلفات الهامة لبعض الكتاب الإنجليز البارزين في الفترة المذكورة .



المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

د. أستاذ محي الدين الأولي

- ٥ -

ترجمة وافية عن حياة الشيخ أنور شاه ،
ولمعات من خصائصه العلمية ومزاياه في
البحوث والتحقيقات التي قام بها في مختلف
الميادين العلمية والأدبية .

وتقتضى منا أمانة البحث أن نلتجى ضوءاً
على حياة هذا العالم الإسلامي الكبير ومؤلفاته
ومقالاته قبل أن نتناول بالتفصيل ما جاء في
كتابه « مشكلات القرآن » من بحوث :

ولد الشيخ محمد أنور شاه الكشميري
سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م بمدينة « ودوان »
بكشمير ، وتلقى العلوم الابتدائية في قراءة
القرآن ومبادئ اللغة العربية من والده وبعض
علماء بلده ، وسافر وهو لم يتجاوز العاشرة
من عمره إلى مدينة (ديوبند) للالتحاق
بمدرسة (دار العلوم) فواصل دراسته
في الحديث والمنطق والفلسفة والهيئة على
أيدى كبار علماء عصره مثل شيخ الهند
مرلانا محمود الحسن ، والحدث الكبير
الشيخ محمد إسحاق المدني .

وتوجه المرحوم وهو في السادسة عشرة
إلى مدينة « دهلي » عاصمة الهند ولم يلبث

نتناول هنا كتاباً جديداً في نوعه هو
الكتاب النادر « مشكلات القرآن » للعالم
الهندي الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ،
المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م . ويتناول
هذا الكتاب بالبحث أهم ناحية من نواحي
تفسير القرآن ، وهي حل وإيضاح مشكلات
القرآن ، إذ يشتمل كتابه هذا ، على مائة
وتسعين آية من القرآن الكريم مأخوذة
من ٤٨ سورة ، ثم فسرها تفسيراً تحليلياً دقيقاً ،
والتجلى ضوءاً جديداً على وجوه الإعجاز فيها
بفكره العميق ورأيه السديد . ومن هنا
كانت لهذا الكتاب أهمية في علوم القرآن ،
حيث يضيف لونا جديداً من البحث إلى
محراب خدمة القرآن .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب
من سلسلة مطبوعات « المجلس العلمي » بدابيل
بمدينة « سورت » بالهند سنة ١٣٥٦ هـ
١٩٣٧ م ، وهو يشتمل على ٢٧٨ صفحة ،
مع مقدمة قيمة كتبها الشيخ محمد يوسف
البنوري ، الأستاذ بجامعة دابيل الهندية .
وقد بين في مقدمته المشتملة على ٨٤ صفحة ،

من القرآن والحديث وآثار الصحابة وأقوال العلماء في هذا الشأن .

٢ - « تحية الإسلام ، وجاء هذا الكتاب بمثابة تعليق أو استطراد على كتابه « عقيدة الإسلام ، مع إضافة مباحث أخر دقيقة .

٣ - « التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، وهو يحتوى على جميع ما ورد من الأخبار المرفوعة والآثار الموقوفة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام (١) .

٤ - « ضرب الخاتم على حدوث العالم ، وهو قصيدة تشمل نحو (٤٠٠) بيت أتى فيها بدلائل حديثة وبراهين فلسفية لإثبات حدوث العالم ووجود الصانع الحكيم المرید المختار .

٥ - « لكفار الملحدین في ضروریات الدین ، وهو كتاب فريد في بابه يبحث فيما عليه مدار الإيمان والكفر وما وقع فيه من الالتباس على الناس والخطب في مسائل لكفار المسلم ، وغيره من الفوائد العلمية .

٦ - « فيض البارى على صحيح البخارى ، ٢ .

(١) وأعيد طبعه حالياً بدمشق مع تحقيق للأستاذ عبد الفتاح أبى غدة .

(٢) طبع بمصر في المطبعة الحجازية في أربعة مجلدات .

أن طار صيته في أنحاء البلاد ، بسعة علمه وقوة بَيَانِهِ وحده ذكائه ، ثم أسس بنفسه مدرسة عربية في « دلهي ، وسماها « المدرسة الامينية ، وما زالت حتى الآن تؤدى رسالتها في خدمة العلوم الإسلامية والعربية ولو في نطاق محدود . وبعد بضع سنوات انتقل الشيخ إلى مسقط رأسه « كشمير ، وبدأ يحارب البدع والخرافات الشائعة بين المسلمين ويدعوهم إلى اتباع التعاليم القرآنية والإرشادات النبوية الحقّة ، وأسّس فيها أيضاً مدرسة دينية وسماها « الفيض العام .

ثم عين الشيخ محمد أنور شاه الكشميري أستاذاً للتدريس الحديث وعلومه في « دار العلوم ، « بدوبند ، التي تخرج فيها ، وفي أخريات حياته أثر حياة العزلة والتعبّد واتخذ « كجرات ، مقراً له وقد توفي رحمه الله سنة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م بعد حياة حافلة من الخدمات العلمية والأدبية والدينية . وله ، رحمه الله ، مؤلفات عديدة في مختلف العلوم الإسلامية والآداب العربية ، وكان يجيد التأليف باللغة العربية إلى جانب براعته في اللغتين الفارسية والأوردية . ومن مؤلفاته في اللغة العربية :

١ - « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام ، وهو كتاب حافل ببيان حياة عيسى عليه السلام ويحتوى على أدلة وافية

ومؤلفاته الآخر في شتى نواحي علم الحديث بمختلف اللغات . وقال عنه العلامة الشيخ « شير أحمد العثماني » شارح صحيح مسلم : « لم تر العيون مثله ولم ير هو مثل نفسه » . وكان متبحرا في علوم الرواية والدراية ، وعالما في علوم القرآن والسنة والفقه والكلام والبلاغة والأدب والتاريخ .

ومن منظوماته في اللغة العربية : أرجوزة في ضوابط الفقه الحنفي وأخرى في معارف الحديث ومنظومة قيمة في مسألة إثبات وجود الصانع الحكيم ، وقصيدة طويلة في مدح الرسول ، وله منظومات أخر في الحكم والأمثال والمراثي لبعض شيوخه . وقد استمد ذوقه الشعري من والده الذي كان شاعرا مجيدا في الفارسية ثم ارتوى الشيخ من كتب الشعر العربي ، ولما زار السيد رشيد رضا دار العلوم بديوبند أثناء زيارته الهند التقى بالشيخ محمد أنور شاه وتباحث معه في مختلف المسائل العلمية والدينية ، وقد أثنى الشيخ رشيد ، على مهارة المرحوم أنور شاه في علوم القرآن والحديث ، في المقالات التي نشرها في القاهرة بعد عودته من الهند .

ويكتب الشيخ محمد يوسف البنوري في مقدمته للكتاب التي سماها « قيمة البيان لمشكلات القرآن » ، في معرض تعريفه به

٧ — « العرف الشاذ على جامع الترمذی » .

٨ — « بسط اليدين لنيل الفرقدين » ، ويتناول المؤلف فيه مسألة الاختلاف بين الأئمة في رفع اليدين ، وأتى فيه بأدلة كل فريق ، ثم بين أن الاختلاف بينهم في الأفضلية فقط لا في سنيته أو حرمة .

٩ — « فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب » وهو رسالة حاوية لما في هذا الباب من الأدلة على مسألة قراءة الفاتحة خلف الإمام .

١٠ — « كشف الستر عن صلاة الوتر » وهو بحث رائع في حقيقة صلاة الوتر ، ومذاهب الأئمة فيها مع بيان أدلة كل منها ، ومنشأ الخلاف فيما بينهم وكشف فوائدها ومغزاها .

وتبلغ مؤلفاته في اللغة العربية وحدها عشرين مؤلفا (١) . وكلاهما بحوث قيمة تدل على سعة علمه ودقة نظره في مسالك الأئمة في مختلف المسائل الفقهية ، وأما براعته في علم الحديث فواضح من شرحه على الصحيحين

(١) قام الدكتور محمد رضوان الله ، الأستاذ بجامعة عليكرة الإسلامية بالهند بإعداد رسالة عن المزايا العلمية للشيخ محمد أنور شاه الكشميري ونال بها درجة الدكتوراه عام ١٩٦٦ ، وهو الآن يعد بحثا عن مؤلفات الشيخ العربية لتقدمه إلى جامعة الأزهر لنيل درجة (الدكتوراه) .

الأمر على الناظر ويظنها متعلقة بالموضع الأقرب وهو بعيد، وإن لم يظفر بشيء تنحل به العقدة في كلام الأعلام كان يطيل النظر ... فإذا سنع له سانح استنقاده في تذكرته تحت الآية .

فهكذا قد استفاد أوابد من الأبحاث الغزيرة النادرة واصطاد شوارد من المشكلات التي أفلت أبوابها على جهاذة القوم حتى اجتمعت (له) ذخيرة وافرة ومادة غزيرة بعدة آيات مشكلة . ولكن كان الشيخ رحمه الله دقيق النظر قوى الحدس سريع الانتقال غامض المسلك واسع الباع رحيب العلم يتنبه لمشكل قلبا يتنبه لمثله إلا أفذاذ من الأعلام ، فتوسعت مشكلاته بسعة معلوماته ، ثم مع هذا كان مولعاً بالإيجاز والاختصار .

لم يكن دأبه أن يسترسل القلم في الإيضاح والتفصيل نعم كان يسترسل قلبه في بسط المادة ، وإذا كانت المادة غزيرة والأبحاث مشكلة والعبارة موجزة جداً ، يفتر الناظر إلى إنفاذ الوسع واستفراغ الجهد في جملة جملة لا جرم لا تستأنس الطبائع العامة بأمثال هذه التأليفات في العصر الحاضر ، وتقتصر الأذهان عن شأوها البعيد . وأضاف يقول مشيراً إلى حاجة هذه المقدمة الإيضاحية : « فلم يكن من دأبه إيضاح الإشكال وتصوير المقال ، بل كان يبدى رأيه جواباً لما كان يحسه هناك

وبيان الكيفية التي تم فيها تأليفه : » ثم إنه اشتدت عنايته في أواخر عمره بالتنزيل العزيز وكان يقول : والقرآن المجيد أحق بحل المشكلات من الحديث وإن مشكلات الحديث لا تبلغ مشكلات القرآن فالعناية بها أخرى أن تكون أشد وأقوى .

... وكان من شريف دأبه في شهر رمضان أنه كان يتلو القرآن المجيد بغاية تدبر وإمعان فكان يقضى يومه كله من بعد صلاة الفجر إلى أن تغرب الشمس في تلاوة جزء واحد ، فهكذا كان يختم القرآن مرة في شهر رمضان . ثم في أثناء تلاوته إذا تنبه على مشكل كان يتوخى ويتفقد أو لا حله من مظاهره من أسفار أعيان الأمة من زبر التفاسير أو غيرها ، إن لم يكن له شيء في خزائنه حافظته الجامعة لنفائس الدرر ، فإن ظفر في كلامهم بشيء مفيد قيده بلفظه وهو قليل ، أو لخصه في عبارته وهو كثير ، أو أحال على المراجعة إليه برمز الصفحة وهو أكثر ، وإن زاد عليه شيئاً أو تعقبه برأى مصيب ضمه إليه ، ولما كان من غزارة المادة وسعة الاطلاع في منزلة قاصية لا يدرك منتهاها ربما أكثر من حوالات الكتب ، وكثيراً ما يلبس الغرض الذي أحيل عليها ، وربما ضاق نطاق المقام بإكثار الحوالات ، فكتب الحوالة بعيدة عن الموضع الذي نيطت به فيشتبه

(٢٢) القصص (٢٣) العنكبوت (٢٤) الروم
 (٢٥) لقمان (٢٦) الأحزاب (٢٧) يس
 (٢٨) الصافات (٢٩) الشورى (٣٠) الزخرف
 (٣١) الفتح (٣٢) الحاقة (٣٣) الجن
 (٣٤) المزمل (٣٥) القيامة (٣٦) الطارق
 (٣٧) الأعلى (٣٨) الكافرون (٣٩) الطلاق
 (٤٠) السجدة (٤١) الحجرات (٤٢) ق
 (٤٣) الذاريات (٤٤) النجم (٤٥) القمر
 (٤٦) الرحمن (٤٧) الحديد (٤٨) القلم (٤٩)
 ومن الغريب أن الشيخ المؤلف قد فسر
 بعض الآيات باللغة الفارسية ثم أحالها إلى عبارات
 كتب التفسير التي يعتمد عليها في توضيح
 معاني تلك الآيات وحل مشكلاتها مع أن
 معظمها قد فسر لها وحل مشكلاتها باللغة العربية
 مباشرة . وإليك نموذج من أسلوبه في تفسير
 الآيات وتحليلها .

قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول
 قد خلت من قبله الرسل » ، قال في البحر ،
 وفي مصحف عبد الله : (رسل) بالتنكير
 وبها قرأ ابن عباس وقحطان بن عبد الله
 ووجهها أنه موضع تبشير لأمر النبي صلى الله
 عليه وسلم ، وتنظير تيسير لأمته في معنى الحياة
 (أى للذين تحيروا بسماع خبر موته) ومكان
 تسوية بينه وبين البشر في ذلك وهكذا يتصل
 في أماكن الاقتضاء بالشيء الاقتفاء به ، ومنه
 (١) هذا الترتيب تابع لانتخاب الآيات
 الواردة في كتاب المؤلف .

من الإشكال ، فهذا الأمر أصبح منشأ
 لإخفاق الطلبة ، بل أمثال العصر عن أن
 يستفيدوا من مؤلفاته التي ملئت جواهر
 قيمة ولآلىء غالية ، لكنها في مطاوى البحور
 ومعادن الصخور ، فكان يتكلم بما يليق
 برتبته السامية لا ينزل عنها كثيراً ، وكان
 رأيه في الإيجاز والاكتفاء بالمقصود ، كما قال
 ابن النديم : « النفوس أطال الله بقاءك تشرئب
 إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى الغرض
 المقصود دون التطويل في العبارات » .
 وأنهى مقدمته ، بعد أن أثنى على جهود المجلس
 العلمي المذكور في إخراج هذه الذخيرة إلى حيز
 الوجود ، بقوله : « وأمرني بتأليف مقدمة
 تلائم هذا المؤلف الجليل بما يحتوي على أشياء
 تفيد بصيرة في هذا الكتاب وفي هذا الفن ،
 وأن أذكر فيها ما وصل إليه على من فوائد
 الشيخ ما يليق بهذا الموضوع ... » .

وذكرنا أن كتاب « مشكلات القرآن »
 يحوى تفسيراً وتحليلاً لمعاني مائة وتسعين آية
 من ٤٨ سورة ، وهاهي تلك السور :

- (١) الفاتحة (٢) البقرة (٣) آل عمران
- (٤) النساء (٥) المائدة (٦) الأنعام
- (٧) الأعراف (٨) الأنفال (٩) التوبة
- (١٠) يونس (١١) هود (١٢) يوسف
- (١٣) النحل (١٤) الكهف (١٥) مريم
- (١٦) الأنبياء (١٧) الحج (١٨) المؤمنون
- (١٩) النور (٢٠) الفرقان (٢١) النمل

وعدد منها ، أى مضت بخلافها عدة من الأمثلة وهذه هى المحاورة فى إلحاق شىء بشىء لا تجشيم كاية مقابله ، فإن المخالف إذا زعم كاية فالأحسن نقضها لا غير من معارضة ، ثم أنه لا يحوج تنكير رسل إلى اعتبار مفهومه المخالف بأن لا يخلو بعضهم ويكون بالنسبة إلى بعضهم الآخرين ، بل هو حكم على رسل غير معبودين ولا مفهوم له فى أنفسهم ، ودعوى كون جزئى تحت كلى قد تكون لا دليل عليها بخلاف التمثيل فقد لا يحوج إلى تجشيم ، ويكون إلحاقا ، وكلاهما طريقتان من الحججة عند النظر ، والأول : قياس شمول ، وليس مفيدا إلا بضم الصغرى والثانى : قياس علة ، وهو كدعوى الشىء ببينة وثبت .

ثم بين المؤلف الفرق بين قوله تعالى فى حق محمد عليه الصلاة والسلام : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » وبين قوله تعالى فى حق عيسى عليه السلام : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أى يؤفكون .

فقال : ثم محصل الآية تجويز الموت عليه صلى الله عليه وسلم ووقوعه على من خلا . وخاطب بمثلها فى حق عيسى عليه السلام من المائدة فقال : ما المسيح

« وقليل من عبادى الشكور . . . وما آمن معه إلا قليل » ، إلى غير ذلك .

ذكر هذا الفرق بين التعريف والتنكير فى نحو هذا المساق ، أبو الفتح ، أما التسلية فى المثالين فظاهر لأنه لما كان من سنة الله تقليل بسط الهداية فيه تسلية للهداة ، وأما فيما نحن فيه فيحوج إلى عناية واعتبار مفهوم أى ، خلت من قبله رسل ، وبقى قليل ، كعيسى عليه السلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم واحد منهم ، وبالجملة هو كقولنا خرج من هذه البلدة علماء ، لا نحو جاءنى علماء ، فالمراد رسل من بنى آدم ، لا رسل من بين المرسلين ، ويحتمل أن يريد أنهم كانوا قليلين ، فإن الكرام قليل ، وهذا منهم ، والتسلية كما يكون يكون كثير على شأنه يكون بأن الخيار قليل ، كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة ، فقد ميزه الله بأن جعله منهم ، وهذا يكفى فى التسوية ثم فى التسلية .

ولو قرر مراد أبى الفتح ، « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » حيث قيل : ونكر رسل لكثرتهم وشياعهم ، (ومن قبلك) متعلق بكذب لكان أوضح ، فكأنه أراد الشياع ولا يحوج إلى اعتبار الكثرة ، وهو أحسن مما فى تلخيص المفتاح ، أى ذوو عدد كثير وذو آيات عظام ، أو أراد أبو الفتح أن المعروف فى رد السلفية إلحاق بأمثلة وعدة

وقد مضى زمانه عليه السلام ، وإذا دلنا على حياتهما في زمان لفقنا كلا من جزأين وقلنا وما محمد الآية ما المسيح الآية قد خلت من قبلهما ،

واختتم الشيخ كتابه بتفسير بليغ بقوله تعالى : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » ، فقال : قد كثرت الكلام في وجه التكرار في سورة الكافرين ، ولقد أطال فيه في روح المعاني وبدائع الفوائد ، وكتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، والذي سنح للقلب الكسير هو هذا فاحفظه ولا تنسنا - يريد : (لا أعبد) في المستقبل (ما تعبدون) في الحال يعني من جهة العزم والتصميم لا من جهة الإخبار عن الواقع ، وهو عدم الفعل فقط ، فإن هذا أدون من الأول وهو أبلغ وآكد فصار الكلام من جانبه صلى الله عليه وسلم هو الأشد لا يتوهم من خلافه من أجل أنه صدر كلامهم بالاسم ، وقيل : (ولا أتم عابدون ما أعبد) ، وإنما صدر به على حد قوله :

ولا قرب نعم إن دنت لك نافع

ولا نأيا يسلى ولا أنت تصبر

بما ينتقل فيه من نفي فعل المتكلم إلى نفي فعل المخاطب ، مثلاً فيقدم الاسم أى لا كان هذا ولا هذا على طريقة جعل القصر في حين النفي كما في حديث : (إن هذا الدين متين

ابن مريم إلا رسول الآية . فخطب في زمانه صلى الله عليه وسلم الموجودين إذ ذاك بما يجوز وقوع الموت على المسيح عليه السلام ومضيه على من خلا ، فإذا اتحد زمانهما عليهما الصلاة والسلام . ووقع حكم تحقق الموت على من خلا من ذلك الزمان وهو واحد لا أنه بالنسبة إليه عليه السلام زمان كونه على الأرض ، كما أنه كذلك بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه مبني على فرض موته عليه السلام وأخذه من هذه الآية نحو مصادرة على المطلوب ، وبناء على شيء قبل إثباته وأخذه في الدليل مسلماً من قبل ، وهو من أغلاط الوهم ، ولو كان بناء الآية الثانية على موته عليه السلام قبل ذلك لكان العدول إلى نحو الاستدلال بأكل الطعام وغيره من سمات البشرية في غاية السهولة والركعة ، وجعل البديهي نظرياً وإيقاع الناس في أمر موته عليه السلام في مغالطة لا يتخلصون منها أبداً ، كما تقول في رجل قدم مات ، أنه يمكن موته كيف يكون مغالطة ومهملات ؟! ففي الآيتين إمكان الموت لمن قبلنا له ، ثم لو كان في آية « وما محمد إلا رسول » لوقعه على عيسى كما تافهتين ، فإذا كان زمانهما واحداً جمعنا بينهما وقلنا : خلا من كان قبل كليهما ، ثم إن الخلو هو من الأيام الخالية وهو باعتبار الزمان ،

عالم الملائكة

للأستاذ أحمد نصار القوصي

الكتاب لا ريب فيه . هدى للتقين . الذين يؤمنون بالغيب ... ، وقال : « والمؤمنون كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وعلى هذا فنحن مكلفون بالإيمان بالملائكة ، بنص القرآن ، والحديث الصحيح ، وقد قال الله تعالى : « ومن يكفر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، فقد ضل ضللا بعيدا » .

الملائكة جمع ملك : عالم من العوالم العلوية الغيبية ، التي لا يصل الإنسان إلى معرفة شيء عنها بإدراكه البشري ، وإنما قصارى ما يعرفه عنها معرفة صحيحة ، هو ما كان عن طريق الخبر الصادق ، من مصدر العقيدة في الشؤون الغيبية ، عن الله ورسوله من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية . ونحن - المؤمنون - مطالبون بالتصديق بما أخبرنا الله به ، مما غاب عنا ، ولا ندركه بحواسنا ، قال تعالى : « ألم - ذلك

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

حال بحال كقولهم الأول سواء لكن الكلام هناك بحسب الأزمنة ، وها هنا بحسب تعيين المعبود ، ولا دخل فيه للزمان من جانبه صلى الله عليه وسلم وإنما كرر قولهم لتتم القرينة وإلا لم تتم وبقيت ناقصة ، وعندهم في النفي المكرر أحكام خاصة لفظية ومعنوية لتكرار (لا) في نحو قوله « فلا صدق ولا صلى ، والبناء في نحو « لا حول ولا قوة إلا بالله ، فصار مجموع الكلام من جانبه صلى الله عليه وسلم مؤسسا بخلاف جانبهم فإنه معاد لإخبار عن الواقع فقط لا عن عزم مؤكد ، ، (يتبع)

حبي المبرين اللؤلؤي

فأوغلوا فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، أي لا فعل هذا فقط ولا هذا فقط ، ويريد من جانب الكافرين : الإخبار عن عدم الفعل في الحال فقط ، لا الإخبار عن العزم في المستقبل ، فإن مستقبلهم لا يدرى فصار هذا من جانبهم غير أبلغ ، ثم قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، أي حالي في الحال أني لا أعبد ما عبدتم في الماضي ، يريد أني في الحال أيضا لا أوافقكم على ما كنتم عليه ، فذكر ما ضيهم لأنه قد تحقق من جانبهم بخلاف جانبه صلى الله عليه وسلم ، فإنه إما حال وإما مستقبل ، وماضي كالحال عندهم تحت البحث ، وقوله « ولا أنتم عابدون ما أعبد ،

وحقيقة الملائكة : أنهم أجسام من نور ، مبرأة من الكدرة النفسانية ، والظلمة الحيوانية . روى الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » . وقد فطرهم الله ، وجعلهم ذوى أجنحة ، مثنى ، وثلاث ، ورباع . ومن خصائصهم القدرة على سرعة الانتقال ، وعلى التشكلات المختلفة ، ولكن بالصورة الشريفة ، التى لا تحط من قدرهم ، وأصدق دليل على صحة ذلك ، أن جبريل ، عليه السلام ، كان يحىء إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى بعض الأحيان فى صورة (حية السكبي) ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول إذ يتحدث عن كيفية الوحي : « وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً ، فيكلمنى ، فأعنى ما يقول » . ولكن الصورة التى يتشكلون بها لا تحكمهم ، ولا يجرى عليهم ما يجرى على جنسها ، أى خصائصهم الملكية لا تفارقهم بتغير الصورة ، كما هو الحال بالنسبة لعالم الجن .

وما يؤمرون . . ولا يعلون إلا ما علمهم الله . « قالوا سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علنتا » . وهم متفاوتون فى الدرجات عند الله ، روى البخارى : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « جاء جبريل ، فقال : ما تعدون من شهد بدرأ فيكم ؟ قلت : خيارنا ، قال : وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة ، هم خيار الملائكة » . ولا يحصى أقسام الملائكة ، ولا مدة أعمارهم ، ولا كيفية عبادتهم ، إلا بارئهم العليم الخبير : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

والمقربون منهم ، شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق ، جل جلاله ، والتزهد عن الاشتغال بغيره ، وقد قال الله سبحانه : « يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون » . كما حكى القرآن عنهم « وإذا قال ربك للملائكة : إني جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ... » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أظنت السماء وحق لها أن تثط ، ما فيها موضع قدم ، إلا وفيه ملك ساجد أو راكع » .

وقد أنبأنا الله أن الملائكة يصلون على الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ويستغفرون للذين آمنوا ، « إن الله وملائكته يصلون على النبي » . « هو الذى يصلى عليكم

والملائكة بفطرتهم ، لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ، ولا يتناسلون . وهم معصومون من المعصية ومخالفة الله ، كما أخبر الله ، عز وجل ، بذلك حيث يقول : « لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون

ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة ،
ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة ،
التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة
الدنيا ، وفي الآخرة وقد أرسل الله

جبريل عليه السلام ، لمريم ابنة عمران ،
أم عيسى ، عليهما السلام : « فأرسلنا إليها
روحنا ، فتمثل لها بشرا سويا قال إنما
أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . .
كما أوحى الله إلى أم موسى بما أوحى ،
على ما ذكر في القرآن الكريم ، في قصة موسى
عليه السلام ، وإنجائه من فرعون ، وقد
صدقها الله وعده ، في قوله : « إنا رادوه
إليك ، وجاعلوه من المرسلين » .

وجاء في القرآن الكريم ، أن الله جل جلاله ،
أيد رسوله محمدا ، صلى الله عليه وسلم ،
بالملائكة في حنين : « فأنزل الله سكينته
على رسوله ، وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا
لم تروها ، وقال تعالى : « إذ يوحى ربك

إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، .
« إذ تستغيثون ربكم ، فاستجاب لكم ،
أنى مدكم بأنف من الملائكة مردفين ، .
« بلى إن تصبروا ، وتتنقوا ، ويأتوكم من
فورهم هذا ، يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة ، مسميين ، . وروى الإمام مسلم ،
عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال
لحسن بن ثابت ، رضى الله عنه :

وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات إلى النور
« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بمحمدا ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون
للذين آمنوا . . . »

ومن الملائكة طائفة ، يدبرون الأمر ،
من السماء إلى الأرض ، وفق ما سبق به القدر
وجرى به القلم ، ومنهم الموكلون بالرياح
والسحاب والمطر ، وأمور الناس ، وما يتصل
بحياتهم ، وأرزاقهم ، روى الإمام مسلم
في صحيحه أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم
قال : « إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة
ثم يتصور عليها الملك الذى يخلقها (أى يسقط
عليها) فيقول : يارب : أذكر أو أنثى ،
فيجعله الله ذكرا أو أنثى ، ثم يقول يارب :
أسوى أو غير سوى ، فيجعله الله سويا
أو غير سوى ، ثم يقول : يارب ، مارزقه ؟
ما أجله ؟ ما خلقه ؟ ثم يجعله الله شقيا
أو سعيدا : .

ومنهم الوسائط بين الله ورسله ، يبلغونهم
الوحي برسالات الله إلى الناس ، وبين الله
والصالحين من عباده ، بالإلهام ، أو الرؤيا
الصالحة ، أو الرسائل الخاصة : « نزل به
الروح الأمين ، على قلبك ، لتكون من
المنذرين ، بلسان عربى مبين ، . « ينزل
الملائكة بالروح من أمره ، على من يشاء
من عباده ، . « إن الذين قالوا ربنا الله ،

فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك . لأنه مصيبتها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقریب . فلما جاء أمرنا، جعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك، وما هي من الظالمين ببيعد .

وهم يدخلون بيوت المؤمنين، ويجوسون خلالها، ففي الصحيحين أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة » . ولا يتعارض فحوى هذا الحديث مع ما جاء في القرآن الكريم : « قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » . لأن هذا لا يكون، إذا ما ظهر الملائكة للناس ، وعاشوا معهم ، وخالطوهم مع اختلاف الجنس ، أما الملائكة في خفاء من البشر ، فذلك واقع ، ولا جدال فيه .

ومن الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ، « قل يتوفاكم ملك الموت ، الذي وكل بكم » . « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم... » ومنهم الموكلون بسؤال الأموات في قبورهم، ومنهم أشياع لإسرافيل عليه السلام ، الذي ينفخ في الصور ، ومنهم خزنة الجنان، ومنهم الزبانية الغلاظ الشداد : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » . « خذوه فغلوه، ثم الجحيم (البقية على الصفحة التالية)

« إن روح القدس (جبريل عليه السلام) لا يزال يؤيدك ، ماناغت عن الله ورسوله » .

ومن الملائكة من يقوم على تدوين أعمال العباد في الحياة الدنيا ، حتى تعرض عليهم في آخرهم : « وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » . « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا... » ، ومنهم من يحفظون الإنس من سطوات الجن، لأنهم أعداء بنى آدم بالجنس، وأقوى على إيصال الأذى إليهم بخصائصهم وخفائهم ، ومنهم السياره في الأرض ، ففي الصحيحين أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله ملائكة سياحين في الأرض ، فضلاعن كتاب الناس، يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله ، تنادوا : هلموا إلى حاجاتكم ، فيحفظونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ...) .

ومنهم من يرسله الله ، برحاته لعباده المؤمنين : « إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها . بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر » . كما أن منهم من يرسله لإهلاك الأمم المكذبين بالله ورسله ، قال تعالى : « قالوا يا لوط ، إنا رسل ربك ، لن يصلوا إليك .

ابن الهيثم

داشرة معارف عربيّة
مدرسناز احمد أبو الخير منسى

علامتنا ابن الهيثم هو : أبو علي محمد ابن الحسن بن الهيثم ، ولد بالبصرة سنة ٣٧٠ هـ الموافق ٩٨٠ م . وارتفع شأنه حتى بلغ مرتبة الوزارة في العراق في دولة بني بويه وكان ابن الهيثم يقول : إنه لو كان من أهل مصر ، مقيما بها ، لجعل طرقا للرى تتعدل بها مياه النيل في سنى الفيضان الزائد ، وفي سنى الفيضان القليل ؛ فيكون من عمله ما يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان ، فبلغ قوله مسامع الحاكم بأمر الله . فاشتاق الحاكم إلى تحقيق ذلك ، وبعث إليه سراسييا من مال ، وآذنه برغبته في الحضور ، فهبط ابن الهيثم مصر وقابل الخليفة ، فأرسله إلى

أسوان لكي يجرى فيها أعماله لتعديل الرى ، ولكنه لما وافى النيل عند شلال أسوان ، ورأى المياه المتدفقة المنحدرة . في شلال أسوان والصخور الضخام الصم على جانبيه ، وجد أمره لا يسير على موافقة مراده ، وتحقق الخطأ فيما وعد به . فانقلب خجلا منخدلا ، واعتذر بما قبل الحاكم عذره ، وأبدى الموافقة على بيانه ظاهرا ، ولكنه في طويته وباطنه كان ناقما عليه فائر الغضب . وهكذا فارق ابن الهيثم ذلك السمو الذى اقتعد مرتبته في العراق بذات يده وأميط عنه ما كان فيه من عز وسؤدد ، وحاقت به آتئذ شوائب ، وضيقا بالغة . وقد خشى

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

صلوه ، ثم في سلسله ذراعها سبعون ذراعا فاسلكوه . . . أدخلوا آل فرعون أشد العذاب . . . ومنهم خزنة النار : . . . عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . . .

عباد الله المكرمون ، وجنده المعصومون على ما ورد عنهم في النبأ العظيم عن الله ، والخبر الصادق عن رسول الله ، وهو كما يقول الله فيه : وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

أحمد نصير القومى

وبعد ؛ فهؤلاء هم الملائكة ، عالم النور ،

كان ابن الهيثم منهلا عذبا لعلماء أوروبا في علم البصريات مثل: كروجر، وكوبرنيكس وباكون وغاليليو، وغيرهم ممن جاء بعدهم. ولقد تحقق أن أبحاث ابن الهيثم في الضوء أوحى إلى من جاء بعده من علماء أوروبا اختراع القطارات. وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية: أن ابن الهيثم كان أول مكتشف ظهر بعد بطليموس في علم البصريات.

أجل؛ فإن علم البصريات وصل إلى أعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم. فقد أخذ العلامة الفلسفي الألماني (كبلر) معلوماته في الضوء، ولا سيما فيما يتعلق بالانكسار الضوئي في الجو من كتب ابن الهيثم.

لقد وضع ابن الهيثم لبعض مسائل تتعلق بالضوء حلولاً واضحة مطابقة للواقع المعلوم من زمانه. فهو بحق رائد علم الضوء في عصره. وكتابه في (المناظر) وهو من أهم مصنفاته، بسط فيه وشرح موضوعات انكسار الضوء، وتشرح العين، وكيفية تكوين الصور على شبكة العين. وقد أحدث انقلاباً في علم البصريات جعل منه علماً مستقلاً له أصوله وقوانينه. يمضي فيه نظام علمي قائم على المشاهدة، والتجربة. ولقد كان علماء أوروبا عالة على هذا الكتاب عدة قرون، واستقوا جميع معلوماتهم منه في الضوء، وهو أول من كتب في أقسام العين، وأول من رسمها

الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي كان مريقاً للدماء بغير سبب، أو بأضعف سبب من خيال يتخيله. لم يجد ابن الهيثم بداً من إظهار الجنون والخبال فلا يكون كالباحث عن حفته بظلفه بهذه المدحضة التي وقع فيها على غير ما توقع، ولم يزل على ذلك حتى تحقق من وفاة الحاكم سنة ٤١٣ هـ. فأظهر العقل بعد ما أميط عنه ما كان فيه من أذى وضرر وعاد يثني إلى العلوم انصبا به كحالته في سيرته الأولى، وخرج من داره، فاستوطن قبة على باب الجامع الأزهر مشغلاً بالتصنيف والنسخ والإفادة، منصرفاً بكليته إلى العلم وإلى البحث عن الحقيقة التي كان مخلصاً لها كل الإخلاص كان ينسخ ثمت الكتب ويبيعها ليعيش ويرزق، فنسخ أصول (أقليدس)، (والمجسطي البطليموسي) وغيرهما وهكذا عاش إلى وفاته بالقاهرة سنة ٥٤٣ - ١٠٣٨ م

مات ابن الهيثم عن ٦٠ عاماً قضاهَا معتكفاً في خلوته نهاره وليله. نومه غرار كحسو الطائر، قد أشرب في قلبه العلم، وكلف به، فاهو بمزحزحه عنه شيء من أعراض الدنيا وزخارفها. يستعذب الكد بهمة مستمرة غير نازلة، فجلى للعالمين ما أوتى من علم متشعب فائض. وكنا نحن المصريين، بنزوله في ديارنا وعيشه معنا، وما أنتج من مصنفات نفيسة جليلة إلى يوم وفاته، نفتخر به ونعتز.

الأرصاد الكلية، وكتابا في الفجر والشفق ،
 وكتاب صورة الكسوف ، وكتاب رؤية
 الكواكب ، وكتاب مناظر القمر ،
 وكتاب التنبيه على ما في الرصد من الغلط .
 أما في البصريات فقد جمعت أبحاثه في سبعة
 مجلدات، وترجمت إلى اللاتينية، وطُبعت هذه
 الترجمة في مدينة (بازل) من أعمال سويسرا .
 هذا هو ابن الهيثم مفخرة الشرق العربي .
 وفريدة درر علومه . كما هو نخر مصر ،
 وجانب من وجوه مجدها الخالد . بما قدم
 وأسبغ من آثار باقيات، ومحدثات باهرات ،
 وخدمات جللت أقدارها ، فيما جبر ونشر
 من أنواع المعارف الإنسانية ، وما أسدى
 من أبحاث مبتكرة كان هو أبا عذرتها ،
 ورثتها الأجيال من بعده إلى يومنا هذا
 وما تلاه ؟

محمد أبو الفخر مفسر

بوضوح تام ، ووضع أسماء لبعض أقسامها
 أخذها عنه الإفرنج وترجموها إلى لغاتهم ،
 كالشبيكية ، والقرنية ، والسائل المسائي ،
 والسائل الزجاجي . وبحث في قوى تكبير
 العدسات فهد بهذا ؛ السبيل إلى استعمال
 العدسات في إصلاح عيوب العين .

كان تاج العلماء ابن الهيثم عبقرى ، متوقد
 القريحة ، صبورا وقورا ، خصب الإنتاج .
 أربت مصنفااته على المائة ، في الرياضيات :
 الحساب والهندسة ، والطبيعة ، والفلك .
 نذكر منها ؛ كتاب (شرح أصول إقليدس)
 في الهندسة والعدد، وكتاب (الجامع في أصول
 الحساب) ، وكتابا في المساحة على جهة
 الأصول ، وكتابا في تربيعة الدائرة ،
 وكتاب استخراج ما بين البلدين من البعد
 بجهة الأمور الهندسية وكتاب مساحة الكرة،
 وكتابا في المرايا المحرقة ، وكتاب

العلم

• يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون

خير . .

من أخلاق الرسول: المكافأة على الجميل

للإمام محمد بن أبي شهبه

لئن كان في البشر قوم يمتازون بكبر العقل ، وأصالة الفكر ، وبجاجة الطبع ، وسمو الفطرة وطهارة القلب ، وصفاء النفس ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، ومقابلة الإحسان بالإحسان .

ففي الذروة من هؤلاء أنبياء الله ورسله الكرام ، ولا سيما خاتمهم وصفوتهم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فقد وهب من المكارم والفضائل ، والأخلاق العالية ما لم يؤت غيره ولا غرو ، فإن من كانت رسالته عامة للناس جميعا عربهم وعجمهم ؛ وأبيضهم وأسودهم ، وتصدى لهداية الخلق على تباين فطرهم ، وأذواقهم وطبائعهم وبيئاتهم لا بد أن يكون في خلقه رحابة لهؤلاء جميعا ، ونحن لا ننكر أن بعض هذه الأخلاق أو

الكثير منها قد أوتيته بعض الصفوة من الخلق لكن اجتماعها في شخص واحد ، وعلى حال من السكال والجلال لم يكن إلا لنبينا محمد ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولذا نجسد أصحابه على كثرتهم ، واختلاف مشاربهم وطبائعهم وأخلاقهم كانوا يحبونه حبا جما نادرا ، ويمجدون في بحره العذب الواسع ما يشفي أنفسهم ، ويروى غلتهم ، وفي موقف

من المواقف المشرفة لبعض الصحابة قال أبو سفيان بن حرب - وذلك قبل أن يسلم : ما رأيت أحدا يحبه أصحابه كحب أصحاب محمد محمد أ .

ولا يمكننا أن نتناول جوانب النبي الخلقية في مقال ، فذلك يحتاج إلى كتاب جزل ، ولكني سأتناول جانباً من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وهو « المكافأة على الجميل » :

ولا نكاد نعرف أحداً كان أعرف للجميل وأعظم مكافأة عليه مثل ما عرفنا ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف وهو القائل فيما رواه الإمام أبو داود في سننه عنه : (من أسدى إليكم معروفا فكافئوه عليه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له) ، وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئته الله به يوم القيامة ، وما نفعتي مال قط ما نفعتي مال أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن صاحبكم خليل الله) ، وإذا أجلنا النظر في سيرته صلى الله عليه وسلم وجدنا مثلاً علياً ، وأدبا في هذا الباب يجب أن يحتذى .

معنا - أن هواكم مع محمد . تعلل طالب بهذه الكلمة فرجع مع من رجع إلى مكة من القرشيين لما بلغهم أن العير قد أفلتت . وذكر لعنه العباس موقفه المشرف في بيعة العقبة الثانية ، واستيثاقه لأمر ابن أخيه فقد حرص على أن يحضر العقبة الثانية وهو على دين قومه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول متكلم فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج لخزرجها وأوسها - إن محمدا منا حيث قد علمت ، وقد منعناه من قومنا بمن هو على مثل رأينا فيه فهو في عزة من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، وما نعوه من خالفه فأتهم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده فقالوا : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، وقال : (أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم فوالذي بعثك بالحق لنمنعك عما تمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب ، ورثناها كابرا عن كابر ، فقام

ففي غزوة بدر الكبرى التي كانت أولى المشاهد في الإسلام ، والتي نصر الله فيها الحق على الباطل ، والهدى على الضلال لم ينس النبي - وهو يعي القوى ويشجذ الهمم ، ويشير العزائم للقتال - وصاته بأناس خرجوا مكرهين إلى القتال بحكم العصبية الجاهلية ، وكانت لهم مواقف مشكورة في منع النبي صلى الله عليه وسلم وحايته من أذى قومه ، أو مساع حميدة في رد الظلم والطغيان ، فقال لأصحابه يومئذ : (إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا مكرهين لا حاجة لهم بقتالنا ، فن لني منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لني أبا البختری ابن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لني العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكرها) . ولا تحسبن أن الرسول بهذه الوصاة أراد أن يجاني أهله ، وذوى قريبه ، فقد كانت نفسه الشريفة أسى من ذلك وأرفع وإنما هو عرفان منه للجميل ، فقد عرف لبني هاشم منعهم له ثلاثة عشر عاما ، وانحيازهم لأجله في الشعب ثلاثة أعوام عجاف ، حتى جهدوا وأكلوا ورق الشجر ، بما يؤكد أن خروجهم إلى بدر كان على سبيل الاستكراه إذعانا لحكم العصبية الجاهلية آنئذ ، ولذلك لما قال أحد القرشيين لطالب بن أبي طالب : والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم

ولما جرى بأخته من الرضاع - وهي الشياخ
بنت السيدة حليلة السعدية - في سبايا هوازن
وتعرفت له ، وتعرف عليها بسط لها رداءه
وقال لها : (إن أحببت أقمت عندى
مكرمة محبة أو متعتك ورجعت إلى قومك)
فاختارت أن ترجع إلى قومها ، فأعطاه
وأرجعها معززة مكرمة .

وقال أبو الطفيل : رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم وأنا غلام - إذ أقبلت امرأة حتى
دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه ،
فقلت من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته !!
وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من
الرضاع فوضع له بعض ثوبه ، فقعده عليه ،
ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه
الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من
الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأجلسه بين يديه .

وكان صلى الله عليه وسلم يبعث إلى ثوية
مولاة أبي لهب - وهي مرضعته قبل قدوم
السيدة السعدية - بصلة وكسوة ، فلما ماتت
سأل : (من بقي من قرابتها) ؟ كي يصلهم
فقيل : لا أحد .

وفي سفر الهجرة لما خرج النبي هو
والصديق من الغار وتوجها ومن معهما إلى
المدينة مروا بخيمة أم معبد ، وكانت امرأة
تخرج إلى الرجال وتتحدث معهم مع التصون

أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ،
إن بيننا وبين الرجال اليهود - حبالا - يعنى
عهودا إنا قاطعوها ، فهل عسيت إن فعلنا
ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك
وتدعنا ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال : (بل الدم الدم ، والهدم الهدم ،
أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم
وأسلم من سلمتم) ثم قال : (أخرجوا إلى
منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم
بما فيهم) فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا :
تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، فقال
لهم : أنتم على قومكم كفلاء ككفالة الحواريين
لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي !!
وذكر لأبي البختری أنه كان له ضلع كبير

في نقض الصحيفة الظالمية ، وهي التي كانت
تعاهدت فيها قریش على مقاطعة بنى هاشم
وحصرهم في الشعب حتى يسلبوا لهم محمداً
ويتخلوا عنه ، وعلقوها في جوف الكعبة
وهي حسنة لا ينساها النبي قط ، ولم يكن
أبو البختری من بنى هاشم ولا تربطه بالنبي
قربة قريبة ، وإنما هو السمو الخلقى والإنساني
يأبى إلا أن يقابل الجميل بخير منه .

وبلغ من سمو أدبه صلى الله عليه وسلم في هذا
أنه لما قدم وفد للنجاشي قام النبي صلى الله
عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نحن
نكفيك هذا ، فقال : (إنهم كانوا لأصحابنا
مكرمين وإني أحب أن أكافئهم) !!

مليح الوجه ، لم تعبهُ ثجلة - ضخامة البطن -
ولم تزر به صعلة - صغر الرأس - قسيم وسيم -
في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ،
وفي صوته صحل - بحة خفيفة - أكحل أزج
أقرن ، في عنقه سطع ، وفي لحيته كشاشة ،
إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه
البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا تزر ولا هذر ،
كان منطقهُ خرزات نظم يتحدثون ، أبهى
الناس ، وأجمله من بعيد ، وأحسنه من
قريب ، ربه لا تنساه عين من طول ،
ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ،
فهو أنضر الثلاثة منظرآ ، وأحسنهم قدآ ،
له رفقاء يحفون به . إن قال استمعوا لقوله ،
وإن أمر تبادروا لأمره ، فقال زوجها :
هذا والله صاحب قريش الذي تطلب . وتسوقها
الأقدار هي وابنها إلى المدينة ، فتعرف ابنا
على الصديق ، وقال لها : هذا هو الذي كان
مع المبارك - يريد النبي - فسألت الصديق
عنه ، فدلها عليه فأسلمت وحسن إسلامها ،
وقد وهبت لرسول الله شيئا من أقط ومتاع
الأعراب ، وعرف لها رسول الله هذه اليد
في الهجرة فكافأها عليها أحسن مكافأة
وكساها ، وأعطاه عطاء من لا يخشى الفقر ،
وأكرمها وابنها إكرام من يجازى بالإحسان
بالإحسان ويكافئ على الجليل بخير منه ، وهذا
قليل من كثير من مكافآته صلى الله عليه وسلم
على حسن الصنيع ؟

محمد محمد أبو شريفة

والعفة ، وكانت تحبّ بفناء قبتها ، ثم تسقى
وتطعم من يمر بها من المسافرين ، فهي مثل
مشرف للبرأة العربية ، ولم تكن قد أسلمت
حينذاك . ولم تكن تعرف النبي صلى الله عليه
وسلم ، ولكنها توسمت فيه البركة والخير ،
ووصفته وصفاً يَم عن الفطنة ، وسعة العقل ،
وبعد النظر فسألها النبي : هل عندها لحم أو
لبن يشتريه منها ؟ فقالت : لو كان عندنا شيء
ما أعوزكم القرى . وأخبرتهم أن القوم مجدبون
مرملون فنظر النبي في جانب خيمتها فقال :
(ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : شاة خلفها
الجهد عن الغنم ، قال : فهل بها من لبن) ؟ قالت :
هي أجهد من ذلك قال : (أتأذنين لي أن أحلبها) ؟
قالت : إن كان بها حلب فاحلبها ، فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فسحها ، وذكر
اسم الله ، ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا
بإناء لها فحلب فيه ثجا حتى ملأه وأرسله إليها ،
فسقاها وسقى أصحابه ، حتى إذا رووا شرب
آخرهم وقال : (ساقى القوم آخرهم) ، ثم حلب
فيه ثانياً عودآ على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحل
هو وأصحابه ، فلما جاء زوجها أبو معبد يسوق
أعنزاً هز الإقال لها : من أين هذا اللبن يا أم
معبد ؟ ولا حلوبة في البيت والشاة عازب . فقالت :
لا والله إنه من بنا رجل مبارك كان من
حديثه كيت وكيت قال : صفيه لي فوالله إنى
لأراه صاحب قريش الذي تطلب . فقالت :
رأيت رجلاً ظاهر الوضأة ، حسن الخلق ،

الدميري وحياة الحيوان للأستاذ محمد جاد البنا

— ٢ —

كتابه ، ولكن الدميري لإحساسه باختلاف منهجه عن سواء لم يشر إلى أنه سيكمل ما بدأه الجاحظ أو أنه سيستأنس بمنهجه عند تأليف كتابه ، ذلك أنه أدرك تميزه عن الجاحظ بالاعتماد على استقراءه المتتابع لما حوله ، ومشاهداته الفنية التي استفادها من أسفاره العديدة ، فضلا عن هضمه لكل معارف زمنه وسنابع الآن منهجه كي ندرك الفرق بينه وبين منهج الجاحظ .

منهج الدميري في حياة الحيوان :

مع أن الدميري حرص منذ البداية أن يدفع عن كتابه قضية الشمول والاستيعاب حتى يجبر ما يقع فيه من نقص أو خلل فقد رماه المحدثون بالتقصير ، وأخذوا عليه أنه أغفل ذكر بعض المواد ، وأوجز القول في بعضها مثل مادة « البهشة » ومادة « القرعوش » ، فلم يزد على أن قال في الأولى : إنها البقرة الوحشية ، وعن الثانية إنها القيراد الغليظ (١) . كما أخذوا عليه النقص الواضح في (البرمائيات)

(١) الدكتور حسين فرج زين الدين في - مقدمة طبعة التحرير لحياة الحيوان - .

الزاعم أن « الجاحظ » هو الرائد الأول لتصنيف أول كتاب في التاريخ الطبيعي لا يكاد يجانب الصواب ، ذلك أن نظرة إلى كتاب « الحيوان » كافية للتدليل على هذا الزعم ، وإن كان الكتاب قد اهتم بفقه اللغة والنحو ، ومعاني الأسماء أكثر من عنايته بالناحية الوصفية لأنواع الحيوان (١) . ولقد كان على الشيخ كال الدين الدميري - وهو يجمع مواد مؤلفه حياة الحيوان من مصادره المتعددة ، والتي بلغت على ما ذكر في مقدمة الكتاب تسعة وتسعين ديوانا من الشعر العربي ، وستين وخمسة من الكتب العامة - أن لا يغفل كتاب الجاحظ ، بل كثيراً ما يلع إليه ، ويشيد به في مواضع مختلفة من

(١) هكذا لاحظ جاكار - أحد أساتذة كلية بمباي بالهند - ويضيف الدكتور حسين فرج زين الدين : أن الكتاب يشتمل إلى جانب ما ذكره جاكار على تجارب خاصة أجراها الجاحظ على الحيوانات المختلفة وكان في كل تجربة يسير على نهج خاص - دائرة معارف الشعب - مادة حياة الحيوان .

يقول : - والكلام فى المقدمة - « فقلت عند ذلك : فى بيته يؤتى الحكم ، وبإعطاء القوس باربها يتبين الحكم ، وفى الرهان سابق الخيل يرى ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ، واستخرت الله تعالى ، وهو الحكيم المنان ، فى وضع كتاب فى هذا الشأن ، وسميته « حياة الحيوان » .

الدميرى ، إذن ، لم يمكن من جهابذة هذا اللون ، ولا هو ممن يدعون فهمه وحذقه كذلك فأسس هذا العلم « التاريخ الطبيعى » لم تكن قد اتضحت بعد ، وكتاب الجاحظ ، كما أوضحنا ، لم يكن يعنى بالنواحي التى نحاها الشيخ الدميرى فى كتابه - وإن كان الكتابان قد اتفقا فى بعض النواحي مثل بث الأشعار ، ورواية الأخبار ، وقص الأحداث ، والنص على ما يحرفه العامة والخاصة من الكلمات والاستعمالات . . تناسى علماء الحيوان المحدثون النظر إلى معارف القرن الثامن الهجرى الذى عاش مع أيامه الدميرى وفيه ألف كتابه (١) أليس فى هذه الأسباب مفردة ومجتمعة ، ما يدفع عن الدميرى وصحة النقص وإثم الغفلة ، وعلى أية حال يكنى الدميرى أنه غير مسبوق - بغير كتاب الجاحظ - فى هذا الباب وأنه كان رائدا لها كما تردد

التي لم يتناول منها سوى الضفدع والعجوم : « ذكر الضفادع ، والشفدع : « الضفدع الصغير ، (١) .

وأظنهم تغافلوا عن منهج الرجل الذى أوضحه فى سبب تأليفه للكتاب حينما قال فى المقدمة : « وبعد : فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه ، ولا كلفت القريحة تأليفه ، وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس ، التى لا يخفى فيها لعطر بعد عروس ذكر « مالك الحزين » و « الذئب المنحوس » (٢) ، فحصل فى ذلك ما يشبه حرب البسوس ، ومزج الصحيح بالسقيم ، ولم يفرق بين نسر وظليم . إلى أن

(١) الدكتور محمد رشاد الطوبى فى بحث له بتراث الإنسانية ٧٧٩ - ١٠ المجلد الثالث .

(٢) مالك الحزين : قال الجواهري : لأنه من طير الماء . قال الدميرى : وهذا الطائر لما كان يقعد عند المياه التى انقطعت عن الجرى وصارت مخزونة سمي مالكا ؛ ولما كان يحزن على ذهابها سمي بالحزين . وهو طائر طويل العنق والرجلين وهو ينشل الأسماك من الماء فىأكلها ، وهى طعامه وهو لا يحسن السباحة ٥٦٤ ح الحيوان ثان ط التحرير .

أما الذئب بكسر الذاو وأنشاء ذئبه والجمع ذيوخ وأذباخ وذئجه فهو ذكر الضباع الكثير الشعر نفس المصدر ص ٦٤٢ أول .

(١) ينظر عدد رمضان ١٣٨٦ هـ من مجلة الأزهر - مقالنا عن الدميرى .

ملتفتين إلى ناحية طالما أغفلها الذين تعرضوا للكتاب بالدراسة ، تلك هي الناحية الأدبية التي تفرقت بين فصول الكتاب ، وسنعرض صوراً موجزة منها قبل أن ننقل إلى قضية إحياء الكتاب وبعثه والتي من أجلها عقدنا هذا البحث منذ بدايته .

صور أدبية من حياة الحيوان .

أزاح الدميري الستار عن مشاهد وصفية جديدة صورها الشعر العربي مما غفلت عنه بعض الكتب والدواوين الشائعة في العربية . ذلك لأننا تعودنا أن نقرأ فيها شعر النسب والغزل وأهازيج الحنين إلى الديار والأطلال وعقود المديح للحكام والأمراء ، والتفاخر بالأنساب والأحساب وكريم الخصال وأغنيات الطبيعة ، ووصف ما بها من محاسن الخلق ، وآيات الجمال ، ودموع الرثاء ؛ كل هذا نقرأه ونستظهر بعضه ونغفل عن بعض ولكننا قليلاً ما كنا نقرأ في هذه الدواوين الشائعة أمثال هذه المقطوعات بل والقصائد السكاملة التي ساقها الدميري بين طيات كتابه في وصف الحيوان وتسجيل شيء من عاداته وطبائعه ، فهو مثلاً يمثل بهذا البيت عند ذكر البازي :

وكم طيب يفوح ولا كسك

وكم طير يطير ولا كبازي

علما الغرب على مائدته الحافلة كما سنبين فيما بعد . وبالرغم من أن الدميري نفى عن نفسه قضية الشمول والعموم - كما أوضحنا - فقد استطاع أن يضمن كتابه كل المعلومات التي زخر بها عصره عن الحيوان ، ولكي يتحقق له ما أراد لجأ إلى الترتيب المعجمي فبدأ بالهمزة، مثلاً، مستوعبا كل ما بدأ بهذا الحرف من الحيوانات والطيور والحشرات . وهكذا فعل مع بقية حروف المعجم الأبجدي وبرغم أنه وعدنا منذ البداية أنه عقد هذه الفصول كي يكشف اللثام عن بعض المعلومات التي تتعلق ببعض الحيوانات والطيور التي خفي على الدارسين أصلها وأنواعها وخصائصها ، إلا أنه استطرد إلى أشياء كثيرة ، خرجت به عن منهجه الذي ارتضاه وحدده في مقدمة كتابه ؛ ولعله أراد أن يتقبل كتابه - كما هو شأن الموسوعات العربية العامة - بأشتات مختلفات من القصص والسير والأشعار والأمثال واللغويات والفوائد مما أعطى كتابه قيمة أدبية غير قيمته العلمية التي اشتهر بها في الأوساط الأوربية والعربية على السواء . وهنا نحن تاركون عرض المنهج العلمي ونقده للتخصصين^(١) من علماء الحيوان

(١) في - بحث تراث الإنسانية - الذي أشرنا إليه عرض مفصل لهذا المنهج للدكتور الطوبى فليرجع إليه من أراد .

وفيه إشارة واضحة إلى سرعة طيران هذا الطائر ، وهو يستدل ، على أن الحيوانات عديمة الفائدة تكون كثيرة النتاج ، بالبيت الذى يقول :

بغاث الطير أكثرها فراخا
وأما الصقور مقلدة نزور
وهو يدل على تصور الشعراء لصوت البلبل وتغريده :

وبلبل الدوح تصيح على الـ
أيكة والشحورور تمتاز
ثم هو يدل على أن الاشرار من الناس فى مرتبة الافاعي والثعابين :

من استنام إلى الاشرار نام وفى
قميصه منهم صل وثعبان
ومن الطراف الشعرية التى اتحفنا بها ما كتبه على قصر المأمون أعرابي جائع يعبر فيه عن حقه على الترف الذى يموج به هذا القصر بينما هو لا يجد ما يتبلغ به من القوت الضرورى :

ياقصر جمع فيك الشوم واللوم
متى يعيش فى أركانك البوم
يوم يعيش فيك البوم من فرحى
أكون أول من ينعيك مرغوم
فلما علم المأمون بقصته أرسل إليه وسأله عما فعل فقال : أو ما علم أمير المؤمنين بما قال الشاعر ؟ قال : وما قال الشاعر ؟ قال :

إذا لم يكن للبرء فى دولة امرئ
فصيب ولاحظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها
فقال المأمون : اعطه يا غلام ألف دينار
ثم قال : هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله .

ويقول الدكتور حسين فرج زين الدين :
والدميرى إذ يستشهد بالشعر المتصل بالمادة إنما يؤيد العلم بالأدب - فى مادة (الضب) يقول : إن بينه (يعنى الضب) وبين (العقارب) مودة فلذلك يؤويها فى جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده ، ثم أورد قول الشاعر :

وأخذع من ضب إذا جاء حارس
أعد له عند الذبابة عقربا
فهذا البيت من الشعر يحمل ما يؤيد المعنى العلمى لنظرية التكافل أو التعايش .

أما القول بأنه يورد أبياتا من الشعر لا تمت إلى الحيوان بصلة ، مثل ما أورد من قول ابن دريد :

جمعت له كفى بالرمح طاعنا
كما جمع الخلفين فى الضب حالب
فإن الدميرى إنما أوردته ليؤيد به معنى آخر لكلمة (الضب) وهى أنها تعنى أيضا أن يجمع الحالب خلقى الناقة فى كفيه عند حلبها . وهذا من المعلومات المطلوبة . ثم إن

الدميرى حين يتكلم عن الطاووس يورد وصف شكله الظاهرى أى «المورفولوجيا» فى أبيات عذبة حيث يقول الشاعر :

كانه فى نقشه عروس
فى الريش منه ركبت فلوس
تشرق فى داراته شمس
فى الرأس منه شجر مفروس

كانه بنفسج يميلس
أو هو زهر حرم يبيس^(١)
ومن الشعر اللاهى ما رواه عن أبى الحسن
ابن سكرة الهاشمى فى مליح يعرف بابن
برغوث :

بليت ، ولا أقول ، بمن لانى

متى ما قلت من هو يعشقوه

حبیب قد نفى عنى رقادى

فإن أغمضت أيقظنى أبوه

ولم يكن اختيار الشيخ الدميرى قائما على الذوق الفقہى الذى اشتهر به كعالم من علماء الشافعية ، أو الذوق العلمى الذى ارتضاه منها لكتابه ، وإنما هو ذوق الشاعر الذى قال الشعر وإن يكن نظما والذى خاض بحوره زمناً مؤلفاً عنه ومغترفاً منه^(٢) فهو القائل فى الشعر الاخلاقى أو التعليمى مضمنا من الكتاب الكريم :

(١) ص ١٦ ح الحيوان ط التحرير .

(٢) فى مقائنا السابقة ذكر جملة مؤلفاته .

بمكارم الاخلاقى كن متخلقا
ليفوح من ثنائك العطر الشذى
واصدق صديقك إن صدقت صداقة
وادفع عدوك «بالتى» «فاذا الذى»

قضية أحياء الكتاب :

تعرض كتاب حياة الحيوان فى نسخته الكبرى لعدة طبقات مختلفة من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم وهذه الطبقات كلها تتفق فى الرداءة وعدم النظرة العلمية عند التحقيق وسنعطى من النصوص ما يؤيد ذلك بعد أن نبين طبقات الكتاب فى العالم العربى

طبقات الكتاب فى العالم العربى :

كانت أولى الطبقات فى العالم العربى هنا فى القاهرة سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) فى المطبعة الاميرية ببولاق وعليها مقدمة بقلم مراجعها محمد العدوى . ثم أعيد طبعة سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) وقد راجع هذه الطبعة وصححها أحمد الصباغ ، وكلا النسختين مودعتان بدار الكتب والوثائق القومية ثم طبعت هذه النسخة الكبيرة بالمطبعة الميمونية فى سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) وقد ذكر المؤرخ هوارث فى سنة ١٩٠٣ أن هذه النسخة الكبرى طبعت بالقاهرة ست مرات ، وتقول دائرة معارف الشعب - مادة حياة الحيوان - «ولا شك

مختصراته

تعرض الكتاب في نسخته الكبرى إلى جلة من العلماء والمتخصصين في أنحاء العالم الذين هذبوه واختصروه من ذلك - كما ذكرت دائرة معارف الشعب مختصر تحت عنوان - حاوى الحسان من حياة الحيوان - أقول : ولعلها النسخة الصغرى إذ أن فهرس مكتبة باريس للخطوط العربية - على ما ورد في الدائرة، تذكر أن هذه النسخة الموجزة (١) من تأليف الدميرى دون أن تشير إلى أنه مختصر من المختصرات .

وثمة مختصر آخر عنوانه (عين الحياة) من عمل أحد تلامذة الدميرى وهو محمد بن أبى بكر عمر بن أبى بكر بن محمد الخزومى الدماينى المالسى، وقد وضعه بعد خمسة عشر عاما من موت الدميرى ٨٢٣ هـ . وقد ذكر أنه استمع إلى أصول الكتاب من فم مؤلفه . وقال : إنه مع الاحتفاظ بالتبويب الاصلى للواد ، وبالعناوين الواردة تحت كل مادة ،

(١) قال الدميرى : إنه فرغ من مسودة النسخة الكبرى في شهر رجب الفرد من سنة ٧٧٣ هـ ومن النسخة المبيضة في شعبان من سنة ٨٠٥ هـ . ومن المعروف أنه توجد نسختان من حياة الحيوان ، كبرى وصغرى ، والكبرى هي التي اهتم بها العالم العربى واعتمد عليها وتواتر طبعها عدة مرات .

في أنها طبعت بعد سنة ١٩٠٣ م أكثر من مرة ، - كنت لا أجد في دار الكتب المصرية ، ولا في المكتبة الأزهرية ولا في المكتبات العامة المبثوثة في القاهرة وضواحيها غير الطبعات المذكورة التي طبعت خلال القرن التاسع عشر ، ونكون غير منصفين إذا وجهنا نقداً أو لوماً إلى مراجعى هذه الطبعات ؛ فلقد كان القرن التاسع عشر معنى بحركة الإحياء العامة متشابهاً هذا الإحياء في الطبع والمراجعة ؛ أما القرن العشرون فطالب بما هو فوق هذا الإحياء ، من التحقيق العلمى ، والمراجعة الدقيقة ، والدراسات العميقة حول النصوص ، وسرى فيما بعد أن الكتاب طبع خلال السنة الماضية (في النصف الأخير من القرن العشرين) طبعة لا تكاد تختلف في جملة الأغلط مع طبعات القرن التاسع عشر .

الطباعات في غير البلاد العربية

ورد في معجم سر كيس (طبعة ١٩٢٨ م) أن كتاب حياة الحيوان طبع في بلاد فارس سنة ١٢٨٥ هـ مع صور ورسوم جميع الحيوانات الواردة فيه وكذلك صور بعض الآدميين بمن ذكروا في الكتاب . وترجم الكتاب كما روى حاجى خليفة في كشف الظنون - إلى الإنجليزية بقلم الكولنيل جاينكار أحد أساتذة كلية بمباى بالهند وطبع في لندن ١٩٠٦ - ١٩٠٨ م .

فإنه قد حذف من الأصل كل البحوث الفلسفية ، والدينية ، والاقتباسات الشعرية ، والقصص الأدبية ، بحيث أصبح المختصر - على صورة موجزة - في متناول الجميع .

وذكرت الدائرة أيضا - أن (وستنفلد) يقول : إنه يوجد مختصر للكتاب كما توجد منه مخطوطات في برلين وباريس - وإن كان وستنفلد لم يذكر اسم كل مختصر واسم واضعه - وثمة عدة مختصرات يضيئ الوقت عن ذكرها . فالذي يعيننا من ذلك كله أن الكتاب ظل منذ وضعه الديميرى إلى اليوم محل عناية من علماء الغرب والشرق الذين أدركوا قيمته العلمية ، وفائدته الأدبية ، فهدبوه واختصروه وحققوه ، وأضافوا إليه أحيانا . ولكن بما يؤسف له أن هذه المختصرات والطبعات المهدبة المحققة لم تصل إلى خزائن مكتباتنا العربية ، فقد قدر للكتاب أن تتفرق مختصراته ومخطوطاته بين مكتبات أوروبا بينما حرمت مصر مهد المؤلف من نسخة محققة حتى اليوم ^(١) .

لا جدال أن الكتاب محتاج إلى التحرير بما به من خرافات . لست أقول بالحذف فذلك ما لا تقتضيه الأمانة العلمية ، وإنما بالتنبيه في الهوامش والمقدمات على ما يتفق مع روح التجريب العلمى وما لا يتفق - ولا ضير أبداً على الشيخ الديميرى من هذا التحقيق الذى يخضع لنظرة جديدة تفرضا معارف الزمن الذى نحياه . فلقد كان الرجل - يرحمه الله - مرآة صادقة لمعارف عصره وها قد انتهى عصره ، فلماذا يفرض علينا ؟ ثم لماذا نفرضه على غيرنا من الأجيال المقبلة ؟ هذه واحدة أما الأخرى ، فإن الكتاب محشو بالأحاديث الضعيفة ، والموضوعة ، ولو ذهبنا نستقصى ما جاء منها منقولاً عن كتاب الدعوات وحده لآتيننا يبحث حول الموضوع جديد . ولا جدل أن مثل هذه الأحاديث الموضوعية والاسمار الإسرائيلية محتاجة هى الأخرى إلى نظرة واعية فاحصة تنبه على الضعيف والسقيم والمعتل ، حتى لا يختلط الطيب بغير الطيب ، ويطغى الزبد على ما ينفع الناس .

محمد هاد البنا

(١) من الإنصاف أن نذكر بالخير مختصراً من وضع لجنة فى وزارة الإرشاد القومى يسمى بالمختار من حياة الحيوان للدميرى ، وجذا لو أضيف إليه مختارات أخرى محققة ومهدبة .

ما يقال عن الإسلام

الإسلام والعرب

للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

ISLAM AND THE ARABS — BY ROM LANDAU

ظهور العرب على المسرح العالمى فى هذا القرن حدث من أخطر الأحداث التاريخية ، غير ميزان القوى بين الشرق والغرب . ويتميز العرب فى الوقت الحاضر بثلاث صفات أساسية : التحدث باللغة العربية ، والتدين بالإسلام ، والاعتماد على تراث حضارى مشترك . والعرب بهذا التعريف ينتشرون فى دول تمتد من المغرب على المحيط الأطلسى إلى الكويت على الخليج الفارسى ، وتضم هذه الدول ما يبلغ المائة مليوناً من السكان ؛ يعيشون على ثروات هائلة من زراعة ومعادن وبتروöl .

وكان العرب المسلمون فريسة للاستعمار الأجنبى منذ القرن التاسع عشر ، فوَقعت معظم بلادهم تحت براثن الاستعمار الإنجليزى والفرنسى . وكانت هذه الدول جميعاً قبل ذلك ، ومنذ القرن السادس عشر واقعة تحت حكم الأتراك العثمانيين ، بعد انتصار السلطان سليم على الغورى فى مصر ، ونقل الخلافة

الإسلامية إلى اسطنبول . وحملت تركيا راية الإسلام ، ولكنها حكمت العرب حكماً استعمارياً ، حتى لم يكن يسمح للعرب أن يتولوا مناصب الحكم أو الجيش ، فقضت أظافرهم ولم تبدر منهم بادرة للخروج على حكم الأتراك وضربت الدولة العثمانية على العرب حجاباً كثيفاً يمنعهم من الاتصال بالتطور الحاصل فى أوربا فى أثناء القرون من السادس عشر إلى التاسع عشر ، وهو تطور خطير يعد انقلاباً بل ثورة فى العلم والصناعة والثقافة . وفى الوقت نفسه اكتفى العرب بتزويد ما كان معروفاً عندهم من علوم وفنون ، لم يحدثوا فيها أى تقدم ، على العكس سارت فى طريق التأخر والجمود .

ثم إن تركيا نفسها أدت دورها التاريخى ، ودبت الشيخوخة فى أوصالها ، حتى أصبح الغرب يسميها بالرجل المريض . وتوجهت أنظار الغربيين إليها تريد الانقضاء عليها ، وتقسم التركة فيما بينهم ، وبدأ ذلك

٢٣٧ وبحق : « إن مشكلات العالم العربي الحديث إنما يمكن فهمها في ضوء ماضيها التاريخي ، وصلتها بتعقيدات عالمنا الحديث ، ولو أن هذه الحقيقة بديهية تنطبق في جميع الأحوال ، غير أن هذه القاعدة تحتاج إلى تأكيد عند ما ننظر في أمر العرب الذين ارتبط مصيرهم بمشكلتين عظيمتين في عصرنا الحاضر ، وهما : انتقال الشعوب التي كانت ذات يوم مستعمرة إلى السيادة الوطنية ، ثم الصراع بين إيديولوجية الشيوعية والغرب ، ولا يمكن التماس حل في الدول العربية لأي مشكلة من هاتين المشكلتين دون الرجوع إلى ماضي العرب نفسه ، .

وهذا الكتاب لم يؤلفه صاحبه أساساً للقراء العرب بل لبني جنسه ، أراد أن يبصرهم بالمشكلة الراهنة في الشرق الأوسط ، فاضطر إلى عرض تاريخي سريع للعرب والإسلام منذ ظهوره حتى اليوم ، فتحدث عن العرب قبل نبوة محمد وعن النبي والقرآن والإسلام ، وعن عصر الخلافة أي الأمويين والعباسيين ومن الخلافة إلى نهاية العثمانيين ، ثم أفرد فصلاً خاصاً للحروب الصليبية ، وفصلين عن شمال أفريقيا والاندلس ، وتحدث في خمسة فصول عن الشريعة والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وأنهى الكتاب بالعالم العربي كما هو عليه في الوقت الحاضر .

بغزو نابليون لمصر في ختام القرن الثامن عشر .

ولما كان الاتجاه العالمي المعاصر نحو التحرر والاستقلال ، فلا جرم تسعى الدول العربية إلى تحقيق هذا الهدف ، وبذلت في سبيل ذلك دماء ، وقامت ثورات ، وانتهى الصراع الدامي إلى انتصار الثورة العربية ، ولا تزال المعركة دائرة بين المستعمرين وبين العرب حتى الآن .

ومن الطبيعي أن يسعى المفكرون في الغرب إلى بحث هذه الظاهرة التاريخية وتحليل العناصر التي تتكون منها قوة العرب ، ومن جملة ما بل على رأسها الدين الإسلامي ، حقاً كان العرب موجودين في الجاهلية قبل الإسلام ، ولكنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، حتى نزل الإسلام في قلب الجزيرة العربية ، ومنها انتشر إلى أرجاء العالم بسرعة سريعة ، فكان الإسلام هو الدفعة الحيوية التي نفخت الحياة في العرب فلا غنى للباحث عن حقيقة وضع الدول العربية من الخليج إلى المحيط في الوقت الراهن من أن يرجع إلى تاريخ هذه الدول منذ ظهور الإسلام .

وهذا ما فعله الأستاذ روم لاندوا في كتابه عن الإسلام والعرب ، الصادر سنة ١٩٥٩ ، والذي يقع في زهاء ثلاثمائة صفحة ، ومن أسف أنني لم أطلع على هذا الكتاب إلا الآن بعد صدوره بسبع سنوات . يقول في صفحة

كان المؤلف منصفاً في حكمه على أن انتشار الإسلام لم يكن لغاية اقتصادية ولا بغية الاستعمار ، بل العمل على نشر الدين الجديد وما جاء به من تعاليم تقدمية على رأسها تحرير الفرد من العبودية ، سواء عبودية الأصنام والوثنية ، أم عبودية لغيره من البشر الذين كانوا يسترقونه ، ويبيعونه في الأسواق كما تباع الأغنام .

فجوهر الإسلام أنه لا عبودية لأحد من الناس لأن الله وحده هو المستحق للعبادة . ترك الإسلام للواطنين الحرية الدينية ، ما داموا من أهل الكتاب ، بشرط أن يدفعوا الجزية ، التي كانت ثقل كثيراً عما كانوا يدفعونه حين كانوا يخضعون للدولة البيزنطية .

ثم ترك لهم حرية الاختيار بأن يدخلوا ، إن شاءوا ، في الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، ولم يلبث أن دخل الرعايا المسيحيون بمحض إرادتهم في الإسلام هرباً من دفع الجزية ، وحتى يكونوا على قدم المساواة في المواطنة مع رفاقهم ، فضلاً عن اقتناعهم ببساطة تعاليم الدين الخالية من تعقيدات العقيدة المسيحية في التثليث والأقانيم وغير ذلك .

حرص المؤلف أن يعرض وجهة نظر المسلمين أنفسهم ، دون إبداء رأى فيها ، وهل

حقاً إن كتاباً في هذا الحجم لا يمكن أن يستوفي البحث في هذه الأحداث التي تقلبت على مسرح الزمن أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، ولكن براعة المؤلف ذلت العرض ، مما جعله يستخلص الزبدة واللباب ، ويقع على الأصول دون الفروع ، فهو بجرة قلم يذهب إلى أن الإسلام دين بساطة وتوحيد مطلق ، وأن الصلاة استسلام لإرادة الله ، وأن الحج قوة موحدة للمسلمين المتناثرين على سطح الأرض من الصين إلى أمريكا ، وأن الزكاة ضريبة على الأغنياء تعطى للفقراء ولا يمكن أن تتسع الصفحات إلا لذكر بضعة سطور عن كل موضوع ، وكان من الطبيعي أن تعقد موازنة بين الإسلام والمسيحية في أكثر من موضع ، نظراً لأن الدين الجديد حين ظهر في القرن السابع الميلادي انتشر على حساب دول مسيحية كثيرة ، حتى أصبح العالم في الوقت الحاضر موزعاً بين هذين الدينين فيما عدا البوذية والكونفوشيوسية المنتشرتان في الهند والصين واليابان ، وقد انتصر الإسلام حيناً من الدهر ، واستمر بضعة قرون حتى الحروب الصليبية ، عند ما أراد المسيحيون استعادة الأراضي المقدسة ونزلوا بالفعل في فلسطين ، وظل النزاع طوال قرنين انتهى إلى انحسار هذه الموجة الصليبية التي وضع لها صلاح الدين الأيوبي حداً .

يوافق عليها أم لا يوافق، كما أنه عرض وجهة نظر المسيحيين، حتى يكون موضوعيا .

هناك بالطبع نقط التقاء بينهما تتعلق بالإيمان بالله ورساله والخلق والبعث في اليوم الآخر . ولكن ثمة نقط كثيرة للافتراق ، على رأسها المفهوم الخاص بالله وصفاته . ذلك أن وحدانية الله أساس الإسلام ، وتتخذ هذه الوحدانية في المسيحية صورة الثلثية ، الآب والابن والروح القدس . والإسلام وحي من الله في قرآنه الذي هو كلام الله ، والمسيحية وحي من الله عن طريق الابن عيسى المسيح . المسيحية تقوم على محبة الله .

والإسلام يستند إلى الإيمان بقدرته الله . ومن ثم لا يشعر المسيحي بأن الخضوع لله ضروري للنجاة والخلاص ، وإنما المطلوب منه اعتقاد بالله ومحبة ليلبغ درجة الاتصال به . على هذا النحو من الموازنات يعضى المؤلف في تقرير سائر وجوه الخلاف بين الملتين الكبيرتين ، بهذه النظرة الصائبة النافذة ، مع روح الإنصاف .

كل هذه المقدمات التاريخية تمهيد لتفسير موقف الدول العربية في الوقت الحاضر ، كيف ظفرت بالاستقلال ، وانتزعت هذا الاستقلال من براثن الاستعمار على الرغم مما كانوا عليه من تخلف شديد . وهذا التحرر دليل كما يقول المؤلف على وجود حيوية

خارقة وصلابة عجيبة ، كما أنه دليل على استمرار بقائهم في المستقبل .

فمن أين جاءت هذه الحيوية والصلابة؟ لا شك من العنصر الأساسي الذي منه يتكون العرب وهو الإسلام في بساطته ودعوته إلى الحق والتقوى وطهارة النفس ، كان ذلك زمان قوة المسلمين في صدر الإسلام، وسيكون ذلك اليوم بعد التجديد في الدين ، والدعوة إلى الاجتهاد ، والملاءمة بين تعاليم الإسلام والأفكار العلمية والفلسفية الجارية ، وهما دعوة بدأت منذ القرن التاسع مع جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده . ومحمد بن عبد الوهاب، والسنوسي .

حقا هذه النهضة ليست على حد سواء في كل الدول العربية ، إذ من الطبيعي أن تتأثر بالبيئة الخاصة في كل دولة وبظروفها، فليست الجزائر مثلاً كالعراق ، ولكن الهدف واحد هو السير بعد الاستقلال في طريق التقدم الاجتماعي ، واضعين أيديهم معا ، في منظمة واحدة نبئت بعد الحرب العالمية الثانية ، هي جامعة الدول العربية ، التي تنسق بينهم ثقافيا واجتماعيا وسياسيا .

ولم تكف تلوح في الأفق منذ القرن التاسع عشر نزعة العرب التقدمية والتحررية ، حتى فكر الغرب ، وبالذات فرنسا وانجلترا اللتين اقتسما الدول العربية فيما بينهما ،

بالتحرر السياسى ، لأن التقدم الاجتماعى يكسب الأمة قوة تستطيع بها أن تقف في وجه الاستعمار . غير أنه اتضح من التجربة التاريخية أن وجود الاستعمار نفسه عقبة كثود في سبيل التقدم المنشود . ولذلك انتهى أمر المفكرين إلى أن الأولى حل المشكلة السياسية أولاً . وقد اتبعت مصر والجزائر والعراق وسوريا ، هذا الأسلوب الثانى ، وتخلصت أولاً من سيطرة الاستعمار لتتفرغ بعد ذلك إلى إصلاح أحوالها الداخلية وإحداث التغيير الاجتماعى المنشود . ونجحت بالفعل إلى حد كبير في صنع هذا التغيير ، تعبيراً عن الإرادة الحرة للدولة ، حين تحررت بالفعل من تدخل الأجنبي وسلطانه . ولكن المؤلف يرى أن العكس هو الصحيح ويلوم في ص (٢٣٩) الدول العربية لإلقاء كل الحمل نحو عدوها الأكبر وهو إسرائيل وعدم التفرغ الكافى لحل مشكلة القضاء على التقاليد البالية والأخذ بالتقدم العلمى والصناعى الحاضر ، أو على التخلف بين أهل الريف والمدن ، أو مشكلة الهوية السحيقة بين جماعة كبار الملاك وبين جمهور العمال والفلاحين وما يقع عليهم من فقر وظلم اجتماعى .

وقد غاب عن ذهن المؤلف أن وجود إسرائيل نفسه ، هذا الخطر الداهم المستمر ، هو الذى يغوق إلى حد كبير التفرغ لحل

في إنشاء محور ارتكاز للاستعمار يكون شوكة في ظهر العرب وموئلاً يعتمد عليه ، فكانت تلك الشوكة لإسرائيل ، التى دبر أمرها في آخر القرن التاسع عشر ، وأخذت وعداً بوجودها في أثناء الحرب العالمية الأولى ممثلاً في وعد (بلفور) المشهور ، واستقرت بالفعل دولة اعترفت بها الدول الكبرى ومنها روسيا السوفيتية سنة ١٩٤٨ .

إن إنشاء دولة إسرائيل في قلب الوطن العربى صرفهم عن التفرغ للمشكلة الثانية التى ينبغى عليهم حلها ، وهى التقدم الاجتماعى وقطع مسافة التخلف الشاسعة بينهم وبين التقدم العالمى الهائل في العلوم والمعارف والصناعات . فهم في شغل شاغل بضد عدوانها ودفع أطماعها في التوسع ، والدول الاستعمارية تعمل من وراءها وقد انكشف أمر هذه المساعدات العدوانية سنة ١٩٥٦ .

كان أمام العرب مشكلتان : إحداها سياسية هى مكافحة الاستعمار والتخلص من آثار التبعية ، والأخرى اجتماعية وهى العمل على الرقى وتغيير المجتمع . واختلف المفكرون والمصلحون والساسة أيهما تسبق الأخرى المشكلة السياسية أم الاجتماعية .

وذهب البعض إلى القول بأن التقدم الاجتماعى من تعليم وتغيير في النظم البالية وتدريب على الصناعات كل ذلك ينتهى

من الحكم الأجنبي ومن الاضطهاد لا يزالون باقين أصلاً كحقيقة قومية وثقافية . إن هذا البقاء وحده يوحى بأنهم يملكون صلابة وحيوية فريدتين .

هذه المشكلات ، والعرب لا يمكن أن يغيب عن بالهم عدوان تلك الدولة على (سينا) طمعا في الاستيلاء عليها لولا تكاتف العرب جميعا في رد ذلك العدوان .

إن هذه المعجزة التي يتحدث عنها المؤلف من استمرار العرب في البقاء كأمة لها قوميتها هي هي المعجزة التي ستيسر لهم النصر والتقدم واستعادة ما كان لهم من دور تاريخي في الحضارة العالمية . وسيكون ذلك بأسرع مما يتصور بعد أن انطلق المارد العربي واستعاد وعيه بنفسه وإيمانه بذاته ؟

أحمد فؤاد الأهواني

وقف المؤلف في كتابه إلى سنة ١٩٥٩ ، وقد تمخض التاريخ عن أحداث خطيرة منذ ذلك الوقت حتى الآن ، لم تكن في حسابان صاحب الكتاب ، فهو يقول في الخاتمة (ص ٢٧٦) : إنه على الرغم من أن خطوات التقدم العربي الحاضر أسرع بكثير مما سبق ، فلا مناص من مرور أجيال متعددة قبل أن يحقق الشرق الأدنى التوازن المطلوب . بل لأنها لمعجزة أن العرب بعد مئات السنين

« العرب »

هم قومي ،	وهم أصلى	وهم نسبي	إذا	أنسب
وهم مجدى ،	وهم شرفى	وهم حصنى	إذا	أرهب
وهم ربحى ،	وهم ترسى	وهم سيقى	إذا	أغضب

إنشاء وإدارة

دأب السيد أمين هويدي وزير الدولة لشئون الأزهر على عقد اجتماعات مع كبار المسؤولين في الأزهر للنهوض برسالته . وقد تقرر في أحدهذه الاجتماعات الانتقال إلى مراكز العمل لمعرفة مشاكل المعاهد الدينية على الطبيعة ، وضم عدد من المعاهد الحرة إلى الأزهر ، واستكمال وتجهيز المعاهد بما ينقصها من أدوات في حدود الميزانيات المقررة لهذا الغرض وقدرها ثمانية ومائة ألف جنيه . كذلك دراسة موضوع لامركزية الإشراف على المعاهد والمدارس الأزهرية وبمحة تمهيدا للنظر في تقسيم الجمهورية إلى عدد من المناطق حسب كثافة الخدمات بها ، وتناول الاجتماع بحث مدة الدراسة والمناهج الدراسية في المعاهد الأزهرية .

كما تقرر قصر القبول في العام الجامعي القادم في جميع كليات جامعة الأزهر على الطلاب الحاصلين على الثانوية الأزهرية بقسميها : العلمي والأدبي ، وإلغاء معهد الإعداد والتوجيه بعد تخرج هذه الدفعة سنة ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، وضرورة إجراء امتحان حقيقي للحاصلين على الشهادة الثانوية العامة بقسميها بدلا من الامتحانات الشكلية التي كانت تتم تحقيقا للتعاقد بينهم وبين

الحاصلين على الشهادة الثانوية الأزهرية . وتطبيقا لنصوص قانون تطوير الأزهر تقرر : عدم إنشاء شعب جديدة ، أو أقسام جديدة تتبع الجامعة إلا بعد الدرس وتوفير الوسائل . كذلك تقرر دراسة تصحيح أوضاع معهد الدراسات العربية والإسلامية الذي أنشئ في الأزهر ، وتحويل الطلاب في شعبتي الصيدلة وطب الأسنان إلى كلية طب جامعة الأزهر ، واعتماد ثلاثين ألف جنيه لتجهيزات كلية الطب ، وبالنسبة لمشاكل هيئات التدريس تقرر :

النظر في مشكلة الترقيات بوضع الحلول العاجلة التي تؤدي إلى إنصاف العلماء وغيرهم وإنجاز مباني الجامعة . وأصدر سيادته التوجيهات التالية في شأن سياسة الأزهر :

● المشاكل الموجودة هي من طبيعة خطة الإنشاء لكن يجب عدم زيادتها بعدم المواجهة الفورية لها ولا ينبغي - عند المقارنة - القياس بمشاكل الآخرين .

● لا بد من مداولة اجتماعات عمداء الكليات فيما بينهم لإيجاد وحدة فكرية بينهم .

● يجب الإعداد لمواجهة العام الدراسي القادم من الآن على أن تكون كل الكليات مستعدة في موعد أقصاه شهر مارس .

● تخريج أكبر عدد من الحاصلين على الشهادة الثانوية الأزهرية بحيث يكون القبول في جامعة الأزهر مقصوراً عليهم مستقبلاً . وقد اشترك في المؤتمر الذى أقر خطوات التطوير مع سيادة الوزير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون والسادة : كمال رفعت أمين الدعوة والفكر الاشتراكي ، والسيد يوسف وزير التربية ، والدكتور النبوى المهندس وزير الصحة ، والدكتور عزت سلامة وزير التعليم العالى ، والدكتور لبيب شقير وزير التخطيط ومحمد فايق وزير الإرشاد القومى ، وحسن صبرى الخولى الممثل الشخصى لرئيس الجمهورية ، وكبار المسؤولين فى الأزهر .

وأعلن السيد أمين هويدى أنه كان لابد - حرصاً على مستقبل الأزهر - من مراجعة خطة التعليم فيه وتقييم تجربة التطوير التى مر عليها نحو ست سنوات منذ صدور قانون التطوير عام ١٩٦١ لىكى يمكن وضع أفضل النظم لاستمرار تقدم الأزهر ، وكان لابد من مواجهة صريحة للمشاكل وبخاصة مشكلات المعاهد الأزهرية التى تعتبر (المنبع) الحقيقى الذى يغذى الجامعة .

وقال : ولذلك تقرر أن نمر بمرحلتين : الأولى : محاولة العلاج .

والثانية : تقديم الإمكانيات اللازمة للمستقبل ، وانطلاقاً بهذه السياسة تقرر :

● إعلان سياسة القبول فى الجامعة ومناهجها وشروطها فى كتيب خاص يوزع على الطلاب وعلى المتقدمين ، ويتضمن جميع نظم الدراسة وقواعد القبول .

● ربط سياسة التعليم بالأزهر . و قبول الطلاب بالسياسة العامة للدولة .

● توحيد التنسيق بين مكتب التنسيق فى جامعة الأزهر ، ومكتب تنسيق الجامعات الأخرى اعتباراً من العام الدراسى القادم .

وأعد سيادة الوزير تقريراً هاماً عن خطوات المرحلة الجديدة لتطوير جامعة الأزهر ومعاهده .

وكان من نتيجة جهوده المشمرة أن :

● وافقت وزارة التعليم العالى على مبدأ استخدام هيئات التدريس فى الجامعات بتخصصاتهم المختلفة وتحريكهم كوحدة واحدة لخدمة كل الجامعات بما فيها جامعة الأزهر ، وتخصيص عدد من الدرجات بميزانية الأزهر الجديدة لهيئات التدريس بالكليات الأزهرية . ● تخصيص ٦٠٠ ألف جنيه لاستكمال حاجة كليات الجامعة من المعامل .

● وافقت وزارة التربية على اعتبار طلاب المدارس الابتدائية الأزهرية ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم وعددها نحو ١٠ آلاف مكتب فى قرى الريف طلاباً ملزمين كتلاميذ مدارس الوزارة تماماً . كما وافقت على ضم بعض المدارس الابتدائية الموجودة فى القرى إلى الأزهر لتوسيع قاعدته فى الريف .

● الإبقاء على الصفات المميزة للأزهر في الدراسات الدينية والعربية وتذويب الفوارق بين خريجي معاهده وجامعته وبين خريجي المعاهد والجامعات الأخرى .

● وفي المعاهد الأزهرية طلب دراسة تطوير السلم التعليمي تطويراً شاملاً ابتداء من العام الدراسي القادم وخفض سنوات الدراسة لمدة سنة في كل من المرحلتين الإعدادية والثانوية وتطوير المناهج والكتب مع الاهتمام بالمواد الدينية والعربية والثقافية بما يكفل مطالب الأزهر في المستوى المعقول غير المرهق - من التعليم الديني والثقافي على أن يتم ذلك كله قبل بدء العام الدراسي .

● وقف أى إنشاءات جديدة في الأقسام إلى أن تستكمل كل منها كافة التجهيزات والتحصينات اللازمة .

● الانتهاء هذا العام من المباني التي شرع فيها وفي مقدمتها مبنى كلية البنات بمدينة نصر لنقلهن من المعادى إليه ، وكذلك مبنى كلية الهندسة والورش التابعة لها . والجناح الأخير لكلية الطب بمدينة نصر ، واستكمال المباني الأخرى .

● تسليم مستشفى الدراسة الذي قرر رئيس الجمهورية تخصيصه لكلية الطب بعد تجهيزه .

● نقل كلية المعاملات والإدارة إلى مقرها الجديد ؛ وشغل مقرها الحالي في الدراسة بإدارة جامعة الأزهر .

● دعم مجالس كليات الأزهر بإضافة عدد من ذوي الخبرة ، وإصلاح النظام والجهاز الإداري ومسايرة التطور العلمي في الجامعة والمعاهد للحياة المعاصرة لتقدم جامعة الأزهر نوعاً جديداً من الخريجين غير منعزل عن الحياة

على الخطيب

فهرس أبجدي عام

المجلد الثامن والثلاثين من مجلة الازهر

حرف (ا)	
ابن الهيثم	٩٨٥
ابن الياستين وقصة الأرقام العربية	٦٦٦
أثر الازهر في الحركات الشعبية - ٢ -	٥٥
أثر العرب الأدبي على كتاب الحركة	٢٣٦
الرومانتيكية في إنجلترا	٥٧٤
أثر الفتوة الإسلامية في الحضارة الإنسانية	٨١٦
أثر المسلمين في الحضارة الإنسانية	٩٤٨
الأخلاق الإسلامية	١١٦
أدب الكندية	٨٦٤
الأسرة بين الشريعة والميثاق	٢٣٤
الإسلام والسياسة	٦٤٤
الإسلام والعرب	٩٩٩
الإسلام والعقل ، كتاب ،	٦٢٢
الإسلام والعلاقات الدولية	٢٤٠
الإسلام والكرامة الإنسانية	٩٢٧
الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا	٢٤٤
كتاب ،	٥١٦
الإسلام ونتائج المدنية الحديثة	٧٢٧
الإمام ابن حزم	٢٤٩
الإمام البخاري محدثا وفقها ، كتاب ،	٥٥٦
الإمام الأوزاعي يحبه الطفيلان	٢٠٩
الأمل ، قصيدة ،	٢٠٩
حرف (ب)	
إنسانية الحب في أدب المهجر	٩٣٨
أمير الكويت الراحل ، قصيدة ،	٨٨
إن وإذا ، بحث نقدي ،	٧٥
أهل الرأي من الفقهاء	١٧٩
أول المسلمين	٣٤٤
أين المبشرون بالاسلام	٧٣٢
إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية	٢٦٤
بتغير الأزمان	٢٩٦
٨٢	١٨٣
حرف (ت)	
بركات الايمان	٥
البطل المسلم ، قصيدة ،	٣٥٢
البهرة (طائفة البهرة)	٤٧
بيان أعضاء مؤتمر مجمع البحوث في غزة	٥٠٨
تأثير ابن خلدون في أسلوبنا المعاصر	١٦٣، ٦٠
تاريخ الاسلام في العصر الوسيط ، كتاب ،	٦١٧
تأملات في المجتمع العربي ، كتاب ،	١٢٠
التأمين - ٨ -	١١٠
تحديد الشهور القمرية	٤٨٠
تحرير معنى الحرية	٢٥٧
تحريف وتحريف	٢١٧
الترتيب الذي استقرت عليه سور القرآن	٣٦٤

(ب)

... ٣٦	التعليم الإسلامى فى أفريقيا ...	٣٥٨
... ١٧٧	تفسير سورة المدثر (كتاب) ...	٨٧٨
... ٣٤٩	تقرير عن مصادرة مصحف باكستانى	٢٥٢
... ٨٥٩	توصيات الفترة الأولى للمؤتمر ...	٤٨٦
... ١٥٨	التوبة بعد الألوان صفقة الخاسرين	٥٣٦
... ٢٦٨	تولستوى والوحدانية ...	٩٥٨
... ٤٠	تيارات منحرفة فى التفكير الدينى	٦٥
... ٢٢٧	المعاصر (٩ - ١٠)	١٤٩

(ث)

... ٣٠٦	الثورات بين الجسد والروح ...	٦٣٧
---------	------------------------------	-----

(ج)

... ٦٠٥	حول تنفيذ حكم الطاعة ...	٧٠
... ٥٦٥	الجبال فى القرآن الكريم	٢٩١
... ٨٣٧		٥٤٧
... ٩٥٣		٦٩٧
		٨٣١

(خ)

... ٧٠١	الجنس الملعون ...	٢٦
---------	-------------------	----

(د)

... ٥٣٢	جهاد الواعظ سبط بن الجوزى ...	٢٠٦
... ٧٦٠	جوانب البر فى حياة الرسول	٥٥٢
... ٨٨٩	صلى الله عليه وسلم ...	...

(ح)

... ٥٣٢	دائرة معارف قرآنية ...	...
... ٧٦٠	درء مظاهر من الجرأة فى تفسير	...
... ٨٨٩	الكتاب العزيز ...	...
... ٨٥١	دروس من فريضة الحج ...	...
... ١٨	دعوة الرحمن لكل إنسان ...	...
... ٧١٥	الدميرى وحياة الحيوان ...	...
... ٩٩٢	دين الله دين القوة ...	...
... ١٢٩	حاجة الخلق إلى هداية الخالق ...	٨٢٣
	من حديث الحج فى القرآن الكريم	٩٤٢
	حديث مع رئيس مسلمى بولندا	٦٣١
	الحديث وقيمتة العلمية والدينية ...	٤٤٧
	الحرب الوقائية فى عصر الرسول	١٨٦
	صلى الله عليه وسلم ...	...

(ج)

(ر)

- ١٠٣ روى المؤرخ الفقيه أبى شامة ...
١ الربيع فى الشعر المصرى ...
٣٢٤ الرجز فى اللغة والأدب ...
١٣٣ الرسالة الروحية للشباب الجامعى
٨ } الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن
١٣٦ } الرسول صلى الله عليه وسلم يصف القرآن
٦٤١
٦٧٤ رسول الله هود عليه الصلاة والسلام
٤٦٠ روح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح
المجتمع الحديث ...

(ز)

- ٤٤ زمن الورد ...
٧٠٤ زواج المتعة بين الشيعة والسنة ...

(س)

- ٨٠٤ السجع والقرآن والبالا فى ...
٢٢٤ سر (قصيدة) ...
٥٩٠ سعد بن عباد بن الحقيقة والأسطورة
٥٦١ السنة وما أثر حول مصنفاتها ...

(ش)

- ١٩٥ شخصية العقوبة فى القانون المقارن
٦٨٥ شهر رمضان موسم التعبئة الروحية
٣٧٣ شوق وشعره الإسلامى - (كتاب)

(ص)

- ٨٨٥ صفحة من حياة الأفغانى ...
٦٩١ الصيام عن اللحم وتناج الحيوان

(ط)

- ٣١ } طلائع الثقافة العربية فى السودان
١٥٢

(ع)

- ٩٧ } عائد من الفليبين ...
٣٥٤ }
٦٠٩ }
٩٨١ عالم الملائكة ...
٢١٠ } عبقریات العقاد الإسلامية ...
٢٨١ }
٣٦٨ العرب ...
٤٦٩ العقو فى الاسلام ...
٩٤ عقوبة الجلد ...
٩١٥ عقيدة المرشدة للبهدى بن تومرت
٥٦٩ علمائنا إبان العدوان الصليبي ...

(ف)

- ٧١١ فتوى الإمام محمد عبده فى التأمين
على الحياة ...
١٢٥ الفصحى والعامة فى رأى مستشرق
فرنسى ...
٥٨٦ فلسطين فى شعر المهاجرين ...
١٧٢ الفلسفة الصينية ...
٢٢٦ فى رحاب الخلود ...
٩١ فى المجتمع الغربى ...
٩٠٩ فى الموازنة بين المبطلين والمحقين

٤١٠	كلية فضيلة الشيخ نجم الدين الواعظ
...	مندوب العراق
٤١٥	كلية الدكتور محمد عبد المعيد خان
...	مندوب الهند
٤١٢	كلية فضيلة الشيخ راشد الفرحان
...	مندوب الكويت
٤١٣	كلية الأستاذ عبد الكريم ساتيو
...	مندوب اليابان
٣٩٣	كلية الوفود
٤٠٤	كليات الوفود ومختارات
٣٢٩	كل من عند ربنا

(ل)

٢٠٣	لحية شاعر تورك الإنجليز
٧٥٧	لغتنا بين الجمود والميوعة
٥٠٩	لغتنا بين العلم والتعليم
٨٦٩	اللغة بين اللفظ والفكر
١٤٣	اللغة العربية بين الفصحى والعامية
٣٠١	...
٥١٣	ألوان من الرياء
٧٧٣	لا وساطة بين الخالق والمخلوقين

« م »

٣٨٥	المؤتمر الثالث لمجمع البحوث
...	الإسلامية

(ق)

٦٢٧	قادة فتح المغرب العربي ، كتاب ،
٦٨٨	قاعة رمضان بقلعة الجبل
٢٧٨	القرآن مآدبة الله لعباده
٥٨١	القرآن الكريم منجى ومجموعا
٤١٨	القرآن في التربية الإسلامية وبحثان ،
٤٧٥	...
٤٨٧	قرارات وتوصيات الفترة الثانية
...	لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث

(ك)

٢٠	كتاب الحياة الأخرى
٣١١	كسوف الشمس
٨٥	كشف الظنون — استدراك —
٣٨٩	كلية فضيلة الإمام الأكبر في افتتاح
...	المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية
٤٠٠	كلية السيد حسين الشافعي
...	نائب السيد رئيس الجمهورية
٣٩٥	كلية الدكتور محمود حب الله
...	الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
٤٠٤	كلية سماحة الشيخ نديم الجسر
...	مندوب لبنان

١٤٠	من تصوير القرآن لمشاهد الآخرة	٣١٥	
٩٣٤	منهج الرازي في تفسيره ...	٥٩٧	المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين
٧٤٨	موطن الجمال « فلسطين » ...	٧٢١	
٦٧٧	مواكب النصر في رمضان ...	٨٤٤	
	« ز »	٩٧٤	
٨٥٥	نائلة امرأة عثمان ...	٧٨٩	المبالغة في الإنكار للحق تكون قوة
٨٢٧	نشأة القراءات ورسم المصحف ...		في الاعتراف به ...
٥٢٢	نقض رسالة في أصوات المد والتجويد	٦٢٨	الملتصبة من القرآن « كتاب » ...
٦٥٧	القرآني ...	٩٠٤	مثل عليا من سيرة عمر بن الخطاب
٧٨١		٤٢٩	المجتمع الإنساني في ظل الإسلام
	« ح »	١٢٤	محمد رسول الحرية (كتاب)
٧٨	هجرة وجلاء ...	٧٥١	محمد النبي والحاكم « كتاب » ...
٢٨٦	هل أتم الفخر الرازي كتابه	٥٠٥	مرحبا بورثة الأنبياء ...
٥٣٩	في التفسير ...	٨٨١	مرشد المزي « كتاب » ...
٨١١		٨٧٢	المسيح في القرآن (كتاب)
	« د »	٢٦٠	المصالح المرسله كما يراها الإمام مالك
١٢	وجوب دراسة الدين في مراحل	١٦٨	المعجزات (مقارنة الأديان) ...
	التعليم الثلاث ...	٢٥٥	المعجم الفقهي المالكي بالعربية
٧٩٢	الوحدة المعنوية في الإسلام ...		والفرنسية « خير » ...
٥٢٩	وظيفة الراعي ومسئوليته ...	٥٠٢	مع الأمين العام في مؤتمريه الصحفيين
٦٥١		٤٩٠	مع العلماء الوافدين ...
٤٨٦	توصيات الفترة الأولى للبؤتمر الثالث	٦٣٥	منح إدارة البعوث الإسلامية ...
	« دى »	١٩٧	الموسوعة العربية الميسرة ...
٣٨١	يا لله لدينه المظلوم ...	٤٣٨	مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية
٩٦٢	اليهود والمجتمع الإسلامي ...	٣٢٠	مكانة الفقه الإسلامي ...
٦٢٧	يوسف عليه السلام (كتاب) ...	٧٩٩	من البحوث الإسلامية ...
		٤١٨	من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم
		٩٨٨	

فات المجلة أن تضع رقم (٤) لمقال : من أثر الرومانتيكية ص ٩٦٦ ووضع بدلها رقم (٦)
خطأ فنلفت إليه النظر .

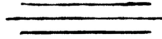
« إذا عملت الخطيئة في الأرض كان شهيداً فأنتكروها كمن غاب عنها
ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » .

(*If a sin be committed on earth, he who hath witnessed it and condemned it, will he be absolved of its sin ; and he who hath not witnessed it and yet approved of it, will he be made a party thereto*).

. . .

« لتأمرن بالمعروف ؛ ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ؛
ولتأطرنه على الحق أطراً ؛ ولتقرنه على الحق قسراً ؛ أو ليضربن آفة قلوب
بعضكم ببعض ، ثم يلعنكم كما لعن بنى إسرائيل » .

(*Let ye enjoin the good and forbid the evil, prevent the iniquity of the unjust and force him back to the truth, lest hatred of one another be engendered in your hearts and ye be accursed as were the sons of Israel*).



the least misrepresentation or ambiguity they elucidate to him and speak out th his face even the defects he has of his qualities. Sincerity and courage rather than hypocrisy and fear prevail and shape their life-long course. On the contrary, if they are bad intimates of corrupt consciences, never will they care about the good of the community that has been afflicted with them, or mind the close of their indiscretion. Along of such malicious intents as they are always bent on, they hide from him that which is right instead of declaring it to him, screen his shortcomings instead of criticising them, make evil seem fair in his eyes, and even turn him sometimes into an instrument for their illegal enterprises. So, his response to their evil plotting will result in nothing but his deviation from the right path and his bringing disaster on men first then on himself in the last. For evil shall recoil on those that plot evil; thus Allah has said in His Wise Book, and to this history, literature and folklore bear witness.

However, we should not be misled by the superficial impression on shallow minds of the Prophet's saying that it is only those whom Allah protects that are preserved. Experience has been always teaching us that Allah helps those who do their duty, particularly those who do it will. As regards the everprevalent

belief in the immaculateness of prophets, we should never forget that strengthened by Allah as they were, they also had their faults for which He blamed them and conditions in which He threatened them hard, even Muhammad himself, the last prophet and dearest to Him ! To trace this point further needs another separate essay. For the present we claim that it is both short-sightedness and thinking tremendously of Allah to lay blame on Him for one's failure without having done one's duty

A ruler, or in fact any guardian of any sort, should then be prudent and ingenious enough to be able to discriminate between the good and the bad, to know when to disclose and when to hide and how to make his decision on sound lines. He should cause truth to triumph, bring truthful men near unto him and exterminate who call for falsity. On the other hand, his advisers should be intent upon faithfulness to truth, particularly when they are men of high standing whose opinion is sought to be followed. In this way they will be almost as inapt to be affected by instigation to wickedness as the prophets, our beau ideal of mankind.

Every guardian and his intimates should then receive the admonition in this Hadith and mend his ways so that intrigue and insurrection are eradicated and the banners of salvation are raised high.

From the Tradition of the prophet :

Two Sorts of Intimates

By

SOLIMAN BARAKAT

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصمه الله .

"No Prophet Allah has ever sent forth or man He has ever made master but has had two sorts of intimates: the one enjoining on him that which is right and urging him on it, and the other enjoining on him that which is evil and urging him on it. It is only those whom Allah has protected that are preserved."

In this Hadith the Prophet, may Allah's blessing and peace be on him, handles a social phenomenon of great weight in the lives of communities, and of undeniable effect on the construction, order and security of societies. Hardly is a man entrusted with a momentous affair when gathering round him becomes the urgent demand and fervent desire of those who pursue boast and empty vaunt, those who look forward to donation, and those who seek the shelter of his broad shoulders, even though from his own authority. Then, it is inevitable that he brings some of these men near unto him; in them he reposes his trust and to them he discloses his heart. Having marked them with such distinction, it spontaneously follows that he prefers

them above others in a multitude of other affairs. In short, they are his intimate retinue; and of a retinue whom he asks for help and with whom he consults what to do in face of currents of events and opinions, neither a prophet nor a commander has been deprived.

After all, over the conduct of these intimates dominate the natural inclinations and whims of flesh and blood. So these men may make good or wicked suite. If they are good and righteous, it will be to their pleasure that he follows the path of right and does all in his power for those over whose lives he commands. To achieve this end, they enlighten him on both that which is sound and that which is defective or unhealthy, and without

impressive example of equality among muslims; he was the best ruler who did not take care of grandeur; he considered ruling people as an assignment or a mandate. He looked after the muslims and visited their houses so as to see their living conditions. He said : Any man who happens to be a ruler on the muslims and does not do justice, God will send him to hell.

Islam, however, calls for justice and equality, and considers that governing has its duties which must be preserved, and that the Governed have their rights which they must obtain.

This was emphasized by the Declaration of Man's Rights issued on December 10th, 1948, and by putting the U.N. Charter on June 26th., 1945.

When Abu Bakr - the First Caliph in Islam - was selected for that post, he said : O, Muslims, I have been chosen as your ruler, and I am not the best amongst you. If I do good, then help me; if not, correct my mistakes.

Omar ben El-Khattab advised his governors to be merciful and kind towards the citizens and to avoid toughness and violence; he said : I select you as governors only to do

justice and equality and to observe prayers, do not be little the muslims and preserve their rights.

It is necessary, therefore, to preserve human rights and dignity. Violence and suppression are contrary to moral and ethical values and to human rights, and he who practises these methods, violates God's orders and wrongs people.

When Islam came into being, it put an end to many of the crimes that prevailed during the pre-Islamic era such as infanticide, eating the dead animals and enslavement. These crimes prevailed in ancient Greece and Rome. Plato, in his Idea, allowed the annihilation of sick people who could not be cured, he allowed the slaying of the weak; Spartans killed their weak children with cold blood.

With the appearance of Islam, all these crimes were attacked and eliminated. This religion called for justice, freedom and equality - before the declaration of Human Rights signed in Lake Success. And if this declaration called for the right of Man in life, freedom, security and well-treatment, Islam was - and still is - the real origin for all these human principles.

do so, had you did what he asked you to, I would reward you later on”.

Thus, we can see, that man by doing good to others, he obeys God's orders, and that his favour and help to others are made for God's sake and to obtain his mercy and blessing. Islam, moreover, calls on Muslims not to confine their good actions to their fellow Muslims, it also urges them to help others.

It is also been said that Prophet Muhammad had said that all creatures are God's family and He loves most those who benefit this family.

Once a controversy occurred between Abu-Dhurr El-Ghaffari and a negro in the presence of Prophet Mohammad, the first was enraged and said : you negro ! Muhammad frowned and was very angry, he said : this is a back lash, a white man is not different from a black man except in his piety and good action. Abu-Dhurr put his cheek on the ground and asked the negro to tread on it.

This respectful treatment, as a matter of fact, which was prevalent centuries ago in the Islamic society, differs greatly from racial discrimination towards the negroes in America and elsewhere practised by the white people who proclaimed

Man's rights and commemorate this declaration of Man's rights annually.

However, if the U. N. Security Council is doing its utmost to preserve peace and stability all over the world, although it succeeded in solving a great deal of International disputes and easing world tensions, but failed to do anything positive in the case of the Vietnam problem and stop this bitter war, Islam has found the best way to settle disputes, in this sense the Glorious Qur'an says : “if two groups of the faithful clashed with one another, try to conciliate them; if one group attacked the other, then fight the attacking group till it accepts God's judgement; if it does so, then make conciliation in accordance with justice, and be fair, for God loveth those who are fair and just. The faithful are brothers, try to conciliate them unto each other”.

This, every appeal for putting an end to the Vietnamese war, and mobilizing world opinion against the inconveniences of this war, and giving the Vietnamese people the right for self-determination - fits in with the teachings of Islam. For this religion is the religion of peace.

Hundreds of years before, the U. N. had called for man's rights; Prophet Mohammad set the most

Islam : the Origin of Human rights

By Dr. : Gamal El-Din El-Ramady

The United Nations holds an annual celebration in commemoration of the Human Rights Day. This dates back to the day when a declaration of man's rights was issued which stipulated that all human beings are equal regardless of race, colour or religion. This declaration states the right of every man to culture and education.

All nations in the world welcome this declaration and described as a great victory for humanity, and a continuance of a very long struggle into which all countries sacrificed dearly.

On July 9th., 1776, a declaration was issued in the U. S. A. It stated that all human beings are born equal, and that God gave them fixed and unchangeable rights: the right of living that of freedom and happiness; and that it is the duty of governments concerned to preserve these rights in accordance with the authority given to them by the ruled.

No one can deny of this reality that these are great gains for humanity, yet there is a limitless source

of all these victories which can satisfy all our aspirations namely, Islam. For this religion is the first origin of man's right. It really preserves the rights of mankind; there is no discrimination between Arabs and non-Arabs except in piety and purity for God only interested in our souls and actions not in our bodies and faces. Man's action is his only means to require God's acceptance and forgiveness.

Islam urges its followers to show mercy towards one another to be merciful and fraternal to each other. God, in this respect says: "O, Man, I fell ill and you have not visited me". Man replies: "O my Lord; how this happened and how can I visit You and You are the Lord of the world?" God says: "One of my creatures was ill, you did not visit him. Had you done that, you would have found me there! O man, I asked you food but you offered Me none". Man says: "O Lord of all people how can I feed you and everything is at Your disposal?" Allah says: "Did not you know that one of your fellow citizens asked your help and you refused to

The following is the prayers of Abraham from the Holy Qur'an :
"My Lord, make this land secure and turn me and my sons away from serving idols; my Lord, they have led astray many men. Then whoever follows me belongs to me; and whoever rebels against me, surely Thou art All-forgiving, All-Compassionate. Our Lord, I have made some of my seed to dwell in valley where is no sown land by Thy Holy House (Ka'ba); Our Lord, let them, perform the prayer, and make hearts of men yearn towards them, and provide them with fruits; happily they will be thankful. Our Lord, Thou knowest what we keep secret and what we publish; from God nothing whatever is hidden in earth and heaven. Praise be to God, who had given me, though I am old, Ismail and Isaac; surely my Lord hears the petition. My Lord, make me a performer of the prayer, and of my seed. Our Lord, and receive my petition. Our Lord, forgive Thou me and my parents, and the believers, upon the day when the reckoning shall come to pass".

Indeed, it was this man and his son, who rebuilt the first sanctuary on earth, the Ka'ba at Mecca. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayer and it is the stone from which spreads out the eternally vibrant rays of Islam. The faith which Abraham

taught, the faith that all the prophets taught, the faith that Muhammad (may peace be with him) taught; the last prophet of all. The faith of the One God, Allah. There is no other true faith and never can be, for anything else is bound to be false and hypothetical. Islam is fact. If one follows the logical and simple proofs set out in the Qur'an, follows them to their ultimate conclusion, then one comes up against the irrefutable fact that there IS a supreme being, infinite and transcendent, above and beyond all we know. . . yet, in some miraculous way, we can know Him for He is our Creator and the breath of life He blew into us is His divine gift to His creation, Man.

The sacrifice then, at Eid Al-Adha, is very important. For at this time should remember why we are performing this sacred act. The act is not a pagan rite inherited from the past, but an act of deep religious significance; which if we study it sincerely will strengthen our faith. Why do we perform this sacrifice?

What for? Ask yourself these questions and never do anything without knowing fully what you are doing, or else the act becomes empty and foolish. The Qur'an instructs you to learn, not to be ignorant. Therefore then, it is imperative that one knows fully the true significance of this most important day, Eid Al-Adha.

by the hand of Allah. At his birth his mother, Usha, had to hide in a cave to escape the soldiers of king Namrod who, because of a certain dream, had ordered the killing of all newborn children who were male. The Quran tells us that when still a youth he had a great spiritual experience and which gave an indication of his future holy life.

One day, while he was walking to his father's house, the day gradually faded, night came and a star appeared. When he saw this star he said : " That is my Lord ". But when it set he said : "I do not love those things that set !". Then he saw the moon appeared and said : "That is my Lord". When this also set he said : "Surely, if my Lord does not guide me I shall go astray and become one of the lost". Then the sun rose and he said : "That is my Lord who is the greatest of all". But this also set and when it did so he said : "O my people, I am free from your idolatry. See, I turn my face to the Creator of heaven and earth". Such perception in one so young is truly unusual.

Later, when he became a man, the Quran tells of another happening in his life. One day Abraham asked his people : "What are these idols you worship ? You are wrong in doing so". They replied: "Our fathers did so, so do we". After this there

came a time when the people left the town and Abraham remained behind, while they were gone he took an axe and went to the temple where the idols stood. There he broke them into pieces and scattered them, all except one large idol into whose hand he put the axe. When the people returned and saw what had happened in their temple they accused Abraham of the deed and questioned him, saying : "Are you the man who did this to our gods?". Abraham answered them : "Surely, the largest of them has done this thing. Ask them, if they are able to speak !". The people were confused and replied : "You know well that they cannot speak". Then Abraham replied : "Do you then, disregarding Allah, worship those things that cannot help or harm you ? Shame on you and your worship of idols". The people could not answer and were furious with him. As punishment they threw him into a furnace, but Allah protected him and he left the fire completely unharmed.

There is much to know about this wonderful man, who is called Khalil Allah, "the friend of the One God". His life was very long and spent in the service of Allah, his name becoming known to all people. When he died at the age of 175, he was buried in the family tomb at Khabrun.

E i d A l - A d h a

(The Sacrificial Feast)

By : Raschid Ansari

This is the second major festival which all Muslims celebrate. It takes place on the 10th. Dhul-Hijja, the day on which the pilgrims make their sacrifice in the Valley of Mina. On this day all Muslims, no matter where, sacrifice an animal, preferably a ram or sheep. As may be expected there is great rejoicing on this happy occasion, which starts with the 'Salat El-Eid' (the Eid prayer) and ends 3 days later.

It is at this time that we especially remember the great prophet Abraham, who was the first Muslim to make this particular sacrifice.

Many, many years ago the prophet Abraham was about to make a supreme sacrifice, he was going to sacrifice his son, Ismail, because in a dream he was commanded by Allah to do this. When he told his son of this dream he understood and told his father that he must do what he thought he had to do.

Together they went to a certain place in the Valley of Mina and there prepared a place for sacrifice. When it was ready Ismail laid himself down on the altar and exposed his throat to his father's knife. Abraham stood over his son, knife

in hand, about to give the life of his beloved son. What courage and faith this father and son had, for this was no easy thing to do for either of them, for the one to take the life of his son and for the other to submit himself to his father's wish ; both of them submitting to the will of Allah. Then, just as Abraham's knife was about to descend to his son's throat, he heard the bleating of a ram and suddenly saw the animal with its horns tangled in abush. " This animal will be sacrificed and not your son", a Divine Voice commanded him. Trembling with relief and happiness Abraham embraced his son, then taking the ram which had miraculously appeared, he obediently made a sacrifice to his Lord who had put him to such a hard and severe test.

Abraham is a fine example for all of us. He shows us that we must submit to the will of Allah, no matter what it may cost, and often this submission is a form of testing for us that we may prove ourselves. In the process strengthening our faith, and character.

Abraham's life from the very beginning was separated from others

of the body as a whole. These groups and classes had little or nothing to do in determining social status of individuals.

(O mankind ! Lo ! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo ! the noblest of you, in the sight of Allah is the best in conduct S.XLIX: V. 13) is the clear mandate of the Holy Quran in this respect. Names of individuals and classes were for identification but not for determination of social status. The caliphs, the supreme head of the society, enjoyed no social preference and they were addressed by a common Bedouin as he would address a brother by bare names but not as a monarchs and other dignitaries are addressed in these days with high-sounding forms of address like His Holiness, His Majesty or His Excellency. The only difference between a Caliph and a common man was that a Caliph was entrusted with special duties and responsibilities peculiar to that office and he enjoyed social respect only when he faithfully discharged his responsibilities. This sense of brotherhood was so real, so unique and so living that the Caliphs themselves had no sense of social superiority or artificial sense of prestige and dignity of office. When the proud Persian Satorap Harmuzan

was brought to Caliph "Umar" as a prisoner, he found the Caliph, his victor, comfortably sleeping like a humble common man with his head on the bare steps of the mosque of the Holy Prophet. This was the miracle of the kalimah.

No state or society is a Muslim state or society in which this standard of equality and brotherhood is not visibly present. To compare the much vaunted equality, fraternity and liberty of western democracy with the equality and brotherhood of the early Muslim society of Medina would be to compare the ridiculous with the sublime, and hypocrisy and mockery with truth. "Zainub", a daughter of a proud Quraish, a close relation of the Holy Prophet himself was married to "Zaid", a slave. By this the age-old pride and vanity of birth and heritage was completely destroyed. The famous Negro slave "Bilal" by dint of his own personal merits got a distinction which any man on earth would covet. The white guardians of modern conscience and knowledge do not even sit with a Negro free man in the same church to offer prayers to God who is the common Creator of all—the white, the Black, the yellow and the Brown⁽¹⁾.

(1) The creed of Islam..

Faith in the unity of God suggests the law of nature that seeks and creates unity in every diversity. Faith in the kalimah without active faith in the brotherhood of man is in effect negation of the kalimah. In the social order which the kalimah prescribes the status of man is determined not by his descent, inheritance or acquisition of material wealth, possession of political power or by ones vocation and occupation of life but by his personal character and behaviour, that is Guna and karma. Women not only get a social status but they get a status equal to the status of men. Faith in the unity of God summarily rejects all sense of false and artificial dignity. Caliphs of Islam inspired awe and admiration of the then world not by the grandeur and glamour of a royal court but by their nobility of character. This human aspect of the kalimah, namely, the brotherhood and equality of man was so carefully and zealously nourished that the Holy Prophet Muhammad (peace be on him) did not even tolerate any tendency of his disciples to show any special social preference to him and to the members of his family.

The kalimah revolutionised the social life of the Arabs. They not only broke all artificial distinction between man and man but they com-

posed all their differences, rooted out mutual hatred and jealousy and loved one another not merely as comrades but as real brothers. The Ansars or the helpers of Medina divided up all their belongings equally with the refugees who came to Medina from Mecca as brothers would divide their father's assets equally amongst themselves. Faith in the kalimah made it clear to the early Muslims that a real and active sense of brotherhood and its opposite vanity and pride of personal distinction both originate in the mind and not in any external material circumstances. By a classless society they meant a social life in which there was no class conflict and in this sense the Arab Muslim society was a real classless society.

This classless society was created not through class struggles but by an active faith in the brotherhood of man. There were groups classes-vocational classes, economic classes, family and tribal classes and lots of other classes but the kalimah retained such of the classes and groups as was needed for harmonious development of the social organism but class distinction and class consciousness were effectively removed. These classes and groups were the limbs of the same body functioning harmoniously for the healthy development

Teachings of the “Kalimah”

(There is no god but Allah)

By : Abul Hashim



....In this dark context the stern and compassionate Voice of God, “There is no deity but God” was heard. It was stern because it uncompromisingly and definitely commands dissolution of all man-made distinctions between man and man and compassionate because it teaches the sweet relation of man with God and his relation with his fellow men. The Kalimah removes effectively all barriers that divide a brother from a brother and prescribes a social order which makes equality and brotherhood of man a living reality.

Faith in the Oneness of God is senseless if it does not mean faith in the oneness of man.

(We did not create man except as one nation (S. X : V. 19) is the message of the Holy Qur’an. If God has created man as one Nation, man has no right to create arbitrary distinction between man and man. Equality of man which the Kalimah preaches is not, however, mathematical but is social. One cannot be an equal of another in all

respects; some are black and some white, some are tall and some short, some are diligent and some idle, some are intelligent and some stupid and some are gentle and some wild. Quite naturally some by their personal qualities acquire distinctions over others but such distinctions, according to the teachings of the Kalimah, are not permitted to interfere with or to disturb in any manner or degree the social equality of man. An intellectual gaint may be an intellectual aristocrat, a fortunate possessor of wealth may be a financial aristocrat, although this aristocracy, in Islam, is very carefully and cautiously circumscribed; and again a “Hercules”, a “Rustum” or a “Bhim” may be a physical aristocrat but there is no such thing as social aristocracy in Islam.

God is one and He is the Creator of the Universe. Faith in the unity of the Creator suggests unity and the composite nature of the Universe and faith in the unity and the composite nature of the human species.

(the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not). This is quite clear in Islam's attitude to war and fighting. It stresses peace as an ideal for which Muslims should strive as is indicated in the very name of Islam. However, it has permitted Muslims to fight when their faith and freedom of worship are threatened or when they are actually attacked.

Islam, therefore, lays certain rules which govern both the causes and the conduct of war. According to the strict orders of the Prophet Muhammad and the wise caliphs to their army personal, it was forbidden to kill women, children, old and weak people, priests and monks. They did not allow their forces to kill animals or cut trees. Some Muslim Jurists have even prohibited killing enemy horses in the battle-field. The Prophet strictly prohibited any kind of mishandling of enemy women. In the point of view of Islam fighting is not a thing to be liked or sought, and peace should be clung to as far as possible. This idea is embodied in many verses of Qur'an.

God says : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ »
(Fighting is enjoined upon you, although it is something disliked by you).

Also : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا » (But if they lean towards peace, you also lean to it (peace).

Our knowledge of a certain religion or a certain community should be based on a study of its institution and laws. It is a great pity that some learning scholars of the west have not got the right idea of the term "Jihad" in Islam.

In the Encyclopaedia of Islam, Dr. A. B. Macdonald referring to jihad, says : "The spread of Islam by arms is a religious duty upon Muslims in general." If such scholars had taken the trouble to consult an ordinary dictionary of the Arabic language or to study the teaching of the Holy Qur'an, they could have avoided such misrepresentation. "Jihad" is far from being synonymous with war in the Arabic Language and the conception of the Qur'an.

in the different parts of Arabia and then to the rulers of Persia, Abyssinia, Egypt, etc.

The Qur'an declared the universality of the Islamic faith in many verses. God says : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (And We have not sent you but as mercy to the world). Also, « And We have not sent you but as a bearer of good news and as a warner to all mankind » Again, « O mankind ! Surely I am the messenger of God to you all. »

Then, the Holy Qur'an has stated that the message of Prophet Muhammad is intended for all nations till the end of the world. The early Muslims believed that they were rendering a great service to other people by guiding them to a faith which secures for whoever adheres to it happiness in this world and the next. Although they were ready to sacrifice their lives to propagate their faith, they tried to do this by preaching and by conveying to the people the message of God in a peaceful way. The use of force to spread Islam is contrary to the very spirit of the Qur'anic principles. . As already noted, God says : « لا إكراه في الدين » .

(There is no compulsion in religion). As a result of the universality of Islam, it was carried outside the boundaries of Arabia by different means. All those means,

however, were based on the idea of spreading Islam in a peaceful way. For further evidence in support of this historical fact, one can refer to certain territories in the Far East, and in Central and west Africa. A muslim army never went to these places to spread Islam or to support its propagators there. It is reported that the introduction of Islam into Europe was the work of a Muslim scholar, who was taken prisoner in one of the wars between the Byzantines and the Muslims.

Spreading Islam by force is a thing of which we cannot find any trace either in the Qur'an or in the teachings of the Prophet. A single instance is not recorded in the whole history of the Prophet showing the conversion of an individual to Islam under pressure. Nor do we find any record of an expedition led or sent by him to convert unbelievers. It is in the nature of Islam to face the realities of life, because the true religion should regard man's nature. God says :

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لحاق الله ذلك الدين القيم ولا تكن أکثر الناس لا یعلمون » .

(So set thy purpose for religion as a man by nature upright, the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering

(Sanction is given unto those who fight because they have been wronged...). again: "And (it is) for the poor fugitives who have been driven out from their homes and belongings...".

In one of those Meccan verses, in which "Jihad" is mentioned, God says : « فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهاداً كبيراً ».

(So Obey not, the disbelievers, strive (Jihad) against them herewith, a great endeavour). This verse obviously refers to the Qur'an as a means of striving, and not to the sword. In another Meccan verse, God says :

« يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم ».

(O prophet! Strive against the disbelievers and the hypocrites, and be stern with them). The word "Jihad" in this verse cannot possibly mean fighting because the prophet never fought against Muslim hypocrites. God also says :

« ومن يجاهد فإنما يجاهد لنفسه ».

(And whosoever striveth (Jihad), striveth only for himself). The word "Jihad" is used here to indicate persistence in the face of persecution.

Even in the Medina period, when the Muslims were not persecuted but where strong both politically and militarily, the Qur'an categorically denounces the idea of using force to propagate Islam. In one of the verses of this time the Qur'an clearly states

that the role of Muhammad was only to convey the message of God.

"Obey Allah and obey His messenger, but if ye turn away, then the duty of our messenger is only to convey (the message)".

Many of the Prophet's sayings represent "Jihad" as a desirable struggle in different fields. This conception of "Jihad" was emphasised by the Prophet, when he said to his companions, after returning from a military operation : "Now we have returned from the minor "Jihad" to the major "Jihad". When asked about the major "Jihad" he defined it as thus : "It is striving against temptation". This notion of "Jihad" was also emphasised by him when he told a man who supported his parents, and who was anxious to take part in a war that Muslims fought for self-defence that he was actually engaged in a "Jihad" by striving to support his elderly parents.

Islam was not meant for Arabs alone but for all people of world. This universal faith is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to everybody. Prophet Muhammad and his successors believed in the universality of Islam, and tried to spread it throughout the world. The Prophet put this general call into practice by sending envoys to convey the message of Islam, first to Arab chiefs

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Dhu'l-hijjah
1386

ENGLISH SECTION

EDITED BY :
A. M. MOHIADDIN ALWAYE

March
1967

THE CONCEPT OF 'JIHAD' IN ISLAM

By A. M. Mohiaddin Alwaye



"Jihad" is one of the much misconceived words in Islam. The traditional idea of western people and even of some Muslims about "Jihad" is that of fighting or holy war. This interpretation implies two notions about "Jihad" in Islam. First that it means only fighting. Secondly that it aims at converting non-Muslims to Islam by force. Many of the Muslims who come into contact with western people are aware of these trends of thought in their minds towards this institution. In fact, the term "Jihad" is not correctly interpreted by Muslim Scholars. The Qur'an categorically denounces the idea of using force to propagate Islam. God says : « لا إكراه في الدين » (There is no compulsion in religion). Muslim's duty then is to understand

rightly the conception of "Jihad" in Islam and to present it to others in its true lights.

The word "Jihad" was mentioned many times in the Qur'an and in the sayings of Prophet Muhammad. In none of them can it be said to mean mere fighting. In them, as in Arabic lexicography in general, it means "striving" or desirable struggle" in different fields of life. The term "Jihad" is used in verses revealed in "Mecca" before Muslims migrated to Medina where they were powerful enough to defend themselves. It is a historical fact that Muslims were first allowed to fight back, after they had been persecuted and turned out of their home-town by the people of Mecca. God Says :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا »

١٧/١/١٢٢٢

